الآثار الشعريَّة
لأبي مُسْلِم البهلاني

ناصر بن سالم بن عُديِّم الرَّواحي

شاعر زمانه وفريد أوانه

(١٨٦٠ ـ ١٩٢٠)



حقّقها ووضع حواشيها وقدّم لها

محمد الحارثي

منشورات الجمل

الآثار الشعريَّة لأبي مُسلِم البهلاني

ناصر بن سالم بن غَنَيْم الرَّواحي

شاعر زمانه وفريد أوانه

الآثار الشعريَّة
لأبي مُسْلِم البهلاني

ناصر بن سالم بن عُديِّم الرَّواحي
شاعر زمانه وفريد أوانه
(١٨٦٠ ـ ١٩٢٠)

حقّقها ووضع حواشيها وقدّم لها
محمد الحارثي

عُنِيَ بمُراجعتها وتدقيقها
ناصر بن إسحاق الكندي

منشورات الجمل

ابو مُسْلِم البهْلاني (١٨٦٠ ـ ١٩٢٠): وُلِدَ في بلدة مَحْرَم (عُمان). شاعِر، فقيه، مُتصَوِّف، إصلاحي وصُحُفيّ رائد، مُتكلِّم وحُرُوفِيّ. إثر تلقي عُلُومِه في الفقه واللغة والادب هاجر قبل بلوغ العشرين إلى زنجبار (شرق أفريقيا) وأقام فيها حتى وفاته. عمل في الصّحافة والتدريس والقضاء. تمكّنَ من ارتقاء أعلى مراتب سِلك القضاء في زنجبار. أسّسَ صحيفة **النجاح** (١٩١١) التي رأس تحريرها فترة من الزمن. استفاد من إنشاء المطبعة السُّلطانية (١٨٧٩) لإصدار اول صحيفة عُمانية في زنجبار باللغة العربية، كما أشرف وعُنِي بطبع امّهات الكتب الدينية والادبية. له العديد من المؤلفات المفقودة والمخطوطة والمطبوعة؛ منها: **العقيدة الوَهْبِيّة**؛ كتاب في العقيدة، مسقط ـ ٢٠٠٣، **نِثار الجوهر**؛ سِفْر في الفقه والتوحيد (٣ اجزاء)، مسقط ـ ٢٠٠١، **كِتاب السُّؤالات**؛ مخطوط مفقود، **الواح الأنوار وأرواح الأسرار**؛ مخطوط مفقود، **الكنوز الصَّمَدية في التوسّل بالمَعَاجِز المحمدية**؛ مخطوط محفوظ بدار المخطوطات والوثائق ـ مسقط، **النشاة المُحمُّدية في مولد خير البريّة**، القاهرة ـ د. ت، **اللوامع البرقيّة؛ رحلة في افريقيا الشرقية**، ط١ ـ زنجبار ـ ١٨٩٨، **ديوان ابي مُسْلِم البهلاني**، ط١ ـ المطبعة العربيّة، القاهرة ـ ١٩٢٨.

محمد الحارثي: وُلد عام ١٩٦٢ في المُضَيرِب (عُمان). شاعِر، كاتب ورَحّالة. نشر العديد من المجموعات الشعرية: **عيون طوال النهار** ـ الدار البيضاء، ١٩٩٢، **كُلُّ ليلة وضُحاها** ـ كولونيا، ١٩٩٤، **ابعد من زنجبار** ـ القاهرة، ١٩٩٧، **فُسيفِساء حَوّاء**، قصيدة ـ مسقط ٢٠٠٢، **لُعبة لا تُمَلّ** ـ كولونيا، ٢٠٠٥، حائز على جائزة ابن بطّوطة للادب الجغرافي عن كِتابه **عين وجناح**، رحلات ـ ط٢، كولونيا ٢٠٠٨. تُرْجِمَت بعض قصائده إلى الإنكليزية، الفرنسية والألمانية.

ناصر بن إسحاق الكندي: مواليد الكويت ١٩٦٨. باحث ومحقق لغوي. حقّق ونَشَرَ عدداً من المخطوطات: **هداية الأخيار لأبي المنذر العذالي** ـ بيروت ٢٠٠٤ ـ **السر المصون لسيف الفرقاني** ـ بيروت ٢٠٠٤.

الغلاف الأول: صورة نادرة للشاعر أبي مُسْلِم البهلاني في زنجبار
الغلاف الأخير: صفحة من نثار الجوهر بخط المؤلف

الآثار الشعريّة لأبي مُسْلِم البهلاني، ناصر بن سالم بن عُدَيِّم الرُّواحي، شاعر زمانه وفريد أوانه

حقّقها ووضع حواشيها وقدّم لها: محمد الحارثي

عُنِيَ بمُراجعتها وتدقيقها: ناصر بن إسحاق الكندي

الطبعة الأولى ٢٠١٠

كافة حقوق النشر والترجمة والاقتباس محفوظة لمنشورات الجمل، بغداد ـ بيروت ٢٠١٠

تلفون وفاكس: ٠٠٩٦١ ـ ٠١ ـ ٣٥٣٣٠٤
ص.ب: ٥٤٣٨ ـ ١١٣ بيروت ـ لبنان

© *Al-Kamel Verlag 2010*

Postfach 1127 - 71687 Freiberg a. N. Germany
www.al-kamel.de
E-Mail: info@al-kamel.de

المُقدمّة
حَياةُ شاعِرٍ مُغيَّب، شاعِرُ حَياةٍ مُغيَّبة

«من خِصامِنا مع الآخرين نَصْنعُ البَلاغة،
ومن خِصامِنا مع أَنفسِنا نَصنعُ الشعر».
[وِيليَم بَطْلَر ييتسْ]

«التشبيهُ صِفة الشيءِ بمَا قارَبَهُ وشاكَلَهُ مِنْ جِهَةٍ وَاحِدَة
أو مِنْ جهَاتٍ كثيرة لا مِنْ جَميعِ الجِهَات، لأنَّهُ لو ناسَبَهُ كُلِّيَّةً لَكَانَ إيَّاه».
[ابن رشيق القيرواني]

«أَمَا آن أَنْ تَسْتبقيَ المُهجَةَ التي | غفا رَسمُها وَجْداً، وطالَ هُيامُها».
[محمد بن شيخان السَّالمي]

[١]

أُبوَّةٌ شِعريَّةٌ خالِصَة

لطالما اعتقدتُ أنَّ أبا مُسلِم البهلاني الرَّواحي أبٌ شِعْرِيٌّ خالِص الأبُوّة لِسَابقِ اللاحق ولاحقِ السَّابق، ليس في بلادنا فحسب، بل في أقنوم شُعاعٍ مَعرفيٍّ امتدَّ من جزيرة زنجبار حتى اليَمَن وكافة بُلدان الخليج والجزيرة العربية، فضلًا عن مَراكز الثقافة العربية المُمَثلةِ، آنذاك، في قاهرةِ ودمشق نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين. فهو يُنبُوعٌ شِعريّ ومَعْرِفيّ ثرّ؛ نَستحقُّ نهل شربته صَافيةً خالصة مِن خالص مُبتدعِهِ الشعريِّ المُنكَّه بلذعَةٍ من قَرْقَفِ وقُرُنفلِ أنوارِ رُوحه.

لطالما اعتقدتُ، في سَريرَتي، بتلك الأبوَّة التي استحقت ما فرَضَتهُ من استحقاقات سَتنهلُ منها الأجيالُ اللاحقة من المُثقفين والشعراء لتمْتحَ من يُنبُوعها زهرة الشِّعر، فيما تصقلُ جواهِرَهُ المَنثورة قبيل ارتكازها إلى بُؤبُؤ يَقينٍ شِعري راسخ النَّسَب والأَرُومَة؛ امتزاجاً في رائقِ مُستحْلَب شعره المُنساب لغة، فصاحة، أسلوباً، بلاغةً، بياناً وطريقة حَياةٍ سَاحِرة في جَزيرة الحياة، تماماً كما كان نبضُ حَياته سَاحِراً كسَجَنجَلِ نهر غامض.

ولا غروَ، لا غرو. فالغوصُ في لُجَج مَوسُوعيَّتِهِ الضَّاربة بفجاج أفلاجها في عميق مَعرفته: جَدَلًا مَعرفياً، تَفقُّهاً، تَصوُّفاً، اسْتِنْهَاضاً وانْهِماماً مُنقطع النظير بالنَّاجِلِ والمَاجِلِ مِنْ أَحْوَالِ مُوَاطِنِيهِ وَقضاياهم المَصِيريَّة ـ الغوصُ في تلك المَوسوعيَّةِ فريضةٌ وسُنَّةٌ واجبة على أحفاده بعد مرور نحو قرن ونصف

على ميلاده[1]. لأنهُ الشاعر الذي ـ على اغترابه ونأيهِ عن مَعَاهِدِ رُوحِهِ في رَوْحِ وَطَنِهِ الأُمِّ وَرَيْحَانته التي حُرِّمَت عليه، وحُرِمَتْ منه ـ كانَ ومازال مِثالًا مَثَّالًا لذلك السُّموِّ المُستبطِن مَغاورَ المُواطَنةِ الحَقَّةِ والتديُّن الحَقّ، مُناضِلًا ـ لله، وفي الله ـ ليسَ عَمَّا أراده وابتغاهُ من كَفَّتي الحَقِّ والعدالة لتراب وطنه ولمُواطنيه أرضاً وسَمَاءً فحسب؛ بل فيما ابتغاهُ لقومه عِزَّةً وكرامة، كما تَبدَّى ذلك في لُمُوعِ وشمولية وَعْيِهِ الاستنهاضي المُستنير.

لقد كنتُ أسِيرَ حُبِّهِ وشِعرهِ الأخاذ (طوال السَّنوات الثلاث التي اشتغلتُ فيها على مشروع تحقيق آثاره الشعرية)؛ لكنني ـ مع ذلك ـ اعتقدتُ بأنَّ ذلك الأَسْر اللذيذ لن يكون شفيعي للتمكُّنِ رُوحِيّاً من استلاب قُرَّائهِ وَمُحبِّيه؛ لسبب أبسط من البساطةِ ذاتها على البساط الشعريِّ الذي نتداولُهُ اليوم فيما نتناولُ تُراثه الشعري على بساط تجريد دون الإلمام الموضوعي بمجموع شعره، وطنياً كان، اجتماعياً، غزلًا، دينياً، إلهيّاً، مَدائحَ نبويَّة، إلى غير ذلك من الأغراض التي طرَقتها آثاره الشعريَّة المُشرَعةِ على أكثر مِن أفقٍ وسَمَاء.

مع ذلك، أستطيع القول، إنني رغم تأخُّر اعتقادي ذاك؛ سَبَق لي أنْ اعتقدتُ اسْتِبطَاناً، بأبُوَّتهِ الشعريّة المُتقدِّمة تلك، وحَللتُ عُقدة استبطاني فيما انحَلَّ من بَواطِنِ نهره الغامض، لأنَّ حَبْلَ تلك الأُبُوَّةِ المُستدِقَّ والمَتين، في آن لم يَنقطعْ لحُسن الحظ ـ على تقطُّع سُبُل الرِّحلة والرَّاحلة فيما أضْمَرَتهُ لي سَلفاً بَيضَةُ الوُجُود والعَدَم مِن فَرْقٍ لم أَكُنْ لأسْلَمَ مِن نَزَوَاتِهِ المُضْمَرَةِ لي في «أرض السِّرّ» و«جَوفِ الشِّعر» و«ضَعاضِعِهِ» التي لم يَتضَعْضَع رُسُوخها ـ لا كما تشيَّأتُها بل كما شاءتها نُبوءاته الشعريَّة الفارقة قبل ما يَربُو على المائة عام.

هكذا تَعُود الاستعارة الزمَكانيَّة ـ ولو بعدَ لأي ـ إلى زمانها ومكانها المُقدَّرين لها؛ وإنْ تأخرنا في استنباطها واستبطانها، ناهيك عن مُحاولة تأويلها

---

(١) توافق هذه الطبعة لآثاره الشعرية مُرور ٩٠ عاماً على رحيله.

بحَصَافة وَقَّادَة إثر دَرْكِنا لمَجَاز بَرْزخ شِعره الشاسع. فكما يقول الشاعرُ التّشِيكي ياروسْلاف سِيفِرْت ذ«**إنَّ استعارةً مُدهشة تُساوي أكثر من خاتم ذهَبِيّ**»؛ لأنها استعارة ثمينة في العُمق المُمَجِّد للشِّعر في قيعان مَغارته، وإعلاء لمُستويات القول بعد إخضاعه لأنساقِها الجمالية المُستمِدَّة لتعقيدها التأويليِّ المُصاحِب مِنْ تشعُّبِ تعقيدِها ذاته. نقولُ ذلك ونعتقده رُؤيَةً ورُؤيا؛ رغم استخفاف شيخنا الأرجنتيني الأعمى خورخي. ل. بورخيس[1] في مَقولته المُتواضِعَةِ في تَعامِيها حَدَّ الإبصار المُستثير لنا، ولدَهشة الاستعارة ذاتها، ليس في عُمان، ولا في زنجبار، بل في بوينس آيريس؛ حيث عاش أعمى مُستبصِراً بشجون الكتاب وأحواله المُتمَرئِيَةِ في ألف ليلةٍ وليلة:

«في نهاية المَطاف لستُ أستاذاً، والفرقُ بين الاستعارة والتشبيه يكادُ لا يهمّني».

ولِأنها استعارة مُستعارَةٌ، بدورها، من بورخيس؛ فهي قد لا تبدو ظاهِرِيّاً مُناسِبَةً في مُستهلِّ مُقدِّمَةٍ تطمحُ لتقديم شاعِرٍ كأبي مُسْلِم، لكنَّ ما دعاني للاستشهاد بها هو أنني، بدوري، لستُ أستاذاً لحُسنِ الحظ.

مع ذلك، أستطيع القول أنَّ الفرقَ الفارِق الذي تَحدَّث عنهُ الشاعر التشيكيُّ ياروسْلاف سِيفِرْت؛ هو ما يُهمُّني، بالتأكيد، في هذه المُقدمة الطامحة لتقديم شاعر عُمانيٍّ فارقٍ ومُفارق كأبي مُسْلِم؛ لأنهُ كان في مَكنونِهِ **خاتماً ذهبياً** ثميناً طالما حَلمتُ بظِلالِ الفروق بين استعارَته وتشبيهه ومَجازه في بحر الأيام الخوالي، وإنْ عثرتُ عليه في بئر المعنى واللامعنى، مُتأخراً أكثر

---

(١) **إشارة**: لا بُدَّ من الإشارة، هنا، إلى استفادتنا من مصادر ومراجع عدَّة، لن نتمكَّن من الإشارة التفصيلية إليها في حاشية هذه المُقدِّمَة؛ لأنَّ اشتغالنا **عَمَلٌ أدبيٌ مَحض** غير مَعنيٍّ بما تُعنى به الدِّراسات الأكاديمية واشتراطاتها البحثيّة الشغولة بتفاصيل التفاصيل؛ لذلك ارتأينا إثبات كافة المواد التي استخدمناها وأفدنا منها ضمن **«المصادر والمراجع»**. والسبب الآخر لهذا الاكتفاء؛ هو كثرة الإحالات ـ لا سيما، في حواشي مُتون بعض القصائد ـ المُتخمَة أصلًا وتفريعاً بالشروح والتعليقات.

مما ينبغي خلال رحلتي المُتأخرة والسَّاذجة ـ بطبيعة الحال ـ لمحاولة اصطياد سَمَكةِ الشِّعر بِسِنَّارته.

أَتوَكَّأُ على هذا القول، لأنني لا أَتقوَّلُهُ اصطياداً مُتأخراً في بركة مَاءٍ عَكِرٍ قلما يَحْظى الصَّيادُ العَجُول مِنها بسَمَكةِ الأُمثُولة، فكيف بالخاتم الذهبيِّ في بَطنِها؟ بالأحرى؛ أقوله انسِجاماً مع صَوتِ حُنجُرتي التي مَتحَتْ أَوتارَ حِبالها الشِّعرية من أبٍ خالص الأبوَّةِ لي، لِجِيلي، ولِأولئك الذين سَيتعَثَّرونَ، لاحِقاً، بتقدُّس صَوتِ إلهيَّاتهِ، ومَدائحِهِ النبويَّة المُثيرة لجَدَلِ العُلماء والفقهاء، ناهيك عما أدعوه ثورة استنهاضِهِ الشِّعْريِّ القَمِين به وَحدَهُ دُون سِواه؛ فَقُدرَة النصِّ على الصُّمود في وَجهِ الزَّمَن وَوِجْهَتِه هِيَ ـ كما نعلم ـ كامِنةٌ في قُدرَتِهِ الاستعاريَّةِ، لِيناً وقسوَةً، فيما تَرُومُ إنفاذَ سَهْمِ دَيمُومَتِهِ في قلبِ الزَّمَن.

[٢]

زمنُ الشيخ وزمنُ الغُلام

ربما كان عَليَّ العودة بالزمنِ نحو رُبعِ قرنٍ إلى الوراء لتوضيح علاقتي بشِعر أبي مُسلم؛ ففي وقت مُبكِّر من حياتي، كُنتُ قد تَعَرَّفتُ على شِعره مَعرفةً أستطيع وَصفها اليوم بأنها، في العُمق، كانت مَعرفة «سَطحيَّةً»؛ إذ لم أكترث لأهميَّته آنئِذ، لأسبابٍ وأسباب تَدَاخلَ فيها الذاتيُّ بالمَوضُوعي، لا سِيَّما في مَرحلةِ انهمامي بتفحص طرائق الكِتابة الشعريَّةِ الحَديثة[1]، لأنقطعَ عن أثره الشعري اللافت في حياة الشعر ودُروبها المُتشعِّبة في شِعر الحياة.

وهي دُرُوبٌ جَرَفتني، حقيقةً، نحو مَضارب شعرية بعيدة عنه وعن

(١) أتحدث، هنا، عن بدايات تعرفي إلى تجارب رموز الشعر العربي الحديث: نزار قباني، أمل دنقل، بدر شاكر السياب، سعدي يوسف، محمود درويش، خليل حاوي.. وآخرين.

«بوارق» سُوحِهِ ومراتع فرائده وخرائده؛ لأكتشف مُتأخراً أنَّ ما غرَسَتهُ تجربته العَمِيقة من ظِلالٍ لم تَبهُتْ ـ كما اعتقدت ـ بفعل الزمن؛ بل انصَقلَتْ بِرَويَّة، ودأبتْ تشرئبُّ، كما لو بصبر الصَّيادِ واصطباره على مُفاجأةِ الخاتم الخَبِيءِ ـ تلك التي تحدث عنها ياروسلاف سِيفِرْت، كما أسلَفت. فهي ظِلالٌ ظلَّت تحفرُ يَقينها في شُكُوكِ يَقيني، ولم تَنِ تَنحتُ فيَّ زمنين تقاطعا وتَوَازِياً ليَتلازما فيما بعد: «زمنِ الشيخِ» و«زمن الغُلام»، تماماً كما كان دَأبُ حَادِي «بَوَارقهما المِرْنان» في صَدى الذاكرة التي تقاطعت في ذاكرة الصَّدى ونسياناتِها الدَّهريَّة؛ كأنما لأغفو وأصحو ذات غبشةٍ تُحاولُ أنْ تَدَّارَكَ «المفاجأة الذهبيَّة» وهي تحيط أصبع الصَّياد، بالنداء الكامن في بطن سمكته؛ سمكة الاستعارةِ السَّباقة إلى لعبةٍ وُثِّقَتْ في وَثائق الأصل المَنسيِّ وأصائله المُنتظِرَة لسُفور لحظة إشراقٍ مُلهِمَةٍ قادتني ـ اقتادتني، بالأحرى ـ إلى لقاءٍ حان وآن بعد نُضج التجربة واختمارها حَياةً وشِعراً وأفقاً ورؤيا، كما أراها اليوم بجَلاءٍ وَضَّاح.

هل أخلط الذاتي بالمَوضُوعِي في هذه المقدمة؟ بالأحرى، هل أُخلُّ ببعض شروط التقديم؟.. نعم. ولحُسن الحظ ـ مَرَّةً أخرى ـ يبدو أنني أفعل ذلك، لأكثر من سبب:

تأخري ـ قبل سائر الأسباب ـ في الانتباه إلى أهمية مُنجز أَبي مُسْلِم الشعري، رغم حَسَنة فراري المُتأخر إليه قارئاً باستبصارِ ثمرَةَ النُّضجِ وَظلَّتها المُلازمة: **المَسؤولية**، لا سِيَّما بعد تأكُّدي مِنْ أن المُتاح وَالمُتداول من مُتُونِه الشعرية ـ ناهيك عن شواهد هَوامِشها وإضاءاتها الفكريَّة والعقديَّة ـ أقلُّ في مَرارَةِ الأمر مِن حقيقةٍ زائفةٍ كسمكةِ صَيَّادٍ نفقت قبل اصطيادها: ألا وهي شُيوع اسمه المَحبُوب وذيوعه في آذان مُواطنيهِ التي لم تُشنَّف إلّا بالسَّماع الطَّرِب إلى أقلِّ القليل من شعره (المُغيَّب زَكِيُّهُ وَنَفِيسُهُ) عَنْ فَرَائِدِ وَجَوَامِعِ ذاكِرَاتِهِم الجَمعية والفردية، على مِحَكِّ الحَديَّن: المُفارق والسَّواء.

فشعره ـ كما نعلم وكما يعلم مُحِبُّوه ـ حَظِيَ بالذيوع والانتشار، لكنهُ، رغم ذلك الامتياز، لم يَحْظَ «بحقيقة» انتشاره كما انبَغَى؛ أي كما تمنى هُو وأَراد، لا سِيَّما في هُنيهات يُقلِّبُ فيها المَرءُ مَدَى صِحَّةِ قولٍ سَائِر، كان وما زال ذائع الصِّيتِ والتَّضْوِيتِ: (حول شيوع وذيوع أخبار شِعره، أكثر من العميق من مُتونِهِ الشعرية)، ليكتشف المرءُ أنها مقولة ـ بعد تفحُّصِها في مُختبر الشعر والحياة ـ تَنقضُ فحواها.

فحقيقة الأمر أنَّ شِعرَهُ لم يُقدَّم لمُحبِّيه بالطريقة الصَّحيحة؛ كي يصير جسراً ومَعْبَراً مُعبِّراً عن أبي مُسلم شاعراً كبيراً طرق كافة أغراض الشعر دون تخصيص. أقصد أنّ كُلَّ العُمانيين «يعرفون» أبا مُسلم «ويسمعون به»، بل يُردِّدون بعض أشعاره «أيقونة» شِعريَّة، لكنهم في غور القول ومَغارةِ ميزانه لم يتمكنوا ـ لأسباب سنوردها لاحقاً ـ من التعرُّف إلى مُتونِ شعره كاملة دون نقصان. وعَليه؛ فإنَّ اختياره أو عدم اختياره، لتشييئِهِ أُيقونة شعرية كلاسيكية يُحتذى بها ويُشار إليها بالبنان ـ كما قد يُشير العراقيُّ، مثلًا، إلى محمد مهدي الجواهري، والمصري إلى محمود سامي البارودي واللبناني إلى إلياس أبي شبكة أو مطران خليل مطران ـ ستسقط بمجَرَّد اختبارها في ميزان الاستحقاق التاريخي.

فالأمر في حقيقتِهِ المُرَّة ـ وبعد مرور نحو قرن على تاريخ وفاةِ أبي مُسلم ـ أفدحُ بكثير مِن مَرارتها، وطَلاوَتها المُتغنَّى بها. لأننا بالكاد نَتعرَّفُ إلى قسمات وجهه، ناهيك عن شِعره المُجَزَّأ والمُبعثر أشلاء بين أكثرٍ من فريق ـ أحبُّوه، دون شك ـ أَعلى أَحَدُهُما جانباً أو غرضاً من أغراض شعره، فيما يَجهَدُ ويُجاهد ما استطاع لإخفاء ملامح وجهه الآخر، كما لو كان الفريقان في حرب يتنافسان فيها على شَقِّهِ نِصفين، ليُعيدا ابتكار مُنجزه اشتقاقاً مِنَ الوَعْيِ الجَمْعِي؛ ليتمكنا ـ وقد تمكّنا بالفعل ـ من تفريقنا عنه.

[٣]

أقانيمُ الظَّاهِرِ والبَاطِن

قد يبدو الأمرُ غريباً ولا مَنطقيّاً لكنه، في واقع الحال، حالٌ مُؤسِفٌ لا مندوحة لنا من التسليم به. صحيحٌ أنَّ المُقارنة مع شعراء استنهاضيين معروفين، قد تبدو فجَّةً، هنا، وربما في غير مَحلِّها، لكننا إذا ما تفحَّصْنا الظاهِرَ والمُغيَّب مِن نتاج أبي مُسلم (أي ما أريد له أن يظهر في فترة ما، وما أريد له أن يَنطمِس تلقائياً، في فترات لاحقة)، لأدركنا فداحة الأمر وهَوْلِهِ تغييباً مُتقصَّداً لجانب من شِعره، وإظهاراً لبعضه الآخر. والشواهد كثيرة ومؤلمة: فثمة طبعات مَحَليّة اجْتزأتْ من تُراثه بُعدَهُ التديُّنيَّ المَحْض (دونما اعتبار لشموليَّة تجربته الشعرية واتساع آفاقها الرُّؤيَويَّة)، لتجترئ على طبع[١] «النفس الرحماني في أذكار أبي مُسلم البهلاني» دون سِواه من مُنجَزه الشعري؛ وهو جُزء من أعماله الشعرية غير الكاملة. في المقابل فإن طبعاتٍ عُمانيَّةً رَسميَّةً (مَنحُولةً ومُجتزأةً، هي الأخرى) من ديوانه الشعري تَجرَّأتْ، بدورها، على تُراثه الشعري[٢] وغيَّبَت النقيض: مدائحه النبويَّة عدا نتفة صغيرة من

---

(١) نشير، هنا، إلى طبعات مكتبة مسقط للنفس الرحماني ـ راجع **المصادر والمراجع**.

(٢) رغم إثباتنا للمصادر التي اعتمدنا عليها ـ كما أشرنا في هامش سابق ـ في قسم «**المصادر والمراجع**» في نهاية الكتاب، لكننا نودُّ الإشارة إلى مَصادرنا (الأسَاسِيَّة والثانوية) التي اعتمدناها في تحقيقنا هذا وهي على التوالي؛ وِفقاً لأهميَّتها (أ): ديوان أبي مسلم، تحقيق: عبدالرحمن الخزندار، طبعة صالح بن عيسى الحارثي، مطابع دار المختار، ١٩٨٦، وهي ما سَيُشارُ إليه بـ«الأصل المُعتمد». (ب): ديوان أبي مسلم، إصدار وزارة التراث القومي والثقافة، روي (عُمان)، مطابع دار جريدة عمان للصحافة والنشر، ١٩٨٧. (ج): ديوان أبي مسلم البهلاني، جمع وترتيب: سالم بن سليمان البهلاني، مخطوط، مكتبة أحمد بن عبدالله الفلاحي. (د): ديوان أبي مسلم البهلاني، تحقيق: راشد بن علي الدغيشي، الناشر شركة دار الفتح. (هـ): النفس الرحماني في أذكار أبي مسلم البهلاني، الطبعة الثانية، عُمان، مكتبة مسقط، سلطنة عمان، ٢٠٠٤. (ح): نثار الجوهر في علم الشرع الأزهر، مخطوط، (صورة توزع من قبل عائلة المؤلف).

مديحه للنبيِّ مُحمَّد (ص)؛ مطلعها: «غوثَ الوُجُودِ أغِثني ضاقَ مُصطبَري | سِرَّ الوُجُودِ استلمني من يَدِ الخطَر»، تنتهي في نسخة وزارة التراث والثقافة[1] بهذا البيت: «إنْ كانَ حُبِّيَ مَعلولًا فأنتَ لها | أدرِكْ عَليلَكَ، قبلَ الأخذِ في الخطرِ»[2]. ناهيك عن إقصَاءِ كافةِ قصائده الاستنهاضية المُتمثلة في مدائحه لإمامة سالم بن راشد الخروصي[3] وحَثِّهِ الشيخ عيسى بن صالح الحارثي[4] على مُبايعة الإمام، لتنضح تلك «الطبعة الرَّسميَّة» بما أُبقِي في مَتنِها [المَنحُول، أصلًا] مدائح سلاطين زنجبار، فضلًا عن أغراض شعره الاجتماعي والغزلي العابر؛ ذاك الذي لا يَمسُّ وتراً «وطنياً» غابراً لم يعد ـ بالمعنى إيّاه ـ مثيراً لحَفيظة أو جدل سياسي[5].

أما آخر الفداحات والجَرائر المُرتكبة في مُتوالية ابتسار تراثه الشعري وتعويمه في بُورصَة التباهي بتقديم مُنجزه الشعري مبتوراً ومُجتزأ؛ فهي طبعة

---

(١) ديوان أبي مسلم، إصدار وزارة التراث القومي والثقافة، روي (عُمان)، مطابع دار جريدة عمان للصحافة والنشر، ١٩٨٧.

(٢) مِن سُخريات القدر ملحوظة جديرة بالتأمُّل؛ وهي أنَّ المُستغاث به في القصيدة التي أثبتنا مطلعها في المَتن: [غوثَ الوُجود؛ مُحمد (ص)] لم يُغِث أبا مُسلم في هذه الدُّنيا الفانية، بعد أن تسلَّطت عليه وزارة التُّراث والثقافة العُمانيَّة، فيما (تنتحِلهُ ظاهِراً، وتُقصِيهِ باطناً) في طبعتها تلك، وربَّما كان مطلع القصيدة المُحَرَّف أصلُها المنسوخ إثباتاً لبعضها، ونفياً أقصى شِقها الأكبر ـ ربما كانت تَعِلَّة وُجُوديَّة يبدو أنَّ الزمن لم يُمهِل أبا مُسلم للوقوف عليها، لكنَّ إدانَتَه لها صَارخةٌ في عَجُز المطلع: «سِرَّ الوُجُودِ استلمْني مِنْ يَدِ الخطَر»! فاستشرافه النُّبوئي والرُّؤيَوي لما سَيتعرَّض لهُ تراثه الشعري من إقصاءٍ وتزييف وتحريف واضحٌ في قصيدَتِهِ التي لم تحترم فيها «وزارة التراث والثقافة» ثقافة وتُراث أبي مُسلِم، ناهيكَ عَمّا يَستوجبه احترامُ سَيِّدِ الأنبياءِ وخاتمِ الرُّسُل.

(٣) نشير، هنا، إلى النَونيَّة.

(٤) ونشير، هنا، إلى المِيميَّة.

(٥) في حقيقة الأمر، فإنَّ طبعة وزارة التراث والثقافة لا تكتفي بذلك وحسب؛ بل تُغيِّبُ الفصل الثاني برُمَّته؛ أي القصائد الوطنية.

مُحققة لديوانه بذل فيها «مُحققها» جُهداً لا يُنكر، لكنه لم يَتخلَّ، هو الآخر ـ كما لم تتخلَّ الطبعات الرَّسمية والأهلية ـ عن التملُّص من إنكار موضوعيته في جمعه وتحقيقه للديوان اعتماداً على نسخة (**القاهرة** ـ كما دعاها ـ؛ وهي في الحقيقة طبعة **دِمشق**[1] إضافة لمخطوطة مكتبة السَّالمي)؛ لأنَّ «مُحقِّقَ» ديوانه ـ بضيق أفق تديُّني موغل في أُذلوجَته وتأذلُجِه تساوى في «تحقيقه» مع ناشري ديوانه الآخرين في كُلٍّ مِن «المؤسسة الرَّسميَّة والأهليَّة»، ليتعادل ـ أمام القارئ ـ أفقهم الضَّيق المناوئ لاستنهاضيات أبي مُسلم ومدائحه النبويَّة ومدائحه لسلاطين زنجبار. والنتيجة المُؤلِمَة تلخصها العبارة التالية: كما حَذفت وزارة التراث والثقافة قصائده الاستنهاضيَّة، حَذفَ «مُحَقِّقُ» ديوان أبي مُسلم، بدوره، مدائحه في سلاطين زنجبار!

ورغم أننا لا نريد حشو مقدمتنا بتفاصيل سَقيمة عن تبادُل مُتوالية المُباهاة بأغراض من شعره وإقصاء أغراضه الأُخرى، إلّا أننا نجد أنفسنا مُكرَهين على الولوج في تفصيلها. فكما نشرت وزارة التراث القومي والثقافة نسخة مَنحولة (مُصوَّرة، بالأحرى) دونما إشارة إلى الأصل، من ديوان أبي مسلم البهلاني الذي عُني بطبعه ونشره عام ١٩٨٦م في دمشق الشيخ المجاهد صالح بن عيسى

---

(١) نشير، هنا، إلى طبعة ١٩٨٦ التي يُشارُ إليها في كثير من المراجع والكتب والدراسات بـ«**طبعة القاهرة**»؛ وذلك لعدم ورود مكان طبعها، واعتقد كثيرون (بحُكم إقامة الشيخ المُجاهد صالح بن عيسى الحارثي في مَنفاه الاختياري بالقاهرة أنها طُبعت هناك)، لكنَّ ذلك غير صحيح البتَّة؛ فقد طُبعت في مطبعة المختار في دِمشق، (كما أكَّد لنا الشيخ أحمد بن حمد بن سليمان الحارثي) الذي أحضر رُزماً من تلك الطبعة ووزعها باليد على القلة اللهوفة لاقتنائها. ولأنه لم يتمكَّن من توزيعها [رسمياً] في عُمان، فقد حظيت بمزيَّة توزيعها في مكتبات دولة الإمارات العربيَّة المُتحدة، ومن هناك وجدت طريقها إلى الكثرة الكاثرة من العُمانيين. وشخصياً؛ حصلتُ على نسختي الخاصَّة من طبعة صالح بن عيسى [التي سَيُشار إليها بتعبير: «**الأصل المُعتمَد**» في هوامش هذا الكِتاب من إحدى المَكتبات في إمارة دُبي!].

الحارثي (١٩١٨ ـ ١٩٨٦م)، وُسِمَ بعُنوان آخر[١] بعد حذف قصائده الوطنية والاستنهاضية وبعض مدائحه النبوية من تلك الطبعة، كما أشرنا.

لكنَّ الطامَّة الكُبرى هي عثورنا مُؤخراً على نسخة مُصوَّرة من [ديوان أبي مُسلم البهلاني لشاعر العرب ناصر بن سالم بن عديم البهلاني ـ تحقيق راشد بن علي الدغيشي، الناشر: شركة دار الفتح] دون ذكر لمكان وتاريخ النشر (عدا إشارة وردت في خاتمة مقدِّمة المُحقق المؤرَّخة عام ٢٠٠٢، مما يَجعلنا نعتقد أنها طُبعت في ذلك العام؛ استنتاجاً وليس تأكيداً[٢]. وهي نسخة ما كنت لأحصل عليها؛ لولا حديث عابر مع أحد مُحبِّي أبي مُسلم، ليعيرني نسخته المُصوَّرة من تحقيق الدغيشي بعد تمنع أول الأمر[٣]. والحقيقة أنني استفدتُ من تلك النسخة في مُقارنة اشتغالي على أبي مُسلم باشتغال مُحققها راشد الدغيشي الذي بدا واضحاً نهجه الديني المُتزمِّت في تأويل وحذف قصائد بعينها لأبي مُسلم، رغم تأكيده في مقدمته بأنه جمع في تحقيقه بين «المخطوط الذي كتبه ابن أخي الشاعر الشيخ سالم بن سليمان البهلاني

---

(١) ديوان أبي مسلم، إصدار وزارة التراث القومي والثقافة ـ ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م. **ملحوظة**: من يُراجع الأصل سيكتشف أن «النسخة الرَّسمية» منحولة تصويراً عن طبعة الأمير صالح بن عيسى الحارثي، دمشق ـ ١٩٨٦ بعد غربلتها لحذف ما لا يُرادُ له الظهور.

(٢) نلفت النظر، هنا، إلى أنهُ تحقيق جيد في مُجمَله ولا بأس به قياساً إلى الطبعات المحلية الأخرى، لكنه لا يخلو ـ كما أسلفنا ـ مِن غبار الأدلجة المَذهبيَّة والتحجيم المُبالغ فيه لقامَةِ أبي مُسلم، لولا إفساد صاحب التحقيق لتحقيقه بالحذوفات والتغييرات غير المُبرَّرة لبعض عناوين القصائد، ناهيك عن استخفافه بمقاصد الشاعر ليذهبَ في تأويلها وفقاً لقناعاته المَذهبيَّة الضيِّقة، ليَحشرَ فقيهاً وعَلَّامةً وشاعراً كبيراً كأبي مُسلم في أضيَق مسالك التأويل.

(٣) في حقيقة الأمر هي نسخة تداوُلها محدود بين المتدينين الجُدد من الإباضية، لذلك تُحُتُّمَ على مصدرها، ناهيك عن مكان نشرها. والغالب أنها نسخة «خاصة» يتداولون طبعتها الأصلية بينهم، أو مُصَوَّرة بـ«الفوتوكوبي» تحاشياً لمُساءلة قانونية أو سياسية، ورغم أنها مطبوعة في «شركة دار الفتح»، إلّا أنها غير مُتوَّخة، فضلًا عن ذكر مكان طباعتها ـ راجع **المصادر والمراجع**.

(اعتماداً على مخطوطة مكتبة السالمي) وبين المطبوع في جمهورية مصر العربية» [**يقصد نسخة دمشق ١٩٨٦ التي اعتمدناها، بدورنا**]، «بحيث شرحتُ ـ والقول لراشد الدغيشي ـ كُلَّ القصائد الموجودة في الكتابين، وذلك لوجود إضافات في المطبوع لم تكن في المخطوط، ووجود نقص في المطبوع موجود في المخطوط». وهو تأكيد مُلزِم نجده في الفقرة رقم [٧] من مقدمة تحقيقه المُؤرَّخة عام ٢٠٠٢.

والحقيقة أنَّ ما قاله راشد بن علي الدغيشي من الإضافة والحذف يكاد يكون صحيحاً حدّ الدِّقة ذاتها، ومن خلال تفحصنا عمله واشتغاله الذي استفدنا منه في بعض المواضع (رغم وصوله إلينا ونحن في المراحل الأخيرة من إنجاز هذه الطبعة)، وجدنا ما قاله في مقدمته من جمعه كل المخطوط والمطبوع لم يكن، في الواقع، صحيحاً، بل مُحاولةً يائسةً لإقناعِ قارئ «تحقيقه» بدقته المنهجيَّة التي سنكتشف أنهُ تخلَّى عنها وضرب بها عرض الحائط في مَتنِ عَمَلِهِ، وبذلك أسقطَ عنه ورقة توت المِصداقيَّة التي تسربل بها «تحقيقه» الذي يَشفُّ عن غرَضٍ أقرَبَ للأدلَجَةِ الدِّينيَّة المُتمَسِّحَة بأبي مُسلم «الفقيه ونصير دولة الإمامةِ» الغابرة، أكثر مِنه «تحقيقاً» ينشد الينبوع الشعريَّ المَحض في تجربة الشاعر.

وفضلًا عمَّا وجدناه من تغيير بعض عناوين القصائد، وتأويل مُفردات الشاعر الواضحة في مقاصدها بمعانٍ أخرى تُناسِبُ غرضه المُضمَر[1] مِنْ «تحقيقه» ديوان أبي مُسلم، فإننا أجملنا خمس نقاط أساسيَّة تَنقُضُ ما ادَّعاهُ في مُقدِّمته من أمانةٍ موضوعيَّة توسَّلها اشتغاله:

١ ـ حذفه عنوان قصيدة وردت بعنوان: (خمرة الله) ليستعيض بعنوان آخر

---

(١) نكتفي في هذه المُقدمة بإيراد النقاط الخمس، وسَيجدُ القارئ ملحوظاتنا وتعليقاتنا على قراءة شروحات الدغيشي في هوامش المَتنِ الشعري، ضمن شرحنا للأبيات مع إشارة تُحيلُ إلى [بعض الشرَّاح]، اكتفاءً من جانبنا برَمزيَّتها، دون تخصيصٍ في الإشارةِ إليه.

من عِنديّاتِه، كما لو كان حامل لواء استباق وسبقٍ إلى نيل الدَّرجات الفتَّاحَة لمَغاليق أبواب الجَنَّةِ، غفل عنهُ الشيخ العلامة وقاضي القضاة أبو مُسلم البهلاني، لا سمح اللهُ ولا سَمَحَت شاعريَّتُه. فكما يقول كيركيغارد: «معظم الناس يظنون حقاً أنَّ الوصايا المسيحية، مثل: (أحبب لجارك مثلما تحب لنفسك) صِيغت، عن عمد وبشيء من الشدَّة ـ مثل تقديم عقارب السَّاعة ثلاثين دقيقة، كي نضمن أن لا نستيقظ في الصَّباح مُتأخرين! لدرجة أنه بدا لي أنهُ لم يقرأ شاتوبريان، ولم يستوعب ـ فيما لو قرأه ـ أن لا شيء لا يفنى في عبارته: بالنسبة لي، لا شيء يتلاشى في الظل، كل شيء عرفته يوماً يعيش حولي. حسب العقيدة الهندية، حين يأتينا الموت، فإنه لا يفنينا؛ إنه يُصيِّرنا خفيِّين فحسب».

٢ ـ حذفه كافة مدائح أبي مُسلم في سلاطين زنجبار، رغم التعارض والتناقض الفادح في إشارته، آنفة الذكر، في الفقرة رقم [٧] من مقدمته: «**الجمع بين المخطوط والمطبوع**»، فمدائحه في سلاطين زنجبار موجودة بحذافيرها في طبعة ١٩٨٦ التي اعتمدها إلى جانب مخطوطة «مكتبة السَّالمي» المُعتمدة في تحقيقه.

٣ ـ حذفه قصيدة (إلى أبي الحارث) الفكاهيَّة برمزيَّتها في ظرافة تعبيرها عن الحياة الاجتماعية في زنجبار. وربَّما كان سَببُ حذف الدغيشي لها ورودَ مُفردَةِ «السِّيجار» في تلك القصيدة، وهو عُذرٌ أقبحُ من ذنب؛ لأنَّ أبا مُسلم يَعرفُ قبلَ غيره مَواضِعَ الكَلِم في قصائده، ولن يكون بحاجةٍ لشفعةِ أحدهم بحذف ما سَبَقَ لهُ أن قالهُ ونشرَهُ على المَلأ.

٤ ـ حذفه قصيدة (المقصورة)، وهي من القصائد الأساسية التي لم أتفهم أسباب حذفها، لا سيما أنها تتوافق وتنسجم مع «منهجيته الدينية المتزمتة» في محاولة «تأطير» أبي مُسلم في قالب هو الأحرص عليه مِنِّي، على سبيل المِثال، أو مِن «الجهة الرَّسمية» التي نشرت الدِّيوان مَنحولًا ومجزوءاً [عِيني

عينك!]. وإذا ما أردنا إيجاد عُذر له، فربَّمَا كان مَرَدّ ذلك صُعوبة شرحها الذي أَعْجَزَ عُلماء وشعراء وفقهاء عُمان[1] آنذاك، لكنَّ ذلك لا يُعطيه البتَّة حَقَّ حذفها تماماً ليُعطي قارئ «تحقيقه» انطباعاً وَاهِماً بأنها غير موجودة في المخطوطة والأصل المُعتمد، في حين أنها موجودة في كليهما، وهي قصيدة أساسيَّة في نتاج أبي مسلم الشعري.

٥ ـ حذفه قصيدة وردت في الأصل المُعتمد بعنوان: (وقال بعد تاريخه لوفاة الفقيد المرحوم)[2]، وهي قصيدة رثاء للإمام سالم بن راشد الخروصي وترحيب بتنصيب الإمام محمد بن عبدالله الخليلي، ومطلعها: «قد اهتزت الأكوان وارتعد المَلا | لقتلِ إمامٍ قام لله فيصلا»، وأيضاً لا ندري الأسباب الموضوعية (إن كانت ثمة أسباب) لحذفها، رغم ورودها في المخطوطة وطبعة دمشق ١٩٨٦.

وإذا ما تفهمنا ذرائعيَّته في حذفه المدائح السُّلطانية، وبعض القصائد الاجتماعية خفيفة النبر والنغمة كقصيدة: «إلى أبي الحارث»، وابتدعنا له أوهى الأعذار المُمكنة (وغير المُمكنة) مُسايَرَةً منا لمقاصده من «تحقيق ديوان أبي مُسلم»؛ لَسَلَّمنا بالأمر. لكن المُؤسف أننا لا نجد ـ في المقابل ـ حُجَّةً مُفسِّرَةً لحَذف كُلٍّ من (المقصُورة) ورثاء الإمام سالم بن راشد الخروصي (التي أدمج الشاعر في نهايتها ترحيبه بمُبايعة الإمام محمد بن عبدالله الخليلي)[3].

والحقيقة أنَّ «تحقيق» الدغيشي جُهدٌ مَحمودٌ، له أفضليَّة السَّبق، لو قُدِّرَ له الانتشار والذيوع بين شرائح عريضة من قُرَّاءِ أبي مُسلم ومُحبِّيه، لكنهُ عَمَلٌ لم

---

(١) يُقال إنَّ العُلماء والفقهاء والشعراء أعْجَزَتهم لغة المقصورة ومراميها، ناهيك عن مُفرداتها العويصة على الفهم حين وصلتهم من زنجبار؛ لذلك كُلِّف الشيخ منصور بن ناصر الفارسي (الفنجاوي) بتبسيطها لغوياً ونحوياً، لتسهيل وتبسيط قراءة المقصورة الأُلغُوزة!

(٢) **ملحوظة**: غيرنا عنوانها، هنا، ليصير: رثاءُ إمَام وامتداحٌ لبَيعَةِ إمَام.

(٣) راجع في المَتن قصيدة «**رثاءُ إمَام وامتداحٌ لبَيعَةِ إمَام**»، لفكِّ المُلتبسِ حولَها تاريخيًا.

يُؤلَّف ـ كما بدا لنا ـ ليُتداول بين العامة، دون خاصَّة الخاصَّة مِنْ مُحبِّي وَجهٍ وَاحِدٍ، لا غير من وجوهِ أبي مُسلم المُتعدِّدة، والمُتعذر إخفاؤها (لشموليَّة التجربة) خلف قناعٍ واحدٍ، لن يُقنِعَ أحداً، بالضَّرورة.

[٤]

الشاعرُ بين نفط القبيلةِ وإلِكْترُونِ المُستقبَل

وَعَوداً على بَدءٍ القول؛ فنحن نعرف أبا مُسلم ـ [أقصد نَسمَعُ به، كما نسمع الرِّوايات عن أشعاره]، ولذلك نحبُّه ونُردِّدُ بعض أشعاره الكامِنة في الصُّدور، اعتزازاً به وبها في ذاكراتنا التي تحاولُ التعرُّف إليه بدشداشته وعمامته وتصوُّفه واستنهاضه ومدائحه وهجائيّاته وأسلوب عيشه في زنجبار وملحوظاته المَرويَّة نثراً وشعراً على أنساق الحياة الاجتماعية في زنجبار (نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين)؛ لكننا في حقيقة الأمر، ورغم تلك المعرفة المُدَّعاة؛ لم نطلع على نتاجه الشعري كاملًا في إضمامة واحدة تعيدُ لنا ـ قبل أن تعيد إليه ـ مكانته تلك. لأنها ليست مكانة «واقعية»؛ بل مكانة «مُفترضَة» على التخييل في وعينا الشقيِّ به وبنا. وهو ما انتبهتُ إليه متأخراً للأسف خلال اشتغالي على تحقيق آثاره الشعرية، لأكتشف أنني سَأشهِمُ مَعَ [مُحبِّيه] الآخرين في تكريس الالتباس؛ لو لم أبادر بتكريس وَعْيي الشقيِّ لانتشالهِ من شتات التشظي المُسِيء إلى تجربته الرَّائدة. لذلك كانت محاولة الاشتغال على ديوانه الشعري وتقديمه لأول مرة كاملًا في كتاب واحد بعد فشل عقدنا الاجتماعي ـ إن وُجد في أدبياتنا عقد كذاك ـ في تقديمه واضحاً وضَّاحاً غير مُلتبس علينا وعليه.

فإذا ما كان «قرنُنا هو قرن النقد بأتم معنى الكلمة، النقد الذي ينبغي أن يخضع له كُلُّ شيء» ـ كما قال إيمانويل كانط ـ فإنَّ علينا الإعلاء، قبل كل

شيء، من نقد الذات في مراياها المُختلفة، بحيث نرى أنفسنا أولًا لنتمكن من رؤية الآخر الذي سبقنا..

الآخر الذي رُبَّما كان ذاتنا قبل تَمَرْئِيها في مِرآة نقدنا الشفاف لأنفسنا.

لذلك وَجَدتُ أنَّ مُحَاولة تقديم أبي مُسلم ـ على صعوبتها، حتى في مُواجهة الذات ـ واجبٌ نقدي صارم في مواجهة الذات قبل أن يكون اشتغالًا جَمَالياً و«وطنياً» أو تصالحياً بين الذات وذاتها الأخرى المقموعة.

أقولُ هذا؛ وأنا مُدركٌ طَوْدَ العوائق التي سألاقيها خلال اشتغالي على تجربته، ومحاولة تقديمها بالصُّورة اللائقة به شاعراً غُمِطَ حَقُّه، وكدت أتراجع عدة مرَّات عن الإجتراء على عالمه الشعري؛ لكنَّ حماستي قادتني لاستكمال أشواط العمل الصَّعبِ كـ«ضَعَاضِعِه»، دون أن أُهوِّن من المسافة الفاصلة بيني على سفح جَبَل الشعر وبينه فوق ذروته. وكما قال الأستاذ أحمد الفلاحي في مُستهلِّه[1] مقال له عن أبي مسلم: «الحديث عن علم شامخ كأبي مُسْلِم يجعل من هو مثلي في حالة تهيب وحيرة، فماذا عساى أقول في شاعر ضخم له تلك المكانة العالية والشاعرية المتميزة، من أين أدخل في بحره الزخار وكيف اقترب من سواحله الممتدة والعميقة. إن الدخول إلى عالم أبي مُسلم مغامرة لا يرومها ويقدر عليها إلا الحاذق الفطن ذو الموهبة الراسخة المتمكن من أدواته وقدراته، وأنّى لصعلوك مثلي تلك الامكانات والمواهب، انه اجتراء غير سهل على اقتحام عالم أبي مسلم ذلك العالم الواسع الكبير».

فإذا ما كان الأستاذ أحمد الفلاحي يَستهلُّ مقاله بمُقدِّمَةٍ كهذه، فمن سَيكونُ محمد الحارثي ليَجترئ على أبي مُسلم؟.. وهو تساؤلٌ وجيه أوجِّهُهُ لنفسي في ثنايا مِرآتِها الناقِدَة لذاتها، قبلَ أن يقذف به الآخرون في وجهي.

---

(١) لمزيد من الإفادة؛ راجع العدد ٢٣ من فصلية نزوى الثقافية ـ يوليو، ٢٠٠٠م. **ملحوظة:** ستتكرَّر الإشارة والاقتباسات من مقال الأستاذ أحمد الفلاحي في هذه المقدمة، اعتماداً على تلك المقالة.

وعليه؛ فإذا ما كان لا بُدَّ من «تكييف» موضوعي للأسباب التي دعتني للاشتغال على مُنجزه الشعري، فإنني سأوجزها في النقاط التالية:

١. مَحبَّةٌ شِعريَّةٌ خالصة، قبل كُلِّ شيء، كي يَظهَرَ مُبتدَعُهُ الشِّعريُّ كاملًا مجموعاً في كتاب واحد دونما عناء لِكُلِّ من المُهتم والباحث والدارس لشعره في شتات طبعات الدواوين التي غَمَطَ أغلبُها قامَةَ شِعريَّة؛ هي مَصدر فخر لنا ولبلادنا ستتذكره الأجيال اللاحقة، لا سيما إذا تيقَّنا بأنَّهُ أولُ شاعر عُمانيٍّ يَنشرُ ديواناً شعرياً «مطبوعاً» صدر عن المطبعة العربية[١] في القاهرة عام ١٩٢٨، أي بعد رحيله عن هذه الفانية بثماني سنوات، لتظهر طبعتان، فيما بعد، من ديوانه[٢] في كلٍّ من القاهرة ودمشق.

٢. رغبتي العارمة في صدور آثاره الشعرية لتصير مرجعاً شعرياً يعود إليه مُحبُّو شعره ممن أحبوه ولم يجدوا سبيلًا إلى قراءته [كاملًا، غير مُبتسر في إضمامة واحدة] سواء كانوا طلبة جامعات أو باحثين أو قرَّاء مُهتمِّين بمُنجزه الشعري، تماماً كما سبق لي أن قرأتُ الشعراء النهضويين الكبار في دواوينهم، كالجواهري والبرُّوني وأحمد شوقي وعمر أبي ريشة، على سبيل المثال.

٣. إنصافهُ شاعراً كبيراً، وإنصاف بلادي عُمان التي أنجبت خِيرَة الشعراء والعُلماء واللغويين والمُجتهدين والمُتصوِّفة والمُحققين، الذين نُفاخِرُ بماضيهم ذاك، دون ترسيخه مُعطى تاريخياً يُعوَّلُ عليه من قِبَلِ الأجيال اللاحقة، لأنَّها بالتأكيد لن تُسامِحَنا في ابتسار أعمالهم الفكرية والأدبية واللغوية (لصالح لحظة

---

(١) يُشير الدكتور محمد المحروقي في كتابه «**الشعر العُماني الحديث**؛ أبو مُسلم البهلاني رائداً»، إلى هذه الطبعة المُبكِّرَة في نهايات عشرينيات القرن العشرين، مُصحِّحاً ما جزم به الشاعر عبدالله الطائي في كتابه «الأدب المعاصر في الخليج» من أنَّ ديوان سعيد المجيزي هو أول ديوان عُماني يُطبع!

(٢) نقصد الطبعتين اللتين عُني بطباعتهما الشيخ المُجاهد صالح بن عيسى الحارثي؛ (طبعة القاهرة، سنة ١٩٥٧، وطبعة دمشق سنة ١٩٨٦)، والأخيرة هي الطبعة الأقرب إلى الكمال من كافة الطبعات السَّابقة واللاحقة لها آنذاك.

تاريخية وسياسية راهنة؛ تمحو (فيما تُضيفُ وتَستضيف) ما شاء لها من جَريرَتي المَحْوِ والإضافة.

٤. تقديمُهُ تجربةً شِعريَّةً خلاقة، بمَحاسنها ومثالبها، دونما اجترار سَاذج «لتقديس» مُنجزها و«أسطرته»، أو «ابتسارها» في واحديَّةِ وَجهٍ واحدٍ من تعدُّدِ وُجوهها التي تُضفي على التجربة، في نهاية المطاف، ثراءها، لا عُقم حَصْرِها في وَاحديَّة مَضائق التأويل.

٥. أما آخر أسباب اجترائي عليه؛ فهو إثبات قدرتي [لنفسي، قبل إثباتها للآخرين] على إنجاز هذا العَمل بأقلِّ وأكثر خسارات الإنجاز كُلفةً قدر المُستطاع، وفي ذلك ضربٌ من ضروب العزاء النفسي والمعنوي لارتكاسات وانكسارات واقعنا الهش[1].

وإذا كان لا بُدَّ مِن استفاضةٍ في القول، فثمة مُلحوظة أخرى قمينة بالتأمُّل؛ تخصُّ أبا مُسلم قدر ما تخصُّني بذات القدر؛ وهي أنَّني واجهتُ صُعوبة ليس في تقديمه فحسب، بل في تقديم نفسي (مُشتغلًا على مُنجزه الشعريِّ ومُقدِّماً له). فالوَعْيُ الشقيُّ الذي أَدْرَجَ تُراثه الشعري في أكثر من خانة «إخلاصٍ» و«خيانة»؛ صَنَّفني، أنا الآخر، في رُزمَةٍ شِعريَّة [زمرة، بالأحرى] لا تتوافقُ في أَدبيَّات «السَّائد» منهجاً وتأطيراً افترضَ، سَلفاً، عدم قدرتي على التعامل (أو التوافق) مع رمز شعري كلاسيكي سَبقَ الانتهاء (في نظر البعض) من إعادة مَوضعَتهِ شِعرياً، نقدياً وتاريخياً بحيثُ لا تسمح حتى شوارد التِّقيَة بتقبُّلِ مُجازفةٍ لا مَحَلَّ لها مِنَ الإعراب في «هَيكَلَهِ المقدَّس» ـ

---

(١) أودُّ الإشارة إلى حقيقة أنني إلى جانب النقاط السَّابقة لأسباب اشتغالي على هذا المشروع؛ هو تأكيد مُسلَّمة قد لا تبدو واضحة في أذهان البعض، وهي أنني لم أُغنَ إطلاقاً بما صَار يُدعى في أدبيَّاتِ لَيِّ «المُنطلقات الوطنيَّة» التي قد تُسوِّغُ وتُشَرْعِنُ لي مثل هذه الوقفة مع أبي مُسلم؛ فالعكس هو الصحيح والصحيح؛ لأنني لم أشأ الاشتغال عليهِ «أيقونة وطنية وشعرية»، قدر ما أردت تقديمه كاسِياً وعارياً كما تكوَّن وكَوَّنَ ذاتهُ شاعراً رائداً كما يشي بذلك زخم تراثه الشعري.

ليس لدى «الأطراف» المُشار إلى تعاملها مع تُراثه آنفاً، فحسب ـ بل لدى شرائح عريضة مِن مُتذوِّقي شِعره التي قد لا تتقبَّل أقانيمُ وأنماطُ تفكيرها مسألة اجتراءِ «حَدَاثيٍّ» على رَمزٍ صُوفيٍّ دِينيّ، وَطَنِيٍّ واستنهاضِيٍّ كأبي مُسلم.

لا بأس، ولا ضرر من ذلك ولا ضرار.

وبالتأكيد لن يُدهشني شريط «السّيناريو» المُتوقَّع لردود أفعالِ هؤلاء وأولئك؛ لأنَّها مُتوقعة سَلفاً؛ ولسبب إجرائيٍّ واضحٍ لا لُبْسَ فيه؛ هو أنَّني عُرفتُ شاعراً «غير تقليدي»، (إنْ صَحَّ التخفُّف مِن ثقل «تعريفٍ» مُتداول). لكنني، في حقيقة الأمر، لم أستنكف البَوح عَلَناً بأنَّ ولعي بأبي مُسلم قديمٌ قِدَمَ حُبي للشعر في رَعَوِيَّةِ مُتونه الأولى وعَفويَّتها التي رُبِّيتُ عليها بيتاً بيتاً، ناهيك عمّا أدعوه «تَمَديُنَهُ وتَحَضُّرَهُ» الذي رَبَّيتُ صِفة ذاتي وذات صِفتي عليه بين أترابي وأقراني من الشعراء العُمانيين[1] الذين انتهجوا ـ على ما بدا من ظاهر اغترابٍ وإغرابِ قصائدهم ـ ذات النَّهج الذي انتهجَتهُ يَنابيعُ أُبوَّتِهم الشعرية (المُتحَققة سَلفاً في مَهَاجر أخرى، على غرار مَهْجَر أبي مُسلم) المُؤصِّل لريادة شعرية خالصة كانت طيَّ اللامُفكَّر فيه حتى بالنسبة له، تماماً

---

(١) في اعتقادي أن شرارة الإبداع الشعري وتوقده اللهَّاب في لغة شعرية مُغايرة تماماً للمعهود في تجربة أبي مُسلم الرياديَّة لم تتحقق في تجارب المُعاصرين واللاحقين له من الشعراء الكلاسيكيِّين، قدر تحقق ريادتها الشعرية في نقيضها [الشكلاني] المُتمثل في تجربة شعرية أخرى مَتحَت ظِلالَ عُصارَتها الشعرية من عُمقِ تجربته الرائدة، وإن تَمرأتْ وتمَظهَرت في قالب شعريٍّ نقيضٍ لتجربته. فتجربة **قصيدة النثر** التي انطلقت في ثمانينيات وتسعينيات القرن المُنصرم وهي تجترح لغة تعبيريَّة صادِمَة لم تعهدها ذاكرة المكان، كانت وستظلُّ ـ في تواضُع اعتقادنا ـ أوفى حَفيدٍ شعري تمَثلَّ تجربة أبي مُسلم في أبعادها الثلاثة: **الرِّيادي والمهجري والتجديدي**، على حَد سواء. لكنَّ المُفارق، بل المُحزن ـ في سياق كهذا ـ أنَّ تجربة **قصيدة التفعيلة** المُعاصرة (وهي الأقرب إليه مَناخاً ماتِحاً مِنْ أَردانِ تجرُبته)، لم يُقدَّر لها الاستفادة بما يكفي من إرثه الشعري، لتسبقها مُفارقة تراكم تراثه الشعري، كما قد يُلاحظ الناقد الشغولُ والمُدقِّق في المَرجعيّات الشعرية التي كوَّنت خصوصية وفرادة القاموس الشعري والتخييلي لشُعَراءِ قصيدة النثر المُؤسِّسين.

كما سَتكُون بالنسبة لثلة من أحفاده «العَقُوقِين» لتراثه عن قصد حَتَّمَته الضرورة الشعرية التي دعا إلى بَاطن مُواطنتِها الخالصَة هو نفسه، كيفما تمَظهَرت في «شكلانيَّةِ» تعبيرها الشِّعريِّ المُوازي تأصيلًا، والمُعارضِ تفريعاً اقتضته حُدودُ التجربة في تجليَّات ظهُوراتها، دونما مساس بأصيل المُؤصَّلِ والمُؤثَّلِ في الأعراقِ والإعراق، فيما لو استعرنا من «نُونيَّته» مُستنبَتاً رُوحيَّاً قد ترعى في تخومه انفرادات شمس الزمان، على حَدِّ تعبير المُتنبي.

بطبيعة الحال، لا أقول هذا القول مُحاولة لتماهٍ سَاذج ومَجَّانِي مع تجربته، بل أقوله تأكيداً لحتميةٍ موضوعيَّة وتاريخيَّة ظهرت بعض دلائلها في المُنجز الشعري العماني الحديث خلال العقدين الأخيرين من القرن العشرين وما تلاهما من سنين لم تُكمِل، بَعدُ، عُقدة انعقاد عُقودِها في الألفيَّةِ الثالثة.

فواحدة من البديهيات الباطنة (رغم ظهوراتها)، هي أنَّ الزخم المَعنوي والرُّوحِي لتراث أبي مُسلم سُلِبَ مِنْ بين أيدينا ونحن على غفلة مِنه ومن أنفسنا. وقُطَّاعُ طرُقِنا إليه (وهُم ذاتهم قُطَّاعُ طُرُقِهِ إلينا)، كانوا وما زالوا بين ظهرانينا. ومَرَامِيهم التي جَعَلت منه ظلًا باهتاً، للأسف (رغم مُحاولات إعلائه أيقونة مُتحَفيّة) لا تخفى على ذي لُبٍّ وبصيرة.

فنماذج شِعره الرَّفيع، في «جَوهَر الشِّعْرِيَّة» Substance du poétisme لم يَنلْ ما يَستحقه من الإعلاء والتقدير اللذين سيعودان ـ لو كان اتساع الرُّؤيةِ والرُّؤيا بقدر اتساع عِبارتهِ الوَسِيع في «النَّفَس الرَّحْماني» واستنهاضيَّاته لإمامةِ سالم بن راشد الخروصي، فضلًا عن مدائحه لسلاطين زنجبار ـ سيعودان علينا بالنفع، كما سيعود بالتأكيد على مَنْ غيَّبوا تُراثه الشعري عن قصد وسُوء نِيَّة مُتدثِّر بِحُسْنِها، تماماً كما لا تخفى مراميهم لإعادة إحيائه على غير الصُّورة والهيئة التي صَوَّرَ وَشكَّلَ نفسه عليها طوال نضاله الشِّعري والرُّوحي، اختزالًا لتجربته وتحجيماً لاتساعها المعرفي لتُضْهَرَ دائماً في بَوتقةِ البُعْد الواحد، رغم أن تراثه الشعري من الزخم والاتساع بحيث لا يسمحان، جَدَلًا وضرورة،

باختزال تجربته في الواحِديَّة إقصاءً وتغييباً لمُطلَقها المفتوح على شتى المَطالق والمَغالق.

وفي اعتقادنا أن الإشارات لا حصر ولا عد لها في تراثه الشعري والنثري، لأنها ملموسة بالأصابع الخمس، وكافية لفهم اتساعه وتعدُّدِه وعدم حصره في وجهة نظر أو وجهتين أو ثلاث:

وجهة ارتأت تقديمه مبتوراً من وطنياته واستنهاضياته المحفوظة في الذاكرة الجمعية، بل حتى مدائحه النبوية التي شُكِّكَ في مراميها واعتُبرَت مِن «كُفريَّاتِه»؛ ليَسُودَ النقيض: مدائحه التي قلَّلت من شأنه. ووجهة أخرى ارتأت، تقديمه مبتوراً من مدائحه التي تشكل جانباً هاماً من تجربته الشعرية، لتُظهِرَهُ لنا مُتعالياً في بُعدِهِ الأُيْقُونيّ المتمثل في تَصَوُّفِهِ واستنهاضيَّاته المُعلى من شأنهما دائماً وأبداً، دون أن تُتاح الفرصَةُ لأحفاده أن يتلقفوه «شاعراً واحداً أَحَداً» في مَصدَرٍ وَاحِدٍ في كُليَّته التي دعا إليها، دون نقيصة نقصان سبَّبهما من آثروا تقديمه لنا شاعراً مَبتوراً عن هُويَّته، دون أن ننسى فئة ثالثة ارتأت السُّكون والارتكان إلى ما سَبَق اجتراحه تعويلًا على ما لا يُعوَّلُ عليه، ليُؤوِّلَ من جديد، كأنما ليتراكم المزيد من غبار الأحذية اللعَّاقة لغبارِ عَلَيا مكانته، فيما تُسيئ بأفاعيلها إلى تُراثه[1].

---

(١) من المؤسف والمُحزن أنَّ الباحثين الأكاديميين العُمانيين لم يَشغلوا أنفسهم ـ حتى بعد مُنقلب الألفية ـ بالتنقيب الحَذِق للاشتغالِ على تراثات أسلافهم؛ انصياعاً، فيما يبدو، لاستغراق [المُؤسَّسة الأكاديميَّة الرَّسميَّة، **جامعة السُّلطان قابوس** ـ مِثالًا مائِلًا] في انتحالِها لِمُمَاهاةِ جَمهرَة صياغات قرينتِها: «المؤسسة السِّياسية الرسمية»، عوضاً عن إعلاءِ رصانتها وتعاليها الأكاديمي المُتوخَّى؛ والنتيجة الملموسة والمَطمُوسة، في آن هي عدم ظهور جيل من الباحثين الأكاديميِّين المُشتغلين على موضوعات كهذه في بلادنا. وقدر ما لا نلومهم (لعدم رسوخ بُنية بحث أكاديمي مُترفع منهجاً وضَرورة على طروحات السِّياسي العابر والزائل، قدر ما نلومُهم على تقاعسهم الَّذي حدا «بصُعَيليكٍ» على شاكلتي ـ لا ينتمي لعَرَاقة أُتنوم أكاديميٍّ ـ ليطرح نفسه مُشتغلًا على تُراث **أبي مُسلم الشُّعري**، وهي مُفارقة حَارِقة؛=

وإذا كان لا بد من الإشارة إلى استثناء جدير بالتنويه في هذه المقدمة، فإنَّنا نؤكد أنَّ الشاعر عبدالله الطائي في مجموعته الشعرية الأولى «**الفجر الزاحف**»[1] كان واحداً من الذين حَدَسوا مُبكِّراً بأهميَّةِ أبي مُسلم البهلاني شاعراً رائداً. لذلك فإن من المناسب، هنا (أرشفةً، لا تفريطاً أو تقريظاً) توثيق صَفحة إهداء الشاعر عبدالله الطائي لديوانه «الفجر الزاحف» بكامله لأبي مُسلم البهلاني.

ومما يُؤسَفُ له، أنَّ [هؤلاء وأولئك] لا يختلفون في شرط وُجودهم المجَّاني حقبة إثر حقبة، لأنهم لم يُحاولوا الثَّوَاري (ولو خجلًا) عن اَستشراف قول المُثقب العبدي لأنهم كما كانوا أبداً، في المَجاز والكنيَة والاستعارة، «مُستحقبي حَرْب» في مُنْهَمَك استشراس حُروبهم الشعواء على تُراث أبي مُسلم البهلاني:

فإنْ تُثـهِـمـوا أُنْـجِـدْ خِـلافاً عـلَـيـكُـمُ وإنْ تُغْمِنوا، مُسْتحقِبي الحَرِب، أغْرِقِ

=قدر ما تستحقُّ التفكُّه، تدعو لسَيلانِ دمعة حُزنٍ استوجبتها سُنَنُ الحَياة وفرائضُها، لولا استثناء حَسَنة الاشتغال المُبكِّر على أبي مُسلم للدكتور **محمد المحروقي** الذي رفد تجربته بالدراسة في المملكة المُتحدة لاستكمال ما عجز عن تحقيقه في معقله الأكاديميّ دارساً ومُدرِّساً فيه.

(١) نورد، هنا، إهداء ديوان «**الفجر الزاحف**» للشاعر عبدالله الطائي، كما ورد في ديوانه المطبوع في حَلَب عام ١٩٦٦: «إلى الشاعر الذي نادى بحُريَّةِ عُمان، منذ أن أدرك أهداف الاستعمار البريطاني، في مستهل القرن الميلادي العشرين، فحَذرَ وأنذر ونبَّهَ وبَصَّر، فأخذ يُرسل قصائده من مهجره في زنجبار، داعياً لتأييد الثورة ومُساندة زعيمها الإمام سالم بن راشد الخروصي، والشيخ عبدالله بن حميد السالمي رحمهما الله. إلى القدوة الذي نأملُ أن يسير على نهجه شعراء عُمان وكُتابها، فيؤدوا أمانتهم نحو وطنهم ومُقدَّساتهم. **إلى الشاعر المرحوم أبي مُسلم ناصر بن سالم الرواحي العبسي، أقدِّمُ هذا الديوان** خطواتٍ أرجو أن تكون مُوفقة في الطريق الواضح الذي رسمه مُستلهماً الواقع الذي وصفه: نقعدُ يشكو بعضنا لبعضنا | وما مفاد من شكا ومن بكى * يا أيها الرَّاعي انتبه، فما بقي | على المراعي ما ثغا وما رغا. وإخالنا، يا شاعرنا الرَّائد، ما يزال ينطبق علينا وصفكَ حتى يمحوهُ الشعبُ الأبيُّ راعينا الأكبر، فلا عجبَ أن يتقدَّمَ إليكَ أحدُ قُرَّائكَ بهذا الديوان. رحم الله الشاعر، ولطف بشعبنا العربيّ في عُمان».

لكنَّ أبا مُسلم سبق له وأن رأى في أُمَّته ما رآه سَلفه الذي استمراً في خطابه الشعري المُخاطرة باستخدام ديمُومَة الحرب تعبيراً مُضاعفاً يُضاعِفُ عُنفها حقبة إثر حقبة، في قولِ المُثقب الثاقب: «وإنْ تُغمِنوا، مُستحقِبي الحَرِب، أغرِقِ». فالفكرة هي النَّأي عن تأويل مُستحقبي الحرب، كما رأتها رؤيا المثقب العبدي نُبؤءةً ما زالت ماثلةً بين ظهرانينا.

أقصدُ ذلك النَّأي الذي سيصبحُ، في جاهِليَّةٍ ثانيَة، صِنواً لكتابة أبي مُسلم الذي رأى من مَنفاه الزّنجباري بلده المُمزَّق كما رأى في بيته المُوغل في القدم، شاعرٌ مُمَزَّقٌ هَالهُ استِعبادُ الحربِ لقومِه.

لكنَّ الطامَّةَ الجَاهِليَّةَ المُفارِقَةَ؛ هِيَ أنَّ أبا مُسلم لن يعرف إطلاقاً أنَّ استحقابَ الحربِ مُتوارثٌ حتى يومنا هذا. فالحربُ لم تعد مُحقَّبة في التمييز والتفريق بين «تُراثات» أبي مُسلم الشعرية والتلاعب بها في مُحاولات حَجبِ بعضٍ منها عن بعض، لأنها لا تزالُ مُتوارثة، كما كانت في سالف الأيام، وكما هي اليوم في عصر نفط القبيلة وإلكترون المُستقبل.

[٥]

هَلْ كان شاعِراً مَلحَمِيّاً؟

لقد أتاحتْ لي قراءته بتمَعُّن ـ خلال انهِمامي على إعداد آثاره الشعرية للطبع ـ أن أرى رمزيَّة شِعريَّتِهِ في تعددُ وجُوهها الخلاق. تلك الرمزيَّة التي أتاحت لي (بعد أن جمعت مراياها وقابلتُها وَجْهاً لوَجْهٍ يُقابلُ المُهمَّش)، أن أعيد تثمين وتقدير ينابيع شِعريَّته وظِلالَ شاعريَّته لأرُوزَها ـ إن صَحَّ القول ـ في إضمامَةِ وُجُوهِها المُتعدِّدَة، تلك التي لم أتَفهَّمْهَا ولم أُحْسِنْ إدراكها حَقَّ الإدراك (بسبب تقديمها لي مُجتزأة)، قبل أن أعِي وَأتفهَّمَ أميالَ مَسافة اختلافي المُسبَق مع بعض مفاهيمه وقيَمِه وطروحاته (التي قد أتفهمها بالتأكيد، لكنني قد لا أَتَّفِق مَعَها تكويناً بالضَّرورة).

لكنَّ مفاهِيمَهُ وقِيَمَهُ وطُروحاته تلك لم ولن تكون عائقاً، في مُجْمَلِها، كما في سَجَنجَل الجَدَل، لرُؤيةِ وجُوهه الوَضِيئة تلك، رُغم تقديمها لي ـ كما أَسلفتُ ـ مُقنَّعَةً بقناع واحد لم أكُنْ أعرف أنهُ يُخفي أقنعة[1] متعددة قدر ما كان يُخفي وُجُوهَ أبي مُسلم المُتعدِّدَة، على اختلاف مشاربها ومطاعمها فيما لو تشرَّبتُ التجربة جرعة جرعة، وبالطريقة الصحيحة. لأن ما أشربَتْهُ الحياة وأطعمَتهُ، أشْرَبَتنا وأطعَمَتنا إياه بما أرضى وأرضى، هنا وهناك على حَدٍّ سواء.

لذلك أستطيع القول أن انهمامي به جَذَّرَ ـ ولو بَعدَ لأيٍ ولأيَيْن ـ إحساسي بالبُنوَّةِ المُخلِصَةِ لِتراثه الشعري حتى تمكَّنتُ من التَّأقلُم مع تبعات تلك الأبوةِ في بُعدها الشعري والمَفاهيمي والأخلاقي. ولن يكون عَسيراً تفسير ذلك الانشطار في ذاكرة التكوين، على علّاته الكثيرة، فقد كانت له حسنة تراءت لي حُلماً لن أنساه: أن أرى، قدر المُستطاع، تراثه الشعري مَنشوراً ومُتاحاً لقرائه ودارسي شعره، دون تمييز بين الشاعر الاستنهاضي والمُتصوِّف والهجَّاء والمَدَّاح والرّثاء والمُتغزل فيه.

في شبابنا كُنا نقرأ الشعراء الجَاهِليِّين وشعراء العَصرَيْن الأموي والعبَّاسي ومن بعدهم شعراء النهضة الذين تمكن حُضورهم (القريب والمُتزامِن في/ ومع وجدان مواطنيهم) أن يتملكهم: شوقي، البارودي، خليل مطران، وفيما بعد عمر أبو ريشة، محمد مهدي الجواهري، عبدالله البردُّوني إلى آخر القائمة التي بلغت ذروتها لاحقاً في المُعاصِرين آنذاك: بدر شاكر السَّياب، صلاح عبد الصبور، خليل حاوي، نزار قباني، أمل دنقل ومحمود درويش، لكن السؤال

---

(١) لقد بدا لي نتاج أبي مُسلم الشعري في تعدُّد وجوهه (المطموس منها، والمُعلى مِن شأنه) في الصورة التي وصل من خلالها نتاجه إلينا، قريباً مِن نتاج شاعر البرتغال الكبير **فرناندو بيسّوا**؛ الذي اختار عن وعيٍ حَيِّزَ دارسي شِعره اختيار «أنداد» شعريِّين له، كتبوا بأسمائهم الوهميَّة: ريكاردو ريِّش، ألبرتو دو كايِّرو، برناردو سواريش، في حين أنَّ الكاتب الحَقيقي لتلك القصائد كان دائماً وأبداً هو الشاعر فرناندو بيسّوا، وإنْ اختلفَ حالُ المَقصد بين الشاعرين.

وظِلَّهُ في التسآل ظلّا خاليَي الوِفاض حين نُسألُ ونُجيب بفم مليئ بماء عن حقيقة وجود شاعرنا (المُوازي لهم والمُمثل لنا من عدم وجوده) في قلب تلك التجربة.

فهو موجود وغير موجود، «ظاهر» و«باطن»، بعيد وقريب، كبير وصغير، مُستحْضَر ومُغيَّب[1]، مُدْرَكٌ وغير مُدْرَك؛ لدرجة أننا لم نستطع، حين نُسألُ، حتى إحياء هذه الجملة من مَواتها: **هذا شاعرنا!** لأننا بعد مرور ما يقل بأعوام قليلة على المائة عام من وفاته في ١٩٢٠ لم نُغلِ من شأن مَراتبه كما أعلى هو مِن شأونا ومراتبنا. والنتيجة؟..

سأترك الإجابة عنها، وسأتجاوزها حتى يأتي يوم يُعرَف فيه شعر أبي مُسلم أكثر من تلك المعرفة الساذجة؛ في عبارة ذيوعه الشهيرة لذاتها، دون ذاته وَصِفتِه، لأنني حاولتُ، قدر المُستطاع، كما قالَ **المريضُ الإنكليزي** لمُمرِّضته حَنّا؛ وهي تقرأ له على فراش المرض: «**اقرأيه ببطء. يَجب قراءة كيبلينغ ببطء. راقبي أين تقع الفواصل، بهذا ستتمكنين من اكتشاف الوقفات الطبيعية. إنه كاتبٌ يَستخدم المحبرة، لذا فهو يرفعُ بَصَرَهُ عن الصَّفحةِ مِراراً**» ـ كما ورد في رواية الكاتب مايكل أونْدَاتجي[2] الكَنديِّ السّريلانكِيِّ الأصل.

وبدوري؛ حاولتُ أن أقرأ أبا مُسلم ببطء قد المُستطاع، كما قرأ المريض الإنكليزي قصائد الشاعر كيبلينغ، لأنني عثرتُ، لا سِيَّما في الإلهيَّات على تلك «الوقفات الطبيعية» التي كانت نتاجاً لأسلوب الكِتابة الذي يستوجب

---

(١) أتقصَّدُ، هُنا، إيراد مُفردة «**المُغيَّب**» لا بمعناها القاموسي المُباشر فحسب؛ وإنما بظلال مَعانيها في الذاكرة الجمعية العُمانيَّة حَول السِّحر و«المغايبة»؛ وهُم المسحورون الذين يَهيمُون بأطيافهم حول الحارات والأفلاج في القرى التي عاشوا فيها حياتهم، قبل أن يَسحَرهم سَاحِر البلدة، كما يَشاءُ التأويلُ الغامِضُ والسَّاحِرُ تفسير غيبتهم المُفاجئة والفاجعة.

(٢) رواية مايكل أونداتجي تحوَّلت إلى فيلم بعنوان «**المريض الإنكليزي**» The English Patient تدور أحداثه بين مصر، ليبيا وإيطاليا خلال الحرب العالميَّة الثانية.

وقفات بين غمس الكاتب لريشته في المحبرة والعودة للكتابة بها. وهي مَزيَّة ـ استفاد منها كيبلينغ وأبو مسلم ـ لكن، لا يبدو أننا سنتمكن من الاستفادة منها على لوحة المفاتيح وشاشتها الكريستالية، بذات الشاكلة لنتمكَّنَ من «اكتشاف الوقفاتِ الطبيعية»، على حَدِّ تعبير «المريض الإنكليزي».

كنتُ أقرأ خلال إعدادي لهذه المُقدِّمة كِتابَ **«صنعة الشعر»** للأرجنتيني خ. ل. بورخيس[1]، وهو عبارة عن محاضرات تتمحور حول فن الشعر. وقد لفت انتباهي اشتغاله على كتاب «ألف ليلة وليلة» وعلى الشاعر راوياً ملحمياً يُؤرخُ لأحداث عصره. لكن ما جال في خاطري (وهو يَسرد الأمثلة عن عدم انقطاع الناس عن شغفهم بالشعراء المَلحَميِّين)، هو أن لدينا في عُمان شاعراً مَلحَمِياً بامتياز، كففنا ـ نحنُ الذين لأجلنا صاغ ملاحمه الفردوسيَّة والجَحيميَّة ـ عن اعتباره شاعراً مَلحمياً، بسبب تفكيكنا المُمَنهج لنتاجه، تصنيفاً وتأويلًا، إضافةً وابتساراً، انتحالًا وإعلاءً بُولِغ فيه جَهلًا لا حُجَّة تُثبِتها سوى حَجَّتِها المُشَرْعِنَةِ لوُجُوبها فرْضاً أو سُنَّةً من سُنن جَاهليَّتنا الثانيَّة؛ بحيث لا يصير شاعراً يحتملُ في نتاجه «المجموع» رؤيتنا إليه شاعراً لن تخذله أساطير الملاحم مَجازاً مُتحققاً أو استعارةً في غير مَحَلِّها مِنْ تواتُرِ إعراباتنا الفجائعيَّة.

لذلك طاب لي أن أستعير هذا المفهوم «الملحمي للشاعر» من بورخيس، لأنني أدركتُ أننا لم نُعطِ الفرصة لأبي مُسلم كي يكون شاعرنا الملحمي بسبب تشظِيَتِنا المُمَنهَجة لتراثه الشعري إلى «تراثات شعرية»، رغم ادِّعاء وعينا الجَمعيِّ الكذاب انتشالًا يُلملم شمله شِعرياً وتاريخياً ومَلحَمياً، على حَدٍّ سَواء.

---

(١) خورخي لويس بورخيس، صنعة الشعر، ترجمة صالح علماني ـ منشورات المدى، دمشق، ٢٠٠٧.

حسناً . . .

لن يتسنى لي أن أورد، هنا، ما قاله بورخيس في واحدة من محاضراته السّت التي ألقاها خريف ١٩٦٧ في جامعة هارفرد، بل سأختصر اقتباساً من الخاتمة التي أنهى بها إحدى مُحاضراته تلك: (وكي أُنهي ـ يقولُ بورخيس ـ لديَّ عِبارة للقدِّيس أغوسطين، أظنها تتفق إلى حد الكمال مع ما أعنيه: **«ما هو الزمن. إذا لم تسألوني ما هو، فإنني أعرفه. وإذا ما سألتموني ما هو، فإنني لا أعرفه»**. وبدوري أعتقد الشيء ذاته في الشعر).

وهُنا، يَستعيد فِيَّ الغُلامُ ما قاله الشيخ الأعمى بورخيس؛ وأكاد أنْ أُسَلِّم، جدلًا، بما اعتقدته (بالأحرى ما تعاقدت مع نفسي عليه) عن أبي مُسلم البهلاني؛ وهو أننا جميعاً لم نعطه الفرصة [وصيغة الجمع مُتقصَّدَة، لأنها مُشتملة، بالضَّرورة، عَلى مثالب اشتغالي عليه]؛ ليكون الشاعر النِّحْرير فينا؛ اختلفنا أو اتفقنا في ضِياءِ وظلامات وجوهه المتعددة، لكننا يقيناً لم نعطه الفرصة لنحظى واحداً واحداً بوجهِهِ الواحِدِ الأحَد في أُيقونيَّة تعدُّديَّته ومُنفسَحِها. فعبارته صَمِيميَّة أستعيرها قصداً، هنا، من بورخيس الأعمى في تَبَصُّره، والبَصير في عَماهُ وتعامِيه.

[٦]

أساطيرُ المدائح النبويَّة

من اللافت في تجربة أبي مُسلم مدائحه النبوية وأساطير الخلق المُحمَّدي التي أفرد لها حيزاً ليس هيِّناً في مُنجزه الشعري. ففي اعتقادنا أنه ـ إثر اشتغاله في النفس الرَّحماني ـ وجد المُتنفس الخلّاق للتعبير بحُريَّةٍ بالغة عن حُبِّهِ لخاتم الانبياءِ وأسْطَرته المُبالغ فيها شعراً واعتقاداً تماهى الشاعر في قَصَصِه التي أوردها عن فكرة خلق سيد الخلق محمد (ص)، لدرجة اعتقاده، بل محاولة إثبات اعتقاده ذاك عبر منظومة فلسفية ذات نسقٍ مُغرٍ بتتبُّعها كتتبُّع المرء

الملاحم والأساطير اليُونانية، عدا أنه سيكتشف، في آخر المطاف، مدى يقين الشاعر بصحة اعتقاده.

وهي لعَمري من أفضل ما كتبه شاعر ضمن ما يُصنَّفُ «مدائحَ نَبويَّة»، لأنها خارقة شعرياً وملحمياً ـ إن صحت الاستعارة ـ بل إنها مُستفِزَّة للذائقة الطروب إلى المُتعارف عليه آنذاك. والدليل المَاحِق على استفزازها البعض، هو قِلَّة انتشارها وترديدها بين مُعجبيه ومُريديه ومُحبِّيه. فنحن لم نسمع عن استخدامها مادة للترداد في الأناشيد النبوية، رغم أنها تحتوي كافة عناصر الأسطرة في خلق النبي محمد(ص).

وفي اعتقادي أن المُبالغة ـ المُدعَّمَة ببراهين شعرية ـ حول استعادة أبي مُسلم أساطير خلق خاتم الأنبياء واستدعائها واحدة بعد أخرى، لدرجة الإفصاح في إحدى قصائده أنَّ قضية خلقِ الكَونِ (بكافة عباد الخالق ومخلوقاته غير العاقلة بما في ذلك الأنبياء)، ليست إلّا تِعلّة مَنطِقيَّة للظهور الأرضي لسيِّد الخلق وخاتم الأنبياء!

فهو يقترح في قصيدته **«النشأة المُحمَّدية»** المُرحِّبة بمقدم خاتم الأنبياء فكرة خلق الوُجود قاطبة لأجله، كما في هذا البيت:

أهْـلاً بِـمَـنْ خُـلِـقَ الـوُجُـودُ لأَجْـلِـهِ سِـرُّ الـوُجُـودِ وَفـاتـحُ الأَقْـفَـالِ

ولا يكتفي بذلك إلماحاً، بل إنه يُسبغ على شخص [المُصطفى] صفاتٍ اختُصَّ بها الخالق وحده، ليسترسل في مُغامَرَة ترحيبه بالرَّسُول الذي أغنى العالمين بكرمه دنيا وآخرة، فضلًا عن يقينه بأنَّ حُظوظهم مقسومة بيديه، قبل أن تكون قسمة الحُظوظ في يد بارئهم:

أهْـلاً بِـمُـغْـنِـي الـعَـالَـمِـيـنَ بِـجُـودِهِ دُنْـيـا وَأُخْـرَى غُـنْـيَـةَ الـمِـفْـضَـالِ
فَـعَـلَـى يَـدَيْـهِ حُـظُـوظُـهُـم مَـقْـسُـومَـةٌ حـتـى الـسَّـعَـادَةُ قِـسْـمَـةَ الأَنْـفـالِ
وَعَـطَـاؤُهُـم مِـنْـهُ عَـطـاءُ مُـبَـرِّرٍ وَحُـقُـوقُـهُـم مِـنْـهُ حُـقـوقُ عِـيَـالِ

وفي قصيدة أخرى يقول، فيما يقوله، عن سَبقِ خلق النبي محمد(ص) في سَرمديَّة الدار الآخرة قبل ظهوره الدُّنيَوي:

يـا مَـنْ بِـهِ بَـشَّـرَتْـنـا الأنْـبـيـاءُ وَكَـمْ ... شَـدَتْ بِـهِ الـجِـنُّ فـي بَـدوٍ وفـي حَـضَـرِ

يـا مَـنْ بِـهِ أخـبَـرَ الـكُـهَّـانُ وَهُـوَ عَـلَـى ... أرَائِـكِ الـغَـيْـبِ لـم يَـبْـدُزْ مِـنَ الـسُّـتُـرِ

يـا مَـنْ تَـقـدَّمَ نُـوراً فـي حَـظـائِـرِ[1] نُـو ... رِ اللهِ حَـتـى تَـلَـقَّـاهُ أبُـو الـبَـشَـرِ

ففي هذه الأبيات نَرَاه يُشيرُ بوضوح إلى الإشارات الدالة على ظهور النبي محمد كروايات كُهّان النصارى بقرب ظهوره، فيما يتقدَّمُ نُوراً في حضائر نور الله حتى تلقاهُ أدم أبو البشر. واللافت، هنا، هو تعبيره الشعري البديع: (أرَائِك الغَيْب) التي كان الرَّسول(ص) مُستريحاً عليها قبل ظهوره الدُّنيوي.

وللتدليل على وُجُود علامة استفهام تشكُّكِيَّة حول «مُبالغات» أبي مُسلم في إعلاءِ ذاتِ النبي مُحمد (ص) ووصفهِ له، كما يرى البعض، بـ«صفات تأليهيَّة»؛ سيبتدر أمامنا سؤالٌ وُجِّه إلى مُفتي السلطنة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي[2] ألقاها في معهد العلوم الشرعية بعنوان: «أضواء على حياة العَلّامَة أبي مُسلم البهلاني»، قال فيها سَائِلُ المُفتي:

ـ وجدنا في الفترة الأخيرة من يُوجِّهُ بعض الانتقادات على أشعار الشيخ [أبي مُسلم] من حيث إنها تحتوي ـ على حد زعمهم ـ على بعض الشِركِيَّات كوصف النبي(ص) بصفات الله؟

---

(١) التزمنا بما ورد في الأصول المطبوعة والمخطوطة، لكننا نعتقد أن الشاعر قصد «حضائر» نور الله ـ من الحَضْرَة النورانيَّة ـ وليسَ «حظائر» من الحَظر، والفرقُ بيِّنٌ رغم عدم ملاحظته لصعوبة تفريق بعض النسَّاخ بين حرفي «الظاء» و«الضاد».

(٢) مُحاضرة ألقاها مُفتي السلطنة أحمد بن حمد الخليلي بمعهد العُلوم الشرعية في مسقط، يوم الأثنين ٤/ ٢/ ٢٠٠٢. راجع في **المصادر والمراجع**: مجموعة باحثين، قراءات في فكر البهلاني الرواحي، الطبعة الثانية، المنتدى الأدبي بسلطنة عمان، ٢٠٠٦. (حصاد الندوة التي أحياها المُنتدى الأدبي تكريماً للمرحوم أبي مُسلم البهلاني الرواحي في الفترة ١٧ ـ ١٨، ديسمبر ١٩٩٤م).

ـ **جوابُ المُفتي**: لم يَصفهُ بصفات الله، ولكن الشيخ أبو مُسلم لحبِّهِ الزائد للرسول عليه أفضل الصلاة والسلام وتعلقه بشخص الرسول (ص) يصفه بصفات عالية، إلّا أن هذه الصفات لم تخرج عن كونها صفات بشرية، وليسَ منها ما هو من صفات الألوهيَّة.

وكما قد يُلاحظ المرء؛ فإنَّ رد مُفتي السلطنة لا يَقلُّ تِقيَّةً وتوريَةً عن ردِّ أيّ ديبلوماسيٍّ عتيد يَحسبُ لكُلِّ كلمة حسابَها. لأننا نَحسبُ أن المُفتي أدرى مِنْ سِواه بالمَنحى الذي انتحاهُ أبو مُسلم في مدائحه النبويَّة، لا سيَّما في مَتحِها الواضح مِن تُراث الشيعَة (إسماعيليَّة واثني عشريَّة)، خصوصاً في أخذه بمبدأ «**العِصمَة**» الذي يُؤمِنون به في النبي محمد (ص) والإمام علي بن أبي طالب وأحفاده[1]. فالحقيقة أن أبا مُسلم أَسبَغ على النبي، ما يقترب به من صِفات الألوهة انطلاقاً من مبدأ العصمة المُشار إليه. بل أنه زاد على ذلك في اعتقاده بتحوير مشيئة الخالق وتراتب خلقه من آدم هُبُوطاً مُتسلسلًا إلى رسله وأنبيائه الذين يختتم بهم محمد الرسالات السماوية. فأبو مُسلم يَرَى أنَّ الخلق مجرَّد تِعِلَّة لخلق سيد الخلق، وأنه أول المخلوقين ـ بعبارة تتضح من سياق مدائحه النبوية ـ وعليه فإن رَدَّ المُفتي لا يعدو أن يكون استصغاراً للسَّائل، وتهرُّباً من تفاصيل هو الأعلم بها أكثر من غيره.

والحقيقة أنني قدر ما تقبَّلتُ استبعاد قصائده الاستنهاضية من قبل «المُؤسَّسة الرَّسمية»، كما تفهَّمتُ، فيما بعد، استبعاد مدائحه فيمَن رأى أبو مُسلِم اتصافهم بالعدل النسبي من سلاطين زنجبار؛ لم أستسغ مُتوالية إقصاء

---

(١) إضافة إلى مدائحه النبويَّة، راجع قصيدته «**النهروانيَّة**»، حيث يتجلى أبو مُسلم، بوجه آخر، في عِتابه الشفيف للإمام علي بن أبي طالب، ليُؤكد في قصيدته تلك ما يذهب إليه الشيعة دون سواهم من المذاهب حول أحقية الإمام علي بالخلافة بعد النبي محمد (ص) دون انقطاع، اعتماداً على حديث **الغدير** الذي أشار إليه في أحد أبيات النهروانيَّة.

بعض مدائحه النبوية من كلا المُؤسَّستين: «الدينيَّة والرَّسميَّة»؛ لأنَّ الشاعر أبان عن موقف لا يلائمُ طبيعة المُؤسَّستين اللتين تريدان تطويعَ تراثه الشعري مع ما يَنسجمُ وأطروحاتهما السياسية والمذهبيَّة؛ وهو خللٌ أبانَ عن تواطؤ هذه وتلك في محاولة تجيير أعماله لصالح منافعهما الدُّنيويَّة والأخرويَّة، على حَدٍّ سواء.

لكنَّ أبا مُسلم أحبط مُخططات كلا المُؤسَّستين اللتين أرادتا استغلاله في الموضع الذي لم يخطر في بال كليهما مقصداً ومأرباً مُحتمَلًا لفشل الخطة المُزدوجة؛ وهو **مدائحه النبويَّة** التي اتفقت على إقصائها من تراثه الشعريِّ كلا المُؤسَّستين. ورغم أنني لا أريد الشطح والذهاب بعيداً، لكنني أكاد أقول إنهُ استشرف، سَلَفاً مُخطط هؤلاءِ وأولئك فجعل فجَّيْهما في مأزق شعريٍّ لم ينتبها له؛ فكُلٌّ من الفريقين عُني بحذفِ ما يخصُّهُ ويُؤذيه من تراث أبي مُسلم. وهي جريمة مُزدوجة، لا أبالغ إنْ قلتُ إنَّ بعض عُلماء الإباضيَّة الرَّسميِّين، وعلى رأسهم مُفتي السَّلطنة وحَواريُّوه وأتباعه شاركوا بتمويهها والصَّمت عليها، وهو ما تنضحُ به ردود الشيخ أحمد بن حمد الخليلي[1] على أسئلة

---

(١) عادةً ما تُسبغ على بعض الشخصيات السياسية والدينية صفات خارقة للعادة، تلميعاً لحضورها الطاغي في الحياة العامة. وهي صفات لا يمكن للعقل أن يُصدِّقها، لو تفكَّرَ المَرءُ فيها مَليّاً بأدوات العقل المَحض. من ذلك ما ورد في كتاب: «زنجبار، شخصيات وأحداث»، لمؤلفه ناصر بن عبدالله الريامي، ص: ٢١٢، ٢١٣ في ترجمته **للشيخ أحمد بن حمد الخليلي**، متحدثاً عن الخوارق التي تجلت في شخصية «الطفل» أحمد بن حمد الخليلي وهو لم يتجاوز الأربع سنوات، ليروي (اعتماداً على رواية زايد بن سليمان الجهضمي في مؤلفه: من معالم الفكر التربوي، ٢٠٠٣) المؤلف موقفين يُحيِّران كلَّ ذي لُبٍّ وبصيرة. **الموقف الأول**: في يوم وفاة جَدِّهِ لأمه، كان الشيخ [أحمد بن حمد الخليلي] ابن ثلاث سنوات ونصف السنة، حيث بَدَت له حاجة مُلحَّة لأمه، التي كانت جالسة في قِسم من أقسام المنزل، فأخذ يناديها بإلحاح؛ فما كان من الأم إلا وأن ردَّت عليه بما معناه، أن يتقدم إليها ليخبرها بما يُريد؛ هنا ظهر رد الشيخ الفتى، الذي لا يمتري فيه اثنان، من كونه من وحي ربَّاني؛ حيث قال مُستغرباً: وكيف له أن يدخل عليها وهي جالسة مع النسوة. سبحان=

مُباشِرة عن «**كُفريَّات الشيخ أبي مُسلم**»، كان الأجدر به ـ وهو العَالِمُ العَلّامَة والفهيمُ الفهَّامَة ـ أنْ يَرُدَّ عليها بميزان عِلمِهِ، لا بميزانِ تِقيَتِه ومَظنَّتِه.

وبالنسبة للمسألة المُتعلقة **بمدائحه النبوية**؛ فإنني أجد نفسي مُنسجماً (على الصَّعيد الشعري، حَصراً وتحديداً) مع شطح أبي مُسلم وتفسيره الأسطوري لفكرة الخلق، لدرجة اقترابه من حواف الخرافة، لا سيما في اعتقاده بأن خلق الكون برمَّته ليس سِوى مقدمة وتهيئة ربَّانية لخلق سيد الخلائق وآخر النبيِّين محمد (ص). ومنبع انسجامي مع رُؤيته الشعرية هو اعتقادي بحُلولِ أبي مُسلم في حَلٍّ توافقيٍّ لأسئلته الوجودية المُستغلقة؛ تلك التي لم يجد لها أجوبة شافية في حُلول المتصوِّفة ينسجم ويتقاطع مع التزامه العقدي بالمذهب الإباضي فأطلق عنان مُخيلته الجامحة في موضوعة لا تشوبُها، ظاهرياً، شائبة: مديح المُصطفى المُختار. لكننا إذا ما نظرنا إلى تلك المدائح بعين ناقدة

=الخالق، فلقد وقر في نفس الشيخ، منذ نعومة أظفاره، بأنه لا يجوز له شرعاً اختراق مجلس النساء»! **الموقف الثاني**: «يُشيرُ بغرابة أكبر إلى نُبوغه المُبكر، بل وإلى عِلمه الفطري بأحكام الشريعة الإسلامية. فعندما ناهز عمره [أي عُمر الشيخ أحمد الخليلي] الأربعة أعوام تقريباً، اصطحبته أُمُّهُ إلى موقع في الخلاء، تحت ظلال الأشجار، لحظور [هكذا في الأصل، والصواب: لحضور] حفل كان قد أقيم بمناسبة المولد النبوي الشريف. جلس الرجال في جانب، والنساء في جانب آخر، كما هي عادة العُمانيين، المُستقاة من أحكام الشريعة. ونظراً لكون والد شيخنا لم يحضر معهما ذلك الاحتفال؛ لانشغاله في طلب الرزق، في مكان بعيد عن الحِلَّة؛ فقد تبادر إلى ذهن الغلام [أي الشيخ أحمد في عُمر أربع سنوات] ما إذا كانت والدته استأذنت والده بالخروج من عدمه. نقل الغلامُ التساؤلَ إلى والدته، فأجابته: بأنَّ بُعدَ والده عن الحِلَّة [حِلَّة Mfenesini في اللغة السَّواحِليَّة، **أو الفِنسَة**، كما يدعوها العرب]، حال دون الاستئذان؛ مُوضحةً له بأن أباه، ما كان ليمنعها عن الخروج لحضور مثل تلك المناسبة الدينية، لو كان موجوداً. لم يقتنع الغلام بهذا التبرير الافتراضي، فانفجر في بُكاءٍ مَرير، لم يُهديه ويعيد الإبتسامةَ والبشاشةَ إليه، سوى عندما قرَّرت أُمُّهُ الانصياع إليه وترك المناسبة فوراً، والعودة معه إلى المنزل». **ظِلالُ تعليق**: بالتأكيد لا تعليق لدينا على مثل هذه الخوارق التي اختصَّ اللهُ بها بعضاً من أنبيائه، وليس جميعهم، ولأغراض إقناعية في مواجهة مُناوئيهم.

مُتفحِّصَة لاستطعنا استشفاف طبيعة الأسئلة الوُجُودية التي كانت تؤرِّقه، لنكتشف قيمتها الإبداعية، بل سرياليَّتِها المُكثفة في شطحٍّها عالي الوتيرة على نفر من أهل المَذهب الذين تجاهلوا فيوض مدائحه النبوية إقصاءً أو بَتراً لها من مجموع قصائده التي أعلى فيها مِن شأن ذاتِ ممدوحه النبي محمد (ص)، لأنه أسقط في إهَابِهِم إضمَامَة الشُّكوك الفلسفيَّة التي سَاوَرَته، وإنْ تمظهرت مدائح نَبويَّة صادقة حتى في شطحها الذي لم يَستسِغهُ البعض ليُعتبر «كُفريَّات» لا تَليقُ بالشيخ وقاضي القضاة أبي مُسلم.

[٧]

تصوُّفه بين حَقيقةِ المَجَاز ومَجَاز الحقيقة

قبل التطرُّق إلى منهاج التصَّوف الذي انتهجه أبو مُسلم، سنفتتح هذا الفصل من المُقدمة بما أورده الناقد العِراقي د. ضِياء خضيِّر في كتابه: «**وردة الشعر وخنجر الأجداد**[1]: دراسة في الشعر العُماني الحديث»: «**ربما كان حريًا بأولئك الذين يتحدثون عن التجربة (الصوفية) و(السلوكية) في شعر أبي مُسلم أن يتحدثوا عن شعر ديني تعبُّدي لا عن تجربة صوفيَة أو سلوكيَة، لما نعرفه من خصوصية التجربة الصوفيَة والضرورات التي تجعل صاحبها منقطعاً عن العالم، مستعداً للتضحية بنفسه في بحر الذات الإلهية عن طريق الوجدان والكشف، وما يتصل بهما من تجارب وجوديَة حميمة لا تقبل المهادنة، ولا اللعبة الفنية والجمالية التي ينطوي عليها الشعر. صحيح أن أبا مسلم يمتلك مثل أي شاعر كبير رؤية وتكشف قصيدته، كما قدّمنا، عن بنية وجدانية عميقة، وأن بعض نصوصه قريبة فعلاً من المنحى الصوفي، ولكن ذلك يختلف عن محاولة**

(١) د. ضياء خضير، وردة الشعر وخنجر الأجداد: دراسة في الشعر العُماني الحديث، وزارة التراث والثقافة، مسقط ـ ٢٠٠٦م، ط١.

المتصوفة الدائمة الذوبان في بحر الذات الإلهية وحشد الطاقة الروحية من أجل الانجذاب نحو ما هو مطلق. في حين أن الرجل ينطلق في تجربته الدينية من جوهر إسلامه الحنيف وتقاليد مذهبه الإباضي خاصة، ومن شخصيته المتفرّدة بوصفه رجل دين وفقيها زاهدا ورعا. وبعض أشعاره في هذا الجانب مجرد أدعية وأوراد وتسبيحات لا تهمه فيها طريقة النظم ونوع الكتابة الشعرية قدر اهتمامه بهدفها ودلالتها التعبدية. لقد تأثر أبو مسلم بمصطلحات الصوفية ومناهجهم في الكتابة الشعرية، وكان مثاله في ذلك هو سعيد بن خلفان الخليلي المتأثر بدوره بحجة الإسلام أبي حامد الغزالي في هذا الجانب. غير أننا نعتقد أن أبا مسلم يتشبه بالصوفيين أكثر من كونه صوفيا، ليس فقط لأن ذلك يتناقض كما قلنا مع مذهبه الإباضي الذي لا يرتاح أصحابه إلى التصوف بمعناه الذي يتجاوز الزهد والنقاء الروحي، وإنما أيضا لأن أبا مسلم لم يكن رجلا منقطعا عن الدنيا بل كان قاضيا ورجل دولة فترة طويلة من حياته. وكتبه الفقهية العديدة التي ألفها أثناء ذلك وبعد خروجه من الوظيفة تشهد على التزامه بعقائد السلف الصالح والسنة المحمدية المطهرة التي لا مجال فيها للشطحات والمبالغات الخاصة بوحدة الوجود ومحاولة الاتصال بالذات الإلهية عن طريق الوجدان والكشف. لقد ورّطَ أبو مسلم، إذا صح التعبير، الألفاظَ والمصطلحاتِ الصُوفيةَ أكثر من السُلوك والموقف».

أوردنا هذه الفقرة، لأهميَّتها، من كتاب د. ضياء خضير المُشار إليه، لأنها تُمثلُ رؤية نقديَّة لافتة كادت تجعلنا نعتقد بأنه واعٍ بمسؤوليته النقديَّة والتاريخية. والحقيقة أنه لا بُدَّ لنا من التنويه والإشارة إلى أنَّ ما طرحه د. خضير، في كُلِّ الأحوال، مُتقدمٌ نقدياً (فيما لو قُورِنَ بسَابقيه) حول تقييم أبي مُسلم واعتباره مُتصوفاً أم لا؟

لكنَّ اتفاقي أو اختلافي حول طرحه لا ينطلقان، إطلاقاً، من أُقنومَي الاختلاف أو الاتفاق معه حول تجربة أبي مُسلم؛ بل من صَميم نُصوصِهِ التي

تُثبتُ خُروجاتهِ البيِّنَة على مدرسة أشياخه: سعيد بن خلفان الخليلي، وجاعد بن خميس المتأثرة بدورها ـ كما أشار د. **خضيَّر** نفسه ـ بحُجَّة الإسلام أبي حامد الغزالي [وابن الفارض]، لكننا لن نتمكَّن من التَّرحُّل بعيداً مع د. خضيَّر في اعتقاده بأنَّهُ **«يتشبه بالصُّوفيين أكثر من كونه صُوفيا»**، لمُجرد الاتكاء على أنساق مقولات نقديَّة جَاهزة يُمكن استحلابُها مِن بَقرَةِ عَدَمٍ وَوُجُودٍ أُعدما لإثباتِ ما لا يَستحيلُ إثباته على الناقد المُتمرِّس في بحبوحة البَصِيرة والعَمَاء؛ بحُجَّةِ **«أنَّ ذلك يتناقض كما قلنا مع مذهبه الإباضي الذي لا يرتاح أصحابه إلى التصوف بمعناه الذي يتجاوز الزهد والنقاء الروحي، وإنما أيضا لأن أبا مسلم لم يكن رجلا منقطعا عن الدنيا بل كان قاضيا ورجل دولة فترة طويلة من حياته»** ـ كما يُؤكد خضيَّر في كتابه، آنف الذكر.

صَحيح أنَّ أبا مُسلم لم يَكُن ذلك المُتصوِّف المُنقطع عن الدُّنيا؛ لكنها خصيصة لصالحه فيما نحسب، ولا ينبغي لها أن تُضافَ جَريرَةً داعمة لما سبق لبعض الإباضية المُتحفظين قوله في هذا الشأن، دونما مُناقشة لفكر الشاعر ورؤيته وفلسفته التي دعته لتلك الخروجات عن صراط المذهب الذي تُقلِّلُ «كُفريَّات أبي مُسلم» من فرضيَّةِ استقامة المَذهب في عُيونِ أهله.

فالواضح من نصوص الشاعر أنها لا تُجاملُ أحداً؛ لأنها تنحو منحى آخر غير الذي أقحمَهُ د. ضياء خضيَّر في دراسته التي ـ على مَوازين مَنهجيَّتها النقديَّة ـ نعتقد بأنها جَامَلتْ ورَاعتْ وزارة التراث والثقافة التي نشرت كِتابَه ذاك. وهو مَسلكٌ نأخذه على الناقد الذي توخَّينا فيه حَدّاً أدنى من ظِلالِ صرامة نقديَّة؛ كان في اعتقادنا أنها لن تُلينَ قناتَها، لا سيَّما في مَوضوعَة أبي مُسلم، ناهيك وناهيه عمَّن تساءلوا عن إيغال مدائحه النبوية في إسباغ صفات إلهية على ذات المُصطفى محمد (ص)، رغم أنه كائن بشري مخلوق تنطبق عليه صفات البشر المُؤلِّه للإله لا صِفاتِه المُتعاليَة، لا سيما في نقضها، بل ونسفها لحُجَّته التي أوردها حولَ تناقض إيغاله التصوُّفي مع «مذهبه الإباضي

الذي لا يرتاح أصحابه إلى التصوف بمعناه الذي يتجاوز الزهد والنقاء الروحي»، كما تحجَّجَ، للأسف، د. خضير في كتابه عن الشعر، آنف الذكر والإشارة. والحقيقة أننا نذهبُ فيما ذهبنا إليه لأبعد من ذلك في فرضيَّتنا التي تدعمها نصوص أبي مُسلم الشعريَّة؛ انطلاقاً من مِعيار شِعريٍّ صِرف.

وللرد على د. ضياء خضيَّر، فإن أبا مُسلم ـ في نهاية المُنتهى ـ هُو صَفوَة خلاصة تجارب المُتصوِّفة العُمانيين، وعلى رأسهم الشيخ جاعد بن خميس وابنه ناصر بن جاعد، وبطبيعة الحال مُعلمه الأول العالم الربَّاني الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي، وهي تجارب ماتِحَة من تجارب ابن الفارض وحُجَّةِ الإسلام الإمام الغزالي. لكنها، في رأينا المُتواضع ـ تجارب تُمَثِّلُ يَمِين تيَّار المُتصوِّفة، وبالتالي فهي مُختلفة عن تجارب يَسَار المُتصوِّفة الكبار بشطحهم الصوفي المُتمظهر في انسلاخ تجربتهم المُتعالية على هشاشة الواقع المحسوس تصعيداً لها إلى الماوراء، رُؤيَةً وسُلوكا وتنظيراً وكتابة واستشفافاً لتحتيَّات الواقع ولما وراءَ وراءِ الواقع، كما هو الحال لدى أبي يزيد البسطامي والشيخ الأكبر ابن عربي ومحمد بن عبدالجبار النِّفري والحسين بن منصور الحلّاج وسواهم من كبار المتصوفة المُمثلين لتيار اليَسَار الصُّوفي ـ إن صَحَّ التعبير والمُقابلة ـ أمام تيار التجربة المُحافظة بين الصُّوفيين العرب، التي مثلها كل من حُجة الإسلام أبي حامد الغزالي وابن الفارض، وهي التجربة التي، بدورها، أثرت على التجربة الصُّوفية العُمانية ابتداء من جاعد بن خميس الخروصي وابنه ناصر بن جاعد الخروصي والعلامة الرَّباني الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي، لتصل ذروتها الحقيقية وانفتاحها الخلاق مع الشيخ ناصر بن جاعد وأبي مُسلِم اللذين أفادا من إقامتهما في زنجبار، واطّلعا بالتأكيد على التراث الصُّوفي الواضح تأثيره في مناخات أعمالهما[1].

وللتدليل على فرضيَّتنا (التي لا يبلغ بنا اليقين المعرفي ولا التأويلي شأوَ

(١) لمزيد من التأكيد، راجع حواشي الإلهيات وشرح النونيَّة.

مُحاولة فرضها أو إثباتها) ـ طاب لنا التأكيد، في هذه المُقدمة، على أبيات شعرية تُحيلُ في أقاصي معانيها إلى ما ذهبنا إليه.

[٨]

ظواهر جَماليَّة وأسلوبيَّة

تستوقف قارئ شعر أبي مُسلم ظواهر جمالية وأسلوبية لافتة، بعضها يمثلُ خرقاً للسائد في الشعرية العربية الكلاسيكيَّة. والمؤسف أنها لا تظهر ولا تكشف عن أسرار جمالياتها للقارئ المُتعجِّل ـ لا سيما أنها مدسوسة في ثنايا مُطولاته الشعرية بحيث لا يلتفت إليها إلّا الباحث والدارس لشعره ـ ؛ لذلك لم يُعرها أحدٌ مقداراً ولو يسيراً ممّا استحقته تلك الضربات الشعرية من حُنُوٍّ شعريٍّ وجماليٍّ يُبرزها تحليلًا في موقف نقديٍّ خلّاق يُعيدُ إلى الشاعر «أنواتِهِ المُشتتة» في أكثر من دراسة مُفرطة في رَثاثةِ سَطحيَّتها الأكاديميَّة وإيقاعِها المَذهبيِّ الشغول بإظهار ولائه «للمُؤسَّسة الإباضيَّة الرَّسميَّة» في عُمان؛ إصراراً من أمثال هؤلاء الباحثين ـ كما بدا لنا ـ لبيع ماءٍ جِيءَ به مِنْ «وادي ميزاب» ليَروِي عَطشَ حَارَاتِ «الجَوفِ» التي سَبقَ لها أنْ ارتوتْ سَلفاً مِن «فلَج دارس» في «بيضة الإسلام»، لتَبْهتَ دِرَاسَةُ ذلك الباحث عن «حَسَّان عُمان»[1] في مَسيلةِ حِبرِها واصفِرارِ رُقعَتها، قبل التلويح، ولو مِن بعيد، بأنها لم تحفل بما هو عُضويٌّ وصَميميٌّ وخلّاقٌ في ثراءِ مَنحُوتة التَّجربةِ البهلانيَّة.

ولتوضيح المقصد، وعلى الرغم من عدم اهتمامي وانهمامي بالنقد وما تستدعيه الجَماليَّات النقدية المُوازية من إشارات تستحق الإلتفات؛ لكنَّني عثرتُ ـ خلال اشتغالي في هذا المشروع ـ على ما لفت نظري من أبيات

---

(١) نلمِّحُ، هنا، قدر ما لا نُشيرُ إلى تهافُتِ التَّهافُت في كِتاب ناصر؛ محمد بن صالح، أبو مُسلِم الوَاحي: **حَسَّان عُمان**، الطبعة الأولى، مسقط، توزيع: مكتبة مسقط، ١٩٩٦.

استحثني للتعليق عليها كهوامش مُحفِّزة للباحث والقارئ كي يُعيد النظر كرَّتين في مُنجز أبي مُسلم الشعريِّ الآسِر [مُبتَدَعه، إنْ تَفيَّقنا[1] لِنتَقفَّى قامُوسَه] تفحُّصاً له برَويَّةٍ وأناةٍ وشعاع استبصار.

مِن ذلك، على سبيل المِثال، انفِرادُهُ المُبكر باستخدام مُفردة [الأنا] مُعرَّفةً بلام التعريف السابقة لها، وهو اشتغالٌ لم يُعنَ به الشعر العربي الكلاسيكي، كما في هذا البيت الذي بدت فيه غير مُتكلَّفة؛ بل ومُتمِّمَة للسِّياق البلاغي المنشود:

مَـن أنـا؟ والأنـا فَـنـاءٌ وَمَـخـوٌ فـي مَـقـامِ الـتَّـعـذيـبِ والإشْـهـادِ

فالتساؤلُ: «من أنا؟» تليه في الخطاب، مُباشرةً، «الأنا» التوكيديَّة إفصاحاً في دلالات الخطاب ودوالِّه عن [اللا ـ أنا] كينونةٌ مُغيَّبَةٌ عن قصد في ظِلال التوريَة أمام [أنا] الخالق التي تُفنِي وتمحو كُلَّ الأنوات يوم الدينونة. ليستمر توكيدُ الشاعر على امِّحاءِ [أناهُ] المُتحقِّقة في الدُّنيا لنكتشف معه التالي:

مَـن أنـا؟ والأنـا خَـيـالٌ وَوَهْـمٌ فـي مَـقـامِ الـخِـطـابِ والإرْشـادِ

ناهيك عن مَجاز مجازاته الاستعاريَّة في أقصى ضُروب ضرباتها الشعريَّة المُولِّدَةِ لأناها المُعرَّفة مَجَازاً وظِلّاً «مُؤتَمَتَين»[2] تماماً؛ كما في هذا البيت الصَّقيلِ بظِلالِ مَجازه:

مَـن أنـا؟ والأنـا مَـجَـازٌ وظِـلٌّ فـي مَـقـامِ الإبـعـاد والإيـجـادِ

فكما نرى، هو بيتٌ مِلحاحٌ برمزيَّته فيما لو قُرِئ هذا الشطرُ قراءة فلسفيَّة/ شِعرية تحليليَة ـ بمَعزلٍ عن الخطاب الفكري المُهَيمِن في قصيدته التي يرد فيها البيت، جنباً إلى جنب مع جُلِّ قصائده المَاتِحَة مِنْ رحيق مَسعى تصوُّفيٍّ ـ

---

(١) التفيّق في لسان أهل عُمان الفسحة من الوقت، ومنه في التنزيل: «ما لها من فَوَاق» أي فسحة ونظِرَة من الزمن، وفي الفصحى المتأخرة هو وقت الاستراحة بين الحلبتين.

(٢) نقصدُ بنحتنا لتعبير «مُؤتمَتين في صيغة المُثنى: [الأوتوماتِيَة] اختصاراً لتعريب شاعَ لديمومة الحركة الأوتوماتيكيَّة قياساً لاشتقاقاتها في لُغةِ الضاد.

لاستنبط القارئ/ المُحلّل ظِلالًا ومَجازات شِعريَّة لن تتخلى عن إنصاف مُخيِّلة الشاعِر (بكلا المَعنيَيْن الشعري/ ظاهِراً والفلسفيّ/ باطناً) خارجَ الأطُر التي كُرِّسَت قصائدُهُ ومَضامينُها لفهمِها ضِمْنَ حُدودِها الضَّيقة.

وكما سَيتجلَّى من الأبيات اللاحقة لمَحْقِ تلك الأنا في ظِلال كينونة الخالق؛ سيتكشفُ ذلك الفعل عن أسباب موضوعيَّة تتعلقُ باتحاد [أنا] المخلوقِ في [ذات] الخالق اتحاداً صُوفياً لا مُفاضلة فيهِ بين الخالِق والمَخلوقِ المُتحدِ به، لدرجةِ استحقاق المخلوق طوعاً لماهيَّةِ صفاتِ الذات الإلهيَّة بعد أنْ تجلَّى فيها، كما تجلَّتْ فيه:

بَـلْ أنـا نِـسْـبَـةٌ إلـى أثـر الـ ـحَـقّ شَـهـيـدٌ لـلـحَـقّ بـالانـفـرادِ
وأنـا مِـن حَـيـثُ انـتِـسـابـي إلـيـهِ مَـلِـكُ الـحَـمْـدِ والـثـنـا والـمِـجَـادِ

وهي مرتبة من مَرَاتِب كِبار المُتصوِّفة يُعلنها أبو مُسلم في قصيدته هذه بكُلِّ شفافيَّةِ التجلِّي الصُّوفي وغِناه الماتِح من ينابيع بدت لنا أبعدُ غوراً من مدرسة أشياخه من المُتصوِّفة العُمانيين

وأنـا مِـن حَـيـثُ انـتِـسـابـي إلـيـهِ كُـلُّ نـقـصٍ وَوَضْـمَـةٍ فـي عِـدادي
وأنـا مـن حَـيـثُ انـتِـسـابـي إلـيـهِ مُـنـعِـشُ الـرُّوحِ بـاعـثُ الأجْـسـادِ[1]

---

(١) يتجلّى في هذا البيت البُعد الفلسفي الصُّوفيّ الصِّرف الذي ينطلقُ منه أبو مُسلم في تَناوُلِهِ اللافِت لمَوضُوعة اتحاد الخالق بالمخلوق. **تبيين الواحد والثلاثة**: في هذا السياق التصوُّفي المَحض حول «واحديَّةِ الأحد» يروي حَنّا فاخوري في كتابه: **«تاريخ الفلسفة العربية»** مقولة عن الشيخ الأكبر **ابن عربي**؛ قائلًا في الواحديَّة والتثليث [لدى المسيحيَّة]، ما يلي: السبب الميتافيزيائي للتثليث، أي القول بنوع من العلاقة الثلاثية في الوحدة الإلهية، أي التثليث في الأقانيم واستبعاده في الإله، من الحكمة **الفيثاغورية** ومن حكمة **القبّالة** Kabbalah اللتين تشيران إلى أن **العدد ثلاثة** هو الأصل في **الأعداد الفردية**. وهكذا، تُعدُّ الثلاثية الأولى: الصدور أو الانبثاق الأول للفيض أو الإبداع الأول من **الألوهة**. وعلى الرغم من كونه فيضًا أولَ من الله، لكنه يعتبر الرُّوح القدس الأول الذي تكوّن على النحو الذي يكون فيه مضمونًا في الله ومُستبعدًا عنه في آن واحد، أما العدد «واحد» في نظر ابن عربي، فليس هو وحده بذاته عددًا أوّلًا يُفسِّر الكثرة في العالم. فمن **«الواحد»** لا يصدر إلّا **«الواحد»**. لذا، يكون=

نِسْبَةُ الحَقِّ صَرَّفتني إلى أنْ قُمْتُ أتلو الزَّبُورَ بين الجَمادِ

=عدد «ثلاثة» أبسط الأعداد في داخل الكثرة. وهذا يعني أنّ العدد «ثلاثة» هو الشكل الأول لكُل الوجود، وما من شيء يتشكل إلا منه وفيه. ففي **الفتوحات** كتب ابن عربي ما يلي: «اعلم أن «**الواحد**» لا يكون عنه شيء البتة، وأن أول الأعداد إنما هو «الاثنان». ولا يكون من الاثنين شيء أصلًا ما لم يكن «ثالث» يُزوِّجُهما ويربط بينهما. فالثلاثة أول الأفراد». وقد أضاف الشيخ الأكبر في الكتاب ذاته: «إنَّ الموجود الأول، وإن كان **واحد العين** من حيث ذاته، فإن له حكم نسبة إلى ما ظهر من العالم عنه؛ فهو ذات **وجودية ونسبة**. ولا بد من ربط معقولٍ بين **الذات والنسبة** حتى تقبل الذات هذه النسبة. فظهرت «الفردية» بمعقولية الرابط، وكانت «**الثلاثة**» أول الأفراد، ولا رابع في الأصل. «فالثلاثة» أول الأفراد في العدد إلى ما لا يتناهى». **ملحوظة**: كاتب هذا النصّ المُفسِّر لما أورده الشيخ الأكبر ابن عربي مسيحي، ومن الواضح أنه يُجيِّرُ ويُؤوِّلُ نَصَّ ابن عربي لصالح فكرة التثليث، لا من حيث هي «مسيحيَّة» الينبوع، بل لجذورها الموجودة في القبّالة اليهوديَّة، كما تتجلى في **أنساق الأعداد**. ونحن نثبته، هنا، لا لنُجيِّرَهُ إسقاطاً على خطاب أبي مُسلم الصُّوفي بكافة أبعاده الفلسفيَّة المُوازية، بل لإثبات ما ذهب إليه أبو مُسلم في أنساق (بواطن باطنه) التي لم يُظهرها في (الظاهر) من مُعتقده الذي ألزم به نفسه، وفاءً لإمامة سالم بن راشد الخروصي ومذهبه الإباضي، دون أن يمنعه البُعد العقدي (الظاهر) من الغوص بعيداً في ماورائيَّات المُتصوِّفة. ليس ذلك فحسب، بل أنه جَيَّرَ بذكاءٍ وقاد معرفته (الباطنيَّة) ليس في إلهياته، بل في استنهاضه لشعبه ولممدوحه الإمام سالم بن راشد الخروصي في «النونيَّة»، كما أشرنا آنفاً. **توضيح مُستضاف من** *دانييل بيرزنياك*: أصل القبّالة من الجذر العبري ق-ب-ل، «قبل». فالأستاذ، «**العارف**»، يمنح، والمريد، السائل، «**يقبل**». **والقبّالي** ينظر إلى نفسه بوصفه المريد السائل. **القبّالة** [وهي مجموعة التفسيرات والتاويلات الباطنية والصوفيَّة عند اليهود] طريقة للنظر إلى العالم، بل للنظر إلى النفس وهي ترى العالم. وهذه «الطريقة» طريقة أصيلة لأنها تجمع ما بين انتظار كَشْفٍ ساطع (الطريقة الصوفية أو الكَشْفية) وبين الدراسة المتأنِّية (الطريقة العقلية). بعبارة أخرى، فإن القبّالي يُنمِّي في نفسه فنَّ المقارنة والنظر في مكتشفاته، فيما هو يستبطن خبرة **الوحدة** المستعادة. إنه يشغِّل، في آنٍ معًا، نِصْفَي كرته المخِّية. ومن شأن هذه الرياضات أن تقيم روابط بين العاقلة والحدس والمخيِّلة. فطريقته عقلية وروحية في آنٍ معًا. القبّالي يرى في الخطاب المنطوق أو المكتوب معنًى يجب فك رموزه. فالسَّرد الكتابي، الواضح في نظر الذهن البسيط، يصير في نظره مبهمًا ومثقلًا بالمعنى. إنه يحدس وجود «بنية» خفية ما تبطِّنه، مفادها أن كلَّ ما هو متمايز وملموس ينبثق، فيضًا، من نبع أوَّلي قديم، غير متعيِّن، متجانس. في العبريّة، هناك كلمة واحدة تشير إلى الكلمة وإلى الشيء: دَوَر. فالأشياء غير=

فعلى سبيل المِثال نجده في هذه الأبيات، يَتعالى، بل يَجنحُ في الماوراء بعيداً عن مدرسةِ شيخه العالم الرَّباني سعيد بن خلفان الخليلي، أو الشيخ جاعد بن خميس، على سبيل المثال. فهو يرى نفسه في صُورة المُتصوِّف الحَقّ (مُنعش روح وباعث أجساد)؛ وتلك خصيصة، كما نعلم جميعاً، لا يختص بها سوى خالق مُؤلَّه، لكنها خصيصة صَرَّحَ أبو مُسلم بأنهُ واحد من القلَّة الذين أُتيحَت لهم، كما أتيح له التعبير عنها بصراحة لافتة.

وكما نُلاحِظ، فهو لا يكتفي بإضفاءِ «نزعَةِ المُتصَوِّفة» التي أشار إليها في بيت آخر [لم يَرضَ أصحابُ المَذهب كثيراً عنه]؛ نراه في الأبيات الثلاثة السابقة يُؤكدُ أنهُ (من حيث انتسابه إلى الله) مُمثلٌ لكُلِّ نقص المُنتسِبِ (في

=موجَدة إلا بمقدار ما تتم تسميتُها. والتعليم القبّالي يسلِّم بأن الكلمة تحمل الحقيقة، بأن الذبذبة اللانهائية للصوت تحمل الكون. قال الله: «ليكنْ نور»، فكان نور (سفر التكوين، الإصحاح ١: ٤). الكلمة، إذن، خالقة. هل لنا أن نستنتج مما سَبَقَ أنه «في البدء كان الكلمة» (إنجيل يوحنا، الإصحاح ١: ١)؟... ليس تمامًا. فالبدء (رِشِت) كان خاويًا وصامتًا. ولكن، كيف انبثق الكون، إذن، من هذا الفضاء الخاوي والصامت؟ تلك هي المسألة الكبرى التي تشغل بال القبّالي. بحسب اسحق لوريا (١٥٣٤ ـ ١٥٧٢)، لم يكن أول أفعال الله انتشارًا نحو الخارج ـ فهذه استحالة، بما أن الله هو الكل ـ، بل طيٌّ، انقباض. في البدء، لا بدَّ أن الله انسحب، انطوى، ميسّرًا بذلك ولادة العالم، بادئ ذي بدء، على هيئة حروف الأبجدية العبرية الاثنين والعشرين. وهذا الانطواء، هذا «النقصان في الكينونة»، وبعبارة أخرى، هذا الخواء الميسِّر لشيء آخر أن يكون، يسمَّى السَمْسَمَة (تسِمْتسُم) ـ وهو مفهوم جوهري في القبّالة. **ملحوظة متمِّمَة**: جدير بالذكر أن **موشي القرطبي** (١٥٢٢ ـ ١٥٧٠م)، أهم أساتذة **إسحق لوريا**، كان، من جانبه، يقول باثني عشر مستوى من مستويات القراءة. والكتابات القبّالية لا تطرح تعليمًا عَقَديًا؛ إنها، بالأحرى، تزوِّد بمفاتيح لفتح أقفال وأبواب. وعلى «الطالب» أن يجد الأقفال المقابلة للمفاتيح التي أُعطِيَها. ولهذا، ينبغي عليه أن يتدبَّر النصَّ ويتفكَّر فيه. كان البابليُّون والإغريق سَبَّاقين إلى دراسة معاني الكلمات بالنظر إلى القيم العدديَّة للحروف التي تتألَّف منها. وقد استدخل بنو إسرائيل هذا المنهج تحت اسم «جِمَطْرِيَة» [«حساب الجُمَّل»] في عهد الهيكل الثاني (الذي بُدِئ في بنائه حوالى العام ٢٠ ق م واستمر أكثر من ٤٠ عامًا). والجمطرية الأشيع عبارة عن عَزْو القيم العددية إلى الحروف.

جُزئيَّتِهِ إلى كمال المُبدِعِ الكُلِّيّ)، دون تحاشي وصف ذاته بـ(الوصمَة) التي يعلم قبلَ غيره أنها تنالُ من انتسَبَ إليه؛ وهو الله دونما شكٍّ أو رَيْبِ تأويلٍ مُخاتِل.

والمُدهش، بل العجيب أنك تجد أبا مُسلم في البيت المُوالي يُفصِحُ عن المغزى الذي أراده بعد (تمام انتسابه مخلوقاً إلى خالقه وتكامُل صفاتهما معاً)، بحيث لا يُعييه القول بعد بلوغه لتلك المرتبة الصُّوفيَّة المُتعالية هيأةً في اتحاد المخلوق بخالقه، كما يرى ابن عربي، صَرَاحةً ـ ودونما لبس قول مُحتمل؛ أنَّهُ أضحى [مُساوياً] للإله في الحُقوق والواجبات، لدرجة أنَّهُ يُنعِشُ الرُّوحَ ويبعثُ الأجساد!

وتساؤلنا الذي تعطينا هذه الأبيات الحَقّ في مسألة تصوُّف أبي مُسلم من عدمه، هو التالي: كيف أمكن لناقد من طراز ضياء خضيِّر أن يستنتج استنتاجه ذاك الذي نضحَت به أطروحَته؟.. لينتهي في خُلاصَتها إلى مَقولَةٍ كهذه؛ لا تُنصِفُهُ ناقِداً، وبالتأكيدِ لن تُنصِفَ أبا مُسلم في خلاصة قوله: «لقد ورَّطَ أبو مُسلم، إذا صح التعبير، الألفاظ والمصطلحات الصوفية أكثر من السلوك والموقف».

فإذا ما سَلَّمنا بأنَّ بعض أشياخ الإباضية لم يقرؤوه كما يجب، وأوغلوا في استفتاءاتهم السَّطحيَّة حول نهج وموقف أكبر شُعرائهم وفُقهائهم ومُتصَوِّفيهم؛ فكيفَ سيتسنى لنا تبرير ذلك للدكتور ضياء خضير؟ في سقطته غير المُبرَّرَة، في كِتابٍ مَعنيٍّ، أساساً، بتجربة الشعر الحديث في عُمان[1]. ففي اعتقادنا أن أبا مُسلم بعد توسُّع مداركه المعرفية في زنجبار لم يَعُد وفياً لاشتراطات المَدرسَة الصُّوفية «المُحافظة» التي نشأ عليها، وإنْ حاول الإبقاء على بُعدها

(١) من المُفارقات الدَّاعية لتأمُّل الناقد والقارئ السَّطحي؛ أنَّ كتاب د. خضير يتطرَّق، أساساً، لتجربة الشعراء المُعاصرين، لا سيما شعراء قصيدة النثر وقصيدة التفعيلة، ولا ندري ما الذي جعله يُقحم ذلك الفصل حول نفيهِ، جُملة وتفصيلًا، لتصوُّف أبي مُسلم البهلاني!

«المُحافظ» في أذكاره التي تضمنها «النفس الرَّحماني» مُسايَرَةً لشيخه سعيد بن خلفان الخليلي[1]. لكننا نكاد السُّقوط في الجَزْم بأنه اطلع عن كثب على تجارب كِبار المُتصوِّفة، وتأثر بهم، سَوَاء في أذكاره التي يلمحُ الدارسُ المُتفحِّص لأبياتها شطحه الصوفي «الماورائي» غير المُلتزم بتلك المدرسة الصُّوفيَّة المُحافظة، رغم محاولاته المتقصَّدَة لعدم إظهارها في «ظاهر» أذكاره تلك، لكنها تظهر وتفصحُ، بل تنضحُ بـ«باطنها» في أبيات مُتفرقة هنا وهناك.

وليس خفياً أن عُلماء الإباضية، لا سيما المُتأخرين منهم ـ كما أشرنا، آنفاً ـ لم تُرضِهِم صيغة الهيولى المُطلق في «شطح» مدائحه النبوية التي أطلق فيها لنفسه العنان قَصَصاً مُمتعاً وآسِراً حول أساطير النشأة المُحمَّدِيَّة الماتحة من مذاهِب «الباطن».

لأنها أفكار مُستمَدَّة، في اعتقادنا، من جِذرين فِكريَّين: كِبار المُتصوِّفة الذين أشرنا إليهم، ورؤيَةِ المذهب الشيعي مُتمَثلًا في «ظاهره» المُفصَح عنه في أفكار (**الأئمة الإثني عشر**)، و«باطن» الفِرَق الشيعية المُوغلة في «شذوذ» تصَوُّراتِها الفلسفيَّةِ المُخالِفة للسَّائد عن نشأة الوُجود وأسباب وجوده. والحقيقة أن أبا مُسلم تأثر بتلك الأفكار وأفصح عنها نتاجُهُ الشعري، لا سيما أنه احتك بعُلماء وشيوخ من آل البيت (وإن كانوا شوافع تمذهُباً)، إلى جانب احتكاكه بالفرقة **الإسماعيلية** التي لها انغراس وسَيطرة ملحوظة في المحيط الفكري السائد في زنجبار آنذاك؛ وهي من الفرق الباطنية التي انتسبت إلى الإمام إسماعيل بن جعفر الصادق، ظاهرها التشيُّع لآل البيت ـ كما يرى مُناوؤها ـ بعد أن تشعبت فرقها ومالت إلى الغلوّ والتصَوُّف، لدرجة أنَّ الشيعة الإثنى عشرية يكفرونها، ولا يرون في الإمام إسماعيل بن جعفر الصادق

---

(١) نعتقد أنَّ أبا مُسلم اختلف مع طروحات شيخه العلامة الرَّباني سعيد بن خلفان، في مسألة التصوُّف، لكنه ظلَّ وفيّاً له ولأفكاره المُستنهضة لقيام إمامة عزان بن قيس، تماماً كما أضحى وفيّاً لإمامة سالم بن راشد الخروصي التي أشعل أُوارها الشيخ نور الدين السالمي.

عِصمَة سبق لوالده الصادق أن خلعها عنه، رغم أنه أكبر أبنائه، ليسلمها لأخيه مُوسى الكاظم بن جعفر الصادق، استمراراً لمذهب الشيعة الإثنى عشرية.

والحقيقة أنَّ أبا مُسلم عاش في زنجبار واحتكَّ بأشياخ وعُلماء الإباضيَّة، نتيجة لانصرافهم إلى التصُّوف، تماماً كما تعرَّف على مذاهب الفِرق الأخرى.

نقول هذا تحليلًا موضوعياً للمؤثرات التي تشبَّع بها أبو مُسلم، لكننا يَقيناً لا نعتقد بذهاب أبي مُسلم أبعد من ذلك في مَنحاه التصوُّفيِّ ذاك: لأنَّهُ عالمٌ أوصلته آفاقُ التصوُّف للأخذ والمَنح من كافة المَذاهب «ظاهرها» و«باطنها»، مع بقائه وفيَّاً لمُعتقدِهِ الأباضي[1]، ولا أدلَّ على ذلك مِن مُناصرَتهِ الصَّريحَة للإمام سالم بن راشد الخروصي، والدَّعوة المِلحاح إلى إمامته في نونيَّته الشهيرة، وإن ضمَّنها (في بعض الأبيات) خلاصات فِكْره التَّصَوُّفي، مُسقِطاً ذلك الفِكر على الإمام سالم بن راشد الخروصي وحواريِّيه وتابعيه، لا سيَّما في حديثه عن نزوى، بيضة الإسلام، واعتبارها مدينة مُقدَّسة لا تقلُّ أهميَّتها الرُّوحيَّة عن مكَّة المُكرَّمَة والنجف الأشرف ومدينتي قُمّ ومشهد في إيران، ناهيك عن قدس المسجد الأقصى، حيث تزور المَلائكة (كما جاءَ في النُّونية) رُفات أئمَّة الإباضية الرَّاحلين إدماناً منها على تلك المَشاهِد في حِلِّها وتعريجها، واصفاً ذلك بروح الشاعر المُتصوِّف:

حَيثُ المَلائِكَةُ اختلَّتْ مَشَاهِدَهُم ... لهَا عَلَى الحِلِّ وَالتَّعْرِيجِ إِدْمَانُ

أَرْضٌ مُقدَّسَةٌ قَد بُورِكَتْ وَزَكَتْ ... تَنْصَبُّ فِيهَا مِنَ الأَنوارِ مُعْنَانُ

ما طَارَ طَائِرُها للهِ مُحْتَسِباً ... لَهُ جَنَاحَانِ إِنقَانٌ وَعِرْفَانُ

---

(١) قدر ما نُشير، هنا، إلى انفتاح أبي مُسلم على أكثر من مذهب وطرح فكري عقديّ، نؤكد بأنَّهُ ظلَّ مُلتزماً بأصولِ وفروع مذهبه العقدي الذي تربى عليه؛ وهو الإباضيَّة. لكنَّ ذلك لا يمنع الباحث من تأويل، ومحاولة الوصول إلى أجوبة قد تُفصِحُ عن جوانب غامضة في مسيرته الفكريَّة والعقديَّة والشعريَّة، تاركين السُّؤالَ وجوابَهُ مفتوحين على كافة مصاريعهما، ولا نستسيغ القول ـ ناهيك عن الاعتقاد ـ بأنَّهُ رُبَّما أخذ بمبدأ الأغيار لمذهبه؛ رغم تأكيدنا ـ والشواهد مُلقاةٌ على قارعَةِ تُراثه الشعري ـ على استفادته من كافة المذاهب تديُّناً وتصوُّفاً.

وتأكيداً لما سبق لنا قوله في المتن أو الهامش؛ فقد كان عالماً وشاعراً مُتصوِّفاً لم يَنغلق في «حُدود المَذهَب الإباضي»، وإنْ ظلَّ مُخلصَ الوَلاءِ والوفاء له، لكنه انفتح على ما ارتأى أنهُ إرث معرفيٌّ حُقَّ له الأخذ مِنه، وإنْ كانت مَصادره الفكريَّة أشتات مَذاهب مُناوئة لمذهبه.

وما دفعه لذلك، في اعتقادنا الأكثر تواضعاً من الاعتقاد ذاته، هو بُلوغه مرحلة تصوُّف لم يَصِلها أشياخهُ ليَستثمرها خير استثمار في قصائده الاستنهاضيَّة، كما أسلفنا. وليس غريباً أن نرى ذلك مُتجلِّياً في قصائد أخرى تحيلُ إلى عُلوِّ مَراتِب المُتصوِّفة على «سَائر خلق الله»، مِمَّا يُؤكِّد ـ ليس اطلاعه على ـ بل تأكيده وتوكيده الواضح على ما قاله الشيخ الأكبر في فتوحاته المكِّية التي نجزم بتأثر أبي مُسلم بها، كما يرد في هذين ا لبيتين:

سُبحَانَ مَنْ أَوْرَدَ الأَرْوَاحَ أَبْحُرَهُ وَهَيَّمَ الأَنْفُسَ الوَلْهَى إلى اللهِ
سُبحَانَ مَنْ خَصَّ بالعِرْفانِ طَائِفَةً أَفْنَتْهُمُ كَلِمَاتُ اللهِ في اللهِ

وأيضاً في هذين البيتين، لا سيما البيت الثاني؛ فهو بيتٌ لافِت على الصَّعيد الشِّعري، في إيماءاته إلى يوم **العَرْض/ القيامة** حيث تمحي الظِّلالُ [يومَ لا ظِلَّ إلّا ظِلّه]. فشاعِرُنا لا يَكتفي بمشهد امِّحَائها بلْ يُصَعِّدُهُ إلى مَشهَدٍ مُفارق تتعَرَّضُ فيه الظِّلالُ/ الأفْياءُ أمام حَضرَة الخالِقِ ليكون التلاشي مَصيرها بعد انتساخها به، ولم يَبقَ مِن ضَوءٍ خَلا نورُهُ القُدسي:

تَجَلَّتْ على نَعْتِي نُعُوتُ جَلالِهِ كما أنَّهُ مِنها نُعُوتِي تَجَلَّتِ
تَعَرَّضَتِ الأَفْيَاءُ فانْتَسَخَتْ بِهِ ولم يَبْقَ إلاّ نُورُ قُدْسٍ وَوَحْدَةِ

ولمزيد من التأكيد، نجد أنه في إلهيّاته يذهب إلى ما لم يذهب إليه المُتقدِّمون في التجربة الصُّوفية العُمانيَّة المَحليَّة، كما في هذه الأبيات التي نلاحظ أنه ينحو فيها نحو اللامُتوقع: أي الضِّد، تصعيداً للقصدِ في قصِيده. إذ نراه عوضاً عن استخدام مفردة (العَدَم) للتعبير عن نقيض (الوُجود) يستخدم مفردة (الضِّدّ)، دونَ أن يَفوتَ نظرَتَه الكونية إشارته إلى أنَّ كُلّاً من الوجود والعدم ليسا، في حَقيقة الأمر، مُنتهى وُجُودِهما وعَدَمِه، بل وحدتين زمنيتين

محكومتين بما يدعوه في أذكاره: الكَرَّة الزمنيّة؛ الوِحْدَة الأمّ ـ المُتكَوِّنَة، بِدَورِها، من دَورات زمنية لا حصر لها:

وَيَـا أَوَّلَ قَـبْـلَ الـوُجُـودِ وَضِـدَّهِ وَقَـبْـلَ وُجُـودِ الـكَـرَّةِ الـزَّمَـنِـيَّـةِ
وَيَـا أَوَّلَ لَـم يَـنْـتَـسِـبْ لِـبِـدَايَـةٍ تَـنَـزَّهَ عَـنْ بَـذْئِـيَّـةِ الـقِـدَمِـيَّـةِ

أما في البيت التالي؛ فإننا نجد الشاعر وقد عَمَّقَ مَوقِفَهُ المَبدئي من موضوعة رؤيَةِ الخالق[1] على صعيدين: في الشطر الأول يُؤكِّدُ ظهورَ الخالق لـ«عَين الكَون» مِنْ غير رؤية، وفي هذا إعلاء شِعريٌّ وفلسفيٌّ من خلال اجتراحه المُوفَّق لمَنحوته الأخاذة: «عين الكون» في دَحضِها لجُزئية العين البشرية ومحدوديَّة مجال رؤيَتها. فأحَدِيَّة الواحِد الأحد ظاهرة في ابتدائه وأحَدِيَّته المُتعاليتين على مَذاهب القائلين بالرُّؤية:

ظَـهَـرْتَ لِـعَـيْـنِ الـكَـوْنِ مِـنْ غَـيـرِ رُؤيَـةٍ وَغَـيـرِ ابْـتِـدَاءٍ ظَـاهِـرِ الأَحَـدِيَّـةِ

إلى جانب تلك الجَماليَّات الكلاسيكيَّة اللافتة في شِعريَّته، خصوصاً في إلهيَّاته ومدائحه النبويَّة، لا بُدَّ أنْ تلْحَظ عَينُ قارئه أسلوبيَّة فريدة في تطويعه لقافيته عبر استخدامه لـ«وَقَفات» غير مطروقة في غالبية الشعر العربي الكلاسيكي، كما هو الحال في هذه الإضمامة من الأبيات التي أوْقفَ قافيتها على «ألْ» التعريف المُمَوضَعَة، عن قصد، في نهاية كُلِّ شطر، دافعاً المُفرَدة (المُفترض أن تنتهي بها تقفية البيت) إلى بداية الشَّطْر التالي. وهو أسلوبٌ طوَّرتهُ، لاحِقاً، تجربة الشاعر الفلسطيني الرَّاحل محمود درويش تخلُّصاً من القوافي النَّافِرة إدغاماً وإضماراً لها في متن البيت الشعري؛ فيما بدا تفريطاً مُتقصَّداً من الشاعر بعُلوِّ النَّبر في آخر البيت:

---

(١) في اعتقادي أنَّ موضوعة رُؤية الخالق بعد عُبور البرزخ، من عدمها موضوعة شيِّقة، وأعتقد أن المذهب الإباضي رُؤيوياً وفلسفيّاً في مصادره القديمة؛ يتقدَّمُ طرحاً مُستنيراً على المذاهب المُناوئة له من مذاهب السُّنة، ربَّما لمَتحِ أسلاف أشياخ المَذهب المُبكِّر مِن فِكر المُعتزلة. وأعتقد أنَّ هذا الرُّكن العقدي في المذهب الإباضي ـ كما هو الحال لدى الشِّيعَة ـ خصيصة جذابة تستحقُّ التنويه والإعجاب؛ اتفاقاً مُضمَراً، وليس اختلافاً معها بالتأكيد.

إلى بَابِ جَبَّارِ السَّمَوَاتِ غَالِبِ الـ |جَبَابِرِ ذِي البَطْشِ الشَّدِيدِ المُرَاقِبِ الـ

أُمُورِ ومَنْ يَقْصِدْهُ لِلأَخْتِما قُبِلْ | إلى بَابِ وَهَّابِ المَمَالِكِ قَالِبِ الـ

كَرَاسِيِّ قَهَّارٍ لِكُلِّ عَنِيدِ

والحقيقة أنَّه كان بإمكاننا الإتيان بشواهد مُماثلة لإثبات وجهة نظرنا التي ذهبنا إليها في تحليل رُؤيَته الشعريَّةِ الباذخة، ناهيك عن آرائه التصوُّفية العميقة ودلالاتها الجَماليَّةِ الطاغية، ليس على إلهيَّاته ومدائحه النبويَّة، وإنما في كثير من أغراض شِعرهِ الأخرى، لكننا نُؤثر الإكتفاء بهذا القدر.

[٩]

قاضٍ لسُلطان ونَصيرٌ لإمام

(Persona non grata)(*)

من المُفارقات المُثيرة لذهول المُفارقة (قبل إثارتها لحُدود الجَدَل) في شخصية أبي مُسلم وانفرادها الذي لم يَتأتَّ لكثيرين استيعابها وفهمها؛ هو أنه كان قاضياً لسُلطانٍ في **زنجبار** ونصيراً لإمام في **نزوى**؛ عاصِمَةِ الإمامة. أتحدثُ، هنا، عما بدا لي غموضاً تحقيبيّاً لفترة مُتأخرة من حياته، إثر

(*) Persona non grata تعبير لاتينيُّ الأصل شاع استخدامه في اللغة الإسبانية، ويعني حَرفيّاً: **«شخص غير مرغوب فيه»**. وهو تعبير عادة ما يُستخدم في أروقة وزارات الخارجية، إشارة إلى الدِّبلوماسي الذي لم يَعد مرغوباً فيهِ لنشاطه التجَسُّسي في الدَّولة المُضيفة. وقد صَعَّدَ نطاق استخدامه الشاعر الفلسطيني سميح القاسم حين وَسَمَ بهِ إحدى مجموعاته الشعريَّة، تأكيداً منه على مُكابدة الفلسطيني (غير المرغوب فيه) من الأعداء مُغتصبي وطنه، ومن العرب؛ بَني جلدته! وبدورنا نستخدمه مُفتتحاً لهذا الفصل تعبيراً مُحزناً عَمَّا آلتْ إليه أحوالُ أبي مُسلم **«شاعر العرب»** في أواخر أيامه في زنجبار، ومحاولاته العودة إلى وطنه عُمان ليُدفن فيه، لكنهُ حُلمٌ لم يتحقق رغم توسُّلهِ للإمام محمد بن عبدالله الخليلي الذي لم يلتفت إلى توسُّله في قصيدتين مُثبتتين ضمن هذه الآثار.

مُناصَرته للإمام سالم بن راشد الخروصي[1]، إمام المُسلمين الذي أسِف

(١) **إشارة تاريخية**: كان وَعْيُ أبي مُسلم بأهميّة المُنجز التاريخي لثورة الإمام سالم بن راشد الخروصي ودورها في لم شتات الشعب العُماني بعد انقطاع الإمامة نحو نصف قرن (بعد إمامة عزان بن قيس)؛ ـ أقولُ كان وَعيهُ لافتاً بحدَّته التي لم تتجَلَّ في مُنجز مدائحه المُؤسطرة لتلك الثورة ولذلك الإمام؛ بل في تصوُّره العميق لهيكل وأساس وعماد قيام دولة الإمامة، وفقاً لخلاصات توصَّلَ إليها أبو مسلم خلال إقامته في زنجبار واطلاعه على دساتير الأمم الناهضة لتوِّها من نير الإستعمار، فكتب رسالة مطولة إلى الإمام سالم بن راشد الخروصي يحثه فيها على تخليص دولة الإمامة من معوقات الجهل بمعطيات العصر، والإتكاء على حذافير مقولات السلف الصالح، كما وصلت تعاليمها إلى عُلماء المذهب. وهي المُعوقات التي أطاحت ـ كما رأى أبو مسلم ـ بسابقاتها من تجارب إمامات الحق والشورى التي فشلت بسبب عدم فهمها للجدل التاريخي الذي أفرزته معطيات عصر الاستعمار، وما يستدعيه من تثوير جذري في بُنية الخطاب المُؤسِّس لتجربة الإمامة اليافعة، لذلك أرسل أبو مسلم رسالته المطولة آنفة الذكر، لتكون بمثابة ضوءٍ يهتدي به الإمام الجديد في ظلمات مسيرته الوعرة، لا سيما في بلد تحكمه عصبية القبيلة، أكثر من احتكام نُخَبِهِ على مبدأ الشورى المُستمَد من ناصع تجربة الخلافة الراشديّة. **اقتباس**: يقول أبو مُسلم ضمن فقرة من رسالته المطولة إلى الإمام سالم بن راشد الخروصي: «وعسى الله يَمُنُّ علينا بتوسيع الدَّولة، وقرار الأمور على قواعدها، فتتمكنوا إن شاء الله من اتخاذ مطبعة لبيت مال المُسلمين تُنشَرُ فيه كُتبُ المذهب، والنشرات العربية الدينية، وذلك يَسهُلُ عليكم، إن شاء الله، بمخابرة الشيخ الشمَّاخي، أيده الله، في مِصر. هذا وأحثكَ سيدي على فتح المدارس العلمية في بلادك، وحَثِّ أهل الخير على التبرُّعات في سبيل هذا المشروع العظيم، فإن مِصرَكَ لم يسقط هذه السقطة العظيمة إلّا من جهة الجَهل، والجهلُ أمُّ المصائب في الدين والدُّنيا، وبودي لو ساعدني العُلماء هناك على الرَّأي الذي أراه، وهو جواز جَبر الأولاد على التعلُّم، وهي لعَمري مصلحة عظيمة في الأمَد، ثم تجعل نفقة الفقراءِ منهم على بيت المال، ونفقة أبناء الأغنياء على آبائهم، وهي طريقة سياسيَّة دينية تدلُّ عليها أصول من الكتاب والسُّنة. وبقاؤكُم على تعليم الجَهَلة على اختيار الآباء لأبنائهم مُضِرٌّ جداً بالأمَّة لا يتقدَّمُ بها شبراً عن مركزها في الجُمود، ولو تركت الأُمَم الرَّاقية على جُمودها في الظلمة والجهل، ولم يزعها وازع قسريٌّ من جهةِ الحكومات؛ لما بلغت مبلغها من التقدُّم في العصر. وأحقّ ما يكون بالايزاع والقسر هي العُلوم الإسلامية التي تخرج بها الأُمَّة من الظلمة إلى النور، ومن الرَّذالة والنقص إلى الفضيلة والكمال. فاجهد جهدك مولاي في هذه الخطة، واجمع خِيار المُسلمين وعلماءهم، وزعماء القُرى والبلاد، وألزمهم بالنهضة العِلميَّة، وأقِم لهم الخُطباء في الجُمَع والمحافل والمجتمعات يحثونهم على هذه النهضة». **ملحوظة**: راجع ملحق الصور والوثائق.

الشاعرُ كثيراً على تعثره في مُناصرته بالسَّيف كما ناصره بسيف القلم[1]. والحقيقة أنه عَبَّر عن أسَفه ذاك في مَتن شعره، وفي نونيَّتِهِ الفارقة[2]؛ لأنَّهُ لم يتمكن من مُناصرته بالسَّيفِ إلى جانب القلم، مُتحسِّراً على ما اعتبره أقلَّ القليل مِمَّا جادت به يده، قلمه بالأحرى: قصائده[3] التي أبقت الشاعِر حَيّاً في ذاكرة العُمانيِّين، وإنْ تناسوا إمامهم[4] العادل ـ مَمدوحَهُ الاثير سالم بن راشد

---

(١) **أمثولة السيف والقلم**: «ميشيما بين «بُو» و«بُون» ـ «طالما سأموت لا بصفتي رجل أدب، وإنما بصفتي عسكرياً خالصاً، أُحبُّ أن تُضافَ كلمة السَّيف ـ بُو ـ إلى اسمي البوذيّ. وليس من المُهم أن تظهر كلمة قلم ـ بُون ـ». . . (من وصايا الكاتب الياباني ميشيما، مؤلِّف «**اعترافات قناع**»، قبل انتحاره بالهاراكيري). ووصيَّة ميشيما هذه؛ كانت توطئة لقصيدة قصيرة جداً كتبها الشاعر العراقي **سركون بولص**، عنوانها: **ميشيما بين «بُو» و«بُون»**: «هذا ما اعترف به قناعُ يوكيو ميشيما: السَّيفُ أصدقُ إنباءً من الكُتب / لكنَّ الشمس غداً / سَتشرِقُ كالمُعتاد / لتكتبَ كلمةً أخرى / في هذا الكتاب».

(٢) كلما قرأتُ **نونيَّة** أبي مُسلم، اعتقدتُ بأنها آخر مُعلَّقةٍ تليقُ، ظَعناً، بجاهليَّةِ القرن العشرين.

(٣) ورد في نهايات قصيدته النونية هذا البيت: «**تِلْكُم وَصِيَّةُ حَسَّانٍ لَكُم ثَبَتَتْ | فَإِنَّني اليومَ للإسْلام حَسَّانُ**». وهي إحالة من أبي مُسلم إلى الشاعر حسان بن ثابت، تتضمَّنُ ـ كما لاحظ مُراجعُ الآثار ومُدققها ـ لفتة عبقرية من أبي مُسلم؛ ذلك أنَّ حَسّاناً كان مُنافحاً عن الإسلام بلسانه وشعره، في حين كان باقي الصحابة يتبارون في تقديم دمائهم سخية في سبيل الله، فكأنَّ أبا مُسلم في عجزه عن نصرة الإمام بالفعل والجهد البدني، مُكتفياً بنظم الشعر، تماماً كحالة حَسّان ابن ثابت الذي اقتصر دوره على نظم الشعر. راجع شرح **النونيَّة**.

(٤) في مقاله آنف الذكر؛ يروي الأستاذ أحمد الفلاحي عن رسالة أبي مُسلم إلى الإمام سالم بن راشد الخروصي ما يلي: «لقد اطلعنا على رسالة مخطوطة مطولة كان قد وجهها [أبو مُسلم] إلى الإمام سالم الخروصي تحمل أفكاراً حديثة ورؤى عصرية فيما يتعلق بإدارة الدولة وتنظيمها والدعوة إلى الاعتناء بالتعليم وإلى إنشاء مطبعة في عُمان، وفيها يذكر أنه نشر مقالة في جريدة الأهرام تتحدث عن تلك الدولة وعن الأوضاع العُمانية حينئذ؛ مما يدل على معرفته بمِصر وصلته برجال صحافتها مما أتاح له النشر في **الأهرام**، وهي من أهم الصحف المصرية يومئذ، ولعل صلاته بمصر جاءت عن طريق صديقه الأستاذ عبدالباري العجيلي الذي استقدمته زنجبار من مصر ليكون مدرساً بالمدرسة الحكومية فيها بالإضافة إلى الشيخ الشمَّاخي الذي ذكره في رسالته إلى الإمام سالم، ولعل مصر عرفته أيضا من خلال جريدته «النجاح» التي صدرت عام ١٩١١ وكانت تصدر ثلاث مرات في الشهر».

الخروصي إثر اغتياله[1].

ولَعَمْري؛ إنْ هي إلّا مُفارقةٌ فارِقة في حَياة أبي مُسلم، كما في شعره، نستطيع تلمُّسَها، بل تشريحها النفسي ـ إن صَحَّ التشريحُ والمُبالغة ـ ليس بمِبضَع نقد ساد بأسئلته وأدواته، وإنما بكشوفات رائد علم النفس سيغموند فرويد Sigmund freud فيما تتناهى إلينا أصداءُ ديمومةِ إلحاحه على قراره (الذي لم يكن تنفيذه باختياره) كي يعود إلى عُمان (وقد أشرف على السِّتين) ليُناصِرَ إمام المسلمين سالم بن راشد الخروصي الذي كال له مديح العدالة والإنصاف في «النونية» و«الميمية» على وجه الخصوص، ضمن استنهاضه لشتات قبائل شعبه المُتناحرة في «هناوِيِّها وغافريِّها»، تماماً كما تناحرت قبائل «عبس وذبيان» في سالف الأزمان، التي لم ينسها الشاعرُ فيما يُشير إلى تلك الضَّغائنِ والحَزازاتِ، لا سيما في أبيات «نونيّته» المُتعلقة بالصِّراع العَبَثِي بين «بني رواحة» و«بني جابر»:

وَأَيْنَ حُلقُومُ ذَاكَ المُلْكِ، مِغْصَمُهُ ... «سَمَائلٌ»، فَهيَ لِلسُّلطَانِ سُلطَانُ

وَأَيْنَ عَنْ أَجْرَبَيْهَا مَنْعُ بَيضَتِهَا ... وَالأَجْرَبَانِ بَنُو عَبْسٍ وَذُبْيَانُ

[١٠]

«المَنفى أفضلُ وسيلة لضمَانِ الوفاء للوَطَن»

لا نريد الإيغال، في هذه المُقدِّمة، لتوضيح وشرح ظروف الشاعر، لا سِيَّما بعد انكفاءِ كُلٍّ من حمد بن ثويني وعلي بن حمود (مَمدوحَيه الأثيرين، من سلاطين آل سعيد في زنجبار)، لكننا نستطيع التأكيد بأنه عانى الأمَرَّيْن ـ فيما كان يَقذفُ بحِمَمِ إشاراته وتلميحاته النافذة في قصائده الاستنهاضية ـ رغم

---

(١) **ملحوظة**: من المفارقات اللافتة، في هذا السِّياق، أنَّ ما أبقى الإمام سالم بن راشد الخروصي حَيّاً لا يُنسى في ذاكرة العُمانيِّين هو «نونيّة» أبي مُسلم، أكثر مما فعله قومه الذين «ناضلوا» بسيوفهم ومكانتهم القبلية نُصرةً لإمامته بقُلوبِهم القُلَّب.

بقائه تحت سُلطة سلاطين زنجبار الأضعف من الضَّعف ذاته إثر رحيل مؤسِّس السَّلطَنَتين سعيد بن سلطان[1]، وانقطاعهم في جزيرة زنجبار، بل انفصالهم السِّياسي والاجتماعي عن الأحوال السِّياسية في كُلٍّ من **«سلطنة مسقط»** و**«إمامة عُمان»**، بسبب من التأثير المباشر وغير المُباشر لضغوط الإمبراطورية البريطانية التي تابعت أجهزتها النافذة نشاطهُ فقيهاً وقاضياً لدى سلاطين زنجبار المَغلوبين، حقيقةً، على أمرهم، تماماً كما لم يَخفَ على دوائر مُخابرات مُستعمراتها نشاطه المُوازي في مُؤازرته لإمامٍ لا تقع سُلطته في دائرة نفوذهم. فقصائده الاستنهاضية استدعت الحذر من شخصيته وتأثيرها العارم في كافة أرجاء عُمان.

لذلك عانى أبو مُسلم، كما يُشرِّحُ حالتهُ د. محمد المحروقي في دراسته: **«مِنَ الاغتراب الشديد أثناء وجوده في زنجبار. اغتراب مكاني واغتراب فكري، وقد تعمّق لديه هذا الشعور في أواخر عمره، لا سيما بعد مُبايعَة الإمام سالم**

---

(١) في كتابه **«عُمان منذ ١٨٥٦ مسيراً ومصيراً»** يروي جيرار روبرت لاندن ما يلي: «لقد مزقت وفاة السيد سعيد بن سلطان سنة ١٨٥٦ غلالة الاستقرار التي كانت تحجب مواطن الضعف في الامبراطورية العُمانية. فالدولة العريضة الشاسعة التي امتد نفوذها من بُحيرات إفريقيا الوسطى غرباً حتى مشارف شبه القارة شرقاً، كانت في حقيقتها انعكاساً لموهبة وشخصية رجل واحد هو السيد سعيد بن سلطان. وعلى الرغم من أن الشطر الإفريقي من هذه الامبراطورية قد بُعث من جديد، إلا أن الأعوام الخمسة التي أعقبت وفاته قد شهدت تداعي البناء السياسي الذي كان يستند عليه الحُكم المُعتدل في عُمان. وعلى أي حال، فلم يكن في مقدور أي إنسان حتى لو كان في مستوى السيِّد سعيد أن يحول دون الكوارث التي ألمّت بعُمان ما بين سنة ١٨٥٦م وسنة ١٨٧١م. كما لم يكن في مقدور أي حاكم عُماني أن يمنع تسرب النشاط الاقتصادي الحديث ووسائل المواصلات الحديثة إلى المنطقة الغربية من المحيط الهندي والخليج في السّتينات من القرن التاسع عشر، أو أن يُغيّر من الاعتقاد بأن المؤسسات الملاحية القديمة في الخليج قد استنفدت أغراضها بعد ظهور السفن البخارية في المياه العربية. ومع ذلك فإن انتشار هذه التكنولوجيا الحديثة، كان السبب في تدهوُر النشاط التجاري والملاحي القديم في المنطقة، وتقويض الأسس الاقتصادية التي كان يعتمد عليها الجهاز السياسي الإباضي المعتدل».

الخروصي، فصار يَحنُّ إلى معاهده الأولى، حنين الإبل إلى مواطنها، ويتشوق إلى مُناصرة الإمام، غير أنه لا يستطيع أن يحقق شيئاً من ذلك فقد فُرض عليه القيام الإجباري بـ(زنجبار)»[1].

لكنَّ المؤسِف أنَّ أبا مُسلم لم يُشِر إلى ذلك الوَضع [صَرَاحَة]، رغم إشاراته المبثوثة بالشكوى في قصائده [تلميحاً] يُشيرُ بقوة إلى تلك الصَّراحة ولو مُواربة. وبدورنا، فنحن نعتقد أنهُ تقرَّبَ من سلاطين زنجبار (الخاضعين، بدرجات مُتفاوتة بين سُلطانٍ وآخر، لسُلطة النفوذ الإستعماري البريطاني في تلك الجزيرة) بُعيدَ انفصالها عن السلطنة الأم، لكنه تعهد على نفسه، كما يبدو، عدم العودة إلى عُمان مع اشتراط بقائه مُكرَّماً مُعزَّزاً في زنجبار من قِبل سلاطينها المُتعاقبين عليها، خصوصاً حمد بن ثويني وعلي بن حمود. وهو تَعهُّدٌ، كما يبدو، أُلزِمَ أو أُجبر على القبول به، ليُلزِم به نفسه تجاه من ارتأى في بعضهم ـ لا سيما السيد حمد بن ثويني وعلي[2] بن حمود ـ أهليَّتهم لحُكم

---

(١) راجع، بهذا الخصوص، في **المصادر والمراجع** كتاب م. المحروقي: أبو مُسلم البهلاني، رائداً.

(٢) يُؤكد ناصر بن عبدالله الريامي في مُؤلفه: «**زنجبار، شخصيات وأحداث**»، ص ٣٤١ على التالي: «الأخبار المتوارثة جيلًا بعد جيل، تشير إلى أن السَّيد علي بن حمود كان ذا بأس شديد على الإدارة الإنجليزية؛ لاستنكاره لحقيقة خُضوع بلاده لسلطة الاستعمار؛ فكان فظّاً في التعامل، ليس مع الموظفين الإنجليز العاديين فحسب، وإنما مع القنصل العام البريطاني أيضاً. ومن الروايات المتواترة حتى يومنا هذا، **أنه أمر القنصل، ذات مرة، في محفل من المحافل، أن يجثو أمامه ليربط له خيط حذائه، قاصداً إهانته**. ما كان لسلطة الاستعمار أن تقبل هذا الوضع، بطبيعة الحال؛ فأجبرته على التنازل عن العرش. ولتغطية هذا التصرف المُريب جماهيرياً؛ أصدرت بياناً، أوعزت فيه هذا التنازل، إلى «الظروف الصحية» التي ألمَّت بالسلطان. إلا أن العالمين بشخصية السيد علي بن حمود القوية، والواقفة موقف النِّد لسُلطة الاستعمار؛ وكذا المدركين ببواطن السياسة البريطانية، فطِنوا، منذ الوهلة الأولى، أن الأمرَ لا يخرج عن كونه سياسة من سياسات القهر والإجبار الاستعمارية؛ وممارسة الإدارة الإنجليزية لصلاحياتها في تعيين واستبقاء من يروقُ لهم لحكم البلاد؛ فقرَّرت تنصيب السيِّد خليفة بن حارب بن ثويني، زوج أخت السيِّد علي بن حمود، سُلطاناً على عرش زنجبار.=

الرَّعيَّة في زنجبار بعدالة[1] «افترضتها» مَوَازينُ تلك الأزمان. ورغم أنه عايش خمسة حكام، كما يُشير المحروقي[2] إلا أنَّ المديح لم يَكُن ديدنه، وكانت مدائحه تحديداً في السيد حمود بن علي تتفق ورؤية أبي مُسلم لصورة «الحاكم العادل»، كما كان يراه أو كما كان يختزل رؤيته لمثال الحاكم العادل[3] الذي

=وللأمانة، فإن الثابت التاريخي يشير لنا إلى أن السيد علي لم تكن صحته على كلِّ حال؛ فتصفه السيدة سالمة بأنه كان ضعيف البنية، رقيق الصحة، مُصاباً بصرع خفيف، ولم يكن ميالًا إلى الأبّهة أو العظمة».

(١) لا نرى مُسوِّغاً يدعونا لافتراض تلك «العدالة» التي افترضها الشاعر، لكننا نحاول تشريح وتوضيح موقف أبي مُسلم الصَّارخ بتناقضه؛ كما أفصحت عنه مُبالغاتُ مدائحه لسلاطين زنجبار الذين أكسب بعضهم صفات تأليهيَّة لا تُنصِفُهُ شاعراً، كما لا تُنصِفهم سلاطين جُور أو سلاطين عدالةٍ نضحت بها مدائحه، خاضِعين خانعين كانوا لسُلطة الإمبراطورية البريطانية العُظمى، أم مُتمرِّدين عليها، كما هو الحال، وفقاً للرِّوايات التي تُروى، كالسيِّد علي بن حمود، ممدوح أبي مُسلم.

(٢) عايش أبو مُسلم خمسة من سلاطين زنجبار بعد انفصالها عن **«السلطنة الأم»** في مسقط؛ وهم على التوالي: ١ ـ برغش بن سعيد بن سلطان [١٨٣٧ ـ ١٨٨٨م]، ٢ ـ خليفة بن سعيد بن سلطان [١٨٥٢ ـ ١٨٩٠م]، ٣ ـ علي بن سعيد بن سلطان [١٨٥٤ ـ ١٨٩٣م]، ٤ ـ حمود بن محمد [١٨٥٣ ـ ١٩٠٢م]، ٥ ـ علي بن حمود [١٩٠٢ ـ ١٩١١م] ـ راجع: دراسة م. المحروقي **في المصادر والمراجع**، ص: ١٤٢. **ملحوظة**: لا نعرف لم أقصى د. **محمد المحروقي** من دراسته ذكر معايشة أبي مُسلم للسيد خليفة بن حارب بن ثويني (١٩١١ ـ ١٩٦٠م)، وإن كان أبو مُسلم قد تقاعد من عمله في القضاء حين آل عرش زنجبار إلى السيد خليفة بن حارب بعد إقصاءِ (أو تنحِّي علي بن حمود الطوعي عن الحُكم)، كما لا نفهم كيف استثنى مُعايشة أبي مُسلم للسيِّد حمد بن ثويني الذي حكم زنجبار في الفترة بين (١٨٩٣ ـ ١٨٩٦م)، لا سيما أنه أهم ممدوحي أبي مُسلم إلى جانب السيِّد علي بن حمود!

(٣) في الحقيقة أننا نختلف كُلياً مع ما أورده **محمد المحروقي** في دراسته تلك، لأنَّ أبا مُسلم وَرَّط نفسه في مدائحه لكُلٍّ من حمد بن ثويني وعلي بن حمود، لدرجة الإسفاف الذي لا يليق بمكانته شاعراً، قاضياً، مُتصوِّفاً ورائياً ما كان عليه استعارة قاموسه الذي استخدمه في إلهيَّاته ومقصورته ليسبغه، دون أدنى مُبرِّر على مَمدوحَيْه اللذين (مهما بلغت مكانة «عدلهما» المُتوخى)، لم يكُن أيٌّ مِنهما مُستحقَّاً لمديح أبي مُسلم. وفي اعتقادنا أنَّها سَقطةُ الشاعر الكبير ومَثلبَته التي لا تُغتفر.

وجده لاحقاً في شخص وإمامة «العاصِم الكافي» سالم بن راشد الخروصي.

لكنه اعتقادٌ يَنتقِضُ، هو الآخر، بالنسبة للمُتتبِّع لأحوال أبي مُسلم بين «رخاءٍ» عاشه هناك، وبُؤس عَيشٍ وحَنينٍ للعَودةِ تشفُّ عنه قصائده المُستنهِضة لشعبه، بعد أن لم يستسغ عيشه هناك، لا سيَّما في أواخر أيامه، رغم مكانته الاعتباريَّة والمَعنويَّة قاضياً ورئيساً لقُضَاةِ زنجبار، سواء تفرَّغ (أو أُعفي مِن منصبه) ليُكرِّسَ أواخر أيامه للتأليف، كما تشير بعض المصادر بغموض لا يجعل المُتتبِّع تلك المرحلة المُتأخرة من حياته واضحة في ذهن الباحث ليقول فيها القول الفصل، لا سيَّما الفترة اللاحقة لرحيل [أو تنازل] السلطان علي بن حمود[1] إلى المنفى.

---

(١) كما يُؤكد الرِّياحي في مُؤلفه: «زنجبار، شخصيات وأحداث، ص ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤ على ما يلي من أسباب (عزل)، وليس اعتزال السيد علي بن حمود: «عدم تصديق العرب لاعتزال السيد علي بن حمود لم يأت من فراغ، فالمعروف أن السيد علي، وعلى الرغم من تأثره بمظاهر الحضارة الأوروبية الحديثة، وما بذله من جهد جهيد لتمتيع بلاده ورعيته بتلك المظاهر؛ إلّا أنه، في الوقت ذاته، أبدى تجاوباً شديداً مع حركة الجامعة الإسلامية التي أعلنها السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦ ـ ١٩٠٩م) مما كان مثاراً لقلق سلطة الإدارة الإنجليزية، من أن تنتشر تلك الحركة في زنجبار. زاد هذا القلق تعمُّقاً عندما لوحظ عليه مُؤازرته للسلطان عبد الحميد في نشر أفكار الجامعة الإسلامية في فرنسا، حيث أوفد ابن تاجر قُمْريٍّ من أصل عربي، يُدعى سالم القُمْري ـ كان يعمل في خدمته ـ أوفده إلى فرنسا، بالتنسيق مع المُخابرات الفرنسية، لإصدار صحيفة إسلامية للدعاية لفكر الجامعة. ومما يُذكر، فإنَّ الزيارة التي قام بها السيد علي [بن حمود] إلى الآستانة في عام ١٩٠٧م، والاستقبال الحافل الذي لاقاه من السلطان عبد الحميد، والذي تُوِّجَ بتقليده أعلى وسام في الدولة، الوشاح العُثماني الأعظم؛ زاد من شكوك الإنجليز تجاه نوايا السيد علي وتوجُّهاته. ازداد هذا الوضع سوءاً في عام ١٩١١م، إذ لم يتجاوب للدعوة التي وُجِّهت إليه لحضور حفل تتويج جورج الخامس ملكاً على بريطانيا، واكتفى بإيفاد صهره، السيد خليفة بن حارب، لينوب عنه في ذلك الاحتفال العظيم. فكرة تعرُّض السيد علي للعزل، التي كانت مسيطرة على عقيدة عرب زنجبار، تأكَّدَ لنا صحتها، وذلك من خلال الإطلاع على وثيقة تاريخية نادرة، عبارة عن رسالة مُوجَّهة إلى السلطان السيد علي بن حمود، من السير إدوارد=

إلى جانب تلك الأسباب غير المُتزَّخة، للأسف، من تتابع ضغوط الإنكليز إلى جانب تضاؤل مَصدر عيشه بعد تقاعده، فضلًا عن كرمه الذي اشتهر به، نستطيع استشفاف سبب مُوازٍ بإمكاننا تلقفه مِنْ مُتون قصائده:

كانتْ روحُهُ هنا في **غُبَيْرَاء الأَيْمَة**، وليس في زنجبار الوادعة باخضرار طبيعتها وسُكونها الآسِر. ورغم أنهُ لم يَكُنْ في منفى بالمعنى المعهود، لكنَّ مكانته فرضتْ عليه أن يكون ذلك المَنفيَّ، شاءَ أم أبى ـ رغم أنه كان، آنذاكَ، في رُقعةٍ وبُقعة جغرافيةٍ لم تكُن لتتجزأ عن وطنه، فيما لو استعرنا مَفهوماً كُولونيالياً لجَريرة المُواطنةِ بمقاييسِ تلك الأزمان.

مع ذلك، نستطيع المُجازفة، في هذه المُقدِّمَة تعبيراً عن أسلوب حياة أبي مُسلم في جزيرة زنجبار، ونحن نستعيد مقولة الكاتب الأرجنتيني **خوليو كورتاثار** بعد رحيله من بوينس آيريس في ١٩٥١ إلى باريس: «**كان المنفى أفضل وسيلة لضمان الوفاء للوطن**»[1].

نُجازف بعبارة كورتاثار تلك، رغم أنَّ أبا مُسلم، آنذاك، لم يَكُن مَنفياً (بالمعنى التقليدي للمَنفى)، لأنهُ كان يَعيشُ في بحبوحة واحدة من «مُستعمرات» «وطنه»، إن صَحَّت المُجازفة بغُلوِّ التعبير في الأثافي الثلاث: **جزيرة زنجبار**، سلطنةٌ فُصِلَت عن توأمِها ٢سلطنة مسقط، **وعُمان إمامةٌ** حَاولَ

=جُرِي Sir Edward Grey وزير المُستعمرات البريطانية، بتاريخ ١١/ ١٠/ ١٩١١م، وردت فيها إشارةٌ صريحة إلى السلطان تقضي بضرورة تقديم استقالته، وتتعهد الحكومة البريطانية في المُقابل بدفع أجر سنوي له مقداره ألفا جنيه إسترليني، لإعاشته وكذا عائلته، شريطة تقديم تعهد بعدم العودة إلى سلطنة زنجبار (جزيرتي زنجبار «أونجوجا» وبيمبا) دونما الحصول على إذن مسبق من حكومة جلالة ملك بريطانيا».

(١) **مُفارقة طريفة**: لقِيَ شاعرُ بلاط لدى أحد السَّلاطين فيلسُوفاً يلتقط الأعشاب ليأكُلها، فقال له الشاعر: **لو خدمتَ المُلوكَ لم تحتج إلى أكل الحشائش**، فردَّ عليه الفيلسوفُ قائلًا: **وأنتَ لو أكلتَ الحشائش لاستغنيتَ عن خدمة الملوك!** ويبدو أنَّ أبا مُسلم استطاع التوفيق، على نحو ما، بين المسألتين!

«أئِمَّتُها الرَّاشدون»، آنذاك، إعادة الحياة اليومية إليها، كما عُهِدَت في زمن كُلٍّ من أبي بكر الصدِّيق وعُمر بن الخطاب.

[١١]

إشارات حول شُروحَات المَقصُورة والنونيَّة

كان الهدف الأساس من إعادة تقديم **الآثار الشعريَّة** لأبي مُسلم البهلاني قبل نحو ثلاث سنوات هو إعادة تقديم طبعة دمشق، ١٩٨٦ مُنقحةً ومَضبُوطةً بالتشكيل في حُدُودِهِ الدُّنيا. والحقيقة أنها الطبعة، التي تُعتبر حتى ذلك الحين، أفضل الطبعات[١] المنشورة، لديوان أبي مُسلم.

وكانت رغبتي إعادة تقديمها مضبوطة ومُشكَّلة في حُدودها الدُّنيا. لكنني اكتشفتُ، خلال العمل على ديوانه، أنني أذهبُ بعيداً عن ذلك المطمح الصَّغير آنذاك؛ فوجدت نفسي أقضي وقتاً طويلًا في تشكيلِ المُستعصي من أبيات قصائده، لأجد نفسي شارحاً لبعض المُفردات التي جزمتُ أنها مُستغلقة على القارئ العادي غير المُتضلِّع في المُنقرض تداولًا من مُتون الفصحى، ليس ذلك فحسب؛ فقد وجدتُ نفسي أشرحُ، في بدايات اشتغالي على هذا المشروع، بعض الأبيات اللافتة على الصَّعيد الشعري والجمالي والفني. لأكتشف أن عالَمَ أبي مُسلم أبعد غوراً من منهج اشتغالي المُبسَّط على آثاره

---

(١) في الخلاصة التي انتهى إليها **محمد المحروقي** في دراسته عن مصادر شعر أبي مُسلم البهلاني المخطوطة منها والمطبوعة، توصَّلَ [ص ٥٩] إلى الملحوظات التالية بخصوص طبعة ١٩٨٦: «(أ): حققها عبد الرحمن الخزندار. (ب): أقرب الطبعات إلى صورة الأعمال الكاملة لإنتاج أبي مُسلم الشعري. (ج): يبدو أنها جاءت تحقيقاً للوعد الذي وجدناه في خاتمة طبعة ١٩٥٧م، وذلك ما تؤكده الأمور التالية: (١): تكرار المقدمة الدراسية ذاتها في الطبعتين، وكذلك الخاتمة. (٢): اعتناء الأمير صالح الحارثي بإخراج الطبعتين. وقد كان الوعد في طبعة ١٩٥٧م بتقديم مختارات من شعر أبي مُسلم، ويبدو أنه تم العُدول عن ذلك إلى محاولة إخراج أكبر كمٍّ من شعر أبي مُسلم».

كُلما تبحَّرتُ في مُبتَدَعِهِ الإبداعي، فعزمت على شرح **النونيّة** كاملةً بحُكم أهميتها وذيوعها وانتشارها بين العُمانيّين وغيرهم مِن مُحبّي شِعره.

والحقيقة أنَّ النُّونيّة تمكَّنت بذلك الذيوع أن تحجب كثيراً من شِعر أبي مُسلم، رغم ذيوع **المقصورة والميميّة والعَينيّة والنهروانيّةِ** إلى جانب قصيدته الفارقة تلك؛ إلّا أنَّ اكتساح النُّونيّة للذائقة والذاكرة الجَمعِيّةِ لمُحِبّي أبي مُسلم كافَّةً؛ لم تُتِحْ الفرصَةِ لظهور وتجلّي انفراداتِ روائعه الأخرى. لذلك بدأتُ في شرح بعض أبيات النهروانيّة[1]، دون استكمال شرحها بيتاً بيتاً، لأنها قصيدة من الوضوح بحيث لا تستدعي ذلك الجُهد، لولا بعض الإشارات التاريخية اللافتة حول موقعة النَّهروان. لكنَّ المُعضِلة التي واجهتني حقيقةً كحجرة صمَّاء هي قصيدته **المَقصورة**، لولا أنَّ أحد الأصدقاء أسعفني بنسخة مُصوَّرة من «الدُّرر المَنثورة في شرح المقصورة»، للشيخ القاضي منصور بن ناصر الفارسي الفنجاوي[2].

---

(١) **ملحوظة**: في مراحل العمل الأخيرة استعنت بالصديق ناصر بن إسحاق الكندي ليُراجع ويُدقِّقَ المتن والحواشي الشارحة، فأضاف، مشكوراً ـ إلى جانب شروحاتي ـ شروحات إضافية إلى القصيدة النهروانية. **راجع حواشي**: القصيدة النهروانيّة.

(٢) صَدَرتْ مُؤخراً طبعة جديدة من كتاب **«الدُّرر المَنثورة في شرح المقصورة»** ـ دراسة لغوية للشيخ القاضي منصور بن ناصر الفارسي، تحقيق: عادل محمد علي الطنطاوي، تصحيح: إسحاق بن يحيى بن ناصر الراشدي، الطبعة الأولى، وزارة التراث والثقافة، مُنتصف عام ٢٠٠٩ على وجه التقريب. وقد علمنا بصدور هذه الطبعة، إثر مُطالعتنا لمقال بعنوان: **«أبو مُسلم في مقصورته**: الحنين الحارق إلى أول منزل» كتبهُ الصحفي محمد بن سليمان الحضرمي في ملحق شُرُفات بجريدة عُمان بتاريخ: ٢٩ يوليو، ٢٠٠٩م. لكننا للأسف لم نستفد من تلك الطبعة ولم نُضمِّنها في قسم المراجع والمصادر، لأنها حين صدرت منتصف العام ٢٠٠٩م تقريباً، كُنا قد انتهينا من شرح المقصورة نهايات عام ٢٠٠٧م، ومطلع عام ٢٠٠٨م؛ أي قبل نحو عام ونصف، اعتماداً على النسخة الأصلية (المرقونة على الآلة الكاتبة)، التي أعدها د. عادل الطنطاوي، وهي نسخة مليئة بالأخطاء الإملائية والمطبعية. **ملحوظة**: نُشيرُ، هنا، إلى أنَّ الطبعة الجَديدَة من شرح المقصورة مُنقحَة، وهي أفضلُ بكثير مِن نسخة الطنطاوي التي اعتمدناها، وربما كان الفضل عائداً لمُصحِّح الكِتاب: إسحاق بن يحيى بن ناصر الراشدي ـ **لمزيد من التفاصيل** راجع حواشي المقصورة.

نستطيع القول، وفق معطيات الوضع السياسي والاقتصادي المتدهور آنذاك في «عُمان الداخل»، وعدم قدرة (بالأحرى؛ عدم رغبة) الإمام الجَديد محمد بن عبدالله الخليلي على تحقيق رغبة الشاعر بالعودةِ لتحقيق حُلمه بالمَوتِ في مراتع وطنه الذي أخلص له، واعتقد ـ طوال رحلة منفاه ـ أنهُ سيكون مثالًا للخلاص الروحي والديني لمواطنيه، وفقاً لمبدأ «ديموقراطية» انتخاب الإمام من رَعيَّتِه ـ كما تنصُّ على ذلك مفاهيم بناء الدولة، وفقاً للرُّؤية المُتفرِّدة التي كرَّسها المذهب الإباضي، في محاولاته الدَّؤوب لإقامة دولة الاستقامة والعدالة والمُساواة، المَنصوص عليها في مُتون الأصيل من أدبيَّات المَذهَب.

لكنها، كما كان الواقع دائماً، لم تكُن سوى أحلام شاعر طوباويَّة اعتقد أبو مُسلم بإمكانيَّة تحققها في قلب الواقع الشرس، رغم تَضلُّعِهِ ومعرفته المُحيطة بكافة العَوامل التي فتكت بإمكانية استمرار تلك الدَّولة/ اليوتوبيا من عدمها، فيما كان يَحتطبُ في زنجبار قصائدهُ الوطنية المادحة لثورة الإمام سالم بن راشد الخروصي، قبل أن يَنكفئ في أواخر أيام حياته على المُتبقي لهُ في مرارة حلقه من نَفَسٍ تجلَّى في «**النَّفَس الرَّحماني**» وانقطاعه إلى تأليف «**نثار الجوهر في عِلم الشرع الأزهر**»، وسِواهما من أعمال ظلَّ بعضها مخطوطاً مجهولًا، أو معروفاً أعيد طبع المُتاح منه قبل ضياعه.

لكنَّ حُلم الشاعر اليُوتوبيّ، في حقيقة الأمر، كان قد تلاشى أو بالكاد، لا سِيَّما بعد فاجعة اغتيال الإمام سالم بن راشد الخروصي، وإنْ بقيَ من ذلك الحُلم بَصيصٌ ضَوءٍ في إمامة محمد بن عبدالله الخليلي، لكنهُ ضَوءٌ ساهم كثيرون، كما أسهم الشاعر نفسه في مواته واضمحلاله، لذلك لم يُنَوِّر بَصيصُ ذلك الضوء، في نهاية المطاف، حُلمَ العودةِ المُتأخر إلى معاهد تذكاره في عُمان.

وعوداً على بدء؛ فإنَّ من يتأمَّلُ، بعين فاحصة، قصيدته **العَينيَّة** المكتوبة ـ كما نعتقد ـ في أواخر أيام حياته، سيُلاحظ أنها مُختلفة عن سابقاتها من

قصائده الاستنهاضيَّة كالنونية والميميَّة؛ فهي تُعبِّرُ بوضوح عن مبدأ جديد رَسَّخهُ، كما بدا لنا، أبو مُسلم في المراحل المُتأخرة من حياته؛ لا ليدعو للإلتفاف حول إمام إباضيٍّ مُبايع كما كان شأنه في استنهاضيَّاته الأخرى، بل نراهُ في نهايات قصيدته العينيَّة يدعو إلى وحدة أُمَّةٍ إسلامية واحدة تكون مذاهبها المُتعدِّدة مصدراً لقوَّتها ومنعتها، عوضاً عن تفرُّقها أمام جحافل الكُفار المُتمثلة ـ وفقاً لما كان يراه، آنذاك ـ في الاستعمار الذي كان ديدنه تحطيم الأمتين العربية والإسلامية.

على صعيد آخر، فإنَّ قصيدته: «وطني» (أي الميميَّة) بها الكثير من الدلالات والشواهد على ولائه لشخص «**أمير المُؤمنين ابن راشد**»، و«أنف الخصم خزيان راغمُ». والميميَّة قصيدة استنهاض لا تقل مكانة عن النونيَّة، لكن القارئ يستشف في ثناياها ما يؤكد عدم قدرته على العودة إلى عُمان، وأنه وإنْ عمل، ضمنياً، في سلك القضاء مع سلاطين زنجبار، إلا أنَّ ولاءه وقلبه كامنان في قلب الإمام المُنتخب وإمامته[1]. وربما بسبب المواصلات وصعوبتها تلك الأيام كان يمارس التقية، فيرسل قصائده إلى عُمان ولم يكن يُظهرها في زنجبار. وفي اعتقادنا أن هذا أقرب تفسير لحالة ازدواجيَّة مدائحه للسلاطين[2]، وهي قليلة ـ عدا مدائحه للسلطان علي بن حمود «الورع»، في

---

(١) نعتقد أن هذه المرحلة ابتدأت عام ١٩١١م، حين أقصي (أو تنازل) السيد علي بن حمود عن العرش، ليخلفه السيد خليفة بن حارب بن ثويني. وفي استقرائنا لما آلت إليه أمور وأوضاع أبي مُسلم في حكم السيد خليفة بن حارب، لا سيما بعد موالاته الواضحة في استنهاضياته الداعية للوقوف إلى جانب الإمام سالم بن راشد الخروصي؛ نستخلصُ أنهما عاملان عَجَّلا بضغط الإنكليز والسُّلطان المُوالي لهم على أبي مُسلم.

(٢) **إضافة من مُراجع الآثار ومُدققها**: «فليسمح لي مُحقق الآثار وشارحها، الأستاذ محمد الحارثي بمُخالفته فيما مضى إليه في شرحه بخصوص «قسوة أبي مُسلم على بعض رجالات الدين»، لا سيما في النونيَّة [**راجع حواشي النونيَّة**]، ففي رأيي أنه أمر يجب أن نقلبه على أبي مُسلم نفسه؛ إذ إنني أشكُّ بما ذكره مُحقِّق الديوان حول «موقف جذري للشاعر يُحيلُ إلى أصالة فكره التنويري»، فقراءة هذا الديوان كاملًا كفيلة بهدم تلك الصورة الخيالية والوهمية=

نظره ـ فيما لو قورنت بالجامح والأصيل والنابع من بُوَيْضَاءِ القلب في استنهاضيَّاته الكبرى كالنونية و«وطني» والعينية.. إلخ.

فاستنهاضياته ومدائحه في الإمام سالم بن راشد الخروصي ظلت في الذاكرة الجمعية العُمانية ماتحةً منها أصالتها المفقودة والمُغيَّبة، عن قصد، بفعل تراكُم زمنٍ سياسيٍّ (على اختلاف مُعطياته)، كان همُّهُ الأول والأخيرُ، كما بدا لنا، هو تجيير تلك الذاكرةِ لما حَسِبَهُ إنجازه الفرديَّ، فيما يحذفُ،

=التي انطبعت في أذهان العُمانيين عن أبي مُسلم، والتي مَرَدُّها إلى عاملين، هما: (١): **عدم نشر ديوانه كاملاً حتى اليوم**. (٢): **انتشار النُّونيَّة الواسع الكاسح**. فإن كانَ أبو مُسلم يعيب على الشيخ عبدالله الخليلي موقفاً ما؛ فإنَّ لأبي مُسلم مَوَاقِفَ تستحقُّ أن تُعابَ وتُذمَّ؛ أعني مدائحَهُ البالغة الرِّياءِ والنفاقِ في سلاطين زنجبار، والتي لم يستنكف، في بعضها، من أن يتضرَّعَ ويستغفر، بل ويُؤلِّه سُلطانه ذاك، حتى أنَّ شَعْر جسمي وقف من هول ما قرأتُ، ولم أصدِّق نفسي: هل يبلغ أبو مُسلم هذا المبلغ؟ إذن أين إلهيّاته وأذكاره؟ وستجد ـ أيها القارئ ـ أمثلة كثيرة في باب المدائح. ولكن يبدو أنَّ العامِلَين اللذين ذكرتُهُما خَلَقا لأبي مُسلم صُورة وهميَّة بلغت من القوة والتمكُّن أنَّ باحثاً رصيناً هو محمد المحروقي يؤكد في دراسته أن أبا مُسلم كان مُتحفظاً في مدائحه لسلاطين زنجبار! أما هجاؤه الشيخ عبدالله بن سعيد الخليلي، وبتلك الشاكلة المُعيبة، فهو مثلبة في حَقِّ أبي مُسلم؛ لا الخليلي، فحقيقة ما جرى لا يعدو كونه خلافاً سياسياً لم يكن المُتسبب فيه الشيخ عبدالله الخليلي، بل الطرف الآخر الذي نقض اتفاقاً مُبرماً على يد الشيخ، ثم صَعَّدَ الخِلاف إلى نقطة اللاعودة. ولمن لا يعرف فإن الشيخ عبدالله بن سعيد الخليلي كان أميراً شاعراً فارساً وأديباً، وله مواقف بطولية ناصعة في وجه الظَّلَمَة، إلّا أنهُ ذهب ضحية مؤامرة أجهزت على مكانته المنيفة لدى العُمانيين؛ وتلك الأبيات ـ تحديداً ـ شكَّلَتْ ضربةً قاصِمَةً لمكانة الشيخ الذي يستحقُّ منا وقفة تعاطف جَرَّاءَ ما تعرَّضَ له في حياته وبعد مماته بحوالي قرن كامل. العجيب في أمر أبي مُسلم أنهُ بعد هذه الشتائم المُقذعة في حَقِّ الرَّجُل لم يَرَ غضاضةً في استدرار عطف وكرم وَلَدِهِ الإمام محمد بن عبدالله الخليلي طالباً نَوَالَهُ وعَونَه». **ملحوظة المُحقق**: أوردنا، هنا، رأي مُراجع الآثار ومُدققها إثراءً لهذا العمل، وإن اختلف معنا في الرؤية. وبدورنا نؤكد أننا لم نكتفِ بشرح أبيات النونيَّة كاملة، كما وصلتنا في مُتونها، بل أوردنا في إحدى الحواشي اقتباساً تخيَّرناه من الرَّد المطول للشاعر عبدالله بن علي الخليلي على أبي مُسلم، كما ورد في مخطوط كِتابه «**الحقيقة**».

ذاكرة شِعريَّةً أرادَ لها الزمنُ، قَبلَ إرادة أبي مُسلم، أن تبقى شاخصة وماثلة في حياة الأجيال اللاحقة، لأنهُ استبصرَ بوَرَعٍ وحِنكة استبصار لم تنتقص منه جدليَّة الأزمان في سيرورتها التي تجلت في ملاحظته الثاقبة لما سبق المتُنبّي أن لاحظهُ في بيتٍ لن يتداعى بُنيانُهُ المَرصُوصُ، كما لن يفنى برحيلِ أبي مُسلمَ وسَلفه الشامِخ أبي الطيِّب المُتنبي:

أريـدُ مـن زمـنـي ذا أنْ يُـبـلِّـغـنـي ما ليسَ يَبلغهُ، من نفسِهِ، الزمنُ

[١٢]

أَثرُ النونيَّة على شُعراءِ الجَزيرة العربيَّة

لقد كان للنونيَّة تأثير عارم، ليس في وجدان العُمانيِّين في بلدهم عُمان وحسب؛ ـ كما يروي الأستاذ الأديب أحمد الفلاحي، في مقاله آنف الذكر والإشارة ـ بل في بلدان الخليج والجزيرة كافةً أنذاك؛ ليتأثر بأسلوبها الاستنهاضي الفريد شعراءُ ذلك العصر، ومنهم شاعر نجد المعروف «**بن عثيمين**» الذي انتحل أسلوبية النونيَّة في نونيَّته التي امتدح بها الملك عبدالعزيز آل سعود، لذلك سنترك بقيَّة الرِّواية ليرويها علينا الأستاذ أحمد الفلاحي: «وقد اشتهرت قصيدته النونية شهرة كبيرة ليس في عُمان فحسب، بل في منطقة الخليج في البحرين وفي الكويت. وقد نشرها المؤرخ والصحفي الكويتي عبدالعزيز الرّشيد في مجلته «الكويت» على حلقات في أكثر من عدد، ويبدو أنها بسبب هذا النشر عُرفت لدى الكثيرين خارج عمان من متابعي تلك المجلة من الأدباء والشعراء في المنطقة، وقد لاحظت ـ والقول ما زال للفلاحي ـ تأثراً واضحا بهذه القصيدة لدى الشاعر النجدي المعروف ابن عثيمين الذي عاش في قطر وكانت له صِلة بساحِل عُمان حيث كان يزور أستاذه الشيخ أحمد الرَّجباني وهو عالم نجدي يقيم أنذاك في أم القيوين، كما يزور صديقه الشيخ مبارك العقيلي في دُبَيّ. والشيخ مبارك العقيلي هو الذي عن طريقه ذهبت

قصيدة أبي مسلم إلى الرّشيد في الكويت لنشرها في مجلته، وكان تأثر الشاعر ابن عثيمين[1] واضحاً جداً في قصيدةٍ نونيّةٍ مُشابهة لقصيدة أبي مُسْلم في الوزن والقافية قالها في مدح الملك عبدالعزيز آل سعود في وقت لاحق:

مَـلِـكٌ تَـجـسَّـدَ فـي أثـنـاءِ بُـرْدَتِـه ... غـيـثٌ ولـيـثٌ وإعـطـاءٌ وحـرمـانُ

خـبـيـئـة الله فـي ذا الـوقـت أظـهـرهـا ... ولـلـمُـهـيـمِـنِ فـي تـأخـيـرهـا شـانُ

ودعـوة وجَـبَـتْ لـلـمُـسـلـمـيـن بـهِ ... أمـا تـرى عَـمَّـهُـم أمـنٌ وإيـمـانُ

---

(١) أبيات نونيّة الشاعر ابن عثيمين التي قالها في مدح الملك عبدالعزيز آل سعود، نُثبتُها في المُقدِّمة (نقلًا عن مقال الأستاذ أحمد الفلاحي، آنف الذكر). لأن التأثر بنُونيّة أبي مُسلم واضحٌ في قصيدته التي امتدح فيها الملك عبدالعزيز آل سعود. وفي اعتقادنا أنَّ في ذلك أكثر من دلالة، ستسمح لنا شُقَّة الزمن بمحاولة استنباطها على الرغم من المُفارقات التاريخيّة التي ستقف حاجزاً أمامنا في المُحاولة: إذ لا مُقارنة البتة بين حُكْم عبدالعزيز آل سعود الذي (أقام حُكمه) ليس بالسيف وحده، بل بالسَّيفين ونخلتهما المُخفَّقة مِنَ بحر الدِّماءِ المَسفوكَةِ في اخضرارِ رمزيَّتها الداعيَة (والشاهد خفاق في علم المملكة العربية السعودية) لنوع من التوافق بعد استتار آل سعود بمُلك الجزيرة قياساً إلى مديح أبي مُسلم لإمام المُسلمين الورع سالم بن راشد الخروصي الأقرب ـ ولو اعتُبِرَ الأمر اختزالًا في أدبيات الإباضيّة ـ لعدالة العُمرَيْن؛ عُمر بن عبدالعزيز وعُمر بن الخطاب، لكنَّ الخِطابَ في القصيدتين يُفصِحُ، بدوالِّهِ الخطابيّة، عن المُفارقة المُستعارَة للتعبير شِعراً عن وضعين سِياسيَّين، لا مُقارنة بينهما على الإطلاق؛ عدا ما بدا في بلاغة الشعر النبّاض بأحقيّةِ المَمدوح في مدحته [أبو مُسلم وإمام المُسلمين؛ سالم بن راشد الخروصي]، قياساً إلى مُبالغات شاعر نجد ابن عثيمين المَنحُولةِ من نونيّة أبي مُسلم، لتُعبِّرَ في مِدْحَةٍ [ابن عثيمين للمَلِك عبد العزيز آل سعود] عن خلاصات المَشهد التاريخي في الجزيرة آنذاك، وانعكاسها على اللاحق لها زمنياً. وهي، لعَمري، شاهِدٌ تاريخيٌّ، وشاهِدةٌ على مَقابر التاريخ، ناهيكَ عن المَفازة الفارِقة والمُفارِقة شِعرياً ورُوحِياً ووجدانيّاً بين المِدحَتين المَنحولة والمُنتحَلَة، لا على الصَّعيد الشعري المَحض، بل في صُلب مُعادلهما التاريخي في وتيرة انهمام العُمانيين و«السعوديِّين» بهما، لأنَّ الفرق جَليٌّ وضّاحٌ في مُنتهى المُغامَرة، على الصَّعيدين: الشعري والاستنهاضي. وفي اعتقادنا أنَّ ثمة درساً سياسياً وشِعرياً ورُؤيَوياً، ستنصَبُّ أنوارهُ على قبري كُلٍّ من المَمدوح سالم بن راشد الخروصي، ومادحه أبي مُسلم البهلاني، لضرورةٍ قالتها ضَرورةُ الشِّعر قبلَ أن تتحَنّكَ بها حِنكة السِّياسَة فشلًا وافتقاراً إلى نَديدِه في مَفازات النجاح (الظاهر) للسِّياسي، كما في مَفازات (الباطن) للفشل الرُّوحي.

فجئتَ بالسَّيفِ والقُرآنِ مُعترفاً تمضي بسَيفك ما أمضاهُ قرآنُ
حيث انجَلى الظلمُ والإظلامُ وارتفعتْ للدِّين في الأرض أعلامٌ وأركانُ

فهو يستعير أبيات أبي مُسلم في مدح الإمام الخروصي مُتأثراً به في سياق القصيدة حتى أنه يورد بعض كلماته بنصِّها مع الفارق في مستوى الشاعرية؛ فقصيدة أبي مُسلم أكثر شاعرية وأقوى سَبكاً وصياغة بما لا يُقارن»، على حد تعبير الأستاذ أحمد الفلاحي.

[١٣]

في الإطالة والتّكرار في مُتون الأذكار

قد تبدو موضوعة الإطالة والتكرار؛ مفردة ومضمونا وأسلوبا في قصائد الأذكار والابتهالات خصيصة غير مُحبذة في الشعر الذي يجب أن ينحو نحو الخالص منه، إلّا أن أبا مُسلم، في اعتقادي، كان واعياً لتلك المسألة؛ وبالتالي هي ليست غائبة عن باله، لكنه يتقصدُّها تديُّناً. فبالتكرار الدائم تكرُّ سبحة التسبيح، إنْ من خلال تأليفه لتلك المطولات، أو فيما بعد عبر تكرار قرَّائها لها، وبهذا ينال الأجر ليس مرَّتين فحسب، بل كُلَّما قرأ قارئٌ نَفسَهُ الرَّحماني. وهو بذلك قد يكون متأثراً بمن سبقه من الشعراء العُمانيين كالشاعر محمد بن مدَّاد في ديوانه المطبوع باسم: «الإعجاز والإشهاد في أشعار ابن مدّاد»، والشاعر محمد بن عبدالله بن سالم المعولي في ديوانه المعروف عند العُمانيين: «ديوان المعولي».

إذن؛ الغاية دينية صرف ولا علاقة لها بالحفاظ على مستوى رفيع من مستويات القول الشعري. والدليل ملحوظ في قصائده الاستنهاضية التي يستكمل فيها شروط الشعر وقوته وجزالته ونفحته الدفاقة في روح القارئ، تماماً كما هو حالُ المعلقات وقصائد كبار شعراء العصرين الأموي والعباسي وشعراء النهضة والاستنهاض القومي والديني في عصور سبقت أو زامنت عصره.

والحقيقة أننا نخلص، هنا، إلى نتيجة واضحة ليست في حاجة لإطالة أو تكرار مُوازٍ للتكرار في أذكاره؛ لأنَّ التكرار حبيس مقصد واحد من مقاصده، ألا وهو أذكاره، ومطولات قصائده التي رتبها وفق أسماء الله الحُسنى. والهدف واضح: مرضاة الله، لا مرضاة الشعر.

وهو ما يؤكِّدُهُ الشاعر مقصَداً في «الخاتمة الأولى» للأذكار حيث أبان بوضوح لا لبس فيه هدف تقرُّبه من الله:

بأسْمَائِكَ الحُسْنى تَقرَّبتُ سَيِّدي ... إليكَ مُجِدّاً في هُتَافِي وقُرْبَتِي
جَعَلْتُ سَمِيرَ الطَّبعِ تَرْتِيلَ ذِكْرِها ... لوَجْهِكَ رَبِّي خَلْوَةً بَعدَ خَلْوَةِ
بحَقِّكَ أنْطِقْني سَحَائِبَ سِرِّها ... بما خَصَّ كُلاًّ مِنْ كَمَالٍ وقُوَّةِ
وَهَبْ لي بها مِنْ كُلِّ خَيرٍ أَتَمَّهُ ... إلهِي في الدُّنيا وفي الأُخْرَوِيَّةِ
إلهي فَتَحْتَ الفَتحَ لي وأَتْمَمْتَني ... بحُبِّكَ فاخْتِمْ لِي بِخَتْمِ المَحَبَّةِ

ففي هذه الأبيات ـ كما لو كان يحدس بما سيقوله مُنتقدوه ـ نراه يُفنِّدُ هدفه من «الأذكار» و«التقرُّب بالأسماء الحُسنى» إلى ذات الخالق، مُستبعداً أهميَّة بلاغتها، ناهيك عن جماليات الشعر، التي قد يكون التكرار أحد مكوناتها في الحدود الدُّنيا، ولكن ليس كما ورد في أذكار أبي مُسلم من إطالة كان لها ما يُبرِّرُها في بُعدها التديُّني تقرُّباً بها من صاحب العزة، دونما اعتبار لوظيفتها الجَماليَّة المَحض.

[١٤]

المدائح السُّلطانية

قدر ما انشغلت شرائح عريضة من الناس باستنهاضيات أبي مُسلم وإلهياته ومدائحه النبوية، وصرفت لُبَّهُم عن أغراضه الأخرى، نُشير ونلفتُ النظر إلى مدائحه في سلاطين زنجبار التي رأت فيها بعض النخب المُثقفة تناقضاً في توجهاته الفكرية والعقدية، لا لأنها مديح شاعر لحاكم، فقد فعل ذلك من

سبقوه من أساطين شُعراء العربية، وتكفي مدائح المتنبي في سيف الدولة مثالاً تجدر الإشارة إليه. لكنَّ شاعرنا في بعض قصائد مديحه لسلاطين زنجبار خرج عن مألوف المدائح بما فيها من إعلاءٍ لشخصية المَمدوح، لا سيما مدائحه في حمد بن ثويني وعلي بن حمود، وإسقاط خبرته ومعرفته الدينية ليسبغ عليهم صفات قرَّبَتهم مِنْ صِفات الألوهة، وقد رأت تلك النُّخب في ذلك سقوطاً مُذلاً ومُهيناً من أبي مُسلم لا غفران له.

والحقيقة أنَّ من يقرأ، على سبيل المِثال، قصيدته الاعتذارية المادحة للسيِّد حمد بن ثويني: «أيادي من عفى»، سيكتشف المبالغات والتهويل في هذه المقصورة، التي بدت لنا، تمريناً مبدئياً على مقصورته العظيمة المُعجِزة.

فهو يقول في بعض أبياتها:

أسْتَغفِرُ اللهَ تَكادُ نَفسُهُ ... بِسَمْتِ هَذي الأَنبِياءِ تُجتلَى
رِحَابُهُ مَشاعِرٌ قُدْسِيَّةٌ ... مَنْ فَرَضَ الحَجَّ إليهِنَّ اهْتَدَى
قد أفلحَ الدَّهرُ بهِ والمُؤمِنو ... نَ وفَلاحُ الكَونِ فِي يُمْنِ الهُدَى
تَشعشعَ النُّورُ بوَجْهِهِ فَمَا ... بالشَّمسِ مِنْ نُورٍ فَمِنْ ذَاكَ السَّنا
هُدَاهُ فُرقانٌ وَحَدُّ سَيفِهِ الـ ... ـفاروقُ فِي مَحْصِ الضَّلالِ وَالعَمَى

فكما نرى يُسبغ أبو مُسلم على ممدوحه صفات لا تليق به شاعراً، كما أنها لا تنطبق على ممدوحه. ففي البيت الثاني يصف بأن رحابه مشاعر قدسية، وأنَّ من فرض الحَجَّ اهتدى إليهنَّ؛ أي إلى تلك المشاعر. والبيت برمَّته ينحو منحى الغلوِّ والمُبالغة في إضفاء مثل هذه الصفات على ممدوحه، وكان بإمكان الشاعر ذكر ممدوحه بما يليق، مُوازنة، بمقام المِدْحَةِ ومقاماتِ الشيخ المدَّاحِ، قياساً إلى ممدوحه السلطان.

وفي أبيات أخرى من نفس المقصورة، يقول في حمد بن ثويني:

قَامَ بِمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ... للهِ وَاسْتَنَّ بِهِ فِيمَنْ رَعَى
نَادَاهُ عَونُ اللهِ وَهوَ أَهْلُهُ ... إنَّا فَتحنا لَكَ فَتحاً فِي العُلا
ولَم يَزلْ فِي حُجُراتِ مَجْدِهِ ... أَخوَطَ مَنْ قَدَّ نَدَاهُ والسَّخا

فأنّى للسيد حمد بن ثويني أن يقوم بما جاءَ به مُحمد(ص)، مهما بلغت درجات عدله وورعه وتُقاه في نظر الشاعر؟

والحقيقة أننا نكتفي بهذا القدر من اللوم، ونترك الباقي للإستاذ أحمد الفلاحي الذي أبدى ملاحظات على قصائد مديحه في مقاله[1]، آنف الذكر والإشارة:

«أما شعر المديح عند أبي مسلم فجزء منه يدخل في قصائده الوطنية والاستنهاضية كما في مديحه للإمام سالم الخروصي وللعلامة نور الدين السالمي وله مدائح في بعض أعلام عصره أبرزها كانت في الفقيه الأكبر العلامة الجزائري محمد أطفيش الملقب «قطب الأئمة» وكذلك له قصائد مديح في السيد حمود بن محمد البوسعيدي ومدائح واعتذاريات في السلطان حمد بن ثويني سلطان زنجبار وقد جعل بعضها مرتبة علو سور القرآن وعلى أحرف آية الكرسي وهو فيها يتشفع [إليه] ويلتمس عفوه وقد كان غاضبا منه فيما يبدو وهي تدخل في باب الاعتذار وفيها مبالغات سيئة في المديح غير مقبولة من رجل في مكانة أبي مسلم وعلى الرغم من افتخارياته واعتزازه بنفسه في كثير من شعره إلا أننا نجده في اعتذارياته متذللا كسيرا في موقف لا يليق به:

عَبدٌ ببابكَ لمْ يُغادِرْ زَلّةً ... إلاّ وقد عَلِقَتْ بهِ آثامُها
عَبدٌ ببابكَ مُستجيرٌ عَائِذٌ ... بجِبالِ حِلْمِكَ نفسُهُ استِغصَامُها

إلى أن يقول في أبيات كثيرة تسترحم وتتعطف في تذلل شديد:

وبعتُ فِيهِ بشِراكِ نَعْلِهِ ... دَهرِيَ والدُنيا ومَنْ فَوقَ الثَّرَى

أين هذا من تلك النفس الشامخة المتسامية في المقصورة ونظائرها. وفي بعض اعتذارياته كثيرا ما تكون مُخاطبته للمُعتَذر [إليه] مثل مخاطبته لله في الضَّراعة والتوسُّل.

---

(١) ما يرد ابتداءً من المزدوجتين التاليتين حتى المزدوجتين اللتين تُغلقان هذا الفصل، منقول حرفياً من مقال الأستاذ أحمد الفلاحي.

وعند ذكره لسُورة الرُّوم يقول:

إذا تَجَلّى فَارِساً تَحْشَرَجَتْ مَمَالِكُ الرُّومِ بِغَصَّةِ الرَّدَى

ولا ندري أي مَمَالك الرُّوم تلك التي حَشْرَجَها ذلك الممدوح؛ أهي ألمانيا بصِيتها العظيم يومئذ؟ أم إيطاليا بمُستعمراتها المترامية في أقاصي الدنيا؟ أم إنجلترا التي كانت تُطبِقُ على العالم من شرقه إلى غربه؟.. وهذا الممدوح ومملكته تحت نفوذها وقهرها، وهي التي تأمر وتنهي، واذا جاءت لقمان فإن الممدوح حكمته كحكمة لقمان وهكذا بقية السُّور سُخِّرت معاني أسمائها لتكون صفات عظمة ومجد لا يطال لذلك الحاكم المُعتذَر إليه. وعلى الرغم من أن كلمة شُورى معروفة ومعناها واضح، إلا أن شاعرنا حين وصل إلى سُورة الشورى وهو يعرف أن صاحبه لا يُطبق الشورى في دولته، نراه يستخرج للشورى معنى جديداً؛ فهذا العظيم إنما يُشاورُ عقله وهِمَّتهُ وعَزيمَتهُ فقط. أي أنه يُشاور نفسه؛ ومع ذلك فما يقضي به هو الرُّشدُ بعينه:

لِعَقْلِهِ وَهَمِّهِ وَعَزْمِهِ شُورَى فَعَيْنُ الرُّشْدِ مَا بِهِ قَضَى

وهذه المقصورة كلها على هذا النحو، ويبدو أنه كتبها وهو في حالة حرجة وفي موقف صعب ولعل له عذره. وإن كنا نود لو أنه لم يصل في اعتذارياته إلى مثل هذا، بيد أنه بَشرٌ ولسنا ندري الأوضاع التي كتب فيها قصيدته، ولكنها ليست من روائعه ولا من جَيِّدِ شعره، فهي مليئة بالتكلُّفِ[1] والمبالغة، ليس فيها شيء من إبداع أبي مسلم وتدفقه العفوي مما يؤكد لنا أنها لم تنبعث من عاطفة صادقة، وأنها كانت من أجل حاجة في نفس يعقوب. وقد أنبأني أحد الإخوة، وهو باحث مُدقِّق، وله بعض الكتابات عن أبي

---

(١) **ملحوظة مِن مُراجِع الآثار ومُدقِّقها**: أختلفُ مع الأستاذ أحمد الفلاحي بخصوص مدائح أبي مُسلم. فمدائحه في سلاطين زنجبار جَزِلَةٌ ودقَّاقة كَدَيْدَنِهِ في جُلِّ شِعره، ولا تكلُّفَ فيها إلّا بمقدارِ ما تتطلبه القصيدة العَمودَيَّة ـ عُموماً ـ مِنْ فَنٍّ صَنعَةٍ لا بُدَّ مِنه. ولا أرى داعياً للاتكاءِ على مقولة [التكلُّف] ضَنّاً بالصُّورَةِ الوَهمِيَّةِ أنْ تتساقط.

مُسلم؛ أنَّ هذه المدائح والاعتذاريات كانت في بدايته، وقبل قصائده الاستنهاضية والحَماسيَّة، وقبل نُضجه ولمَعان اسمه وظهور صِيتِهِ وتعمُّقِ شاعريَّته، وذلك واضح جليٌّ عند المُقارنة بين تلك القصائد الغُرَر وبين هذه المدائح المُتواضِعَة المُستوى».

[١٥]

أوراق مجهولة من الصَّحافة العُمانية في شرق إفريقيا(*)

(الجُذور، الرُّواد، النهضة الصَّحافية في زنجبار)

نُجحِفُ بحق الصَّحافة العمانية إذا قلنا بتأسيسها عام ١٩٧٠م، مع ظهور صحيفة «الوطن» التي هي، بالفعل، أول صحيفة تصدر في عُمان[١]. لكنَّ ميلاد الصحافة العمانية قد تم قبل ذلك التاريخ بـ ٥٩ عاماً، ليس في عُمان التي كانت تمر آنذاك بظروف لم تكن تسمح بإصدار صحيفة، بل في «السلطنة التوأم»، آنذاك: زنجبار. فكما هو معروف هاجرت قبل وبعد انفصال السَّلطنتين مُعظم النخب المثقفة من عُمان إلى زنجبار، بحثاً عن مناخ أفضل

(*) هذا الفصل مُنتخب، بتصرُّف، من مقالةٍ كتبتُها بُعيد مطلع الألفية الثالثة، وسبق لي أن نشرتها في صحيفة «القدس العربي» اللندنية، لكنني أعدتُ صياغة بعض فقراتها لتنسجم مع هذه المقدمة.

(١) **توثيق تاريخي لأول صحيفة**: عَلِمنا مِن مَصدَرٍ مَوثوق؛ أنَّ أوَّلَ صَحيفةٍ تَصدُرُ على أرضِ عُمان، لم تكُن صَحيفة «الوطن» الصَّادرة عام ١٩٧٠م ـ كما ذكرنا في مقالنا. فأوَّلُ صَحيفةٍ عُمانيَّة كان اسمُها: «**الشعبُ أقوى**»، ولم تصدر في مسقط، بل في سَمائل بالمنطقة الدَّاخليَّة سنة ١٩٦٥م، إبَّان حُكْمِ السُّلطانِ سعيد بن تيمور، إثر سُقوط إمامةِ عُمان. وقد صدر من تلك الصحيفة عَددٌ يتيمٌ ثُمَّ ألقت السُّلُطات القبضَ على ناشرها، كما صَادَرَتْ المطبعة التي هُرِّبَت من دُبي في بطن سَفينةٍ خشبيَّةٍ عبر بلدةِ السِّيب القريبة من مسقط. وقد ظَلَّ ذلك الناشِرُ مُعتقلًا حتى عام ١٩٧٠م، حيث أطلق سراحه في مجموع من أطلق سراحهم مع بداية العهد الجديد في ٢٣ يوليو ١٩٧٠م.

للتعبير عن تطلعاتها، بحكم الجُمود وتقلقل الأوضاع السّياسية والاقتصادية. لذا نستطيع القول، دونما مبالغة، إن عام ١٩١١م كان الميلاد الحقيقي للصَّحافة العُمانية بصدور جريدة «**النجاح**» في زنجبار. صحيح أنَّ تلك الصَّحافة لم تكن «صحافة مَهْجَر» ـ بالمعنى المعهود، والمُتعارف عليه ـ لكنها صحافة عُمانيَّة ظهرت في زنجبار لغياب شرط ظهورها في عُمان، لا سِيَّما وأنَّ الشاعر أبا مُسلم البهلاني[١] قد رأس تحريرها فترة من الزمن. أما أشهر تلك الصُّحف، وأكثرها مداومة على الصُّدور فقد كانت صحيفة «**الفلق**» التي تأسست عام ١٩٢٠ التي تناوب على رئاستها نخبة من الكتاب العمانيين. وقد كانت هذه الصحيفة صلة وصل بين العمانيين في عُمان وزنجبار، كما كانت صِلة وصل بهم، ناهيك عن أنها كانت يومها بمثابة «علوم وأخبار» هذا العالم.

تلك الصَّحافة المبتورة جَسداً، الموصولة روحاً، أناخت في جوزة هِند المناخ الليبرالي نسبياً في زنجبار. وهو مناخ أدى لنشوء جمعيات وأحزاب لم يجد بعض السَّلاطين غضاضة في ظهورها كـ «الجمعية العربية» و«الحزب الافرو. شيرازي». ليس هذا فحسب، بل إنَّ السُّفن الزنجباريّة حملت أعداد تلك الصحف، كما حملت قُبَّة الذكريات، إلى «داخليَّة عُمان»[٢]، وكانت تصل إلى المشتركين فيها على ظهور الجِمال التي تحملها من ميناء صُور في المنطقة الشرقية إلى سائر المناطق العمانية، لتواصل بها المسير الى مومبي[٣]

---

(١) في الحقيقة أنَّ أبا مُسلم أَسَّسَ صحيفة «النجاح» في زنجبار ورأس تحريرها فترة من الزمن، مُستفيداً من وجود المطبعة السلطانية، التي نشر فيها إلى جانب صحيفة «النجاح» كُتباً فقهية وأدبية انتشرت ليس في عُمان فحسب، وإنما في القاهرة ووادي ميزاب في الجزائر، لكنَّ هذه المعلومة لم تكن متوافرة خلال كتابتنا للمقال.

(٢) تعبير كان يُستخدم للتفريق بين ساحل «**سلطنة مسقط**» ومناطق نفوذ «**إمامة عُمان**» في المنطقة الداخلية وسواها من المناطق كالشرقية والظاهرة.

(٣) كانت تُعرف، آنذاك، باسمها الكولونيالي: بومبي Bombay، وقد استعادت مؤخراً اسمها الهندي القديم: مومبي Mombay.

في الهند التي كانت، آنذاك، حاضرة وواحة ثقافية وتجارية لكثير من أبناء الخليج ـ مثالا لا حصراً: الشاعر البحريني إبراهيم العريض (مُترجم عُمر الخيام)، والشاعر والتاجر الإماراتي سلطان العويس، وبعض النخب السياسية والثقافية في منطقة الخليج التي ضُويقت من أبناء جلدتها، ووجدت في مومبي ما يجده البعض في باريس ولندن اليوم!

تلك الصُّحُف العُمانية (إلى جانب بعض المجلات والصُّحف المصرية)، كانت تُتداول وتُقرأ وتُؤوَّل، لأنها كانت النافذة الوحيدة على العالم، والوحيدة التي تهتم بالشأن العُمانيّ المضطرب آنذاك. وفوق هذا لم تكن تلك الصحافة غريبة عما يحدث في بؤرة العالم العربي آنذاك، فقد كانت تصل إلى بعض الأقطار العربية وعواصم كـ اسطنبول وباريس، وتتابع من قبل السَّاسة والمُهتمين.

ومثالا على ذلك يورد أحدهم هذه الحكاية: فقد أرسل «مدير أشغال مجلة «العُروة الوثقى» في باريس إلى السُّلطان علي بن حمود رسالة «يتعطفه» فيها تخصيص اشتراكات لـ«العروة الوثقى» في دوائر حكومة السلطان، على أن تنشر أخبار سلطنة زنجبار في «العروة الوثقى».

بطبيعة الحال توقف صدور بعض تلك الصحف، وتقطع بعضها، واستمر بعضها تحت أسماء أخرى. من أهمها: «الإصلاح، صدرت ١٩٢٣»، «النهضة، ١٩٤٩»، «المُرشد، ١٩٤٥، «الأمة ١٩٥٨»، وبالطبع «النجاح» و«الفلق» آنِفتا الذكر. وأسماء تلك الصحف، كما يبدو، تشفُّ وتُعبِّرُ عن اهتماماتها الوطنية ومتابعتها لأحوال الأمة العربية ـ بخطاب لا تخفى جُذور (أَسْلَمَتِهِ) التي لا بد منها في شتلة تلك الأقاصي ـ ، وقد ظل الاهتمام بأحوال عُمان[1] ـ التي انقسمت بعد انقسام واقتسام إرث الأسلاف إلى إمامة عاصمتها

(١) مِنْ غريب ما قرأتُ، حول هذا الموضوع، في عدد ١٠ يوليو، ١٩٩٩م من صحيفة=

(نزوى) وسلطنة عاصمتها «مسقط» ـ ديدن تلك الصحافة. بل أن الجُرأة بلغت منها مبلغاً لا تبلغه صحافة هذه الايام، من ذلك: أنَّ جريدة «النهضة» التي أسَّسها السيد سيف بن حمود بن فيصل عام ١٩٤٩م، نشرت خبراً عن «ناظر شؤون الداخلية» في مسقط الذي أصدر قراراً بمنع العُمانيين المقيمين في زنجبار من دخول وطنهم الأم. بل إنَّ تلك الصحيفة طالبت بمُحاكمة ذلك الناظر، ولذا أمر سُلطان عُمان السَّابق سعيد بن تيمور، بإلغاء «فرمان» ناظر داخليته.

كان هذا حال صحافة عربية مجهولة، لم تحظ بالدراسة والأرشفة وتقدير دورها، لإهمال ونسيان ليسا غريبين عنا وعن أحوالنا. ولا يهمني، في «**فتح البصاير**» هذا، تمجيد إشراقة عُمانيَّة ـ نسيت نفسها، زمنا فائضاً في مفصل العربة والحصان ـ ، وإنما الإلماح إلى لحظة عربية قديمة قليلًا، وساطعة كنجمة تستحق الالتفات إليها من العُمانيين أنفسهم، قبل سواهم من الباحثين والدارسين والمؤرشفين.

والحقيقة المُرَّة أنه لا أحد يعرف مصير كثير من الوثائق السِّياسية والأدبية والفقهية التي ظلت في زنجبار بعد خروج العُمانيين منها، سواء ما استولى عليه أحفاد ثورة عبيد كرومي أو ما ظل حبيس أدراج بعض العُمانيين أو أحفادهم، هنا في عمان أو هناك في زنجبار.

=«الحياة» اللندنية مقالًا عن دورية عُمانية مناهضة للاستعمار البريطاني اسمها «**فتح البصاير**»، صدر عددها الاول في يناير ١٩٠٠م، وهي صحيفة مطبوعة بخط اليد. ولا ذكر، في صفحاتها، لصاحبها ولا لمكان صُدورها. وقد اهتمت بها بريطانيا العظمى آنذاك، ظناً منها أنها ربما كانت تصدر من قبو سِريٍّ في «مسكد» أو مسقط، لكن «تقريراً سِرياً للبريغادير من عَدَن الى الخارجية البريطانية بواسطة حُكومة بومباي البريطانية الاستعمارية، يُرجح صُدور الجريدة من باريس، ويستبعد صُدورها من بيروت. ويُعلل الاستبعاد بأنَّ أية مطبوعة تصدر في بيروت أو في أية مُتصرُفيَّةٍ أو ولاية عُثمانية يَجب أن تحمل اسم صاحبها ورئيس تحريرها»!

[١٦]

تَقريظُ الكُتبِ وثِمَار المَطبَعة السُّلطانيَّة في زنجبار

أُنشِئتْ **المطبعة السلطانية** عام ١٨٧٩م في عهد السُّلطان برغش بن سعيد بن سلطان. وكان أبو مُسلم أول المُستفيدين من تلك الغنيمة غير المُتوقعة في ذلك الصّقع، فاهتم بها وثمَّن قيمتها العالية في الإسراع بنشر المعرفة؛ لذلك نشر فيها كُتباً فقهيَّة مختلفة لكبار عُلماءِ الإباضية، إضافة إلى أعماله التي نُشِرَ بعضها هناك خلال حياته، لكنها أعمال أدبية[1] أضاعت مُعظمها يد الدَّهر، ولم يبق لها ذكر.

والمدهش أن مُغامرة أبي مُسلم المَعرفيَّة ذهبت به إلى أقصى حدودها المُتاحة آنذاك، حين أسَّسَ صحيفة «النجاح» عام ١٩١١م. تلك الصحيفة التي رأس تحريرها فترة من الزمن، وظل يكتبُ فيها مُراوحاً في مقالاته بين الأحداث السياسية في العالم الإسلامي وبين اهتماماته الأدبية.

إلى جانب ذلك، فقد عُني عناية فائقة بنشر أُمَّهات كُتُب المذهب التي قرَّضها بقصائد اشتملت عليها آثاره هذه؛ منها:

---

(١) واحد من أعمال أبي مُسلم الرواحي التي لم أجد لها ذكراً في كافة المصادر التي أتيح لي الاطلاع عليها كتابه المفقود: «**السياسة بالإيمان**». وهو كتاب يرد ذكره في رسالة أبي مُسلم المُطولة إلى الإمام سالم بن راشد الخروصي، في معرض إشارته التلميحية للإمام سالم قائلًا: «.. وقد أشبعنا الكلام في هذا المقام في كتابنا «السياسة بالإيمان»، فارجع إليه، وها هو مُوجَّهٌ إليك. كُنا قد ألفنا الكتاب على هذه الوتيرة ـ كما تراه قبل أن يمُنَّ الله علينا بظهور دولتك المؤيَّدَة ـ بمشورةٍ وطلبٍ من أعز الأصحاب وأحبِّ الأجناب الشيخ سليمان بن سيف اليعربي، فمَنَّ الله بتمامه، وعلى إثر تمامه بأيام جاءتنا البشائر ببزوغ شمس الحقِّ فكان الواقع هوعين موضوع الكِتاب، ولم يتيسَّر لنا إرساله قبل الأوان الحاضر، وما كان ذلك أنَّ بعض الأصحاب ممن نثق به وعدنا بطبعه على نفقته، ولرغبتنا الأكيدة في نشره بأقطارنا العُمانية وثقنا بالوعد الذي أصبح سَراباً بقيعة».

١ ـ منهل الوُرّاد، لـ أحمد بن أبي بكر العلوي.

٢ ـ همیان الزّاد إلى دار المَعَاد، لـ محمد بن يوسف أطفيش.

٣ ـ حاشية الترتيب، لـ محمد بن إبراهيم الورجلاني.

٤ ـ مدارج الكمال، لـ عبدالله بن حميد السالمي.

هذه الكُتب اهتمَّ بطبعها أبو مُسلم في المطبعة السلطانية في زنجبار وعُني بنشرها وتوزيعها في عُمان والجزائر والقاهرة ومكة المُكرَّمة لتعبر من حاج إلى آخر في موسم الحجّ؛ لتصل الباحثين عنها في تلك العواصم.

وكما نلاحظُ؛ فإنهُ لم يَكُن مُتعصِّباً لمذهبه بل مُنفتحاً على كافة المَذاهب الإسلاميَّةِ لاعتقاده بأنَّ قوة المُسلمين ومنعتهم تكمنُ في اتحادهم، وليس في تكفير المذاهب لبعضها البعض، فقد عُني بطباعة كتاب منهل الوُرّاد، للشيخ أحمد بن أبي بكر العلوي. وهو شيخ علويٌّ شافعي المذهب، يتصلُ نسبه بالرسول (ص)، وفي ذلك تدليل على عدم تعصُّب أبي مُسلم لمذهبه، كما أشار لذلك المحروقي في دراسته. والحقيقة أنَّ أبا مُسلم في تقريظه لكتاب منهل الوُرَّاد مدح مكانة الشيخ أحمد بن أبي بكر العلوي؛ قائلًا:

مَصْدَرُ الفضلِ أحْمَدُ بنُ أبي بَكْرِ ... شَرَفُ الآباءِ والأجْدادِ

عَلَوِيٌّ مُحَمَّدِيٌّ عَلَيهِ ... مِن سَنا النِّسْبَتينِ سِيما السَّدادِ

جَمَعَ العِلمَ في مَزادٍ مِن النَّقـ ... ـوى، ولِلهِ جَمْعُ ذاكَ المَزادِ

واقتنى الدُّرَّ من عُلومِ الإشاراتِ ... فَحَلَّى بِهِ صُدُورَ النَّوادي

جَرَّدَ النفسَ من كَثائِفِها فانهالَتْ عليها لَطائِفُ الإمْدادِ

وتلقَّى من رَبِّهِ كَلِماتٍ ... صَبَّها الفَيْضُ في لِباسِ المِدادِ

وفي اعتقادنا أن ما دفعه إلى ذلك هو المَناخ المُنفتح في زنجبار بحكم تواجد طوائف دينية ومذهبية مختلفة؛ كالشيعة والإسماعيلية والإباضية وبعض مذاهب السُّنة. كما أن انفتاح المناخ السياسي وليبراليَّته النسبيَّة في ظِلِّ وجود أحزاب تتنافسُ لمصلحة سُكَّان زنجبار بكافةِ طوائفهم، دون أن يُعوِّقَ بعضُ السلاطين المُتنوِّرين ذلك الاتجاه.

والحقيقة أنَّ أبا مُسلم لم يكتفِ بذلك الدَّور في طبع الكُتب ونشرها، بل أضحت مِفصلاً صميمياً اجترحته تجربته الشعرية إلى جانب إلهياته وقصائد التصوف والمديح النبوي واستنهاضياته وقصائده الاجتماعية، ليظهر غرض «تقريظ الكُتب» في صُلب عمله الشعري توازياً لا يقلّ في أهميَّته عن أغراضه الأخرى. وفي اعتقادنا أنَّ فرحه الغامر بطباعة تلك الكتب ونشرها، هو ما دعاه لإعطاءِ تقريظ الكُتب جانباً هاماً من تجربته الشعرية، وذلك إنجاز كبير بكافة المقاييس. فهو ـ كما يُشير المحروقي ـ من الأغراض الجديدة في الشعر العربي، ارتبط ظهوره بعصر المطبعة.

والحقيقة التي لا بُدَّ من التأكيد عليها، هي أن شهرة الشاعر الفقهية والأدبيَّة ذاعت في العالم الإسلامي كله. وبإمكاننا استنتاج ذلك من علاقاته بأعلام الإصلاح في عصره مثل الشيخ سليمان الباروني باشا، والشيخ محمد بن يوسف أطفيش الجزائري، ناهيك عن اطِّلاعه الواسع على مجريات الأحداث الإسلامية من حوله، كما تدل على ذلك جريدته «النجاح» التي أصدرها في زنجبار. فهي دليل آخر على عبقرية مؤلفاته القيمة، لاسيما في ميدان الأدب والشريعة بشهادة كل من قرأ ديوانه، أو اطلع على «نثار الجوهر»، ولا أحسب أن عالما يستطيع أن يتولى رئاسة القضاء في زنجبار لو لم يكن على ذلك النحو من التفوق والتبحُّر علماً، فقهاً وعلوم لغة، لا سيما أن جريدة النجاح تُعدُّ واحدة من أوائل الصُّحف العربية ظهوراً في ذلك المُنتأى، فهي ـ كما أشرنا ـ دليل دامغ على سعة أفق أبي مُسلم، وتفتحه على مجريات أحداث عصره، وانهمامه بالتعريف بالطاقة الكامنة في الفكر الإسلامي، ناهيك عما اجترحته الصحافة في ذلك العصر من تغيير في أنساق تفكير النخب الأدبية والدينية والسياسية، حتى أن الشاعر أحمد شوقي عد ظهور الصُّحف آية من آيات ذلك الزمان، كما ورد في بيته المعروف:

لـكُـلِّ زمَـانٍ مـضـى آيـةٌ وآيـةُ هـذا الـزَّمـانِ الـصُّـحُـفْ

[١٧]

أبو مُسلم وحِسابُ الجُمَّل

حِسابُ الجُمَّل[١] هو حساب تقليديٌ مُزمِنٌ في عراقته. وقد استخدمه أبو مُسْلِم لتأريخ بعض الأحداث في قصائده، لا سيَّما تأريخ وفاة بعض الأشياخ والفقهاء والعُلماء الذين رثاهم، إلى جانب تواريخ طبع كُتب العلماء والفقهاء التي قام بتقريظها في قصائد مستقلة، كما أشرنا. والحقيقة أن تقريظ الكُتب والاعتناء بتواريخ طبعها، غرض جديد من أغراض الشعر التفت إليه الشاعر وأعطاه اهتماماً إلى جانب الأغراض الأخرى التي قاربها شعره كثرة وقلة.

أما حِسابُ الجُمَّل فهو حِسابٌ مُندثرٌ لم يعد أحد يَعتدُّ به في الوقت الحاضر، إلّا القِلَّة مِمَّن أبانوا عن ولع كبير به، وأنشأوا مَواقِع إلكترونيَّة على الشبكة أبرزت ولع نسبة يسيرة من أبناء هذا الجيل بهذه الحِيَل الحُروفيَّة، لذلك لا نرى بأساً من التذكير بأهميته القصوى في سالف الأيام لتأريخ الأحداث في القصائد والأراجيز التي تؤلف خصيصاً لتلك الغاية.

أما الطريقة المُستخدمة في الشعر العربي الكلاسيكي، فعادة ما تكون عبر اختيار جُملة بعينها (بالأحرى، تقصُّد تركيبها) في أحد أبيات القصيدة لتشير

---

(١) بخصوص الأصُول التاريخيَّة التي نشأ منها **حِساب الجُمَّل**، كما نعرفه في العربيَّة، أو «**جِمَطْرِيَة**»، كما يُعرَف في مذهب مُتصوِّفة **القبَّالة** اليهود. لمزيد من التوضيح والتوسُّع، راجع حاشية بيت أبي مُسلم الذي يرد في موضع آخر من هذه المقدمة: **وأنا من حَيثُ انتِسابي إليهِ | مُنعِشُ الرُّوحِ باعثُ الأجْسادِ**، إذ يرد في نهاية تلك الحاشية ما يلي: كان البَابليُّون والإغريق سبَّاقين إلى دراسة معاني الكلمات بالنظر إلى القيم العدديَّة للحروف التي تتألَّف منها. وقد استدخل بنو إسرائيل هذا المنهج تحت اسم «جِمَطْرِيَة» [حِساب الجُمَّل] في عهد الهيكل الثاني، وهو حِسَابٌ تضلَّعَ فيه أبو مُسلم واستخدمه في أكثر من قصيدة من نتاجه الشعري.

عن طريق حِساب الجُمَّلِ[1] إلى تاريخ بعينه، سواء كان تاريخ طبع كتاب (كما فعل أبو مُسلم)، أو تاريخ وفاة أحد الأعيان، أو تاريخ ميلاد مولود جديد. وقد يكون التاريخ معنيًا بالسنة فقط، لكنَّ بعض المُتفقهين في ذلك الحساب يجعلون الجُملة ـ المفتاح قادرة على تحديد اليوم والشهر والسنة (الهجريَّة، عادة) بحيث يكون تأريخ الحدث في صُلب القصيدةِ لا يندثر باندثار الأيام.

والفكرة، في مُجملها، هي اعتبار كُل حرف من حروف الأبجدية، بمُعادل رقم معلوم يُجمع إلى رقم الحرف التالي له، لتكون مُحصلة الجملة ـ المفتاح تاريخ الحدث باليوم والشهر والسنة. نثبتُ، هنا، أحد نماذج حساب الجُمَّل الشائعة، حيث يظهر كُلُّ رقم (في الجدول أدناه) تحت الحرف المُوازي لقيمته العددية:

أ	ب	ج	د	هـ	و	ز	ح	ط	ي	ك	ل
١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	٢٠	٣٠
	م	ن	س	ع	ف	ص	ق	ر	ش	ت	
	٤٠	٥٠	٦٠	٧٠	٨٠	٩٠	١٠٠	٢٠٠	٣٠٠	٤٠٠	
			ث	خ	ذ	ض	ظ	غ			
			٥٠٠	٦٠٠	٧٠٠	٨٠٠	٩٠٠	١٠٠٠			

وكي لا نطيل سنوجز، هنا، طريقة الاشتغال المُبسَّط على الأسلوب المُتبع في تحويل الحروف إلى مُعادلها الرَّقمي، وفقاً لحِساب الجُمَّل. وسنكتفي بمثال بسيط، كي لا ندخل في تعقيدات الحِسبة. فمثلا، إذا ما أردنا تأريخ صدور هذه الطبعة من آثار أبي مسلم؛ فسيكون حاصل جمع: [غ + غ + ي = ٢٠١٠م]، على

(١) لا يفوتنا أنه حِسابٌ معروف لدى الأشياخ القدماء، وقد يبدو ذكره، هنا، تفسيراً للماءِ بعد الجُهد بالماء، لكننا نثبته كي تطلع عليه الأجيال الحديثة ممن لم تُتح لها معرفة هذه الآلية الفريدة في التأريخ للحوادث المفصلية في الأزمان، ناهيك عن تاريخها المُمتد منذ عصور البابليين والإغريق المُتقدِّمة.

اعتبار أن حرف [الغين] يُساوي ألفاً من الأرقام، وعليه فإنَّ [غينين مُزدوجتين] تُعادلان ألفين، فيما يُساوي حرف [الياء] الرقم عشرة، كما هو موضح في الجدول أعلاه. واللعبة الفنية التي اعتمدها أبو مُسلم (كما اعتمدها كثيرون قبله) تكمن في استخدامه الشعري لحساب الجُمَّل في ابتكار مفردات ذات معنى (ظاهر) ذي دلالة في خاتمة القصيدة، بمُوازاة معنى (باطن) هو التاريخ المُراد تأبيده في المَتن الشعري، سواءٌ كان جائحةً، أو مَحلًا مُزمِناً، أو تأريخ الانتهاء من تأليف كتاب يؤرخ له في أرجوزة، وهكذا دواليك.

[١٨]

ببليوغرافيا النَّشأة والحَيَاة(*)

[I]

اسمه ونسبه

هو ناصر بن سالم بن عُديِّم بن صالح بن محمد بن عبدالله بن محمد البهلاني الرَّواحي العُماني (المُكنّى: أبو مُسلم). ويبدو أنها كُنية كانت أثيرة لدى الشاعر لارتباط مدلولها بالاستقامة الدينية. وهي كُنية طغت على كُنيَته الأخرى الأقل شيوعاً: أبو المُهنّا، رغم أنَّ لها جذراً واقعياً محسوساً، لأنَّ

(*) اعتمدنا في كتابة هذه النبذة عن حياته ونشأته، على أكثر من مصدر؛ أهمها وأوثقها دراسة د. محمد المحروقي: «**أبو مسلم البهلاني، رائداً**»، إلى جانب ما اخترناه من: «النبذة المُختصرة من ترجمة سيدي العم المرحوم ناصر بن سالم بن عديّم البهلاني الرواحي»، التي كتبها جامع شعره ابن أخيه الشيخ سالم بن سليمان البهلاني الرواحي؛ وهي نبذة كتبها ابن أخيه (كما ورد في مُقدمتها) بناء على طلب الشيبة محمد بن عبدالله بن حميد السالمي، مؤلف «**نهضة الأعيان بحُريّة أهل عُمان**»، إضافة إلى مصادر أخرى، أهمها مُقدِّمة المؤرخ الشيخ سالم بن حمود السيابي لكتابه: «نثار الجوهر»، إلى جانب مصادر ثانويّة منها، على سبيل المثال، لا الحصر كتاب «زنجبار: شخصيات وأحداث» ـ راجع قسم **المصادر والمراجع**.

المُهنا هو اسم ابن الشاعر، الذي كرَّس له قصيدتين، إحداهما فرحاً بتعافيه من مرض ألم به.

أما نسبه: **البهلاني**، فهو عائد إلى قبيلة الشاعر التي هاجرت من موطنها إلى وادي مَحْرَم[1]، مِنْ أَعمال ولاية سمائل في عُمان، لتنضوي تحت لواء قبيلة بني **رواحة**[2]، القبيلة المُتسلسلة نسباً في عَبس[3]، وقد دخلت عُمان منذ ألف وأربعمائة عام، كما يُشيرُ إلى ذلك مايلز Mails في كتابه: **الخليج**، بلدانه وقبائله.

[II]

تاريخ مَولده وتاريخ وفاته

وُلد في أحضان بيت علم وفضل في قرية (مَحْرَم)، أكبر قرى وادي مَحْرَم، مِنْ أَعمال ولاية سمائل في عُمان. وهو وادٍ يقع في المنطقة الداخلية

---

(١) ثمة رواية أخرى، غير مُؤكدة، تقول بولادته في نزوى، عاصمة الإمامة حين كان والده الشيخ سالم بن عُديِّم الرواحي قاضياً لدى الإمام عزان بن قيس، لكنها رواية ضعيفة كما بدا لنا من تقفِّي تاريخ ومكان ميلاده، لكننا لم نر بأساً من إثباتها في هذه الحاشية، لا سيما أن العُمانيين لم يكونوا يُدوِّنون تواريخ الميلاد وغالباً ما يعتمدون على الذاكرة الشفاهية، أو ربط ميلاد أحدهم بحدث بارز، كجائحة خاطفة، أو مَحْلٍ أَزمَنَ وأَعْمَن، أو فتحٍ مِن فتوحات أَئمَّتهم، أو غزوةٍ غاشم جاء مِن حُدود المِصْرِ أو خوارجه.

(٢) ترددتُ كثيراً قبل البتِّ فِي نسبة الشاعر إلى قبيلته الأصلية (**البهلاني**)، أو القبيلة التي انضوت تحت لوائها قبيلته المُهاجرة من بهلا إلى وادي محرم تحت كنف (**بني رواحة**)، وآثرت في نهاية المطاف إثبات النسبين في عُنوان الآثار، لسببين: شيوع اسمه الكاسح بصفته: أبو مسلم البهلاني، فضلًا عن عثوري على وثيقة صَكٍّ شرعيٍّ بخط يده، وتوقيعه الذي أثبت فيه اسمه كالتالي: كتبه شاهداً به العبد الفقير إلى عفو الله ورحمته **ناصر بن سالم بن عديّم بن صالح الرَّواحي بيده**، في يوم ١٣ جمادى الأخرى سنة ١٣٣٧ من الهجرة النبويَّة على مهاجرها أفضل الصَّلوات والتسليم. راجع **قسم الوثائق والصُّوَر**.

(٣) راجع **نسب الشاعر** في الأبيات الخاصة بقبيلة بني رَوَاحة في **شرح النونيّة**.

من عُمان، يمتاز بوعورته و«ضعاضعه» وتحصينه المُمتنع بين الجبال الشاهقة على جانبيه، كما بالأبراج والقلاع التي تَصُدُّ من يُحاول اقتحام ذاك الوادي «المُحَرَّمِ» على غير سُكَّانه في زمَن غابر.

أما بالنسبة لتاريخ ميلاده، فقد تضاربت الآراء، وثمة أكثر من رواية:

١. **الرواية الأولى**: لسالم بن سليمان البهلاني، وهي تذكر أن الشاعر وُلِدَ عام (١٢٧٣هـ/ ١٨٥٦م).

٢. **الرواية الثانية**: لابن الشاعر المُهنا بن ناصر البهلاني، وهي تذكر أنَّ أبا مُسلم وُلِدَ عام (١٢٧٧هـ/ ١٨٦٠م).

٣. **الرواية الثالثة**: لسالم بن سليمان، أيضاً، وهي تذكر أنه وُلِدَ عام (١٢٨٤هـ/ ١٨٦٧م).

ومن الواضح تذبذب سالم البهلاني ـ كما يُشيرُ المحروقي في دراسته ـ في محاولات تحديد تاريخ ميلاد الشاعر، فوجود روايتين متناقضتين دليلٌ على عدم دقَّتِهِ، بسبب تغيُّر ذاكرته بمرور الزمن، ناهيك عن أن روايته الثانية لا تستقيم مع إشارة للشاعر نفسه حول تحديد سِنِّه. ففي قصيدته العَينيَّة يُشيرُ بوضوح إلى أنه قد بلغ الستين من العُمر:

وأيُّ رجـاءٍ بـعـد سِـتِّـيـن حَـجَّـةً لعَيشٍ، وهَلْ ماضٍ من العُمْرِ راجِعُ

هذا البيت ـ الوارد في ختام الفقرة السابقة ـ يعني، فيما يعنيه، أنَّ الشاعر قد بلغ السِّتين من العمر. وبناء على رواية سالم بن سليمان البهلاني الثانية؛ فإنَّ وفاة الشاعر تكون قد حدثت وله من العمر خمسٌ وخمسون سنة، في حين أنَّ وفاته كانت بتاريخ (١ صفر ١٣٣٩هـ/ ١٥ أكتوبر ١٩٢٠م). ونحن نرجِّحُ ـ كما روى المحروقي في كتابه ـ رواية ولده المُهنّا لقربه من والده، ولقرينة تاريخيَّة تتصل بختان الشاعر، فكما يذكر الشيخ أحمد بن حمد الخليلي؛ أنَّ أبا مُسلم خُتِنَ في نزوى لما كان والده الشيخ سالم بن عديِّم والياً وقاضياً عليها زمن الإمام عزان بن قيس، وقد فُتِحَت نزوى عام (١٢٨٦هـ/ ١٨٦٩م)، وذلك يُناسب السِّن الذي يُختَنُ فيه الولد.

[III]

تعليمه وتكوينه الثقافي والمعرفي

تعدَّدَت الرَّوافد التي شكَّلت ثقافة أبي مُسلم البهلاني، ووجَّهَت شاعريَّته، بين روافد دينية وأدبية ولغويَّة، إلى جانب ما اكتسبه بالمُمارسة طوال تجربته الحياتية الثرَّة. والحقيقة أن المحروقي يُشير إلى ندرة المصادر المكتوبة عن حياة الشاعر (وهو ما أتفق معه فيه)، لذا كان لزاماً علينا أن نتوجه إلى شعره مُباشرة، وأن نستعين بالمشايخ والعُلماء العُمانيين في محاولة نسجنا لصورة أقرب ما تكون إلى الكمال عن حياته المُغيَّبَة.

والحديث عن ثقافة الشاعر الدينيَّة يستتبع الحديث عن التعليم في عُمان قبل عام ١٩٤٠م، وهو العام الذي شهد ميلاد أول مدرسة نِظاميَّةٍ في مسقط، فقبل ذلك التاريخ كانت الكتاتيب والجوامع (لا سيما في المناطق الداخلية من عُمان) تستقبلُ أعداداً محدودة من تلاميذ العِلم الذين تسمح لهم ظروفهم المعيشية القاسية بتلقي قسط يسير من علوم اللغة والدِّين.

ووفقاً لما كان سائداً، يومها، فإنَّ الطالب في الكتاتيب في المرحلة الأولى يتلقى مبادئ القراءة والكتابة، وكذلك قراءة القرآن الكريم وحفظ ما تيسَّرَ منه وفقاً للقدرة الاستيعابيَّةِ لطالب العِلم، والكتاتيب عادة لا تكون في الجامع، وإنما في مبنى مُستقل قريب من سوق القرية في الحارة، وإن لم يتوافر ذلك فتحت ظل شجرة وارفة.

تنتهي هذه المرحلة حين يختم الطالبُ قراءة القرآن، فتعَدُّ له (حفلة تخرُّج)، كانت تُعرف بـ«التَّيمِينة»، حيث يطوفُ المُعلمُ ومعه الصِّبيان أزقة البلدة مُردِّدين مَنظومة التيمينة التي تُعلي مِنْ شأن الطالب الذي أتم ختم قراءة القرآن دون أخطاء فادحة، فيما تُعزِّزُ زملاءه الذين لم يتخرجوا بعد لتكثيف جهودهم لبلوغ ذلك اليوم القِياميّ الصَّغير في حياتهم.

تلي ذلك المرحلة المُتقدِّمة؛ وهي تنقسِمُ إلى قِسمَين:

* المرحلة المُتقدمة الأولى

* المرحلة المتقدمة الثانية

ففي المرحلة المُتقدمة الأولى يدرس الطالب كِتاباً في الفِقهِ يُقدم أساسيات المعرفة الدينية، وكتاباً آخر يرفده بمبادئ القواعد النحوية، التي كانت تُقدَّم في صُورتها النحوية المُبسَّطة، وفيما بعد تُقدَّمُ قواعدها على هيئة أراجيز شعريَّة[1] تُسهِّل حِفظ تلك القواعد النحوية، تماماً كما يحدث لاختصارات قوانين الكيمياء والفيزياء والرياضيات في العلوم الحديثة، إن صَحَّت المُقارنةُ قبل أن يخذلنا التشبيه.

بعد ذلك تأتي المرحلة المُتقدِّمة الثانية، حيث يدرس الطالب فيها بشكل مُوسَّع التوحيد والفقه وقواعد اللغة العربية نحواً وصَرْفاً، إلى جانب أساسيَّات عِلم العَروض. ولما كان عدد الطلاب محدوداً، لا سيَّما في المرحلتين الأولى والثانية؛ لم يكُن لِزاماً أنْ يُعطى الدَّرس في جامع بعينه، أو مسجد في إحدى الحَواري، وإنما حسب ظروف اللقاء سواء تمَّ في الجامع أو منزل الأستاذ أو في مجلس عام (سَبلَة). والمُتعارف عليه أن يُلازم الطالبُ أستاذه فترة طويلة من الزمن؛ ليستفيد منه قدر استطاعته عِلماً وسُلوكاً.

إنَّ هذه الطريقة التعليميَّة (الكتاتيب/الجوامع) تأصَّلت في أدبيات المذهب ـ كما يُؤكِّدُ المَحروقي ـ مع مدرسة جابر بن زيد، وفيما بعد مدرسة أبي عُبَيدة الكبير مسلم بن أبي كريمة. وقد حافظ عليها حَمَلة العِلم إلى عُمان، ليُشهِمَ بعدهم عُلماء أجلاء في هذا المجال؛ منهم: أبو محمد بن

---

(١) مثالان شائعان لما يُقدَّم فِقهاً وأراجيز نحويَّة: «**جوهر النظام في عِلْمَي الأديان والأحكام**» لنور الدين السالمي، و«**ألفيَّة ابن مالِك**» المُسهِّلة لطرائقَ حِفظ القواعد النحويَّة لدى التلاميذ المُبتدئين في اللغة، قبل إبحارهم في لُجَجِ الفُصحى.

بركة، خميس بن سعيد الشقصي والعالم الرَّباني سعيد بن خلفان الخليلي، لتأتي بعده مَدرَستا كُلٌّ من الشيخين صالح بن علي الحارثي وعبدالله بن حميد السالمي[1] المُمَثلتان لمراحل نُضج تلك المَرْحَلة من التعليم العالي، الذي خرَّجَ فقهاءَ وعُلماءَ أجلاء وأئمَّة انتخبَتهُم عدالة الشورى التي تميَّز بها المذهب الأباضي.

إنَّ ما دفعني إلى هذا التفصيل ـ يؤكِّد محمد المحروقي[2] ـ هو أنَّ الطريقة ذاتها هي التي تلقى بها أبو مُسلم تعليمه، إذ تتلمذ في بداية الأمر على والده سالم بن عديِّم البهلاني، وكان من الطبيعي أن يلتفت الوالد القاضي إلى فلذة كبده ويقوم بتعليمه في ظل غياب المؤسَّسات[3] الرَّسمية التعليميَّة آنذاك. وفي

---

(١) كما أشرنا في إحدى حواشي قصائد هذه الآثار، فإنَّ المدرستين النزويَّة والرُّستاقيَّة، كانتا المُعادل الفِقهي واللغوي لمدرستي الكوفة والبصرة في العراق، مع حضور سياسي مهم تميزت به المدرستان العُمانيتان، كانتا تتناوبان فيه تداول الحكم والمعارضة، برز واضحاً في السِّيَر المتداولة بين المدرستين، وللأسف لم تحظ هذه السِّيَر بدراسة علمية، ولا حتى بتحقيق ونشر، إلا نزراً يسيراً نشرته وزارة التراث القومي والثقافة العمانية باسم «السير والجوابات» في جزئين مليئين بالأخطاء. ونودُّ أن نُضيفَ هنا إلى هاتين المدرستين، مدرسة الشيخ المُحتسب صالح بن علي الحارثي في ولاية القابل بالمنطقة الشرقية التي تخرَّج منها الشيخ نور الدين السالمي نفسه، ناهيك عن عُلماء أجلاء وَسَموا ذلك العصر بمَيسَم عِلمهم وتقاهم ونزاهتهم وعدلهم، لا سيَّما من مثل منهم عدالة دولة الإمامة من قضاةٍ أخذوا على عاتقهم تحقيق العدالة بين الناس سواسية، دون تمييز بين غنيٍّ وفقير، إلّا بالحدود التي تضفيها مسالك الورع والتقوى.

(٢) **إشارة**: نلفت نظر القارئ، إلى أننا اعتمدنا بصورة أساسية على ما أورده محمد المحروقي في دراسته [حَدَّ النقلِ الحرفي، أحياناً]، في هذا الفصل رقم: [III] من **بيليوغرافيا النَّشأة والحَياة**، رغم تغييرنا لمُنحَنى الصياغة وحَذفِنا أو إضافَتِنا ما ارتأينا حذفه أو إضافته أو استبداله بما نستجد لدينا من معلومات أخذناها من مصادر أخرى، كما سبق لنا وأن أشرنا في حاشية سابقة.

(٣) السبب الذي لم يُشر إليه المحروقي في دراسته، ليس غياب المؤسسات الرسمية، بل غياب كيان الدولة في الفترة الفاصلة (نحو نصف قرن) بين إمامة عزان بن قيس وإمامة سالم بن راشد الخروصي.

المرحلة المُتقدمة تتلمذ أبو مُسلم على الشيخ حمد بن سليم الرَّواحي[1]، الذي كان على جانب من التواضع، عارفاً بإلقاء الدروس على المُبتدئ، وقد كان زميله في هذه المرحلة هو الشيخ أحمد بن سعيد بن خلفان الخليلي، الذي أشار إليه الشاعر ومجد علاقتهما الرُّوحِيَّة، سواء في رثائه له، أو في نونيّته العصماء.

فيما يتصل بمصادر ثقافة أبي مُسلم الدينية، يتمظهر إعجابه بنماذج وسِيَر الشخصيات القيادية في المذهب الإباضي، فقد تمثَّلَ تجاربهم، فقد كان ملتزماً بها ومُدافعاً عنها، لا سيما في دفاعه المُستميت عن ثورة الإمام سالم بن راشد الخروصي، وإن تأثر ـ كما أسلفنا ـ في شعره وتصوفه واتساع أفق مُدركات معارفه بمذاهب شتى، لكنه (في الظاهر)، وغالباً في (الباطن) ظلَّ مُخلصاً وفيّاً لنسقه الفكري العقدي.

واحدة من الشخصيات المُؤثرة في تكوينه الفكري العالم الرَّباني سعيد بن خلفان الخليلي، والد صديقه الشيخ أحمد بن سعيد، فقد كان الشيخ سعيد بن خلفان عالماً مُجتهداً وشاعراً مُفوَّهاً وسياسياً مُناضِلًا أقام إمامة عزان بن قيس، ناهيك عن أبعاد التصوف في شخصيته، لذلك كان المثال الماثل أمام أبي مُسلم ليُعجب ويقتدي به. فقد قال في مُقدمة تخميسه لإحدى قصائد الشيخ سعيد بن خلفان: «إن شهرة سيدي القُطب الجليل العارف بالله سعيد بن خلفان الخليلي، طيَّبَ الله ثراه وأكرم مثواه شهرة الشمس في كبد السماء. وقد بلغ من عِلمي الظاهر والباطن[2] مبلغاً عظيماً دلَّت على قدم راسخ في الكمال

---

(١) في مقدمة النسّابة والمؤرخ سالم بن حمود السيابي ورد اسمه، كما جاء أعلاه: حمد بن سليم الرواحي، في حين أن اسمه يرد لدى المحروقي: محمد بن سليم.

(٢) نلاحظ، هنا، أن السبب (الباطن) إلى جانب ما نضح من أسباب (الظاهر) في إعجاب أبي مُسلم بشخصية سعيد بن خلفان، هو البُعد الصوفي العميق الذي أكده أبو مسلم لاحقاً في تخميسه لقصيدتين من قصائد الشيخ سعيد، هما: «**درك المُنى في تخميس سموط الثنا**»،=

والتكميل، وعلى مقام عال من المعارف اللدُنيّة، ودرجة سَنيَّةٌ من مراتب الذوق».

أما الرَّافد الثاني المُكوِّن والمُشكِّل لثقافة أبي مُسلم، فهو الرافد الأدبي. فقد اطلع الشاعر، كما تشي بذلك نصوصه الشعرية، اطلاعاً واسعاً على النتاج الشعري الكلاسيكي، واستطاع هضمه وامتصاصه والإفادة منه، وإدخاله، بل تكييفه ليوافق لُبَّ نتاجه الشعري.

[IV]

شُيوخُهُ وتَلامِيذُه

درس أبو مُسلم البهلاني مطلع حياته على عدد من الشيوخ الأجلاء، كما أسلفنا. أولهم والده سالم بن عديِّم والشيخ حمد بن سليم الرواحي، وحين وصل زنجبار وتسلم منصب القضاء، ثم منصب قاضي قضاة زنجبار فترة طويلة من الزمن، لكنه بعد تقاعده انهمك في التأليف، لا سيما انهماكه بتأليف كتابه «نثار الجوهر» الذي أنجز منه ثلاثة أجزاء. وكان المُؤمَّلُ أن تصير كاملة في ٢٢ جُزءاً، إلا أنه رحل عن هذه الفانية قبل إتمام مشروعه الأخير، لكنه رغم انشغاله بالتأليف فقد حمل عنه العلم كثيرون نذكر منهم : الشيخ الفاضل سالم بن محمد الرواحي، وعبدالله بن محمد الحبيشي، وبرهان مُكلّا القُمْري من جُزر القُمُر، وآخرون.

=و«ثمرات المعارف وطيبات العوارف»، ناهيك عن قصيدته: «خمرة الله»، التي يقتبس في نهايتها بيتاً من أبيات الشيخ العالم الرباني، سعيد بن خلفان، وهو ما لم ينتبه له بعض الشراح، فأقصوا أو غيروا عنوان تلك القصيدة، فضلًا عن استخدامه لمفردات لها مدلولاتها الصوفية؛ كالكمال والتكميل.

[V]

ترحُّلهُ في شرق إفريقيا

(السِّياحة رُكنٌ من أَركان الحياة)

كانت الرِّحلات إحدى القنوات التي رفدت ثقافة أبي مُسلم، حيث أتيح له الاطلاع على الجديد والمُختلف كُليَّاً عما خبره في عُمان قبل انتقاله ورحيله المُبكِّر إلى زنجبار، فقد حفزته تلك الرحلات على الاستفادة مما لدى الآخر من مكتسبات.

فقد كانت رحلته إلى زنجبار ينبوعاً أفاده وجعله يُغيِّر مفاهيمه التي ترسَّخت في عُمان، من خلال اطلاعه على أنماط ثقافة العصر في تلك البلاد، ببُعديها الإفريقي والكولونيالي، في مُفارقة ـ وعدم مُفارقة ـ نماذج التَّمَدْيُن إلى جانب بساطة وبراءة حياة الريف الإفريقي. وقد أشار أبو مسلم نفسه ـ كما يُشير المحروقي ـ إلى فوائد الرحلات لتنشيط مقدرات الذات، فيما نجده من كتاباته النثرية، حيث كتب: «السِّياحة رُكنٌ من أركان الحياة، وطورٌ من أطوار الحِكْمَة والسِّياسَة، تنشط لها النفوس الزكيَّة، وترتاحُ إليها الإدراكات العليَّة مرقاة العاجز الكيس ومصقلة النفوس من الدَّنس».

لقد رحل أبو مُسلم إلى زنجبار مرَّتين من عُمان:

* **الرِّحلة الأولى**: وكانت عام (١٢٩٥هـ/ ١٨٧٨م)، لاحقاً بوالده سالم بن عديِّم الذي استقطبهُ، بعد سقوط إمامة عزان بن قيس، سُلطان زنجبار السيد برغش بن سعيد بن سُلطان، كما استقطب كثرة كاثرة من النُّخب العُمانيَّة المُستنيرة، آنذاك ليدعم بها نهضته في زنجبار. لكنَّ أبا مُسلم عاد من هذه الرِّحلة إلى عُمان عام (١٣٠٠هـ/ ١٨٨٢م).

* **الرِّحلة الثانية**: وكانت عام (١٣٠٥هـ/ ١٨٨٨م)، وهي الرِّحلة التي استمر فيها حتى وفاته في زنجبار، بعد أن صَعُبَت عليه العودة إلى عُمان بعد

اغتيال الإمام سالم بن راشد الخروصي، وعدم اهتمام الإمام محمد بن عبدالله الخليلي بتوسُّلاته وإلحاحه للعودة، كي يموت بين «ضَعَاضِعِ» وطنه.

في هذا السّياق، يُشيرُ د. محمد المحروقي إلى أنَّ بعض الرِّوايات تُؤكِّد أنَّ الشاعر بعد عودته من زنجبار إلى عُمان ناله أذى من بعض قومه[1]، فلم تسمح له كبرياؤه بالبقاءِ في عُمان مع ذلك الأذى، فضلًا عن تمتُّعِهِ في زنجبار بما حَقَّقَ آماله العريضة وهِمَّته الطامحَة.

في أخريات عُمره، كان أبو مُسلم ينوي السفر إلى الديار المُقدَّسة، ثم العودة إلى عُمان، إلَّا أنَّ الأجل عاجله قبل إنفاذ ذلك العزم، كما يروي المحروقي[2].

اللافِت أنَّ أبا مُسلم رحل إلى عدة أقطار إفريقية بمعيَّة السُّلطان حمود[3] بن محمد بن سعيد بن سلطان البوسعيدي (١٨٥٣ ـ ١٩٠٢م)، وقد سجَّل مُشاهداته في كُتيِّبٍ رَحَليٍّ أسماه: «اللوامع البرقية». رحلته تلك أتاحت له

---

(١) وفقاً لتكهُّننا؛ رُبَّما كانت الإشارة إلى الأذى الذي نال الشاعر من صهره الشيخ سليمان بن عمير الرَّواحي، الذي عاتبه الشاعر في قصيدةٍ، هي أقرب للهجاءِ منها لعتاب الصِّهر، حيث قال في بعض أبياتها: **جَشَّمْتني خَرْطَ القَتا | دِ وَكانَ بالقِمَّةِ وُقاحْ * وَرَمَيتني مَعَ مَنْ رَمَى | بلْ زِدْتَ كَيّاً في الجِراحْ * أوَ لم تكُنْ ضَرَّجْتَني | بدَمِي على عَفرِ البِطاحْ * وَرَمَيتَ لَحمِي للكِلا | بِ السُّودِ تنهَشُهُ مُباحْ * وَنثرْتَ عِرْضِي في نوا | دي القومِ تذرُوهُ الرِّياحْ**. لا نريد التورُّط في معَيَّة تأكيد ذلك، فربما كانت هناك أسباب عائليَّة وموضوعيَّة أخرى، لم نتمكَّن من الإطلاع عليها بسبب شُحِّ المَصادر في هذا الجانب من سيرة الشاعر.

(٢) تحديداً، في هذه **الجُزئية الرَّحلية** من فصل **ترجمة حياة الشاعر**، لم يذكر محمد المحروقي شيئاً عن زيارة أبي مُسلم للديار المُقدَّسة في وقت سابق، حيث التقى بالعلامة الجزائري الإباضي الشيخ القطب أمحمد بن يوسف أطفيش، لكننا سنجد أنَّ المحروقي سوف يشير إلى رحلة الحج تلك في القسم الذي وسمه بعنوان: (علاقاته)، حيث لا يُغفِلُ لقاء أبي مُسلم في مكة المُكرَّمة بـ(قطب الإئمة) الشيخ أمحمد بن يوسف أطفيش الذي أعجب أيما إعجاب بشخصية أبي مُسلم، ولقب أبا مُسلم بلقب: «شاعر العصر».

(٣) هو والد ممدوحه الأثير علي بن حمود (١٩٠٢ ـ ١٩١١م)، قبل اعتزاله، أو إجبار الإنكليز له ليعتزل الحكم. **ملحوظة**: راجع بعض الحواشي المُتقدمة بهذا الخصوص.

رؤية العالم بعين أخرى، لا سيما أنَّ أجزاء منها كانت في القطار البخاري الذي افتتن به أبو مُسلم.

استمرت تلك الرحلة طوال الفترة الممتدة من ١٨ نوفمبر ١٨٩٨م حتى ١٧ ديسمبر ١٨٩٨م. وقد كتب أبو مُسلم واصفاً القطار البخاري، قائلًا: «..فمَرَّ مَرَّ السَّحاب، وهوى هَويَّ الرِّيح بين تلك الفياض المُلتفة كأنها الهضاب الروابي، بحيث أطلقت له حركة تقطع في الساعة عشرين مِيلًا».

ولم يكتف أبو مُسلم بذلك الوصف الوارد في كتابه: «اللوامِع البَرقيَّة»، بل أنه كتب قصيدةً طريفة في وصف القطار، أعجوبة ذلك العصر، لم نعثر عليها لا في «الأصل المُعتمد»، ولا في «المخطوطة»، لكنَّ نُسخة[1] منها نُقلت من مصدر قديم (بخط الأستاذ أحمد الفلاحي) تكرَّم مشكوراً بإعطائنا صورة منها، خصِّيصاً لآثار أبي مُسلم الشعرية، حيث يقولُ في بعض أبياتها:

وَنِحَ القِطارِ جَرَى يَختالُ للسَّفرِ ... شيءٌ يُحيِّرُ إذ مَا لاحَ للنَّظرِ
كالأفعُوانِ طويلٌ عِندَ زَحفتِهِ ... لكنَّهُ كهبوبِ الرِّيحِ في السَّفرِ
يَنقضُّ في سَيرِهِ كالبَرقِ مُندَفِعاً ... وكالصَّواعِقِ تُنبي الأرضَ بالنُّذرِ

[VI]

غضبه من الاستعمار الإنكليزي في البُلدان العربية وإعجابه بإصلاحات الإنكليز في زنجبار

يُشير م. المحروقي أيضاً إلى أن أبا مُسلم لم يُخفِ إعجابه بما أدخله الاستعمار الإنكليزي من إصلاحات على بعض أقطار الدول الإفريقية، فقد لاحظ على مدينة «لاموه» أنها: «ضيقة المسالك، قديمة البناء، غير مُستوية

(١) راجع قصيدة القطار كاملة في موضع آخر من هذا الكتاب.

المَناهِج». ويرى أنَّ دولة الإنكليز لن تترك هذه المدينة على ما هي عليه، وإنما ستجري بها إصلاحات كتعديل الطرق وإقامة المُستشفيات، فكتب أبو مُسلم قائلًا: «على أنني أجزم قطعاً أنَّ دولة الإنكليز[1] لا تُغادر هذه المدينة على هذه الخطة حتى تزرع فيها التَّمَدُّن الذي زخرفت به مُستعمراتها وزيَّنت به عواصمها».

وثناؤهُ على الإنكليز يتكرر في أكثر من موضع في كتابه: «اللوامع البرقية»، لدرجة أن المرء يُدهش من إعجاب أبي مُسلم بـ«إصلاحات» الإنكليز في زنجبار، في حين أنه لا يُوفِّرهم في قصائده الاستنهاضيَّة المُوجَّهة للعُمانيين، لا سيما في قصيدتيه «المقصورة» و«العينية». لكنك تراه في «اللوامع البرقية»، في معرض حديثه عن الحماية البريطانية لجزيرة زنجبار، يقول دون تردُّد: «ولا أزالُ أهتفُ بلسان الإنصاف، ما دُمتُ حُرّاً، أنَّ إنكلترا مَحطُّ نظرها العدل، ونسيج محور سياستها التمَدين».

(١) نعتقد أنَّ أبا مُسلم كان مُخطئاً في حُسن ظنه بالاستعمار الإنكليزي، فما أقاموه من سكك حديد وبناء طرق ومساكن ومُستشفيات (إرساليَّة هدفها التنصير، لا حُبيبات الأسبيرين)، لم تكن لخدمة الأفارقة، بل لخدمة مشاريعهم في نهب ثروات تلك البلاد. والحقيقة العارية أن الاستعمار الإنكليزي، سواء في الهند أم في إفريقيا لم يلتفت إلى البُنية التحتية لتلك البلدان، عدا ما يفيد الإنكليز أنفسهم، لا الأفارقة ولا الهنود، عكس الاستعمار الفرنسي الذي عُني في شمال إفريقيا وبعض دول غرب إفريقيا بتعليم الناس اللغة الفرنسية وآدابها، إلى جانب البنية التحتيَّة الراسخة التي تتمتع بها، الآن، بلدان كالمغرب والجزائر. صحيح أن كِلا الاستعمارين كانت له أهدافه الخاصة، لكننا نستطيع القول، في المُحصِّلة النهائية، أنَّ الفرنسيين تركوا ثقافة ولغة ثريّة وأدباً راقياً استفاد منه سُكان تلك البلاد، عكس الإنكليز الذين لم يعتنوا بنشر اللغة الإنكليزية وآدابها، ناهيك عن التعليم في مراحله الابتدائية والمُتوسطة.

[١٩]

شكر وامتِنان

أودُّ في خاتمة هذه المُقدِّمَة أن أشكر الكُتاب والباحثين والشعراء والأصدقاء والأقارب وكافة من عاونوني وساعدوني بسخاء شديد وكرم كبير، عبر مُختلف الطرائق، وبشتى السُّبُل على إنجاز هذا العمل الذي استغرقني نحو ثلاث سنوات كاملة، وهم على التوالي وفق ترتيب أسمائهم الخاضع لأقدمية وتراتبيَّةِ ما قدَّموهُ لي من عَونٍ ساهم في اكتمال إنجازي لهذا الاشتغال الذي لولا مَعونتهم ودعمهم وتشجيعهم ما كنتُ لأنجزه لتقديمه على الهيئة والصُّورة التي ظهر عليها، أياً كانت تلك المُساعدة والمُساهمة؛ سواء كانت وثيقة، مخطوطة نادرة، صورة فوتوغرافية، ترجمةً لمُصطلح إنكليزي أو فرنسي، إلماحَةً أو مَسرَداً تاريخياً مُوثقاً، فضلًا عمَّن ساعدوني في رَقنِ القصائد المُضافة إلى العمل الأساس، تلك التي لم نجدها في المخطوطة ولا في الأصل المُعتمد، وهُم على التوالي: الأستاذ الأديب أحمد الفلاحي، الشاعر سماء عيسى، الكاتب خميس بن راشد العدوي[1]، الشاعر والصحفي محمد بن سليمان الحضرمي، الشيخ علي بن عبدالله بن خليفة الحارثي، الإعلامي والكاتب إبراهيم اليحمدي، الشاعر خالد المعالي، الكاتب عبدالله حبيب، الشاعر إسكندر حبش، الكاتب علي نصَّار، الأخ يوسف بن يعقوب الحارثي، الأستاذ مازن الطائي، شقيقي عبدالله بن أحمد الحارثي، الأستاذ سيف

(١) إلى جانب ما قدَّمهُ لي الكاتب خميس بن راشد العدوي من وثائق قيِّمة، فضلًا عن ترتيبه العِلمي لفهرس آثار أبي مُسلم؛ فإنني أود شكره على جُهده ووقته الثمين الذي صرفه تدقيقاً مُضافاً من لدنه لهذه المُقدِّمة، سواء بإضافاته المُفيدة أو إسهامه بتنبيهي لبعض المُقترحات والصِّيغ الأسلوبية التي ارتآها في المَتنِ أو الحواشي، مما فاتنا الانتباه إليه أنا ومُراجع الآثار الأستاذ ناصر بن إسحاق الكندي.

اليحمدي، الشاعر إبراهيم سعيد، الآنسة وداد الحارثي[1]، ابتهاج الحارثي، وصال الحارثي، غول راقي باز خان[2]، أشيشْ شُودري[3] وفرانسيس كونسِيسَّاو[4] لما بذلوه من جُهد مُثمَّن ومُقدَّر في مقامات الشكر حول إسهاماتهم التي كانت خير مُعين لي في إنجاز تحقيق هذه الآثار.

---

(١) هي كريمة أخي عبدالله التي ساعدتني في رَقنِ بعض قصائد أبي مُسلم، لا سيما تلك التي حَصلتُ عليها في لحظات اشتغالي الأخيرة من مكتبة الأستاذ أحمد الفلاحي ولم تكُن موجودة لا في الأصل المُعتمد ولا في المخطوطة، إلى جانب رَقنها للقصائد المخطوطة في «نثار الجوهر».

(٢) راقي غول باز: هو القيِّم على واحة نهار السِّياحية في ولاية إبرا؛ والذي قدم لي معونة لوجستية كبيرة طوال استضافة أخي عبدالله الحارثي لي في واحته نحو عام ونصف. فقد كان الباكستاني راقي يُقدِّمُ لي كُلّ ما كُنتُ أحتاجه طوال إقامتي، مُسهِّلًا عليَّ مَرْكَبَ الحياةِ والبحثِ في تلك الواحة المُنفتحة على مَضائقِ وادي نام، فيما يُحدثني، عن أحوال بيشاور وما جاورها من أقاليم شمال باكستان.

(٣) أشيش شودري: هو سائق العائلة الذي قدَّم لي معونات لا تُحصى طوال اشتغالي في المرحلة الأخيرة من إنجازي لهذا العمل، فقد كان بمثابة بريدي الزاجل الذي يَحمل أضابير المَخطوطات والنصوص المرقونة ليُصوِّرها قبل وصولها إلى مُراجع الكِتاب ومدققه؛ الأستاذ ناصر بن إسحاق الكندي، إلى جانب تكفله بكافة احتياجاتي الضرورية، آنذاك. جدير بالذكر أنه بنغالي هندوسي لهُ ولع بالغيبيات والتكهُّن بالغيب، واستقراء الأحداث التي لم تحدث بعد، كما أنه مُولع بشيخ الطريقة القادريَّة؛ المُتصوِّف عبد القادر الجيلاني. والحقيقة أنَّ أشيش شودري كان مُتحمِّساً لمشروعي، مُنبهراً من الصُّورةِ الفوتوغرافية لهذا الشيخ العُماني المُتصوف في زنجبار، عاقداً ـ على طريقته ـ بين أبي مُسلم والشيخ عبدالقادر الجيلاني صِلة قرابة صوفيَّة (مُتخيَّلة)، لم توجد أصلًا في مهمه الواقع، كما لم أعتقد بصوابها.

(٤) فرانسيس كونسيسَّاو: هو مُدير مُخيم ألف ليلة في رمال وهيبة، (وهو هندي مَسيحِي مُلتزم، من جُوا Goa لا يخفى رنين اسمه البرتغالي في اسمه العائلي)، حيث قضيت نحو أسبوعين لإنجاز الجزء النهائي من هذه المقدِّمة، ولم يَألُ فرانسيس جهداً لتسهيل آلية اشتغالي على مُقدِّمة آثار أبي مُسلم، رغم انشغاله الدائم باستقبال ووداع السُّياح المَحليين والقادمين من أوروبا لقضاءِ ليلة أو ليلتين في رمال وهيبة.

[٢٠]

خاتمَة

إن كان لا بُدَّ من كلمة أخيرةٍ في الخاتمة، كما يفعلون دائماً في مُقدِّمات الكُتب، فإنَّ اشتغالنا هذا مَدينٌ تحقُّقه لكافة من سَبقونا في مَحبَّةِ أبي مُسلم والإنهمام بشعره اللافت والأخَّاذ، وأخصُّ منهم بالذكر الشيخ سالم بن سليمان البهلاني (ابن أخي الشاعر) الذي عُني بجمع شتات شعره وتقديم ما توفر لديه في مخطوطة كانت مرجعاً أُسّاً لمن جاءَ بعده. كما أخصُّ بالذكر جدِّي الشيخ المُجاهد صالح بن عيسى بن صالح الحارثي، الذي أَسهمت مَحبَّتهُ لشاعر العرب؛ أبي مُسلم البهلاني في تعريف العُمانيِّين والعرب قاطبة بنتاجه الذي أُتيح له جمعه على مرحلتين في طبعتين ظهرت أولاهما في القاهرة عام ١٩٥٧م، والثانية ظهرت في دمشق عام ١٩٨٦م، كما أشرنا سابقاً. وبالتأكيد لن تفوتني الإشارة إلى الجُهد المحمود الذي بذله مُحقِّقُ ديوانه راشد الدغيشي، فله حَقُّ فضل السَّبق، وإن اختلفتُ معه منهجاً ورؤيةً، كما أشرتُ في هذه المُقدمة. أما واجبُ الشكر لصديقي الدكتور محمد المحروقي فهو حَتميٌّ ولازمٌ بالتأكيد، فاستفادتي من دراسته القيِّمة: «**الشعر العُماني الحديث؛ أبو مُسلم البهلاني رائداً**» كانت رافداً أدبياً ونقدياً وتأريخياً أسهم في إنجازي لهذا المشروع.

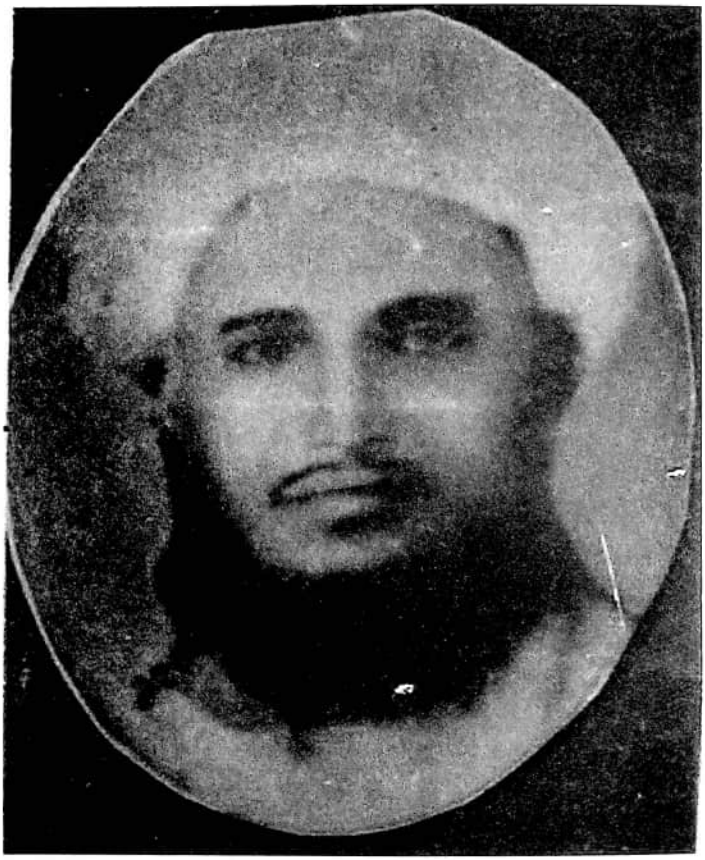
وإنْ كان لا بُدَّ من أُمنية؛ فإنَّ آخر أمنياتي، التي لن أخفيها في مُختتم هذه المُقدمة، هي أن يلقى هذا الاشتغال القبول مِنْ مُحبِّي الشاعر أبي مُسلم البهلاني، وعُشاقِ شعره ودارسيه؛ مِمَّن لم يُقدَّر لهم الحصول عليه كاملًا في إضمامة واحدة من قبل، لا سِيَّما أنَّ نتاجه الشعري لم يُقدَّر له ـ كما نعتقد ـ أنْ يَظهر بالصُّورة اللائقةِ التي نتمنى أننا أسهمنا بجُهدنا المُتواضع في إظهارهِ، لأول مرة، مِن خوافي البواطن التي لم تُتِحْ لهُ أن يظهر في أزمنة سابقة على

الوجه والصِّبغة والصِّيغة التي حاولنا أن يظهر عليها هذا الاشتغال بالصُّورة والهيئة التي هُيِّئ لنا أنها لائقة وجديرة بمُبتدَعِهِ الشعري؛ بحيث نستطيع القول، في المُختَتَم، إنَّها بالكاد تَفِي بمَقامَاتِ شيخنا وشاعرنا أبي مُسلم الرَّواحِي.

محمد الحارثي

مسقط، ٣٠ ديسمبر، ٢٠٠٩

ملحق
الصُّور والوثائق



الشاعر أبو مُسلم البهلاني الرّواحي



العدد الثامن من صحيفة النجاح التي أصدرها أبومسلم في زنجبار (عدد٢٢ ديسمبر ١٩١١). نعتقد أنَّ شعار Logo جريدة النجاح قد صممه أبو مُسلم البهلاني الذي اشتهر كخطاط بارع، وقد خط مزدوجاً تعلوه أكباش زهرة القرنفل. وهي جريدة كان يُصدرها حزب الإصلاح في زنجبار. ورد في ترويستها: «إنْ أُريدُ إلّا الإصلاح ما استطعت» || زنجبار بشارع البرتكيس؛ أي شارع البرتغاليين || ثمن النسخة: ثلاث آنات [|| مُحرر الجريدة: أبو مسلم الرواحي || جريدة وطنية أدبية علمية إخبارية تاريخية تصدر في الشهر ثلاث مرات || يُدفع ثمن الإشتراك سلفاً خمس رُبيّات [هنديّة] لسنة، وفي الخارج سبع رُبيّات.

المصدر: إبراهيم اليحمدي.

ديوان أبي مسلم

ناصر بن سالم بن عديم الرواحي العماني

شاعر زمانه وفريد أوانه

الطبعة الأولى

١٣٧٧ هـ — ١٩٥٧ م

عنى بطبعه وترتيبه احد المتطوعين باوقاته الثمينة فى خدمة
امته ووطنه طالبا بذلك رضا الله وعز الوطن والله ولى التوفيق

يطلب من مكتب امامة عمان
٢٣ شارع حسن صبرى بالزمالك
القاهرة

والمجد لا يملك عن وراثة لكن بتحطيم الشبا على الشبا
ولو تقلدنا فعال أهلها لم يعبث الفار بهيصار الشرى

دار القاهرة للطباعة
٢٦ شارع منصور بـ القاهرة

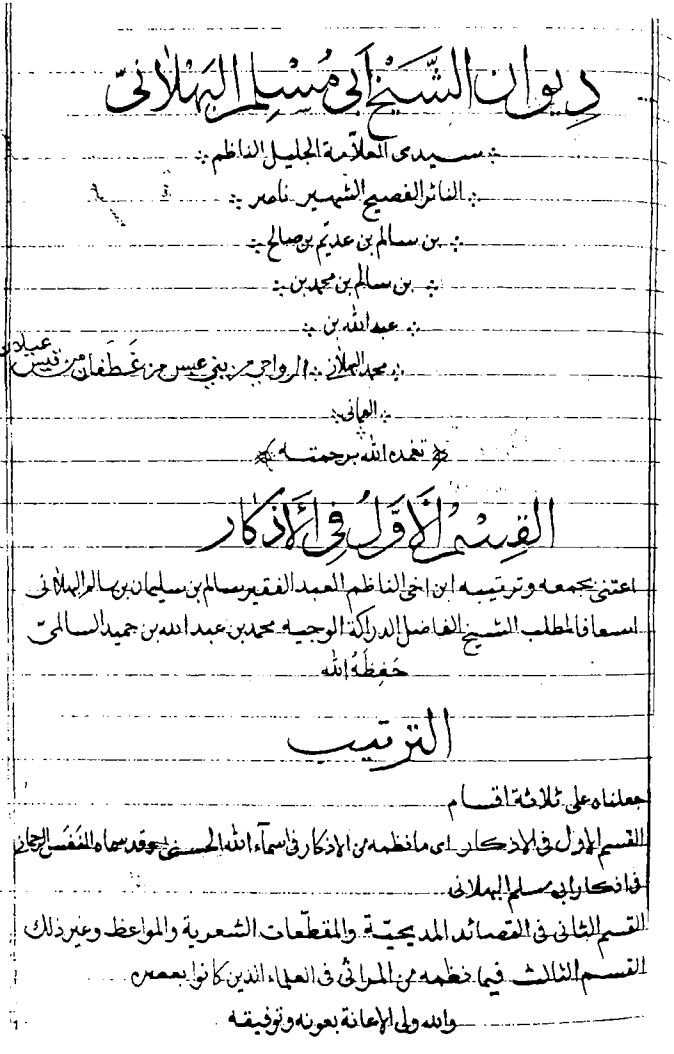
غلاف ديوان أبي مُسلم (طبعة القاهرة، ١٩٥٧م)

المصدر: مكتبة الأستاذ أحمد الفلاحي.



صورة نادرة للشيخ المجاهد صالح بن عيسى الحارثي في أحد المؤتمرات مُدافعاً عن قضية إمامة عُمان، وقد كان اهتمامه كبيراً بآثار أبي مُسلم البهلاني فطبعه مرتين: (القاهرة، ١٩٥٧م / دمشق، ١٩٨٦م).

المصدر: يوسف بن يعقوب الحارثي.



ديوان الشيخ أبي مُسلم البهلاني

سيدي العلامة الجليل الناظم

الشاعر الفصيح الشهير ناصر

بن سالم بن عديم بن صالح

بن سالم بن محمد بن

عبد الله بن

محمد البهلاني الراجحي من بني عبس من غطفان من قيس عيلان

العماني

تغمده الله برحمته

القسم الأول في الأذكار

اعتنى بجمعه وترتيبه ابن أخي الناظم العبد الفقير سالم بن سليمان بن سالم البهلاني

أسعفا المطلب الشيخ الفاضل الدراكة الوجيه محمد بن عبد الله بن حميد السالمي

حفظه الله

الترتيب

جعلناه على ثلاثة أقسام

القسم الأول في الأذكار أي ما نظمه من الأذكار في أسماء الله الحسنى وقد سماه النفس الرحمن

في أذكار أبي مسلم البهلاني

القسم الثاني في القصائد المديحية والمقطعات الشعرية والمواعظ وغير ذلك

القسم الثالث فيما نظمه من المراثي في العلماء الذين كانوا بعصره

والله ولي الإعانة بعونه وتوفيقه

الصفحة الأولى من مخوطة ديوان أبي مُسلم بخط ابن أخيه سالم بن سليمان البهلاني

المصدر: مكتبة الأستاذ أحمد الفلاحي.

نأتي بنفثة وجيزة من كلامه الدر المنثور في الدولة السعيدية قبل الأبيات
قال : سيما في دولة السلطان العظيم السيد سعيد بن سلطان فانه ساح
في الأقطار طيّ ما للسياسة من أوطار وكافح الأخطار في اقتناء الأخطار ر
وكابد كل خطب بخطوب ورقا كل شعب بشعوب
الى ان تخيّر والمعالي مآتمٌ عليه الحزن والزمان يتيم
عليه من الايام رنة مُثكل وللحزن في احشائهن جحيم
وما كل شخص غيبته ثنية بباق يسوس الناس وهو رميم
كما سلس ما عند المليك بسعيه وفي رمسه ذاك المليك مُقيم
تسير مسير البدر آيات فضله وبدر يحيّاه الكريم غمام
خلا عقبه الشمال في سلوكه وفي أثر النجم الأفيل نجوم
فكم تركوا من مرتقى المجد ذروةً تلوح لهم فيها يدٌ ورسوم
شموس اذا شاهدت نورة وائهم ولكنهم في المعضلات رجوم

قال ابن اخي الناظم العبد المفتقر سالم بن سليمان بن سالم بن عديم البهلاني العبشمي
هذا آخر ما يسّر الله لنا جمعه من منظومات عمنا المرحوم ابي مسلم مُرتّباً
على الاقسام الثلاثة السابق ذكرها ونتأسف جداً على ذهاب ما تفرق من نظمه
ولو تيسّر جمع الكل لكان ديواناً ضخماً ولكن ما فات لا يُرجى حصوله فالامر لله جلّ وعلا
ولقد هجمت على حال النسخ جنود الاشغال كادت تحول بيني وبين الآمال لولا مكافحتي
لها بصوارم العزم فالحمد لله على عونه وتوفيقه ثم ان لم اتمكن من التصحيح لما عسى
ان يكون قد طغى به القلم من غلط إما لسهو واما لتقصير باع الفهم عن ادراك المعنى
فانى من الجهل بمكان وبين البلادة ارسف في قيود الاسجان فمن عثر على خلل وكان
على علم واسع وفكر وقادة وقريحة نقّادة فليصلح ما يرى وانا استغفر الله
من خطأ وزلل سَوَّه الوجه الجميل بالخلل وهو الغفور الرحيم وكان امساك
عنان جواد اليراع فراغ أيوم ١٢ رجب الاصبّ سنة ١٣٧٦ وصلى الله على
سيدنا محمد النبي وعلى آله وصحبه وسلم

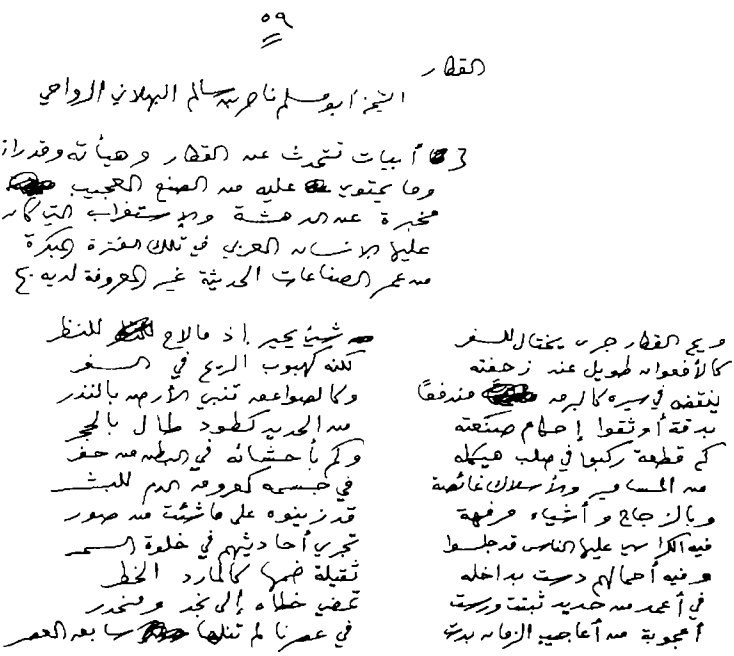
(١) لفظة هكذا وجدناها بالاصل في اللوامع البرقية «تأليفه».

الصفحة الأخيرة (رقم ٤٠٠) من المخطوطة، وبها أبيات في مديح السيد سعيد بن سلطان متبوعة بخاتمة الشيخ سالم بن سليمان البهلاني، وهي مؤرخة بتاريخ ٢٢ رجب ١٣٧٦ هـ (الموافق ٢٢ فبراير ١٩٥٧)



آثار المنزل الذي وُلد فيه الشاعر بوادي مَحْرَم

المصدر: الشاعر جابر الرواحي.



القطار

الشيخ أبو مسلم ناصر بن سالم البهلاني الراحلي

٥٩

قصيدة «القطار» مكتوبة بخط الأستاذ أحمد الفلاحي مع مقدمة تعريفية بها، وقد نقلها عن دفتر قديم في أوراقه القديمة، ونشبتها بخطه لأهميتها التوثيقية أولاً، ولعدم عثورنا عليها، تالياً في كُلٍّ من المخطوطة والأصل المُعتمد.

المصدر: مكتبة الأستاذ أحمد الفلاحي.



الصفحة الأولى من مخطوطة النونية (**الفتح والرضوان في السيف والإيمان**)،
وهي أقدم مخطوطة للقصيدة الشهيرة (١٩١٤م)،
ويظهر عنوانها مخطوطاً في نقوش رسمة المحراب.

المصدر: مكتبة الشاعر سماء عيسى.

هيكَ استطرتَ فؤادي فاستطر رمقي ... إلى معاهدَ لي فيهنَّ أشجانُ
تلكَ المعاهدُ ما عهدي بها انتقلتْ ... وهنَّ وسطَ ضميري الآنَ سكانُ
نأيتُ عنها ولكنْ لا أفارقُها ... بلى كما افترقَ روحٌ وجثمانُ
وكيفَ أنسى عهودي في معارِجِها ... وهنَّ بينَ جنانِ الخلدِ بطنانُ
أم كيفَ يمكنُ سلواني فضائلُها ... نعمْ لدىَّ لذا السلوانِ سلوانُ
معاهدٌ شاقني منها محاسنُها ... إنْ شاقَ غيريَ آرامٌ وغزلانُ
لها على القلبِ ميثاقٌ يبوءُ بهِ ... إنْ جاءَ بالحبِّ في الأوطانِ إيمانُ
نزحتُ عنها بحكمٍ لا أغالبُهُ ... لا يغلبُ القدرَ المحتومَ إنسانُ
كأنني واعترابي والغرامُ بها ... حتى قضى خلقتهُ بعدُ أحزانُ
هيَ النوى جعلتني في محاجرِها ... مثلَ الخيالِ وروحي ثمَّ جثمانُ
أعيشُ في غربةٍ عيشَ السليمِ على ... رغمي وليسَ الى الترياقِ إمكانُ
يا برقُ حرِّكْ هُموي ان تكنْ سكنتْ ... فكلُّ حظي تحريكٌ وإسكانُ
يزالُ ينشطُ بي همي وأصبرهُ ... وتناشطُ الهمِّ لا تزويهِ أرسانُ
يا برقُ هلْ والحيا من ضاحضٍ فلجٍ ... ألتامِ فالطفِّ حيا هنَّ هتانُ
وهلْ ذرى القفصِ فالمقراةِ معشبةٌ ... وسلَ فطينٌ بعلياءَ فأعرِبا نوا
عهدي بها ونضيرُ العيشِ يصحبُها ... والدهرُ في غفلةٍ والشهبُ إخوانُ
نشأتُ فيها وروضاني ومرتبعي ... روحُ الفصيلةِ لا رندٌ وريحانُ
أرتاحُ فيها الى خِلٍّ فيهجرني ... صِدقٌ وقصدٌ ومعروفٌ وعرفانُ

الصفحة الثالثة من مخطوطة النونية

أَطْلَقْتُمُ السَّيْفَ فِي أَفْرَادِ مِلَّتِكُمْ ... وَقَيَّدَتْهُ عَنِ الْأَعْدَاءِ أَجْفَانُ

هَبْ أَنَّ أَسْيَافَكُمْ عَرَّتْ بِهَا قَرَمٌ ... فَفِي لُحُومِ الْعِدَا أَيْمَاشُ عَرْثَانُ

هَانَتْ عَلَيْكُمْ تُرَاثُ الْكُفْرِ وَاشْتَعَلَتْ ... فِيكُمْ عَلَى بَعْضِكُمْ لِلْبَعْضِ أَضْغَانُ

وَأُلْفَةُ الدِّينِ قُرْبَى لَمْ تَكُنْ مَعَهَا ... أَعْلَى وَأَدْنَى وَأَحْزَابٌ وَأَدْيَانُ

يَا قَوْمِ هَذَا إِمَامُ الدِّينِ بَيْنَكُمُ ... مَقْصُودُهُ الْحَقُّ لَا مُلْكٌ وَسُلْطَانُ

يَدْعُو إِلَى اللهِ قَوَّامًا بِمِلَّتِهِ ... لَهُ حُسَامَانِ اقْسَاطٌ وَإِحْسَانُ

يَا قَوْمِ طَاعَتُهُ فِي مِصْرِكُمْ وَجَبَتْ ... فَرْضًا عَلَيْكُمْ وَمَا فِي الدِّينِ إِذْهَانُ

يَا قَوْمِ لَا تُدْبِرُوا عَنْهُ فَإِنَّ لَكُمْ ... رَبًّا يُحَاسِبُ وَالْإِدْبَارُ عِصْيَانُ

يَا قَوْمِ إِنْ تُدْبِرُوا يَغْضَبْ لِهَتْكِكُمُ ... وَأَيْنَ مَلْجَأُكُمْ وَاللهُ غَضْبَانُ

إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ فَلَا تَهِنُوا ... فَالْكُفْرُ فِي الْمَقْتِ وَالْإِسْلَامُ رِضْوَانُ

إِنَّ الْإِمَامَ يَمِينُ اللهِ بَيْنَكُمُ ... فَبَايِعُوهُ وَإِلَّا حَلَّ خُسْرَانُ

قَامَتْ عَلَيْكُمْ بِحُكْمِ اللهِ حُجَّتُهُ ... إِنْ كَانَ فِيكُمْ لِحُكْمِ اللهِ إِذْعَانُ

إِنْ تَتَّبِعُوهُ فَعَيْنُ الرُّشْدِ حَظُّكُمُ ... أَوْ تُعْرِضُوا عَنْهُ فَالْإِعْرَاضُ طُغْيَانُ

فَرَاقِبُوا اللهَ فِيهِ إِنَّ حُجَّتَهُ ... قَدْ قَامَ فِيهَا بِحُكْمِ اللهِ بُرْهَانُ

تِلْكُمْ وَصِيَّةُ حُسَّانٍ لَكُمْ صَدَرَتْ ... فَإِنَّنِي الْيَوْمَ لِلْإِسْلَامِ حَسَّانُ

إِنْ كُنْتُ أَحْسَنْتُ فِي بَعْضٍ فَقَدْ كَتَبَتْ ... وَإِنَّمَا يَعْقُبُ الْإِحْسَانَ إِحْسَانُ

الصفحة رقم ٢٣ من مخطوطة النونية

لا يصدق الدين الا من يناصحه	ولا يصح بغير النصح ايمان
فان تمكن نصحي من بصائركم	بدا لكم من ضياء الحق فرقان

بعد حمد الله الملك المنان * والصلاة والسلام على نبيه
عالي القدر والشان * قد تمت هذه القصيدة المباركة
المسماة بالفتح والرضوان * في السيف والايمان * تاليف
العالم العلامه * والحبر البحر الفهامه * سيدي الشيخ ابي مسلم
ناصر بن سالم بن عديم الرواحي حفظه مولاه ووفقه لما
يتمناه * امين * وكان تمام طبع هذه القصيدة
في غرة جمادى الثاني سنة ١٣٣٢ هجريه * على صاحبها
افضل الصلاة وازكى
التحيه
آمين
م

الصفحة الأخيرة من مخطوطة النونية، ويظهر فيها بيتان إلى جانب تاريخ الانتهاء منها في غرة جمادى الثاني عام ١٣٣٢هـ، (الموافق ٢٧ إبريل ١٩١٤م)

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة للناشر

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى • أن ارجوزة الصابوني العلامة مولاي إدريس وغيره من الجوامع الفقهية رحمه الله • هي جمع ارجوزة ابن الآن في فقه المذهب للمعارف الشرعية • وناهيك أن النظم عاق بالنفوس واضبط للجُمَل وأسهل للحفظ وأوفى بتلخيص المعاني الطويلة في الألفاظ الموجزة • والمعنى الجامع الجزل أوحى رسوخاً في القلب إذا طرقه باللفظ السهل الرايق • وفاجأه بالعبارة الشاملة • فكان من الحكمة التي سلكها حكماء الفقهاء المتعطشين الى ذخر الزاد • ونفع العباد • تقريب البعيد وبرد الشارد وجمع الشتيت • وتخليص المعاني المرتبكة بالألفاظ المشبهة • بأن تُشبَك في القالب الشعري كصنيع عالم الشعراء وشاعر العلماء العلامة النابغ اللَّبِن الفقيه احمد بن الخضر السوسي رحمه الله في دعايمه • والعلامة الى نصر فتح بن توج المعربي في علم الاعتقاد وفي ركن الصلاة • والعلامة محمد بن ابراهيم الكدي صاحب بيان الشرع في نظم كتابه النعمة في الفقه • وكالعلامة الرسموكي في ارجوزته الفقهية • ومثل السيد الجليل العلامة الحليلي في زكاة النعم وفي اللغة وفي علم السلوك • وكالعلامة السيد العظيم إبي بنهان في علم السلوك • وجم غفير من فحول العلم وقادة الدين رضي الله عنهم كلهم حرصاً منهم على تسهيل الوصول وادراك الحصول على العلوم النافعة بأدنى الوسائل • لاجرم لما كانت السابغية لها القدح المعلى في الاحتواء على جوهرة الفقه سهلة التناول أكب عليها الخاص والعام • ولهذا وما حشرته في جيبها من المهمات الشرعية الدرية والمعارف الدينية النفيسة تعرض لها العلامة الدراكة خاتمة المحققين ناشر لواء المعقول والمنقول أسعد الدين الشيخ عبد الله بن حميد السالمي قدس الله مضجعه • فتناولها بيمين النصيحة والانصاف • فاستخرج الجوهر من بين تلك الاصداف • بأن حذف التطويل • وابرز خلاصة الاجمال بالتفصيل • وأسفر عن وجوه الاقاويل • وحقق آراءه الحصيفة العلية • وأيدها بالدلايل الجلية • وفلس الاقوال الضعيفة • وكشف عن وجوهها السخيفة • وقدم وأخر وهذب • وزاد ونقص ورتب • ووضع المفصل على المفصل • وجلى وجه المجمل بالمفسل • واصاب المحز في قصه • وجاء بمماس الشرع بفصه ونصه • فظهر جوهر الثناء متناجزاً • بليغاً فصلاً • شاملاً جامعة النفع مد الكفاية • ساطعاً كالنير الاعظم

الصفحة الثانية من مخطوط «نثار الجوهر في علم الشرع الأزهر» الذي أكمل منه الشاعر ثلاثة مجلدات في حياته، وكان المؤمل أن ينتهي منه في ٢٢ جزءاً.

المصدر: مكتبة الشاعر والصحفي محمد بن سليمان الحضرمي.

أجله ٥ وقياما بواجب الإنباء بما أهمله ٥ ولم اقتصر على ألفاظ الاصلين في هذا النثار ٥ ولكني اخلصت المعنى مجلوا في ألفاظ أبهى من رابعة النهار ٥ وحشرت المعاني الاصل معانيا ناسبت المقام تنبسط لها نفس الاريب ٥ فتجلت في اسلوب بديع ورونق عجيب ٥ وربما اسفرت عن وجوه بعض الاقوال ٥ غادرها الاصلان في زاوية الاهمال وسلكت في التقرير سبيل الايجاز للافهام ٥ لانثرا وحى الى المدارك من مضامين الاسهاب في الكلام ٥ وجمعت النظائر الى النظائر ٥ وعدلت عما جنح اليه الاصلان من حشو العبائر ٥ ولما العذر فلسان الناظم معكوم ٥ فهو تحت قهر الميزان الشعري محكوم ٥ واذا اعتبرت كتابي وجدته شرحا للاصلين ٥ وعلى المنصف ان لا يطلب اثرا بعد عين ٥ فتبقض له فاته كنز المعارف ٥ اذا اعتبرته ببصيرة المنصف العارف ٥ ووضعت له اصطلاحا يعبر عن منابع موادّه ٥ ويدير بك على لواحق من جوادّه ٥ فحيث رأيت حرف ص فهو رمز الى أنّ العبارة بعدَهُ هي نثري للاصل ٥ وان مرّت بك لفظة قلتُ فما بعدُ من زيادتي على الاصل ٥ وان وجدت رمزاهم فهي علامة انتهاء زيادتي ورجوعي الى نثري للاصل ٥ وان وجدت قال المص فالمراد به شيخنا العلامة السالمي رحمه الله ٥ وان رأيت كلاما معزوّا الى القطب فالمراد سيدي العلامة القطب الولي محمد بن يوسف اطفيش البيضي رضوان الله عنه فاذا انتهت عبارته رحمت اهر كلامه وسائرا قوال العلماء اعزوها الى قايلها باسمه او باشهر ما يعرف به ٥ وان رأيت حرف ح المهملة فهي رمزا الى حديث اذكره بعدها وهكذا اذا كثرت الاحاديث رمزت بالحاء قبل كل حديث فاصلها بين حديث وحديث آخر حاذفا للاسانيد واسماء الرجال مكتفيا بمتون الاحاديث الاصحيح تقتضي حال بذكر سند الحديث معاورد ته بسنده ٥ هذا بحمد الله ومنته ما انفقت فيه كنز صبري ٥ ونفضت لمحراب صدري ٥ وبعون الله وفتحه تم على ما انا فيه من ضيق العطن ٥ والغربة عن الوطن ٥ وتزاد في من الحمى ٥ فان أصبت الرمية فبهدي الله فوسي وسهمي والا فلاعترافه في خطأ من له فهم كفهمي ٥ وانما الحق والصواب ٥ حظوظ من الكريم الوهاب ٥ واسأل الله ان يجعل هذا السعي وجهة لديه مرضية ٥ وكفارة للسيئات الدنيوية ٥ وان يحقق انتفاعي وانتفاع المسلمين بهذا الكتاب في الدين والدنيا والدار الاخروية ٥ انه قريب مجيب ٥ وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب ٥

مبدأ نثار الجوهر

بسم الله الرحمن الرحيم

قال عبد الله بن حميد السالمي ٥ أحمدك اللهم كل الحمد الذي ينبغي أن تحمد به في حال الرفد وغيره ٥ واشكرك على مطلق آلائك العظيمة اداء لحق الشكر المفترض

واسألك

يا فاخراً للسفاه بالسلف ... وتاركاً للعلاء والشرف
اباء اجدادنا هُمُ سببٌ ... لان نُجلنا عرا بنى للتلف
من علم الناس ان غير اب ... ذاك ابوا الروح لا ابو الجسد

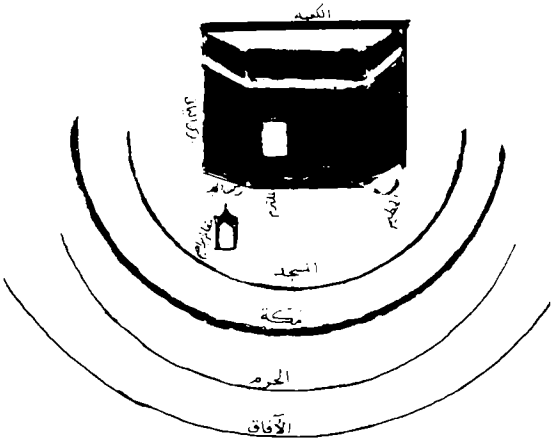
وهذا غلو عظيم في هضم حق الوالد وقد وقع بهذا المذهب كثير ممن لهم ميل الى الالحاد والزندقة والانتقاد على شئ الله في العالم كاحمد بن سليمان والمعرّي واضرابهما اخزاهم الله والحقيقة ان الله لم يُعظّم حقًا بعد حقه وحق رسله مثل حق الوالدين مع انه سبحانه قد بيّن موضع حقهم الوالدين بقوله وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما ومع ذلك فامره ان يصاحبهما في الدنيا معروفًا وقد ورد في الكتاب والسنة تعظيمهما وتوقيرهما ويجوب طاعتهما الا في معصية الله فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق وما ذاك الا لان الوالد السكين وهو لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا اذا كان مصير ولده جنة او نارًا وذلك المصير مشترك بينهما ولو كان تناسل البشر هذه الوزار من اجل هذا المصير اذًا لتسلسلت البنايات وارتفعت الخطيئة الى الاب الاول صفي الله وبنيّ آدم عليه السلام واذن سار التسلسل الى الصانع الحكيم الخالق المبدئ المعيد فيقال لماذا خلق هذا العبد الضعيف وربطه بحبال المقادير بين شدائد هذا العالم ثم اصاره الى موتة اموت ثم الى القبر جيفة ثم يبلى ويصير ترابًا ثم رمة ثم اذا افكرت في مذهب هؤلاء الملاعين وجدته يرمي الى هذه الغاية وسبحان الله عما يشركون وقد قلت في تعديد هذه المسئلة

رُبَّ اب يُشْقِي به إبنُهُ ... إذ هَوَى المكين أو تَصَعَّرْ
وربّما اسعدَ غيرُه ... فعادَهُ للخير إذ بَصَرَهْ
وربّما قَصَّر في شأنه ... فطوّل الابْعَدُ ما قَصَّرَهْ
يا الوالدُ الرحمُ مَقَتْ ... بالجهل للابن واهبُ النَّجبرَهْ
أحقّ هذين واحقاهما ... بالبرّ مَنْ قادَ الى المبْصِرَهْ

ثم صاحبه ورهبك انهك فيه اغلب المتعلمين والاتباع غلب على عقولهم انهم اركب واجبات التوقير لمعلميهم وهو أن يبعثهم الاعتراف بالحق للعالم على قبول التهمة منه وبذ عورتك الاهانات له على التقليد فيما اخذ عنه فيعقد قولك تبعيته وليلاً وان لم يستدل ويعتقد رأيه حجةً وان لم يحتج فيفضوا الامر الى التسليم ليجاز فقر فيما اخذ منه فيوشك بطلان تلك المقالة اذا انفردت او تخرج قابلها من عداد العلماء فيما شاركت اذ يتصور ان يبصر من يأخذ عنهم غيرها اخذ عنهم فيطالبهم بما قصّروا فيه فيتوهّموا بحالة الهرج ويضعفوا دون الاباء فهذه هي اسبابًا عامًا وحين ينقلب الامر بصيرا تنقاده عليها عظماء ابواب بر به وملاعاة لاصل خطأ استاذه او فحص قرعليه قال بعضهم رأيت من هذه الطبقة رجلاً

الصفحة رقم ١٣ من نثار الجوهر

فحقيقته المراد جملة بدن الانسان لان الواجب عليه استقبال الكعبة بجملته لا بخصوص الوجه الجارحة المعلومة فقط والوجه يذكر ويراد به نفس الشئ لان الوجه اشرف الاعضاء ولان به يتايز اشخاص الناس بعضهم من البعض فلهذا السبب قد يعبر عن كل الذات بالوجه ● واما الجوارح فهي داخلة في حكم جملة البدن وذكرت عطف بيان على الوجه ليشمل البيان الوجه وغيره من جملة البدن لمكن الاستقبال بها والمراد بجملة البدن هي الجملة المواربة للوجه من كل ما امكن الاستقبال به مطلقا حتى اطراف الاصابع في حالات الصلاة كلها سيما اطراف اصابع الرجلين في سجوده فلا يجعلها مدبرة عن القبلة ● وهل يعتبر قصد الاستقبال للصلاة او تحرير المرء ما لو تحول من مكانه او لمدة حياته اذا استقبلها يديمون له اسقفا اقوال ● ثم ان للعين قبلة المسجد ● وهو قبلة مكة وهي قبلة الحرم وهو قبلة الآفاق كما تراه في الشكل



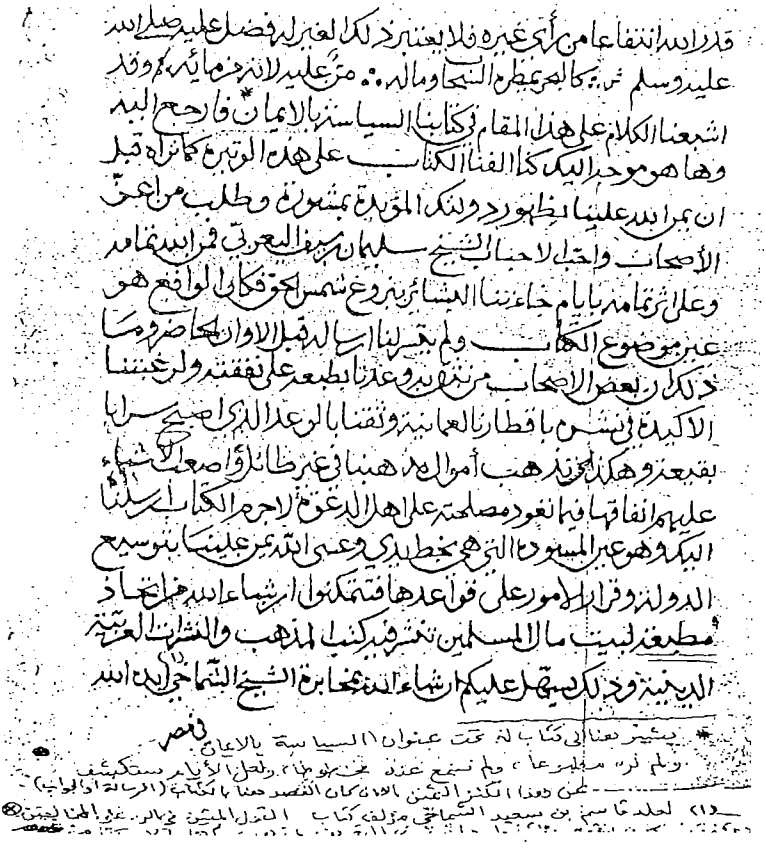
ومعنى كون الحرم قبلة الآفاق ان اهل الآفاق يستقبلون الجهة الحرم لاجل الكعبة لانهم يوافقونها فانما يستقبلون الحرم قصدا للكعبة ونيتة لها لا قصد الحرم لذاته وهكذا يقال في استقبال اهل الحرم مكة واستقبال اهلها المسجد فلو نوى اهـ

الصفحة رقم ٣٥٤ من نثار الجوهر،
ويظهر فيها تخطيط رسمه أبو مُسلم للكعبة وصَحنِها



الصفحة الأولى من رسالة أبي مُسلم البهلاني المُطوّلة إلى الإمام سالم بن راشد الخروصي، وهي رسالة أورد فيها أبو مُسلم ما يرتأيه لدولة الإمامة كي تصبح في مصاف الدُّول المُعتبرة من خلال اعتبار التعليم ركيزة أساسية على الدولة أن توفرها للجميع، بحيث يُعلّم أبناء الفقراء من أوقاف بيت مال المسلمين، وحث الأغنياء والموسرين على دفع نفقات تعليم أبنائهم.

المصدر: مكتبة الشاعر سماء عيسى.



صفحة أخرى من نفس الرسالة، ويرد فيها ذكر ضرورة استيراد مطبعة لتعنى بطباعة أمهات كتب المذهب والكتب الأدبية، كما هو واضح من الوثيقة.



حث الإمام على فتح المدارس وتكريس التعليم في دولته



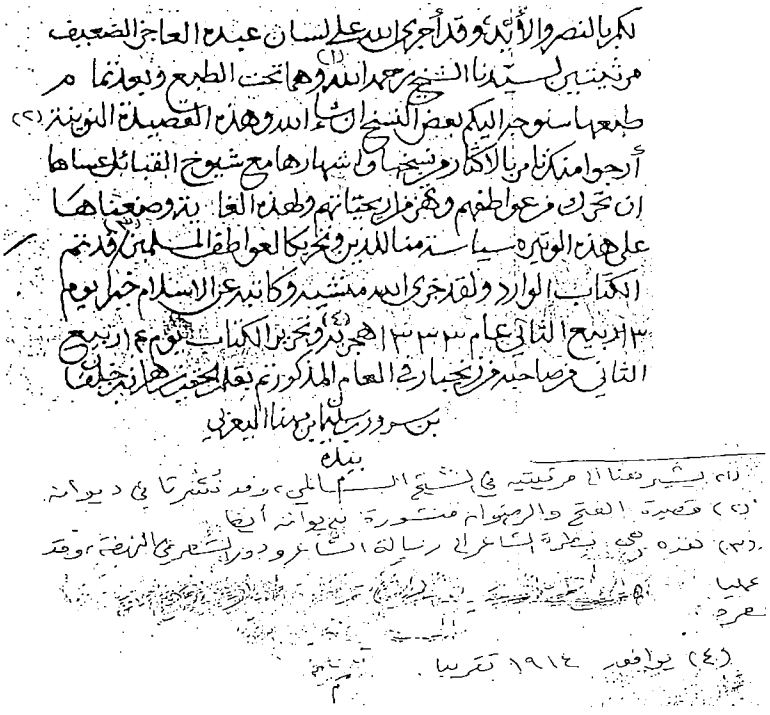
صفحة أخرى من نفس الرسالة / الوثيقة بها نصائح للإمام



تتمة للنصائح الواردة في الصفحة السابقة



صفحة أخرى من نفس الرسالة يُشير فيها إلى قصيدة كتبها في مديح الإمام ودولته، كما أن بها إشارة إلى رحيل نور الدين السالمي، مُضمنة في تعزية أبي مُسلم للإمام سالم بن راشد في فاجعة رحيل السالمي.



الصفحة الأخيرة من الرسالة، وبها إشارة إلى قصيدته النونية، راجياً من الإمام: «الإكثار من نسخها ونشرها مع شيوخ القبائل عساها تحرك عواطفهم وتهز من أريحياتهم، ولهذه الغاية وضعناها على هذه الوتيرة، سياسةً منا للدِّين وتحريكاً لعواطف المُسلمين».

ملحوظة الخطاط: قد تم الكتاب الوارد ولقد جزى الله مُنشيه وكاتِبه عن الإسلام خيراً يوم ١٣ ربيع الثاني عام ١٣٣٣هـ (الموافق: ٢٨ فبراير، ١٩١٥م)، وتحرير الكتاب يوم ١٤ ربيع الثاني من صاحبه من زنجبار في العام المذكور. تم بقلم الحقير زهران بن خلفان بن سرور بن سليمان بن مهنا اليعربي، بيده.

بسم الله الرحمن الرحيم

أقر عندي سيف بن عزان بن هندي الحراصي أنه قد أقام الشيخ ربيعة بن ماجد بن سليمان الكندي وكيلاً له ونائباً عنه يقوم مقامه في قبض جميع أمواله من أروض ونخل ومياه وما يصدق عليه اسم مال من الأصول الكائنة له بقرية المجمار من وادي بني خروص بحدودها وحقوقها ومتعلقاتها كائناً ما كان من يد من هي في يده من الناس وفي محاكمة كل معترض عليه فيها وكل مدع عليه فيها يدعوى إلى من شاء الله من حكام المسلمين وفي استماع الأيمان الشرعية له وإقامة البينات عنه لهما أوجب الحكم من ذلك وبعد قبض تلك الأموال فقد وكله في عمارها واستثمارها وبيع غلتها نداً أو سوماً وقبض القيم أو الأثمان من المشترين وفي دفع الأجرة منها في مصالحها حسب ما يراه في نظره أو فر مصلحة وأتم عمارة أقامه في كل هذا وكيلاً شرعياً مفوضاً قائماً عنه مقام نفسه فيما يجوز له التوكيل فيه بوكالة شرعية معتبرة الصحة والنفوذ إقراراً منه على نفسه بذلك وكتبه شاهداً به العبد الفقير إلى عفو الله ورحمته ناصر بن سالم بن عديم بن صالح الرواحي بيده في يوم ١٣ جمادى الأخرى سنة ١٣٣٧ من الهجرة النبوية على مهاجرها أفضل الصلوات والتسليم

اشهد في سيف عزان هندي فشهدت عليه بما كتب في صدر هذه القرطاس وهو العقيد [illegible]

صكّ شرعي كتبه أبو مُسلم بخط يده، ويظهر في نهايته توقيعه وتاريخ كتابته

المصدر: دائرة المخطوطات، وزارة التراث والثقافة العُمانية

الباب الأول

الإلهيَّاتُ والقصائدُ الدينيّةُ
(مُشتمِلةً على النَّفَسِ الرَّحماني)

في ذكر اللّه جل جلاله

الوادي المُقدَّس(*)

هُـوَ اللهُ بـسْـمِ اللهِ تـسـبـيـحُ فِـطْـرَتـي ... هُـوَ اللهُ إخْـلاصِـي وفـي الله نـزْعَـتـي

هُـوَ اللهُ بـسـمِ اللهِ ذاتـي تَـجَـرَّدَتْ ... وهَامَتْ بمَجْلى النُّورِ عَينُ حقيقتي

هُـوَ اللهُ بـسـمِ اللهِ ضَـاءَتْ فـأشْـرَقـتْ ... بـأنـوارِ نُـورِ الله نَـفـسُ هُـوِيَّـتـي

هُـوَ اللهُ بـسـمِ اللهِ فـي كُـلِّ لَحْـظـةٍ ... بأسْرَارِ سِرِّ الـجَـمْـعِ جَـمـعُ تشتُّتِي

هُـوَ اللهُ بـسـمِ اللهِ ذرَّاتُ عَـالَـمِـي ... خَـواتِـمُـهـا بَـدْءٌ كـعَـالَـم ذرَّتِـي

هُـوَ اللهُ بـسـمِ اللهِ هَـبَّـتْ فـشـاهَـدَتْ ... بُـرُوقَ جَـلالٍ مِـنْ أنـا الله غَـيْـبَـتـي

هُـوَ اللهُ بـسـمِ اللهِ شـاهَـدَتِ اسْـمَـهُ ... فـتـاهَـتْ بـأفْـنـاءِ الـفَـنـاءِ أنِـيَّـتـي

هُـوَ اللهُ بـسـمِ اللهِ فـقـري مُـحَـقِّـقٌ ... غَـنـائـي وَذُلِّي بـاسْـمِـهِ عَـيـنُ عِـزَّتـي

هُـوَ اللهُ بـسـمِ اللهِ نُـورُ جَـلالِهِ ... بـه احْـتـرَقـتْ آفـاتُ نـفـسِـي ونشْـأتِي

هُـوَ اللهُ بـسـمِ اللهِ أسْـرَارُ إسْـمِـهِ ... بـهـا صُـعِـقـتْ عَـنِّي شياطينُ شَـهْـوتي

هُـوَ اللهُ بـسـمِ اللهِ تـزْكُـو خَـوَاطِـري ... وتـصْـدُقُ إلّا عَـنْ مَـرَاضِـيـهِ لـفْـتَـتـي

هُـوَ اللهُ بـسـمِ اللهِ جَـرَّدتُ وَحْـدَتـي ... لـوَحْـدَتـهِ؛ إذ مِـنـهُ لِي فِـيـهِ وَحْـدَتـي

(*) وردت القصيدة في الأصل المُعتمَد بعنوان: [هو الله جَلَّ جلالُه]، لكن عنوانها الأصلي: (الوادي المُقدَّس) ـ راجع: محمد المحروقي، الشعر العُماني الحديث (أبو مسلم البهلاني رائداً)، المركز الثقافي العربي ـ الدار البيضاء/ بيروت، ١٩٩٩ ـ ٢٠٠٠ م، والحقيقة أنها مُقدِّمَة لمطولته في أسماء الله الحُسنى، بل تُعتبر ضمن نسيجها ولُحْمَتها.

هُـوَ اللهُ بـسـمِ اللهِ أُنْـسِـي شُـهُـودُهُ ... ولـو غَـيَّبْتـهُ الـعَـيـنُ مُـتُّ بـوَحْـشَـتِـي

هُـوَ اللهُ بـسـمِ اللهِ أوْقَـفـتُ رُؤيَـتـي ... عَـلَيْهِ وَدِيـنـي مُـخْـلِـصـاً نَـفـيُ رُؤْيَـتـي[1]

هُـوَ اللهُ بـسـمِ اللهِ حَـجّـي وعُـمْـرَتـي ... إلى بَـيـتِـهِ الـمَـعْـمُـورِ إذ هُـوَ بَـضْـعَـتـي[2]

هُـوَ اللهُ بـسـمِ اللهِ نَـفْـسِـي مَـشَـاعِـري ... ونُـسُـكِـي حَـيَـاتـي والـمَـحـبَّـةُ وَقْـفَـتـي

هُـو اللهُ بـسـمِ اللهِ لَوْلا صَـلاتُـهُ ... عَـلَيَّ لـعَـزَّتْـنِـي صَـلاتِـي وسَـجْـدتِـي

هُـوَ اللهُ بـسـمِ اللهِ مـا صُـمْـتُ لـحْـظَـةً ... على أنَّـنـي لـم تـعْـهَـدِ الـفِـطـرَ فِـطْـرَتـي

هُـوَ اللهُ بـسـمِ اللهِ وِتْـرِي شَـهَـادَتـي ... وتلك صَلاتي الوِتْرَ في جُنْحِ ظُلْمَتي

هُـوَ اللهُ بـسـمِ اللهِ جَـاهَـدْتُ شَـوْكَـتـي ... فـكـانـتْ لـهُ فـيـهِ بـهِ مِـنـهُ نُـصْـرَتـي

هُـوَ اللهُ بـسـمِ اللهِ كَـوْنُ إضَـافـتـي ... إلـيـهِ زَكَـاتِـي، وَهِـيَ أَفْـخَـرُ نِـسْـبَـتـي

هُـوَ اللهُ بـسـمِ اللهِ مَـحْـقُ إرَادَتـي ... مُـرادِي، وإثْـبَـاتِـي لـمَـحْـوِيَ بُـغْـيَـتِـي

هُـوَ اللهُ بـسـمِ اللهِ نَـفْـدُ مَـشِـيـئَـتِـي ... ومـالـي بـشَـيءٍ جَـزْءُ حَـوْلِي وَقُـوَّتِـي

هُـوَ اللهُ بـسـمِ اللهِ لـو عَـارَضَ الـفَـنـا ... حَـيـاتـيَ لـم تَـذهَـبْ حَـيـاتِـي بـمَـوْتـتِـي

هُـوَ اللهُ بـسـمِ اللهِ فـي كُـلِّ وَارِدٍ ... لـهُ مِـنْ يَـقـيـنِـي فـيـهِ كُـلُّ تَـثـبُّـتِ

هُـوَ اللهُ بـسـمِ اللهِ فـي كُـلِّ خَـطْـرَةٍ ... لـهُ مَـلَـكٌ مِـنِّـي يَـطِـيـرُ بـسُـبْـحَـتـي

هُـوَ اللهُ بـسـمِ اللهِ أسْـنـى مَـعَـارِجـي ... إلـيـهِ نُـزولِي فـي مَـدَارِكِ خَـشْـيَـتـي

هُـو اللهُ بـسـمِ اللهِ مُـلْـكُ عَـوَالِـمـي ... بتـدْبـيـرِ سِـرِّ الاسْـمِ فـي قَـهْـرِ قَـبْـضَـتِـي

هُـوَ اللهُ بـسـمِ اللهِ قَـهْـرِي مُـسَـخِّـرٌ ... شياطينَ نفسِي تَـحْـتَ كُـرْسِـيِّ عِـزَّتِـي

هُـوَ اللهُ بـسـمِ اللهِ والـجِـدُّ بـاسْـمِـهِ ... بجَدِّ اسْمِهِ أَرْبَتْ على الجَدِّ خَطْوَتي

هُـوَ اللهُ بـسـمِ اللهِ والـفَـيْـضُ بـاسْـمِـهِ ... تـجَـلَّى لِعَـقـلِي كُـنْـهُ كُـلِّ حَـقِـيـقَـةِ

هُـوَ اللهُ بـسـمِ اللهِ والـفـتـحُ بـاسْـمِـهِ ... فُـتوحَاتُ عِـرْفـانـي وكَـشْـفِـي اسْـتـهَـلَّـتِ

---

(١) تلاعبٌ شِعريٌّ بالغ الدلالة حول دلالات «الرُّؤية». إذ يُوقِف الشاعر رؤيته على الله، لكنَّ دينهُ الذي أخلصَ له هو نفيُ رؤية الذات الإلهية.

(٢) البَضْعَة: القطعة. يُقال هو بَضعَة مني: أي هو في قرابته كالجُزء مِنِّي. وفي الحديث النبوي عنه(ص): «فاطمة بَضْعَةٌ مني».

هُوَ اللهُ بسمِ اللهِ والوَهْبُ باسْمِهِ ... أفاضَ عَليَّ الوَهْبُ كُلَّ خَفِيَّةِ

هُوَ اللهُ بسمِ اللهِ والنُّورُ باسْمِهِ ... تَشعْشَعَ نُورُ اللهِ في بَشرِيَّتِي

هُوَ اللهُ بسمِ اللهِ والقُدْسُ باسْمِهِ ... تَقدَّسَ تَوْحِيدي وإيمانُ فِطْرَتي

هُوَ اللهُ بسمِ اللهِ والجَمْعُ باسْمِهِ ... تَجَمَّعَ فُرْقاني وفَرَّقتُ جَمْعَتي

هُوَ اللهُ بسمِ اللهِ والرُّوحُ باسْمِهِ ... تَدَارَكَني مِنْ رُوحِهِ كُلُّ مُنْيَتي

هُوَ اللهُ بسمِ اللهِ واللُطْفُ باسْمِهِ ... سَرَى لُطْفُهُ في شِقْوَتي فاضْمَحَلَّتِ

هُوَ اللهُ بسمِ اللهِ والعِزُّ باسْمِهِ ... تَعَزَّزْتَ عِزاً قاهِراً كُلَّ عِزَّةِ

هُوَ اللهُ بسمِ اللهِ والقَهْرُ باسْمِهِ ... قَهَرْتُ عِداتِي تَحْتَ قَهْرِي وسَطْوَتي

هُوَ اللهُ بسمِ اللهِ هَيْبَةُ إسْمِهِ ... كَسَتْنِيَ نُوراً مِن جَلالٍ وهَيْبَةِ

هُوَ اللهُ بسمِ اللهِ عِزَّةُ إسْمِهِ ... أقامَتْ مُحَالِي في رِضَاهُ وسُلْطَتِي

هُوَ اللهُ بسمِ اللهِ سُلطانُ إسْمِهِ ... غَلَبْتُ بِهِ مَن فاقَ أيْدِي وقُوَّتي[1]

هُوَ اللهُ بسمِ اللهِ سَطْوَةُ إسْمِهِ ... قَصَمْتُ بها مَن شاءَ وَهْنِي وذِلَّتي

هُوَ اللهُ بسمِ اللهِ ذي المُلكِ أذْعَنتْ ... وشَاهَتْ وُجُوهُ المُعتدِينَ وذَلَّتِ

هُوَ اللهُ بسمِ اللهِ ذي الجَبَرُوتِ كَمْ ... يَدَي جَبَرُوتٍ حَاوَلَتْنِي فَشُلَّتِ

هُوَ اللهُ بسمِ اللهِ ذي المَلَكُوتِ مَنْ ... خَزائِنُهُ وَفْرِي ويُسْرِي وغُنْيَتي[2]

هُوَ اللهُ بسمِ اللهِ ذِي المَجْدِ إنَّ لِي ... بتَمْجِيدِهِ مَجْداً عَلى المَلَكِيَّةِ

هُوَ اللهُ بسمِ اللهِ ذي الكِبْرِياءِ لا ... أَذِلُّ ولا أشقى وبالذِّكْرِ وَصْلَتي

هُوَ اللهُ بسمِ اللهِ ذي النُّورِ أهْتَدِي ... وأهْدِي وأمْحُو باسْمِهِ آيَ ظُلْمَتي

هُوَ اللهُ بسمِ اللهِ ذي الحَمدِ والثَّنا ... مَحَامِدُهُ مِنِّي اعترافي بِخَيرَتي

هُوَ اللهُ بسمِ اللهِ ذي العَرْشِ لم أضِقْ ... وإمْدَادُهُ العَرْشِيُّ يُوسِعُ حَيْطَتِي

---

(١) الأيد: تعني القوّة. آدَ أيْداً: قوِيَ واشتدّ. في التنزيل العزيز: «والسَّماءَ بَنَيْناها بأيْدٍ». وفي المَثل: «الكَيْدُ أبلغُ من الأيْد».

(٢) بعض الشرّاح يقرأون البيت كالتالي: هُوَ اللهُ بسمِ اللهِ ذي المَلَكُوتِ مِنْ | خَزائِنِهِ وَفْرِي ويُسْرِي وغُنْيَتي.

هُوَ اللهُ بسمِ اللهِ ذي الطَّوْلِ والغِنى ... غَنَايَ وطَوْلِي واتِّساعِي وثروَتي

هُوَ اللهُ بسمِ اللهِ ذي المَنِّ كُلَّما ... مُنيتُ ببُؤسٍ وَسَّعَ المَنُّ بَسْطَتي

هُوَ اللهُ بسمِ اللهِ ذي الرَّحْمَةِ انْجَلَت ... لَوَازِبُ مِن سُوءِ القضَا بِيَ حَلَّتِ

هُوَ اللهُ بسمِ اللهِ يا رَبِّ لا تَدَعْ ... لأمَّارَتي بالسُّوءِ نُقطةَ خَيرَةِ

هُوَ اللهُ بسمِ اللهِ يا رَبِّ لا تُزغْ ... جَنَانِي ولقِّني مَعَ العَرْضِ[1] حُجَّتِي

هُوَ اللهُ بسمِ اللهِ سُلَّ سَخِيمَتِي[2] ... وثبِّتْ عَلى مَرْضَاةِ وجْهِك خِدْمَتي

هُوَ اللهُ بسمِ اللهِ أَذْهِبْ قَواطِعِي ... ولا تَلْقِنِي مُسْتَحْسِراً قيدَ لَمْحَةِ

هُوَ اللهُ بسمِ اللهِ هَبْ ليَ قوةً ... تُصَرِّفُ لي التصْرِيفَ في كُلِّ نُقطَةِ

هُوَ اللهُ بسمِ اللهِ يَسِّرْ مَقاصِدِي ... وَحُلَّ جُمُودي وانحِساري وعُقْدَتي

هُوَ اللهُ بسمِ اللهِ أفرِغْ عَليَّ في ... بَلائكَ صَبْراً، ولْيَكُ الشُّكْرُ لَهْجَتي

هُوَ اللهُ بسمِ اللهِ حَقِّقْ إرَاثِتِي[3] ... وَصِلْ نِسْبَتِي بالنِّسْبَةِ الرُّسُليَةِ

هُوَ اللهُ بسمِ اللهِ ثبِّتْ عَزِيمَتي ... على الرُّشْدِ، إنَّ الغَيَّ أصْلُ طبيعتي

هُوَ اللهُ بسمِ اللهِ هَبْ لي جَوامِعَ الـ ... ـسَّعَادَةِ في الدُّنيا وعُقبَى مَنيَّتِي

هُوَ اللهُ بسمِ اللهِ جُدْ لِي بنَظْرَةٍ ... تَدَارَكُ جَذْبي مِنْ شقائِي وأَخْذَتِي

---

(١) العَرْض: يوم القيامة.

(٢) سَخِيمَتي: ضغينتي وحقدي.

(٣) إرَاثتي: من الإرث؛ لكنه لا يقصد الإرث الدُّنيوي بل: «العُلماء وَرَثةُ الأنبياء».

أسماءُ اللّه الحُسنى

الله جلَّ جلاله

بِبَابِكَ يا اللهُ عَبدُكَ مُخبِتٌ[1] تَعَلَّقُهُ بِاللهِ مِنْ كُلِّ وِجْهَةِ
تَعَلَّقْتُ بِاللهِ الذي لا إلهَ لِي سِواهُ، ولا ضَاعَتْ لَديهِ عُبودَتي
تَعَلَّقتُ باللهِ العَلِيمِ بِمَوْقِفي وما أنا فِيهِ مِنْ ضُرُوبِ البَلِيَّةِ
تَعَلَّقتُ بالله العظيمِ الذي جَرَتْ مَقاديرُهُ دُونَ اختيارِ البَرِيَّةِ
تَعَلَّقتُ بالله اللطيفِ بِخَلْقِهِ وهذا هُدًى مِنهُ لنفعي وخيرَتي
تَعَلَّقتُ باللهِ الكريمِ ولم تَخِبْ أَمَانٍ على بابِ الكريمِ اسْتقرَّتِ
تَعَلَّقتُ بالله المُبِرِّ عِبادَهُ بلا سَبَبٍ مِنهُم لِدَرْكِ المَبَرّةِ
تَعَلَّقتُ بالله الحَليمِ وإنني لأعْظَمُ شيءٍ في الخطايا خَطِيئَتي
تَعَلَّقتُ بالله المَتينِ وإنهُ لأمْتَنُ حَبلٍ بالمَتينِ وَثِيقتي
تَعَلَّقتُ بالله المَجيدِ وما انْثَنى مُؤمِّلُ مَجْدِ الله صِدْقاً بِخَيْبَةِ
تَعَلَّقتُ بالله الحَمِيدِ بِحَمْدِهِ وَسِيلَةُ قَصْدِي حَمْدُهُ حَسَبَ قُدرَتي
تَعَلَّقتُ بالله الجَليلِ تَعَلُّقاً نَسَخْتُ بِهِ مِني ضَلالَ الخَلِيقةِ[2]
تَعَلَّقتُ بالله الوَلِيِّ تَعَلُّقاً أزَانِي وَلاءُ الحَقِّ مِنْ قبلِ نَشْأتِي

---

(١) مُخبِت: خاشع.

(٢) من أبيات أبي مُسلم الغريبة في مقاصدها وأبعاد غورها، بل انفلاتها عن مَرْبَط معهود التعبير في كافة المذاهب؛ فالشاعر المُتعلِّق بالله الجليل نَسَخَ بالله ضَلالَ الخليقةِ مِن ذاته.

تَعَلَّقتُ بالله العَليِّ تعَلُّقاً ... عَلوتُ بهِ عَن مَرْكَزي وطَبيعَتي
تَعَلَّقتُ بالله الوَكِيلِ وَقَدْ عَدَتْ ... عَليَّ العَوادي المُهلِكاتُ وَشَدَّتِ
تَعَلَّقتُ بالله الكَفيلِ وَفَضْلُهُ ... عَظيمٌ وَقَدْ ضَاقتْ عَليَّ مَعِيشتي
تَعَلَّقتُ بالله الحَفيِّ بأهْلِهِ ... وأهْلِيَّتي لله فَقْري وَذِلَّتي
تَعَلَّقتُ بالله الوَهُوبِ وإنَّ لِي ... بفقري إلى الوَهَّاب فوزاً بغُنْيَتي
تَعَلَّقتُ بالله الحَفيظِ وحِفظُهُ ... مِنَ السُّوءِ في دِينٍ ودُنيا مَجَنَّتِي
تَعَلَّقتُ بالله الحَسيبِ وَقَدْ طَغتْ ... أعَادِيهِ بَغْياً فوقَ حَوْلِي وقُوَّتي
تَعَلَّقتُ بالله السَّمِيعِ اسْتغاثتي ... سَمِيعُ دَبيبِ النَّمْلِ مِن فوقِ صَخْرَةِ
تَعَلَّقتُ بالله البَصِيرِ بحَالَتي ... بَصِير خفايا العَالَمِينَ الدَّقيقةِ
تَعَلَّقتُ بالله الخَبيرِ بوَهْلَتي ... إليهِ وإخْبَاتِي وَرَهْبي وَرَغْبَتي
تَعَلَّقتُ بالله المُقيتِ عِبَادَهُ ... وسُبْحَانهُ لم تَخْفَ عَنهُ ضَرُورَتي
تَعَلَّقتُ بالله العَزيزِ وإنَّ لِي ... بذِي العِزَّةِ القَهَّارِ أمْنعَ عِزَّةِ
تَعَلَّقتُ بالله القَويِّ وإنَّ لي ... بذي القُوَّةِ القَهَّارِ أعظمَ قُوَّةِ
تَعَلَّقتُ بالله المُحيطِ بعِلْمِهِ ... وقُدْرَتِهِ سُبْحَانهُ بالخَليقةِ
تَعَلَّقتُ بالله السَّلامِ وَقَدْ جَرَى ... عَليَّ القَضَا مِنهُ بِبُؤسِي وَكُرْبَتي
تَعَلَّقتُ بالله الذي أنا مُؤمِنٌ ... بهِ، وهُوَ رَبِّي مُؤمِنٌ كُلَّ خِيفَةِ
تَعَلَّقتُ بالله المُهَيْمِنِ سَيِّدي ... على كُلِّ شيءٍ مِنْ صُنوفِ البَرِيَّةِ
تَعَلَّقتُ بالله الذي جَبَرَ النُّهَى ... لِعِرْفانِهِ الجَبَّارِ صَدْعُ الرَّزِيَّةِ
تَعَلَّقتُ يا الله يا مُتكَبِّراً ... عن الكُلِّ باسْمِ الذاتِ، اسْمِ الحَقيقةِ
تَعَلَّقتُ بالله الكَبيرِ جَلالُهُ ... بعِزِّ اسْمِكَ الذَّاتِيِّ في قَيْدِ شِقوَتي
تَعَلَّقتُ بالله الحَكِيمِ بصُنْعِهِ ... بمَجْدِ اسْمِكَ الأعْلَى على كُلِّ حَضْرَةِ
تَعَلَّقتُ بالله الرَّؤوفِ بخَلْقِهِ ... بما لاسْمِكَ الذاتيِّ مِنْ لُطْفِ رَأفَةِ
تَعَلَّقتُ بالله الرَّحِيمِ بخَلْقِهِ ... بما وَسِعَ اسْمُ الذاتِ مِنْ وُسْعِ رَحْمَةِ
تَعَلَّقتُ بالله المَلِيكِ وحَسْبُ مَنْ ... تَعَلَّقَ باسْمِ الله أفْخَرُ نِسْبَةِ

تَعَلَّقتُ يا اللهُ يا حَيُّ ضَارِعاً ... باسْمِكَ يا قَيُّومُ تَضْرَاعَ مُخْبِتِ
تَعَلَّقتُ يا اللهُ يا حَقُّ قانِتاً ... لوَجْهِكَ فاقبَلْني على سُوءِ رَجْعَتي
تَعَلَّقتُ يا اللهُ يا بَرُّ بَائِناً ... وعِندَكَ يا فتَّاحُ فتْحِي ونِعْمَتي
تَعَلَّقتُ يا اللهُ يا وَاسِعَ العَطَا ... بجُودِكَ في فقرِي وَضَنْكِ مَعِيشتي
تَعَلَّقتُ يا اللهُ مِنْ حَيثُ إنني ... عَرَفتكَ يا خَلّاقُ مُبدِئ نَشأتي
تَعَلَّقتُ يا اللهُ مِنْ حَيثُ إنني ... رَأيتُ لكَ الآياتِ في كُلِّ فِطْرَةِ
تَعَلَّقتُ يا اللهُ مِنْ حَيثُ إنني ... عَلِمْتُكَ بالتَّكْوِينِ والمُبْدِعِيَّةِ
تَعَلَّقتُ يا اللهُ مِنْ حَيثُ إنه ... بتدْبِيرِكَ الأشْيَاءَ مِنْ غَيرِ شِرْكَةِ
تَعَلَّقتُ يا اللهُ مِنْ حَيثُ إنه ... وُجُودُكَ لم يَسبقهُ ذو قِدَمِيَّةِ
تَعَلَّقتُ يا اللهُ مِنْ حَيثُ إنه ... بَقاؤكَ لا يَفنَى إلى الأبَدِيَّةِ
تَعَلَّقتُ يا اللهُ مِنْ حَيثُ إنه ... جَلالُكَ والإكْرَامُ مَجْدُ الأُلوهَةِ
تَعَلَّقتُ يا اللهُ مِنْ حَيثُ إنه ... لاسْمِكَ اسْمُ الذاتِ سُلطانُ وَحْدَةِ
فيا اللهُ يا اللهُ هذا تَعَلُّقِي ... وأنتَ مُرَادِي واسْمُ ذاتِكَ لَهْجَتي
دَعَانِي: «قُلِ ادْعُوا اللهَ» والفقرُ مطلقاً ... وإنكَ يا اللهُ أهْلٌ لِدَعْوَتي
ونُورُ جَلالٍ مِنْ «قُلِ اللهُ» مُشرِقٌ ... سَرَيْتُ بهِ حتى شُهودِ الحَقيقةِ
وعِزُّ كَمَالٍ مِنْ «أنا اللهُ» بَاهِرٌ ... لهُ استسْلَمَ الأشياءُ طَوعاً وَذلَّتِ
وحُسْنُ جَمَالٍ مِنْ «هُو اللهُ» ظاهِرٌ ... بهِ نَشوَةُ الأرْواحِ تَحْتَ الهُوِيَّةِ
وَقفتُ لكَ اللهُمَّ وِقْفَةَ حَائِرٍ ... بدَهْشَةِ عَبدٍ بَينَ عِزٍّ وهَيْبَةِ
وَقفتُ لكَ اللهُمَّ وِقفةَ ذاكِرٍ ... بإخْلاءِ أرْكَانِي ومِلءِ طَوِيَّتي
وَقفتُ لكَ اللهُمَّ وِقفةَ خَاشِعٍ ... مَلأتُ بكَ اللهُمَّ سِرَّ سَرِيرَتي
وُقوفي لكَ اللهُمَّ كَوْنٌ أرَدْتُهُ ... فلا تَكُ خِلواً مِنْ مَرَاضِيكَ وَقْفَتي
وُقوفيَ باسْمِ الذاتِ يا اللهُ خِدْمَةٌ ... تُحَقِّقُ كَوْنِي خَادِماً كُلَّ حَضْرَةِ
وما غَشِيَتْنِي حَضْرَةٌ لم يَكُنْ لَهَا ... إلى القُطبِ يا اللهُ وَصْلَةُ نِسْبَةِ
فما يَستمِدُّ الكُلُّ إلّا بِبَحْرِهِ ... لهُ الحُكْمُ في الأسماءِ وَالصِّفتِيَّةِ

إلـهـي امْـحَـقِ الأغْـيَـارَ عَـنـي بـنُـورِهِ ... وخُـذْنِي بـهِ مِـنْ بَـيـنِ أبْـحُـرِ غَـفْـلَـتِي
وأشْـرِقْ بـهِ يـا اللهُ نُـورَ هِـدَايـتـي ... إليكَ، وَوَسِّـعْ في المَعارِفِ بَسْطَتي
ولا يَكُ ذِكْرُ الحَرْفِ حَظِّي ومَنصِبي ... ولـكِـنْ بـذِكْـرِ الـمُـخْـلِصِـيـنَ تَـشَـبُّـتِي
فـذِكْـرُكَ بـالـذِّكْـرِ الـحَـقِـيـقِـيِّ مَـنـصِـبٌ ... يُـنـالُ بِـفَـضْـلٍ مِـنـكَ لا بِـفَـضِـيـلَـتِي

الرحمن جلَّ جلاله

إلَهِـي افْـتِـقـارِي لازِمٌ لـحَـقِـيـقَـتـي ... إلـى رَحْـمَـةِ الـرحـمـنِ في كُـلِّ لَحْـظَـةِ
إلـى نـظْـرَةِ الـرحـمـنِ تَـحْـتَ جَـمَـالِهِ ... أبُـثُّ اضْـطِـراراً طَـارِقـاتِـي وشِـقْـوَتـي
إلـهـيَ يـا رحـمـنُ أسْـتـعْـطِـفُ الـرِّضَـا ... واستكشفُ البَلوى وغَـمِّي وكُـرْبَـتي
إلـهـيَ يـا رحـمـنُ أسْـتـوْهِـبُ الـغِـنـى ... ففي سَعَةِ الرُّحْمَى إلـهـيَ غُـنْـيَـتي
إلـهـيَ يـا رحـمـنُ أسـألُ رَحْـمَـةً ... تـلـمُّ بـهـا صَـدْعِـي وتـرْحَـمُ غُـرْبـتي
بِـجُـودِكَ يـا رحـمـنُ كُـلُّ بَـلِـيَّـةٍ ... وإنْ عَـظُـمَـتْ، قَـدْ آذنـتْ بـتـشـتُّـتِ
إلـهـيَ يـا رحـمـنُ كَـمْ مِـن مُـصِـيـبَـةٍ ... بـرَحْـمَـتِـكَ الـلـهُـمَّ وَحْـيـاً تَـجَـلَّتِ
إلـهـيَ يـا رحـمـنُ أسْـألُ وَجْـهَـكَ الـ ... ـكـريـمَ شُـمُـولَ الرَّحْمَتين[1] لِفِطْرَتي
إلـهـيَ يـا رحـمـنُ مـا أسْـتـمِـدُّهُ ... بـرُحْـمـاكَ مَـمْـدُودٌ كـأقـربِ لَـمْـحَـةِ
إلـهـيَ يـا رحـمـنُ لاذَ بـكَ الـرَّجـا ... فـمُـنَّ عـلـى ضَـعْـفـي بـأرْحَـمِ نَـظْـرَةِ
بـعـاطِـفَـةِ الـرحـمـنِ عَـاذتْ حَـقـائـقي ... وعُـمْـرِي وفَـقْـرِي وانْـقِـطَـاعِـي وذلَّتي

الرحيم جلَّ جلاله

عسى نفحاتُ اسْمِ الرَّحيمِ وَرَوْحُهُ ... تَـهُـبُّ عـلـى ضُـرِّي بـرَوْحٍ ورَحْـمَـةِ
عسى نفحاتُ اسمِ الرَّحيمِ بسَبْقِها ... تُـدارِكُ إنـقـاذي بـمَـحْـوِ خَـطِـيـئـتـي

---

(١) الرَّحْمَتين: رحمة الدنيا والآخرة.

عسى نفحاتُ اسم الرحيم حَنانُها ... قريبٌ على قَدْرِ العَنا والبَليَّةِ
عسى نفحاتُ اسم الرحيم تحُفُّني ... لطَائِفُها بالصَّالِحاتِ وبالَّتي
عسى نفحاتُ اسم الرحيم وَشِيكَةٌ ... تُعاجِلُ بالتفريجِ هَمِّي وغُمَّتي
عسى نفحاتُ اسم الرحيم تَمُدُّني ... بفضلٍ وغُفرانٍ ولُطْفٍ وعِصْمَةِ
عسى نفحاتُ اسم الرحيم تَوَارَدَتْ ... بعارفةِ الحُسْنى على حَلِّ عُقدَتي
عسى نفحاتُ اسم الرحيم تَكونُ لي ... على خُطَّةٍ أعْيَتْ مِحَالي وَقُوَّتي
عسى نفحاتُ اسم الرحيم تُنِيلُني ... بوسْعِ نَدىً يَجْتاحُ فقري وعُسْرَتي
عسى نفحاتُ اسم الرحيم تَقومُ بي ... وَقَدْ قَعَدَتْ عَنِّي رِجَالِي وأُسْرَتي
عسى نفحات اسم الرحيم تُغِيثُني ... فَوَاللهِ ما ضَاقَتْ بأيَّةِ فِطْرَةِ

المَلِك جل جلاله

إلى المَلِكِ الأعْلى الذي أنا مُؤمِنٌ ... بتوحِيدِهِ في عَالَمِيَّةِ ذرَّتي
إلى المَلِكِ الأعلى الذي أنا لاهِجٌ ... بتسبيحِهِ مِنْ قبلِ إظهَارِ نَشْأتي
إلى الملكِ الأعلى الذي أنا مُخلِصٌ ... لَهُ الدِّينَ حُباً، لا لنارٍ وجَنَّةِ
إلى الملكِ الأعلى الذي سَبَّحَتْ لَهُ ... بأسْمَائِهِ الأكْوَانُ تَسْبيحَ فِطْرَةِ
إلى المَلِكِ الأعلى الذي سَجدَتْ لَهُ ... نَوَاصِي المُلُوكِ القاهِرِينَ وَخَرَّتِ
إلى المَلِكِ الغَلَّابِ ذِي السَّطْوَةِ التي ... تصَاعَقتِ الأمْلاكُ مِنها وذَلَّتِ
إلى الملكِ القهَّارِ مَنْ بجَلالِهِ ... وقُوَّتِهِ مُسْتَمْسِكٌ ضَعْفَ قُوَّتي
إلى الملكِ الجبَّار أُسْنِدُ خُلَّتي ... ليجْبُرَ وَهْني وانْكِساري وصَدْعَتي
إلى الملكِ المَنَّانِ أطلبُ مِنَّةً ... يُزكِّي بها عن مِنَّةِ الخلقِ عِيشتي
إلى الملكِ الوَهَّابِ أرْفَعُ فَاقتي ... فإنَّ فُيُوضَ الوَهْبِ كَنْزِي وغُنْيَتي
إلى المَلِكِ الكَافِي أبُثُّ شِكَايَتي ... لأُكْفى هُمُومَ الدِّينِ والدُّنْيَويَةِ

القُدّوس جلَّ جلاله

تقدَّسْتَ يا قُدُّوسُ عَن جِنْسِ عِلَّةٍ ... وعن حَدِّ مَعْلُولٍ ورَسْمِ طَبيعَةِ
لوَجْهِكَ يا قُدُّوسُ كُلُّ قَداسَةٍ ... بلا شرطِ تقييدٍ ولا حَصْرِ نِسْبَةِ
وما مُدْرِكُ التقديسِ مِني وقَدْرُهُ ... لدى سُبُحَاتِ النُّورِ والقُدْسِيَّةِ
ومن هو يا قُدُّوسُ يَبلُغُ كُنْهَ ما ... لوَجْهِكَ مِن قُدْسٍ ومَجْدٍ وعِزَّةِ
تَنزَّهْتَ عمّا شَكَّلَ الوَهْمُ مُطلقاً ... وعَن حِيطَةِ التَّعْقيلِ والنَّظَرِيَّةِ
تقدَّسْتَ عن مِثلٍ وضِدٍّ وشِزكَةٍ ... وَفضلٍ وَوَصْلٍ واتِّحادٍ وخُلْطَةِ
تقدَّسْتَ ذاتاً عَن وُجُودِ مُعَلِّلٍ ... يُغايرُ، يا قُدُّوسُ، نَفسَ الهُويَّةِ
غَنِيٌّ عَلى الإطْلاقِ عَنْ نَيلِ حَادِثٍ ... لذاتكَ، لا عَن مُوجِبٍ فيكَ مُثبَتِ
بسِرِّ اسْمِكَ القُدُّوسِ قدِّسْ حَقيقتي ... وحَقِّقْ بتقديساتِ وَجْهِكَ هِمَّتي
وقدِّسْ مَقامَاتي وقدِّسْ مَشاهِدِي ... وقدِّسْ يَقيني فِيكَ مِنْ كُلِّ شُبْهَةِ
وقدِّسْ صِفاتي كَيْ تَليقَ نَزَاهَتي ... بتسْبيحِ تقديساتِ نُورِ الأُلوهَةِ

السّلام جلَّ جلاله

تقدَّسْتَ قُدساً يا سَلامُ مُبَرَّءاً ... مِنَ النَّقصِ والآفاتِ مَحْضَ البَرَاءَةِ
سَلِمْتَ فما قُدْسُ السلامِ إضافةٌ ... لحَدٍّ، ولا إسْلابُهُ لِشَريطَةِ
سَلامَةُ ذاتِ الحَقِّ قُدْسٌ لِذاتِهِ ... يُشارُ إليهِ دون دَرْكِ الحَقيقةِ
وما مَبلغُ الإدْرَاكِ إلّا سَلامَةٌ ... لوَجْهِ السَّلامِ الحَقِّ في كُلِّ حَضْرَةِ
وليستْ مَقاماتُ الثناءِ وإنْ عَلَتْ ... بباغَةِ تَقْدِيسَهُ مِنْ طَرِيقَةِ
إلهي سَلَّمْتَ الخَليقَةَ مُبْدِءاً ... بإيْجادِكَ الإمْكانَ بالأبْدَعِيَّةِ
وسَلَّمْتَهُم مِنْ بَدْئِهِم لمَعَادِهِم ... مِنَ الظلم في أقْدَارِكَ الأزَلِيَّةِ
وسَلَّمْتَهُم مِنْ مُطلَقِ السِّرِّ غَيرَ ما ... تضَمَّنَ خَيراً وهُوَ عَنهُم بخُفْيَةِ
أجِرْنِي أجِرْنِي يا سَلامُ مِنَ الأذى ... بدِينيَ والدُّنيا بأيَّةِ وِجْهَةِ

فما يَسْلَمُ المَخلوقُ إنْ لم يَكُنْ لَهُ ... بِيُمْنَى السَّلامِ الحَقِّ نَشرُ السَّلامَةِ
إلهي حَقِّقْنِي سَلاماً ولَقِّني ... سَلامَكَ في دَارِ السَّلامِ المُقيمَةِ

المؤمن جلَّ جلاله

ويا مُؤمِنُ امْنَحْني الأمَانَ وأمْنكَ الـ ... ـحَصِينَ فما في النَّقصِ أمْنٌ لِخِيفتي
وأمْنُكَ للمَخْلُوقِ لا خَوفَ عِندَهُ ... لسُوءٍ بذي الدُّنيا وبالأُخْرَوِيَّةِ
وأمْنُكَ حِصْنٌ مَانِعٌ لا يَؤُودُهُ ... عِدَاءُ الرَّزايا واقْتِحَامُ البَلِيَّةِ
وأمْنُكَ لي يا مُؤمِنَ الخَوفِ جُنَّةٌ[1] ... فما لي وشيطاني ونفسي الغَوِيَّةِ
وأمْنُكَ لي من حيث أنكَ ذاكِرِي ... وذِكْرِي لَكَ اللهُمَّ بالتَّبَعِيَّةِ
وأمْنُكَ لي مِنْ جَانِبِ الخَوفِ كالرَّجَا ... أمَاني إذا ألهَمْتَنِيهِ وعِصْمَتي
وأمْنُكَ لي من حيث خَلْقُ هِدَايتي ... لأسْبَابِ ما فيهِ نَجَاتي وهَلْكَتي
وأمْنُكَ لي مِن خَوفِ مَكْرِكَ مَعْقِلٌ ... يَقِينِي ومِنْ حَيثُ التَّوَكُّلُ مَنْعَتِي
وَهَبتَ لِيَ الإيمانَ وهو ذَرِيعَتي ... فيا مَنْ بِهِ مِنهُ إلَيهِ ذَرِيعَتي
أمِنْتُ بكَ اللهُمَّ كُلَّ مَخُوفَةٍ ... بإحْسَانِ ظَنِّي لا بإحْسَانِ سِيرَتي
إلهي مِنكَ الأمْنُ والخَوفُ كَائِنٌ ... وكُلُّ مَجَازٍ رَاجِعٌ للحَقِيقَةِ

المُهيمِن جَلَّ جلاله

على كُلِّ شيءٍ رَبِّ أنتَ مُهَيمِنٌ ... على كُلِّ شيءٍ مِنكَ سُلطانُ جِسْبَةِ
شهِدْتَ خَفايا المُمْكِناتِ وجَهْرَها ... فما غابَ مِنها عَنكَ مِثقالُ ذرَّةِ
وقُمتَ عَلَيهِم بالذي يَعْمَلُونَهُ ... وآجَالُ كُلٍّ مِنْهُمُ والمَعِيشَةِ

---

(١) جُنَّةٌ: وقاية.

رَقيبٌ عَلَيهِم حافِظٌ لِنظامِهِم ... أحَطْتَ بِهِم ما بَينَ عِلْمٍ وقُدْرَةِ
رَقيبٌ على الأسرارِ كَيفَ تَلَوَّنَتْ ... قَريبٌ من الأرْواحِ قُرْبَ مَحَبَّةِ
مُشاهِدُ مَكنونِ الخَواطِرِ كَاشفُ الـ ... ـخَفايا بَصِيرُ القُوَّةِ الظَّاهِرِيَّةِ
إلهي أشْغِلْني بتجْريدِ خَاطِرِي ... مُراقَبَةٌ للحَقِّ في كُلِّ لَحْظَةِ
إلهي اكْشِفِ البَلوى فإنيَ رَاجِعٌ ... إليكَ على سُوءِ بِصِدْقِ الطَّوِيَّةِ
دُعَائي عَرِيضٌ والمُهَيمِنُ حَاكِمٌ ... وجُلُّ بَلائي مِنْ أعَادِي الشَّرِيعَةِ
وهَيْمَنَةُ اللهِ احْتَوَتْ كُلَّ مُمْكِنٍ ... فما قَدْرُ كَشْفِ الضُّرِّ عَن ذِي بَلِيَّةِ
تَدارَكْ بَلائي يا مُهيمِنُ وارْعَنِي ... بظِلِّكَ واسْمَعْ يا مُهيمِنُ صَرْختي

العزيز جلَّ جلاله

إلهي عَزيزَ الذاتِ لا لِمُعَزِّزٍ ... لِذاتِكَ أو عَنْ مَنعَةٍ عَضُدِيَّةِ
إلهي عَزيزَ الوَصْفِ عَنْ دَرْكِ طَالِبٍ ... وعَنْ فَوْتِ مَطْلوبٍ وعَنْ وَهْنِ عِزَّةِ
إلهي عَزيزَ الحَوْلِ والطَّوْلِ والبَقا ... عَنِ الحَالِ والإكْدَاءِ[1] والحَولِيَّةِ
إلهي عَزيزَ المُلْكِ والأمرِ والغِنى ... عَنِ الضِّدِّ والتَّعْكِيسِ والعَوَزِيَّةِ
إلهي عَزيزَ الحُكْمِ قَطْعاً عَنِ البَدَا ... وجَرحٍ وعَن تَعْدِيلِ كُلِّ قَضِيَّةِ
إلهي عَزيزَ الرُّكْنِ والجَارِ والحِمَى ... جَليلَ العُلى والقَدْرِ والكَنَفِيَّةِ
إلهي عَزيزَ القَهْرِ والغَلْبِ والسُّطَى ... مَنيعَ الذُّرَى مَنْ عَاذ مِنكَ بمَنْعَةِ
أعُوذُ بجَنبِ العِزِّ والضَّيمُ مُحْدِقٌ ... بذُلِّي فقُمْ لِي يا عَزيزُ بِغِيرَةِ
أعُوذُ بطَولِ العِزِّ والفقرُ مُذْقِعٌ ... لِوَجْهِي، فكُنْ لي يا عَزيزُ بِغُنْيَتي
أعُوذُ بقَهْرِ العِزِّ والخَصْمُ غَالِبٌ ... قُوايَ فأيِّدْ يا عَزيزُ لِعِزَّتي
بعِزَّتِكَ العُظْمَى اكْسِنِي عِزَّ ذِلَّتي ... إليكَ ولا تَجْعَلْ لِغَيرِكَ ذِلَّتي

---

(١) الإكْداء: التعب.

الجبار جلَّ جلاله

تَـجَـبَّـرْتَ يـا جَـبَّـارُ فـي جـبْـرِيَـائِهِ ... فـلا حَـظَّ لـلمَـقـهُـورِ فـي الـجَـبـريَّـةِ
تـجَـبَّـرتَ يـا جَـبَّـارُ عَـن نَـيـلِ حَـادِثٍ ... وجَـدُّكَ[1] أعـلى أنْ تُـنـالَ بـوَصْـمَـةِ
تـجَـبَّـرتَ جَـبَّـارَ الـسَّـمـواتِ غَـالِـباً ... على كُلِّ شيءٍ مِنْ صُنوفِ الخَليقةِ
تـجَـبَّـرتَ يـا جَـبَّـارُ قـهْـراً وسَـطْـوةً ... وعَـدلًا وتـصْـريـفـاً وتـقـديـرَ حِـكْـمَـةِ
تـجَـبَّـرتَ يـاجَـبَّـارَ كَـسْـرَ عِـبـادِهِ ... ومُـنـعِـشَ جَـدِّ الـعـاثِـرِ الـمُـتـشـتِّـتِ
تـجَـبَّـرتَ جَـبَّـارَ الـقُـلُـوبِ بـثَـبْـتِـهـا ... على الـفِـطْـرَةِ الأولـى إذا لـم تَـثَـبَّـتِ
تَـمَـزَّقَ يـا جَـبَّـارُ شَـمْـلِي وَعَـزِّنِي انـ ... ـجِـبـارُ انـكِـسَـارِي فـي قـيـودِ بَـلِـيَّـتي
وأفْـظَـعَ يـا جَـبَّـارُ صَـدْعِـي وبَـرَّحَـتْ ... بـضَـعْـفِـيَ يـا جَـبَّـارُ كُـلُّ رَزِيـئَةِ
ومـا لـمَّ يـا جَـبَّـارُ شَـعْـثِـي وصَـدْعَـتِـي ... سِـواكَ، ولا أشْـكِـي سِـواكَ شَـكِـيَّـتي
ولا قـامَ جَـبَّـارٌ عَـلـيَّ تـمَـرُّداً ... فـمـا عَـاجَـلَـتْـهُ مِـنـكَ أسْـرَعُ قـضْـمَـةِ
فقُمْ لي بجَبْرِ الوَهْنِ واكْسِرْ شَدَائِدِي ... وكُـلَّ مَـريـدٍ عَـارِمٍ مُـتـعَـفِّـرِتِ

المتكبر جلَّ جلاله

تَـكَـبَّـرْتَ فـوق الـكُـلِّ يـا مُـتـكـبِّـراً ... لِذاتِـكَ مُـمْـتـازاً بـعِـزِّ الألُوهَـةِ
لـكَ الـكِـبـريـاءُ البَـحْـتُ يـا مُـتَـكَـبِّـراً ... عـن الـنـقـصِ في الـذاتِـيَّـةِ الأقـدَسِـيَّـةِ
تَـكَـبُّـرُكَ الأسْـمَـى عَـنِ الـنـقـصِ مُـطـلـقـاً ... تَـضَـاءَلَـتِ الأفـهَـامُ عَـنـهُ وَكَـلَّـتِ
وغـايـةُ إدْرَاكِ الـعُـقـولِ حُـسُـورُهـا ... وتَـشْـطِـينُـهـا بـالـعَـجْـزِ في بَـحْـرِ هَـيْـبَـةِ
ومـا حُـجِـبَـتْ عَـنْ دَرْكِ مـا لا تُـطِـيـقُـهُ ... ولـكـنْ وَرَاءَ الـطُّـورِ أمـرُ الـحَـقِـيـقَـةِ
ومَـاهِـيَّـةُ الإدْرَاكِ نَـقْـصٌ عـلـى الـسَّـوَى ... فـكـيـفَ بِـهِ فـي كِـبْـرِيـاءِ الألُوهَـةِ
وكيفَ يَخُوضُ الوَهْمُ في أبْحُرِ العَمَى ... ومُـنـقَـطِـعُ الأفـكـارِ دونَ الـهُـوِيَّـةِ

---

(١) جَدُّكَ: عظمتك.

وهَيهاتَ عَزَّ الأمرُ وانْطَمَسَ الصُّوَى[1] ... وغابَ عَنِ الألبابِ كُنْهُ القَضِيَّةِ
تَدَانَيتَ لي في كِبْرِيائكَ رَافِعاً ... لقَدْري وما أسْلَمْتني لمَضِيعَةِ
وشَدَّدْتَ أزْرِي حِينَ حَطَّنِيَ الوَرَى ... بحَوْلِكَ رَبِّي لا بحَوْلِي وقُوَّتِي
فهَبْ لي عَلى ما صَدَّ عَنكَ تكَبُّراً ... وَذُلَّ خُضُوعٍ في رِضَاكَ وَخشْيَةِ

الخالق جلَّ جلاله

ويا خالقَ الخلقِ المُقدِّرِ كَوْنَهُم ... نِظاماً قَويماً كُلُّ ذاتٍ لِصُورَةِ
إلهي ابتدَعْتَ المُمْكِناتِ سَوِيَّةً ... كما شئتَ مِنْ جِنْسٍ وطَبْعٍ وهَيْئةِ
وأتقنْتَهَا لم تَحْكِ صِنْعَةَ مُتْقِنٍ ... ولم تَستَعِنْ فيها بِظُهْرَةِ قوَّةِ[2]
أرَدْتَ فكَانتْ فاستقرَّتْ بَدَائِعاً ... بحُكْمِ اخْتِيارٍ لا بصُنْعٍ وعِلَّةِ
مَظاهِرُ ذاتِ اللهِ مَظْهَرُ فِعْلِهِ ... مَظاهِرُ فِعْلِ اللهِ مَظْهَرُ حِكْمَةِ
تجَلَّتْ بتخْصِيصِ الإرَادَةِ فانْجَلى ... عليها جَمَالُ اللهِ لمَّا تَجَلَّتِ
وفي حِكْمَةِ التَّخْصِيصِ سِرٌّ مُخَصَّصٌ ... لذاتكَ، لا يَقْوَاهُ إدْرَاكُ فِطْرَةِ
لقَدْ كُنتَ كَنزاً خَافِياً فخَلَقْتَهُم ... لعِرفانِكَ اللهُمَّ مِنْ غَيرِ شُبْهَةِ
نَصَبْتَ لَهُم مِنْهُم عَلَيكَ أدِلَّةً ... فما حِيلَةُ الأبْصَارِ عِندَ الأدِلَّةِ
فهَبْ ليَ في الإبْدَاعِ فِكْرَةَ نَاظِرٍ ... تُرَقِّي يَقِينِي فيكَ أرْفَعَ رُتْبَةِ
ويا خالِقي نَوِّرْ جَنَانِي وقالَبِي ... ويا خالِقي أوْجِدْ رَغَائِبَ طِلْبَتِي

البارىء جلَّ جلاله

ويا بَارِىءَ المَوْجُودِ مُوْجِدَهُ بلا ... مِثالٍ خَلا مِنْ غَيرِهِ للبَرِيَّةِ

---

(١) الصُّوَى: ما غلُظ وارتفع من الأرض ـ والحجارة مُكَوَّمَة ليُستدلَّ بها في القفر.
(٢) الظُّهْرَة: المُعِين؛ كالأشرَة والفخذ والعشيرة.

بَرَأْتَهُمُ[1] مِنْ غَيرِ شَيءٍ مُعَلَّلِ ... فما الحَلُّ؟ والتَّوْلِيدُ في أيِّ نَشْأةِ؟
وما الحَلُّ والتَّوليدُ - إلّا تَسَلْسُلٌ ... وَدَوْرٌ، وَإلّا لاخْتِيارٍ وَقُدْرَةِ
وفي شَاهِدِ التَّطْويرِ أنَّكَ مُوجِدٌ ... مُجَرَّدُ إيجَادٍ مِنَ العَدَمِيَّةِ
تَعَالَيتَ أنْشَأتَ الوَسَائِطَ حِكْمَةً ... فما أثَرُ المَوْسُوطُ فِعْلَ الوَسِيطَةِ[2]
فما الفِعْلُ والتَّأثيرُ والأمْرُ والقضَا ... تُضَافُ لِغَيرِ الحَضْرَةِ البَارِيَّةِ
وَذاتُ الهَيُولى فِطْرَةٌ بِابْتِدَاعِهِ[3] ... وليسَ لها في الخَلْقِ ذَرَّةُ شِرْكَةِ
تَعَالَيتَ تَحْتَاجُ الهَيُولى لِبَارِىءٍ ... لَهُ وَاجِبُ التَّأثِيرِ والقِدَمِيَّةِ
وُجُوبُ وُجُودِ البَارِىءِ الحَقِّ مُلْزِمٌ ... لَهُ الاقْتِدارَ المَحْضَ في الفاعِلِيَّةِ
تَبَرَّأْتُ مِنْ حَوْلِ الحَوادِثِ مُطلقاً ... وأفْنَيْتُهَا في الحَضْرَةِ الأحَدِيَّةِ
وَجَرَّدْتُ أسْرَاري لِبارِىءِ عَالَمِي ... بِهِ مِنْ عَلاقَاتِي وَآفَاتِ فِطْرَتي

المُصوِّر جلَّ جلاله

مُصَوِّرَ أشْكَالِ الوُجُودِ مُعدِّلَ الـ ... ـذَّوَاتِ عَلى ما شِئتَ في أيِّ صُورَةِ
إلهِيَ زَيَّنْتَ الظَّوَاهِرَ مُطلقاً ... وأعْطَيتَ بالتَّخْصِيصِ نُورَ السَّرِيرَةِ
وَمَيَّزْتَ مِنْ بَينِ البَهَائِمِ خَلْقَنا ... وَزَكَّيتَ بالإخْلاصِ نَفْساً تَزَكَّتِ
وصَوَّرْتَ فينا الغَيَّ والرُّشْدَ والهَوَى ... فكُلٌّ لهُ مَيلٌ بِحُكْمِ المَشِيئةِ
وصَوَّرْتَ تَكْمِيلَ القُوى كُلَّ قُوَّةٍ ... لما خَصَّها في ذَاتِها مِنْ وَظِيفَةِ
وصَوَّرْتَ عِرفانَ النفوسِ لِرَبِّها ... فجَدَّتْ وقامَتْ واسْتقامَتْ وتَمَّتِ

---

(١) بَرَأتَهُم: خلَقتَهُم.

(٢) قراءة أخرى للشطر الثاني: فما أثرُ المَوسُوطِ فِعلُ الوسيطةِ

(٣) الهَيُولى: مادة الشيء التي يُصْنعُ منها؛ كالخشب للكُرسيّ، والحديد للمسمار، والقطن للملابس. وهي عند القُدماء: مادة ليس لها شكلٌ ولا صورة معينة، قابلة للتشكيل والتصوير في شتى الصُّور، وهي التي صنع الله تعالى منها أجزاءَ العالَم المادّية - (المُعجم الوسيط).

وصَوَّرْتَ فيها صُورَةَ الخَوفِ والرَّجَا ... فذابَتْ وطَابَتْ واخْتفتْ وتَجَلَّتِ
وصَوَّرْتَ أشْكَالَ المَقامَاتِ فانْتَهَتْ ... إليكَ بِها سُلَّاكُها وَاسْتَعَدَّتِ
وصَوَّرْتَ حُبَّ الحَقِّ في أنْفُسٍ صَفَتْ ... تَجَلَّتْ لَهُ فيهِ وتَحَلَّتِ
إلهي كَمَا أحْسنتَ صُورةَ ظاهِرِي ... فأحْسِنْ بحُبِّ اللهِ باطِنَ صُورَتِي
فإنَّكَ لم تَنْظُرْ إلى حُسْنِ صُورَةٍ ... ولكنْ إلى حُسْنِ القُلوبِ المُضِيئةِ

الغفار جلَّ جلاله

إلهيَ أظْهَرْتَ الجَمِيلَ تَفَضُّلًا ... وسَتَّرْتَ يا غَفَّارُ كُلَّ قَبيحَةِ
إلهيَ ما في القُبحِ كالذَّنْبِ بارَزَتْ ... بهِ نَفسُ مَخْلُوقٍ جَلالَ الأُلوهَةِ
إلهي يَعِيشُ العَبْدُ مَا عَاشَ عَاصِياً ... وأنتَ، إلهي، سَاتِرٌ للخَطِيئَةِ
يُبارِزُ بالعِصْيَانِ مَولاهُ عَالِماً ... بأنَّكَ مُحْصِي جَهْرِهِ والخَفِيَّةِ
إلهيَ بئسَ النَّفسُ نَفسِي تَسُوقُني ... إلى غَيرِ ما تَرْضَاهُ غَيرَ حَيِيَّةِ[1]
تَخُوضُ غِمارَ الغَيِّ قدْ حَالَ بَينَها ... وبَينكَ مِنها غَمْرَةٌ فوقَ غَمْرَةِ
وأنتَ تُغذِّيها، وأنتَ تَبُزُّها ... بعَافِيَةٍ في كُلِّ حَالٍ ونِعْمَةِ
عَدَوْتُ إلى المَحْظورِ حَتى اقترَفْتُهُ ... وأنتَ تَرَى يا رَبِّ سَيِّءَ خَطْوَتِي
إلهي اعْترَفْتُ الآنَ بالذنبِ تائِباً ... إليكَ فعَفواً يا إلهِيَ حَوْبَتِي[2]
«وإنِّي لَغفَّارٌ لِمَنْ تابَ» ـ رَدَّني ... إليكَ فلا تَرْدُدْ مَتابي بخَيْبَةِ[3]
إلهي كَما أرْسَلْتَ سِتْرَكَ سَابغاً ... فجُدْ لي بمَحْوِ السَّيئاتِ العَظِيمَةِ

---

(١) حَيِية: مُستحيِية.

(٢) حَوْبَتي: خطيئتي.

(٣) رَدَّني أو رُدَّني ـ كما ورد لدى بعض الشرّاح؛ ونميلُ إلى الأولى على اعتبار أن تضمين الآية الكريمة، في جوهر السياق الشعري هو من رَدَّ الشاعرَ إلى بارئه، دونما حاجةٍ للتعويل على فعلِ أمرٍ مُبرَم: رُدَّني.

القهّار جلَّ جلاله

إلـهِـيَ لا مَـوجُـودَ غَـيـرَكَ لـم يَـكُـنْ ... بـقـهـرِكَ يـا قـهَّـارُ والـجَـبـريَّـةِ
إلـهـي قَـهَـرْتَ الـمُـمْـكِـنـاتِ فـكُـلُّـهـا ... بـقَـهـرِكَ فـي عَـجْـزٍ وَفَـقْـرٍ وَذِلَّةِ
فـمـا سَـاكِـنٌ فـي الـكَـوْنِ أو مُـتَـحَـرِّكٌ ... بـمُـعْـتـصِـمٍ مِـن قـهْـرِ رَبِّـي بـمِـنْـعَـةِ
قَـصَـمْـتَ ظُـهُـورَ الـمُـعْـتَـدِيـنَ بـمـا طَـغَـوا ... فـمـا رُدَّ بَـأْسُ الـقَـهْـرِ مِـنـكَ بِـعِـزَّةِ
إلـهـي جَـلالُ الـقـهْـرِ فـي كُـنْـهِ ذاتِـهِ ... عَـلا عَـنْ رُسُـومِ الـقـهْـرِ والـنَّـظَـرِيَّـةِ
إلـهـي جَـلالُ الـقـهْـرِ لَـيـسَ بـوَاهِـنٍ ... وإنْ أمْـهَـلَ الـقـهَّـارُ مَـكْـراً لـبُـرْهَـةِ
إلـهـي طَـغَـتْ فـوقَ الـعِـبـادِ عَـصَـائِـبٌ ... فـعَـمَّـتْ سُـيـولُ الـظُّـلمِ مِـنـهـا وَطَـمَّـتِ
طَـغَـامٌ طُـغـاةٌ تَـبَّـرُوا مَـا عَـلَـوْا ولا[1] ... نَـصِـيـرَ سِـوى الـقـهَّـارِ فـوقَ الـبَـرِيَّـةِ
ومـا غَـايَـةُ الـمَـقْـهُـورِ فـي جَـبَـرُوتِـهِ ... سِـوَى بَـطْـشَـةِ الـقـهَّـارِ رَبِّ الـخَـلِـيـقَـةِ[2]
إلـهـي تَـدَارَكْـهُـم بـقـهْـرٍ ذَوَاتِـهِـم ... وعُـدَّتِـهِـم والـعَـدِّ والـمَـدَدِيَّـةِ
إلـهـي، وَمَـنْ حَـابَـاهُـمُ وَأعَـانَـهُـم ... وَدَاهَـنَـهُـم بَـغـيـاً لأجْـلِ الـبَـغِـيَّـةِ

الوَهَّاب جلَّ جلاله

بِـبَـابِـكَ يـا وَهَّـابُ أمْـلَـقْـتُ مُـخْـفِـقـاً ... وأقْـوَيْـتُ مَـجْـهُـوداً بـأسْـرِ الـبَـلِـيَّـةِ
بِـبَـابِـكَ يـا وَهَّـابُ أخْـلَـصْـتُ رَغْـبَـتـي ... وأوْرَدْتُ آمـالـي وأنْـزَلْـتُ بُـغْـيَـتِـي
عَـنـائِـي عَـنـاءُ الـمُـجْـهَـدِيـنَ وَحَـالـتـي ... بِـعِـلْـمِـكَ فـاجْـبُـرْ عَـيْـلَـتِـي واشْـفِ غُـلَّـتـي
مَـواهِـبُـكَ الـلـهُـمَّ مِـنْ غَـيـرِ حِـيـلَـةٍ ... تُـواصِـلُـهـا تَـتْـرَى وخَـيْـرُ وَسِـيـلَـتِـي

---

(١) طَغَام: أرَاذِل || تبَّروا: هَلَكوا.

(٢) **ملحوظة**: وما غَايَةُ الـمَقْهُورِ في جَبَرُوتِهِ | سِوَى بَطْشَةِ القَهَّارِ رَبِّ الخَلِيقَةِ: يَتَمَظْهَرُ، في هذا البيت، رُكْنٌ مِن أرْكانِ عِلْم النفس؛ وهو سيكولوجية الشخصية المقهورة حين تتمادى ـ إن أتيحَت لها الفرصَة ـ في السُّلطة والجبروت، دون أن يردعها إلّا سُلطانٌ يُصبِحُ رَدعُهُ غايةً خفيّةً تُلازِمُ سُلوكَها المأزوم.

وَوَهْبُكَ يا وَهَّابُ ليسَ لِعَارِضٍ ... وليسَ لأغْراضٍ ولا عِوَضِيَّةِ
وأنتَ الجَوَادُ الحَقُّ لا وَهْبَ مُطْلقاً ... مِنَ الخَلْقِ إلّا مِنكَ يا ذا العَطِيَّةِ
وكيف حُصُولُ الوَهْبِ مِمَّنْ مَلَكْتَهُ ... وليسَ لَهُ في المُلْكِ ذَرَّةُ شِرْكَةِ[1]
ولا يَنبَغي للوَهْبِ مِنْ غَيرِ مَالِكٍ ... ولا يَنبَغي للوَهْبِ بالسَّبَبيَّةِ[2]
فما الوَهْبُ - في التَّحْقِيقِ - إلا لِوَاهِبٍ ... غَنِيٍّ مَليٍّ مَالِكٍ كُلَّ فِطْرَةِ
إلهي هَبْ لي مِنْ مَوَاهِبكَ الغِنى ... عَنِ الخَلقِ، في نَفسِي وفي وَاجِدِيَّتي
إلهيَ هَبْ لي رَحْمَةً لَدُنيَّةً ... فكُلُّ الغِنَى في الرَّحْمَةِ اللدُنِيَّةِ

الرّزاق جلّ جلاله

تَكَلَّفتَ يا رَزَّاقُ بالرِّزْقِ مُطْلقاً ... بغيرِ حِسابٍ بَينَ كُثرٍ وقِلَّةِ
فما الجِدُّ في الأرْزاقِ إلّا تَوَكُّلٌ ... وإلّا فما في الرِّزقِ تَبْدِيلُ قِسْمَةِ
ضَمَنتَ بِهِ للخَلقِ حَسْبَ احْتياجِهِم ... على سُبُلِ الأسْبابِ كُلٌّ لِوِجْهَةِ
وهَيَّأتَ أسْبابَ الحُصُولِ بأوْجُهٍ ... مُيَسَّرَةٍ حَسبَ افتراقِ المَعِيشَةِ
ولم تَجْعلِ الأسبابَ عِلَّةَ رِزْقِهِم ... ولكنَّهُ تَدبيرُ لُطفٍ وحِكْمَةِ
إلهي يَقِيني في ضَمَانِكَ عُمْدَتي ... وفضْلُكَ، خَيْرَ الرَّازقينَ، ذخِيرَتي
وحَسْبيَ مِن رِزقي بأنكَ كَافِلٌ ... بِهِ قَبلَ بَسْطِ الكَفِّ مِنِّي بِدَعْوَتي

---

(١) ذَرَّةُ شِرْكَةٍ: وردت، في طَبْعَةٍ مكتبة مسقط لـ «النَّفس الرَّحماني: مِثقالُ ذرَّة، لكنَّنا اعتمدنا ما ورد في الأصل المُعتمد، لاعتقادنا بقوَّتها البلاغية التأثيريَّة، قياساً إلى «مِثقالُ ذرَّة»، شائعة الوُرود والاستخدام.

(٢) في هذه المقطوعة الشيِّقة يَسترْسِلُ الشاعر - ابتداء من البيت الرابع - في طُقُوس مُرافَعَة لمُحامٍ مُتمَرِّس يحاول إقناع القضاة والمُحلَّفين بحُجَّتِهِ في تعليل الوَهْب وتفنيده كخصيصة من خصائص الخالق وحده، دونَ سِواه من خلقه. فمن يَملكُ هو من يَهَب، فكيفَ لمخلوق (مَملوك لخالقه/ لا شراكة له في المُلك) أن يتمتع بتلك الخصيصة، حدَّ تجاوز مُرافعته الرَّفيعَة للعلاقة بين السَّبَب والمُسَبَّب [السَّبَبيّة] بمَخرَج لافت: ولا ينبغي لِلوَهْبِ من غيرِ مَالِكٍ | ولا يَنبغي لِلْوَهْبِ بالسَّبَبِيَّةِ | فما الوَهْبُ - في التَّحْقِيقِ - إلا لِوَاهِبٍ | غَنِيٍّ مَليٍّ مَالِكٍ كُلَّ فِطْرَةِ.. إلخ الأبيات.

وَفَرضٌ سُؤالُ العَبدِ واللهُ فاعِلٌ ... لما اختارَهُ مِنْ يُسرِ عَبدٍ وَعُسرَةِ
وَمَرزوقُ هذا الكَونِ يطلبُ رِزْقَهُ ... إليكَ وَيَستوفي ضَمانَ الرُّبوبَةِ
وما حِيلَةُ المُضْطَرِّ في الرِّزْقِ غَيرُ ما ... فتحتَ بهِ مِنْ دَعْوةٍ وَوَسِيلَةِ
فيا رَازِقَ النَّغَّابِ[1] أدْعُوكَ بائساً ... بفيضِ اسمِكَ الرَّزاقِ وَسِّعْ مَعِيشتي

الفتاح جلَّ جلاله

إلهي فتَّاحَ المَغالِقِ وَاهِبَ الـ ... ـفُتُوحاتِ مِنْ أبوابِكَ اللدُنِيَّة
إلهي لا مَوْجُودَ فاتِحَ رَحْمَةٍ ... سِواكَ، ولا فتَّاحَ مُغلَقِ كُرْبَةِ
إلهي لا مَوجودَ غيرَكَ فاتِحٌ ... لخَيرِ أمُورِ الدينِ والدُّنْيَوِيَّةِ
فتَحْتَ قُلوبَ المُؤمِنينَ تَعَرُّفاً ... بِعِرْفانِكَ اللهُمَّ في كُلِّ ذَرَّةِ
فتَحْتَ على العَاصِينَ باباً مُوصَّلاً ... لعَفْوِكَ يا فَتاحُ عَنْ كُلِّ كُرْبَةِ
فتَحْتَ ليَ التوفيقَ باباً لأنفُسٍ ... فتَحْتَ على الأسْرارِ بابَ الحَقيقةِ
أعَنْتَ على قَرحِ الشَّدائدِ كُلِّها ... أنَلْتَ وُجُوهاً مِنْ زَوائِدَ جَمَّةِ
فتَحْتَ على أصْنافِ خَلْقِكَ مُنْعِماً ... خَزائِنَ إحْسَانٍ وبَرٍّ ورَحْمَةِ
بفتْحِكَ بالإنْعامِ عجِّلْ كَرَامَتي ... بفتْحكَ بالأحْكامِ عجِّل بنُصْرَتي
فما يَفتحُ الفتاحُ مِن رَحْمَةٍ على ... بَرَاياهُ لم تُمْسِكْهُ قُوَّةُ فِطْرَةِ
بفتْحِكَ خَيرَ الفاتِحينَ انْتَصِرْ لنا ... كَفَى فَتْحُكَ الفَتْحُ المُبينُ لِنجْدَتي

العليم جلَّ جلاله

أَزِلْ جَهْلَ نفسِي يا عَلِيمُ وَزَكِّهَا ... بسُلطانِ سِرِّ اسْمِ العَلِيمِ وَثَبِّتِ

---

(١) النَّغَّاب: فرخ الغُراب.

أفِضْ لي عِلماً، يا عَليمُ، مُقرِّباً ... إليكَ، وقَدِّسْ يا عَليمُ أنِيَّتِي
أفِضْ لي مِنَ العِلم اللدُنِّيِّ يا عَلِيـ ... ـمُ بَحراً، وحَقِّقْ يا عَليمُ حَقيقتِي
وَهَبْ لي نُوراً يا عَليمُ مُبصِّراً ... بأنوارِ سِرِّ اسْمِ العَليمِ بَصِيرَتي
وَكَشْفاً سَنِيًّا يا عَليمُ مُجَلِّياً ... بأنوارِ سِرِّ اسْمِ العَليمِ كَثِيفَتي
وَوَهْباً عَلِيمِيًّا فُيُوضُ انْبِساطِهِ ... تُزَحْزِحُ وَهْمِي يا عَليمُ وَظُلْمَتي
بأنوارِ ما أوْدَعْتَ مِن سِرِّ اسْمِكَ الـ ... ـعَليمِ بأسْرارِ النفوسِ الزَّكِيَّةِ
بأرواحِ ما تُلقيهِ مِن لُطْفِ اسْمِكَ الـ ... ـعَليمِ بأجْسامِ القُلُوبِ الجَلِيَّةِ
بعِلمِكَ والإمْدَادُ مِن فَيْضِ اسْمِكَ العَـ ... ـليمِ لأهْلِ القُرْبِ والصَّفْوَيَّةِ
بِيُنْبُوعِ سِرِّ اسْمِ العَليمِ أمِدَّنِي ... وجَلِّ لعقلي كُنْهَ كُلِّ حَقيقةِ
إلهيَ حَقِّقْنِي بتأثيرِ اسْمِكَ العَليـ ... ـمِ ونَوِّرْ ظاهِري وَطَوِيَّتي

القابض جلَّ جلاله

وَيَا قَابِضَ الأشياءِ قبْضَةَ قُوةٍ ... لها السَّلْبُ والتقديرُ في كُلِّ ذرَّةِ
ويا قابضَ الإبْدَاعِ في مُسْتقرِّهِ ... نِظاماً على غايَاتِهِ الحِكَمِيَّةِ
ويا قابضَ الأكوانِ فهيَ بحَمْدِهِ ... مُسبِّحَةٌ في القبْضِ تَسْبيحَ فِطْرَةِ
ويا قابضَ الألبابِ مِن أهْلِ قُرْبِهِ ... عَنِ البَسْطِ في الأغْيارِ والتَّبَعِيَّةِ
ويا قابضَ الأسْرارِ مِنْ حَيثُ عِلمُهُ ... بما يَقتضِي التَّطْويرُ في البَشَرِيَّةِ
ويا قابضَ الأرْزاقِ قَبْضَ سِيَاسَةٍ ... وَمَصْلَحَةٍ مِنهُ لِنفسٍ مُقِلَّةِ
ويا قابضَ النَّعْماءِ مَقْتاً ونِقمَةً ... لِمَنْ قابَلَ النَّعْماءَ بالبَطَرِيَّةِ
ويا قابضَ الأعْمارِ عِندَ حُدُودِها ... وَمُسْتأثراً بالبُعْدِ والسَّرْمَدِيَّةِ
ويا قابضَ الأرواحِ مِنْ مُودَعَاتِها ... لِمُسْتَوْدَعَاتِ الغَيْبِ في البَرْزَخِيَّةِ
بِقَبْضَتِكَ الكُلِّيَّةِ اقْبِضْ مُعَانِدِي ... مَقِيتاً شَقِياً بَينَ خِزْيٍ وَلَعْنةِ
وَشَدِّدْ عَليهِ القَبْضَ في كُلِّ بَسْطةٍ ... أطَارَتْهُ بَغياً فَوقَ أهلِ البَسِيطَةِ

الباسط جلَّ جلاله

وَيَا بَاسِطَ الأرْزاقِ بَسْطاً مُقدَّراً ... بِبَسْطِكَ رَبِّي كُلُّ خَيرٍ وَبَسْطَةِ[1]

ويا باسِطَ السُّحْبِ الثِّقالِ كَمَا يَشا ... ليَبْسُطَ مِنها رِزْقَهُ كُلَّ نَسْمَةِ

ويا باسِطَ الأنوارِ والظُّلَّ باسِطاً ... بقُدْرَتِهِ العُظْمَى بِسَاطَ البَسِيطَةِ

ويا باسِطاً للرُّوحِ في الجِسْمِ باسِطَ الـ ... ـقُلُوبِ بِرُوحِ الأُنْسِ بالوَاحِدِيَّةِ

ويا باسِطَ المُبقى بكَشْفِ جَمَالِهِ ... ويا باسِطاً للعَفوِ عَن ذي الجَرِيرَةِ[2]

إلهي بسِرِّ البَسْطِ يا باسِطَ العَطَا ... أفِضْ ليَ فَيضَ البَسْطِ مِن كُلِّ نِعْمَةِ

أفِضْ لي بسِرِّ البَاسِطِ البَسْطَ في الذي ... يَقومُ بما يُرْضِيكَ مِنْ وَجْهِ قَوْمَتي

أفِضْ لي بنُورِ البَسْطِ عِرْفانَ كَامِلٍ ... وَهَبْ لي كَمَالاً مُطْلقاً في عُبُودَتِي

أفِضْ ليَ عَينَ البَسْطِ مِنْ كُلِّ مَظْهَرٍ ... أفِضْ ليَ بَحْرَ البَسْطِ مِنْ كُلِّ حَضْرَةِ

وَيَسِّرْ جَمَالَ البَسْطِ وَسِّعْ مَعارِفي ... بكَشْفِ حِجَابِ القَلْبِ والبَشَرِيَّةِ

بلُطْفِ كَمَالِ البَسْطِ هَبْ لي رَقِيقَةً ... مِنَ البَسْطِ أسْتوْفِي بها بَسْطَ حُجَّتِي

الخافض جلَّ جلاله

وَيَا خَافِضَ الكُفَّارِ خَفْضاً مُقدَّراً ... بإشْقائِهِم في سَابِقِ الأزَلِيَّةِ

وذلكَ سِرٌّ بالجَلالِ مُحَجَّبٌ ... ولا حُكْمَ إلّا عَدْلُهُ في القَضيَّةِ

ويا خافِضاً بالبُعْدِ مَنْ شاءَ بُعْدَهُ ... كما أنَّ في تَقْرِيبِهِ كُلَّ رِفْعَةِ

ويا خافِضاً بالجَهْلِ والجَهْلُ مَنبَعٌ ... لكُلِّ بَلاءٍ وانْحِطاطٍ وَخِسَّةِ

ويا خافِضاً بالفَقرِ مَنْ كَانَ فَقرُهُ ... يُسَفِّلُهُ في دِينِهِ بالدَّنِيَّةِ

ويا خافِضاً بالذُّلِّ مَن كان ذُلُّهُ ... لغَيرِكَ حُباً أو لِقَهْرٍ وَخِيفَةِ

---

(١) بَسْطَة: سِعة من الرزق.

(٢) الجَرِيرة: الذنب.

ويا خافِضَ الجَبَّارِ بالقهرِ نَقْمَةً ... وخافِضَ أهْلِ العِلمِ بالطَّمَعيَّةِ
إلهي أشْكُو ظالِماً أنتَ حَسْبُهُ ... تَرَفَّعَ طُغياناً على ضَعْفِ قُوَّتي
تَراءَتْ لَهُ الدُّنيا كَأكْلَةِ جَائِعٍ ... فساغَتْ لَهُ أكْلًا ويا شَرَّ أكْلَةِ
فيا خَافِضُ أخْفِضْهُ بأسْفَلِ سَافِلٍ ... وَسَلِّطْ عَليهِ الرِّجْزَ[1] في كُلِّ وِجْهَةِ
وأرْكِسْهُ مَخفوضاً على أُمِّ رَأسِهِ ... إلى دَرَكَاتِ المُهْلِكاتِ الوَبِيلَةِ[2]

الرافع جلَّ جلاله

وَيَا رَافِعاً مَنْ شَاءَهُ بِرَشَادِهِ ... وبالقُرْبِ والإسْعادِ والصَّفَوِيَّةِ
وَرَفعُكَ مَن تَختصُّ سَبْقُ مَشِيئةٍ ... ولا بُدَّ مِنْ إنفاذِ حُكْمِ المَشِيئةِ
ويا رافِعاً بالعِلم أهْلَ وَلائِهِ ... على دَرَجَاتٍ في الحُظوظِ رَفِيعَةِ
ويا رَافعَ الأقدارِ بالعِزِّ والعُلى ... إذا كانَ تقوى اللهِ أُسُّ البَنِيَّةِ
ويا رافِعاً مَن نَالَ نُعْمَاهُ بالغِنى ... على شُكْرِهِ والشُّكْرُ أعْظَمُ نِعْمَةِ
ويا رافِعاً بالعَقلِ والعَقلُ حُجَّةٌ ... ولولاهُ كُنا في عِدَادِ البَهِيمَةِ
رَفعْتَ رَفِيعَ المَجْدِ والدَّرَجَاتِ والـ ... ـثناءِ مَقامَ الرُّسْلِ والمَلَكِيَّةِ
ويا رافِعَ الأسْرَارِ فوق مَعَارِجِ الـ ... ـشُّهُودِ وَسَاقِيها كُؤوسَ المَحَبَّةِ
برِفْعَتِكَ ارْفعني ارتِفاعَ مُوَحِّدٍ ... مُحِبٍّ صَفِيٍّ في المَحَبَّةِ مُخْبِتِ
برِفْعَتِكَ ارْفعني مَكَاناً مِنَ الهُدى ... عَلياً، وأيِّدْنِي بِرُوحِ الحَقِيقةِ
برِفْعتكَ ارْفعْ هَمَّ نفسِي مِنَ الهَوَى ... وسِرْ بي لما تَرْضَى سَوَاءَ الطَّرِيقةِ

المعز جلَّ جلاله

إلهي مُعِزَّ الأوْلِياءِ بِعِصْمَةٍ ... وغُفرانِهِ والرَّحْمَةِ الأبَدِيَّةِ

---

(١) الرِّجْز: العذاب.
(٢) أرْكِسْهُ: رُدَّهُ ذليلًا ـ دَرَكات: منازل جَهَنَّم.

إلـهـيَ تُـؤتِـي الـمُـلْكَ والـعِـزَّ مَـن تَـشـا ... وهـذا اخْـتِـصَـاصٌ سِـرُّهُ لـلأُلُوهَـةِ
وعِـزَّتُـكَ الـلـهُـمَّ لا عِـزَّ فـوْقَـهـا ... وسُـبْـحـانَ رَبِّ الـعِـزَّةِ الـسَّـرْمَـدِيـةِ
وعِـزَّةُ مَـن آتـيـتَـهُ مِـنـكَ عِـزَّةً ... بـعِـزَّتِـكَ الـلـهُـمَّ عَـزَّتْ وَجَـلَّتِ
وعِـزَّةُ مَـن أعْـزَزْتَـهُ يـا مُـعِـزُّ لَنْ ... تُـضَـامَ ولَنْ تَـبْـلى بـعِـزَّةِ قُـوَّةِ
وأعْـزِزْ بـمَـنْ أَلْبَـسْـتَـهُ الـعِـزَّ رَاقِـيـاً ... بِـذِلَّتِـهِ لله أعْـظَـمَ رُتْـبَـةِ
ومـا الـعِـزُّ كُـلُّ الـعِـزِّ إلّا بِـذِلَّةٍ ... لـوَجْـهِـكَ يَـفْـنَـى كُـلُّ حَـظٍّ وَعِـزَّةِ
ومَـنْ لي بدَرْكِ العِزِّ والنفسُ سَابِقِي ... إلى الذلِّ والخُسْرانِ سَوقَ الذَّبيحَةِ
وعِـزِّي وسُلطاني الحَقيقيُّ ثابتٌ ... بسَحْقِي ومَحْقِي عَالَمَ البَشريَّةِ
ونـفـسـيَ إنْ عَـزَّتْ فـأنـتَ مُـعِـزُّهـا ... إذا انْـخَـلَـعَـتْ عَـن رِبْـقَـةِ الـشَّـهـوَيَّـةِ
فـهَـبْ لـيَ عِـزَّ الـرُّوحِ فـيـكَ مُـؤيَّـداً ... بـعِـزِّ ظُـهـورٍ يـا مُـعِـزُّ ومُـكْـنَـةِ

المُذِلّ جلَّ جلاله

إلـهـي مُـذِلَّ الـكَـافِـريـنَ بـكُـفْـرِهِـم ... بـعِـلْـمِـكَ فِـعـلَ الـكُـفـرِ فـي الـقِـدَمِـيَّـةِ
إلـهـي مُـذلَّ الـمَـارِدِيـنَ وإنْ جَـرَوا ... إلـى أمَـدٍ مَـا لَـم يَـفِـرُّوا لِمَـنْـعَـةِ
أحَـاطَ بـهِـم سُـلـطـانُ قَـهْـرٍ وعِـزَّةٍ ... فَـهُـم وإنِ اعْـتَـزُّوا غُـرُوراً بِـذِلَّةِ
إلـهـيَ مـا أذلَلتَ نَـفـساً بـمِـثـل مـا ... تَـعَـالَـتْ بـدَعْـوى حَـظٍّ قَـدْرٍ وعِـزَّةِ
وكيفَ صُعُودُ النفسِ عَنْ مُسْتَقَرِّها ... ومِـنْ حَـيـثُ ظَـنَّـتْ نَـالَـتِ الـعِـزَّ ذَلَّـتِ
إلهي تَعَدَّى خَصْمُكَ الحَدَّ واعْتَدَى ... عـلى حُـرُمـاتِ اللهِ بـالأغْـلَـبِـيَّـةِ
وعِـلْـمُـكَ بـالأعْـداءِ رَبِّـي مُـسَـيـطِـرٌ ... وغِـيـرَتُـكَ الـلـهُـمَّ أعْـظَـمُ غِـيـرَةِ
ومـا عِـزَّةُ الـطَّـاغِـي وإنْ جَـدَّ جَـدُّهـا ... بِـصَـائِـرَةٍ إلّا لِخِـزْيٍ وَذِلَّةِ
فـأرْسِـلْ عَـلـيـهِ يـا مُـذِلُّ قَـوَاصِـفَ الـ ... ـنَّـكِـيـرِ وَسَـرْبِـلْـهُ سَـرَابِـيـلَ لَـعْـنَـةِ
وَصُـبَّ عَـلـيـهِ الـذُّلَّ قَـلـباً وقَـالِـباً ... وفـي جَـاهِـهِ والـمَـالِ والـتـبَـعِـيَّـةِ
مَـصَـائِـبَ ذُلٍّ يَـخْـتَـبِـطْـنَ حَـيَـاتَـهُ ... وَيَـخْـطِـمْـنَهُ حَـطْـمَ الـدَّرِيـسِ الـمُـفَـتَّـتِ

السّميع جلَّ جلاله

إلهيَ لا مَسمُوع يَعزِبُ[1] عَنكَ يا ... سَمِيعٌ بِجَهْرٍ كَائِنٍ أو بِخَفِيَّةِ
إلهيَ سَمْعُ اللهِ دَرْكٌ لِذاتِهِ ... تَجَلَّى لَهُ مَسْمُوعُهُ بالحَقِيقةِ
إلهيَ سَمْعُ الحَقِّ لَيسَ بآلَةٍ ... ولا صِفَةٍ بالذَّاتِ قامَتْ وَحَلّتِ
ولكِنَّهُ عِلْمٌ قَدِيمٌ مُطابِقٌ ... لِمَاهِيَّةِ المَعْلومِ بالِلازِمِيَّةِ
سَمِعْتَ دَبيبَ النَّمْلِ يا سَامِعَ الدُّعا ... على الصَّخرَةِ الصَّمَّاءِ في الحَنْدَسِيَّةِ[2]
ولَيسَ نِداءٌ عَنْ نِداءٍ بِمُشْغِلٍ ... لِسَمْعِكَ حُكْمُ الفَرْدِ فيهِ كَكَثْرَةِ
سَمِعْتَ لِحَمْدِ الحَامِدِينَ وَصُنْتَهُم ... بِحَمْدِكَ يا ذا الحَمدِ في كُلِّ نِعْمَةِ
سَمِعْتَ دُعَاءَ الخَلقِ حَالًا ولَهْجَةً ... وسِراً وأرْواحاً بِسِرٍّ وَجَهْرَةِ
إلهي صُراخِي بالدُّعَاءِ سَمِعْتَهُ ... ولَيسَ دُعَاءٌ لافتِخارٍ وَسُمْعَةِ
ولكنْ أحَاطَتْ بي بُحُورُ مَصَائِبٍ ... وأعْظَمُها ذنْبي وَتَسْوِيفُ تَوْبَتِي
سَمِعْتَ ففَرِّجْها بِرَوْحٍ وَرَحْمَةٍ ... وإنْ لم أكُنْ مُسْتأهِلًا لِلمَثُوبَةِ

البصير جلَّ جلاله

بَصُرْتَ بِكُلِّ الكائناتِ إحَاطَةً ... بِغيرِ انْطِبَاعٍ[3] يا بَصِيرُ وَمُقلَةِ
بَصُرْتَ بما لم يَبْصُرِ الخَلقُ كُلُّهُم ... بِهِ مُطلقاً لِلذاتِ؛ لا بِوَسِيطَةِ
بَصُرْتَ البَصِيرُ الحَقُّ بالذاتِ، لا بما ... يَقُولُونَ مِنْ حَلِّ الصِّفاتِ القَدِيمَةِ
وما الحَقُّ إلّا أنَّ ذَاتَكَ مُدْرِكٌ ... بَصِيرٌ بلا اسْتِئْثارِ بَاءِ اسْتِعَانَةِ
بَصُرْتَ بِحَالِي جَهْرِها وَخَفِيِّها ... ومَرْمَى شُؤوني وافتقارِ أَنِيَّتِي[4]

---

(١) يَعْزِب: يَغيب.
(٢) الحَنْدَسِيَّة: الظُّلمة.
(٣) بما أنهُ ذكر مُقلةَ العَين، فربما قصد بالإنطباع التصوُّر الذِّهني أو انعِكاس الصُّورة في العين، وفي ذلك تَشْبِيهٌ مرفوضٌ لذات الخالق.
(٤) أَنِيَّتِي: ذاتي.

وَكَيفَ عَنائي في المَواطِنِ كُلِّها ... وَظُلمَةُ قلبي وانْطِماسُ بَصِيرَتي
إلهيَ بَصِّرْني بنَفْسِي وَقَدْرِها ... فمُطْلَقُ خُسْراني بِجَهْلي برُتْبَتي
إلهي بما أبْصَرْتَهُ مِن نَقائصِي ... وسُوءِ اخْتِياري أنتَ تَسْتُرُ خُلَّتِي
وأينَ مَفرّي واخْتِفائي وأنتَ يا ... بَصِيرُ مُحِيطُ الكُلِّ والشَّاهِدِيَّةِ
إلهيَ مَحْجُوبُ الكَثائِفِ مُوثَقٌ ... بأنْشُوطَةٍ مِنْ جَهْلِهِ وأَخِيَّةِ
وفي بَصَرِ الرَّحمنِ بالحَقِّ نَافِذٌ ... فما عَزَبَتْ يا رَبِّ عَنكَ بَلِيَّتِي

الحَكَم جلَّ جلاله

إلى الحَكَمِ الحَقِّ الذي لا يُرَدُّ ما ... قَضَاهُ بسُلطانٍ دَفَعْتُ شَكِيَّتِي
إلى الحَكَمِ الحَقِّ الذي ما لحُكْمِهِ ... مُعقِّبُ حُكْمٍ أو مُناقِضُ حِكْمَةِ
إلى الحَكَمِ الحَقِّ الذي ليسَ حُكْمُهُ ... بِرَيْبٍ ولا في فِعْلِهِ عَيْبُ ذرَّةِ
إلى الحَكَمِ الحَقِّ الذي عَزَّ جَارُهُ ... وقامَ بِقِسْطِ الحُكْمِ بَينَ البَرِيَّةِ
وَهَى جَلَدِي يا أحْكَمَ الحَاكِمِينَ مِنْ ... مُرِيدٍ عَتِيدٍ سَامَنِي شَرَّ خُطَّةِ
لكَ الحُكْمُ والرُّجْعَى إليكَ ورُكْنُكَ الـ ... ـشَّدِيدُ مَلاذي وانتِصَارُكَ عِزَّتي
فخُذهُ بمَثْوَى الأمْنِ سُنَّتُكَ التي ... خَلَتْ في القرُونِ الغابِرِينَ فأَفْنَتِ
إلهيَ لا تَجْعَلْ سَبِيلاً لكَافِرٍ ... على مُسْلِمٍ مُستمسِكٍ بالشريعَةِ
إلهيَ فاحْكُمْ لي عَليهِ وَرُدَّهُ ... بحُكْمِكَ عَني يا نَصِيرِي وعُدَّتي
إلهيَ ما هذا المُرِيدُ بمُعْجِزٍ ... وأنتَ غَيورٌ شَاهِدٌ صِدْقَ دَعْوَتي
وفي حُكْمِكَ القِسْطِ الذي أنتَ أهْلُهُ ... مُعَاجَلَةُ الطّاغي بأَخْذِ العُقُوبَةِ

العدل جلَّ جلاله

وَيَا عَدْلُ في أحْكَامِهِ وقَضَائِهِ ... وفي خَلقِهِ والرِّزقِ والفاعِلِيَّةِ
إلهي كَتبتَ العَدلَ حَتماً وَسِرُّهُ ... إليكَ ولم يُدْرِكْهُ عِلمُ الخَليقةِ

إلهيَ لم تُجبِرْ على الذنبِ مُذنباً ... كما لم تُفوِّضهُ لِخَلْقِ الخَطِيئةِ
إلهي فَطَرْتَ الكائناتِ بحِكمَةٍ ... على العَدلِ في الأشْباحِ والصِّفتِيَّةِ
إلهي دَبَّرْتَ الأمُورَ قَويمَةً ... على العَدلِ والإحْسانِ تدْبيرَ حِكْمَةِ
إلهيَ ما في المُلكِ مِثقالُ ذرَّةٍ ... من الجورِ حُكْماً مِن جَلالِ الأُلوهَةِ
إلهيَ ظُلْمُ الكَونِ بَعضٌ لِبَعضِهِ ... يُحَالُ على الإكْسابِ مِن غَيرِ شِرْكَةِ
إلهيَ عَبدٌ مِن عَبيدِكَ ظَالِمٌ ... رَمَانِي بسَهْمِ الظُّلْمِ مِنهُ فأصْمَتِ
تَخَطَّى خُطَى العُدوانِ للمُكْرِ آمِناً ... وعَينُكَ بالمِرْصَادِ مِن كُلِّ خُطْوَةِ
فيا عَدلُ أوْبِتْهُ بعَدلِكَ إنَّهُ ... تَمَادَى على الطُّغيانِ والأشَرِيَّةِ
تَعَالَيتَ ما في المُلْكِ إهْمَالُ ظالِمٍ ... ولا رَدُّ مَظلُومٍ بِبَابِكَ مُخْبِتِ

اللطيف جلَّ جلاله

أحاطَ بيَ الكَرْبُ العَظِيمُ وأنتَ يا ... لَطِيفٌ عَظيمُ اللُّطْفِ في حَلِّ كُرْبَتي
لَطُفتَ فلم تُدْرَكْ تَقدَّستَ سَيِّدي ... عنِ الدَّرْكِ في الدُّنيا وفي الأُخْرَوِيَّةِ
لَطُفتَ فأدْرَكتَ الكَوائِنَ مُطلقاً ... وسِيَّانَ خَافِيها وَدَرْكُ الجَلِيَّةِ
لَطُفتَ فهَيَّأتَ المَصَالِحَ كُلَّها ... بغيرِ احْتِسابٍ مَحْضَ بِرٍّ ورَحْمَةِ
وَلُطْفُكَ في أفعَالِ ذاتِكَ خارجٌ ... عن الحَصْرِ رِفقاً سَيِّدي بالخليقةِ
لَطُفتَ بتيسيرِ العَسِيرِ وَجَبْرِكَ الـ ... ـكَسِيرِ وَتفريجِ الهُمُومِ الجَسِيمَةِ
إلهي خَفِيَّ اللطْفِ أدْرِكْ بلُطْفِكَ الـ ... ـخَفِيِّ بَلِيَّاتٍ بعَبْدِكَ حَلَّتِ
لَطُفْتَ خَفيَّ اللطْفِ بي فسَتَرْتَنِي ... وَوَفَّقْتَنِي لُطفاً وأتْمَمْتَ نِعْمَتِي
تَوَارَدَتِ الأسْوَاءُ واسْتَحْصَدَ الشَّقا ... عليَّ وَخَامَتْ دُونَ صَبْرِي عَزِيمَتِي
وَلُطْفُكَ أدْنى يا لَطِيفُ مِنَ البَلا ... ولو رَجَحَتْ بالخَافِقَينِ بَلِيَّتِي
بأسْرارِ لُطْفِ اللهِ في مَلَكُوتِهِ ... وفي مُلْكِهِ الْطُفْ يا لَطِيفُ بِعَرْجَتِي

الخبير جلَّ جلاله

وَيَا مَن هو اللهُ الخَبيرُ لِذاتِهِ ... بِخِبْرَتِكَ اللهُمَّ كُلُّ حَقيقَةِ
عَلِمْتَ إلهي الكُنْهَ مِنْ كُلِّ مُمْكِنٍ ... كما شِئْتَهُ كَوناً مِنَ العَدَمِيَّةِ
ومهما يَكُنْ مِنْ خِبْرَةٍ فلِعِلَّةٍ ... تَجَدَّدُ غَيرَ الخِبْرَةِ الأزَلِيَّةِ
فما ساكِنٌ في الخَلْقِ أو مُتَحَرِّكٌ ... ولم يَكُ في الآزالِ مِنكَ بِخِبْرَةِ
وَمالي وَعَرْضُ الحالِ والحالُ فِطْرَةٌ ... وأنتَ خَبيرٌ يا إلهي بِفِطْرَتي
نعَمْ عَرْضُ حالي نُجْعَةٌ مِنْ مَقاصِدي ... إليكَ وَفرضٌ مِن فُرُوضِ العُبودَةِ
دَعَوتُ مَعَ البَلوى إلى فُسْحَةِ الدُّعا ... فألجَأْتَني في كَرْبِ ضِيقي لِفُسْحَتي
فما ذرَّةٌ يا رَبِّ تخفى عَليكَ مِنْ ... بَلائي وَتَضْرَاعِي وَحلِّي وَنُجْعَتي
تُراقِبُ ضُرِّي يا خَبيرُ برَحْمَةٍ ... ولُطفٍ ولم أخْرُجْ مِنَ العَدَمِيَّةِ
وتَعْلَمُ ما آتي وما أنا تارِكٌ ... وما كانَ في عِلْمِي وما فَاتَ خِبْرَتي
إلهيَ قَدْ أدْرَكْتَ كُنْهَ عَوالِمي ... فكُنْ لي بما يُرْضِيكَ مِنْ تَبَعِيَّتي

الحليم جلَّ جلاله

تأنَّيتَ بي في مَوضِعِ العَدلِ حَالِماً ... وأعْظَمُ جُرْمٍ يا حَليمُ جَريمَتي
ومَنْ لا يخافُ الفَوْتَ لا يَسْتَفِزُّهُ ... إلى سُرْعَةِ الأخْذِ انْتِهاكُ الجَريرَةِ
تأنَّيتَ إمْهَالاً بعَاصِيكَ رُبَّما ... يَتوبُ وإلّا فهو ليسَ بمُفلِتِ
وأينَ فَرَارُ العَبدِ مِن مُلْكِ رَبِّهِ ... وما عَزَبَتْ عَنهُ حَقيقَةُ ذرَّةِ
وما غَرَّ مَن يَعْصِي الإلَهَ كَحِلْمِهِ ... كأنَّ الخَطايا جَلَّ عَنهُ بِخُفْيَةِ
إلهيَ لو آخذْتَ في كُلِّ زَلَّةٍ ... لما تُرِكَتْ نَمْلٌ عَلى الأرضِ دَبَّتِ
ولكنْ لآجالٍ تُؤخِّرُ أخْذَها ... لعَلَّ ارْعِواءً مَّا يُساقُ بنَفْحَةِ
إلامَ انْتِهَاكِي والحَليمُ مُسَتِّرٌ ... ولا بُدَّ يَوماً مِنْ ظُهُورِ فَضِيحَتي
تَقَاذَفُنِي الآثامُ مِن رَأسِ شاهِقٍ ... ونفسيَ في لَهْوٍ وزَهْوٍ وغَفْلَةِ

إلـهـيَ نـفـسـي بـالـذنـوبِ رَهِـيـنَـةٌ ... فصَفحاً عَظيمَ الحِلمِ أَطْلِقْ رَهِينَتي
ولـو أنَّ وَزْنَ الـكَـوْنِ ذَنْـبـيَ لـم يـكـن ... إلـى جَـنـبِ حِـلمِ اللهِ فـي وَزْنِ ذرَّةِ

العظيم جلَّ جلاله

عَـظُـمـتَ عَـظـيـمَ الـذاتِ لا لِبـدَايَـةٍ ... ولا أجَـلٍ يَـقـضِـي عـلى الـعِـظَـمِـيَّـةِ
عَظُمتَ عَظيمَ الشأنِ والجَدِّ والثنا ... فـلا مُـنـتَـهَـى كُـنْـهٍ ولا دَرْكَ نُـهْـيَـةِ
عَظُمتَ عَن المِقدارِ والحَدِّ والفَنا ... وتَـغـظِـيـمِ أغْـيـارٍ وإدْراكِ رُؤيَـةِ
عَظُمتَ عَظيمَ القهرِ في عَظَمُوتِهِ ... تُـسَـبِّـحُـكَ الأشـيـاءُ تـسـبـيحَ فِـطْـرَةِ
عَظُمتَ عَنِ التعظيمِ مِنْ ذاتِ كَائِنٍ ... فما قَدْرُ تعظيمي وما وُسْعُ لَهْجَتي
وُجُوبُ وُجُودِ الحَقِّ للذاتِ مُوجِبٌ ... لكَ الـعِـظَـمُ الـبـاقي عـلى الـسَّـرْمَـدِيـةِ
وأمـرُكَ بـالـتـعـظـيـمِ لـلـعَـبـدِ مِـنَّـةٌ ... لـيُـكْـسِـبَـهُ الـتـعـظـيـمُ أعْـظَـمَ رُتْـبَـةِ
ولـولا امْـتِـثـالِي الأمْـرَ نَـزَّهْـتُ قَـدْرَ مـا ... لـحَـقِّـكَ مِـنْ عُـظـمٍ عَـنِ الـنَّـاطِـقِـيَّـةِ[1]
وكـانَ كَـفـى بـي يـا عَـظـيـمُ مُـعَـظَّـمـاً ... إذا تَـاهَ عَـقـلـي فـي مَـجَـاهِـلِ حَـيْـرَتـي
نـعَـمْ تـاهَ عَـقـلـي فـهـو فـي الـتِّـيـهِ دَأبُـهُ ... وأوْقَـفَـهُ الإعْـظـامُ دُونَ الـحَـقـيـقَـةِ
فـلا غَـيْـبَ مَـشـهُـودٌ ولا كُـنْـهَ مُـدْرَكٌ ... ولا عُـظْـمَ مَـحْـدُودٍ ولا وَهْـمَ فِـكْـرَةِ

الغفور جلَّ جلاله

إلـهـي إلـهـي يـا غَـفـورُ اسْـتِـغـاثَـةٌ ... بـغُـفـرانِـكَ الـلهُـمَّ مِـن كَـرْبِ حَـوْبَـتي
إلـهـي اكْـتـسَـبْـتُ الإثـمَ جَـهـلًا وَغِـرَّةً ... بـعـافـيـةٍ مِـن فَـضـلِ رَبِّـي ونِـعْـمَـةِ
فـكـم نِـعـمَـةٍ أسْـبَـغـتـهـا قـلَّ عِـنـدَهـا ... لـحَـقِّـكَ شُـكْـري قـابَـلَـتـهـا خَـطِـيـئـتي

---

(١) أي: النُّطق بتعظيمك.

تُبادِرُني مِن كُلِّ نُعْمَى بخَيْرِها ... فأقوى بهذا الخَيرِ في شَرِّ خَصْلَةِ
فيا وَيْلَتا مِمّا جَنيتُ ولَيْتَهُ ... جَنَاءٌ زَكَا مِنّي ونَفْسٌ تَزَكَّتِ
تَذرَّعْتُ بالنُّعْمَى إلى دَرْكِ كُفرِها ... وأشْنِعْ بها مِن خِسَّةٍ ودَنِيَّةِ
عُبَيدُكَ باسْتِغفارِهِ واعْتِرافِهِ ... عَقيدَتُهُ في النفسِ نِيطَتْ بتُهْمَةِ
وأمْتَنُ أسْبابِ النَّجا أصْدَقُ الرَّجا ... وإلّا فدُونَ الدَّرْكِ جِدُّ المَجَدَّةِ[1]
ومَنْ أرْسَلَ الآمالَ نحو مُبِرِّها ... تَعالى حَباها وَاجِباتِ المَبَرَّةِ
ولم تَرْبَحِ الغُفرانَ نَفسٌ بِكَسْبِها ... ولكنَّهُ التوفيقُ فاضَ بِمِنَّةِ
بما يَقتضِي الجُودُ الإلهِيُّ نَجِّني ... فما الشأنُ إلّا مَحْضُ جُودِ الأُلوهَةِ

الشكور جلَّ جلاله

إلهي شَكُورَ النَّزْرِ مِن كَسْبِ طَائِعِ ... بِخَيْرِ جَزَاءٍ لا يَبِيدُ بِمُدَّةِ
ومهما يَكُنْ مِن صالحاتٍ شَكَرْتَها ... فشُكرُكَ عَنها لي مُجرَّدُ نِعْمَةِ
وما ليَ مِمَّا يُوجِبُ الشكرَ مِنكَ لي ... ولو جِئتُ بالطَّاعَاتِ مِثقالُ ذرَّةِ
وما الشُّكْرُ إلّا ما يُقابِلُ مِنَّةً ... فأينَ، تَعالى اللهُ، فضْلِي وَمِنَّتِي
ولو عِشْتُ أحقاباً وجئتُ بمِثلِها ... من الخَيرِ والطاعاتِ عَدَّ الخَليقةِ
وجئتُ بجُهْدِ العالَمِينَ تَعَبُّداً ... بتَمْزِيقِ أوْصَالِي وإفْنَاءِ مُهْجَتي
وقصَّرَ دُوني مَن خَلقتَ وكُلُّ مَنْ ... سَتخْلُقُ رَبِّي في مَقاماتِ زُلْفَتِي
لما كَانَ مِنْ قَدْرِي بأنَّكَ شَاكِرِي ... على نِعْمَةٍ خَوَّلْتَها ضَعْفَ قُوتي
ولم تقتصِرْ دُونَ الثناءِ على العَطا ... لكَ الحَمدُ في إحسانِ شُكرِ البَرِيَّةِ
لكَ الحَمدُ حَقُّ الشُّكرِ للحَقِّ وَحْدَهُ ... وليسَ بمُسْطَاعٍ لنا في الحَقيقةِ
فهَبْ لي كَمَالَ الشكرِ في كُلِّ نِعْمَةٍ ... وإنْ كانَ شُكْرِي لا يَفِيءُ بنِعْمَةِ

---

(١) المَجَدَّة: الإجتهاد.

العليّ جلَّ جلاله

بسُلطانِكَ الأعلى بما لكَ مِنْ عُلا ... ومَجْدٍ وشأنٍ يا عَليُّ ورِفْعَةِ
بسُلطانكَ الأعلى على كُلِّ شامِخٍ ... بحُجَّتكَ العُليا على كُلِّ حُجَّةِ
بسُلطانكَ الأعلى على كُلِّ غَالِبٍ ... وما قَدْرُ غُلْبٍ يا عَليُّ لِفطْرَةِ
بسُلطانكَ الأعلى بقدْرِ جَلالِهِ ... وأخْذَتِهِ بالعَدْلِ أعْظَمَ أخْذةِ
بسُلطانكَ الأعلى الجَليلِ عُلُوُّهُ ... عَنِ الكَمِّ والتَّكْييفِ والمَتَوِيَّةِ[1]
بسُلطانكَ الأعلى المَنيعِ لِذاتِهِ ... بتصْريفِهِ الآياتِ تصْريفَ قُدرَةِ
بسُلطانكَ الأعلى المَجيدِ الذي عَنَتْ ... لِعِزَّتِهِ الأكْوانُ إذْعَانَ هَيْبَةِ
بسُلطانكَ الأعلى الغنِيِّ بنفسِهِ ... لتدبيرِ أمْرِ المُلكِ عَنْ ذي مَعُونةِ
بسُلطانِكَ الأعلى بنافِذِ حُكْمِهِ ... بكُنْهِ التَّعَالي بالصِّفاتِ الجَليلَةِ
أقِمْ لي حُظوظي في العُلى وأجِلّني ... بمِقعَدِ صِدقٍ من مَعالي الحقيقةِ
وَهَبْ لي عُلواً لا يُدَاحِضُهُ عُلًا ... على كُلِّ ضِدِّ الدِّينِ والدُّنيَوِيَّةِ

الكبير جلَّ جلاله

ويا مَنْ لهُ الإكْبارُ في كِبريائِهِ ... لِغَيرِ انْتِهاءٍ يا كَبيرُ لِمُدَّةِ
ومن تَخسُرُ الألبابُ عَن وَصْفِ كِبْرِهِ ... فما ثَمَّ إدْرَاكٌ لكُنْهِ الحَقيقةِ
ومَن كِبْرُهُ كِبْرُ اقتدارِ ألوهَةٍ ... وشَأنٍ وتدْبيرٍ ومُلكٍ وعِزَّةِ
ومَن كِبْرُهُ حَيثُ الكَمالُ لِذاتِهِ ... فما هو مَنعُوتٌ على سَبَبيَّةِ
ومَن كِبْرُهُ لا كِبْرَ أجْرَامِ خَلْقِهِ ... تكَبَّرَ عَنْ شِبْهٍ بأيَّةِ نِسْبَةِ
فلا حَظَّ للمَخلوقِ مِن كِبريائِهِ ... ولا حَظَّ إلّا العَجْزُ للوَاصِفِيَّةِ
ولا ثَمَّ أبْعادٌ ولا ثَمَّ جَوْهَرٌ ... فيَلْزَمُ ذاتَ الحَقِّ نَقْصُ السَّوِيَّةِ

---

(١) الكَم: مقدار الشيء || التكييف: حالُ الشيء وصِفته || المَتَويّة: ما يُسأل عنه بـ متى، أي: الزمان.

تَـرَدَّى رِدَاءَ الـكِـبـرِيـاءِ وَحَـقَّـهُ ... تَـرَدَّى فـلا نِـدٌّ ولا جُـزْءُ شِـرْكَـةِ
إلهي مَقامِي العَجْزُ والفقرُ والفَنا ... وكِبرِي خُضُوعِي يا كَبيرُ وذِلَّتِي
فما أجْدَرَ الدَّعْوى لِمَنْ تِلكَ حَالُهُ ... بِرَدٍّ وَدَحْضِ المُدَّعِي دُونَ حُجَّةِ
فكبِّرْ حُظوظي مِنكَ في كُلِّ مَطْلَبٍ ... وفي كُلِّ ما يُرْضِيكَ عَزْمِي وَهِمَّتِي

الحفيظ جلَّ جلاله

إلهي بِقَيُّومِيَّةِ الحِفظِ باسْمِكَ الـ ... ـحَفيظِ عَلى ما تَحْتَ قَهْرِ الرُّبُوبَةِ
حَفِظْتَ نِظامَ المُبْدَعَاتِ فلم يَضِعْ ... مِنَ الحِفظ والإحْصَاءِ مِثقالُ ذرَّةِ
ولولا تجَلِّي الحِفظِ زَالَ وُجُودُها ... وصَارَتْ إلى حَالاتِها العَدَمِيَّةِ
ولولا دَوامُ الحِفظ لم تَأتلِفْ على ... نِظَامَاتِها الأضْدادُ أحْكَمَ أُلْفَةِ
ولولا كَمَالُ الحِفظ زَاغَتْ قُلُوبُنا ... مَعَاذَكَ مِنْ بَعْدِ الهُدَى للطَّبيعَةِ[1]
ولولا جَلالُ الحِفظ والصَّوْنِ لم نَجِدْ ... وِقَايَتَنا مِنْ هَلْكَةٍ غِبَّ هَلْكَةِ[2]
ولولا جَمَالُ الحِفظ لم يَنعَمِ امْرُؤٌ ... ولا صِينَ مِنْ شَكْواهُ في حَالِ مِحْنةِ
هو اللهُ خَيرٌ حَافِظاً لِعِبادِهِ ... فما مِنهُمُ مِنْ ناشِىءٍ بمَضِيعَةِ
بَقِينا بحِفظِ الحَقِّ في الحَقِّ لم نَزِغْ ... يُرَاقِبنا بالحِفظ في كُلِّ شُبْهَةِ
إلهيَ لا يَغْرُوكَ سَهْوٌ وغَفلَةٌ ... بحِفظِكَ ذرَّاتُ الوُجُودِ اسْتقرَّتِ
تَبَارَكْتَ شأنِي لا يَؤُودُكَ حِفظُهُ ... بِعَيْنِكَ مَحْذُورِي وَكَيْفَ تَشَتُّتِي

المُقيت جلَّ جلاله

دَهَتْنِي الدَّوَاهِي يا مُقِيتُ وَحَالَتي ... لَدَيكَ إلهي بَينَ عِلْمٍ وَقُدْرَةِ

---

(١) تلميح: يقصد أنَّ القلوب بعد هُداها ـ لولا كمال الحفظ ـ لزاغت انجرافاً وراء ما يدعو إليه عُبَّادُ الطبيعة.

(٢) غِبَّ هَلْكَة: بَعدَ هَلْكَة.

ومالِيَ حَولٌ يا مُقيتُ لِدَفعِها ... ولا دَافِعٌ دُونِي يَقومُ بِنُصْرَتِي
رَمَتْنِي بها قَوْسُ القَضَاءِ فأثْبَتتْ ... وَرَمْيَتُكَ اللهُمَّ أثْبَتُ رَمْيَةِ
حَنانَيْكَ تَقضِي ما تَشاءُ فحُلَّها ... بِقدْرَتِكَ اللهُمَّ مِنْ حَيثُ حَلَّتِ
فَلِي مَخْرَجٌ مِنْها بِلُطْفِكَ سَيِّدي ... وَمُنْقَلَبٌ مِنْها إلى وُسْعِ رَحْمَةِ
وما غَلَبَ الأقْدَارَ مُعْظَمُ رُزْئِها ... وإنْ جَزَعَتْ نفسي لَهُ وَتَضَنَّتِ
مُقدَّرَةٌ سِيقَتْ بِقُدْرَةِ رَبِّها ... وأمْرُكَ رَبِّي فوقَ تِلكَ المَسُوقَةِ
وكم صَعُبتْ ضَرَّاءُ غَصَّتْ بها اللُّهَا ... فَحَلَّ عَليْهَا لُطْفُهُ فَتَجَلَّتِ
إلهِيَ لي رُوحٌ وَجِسْمٌ كِلاهُما ... لَهُ مِنكَ قُوتٌ يا مُقيتَ البَرِيَّةِ
فيسِّرْ لرُوحِي قُوتَهَا خَيرَ حِكْمَةٍ ... ويَسِّرْ لِجسْمِي قُوتَهُ خَيرَ عِيشَةِ
فما ذرَّةٌ إلّا وأنتَ مُقِيتُها ... كِفايَتُها كُلٌّ لِوَجْهٍ ونِسْبَةِ

الحسيب جلَّ جلاله

وَمَنْ يَا حَسِيبَ العَالَمِينَ لِفاقَتِي ... وأنتَ الذي أحْسَبْتَ كُلَّ الخَلِيقةِ
وَحَسْبي اكْتفاءً يا حَسيبُ وَغُنْيةً ... بِحِسْبَتِكَ اللهُمَّ أكْرِمْ حِسْبَةِ
فأيَّةُ نَفسٍ رَبِّ لم تَحْتسِبْ لها ... بِبِرِّكَ والإحْسَانِ في كُلِّ لَحْظةِ
وأيَّةُ نَفسٍ يا حَسِيبُ أضَعْتَها ... فَنَدَّتْ إلى كَافٍ سِوَاكَ وَشَذَّتِ
تَعَالَيتَ لا مَوجُودَ غَيرَكَ مُوجِدٌ ... كِفايَاتِ مَنْ أوْجَدْتَهُ في الحَقيقةِ
وما الجِدُّ في التحصِيلِ مُجْدٍ كُفائَهُ ... إذا لم تُدبِّرْ أنتَ عَيْنَ الكِفايَةِ
فمَنْ لي وَعَجْزي شَامِلٌ وضَرُورَتي ... بِعَينِكَ مَنْ يَكْفي لِدَفْعِ ضَرُورَتِي
وَهَيهَاتَ كَلّا ما لِذا العَبْدِ حِسْبَةٌ ... سِوَاكَ، ولا مَنْ يُرْتَجي لِمُهِمَّةِ
إلهِيَ أشْكُو البَثَّ والحُزنَ كُلَّهُ ... إليكَ فكُنْ لي رَاحِماً لِشَكِيَّتِي
ولا عَهدَ لي بالرَّدِّ حَيثُ تَوَجَّهَتْ ... إليكَ ظُنوني يا حَسِيبُ بِخَيْبَةِ
ولا عَهدَ لي أنْ يُكْتفَى عَنكَ سَيِّدي ... بشيءٍ فأحْسِبْ، يا حَسِيبُ، بِغُنْيَتِي

الجليل جلَّ جلاله

قَـصَـدْتُ جَـلالَ اللهِ جَـلَّ جَـلالُهُ ... وقَصْدُ الجَليلِ الحَقِّ مَجْدِي وعِزَّتي
شَـهِـدْتُ جَـلالَ اللهِ حَـيـثُ صِـفـاتُـهُ ... فـأبْـهَـتَـنِـي مُـسْـتـغْـرِقـاً لِبَـصِـيـرَتـي
ولـمـا تَـجَـلَّتْ لـي نُـعُـوتُ جَـلالِهِ ... تَـصَـاعَـدْتُ مِن نَـفسِي إلى العَـدَمِيَّةِ
تَـجَـلَّتْ عـلى نَـعْـتِـي نُـعُـوتُ جَـلالِهِ ... كـمـا أنَّـهُ مِـنـهـا نُـعُـوتِـي تَـجَـلَّتِ
تَـعَـرَّضَـتِ الأَفـيَـاءُ فـانْـتَـسَـخَـتْ بِـهِ ... ولـم يَـبْـقَ إلّا نُـورُ قُـدْسٍ وَوَحْـدَةِ[1]
جَـلالٌ قَـدِيـمٌ لا يُـنـاسَـبُ رُتْـبَـةً ... ولـيـسَـتْ تُـضَـاهِـيـهِ جَـلالَةُ رُتْـبَـةِ
جـلال تَـذِلُّ الـكَـائِـنـاتُ لِعِـزِّهِ ... وأعْـظَـمُ عِـزٍّ تَـحْـتَـهُ مَـحْـضُ ذِلَّةِ
إلـهـي جَـلِـيـلَ الـشَّـأنِ أيْـنَ مَـدَارِجِـي ... وَذِكْـرِي وَفِكْـرِي في الصِّفاتِ الجَلِيلَةِ
نِـهَـايَـةُ مـا آتـي بِـهِ حَـمْـدُ حَـائِرٍ ... ولـهْـجَـةُ مُـضْـطَـرٍّ وإجْـلالُ دَهْـشَـةِ
إلـهـيَ ألْـبِـسْـنِـي جَـلالًا يَـلِـيـقُ بـي ... جَـلالًا يُـرقِّـيـنِـي إلـى كُـلِّ حَـضْـرَةِ
بِـهِ أرْتَـقِـي يـا ذا الـجَـلالِ وأنْـتَـهِـي ... إلى مَـوْقِـفٍ أنْـهَـى[2] رِجَـالَ الـمَـحَـبَّـةِ

الكريم جلَّ جلاله

إلـى كَـرَمِ اللهِ الـكَـرِيـمِ وَجُـودِهِ ... أُوَجِّـهُ آمـالـي وأُوفِـدُ رَغْـبَـتـي
ببابِ الكَريمِ الأكْرَمِ المُكْرِمِ الذي ... لـهُ مُـطْـلَـقُ الإكْـرَامِ أنْـزَلْـتُ بُـغْـيَـتـي
بِبَابِ كَـرِيـمِ الـذاتِ قَـذْراً ورِفْـعَـةً ... كَـرِيـمِ الـصِّـفـاتِ الـطَّـاهِـراتِ الـزَّكِـيَّـةِ
بِبابِ كَـرِيـمِ الـعَـفـوِ عَـنْ أيِّ مُـذْنِـبٍ ... بـبـابِ كَـرِيـمِ الـجُـودِ قَـبـلَ الـوَسِـيـلَةِ

---

(١) **ملحوظة**: بيتٌ لائِق على الصَّعيد الشِّعري، لا سيّما في إيماءته إلى يوم العَرْض/ القيامة حيث تمّحي الظِّلالُ [يومَ لا ظِلَّ إلّا ظِلّه]، فالشاعِرُ لا يَكتفي بمشهد امّحائها بلْ يُصَعِّدُهُ إلى مَشهَدٍ تُعرَضُ فيه الظِّلالُ/ الأفياءُ أمام حضرة الخالِقِ ليكون مَصيرها التلاشي بعد انتساخها به، ولم يَبقَ مِن ضَوءٍ خَلا نُورُهُ القُدسيّ.

(٢) أنْهَى: وَصَلَ إليه.

بِبابِ الكَريمِ المُطْلَقِ النفعِ والجِدَا[1] بِبابِ الكَريمِ المُبْتَدِي بالعَطِيَّةِ
بِبابِ الكَريمِ المُجْزِلِ[2] الفَيْضَ والعَطَا بِدُونِ سُؤالِ العَبدِ مِنْ غَيرِ مِنَّةِ
بِبابِ كَريمٍ لم يُقَنِّطْ عَصِيَّهُ بِبابِ كَريمٍ لا يُبَالي بِنِعْمَةِ
بِبابِ كَريمٍ لم يُضِعْ مُتَوسِّلًا ولا لاجِئاً سُبْحَانَهُ بِمَضِيعَةِ
بِبابِ كَريمِ الفِعلِ مِن غَيرِ حَاجَةٍ بِبابِ كَريمٍ جَابِرٍ كُلَّ خُلَّةِ
بِبابِكَ يا مَنْ بَابُهُ وِجْهَةُ الرَّجَا وإنْ قَبُحَتْ بيني وبَينَكَ سِيرَتي
فأكْرِمْ مَقامِي بالذي أنْتَ أهْلُهُ وما أنْتَ أهْلٌ يا كَريمُ لخَيْبَتي

الرقيب جلَّ جلاله

إلهي رَقيبَ السِّرِّ واللحَظاتِ لا تَزالُ بلا تَخْديدِ وَقْتٍ وَبُقْعَةِ
إلهي رَقيبَ الفِعلِ مِنِّيَ عَالِمَ الـ ـضَّمِيرِ بَصِيرَ الحَالِ سَامِعَ دَعْوَتي
إلهيَ مَنْ سِرِّي قَريبٌ وحَيْثُما اضْطِرَاري مُجيبٌ شَاهِدٌ لِكَنِينَتِي[3]
إلهي عَلِمتَ الشيءَ قَبلَ حُدُوثِهِ وَشَاهَدْتَهُ مِنْ قَبلِ كَوْنِ الحَقيقةِ
إلهيَ إنَّ الأيْنَ[4] مَوْضِعُ مُخْتَفٍ ولا أيْنَ يَطْوِي عَنكَ مِثقالَ ذرَّةِ
إلهيَ ظَرْفُ الأيْنِ[5] أنْتَ وَرَاءَهُ مُحِيطٌ وظَرْفُ الكَرَّةِ الزَّمَنِيَّةِ
رَقيبٌ على الدُّنيا وَما قَبلَ قَبلِها رَقيبٌ على الأخْرَى إلى الأبَدِيَّةِ
رَقيبٌ حَفيظٌ دَائِمُ الرَّعْيِ عَالِمٌ وَقَائِعَ تَفصِيلي إلهي وَجُمْلَتي
إلهي أقِمْنِي يا رَقيبُ مُراقِباً بِفِعْلِي وَتَرْكِي قُدْرَةَ الشَّاهِدِيَّةِ

---

(١) الجِدَا: العطاء.

(٢) المُجْزِل: المُعطي دون حِساب.

(٣) كَنِيتي: ما أكنُّهُ وأخفيه في نفسي.

(٤) الأين: المكان.

(٥) أيْنَ: ظَرْفُ مكان || أيَّانَ: ظَرف للزمن المستقبل، وهو بجمعهما إفصاحاً وتورية في هذا البيت: إحاطةُ الخالِق بالمكان والزَّمان وظَرْفَيهِما، وبالتالي تعاليهِ على لاحقٍ وسابق حُدُوثِهِما.

فلا أقتضي فِعْلاً وَتَرْكاً بِغَيرِ أنْ ... أحَقِّقَ أنسي تَسْخَتَ عِلْمٍ وَقُدْرَةِ
فَكُنْ لي حَفِيظاً يا رَقيبُ وعَاصِماً ... لنفسيَ مِنْ آفَاتِها البَشَرِيَّةِ

المُجيب جلَّ جلاله

عَلِمْتَ اضْطِراري سَيِّدي وَتَضَرُّعِي ... وَبَسْطَ لِساني يا مُجيبُ بِدَعْوَتي
وما جَزَعُ الإنسَانِ إلّا جِبِلَّةٌ ... ومِنْ أصْعَبِ الأهْوَاءِ مَيلُ الجِبِلَّة
وإلّا فَكَشْفُ السُوءِ وَعْدٌ مُحَقَّقٌ ... وَعَدْتَ بِهِ يا رَبِّ صِدْقَ الضَّرُورَةِ
إلهي بما ألْهَمْتَنِي وَفَتَحْتَ لي ... بِفَضْلِكَ رَبِّي مِنْ دُعَائي وسُبْحَتي[1]
رَأيتُ وَرَاءَ الفتحِ فَتْحاً قَدَرْتَهُ ... وإن أوْهَمَتْنِي النفسُ في حَبْسِ دَعْوَتي
وتأخيرُ ما أخَّرْتَهُ مِنْ إجَابَةٍ ... سِيَاسَةُ تَدْبيرٍ لما فيهِ خِيرَتي
وَعَينُ دُعَائي سَيِّدي مِنكَ رَحْمَةٌ ... تخوِّلُنِيهَا بَلْ وَعَينُ ضَرُورَتي
وَكُلُّ بَلاءٍ غَيرِ عَدْلِكَ نِعْمَةٌ ... وإنْ سَمِتْ مِنهُ نُفوسُ البَرِيَّةِ
إلهيَ لم أيْأسْ مِنَ الرَّوحِ وَالوَفا ... وإنْ ضَاعَفَ التقدِيرُ قَدْرَ بَلِيَّتي
إلهي نِدَائي ما لَهُ عَنكَ حَاجِزٌ ... وقبلَ نِدَائي أنتَ تَسْتُرُ خَلَّتِي
إلهيَ أحْسِنْ بالإجَابَةِ إنْ أكُنْ ... أسَأتُ دُعَائي واجْتِهادِي وَرَغْبَتي

الواسع جلَّ جلاله

وَيَا وَاسِعَ الأشياءِ عِلْماً وَرَحْمَةً ... فلا شيءَ إلّا بَينَ عِلمٍ وَرَحْمَةِ
وَيَا وَاسِعَ البُرْهانِ لا لِنِهَايَةٍ ... وَيَا وَاسِعَ السُّلْطَانِ لِلأبَدِيَّةِ
وَيَا وَاسِعَ الإكْرَامِ والفضْلِ والغِنى ... غَنَاءً بلا حَدٍّ ولا أمَدِيَّةِ

---

(١) سُبْحَتي: تسبيحي.

وَيَا وَاسِعَ الأشياءِ حُكْماً وقُدْرَةً ... وسَلباً وإيجاباً بِغيرِ وَسِيطَةِ
وَيَا وَاسِعَ المُلْكِ العَلِيِّ جَلالُهُ ... جَلالُكَ ضَاقتْ تَحْتَهُ كُلُّ عِزَّةِ
تَعَالَيتَ ضَاقَ الكَوْنُ بي فَوَقَعْتُ في ... مَضَائِقَ مِن ذَنْبي ومِنْ ضَنْكِ عِيشتي
إلهي ضَاقتْ بي أُمورٌ عَلِمْتَها ... فضاق بِها صَدري وصَبْري وحِيلَتي
إلهي مالي مَخْرَجٌ مِن مَضِيقَةٍ ... إذا لم يُوَسِّعْ رَوْحُ رَبِّي مَضِيقَتِي
إلهي أوْسِعْنِي مِنَ الخَيرِ خَيرَهُ ... ونَفِّسْ إلهي كُلَّ ضِيقي وكُرْبَتي
وَهَبْ لي وُسْعاً في يَقيني ومَسْلَكِي ... إليكَ وعِرْفاني وعِزِّي وغُنْيَتي
فما ضَاقَ ما وَسَّعْتَ يَا وَاسِعَ العَطا ... ولا قَلَّ مَا كَثَّرْتَهُ مِنْ عَطِيَّةِ

الحكيم جلَّ جلاله

إلهي بما أظْهَرْتَ مِنْ سِرِّ اسْمِكَ الـ ... ـحَكِيمِ لِمَمْدُودِينَ مِنكَ بِحِكْمَةِ
وما اغْتَرَفوا مِنْ بَحْرِ أسْرَارِ اسْمِكَ الـ ... ـحَكِيمِ مِنَ العِرْفانِ والحِكَمِيَّةِ
بما أوْقَفَ الإبْدَاعُ مِن صُنعِ اسْمِكَ الـ ... ـحَكِيمِ عَلى غَايَاتِهِ الأبْدَعِيَّةِ
بِما أفْرَغَ الآثَارَ مِن قُوةٍ لَهُ ... على قَالَبِ الإتْقَانِ مِن أيِّ ذَرَّةِ
تقدَّستَ في الأفْعَالِ عَن فِعْلِ بَاطِلٍ ... لكَ المُلكُ ما للعَبدِ ذرَّةُ شِرْكَةِ
بِأنَّكَ لم يَعْرِفكَ غَيرُكَ سَيِّدي ... فأنتَ الحَكِيمُ الحَقُّ في العالِمِيَّةِ
بِأنَّكَ أثَّرتَ البَدائِعَ مُطْلَقاً ... على أحْسَنِ التدبيرِ للأصْلَحِيَّةِ
بِأنَّكَ قَدَّرْتَ الصَّنائِعَ فانْجَلَى ... عليها دَلِيلُ الحِكْمَةِ الأزلِيَّةِ
بِتَكْوِينِكَ الأشْيَاءَ رَبٌّ جَمِيلَةٌ ... شُمُوسُ جَمَالِ الحَقِّ فيها تَجَلَّتِ
بِقُدْسِكَ في التَّكْوِينِ عَنْ سَبَبِيَّةٍ ... بِقُدْسِكَ في التَّكْوِينِ عَنْ غَرَضِيَّةِ
بِحِكْمَتِكَ افْتَحْ لي مِنَ الخَيرِ حِكْمَةً ... فإنَّ قَرارَ الخَيرِ حَيثُ اسْتَقَرَّتِ

الودود جلَّ جلاله

إلـهـيَ بـالإنـعـامِ أنـتَ ابْـتَـدَأْتَـنـا ... وذاك، وَدُودَ الـخَـلْقِ، عَـيـنُ الـمَـوَدَّةِ
تَـحَـبَّـبْـتَ بـالـعِـرْفـانِ لـلأوْلِـيـاءِ فـي ... مَـقـامَـاتِـهِـم واخْـتَـرْتَـهُـم لـلـمَـحَـبَّـةِ
تَـحَـبَّـبْـتَ بـالـغُـفـرانِ لـلمُـذْنِـبـيـن يـا ... وَدُودُ ولـم تَـقْـطَـعْ رَجَـاءَ لـتَـوْبَـةِ
تَـحَـبَّـبْـتَ بـالأرْزاقِ لـلـخَـلْـقِ مُـطـلـقـاً ... فـكـانَ بِـوِفْـقِ الـعَـدْلِ قَـسْـمُ الـمَـعِـيـشَـةِ
وَأوْدَعْـتَ بَـعـضَ الـخَـلْـقِ وُدّاً لِـبَـعْـضِـهِـم ... وذلـكَ مِـن أَلْـطَـافِ وُدِّ الأُلـوهَـةِ
وَوُدُّكَ مِـمَّـنْ تَـجْـتَـبـيـهِ عَـوَارِفٌ ... تُـنَـزِّلُـهـا دَلَّـتْ لِـسَـبْـقِ الـمَـوَدَّةِ
ولـولا عِـنـايـاتُ الـمَـوَدَّةِ والـرِّضَـا ... لـمـا جَـاوَزُوا فـي سَـيْـرِهِـم قَـيْـدَ لَـمْـحَـةِ
وَمِـنْ وُدِّكَ الـعِـرْفـانُ نُـوراً قَـذَفْـتَـهُ ... ولـولاهُ لـم يَـعْـرِفْـكَ جِـنْـسُ الـخَـلـيـقـةِ
وَوُدُّكَ فـي الألـبـابِ حَـظٌّ مُـقَـسَّـمٌ ... تُـوَصِّـلُ مِـنْـهُ كُـلَّ لُـبٍّ لِـرُتْـبَـةِ
فـهَـبْ لـي بِـفَـيْـضِ الـوُدِّ فـيـكَ مَـحَـبَّـةً ... مُـجَـرَّدَةً مِـنْ أخـرُفِـي وصَـحِـيـفَـتِـي
وهَـبْ لـيَ وُداً مِـنْ عِـبـادِكَ ثـابـتـاً ... وسَـدِّدْ لأهـلِ اللهِ فِـيـكَ مَـحَـبَّـتـي

المجيد جلَّ جلاله

إلـهـي الـمَـجِـيـدُ الـحَـقُّ مَـجْـدُكَ قـائـمٌ ... لـذاتِـكَ والأفـعـالِ والـصِّـفَـتِـيَّـةِ
إلـهـيَ لـم تَـسْـتَـفْـتِـحِ الـعِـزَّ لا، ولا ... بِـفِـعْـلِـكَ يـا ذا الـمَـجْـدِ كَـوْنُ قَـبِـيـحَـةِ
إلـهـي حُـقـوقُ الـمَـجْـدِ لـلـحَـقِّ وَحْـدَهُ ... مِـنَ الـوَاجِـبِ الـذاتيِّ مَـجْـدُ الألـوهَـةِ
إلـهـيَ مَـجْـدُ اللهِ أسْـنَـى مَـكـارِمـاً ... وأعـلى كَـمـالًا لا يَـضِـيـقُ بِـذِلَّـتـي
إلـهـيَ مَـجْـدُ اللهِ فـي وُسْـعِ عِـزِّهِ ... مُـدَافَـعَـةُ الـبَـأْسَـاءِ حَـيـثُ أَلَمَّـتِ
إلـهـيَ مـا مِـقـدارُ تَـمْـجِـيـدِ عَـاجِـزٍ ... لـدى قَـدْرِ مَـجْـدِ اللهِ والـعِـظَـمِـيَّـةِ
إلـهـيَ لـولا حَـتْـمُـكَ الـذِّكْـرَ والـدُّعَـا ... لـقَـدَّسْـتُ مَـجْـدَ اللهِ عَـن ذِكْـرِ لَـفْـظَـتـي
عُـقُـودُ بَـلِـيَّـاتـي عَـلـيَّ تَـحَـكَّـمَـتْ ... بِـمَـجْـدِكَ خَـلِّـصْـنِـي وَحُـلَّ بَـلِـيَّـتـي
فـأنـتَ جَـمِـيـلُ الـبِـرِّ مُـتَـسِـعُ الـعَـطـا ... حَـمِـيـدٌ مَـجِـيـدٌ لا تَـضِـيـقُ بِـخَـلَّـتِـي

وَلَسْتُ، وَقَدْ أنْجَدْتُ مَجْدَكَ، خَائِباً ... وإنْ شَابَ إخْلاصِي هَوى بَشَرِيَّتي
وأشْبَهُ شيءٍ يا مَجيدُ بمَجْدِكَ الـ ... ـجَلِيلِ على الإيقانِ تَحْقيقُ مُنْيَتِي

الباعث جلَّ جلاله

وَيَا بَاعِثَ الأجْسَامِ عَوْداً كَبَدْئِها ... وَقَدْ فَنِيَتْ في عَالَمِ البَرْزَخِيَّةِ
وَيَا بَاعِثَ الرُّسْلِ الهُداةِ بِدِينِهِ ... لِيُنْفِذَ حُكْمَ العَدْلِ مِنْ بَعدِ حُجَّةِ
وَيَا بَاعِثَ الأفْعَالِ كَسْباً مِنَ الوَرَى ... بِخَلْقِ الدَّوَاعِي فيهِمُ والإرَادَةِ
وَيَا بَاعِثاً في الذنبِ بالتَّوبِ عَبْدَهُ ... وَبَاعِثَهُ في عَجْزِهِ بالمَعُونَةِ
وَيَا بَاعِثَ الأرْواحِ بالعِلمِ والهُدى ... بِبَعْثِكَ سَارَتْ في هُدَاها وَحَلَّتِ
بِبَعْثِكَ في سَاحَاتِ تَوْحِيدِكَ ارْتَقَتْ ... لكَ الهِمَمُ العُليا وَنَاقَتْ وَحَنَّتِ
بِبَعْثِكَ صَفوَ السِّرِّ مِنْ هَوَسِ الهَوَى ... ببعثك صَفوَ الفِعْلِ عَنْ دَنَسِيَّةِ
أقِمْنِي بِسِرِّ البَعْثِ في غَفلَةِ الهَوَى ... وَرَقِّ بِبَعْثِ السِّرِّ في اللهِ هِمَّتي
أجِبْ دَعْوتي يا فارِجَ الحُزنِ مُطلقاً ... وَيَا بَاعِثَ الخَيرَاتِ مِنْ كُلِّ وِجْهَةِ
أفِضْ ليَ فَيضَ الجُود مِن بَعْثَةِ الرِّضَا ... وقوِّمْ لِما فِيهِ مَرَاضِيكَ بَعْثَتِي
وَمَن لي بذَرْكِ الفوزِ حَيث يَفُوتُني ... مِنَ البَاعِثِ القَيُّومِ بَعْثُ العِنايَةِ

الشهيد جلَّ جلاله

إلهي شَهِيدَ الكائناتِ شَهَادَةً ... وَغَيباً على تَفصيلِ كُلٍّ وَجُمْلَةِ
إلهي شَهِيدٌ حَاضِرٌ غَيرُ غَائِبٍ ... تَرَى لا تُرَى ما غَابَ مِثقالَ ذرَّةِ
إلهي شَهيدٌ للأمورِ بأسْرِها ... كفى بكَ رَبِّي شَاهداً للقضيَّةِ
شَهيدٌ بوضْعِ البَيِّناتِ وَنَصْبِها ... على العَدلِ والتَّوحِيدِ والصِّفَتِيَّةِ
شَهيدٌ لكَ المَوجُودُ مَولاي شَاهِدٌ ... مُقِرٌّ بِشَأنِ الوَحْدَةِ الأزَلِيَّةِ

شَـهِـيـدٌ عـلى تـوحِـيـدِ سِـرِّي وعِـلْـمِـهِ ... بـأنـك لا تَـخْـفـى عَـلـيـكَ أنِـيَّـتِـي
شَـهِـيـدٌ بـتَـنـويـرِ الـقُـلوبِ شُـهُـودُهُ ... وَإيْـنَـاسِـهِ الأسْـرار بـالـعَـارِفِـيَّـةِ
شَـهِـيـدٌ عـلى سِـرِّي ونَـجْـوَايَ مُـطلقاً ... بـدُنـيـا وأخْـرَى لَسْـتُ عَـنـكَ بِـخُـفْـيَـةِ
أعَـزُّ جَـلِـيـسٍ مـا بِـأُنْـسِـكَ وَحْـشَـةٌ ... شَـهِـيـدِي وبُـعْـدِي عَـنكَ أعْـظَـمُ وَحْـشَـةِ
بِسِرِّ الشَّـهِـيـدِ ارْزُقْـنِـيَ الـصَّـبـرَ سَـيِّـدي ... لـحُـكْـمِـكَ واجْـعَـلني شَـهِـيـدَ عُـبُـودَتي
لأعْـبُـدَكَ الـلـهُـمَّ حَـقـاً كـأنَّـنِـي ... أرَاكَ وَكُـلُّ الـكَـوْنِ مِـنْ خَـلْـفِ رُؤيَـتِـي

الحق جلَّ جلاله

تَـعَـالَـيـتَ يـا حَـقَّ الـثُّـبُـوتِ لِذَاتِـهِ ... تَـحَـقُّـقَ حَـقٍّ لا بِـإحْـقَـاقِ مُـثْـبِـتِ
تَـعَـالَـيـتَ يـا حَـقَّ الـوُجُـودِ بـلا انْـتِـفـا ... ولا أمَـدٍ يَـقْـضِـي عـلى الـثَّـابِـتِـيَّـةِ
تَـمـجَّـدتَ يـا حَـقَّ الألُوهَـةِ وَاجِـبٌ ... لِوَجْـهِـكَ مِـنـا وَاجِـبـاتُ الـعُـبـودَةِ
تَـعَـظَّـمْـتَ يـا حَـقَّ الـرُّبُـوبـيـةِ الـتـي ... تَـجَـلَّتْ بـقـهْـرٍ واقْـتِـدارٍ ورَحْـمَـةِ
تَـعَـزَّزْتَ يـا حَـقَّ الـجَـلالِ بـمـا لَهُ ... مِـنَ الـكِـبْـرِيـا والـمَـجْـدِ والـسَّـطَـوِيَّـةِ
تَـكَـبَّـرْتَ يـا حَـقَّ الـكَـمَـالِ بـمـا لَهُ ... مِـنَ الـعِـزِّ والـتـسْـبِـيـحِ والـعِـظَـمِـيَّـةِ
تَـمَـجَّـدْتَ يـا حَـقَّ الـجَـمَـالِ بـمـا لَهُ ... من الرَّحَـمُـوتِ الـمَـحْـضِ والـعَـاطِـفِـيَّـةِ
تَجَلَّيتَ لي يا حَقُّ في الخَلْقِ ظَاهِراً ... فـمـا ثَـبَـتَـتْ عِـنـدَ الـتَّـجَـلِّي حَـقـيـقـتِـي
وَمَـحَّـضْـتَـنِـي[1] حَـقـاً بـحَـيـثُ اخْـتَـرَعْـتَـنِـي ... وَعَـيـنُ مَـجَـازٍ فـي الـوُجُـودِ أنِـيَّـتِـي
فيا حَقُّ بالحَقِّ اجْعَلِ الحَقَّ مَوْقِفِي[2] ... وفـي الـحَـقِّ أطْـوارِي وبـالـحَـقِّ قُـوَّتِـي
وأيِّـدْ بِـنُـورِ الـحَـقِّ يـا حَـقُّ سَـطْـوَتِـي ... ومَـجِّـدْ لِنَـفْـيِ الـبُـطْـلِ سُـلطَـانَ حُـجَّـتِـي

---

(١) مَحَّضْتَنِي حَقّاً: جَعلتهُ لي خالِصاً.

(٢) كثيراً ما يتلاعب أبو مُسْلِم بالكلمات ومعانيها المتعددة لإثراءِ عِبارته، كما هي مُفردة (حَقّ) في هذا الشطر: فيا حَقُّ بالحَقِّ اجعَلِ الحَقَّ مَوْقِفِي ـ حيثُ تعني الأولى: الخالِق، وهو مُنادى ـ والثانية: تعني الحَقّ، نقيض الباطِل ـ والثالِثة: حَمّالةُ مَعْنَيَين، حيث يندمِجُ فيها معنى الأولى والثانية.

الوكيل جلَّ جلاله

إلهي خَلَقتَ الخَلقَ والعَجْزُ قَيْدُهُم ... وَكُنتَ وَكِيلًا كَافياً لِلخَلِيقَةِ
تَعَالَيتَ مَوْكُولًا إليكَ مُفَوَّضاً ... مَصَالِحُهُم في الدِّين والدُّنْيويَّةِ
كَفيتَ وآوَيتَ العِبادَ وصُنْتَهُم ... وَكِيلًا رَحيماً حَافِظَ الأصْلَحِيَّةِ
وَقَيتَ ودَبَّرْتَ الأمُورَ كما تَشا ... وَكِيلًا حَفِيّاً وَاقِياً لِلبَلِيَّةِ
وَقُمْتَ بِتَصْرِيفِ العَوالِمِ حِسْبَةً ... فَكُلٌّ لَهُ حَظٌّ مِنَ النَّظَرِيَّةِ
كَفيتَ ابْتِدَاءً ثم وَالَيتَ رَاعِياً ... وَتَخْتِمُ وَهْباً مِنْ جَمِيلِ الوِلايَةِ
مَنَحْتَ جَزيلًا ثم أثْنَيتَ سَيِّدي ... جَميلًا، وهَذا غَايَةُ الكَرَمِيَّةِ
وَنِعْمَ الوَكِيلُ اللهُ لِلعَبْدِ ما انْثَنَى ... تَوَكُّلُهُ عَنهُ بِخُسْرٍ وَخَيْبَةِ
وَنِعْمَ الوَكِيلُ اللهُ لِلعَبدِ إنَّما ... تَوَكُّلُنا قَدْ ضَلَّ دُونَ الحَقيقَةِ
وَكِيلِيَ قَدْ فَوَّضْتُ أمْرِيَ مُطلقاً ... إليكَ ولم أعْلَمْ سِواكَ لِحُطَّتِي
وَكِيلِيَ أشْهِدْنِي مَقامَ تَوَكُّلِي ... عَليكَ وَحَقِّقْنِي بِهِ وَبِتَوْبَتِي

القويّ جلَّ جلاله

قَوِيٌّ على نَصْرِي وتَمْجيدِ هَيْبَتي ... وَتَأييدِ أنْصَارِي وإعْلاءِ كِلْمَتي
قَوِيٌّ على تَدْمِيرِ خَصْمِي وَقَصْمِهِ ... وإلْقَائِهِ في هُوَّةِ العَدَمِيَّةِ
قَوِيٌّ على إنْهَاضِ جَدِّي وإنْ كَبَا ... وإنعاشِ ضَعْفِي عِندَ وَهْنِي بِقُوَّةِ
قَوِيٌّ على إرْكَاسِ كُلِّ مُصَوِّبٍ ... إلى حُرُمَاتِ اللهِ كُلَّ مُصِيبَةِ
قَوِيٌّ على التَّغْلِيبِ والفتحِ عَاجِلًا ... لأهْلِكَ أهْلِ العَدْلِ في أيِّ بُقْعَةِ
فَجَرِّدْ لِنَصْرِ الاسْتِقَامَةِ قُوَّةً ... تَصُولُ بِسَيفٍ مِنْ سُيوفِكَ مُصْلَتِ
فلَيْسَتْ قُوَى الأعْدَا وإنْ جَدَّ جِدُّها ... بِقَائِمَةٍ لِلقُوَّةِ الأزَلِيَّةِ
وما أثَرُ الأحْداثِ وَهيَ ضَعِيفَةٌ ... مُؤَثِّرَةٌ لِلقُوةِ القَدَرِيَّةِ
ولَيسَ لَهَا مِنْ مُكْنَةٍ لِذَوَاتِهَا ... ولكنْ بِتَأثيرِ القَضَا كُلُّ مُكْنَةِ

ضَعيفٌ أُنادِي تَحتَ قُوةِ قَادِرٍ ... قَوِيٌّ ولا سُلطانَ لِي غَيرُ ذِلَّتِي
فمَا ظَالِمِي مِنْ قَبْضَةِ القَهْرِ خَارِجٌ ... ولا مِنْ أَلِيمِ الأَخْذِ يَوماً بِمُفْلِتِ

المَتين جلَّ جلاله

وَأَيُّ ضَعِيفٍ ثَابِتٌ يا مَتِينُ إنْ ... قَضيتَ عليهِ يا مَتِينُ بِنَقْمَةِ
تَمَسَّكَ وَهْنِي يا مَتِينُ مُقَذَّفاً ... بجَهْدِ البَلاءِ المُستَمِرِّ المُشَتِّتِ
بِحَبْلِكَ ذا الحَبْلِ الشَّدِيدِ وَمَاسِكٌ ... بِحَبْلِ المَتِينِ الحَقِّ في حِرْزِ عِصْمَةِ
وُرُودِي وَصَدْرِي يا مَتِينُ مُعَوَّقٌ ... وَحَظِيَ مَقرُونٌ بِشُؤمٍ وَخَيْبَةِ
وَقَدْرِي ضَئِيلٌ يا مَتِينُ وإنْ تُقِمْ ... مَتَانَةَ قدْرِي، يا مَتِينُ، اسْتقلَّتِ
وَمِنْ أمْتَنِ الأشياءِ قَدْرٌ تَشُدُّهُ ... يَمِينُكَ تَطوِي عَنهُ كُلَّ شَدِيدَةِ
وإنكَ إنْ مَتَّنْتَ حَالِي تَمَتَّنتْ ... وإنْ كُنتَ في إتْمَامِ حَالِيَ تَمَّتِ
وإنكَ إنْ تَعْقِدْ حُظوظِي بِعُرْوَةِ الـ ... ـمَتِينِيَّةِ العُظمَى فأمْتِنْ بِعُرْوَتِي
وإنكَ إنْ شَدَّدْتَ أزْرِي تَفَصَّمَتْ ... أمامَ قُوى أيْدِي عُرَى أيِّ شِدَّةِ
وإنكَ إنْ تُشْدِدْ على ذِي جَرَاءَةٍ ... عَليكَ بِغَيِّ السُّوءِ أوْدَى بِقَصْمَةِ
وإنَّ سِمَاتِي يا مَتِينُ بَعَثْنَنِي ... إليكَ وَقَدْ أحْصَيتَ مَطْلَبَ وَفْدَتِي

الولي جلَّ جلاله

وَلِيِّيَ فِي دُنْيا وأُخْرَى تَوَلَّنِي ... بِما تَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ وَثَبِّتِ
تَوَلَّ، وَلِيَّ المُؤمِنِينَ، اسْتِقامَتي ... وَنَصْري وحَقِّقْ يا وَلِيُّ مَحَبَّتي
تَولَّ وَلايَ فِي ثُبُوتِ وَلايَتِي ... بِنُقْطَةِ بَاءٍ لا بِسَاذجِ نُقْطَتِي
تَوَلَّ عُرُوجِي مِنْ أفَاحِيصِ مَرْكَزِي ... إليكَ بِلُطْفٍ مِنكَ لا بِكَثِيفَتي
تَوَلَّ وَلِيِّي باسْمِكَ اسْمِي مُرَقِّياً ... صِفاتِي الدَّنَايَا بالصِّفاتِ العَلِيَّةِ

تَـوَلَّ وَلائـي مَـنْ تَـوَلَّيتَـهُ اهْـتَـدَى ... رَمَتْنِي حُظُوظِي بَينَ أعْماقِ ضِلَّتِي
تَـوَلَّ وَلِيَّ الـحَـمـدِ شَـأنـي بِـنَـظْـرَةٍ ... تُـرَافِـقُـنـي ألـطَـافُـهـا فـي طَـرِيـقَـتِي
وَلِيِّـي تَـوَلَّـنِـي شُـئـونٌ مِـنَ الـهَـوَى ... تَدَارَكْ خَلاصِي مِنْ هَوًى فيهِ شَقْوَتي
تَـدَارَكْ وَلِيِّـي هـذِهِ الـنـفـسَ إنَّـهَـا ... بِـمَـهْـمَـا تَـوَلّاهَـا هَـواهَـا تَـوَلَّتِ
ذَريـعَـةُ شَـيـطـانٍ لِمَـا فِـيـهِ وَيْـلُـهـا ... لـهَـا الوَيْـلُ إنْ أسْلَمْـتَـهـا مِـنْ ذَرِيـعَتِي
وَلاؤُكَ سُـلطـانِـي غَـلَبْـتُ بِـهِ الـهَـوَى ... ولاؤكَ مَـنْـجَـاتِـي وَلاؤُكَ عِـصْـمَـتـي

الحميد جلَّ جلاله

حَمِيدَ الفِعالِ الوَاجِبَ الحَمدِ والثَّنا ... بِحَمدِكَ حَقِّقنِي حَمِيدَ الطَّرِيقَةِ
حَميدَ الفِعالِ الفاتحَ الوَاهِبَ المُنَى ... بِحَمدِكَ أوْقِفْ مَوقِفَ الحَمدِ وِجْهَتِي
حَمِيدَ الفِعالِ المُستَحِقَّ لِذاتِهِ ... مَحَامِدُهُ مِنْ نَفسِهِ الأزَلِيَّةِ
حَميدَ الفعالِ المُستَحِقَّ لحَمْدِنا ... بلا مُقتضَى مُستَوجِبِ الحَامِدِيَّةِ
حَميدَ الفِعالِ الحَامِدَ الحَقَّ نَفْسَهُ ... وَمَحْضُ امْتِنانٍ مِنهُ حَمدُ الخَليقةِ
حَميدَ الفِعالِ القَائِمَ الحَمدِ وَجْهُهُ ... غَنِيَّ الكَمَالِ الحَقَّ عَنْ حَمدِ فِطْرَةِ
حَميدَ الفِعالِ المُعْجِزَ الحَصْرِ حَمدُهُ ... لما يَقتضِي مَجْدُ الصِّفاتِ العَلِيَّةِ
حَميدَ الفِعالِ ادْفَعْ بِحَمْدِكَ فَاقَتِي ... وأحْمِدْ مَقامَاتي وَكَمِّلْ نَقِيصَتِي
حَميدَ الفِعالِ اجْعَلْ شُؤونِي حَمِيدَةً ... بقبْضِي وبَسْطِي عِندَ أُنْسِي ووَحْشَتِي
حَميدَ الفِعالِ ابْسُطْ لِرُوحِي ارْتِياحَها ... بِحَمدِكَ وابْسُطْ في ثَنائِكَ بَسْطَتِي
حَميدَ الفِعالِ ارْحَمْ مَقامِيَ بَائِساً ... لكَ الحَمْدُ حَمْداً طَيباً فُكَّ عُسْرَتِي

المُحْصِي جلَّ جلاله

وَيَا مُحْصِيَ الأشياءِ عِلماً وحِيطةً ... وقهراً وتقديراً وتدبيرَ حِكْمَةِ
أحَطْتَ وأحْصَيتَ الوُجُودَ وما بِهِ ... فما أفْلَتَ الإحْصَاءُ مِثقالُ ذرَّةِ

بَصِيرٌ بِما أَظْهَرْتَ مِنْ كُلِّ ظَاهِرٍ ... خَبِيرٌ بِما أَبْطَنْتَهُ مِنْ خَفِيَّةِ
وَأَحْصَيتَ حِفظاً طَاعَتي وَتَبتُّلي ... وأحْصَيتَ حَالاتي وطَورِي وفِطْرَتي
وأحْصَيتَ ما يَأتي وما يَذرُ العِدَى ... وما أضْمَرُوا مِنْ سَيِّئاتِ الطَّوِيَّةِ
وأحْصَيتَ ذرَّاتِ المَقاصِدِ مُطلقاً ... وأحْصَيتَ أعْمَالي وقَولِي ونِيَّتِي
وأحْصَيتَ أرْزاقَ النفوسِ مُقَدِّراً ... لكُلٍّ بِوَفْقِ الحِكْمَةِ المَصْلَحِيَّةِ
وأحْصَيتَ أرْزاقَ القُلُوبِ تَنَزُّلاً ... لها حَسبَ الاسْتِعْدَادِ والقَابِلِيَّةِ
وأحْصَيتَ أسْرَارَ الهِدَايَاتِ مُوردِاً ... لهَائِمَةِ الأرْواحِ بَحْرَ الحَقِيقَةِ
أقِمْنِيَ يَا مُحْصِي رَقِيباً وَمُحْصِياً ... لِفِعْلِي وَتَرْكِي عِندَ جَهْرِي وَخَلْوَتي
وسَخِّرْ ليَ الإمْكانَ قَلباً وَقَالَباً ... وَمَكِّنْ مَقامِي مِنْ نُفُوذِ مَشِيئَتِي

المُبدِىء جلَّ جلاله

وَيَا مُبْدِىءَ الأشياءِ مِنْ عَدَمٍ إلى ... وُجُودٍ وَمِنْ غَيبٍ إلى الشَّاهِدِيَّةِ
وَيَا مُبدِىءَ التطْويرِ مُخْتَرِعاً لَهُ ... بِغَيرِ مِثالٍ سَابِقٍ لِلقَضِيَّةِ
ويا مُبدِىءَ المَوْجُودِ بَدْءاً مُهَيِّأً ... لِرَجْعَتِهِ بعد انْعِدَامِ الخَلِيقَةِ
ويا مُبدِىءَ الإيْجَادِ لا لِمُسَبِّبٍ ... سِوَى كَوْنِهِ المُختارَ لِلمَبْدَئِيَّةِ
ويا مُبدِىءَ الإبْدَاعِ كَوْناً مُنَظَّماً ... بَدِيعاً حَكِيماً شَاهِداً لِلأُلوهَةِ
ويا مُبدِىءَ الإمْكَانِ لا لِضَرُورَةٍ ... ولكنْ لِسِرِّ الحِكْمَةِ القِدَمِيَّةِ
ويا مُبدِىءَ المَصْنوعِ وَجْهاً مُنوَّراً ... بِنُورِ صِفاتِ السَّلْبِ والوَاجِبِيَّةِ
ويا مُبدِىءَ الأسْرَارِ مِنْ مَلَكُوتِها ... عَرَائِسُ تُهْدَى لِلنُّفُوسِ الزَّكِيَّةِ
ويا مُبدِىءَ الأنوارِ مِن حَضَرَاتِها ... ومُبدِىءَ عِرْفانِ العُقولِ المُنِيرَةِ
تَقَدَّسْتَ فابْدَأْ لي حَياةَ سَرَائِرِي ... ونُوراً بِهِ في الناسِ تَمْشِي اسْتِقامَتي
وبَدِّئْ ليَ العِرْفانَ واجْعَلْهُ مَعْرَجِي ... إليكَ وَأنْسِي في عَوالِمِ وَحْشَتِي

المُعيد جلَّ جلاله

مُعِيدَ الذَّوَاتِ الفَانِيَاتِ كَبَدْئِها ... لتُظْهِرَ مَجدَ القُدْرَةِ المُطْلَقِيَّةِ
وما العَوْدُ إلّا البَدْءُ مِنْ حَيثُ حُكْمِ كُنْ ... تَعَالَيْتَ كِلْتا النَّشْأَتَيْنِ بِقَبْضَةِ
وفي النشأةِ الأولى دَلائلُ تَقْتَضِي ... جَلالَ اقْتِدارِ الحَقِّ لا بِوَسِيطَةِ
ولَيسَ مَعَادُ الجِسْمِ أعْظَمَ رُتْبَةً ... لِمُبْدِئِهِ مِنْ رُتْبَةِ المَبْدَئِيَّةِ
إلهِيَ سُلْطانُ اقْتِدَارِكَ قاهِرٌ ... لِنَشْأةِ إبْدَاءٍ وَنَشْأةِ عَوْدَةِ
فَمَصْدَرُ خَلقِ العَودِ كَالبَدْءِ وَاحِدٌ ... وما حُكْمُنا إلّا كَنَفْسٍ وَحِيدَةِ
مُعِيدَ أيَادِي الفَضْلِ مِنْ غَيرِ مُوجِبٍ ... سِوَى كَرَمٍ مَحْضٍ وَوَاسِعِ رَحْمَةِ
أعِدْ لِيَ حَظّاً مَزَّقَتْهُ خَطِيئَتي ... وَحُلْ سَيِّدي بَينِي وبَينَ الخَطِيئةِ
أعِدْ لِي مَتاباً مِنْ ذُنُوبٍ رَكِبْتُها ... وثبِّتْ إلى يَومِ اللِّقَا فِيكَ رَجْعَتِي
أعِذْ لِي اعْتِصَامِي في الشَّدَائِدِ كُلِّها ... بِجَاهِكَ يا مَنْ جَاهُهُ رُكْنُ عِصْمَتِي
فأنتَ المُعيدُ الحَقُّ والحَقُّ قائِمٌ ... بِسُلْطانِكَ الأعْلى على كُلِّ فِطْرَةِ

المُحيي جلَّ جلاله

وَيَا مُحْيِيَ الأرْواحِ في مَلَكُوتِها ... كما شاءَ مِنْ ذَاتٍ وَكَيفٍ وحِلْيَةِ
ومُنْشِئَهَا مِنْ بَحْرِ نُورِ مُحَمَّدٍ ... كَما شَاءَ مِنْ أشْكَالِهَا المَلَكِيَّةِ
وَيَا مُحْيِيَ الأرْواحِ سِراً مُخَدَّراً ... لِسِرِّ حَياةِ الأنْفُسِ الحَيَوِيَّةِ
وإفْنَائِها مِنْ عَالَمِ البَرْزَخِيَّةِ ... حَياةَ خُلودٍ لا تُحَدُّ بِمُدَّةِ
وَيَا مُحْيِيَ الأبْرَارِ في دَارِ قُدْسِهِ ... مَعَاذُكَ مِنْ تِلكَ الحَيَاةِ المُقِيمَةِ
وَيَا مُحْيِيَ الفُجَّارِ في دَارِ عَدْلِهِ ... وبالعِلْمِ والعِرْفانِ والمَدَدِيَّةِ
وَيَا مُحْيِيَ الأسْرَارِ بالنُّورِ والهُدَى ... فَقَامَتْ بِحَقِّ الذِّكْرِ شَوْقاً وَحَطَّتِ
وَيَا مُحْيِيَ الألْبَابِ مَنّاً بِذِكْرِهِ ... وهُمْ في الهَوَى والمَحْقِ تَحْتَ الهَوِيَّةِ

تَقدَّسْتَ أدْرِكْنِي بتَقدِيسِ بَاطِنِي ... وإحْيَاءِ نَفسِي بالحَيَاةِ الزكِيَّةِ
حَيَاةً مَعَ الكَوْنَيْنِ أحْيَا بِحَظِّهَا ... وأحْيَى بِهَا مَوْتَى العَمَى بِهِدَايَتِي

المُمِيت جلَّ جلاله

إلهي مُمِيتَ الحَيِّ مُسْتأثِرَ البَقا ... عَدُوُّكَ حَزَّ الحَقِّ مِنهُ بِشَفْرَةِ
أمِتْهُ مُمِيتَ الحَيِّ مُفْنِيَ خَلْقِهِ ... بِدَامِيَةٍ تَغْتَالُهُ ذَاتَ مِرَّةِ
أمِتْهُ مُمِيتَ الحَيِّ بالذلِّ مُوبِقاً ... فقد عَاشَتِ الهُلّاكُ مِنهُ بِغُصَّةِ
أمِتْهُ مُمِيتَ الحَيِّ وَافْلُلْ حُدُودَهُ ... فليسَ على حَدٍّ لَهُ جُزْءُ قُوَّةِ
وَخُذْ لِحُدُودِ اللهِ مِنهُ بِثأرِهَا ... فكَمْ ضَامَها إذ عَزَّ حَامِي الحَقيقةِ
وَدَمْدِمْ على أنْصَارِهِ واصْطَلِمْهُمُ[1] ... بما اصْطَلَمُوهُ مِنْ حُقوقِ الشَّرِيعَةِ
أمِتْهُم مُمِيتَ الحَيِّ بالخَسْفِ وَالوَبَا ... وبالطَّعْنِ والطَّاعُونِ أشْنَعَ مَوْتَةِ
أمِتْهُمْ وأهْلِكْ نَسْلَهُم وبِلادَهُم ... فما لَكَ في أمْثالِهِمْ مِنْ بَقِيَّةِ
أمِتْهُمْ مُمِيتَ الحَيِّ واحْصُدْ جُمُوعَهُم ... بأخذ العَذابِ الهُونِ[2] في حِينِ غَفلَةِ
أمِتْهُمْ بِبَثِّ الشرِّ في ذَاتِ بَيْنِهِم ... وَدَائِرَةٍ تَطْوِيهِمُ مُدْلَهِمَّةِ
أمِتْهُمْ بِخَيْلِ اللهِ تَعْقُرُ عَقْرَهُم ... وَكُلِّ كَمِيٍّ نَاصِرِ اللهِ بُهْمَةِ

الحيّ جلَّ جلاله

وَيَا حَيُّ قَبلَ الكُلِّ حَيٌّ لِذاتِهِ ... بِغَيرِ افْتِقارٍ مِنهُ لِلحَيَوِيَّةِ
ويا حَيُّ لا شيئاً سِوَاهُ حَيَاتُهُ ... فَيَلْزَمُ فَقرُ الذَّاتِ لِلمَعْنَوِيَّةِ
ويا حَيُّ مُعْطِ كُلَّ حَيٍّ حَيَاتَهُ ... مَجَازاً وَحَيٌّ نَفْسُهُ بالحَقِيقَةِ

---

(١) اصْطَلِم: استأصِل.
(٢) الهُون: المُهين.

ويا حَيُّ لا عَنْ مَبْدَإٍ لِحَيَاتِهِ ... ولا مُنْتَهَى يَأْتِي على الأَبَدِيَّةِ
ويا حَيُّ مِنْ قَبلِ الوُجُودِ وَضِدِّهِ ... هُمَا نِسْبَتا خَلقٍ وَتَرْكٍ مَشِيئَةِ
ويا حَيُّ مُحْيِي النفسَ بَعدَ فَنَائِها ... وباعِثَ عَينِ النَّشْأَةِ الأَوَّلِيَّةِ
ويا حَيُّ يُحْيِي الأَرْضَ مِنْ بَعدِ مَوْتِها ... بلا أَثَرٍ في خَلْقِهِ لِطَبِيعَةِ
تَوَلَّتْ حَياتِي في اغْتِرارٍ بِظَاهِرٍ ... وفي نَكْبَةٍ أَعْقَابُها أَلفُ نَكْبَةِ
تَوَلَّتْ حَياتي جَاهِلًا مُتَجَاهِلًا ... أَخُوضُ وأَلْهُو في مَقاصِدِ شَهْوَتي
افِضْ ليَ من فَيضِ اسْمِكَ الحَيِّ مُنْعِشاً ... يُعجِّلُ مِنْ رَمْسِ الشَّقاوَةِ بَعْثَتي
يَصُبُّ حَيَا الأَسْرَارِ والنُّورِ والهُدى ... وَيَنْفخُ رُوحَ العِلمِ في بَشَرِيَّتِي

القيوم جلَّ جلاله

إلهِيَ يا قَيُّومُ ذَاتاً بِذاتِهِ ... لِوَجْهِكَ قَيُّومِيَّةُ الأَحَدِيَّةِ
وَمَنْ قامَ بالمَوْجُودِ حِفظاً وحِيطَةً ... ولُطفاً وتَدْبيراً بأَيِّةِ نِسْبَةِ
وَمَنْ قَامَتِ الدُّنيا والأُخْرَى بِأَمْرِهِ ... لَهُ فيهما تَدبيرُ حُكْمٍ وحِكْمَةِ
إلهِيَ قَيُّومَ السَّمواتِ والفَضَا ... وَالأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ مِنْ حَادِثِيَّةِ
بسِرِّ اسْمِكَ القَيُّومِ عَرْشُكَ قَائِمٌ ... وَمَنْ حَمَلَتْهُ أو بِعَرْشِكَ حَفَّتِ
بسِرِّ اسْمِكَ القيُّومِ كُرْسِيُّكَ احْتوَى ... سَمَاواتِكَ العُليا وَجِرْمَ البَسِيطَةِ
بسِرِّ اسْمِكَ القَيُّومِ في مَلَكُوتِهِ ... تَجَلَّى سَنا الإلهَامِ لِلمَلَكِيَّةِ
بسِرِّ اسْمِكَ القيُّومِ في المُلْكِ فَهْمُنا ... خِطَابَكَ ما قَدْ تَقتَضِي كُلُّ آيَةِ
أَقِمْنِي بِقَيُّومِيَّةِ الحَقِّ شَاهِداً ... لِسِرِّ اسْمِكَ القَيُّومِ في كُلِّ ذرَّةِ
وفي كُلِّ أَطْوارِي أَقِمْنِي بِسِرِّهِ ... بِحَقِكَ قَيُّوماً على بَشَرِيَّتي
وَهَبْ لِي بِقَيُّومِيَّةِ اللهِ مَقسَماً ... بِهِ قَطْعُ إشْقائِي وَوَصْلُ سَعَادَتِي

الواجد جلَّ جلاله

وَيَا وَاجِدَ الحَقِّ الإلهِيِّ لم يَفُتْ ... كَمَالُكَ حَقٌّ مِنْ حُقُوقِ الأُلوهَةِ
وَجَدْتَ الغِنَى الذاتيَّ يا مُطْلَقَ الغِنَى ... بلا سَبْقِ إعْوازٍ على الوَاجِدِيَّةِ
وأوْجَدْتَ آيَاتِ الوُجُودِ فَكُلُّها ... دَليلُ وُجُودِ اللهِ والمُوجِدِيَّةِ
وَجَدْتَ الذي لا بُدَّ مِنهُ لِذاتِهِ ... مِنَ الوَاجِبِ الذاتيِّ للصِّفَتِيَّةِ
وَجَدْتَ الكَمَالَ المُطلقَ السَّرْمَدِيَّ في ... صِفاتِكَ والأسْماءِ مِنْ كُلِّ رُتْبَةِ
وُجُودُكَ وِجْدَانُ الحَقائقِ يَقتضِي ... على مُقْتَضَى إيجَادِ عِلْمِ الحَقيقةِ
وفي أوْجُهِ الأسْمَاءِ مَا أنْتَ وَاجِدٌ ... بِهِ في مَقَامَاتِ الشُّهُودِ تَجَلَّتِ
فَهَبْ لِي بأسْرَارِ الذي أنتَ وَاجِدٌ ... فَقِيدِيَ مِنْ كُلِّ الحُظوظِ العَلِيَّةِ
أنا الفَاقِدُ المُضْطَرُّ كُلَّ مَصَالِحِي ... لما تَقتضِيهِ فَاقَتِي وعُبُودَتِي
وَمِنْ حَيثُ وِجْدَانِي وُجُودُكَ وَاجِدٌ ... غَنِيٌّ بما أرْجُوهُ مِنْ بَابِ وِجْهَتِي
أنِلْنِيَ وِجْدَاناً وَوَجْداً وَرُتْبَةً ... من الحَظِّ في دِينِي وفي دُنْيَوِيَّتِي

الماجد جلَّ جلاله

وَيَا مَاجِدُ الأعْلَى الرَّفِيعُ جَلالُهُ ... لِمَجْدِكَ يَعْنُو كُلُّ مَجْدٍ ورِفعَةِ
تَعَطَّفْتَ بالمَجدِ العَظيمِ الذي بِهِ ... تَكَرَّمْتَ بالحُسْنَى إلى كُلِّ فِطْرَةِ
قَرَنْتَ بِعِزِّ الذاتِ فَضْلًا مُوَاصَلًا ... إلى الخَلقِ كُلٌّ مِنْهُمُ تَحْتَ نِسْبَةِ
وذلكَ مَجدٌ لَيسَ يُقْدِرُ قَدْرَهُ ... وأنتَ الحَقيقُ الحَقُّ بالمَاجِدِيَّةِ
وَمَجدُكَ مَجدٌ لا يُمَاجَدُ شَأنُهُ ... ولا يُتَرَقَّى بالكِتسَابِ فَضِيلَةِ
وَعِزَّةُ مَجدِ الحَقِّ شَأنٌ لِذاتِهِ ... خُصُوصاً إلهياً بِعَينِ الحَقِيقةِ
وَعِزُّ جَلالِ المَجدِ غَيرُ مُؤَثِّرٍ ... لِدَاعِيَةٍ إلّا حُقوقَ الأُلوهَةِ
بِعِزَّةِ مَجدِ المَاجِدِ الحَقِّ سَيِّدي ... تَدَارَكْ بِأيدٍ مِنكَ وَهْنِي وذِلَّتِي
وَمَجِّدْ شُؤوني بانْتِبَاعِكَ مُطلقاً ... فلا مَجدَ إلّا الصِّدقُ في تَبَعِيَّتِي

وَهَبْ لي مَقاماً صَادِقَ الحَالِ قَائِماً ... بتَمْجِيدِكَ اللهُمَّ في بَحْرِ هَيْبَةِ
وَلا تَلْقَ يا ذا المَجْدِ حَالي كَسِيرَةً ... وَمَجْدُكَ يا ذا المَجْدِ أسْنَى ذَرِيعَتِي

الواحد جلَّ جلاله

وَيَا وَاحِدُ البَاقِي بِوَحْدَةِ ذَاتِهِ ... كَمَا كَانَ قَبْلَ القَبْلِ والأزَلِيَّةِ
تَعَالَيتَ لَيسَتْ وَحْدَةُ الذاتِ وَحْدَةً ... تَؤُولُ إلى التَّحْلِيلِ والجُزْئِيَّةِ
ولا وَحْدَةُ الأوصَافِ وَحْدَةُ فِطْرَةٍ ... تَعالَتْ عَنِ الأعْرَاضِ والجَوْهَرِيَّةِ
وأَنْتَ إلهِي الوَاحِدُ الحَقُّ والسِّوَى ... مَجَازٌ إليهِ نِسْبَةُ الوَاحِدِيَّةِ
وُجُودُكَ قَبْلَ الجَوْهَرِ الفَرْدِ ثَابتٌ ... وما يَقْبَلُ التركِيبَ لَيسَ بِوَحْدَةِ
فَهَبْنِي شُهُودَ الوَاحِدِيَّةِ فَانِياً ... عَنِ الجَمْعِ في الفَرْدِيَّةِ السَّرْمَدِيَّةِ
وَأَوْحِدْ وُجُودِي عَنْ وُجُودٍ يَصُدُّنِي ... عَنِ الوَاحِدِ البَاقِي وُجُودِ الحَقِيقَةِ
وَثَبِّتْ عَلى التَّوحِيدِ قُدْسِيَّ وَحْدَتِي ... فما زَاغَ عَنْ آيَاتِها مَنْ تَثَبَّتِ
إلهِي ظُهُورُ الوَاحِدِيَّةِ مَحْضَةٌ ... تُرِيها شُؤونَ الحَقِّ في كُلِّ ذرَّةِ
أَقَمْتَ مِنَ التكْوِينِ شَاهِدَ حِكْمَةٍ ... على اللَّيْسَ فانْحَلَّتْ عُرَى كُلِّ شِرْكَةِ
فما ثَمَّ وحدَانِيةٌ بَعدَ مَبْدَإٍ ... تُقَبِّلَ في أوْصَافِهَا جُزْءُ وَحْدَةِ

الأحَد جلَّ جلاله

إلهي على الإخْلاصِ يَا أَحَدُ انْطَوَى ... يَقِينِي فَخَلِّصْنِي وَأَخْلِصْ طَوِيَّتِي
إلهِيَ آحَادُ الوُجُودِ حَوَاسِرٌ ... حَقَائِقُها عَنْ حَقَّةِ الأَحَدِيَّةِ
وَفي كَثْرَةِ الأعْيَانِ عَينٌ تَوَحَّدَتْ ... تَرَاءَتْ على أشْخَاصِهَا وَتَجَلَّتِ
صِفاتُكَ والأسْمَاءُ في أيِّ مَظْهَرٍ ... رَمَتْ كُلُّها في الكُلِّ عَنْ قَوْسِ وَحْدَةِ[1]

(١) (أي أن أسماء الله هي ذاتُ صفاته؛ وهذه من أبواب الجدل الواسع عند المتكلمين).

وَتَخْصِيصُ اسْمٍ دُونَ اسْمٍ بِمَظْهَرِ ... يُحَقِّقُ حَقَّ الوَحْدَةِ الأَزَلِيَّةِ
فَفِي كُلِّ اسْمٍ قُوةٌ أَحَدِيَّةٌ ... لِفِعْلٍ وَوَصْفٍ أو لِذاتِ الحَقِيقَةِ
إلهيَ ما التَّوحِيدُ شَيءٌ أَزِيدُهُ ... على حَقِّ نَفسِ الأمرِ مِنْ لَدُنِيَّتِي
إذا كَانَ نَفسُ الأمرِ حَقاً لِذاتِهِ ... غَنِيّاً عَنِ الإنْبَاتِ مِنْ جِنْسِ مُنْبِتِ
فما هُوَ تَوْحِيدِي سِوَى أنْ هَدَيْتَنِي ... فأبْصَرْتُ نَفْيَ النَّقصِ وَالمَتَوِيَّةِ[1]
فَزِدْنِيَ تَثْبِيتاً عَلَى ما هَدَيْتَنِي ... وَعَرِّفْتَنِي مِنْ وَاجِبِ الأَحَدِيَّةِ
أَذِقْنِي مِنَ التَّوحِيدِ كَأسَ مُوَفَّقٍ ... تَدُومُ بها في حَضْرَةِ القُرْبِ سَكْرَتِي

الصَّمد جلَّ جلاله

وَيَا صَمَدُ البَاقِي الجَلِيلُ لِذاتِهِ ... بِقُدْرَتِهِ تَذْبِيرَ أمْرِ البَرِيَّةِ
وَيَا صَمَدُ الكَافِي لأيةِ صَامِدٍ ... بِآمَالِهِ لِلحَيْطَةِ الصَّمَدِيَّةِ
وَيَا صَمَدُ الأعْلى وَمَا ثَمَّ غَايَةٌ ... لِمَجْدِكَ أو حَدٌّ يُحِيطُ بِرُتْبَةِ
وَيَا صَمَدُ المُسْتَوجِبُ السُّؤْدَدَ الذي ... تَذِلُّ وَتَغْنُو تَحْتَهُ كُلُّ عِزَّةِ
وَيَا صَمَدُ المُعْطِي النفوسَ خَلاصَهَا ... وَتَجْرِيدَهَا مِنْ عَالَمِ البَشَرِيَّةِ
وَيَا صَمَدُ المُعْطِي القُلُوبَ زَكَاءَها ... وَتَغْرِيجَهَا في عَالَمِ المَلَكِيَّةِ
صَمَدْتُ بِأنْ وَفَّقْتَنِي لَكَ مُسْنِداً ... إليكَ مُهِمَّاتي وَفَاقَةَ ذِلَّتِي
صَمَدْتُ وما عِندِي مِنَ الخَيرِ ذرَّةٌ ... سِوَى حُسْنِ ظَنِّي فِيكَ فهو ذَرِيعَتِي
صَمَدْتُ وما صَمْدِي بِحَولِي وَإنَّما ... بِحَمْدِكَ بالإخْلاصِ حَقَّقتُ نَهْضَتي
صَمَدْتُ وما تَخْفَى عَليكَ مَطالِبي ... بِعَيْنِكَ إرْهَاقِي وَعَجْزِي وَمِحْنَتِي
وَما اضْطَرَّ مَنْ أَلْقَى مَقالِيدَ ضُرِّهِ ... إلى الصَّمَدِ المُعْطِي بلا قَيدِ عِلَّةِ

---

(١) المَتَوِيّة: ما يُسألُ عنه بـ مَتى؛ أي: الزمان.

القادر جلَّ جلاله

وَيَا قَادِراً بِالذاتِ لا بِمُغَايِرٍ ... قَدِيمٍ يَحُلُّ الذاتَ يُدْعَى بِقُدْرَةِ
قَدَرْتَ بلا إيجَابِ مَعْنًى لِقُدْرَةٍ ... يُغايِرُ سَلْبَ العَجْزِ في المَعْنَوِيَّةِ
وَكُلُّ صِفاتِ اللهِ لَيسَتْ مَزِيدَةً ... وَعَينُ التِزامِ الفَقْرِ قَبلَ المَزِيدَةِ
قَدَرْتَ على الأشياءِ لا بِشَرِيطَةٍ ... يُقَيِّدُها الإمكانُ لِلحَدَثِيَّةِ
وَلَيسَ امْتناعُ السَّلبِ عَنْ ضِدِّ قُدرةٍ ... ولكنْ سِمَاتُ العَجزِ لِلمُستَحِيلَةِ
بِقُدرَتِكَ العُظمَى على كُلِّ حَادِثٍ ... وتأثيرِها بالحِكْمَةِ الأزَلِيَّةِ
بإقْدَارِكَ المَخلوقَ مِنْ حَيثُ كَسْبُهُ ... بلا حَظِّ تَفويضٍ ولا جَبَرِيَّةِ
بِسِرِّكَ في الأقْدَارِ تَجْري كَما تَشا ... وَلاتَ مَجَالٌ لاعْتِراضِ لِمِيَّةِ
تَكَنَّفَنِي عَجْزي الذي هُوَ مَرْكَزِي ... وكانَ اخْتِيالي سَلْبَ حَوْلِي وَقُوَّتِي
فَهَبْ لي على الشيطانِ والنفسِ قُدْرَةً ... وإنْ لَم تُقَدِّرْني فيا بُؤسَ هَلْكَتِي
وَهَبْ لي اقْتِداراً يُظْهِرُ العَدْلَ مُطلقاً ... تَقُومُ بِهِ في مَخْتِ ذِي الجُورِ دَوْلَتِي

المُقتدر جلَّ جلاله

تَعَلَّقَ عَجْزي باسْمِ مُقتدِرٍ ولم ... يَضِعْ عَجزُ مُلتاذٍ بِمُقْتَدِرِيَّةِ
وَمَالي اقْتدارٌ أنْ تَرانيَ ضَارعاً ... إليكَ ولكنْ أنتَ قَوَّمْتَ قُدْرَتي
وَمَالِيَ تَدبيرٌ وأمْرٌ وخِيرَةٌ ... وَسَلْبٌ وإيجَابٌ لِتصْرِيفِ ذرَّةِ
بَلى مِنكَ إيجادِي وَإقْدَارُ نَشأتِي ... وَتَصْريفُ أطْوارِي وَإطْلاقُ مُكْنَتِي
وأكرَمْتني بالأمرِ والنهْيِ مَظْهَراً ... لِعِلْمِكَ بي في سَابِقِ الأزَلِيَّةِ
فَهَبْ لي اقْتداراً في مَرَاضِيكَ سَيِّدي ... وَعَزِّزْ عَلى نَفسِي اقْتِدَاري وَسُلْطَتي
وَمَالي وللأعْدَاءِ بَعدَ شِكَايَتي ... إليكَ وَتَفويضِي إليكَ مَعِيَّتي
فَصُبَّ عَليهِم سَوطَ مُقتدِرٍ فما ... مَسَاعِيهُمُ في الأرْضِ عَنكَ بِخُفْيَةِ
فما رَحِمُوا تَحْتَ اقْتِدارِكَ بَائِساً ... ولا عَاينوا أقْدَارَهُم تَحْتَ قُدْرَةِ

وَخُذهُمْ بِرِجْزٍ أَخْذَ مُقتدِرٍ كما ... أَخَذْتَ على الطُّغيانِ كُلَّ جِبِلَّةِ
وَسَلِّطْ عَلَيهِم سَطْوَةَ اليَمِّ لا تَدَعْ ... لهُمْ مَرْكَباً يَجْري عَلَى مَتْنِ لُجَّةِ

المُقدِّم جلَّ جلاله

أُقَدِّمُ نَفسِي حَشْوُها الخَوفُ والرَّجَا ... إليكَ فَقَدِّمْ يا مُقدِّمُ قُربَتِي
وَمَنْ لِي بِتَقدِيمِي وَمَنْ بِتَقدُّمِي ... إذا لم تُقَدِّمْ يَا مُقَدِّمُ وَقْفَتِي
وَما نَهْضَتِي بالذِّكرِ عَنْ حَوْلِ قُوَّةٍ ... ولكنْ بِتَقدِيمِ المُقَدِّمِ نَهْضَتِي
ولولا امْتِنانٌ للمُقَدِّمِ لم تَزَلْ ... نُفوسٌ على التأخِيرِ عَنْ كُلِّ رُتْبَةِ
وَسَابِقةُ الحُسْنَى مَقامٌ لأنْفُسٍ ... بِتَقدِيمِ مَولاها عَلَيهِ اسْتَقرَّتِ
وَمَا نَالَ مَنْ قَدَّمْتَ شَيئاً بِحَوْلِهِ ... ولكِنَّها زُلْفَى مِنَ الأزَلِيَّةِ
وفي دَرَجَاتِ القُربِ أسْرَارُ حِكْمَةٍ ... تُشيرُ لِفِعْلِ الاسْمِ في الرُّتَبِيَّةِ
فَمَا عَرَجَتْ تِلكَ المَعَارِجُ وَقْفَةً ... إذا لم تُقدِّمْها بِحَولٍ وقُوةِ
فَثَبِّتْنِيَ اللهُمَّ في كُلِّ طَاعَةٍ ... وفي كُلِّ إحْسَانٍ على الأقْدَمِيَّةِ
وقَدِّمْنِيَ اللهُمَّ حَيثُ رَضِيتَنِي ... وَحَسْبِي مَقاماً ما ارْتَضَيتَ لِخِيرَتي
فما أرْتَضِيهِ يا مُقدِّمُ ما بِهِ ... غَنَاءٌ لِنَفسِي بَلْ رِضَاؤكَ غُنْيَتي

المؤخِّر جلَّ جلاله

تُؤخِّرُ مَنْ أَخَّرتَ عَنْ زُلَفِ[1] الرِّضَا ... لِعِلمٍ قَدِيمٍ واقْتِضَاءٍ مَشِيئَةِ
تَعَالَيتَ جَدّاً[2] مَا ظَلَمْتَ مُؤخَّراً ... على العَدلِ مَا تَقْضِي بِهِ في الخَليقةِ
وفي حِكْمَةِ التأخِيرِ عِزَّةُ قَاهِرٍ ... وَتَدبِيرُ رَبٍّ وَاسْتِحَالَةُ شِرْكَةِ

---

(١) زُلَف: قُرب.

(٢) جَدٌّ: عظُم ـ جاء في الحديث: [تباركَ اسمُكَ، وتعالى جَدُّكَ].

تُؤخِّرُ ما أَخَّرتَ في مُستَقرِّهِ ... فما يَقتَضِي التَّقدِيمَ فيهِ بِحِيلَةِ
وَمَنْ لَزَّهُ[1] التأخيرُ في قَيدِ حُكْمِهِ ... فذاكَ أسِيرٌ لا يُفادَى بِفِدْيَةِ
وَكَيفَ خُرُوجُ العَبدِ عَنْ حَدِّ عَجْزِهِ ... إذا لم تَشأْ تَقدِيمَهُ قَيدَ خَطْوَةِ
وفي نَظْرَةِ الاسمِ المُؤخَّرِ سُلْطَةٌ ... تُحِيلُ القُوَى عَنْ كُلِّ حَولٍ وَقُوَّةِ
نَظَرْتَ إلى خَلْقٍ فَأَخَّرتَ خَطْوَهُم ... وَقَدَّمْتَ خَلقاً رُتْبَةً قَبلَ رُتْبَةِ
كِلا النَّظْرَتَينِ الأمْرُ والحُكْمُ فِيهِما ... يُساوِقُ حُكْمَ النَّظْرَةِ الأزَلِيَّةِ
بِحَقِّ اسْمِكَ الأعْلى المُؤخِّرِ صُدَّنِي ... بِهِ عَنْ جِمَاحِي عَنْ هَوًى فِيهِ شَقْوَتي
وَرُدَّ عِدَائِي عَنْ مَقاصِدِ سُؤْلِهِمْ ... فإنَّ لَهُم سُوءاً أحَاطَ بِوَحْدَتي

الأوَّل جلَّ جلاله

وَيَا أَوَّلٌ قَبلَ الوُجُودِ وَضِدِّهِ ... وَقَبلَ وُجُودِ الكَرَّةِ الزَّمَنِيَّةِ[2]
وَيَا أوَّلٌ لم يَنْتَسِبْ لِبِدَايَةٍ ... تَنَزَّهَ عَنْ بَدْئِيَّةِ القِدَمِيَّةِ
وَيَا أوَّلٌ لم يَفْتَقِرْ لِمَبَادِيءٍ ... تَعَالَى بِعِرْفانِ القُلُوبِ المُضِيئةِ
وَيَا أوَّلٌ قَبلَ الحَقائِقِ كُلِّها ... وَقَبلَ وُجُودِ الشَّيءِ وَالعَدَمِيَّةِ
وَيَا أوَّلٌ حَالَ افْتِتاحِ وُجُودِهِ ... تَقَدَّمَ ثَبْتُ السَّبْقِ في الأزَلِيَّةِ
وَيَا أوَّلٌ دُونَ افْتِضَاءِ مُقَدِّمٍ ... ولكنْ وُجُودٌ وَاجِبُ الأوَّلِيَّةِ
وَيَا أوَّلٌ مِنْ حَيثُ إيجَادِ خَلْقِهِ ... وَتَطْوِيرِهِم مِنْ بَعدِ فَقرٍ لِعِلَّةِ
وَيَا أوَّلٌ بَدْءُ الأوائِلِ صُنْعُهُ ... فَنِسْبَتُها فِيهِ إلى الآخِرِيَّةِ

---

(١) لَزَّ: دَفَعَ.

(٢) عِوَضاً عن استخدام مُفرَدَة العَدَم للتعبير عن نقيض الوُجود ينحو أبو مُسلم نحوَ اللامُتوَقع: الضِّد، تصعيداً للقصدِ في قصِيده، دونَ أن يفوتَ نظرَتَه الكونية تلميحه إلى أن الوجود والعدم ليسا (في الحقيقة) مُنتهى وُجُودِهما وعَدَمِه، بل وحدتان زمنيتان محكومتان بما يدعوه في أذكاره: الكَرَّة الزمنيّة؛ الوِحدَة الأمّ ـ المتكَوِّنَة، بِدَورِها، من دَورات زمنية لا حصر لها.

وَيَا أَوَّلٌ مِنْ حَيثُ ذاتيُّ عِلْمِهِ ... وإدْرَاكُهُ المَعْلُومُ في الأَزَلِيَّةِ
وَيَا أَوَّلٌ بالذاتِ مِنْ حَيثُ ذاتُهُ ... بِدُونِ اعْتِبارِ العِلْمِ لِلصِّفَتِيَّةِ
ويا أَوَّلٌ مِنْ حَيثُ وَاجِبُ سَبْقِهِ ... أَنِلْنِي حَياةَ السِّتْرِ واجْمَعْ تَشَتُّتِي

الآخِر جلَّ جلاله

إليكَ مَصِيرُ الكُلِّ يَا آخِرُ انْتَهَى ... كَمَا أَنَّ بَدْءَ الكُلِّ بالأَوَّلِيَّةِ
وَعِرْفَانُكَ اللهُمَّ آخِرُ مَنزِلٍ ... إليكَ وَوَجْهُ الرُّتبَةِ الآخِرِيَّةِ
وَلَيسَ بَقاءُ الآخِرِ الحَقِّ مُنْتَهٍ ... وَيَجْرِي سِواهُ في بَقاءٍ مُؤَقَّتِ
كَتَبْتَ كِتابَ الحَقِّ أَنْ لَيسَ آخِراً ... سِواكَ وَتَبقَى أَنتَ لِلأَبَدِيَّةِ
وَكُنتَ بِلا تَقْدِيمِ غَيرِكَ أَوَّلاً ... وَكُنتَ إلهي آخِراً لا لِعِلَّةِ
تَعَاقَبَتِ الأَزْمَانُ بَعدَ حُدُوثِها ... وَأَنتَ إلهي آخِرُ الزَّمَنِيَّةِ
بَدَأْتَ إلهي أَوَّلِيَّةَ نَشْأَتِي ... وَقَدَّرْتَ تَأْخِيرِي بِحُكْمِ المَشِيئَةِ
وَتَقديمُ مَنْ قَدَّمْتَ فَرْعُ إرَادَةٍ ... وَتَأْخِيرُ مَنْ أَخَّرْتَ تَقديرُ حِكْمَةِ
إلهي بِسِرِّ الآخِرِ الحَقِّ صَفِّنِي[1] ... وَأَخْرِجْ قَذَى الأَغْيارِ مِنْ بَاطِنِيَّتي
ولا يَكُ تأخِيرِي بِذا الكَوْنِ عِلَّةً ... بِبُعْدِيَ عَنْ عِرْفانِ حَقِّ الأُلُوهَةِ
وَقَدِّرْهُ تَأْخِيراً رِضَاكَ خِتامُهُ ... أُقَضِّيهِ مَعصُوماً بِحِفْظِ الرُّبُوبَةِ

الظَّاهر جلَّ جلاله

ظَهَرْتَ لِعَيْنِ الكَوْنِ مِنْ غَيرِ رُؤيَةٍ ... وَغَيرِ ابْتِدَاءٍ ظَاهِرِ الأَحَدِيَّةِ[2]
ظُهُورُكَ بالإحْسَانِ يَا ظَاهِرُ انْجَلَى ... على وَجْهِ ذرَّاتِ الوُجُودِ البَدِيعَةِ

---

(١) صَفِّني: اجعلني صافياً.

(٢) يُعمِّق الشاعرُ موقفه من الرؤية في هذا البيت على صعيدين: في الشطر الأول يؤكِّدُ ظهورَ الخالق لـ=

ظَـهَـرْتَ عَـيَـانـاً لا لإدْرَاكِ بَـاصِـرٍ ... ولكنْ بِتفْرِيجِ الكُرُوبِ العَظِيمَةِ[1]

وَبِالقُدْرَةِ المَخْصُوصِ رَبِّي بِشَأْنِها ... على السَّلبِ وَالإيجَابِ وَالمُمْكِنِيَّةِ

وبالغَلْبِ والإجْبَارِ والقَهْرِ سَيِّدي ... فـمـا ذرَّةٌ إلّا لِغَـلْبِـكَ ذَلَّتِ

وبالمَظْهَرِ الأسْنَى بِكُلِّ دَلالَةٍ ... يَقِينِيَّةٍ لم تَخْفَ عَنْ ذِي بَصِيرَةِ

وبالعَوْنِ والتَّرْزِيقِ يَا ظَاهِرُ انْجَلَى ... ظُـهُـورُكَ والألْطَافِ والـمَـدَدِيَّـةِ

وَكَوْنِكَ أظْهَرْتَ الظَّوَاهِرَ مَعْلَماً ... يَـدُلُّ عَـلى الـسُّـلطـانِ لِلظَّاهِـرِيَّـةِ

وَبالحُجَّةِ العُظْمَى التي أنْتَ أهْلُهَا ... عَلَى الخَلْقِ وَاسْتَوْلَتْ على كُلِّ حُجَّةِ

وَبِالفِعْلِ والآياتِ يَا رَبِّ والغِنَى ... لـذاتـكَ والأحْـيَـاءِ والأحَـدِيَّـةِ

بِسِرِّ الظُّهُورِ الحَقِّ هَبْ لِيَ قُوةَ الـ ... ـظُّهُورِ بِمَا تَرْضَى عَلى كُلِّ ذرَّةِ

الباطِن جلَّ جلاله

وَيَا بَاطِنَ الذاتِ اخْتَفَيْتَ بِلا اخْتِفا ... بُطُوناً عَنِ الأفْكَارِ وَالنَّظَرِيَّةِ

بَطَنتَ بِغُفرَانِ الذنوبِ وَعَفْوِهَا ... وبالعِلمِ إطْلاقاً بِكُلِّ حَقِيقَةِ

بَطَنتَ بُطُوناً أنْ تُنَاسِبَ حَادِثاً ... بِحَدٍّ وَرَسْمٍ أو بَأيَّةِ صُورَةِ

بَطَنتَ بتكْوِينِ الحَقائقِ كُلِّها ... وإبْطَانِ ما أوْدَعْتَ في البَاطِنِيَّةِ

بَطَنتَ بقُدْسِ الذاتِ عَنْ غَيرِ شَأنِها ... مِنَ الحَيْثِ والتَّكْيِيفِ والمَتَوِيَّةِ

بَطَنتَ عَنِ التَّخْيِيلِ والوَهْمِ سَيِّدي ... وعَنْ شِبهِ مَعْقُولٍ ومَحْسُوسِ فِطْرَةِ

بَطَنتَ إلهي بِامْتِنانِكَ مُطلقاً ... وإفْنَاءِ مَا أوْجَدْتَهُ مِنْ خَلِيقَةِ

بَطَنتَ بُطُوناً لا احْتِجَاباً بِحَاجِبٍ ... إلهي، بُطُونُ الحَقِّ بالصَّمَدِيَّةِ

=«عَين الكَون» من غير رؤية، وفي هذا إعلاء شِعريٌّ وفلسفيٌّ من خلال اجتراحه المُوفَّق لمنحوتته: «عين الكون» الداحضة لجزئية العين البشرية. فأحَدِيَّة الواحِد الأحد ظاهرة في ابتدائه وأحَدِيَّته المُتعاليتين على القائلين بالرُّؤية.

(١) رغم أن موقف أبي مُسلم من الرُّؤية مُسلَّمٌ به، إلّا أنَّ هذا البيت حُذِفَ من إحدى الطبعات الحديثة!

بَطَنتَ بِتَزْيينِ المَرَاشِدِ والهُدَى ... وبَعْثِ الحِجَا بالنَّظْرَةِ القُدْسِيَّةِ
بَطَنتَ فلا إدْرَاكَ للحِسِّ والنُّهى ... بدُنيا ولا أُخْرَى لِعَيْنِ الحَقيقةِ
فقدِّسْ بِنُورِ البَاطِنِ الحَقِّ بَاطِنِي ... وَهَبْ لِيَ كَشْفَ البَاطِنَاتِ الخَفِيَّةِ

الوالي جلَّ جلاله

وَيَا وَالِيَ الأشياءِ مُلْكاً وَحَيْطَةً ... تُصَرِّفُها حُكْماً بِحَسْبِ المَشيئةِ
تَوَلَّيْتَها بَسْطاً وقَبْضاً مُدبِّراً ... لها حَسْبَ ما تَختارُ، لا بِمَعُونَةِ
لأمْرِكَ سُلطانُ النفوذِ بِلا يَدٍ ... مُعارَضَةٌ أو شِرْكَةٌ في القضِيَّةِ
تَفرَّدْتَ بالتَّدْبيرِ في كُلِّ كَائنٍ ... فما دَبَّرَ المَخلوقُ أمْراً لِشِرْكَةِ
وَكُنتَ مَلِياً بالوَلايَةِ قُدرةً ... وفِعلًا وتدبيراً بغيرِ وَسِيطَةِ
وما لي وللتَّدبيرِ والأمْرُ كُلُّهُ ... إليكَ وما لي مِنكَ مِثقالُ ذرَّةِ
وما قَدْرُ تَدْبيري وشَأنُ اسْتِطاعَتي ... وفي قَيدِ حُكْمٍ مِنكَ تَصْريفُ فِطْرَتي
وإسْقاطُ تَدبيرِي سُلُوكٌ مُحَقِّقٌ ... يُحَقِّقُهُ أمرِي لِوَالِي الحَقِيقَةِ
وما مَبْلَغُ التدبيرِ والأمْرُ مُنْتَهٍ ... إليكَ وأطْوَاري لِحَضْرٍ وَعِلَّةِ
إلهِيَ سُلطَانُ الوَلايَةِ بَاهِرٌ ... لِكُلِّيَّةِ الإمْكَانِ والجُزْئِيَّةِ
تَوَلَّ أُمُوري كُلَّها وَادْفَعِ البَلا ... وآفَاتِ هذا الكَوْنِ وابْسُطْ وَلايَتِي

المُتعالي جلَّ جلاله

ويا مُتعَالي الذاتِ في جَبَرُوتِهِ ... عن النقصِ والآفَاتِ والأَشَرِيَّةِ[1]
ويا متعَالي الذاتِ حَيثُ وُجُودُهُ ... وَتَنزيهُهُ عن مُطلقِ الفِطَرِيَّةِ

(١) الأشَرية: البطَر والعُجْب.

ويا مُتعَالي الذاتِ حَيثُ عُلُوُّهُ ... على كُلِّ شَيءٍ بافْتِدارٍ ورِفْعَةِ
ويا مُتعَالي الذاتِ للذاتِ نَفْسه ... فأينَ إضَافاتي ونَعْتِي ومِدْحَتي
ويا مُتعالي الوَصْفِ عن دَرْكِ وَاصِفٍ ... كما ينبغي للوَحْدَةِ الصِّفتيَّةِ
ويا مُتعَالٍ عن عُلُوٍّ مُعَلَّلٍ ... عن الوَضْعِ والتَّرْكيبِ والجِهَتيَّةِ
عُلُوُّكَ مَعلومٌ كما أنتَ أهْلُهُ ... عُلُوُّ جَلالٍ وامْتلاكٍ وقُدْرَةِ
فأعْلِ عُلُوِّي عن تَمَلُّكِ فِطْرَةٍ ... وهَمِّي عَنِ اسْتصْحَابِ كُلِّ دَنِيَّةِ
فيا مُتعَالٍ كُلُّ نَقصٍ وخِسَّةٍ ... لديَّ إذا ألْقَيتني تَحْتَ خِسَّتِي
وعن مَرْكَزِ الآفاتِ لَسْنِيَ رَاقِياً ... إذا أنتَ لم تَرْفَعْ مَقامِي ورُتْبَتي
ونفْسِيَ لو جَرَّدْتها مِنْ شُؤونِها ... سِوَاكَ تَعَالَتْ عَنْ سَوَاءِ النَّقِيصَةِ

البَرّ جلَّ جلاله

ويا بَرَّ أهْلِ البِرِّ يا مُحْسِناً على ... خَليقَتِهِ مَنّاً بِكُلِّ مَبَرَّةِ
تَعَرَّفْتَ بالنَّعْمَاءِ يا بَرُّ ظاهِراً ... وباطِنَةً في الدينِ والدُّنيَويَّةِ
ومِنْ بَرِّكَ الأعْمالُ يا بَرُّ والجَزا ... ومِنْ بَرِّكَ اسْتدْعَاؤنا للعَطِيَّةِ
ومِنْ بَرِّكَ الإحْسَانُ مُتَّصِلاً بمن ... يُبَارِزُ بالعِصْيَانِ والبَطَرِيَّةِ
وأعْظَمُ بِرٍّ بِرُّ مَنْ سَبَّبَ الرِّضَا ... وأعْطَى الرِّضَا والقُرْبَ بالسَّبَبِيَّةِ
وألطفُ بِرٍّ مَنْ يُلاطِفُ عَبْدَهُ ... ويَرْحَمُهُ قَبلَ احْتسابِ العُبُودَةِ
وأكْرَمُ بِرٍّ مَنْ يُوَفِّقُ عَبدَهُ ... وَيَحْبُو مُرِيدِيهِ بكَشْفِ الطَّرِيقَةِ
وبِرُّكَ في الإعْطاءِ والمَنعِ كَاملٌ ... إذا كانَ مَنعاً فيهِ تَقديرُ خِيرَةِ
وفي نَظَرِ البَرِّ الرَّحِيمِ كِفايَةٌ ... لمَخْلُوقِهِ في مَنْعِهِ والعَطِيَّةِ
تَوَجَّهْتُ باسْمِ البِرِّ يا بَرُّ بَائِساً ... وأيقنتُ مِنْ بِرِّ الكَريمِ بِبُغْيَتي
فأسْبِغْ عَليَّ البِرَّ يا بَرُّ شَامِلاً ... لعَاجِلَتي والدِّينِ والأخْرَوِيَّةِ

التوّاب جلَّ جلاله

أتى عَبْدُكَ الخطّاءُ جَهْلًا وغِرَّةً ... مِنَ الذنبِ يا تَوَّابُ كُلَّ عَظِيمَةِ
وَتَوْبُكَ بالتيسِيرِ للتَّوْبِ شَافِعِي ... بأنكَ يا تَوَّابُ قَابِلُ تَوْبَتي
تَتُوبُ بِتَوْفِيقِ المَتابِ لِمَنْ عَصَى ... ليَخْرُجَ مِن خُذلانِهِ في الخَطِيئةِ
وَتَوْبُكَ بالإحْسَانِ للعَبدِ مُطلقاً ... جَمِيلُ اقْتِدارٍ وامْتِنانُ ألُوهَةِ
تَجَاوزتُ يا تَوَّابُ طَوْرِي ولم أَدَعْ ... سِوَى الشَّوْكِ ذنباً لم تُقارِفْهُ خَيرَتِي
فلم تَقْطَعِ الإحْسَانَ والكَرَمَ الذي ... يَليقُ بمَجْدِ اللهِ مِنْ كُلِّ وِجْهَةِ
ولم تُغْلِقِ الأسْبابَ دُوني تَأنِّياً ... ولُطفاً وتَوفِيقاً لتحقيقِ تَوْبَتي
وفي كُلِّ هذا لا أُزَايِلُ[1] سَوْءَةً ... ولا أتَّقِي ما فيهِ وَيْلِي وشَقْوَتي
وذاكَ عَلى عِلْمِي بأنِّيَ رَاجِعٌ ... إلى كِبْرِيَاءٍ لا تَضِيقُ بِعَثْرَتي
ليَ الوَيْلُ يا تَوَّابُ إنْ فَاتَني الرِّضَا ... وتَوْبُكَ يا تَوَّابُ يا رَبِّ عِصْمَتي
إلهي تَدَارَكْنِي بِتَثْبِيتِ تَوْبَةٍ ... نَصُوحٍ وَكُنْ حِلْيَةَ الثَّوْبِ حِلْيَتي

المنتقم جلَّ جلاله

إلى اللهِ أشْكُو وهُوَ مُنتقِمٌ يَداً ... عَتَتْ وَبَغَتْ وَاسْتَعْبَدَتْ خَيْرَ أُمَّةِ
يَداً آسَفَتْ ذا الانتقامَ ونَازَعَتْ ... لها الوَيْلُ حَقَّ الكِبْرِياءِ فَشُلَّتِ
إلى اللهِ أشْكُو فِعْلَها في عِيَالِهِ ... وغِيرَتُهُ للحَقِّ أعْظَمُ غِيرَةِ
إلهيَ جُهْدُ العَبدِ أنْ يَرْفَعَ الدُّعَا ... بتوفِيقِكَ اللهُمَّ عِندَ البَلِيَّةِ
وَقَدْ حَلَّ بالإسْلامِ ما لَسْتَ رَاضِياً ... مِنَ الفِئةِ البَاغِينَ فَوقَ البَسِيطَةِ
وكِلْمَتُكَ العُليا وأنتَ بأخْذِهِم ... قَدِيرٌ وفي الإمْلاءِ أعْظَمُ أُخْذَةِ
فعَاجِلْهُمُ بالأخْذِ واقْصِمْ ظُهُورَهُم ... فقَدْ أصْبَحَ الإسْلامُ مِنهُم بِذِلَّةِ

---

(١) لا أزائل: لا أفارق.

كما أمْعَنوا في الظُّلمِ واسْتَلأَمُوا لَهُ ... ولم يَرْقُبُوا في مُؤمِنٍ حَقَّ ذِمَّةِ
فَعَيْنُكَ بالمِرْصَادِ واللهُ غَالِبٌ ... وَحِزْبُكَ مَنصُورٌ وَحَزْبُكَ نَجْدَتِي
تَجَلَّ عَلَيهِم باسْمِ مُنْتَقِمٍ وخُذْ ... قُوَاهُم بِوَهْنٍ وابْتَدِرْهُم بِسَطْوَةِ
أَبِدْهُم شَدِيدَ الانْتِقامِ وَرُدَّهُم ... مَرَدّاً وَبِيلًا بَينَ خِزْيٍ وَلَعْنَةِ

العَفُوُّ جلَّ جلاله

إلهي عَظيمَ العَفوِ أوْقَرتُ مَأثَماً ... وَعَفْوُكَ يَمْحُو يا عَفوُّ جَرِيرَتي
إلهي عَمِلتُ السُّوءَ وانْقَدْتُ للهَوى ... وبَاعَدَ ما بَينِي وبَينَكَ زَلَّتي
ولكنْ إذا قَارَنْتُ عِظْمَ خَطِيئَتِي ... بعَفْوِكَ لم تَعْدِلْ بِمِثقالِ ذرَّةِ
ولو أنَّ حَشْوَ الكَونِ وِزْراً حَمَلْتُهُ ... لكانَ بِبَحْرِ العَفْوِ أحْقَرُ نُقْطَةِ
إلهي فَتَحْتَ البابَ للعَفْوِ فانْتَهتْ ... إليهِ نِهاياتُ العُصَاةِ وَآبَتِ
لقَدْ ضَاقَ بي مِنْ عِظْمِ زَلّاتِيَ الفَضَا ... وحَقَّتْ إذا لم تَعْفُ عَنِّيَ شَقْوَتي
وعَفْوُكَ عَنِّي يا عَفوُّ كَرَامَةٌ ... ومَنٌّ ولا اسْتِحْقاقَ لِي في الكَرَامَةِ
لَئِنْ نِلْتُ مِنكَ العَفْوَ مِنْ بَعدِ تَوْبَةٍ ... فأنتَ بفضْلٍ مِنكَ يَسَّرْتَ تَوْبَتي
وَهَبْ أنني وَفَّيتُ ما أنتَ آمِرٌ ... بِهِ حَسْبَ إمْكَانِي وَغَايَةِ قُوَّتِي
فذلكَ إمْكانٌ بِهِ أنتَ مُسْعِفِي ... وإلّا فما أمْرِي وشَأني وقُدْرَتي
ففي كُلِّ حَالٍ يا عَفوُّ عِنَايَةٌ ... ولُطْفٌ بهذا العَبدِ في كُلِّ خَلَّةِ

الرَّؤوف جلَّ جلاله

إلهي تَعَطَّفْ يا رَؤُوفُ بمَوْقِفي ... وَمَنظَرُكَ الأعْلى مَقامِي وَوَقْفَتِي
إلهيَ يا مَنْ لا يُجَاوِزُهُ الرَّجَا ... ولا تَستَعِدَّاهُ ظُنُونُ الخَلِيقَةِ

إلـهـيَ يـا مَـنْ لا يَـضِـيـعُ مُـلِظُّـهُ[1] ... ويا مُنتَهى خَوفي وَغَايَةَ وَحْشَتِي
تَـدَاوَلُنِي[2] أَيْـدِي الـذنـوبِ وَقَـادَنِي ... زِمَامُ الـخَطايا في مَجَاهِلِ ضَلَّتِي
قَدْ اسْتَحْوَذ الشيطانُ رَبٌّ عَلَيَّ في ... مُناصَبَتي إيَّاهُ مْنْ سُوءِ خِيرَتي
فَقصَّرْتُ تَفريطاً عَنِ الأمرِ مُطْلَقاً ... وَقَارَفْتُ تَغْرِيراً لنَهْيِ الشَّرِيعَةِ
كَـمُـنـكِـرِ إحْـسَـانٍ وآمِـنِ أَخْـذَةٍ ... ومُـهْـمِـلِ إيْـعَـادٍ وجَـاهِـلِ قُـدْرَةِ
رَأَيْتُ بِفَتْحِ الجَفْنِ عَنْ بَصَرِ الهُدى ... فَظَاعَةَ عِصْياني وكُبْرَ جَرِيمَتي
فَـأَقْـبَـلْتُ بـالآمـالِ مُـسْـتَـحْـيِـياً إلى ... فِـنـائِكَ تَـخْـتَ الـرَّأفَـةِ الأزلِيَّـةِ
خَـلَا طَـمَـعِـي إلّا مِـنَ اللهِ وَحْـدَهُ ... وَأَفْـرَخَ إلّا مِـنْـهُ رَوْعِـي وَرَوْعَـتِـي
أَبُـثُّـكَ مِـنْ سِـرّي ضَـمِـيـراً عَـلِمْـتَـهُ ... خَشُوعاً فآمِنْ يا رَؤوفُ مَخَافَتِي

مالك المُلك جلَّ جلاله

ويا مَالِكَ الـمُـلْكِ الـجَـلِـيـلَ اقْـتِـدَارُهُ ... لَهُ فـي بَـرَايَـاهُ نُـفُـوذُ الـمَـشِـيـئَـةِ
ويـا مَـالِكَ الـمُـلكِ الـغَـنِـيَّ وَمَـنْ لَهُ ... يَدُ السَّلبِ والإيجَابِ مِنْ غَيرِ ظَهْرَةِ[3]
ويـا مَـالِكَ الـمُـلكِ الـعَـزيـزَ ومَـنْ لَهُ ... كَـمَـالُ الـتَّـوَلِّي وافْـتِـقَـارُ الـخَـلِـيـقَـةِ
ويـا مَـالِكَ الـمُـلكِ الـمُـبِـرَّ عِـبـادَهُ ... بِـقِـسْـمَـةِ عَـدْلٍ بـيـن كَـثْـرٍ وقِـلَّةِ
ويـا مَـالِكَ الـمُـلكِ الـذي بِـيَـمِـيـنِـهِ ... مَـفـاتِـيحُ لـلأشْـيَـا انْـتَـهَـتْ واسْـتَـقَـرَّتِ
بِحَولِكَ تُؤْتِ المُلكَ يا رَبِّ مَنْ تَشأ ... وَتَـنْـزِعُـهُ مِـمَّـنْ تَـشـاءُ لِحِـكْـمَـةِ
وأنـتَ مُـعِـزٌّ مِـنْ تَـشـا ومُـذِلُّ مَـنْ ... تَـشـاءُ بِـتَـصْـرِيـفِ اقْـتِـضَـاءِ الأُلُوهَـةِ
لَكَ المُلكُ لم يُنْقِصْ خَزَائِنَكَ العَطَا ... لَكَ الحَمدُ لم تَسْأَمْ بِعُظْمِ العَطِيَّةِ
وفـي يَـدِكَ الـخَـيـرُ الـذي أنـتَ أهْـلُـهُ ... وخَـيـرُكَ رَبِّـي عِـدَّتِـي عَـنـدَ شِـدَّتِـي

---

(١) المُلَظّ: المِلْحاح في دعاء الخالق.
(٢) أي: تَتَدَاوَلُني.
(٣) ظَهْرَة: مُعين.

إليكَ إلهي أَرْفَعُ الفَقرَ مُطْلَقاً ... فإنَّ افْتِقاري مُطْلَقٌ وَضَرُورَتِي
فما خَفِيتْ مِنْ سُوءِ حَالِيَ ذرَّةٌ ... عَليكَ ولا عَزَّتْكَ مَولايَ حَاجَتِي

ذو الجلال والإكرام جلَّ جلاله

ويا ذا الجَلالِ القائمَ الدَّائِمَ العُلا ... وذا البِرِّ والإكْرَامِ يا ذا العَطِيَّةِ
ويا ذا الجَلالِ الغَالِبَ البَاهِرَ السُّطَى ... وذا البِرِّ في إكْرَامِهِ لِلبَرِيَّةِ
ويا ذا الجَلالِ العَاصِمَ المَانِعَ الحِمَى ... وذا المَنِّ والإكْرَامِ قبلَ الوَسِيلَةِ
ويا ذا الجَلالِ القَاسِرَ[1] الخَلقَ حَوْلَهُ ... وذا البَسْطِ والإكْرَامِ والمَدَدِيَّةِ
ويا ذا الجَلالِ المُطْلَقَ الشأنِ والذي ... تَقدَّسَ في الإكْرَامِ عَنْ غَرَضِيَّةِ
ويا ذا الجَلالِ الكَائِنَ[2] الخَلقِ أمرُهُ ... بِقَهْرٍ وإكْرَامٍ وعَدلٍ ومِنَّةِ
جَلالُكَ سُلطاني وعِزِّي ومَنْعَتي ... وإكْرَامُكَ المَمْدُودُ مَفْزَعُ عُسْرَتي
جَلالُكَ مَجْدِي يا جَليلُ وعِصْمَتي ... وإكْرَامُكَ الفَيَّاضُ مَوئِلُ شَقْوَتي
جَلالُكَ ذُو نَصْرِي وَقَدْ عَزَّ ناصِري ... وإكْرَامُكَ الفَتاحُ مُسْبِغُ نِعْمَتي
أَلَظَّ افْتِقاري ذا الجَلالِ وَذِلَّتِي ... وَبِاسْمِكَ ذا الإكْرَامِ فارْحَمْ مَلَظَّتِي
وَعَزِّزْ جَلالي ذا الجَلالِ على العِدَى ... فَعِنْدَكَ ذا الإكْرامِ إكْرَامُ وَقْفَتِي

المُقْسِط جلَّ جلاله

وَيَا قَائِماً بالقِسْطِ يا مُقسِطَ القَضَا ... ويا عَادِلًا في الحُكْمِ أقسِطْ شَكِيَّتِي
أُنادِيكَ مَظلوماً بأحْكَامِ مُقسِطٍ ... وَطُغْيَانِ ظَلّامٍ طَغَى في البَرِيَّةِ
تَعَادَتْ عَلَى ضَعْفِي قُوَاهُم فأثْخَنَتْ ... ومِنكَ وأنتَ المُقسِطُ العَدلُ نُصْرَتي

---

(١) القاسِر: القاهر المُسيطِر.

(٢) الكائِف: الساتِر، المُحيط، الضّام ـ يُقال: فلانٌ مخذولٌ لا تكْتُفُهُ من الله كَائِفَة.

وإنّي، وأنتَ المُقسِطُ العَدلُ، مُوقِنٌ ... بِغيرَتِكَ اللهُمَّ مِنْ دُونِ غيرَتِي
ولكنَّ صَبرَ العَبدِ دُونَ بَلائِهِ ... وفي قِسطِكَ اللهُمَّ فَضلُ القَضِيَّةِ
وَأينَ تَعالِيهِم وَأنتَ مُبِيرُهُمْ[1] ... وَقاصِمُهُم قِسطاً وَلَو بَعدَ مُهلَةِ
وإهلاكُكَ الأعداءَ مَقتٌ يَلُفُّهُم ... إلى نَقمَةٍ مَوعُودَةٍ مُقسِطِيَّةِ[2]
مَحالُ نَكِيرِ القِسطِ فَوقَ مَحالِهِم ... وَعَدلُكَ مَكتوبٌ على كُلِّ ذرَّةِ
وَعَدلُكَ قَدْ قامَتْ بِهِ الأرضُ والسَّما ... وَغَيرُهُما مِنْ كائِناتِ الخَلِيقةِ
وحَسبي بِقِسطِ اللهِ بيني وبَينَهُم ... وذلكَ حُكمٌ لا يُرَدُّ بِعِلَّةِ
فيا قائماً بالقِسطِ يا مُقسِطُ انْتَصِفْ ... بِعَدلِكَ مِنهُم واكْفِنِيهِمْ بِقَضمَةِ

الجامع جلَّ جلاله

ويا جامِعَ الأجزاءِ تأليفَ مُتقِنٍ ... وَحِكمَةَ مُختارٍ لِفِعلِ الطَّبيعَةِ
ويا جامعَ الأجزاءِ بعد فَنائِها ... مُعيداً لها عِندَ انْتِشارِ الخَليقةِ
ويا جامعَ الأجسادِ بَعدَ انْفِصالِها ... وأزواجِها عَوداً لِمُبتَدَئِيَّةِ
ويا جامعَ الأضدادِ جَمعاً مُوَفَّقاً ... ويا جامعَ الأمثالِ بعد تَشَتُّتِي
ويا جامعَ الألبابِ جَمعَ تَوادُدٍ ... لِيَلْطُفَ بالتَّأليفِ بَينَ الأحِبَّةِ
ويا جامعَ الألبابِ مِنْ أوْلِيائِهِ ... لِتَشْهَدَ مِنهُ مَشهَدَ العِظَمِيَّةِ
ويا جامعَ المَظْلُومِ والظَّالِمِينَ في ... مَقامِ الجَزا والفَصلِ يَومَ القِيامَةِ
إلهي أكْرِمْنِي بِجَمعِ الشَّريعَةِ ... وَجَمعِ طَريقِ اللهِ عند الحَقيقةِ
إلهي بِسِرِّ الجامِعِ اجْمَعْ ليَ الغِنى ... عنِ الخَلقِ في نَفسِي وفي وَاجِدِيَّتِي
وَهَبْ لي غِنًى مَوْلايَ بِالحَقِّ جامِعاً ... ليَ الخَيرَ في الدَّارَيْنِ واجْمَعْ تَشَتُّتِي
ويا جامِعَ الخَيراتِ كَيفَ أرَادَها ... لِمَنْ شاءهُ اجْمَعْ لِي جَوامِعَ خِيرَتِي

---

(١) مُبِيرُهُمْ: مُهلِكُهُم.
(٢) مُقسِطِيَّة: عادِلَة.

الغنيُّ جلَّ جلاله

وُجُوبُ الغِنَى حَقُّ الغَنِيِّ لِذاتِهِ ... تَقَدَّسَ عَنْ نَقْصٍ وَعَنْ عَارِضِيَّةِ
غِناكَ قَدِيمٌ في الصِّفاتِ وذَاتِكَ الـ ... ـجَلِيلِ وفي أفْعَالِكَ القُدْسِيَّةِ
غَنِيٌّ غِناهُ مُطْلَقٌ وَاجِبُ البَقا ... وَكُلُّ وُجُودِ الفَقْرِ لِلْحَدَثِيَّةِ
غَنِيٌّ غِنَاهُ لا يَحُولُ بِمَانِعٍ ... وما فَوْقَهُ مُغْنٍ ولا تَحْتَ عِلَّةِ
غنيٌّ تَجَلَّى بِالغِنَى في شُؤُونِهِ ... غِنَاءً حَقِيقياً عَنِ المُمْكِنِيَّةِ
غَنِيٌّ غِناهُ لا يُساوى بِمِثْلِهِ ... ولا يَتَخَطَّاهُ افْتِقارُ الخَلِيقةِ
غنيٌّ غِناهُ لا يَبِيدُ بِمُنْتَهًى ... ولم يَتَعَلَّقْ عَزَّ شَأناً بِنِسْبَةِ
إلهي غَنِيَّ الأغْنِياءِ مُمِدَّهُم ... مَلِكْتَ افْتِقاري يَا مَليكُ وَغُنْيَتي
أفِضْ لِي غَنِيَّ الأغْنِياءِ غِنَايَةً ... بِفَضْلِكَ يا ذا الرَّحْمَةِ الأوْسَعِيَّةِ
إلهي غَناءُ العبدِ بالحَقِّ لا سِوَى ... هنا انْتَصَبَتْ بِالفَقْرِ أيْدِي البَرِيَّةِ
وإغْنَاؤُكَ الفَاقاتِ لَيسَ يُحِيلُها ... إلى مَرْكَزٍ عَنْ فَقْرِهَا بِالضَّرُورَةِ

المُغْني جلَّ جلاله

إلهيَ عَرْضِي لافْتِقارِي وَفَاقَتِي ... إلى رَحْمَةِ المُغْنِي الكَرِيمِ ذَرِيعَتِي
بعَينِكَ يا مُغْنِي الفقيرِ ضَرَاعَتي ... وفَقْرِي وإعْدَامِي وقِلَّةُ حِيلَتي
بفَضْلِكَ يا مُغنِي الفَقيرِ فَتَحْتَ لي ... دُعَاءَكَ فافْتَحْ لي كُنوزَ الإجَابَةِ
إلهي جَعلتَ الكَائناتِ فَقِيرَةً ... إليكَ ضِعافاً في عِقالِ المَشِيئةِ
فمَنْ لي بِإغْنَائِي سِواكَ وكُلُّ ما ... سِواكَ فَقيرٌ لا يَقومُ بِخَلَّتِي
وَشِدَّةُ ضُرِّي في قَضائِكَ دَعْوَةٌ ... ولَوْ لَمْ تَقُمْ بِالقَوْلِ مَولايَ دَعْوَتي
إلهي قَدِيمُ البِرِّ والذِّكْرِ مِنكَ لي ... وتَرْبِيَتِي في كُلِّ طَوْرٍ بِنِعْمَةِ
وَتَيْسِيرُكَ الأسْبابَ لي مِنْ وُجُوهِها ... وإغْناؤكَ اللهُمَّ لي فَوقَ مُنْيَتي
وهذا امْتِنانٌ مِنكَ لم أحْتَسِبْ لَهُ ... بِأُمْنِيَةٍ تَعْدُوكَ رَبِّ وَنِيَّةِ

وأنتَ الذي تُغْنِي وتُقْنِي بمِنَّةِ[1] عَلَى غَيرِ ما اسْتِحْقاقِ عَبدٍ لِذرَّةِ
حَنانَيْكَ يا مُغْنِي ابْسُطِ العِزَّ والغِنَى بفَضْلِكَ لي لا تَبْتَذِلْنِي لِفِطْرَةِ

المانع جلَّ جلاله

ويا مَانِعَ الأشْواءِ عَنْ أوْلِيَائِهِ وأعْدَائِهِ حَسْبَ اخْتِصَاصِ المَشِيئةِ
ويا مَانِعَ الإعْطَاءِ يا مُعْطِيَ العَطَا لأمْرِكَ حَقُّ المَنْعِ مِثْلُ العَطِيَّةِ
ويا مَانِعَ الأشياءِ حِفْظاً مُهَيْمِناً لأسْبابِ حُكْمِ الحِفْظِ والمَانِعيَّةِ
مَنَعْتَ قُلُوبَ المُتَّقِينَ مِنَ الهَوَى وذاكَ عَطَاءٌ سَيِّدي في الحَقيقةِ
ومَنْعُكَ للكُفَّارِ عَنْ مَنْهَجِ الهُدى تَبارَكْتَ مِنْ أسْرَارِكَ القَدَرِيَّةِ
لِتُظْهِرَ حُكْمَ العَدْلِ والقَهْرِ، ما هُنا مِنَ الظُّلْمِ يا ذا العَدْلِ مِثقالُ ذرَّةِ
وَمَنْعُكَ عَنِّي بَعضَ ما أنا طَالِبٌ تَيقَّنْتُ أنَّ المَنعَ فِيهِ لِخِيرَتي
وَمَنعُكَ لي عَنْ بَعضِ ما هُو ضَائِرِي عِنايَةُ خَيرٍ بي وَمَحْضُ مَوَدَّةِ
لكَ الحَمدُ لا أحْصِي ثَنَاءً عَليكَ في حُقوقكَ إنَّ العَجْزَ والحَصْرَ قُوَّتِي
بِسُلْطَانِكَ امْنَعْنِي إلهي مِنَ البَلا ءِ في الدينِ والدنيا ويوم القِيامَةِ
وَرُدَّ العِدَى عَنِّي بما شِئتَ إنَّنِي أحَاطَتْ بِيَ الأعْدَاءُ مِنْ كُلِّ وِجْهَةِ

الضَّار جلَّ جلاله

ويا ضَارُّ حَالَ النَّفعُ عَمَّنْ أرَدْتَهُ بِضُرٍّ وكَشْفُ الضُّرِّ مُلْكُ الأُلُوهَةِ
تَضُرُّ فلا يَعْلُو عَليكَ مُغَيِّرٌ ولا يَتَّقِي المَضْرُورُ عَنكَ بِمَنْعَةِ
تَضُرُّ جَزاءً وابْتِلاءً كما تَشا وذلكَ عَدلٌ سَابِقٌ في القَضِيَّةِ

---

(١) تُقني: تُمكِّنُ من الإقتناء.

وما لِسُؤالِ العَبدِ مِنْ فِعْلِ رَبِّهِ ... مُحالٌ ولكِنْ كِلْمَةُ اللهِ حَقَّتِ
وليسَ وُجُودُ الضُّرِّ مِنا لِقُدْرَةٍ ... مُجَرَّدَةٍ لِلذاتِ عَنْ سَبْقِ قُدْرَةِ
تَبَرَّأْتُ مِنْ طَوْلٍ وَحَوْلٍ وَقُوَّةٍ ... سِوى اللهِ في نَفْعٍ وأيِّ مَضَرَّةِ
بِكَ الضُّرُّ مِنكَ النفعُ والحِكْمَةُ اقْتَضَتْ ... حُدُوثَ القضَايا في القُوَى السَّبَبِيَّةِ
وما لِقُوى الأسْبَابِ فِعْلٌ لِذَاتِها ... ولكِنَّها آثارُ فِعْلٍ وَقُوةِ
إلهي قد اسْتَسلَمْتُ للحُكْمِ رَاضِياً ... قَضَاءَكَ مُلْتاذاً بِرُكْنِ المَشِيئةِ
كَشَفْتُ بِكَ الضُّرَّ الذي مَسَّنِي بِمَا ... تَيَقَّنْتُ أنَّ اللهَ كَاشِفُ كُرْبَتي
وَخُذْ بِعَظيمِ الضُّرِّ نَفساً جَرِيئةً ... على اللهِ رَجْعَ الطَّرْفِ أعْظَمَ أخْذَةِ

النافع جلَّ جلاله

ويا نَافِعُ انْفَعْنِي بِحُبِّكَ خَالِصاً ... بِحُبِّكَ لي يا مَنْ أحَبَّ مَحَبَّتِي[1]
ويا نَافعُ انفعني بِتحْقيقِ تَوْبَتي ... وتَثْبيتِهَا يا رَبِّ عَنْ كُلِّ زَلَّةِ
ويا نَافعُ انفعني بِنُورِكَ إنني ... إذا لم تُنَوِّرْنِي هَلَكْتُ بِظُلْمَتي
ويا نَافعُ انفعني بِتقْدِيسِ بَاطِني ... وتَزْكِيَتي مِنْ آفةِ البَشَرِيَّةِ
ويا نَافعُ انفعني بِعِرْفانِ خَالِقي ... وإحْيَاءِ سِرِّي واتِّقادِ بَصِيرَتي
ويا نَافعُ انفعني بأسْمَائِكَ التي ... بها ظَهَرَتْ رَبِّي صِفاتُ الأُلوهَةِ
ويا نَافعُ انفعني بأوْصَافِكَ التي ... تَقاصَرَ عَنهَا مُدْرِكُ الوَاصِفِيَّةِ
ويا نَافعُ انفعني بِوَحْيِكَ إنَّهُ ... شِفاءٌ، هُدًى، نُورٌ، جَلالٌ لِكُرْبَتي
ويا نَافعُ انفعني بِنُورِ مُحَمَّدٍ ... وبَارِكْنِي اللهُمَّ بالتَّبَعِيَّةِ
ويا نَافعُ انْفَعْنِي بأذْكَارِكَ التي ... صَرَفْتُ لَهَا حُباً لِوَجْهِكَ خِدْمَتي
ويا نَافعُ انفعني بِخَوْفِكَ والرَّجَا ... وبالعَدْلِ والإحْسَانِ في كُلِّ خِطْلَةِ

---

(١) في نسخة أخرى ورد الشطر الثاني، هكذا: بِحُبِّكَ لي يا مَن هَواهُ فَريضَتي.

النور جلَّ جلاله

ويا نُورُ نُورَ النُّورِ يَهْدِي لِنُورِهِ ... بِأَنْوَارِ اسْمِ النُّورِ ذا السَّابِقِيَّةِ[1]

ويا نُورُ وَصْفاً منك بالذاتِ لائقاً ... تَقَدَّسْتَ عَنْ جِسْمٍ وعَنْ عَرَضِيَّةِ

ويا نُورُ بالعَدْلِ الذي لَكَ مُشْرِقاً ... على صَفحَةِ التكْوِينِ في كُلِّ ذرَّةِ

ويا نُورُ مِنْ حَيثُ الظُّهُورِ الذي بَدَا ... بِمُنْفَعِلِ التَّأْثيرِ والفَاعِلِيَّةِ

ويا نُورُ مِنْ حَيثُ الظُّهُورُ لِغَيْرِهِ ... بإخْرَاجِهِ مِنْ عَالَمِ العَدَمِيَّةِ

ويا نُورُ مُلْقِي النُّورِ في كُلِّ نيِّرٍ ... وَمَشْرِقِ أضْواءِ القُلُوبِ المُضِيئةِ

ويا نُورُ رُوحُ الأمرِ مِنْ حَيثُ أمْرُهُ ... وإصْدَارُهُ بالأمْرِ عَنْ عَيْنِ قُدْرَةِ

ويا نُورُ رُوحُ القُدْسِ مِنْ حَيثُ نَفْثُهُ ... وإلهَامُهُ للرَّوْعِ نُورُ الحَقيقَةِ

ويا نُورُ جِبْرَائِيلُ مِنْ حَيثُ وَحْيُهُ ... على ظَاهِرِ الأَلْبَابِ ظَهْرُ الشَّرِيعَةِ

بِنُورِكَ نَوِّرْنِي وَهَبْ لي مَرَاتِبَ الـ ... ـيَقِينِ وَمَزِّقْ حُجْبَ طَبْعِي وَظُلْمَتِي

بِنُورِكَ أَوْقِفْنِي عَلى جَنْبِ بَاطِنِي ... فَمَعْرِفَتِي إيَّاكَ عِرْفَانُ رُتْبَتِي

الهادي جلَّ جلاله

ويا هَادِياً مَنْ شَاءَهُ مِنْ عِبَادِهِ ... لِعِرْفَانِهِ بالذاتِ لا بِوَسِيطَةِ

ويا هَادِياً مَنْ شَاءَهُ مِنْ عِبَادِهِ ... إلى ذاتِهِ سُبْحَانَهُ بالخَلِيقَةِ

ويا هَادِيَ الأحْيَاءِ لُطْفاً ومِنَّةً ... إلى جَلْبِهَا نَفْعاً وَدَفْعَ مَضَرَّةِ

ويا هَادِياً بالوَحْيِ للخَلْقِ حُجَّةً ... لِئَلَّا يَكُونَ الأَخْذُ إلّا بِحُجَّةِ

ويا مَنْ هَدَى النَّجْدَيْنِ كُلَّ مُكَلَّفٍ ... تَمَامَ الهُدَى فَضْلًا بِنَصْبِ الأدِلَّةِ

---

(١) **ملحوظة**: تَرِدُ في هذا البيت، لا سيما في الشَّطرِ الأول مُفردة (نور) مُتتالِيةً، دونَ فاصِلٍ، بحَرَكاتِ إعرابها الثلاث: نورُ/ نورَ/ نورِ، وهي واحدة من الخصائص الأسلوبية التي تتفرَّدُ وتمتاز بها الجُملَة الشعرية لدى أبي مُسْلِم.

ويا هَادِيَ الألبَابِ مِنْ حَيثُ أَنَّهُ ... تَكَرَّمَ هَادِيهَا بِخَلْقِ الهِدَايَةِ
ويا مَنْ هَدَى لِلقُرْبِ عَارِفَهُ وَمَنْ ... هَدَى لِنَصُوحِ التَّوْبِ أَهْلَ الخَطِيئَةِ
ويا مَنْ هَدَى قَلْبَ المُرِيدِ بِصِدْقِهِ ... مَعَ الحَقِّ حَتى لَاتَ أَخْقَرُ لَفْتَةِ
ويا هَادِياً مِنْ حَيثُ قَدَّمَ أَهْلَهُ ... إلى الرُّتَبِ العَلْيَاءِ والسَّابِقِيَّةِ
هَدَاكَ الهُدَى يا هَادِيَ الرُّشْدِ فاهْدِني ... إلى مُوجِبِ الرِّضْوانِ مِنْ كُلِّ قُرْبَةِ[1]
وَهَبْ لِيَ حَظاً مِنْ هُدًى يُهْتَدَى بِهِ ... إليكَ وَيَهْدِي الخَلْقَ لِي بِالمَوَدَّةِ

البديع جلَّ جلاله

إلهِي البَدِيعَ المُسْتَحِيلَ مِثالُهُ ... بذاتٍ وأوْصَافٍ وفي المُبْدِعِيَّةِ
إلهي البَدِيعَ المُبدِعَ الصُّنْعَ كُلَّهُ ... عَجَائِبُ لَمْ يُسْبَقْ إليها بِصَنْعَةِ
إلهي بَدِيعَ الكَائِناتِ ابْتَدَعْتَها ... ولم تَبْغِ في إنْشَائِها مِنْ مَعُونَةِ
إلهِيَ ما أبْرَزْتَهُ مِنْ غَرَائِبٍ ... شُهودٌ على الإبْداعِ في كُلِّ ذرَّةِ
شُهودٌ على الإبْداعِ مِنْ غَيرِ شِرْكَةٍ ... شُهودٌ على إبْداعِ سَابِقِ وَحْدَةِ
إلهي ابْتَدَعْتَ المُبْدَعَاتِ عَجَائِباً ... لِيَظْهَرَ فيها وَاجِبُ الأَحَدِيَّةِ
بَدِيعَ السَّما والأرْضِ أبْدَعْتَ عَالَمِي ... كَمَا شِئْتَ مِنْ أَطْوَارِهِ البَشَرِيَّةِ
وألْهَمْتَنِي الوجْدَانَ والذِّكْرَ حِكْمَةً ... أسُوسُ بها في مَرْكَزِ العَجْزِ فِطْرَتي
وَمَا ذاكَ مِنْ حَوْلِي وَإدْرَاكِ طَاقَتِي ... ولكِنَّهُ إبْداعُ حَوْلِ الأُلُوهَةِ
وهَا قَدْ أحَاطَتْ بي وَأنْتَ مُحِيطُها ... بَدَائِعُ مَكْرُوهٍ عَلَتْ فَوقَ قُدْرَتي
تَفَسَّحَ عَنْ تَحْوِيلِهِنَّ تَمَحُّلي[2] ... فأبْدِعْ خَلاصِي يا بَدِيعَ العَجِيبَةِ

---

(١) قُرْبَة: دُنُوّ.

(٢) تَمَحُّلي: قِلّة ما باليد ـ والمَحْلُ قلّةُ الأمطار، ومِنها: «فَلَجٌ مَاحِل» في الدّارج العُماني.

الباقي جلَّ جلاله

تَعَالَيْتَ يا بَاقِي بِلا أَمَدِيَّةٍ ... كَمَا كُنتَ قَبْلَ القَبْلِ في الأَزَلِيَّةِ
وُجُودُكَ رَبِّي وَاجِبٌ لا لِمُنْتَهىً ... يُقَدَّرُ بِالأَزْمَانِ والعَدَدِيَّةِ
بَقَاؤُكَ يا بَاقِي بَقَاءٌ لِذاتِهِ ... وَكُلُّ بَقَاءٍ تَحْتَهُ تَحْتَ غَايَةِ
وبالحَقِّ يُفنِي الخَلْقَ والحَقُّ قَائِمٌ ... تَعَالَى بِلا إِبْقَاءِ شَيءٍ مُثَبَّتِ
وَتَنْصَرِمُ الآبَادُ[1] والحَقُّ ثَابِتٌ ... كَمَا كَانَ قَبْلَ القَبْلِ لا لِنِهَايَةِ
وَمَنْ قَدَّرَ الآبَادَ كَانَ بَقَاؤُهُ ... لِغَايَتِهَا مِنْ حَالَةٍ مُسْتَحِيلَةِ
وما الأَبَدُ الفَانِي وَمَا هُوَ دَائِرٌ ... عَلَيهِ سِوى آثَارِ بَاقِي الأُلُوهَةِ
بَقَاءٌ قَدِيمٌ لا يُجَدِّدُهُ بَقَا ... ولا تَقتَضِّاهُ قَضَايَا الخَلِيقَةِ
بَقَاءٌ قَدِيمٌ يَهْلَكُ الكُلُّ قَبْلَهُ ... وَيَبْقَى بِلا شَرْطٍ ولا مَتَوِيَّةِ
بِسِرِّ البَقَاءِ المُسْتَمِرِّ لِذاتِهِ ... تَدَارَكْ إِلهِي كَشْفَ ضُرِّي وَمِحْنَتي
أَنا عَبْدُكَ الفَانِي القَلِيلِ بَقَاؤُهُ ... تَولَّ حَيَاتِي مَا بَقِيتُ بِنَظْرَةِ

الوارث جلَّ جلاله

إِلهِيَ أَنتَ الوَارِثُ المُلْكَ مُطْلَقاً ... بِكَوْنِكَ تَبقَى بَعدَ كُلِّ الخَلِيقَةِ
عَلى أَنَّهُ لَم تَنْتَقِلْ عَنكَ ذَرَّةٌ ... مِن المُلْكِ فِي الآزَالِ والأَبَدِيَّةِ
وَعَبْدُكَ والمُلْكُ الذي أَنتَ مُنعِمٌ ... عَلَيهِ بِهِ فِي القَبْضَةِ المَالِكِيَّةِ
لَكَ المِلْكُ والمُلْكُ المُدَبَّرُ أَمْرُهُ ... بِغَيرِ اعْتِبَارٍ لانْتِقَالِ إِرَاثَةِ
وَكَونُكَ خَيرُ الوَارِثِينَ دَلالَةُ الـ ... ـبَقَاءِ وأَنْ لا حَدَّ لِلصَّمَدِيَّةِ

---

(١) **ملحوظة**: الآباد: الدُّهُور؛ والبيتُ تأكيدٌ على ما يُكَرِّرُهُ الشاعِرُ في أذكارِه حولَ ديمومة الخالق وانحسار الأزمان وبزوغها من جديد في دورات الوُجود والعَدَم، إذ تنصَرِمُ الدُّهورُ والخالق راسخٌ كما كانَ قَبلَ القَبلِ إلى ما لانهاية ـ؛ وعليهِ [البيت التالي] فإنَّهُ باقٍ مُتعالٍ على الآباد التي قَدَّرتها قُدرَتُه؛ وهي بكُلِّ ما هو دائرٌ عليها فانية، لأنها مُجرَّد أثرٍ من آثار باقي الألوهَة.

وَقَوْلُكَ: «نَحْنُ الوَارِثُونَ» جَلالَةٌ ... تَجِلُّ عَنِ الإِعْوَازِ والمُمْكِنِيَّةِ
وَإِيرَاثُكَ المَخْلُوقَ لِلمُلْكِ نِعْمَةٌ ... عَلَى أَنَّهُ مَا حَالَ عَنكَ بِلَحْظَةِ
وما المِلْكُ لِلمَخْلُوقِ إلّا إضَافَةٌ ... مَجَازِيَّةٌ في القَبْضَةِ السَّرْمَدِيَّةِ
وَمُلْكٌ وَمِلْكُ المَالِكِينَ مَصِيرُهُ ... إليكَ، وَهُم لم يَمْلُكُوا قَدْرَ نَمْلَةِ
فلم يَبْقَ لِلدَّعْوى بِوَجْهٍ تَعَلُّقٍ ... بِمُلْكِكَ، خَابَتْ كُلُّ دَعْوَى وَضَلَّتِ
فيَا وَارِثُ أَوْرِثْنِيَ العِلْمَ وَالصَّفا ... وَحِلْيَةَ أَهْلِ العِلْمِ أَهْلِ الحَقِيقَةِ

الرشيد جلَّ جلاله

إلهِي الرَّشِيدَ الوَاهِبَ الرُّشْدَ لِلنُّهَى ... وَلَوْلاكَ لَم تَرْشُدْ ولَم تَتَثَبَّتِ
إلهيَ تَدبيراتُ ذاتِكَ سُقتَها ... بلا مُرْشِدٍ لِلغَايَةِ الأَرْشَدِيَّةِ
إلهيَ ما في قُدْسِ فِعْلِكَ ذَرَّةٌ ... تَعُودُ إلى البُطْلانِ والعَبَثِيَّةِ
إلهيَ بالإرْشادِ أَسْعَدْتَ مَنْ تَشا ... وأَشْقَيْتَ بالإبْعَادِ وِفْقَ المَشِيئَةِ
إلهيَ ما دَبَّرْتَ أَمْرَكَ سَاهِياً ... ولا لَهْوَ في تَقديرِ أَيَّةِ صَنعَةِ
تَعَالَيتَ في ذاتٍ وفي صِفَةٍ وفي ... كَمَالِكَ والأَفْعَالِ عَنْ ذي نَقِيصَةِ
إلهيَ أَرْشِدْني بِرُشْدِكَ واهْدِني ... لما فيهِ إسْعادِي ومَحْوُ شَقاوَتِي
إلهيَ أَرْشِدْني لِحُبِّكَ إنهُ ... بِرُشْدِكَ لِلأَحْبابِ نَيْلُ المَحَبَّةِ
إلهيَ أَرْشِدْني لِكَشْفِ حَقيقَتي ... فَمَعْرِفتي بالله كَشْفُ حَقِيقَتي
إلهيَ أَرْشِدْني المَرَاشِدَ كُلَّها ... لأمرِ مَعَادِي أو لأمرِ مَعِيشَتِي
إلهيَ مَنْ تُرْشِدْهُ يَرْشَدْ وَمَنْ غَوَى ... فَفي عِلْمِكَ اللهُمَّ سِرُّ الغِوَايَةِ

الصبور جلَّ جلاله

تَأَنَّيتَ حِلْماً يا صَبُورُ وإنَّمَا ... إلى أَجَلٍ تَأْخِيرُ عَدْلِ العُقُوبَةِ

تـأنَّـيـتَ فـي أخْـذِ الـعُـصَـاةِ تَـلَـطُّـفـاً ... وَرِفْـقـاً ولـم تَـأخُـذْ عَـصِـيـاً بـعَـجْـلَةِ

وَبَـوَّأْتَـهُـم فَـوقَ الـتَّـأنِّـي مُـبَـوَّءاً ... مِنَ الخَيرِ في الدنيا بِرغْمِ الخَطِيئةِ

كـأنَّ خَـطَـايَـاهُـمْ وَسَـائِلُ لـلرِّضَـا ... تَـعَـالَيْـتَ هـذا غَـايَـةُ الـكَـرَمِـيَّـةِ

وأنـتَ تَـرَى إسْـرَارَهُـم وجِـهَـارَهُـم ... بِعِصْيَانِكَ اللهُمَّ مِنْ دُونِ خَشْيَةِ

تَـعَـاليـتَ هـذا الـصَّـبـرُ صَـبـرُ آنَـاءةٍ ... يَـلـيـقُ بِـشَـأنِ الـرُّتْـبَـةِ الـصَّـمَـدِيَّـةِ

تَـعـاليـتَ لـم تَـحْـمِـلْكَ عَـجْـلَةُ مُـسْـرِعٍ ... إلى الفِعْلِ مِنْ قَبلِ الأوَانِ المُوَقَّتِ

بَلِ الأمْرُ مَعْلُومُ المَقادِيرِ قَدْ جَرَى ... عـلـى سُـنَـنٍ مَـحْـدُودَةٍ لـلإرَادَةِ

فَـتَـأخِـيـرُ مـا أخَّـرْتَ حِـلْمٌ مُـؤَجَّـلٌ ... وَتَـقـدِيـمُ مـا قَـدَّمْـتَ لَيـسَ بِـعَـجْـلَةِ

لِتُـودِعَ مَـا تَـقـضِـي بِـهِ فـي أوَانِـهِ ... عـلـى مـا تَـراهُ يَـنْـبَـغِـي لِلقَـضِـيَّـةِ

بِـغَـيـرِ مُـقـاسَـاةٍ لِدَاعٍ مُـضَـادِدٍ ... إرَادَتَـكَ الـعُـظْـمَـى ولا بِـمَـشَـقَّـةِ

الإله جلَّ جلاله

إلـهـيَ قَـدْ أسْـلَمْـتُ وَجْـهِـيَ شَـاهِـداً ... لِوَجْـهِـكَ إيـمـانـاً بِـعِـزِّ الألُوهَـةِ

إلـهـي شَـهِـيـدٌ بـالـذي أنـتَ شَـاهِـدٌ ... شَـهَـادَةُ أمْـلاكٍ وَذِي الـعَـالَمِـيَّـةِ

إلـهـي مِـنَ الآثـارِ لِلعَـيْـنِ شَـاهِـدٌ ... وَمِـنْ لازِمِ الـمَـوْجُـودِ لِلمُـوجِـدِيَّـةِ

إلـهـيَ سُـلْـطـانُ الألُوهَـةِ ظَـاهِـرٌ ... عـلـى وَلَهِ الـمَـأْلُوهِ[1] لـلرَّاجِـمِـيَّـةِ

إلـهـيَ سُـلـطـانُ الألُوهَـةِ آخِـذٌ ... بِـحَـجْـزَتِـهِ الـمَـألُوهَ فـي أسْـرِ ذِلَّةِ

إلـهـيَ إعْـظَـامِـي الألُوهَـةَ سَـابِـقٌ ... وسَـبـقِـيَ مَـسْـبُـوقٌ بِـسَـابِـقِ وَحْـدَةِ

إلـهـيَ ثَـبِّـتْـنِـي عَـلَـى مـا هَـدَيْـتَـنِـي ... وَخَـوِّلْـتَـنِـيـهِ مِـنْ تَـألُّهِ فِـطْـرَتِـي

إلـهـيَ مَـنْ يُـؤْلَهْ إلـيْـكَ كَـوَلْـهَـتِـي ... تَـدَارَكْـتَـهُ وَحْـيـاً بِـشَـأنِ الألُوهَـةِ

إلـهـيَ مِـنْ شَـأنِ الألُوهَـةِ رَحْـمَـةٌ ... وَحِـلْـمٌ وشَـأنٌ فَـوقَ إطْـرَاءِ مِـدْحَـتِـي

---

(١) المَألُوه: العَبْدُ المُؤَلَّه لمولاه.

إلـهـيَ مِـنْ شَـأنِ الأُلوهَـةِ أنْ تَـرَى ... لِوَجْهِكَ إخْبَاتِي وَوَهْلِي[1] وَخَشْيَتي
إلـهـيَ عِـزفـانـي بـأنْ لا إلَهَ لِي ... سِوَاكَ بِهِ أرْجُو خَلاصِي وَقُرْبَتي

المُحيط جلَّ جلاله

أَحَطْتَ بِخَطْبي يا مُحِيطُ وَمَا انْطَوَى ... عَلَيهِ عِدَائِي مِنْ حَبَائِلِ هَلْكَتِي
أَحَاطَتْ بِضَعْفي يا مُحِيطُ شَدَائِدٌ ... وَهَى جَلَدِي مِنْهَا وَجَلَّتْ رَزِيئَتي
وَمَا عَرْضُ حَالِي يا مُحِيطُ يَزِيدُ في ... إحَاطَةِ عِلمِ اللهِ مِثقَالَ ذرَّةِ
ولكِنْ دُعَائِي يا مُحِيطُ وَسِيطَةٌ ... أمَرْتَ بِها المُضْطَرَّ عِندَ البَلِيَّةِ
وما ليَ حَولٌ يا مُحِيطُ وإنَّني ... تَبَرَّأتُ مِنْ حَولِي لَدَيكَ وَقُوَّتي
وَحَولِيَ عَجْزِي يا مُحِيطُ وَذِلَّتي ... وَفَقْري وَسَفْحِي عَبْرَةً بَعدَ عَبْرَةِ
وَبَثِّي وَحُزْني يا مُحِيطُ وَكَبْوَتي ... على حَرِّ وَجْهِي وازْتِعَادِ فَرِيصَتِي
أحِطْنِي حَيَاتِي يا مُحِيطُ مِنَ البَلا ... ءِ في الدينِ والدنيا وَمِنْ شُؤمِ زَلَّتي
وَلِي نَفْسُ سُوءٍ يا مُحِيطُ جَهُولَةٌ ... تُجَهِّمُني الأخْطارَ غَيرُ زَكِيَّةِ
مَطِيَّةُ شَرٍّ يا مُحِيطُ مَقُودَةٌ ... إلى هَلْكِها مِنْ جَهْلِها بِأَزِمَّةِ
قِنِي شَرَّ جَهْلي يا مُحِيطُ وَزَكِّنِي ... بِأنْوَارِ سِرِّ اسْمِ المُحِيطِ الجَلِيَّةِ

القدير جلَّ جلاله

لِعَدْلِكَ أشْكُو يا قَدِيرُ مَظَالِماً ... عَجِزْتُ لَهَا مِنْ ظَالِمٍ فَاتَ قُدْرَتي
طَغَى وتَوَلَّى يا قَدِيرُ فَأكْثَرَ الـ ... ـفَسَادَ بِمَرْأَى القُدْرَةِ الأزَلِيَّةِ
تَشَامَخَ بَغْياً يا قَدِيرُ وَدُونَهُ ... مَصَارِعُ أهْلِ البَغْيِ غَيرُ بَطِيئَةِ

---

(١) وَهْلي: ضعفي.

وَأَخْلَدَ أمْناً يا قَدِيرُ وإنَّما ... على المَكْرِ والإمْهَالِ حَمْلُ القَضِيَّةِ
تَدَارَكْهُ قَضْماً يا قَدِيرُ فإنَّهُ ... تَصَاعَدَ عَنْ أطْوَارِهِ البَشَرِيَّةِ
وَمَزِّقْهُ لا تُمْهِلْهُ كُلَّ مُمَزَّقٍ ... وَعَاجِلْهُ وَخْياً يا قَدِيرُ بِنَقْمَةِ
وَخُذْهُ وَشَتِّتْ جَمْعَهُ يا قَدِيرُ لا ... تَدَعْ مِنهُمُ في الأرْضِ نَافِخَ ضَرْمَةِ[1]
وَأَنْزِلْ عَليهِم يا قَدِيرُ صَوَاعِقَ الـ ... ـنَّكِيرِ وبَوِّئْهُم بِأفْظَعِ بَهْلَةِ
وجَرِّدْ عليهم سَيفَ مَقْتِكَ يا قَدِيـ ... ـرُ مُخْتطِفاً أرْوَاحَهُم قِيدَ خَطْفَةِ
وألْبِ عَليهِم حِزْبَكَ الغالِبِينَ يا ... قَدِيرُ وَخَذِّلْهُم بِضَعْفٍ وذِلَّةِ
وَزَلْزِلْ بِهِم أرْكَانَهَم وَعُرُوشَهُم ... بِأيَةِ أرْضٍ يا قَدِيرُ وَبُقْعَةِ

الكافي جلَّ جلاله

إلهي بِكَ اسْتكْفيتُ عَنْ كُلِّ حَادِثٍ ... كَفَى بِكَ يا كَافِي لِكَفْيِ مُهِمَّتِي
كِفَايَتُكَ اللهُمَّ لا شَيءَ غَيرَها ... تُقَوِّمُ طَاعَاتي وَأمْرَ مَعِيشَتِي
إلهي وَقَيدُ الفَقْرِ في مَعْرَكِ الهَوَى ... بِبابِكَ أسْتَكْفِيكَ رُزْءَ المُصِيبَةِ
إلهِيَ يا كَافِي الكُفَاةِ تَوَلَّنِي ... بِكَافِيَةٍ مِنْ نَفْحَةٍ صَمَدِيَّةِ
إلهي مَنِ اسْتكْفَاكَ ضُرّاً أصَابَهُ ... فَلَمْ تَكْفِهِ يا كَافِياً لِلبَلِيَّةِ
إلهِيَ ما في الحَادِثَاتِ كِفَايَةٌ ... إذا لم تكُنْ عَوني وكَافِيَ مِحْنَتِي
ومالي ولِلأحْدَاثِ وهي فَقِيرَةٌ ... إليكَ افْتِقَارِي نَاظِرَاتٌ كَنَظْرَتي
وما قَدرُ ما تَأتِي بِهِ مِنْ كِفَايَةٍ ... سِوَى عَينِ ما قَامَتْ بِهِ مِنْ ضَرُورَةِ
جَنابُكَ يا كَافِي جَنابُ كِفَايَتي ... وعِنْدَكَ يا كَافِي غَنَاءٌ لِعُسْرَتي
إلهِيَ قَدْ أمْلَقْتُ إمْلاقَ رَاغِبٍ ... وَقَيِّدَنِي الإعْدَامُ عَنْ كُلِّ خَطْوَةِ
وفي حِشْبَةِ الكَافِي الكَرِيمِ كِفايَتي ... وفي طَوْلِهِ تَحْقِيقُ مُطْلَقِ رَغْبَتِي

---

(١) نافِخ ضَرْمَة: نافِخ جَرْوَة ـ ومُبْتَغَى المَعنى: اقْطَعْ أنفاسَهُم

الشاكر جلَّ جلاله

تَـجَـلَّيْتَ بـالـجُـودِ الإلـهـيِّ سَـيِّـدي ... بِـشُـكْـرِكَ لِي يـا شَـاكِـراً مُـحْـسِـنِـيَّـتـي
وَمَا هُـو إحْـسَـانِي الـذي أنـتَ شَـاكِـرِي ... عَـلـيـهِ ومـا مِـقـدارُ حَـوْلِي وَقُـوتِـي
ومـا هـو إحْـسِـانِي ومـا بـي اسْـتِـطَـاعَـةٌ ... لِـتَـخْـرِيـكَـةٍ فـي فِـعْـلِ شَـيءٍ وَسَـكْـنَـةِ
إذا شِـئْـتَ بي خَـيراً خَـلَـقْـتَ اسْـتِـطَـاعَـتي ... وأوْجَـدْتَ مَـولايَ اخْـتِـيـارِي وَمُـكْـنَـتِـي
وَيَـسَّـرْتَ مـا تَـرْضَـاهُ مِـنِّـي مُـقـدَّراً ... على حَسَبِ تَصْرِيفِ القَضَا والمَشِيئَةِ
وأنـتَ عَـلَـى الـفِـعْـلِ الـرَّضِـيِّ تُـثِـيبُـنـي ... وَتُـوسِـعُـنـي شُـكْـراً وَلَـيْـسَـتَ صَـنِـيـعَـتـي
كَـفَـى شَـرَفـاً لِـلعَـبْـدِ شُـكْـرُكَ سَـعْـيَـهُ ... ولَو لَم يُـرِدْ لِلنِّـعْـمَـةِ الأبَـدِيَّـةِ
ومـا الـسَّـعْـيُ مِـنْ تِـلْـقـائِهِ واقْـتِـضَـائِهِ ... ولـكِـنَّـهُ جُـودٌ بِـلا سَـبَـبِـيَّـةِ
إلـهـي امْـتِـنـانُ الـشُّـكْـرِ لا عَـنْ مُـقـابِـلٍ ... يَـحِـقُّ بِـهِ فَـوْزِي بِـشُـكْـرِ الأُلُـوهَـةِ
ولـكِـنَّ شُـكْـرَ اللهِ عَـبْـداً يَـسُـوقُـهُ ... إلـى شُـكْـرِ مَـولاهُ لَدَى كُـلِّ نِـعْـمَـةِ
فَـهَـبْ لي بِسِرِّ الشُّكْرِ شُكْراً تَزِيدُني ... بِهِ الـخَـيْـرَ مِـنْ دِينِي وَمِـنْ دُنْـيَـوِيَّـتـي

القائم بالقسط جلَّ جلاله

وَيَـا قَـائِماً بـالـقِـسْـطِ خَـصْـمُـكَ بَـاهِـرٌ ... لأَهْـلِكَ مُـنْـقَـضٌّ لِهَـدْمِ الـشَّـرِيـعَـةِ
ولا يَـسْـتَـكِـي إلّا إلَـيـكَ ولا جِـمَـى ... ولا نَـاصِـرٌ إلّا جَـلالُ الـرُّبُـوبَـةِ
لَقَـدْ جَدَّ هذا الخَصْمُ في حَرْبِ رَبِّهِ ... وأعْـيَـتْ قُـوَاهُ طَـاقَـةَ الـبَـشَـرِيَّـةِ
تَـعَـادَى إلـى الإسْـلامِ نَـقْـضـاً لِحَـبْـلِهِ ... وَسَـامَ عِـيـالَ اللهِ[1] أسْـوَأَ خُـطَّـةِ
وَجَـاسَ بِـلادَ اللهِ بـالـخَـسْـفِ آمِـنـاً ... كـأنْ لَـيـسَ بِـالـمِـرْصَـادِ رَبُّ الـبَـرِيَّـةِ
بَـلى إنَّ لـلأكْـوَانِ رَبـاً مُـهَـيْـمِـنـاً ... غَـيُـوراً شَـهِـيـداً قَـائِمَ الـمُـقْـسِـطِـيَّـةِ

---

(١) «عِيال الله» من التعابير التي تتكرَّر في قصائده، وقد استوقفتني لطرافتها بمقياس الذائقة اللغوية السائدة بعد قرن على رحيل الشاعر.

بَلى إنَّ لِلأكْوَانِ رَباً يَسُوسُها ... بِتَدْبيرِهِ تَجْرِي أُمُورُ الخَلِيقَةِ
بَلى إنَّ بِالمِرْصَادِ سُلْطَانُ قَائِمٍ ... بِقِسْطٍ وحُكْمٍ لا يُرَدُّ بِقُوَّةِ
رَعَى مُلْكَهُ عَدْلاً وَفَضْلاً بِلا يَدٍ ... تُدَافِعُ ما يَقْضِي بِهِ مِنْ قَضِيَّةِ
إلهِيَ لم يَعْجَزْ نَكِيرُكَ عَنْهُمُ ... وإنْ أمْهَلَتْهُم حِكْمَةُ الأجَلِيَّةِ
أغِثْ عِزَّةَ التَّوْحِيدِ وَحْياً بِقَصْمِهِم ... كَسُنَّتِكَ اللهُمَّ في شَرِّ أُمَّةِ

سريع الحساب جلَّ جلاله

سَرِيعَ الحِسابِ امْحَقهُمُ وأبِدْهُمُ ... فقَدْ أمْعَنُوا في الكُفْرِ والبَطَرِيَّةِ
تَصَاعَدَ خَصْمُ اللهِ عَنْ طَورِ نَفسِهِ ... وَقَرَّرَ نَفْيَ المُنْتَهَى والأُلُوهَةِ
تَمَرَّدَ مَغْبُوطاً بِإمْلاءِ رَبِّهِ ... لَهُ الوَيْلُ في الإمْلاءِ سُوءُ المَغَبَّةِ
يُسارِعُ في الطُّغيانِ إسْرَاعَ مُنكِرٍ ... لِوَاقِبَةٍ[1] أو عَاجِلٍ لِمَنُوبَةِ
وَسُرْعَةُ أخْذِ اللهِ مِنْ دُونِ سَعْيِهِ ... وَعَاقِبَةُ اسْتِدْرَاجِهِ عَيْنُ نَقْمَةِ
وَسُرْعَةُ أخْذِ اللهِ لَيسَ يُحِيلُها ... مُحَالٌ ولا يُحْتالُ عَنْها بِحِيلَةِ[2]
سَرِيعَ الحِسابِ اصْرِفهُ صَرفاً مُؤَبَّداً ... وَخُذْ ثَأرَ نُورِ اللهِ مِنهُ بِسُرْعَةِ
أيُلْغِي عَدُوُّ اللهِ شَرْعَ مُحَمَّدٍ ... وَقَهْرُ جَلالِ اللهِ حَامِي الحَقِيقَةِ
وللهِ تَغْيِيرٌ وللهِ سَطْوَةٌ ... وللهِ غَارَاتٌ وَشِدَّةُ غِيرَةِ
وَسَوْطُ عَذابِ اللهِ لا سَدَّ دُونَهُ ... وَتَأخِيرُهُ كَيْدٌ لِوَقْتِ المَشِيئَةِ
بِغِيرَتِكَ اللهُمَّ أسْرِعْ بِخِزْيِهِم ... وَتَشْتِيتِهِم بالذُّلِّ في كُلِّ وِجْهَةِ

---

(١) واقِبَة: عقوبة.

(٢) مثال آخر لولع استخدام أبي مُسْلِم لكلمات متشابهة اللفظ متباينة المعنى، لتحمل أوعيتها المعاني المُرادة، رغم ضَغْطِها في شطر أو بيت واحد: يُحيلُ: يُبعد ـ مُحال: من الاستحالة ـ يُحتال: من الحيلة (الواردة، بدورها، في مُختتم البيت).

غافر الذنب جلَّ جلاله

وَيَا غَافِرَ الذَّنْبِ اغْتَفِرْ لِي قَبَائِحاً ... تَجَشَّمْتُهَا فِي جَهْرَتِي وَسَرِيرَتِي
تَعَوَّدْتُهَا لا عُذْرَ لِي فِي اقْتِرَافِهَا ... سِوَى خِسَّتِي طَبْعاً، وَشِدَّةِ شَهْوَتِي
إِلهِي اكْتَسَبْتُ الإِثْمَ عَمْداً كَأَنَّهُ ... لِكَثْرَةِ مَا آتِيهِ أَعْظَمُ قُرْبَةِ[1]
جَرِيئاً عَلَيهِ لا بَصِيرَةَ أَرْعَوِي[2] ... لَدَيهَا وَلا أَرْضَى بِحُكْمِ البَصِيرَةِ
يُنَبِّهُنِي القُرْآنُ فِي غَفْلَةِ الهَوَى ... فَأَصْدِفُ[3] عَنهُ مُسْتَمِراً بِغَفْلَتِي
وَمَا صَدَّنِي جَحْدٌ وَلكِنَّهُ هَوًى ... دَهَانِي إِلى أَنْ صَارَ وَصْفِي وَحِلْيَتِي[4]
سَرِيعٌ إِلى حَظِّ النفوسِ مِنَ الهَوَى ... بَطِيءٌ عَنِ الخَيرَاتِ شَيْنُ[5] الصَّحِيفَةِ
إِذا صَدَعَتْ لِي دَعْوَةُ الحَقِّ أَلْتَوِي[6] ... كَأَنَّ[7] إِذا مَرَّتْ عَلى الأُذْنِ صُمَّتِ
وَذلِكَ دَأْبِي[8] غَيرَ أَنِّي مُوَحِّدٌ ... وَتَوْبِي وإِيمَانِي بِفَضْلِكَ حُجَّتِي
أَقِلْ عَثْرَتِي يا غَافِرَ الذنبِ إِنَّ لِي ... يَقِيناً بِغُفْرانٍ وَجُودٍ وَرَحْمَةِ
إِذا انْتَابَكَ المُسْتَغْفِرُونَ بِحُجَّةٍ ... فَجُودُكَ رَبِّي حُجَّتِي وَوَسِيلَتِي

قابل التوب جلَّ جلاله

إِلهِيَ تَوْباً قَابِلَ التَّوْبِ إِنَّنِي ... أُقَدِّمُ تَوْباً خَالِصاً مِنْ طَوِيَّتِي
أُقَدِّمُهُ عَمَّا ارْتَكَبْتُ مِنَ الخَطَا ... وأَنتَ إِلهِي عَالِمٌ صِدْقَ تَوْبَتِي

---

(١) قُرْبة: دُنُوّ.
(٢) أرْعَوي: أعود لطريق الرّشاد بعد ضَلال.
(٣) أَصْدِفُ: أصُدُّ عنه تجاهُلًا.
(٤) حِلْيَتي: لباسي.
(٥) شين: عَكْس زين.
(٦) ألتوي: أعرض صدوداً.
(٧) كَأَنَّ: كَأَنّها ـ أي دعوة الحَقّ، وَقَدْ حُذف اسمُها.
(٨) دَأبي: عادتي التي اعتدتُها.

وإنْ كُنتُ لم أَصْدُقْ مَتَابي فإنَّ لي ... بِتَوْفِيقِكَ اللهُمَّ أَوْثَقُ عُرْوَةِ
أُقَدِّمُ تَوْبِي مُخْلِصاً غَيرَ آمِنٍ ... مَنَ النفسِ أنْ تَسْتَاقَنِي للخَطِيئةِ
فكَمْ تَوْبَةٍ أَخْلَصْتُها بِتَثَبُّتٍ ... وكَمْ نَقَضَتْها النفسُ بَعْدَ التَّثَبُّتِ
طَرِيقَةُ مَخْذُولٍ مَعَاذَكَ سَيِّدي ... إذا لم تَدَارِكْنِي بِثَبْتٍ وَعِصْمَةِ
وَمَنْ لي بأنْ تَرْضَى وَفَائِي بِتَوْبَةٍ ... نَصُوحٍ إذا لم تَكْفِنِي شَرَّ خَيرَتِي
بَرِئْتُ إليكَ الآنَ مِمَّا ارْتَكَبْتُهُ ... وأسْلَمْتُ وَجْهِي تَائِباً مِنْ جَرِيمَتي
ولم أَخْشَ طَرْدِي قَابلَ التَّوْبِ خَائِباً ... وأنتَ خَبِيرٌ بِابْتِهَالي وَأَوْبَتِي
ولم أَرْجُ بَعدَ التَّوْبِ إلّا قُبُولَهُ ... ولا بَعدَ صِدْقِ القَصْدِ غَيرَ المَثُوبَةِ
وَمَنْ لي بِتَوْبٍ بَالِغٍ مَبْلَغَ الرِّضَا ... إذا لم تُجَرِّدْني لَهُ مِنْ كَثِيفَتِي

شديد العقاب جلَّ جلاله

شَدِيدَ العِقابِ المُهْلِكَ المُدْرِكَ اخْتَطِفْ ... مُبِيراً عَصِياً مُفْسِداً في الخَلِيقةِ
شَديدَ العِقابِ الطَّالِبَ الغَالِبَ انْتقِمْ ... مِنَ الآفِكِ[1] الطَّاغُوتِ ضِدَّ الحَقيقةِ
شَديدَ العِقابِ المُقسِطَ العَدْلَ في القَضَا ... أَبِدْهُ بِحُكْمِ العَدلِ والمُقْسِطِيَّةِ
شَديدَ العِقابِ المُنْزِلَ البَأْسَ أَخْزِهِ ... بِفَاقِرَةٍ[2] لا يَتَّقِيها بِمَنْعَةِ
شَديدَ العِقابِ امْكُرْ بِهِ وأَحِقْ بِهِ ... أَفَاعِيلَ مَكْرٍ سَيِّءٍ في الخَلِيقةِ
شَديدَ العِقابِ احْلُلْ مَعاقِدَ عِزِّهِ ... وَقَطِّعْ بِهِ الأسبابَ في كُلِّ وِجْهَةِ
شَديدَ العِقابِ ارْدُدْ عَلَيهِ نِبَالَهُ ... وأَرْكِسْهُ في أَطْوَارِهِ المَارِدِيَّةِ
شَديدَ العِقابِ اسْدُدْ مَنافِذَ قَهْرِهِ ... وَأَوْبِقْهُ مَغْلولًا بِأَسْرِ الرَّزِيئةِ
شَديدَ العِقابِ اسْتأْصِلِ الشَّأْفَةَ التي ... رَمَتْ بِعِيالِ اللهِ أَفْظَعَ رَمْيَةِ

---

(١) الآفِك: المُفتري الكذّاب.
(٢) فاقِرَة: داهِية ومصيبة.

شَديدَ العِقابِ اقْطَعْهُ واقْطَعْ نَصِيرَهُ ... بِغَاشِيَةٍ مَقْتِيَّةٍ غَضَبِيَّةٍ
شَديدَ العِقابِ اشْدُدْ عَلَيهِم وَفُضَّهُم[1] ... بِكَسْفِ العَذابِ الهُونِ في حِينِ غَفلَةِ

المُغيث جلَّ جلاله

إلهِي مُغيثَ المُستَغِيثِينَ هَذِهِ ... سَبيلِي وَكُلُّ السُّبْلِ عَنِّيَ سُدَّتِ
إلهي مُغيثَ المُستَغِيثِينَ لم أجد ... سِواكَ وَقَدْ ضَاقَ الخِناقُ بِكُرْبَتي
إلهيَ ما لي وَصْلَةٌ أجْتَدِي بها ... غَيَاثَكَ لكنْ غَوْثُ لُطْفِكَ وَصْلَتي
أَقِلْ عَثْرَتِي يا رَبِّ مِنْ كَبْوَةِ الهَوَى ... فَكُلُّ حَيَاتي كَبْوَةٌ إثْرَ كَبْوَةِ
إلهي أغِثْنِي بالذي أنتَ أهْلُهُ ... فأنتَ جَمِيلُ الفِعْلِ غَوْثِي وَعُمْدَتي
إلهي أغِثْنِي كَمْ عَثَارٍ وَقَيْتَهُ ... وَكَمْ أزْمَةٍ فَرَّجْتَها بَعدَ أزْمَةِ
إلهي أغِثْنِي في نَوَائِبَ جَمَّةٍ ... قَطَعْنَ عَنِ اسْتِكْمَالِ أمْرِكَ هِمَّتي
إلهيَ دَارَتْ بي دَوَائِرُ فانْتَحَتْ ... فِناءَكَ يا رَبِّي وَبَابَكَ حَلَّتِ
إلهي مُغيثَ المُستَغِيثِينَ لا تَكِلْ ... إلى نُصُبِ الحِرْمَانِ إخْبَاتُ وَقْفَتي
إلهي قَدِ اسْتَعْمَلْتَنِي بِاسْتِغَاثَتِي ... وأكْرَمْتَ بِاسْتِرْفادِ يُمْنَاكَ نَصْبَتي
فَعَجِّلْ غِيَاثاً يَكْشِفُ الهَوْلَ مُطْلَقاً ... وَيَفتَحُ بَابَ اللطْفِ بِي في بَلِيَّتِي

الفاطِر جلَّ جلاله

إلهي فَطَرْتَ الكَوْنَ إبْدَاعَ فَاطِرٍ ... بِغَيرِ مِثَالٍ تَحْتَذِيهِ وَصَنْعَةِ
ولا ثَمَّ قَانُونٌ تَعَالَيتَ تَنْتَحِي ... إليهِ ولا عَنْ فِعْلِ طَبْعٍ وَعِلَّةِ
ويا فَاطِراً رَتْقَ السَّمواتِ مُنْزِلاً ... بِأمْرِكَ جِنْسَ الرُّوحِ والمَلَكِيَّةِ
ويا فَاطِراً للأرضِ مُخْرِجَ نَبْتِها ... وأجْسَامِنا مِنْ عَالَمِ البَرْزَخِيَّةِ

---

(١) فضّهم: فرّقهم.

ويا فَاطِراً لم تَفْطُرِ الكَونَ عَابثاً ... ولكنَّهُ آيَاتُ حُكْمٍ وَحِكْمَةِ
ويا فَاطِرَ الأشياءِ فِطْرَةَ قَادِرٍ ... تَقَدَّسَ في إنْشَائِها عَنْ مَعُونَةِ
ويا فَاطِراً للخَيرِ والشَّرِّ قاضِياً ... لكَشبِهِما مِنَّا اتِّبَاعَ المَشِيئَةِ
ويا فَاطِرَ الأجسامِ كَيفَ أرَادَها ... وَقَدَّرَهَا في قَالَبِ الصُّوَرِيَّةِ
ويا فَاطِرَ الأعْرَاضِ حَسْبَ اخْتِلافِها ... وَتَطْبِيقَهَا في عالَمِ الجَسَدِيَّةِ
ويا فَاطِراً للفَقْرِ يا فَاطِرَ الغِنَى ... ويا فَاطِراً للمَوْتِ والحَيَوِيَّةِ
تَدارَكْ بسِرِّ الفَاطِرِ الحَقِّ مُنيَتِي ... بإخْرَاجِهَا لي مِنْ خَفَا العَدَمِيَّةِ

القاهر جلَّ جلاله

وَيَا قَاهِرُ القَهَّارُ فَوقَ عِبَادِهِ ... إلى قَهْرِكَ الغَلَّابِ رَفْعُ شَكِيَّتِي
شَكِيَّةُ مَقهُورٍ بِسَطْوَةِ ظَالِمٍ ... يَجُوسُ خِلالَ الدَّارِ في أمْنِ غِرَّةِ[1]
شَكِيَّةُ مَظْلُومٍ مُضَامٍ مُذَلَّلٍ ... يَرَى الحَقَّ مَخْذُولًا ولا حِينَ نُصْرَةِ
مَعَاذَكَ مِنْ قَهْرِ الرِّجَالِ فَطَالَما ... خُذِيْتُ[2] لَهُ والقَهْرُ قَهْرُكَ عِصْمَتِي
وما عَظُمَتْ يا قَاهِرَ الكُلِّ شَوكَةٌ ... لخَصْمٍ فلم تَكْسِرْ شَبَاهَا[3] بِشَوْكَةِ
وما قَهرُ مَقهُورٍ تَجَاوَزَ طَوْرَهُ ... بِفَائِتِ قَهرِ اللهِ في جُزْءِ ذرَّةِ
تَحِقُّ صِفاتُ القَهْرِ للقَاهِرِ الذي ... لسُلْطَانِهِ ذَلَّتْ صُنُوفُ الخَلِيقَةِ
وَمَنْ قَامَتِ الأشياءُ تَغْنُو لأمْرِهِ ... يُعِيدُ وَيُبْدِي لا بِشَرْطٍ وَعِلَّةِ
فليسَ لها مِنْ قَبْضَةِ القَهْرِ فَلْتَةٌ ... وأفعَالُها فَيْضٌ مِنَ الجَبَرِيَّةِ
تَجَلَّ بالاسْمِ القَاهِرِ الحَقِّ بَاطِشاً ... على خُصَمَاءِ اللهِ أسْرَعَ بَطْشَةِ
وَهَبْ ليَ حَظِّي مِنهُ أنْ أقْهَرَ الهَوَى ... وَنَفْسِيَ عَنْ آفَاتِ شَأنِ جِبِلَّتِي

---

(١) أمْنِ غِرَّةٍ: الآمِن المُطمَئن من أن يؤخذ على حين غِرّة.
(٢) خُذِيْتُ: ضَعُفت.
(٣) شَبَاها: شَبَاة الشيءِ حَدُّ طرَفِهِ المُدَبَّب. يُقالُ: شَباةُ السيف وشَباة العقرب؛ إبرَتها الرفيعة السامة.

المَولى جلَّ جلاله

تَجَلَّى اسْمُكَ المَوْلَى بِعِزٍّ كَمَالِهِ ... فألهَمَني نَقْصِي وَذُلَّ عُبُودَتي
وألهَمَني أنْ أفْزَعَ البَابَ عَائِذاً ... بِمَجْدِ وَلاءِ العِزَّةِ المَوْلَوِيَّةِ
وألهَمَنِي أنْ أنْصِبَ الوَجْهَ عَانِياً ... لوَجْهِكَ رَبِّي في رَجَائي وخِيفَتِي
إليكَ وأنتَ المُستعانُ تَدَافَعَتْ ... تَبَارَكْتَ، أطْمَاعِي وَبابَكَ حَلَّتِ
ولم يَعْتَدِدْ مَولايَ وَأْلِي[1] بِزُلْفَةٍ ... إليكَ ولكِنْ جُودُ مَولايَ زُلْفَتِي
كَفَى بِكَ مَوْلَى رَاحِماً لي مُدَبِّراً ... أمُورِيَ مُخْتاراً لما فيه خِيرَتي
تَوَلَّيْتَنِي مِنْ عَهدِ إنْشاءِ فِطْرَتي ... بِنِعْمَةِ إيْجَادِي وإبْقاءِ نِعْمَتي
وَصَرَّفتني ما شِئْتَ مَولايَ تَابِعاً ... شُؤونَكَ مُعْطِياً مِنَ اللهِ قُدْرَتي
وَنِسْبَةُ ما يُلْقِي التَّضَايُفُ صُورَةٌ ... عُرِفْتُ بها لَيسَتْ بِتأثِيرِ صُورَتي
وما السَّلْبُ والإيْجَابُ لي فيهِ مَحْمَلٌ ... سِوَى أثَرٍ لم يَعْدُ فَقْرَ جِبِلَّتِي
تَنَازَعَتِ الأهْوالُ مَولايَ جَانِبي ... وفي يَدِكَ اللهُمَّ مِفْتَاحُ فَرْجَتِي

النصير جلَّ جلاله

وَنِعْمَ النَّصِيرُ النَّاصِرُ اللهُ لَمْ أَعُدْ ... بِسُلْطَانِهِ إلّا تَجَلّى بِنُصْرَتِي
وَنِعْمَ النَّصيرُ اللهُ حَسْبي بِنَصْرِهِ ... على النفسِ والشيطانِ وَسْطَ العَرِيكَةِ
وَنِعْمَ النَّصيرُ اللهُ يَسْمَعُ دَعْوَتي ... وَيُبْصِرُ أعْدَائي وَيُرْسِلُ نَجْدَتي
وَنِعْمَ النَّصيرُ اللهُ حَارَبتُ باسْمِهِ ... عَزَائِمَ كُفْرٍ نَاصَبَتْنِي فَذَلَّتِ
وَنِعْمَ النَّصيرُ اللهُ سَلَّ حُسَامَهُ ... فَبَدَّدَ أعْدائي وَأفْلَجَ حُجَّتي
وَنِعْمَ النَّصيرُ اللهُ يَخْذُلُ ظَالِماً ... وَيَنصُرُ مَظْلُوماً وَلَو بَعدَ بُرْهَةِ
وَنِعْمَ النَّصيرُ اللهُ ما ضَاعَ مُخْتَمِي ... حِمَاهُ ولم يَخْذُلْ ضَرَاعَةَ مُخْبِتِ

---

(١) وَالي: رجوعي.

وَنِعْمَ النَّصيرُ اللهُ حُجَّته عَلَتْ ... وَكِلْمَتُهُ تَعْلُو عَلَى كُلِّ كِلْمَةِ
نَصِيرُكَ يا نِعْمَ النَّصيرِ بِغَارَةٍ ... إلهِيَّةٍ مُوحِيَّةٍ غَضَبِيَّةِ
نَصيرُكَ خَيرَ الناصِرِينَ عَلَى العِدَى ... يُثبِّتُ خَيلَ اللهِ في كُلِّ بُقْعَةِ
سُيُوفُكَ يا ذا البَطْشِ والأخْذِ سُلَّها ... على الخَصْمِ إنَّا بَينَهُم بِمَضِيعَةِ

القريب جلَّ جلاله

إلهي القَريبُ الحَقُّ بالعِلْمِ مُطْلَقاً ... عن الخَلقِ لا قُرْبَ امْتِزاجٍ وخِلْطَةِ
إلهي القَريبُ الحَقُّ بالقُدْرَةِ التي ... تُؤثِّرُ بَدْءاً لا بِشَرْطٍ وَسِيطَةِ
إلهي قَريبٌ بالإجَابَةِ للدُّعَا ... قَريبٌ مِنَ الأحْبَابِ قُرْبَ مَحَبَّةِ
إلهي قَريبٌ قُرْبَ لُطْفٍ مُقدَّسٍ ... إلهي عَنِ الأبْعَادِ والجَوْهَرِيَّةِ
إلهي قَريبُ الفَتْحِ مِنْ كُلِّ مُغْلَقٍ ... إلهي قَريبُ الغَوْثِ مِنْ كُلِّ كُرْبَةِ
إلهي قَريبُ الفَتْحِ مِنْ كُلِّ بَائِسٍ ... إلهي قَريبُ الرَّحْمَةِ الأبَدِيَّةِ
إلهيَ قُربي مِنكَ قُرْبُ تَعَبُّدٍ ... وقُربُكَ مِنِّي قُربُ بِرٍّ وَرَحْمَةِ
وَكَيفَ ابْتِعَادِي عَنكَ قُربُكَ سَيِّدَا ... هُ أقْرَبُ مِنْ حَبلِ الوَرِيدِ لِفِطْرَتِي
لِقُربِكَ قَرِّبْنِي نَجِياً مُخلَّصاً ... مِنَ البُعدِ عَنْ رَبِّي لِسُوءِ طَرِيقَتِي
إلهيَ أكْرِمْنِي بِقُربِ إجَابَتِي ... فإنِّيَ مُضْطَرٌّ عَظِيمُ البَلِيَّةِ
وَعَدْتَ بِقُرْبٍ واسْتِجَابَةِ دَعْوَةٍ ... إذا عَرَّجَتْ عَنْ ذلَّةٍ وَضَرُورَةِ

الفعَّالُ لما يُريد جلَّ جلاله

إلى المَلِكِ الفعَّالِ في مُلْكِهِ لِمَا ... يُرِيدُ تَنَاهَى رَهْبُ نَفسِي ورَغْبَتِي
هُوَ الفَاعِلُ المُخْتارُ ما شَاءَ كَائِنٌ ... وما لم يَشأْ لم يَأتِ ضِدَّ المَشِيئةِ
هو المُصْدِرُ الأفعَالَ خَلْقاً أرَادَهُ ... وإنْ صَدَرَتْ كَسْباً بِفِعْلِ الخَلِيقةِ

يُؤثِّرُ ما يَختارُ فِعْلًا مُقدَّساً ... عَنِ العَبَثِ الفِطْريِّ وَالعِوَجِيَّةِ
وما فِعْلُهُ تَأْثِيرُهُ لِوُجودِهِ ... ولا فِعْلُهُ تَأْثِيرُهُ بِطَبيعَةِ
ولا فِعْلُهُ إثْرَ اقْتِفاءٍ لِفاعِلٍ ... ولا أثَرٌ عَنْ شِرْكَةٍ أو مَعُونَةِ
ولا فِعْلُهُ دَفعٌ وَنَفعٌ لِنفسِهِ ... تَعالى ولا فِعْلٌ على غَرَضِيَّةِ
تَأثَّرَتِ الأسبابُ عَنهُ فَأثَّرَتْ ... بِحِكْمَتِهِ التَّأثِيرَ بِالسَّبَبيَّةِ
وما هَذهِ الأسبابُ آلاتُ فِعْلِهِ ... ولكنَّها مَأسُورَةٌ تَحتَ حِكْمَةِ
إلهيَ يا فَعَّالُ أشْكُو إليكَ ما ... تَناوَبَنِي مِنْ نَكْبَةٍ غِبَّ نَكْبَةِ
إلهيَ فافْعَلْ بي الذي أنْتَ أهْلُهُ ... بِحَقِّ اسْمِكَ الفعَّالِ واكْشِفْ مُلِمَّتِي

المَنَّان جلَّ جلاله

إلهيَ يا مَنَّانُ كَمْ لَكَ مِنَّةٌ ... تَلُمُّ بِها شَعْثِي وَتَشْعَبُ صَدْعَتِي
إلهيَ يا مَنَّانُ كم لَكَ مِنَّةٌ ... جَبَرْتَ بِها كَسري وأغْنَيتَ عَيلَتِي
وكم مِنَناً أسْبَغْتَ كَفَّتْ مَطَامِعِي ... وسَدَّتْ وأغْنَتْ رَبَّ عَنْ كُلِّ مِنَّةِ
ولو لَمْ يَكُنْ إلّا امْتِنانُكَ بالهُدَى ... وبالعِلمِ والعِرْفانِ والتَّبَعِيَّةِ
وعَافِيةِ المَحْيَا وعَافِيَةِ التُّقَى ... وَوَقْفَةِ إيقَانِي وَوَقْفَةِ دَعْوَتِي
وَتَوْفِيقِكَ اللهُمَّ لِي في مَسَالِكي ... إليكَ وإحْسَاني وخَوفِي وَرَغْبَتِي
وَتَوْسِيعِكَ اللهُمَّ لِي مِنْ رَغَائِبٍ ... سَعِدْتُ بها في غِبطَةٍ مِنْ مَعِيشَتي
وَرَدِّكَ أعْدَائِي وَقَطْعِكَ سُوءَهُم ... وَنَصْرِكَ سُلْطاني عَلَيهِم وَحُجَّتِي
وَمَنْ لِي بِإحْصَاءِ امْتِنانِكَ سَيِّدي ... وذلكَ شَأنٌ فَوقَ مِقدَارِ قُوَّتِي
وَشَأنِيَ إعْرَاضٌ وَنَأيٌ بِجَانِبي ... عَنِ الشُّكْرِ شَأنُ العَبدِ والبَطَرِيَّةِ
دُعَائِي عَرِيضٌ وافْتِقَاريَ لازِمٌ ... ومَنُّكَ يا مَنَّانُ طَوْلِي وَغُنْيَتِي

الخلاق جلَّ جلاله

إلـهـيَ يـا خَـلّاقُ أنـتَ خَـلَقْـتَـنِـي ... فـسَـوَّيْـتَ أرْكَـانِـي وعَـدَّلْتَ خِـلْقَـتِـي
وَرَكَّـبْـتَـنِـي مـا شِـئْـتَ فـي أيِّ صُـورَةٍ ... عـلى وَضْـعِ مُـخْـتـارٍ وتَـقـديرِ حِـكْـمَـةِ
وَأَوْجَـدْتَ أطْـوَارِي وَكَـسْـبِي وَهَـيْـئَـتِـي ... وإدْرَاكَ وُجْـدَانـي وإحْـسَـاسَ نُـهْـيَـتِـي
وأشْـعَـرْتَـنِـي نَـفْـعِـي وَضُـرِّي مُـهَـيِّـئـاً ... مَـسَـالِكَ نَـفْـعِـي وابْـتِـعـادَ مَـضَـرَّتِـي
وَقَـدَّرْتَ مِـنِّـي الـخَـيـرَ والـشَّـرَّ فِـطْـرَةً ... وَقَـدَّرْتَ عُـقْـبَـى الـكَـسْـبِ مِـنْ بَـشَـرِيَّـتِـي
ومـا لـيَ فـي خَـلْـقٍ اكْـتِـسَـابـيَ شِـرْكَـةٌ ... وَحَـاشَـاكَ لَمْ تَـجْـبُرْ عَـلى الشَّـرِّ خِـيَـرَتِـي
وبـالـخَـلْـقِ والأمْـرِ اخْـتَـصَـصْـتَ بِـغَـيْـرِ مـا ... اعْـتِـرَاضٍ مَـنِـيـلٍ أو عَـنَـاءٍ مَـشَـقَّـةِ
وَنَـوَّرْتَـنِـي بـالـعِـلْـمِ مِـمّـا وَهَـبْـتَـنِـي ... وأخْـرَجْـتَـنـي مِـنْ بَـعْـضِ جَـهْـلِـي وَضَـلَّـتِـي
وَبَـوَّأْتَـنِـي مِـمّـا خَـلَـقْـتَ مُـبَـوَّءاً ... فـأحْـسَـبْـتَـنِـي مِـنْ صَـالِـحَـاتِ الـمَـبَـرَّةِ
وَحَـصَّـنْـتَـنِـي مِـنْ قَـومِ سُـوءٍ تَـحَـزَّبُـوا ... عِـزِينَ[1] عَـلَـى ضَـعْـفِـي صِـلاباً لِـهَـلْـكَـتِـي
بِـخَـلْـقِـكَ يـا خَـلّاقُ كُـلَّ حَـقِـيـقَـةٍ ... فـأيِّـدْ بِـرُوحٍ مِـنـكَ رَبِّ حَـقِـيـقَـتِـي

ذو الطَّول جلَّ جلاله

إلـهـيَ يـا ذا الـطَّـوْلِ والـفَـضْـلِ هَـذِهِ ... خَـصَـاصَـةُ[2] نَـفْـسِـي عِـنـدَ بَـابِـكَ حَـلَّـتِ
إلـهـيَ يـا ذا الـطَّـوْلِ عَـبْـدُكَ بَـائِـسٌ ... أنـاديـكَ أرْجُـو فَـتْـحَ بِـرٍّ وَرَحْـمَـةِ
إلـهيَ يا ذا الطَّوْلِ طَالَتْ فأحْسَنَتْ ... أيَـادِيـكَ بـالإنْـعَـام كُـلَّ الـخَـلِـيـقَـةِ
بِحَـمْـدِكَ يـا ذا الـطَّـوْلِ لَسْـنِـيَ قَـانِـطـاً ... عَـلَـى الـعُـسْـرِ والأكْـدَاءِ مِـنْ رَوْحِ رَحْـمَـةِ
ومـا غَـمَّـنـي الإقْـتَـارُ إلّا تَـفَـرَّجَـتْ ... غُـمُـومِـيَ يـا ذا الـطَّـوْلِ مِـنـكَ بِـنَـفْـحَـةِ
وفي وُسْعِ طَولِ اللهِ ذي الطَّوْلِ مَوْضِعٌ ... لِـتَـسْـهِـيـلِ أوْطَـارِي وَدَفْـعِ ضَـرُورَتِـي

---

(١) عِزَة: الفِرْقَة مِنَ الناس ـ جَمْعُها عِزًى وعُزُون. جاء في التنزيل: ﴿عَنِ اليَمِينِ وعَنِ الشِّمالِ عِزِينَ﴾.
(٢) خَصَاصَة: حاجة.

مَتَى ضَايَقَتْنِي شِدَّةٌ لم تكُنْ لَهَا ... بِطَوْلِكَ يا ذا الطَّوْلِ حتى تَجَلَّتِ
أُبَشِّرُ آمَالِي وَقَدْ عَظُمَ البَلَا ... عَسَى مِنكَ يا ذا الطَّوْلِ يُسْرَى اسْتَهَلَّتِ
وَكَمْ لَكَ يا ذا الطَّوْلِ بُشْرَى تَنزَّلَتْ ... عَلَيَّ وتَبْرِيكاتُ لُطْفٍ ونَظْرَةِ
خُلِقْتُ جَزُوعاً عِندَ نَازِلَةِ البَلا ... وذلكَ دَأْبُ الفِطْرَةِ البَشَرِيَّةِ
وإلّا فعِندَ اللهِ رِزْقِي مُقَدَّرٌ ... وما ضَاقَ طَوْلُ اللهِ عَنْ سَدِّ خَلَّتِي

ذو القُوَّة جلَّ جلاله

مُفِيضُ قُوَى الأعْيانِ حَسْبَ ذَوَاتِها ... وتَأْثِيرِها ذا القُوَّةِ المُطْلَقِيَّةِ
وذا القُوَّةِ الفعَّالَ حَسْبَ اخْتِيارِهِ ... بلا قَاسِرٍ أو قَيْدِ طَبْعٍ وعِلَّةِ
وذا القُوَّةِ المُمْتَازَ في ذاتِ فِعْلِهِ ... وَقُوَّتِهِ عَنْ شِبْهِ فِعْلٍ وَقُوَّةِ
وذا القُوَّةِ الدَّرَّاكَ بالذات مُطْلَقاً ... لأجْزَاءِ مَقْضِيَّاتِهِ القَدَرِيَّةِ
وذا القُوَّةِ الدَّرَّاكَ لا بِوَسِيطَةٍ ... وَلَا لِانْتِهَا وَقْتٍ وَعَدٍّ وَشِدَّةِ
وذا القُوَّةِ الغَلّابَ ذا القُوَّةِ التي ... لها النَّبْتُ والإثْبَاتُ في كُلِّ مُثْبَتِ
وذا القُوَّةِ القَهَّارَ قُوَّةَ ذَاتِهِ ... بِحَسْبِ اتِّصَافِ الذاتِ بالعِظَمِيَّةِ
بِقُوَّتِكَ العُظْمَى بِقَدْرِ نُفُوذِها ... عَنِ المَدَدِ المَاهِيِّ وَالحَيِّزِيَّةِ[1]
بِقُوَّتِكَ العُظْمَى بِقَدْرِ نُفُوذِها ... وَتَأْثِيرِها الأَشْيَاءَ وِفْقَ المَشِيئَةِ
أَفِضْ لي قُوىً في القَلبِ والنَّفسِ والحِجَا ... وفي الصَّالِحَاتِ العِلْمِ وَالعَمَلِيَّةِ
ولا تعْدُ يا ذا القُوةِ الخَصْمَ بَطْشَةً ... فأنْتَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ وَبَطْشَةِ

المَليك جلَّ جلاله

وَثِقْتُ بِسُلطانِ المَلِيكِ وَعِزِّهِ ... وأرْكَانِهِ ذاتِ الجَلالِ الرَّفِيعَةِ

---

(١) الحَيِّزِيَّة: الحيّز المكاني.

وَثِقْتُ بِسُلطانِ المَليكِ لِنَازِلٍ ... مِنَ القَدَرِ المَحْتُومِ صَعْبِ الشَّكِيمَةِ
وَثِقْتُ بِسُلطانِ المَليكِ وَوَاثِقٌ ... بِسُلطانِهِ في حِصْنِ عِزٍّ وَمِنْعَةِ
وما وَاثِقٌ بِاللهِ فيما يَنُوبُهُ ... على حَرَجٍ مِنْ أمْرِهِ وَمَضِيعَةِ
تَمَلَّكَ نَفسِي يا مَليكُ اغْتِرارُها ... فَفَرَّتْ إلى ما تَشْتَهِي وَتَولَّتِ
وَذَلَّلَهَا الشَّيطانُ فيما تَرُومُهُ ... هُمَا مَلَكَا عَقْلِي وَسَاقا طَبيعَتِي
بِعِلْمِكَ ما لاقيتُ مَولايَ مِنْهُما ... وما سَبَّبَاهُ يا مَليكُ لِشَقْوَتِي
وفي النفسِ كَمْ مِنْ حُزْمَةٍ قَدْ تَوَثَّبَتْ ... عَلَيها وَكَمْ مِنْ وَرْطَةٍ بَعدَ وَرْطَةِ
وَكَمْ غَدْرَةٍ جَاءَتْ بِها وَشَنائِعٍ ... أتَتْهَا وعِضْيانٍ عَلَيهِ اسْتَمَرَّتِ
بِمُلْكِكَ رَبِّي هذه النَّفسُ زَكِّهَا ... وَقَدِّسْ مَسَاعِيها بِنُورٍ وَحِكْمَةِ
إلهِيَ في حَوْلِ المَليكِ وطَوْلِهِ ... بُلوغُ مَرامِي وانْتِفاءُ مَضَرَّتِي

الخاتمة الأولى

إلهِيَ هذا مَوقفُ الخَوفِ والرَّجا ... وهذا مَقامُ العَائِذِ المُتَشَبِّتِ
إلهِيَ ما أوْقَفتنِي مَوقفَ الدُّعَا ... لِطَرْدٍ وإبْلاسٍ ويَأسٍ وخَيْبَةِ
إلهِيَ لا يَشقَى دُعَاتك بالدُّعَا ... ولا بَاءَ بالحِرْمَانِ إخْبَاتُ مُخْبِتِ
إلهِيَ لولا نَظْرَةٌ أزَلِيَّةٌ ... إليَّ لما أنْهَضْتَنِي نحو دَعْوَتي
إلهي بَشِّيري بالإجَابَةِ دَعْوةٌ ... أُرَتِّلُها واللهُ حَاضِرُ حَضْرَتي
إلهي دُعَائِي ما لَهُ عَنكَ حَاجِزٌ ... وعَزْمُ إرَادَاتِي وثَبْتُ عَزِيمَتي
إلهِيَ أبْوابُ الدُّعَاءِ لِمَن دَعَا ... مُفتَّحةٌ فاسْمَعْ دُعَائي وصَرْخَتِي
وأنتَ تَرَى الأشْيَاءَ رَبٌّ ولا تُرَى ... وبالمَنْظَرِ الأعْلَى مَقامُ الأُلوهَةِ
وأنتَ إليكَ المُنتهَى وبِكَ القُوَى ... ومِنكَ الرَّجَا في دَفْعِ كُلِّ مُهِمَّةِ
إلهِيَ أسْبَابُ الرِّضَاءِ تَرَكْتُها ... بِتسْوِيلِ شَيْطانِي ونَفسِي الجَرِيئَةِ
ولم يَبقَ لي غَيرُ التَّبتُّلِ والرَّجَا ... إلى سَيِّدي مِنْ وُصْلَةٍ وَوَسِيلَةِ

وَحَسْبِيَ بالجُودِ الإلهِيِّ وُصْلَةٌ ... وإنْ قَبُحَتْ أعْمالُ نفسِي وسِيرَتي
ومالي إلى ما أبْتَغِي مِنكَ حِيلةٌ ... آنَالُ بها سُؤْلِي سِوَى عُدْمِ حِيلَتِي
وأسْنَى مَقامَاتِي وأزْكَى تَصَرُّفِي ... مَعَ الثَّوْبِ تَفويضِي إلَيكَ بَليَّتِي
وحُكْمُكَ إنْ فوَّضْتُ يَجْرِي كَمَا يَشا ... وإنْ لم أُفوِّضْ فهو حَسْبَ المَشِيئَةِ
ولكنَّ تَفْويضِي أمُورِي ذَرِيعَةٌ ... إليكَ وتَحْقيقٌ لِقَدْرِ عُبُودَتي
وهذا مَقامٌ لِلعُبُودَةِ لازِمٌ ... تَقومُ بِهِ للحَقِّ في كُلِّ حَضْرَةِ
إلهِيَ إفْدَامِي عَلَى ما كَرِهْتَهُ ... لَدَى جَنْبِ عَفْوِ اللهِ كالعَدَمِيَّةِ
ومُزْدَلفي للخَيرِ حَوْلٌ تَسُوقُهُ ... إليَّ وإلّا أيْنَ حَوْلِي وقُوَّتي
وما طَاعَتي مَنٌّ عَليكَ وإنَّما ... لِذاتِكَ رَبِّي كُلُّ مَجْدٍ ومِنَّةِ
وما صَاعِدٌ مِنْ طَيِّبٍ وصَوَالِحٍ ... رَفَعْتَ بِفَضْلٍ رَبِّ مِنْ لَدُنِيَّتِي
ولكِنْ إذا وَفَّقْتَ عَبْداً هَدَيْتَهُ ... إلى طَيِّباتِ القَولِ والعَمَلِيَّةِ
تُسبِّبُ فِعلَ الصَّالِحَاتِ تكَرُّماً ... وتَجزي عَلَيها صَالِحَاتِ المَثُوبَةِ
تَجَلَّيتَ بالإكْرَامِ في كُلِّ شَاهِدٍ ... وَرَشَّحْتَ للتَّقريبِ في كُلِّ وِجْهَةِ
وَنَادَيتَ للرِّضْوَانِ والكَوْنُ مَسْمَعٌ ... وَنَوَّرْتَ بالعِرْفانِ أهْلَ الحَقيقةِ
تَعَرَّفتَ بالإحْسَانِ فيما شَرَعْتَهُ ... فَتَكْلِيفُكَ اللهُمَّ إسْباغُ نِعْمَةِ
مَدَدْتُ يَدِي والفَقرُ حَشْوُ إهَابِهَا ... إلى يَدِ ذِي المَنِّ العَظِيمِ العَطِيَّةِ
وأوْقَدْتُ آمَالِي صَوارِخَ خُشَّعاً ... إلى بَابِهِ وهو البَصِيرُ بِوَقْدَتِي
إلهي قَدِ اشْتَدَّتْ إلى اللهِ فَاقَتِي ... وشَدَّتْ إلى مَعْرُوفِ جُودِكَ نُجْعَتي
إلهِيَ حَاجَاتِي عَليكَ يَسِيرَةٌ ... وإنْ غَلَبَتْ قَدراً تَمَحُّلَ قُدرَتي
إلهِيَ مِنْ حَاجَاتِ نَفْسِيَ تَوْبَةٌ ... عَليَّ وغُفْرانٌ وعَفْوٌ لِزَلَّتي
وأكْبَرُها الرِّضْوانُ عَنِّي بِجَنَّةٍ ... أُجَاوِرُ فيها خاتَمَ الرُّسُلِيَّةِ
ولا شيءَ مِمَّا أبْتَغِي مِنكَ سَيِّدي ... يُغايِرُ يا غَوْثَاهُ جُودَ الأُلُوهَةِ
وما في نَجَاتِي مِنْ عَذابِكَ ذَرَّةٌ ... تُغايِرُ شأنَ الحِكْمَةِ الأحَدِيَّةِ
ولا في عَذابي ذَرَّةٌ تُنْقِصُ الغِنَى ... إلهي ولو عُوقِبتُ كُلَّ عُقُوبَةِ

وما يَفعَلُ الرَّحْمنُ والحِلمُ شَأْنُهُ ... بِتعْذِيبِ عَبْدٍ بَعدَ تَحْقِيقِ تَوْبَةِ

إلهِيَ إنْ كَانتْ نَدَامَةُ مَنْ عَصَى ... مَتاباً فإنِّي نَادِمٌ مِنْ خَطِيئتي

نَدَامَةَ عَبدٍ يَبْتغي وَجْهَ رَبِّهِ ... بِتَوْبَتِهِ مُستبْصِراً بَعدَ غَفْلَةِ

نَدَامَةَ مُضْطَرٍّ نَدَامَةَ مُتَّقٍ ... نَدَامَةَ مَغْرُورٍ بِدُنْيا دَنيَّةِ

نَدَامَةَ مَنْ لا يَتَّقِي غَيرَ رَبِّهِ ... ولا يَرْتَجِي إلّا نَوَالَ الرُّبُوبَةِ

نَدَامَةَ عَبدٍ فَارَقَ الكَوْنَ كُلَّهُ ... إليكَ، ولَمْ يَعْبَأ بِكُثْرٍ وقِلَّةِ

نَدَامَةَ عَبْدٍ طَرَّدَتْهُ ذُنُوبُهُ ... كَمَالُكَ وَاغَوْثاهُ كَهْفُ الطَّرِيدَةِ

نَدَامَةَ عَبْدٍ أخْجَلَتهُ عُيوبُهُ ... فيا حَرَبا مما جَنيتُ وخَجْلَتِي

نَدَامَةَ عَبْدٍ أحْرَقَ الخَوْفُ قَلْبَهُ ... بنفسٍ لإحْسَانِ الرَّجَاءِ مَسُوقَةِ

حَدَانِي إلَيكَ الشَّوْقُ والذَّوْقُ سَيِّدي ... وأوْقَفتُ ذنبي عِندَ عِزِّ المَشِيئَةِ

وقدَّمْتُ نَفسِي قَذَّرَتْها ذُنُوبُها ... لِتَغْسِلَها بالرَّحْمَةِ الأزَلِيَّةِ

وقَدَّمْتُ نَفسِي والمَصَائِبُ جَمَّةٌ ... لِتلْطُفَ بي في النَّازِلاتِ الوَبيلَةِ

وإنِّي لَرَاجٍ بَعدَ تَقْدِيمِها غِنًى ... بِرَبِّي وتَقْدِيماً إلى خَيرِ زُلْفَةِ

وإنِّي لَرَاجٍ مِنكَ فَوْزَةَ صَابِرٍ ... وإنقاذَ مَضْرُورٍ وإكْمَالَ نِعْمَةِ

وإنِّي لَرَاجٍ مِنكَ أنْ أُدْرِكَ المُنَى ... بِصِدْقِ الرَّجَا مِنِّي وإلحَاحِ دَعْوَتي

وإنِّي لَرَاجٍ إذْ جَعَلْتُكَ مَقصَدِي ... بأنْ تَدْفَعَ الآفاتِ عَنْ بَشَرِيَّتِي

إلهِي بِجَاهِ اللهِ أسْأَلُكَ الرِّضَا ... وأسْأَلُكَ اللهُمَّ صِدْقَ المَحَبَّةِ

وفَوْزاً بِدَارِ الخُلْدِ مَولايَ والنَّجَا ... مِنَ النَّارِ في النَّاجِينَ مِنْ خَيرِ أُمَّةِ

ويُمْناً وإيمَاناً وإيْقَانَ مُخْلِصٍ ... وَعَدْلاً وإحْسَاناً ونُورَ سَرِيرَةِ

وَخَاتِمَةً بالخَيرِ يا رَبِّ والهَنا ... وَدَفْعَ الشَّقا عَنِّي وَتَسْهِيلَ مَوْتَتِي

وأسْأَلُكَ اللهُمَّ وَفْراً مِنَ الغِنَى ... وأسْأَلُكَ اللهُمَّ حُسْنَ مَعِيشَتي

وأسْأَلُكَ اللهُمَّ كَشْفَ جَهَالَتِي ... وتَنويرَ عَقلِي واتِّبَاعَ الشَّرِيعَةِ

وأسْأَلُكَ اللهُمَّ نَصْراً وقُوَّةً ... على خَصْمِكَ البَاغِي على ضَعْفِ قُوَّتِي

وأسْأَلُكَ اللهُمَّ شُكْراً مُبلِّغاً ... مَزِيدَكَ في الدَّارَيْنِ مِنْ كُلِّ نِعْمَةِ

وأسْـألُكَ الـلهُـمَّ صَـبْـراً عـلى البَـلا ... فـإنّي جَـزُوعُ الـنَّـفسِ رَخْـوُ الـعَـزِيـمَـةِ
فـيَـسِّـرْ لِيَ الـلهُـمَّ مـا قـد سَـألْـتُـهُ ... ومـا قَـصَّـرَتْ عَـنـهُ لِسَـانِـي ودَعْـوَتـي
بـأسْـمَـائِكَ الـحُسْنى تَـقَـرَّبْـتُ سَـيِّـدي ... إلـيـكَ مُـجِـدّاً فـي هُـتَـافِـي وقُـرْبَـتِـي
جَـعَـلْتُ سَـمِـيـرَ الـطَّـبعِ تَـرْتِـيلَ ذِكْـرِهـا ... لـوَجْـهِـكَ رَبِّـي خَـلْـوَةً بَـعـدَ خَـلْـوَةِ
بـحَـقِّـكَ أنـطِـقْـنـي سَـحَـائِبَ سِـرِّهـا ... بـمـا خَـصَّ كُـلًّا مِـنْ كَـمَـالٍ وقُـوَّةِ
وهَـبْ لـي بـهـا مِـنْ كُـلِّ خَـيـرٍ أتَـمَّـهُ ... إلـهـيَ فـي الـدُّنـيـا وفـي الأُخْـرَويَّـةِ
إلـهـي فَـتـحْـتَ الـفَـتـحَ لـي وأقَـمْـتَـنـي ... بـحُـبِّـكَ فـاخْـتِـمْ لِي بِـخَـتْـمِ الـمَـحَـبَّـةِ

الخاتمة الأخرى

وَصَـلِّ وَسَـلِّمْ عَـدَّ أسْـرَارِ كُـلِّ مـا ... لِذاتِـكَ مِـنْ اسْـمٍ بَـدَا أو بِـخَـفِـيَّـةِ
وصَـلِّ وسَـلِّم عَـدَّ أسْـرَارِ جَـاهِـهـا ... ومِـقْـدَارِهـا فـي الـشَّـأنِ والـعِـظَـمِـيَّـةِ
وصَـلِّ وسَـلِّم عَـدَّ أسْـرَارِ نُـورِهـا ... وأضْـوَائِهـا يـا نُـورُ فـي كُـلِّ رُتْـبَـةِ
وصَـلِّ وسَـلِّم عَـدَّ مـا فـي بِـحَـارِهـا ... من الجَوْهَرِ المَكْنُونِ عَنْ أيِّ فِطْرَةِ
وصَـلِّ وسَـلِّم مِـثْـلَ عَـدِّ شُـؤُونِـهـا ... وأكْـوَانِ تَـأثِـيـرَاتِـهـا الـمُـطْـلَـقِـيَّـةِ
وصَـلِّ وسَـلِّم مِـثْـلَ سَـيْـبِ فُـيُـوضِـهـا ... وقُـوةِ إدْرَاكَـاتِـهـا الأَزَلِـيَّـةِ
وصَـلِّ وسَـلِّم مِـثْـلَ بَـحْـرِ مِـدَادِهـا ... وتَـنْـزِيـلِ إمْـدَاداتِـهـا كُـلَّ قُـوةِ
وصَـلِّ وسَـلِّم عَـدَّ مـا تَـحْـتَ دَرْكِـهـا ... مِـنَ الأَثَـرِ الـمَـغْـمُـور بـالـقَـادِرِيَّـةِ
وصَـلِّ وسَـلِّم عَـدَّ مـا تَـحْـتَ مَـجْـدِهـا ... وسُـلْـطَـانِـهـا مِـنْ مُـتْـقَـنِ الـمُـوجِـدِيَّـةِ
وصَـلِّ وسَـلِّم حَسبَ تَصْرِيفِ قَهْرِها ... وتَـدْبِـيـرِهـا الأحْـكَـامَ فـي كُـلِّ ذرَّةِ
وصَـلِّ وسَـلِّم حَسبَ أشْكالِ ما اقْتَضَتْ ... مِـنَ الـقِـدَمِ الأعْـلَـى عَـلَـى الأبَـدِيَّـةِ
وصَـلِّ وسَـلِّم حَسبَ سُرْعَةِ لُطْفِـهـا ... وتَـفْـرِيـجِـهـا يـا سَـيِّـدي كُـلَّ كُـرْبَـةِ
وصَـلِّ وسَـلِّم حَسبَ كُـنْـهِ جَـمَـالِـهـا ... وحَسبَ مَـقـامـاتٍ عَـلَـيـهَـا تَـجَـلَّـتِ
وصَـلِّ وسَـلِّم حَسبَ مَـجْـدِ جَـلالِـهـا ... ومـا لِتَـعَـالِـيـهـا مِـنَ الـقَـاهِـرِيَّـةِ

وصَلِّ وسَلِّم حَسبَ قُدْسِ كَمَالِها ... وتكْمِيلِها الأسْرَارَ حَيثُ تَوَلَّتِ
وصَلِّ وسَلِّم حَسبَ رِفْعَةِ عِزِّها ... وإعْزازِهَا في حِضْنِها مَنْ أعَزَّتِ
وصَلِّ وسَلِّم حَسبَ ما تَقْتَضِيهِ في ... مَظاهِرِها مِنْ وَاجِبَاتِ الأُلوهَةِ
وصَلِّ وسَلِّم ما تَجَلَّى ظُهُورُها ... بِمَطْلَعِ قَيُّومِيَّةِ الأَحَدِيَّةِ
وصَلِّ وسَلِّم ما أفاضَتْ غُيُوثُها ... على أنفُسٍ حَتى زَكَتْ وتَزَكَّتِ
وصَلِّ وسَلِّم ما اسْتَهَلَّ سَحَابُها ... بِفَتحٍ وغُفْرَانٍ ولُطْفٍ ورَحْمَةِ
وصَلِّ وسَلِّم ما تَوَصَّلَ وَاصِلٌ ... إليكَ بِها إذ هُنَّ أمْتَنُ وُصْلَةِ
وصَلِّ وسَلِّم مَا تَحَقَّقَ مُخْلِصٌ ... بها فانْتَشَى مِنْ بَحْرِ عَينِ الحَقِيقَةِ
على المُصْطفى الهَادي إليكَ مُحَمَّدٍ ... رَسُولِكَ خَتْمِ الرُّسْلِ خَيرِ البَرِيَّةِ
هو الجَامِعُ الأسماءَ جَمعَ تَحَقُّقٍ ... وَمِشْكَاةُ مِصْباحِ الصِّفاتِ الجَلِيلَةِ
هو الجَامعُ الأسْرَارَ في جَيبِ سِرِّهِ ... هو المُشرِقُ الأنوارِ في أيِّ وُجْهَةِ
هو الكَاشِفُ الأستارَ عن نَيِّرِ الهُدى ... هو البَاعِثُ المَبْعُوثُ بالحَنَفِيَّةِ
هو الأولُ المَكْنونُ في أبْحُرِ الخَفا ... هو الآخِرُ المَقصُودُ في كُلِّ رُتْبَةِ
هو الظَّاهِرُ المَعْلُومُ قَبلَ ظُهُورِهِ ... هو البَاطِنُ الخَافِي بكُلِّ حَقِيقَةِ
هو السَّابِقُ المَخْصُوصُ مَجْداً بِسَبْقِ: كُنْ ... هو اللاحِقُ المَرْضِيُّ للأقْرَبِيَّةِ
هو القَاهِرُ الغَلابُ سَيفاً وحُجَّةً ... هو المُجْتَبَى المُختارُ للأكْرَمِيَّةِ
هو البَاهِرُ البُرْهانِ نُوراً وكِلْمَةً ... هو البَيِّنُ الآياتِ رَوحُ الشَّرِيعَةِ
هو القَائِمُ السَّاطِي بعَزْمٍ مُؤيَّدٍ ... هو الفَاتحُ المَنْصُورُ في كُلِّ وُجْهَةِ
هو النَّاصِرُ الأمْرَ الإلهيَّ حَازِماً ... مَنِيعاً عَلِيّاً في مَقامِ المَعِيَّةِ
تَوَلَّيتَهُ واخْتَرْتَهُ ومَلأتَهُ ... بنُورِكَ واستَخْلَصْتَهُ للمَحَبَّةِ
وبَوَّأتَهُ مِنْ كُلِّ خَيرٍ أتَمَّهُ ... وأزْكَاهُ والأكْوَانُ في العَدَمِيَّةِ
فكُلُّ مَزايَا الرُّسْلِ والأنبياءِ في ... بِحَارِ مَزايَا شَأنِهِ حُكْمُ نُقْطَةِ
وما طَمَعُ الأمْلاكِ والرُّسْلِ مُطْلَقاً ... بأن يَبْلُغوا مِقدَارَهُ قَدْرَ نِسْبَةِ
ولا جَنَحَ الأبْرَارُ أنْ يَتَزَلَّفُوا ... إليكَ سِوَى مِنْ بَابِهِ عِندَ قُرْبَةِ

قَسَمْتَ حُظوظَ القُرْبِ بَينَ جَمِيعِهِم ... ولكِنَّها مِنْ حَظِّهِ فيَ الحَقِيقَةِ
وآثَرْتَهُ مِنْ بَينِ خَلْقِكَ كُلِّهِم ... بأنْ كَانَ أَصْلَ الكَائِناتِ البَدِيعَةِ
وآثَرْتَهُ مِنْ بَينِ خَلْقِكَ كُلِّهِم ... بأنْ كَانَ عِندَ اللهِ خَيرَ وَسِيلَةِ
وآثَرْتَهُ مِنْ بَينِ رُسْلِكَ كُلِّهِم ... بأنْ جَاءَ مَبْعُوثاً إلى خَيرِ أُمَّةِ
وآثَرْتَهُ بالنَّعْتِ مِنْ قَبلِ بَعْثِهِ ... على الصُّحُفِ الأولَى بكُلِّ نُبُوَّةِ
وآثَرْتَهُ مِنْ كُلِّ زُلْفَى ومَفْخَرٍ ... بما قَصَّرَتْ عَنْ فَهْمِهِ كُلُّ نُهْيَةِ
فَصَلِّ وسَلِّم بالذي أنتَ أهْلُهُ ... عَليهِ وبَارِكْ وارْضَ في كُلِّ لَحْظَةِ
صَلاةً وتَسْلِيماً يُوازي مَقامَهُ ... ويَعْدلُ مَعلُوماتِكَ الفِطَرِيَّةِ
وأكْرِمْهُ بالزُّلْفَى التي لَيسَ دُونَها ... قَريبٌ ولا مِنْ فَوقِها مِنْ فَضِيلَةِ
وضَاعِفْ لَهُ الفَضْلَ العَظيمَ مُشَفِّعاً ... بأضْعَافِ ما أحْصَاهُ عِلْمُ الأُلوهَةِ
وبَوِّئْهُ مِنْ أسْنَى المَقاماتِ في الرِّضَا ... مُبَوَّءَ صِدقٍ دُونَهُ كُلُّ رِفْعَةِ
وبَلِّغْهُ مِمَّا يَرْتَجِيهِ لِنَفسِهِ ... مُضَاعَفَةَ الإكْرَامِ مِنْ كُلِّ خِيرَةِ
وبَلِّغْهُ مما يَرْتَجِيهِ لِغَيْرِهِ ... جَزِيلًا بِهِ عَيْنَاهُ لَذَّتْ وقَرَّتِ
وشَفِّعْهُ يا ذا الجُودِ فِينا شَفاعةً ... نَنَالُ بها الغُفْرَانَ عَنْ كُلِّ زَلَّةِ
وشَفِّعْهُ فينا وارْضَ عنا بِجَاهِهِ ... رِضاً يَتَلَقانِي بِفَوزٍ ورَحْمَةِ
وصَلِّ وسَلِّم مَا دَنا مِنكَ ذَاكِرٌ ... عَليهِ وخَصِّصْهُ بأسْنَى مَزِيَّةِ
صَلاةً وتَسْلِيماً عَليهِ وآلِهِ ... وأصْحَابِهِ مَعْ مُخْلِصِي التَّبَعِيَّةِ
وصَلِّ على الرُّسْلِ الكِرَامِ وآلِهِم ... وسَائِرِ مَنْ أكْرَمْتَهُم بالنُّبُوَّةِ
وصَلِّ على الأمْلاكِ في مَلَكُوتِهِم ... وجِبْرِيلَ مَخْصُوصاً بِأَزْكَى تَحِيَّةِ
وأهْلِ سَبِيلِ الاسْتِقَامَةِ في الهُدَى ... وصَلِّ عَلَينا عِندَهُم ذا العَطِيَّةِ
إلهي بِجَاهِ السَّيدِ الأكْرَمِ الذي ... هو الرَّحْمَةُ العُظْمَى لِكُلِّ الخَليقةِ
مُحَمَّدٌ البَرُّ الرَّحِيمُ الذي أتَى ... حَرِيصاً عَلَينا بَينَ بِرٍّ ورَأفَةِ
تَوَسَّلْتُ مُلتاذاً بِسُلطَانِ قُرْبِهِ ... إليكَ، وحَسْبِي أنْ يَكُونَ وَسِيلَتي
ومَنْ يَتَوَسَّلْ بالرَّسُولِ مُحَمَّدٍ ... يُلاقِ المُنَى مِنْ عَينِ كُلِّ رَغِيبَةِ

إلهي قَرَعْتُ البابَ مِنْ حَيثُ يَنبَغي ... ونَادَيتُ بالأسْمَاءِ في صَوتِ دَعْوَتي
ووَجَّهْتُ وَجْهِي نحو وَجْهِكَ ضَارِعاً ... واسْمُك ذِكْرِي والحَبيبُ ذَرِيعَتي
إلهيَ هَبْ لِي نَظرَةً في مَطَالِبي ... فحَسْبِي غِنىً إنْ نَظْرَةٌ مِنكَ حَقَّتِ
وَخُذْ بِيدِي فِي كُلِّ أمْرٍ سِيَاسَةً ... وحُسْنَ خِتامٍ بالرِّضَا اجْعَلْ مَبَرَّتي

الناموس الأسنى
في أسماء اللّه الحسنى

الأولى: الحَضْرَةُ الجامِعَة

باسمِكَ الأعْظَمِ العَظِيمِ الأجَلّ ... العَلِيِّ الأعْلى تَعَلَّقَ ذُلّي

باسمِكَ الأعْظَمِ المُقدَّسِ ذي النُّو ... رِ البَديعِ الرَّفِيعِ وَجَّهْتُ كُلّي

باسمِكَ الأعْظمِ الجَليلِ الكَبيرِ الـ ... ـقاهِرِ البَاهِرِ المُعِزِّ المُذِلّ

باسمِكَ الأعْظمِ الذي دَكَّ طَوْرِي ... وبإشْرَاقِ نُورِهِ نَسْخُ ظِلّي

باسمِكَ الأعْظمِ الذي تَرْجِعُ الأشـ ... ـيَا إليهِ رُجُوعَ فَزْعٍ لأصْلِ

باسمِكَ الأعْظمِ المُسَبَّحِ إيّا ... كَ بِهِ الآزَالَ مِنْ قَبْلِ قَبْلِ

باسمِكَ الأعْظمِ الذي سَبَّحَ العَر ... شُ بِهِ وَجْهَكَ الكَريمَ بِوَهْلِ

باسمِكَ الأعْظمِ الذي سَبَّحَ الرُّو ... حُ بِهِ في شُهُودِهِ والتَّجَلّي

باسمِكَ الأعْظمِ الذي سَبَّحَتْهُ ... سِدْرَةُ المُنْتَهَى وَمَنْ في المَحَلّ

باسمِكَ الأعْظمِ الذي غَشِيَ السِّدْ ... رَةَ مِنهُ ما فَوقَ فَهْمٍ وعَقْلِ

باسمِكَ الأعظمِ الذي حَمَلَ العَرْ ... شَ بِهِ حَامِلُوهُ مِنْ غَيرِ ثِقْلِ

باسمِكَ الأعْظمِ الذي أسْجَدَ العَرْ ... شَ على المَاءِ بِافْتِقَارٍ وَذُلّ

باسمِكَ الأعْظمِ الذي أَلْهَمَ الكُرْسِـ ... ـيَّ في تَسْبِيحِهِ وَكَيفَ يُصَلّي

باسمِكَ الجَامِعِ الصِّفاتِ الإلهِيَّـ ... ـاتِ قُطْبِ الأذْكَارِ مِنْ أيِّ شَكْلِ

باسمِكَ الحَقِّ مُظهِرِ الحَقِّ اسمِ الـ ـذاتِ سُلْطانِ كُلِّ اسمٍ وَفِعْلِ
باسمِكَ المُضْعِقِ المَلائِكَ إجْلا لاً وَخَوفاً عَلَى جَمالِ التَّوَلِّي
باسمِكَ الجَاعِلِ السَّمواتِ والأرْ ضِ بِوَسْطِ الكُرْسِيِّ شَعْرَةَ عَلِّ
باسمِكَ الغَالِبِ المُدَبِّرِ للأمْـ ـرِ وللخَلْقِ تَخْتَ عَقْدٍ وَحَلِّ
باسمِكَ القَابضِ القَوِيِّ القَدِيرِ الـ ـقَائِمِ المُقْسِطِ القَضَاءَ بِعَدْلِ
باسمِكَ البَاسِطِ الكَرِيمِ المُرَبِّي كُلَّ ذِي نَسْمَةٍ بِرِزْقٍ وَفَضْلِ
باسمِكَ المُبْدِعِ البَدَائِعَ والصُّنـ ـعَ بلا شِرْكَةٍ ولا سَبْقِ مِثْلِ
هو أنتَ اللهُ الذي كُنتَ والآزَا لُ كَانَتْ بِـ «كُنْ» وبَعْدُ كَقَبْلِ
هو أنتَ اللهُ المُكَوِّنُ للكَيْـ ـفِ وَلِلْكَمِّ وَالمَتَى وَالمَحَلِّ
هو أنتَ اللهُ الإلَهُ القَدِيمُ الـ أحَدُ الفَرْدُ البَاطِنُ المُتَجَلِّي
هو أنتَ اللهُ الرَّفِيعُ الجَمَالِ الصَّمَـ ـدُ الدَّائِمُ الجَلالِ الأجَلِّ
هو أنتَ اللهُ الذي لَمْ يَلِدْ، كَـ ـلّا وَلَمَّا يُولَدْ وَيُنسَبْ لأَصْلِ
هو أنتَ اللهُ المُقدَّسُ عن كُفْ ءٍ وَضِدٌّ وَعَنْ شَرِيكٍ وَشَكْلِ
هو أنتَ اللهُ المُنزَّهُ عَنْ إدْرَا كٍ حِسٍّ وَعَنْ تَوَهُّمِ عَقْلِ
هو أنتَ اللهُ المُنزَّهُ عَنْ حَدٍّ ورَسْمٍ وَأيِّ فَصْلٍ وَوَصْلِ
هو أنتَ اللهُ الذي بَدَأَ الخَلْـ ـقَ وأفْنَاهُ قَهْرُهُ المُتَوَلِّي
هو أنتَ اللهُ المُعِيدُ لما أفْنَيْـ ـتَ بَعْثاً إلى جَزَاءٍ وفَضْلِ
هو أنتَ اللهُ الذي دَانَ حَقاً أنَّهُ لا إلَهَ غَيْرُكَ عَقلي
هو أنتَ اللهُ الذي اسْمُكَ الحِسِّيُّ سَرَى سِرُّهُ بِجُزءٍ وكُلِّ
هو أنتَ اللهُ اخْتَصَصْتَ بِقَيُّو مِيَّةٍ أحَاطَتِ الوُجُودَ بحَوْلِ
هو أنتَ اللهُ العَزِيزُ الغَنَا عن سِنَةٍ أو نَوْمٍ وَسَهْوٍ وَغُفْلِ
هو أنتَ اللهُ الذي مَلَكَ العَر شَ وما فيهِ مِنْ دَقِيقٍ وجَلِّ
هو أنتَ اللهُ المُهابُ فَمَنْ يَشْـ ـفعُ إلّا بالإذْنِ مِمَّنْ تُولِّي
هو أنتَ اللهُ العَلِيمُ قَدِيماً لا بِعِلْمٍ كَعِلْمِنا بَعدَ جَهْلِ

هـو أنـتَ اللهُ الـمُـفِـيـضُ لِمَـنْ شِـ ـئتَ بـمـا شِـئـتَ مِـنْ عُـلُومٍ وَعَـقْـلِ
هـو أنـتَ اللهُ الـذي وَسِـعَ الـكُـرْ ـسِـيَّ والـعـرشَ عِـزُّهُ الـمُـتـعـلِّي
هـو أنـتَ اللهُ الـحَـفِـيـظُ فـلا تَـنْـسَـى ولا تَـعْـتـرِيـكَ وَصْـمَـةُ كَـلِّ
هـو أنـت اللهُ الـعَـلِيُّ الـعَـظِـيـمُ الـنـ ـافـذُ الأمـرِ بَـيـنَ فَـضْـلٍ وَعَـدْلِ
هـو أنـتَ اللهُ الـمُـبِـرُّ بِـإعْـلا نٍ وسِـرٍّ بِـلُـطْـفِـكَ الـمُـسْـتَـهِـلِّ
فـاتـحَ الـبِـرِّ مَـانِـحَ الـسِّـرِّ يـا اللهُ يـا اللهُ هَـاكَ وَجْـهِـي وذُلِّي
دافـعَ الـشـرِّ كَـاشـفَ الـضُّـرِّ يـا اللهُ يـا اللهُ قَـدْ عَـلِـمْـتَ، فَـكُـنْ لِي
جَـامـعَ الـنَّـاسِ لِلقِـيـامَـةِ يـا اللهُ يـا اللهُ اجْـمَـعْ شَـتـاتـي وشَـمْـلِي
دائـمَ الـمُـلْكِ ثَـابـتَ الـمَـجْـدِ يـا اللهُ يـا اللهُ انْـظُـرْ لِعَـجْـزِ الأَذلِّ
غَـالـبَ الـقَـهْـرِ شَـامِـخَ الـعِـزِّ يـا اللهُ يـا اللهُ عَـزَّ قَـهْـرُكَ حَـبْـلِي
مُـلْـقِـيَ الـنُّـورِ والـمَـعَـارِفِ يـا اللهُ يـا اللهُ اكْـشِـفْ بِـنُـورِكَ جَـهْـلِي
مُـوصِـلَ الـفَـيْـضِ بـالـلَّـطَـائِفِ يـا اللهُ يـا اللهُ صِـلْ بِـفَـيْـضِـكَ وَصْـلِي
وَاسِـعَ الـلُّـطْـفِ رَاحِـمَ الـكُـلِّ يـا اللهُ يـا اللهُ الْـطُـفْ بِـحَـالِي وحَـوْلِي
مُـسْـبِـغَ الـنِّـعْـمَـتَـيـنِ ذا الـمَـنِّ يـا اللهُ يـا اللهُ طَـوْلُ مَـنِّـكَ طَـوْلِي
قَـاسِـمَ الـرِّزْقِ مُـسْـبِـلَ الـخَـيـرِ يـا اللهُ يـا اللهُ ضَـاقَ بـالـعُـسْـرِ غُـلِّي
سَـامِـعَ الـحَـمْـدِ مُـبْـصِـرَ الـجَـهْـدِ يـا اللهُ يـا اللهُ يَـا مَـلِـيّـاً بِـنَـيْـلِي
فِـطْـرَةُ الافْـتِـقَـارِ والـعَـجْـزِ يـا اللهُ يـا اللهُ فـي قُـيُـودِ الـتَّـوَلِّي
لا تَـكِـلْـنِـي إلـى قُـوَى الـعَـجْـزِ يـا اللهُ يـا اللهُ بَـلْ تَـوَلَّ مَـحَـلِّي
كُـلُّ مـا فـي الـوُجُـودِ غَـيْـرُكَ يـا اللهُ يـا اللهُ لا يَـقُـومُ بِـفِـعْـلِ
أمْـرُكَ الـنَّـافِـذُ الـمُـصَـرَّفُ يـا اللهُ يـا اللهُ كُـلَّ دِقٍّ وجِـلِّ
قَـدْ تَـعَـلَّقْـتُ بـاسْـمِ ذاتِـكَ يـا اللهُ يـا اللهُ مُـسْـنِـداً لَكَ وَأْلِي
واعْـتِـصَـامِـي بـاسْـمِ ذاتِـكَ يـا اللهُ يـا اللهُ عَـيْـنُ عِـزِّي وحَـوْلِي
مُـدَّ لِي يـا اللهُ يـا اللهُ مَـدّاً مِـنْ تَـصَـارِيـفِ سِـرِّ الاسْـمِ الأجَـلِّ
يَـجْـعَـلُ الـمُـمْـكِـنَـاتِ مُـنْـفَـعِـلاتِ مُـلْـقِـيـاتٍ يـا اللهُ يـا اللهُ سُـؤلِي

وَاكْسُنِي مِنْ جَلالِ اسْمِكَ يا اللهُ ... قَهْراً مُحَقِّقاً فِيكَ ذُلِّي
لم يَخِبْ يا اللهُ يا اللهُ يا اللهُ ... عَبْدٌ بالاسْمِ الأعْظَمِ يُدْلِي
وَبِهِ يا اللهُ يا اللهُ حَمْدِي ... وَبِهِ سَبَّحَتْ حَقِيقَةُ كُلِّي

الثانية: الحَضْرَةُ الأحَدِيَّة

يا إلهي وحَّدْتُ ذَاتَكَ إيْمَا ... ناً وصِدقاً وفِطْرَةً لا تُوَلِّي
صِبْغَةُ اللهِ صِبْغَتِي لَكَ يا وَا ... جِدُ وَجْهِي وحَبْلُ الإسْلام حَبْلِي
مِنْ شَرَابِ التَّوحِيدِ يا أحَدُ الفَرْ ... دُ اسْقِنِي شَرْبَةَ المُحِبِّ المُدِلِّ
فَاطِرَ الكَائِناتِ فِطْرَةَ تَوْحِيـ ... ـدٍ عَلَيْها ثَبِّتْ يَقِينِي وعَقْلِي
ابْقِنِي يَا بَاقِي عَلَى العُرْوَةِ الـ ... ـوُثْقَى إلى أنْ أَلْقَاكَ في يَومِ فَصْلِ

الثالثة: الحَضْرَةُ العِرْفانيَّة

عَالِمَ الغَيْبِ والشَّهَادةِ عَلّا ... مَ الغُيُوبِ العَلِيمَ عِلْمَكَ هَبْ لي
وَاهِبَ الفَيْضِ أَوْعِ قَلْبِي بالحِكْـ ... ـمَةِ والعِلْمِ يا حَكِيمُ ومَلِّ
يا مُفِيضَ الأنوارِ نُورَ السَّمَوا ... تِ والأرْضِ اجْلِ رَيْنَ ظُلْمَةِ جَهْلِي
مَنَعَتْنِي عَنِ الحَقائِقِ حُجْبٌ ... مَزِّقِ الحُجْبَ يا مُبِينُ وجَلِّ
وَأَبِنْ لِي النُّورَ والمَعَارِفَ يا ظَا ... هِرُ مِنْ بَحْرِ نُورِكَ المُتَجَلِّي
لا تُفِتْنِي عِلمَ الحَقِيقةِ وَهْباً ... بَاطِنُ الذاتِ في ظُهُورِ التَّجلِّي
كيفَ تَبقى كَشائِفُ الجَهْلِ عِندِي ... إنْ تَكُنْ يا خَبِيرُ أنتَ المُجَلِّي
فاهْدِنِي يا هَادِي صِرَاطَكَ وأهْدِ الـ ... ـخَلْقَ لِي واهْدِ بي إلى خَيْرِ سُبْلِ
يا بَدِيعُ اكْشِفْ لِيَ البَدَائِعَ واقْذِفْ ... شُعَلَ الفَهْمِ والذَّكَاءِ بِعَقْلِي
واسْقِنِي مِنْ عَينِ الحَيَاةِ بِسِرِّ اسْـ ... ـمِكَ مُخبِي واجْعَلْهُ عَلِّي ونَهْلِي

مُـدَّ لـي مِـنْ سِـرِّ الإحَـاطَـةِ مَـدّاً ... يـا مُـحِـيـطـاً عِـلْـمـاً بِـجُـزْءٍ وكُـلِّ
يـا سَـمِـيـعُ اكْـشِـفْ لـي سَـتـائِرَ أسْـرا ... رِ الأسَـامِـي واسْـمَـعْ دُعَـائِي وَوَهْـلِي
يـا بَـصِـيـرُ امْـنَـحْـنِـي يَـقِـيـنـاً وإذْرَا ... كـاً وبَـصِّـرْ سِـرِّي بِـنُـورِكَ واجْـلِ
يـا حَـفِـيظُ احْـفَـظْـنِي وهَـبْ لِيَ حِـفْـظاً ... خَـازِنـاً مُـحْـصِـيـاً لـمَـا الـوَهْـبُ يُـمْـلِي

الرابعة: الحَضْرَةُ القُدسِيَّة

سَـيِّـدي يـا تَـوَّابُ جَـلَّتْ ذُنُـوبـي ... غَـرِّنِي حِـلْـمُـكَ الـعَـظِـيـمُ وجَـهْـلِي
سَـيِّـدي يـا غَـفُـورُ قَـدْ تُـبْـتُ فـاغْـفِـرْ ... وتَـجَـاوَزْ عَـنْ قُـبْـحِ سَـوْءَةِ فِـعْـلِي
سَـيِّـدي يـا حَـلِـيـمُ عَـادَتُـكَ الـحِـلـ ... ـمُ ومِـنْ عَـادَتِـي اقْـتِـرَافِـي وبُـطْـلِي
سَـيِّـدي يـا عَـفُـوُّ إنْ تَـعْـفُ عَـنِّـي ... فَـبِـفَـضْـلٍ وإنْ تُـعَـذِّبْ بِـعَـدلِ
سَـيِّـدي يـا رَؤُوفُ عَـطْـفـاً وصَـفْـحـاً ... حُـطَّ عَـنِّـي مِـنَ الـخَـطِـيـئـاتِ ثِـقْـلِي
غَـافِـرَ الـذنـبِ إنْ غَـفَـرْتَ ذُنُـوبـي ... أنْـتَ أهْـلٌ لـهَـا ولَسْـتُ بـأهْـلِ
قَـابِـلَ الـتَّـوْبِ بَـاذِلَ الـعَـفْـوِ قَـدْ تُـبْـ ... ـتُ نَـصُـوحـاً مِـنْ أيِّ جِـدٍّ وهَـزْلِ

الخامسة: الحَضْرَةُ الرَّحَمُوتيَّة

مُسْتَغِيثٌ قَدْ مَسَّنِي الضُّرُّ يا رَحْمـ ... ـن فـاكْـشِـفْ ضُـرِّي وبُـؤْسِـي وقِـلِّي
مُسْـتَـمِـدٌّ فَـيـضَ الـرَّحِـيـمِ بِـفَـقْـرِي ... تَـحْتَ بَابِ الرُّحْمَى بِقَوْلِي وفِعْلِي
رَبِّ لا تُـلقِـنِـي إلـى حَـوْلِ نَـفْـسِـي ... إنَّـهُ لَـيْـسَ حَـوْلُ نَـفْـسِـي بـحَـوْلِ
أخِـي يـا حَـيُّ فِـطْـرَتِـي فِـيكَ واجْـعَـلْ ... لِـيَ نُـوراً يَـمْـشِـي بِـهِ حَـالَ حَـظْـلِي[1]
لـم يَـفُـتْ يـا قَـيُّـومُ عِـلْـمَـكَ فَـقْـرِي ... وانْـكِـسَـارِي وكَـيْـفَ سُـوءُ مَـحَـلِّي

(١) حَظْلي: مَنعي مِن المَشي، والحَظَلُ من قَصَرَ في مشيته من ألم أو غضب.

يـا وَلِيِّـي تَـوَلَّ دَفـعَ خُـطُـوبٍ ... دَفَـعَـتْـنِـي مـا بَـيـنَ ضُـرٍّ وذُلّ
لَسْتُ أرجو لها سِوَى وَعْدِكَ الحَـ ... ـقِّ الذي يَرْتَجيهِ يا حَقُّ مِثْلي
أوْلِنـي أوَّلِيَّـةَ الـسَّـبْـقِ يـا أوَّ ... لُ والـقُـرْبَ مِـنـكَ لِي والـتَّـوَلِّي
ألْقِنـي يـا قُـدُّوسُ فـي بَـحْرِ تَـقْـدِيـ ... ـسِكَ واغْسِلْ بالقُدْسِ نَفسِي وعَقْلي
واكْـسُـنِـي يـا سَـلامُ عَـافِـيـةً تِـشْـ ... ـمَـلُ طَـوزَيَّ واكْـفِـنـي كُـلَّ هَـولِ
هَبْ لنَفسِي الإيمَانَ يا مُؤْمِنَ الرَّوْ ... عَةِ واجْعَلْ خَوفِي لمَقْتِكَ شُغْلي
عَـظُـمَ الـخَـطْـبُ يـا مُـهَـيـمِـنُ أدْرِكْـ ... ـنِي وَحْـيـاً غَـوْثَـاهُ غَـوْثَـاهُ كُـنْ لِي
مـزَّقَـتْ يـا جَـبَّـارُ شَـمْـلِي دَوَاهٍ ... فاجْبُرِ الصَّدْعَ واجْمَعِ اليَومَ شَمْلي
لا تَـذَرْنِـي يـا خَـالِقِـي غَـرَضَ الـبَـلْـ ... ـوَى أَحِـطْـنِـي مِـنْ كُـلِّ كَـيْـدٍ وخَـتْـلِ
بَـارِىءَ الـكُـلِّ ابْـرِئِ الـنَّـفْـسَ مِـنْ دَا ... ءِ عُـضَـالٍ سَـرَى بِـجُـزْئِي وكُـلِّي
صَـوِّرِ الـخَـوفَ مِـنكَ فـي قَـلْـبِـيَ الـقَـا ... سِـي وحُـسْـنَ الـرَّجَـا مُـصَـوِّرَ شِـكْـلِي

السَّادسة: الحَضْرَةُ الفُتوحِيَّة

يـا غَـنِـيُّ الـمُـغْـنِـي لَكَ الـمُـلْـكُ والـسُّـلـ ... ـطَـانُ أشْـكُـو إلـيـكَ فَـقـرِي وذُلِّي
يـا حَـمِـيـدَ الـفِـعـالِ ذا الـمَـنِّ بـالـلـطـ ... ـفِ عَـلَـى خَـلقِـهِ انْـفِ عُـسْـرِي وقُـلِّي
يـا كَـرِيـمُ الـرَّحِـيـمُ يـا مُـوسِـعُ الـمُـنْـ ... ـعِـمُ ضَـاقَـتْ لِسُـوءِ رِزْقِـيَ سُـبْـلِي
يـا وَهُـوبُ الـبَـرُّ الـكَـفِـيـلُ الـحَـفِـيُّ الـ ... ـمُـحْـسِـنُ الـمُـجَـمِّـلُ ابْـتَـدِرْنِـي بِـفَـضْـلِ
يـا قَـدِيـمَ الإحْـسَـانِ ذا الـطَّـوْلِ يـا مُـغْـ ... ـطِـي أغِـثْـنِـي وَحْـيـاً بِـيُـسْـرٍ وطَـوْلِ
يـا وَصُـولاً بـالـخَـيـرِ يـا مَـانِـحُ الـو ... هَّـابُ هَـبْ لي مِنْ فَيضِ وَهْبِكَ سُؤْلي
بـاسِـطَ الـرِّزْقِ ابْـسُـطْ لِيَ الـرِّزْقَ مَـوْفُـو ... رَاً فـقَـدْ شَـدَّنِـي افـتـقـاري بِـغُـلِّ
ضَـاقَ صَـدْرِي وعِـيـلَ صَـبـرِيَ يـا وا ... سِـعُ وَسِّـعْ عَـيْـشِـي بـأوْسَـعِ نَـيْـلِ
أُغْـلِقَـتْ دُونـيَ الـمَـسَـالِـكُ يـا فـتـا ... حُ فـافـتـحْ بـالـيُـسْـرِ لِي كُـلَّ قُـفْـلِ
سَـاوَرَتْـنِـي الـبَـأْسَـاءُ والـفَـقْـرُ يـا مَـنّـا ... نُ عَـجِّـلْ بـمَـنِّـكَ الـمُـسْـتَـهِـلّ

يا مُنِيلُ الجَوَادُ يا مُفْضِلُ الرَّ ... زَّاقُ يا رَاحِمَ المُعِيلِ المُقِلّ
يا مُقِيتُ المُبِرُّ يا وَاجِدُ المُو ... جِدُ رِزْقِي بَارِكْ عَلَيهِ وَزِدْ لِي
يا حَفِياً بِخَلْقِهِ يا خَفِيَّ اللط ... فِ أَدْرِكْ حَالِي بِلُطْفٍ وَفَضْلِ
مُبْدِىءَ النَّشْأةِ ابْتَدَأْتَ بِنَعْمَا ... ءَ ولم أَسْتَحِقَّ ما أَنْتَ مُولِي
فَأَعِدْ يا مُعِيدُ ما لَيسَ يُغْنِيـ ... ـكَ بِمَنْعٍ ولا يَقِلُّ بِبَذْلِ
يا شَكُوراً مِنْ عَبدِهِ النَّزْرَ أَشْعِرْ ... نِي شُكراً في أيِّ كُنْرٍ وقِلّ
وَقَلِيلٌ شُكْرُ العِبادِ وأنتَ الشَّا ... كِرُ العَبْدَ للذي مِنْكَ تُولِي

السابعة: الحَضْرَةُ الجَبَروتيَّة

مَلِكَ النَّاسِ مَالِكَ المُلْكِ تُؤتِي الـ ... ـمُلْكَ والعِزَّ مَنْ تَشاءُ وتُغْلِي
بِجَلالٍ يا ذا الجَلالِ وذا الإكْـ ... ـرَامِ أكْرِمْ نَفسَ المُلِظِّ الأذَلّ
يا عَزِيزُ المُعِزُّ مَنْ ذَلَّ في جِد ... مَتِهِ ارْفَعْ بِعِزِّ عِزِّكَ ذُلِّي
واكْسُنِي مِنْ سِرِّ اسْمِكَ المُتكَبِّرِ ... خَاضِعاً تَحْتَ كِبْرِيَائِكَ كُلِّي
يا عَلِيُّ الأعْلَى يُسَبِّحُكَ العَزْ ... شُ وما فِيهِ فِيكَ شَأْنِيَ أَعْلِ
يا عَظِيمَ السُّلطانِ يا بَاهِرَ القُدْ ... رَةِ غَلَّبْ أَيدِي وَأَيِّدْ مَحَلِّي
يا مَجِيدُ القَهَّارُ ذا العَرْشِ هَبْ لِي ... مَجْدَ قَهْرٍ يَقتادُ أَنْفَ الأجَلّ
يا مَلِيكُ الدَّيانُ يا شَامِخَ العِـ ... ـزَّةِ ذُلَّ خَصْمِي لِقَولِي وفِعْلِي
يا كَبِيرُ الجَلِيلُ عَنْ كُلِّ ضِدٌّ ... أَعْلِ فَوقَ الأضْدَادِ أَيدِي وحَولِي
لَيسَ حَظِّي يَنبُتُ يا مُنْتَعالِ ... والجَلالُ الأعْلى مَعَاذِي وحَبلِي
لم يَعُدْ بالجَلالِ يا صَمَدُ المَخْـ ... ـمُودُ مِثلِي فلم يُنَفَّخْ بِوَصْلِ
يا وَدُودُ الحَنَّانُ لِي أَنْتَ حَسْبِي ... إنْ تَوَلَّى عَنِّي قَلَى مُتَوَلِّي

الثامنة: الحَضْرَة القُرْبِيَّة

نَـجِّـنِـي يَـا خَـلّاقُ مِـنْ كُـلِّ كَـرْبِ ... لـيـسَ تَـشْـقَـى عَـلَـيكَ لَهْـجَـةُ مِـثْـلِي
وَأَتِـحْ لـي نَـجَـاةَ ذِي الـنُّـونِ وَحْـيـاً ... يَـا قَـرِيـبُ الـدَّانِـي بِـغَـيـرِ مَـحَـلِّ
وَاسْـتَـجِـبْ يَـا مُـجِـيـبُ دَعْـوَةَ مَـظْـلُو ... مٍ غَـرِيـبٍ مُـسْـتَـضْـعَـفٍ مُـسْـتَـذَلِّ
صَـادِقَ الـوَعْـدِ هَـذه دَعَـوَاتِـي ... أَنْـجِـزِ الـوَعْـدَ وابْـتَـدِرْنِـي بِـكَـفْـلِ

التاسعة: الحَضْرَةُ القاصِمَة

وَاكْـفِ يَـا آخِـرُ الأَعَـادِيَ بِـالـتَّـأْ ... خِـيـرِ عَـنْ قَـصْـدِهِـم بِسِـرِّ الـمُـذِلّ
يَا قَـوِيَّ الأَخْـذِ الـشَّـدِيـدَ الـمِـحَـالِ الـ ... ـقَـاصِـمُ ادْمَـغ فَـوقَ الأَلَـدِّ الـمُـضِـلّ
اعْـطِـنِـي يَـا مَـتِـيـنُ أَيْـداً[1] مَـكِـيـنـاً ... لا تُـبِـلْ مِـنِّـي الـعُـدَاةَ وَدُلْ لِي
رَبِّ قَـهِّـرَ الـرِّجَـال أَشْـكُـو فَـيَـا قَـا ... هِـرُ هَـبْ لِـي قَـهْـراً يُـذِلُّ مُـذِلِّي
يَا شَـدِيدَ الـعِـقَـابِ ذا الـبَـطْـشِ وَالأَخْـ ... ـذِ الأَلِـيـمِ الـشَّـدِيـدِ خُـذْهُـم بِـعَـدْلِ
وَارِثَ الأَرْضِ خُـذْهُـمُ وَأَبِـدْهُـمْ ... وَانْـتَـصِـرْ لِي مِنهُم وَخُذْ لِي بِذخلِي[2]
كَـادَنِـي الـخَـصْـمُ يَـا حَـسِـيـبُ فَـكِـدْهُ ... أَمْـتَـنَ الـكَـيْـدِ لا تَـدَعْـهُ بِـمَـهْـلِ
أَرِنِـي الـعَـدلَ فِـيـهِ يَـا قَـائِـماً بِـالـ ... ـقِـسْـطِ وَالـعَـدلُ مِـنكَ لَـيسَ بِسَـهْـلِ
رَبِّ أَنـتَ الـشَّـهِـيـدُ وَالـحَـكَـمُ الـعَـدْ ... لُ انْـتَـصِـفْ لِي مِنْ ظَالِمِي وَاشْفِ غِلِّي
لَـم تَـغِـبْ عَـنـكَ يَـا رَقِـيـبُ مَـسَـاعِـيـ ... ـهِ وَأَنـتَ الـمُـحْـصِـي لِقَـوْلٍ وَفِـعْـلِ
فَـاصْـطَـلِـمْـهُ وَأَخْـزِهِ وَأَمِـتْـهُ ... يَـا مُـمِـيـتَ الأَحْـيَـاءِ مَـوتَـةَ ذُلّ
لَـيسَ يَـنـجُـو وَأَنـتَ مُـقْـتَـدِرٌ مِـن ... غَـضَـبِ اللهِ ظَـالِـمٌ مُـتَـوَلِّي
أَرْدِهِ يَـا قَـدِيـرُ وَادْمَـغْـهُ دَمْـغـاً ... إِنَّـهُ لِـلإِمْـهَـالِ لَـيـسَ بِـأَهْـلِ

---

(١) أيْداً: قُوَّة وشِدّة ـ في المَثل: «الكَيدُ أبلَغُ من الأيْد». وفي مُحكَم التنزيل: «والسَّماءَ بَنَيناها بِأَيْدٍ»؛ أي بقُوَّة.

(٢) ذخلي: حِقدي.

وَأَذِقْهُ الْهَوَانَ وَالْخِزْيَ يَا قَا ... دِرُ وَاتْلُلْ عُرُوشَهُ كُلَّ تَلِّ

يَا سَرِيعَ الْحِسَابِ يَا مُهْلِكُ الْمُذْ ... رِكِ أَدْرِكْ خَصْمِي بِخِزْيٍ وَوَيْلِ

بِاسْمِكَ الْبَاعِثِ ابْعَثِ الشَّرَّ وَالْبَلْ ... وَى عَلَيْهِ كَالْوَابِلِ الْمُنْهَلِّ

يَا مُذِلَّ الْجَبَّارِ ذا الْقُوَّةِ الْمُنْ ... تَقِمُ الْغَالِبُ انْتَقِمْ لِي وَكِدْ لِي

يَا مُبِيدَ الْقُرُونِ يَا قَابِضَ الأَرْ ... وَاحِ خُذْ رُوحَهُ عَلَى غَيْرِ مَهْلِ

خُذْهُ الأَخْذَ الْوَبِيلَ فِعْلَكَ يَا فَعَّـ ... ـالُ فِي الْغَابِرِينَ مِثْلًا بِمِثْلِ

أَنْتَ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرِ افْ ... تَحْ وَعَجِّلْ نَصْراً عَزِيزاً لِحَوْلِي

وَاكْفِنِي يَا كَافِيَ بِمَا شِئْتَ عِدَا ... نِي وَحْياً وَكُلَّ صَعْبٍ وَهَوْلِ

خاتمة السعادة

سَيِّدي سَائِلٌ بِأَسْمَائِكَ الْحُسْـ ... ـنَى عَلَى بَابِكَ الْعَظِيمِ الأَجَلِّ

سَيِّدي عَائِذٌ بِأَسْمَائِكَ الْحُسْـ ... ـنَى ذَوُوبٌ بِحُبِّهَا مُتَدَلِّي

سَيِّدي مُخْبِتٌ بِأَسْمَائِكَ الْحُسْـ ... ـنَى وَأَذْكَارُهَا حَدِيثِي وَشُغْلِي

سَيِّدي عَزَّنِي الْوُجُودُ مَلاذاً ... وَتَعَمَّتْ أَمَامَ وَجْهِيَ سُبْلِي

سَيِّدي مَنْ يَحُلُّ حِمَاكَ يُصَادِفْ ... كَرَماً مُنْزَلًا بِرَحْبٍ وَأَهْلِ

سَيِّدي أَيُّ قَاصِدٍ طَوَّحَتْهُ ... فِي حِمَاكَ الْخُطُوبُ بَاءَ بِحَظْلِ

سَيِّدي أَيُّ وَارِدٍ لَكَ لَمْ تَمْـ ... ـلأْ رَوَايَاهُ مِنْ نَدَاكَ بِسَجْلِ

سَيِّدي أَيُّ بَائِسٍ مَسَّهُ الضُّـ ... ـرُّ وَنَادَاكَ لَمْ تُغِثْهُ بِطَوْلِ

سَيِّدي أَيُّ مُحْسِنٍ فِيكَ ظَنَّاً ... لَمْ يَكُنْ ظَنُّهُ الْيَقِينَ الْمُجَلِّي

سَيِّدي أَيُّ مُحْسِنٍ أَوْ مُسِيءٍ ... وَكِلَتْهُ الأَلْطَافُ إِلَّا لِفَضْلِ

سَيِّدي مَن يَصْرِفْ هَوَاهُ إِلَى غَيْـ ... ـرِكَ لَمْ يُلْفِ مِنْكَ غَيْرَ التَّوَلِّي

سَيِّدي كَيْفَ بِي وَقَدْ بَرِحَ الشَّو ... قُ بِقَلْبِي إِلَيْكَ وَاسْتُلَّ عَقْلِي

سَيِّدي لَوْ أَمَلْتُ عَنْكَ هَوَى نَفْـ ... ـسِي تَلَطَّفْتَ بِي فَعَدَّلْتَ مَيْلِي

سَيِّدي لو غَمَسْتُ نفسي في ظُلْـ ـمَةِ طَبْعِي أدْرَكْتَ جَذْبي وَنَشْلِي
سَيِّدي لو فَرَرْتُ عُمْري عَنْ با ـبِكَ أَلْفيتُ مَنْ أُزَايِلُ حَوْلِي
سَيِّدي لم أجدكَ إلّا جَمِيلاً تَتَدَانَى مِنِّي وَأَنْأى بِجَهْلِي
سَيِّدي مِنكَ ما يَلِيقُ بِما أنـ ـتَ مَلِيٌّ بِهِ وَمِنِّيَ شَكْلِي
سَيِّدي أخْلَقَتْ ذُنُوبِيَ وَجْهِي وَرَمَتْنِي بالشُّؤمِ سَوْءَةُ فِعْلِي
سَيِّدي مَزَّقَتْ حَياتِي المَعَاصِي وَاقْتِرَافُ الخَطَّاءِ لِلخَيرِ يُبْلِي
سَيِّدي إنْ أسْرَفْتُ في الذَّنبِ لا آ تِي بِخَيرٍ فتِلْكَ فَعْلاتُ مِثْلِي
سَيِّدي لا يَزْكُو الذي لَزَّهُ الطَّبْـ ـعُ إلى ما يُرضِي الرَّحِيمَ بِحَبْلِ
سَيِّدي لو قَامَرْتُ شَيطانَ نفسي بِقِدَاحِ الطَّاعَاتِ أحْرَزْتُ خَصْلي
سَيِّدي إن يَكُ اقترافي عَظِيماً فهو في حِلْمِ اللهِ عَيْنُ الأقَلِّ
سَيِّدي ما فَرَّطْتُ فِيكَ اجْتِراءً إنها فَلْتَةُ الغُرورِ بَدَتْ لي
سَيِّدي إنْ تَحْمِلْ على العَدْلِ نفسي كانَ حَقاً عَلَى عَذابِكَ حَمْلي
سَيِّدي لا تُطِيقُ سَطْوَتَكَ العُظْـ ـمَى عُبُودِيَّتِي وَفِطْرَةُ ذُلِّي
سَيِّدي لا يُجِيرُ شيءٌ عَلى اللهِ وَلا عَنكَ مَهْرَبٌ لِمَحَلِّ
سَيِّدي أيُّ مَلْجَإٍ غَيرِ إحْسَا نِكَ لِلعَبْدِ مِنكَ أم أيُّ وَأْلِ
سَيِّدي إن طَرَدْتَنِي غَيرَ مَقْبُو لٍ فَوَيْلِي مما دَهَانِيَ وَيْلي
سَيِّدي إن طَرَدْتَني خَاسِرَ الصَّفـ ـقةِ لم أُلْفِ مَن يَقومُ بِكَلِّي
سَيِّدي إن يَكُنْ هَوَايَ جِجَابي عَنكَ فاجْعَلْ هَوَايَ كالمُضْمَحِلّ
سَيِّدي ما عَصَيتُ جَبْراً مِنَ القُد رَةِ بَلْ سَوَّلَتْ لِيَ النَّفسُ فِعْلي
سَيِّدي ما عَصَيتُ شَكّاً بِوَعْدٍ وَوَعِيدٍ ولا اعْتِصَاماً بِحَوْلي
سَيِّدي ما زَايَلْتُ بَابَكَ عَنْ أمْـ ـنٍ وَيَأْسٍ وَلا اكْتِفاءً بِطَوْلي
سَيِّدي كُلُّ ما عَدَاكَ مَجَازٌ وَدَلِيلٌ عَليكَ لِلمُسْتَدِلّ
سَيِّدي لا أرَى المَجَازَ وَلا أشْـ ـهَدُ إلّا حَقِيقَةَ المُتَجَلِّي
سَيِّدي لا يَرُدُّ أمْرَكَ تَدبِيرُ ضَعِيفٍ وَلا احْتِيالُ مُقِلّ

سَيِّدي هَفْوَتِي لِسُوءِ اخْتِيارِي ... وَاتِّبَاعِي خُطَا العَدوِّ المُضِلِّ

سَيِّدي هَلْ تُقِيلُني عَثْرَةُ الجَهْـ ... ـلِ فعُذري إليكَ غِرَّةُ جَهْلِي

سَيِّدي لو عَصَاكَ ما خاطَهُ العَزْ ... مُ تأنِّيتَهُم بِحِلْمٍ وَفَضْلِ

سَيِّدي لو عَصَاكَ ما خاطَهُ العَزْ ... مُ لما أنقصُوكَ حَبَّةَ بَقْلِ

سَيِّدي ما أغْنَى جَلالَكَ عَنْ طَا ... عَةِ وَجْهِي وَعَنْ فُرُوضِي وَنَفْلِي

سَيِّدي إن وَفَّقْتَنِي لمَرَاضِيـ ... ـكَ فأحْسَنْتُها فَنَفْعٌ لأَجْلِي

سَيِّدي إن ظَلَمْتُ نَفسِي فَهُلْكِي ... أنتَ رَبِّي العَزيزُ عَنْ أيِّ فِعْلِي

سَيِّدي قَدْ أجْرَمْتُ قاصِمَةَ الظَّهْـ ... ـرِ وَأوْقَرْتُ النفسَ أثْقَلَ حِمْلِ

سَيِّدي حُبُّكَ المَتابُ إلى الرَّحْـ ... ـمَةِ يَحْدُو وَعَنْ جَمَالِكَ يُمْلِي

سَيِّدي تُبْتُ مُخلِصاً لَكَ وَجْهِي ... مِنْ ذُنُوبِي بأيِّ فِعْلٍ وَقَوْلِ

سَيِّدي تُبْتُ عَالِماً أنَّ مَنْ أمَّـ ... ـكَ عَاجَلْتَهُ بِصَفْحٍ وَطَوْلِ

ما أُبَالِي إنْ تَغْفُ عَني وَتَرْضَى ... سَخَّرَتْنِي الأكْوَانُ أو سُخِّرَتْ لِي

رَبِّ إنِّي مِنَ البَلاءِ جَزُوعٌ ... وَمُعَافَاتُكَ المُقِيمَةُ سُؤْلِي

رَبِّ أشْكُو إليكَ فَقراً وَذُلًّا ... وَاخْتِياجاً لبَيِّنِ الفَقْرِ مِثْلِي

رَبِّ أنتَ الغَنِيُّ ذو الرَّحْمَةِ الوا ... سِعَةِ املأْ كَفَّيْ رَجَائِي بِفَضْلِ

رَبِّ لم تَنْفَدِ الخَزَائِنُ وَالطَّوْ ... لُ وَلا ضَاقَتِ الأيَادِي بِطَوْلِ

رَبِّ تُعطِي لِحِكْمَةٍ بالمَقادِيـ ... ـرِ وَتُغْطِي بِغيرِ وَزْنٍ وَكَيْلِ

رَبِّ إنْ تُعْطِنِي فقد نَضَبَ المَا ... ءُ وَجَفَّ المَرْعَى لِشِدَّةِ مَحْلِي

رَبِّ أشْكُو إليكَ طَرْقَ الرَّزَايا ... جَلَبَتْ لِي حَرْباً بِخَيْلٍ وَرَجْلِ[1]

رَبِّ أشْكُو إليكَ طَاغِيَةً فاكْبِتْهُ ... كَبْتاً وَابْهَلْهُ أعْظَمَ بَهْلِ

رَبِّ نَكِّلْ بِهِ وَشَدِّدْ عَلَيْهِ ... وَطْأةَ الانْتِقامِ في غَيرِ مَهْلِ

أعْطِنِي قُوةً عَلَيهِ وَحَوْلًا ... لَيسَ يَقوَى بِغيرِ حَوْلِكَ حَوْلِي

---

(١) الرَّجْل: الماشي على رِجْلَيه. واسمٌ لجمع الراجل الماشي على رجليه.

مُدَّنِي مِنْ قُوَى سُطَاكَ بِقَهْرٍ ... وَاقْتِدارٍ يَطْوِيهِ طَيَّ السِّجِلّْ
وَاكْسُنِي مِنْ جَلالِ عِزَّةِ أَسْمَا ... ئِكَ عِزّاً لا يُسْتَضَامُ بِذُلّْ
فَالعَزِيزُ المَنِيعُ مَنْ أَدْرَكَتْهُ ... غِيرَةُ اللهِ بِانْتِصَارٍ وَصَوْلِ
وَالعَزِيزُ المَنِيعُ مَنْ نُصْرَةُ اللهِ ... أَقَامَتْهُ فِي مَحَالِّ التَّوَلِّي
وَالعَزِيزُ المَنِيعُ مَنْ مَتَّ ذا العِزَّ ... ةِ وَالكِبْرِيَاءِ مِنكَ بِحَبْلِ
غَارَةَ اللهِ أَدْرِكِي نُصْرَتِي إذ ... عَزَّنِي النَّصْرُ مِنْ قَرِيبٍ وَخِلّْ
غَارَةَ اللهِ جَرِّدِي صَارِمَ المَقْـ ... ـتِ على مَفْرَقِ الظَّلُومِ المُضِلّْ
غَارَةَ اللهِ بَيِّتِي الكُفْرَ وَالطُّغْـ ... ـيَانَ أو صَبِّحِيهِ مِنكِ بِثَكْلِ
غَارَةَ اللهِ قَدْ ظُلِمْتُ وَشَكْوا ... يَ إلى مَنْ يَرَى وَيَسْمَعُ قَوْلِي
غَارَةَ اللهِ بِالصَّوَاعِقِ مِنْ نَقْـ ... ـمَتِهِ فاخْصِبِي العِدَى وَاسْتَهِلِّي
رَبِّ سُلطانُكَ النَّصِيرُ نَصِيرِي ... وَخُلُوصُ الدُّعَا سُيُوفِي وَنُبْلِي
وَجُنُودُ الأسْمَاءِ أنصَارُ قَهْرِي ... وَكُنُوزُ الأسْمَاءِ كَنْزِي وَطَوْلِي
وَحُصُونُ الأسْمَاءِ مَعْقِلُ أَمْنِي ... وَغُيُوثُ الأسْمَاءِ غَيْثِي لِمَحْلِي
وَبُرُوقُ الأسْمَاءِ تَخْطَفُ أبْصَا ... رَ المُرِيدِينَ سُوءَ حَالِي وَذُلِّي
وَفُيُوضُ الأسْمَاءِ قُوَّةُ تَصْرِي ... فِي وفَضْلِي في الكَائِناتِ ووَصْلِي
فاكْسُنِي مِنْ لأْلاءِ أسْرَارِهَا نُو ... راً وَهَبْ لِي بِفَيْضِهَا كُلَّ سُؤْلِي
وأعِشْنِي مُتَيَّماً مُولَعَ القَلْـ ... ـبِ بِأَذْكَارِهَا نَهَارِي ولَيْلِي
وأغِثْنِي بِهَا وجَلِّ هُمُومِي ... وغُمُومِي وحِلَّ قَيْدِي وغُلِّي
لستُ أَخْشَى مِنَ الحَوادِثِ إنْ كُنْـ ... ـتَ بِأَنْوَارِ سِرِّهَا مُتَجَلِّي
فَارِجَ الهَمِّ كاشِفَ الغَمِّ عَجِّلْ ... فَرَجاً عَاجِلاً ولُطْفاً بِذُلِّي
يَا مُغِيثَ المَلْهُوفِ يَا رَاحِمَ العَبْـ ... ـرَةِ يَا مُنْجِيَ الغَرِيقِ اسْتَجِبْ لي
حَيْطَةُ العِلمِ بي مَنَابُ سُؤالي ... وسُؤالي فَقري وذُلِّي مَحَلِّي
وسُؤالُ اللسَانِ والقلبِ تَشْرِيـ ... ـفٌ وفَضْلٌ تَقضِي عَليهِ بِفَضْلِ
وسَبَاني الجَمَالُ مِنْ قَوْلِكَ: «ادْعُو ... نِي» وحُسْنُ الرَّجَاءِ هَيَّمَ عَقْلِي

وإلى وَجْهِكَ الكَرِيمِ تَجَلَّتْ ... مِدَحٌ مِنكَ فِيكَ والاسْمُ يُمْلِي

أسْرَقَتْ مِنْ سَنائِرِ اللطْفِ أنْوَا ... رُ سَناها لا مِنْ كَثِيفةِ جَهْلِي

كَلِمٌ طَيِّبٌ ورَبٌّ رَحِيمٌ ... ومَقامِي مَقامُ شَاكٍ مُقِلٍّ

هذه سَيِّدي الوَسِيلَةُ أدْلُو ... هَا إلى وَجْهِكَ الكَرِيمِ الأجَلِّ

لَيسَ لِي حُجَّةٌ ولا مِنْ شَفِيعٍ ... بِانْتِهَالِي وَذِكْرِ اسْمِكَ أُدْلِي

ما أرَانِي أخِيبُ إذْ قُمْتُ أدْعُو ... كَ وألْقَيتُ عِندَ بَابِكَ رَحْلِي

ولِسَانِي يَتلُو وإخْلاصُ قلبِي ... تَحتَ مِيزَابِ سِرِّ الأسْمَاءِ يُمْلِي

فأجِزْنِي رِضَاكَ في جَنَّةِ الخُلْـ ... ـدِ مُلَقَّى بِوَالِدَيَّ ونَسْلِي

واجْزِنِي رِفداً تَصُونُ بِهِ وَجْـ ... ـهِي عَنِ الخَلقِ عَاجِلًا فَوقَ سُؤْلِي

رَبِّ أبْلِغْ ذاتَ النَّبِيِّ الذي أرْ ... سَلتَهُ رَحْمَةً وخَاتَمَ رُسْلِ

أحْمَدَ المُصْطَفى صَلاةً وتَسْلِيـ ... ـماً كما تَرْتَضِي لَهُ أنْ تُصَلِّي

وعلى الآلِ والصَّحَابةِ ما أخْـ ... ـلَصَ دَاعٍ وما أجَزْتَ بِفَضْلِ

واجْزِهِ خَيرَ ما جَزَيْتَ رَسُولًا ... من عَظِيمِ الرِّضَا وحُسْنِ التَوَلِّي

وتَدَارَكْ بِحَقِّهِ دَعَواتِي ... بِقَبُولٍ ونَائِلٍ مِنكَ جَزْلِ

وأفِضْ رَحْمَةً بِإمْدَادِهِ تَكْـ ... ـشِفُ كَرْبِي بها وتَجْمَعُ شَمْلِي

أيُّ كَرْبٍ ما حَلَّهُ اللطْفُ عَنْ مُسْـ ... ـتَمْسِكٍ مِنْ حُبِّ النبِيِّ بِحَبْلِ

فَازَ دَاعِيكَ بالإجَابَةِ إنْ مَـ ... ـتَّ بِمَعْنى جَمَالِهِ المُتَجَلِّي

النفحة الفائحة
في التوسل بأسماء الفاتحة

الله

بِـاسْـمِـكَ يَـا اللهُ أَخْـلَصْـتُ دَاعِـيـاً ... أَزِلْ حَظَّ نَـفْـسِي لا تَـدَعْ مِـنهُ بَـاقِيَا
وخُـذْنِـي بِـنـورِ اللهِ عَـنْ بَـشَـرِيَّـتِـي ... إلى عَـالَمِ التَّـقْـدِيـسِ مِنْ شَـهَـوَاتِيَا
ومَزِّقْ حِجَابَ القَبْضِ بَينِي وبَينَ ما ... تَـوَلَّـيْـتُ عَـنـهُ مِـنْ بَـسِـيـطِ حَـيَـاتِـيَـا
وأَشْعِلْ وُجُودِي مِنْ بَوارِقِ فَيْضِهِ ... بِـلامِـعَـةٍ تَـمْـحُـو ظَـلامَ صِـفـاتِـيَـا
وحَـقِّـقْ بِـلاهُـوتِـيَّـةِ الاسْـمِ ذِلَّـتِـي ... لِتَـلْـبَـسَ نَـاسُـوتِـيَّـتِـي الـعِـزَّ وَاقِـيَـا
وجَـرِّدْ وُجُـودِي حَـيـثُ لا أَحَـدِيَّـتِـي ... وجَـوِّدْ وُجُـوداً آمِـراً بِـكَ نَـاهِـيَـا
يَـفِـيضُ عَـلَـيـهِ اسْـمُ الـجَـلالَةِ فَـيْـضَـةً ... فَـيَـسْـطُـو جَـلالِي قَـاهِـراً مُـتَـعَـالِيَـا
ومِـنْ عَـالَـمِ التَّـقْـدِيـسِ مَـكِّـنْ مَـآخِـذِي ... بِـتَـأْثِـيـرِهِ فِـي عَـالَـمِـي حَـسْـبَ حَـالِيَـا
ومِـنْ بَـسْـطَـةِ الأَلْـطَـافِ هَـبْ لِي بِـسِـرِّهِ ... بَـسَـائِـطَ يَـفْـنَـى الـكَـوْنُ وهِـيَ كَـمَـا هِـيَـا
وَقَـوِّ شُـهُـودِي بَـعـد تَـحْـقِـيـقِ مَـا أَنَـا ... بِـمـا هُـوَ واكْـشِـفْ لِي بِـهِ جَـهْـلَ مـا بِـيَـا
وجَـلِّ بِـهِ ظُـلْـمَـاتِ جَـهْـلِي وغَـفْـلَـتِـي ... فَـتَـسْـطُـعَ بِـالأَنْـوارِ مِـشْـكَـاةُ ذَاتِـيَـا

الرَّب

وَيَـا رَبِّ يَـا رَبُّ اغْـتَـفِـرْ مـا تَـجَـشَّـمَـتْ ... عُـبُـودِيَّـتِـي إِذْ لا تَـعَـافُ الـمَـسَـاوِيَـا

وخُذْ بِيَدِي يَا رَبِّ كي لا يَرُبَّنِي ... هَوَايَ فأرْدَى في المَهَالِكِ هَاوِيَا
ويَا رَبِّ إنْ جَاوَزْتُ طَورِي وغَرَّني ... بِكَ الجَهْلُ مَفتُوناً بما لَسْتَ رَاضِيَا
فما أسْلَمَتْ وَجْهاً ولا أخْلَصَتْ دُعاً ... عُبُودِيَّتِي إلّا لِوَجْهِكَ صَافِيَا
ولا عَرَفَتْ رَباً إذا أخْبَتَتْ لَهُ ... سِوَاكَ ونَادَتْهُ أجَابَ المُنَادِيَا
وتلكَ خِلالُ العَبدِ يَبْطُرُ نَاعِماً ... ويَجْزَعُ إمَّا مَسَّهُ الشَّرُّ عَانِيَا
أقِمْ لِي كَمَالِي بالخُضُوعِ لِعِزَّةِ الـ ... ـرُّبُوبِيَّةِ العُظْمَى على نَقْصِ حَالِيَا
فكَونِيَ عَبْداً فِيكَ ذُلِّيَ خَالِصٌ ... وسَائِرُ أطْوَاري مَقَامُ فَخَارِيَا
وكَونِيَ عَبْداً قَاهراً بِكَ شَهْوَتي ... خَلاصِي وإخْلاصِي وتَحْرِيرُ ذَاتِيَا
بِحَوْلِكَ مَلِّكْنِي تَدابيرَ عَالَمِي ... ولا تُلْقِ تَدبيري لِسُوءِ اخْتِيَارِيَا
على أنَّهُ لا حَوْلَ عِنْدِي لِذرَّةٍ ... لَكَ الحَوْلُ تَقضِي مَا عَلَيَّ ومَا لِيَا

الرَّحمن

إلهِيَ يَا رَحْمَنُ ضَاقَ بيَ الفَضَا ... وعَزَّنِيَ المَلجَا وذَلَّ مَقَامِيَا
وأنتَ وَسِعْتَ الكُلَّ عِلماً ورَحْمَةً ... ورَبَّيْتَ بالرُّحْمَى الخَلِيقَةَ كَافِيَا
برَحْمَتِكَ العُظْمَى تَمَسَّكْتُ ضَارِعاً ... أغَوْثُ مَلْهُوفاً وأهْتِفُ عَانِيَا
وبي شِدَّةٌ يَا أرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ما ... يَقومُ لَهَا صَبْرِي تَصُبُّ الدَّوَاهِيَا
فصُبَّ عَلى ضَعْفِي شَآبِيبَ رَحْمَةٍ ... فقد غَادَرَتْ أقوى التَّجَلُّدِ وَاهِيَا
إلهي تَدَارَكْنِي بِرَحْمَتِكَ التي اسـ ... ـتَقَامَتْ بها الأكْوانُ بَدْءاً وتَالِيَا
أغِثْنِي بما نَجَّيْتَ ذا النُّونِ[1] بَعدَ إذْ ... تَعَمَّقَ في أحْشَائِهِ البَحْرُ ثَاوِيَا
أغِثْنِيَ يَا رَحْمَنُ بالرَّحْمَةِ التي ... رَحِمْتَ بها أيُّوبَ في الضُّرِّ بَالِيَا
حَنانَيْكَ يَا رَحْمَنُ عَطفاً ورَحْمَةً ... فَغَيرُ خَفِيٍّ عَنكَ سُوءُ مَكَانِيَا

(١) ذا النُّون: النبي يونس.

بما تَرْحَمُ الطفلَ الصغيرَ وترْحَمُ الـ ... ـبَهَائِمَ أدْرِكْ ذِلَّتِي وافْتِقَارِيَا
بما تَرْحَمُ الأمْلاكَ في رَهَبُوتِهَا ... وتسْبيحِها ارْحَمْ لَهْفَتِي وابْتِهَالِيَا

الرَّحيم

لَقَدْ طَرَقَتْنِي يَا رَحِيمُ قَوَارِعٌ ... غَوَاشٍ كَثِيفاتٌ تَبُثُّ غَوَاشِيَا
وَشُؤمُ ذُنُوبي سَامَني خُطَطَ الرَّدَى ... وَمَزَّقَ أطْوَارِي وأنْأَى صَلاحِيَا
لمن أرْفَعُ الشَّكْوَى فَيَكْشِفَ كُرْبَتي ... ويَرْحَمَ تَضْرَاعِي سِوَاكَ إلَهِيَا
وأنتَ الرَّحيمُ الحَقُّ عَطْفُكَ شَامِلٌ ... مُطِيعاً وَلِيّاً أو عَصِيّاً مُعَادِيَا
وإنِّي وإنْ أُسْرِفْ عَلَى النفسِ جَانِياً ... فإنِّيَ ما زَايَلْتُ حُسْنَ رَجَائِيَا
وزَادَ رَجَائِي أنني بِكَ مُؤمِنٌ ... وأنيَ لم أقْنُطْ وإنْ كُنْتُ عَاصِيَا
تَبَارَكْتَ فَرِّجْ كُلَّ كَرْبٍ وغُمَّةٍ ... وهَمٍّ ونفِّسْ كُلَّ ضِيقٍ عَرَانِيَا
تَعَالَيْتَ أنْعِشْنِي برُوحِكَ واكْفِنِي ... برَحْمَتِكَ البَأْسَاءَ والْطُفْ بِحَالِيَا
وحَقِّكَ لم أيْأسْ مِنَ الرَّحْمَةِ التي ... رَزَقْتَ بها النعَّابَ في الوَكْرِ خَاوِيَا
ولا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ دَلَّنِي ... ولا تَيْأسُوا مِنْ رَوحِهِ ما دَعَانِيَا
وفي الرَّحَمُوتِ السَّابقِ الغَضَبَ انْتَهَتْ ... ظُنُونِي فَقَابِلْ يَا رَحِيمُ انْتِهَائِيَا

المَلِك

وَيَا مَالِكَ الكَونَيْنِ ذا العِزِّ والبَقا ... ءِ والمَجْدِ والآلاءِ والحَمْدِ وَافِيَا
ومَنْ يَملُكِ الأمْلاكَ في جَبَرُوتِها ... وما مَلَكَتْ مِنْ مُلْكِهِ لَيسَ فَانِيَا
ومَنْ سَبَّحَ العَرْشُ العَظِيمُ بِحَمْدِهِ ... وما فيهِ مِنْ خَلْقٍ جِهَاراً وخَافِيَا
ومَنْ حِكْمَةُ الأقْدَارِ تَجْرِي بحُكْمِهِ ... فما شَاءَ مِنْ مَقدُورِهِ كَانَ جَارِيَا
ومَنْ حُكْمُهُ عَدْلٌ وفَضْلٌ مُنزَّهٌ ... عَنِ الظُّلْمِ قَطْعاً كُلَّمَا كَانَ قَاضِيَا

ومَنْ مُلْكُهُ لا يَنْقُصُ المَنُّ شَأنَهُ ... ولا تُدْرِكُ الأوْهَامُ مِنهُ تَنَاهِيَا
بِطَوْلِكَ مَلِّكْنِي غِنًى غَيرَ نَافِدٍ ... وَهَبْ لِيَ مُلْكاً مُدَّةَ العُمْرِ كَافِيَا
وَوَفِّرْ لِيَ النَّعْمَاءَ وافْتَحْ خَزائِنَ الـ ... ـمَوَاهِبِ وَابْسُطْ لِي وَوَسِّعْ ثَرَائِيَا
وَصُنْ بالغِنَى يَا مَالِكَ المُلْكِ والرِّضَا ... صَحِيفَةَ وَجْهِي عَنْ ذَلِيلٍ مِثالِيَا
وَلاتُلْقِ حَاجَاتِي إلى غَيرِ قَادِرٍ ... عَلَى النَّزْعِ والإيْتاءِ مَا دُمْتُ بَاقِيَا
فَلا خَيرَ إلّا مِنْ يَدَيكَ ولا غِنَى ... لَكَ المُلْكُ تُؤتِي الفَضْلَ تُولِي الأيَادِيَا

الخاتمة

دَهَتْنِي الرَّزايَا سَيِّدي وألَمَّ بِي ... بَلاءٌ عَفَى رَسْمِي وَآدَ احْتِمَالِيَا
وما أنا في شَكْوَايَ ما لا أُطِيقُهُ ... غَضُوبٌ عَلَى الأقْدَارِ أو لَسْتُ رَاضِيَا
رَضِيتُ بِما تَقضِي وآمَنْتُ أنَّهُ ... قَضَاؤكَ عَدْلٌ أيَّ مَا كُنْتَ قَاضِيَا
ولكنْ قُصَارَى العَبْدِ شَكْوَى يَبُثُها ... إليكَ ودَمْعٌ يَسْتَهِلُّ المَآقِيَا
وتَمْزِيقُهُ في ظُلْمَةِ اللَيلِ قَلْبَهُ ... وتَرْجِيعُهُ غَوْثاهُ غَوْثاهُ فَانِيَا
فأسْرِ خَفِيَّ اللطْفِ بي في خَصَائِصِي ... وذرَّاتِ أطْوَارِي وحَالِي وحَاجِيَا
فَلُطْفُكَ بي في عَالَمِ الذَّرِّ شَاهِدٌ ... لِلُطْفِكَ في أطْوارِ كَوْنِي وشَانِيَا
ولُطْفُكَ بالمُضْطَرِّ أوْحَى إغَاثَةً ... وأسْرَعُ إدْرَاكاً خَفِيّاً وبَادِيَا
ولُطْفُكَ بالمُضْطَرِّ مِنْ حَيثُ ضُرُّهُ ... إذا كَانَ تَمْحِيصاً كَلُطْفِكَ كَافِيَا
وما سَرَيانُ اللطْفِ إلّا لِحِكْمَةٍ ... بِمَهْمَا اقْتَضَتْ إيرَادَهُ كَانَ سَارِيَا
فإنْ يَكُ ما أبْلَيتُ مِنكَ مَحَبَّةً ... فَطُوبَى وبُشْرَى لِي رَضِيتُ مَقامِيَا
عَلَى أنَّنِي عَنْ حَمْلِ مِثقالِ ذرَّةٍ ... بَلاءٌ بِعَجْزِي شَاهِدٌ وافْتِقارِيَا
وإنْ يَكُ إبْلاساً فإنِّيَ عَائِذٌ ... بِوَجْهِكَ أنْ أشْقَى عَليكَ إلهِيَا
أعُوذُ بما عَاذتْ بِهِ الرُّسْلُ مِنكَ في ... بَلائِكَ مِنْ أنْ لا تَرُدَّ بَلائِيَا
بِمَظْهَرِ اسْمِ الذاتِ عُذْتُ وَكَوْنِهِ ... بِفَرْدِيَّةِ التَّخْصِيصِ للجَمْعِ حَاوِيَا

وباسْمِكَ رَبِّ العَالَمِينَ ومَنْ يَعُذْ ... مُعَاذِيَ يُوقَ المُرْدِيَاتِ الهَوَادِيَا
وما عَاذ بالرَّحْمَنِ أَبْلَسُ عَائِذٍ ... فأَبْلَسَهُ مِنهُ ولو عَاشَ عَاصِيَا
وما سَبَّحَتْ باسْمِ الرَّحِيمِ وعَوَّذتْ ... لِسَانٌ بإِخْلاصٍ فلم تُلْفَ كَافِيَا
ولا اعْتَصَمَتْ نَفسِي وعَاذتْ حَقيقةٌ ... بِمَالِكِ يَومِ الدِّينِ إلّا كَفَانِيَا
إلهي بِسِرِّ الحَمْدِ فَاتِحَةِ الكِتا ... بِ والخَمْسَةِ الأَسْمَاءِ[1] عَجِّلْ خَلاصِيَا
وَهَيِّىءْ لَنا مِنْ أَمْرِنا رَشَداً بِهَا ... وَنَجِّ مِنَ الكَرْبِ العَظِيمِ حَيَاتِيَا
وَطَهِّرْ بها قلبي وَأَوْدِعْهُ حِكْمَةً ... ونُوراً وعِلْماً نَافِعاً مِنكَ هَادِيَا
وأَوْعِهِ إيماناً وخوفاً وهيبَةً ... وحُباً وشوقاً يَستفِزُّ التَّرَاخِيا
وَيَسِّرْ بها الأَرْزاقَ مِنْ كُلِّ وُجْهَةٍ ... وَلا تُبْقِ عُسراً في المَعِيشَةِ كَالِيَا
وَرُدَّ بِهَا الأَعْدَاءَ عَنِّي وَفُلَّهُم ... فَلَسْتُ جَلِيداً[2] أَنْ أَرُدَّ الأَعَادِيَا
وَسَلِّطْ عَلَيهِم غَضْبَةً مِنكَ لا تَذَرْ ... على الدَّهْرِ مِنهُم في البَسِيطَةِ بَاقِيَا
وَجَرِّد عَليهِم مِنكَ صَمْصَامَ نَقْمَةٍ ... تَحُزُّ بِهِ أَكْبَادَهُم والتَّرَاقِيَا[3]
ولا تُلْقِ بالمَظْلُومِ فِيهِم مُذَلَّلاً ... وَقَدْ مَدَّ بالشَّكْوَى إليكَ الأَيَادِيَا
وَتِلكَ مَساعِيهِم عَلَى الحَقِّ غُصَّةٌ ... فَيَا قَاصِمُ اقْصِمْ مَنْ سَعَى والمَسَاعِيَا
ولا تُؤْيِسَنِّي مِنْ شُئُونٍ عَلِمْتُها ... وإنْ سَكَتَتْ عَنْ ذِكْرِهِنَّ لِسَانِيَا
وإنِّي لَرَاجٍ بَعدَ كَوْنٍ وَسِيلَتِي ... إلَيكَ اسْمَكَ الأَعْلَى تَمامَ رَجَائِيَا
وَصَلِّ وسَلِّم حَسْبَ ما تَرْتَضِي عَلَى ... مُحَمَّدٍ المَبْعُوثِ لِلخَلْقِ هَادِيَا
صَلاةً أَنالُ الخَيرَ مِنْ بَرَكَاتِها ... تُفَتِّحُ أَبْوابَ السَّما لِدُعَائِيَا
وَأَطْهَارِ أَهْلِ البَيْتِ والصَّحْبِ واجْعَـ ... ـلِ السَّعَادَةَ خَتْماً لِي وَأَسْنَى مَرَامِيَا

---

(١) الخمسة الأسماء: الله | الرّب | الرّحمن | الرّحيم | المَلِك.

(٢) جَليداً: قادِراً.

(٣) التّرقوة: عَظمَة الجزء الأمامي من الكتف، وجَمعُها تَرَاقي.

المَعْرَج الأسْنى
في نظمِ أسماءِ اللّه الحُسْنى(*)

(مُقدِّمَة في شروط الذكر)

عَلَى المَعْرَجِ الأَسْنَى مِنَ الذِّكْرِ عَوَّلا ... فإشْرَاقُ شَمْسِ السِّرِّ فِيهِ تَهلَّلا

وَمَا هُوَ إلّا ذِكْرُ أَسْمَاءِ رَبِّنَا ... تَعَالَى ولكِنْ كُنْ عَلَى الشَّرْطِ أوَّلا

فأوَّلُهُ التَّطْهِيرُ لِلقلْبِ مِنْ أذى الـ ... ـمَعَاصِي وَثانِيهِ التَّفَرُّدُ في الخَلا

وَثالِثُهُ الإخْلاصُ للهِ وَحْدَهُ ... وهذا مَلاكُ الأمْرِ فَالْزَمْهُ مُقبِلا

وَرَابِعُهُ اسْتِقْبَالُكَ البَيتَ في الدُّعَا ... وَخَامِسُهُ كَونُ الوُضُوءِ مُكَمِّلا

وَسَادِسُهُ صَومُ الخَمِيسِ مُحَبَّبٌ ... وَفي سَحَرِ الزَّهْرَاءِ[1] لِلذِّكْرِ فَاعْمَلا

وَفِيهَا عَلَى حَسْبِ التَّصَارِيفِ أُصِّلَتْ ... شُرُوطٌ وذا حَسبَ التَّبَرُّكِ أُصِّلا

تَنَلْ سِرَّهَا المَخْزُونَ في بَحْرِ نُورِهَا ... بِتَكْمِيلِ مَشْرُوطٍ وإنْ لَمْ يَكُنْ فَلا

فَمَنْ يَفتَحِ الفتَّاحُ مِنْ سِرِّها لَهُ ... يَكُنْ مَلِكاً في العَالَمِينَ مُبَجَّلا

فعَوِّلْ عَلَيهَا في المُهِمَّاتِ دَاعِياً ... بِيَاءِ النِّدَا مُسْتَهْدِياً مُتَوَكِّلا

(*) وردت القصيدة في الأصل المُعتمَد بعنوان: [في ذكر الله جَلَّ جلالُه]، لكنَّ عنوانها الأصلي: (الوادي المُقدَّس) ـ راجع: محمد المحروقي، الشعر العُماني الحديث (أبو مسلم البهلاني رائداً)، المركز الثقافي العربي ـ الدار البيضاء/ بيروت، ١٩٩٩ ـ ٢٠٠٠ م.

(١) الزَّهْراء: ليلة القدر.

اللطيفة الأولى: (في سؤال تزكية النفس بواردات القدس)

فَتَلْهَجُ يَا اللهُ فِي الْقَصْدِ مُخْلِصاً ... بِسِرِّ اسْمِكَ الذاتيِّ قَدْرِيَ جَلِّلا
أَنِلْنِيَ يَا رَحْمَنُ أَوْسَعَ رَحْمَةٍ ... فقد جَلَّ خَطْبي يَا رَحِيمُ وَأَعْضَلا
وَيَا رَبِّ أَصْلِحْ لِي عُبُودِيَّتِي أَكُنْ ... مُطِيعاً خَضُوعاً خَاشِعاً مُتبتِّلا
وَيَا مَالِكِي مَلِّكْنِيَ النَّفْسَ والهَوَى ... فلا يَنْزِلا بِي مِنْ مَعَاصِيكَ مَنْزِلا
وَيَا حَيُّ يَا قَيُّومُ أَحْيِ سَرِيرَتِي ... فَأَشْهَدُ قَيُومِيَّةَ العِلْمِ وَالوَلا
تَوَلَّ أُمُورِي يَا وَلِيُّ مُسَدِّداً ... لها نَحوَ ما تَرْضَاهُ لِي وَمُكَمِّلا
وَيَا حَقُّ ثَبِّتْنِي عَلَى الحَقِّ وَاهْدِنِي ... وَنَوِّرْ يَقِينِي وَاكْشِفِ البُطْلَ مُجْمَلا
وَيَا ذا الجَلالِ ارْفَعْ مَقامِيَ واكْسُنِي ... بِإِكْرَامِكَ العِزَّيْنِ[1] والنُّورَ والعُلَى
وَيَا أَوَّلُ اجْعَلْنِي إلى الخَيرِ سَابقاً ... وكُنْ لِي لِمَرْقَى السَّابِقِينَ مُوَصِّلا
وَذاتِيَ يَا قُدُّوسُ قَدِّسْ بِوَارِدٍ ... مِنَ المَصْدَرِ الأعلى المَجِيدِ تَسَلْسَلا
وأَعْلِ إلى أَعْلَى المَرَاقِي بمَعرَجِ الـ ... ـحَقِيقَةِ قَدْرِي يَا عَلِيُّ وَوَصِّلا
وَعَظِّمْ مَقامِي يَا عَظِيمُ مُعَزِّزاً ... فَحَسْبِي جَلالاً أَنْ تكُونَ المُجَلِّلا
وَيَا هَادِيَ الخَلقِ اهْدِنِي الرُّشْدَ والتُّقى ... فلا أَسْلُكَنْ لِلغَيِّ ما عِشْتُ مَجْهَلا
وَيَا فَاطِرُ اجْعَلْ فِطْرَتِي أَبَداً عَلَى ... سَبِيلِكَ واعْصِمْنِي فَلَنْ أَتَحَوَّلا

اللطيفة الثانية: (في استمداد الأنوار العِلْمِيَّة والأسْرَارِ الحِكمِيَّة)

وَنَوِّرْ جَنَانِي يَا عَلِيمُ بِوَمْضَةٍ ... مِنَ العِلْمِ تُحْيِينِي بِهَا مُتَجَمِّلا
وَزَيِّنْ فِعَالِي يَا حَكِيمُ بِحِكْمَةٍ ... فَمَنْ تُؤْتِها فالخَيرَ قَدْ حَازَ مُجْمَلا
بِأَرْوَاحِ لُطْفٍ يَا لَطِيفُ رِيَاحُها ... لِدُنِيَّةٌ نَفِّحْ جَنَانِي وَعَلِّلا

---

(١) العِزَّيْن: الدنيا والآخرة.

ألا يَا خَبيرُ اكْشِفْ لِسِرِّي غَوَامِضَ الـ ... ـغُيوبِ وكُنْ لِلسِّرِّ سِرِّي مُؤهِّلا
ويَا مُحْيِيَ المَوْتى فُؤادِيَ أَحْيِهِ ... بِأَرْوَاحِ أَسْرَارٍ لأَسْمَائِكَ العُلَى
وَبَيِّنْ لِسِرِّي يَا مُبِينُ مَعَارِفاً ... شَوَارِقُها مِنْ مَطْلَعِ اللُّطْفِ تُجْتَلَى
ويَا نُورُ نَوِّرْ بَاطِنِي وظَوَاهِري ... ضِيَاءً مِنَ النُّورِ المُقدَّسِ مُشْعَلا
ويَا ظَاهِرُ اجْعَلْنِي بِنُورِكَ ظَاهِراً ... عَلَى كُلِّ مَخْفِيِّ الظُّهُورِ وَمَا انْجَلَى
ويَا بَاطِنَ الذاتِ الحَمِيدَ ثَنَاؤُهُ ... أَمِطْ حُجُبَ مَجْهُولاتِ عَقلِي وَزَيِّلا
وَنَفْسِيَ سَلِّمْ مِنْ كُدُورَاتِ وَصْفِها ... وَهَبْنِيَ طَبْعاً يَا سَلامُ مُكَمَّلا
ويَا بَارِئُ ابْرَأْ نُورَ قَلبِي وَزَكِّهِ ... يَكُنْ لِفُيُوضِ السِّرِّ مِنكَ مُؤهَّلا
مُصَوِّرَ نَفسِي اكْشِفْ لِسِرِّي حَقائِقَ الـ ... ـمَعَارِفِ أَحْيَا بِالعُلُومِ مُسَرْبَلا
ويَا مُبْدِئَ الإِبْدَاعِ لِلسِّرِّ مُظْهِراً ... أَفِضْ لِيَ مِنْ بَحْرِ العَوَارِفِ جَذْوَلا
أَعِدْ لِيَ مِنْ أَرْوَاحِ لُطْفِكَ نَفْحَةً ... مُعِيدَ حَيَاةِ الجِسْمِ مِنْ عَالَمِ البِلَى
ويَا أَحَدُ ارْزُقْنِي اتِّحَاداً وَنِسْبَةً ... بِمَنْ عِلَّةُ التَّوحِيدِ كَأْساً مُسَلْسَلا
بَدِيعَ السَّما والأَرْضِ خُصَّ بَصِيرَتِي ... بِأَبْدَعِ سِرٍّ فِي خَفَا سِرِّكَ انْجَلَى

اللطيفة الثالثة: (في الدُّعاء لدفع الآفات والكَلاءَةِ مِنْ طَوارِقِ المخَافات)

وَكَيفَ أَخَافُ الحَادِثَاتِ وإِنَّمَا ... أَمَانُكَ لِي يَا خَالِقِي كَانَ مَغْفِلا
وحِفْظُكَ حِرْزِي يَا حَفِيظُ ومَنْعِي ... فَلَمْ أَخْتَشِ مِنْ حَادِثِ الدَّهْرِ مَوجَلا
أُفَوِّضُ أَمْرِي واضْطِرَارِي وَمِهْنَتِي ... لِمُقتَدِرٍ بَاقٍ فَيَكْشِفُ مُغْضِلا
مُحِيطٌ بِكُلِّيَّاتِ عَجْزِي وَفَاقَتِي ... قَدِيرٌ أَزِلْ ضَعْفِي وَوَهْنِي مُعَجِّلا
أَزِلْ ضَعْفَ حَالِي يَا قَوِيُّ بِقُوَّةٍ ... جَلالِيَّةٍ أَبْقَى بِهَا مُتَجَلِّلا
أَلُوذُ بِجَبَّارِ السَّمواتِ رَاجِياً ... لِجَبْرِ انْكِسَارِي مُخْبِتاً مُتَذَلِّلا
فَيَا قَادِراً أَبْدِلْ بِعَجْزِيَ قُدرَةً ... إِلهِيَّةً أَظْهِرْ بِهَا العَدْلَ فِي المَلا

سَمِيعَ الدُّعَا اسْمَعْ دَعْوَتِي وشِكَايَتِي ... ويَا كَافِيَ الهَمِّ اكْفِنِي الضُّرَّ والبَلا
دَعَوتُ دُعَاءَ المُسْتَجِيرِ وأَنْتَ يَا ... قَرِيبُ تَرَى مَا مَسَّ جَنْبِي فأَعْضَلا
أَجِبْ دَعَواتٍ يَا مُجِيبُ بَثَثْتُهَا ... وفَرِّجْ عَلى عَبْدٍ أَتَاكَ مُعَوِّلا
تَرَى سُوءَ حَظِّي يَا كَبِيرُ وذِلَّتِي ... فيَا مُتعالٍ خُذْ بِجَدِّي إلى العُلَى
ولَمْ أَخْشَ إذلالاً وكَانَ تَعَزُّزِي ... بِرُكْنِكَ عِزّاً يَا عَزِيزُ ومَوْئِلا
أَيُذْرِكُنِي ضَيْمٌ نَصِيرِي؟ وَمَنْ تَكُنْ ... لَهُ نَاصِراً مَولايَ كَانَ المُبَجَّلا
تَرَى ظُلْمَ قَوْمِي يَا مُهَيْمِنُ جَانِبِي ... فَجَرِّدْ عَلَيْهِم مِنْ مَواضِيكَ مَقْصَلا
بِعِزِّكَ مَجِّدْ يَا مَجِيدُ مَهَابَتِي ... يَظَلُّ لَهَا خَصْمِي العَنِيدُ مُذَلَّلا
وَكِدْ مَنْ رَمَانِي يَا وَدُودُ بِكَيْدِهِ ... فَكَيْدُكَ لِلأَعْدَاءِ لا زَالَ أَقْتَلا
بِسِرِّ اسْمِكَ الفَعَّالِ في الكُلِّ آتِنِي ... نُفُوذَ القُوَى في الفِعْلِ والقَوْلِ مُجْمَلا
بِحَوْلِكَ يَا ذا القُوةِ اذْفَعْ نِكَايَتِي ... ومَكِّنْ حُظُوظِي يَا مَتِينُ وكَمِّلا
ويَا صَادِقاً في قَوْلِهِ حَقِّقِ الرَّجَا ... فَمَا زِلْتُ في الإِنْجَازِ مِنكَ مُؤَمِّلا

اللطيفة الرابعة: (في تطهير النَّفسِ بالاسْتِغفارِ مِنْ مُوبقاتِ الأَوْزار)

عُبَيْدُكَ يَا تَوَّابُ جَاءَكَ عَائِذاً ... تَحَمَّلَ ذنباً فَاعْفُ عَمَّا تَحَمَّلا
وَجُدْ بِمَتَابٍ يَا عَفُوُّ وَرَحْمَةٍ ... على عَبْدِ سُوءٍ طَالَما عَنكَ أَغْفَلا
بِبَابِكَ يَدْعُو يَا بَصِيراً بِحَالِهِ ... فأَوْسِعْ لَهُ يَا وَاسِعَ الفَضْلِ مُجْزِلا
أَتَيتُ ذُنوباً يَا غَفُورُ فَكُنْ لَهَا ... وَقَدْ تُبْتُ مِنْها، يَا حَلِيمُ، مُبَدِّلا
تَعَرَّضْتُ وَهْناً يَا رَؤُوفُ لِرَأْفَةٍ ... تَجُودُ بِهَا يَا شَاكِراً مُتَقَبِّلا
وإِنْ أَوْحَشَتْنِي يَا إِلهِي خَطِيئَتِي ... فَأُنْسُ رَجَائِي فِيكَ يَا وَاحِدُ انْجَلَى
فَكُنْ رَاضِياً لي يَا شَكُورُ تَنسُّكِي ... فَطُوبَى لِمَنْ تُولِي الرِّضَا والتقبُّلا
وَزِدْنِي خُضُوعاً فِيكَ يَا مُتَكَبِّراً ... إذا حَطَّ قَدْرِي النَّاسُ أَعْلاهُ فاعْتَلَى
ويَا غَافِرَ الذنبِ اغْفِرِ الذنبَ والخَطَا ... وإِنْ كَانَ وِزْراً يَقْصِمُ الظَّهْرَ مُثْقِلا

وَيَا قَابِلَ التَّوْبِ اقْبَلِ التَّوْبَةَ التي ... أَتَاكَ بِهَا عَبْدٌ جَنَى فَتَنَصَّلا
وَهَذا مَرَامِي يَا كَرِيمُ وَمَقْصَدِي ... وَمَا خَابَ مَنْ أَمَّ الكَرِيمَ وَأَمَّلا

اللطيفة الخامسة: (لفتحِ خَزَائِنِ النِّعَم وانْبِسَاطِ فُيُوضِ الكَرَم)

يَؤُوبُ احْتِيَاجِي يَا غَنِيُّ وَفَاقَتِي ... إِلَيكَ فَبِالنَّعْمَاءِ بُؤْسِيَ بَدِّلا
وَيَا بَرُّ خَوِّلْنِي بِبِرِّكَ نِعْمَةً ... فَأَغْدُو بِنَعْمَاءِ المَلِيكِ مُخَوَّلا
وَيَا بَاسِطُ ابْسُطْ لي مِنَ المَالِ بَسْطَةً ... وَهَبْنِي انْبِسَاطاً في الشُّهُودِ مُكَمَّلا
وَيَا صَمَدُ امْنَحْنِي الغِنَى مِنكَ سَرْمَداً ... أَصُونُ بِهِ يَا رَبِّ وَجْهِي عَنِ المَلا
تَقَطَّعَتِ الأَسْبَابُ عَنِّي فَكَانَ لِي ... نَوَالُكَ يَا مَنَّانُ أَوْفَى وَأَكْمَلا
وَلَوْ شِئْتَ يَا خَلاَّقُ أَنْشَأْتَ لِي غِنًى ... تَسُدُّ بِهِ مِنْ فَاقَتِي مَا تَخَلَّلا
بِفَتْحِكَ يَا فَتَّاحُ عَجِّلْ فَمَا أَرَى ... سِوَاكَ لِفَتْحِ المُغْلَقَاتِ مُؤَمَّلا
فَمَن تُغْنِ يَا ذا الطَّوْلِ دَامَ لَهُ الغِنَى ... وَفَقْرُ الذي أَفْقَرْتَ لَنْ يَتَحَوَّلا
تُشَاهِدُ يَا رَزَّاقُ ضِيقَ مَعِيشَتي ... فَيَسِّرْ لِيَ اللهُمَّ رِزْقاً وَسَهِّلا
حَمِيدَ الفِعَالِ الْطُفْ بِحَالِي وَأَغْنِنِي ... بِفَضْلِكَ حَتى لا أَرَى عَنكَ مَعْدَلا
مَدَدْتُ يَدِي مُسْتَجْدِياً وَافِرَ العَطَا ... فَهَبْ لِيَ يَا وَهَّابُ نُعْمَاكَ مُجْزِلا

اللطيفة السادسة: (في كَسْرِ شَوْكَةِ ذوي الفَسَادِ وحَسْمِ صَائِلَةِ أَهْلِ العِنَاد)

وَيَا قَاهِرُ اقْصِمْ دَوْلَةَ السُّوءِ وامْحُهَا ... وَشَرِّدْ بِهَا وَاشْدُدْ عَلَيهَا مُعَجِّلا
وَيَا وَارِثُ اصْرِفْ سَوْرَةَ البَغْيِ وَانْتَقِمْ ... بِعَدْلِكَ مِمَّن بِالضَّلالِ تَسَرْبَلا
وَيَا بَاعِثُ ابْعَثْ رَايَةَ الحَقِّ حَولَهَا ... جُنُودُكَ تَبْلُو في رِضَاكَ وتُبْتَلَى
وَيَا قَائِماً بِالقِسْطِ قَوِّمْ مُسَدِّداً ... قَوِياً عَلَى إِظْهَارِ دِينِكَ فَيصَلا

يَصُولُ سَريعاً يَا سَرِيعُ بِنقْمَةٍ ... على كُلِّ ضِلِّيلٍ عَنِ الحَقِّ أَجْفَلا
فأنت حَسِيبٌ فَوْقَهُم وَرَقِيبُهُم ... شَهِيدٌ على مَنْ ضَلَّ مِنْهُم وَأَبْطَلا
وَيَا قابِضُ اقْبِضْ بَسْطَةَ الخَصْمِ وَانْتقِم ... كَفِعْلِكَ في عَادٍ وَمَدْيَنَ أَوَّلا
وَشِدَّدْ عَلَيهِم يَا شَدِيداً عِقابُهُ ... ولا تُبْقِ مِنهُم يَا وَكِيلُ مُبَدِّلا
وَعَجِّلْ عَلَيهِم يَا مُقِيتُ بِوَطْئَةٍ ... وَذَرْهُم حَصِيداً خَامِدِينَ كَمَنْ خَلا
وَعَجِّلْ لِخَصْمِي يَا مُمِيتُ فَنَاءَهُ ... وَهَبْ لِي إذا خُوصِمْتُ قَلْباً وَمِقْوَلا
وَيَا آخِرَ الأَشْيَاءِ لا لِنِهَايَةٍ ... بِنَصْرِكَ أَيِّدْنِي وَخَصْمِيَ جَنْدِلا

الخاتمة

بِأَسْمَائِكَ الحُسْنَى دَعَوتُكَ مُوقِناً ... بِإنجَازِكَ الوَعْدَ الذي قُلْتَ فَافْعَلا
دَعَوتُ وما قَدَّمْتَ لي مِنْ ذَرِيعَةٍ ... ولكِنْ بِحُسْنِ الظَّنِّ جِئْتُ مُؤَمِّلا
وَمَنْ ذا الذي ناجَاكَ يَا رَبِّ مُخْلِصاً ... فما بَاءَ بالحَظِّ الوَفِيِّ مُعَجَّلا
وأيُّ مُلِحٍّ بالأَسَامِي رَدَدْتَهُ ... وَقَدْ عَاشَ في أَذْكَارِهَا مُتبتِّلا
وَحَقِّكَ لَيسَ الحُجْبُ إلّا نُفُوسَنا ... وأوْصَافُها تَسْتَلْزِمُ المَنعَ والقِلَى
فما بَخِلَ المَسْؤُولُ جَلَّ ثَناؤُهُ ... ولكِنَّ أَصْلَ المَنْعِ مِنَّا تأَصَّلا
أَزِلْ طَبْعَ نَفسِي واكْفِنِي شَهَواتِها ... وكُنْ لي بأَسْرَارِ الأَسَامِي مُكَمِّلا
وَنَجِّ وتُبْ واغْفِرْ خَطِيئَةَ نَادِمٍ ... مُقِرٍّ وَجُدْ وَالْطُفْ بِهِ وَتَقَبَّلا
وَيَسِّرْ لِيَ اللهُمَّ نَيْلَ مَآرِبِي ... بأَسْرَارِهَا واحْلُلْ بها عُقْدَةَ البِلَى
إلهِيَ مَلِّكْنِي تَصَارِيفَ فِعْلِها ... وأَسْرَارَ تأْثِيرَاتِها أَمْلِكِ العُلَى
ولا يَكُ حَظّاً عَاجِلاً لِيَ فَضْلُها ... ولكِنَّ حَظّاً عَاجِلاً وَمُؤَجَّلا
وصَلِّ إلهي كُلَّ حِينٍ عَلَى الذي ... لَهُ مَدَحَ التَّنزِيلُ مِنكَ وبَجَّلا
مُحَمَّدٍ الهَادِي الأَمِينِ وآلِهِ ... وأَصْحَابِهِ والتَّابِعِينَ وَمَنْ تَلَا
صَلاةً تَحُطُّ الوِزْرَ عَنِّي بِفَضْلِها ... وتُنجِحُ سُؤْلِي مُكْثِراً ومُقَلِّلا

وَتَرْحَمُ تَضْرَاعِي وطُولَ تَبتُّلي ... بأسْمَائِكَ الحُسْنى لَدَيكَ وتُقْبَلا

صَلاةً تُوَافِي قَدْرَهُ مِنكَ وَاجْزِهِ ... كأفْضَلِ ما تَجْزِي نَبياً ومُرْسَلا

وَمُذْ مَدَّ قَوْلِي مِنْ قَلامِسِ فَيْضِهِ ... خِضَماً مِنَ البَحْرِ المُحِيطِ تَسَلْسَلا

وأطْلَعَ شَمْساً يَهتدِي بِمَنارِهَا ... إلى اللهِ مَنْ ذاقَ الرَّحِيقَ المُسَلْسَلا

وكَانَ بِمَكْنونِ العَجَائِبِ سُلَّماً ... بِهِ يَرْتقي أهْلُ السُّلُوكِ إلى العُلَى

تَضَمَّنَ تأْرِيخاً لحُسْنِ كَمَالِهِ ... ثَلاثةُ أسْمَاءٍ تُحَرِّرُ جُمَّلا

غَنِيٌّ عَلِيٌّ مَعْ لَطِيفٍ وَعَدُّهُ ... مَلِيكٌ وَوَهَّابٌ فَخُذْهُ مُفَصَّلا

دَرْكُ المُنى في تَخْمِيسِ سُمُوطِ الثَّنا(*)

أوجِّـهُ بـاسْـم اللهِ وَجْـهَ شُـهُـودِي
لِعِـزِّ جَـلالِ اللهِ رَبِّ وُجُـودِي
تَـسَـابِـيـحُ إخْـلاصِـي لَهُ وصُـمُـودِي
سُـمُـوطُ ثـنـاءٍ فـي سُـمُـوطِ فَـرِيـدِ بِـكُـلِّ لِسَـانٍ قَـدْ بُـثِـثْـنَ وَجِـيـدِ
وحُـبٌّ لَهُ فـي لُبِّ قَـلْـبِـي وقِـشْـرِهِ
وخَـوفٌ يُـوازِيـهِ رَجَـاءُ لِـبِـرِّهِ
وشُـكْـرٌ، ومَـنْ لِي أنْ أقُـومَ بِـشُـكْـرِهِ
وحَـمْـدٌ تَـغُـصُّ الـكـائِـنـاتُ بِـنَـشْـرِهِ إذا نُـشِـرَتْ مِـنْـهُ أَجَـلُّ بُـرُودِ
وشَـوْقٌ يُـذِيـبُ الـنـفـسَ لاعِـجُ حَـرِّهِ
ووَقْـفَـةُ مُـضْـطَـرٍّ أَسِـيـرٍ بِـفَـقْـرِهِ
وإخْـلاصُ سِـرٍّ نُـورُهُ حَـشْـوُ سِـرِّهِ
وذِكْـرٌ لَهُ تَـحْـيَـا الـنـفـوسُ بِـذِكْـرِهِ ويُبْعَثُ قَبلَ البَعْثِ مَنْ هُوَ مُودِي(١)
صَـرَفْـتُ مُـرادِي فِـيـهِ طَـوْعـاً لِصَـرْفِـهِ
حَـقِـيـقَـةُ ذِكْـرِي أنَّـنِـي عَـيـنُ ظَـرْفِـهِ

(*) قصيدة سموط الثنا للشيخ العلّامة سعيد بن خلفان الخليلي والتخميس لأبي مُسلم.
(١) مُودِي: هالِك.

حَبَانِي بِهِ طِيباً عَرُفْتُ بِعَرْفِهِ
تَعَطَّرَتِ الآفاقُ مِنْ طِيبِ عَرْفِهِ[1] فما مِسْكُ دَارِينٍ يُشَابُ بِعُودِ
يُبَشِّرُ بالزُّلْفَى كَرِيمُ مَقامِهِ
ويَسْتَغرِقُ الأسْرَارَ سُكْرُ مُدَامِهِ[2]
يَصُبُّ حَيَا الأنوارِ صَوْبُ غَمَامِهِ[3]
ويُزْرِي بِنورِ الشَّمسِ نُورُ ابْتِسَامِهِ إذا ما تَجَلَّى في صَحَائِفَ سُودِ
تَجرَّدتُ مِنْ نَفسِي فلم يَبقَ لِي أنا
وطَارَتْ هَوىً رُوحِي بأجْنِحَةِ الفَنا
لِمَنْ هُو أهْلُ المَجْدِ والعِزِّ والغِنَى
لِمَنْ هُو أهْلُ الحَمْدِ والمَدْحِ والثَّنا لذي الفَضْلِ والآلاءِ خَيرُ مُفِيدِ
لِمَنْ وَحَّدَتْهُ المُبدَعَاتُ سَوَاجِدَا
لِمَنْ عَرَفتْهُ المُوجَدَاتُ حَوَامِدَا
لِمَن مَجَّدَتْهُ المُمْكِناتُ صَوَامِدَا
لِمَنْ سَبَّحَتْهُ الكَائِناتُ شَوَاهِدَا بتوحِيدِهِ واللهُ خَيرُ شَهِيدِ
لِمَنْ سَخَّرَ الأشياءَ في الأرضِ والسَّمَا
لِمَنْ كَانَ بالمَخْلُوقِ أخْفَى وأرْحَمَا
لِمَنْ بَسَطَ النَّعْمَاءَ مَنّاً وتَمَّمَا
أعَادَ وأبْدَى مِنْ أيَادِيهِ أنْعُمَا فيَا أنْعُمَ المَوْلَى بَدَأْتِ فُعُودِي

---

(١) عَرْفِهِ: رائحته المُعطّرة || دارين: منطقة اشتهرت بإنتاج المِسك.
(٢) مُدامه: خمْرَته.
(٣) صَوب: مطر.

القسم الأول: في اعترافِهِ بذنبه وسُؤاله التَّوْبَةَ من رَبِّه

ضَـرَعْـتُ لِوَجْـهِ اللهِ رَبِّـي ومَـوْئِلِي
وَقَـدْ ضَـاقَ بـي عَـنْ حَـاجَتـي كُـلُّ مَـنْـزِلِ
«وهَـلْ عِـنـدَ رَسْـمٍ دَارِسٍ مِـنْ مُـعَـوَّلِ»(*)

ويَـا رَبِّ لُطْـفـاً مَـنْ لِعَـبْـدٍ مُـؤمِّـلِ بَـسِـيـطِ لِسَـانٍ بـالـدُّعَـاءِ مَـدِيـدِ
حَـلِيـفِ الـمَـعَـاصِـي مُـغْـرِقٍ فـي عُـيُـوبِـهِ
قَـضَـى الـعُـمـرَ يُـوعِـي[1] السُّـوءَ بَـينَ جُـيُـوبِـهِ
يَـذوبُ اعْـتِـرَافـاً مِـنْ كَـبَـائِرِ حُـوبِـهِ[2]

ويُـقْـصِـرُ مِـنـهُ الـقـولَ ذِكْـرُ ذُنُـوبِـهِ وقُـبْـحُ الـخَـطَـايَـا فـهـو أَيُّ بَـلِـيـدِ
أَتَـى مَـا أَتَـى ثُـمَّ اسْـتَـقَـالَ اسْـتِـقَـامَـةً
لـوَجْـهِـكَ تَـمْـجِـيـداً وحُـبـاً وطَـاعَـةً
يَـؤُمُّـكَ تَـوَّابـاً ويَـرْجُـو إِجَـابَـةً

ويُـغْـضِـي حَـيَـاءً هَـيْـبَـةً ومَـخَـافَـةً لـعِـزِّكَ إِجْـلالًا بِـكُـلِّ شُـهُـودِ
لَقَـدْ هَـالَـنـي ذنـبـي بِـخَـطْـبٍ مُـبـرِّحِ
وبـارَزْتُ خَـلَّاقِـي بـفِـعْـلٍ مُـجَـرِّحِ
أَبُـوءُ بِـقَـلْـبٍ بـالـخَـطـايَـا مُـقـرَّحِ

فـجُـدْ بـمَـتـابٍ عـن مُـقِـرٍّ مُـصـرِّحِ بـذنـبٍ وتَـقـصِـيـرٍ وطُـولِ صُـدُودِ
كَـئِـيـبٍ حَـزِيـنٍ خَـاشِـعٍ مُـتـوَرِّعِ
يُـسِـرُّ ويُـبْـدِي مُـخْـلِـصـاً تَـوبَ مُـقْـلِعِ

(*) تضمين من معلقة أمرئ القيس الكندي:
(وَإِنَّ شِـفَـائـي عَـبْـرَةٌ مُـهْـرَاقَـةٌ فـهـل عـنـد رسـمٍ دارسٍ مـن مُـعَـوَّلِ)

(١) يُوعِي: يَجمَع.

(٢) حُوبِه: ذهوبِه.

يَـقـومُ عَـلَى صِـدْقٍ بـمَـا هُـو مُـدَّعِـي
مُنِيبٍ يُـرَجِّـي عِـنـدَكَ العَـفْـوَ مُـولَعِ بِـــذِكْـــرِكَ لا ذِكـــرِ اللِوا وزَرَوَّدِ

القسم الثاني: في إخلاصِ دُعائه وابتهالِهِ وإيقانِهِ بحُصُولِ أمَانيهِ وآمَالِه

أَسِـيـرٍ بـقَـيـدِ الـعَـجْـزِ عَـنْ كُـلِّ ذرَّةِ
تُـصَـرِّفُـهُ الأقْـدارُ حَـسْـبَ الـمَـشِـيـئَـةِ
غَـنـيٍّ عَـنِ الأكْـوَانِ مِـنـكَ بِـرَحْـمَـةِ
فَـقـيرٍ لـمـا أَسْـدَيـتَ مِـنْ كُـلِّ نِـعْـمَـةِ شَـكُـورٍ لـمـا أَوْلَـيـتَ غَـيـرِ جَـحُـودِ
لَقَـدْ كَـانَ لـمَّـا كَـانَ فـي حَـالِ ضُـرِّهِ
لَهُ مِـنـكَ تَـدبـيـرٌ لأطْـوَارِ أَمْـرِهِ
دَعَـاكَ وَقَـدْ ضَـاقَ الـخِـنـاقُ بِـوِزْرِهِ
دَعَـاكَ ولا يَـرْجُـو سِـواكَ لِفَـقْـرِهِ وأنـتَ الـذي تُـدْعَـى لِكُـلِّ شَـدِيـدِ
تَـدَارَكْ عَـظِـيـمَ الـعَـفْـوِ مـا هُـو حَـامِـلُ
بِـحَـطِّ وَزَكٍّ الآنَ مـا هُـو عَـامِـلُ
يُـؤَمِّـلُ هـذا الـعَـبْـدُ والـجُـودُ شَـامِـلُ
ومـا ظَـنَّ يَـومـاً أنْ يُـخَـيَّـبَ آمِـلُ بـبـابِ كَـرِيـمٍ فـي غِـنـاهُ حَـمِـيـدِ
بِـبَـابِـكَ عَـبْـدُ الـسُّـوءِ يَـحْـمِـلُ إصْـرَهُ[1]
يُـغَـوِّثُ إعْـلانـاً وتَـعْـلَـمُ سِـرَّهُ
مُـلِـظٌّ[2] بـمَـحْـبـوبِ الـدُّعَـا لَكَ دَهْـرَهُ
ولـم يَـكُ يَـشْـقَـى فـي دُعَـائِكَ عُـمْـرَهُ ومِـنـكَ يُـرَجِّـي الـيـومَ كُـلَّ مَـزِيـدِ

---

(١) إصْرَهُ: ثِقل ذنبه.

(٢) مُلِظ: مِلحاح في دُعائه.

عَرَفْتُكَ رَبَّ العَرْشِ عِرْفانَ مُوقِنِ
بِما تَتَلَقَّى المُخْلِصِينَ تَلَقَّنِي
إلهي أقِمْنِي في رِضَاكَ وأبْقِنِي
إلهي تَدَارَكْنِي بِلُطْفٍ وأغْنِنِي بِوَاسِعِ رِزْقٍ مِنْ نَدَاكَ عَتِيدِ
إلهي كَأَنَّ الكَوْنَ في العَدَمِ اسْتَكَنْ[1]
فأظْهَرْتَ مِنهُ ما تَحَرَّكَ أو سَكَنْ
ولم يَكُ إلّا ما تُكَوِّنُهُ ولَنْ
فَمَهْمَا تُرِدْ شَيئاً يَكُنْ بِمَقالِ: كُنْ[2] فَهَلّا بِـ كُنْ تَقضِي بِأوْسَعِ جُودِ
إلهِيَ والجُودُ الإلهيُّ كَامِلُ
تَمُنُّ بِهِ لا تَقْتَضِيهِ عَوَامِلُ
على البَرِّ والفُجَّارِ جُودُكَ هَامِلُ
يَجُودُ بِهِ مَنْ جُودُهُ الغَمْرُ شَامِلُ على كُلِّ مَوجُودٍ بِكُلِّ وُجُودِ
تَوَجَّهَتِ الآمَالُ لله أجْمَعُ
ولم يَبقَ غَيرَ اللهِ مَنْ فِيهِ أطْمَعُ
إلهِي تَرَى ذُلِّي وفَقْرِي وتَسْمَعُ
فما كَانَ لِي في غَيرِ جُودِكَ مَطْمَعُ وَجُودُكَ مِنهُ طَارِفِي وتَلِيدِي
وَجُودُكَ يَا ذا الجُودِ أوْثَقُ حِيلَةٍ
وَجُودُكَ يَا ذا الجُودِ غَيْثُ مَحِيلَتِي
وَجُودُكَ رَوْحِي في الكُرُوبِ الجَلِيلَةِ
وَجُودُكَ إذْ عَزَّ الشَّفِيعُ وَسِيلَتِي وَجُودُكَ إذْ عَزَّ البَرِيدُ بَرِيدِي
لَئِنْ حَالَ ما بَينِي وبَينَكَ حَائِلُ

---

(١) اسْتَكَنْ: ثبتَ واستقرّ.

(٢) الإحالة، هنا، إلى قوله تعالى: «إنّما أمرُهُ إذا أرادَ شيئاً أنْ يقولَ لَهُ كُنْ فيكون».

مِنَ الذنبِ واستغصَتْ عَلَيَّ الوَسَائِلُ
فإني مُلِحٌّ بالدُّعَا لا أُزَائِلُ
وإني لوَقَّافٌ بِبَابِكَ سَائِلُ لِفضْلِكَ رَاجٍ مِنكَ نُجْحَ وُعُودِي
إلهِيَ نَفسِي لا تَبُوءُ بِخُسْرِهَا
ولا قَنطَتْ مِنْ يُسْرِهَا بَعدَ عُسْرِهَا
ولا سَئِمَتْ مِنْ ضِيقِهَا تَحتَ أَسْرِهَا
وَقَدْ دَفَعَتْنِي الكَائِناتُ بِأَسْرِهَا إليكَ ولم تَحْفظْ وَثِيقَ عُهُودِي
قَصَدْتُكَ رَبِّي إذْ عَرَفْتُكَ وَاحِدا
وَجَدْتُكَ رَبِّي إذْ عَلِمْتُكَ وَاجِدا
إلى مَنْ أَرُدُّ الوَجْهَ مَولايَ جَاهِدا
وإنِّيَ إنْ زَايَلْتُ بَابَكَ قَاصِدا سِوَاكَ فقَدْ أَبرَمْتُ نَقْضَ عُقُودِي

القسم الثالث: في تَضرُّعِهِ إلى مَعْبُودِهِ لِشكايَةِ شُؤمِ جُدُودِهِ وبَيَانِ قطْعِهِ الأسْبابَ واتِّصَالِهِ برَبِّ الأرْبَاب طمَعاً في نَيْلِ جُودِه

رَفَعْتُ إلَيكَ الكَفَّ يَا خَيرَ رَافِعِ
وأحْسَنتُ ظَنِّي فِيكَ بَينَ قَوَاطِعِي
وما مَعَكَ اللهُمَّ لَيسَ بِما مَعِي
وحَاشَاكَ عَنْ رَدِّي وقَطْعِ مَطَامِعِي لِشُؤمِ جُدُودِي واتِّضَاحِ جُمُودِي
أحَاطَتْ بهذا العَبْدِ سُودُ المَصَائِبِ
وجَدَّ ولَكِنْ سَهْمُهُ سَهْمُ خَائِبِ
وما السَّعْيُ؟ إنْ لَمْ يَتَّصِلْ بالمَوَاهِبِ
وإنْ كانَ سَعْيي لا يَفِي بمَطَالِبِي وإنَّ حُظُوظِي عَنْ مُنايَ قُيُودِي
مُعَوَّقَةٌ قَصْدِي مَضِيقٌ رِحَابُهَا
تُنَاصِبُنِي رَغمَ الأَمَانِي حِرَابُهَا

إذا فَتَحَتْ بَاباً فَلِلْشرِّ بَابُها

فإنَّ بِقَضْدِي اللهَ تَغْدُو صِعَابُها وإنْ عَظُمَتْ قَدْراً أذلَّ مَقُودِ

ومَنْ يَعْتَزِزْ باللهِ عَزَّ ومَنْ لَهُ

تَوَلَّى فَفِي السَحَالاتِ يَرْفَعُ ذُلَّهُ

ومَنْ ذَلَّ في تَمْجِيدِهِ لم يُذِلَّهُ

ومَنْ يَتَمَسَّكْ بالإلَهِ تَكُنْ لَهُ إذا رَامَها العَنقا أذلَّ مَصِيدِ

رَأَى اللهُ للإسْلامِ مِنِّيَ قَائِما

وسَلَّ عُزُومِي لو تَحَقَّقْنَ صَارِما

فأصْبَحْتُ بَينَ العَزْمِ والدَّرْكِ هَائِما

ولَمَّا رَأيتُ الحَظَّ عَنِّيَ نَائِما وكَانَ قِيامِي فِيهِ مِثْلَ قُعُودِي

وكَانَ اجْتِهَادِي كالتَّقَاعُدِ جَائِما

وصِرْتُ لِمَا أبْنِي كَمَا كُنتُ هَادِما

تُرِيني الأمَانِي شَكْلَ ما كُنتُ حَالِما

وأنَّ فِعَالِي مِثْلُ مَالِي كِلاهُما لِدَارِسِ دِينِ اللهِ غَيرُ مُعِيدِ

إذا تَمَّ أمْرٌ كُنتُ في المَاءِ رَاقِما[1]

وإنْ أُحْكِمَ التَّدْبِيرُ حُكْماً تَصَارَما

كأنِّي لِحَزْمِي مِثْلَ عَزْمِي مُزَاحِما

وإنَّ لِسَانِي مِثْلَ كَفِّي كِلاهُما لإظْهَارِ دِينِ اللهِ غَيرُ مُفِيدِ

ومِنْ عَثَرَاتِ الجَدِّ أنِّيَ طَالَما

رَمَى الغَدرُ تَدْبِيري فأثْبَتَ ما رَمَى

---

(١) الرَّقْم والترقيم: تَعجيمُ الكتاب وتبيينه. وكِتابٌ مرقوم؛ أي بُيِّنَتْ حُروفه بعلاماتها من التنقيط. وقولهم: يَرقمُ في الماء؛ أي بلغ من حذقهِ بالأمور أن يَرْقُمَ حيثُ لا يثبتُ الرَّقْم. ومنه قول الشاعر: سأرْقُمُ في الماءِ القراحِ إليكُمُ | على بُعْدِكُم، إنْ كانَ للماءِ راقِمُ.

وأنِّـيَ لا آوِي مِـنَ الـصِّـدْقِ عَـاصِـمـا

وأنَّ حُـسَـامِـي كـالـيَـرَاعِ كِـلاهُـمـا لأغْـدَاءِ دِيـنِ اللهِ غَـيـرُ مُـبِـيـدِ

أَرَى نَـصْـرَ رَبِّـي مِـنْ أداءِ أَمَـانـتِـي

وهَـيـهَـات عَـزَّتْ مُـكْـنَـتِـي ومَـكَـانـتِـي

وحَـالَتْ إلـى خَـرْطِ الـقـتَـادِ إعَـانـتِـي

ودَهْـرِيَ لـم يَـأذنْ بِـغَـيـرِ إهَـانَـتِـي وإكْـرَامِ خَـصْـمٍ لِلإلَهِ عَـنِـيـدِ

أُجَـاهِـدُ كَـيْـدَ الـدَّهْـرِ بـالـعَـزْمِ والـعَـنـا

وقَـضُّ الـحَـصَـا مِـنْ مَـطْـلَـبِـي كَـانَ أَلْيَـنـا

كَـأنَّ مُـحَـالًا كُـلُّ مـا كَـانَ مُـمْـكِـنـا

وغَـايَـةُ مَـحْـصُـولِي المَـوَاعِـيدُ والمُـنَـى وإنَّ وُعُـودَ الـغَـدْرِ، أيُّ وُعُـودِ؟

أَهُـمُّ بِـنَـصْـرِ اللهِ والـجَـدُّ مَـمْـسَـكِـي

ولـو خُـضْـتُ فِـيـهِ مَـهْـلَـكـاً بَـعـدَ مَـهْـلَـكِ

ومَـنْ لِي وَقَـدْ سَـدَّ الـتَّـخـاذُلُ مَـسْـلَـكِـي

ولـم يَـبْـقَ عِـنـدِي اليَـومَ إلّا تَـمَـسُّـكِـي بِـعُـرْوَةِ رُكْـنٍ لِلإلَهِ شَـدِيـدِ

وتَـفـوِيـضُ أمْـرِي لِلمُـدَبِّـرِ خِـيـرَتِـي

وإسْـقـاطُ تَـدْبِـيـرِي وتَـعْـطِـيـلُ حِـيـلَتِـي

وتَـرْكُ عُـرَى الأسْـبـابِ مِـنْ كُـلِّ وُجْـهَـةِ

جَـمَـعْـتُ هُـمُـومِي وانْـتَـجَـعْـتُ بِـهِـمَّـتِي إلـى بَـابِ وَهَّـابِ الـجُـدُودِ مَـجِـيـدِ

إلـى بَـابِ مَـنْ أَغْـنَـى وأَقْـنَـى[1] وأَنْـعَـمـا

إلـى بَـابِ قَـهَّـارٍ أَهَـانَ وأَكْـرَمـا

إلـى بَـابِ مَـنْ أَفْـنَـى وأَحْـيَـا وأَعْـدَمـا

إلى بَابِ مَنْ يَدْعُوهُ في الأرْضِ والسَّمَا ومَـنْ فِـيـهِـمـا مِـنْ سَـيِّـدٍ ومَـسُـودِ

---

(١) أَقْنَى: أرْضَى.

إلـى بَـابِ مَـنْ جَـدِّي بِـذُلِّي لِجِـدِّهِ
إلـى بَـابِ مَـنْ دَرْكُ الأمَـانِـي بِـقَـصْـدِهِ
إلـى بَـابِ مَـنْ تَـغْـنُـو الـوُجُـوهُ لِمَـجْـدِهِ
إلـى بَـابِ مَـنْ فـي كُـلِّ يَـومٍ بِـحَـمْـدِهِ لَهُ أَيُّ شَـأنٍ فـي الأَنَـامِ جَـدِيـدِ
إلـى بَـابِ رَبِّ الـعَـالَمِـيـنَ ومُـكـرِمِ الْـ
ـمُـطِـيـعِـيـنَ خَـيـرِ الـرَّاحِـمِـيـنَ مُـقَـسِّـمِ الْـ
ـمَـوَاهِـبِ شَـكَّـارٍ لِصَـالِحِ مـا عُـمِـلْ
إلـى بَـابِ خَـيـرِ الـنَّـاصِـرِيـنَ وأَكْـرَمِ الْـ ـمُـفِـيـدِيـنَ خَـيـرِ الـفـاتِـحِـيـنَ وَدُودِ[1]
إلـى بَـابِ جَـبَّـارِ الـسَّـمَـوَاتِ غَـالِـبِ الْـ
ـجَـبَـابِـرِ ذِي الـبَـطْـشِ الـشَّـدِيـدِ الـمُـرَاقِـبِ الْـ
ـأُمُـورِ ومَـنْ يَـقْـصِـدْهُ لِلإحْـتِـمـا قُـبِـلْ
إلـى بَـابِ وَهَّـابِ الـمَـمَـالِكِ قَـالِـبِ الْـ ـكَـرَاسِـيِّ قَـهَّـارٍ لِكُـلِّ عَـنِـيـدِ
إلـى الـقـاهِـرِ الـمُـبْـدِي الـمُـعِـيـدِ اخْـتِـيَـارُهُ
إلـى الـحَـكَـمِ الـعَـدْلِ الـذي عَـزَّ جَـارُهُ
إلـى الـمُـتَـوَلِّي مَـنْ إلَـيـهِ فِـرَارُهُ
إلـى مَـالِكِ الـمُـلْكِ الـعَـظِـيـمِ اقْـتِـدَارُهُ إلـى مَـنْ لَهُ الأَمْـلاكُ خَـيـرُ عَـبـيـدِ
ضَـرَعْـتُ إلَـيـهِ مُـخْـبِـتَ الـقَـلْـبِ عَـافِـيَـا
ذلـيـلاً ضَـعِـيـفـاً عَـاجِـزاً مُـتَـفـانِـيَـا

---

(١) لا بُدَّ أنْ تلْحَظ عَينُ القارئ أسلوبية أبي مُسْلِم في تطويع قافيته عبر استخدامه لـ «وَقْفات» غير مطروقة في غالبية الشعر العربي الكلاسيكي، كما هو الحال في هذه الإضمامة من الأبيات التي أوْقفَ قافيتها على «أل» التعريف المُعوضَة ـ عن قصد ـ في نهاية كُلِّ شطر، دافعاً المُفْرَدة (المُفترض أن تنتهي بها تقفية البيت) إلى بداية الشَّطْر التالي، وهو أسلوبٌ طوَّرتهُ، لاحِقاً، قصيدةُ محمود درويش تخلُّصاً من القوافي النَّافِرة إدغاماً وإضماراً لها في متن البيت الشعري؛ تفريطاً مُتقصَّداً بمُلوِّ النَّبر في آخر البيت.

بَـرِئْـتُ إِلَيْـهِ مِـنْ نُـفُـوذِ مَـحَـالِيَـا

وُقُـوفـاً عَـلَى أَبْـوابِـهِ مِـنْـهُ رَاجِـيَـا قِيامَ حُظوظِي في العُلَى وَجُدُودِي

عَـسَـى رَحْـمَـةٌ مِـنـهُ وعَـطْـفٌ ونَـظْـرَةٌ

ومَـوْهِـبَـةٌ تَـنْـهَـلُّ مِـنـهُ مُـلِثَّـةٌ[1]

وعَـارِفَـةٌ مِـنْ جُـودِهِ ومَـوَدَّةٌ

فَـتَـخْـرِقُ لي فِـيـهِ الـعَـوائِدَ نَـفْـحَـةٌ سَـمَـاوِيَّـةٌ مِـنْ مُـبْـدِىءٍ ومُـعِـيـدِ

فَـتَـبْـرَأُ مِـنْ حَـقِّ الـجِـهَـادَيْـنِ ذِمَّـتـي

وتَـغْـلُو بِـهَـا فـي نُـصْـرَةِ اللهِ كِـلْـمَـتِـي

ويَـبْـسُـطَ لِي إِنْ شَـاءَ إِتْـمَـامَ نِـعْـمَـتِـي

حُظُوظاً يَقُومُ الدَّهْرُ فِيها بِخِدْمَتي ويَسْعَى بما لا يَشْتَهِيهِ حَسُودِي

عـلى قَـائِمٍ بـالـقِـسْـطِ إِرْسَـالُ أَيْـدِهِ

فـيُـطْـلِقَـنِـي مِـنْ غُـلِّ عَـجْـزِي وقَـيْـدِهِ

حُظُوظاً كَفَتْ عَنْ عَمْرِو كَوْن وزَيْدِهِ

تَـقُـومُ بِـتَـدْبِـيـرِ الإِلَهِ وكَـيْـدِهِ لأَمْـرٍ عَـلَـيْـهِ لَـم أَكُـنْ بِـجَـلِـيـدِ

مُـعَـاجِـلَةً خَـصْـمِـي بِـأَخْـذِ يَـمِـيـنِـهِ

وبَـغْـتِ بَـلايَـاهُ وقَـطْـعِ وَتِـيـنِـهِ[2]

تَـقَـرُّ لِشَـرْعِ اللهِ عَـيْـنُ أَمِـيـنِـهِ

وتَـسْـعَـى بِـمَـا يَـرْضَـى الإِلَهُ لِدِينِهِ إذا مـا أَمَـاتَ الـحَـقُّ كُـلَّ مُـرِيـدِ

إِلَهِـيَّـةً قَـدْ سَـاقَـهَـا اللهُ مُـنْـجِـدَا

مُـظَـفَّـرَةً لا يَـسْـتَـقِـرُّ لَهَـا الـعِـدَى

---

(١) مُلِثَّة: دَائِمَة.

(٢) الوَتِين: الشَّرِيَان الرَئِيس المُغذِّي جسم الإنسان بدم نقيّ خارج للتو من القلب.

يَـفُـلُّ بـهـا عَـرْشَ الـضَّـلالِ مَـنِ اهْـتَـدَى
بِـهَـا قَـامَ مِـنْ قَـبـلِي الأَئِمَّةُ بـالـهُـدَى وكَـانَـتْ لِرُسْـلِ اللهِ قَـبـلَ وُجُـودِي
يَـخُـصُّ شُـؤُونـي فَـتْـحُـهـا ويَـعُـمُّـهَـا
يُـصَـرِّفُ لِي فـي الـكَـوْنِ قَـهْـراً أَتَـمَّـهَـا
وتَـجْـلَى بِـهَـا الـجُـلَّى ويُـفْـرَجُ هَـمُّـهَـا
يَـتِـمُّ بِـهَـا الـنِّـعْـمَـا عَـلَيَّ مُـتِـمُّـهـا قَـدِيـماً عـلى خَـيـرِ الـخَـلائِقِ صِـيـدِ

القسم الرابع: في شكايتِهِ إليه إضَاعَةَ سُنَنِ الإسْلامِ وتعْطِيلِ الأحْكَام

مَـتـى تـتـجَـلَّى بـالـفُـتُـوحـاتِ سَـاعَـةٌ
مَـتـى لِعِـيـالِ اللهِ تُـلْـقَـى اسْـتِـطَـاعَـةٌ
مَـتـى يَـنْـصُـرُ الـقُـرْآنَ سَـمْـعٌ وطَـاعَـةٌ
ومَـنْ لِي بـهـذا فـي زَمَـانٍ مُـضَـاعَـةٌ بِـهِ سُـنَـنُ الإسْـلامِ بَـيـنَ قُـرُودِ[1]
ومَـنْ لِي وسَـيـفُ الـعَـدْلِ بَـيـنَ جُـفُـونِـهِ
ولـلـجَـورِ سَـيـفٌ شَـاهِـرٌ فـي يَـمِـيـنِـهِ
ومَـنْ لـي وأَهْـلُ اللهِ تَـحـتَ مُـتُـونِـهِ
ومَـنْ لـي بـأَنْ يَـرْضَـى الإلَهُ لِدِيـنِـهِ بِـتَـعْـطِـيـلِ أَحْـكَـامٍ ورَفْـضِ حُـدُودِ
ومَـنْ لـي بـأَنْ يَـرْضَـى بِسُـلْطَـانِ مُـفْـسِـدِ
مُـغِـيـرٍ بِـحَـرْبِ الاسْـتِـقَـامَـةِ مُـنْـجِـدِ
مُـذِلٌّ لِعِـزِّ الـمُـؤْمِـنِـيـنَ مُـعَـبِّـدِ
ومَـنْ لـي بـأَنْ يَـرْضَـى لِأُمَّـةِ أَحْـمَـدِ وَقَـدْ سَـامَـهَـا بـالـخَـسْـفِ كُـلُّ كَـنُـودِ[2]

---

(١) ربما كان الإلماحُ الشعريّ إلى ظِلالِ الآية: «وجَعَلَ مِنهُم القِرَدَةَ والخنازير».
(٢) الكَنود: جاحِد النِّعَم ـ في التنزيل: «إنَّ الإنسانَ لِرَبِّهِ لَكَنُود».

ومَـنْ لـي بِـحَـرْبِ اللهِ تَـضْـعِـقُ جُـنْـدَهُ
ومـا حَـوْلُ مَـخْـلُوقٍ إذا لـم يَـمُـدَّهُ
ومـا الـنَّـصْـرُ إنْ لـم يَـنـصُـرِ اللهُ عَـبْـدَهُ
ومَـنْ لـي بـأَنْـصَـارٍ إلـى اللهِ وَحْـدَهُ أشِـدَّاءِ بَـأْسٍ فـي الـحُـرُوبِ أُسُـودِ
كِـرَامٍ إذا شَـدُّوا وصُـبْـرٍ عَـلى الأذى
لـهُـم غـيـرَةٌ فـي اللهِ لـم يَـشْـرَبُـوا الـقَـذَى
إذا بَـرَقُـوا لـم يُـنْـفِـذِ الـخَـصْـمُ مَـنْـفـذا
تُـبَـارِي الـنَّـعَـامَ الـرُّبْـدَ خَـيْـلُهُـمُ إذا بِـحَـيَّ عَـلَى نَـصْـرِ الـمُـهَـيْـمِـنِ نُـودِي
صَـنـادِيـدُ يَـبْـغُـونَ الـمَـنِـيَّـةَ مَـفْـزَعَـا
ولا يَـرِدُونَ الـعَـيْـشَ إلّا تَـذرُّعَـا
يَـبِـيـعُـونَ للهِ الـنُّـفُـوسَ تَـطـوُّعَـا
يُـغـاثُ بـهِـمْ دَاعٍ إلـى اللهِ قَـدْ دَعَـا وخُـوصِـمَ فـي ذاتِ الإلَهِ وَعُـودِي
ومَـنْ لـي بِـسَـهْـمٍ مِـنْ يَـدِ اللهِ مُـرْسَـلا
يُـفْـضْـفِـضُ حَـيـزُومَ الأَعَـادِي مُـجَـنْـدِلا
إذا انْـقَـضَّ هَـزَّ الـكَـوْنَ وارْتَـعَـدَ الـمَـلا
ومن لي بِسَهْمٍ يَقطعُ الهَامَ والطُّلَى ويَـفْـرِي مِـنَ الأَعْـدَاءِ كُـلَّ وَرِيـدِ
تُـسـعِّـرُ نَـارَ الـحَـرْبِ مِـنـهُ الـمَـضَـارِبُ
بَـوَارِقُـهُ تَـنْـهَـلُّ مِـنْـهـا الـمَـعَـاطِـبُ
لِهَـزَّتِـهِ الـفَـتـحُ الـمُـبِـيـنُ مُـصَـاحِـبُ
حُـسَـامٌ لِدِيـنِ اللهِ واللهُ ضَـارِبُ بِـحَـدَّيْـهِ والـهَـيْـجَـاءُ ذاتُ وَقُـودِ
يُـسَـابِـقُ لَمْـحَ الـطَّـرْفِ فـي سَـلْـبِ مُـهْـجَـةٍ
ويَـفْـعَـلُ فِـعْـلَ الـلطْـفِ فـي كُـلِّ كُـرْبَـةِ

يَـكَـادُ يَـبِـسُّ[1] الأَرضَ مِـنـهُ بِـلَمْـعَـةِ
ولـو عَـارَضَ الـشُّـمَّ الـجِـبَـالَ بِـضَـرْبَـةِ لَـنـاحَـتْ عَـلَى طَـوْدٍ أَشَـمَّ فَـقِـيـدِ

القسم الخامس: في الدُّعاءِ على أعدائِهِ بقطْعِ دَابِرِهِم واسْتِئصَالِ أوَّلِهم وآخِرهم

إلـهـي عَـدُوُّ اللهِ يَـشْـفِـي غَـلِـيـلَهُ
سَـبِـيـلَكَ يُـذْبِـيـهَـا ويُـعْـلِي سَـبِـيـلَهُ
يُـغَـالِبُ أَمْـرَ اللهِ حَـتَـى يُـحِـيـلَهُ
فَـيَـا غَـارَةَ اللهِ اغْـضَـبِـي وخُـيُـولَهُ ارْكَبِي ومَوَاضِيهِ انْعَمِي بِوُرُودِ[2]
ودَائِرَةَ الـسَّـوءِ اسْـتَـمِـرِّي بِـدَوْرَةٍ
عَـلَيْـهِ ومَـقْـتَ اللهِ خُـذْهُ بِـسَـوْرَةٍ
ويَـا بَـطْـشَـةَ اللهِ اسْـحَـقِـيـهِ بِـثَـوْرَةٍ
ومُـنِّـي عـلى الأَعْـدَاءِ مِـنـكِ بِـزَوْرَةٍ تُـرِيـحُـهُـمُ مِـنْ كُـفْـرِهِـم بِـلُـحُـودِ
ومَـزِّقْـهُـمُ الـلـهُـمَّ كُـلَّ مُـمَـزَّقِ
بِـأَهْـلِكَ غَـلْـباً فَـيـلَقـاً بَـعـدَ فَـيـلَقِ
ونَـكِّـلْ بِـهِـم وامْـحَـقْـهُـمُ بِـالـتَّـفَـرُّقِ
ويَـا رَبِّ مَـزِّقْ كُـلَّ سُـورٍ وخَـنْـدَقِ عَـلَيـهِـم وحِـصْـنٍ شَـامِـخٍ وَرَصِـيـدِ
طَـغَـوا فـي بِـلادِ اللهِ لَمَـا تُـطِـقْـهُـمُ
وتَـغْـيـيـرُكَ الـلـهُـمَّ لـم يَـغْـتَـنِـقْـهُـمُ

---

(١) يَبِسّ: يُفتّت.

(٢) أي: وُرُود المَواضي؛ وهي السُّيوف ساحات المعارك لترتوي بعد عطش.

وإنكَ بالمِرْصَادِ خُذْهُم وبِقْهُمُ[1]

وَقَدْ مَكَرُوا فامْكُرْ بِهِمْ وأَذِقْهُمُ عَوَاقِبَ مَكْرٍ في البِلادِ شَدِيدِ

لَقَدْ وَطِئُوا الدُّنيا بِرِجْسٍ مُرَجِّسِ

وعَاثُوا بِظُلْمٍ في العِبَادِ مُضَرِّسِ

شَيَاطِينَ مَلْعُونِينَ مِنْ كُلِّ مُبْلِسِ[2]

فطَهِّرْ بِقاعَ الأرْضِ مِنْهُم بأَنْفُسٍ مِنَ البَغْيِ تُجْرِيها بِكُلِّ صَعِيدِ

إلهي قَبِيلٌ[3] جَاحِدٌ لَكَ قَدْ غَوَى

يُعَادِيكَ لا يَأْلُو عَلَى حَرْبِكَ انْطَوَى

أَبِذْهُ ومَنْ وَالاهُ وَخْياً وما حَوَى

وشَرِّدْ بِهِم في كُلِّ أَرْضٍ فلا سِوَى قَتِيلٍ ومَأْسُورٍ يُرَى وطَرِيدِ

بِغِيرَتِكَ اللهُمَّ يَا حَامِيَ الحِمَى

بِسَطْوَتِكَ اللهُمَّ يَا رَافِعَ السَّمَا

سَمِيعَ دُعَائِي كُنْ عَلَيهِم مُدَمْدِمَا

وصُبَّ عَلَيهِم سَوْطَ مُنتقِمٍ كَمَا لِعَادٍ وفِرْعَونِ جَرَى وثَمُودِ

وعَذِّبْهُمُ نُكْرَ العَذابِ وَدِنْهُمُ

وشَدِّدْ عَلَيهِم وَطْئَةً وأَهِنْهُمُ

وعَنْ كُلِّ خِزْيٍ رَبَّنا لا تَصُنْهُمُ

ولا تُبْقِ دَيَّاراً[4] على الأرضِ مِنْهُمُ فمَا قَومُ نُوحٍ مِنْهُمُ بِبَعِيدِ

---

(١) بِقْهم: أهْلِكهم.

(٢) مُبْلِس: مُشابه لإبليس.

(٣) قَبيل: جماعة من الناس.

(٤) دَيّار: قاطن الدّار ـ ومنه قولهم: ما بالدّارِ دَيّار.

القسم السادس: في المَقصَدِ الأسْنَى وهو إظهارُ دِينِ اللهِ عَلى يَدِ قَائِمِ مُوَلاه

مَتَى تَخْفقُ الرَّايَاتُ فَوقَ مُوزَّرِ
مُظفَّرَةٌ تَجْرِي بِجَيشٍ مُظَفَّرِ
إلهِيَ أيِّدْ قَائِمَ الحَقِّ وانْصُرِ
وعَجِّلْ بِنَصْرٍ مِنكَ للدِّينِ مُظْهِرِ وعَنْ كَيدِ مَنْ عَاداكَ غَيرَ مَكِيدِ

مَتى يَتجَلَّى اللهُ بِالعَدْلِ مُشْرِقا
يُقِيمُ بِهِ بَراً وَلِيّاً مُوَفَّقا
يُرَافِقُهُ نَصْرٌ مِنَ اللهِ أشْرَقا
يَقُومُ بَأَرْبَابِ الدِّيَانَاتِ والتُّقى ويَسْطُعُ نُورُ الحَقِّ بَعدَ خُمُودِ

مَتى السَّمْحَةُ البَيْضَاءُ تَرْقَى سَمَاءَها
مَتى عِزَّةُ الإسْلامِ تَخْمِي فِنَاءَها
مَتى فِطْرَةُ التَّوحِيدِ تَلْقى رَجَاءَها
وَتَنْشُرُ أعْلامُ العُلُومِ لِوَاءَها بأسْيافِ عَدْلٍ لَمْ تَلِقْ بِغُمُودِ

سُيُوفُ اقْتِدَارٍ حَاكِمَاتٌ بَوَارِقُ
قَوَاصِلُ حُكْمٍ بالرِّقابِ لَوَاصِقُ
بِأنْوَارِ عَدْلِ اللهِ زُهْرٌ شَوَارِقُ
يُدبِّرُها ماضِي العَزِيمَةِ حَاذِقُ بإنفاذِ أمرِ اللهِ غَيرُ مَؤُودِ

هُمَامٌ يَعُمُّ الكَونَ بالقِسْطِ عَادِلا
لَهُ عِضْمَتا جَدٍّ وجِدٌّ تَعَادَلا
بِفَارِقِ سُلْطَانٍ مِنَ اللهِ صَائِلا
تَذِلُّ لَهُ الآسَادُ حَتَّى النُّقادُ[1] لا تُذادُ عَنِ المَرْعَى بِأَطْلَسِ جِيدِ

---

(١) النُّقاد: ضرب من الغنم قبيح الشكل قصير الأرجل || أطلس: ذئب.

تَجَسَّمَ مِنْ نُورِ التُّقى حَشْوَ دِرْعِهِ
حَرِيصٌ عَلَى أَصْلِ الجِهَادِ وفَرْعِهِ
يُرَاقِبُ نُورَ اللهِ في رَحْبِ ذَرْعِهِ
أَمِينٌ عَلَى دِينِ الإلهِ وشَرْعِهِ خَلِيفَتُهُ المَأْمُونُ خَيرُ رَشِيدِ
يَذِلُّ لَهُ وَعْرُ الأَعَادِي وسَهْلُها
على خُطَّةٍ عَدْلٍ ولله عَدْلُها
يُجَلِّى بها عَنْ فَتْرَةِ الدَّهْرِ جَهْلُها
بِهِ قَرَّتِ الدُّنيا عُيُوناً وأَهْلُها على العَدْلِ والإحْسَانِ مِنهُ شُهُودِي

القسم السابع: في دُعائِهِ لِنفْسِهِ بكَوْنِهِ قُطْبَ المِلَّة الإسلاميَّةِ وإليهِ المَرْجِعُ في إقامَةِ الشريعَةِ المُحَمَّدَية

إلهي أقِمْنِي ذا الجَلالِ بفِطْرةٍ
أُقِيمُ بها الأحْكَامَ في كُلِّ ذرَّةِ
وحَقِّقْ بلُطْفٍ مِنكَ لِلحَقِّ نُصْرَتي
ومُنَّ على عَبدٍ دَعَاكَ بِنَظْرَةٍ تُجَلِّي على الآفاقِ شَمْسَ سُعُودِي
بِدَعْوتِكَ اللهُمَّ عَبْدُكَ قَائِمُ
وَقَدْ دَرَسَت مِنْهَا إلهِي المَعَالِمُ
عَساها كَسَيرِ الشَّمْسِ تِلكَ العَزَائِمُ
فَتشْمَلَ مَنْ في الأَرْضِ حَتى أَرَاهُمُ إلى اللهِ أَنْصَارِي وفِيهِ جُنُودِي
بحَوْلِكَ هذا العَبْدُ ثَبِّتْ يَقِينِهِ
وسُلْطَانُكَ الأعْلَى أَجَلَّ مَعِينِهِ
أعِنِّي مِنْ تَأْيِيدِهِ بِمَكِينِهِ
فأخْشُدَ في نَصْرِ الإلَهِ ودِينِهِ ومَنْ قَامَ بالدِّينِ الحَنيفِ حُشُودِي

أَقِمْنِي بِنُورٍ مِنكَ قُطْباً مُسَدَّدَا
لِمِلَّةِ خَيرِ الرُّسْلِ غَوْثاً مُجَدِّدَا
على بَسْطَةٍ في العِلْمِ والوُجْدِ والهُدَى
فأُصْبِحَ مَنْصُوراً مُطَاعاً مُؤَيَّدَا بِفَتْحٍ وتَمْكِينٍ وجَاهٍ سَعِيدِ
حَمَى اللهُ عَبْداً مُخْلِصاً أنْ يُهِينَهُ
ومُنْتَصِراً لله أنْ لا يُعِينَهُ
لَقَدْ مَدَّ إخْلاصِي إليكَ يَمِينَهُ
عَسَى ولَعَلَّ اللهَ يُظْهِرُ دِينَهُ على كُلِّ دِينٍ لم يَكُنْ بِسَدِيدِ
عَسَى ولَعَلَّ اللهَ يَسْمَعُ دَعْوَتِي
ويَسْرِي خَفِيُّ اللطْفِ في حَلِّ كُرْبَتِي
وتَعْظُمُ في نَصْرِ المُهَيْمِنِ مُكْنَتِي
فَتَخْضَرُّ آمَالِي وتُورِقُ مُنْيَتِي ويُثْمِرُ في دَوحِ المَكَارِمِ عُودِي
إلهِيَ إقَا عَزَّنِي مَا أُرِيدُهُ
فإنَّ بِفَتْحِ اللهِ يَدْنُو بَعِيدُهُ
وإنَّ بِرَوحِ اللهِ يُجْلَى شَدِيدُهُ
فإنَّكَ فَعَّالٌ لِما قَدْ تُرِيدُهُ قَدِيرٌ على ما شِئْتَ خَيرُ مُرِيدِ

الخاتِمَة

إلهِيَ أَخْزَانِي إلَيكَ بَثَثْتُها
إلهِيَ آمَالِي إلَيكَ حَثَثْتُها
إلهِيَ بَارِكْ وَقْفَةً قَدْ لَبِثْتُها
إلهي اسْتَجِبْ دَعْوَى إليكَ بَعَثْتُها وَقَدْ طَالَ تَرْجِيعِي بها ونَشِيدِي

عُـهُـودُ خَـلاصٍ أمْـجَـدَتْـنِـي مَـقـامَـهـا
جَـوَاهِـرُ ذِكْـرٍ أغْـصَـمَـتْـنِـي عِـصَـامَـهـا
مَـوَارِدُ صَـفْـوٍ أشْـرَبَـتْـنِـي أوَامَـهـا[1]
عُـقـودُ ثَـنَـاءٍ قَـدْ أجَـدْتُ نِـظـامَـهـا وإنْ كُـنـتُ لـلأشْـعَـارِ غَـيـرَ مُـجِـيـدِ
وَأَلْتُ بـهـا عَـزْمـاً وجَـهْـدُ الـبَـلا نَـزَلْ
إلـى بَـابِ حَـيٍّ لا يَـزَالُ ولـم يَـزَلْ
لَهُ الـمَـثَـلُ الأعْـلَى وجَـلَّ عَـنِ الـمَـثَـلْ
قَـصَـدْتُ بِهَا بَابَ المَلِيكِ ولـم تَزَلْ عَـلَى بِـابِـهِ الآمَـالُ خَـيـرُ وُفُـودِ
وصَـلِّ وسَـلِّم مِثْلَ مَعْلُومِ ما يَجْرِي بِهِ القَلَمُ الأعْلَى مِنَ الخَلْقِ والأمْرِ
بـلا أمَـدٍ يَـأتِـي ولا مُـنْـتَـهَـى حَـصْـرِ على المُصْطَفى الهَادِي مُحَمَّدِ البَرِّ
وأصْـحَـابِـهِ والآلِ خَـيـرِ شُـهُـودِ

(١) أوَامَها: عَطشَها.

مَقْدَسُ النُّفُوس

أصْبَحتُ لا أَمْلِكُ لِلنَّفسِ وَطَرْ ولا أَرُدُّ ذَرَّةً مِنَ القَدَرْ
أَحْمَدُ مَولايَ عَلى خَيرٍ وشَرْ مُستَسلِماً لِما قَضَى وما قَدَرْ
مُنتَهِياً عَمَّا نَهَى لِمَا أَمَرْ

أصْبَحتُ والذنبُ عَظِيماً مُوبِقا أوْقَعَني في أسْرِ أشْرَاكِ الشَّقا
إن لم يَكُنْ لي سَيِّدي مُوَفِّقا ولم يَكُنْ لِتوْبَتي مُحَقِّقا
فأيْنَ مَنْجَاتِيَ كَلّا لا وَزَرْ

أصْبَحتُ عَبْداً في مَقامِ الذلَّهْ قَضَيتُ عُمْرِي بَاطِلًا وضِلَّهْ
أُبَارِزُ اللهَ بِقُبْحِ الخَلَّهْ أنْتَهِكُ الزلَّةَ بَعدَ الزلَّهْ
كأنَّنِي أَمِنتُ خِزْياً مُنتَظَرْ

أصْبَحْتُ عَبْداً بِذنوبي مُعْتَقلْ قَدْ غَرَّنِي الجَهْلُ وأرْدَاني الأمَلْ
يَا وَيْلَتَاهُ قَدْ دَنا مِنِّي الأجَلْ ولم أقَدِّمْ صَالِحاً مِنَ العَمَلْ
أُجَاهِرُ النِّعْمَةَ مِنِّي بالبَطَرْ

تِلكَ صِفاتي بِئْسَ وَصْفُ المُتَّصِفْ عَنْ كُلِّ ما يُرْضِي إلَهِي مُنْحَرِفْ
أوَّاهُ أوَّاهُ عَبِيدٌ مُقْتَرِفْ مُصَرِّحٌ عَمَّا جَنَيتُ مُعْتَرِفْ
لا أرْعَوِي لِحِكْمَةٍ ومُزْدَجَرْ

ظَلَمتُ نفسِي وتَرَكْتُ رُشْدِي وكانَ هَزْلِي في الهَوَى وجِدِّي

وفي المَعَاصِي خَطَأي وعَمْدِي وكُلُّ شَيْنٍ وقَبِيحٍ عِنْدِي
فاغْفِرْ إلهِي أنتَ أحْفَى مَنْ غَفَرْ

هَا قَدْ نَدِمتُ النَّدَمَ الصَّرِيحَا على حَضِيضِ ذِلَّتي طَرِيحَا
تُبْتُ إليكَ توبةً نَصُوحا عَلِمْتُكَ الحَلِيمَ والصَّفُوحَا
أقِلْ عَثَارِي يَا مُقِيلًا مَنْ عَثَرْ

تُبْتُ إليكَ تَوبَةً أخْلَصْتُها طَاهِرَةً على الهُدَى نَصَصْتُها
خَالِصَةً مِنَ الهَوَى مَحَّصْتُها على الذي يُرْضِيكَ قَدْ خَصَّصْتُها
لا أبْتَغِي بِها سِوَى العَفْوِ وَطَرْ

تُبتُ إليكَ حُطَّ عَنِّي إصْرِي أنا الذي أخْلَقَ وَجْهِي وِزْرِي
أنا الذي أثْقَلَ ذَنْبِي ظَهْرِي أنا الذي فَرَرْتُ عَنكَ عُمْرِي
وليسَ للعَبْدِ مِنَ اللهِ مَفَرْ

تُبتُ إليكَ عَائِذاً بِوَجْهِكا مِنَ الخَطَايَا المُوجِبَاتِ سُخْطَكا
من ذا يَقومُ سَيِّدي لِمَقْتِكا أم مَنْ يُطِيقُ يَا إلهِي عَذْلَكا
فاحْمِلْ على فَضْلِكَ عَبْداً ما أصَرْ

تُبتُ إليكَ تَوْبَ مَنْ لا يَرْجِعُ عَنْ كُلِّ ما يُسْخِطُ رَبِّي مُقْلِعُ
ولَستُ إلّا فِي رِضَاكَ أنْزَعُ إذْ لَيسَ لِي إلّا رِضَاكَ يَنْفَعُ
والوَيْلُ إنْ لم تَرْضَ وَيْلٌ مُستَمِرْ

تُبتُ إليكَ تَوْبَ مَنْ لَنْ يَنقُضَا عَهْدَكَ أو يَأتِيَ مَكْرُوهاً مَضَى
ما أعْظَمَ الفَوزَ إذا نِلْتُ الرِّضَا والوَيْلُ لي إنْ تَكُ عَنِّي مُعْرِضَا
إعْرَاضُكَ اللهُمَّ أدْهَى وأمَرْ

تُبتُ إليكَ مِن ذُنوبِ السِّرِّ تُبتُ إليكَ مِن ذُنوبِ الجَهْرِ
ومِن ذُنوبٍ قَاصِمَاتِ العُمْرِ ومِن ذُنوبٍ مُوجِبَاتِ الفَقرِ
ومِن ذُنوبٍ غِبُّها مَسُّ سَقَرْ

تُبتُ إليكَ مِن خَوَاطِرِ اللَّمَمْ وكُلِّ مَحْظُورٍ جَرَى بِهِ القَلَمْ

وكُلٌّ ما عُدتُ لَهُ بَعدَ نَدَمْ وما انْتَهَكْتُ فِيكَ مِن أيِّ الحُرَمْ
ومِنْ صَغيرٍ وكَبيرٍ مُسْتَطِرْ

تُبتُ إليكَ تَوبَةً تَأتي عَلَى قَولي وفِعْلي تَارِكاً وفَاعِلا
وما جَنَيتُ عَالِماً وجَاهِلا وما اقْتَرَفتُ ذَاكِراً وغَافِلا
في حَقكَ اللهُمَّ أو حَقِّ البَشَرْ

تُبتُ مَتاباً جَامِعاً لِما جَرَى بالقلبِ والقالَبِ مِمّا حُجِرا
إليكَ نَفسِي نَادِماً مُسْتَغْفِرا عِندَ الصَّباحِ يَحْمَدُ القَومُ السُّرَى
إنْ يَكُنِ اللهُمَّ ذَنبِي مُغْتَفَرْ

تُبتُ من الجَورِ عَلى كُلٍّ أحَدْ والكِبْرِ والعُجْبِ ومِنْ ذَنْبِ الحَسَدْ
ومِنْ عُقُوقِ الوَالِدَينِ والوَلَدْ ومِنْ حُقوقٍ من دَنا ومَن بَعُدْ
في كُلِّ ما ضَيَّعْتُ مِن نَفعٍ وضُرْ

أَسْتَغْفِرُ اللهَ مِنَ التَعَسُّفِ في الدينِ والغُلوِّ والتَّعَجْرُفِ
ومِنْ ذُنوبِ الشكِّ والشِّرْكِ الخَفِي وفِتنَةِ المُسْرِفِ والمُسَوِّفِ
ومِن قُنُوطٍ وإيَاسٍ وأَشَرْ

أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِلَغْوٍ مِقْوَلِي وسَعْيِ رِجْلِي ويَدِي في خَطَلِ
ولاتِّبَاعِي الشَهَواتِ الرُّذَّلِ ومُهْلِكِ التَّقْصِيرِ والتَّوَغُّلِ
ومِنْ ذُنوبِ المَسْمَعَينِ والنَّظَرْ

أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِقَصْدِ انْطَوَى على رِضَا اللهِ فَصَدَّهُ الهَوَى
ونِيَّةٍ تُمِيلُنِي لِمَنْ غَوَى وإنْ يَكُنْ لِكُلِّ عَبْد مَا نَوَى
فَنِيَّتِي التَّقْوَى وإحْسَانُ الأَثَرْ

أَسْتَغْفِرُ اللهَ مِن الكَبَائِرِ أَسْتَغْفِرُ اللهَ مِن الصَّغائِرِ
أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِحَلْفٍ فَاجِرِ وكُلِّ ما يَخُطُرُ في سَرَائِرِي
وكَانَ عِندَ اللهِ ذَنْباً إنْ خَطَرْ

أَسْتَغْفِرُ اللهَ مِن المَلاهِي والبَذْلِ والتبذيرِ في المَنَاهِي

والـحُـبِّ والـبُـغـضِ لِغـيـرِ الله وخُـلُقِ الـفَـاخِـرِ والـمُـبَـاهِـي
والـخُـيَـلاءِ والـرِّيَـاءِ والـبَـطَـرْ

يَـا غَـافِـرَ الـذنـبِ اغْـتـفِـرْ لِي ذَنْـبِـيَـهْ يَـا قَـابـلَ الـتَّـوبِ تَـقـبَّـلْ تَـوْبِـيَـهْ
عَـلِمْـتَ هَـوْدِي[1] وشَـهِـدْتَ لُبِّـيَـهْ لـبَّـيْـكَ سَـعْـدَيْـكَ حَـنـانَـيْـكَ لِبَـيْـهْ
إنْ تَـعْـفُ فـالـعَـفـوُ جَـمِـيـلُ مَـن قَـدَرْ

فَـرَّطْـتُ فـي جَـنـبِـكَ تَـفْـرِيـطاً جَـلَلْ ولـم أغَـادِرْ ذرَّةً مِـنَ الـزَّلـلْ
آتـي مَـعَـاصِـيـكَ عـلى غَـيـرِ وَجَـلْ ثـم أَلِـجُ فـي الـدُّعَـا بـلا خَـجَـلْ
أسْـتَـعْـجِـلُ الـبِـرَّ بِـإدْلالِ الـمُـبِـرْ

مـا أعْـظَـمَ الـمُـصَـابَ وَيْـلِـي مَـالِـيَـهْ وأقْـبَـحَ الـسَّـوْءَةَ مِـنْ أفْـعَـالِـيَـهْ
جَـمَّـلْـتَ رُشْـدِي ومَـقـامَ حَـالِـيَـهْ وفَـاتَـنِـي رُشْـدِيَ مِـنْ إغْـفَـالِـيَـهْ
يَـا وَيْـلَـتَـا أوْقَـعْـتُ نَـفـسِـي فـي الـخَـطَـرْ

يَـا مَـنْ غِـيَـاثِـي عِـلْـمُـهُ ورَحْـمَـتُـهْ ومَـفْـزَعِـي إحْـسَـانُـهُ ومِـنَّـتُـهْ
ومَـنْ مَـعَـاذِي لُـطْـفُـهُ ورَأفَـتُـهْ ومَـنْ رَجَـائِي عَـطْـفُـهُ ونَـظْـرَتُـهْ
عَـبْـدُكَ بـالـذنـبِ كَـسِـيـرٌ مُـغْـتَـقَـرْ

عَـبْـدُكَ قَـدْ بَـاءَ بِـنـفـسٍ نَـاكِـصَـهْ وَقَـدْ عَـلِمْـتَ مُـطـلَـقاً خَـصَـائِـصَـهْ
ذا رَوْعَـةٍ قَـدْ أرْعَـدَتْ فَـرَائِـصَـهْ بِـتَـوبَـةٍ مِـنْ كُـلِّ جُـرْمٍ خَـالِـصَـهْ
يَـنـتـظِـرُ الـعَـفـوَ ونِـعْـمَ الـمُـنْـتَـظَـرْ

بـاسْـمِـكَ الأعْـظَـمِ اسْـمِ الـذَّاتِ مَـجْـمَـعِ الأسْـمَـا مُـنْـتَـهَـى الـغَـايَـاتِ
بِـحَـقِّ الاسْـمَـاءِ الـمُـبَـارَكَـاتِ وبـالـكَـمَـالاتِ وبـالـصِّـفـاتِ
بِـمَـا لأسْـمَـائِكَ مِـن نُـورٍ وسِـرْ

---

(١) هَوْدِي: عودتي إليك.

بِـوَصْـفِـكَ الـذاتـيِّ والـفِـعـليِّ بِـوَصْـفِـكَ الـمُـضَـافِ والـسَّـلْـبـيِّ
لَسْـتَ بِـمَـوْهُـومٍ ولا مَـرْئِيِّ مُـغـايِـرُ الـجِـسِّـيِّ والـعَـقْـلِـيِّ
تِـلكَ تَـعَـالَـيْـتَ سِـمَـاتُ الـمُـفْـتَـقِـرْ

بِـقُـدْسِكَ الأسْـنـى بِـسُـبْـحَـانِـيَّـتِـكْ بـالـمَـنـظَـرِ الأعْـلَـى بِـرَحْـمَـانِـيَّـتِـكْ
بِـوَجْـهِـكَ الـبَـاقِـي بِـرَبَّـانِـيَّـتِـكْ بـالـشَّـاهِـدِ الـقَـاضِـي بِـوَحْـدَانِـيَّـتِـكْ
فـي كُـلِّ مَـصْـنـوعٍ ولـو مِـثـقـالَ ذَرْ

بـأنـكَ الأوَّلُ مِـنْ قَـبـلِ الأوَلْ بـأنـكَ الآخِـرُ مِـنْ غَـيـرِ أجَـلْ
بـأنـكَ الـخَـالِقُ تَـعْـلِـيـلَ الـعِـلَلْ ولَـنْ تَـزَالَ وَاحِـداً ولَمْ تَـزَلْ
يَـا بَـاطِـنَ الـذاتِ وظَـاهِـرَ الأثَـرْ

بِـمَـقْـعَـدِ الـعِـزِّ مِـنَ الـعَـرْشِ الـعَـظِـيـمْ بِـمُـنْـتَـهَـى الـرَّحْـمَـةِ فـي الـوَحْـيِ الـكَـرِيـمْ
بِـكُـلِّ اسْـمٍ صَـانَـهُ الـعِـلْـمُ الـقَـدِيـمْ فـي الـسِّـرِّ أو عَـلَّـمْـتَـهُ قَـلْـباً سَـلِـيـمْ
أو نَـزَلَ الـوَحْـيُ بِـهِ عَـلَـى بَـشَـرْ

بِـمُـلْـكِـكَ الـبَـاقِـي بِـقَـدْرِ الـعَـظَـمَـهْ بـالـقِـسْـطِ حُـكْـماً بِـعُـلُوِّ الـكَـلِـمَـهْ
بِـمَـوْضِـعِ الـسِّـرِّ فـي الآيِ الـمُـحْـكَـمَـهْ بـالـنِّـعْـمَـةِ الـمُـطْـلَـقَـةِ الـمُـتَـمَّـمَـهْ
طَـوْلًا إلَـهِـيـاً وإحْـسَـانـاً وبِـرْ

بِـرُتْـبَـةِ الـحَـقِّ رَفِـيـعِ الـدَّرَجَـاتْ ذي الـعَـرْشِ مُـلْـقِـي الـرُّوحِ بَـاعِـثِ الـرُّفَـاتْ
بِـمَـا عَـلـى وُجُـودِهِ مِـنْ بَـيِّـنَـاتْ بِـحَـقِّ مَـا لِـذاتِـهِ مِـنَ الـثَّـبَـاتْ
تَـبَـارَكَ الـبَـاقِـي الـبَـقَـاءَ الـمُـسْـتَـمِـرْ

بِـعِـزَّةِ الـقَـاهِـرِ وَاجِـبِ الـوُجُـودْ بـالـصَّـمَـدِ الـمَـعْـبُـودِ بـالـحَـقِّ الـوَدُودْ
بـالـفَـاتِـحِ الـبَـاسِـطِ وَهَّـابِ الـجُـدُودْ بـالـوَارِثِ الـبَـاعِـثِ هَـامِـدِ الـلُّـحُـودْ
بِـمَـنْ إلَـيـهِ الـمُـنْـتَـهَـى والـمُـسْـتَـقَـرْ

بِـمَـجْـدِكَ الأعْـلَـى بِـقَـهْـرِ الـجَـبَـرُوتْ بِـعِـزَّةِ الـمُـلْـكِ بِـعِـظْـمِ الـمَـلَـكُـوتْ
بِـعِـزِّ سُـلْـطَـانِـكَ حَـيٍّ لا تَـمُـوتْ بِـلُـطْـفِـكَ الـسَّـارِي بِـعَـطْـفِ الـرَّحَـمُـوتْ
بِـنُـورِكَ الـسَّـاطِـعِ فـي وَجْـهِ الأثَـرْ

بـقَـهْـرِكَ الـغَـالِبِ بـالـجَـلالِ بـالـكَـرَمِ الـفَـيَّـاضِ بـالـجَـمَـالِ
بـقُـدْرِكَ الـشـامِـخِ بـالـكَـمَـالِ بـحِـكْـمَـةِ الـشـؤونِ فـي الأفْـعَـالِ
بـشَـأنِـكَ الـبَـاهِـرِ أضْـنـافَ الـفِـطَـرْ

بـالـوَحْـدَةِ الـقَـدِيـمَـةِ الـمُـكَـوِّنَـهْ بـالـقُـدرَةِ الـغَـالِبَـةِ الـمُـهَـيْـمِـنَـهْ
بـالـقِـدَمِ الـقَـيُّـومِ قَـبْـلَ الأزْمِـنَـهْ وبـالـتـعَـالِي عَـنْ ظُـرُوفِ الأمْـكِـنَـهْ
بـالـقُـرْبِ بـالـدُّنُـوِّ عِـلْـمـاً ونَـظَـرْ

بـسُـبُـحَـاتِ الـنـورِ لـلحَـقِـيـقَـهْ بـأبْـحُـرِ الـمَـحَـامِـدِ الـعَـمِـيـقَـهْ
وبِـنُـعُـوتِ ذَاتِـكَ الـحَـقِـيـقَـهْ ظَـاهِـرَةً تُـذْكَـرُ أو دَقِـيـقَـهْ
فـي عِـلْـمِـكَ الـمَـكْـنـونِ عَـنْ دَرْكِ الـفِـطَـرْ

بـحَـقِـكَ الـوَاجِـبِ فـي طَـوْعِ الـذِّمَـمْ بـعَـهْـدِكَ الأشَـدِّ بـالـوَعْـدِ الأتَـمْ
بـنُـورِكَ الـمُـشْـرِقِ كَـاشِـفِ الـظُّـلَـمْ بـلوحِـكَ الـمَـحْـفـوظِ رَبِّـي بـالـقَـلَـمْ
بـأمْـرِكَ الـمُـجْـرِي تَـصَـارِيـفَ الـقَـدَرْ

بـالـعِـلْـمِ بـالـحَـيـاةِ بـالـكَـلامِ بـقُـدْرَةِ الـسَّـقَـادِرِ بـالـدَّوَامِ
وبـحِـمَـى الإرَادَةِ اعْـتِـصَـامِـي وبـجَـلالِ الـحَـقِّ والإكْـرَامِ
بـسَـمْـعِ مَـولانـا الـجَـلِـيـلِ بـالـبَـصَـرْ

بـحَـوْلِ مَـولانـا بِـحَـبْـلِهِ الـشَّـدِيـدْ بِـقُـوةِ الله بـأمْـرِهِ الـرَّشِـيـدْ
بـسَـطْـوَةِ الله ولا عَـنْـهُ مَـحِـيـدْ بـقُـرْبِـهِ الأقْـرَبِ مِـن حَـبْـلِ الـوَرِيـدْ
بـمـا بِـهِ الـعَـرْشُ عـلى الـمَـاءِ اسْـتَـقَـرْ

بـحِـكْـمَـةِ الله الـحَـكِـيـمِ الـبَـالِـغَـهْ بـحُـجَّـةِ الله الـوَلِـيِّ الـدَّامِـغَـهْ
بـنِـعْـمَـةِ الله الـكَـرِيـمِ الـسَّـابِـغَـهْ بـشَـمْـسِ بُـرْهَـانِ الـصِّـفَـاتِ الـبَـازِغَـهْ
مِـمَّـا خَـفِـي مِـنْ صِـفَـةٍ ومـا ظَـهَـرْ

بـحِـكْـمَـةِ الإبـداعِ والـتَـعَـبُّـدِ وبِـغِـنَـاكَ الـمُـطْـلَـقِ الـمُـجَـرَّدِ
بـلُـطْـفِـكَ الـخَـافِـي بِـفَـيْـضِ الـمَـدَدِ بـمَـجْـدِكَ الـقَـائِـمِ بَـعْـدَ الأبَـدِ
لَـيْـسَ لِـمَـجْـدِ الـحَـقِّ حَـدٌّ يُـنْـتَـظَـرْ

بِكِبْرِياءِ المَلِكِ الحَقِّ المُبِينْ بِعِزِّ سُلْطانِ الأُلوهَةِ المَتِينْ
بالقَبْضَةِ الأولى بقُوةِ اليَمِينْ بجِيطَةِ القَهْرِ لِكُلِّ العَالَمِينْ
سُبْحَانَ ذِي القَهْرِ المَلِيكِ المُقْتَدِرْ

بِعِظَمِ الذاتِ بِذاتِ العِظَمِ بالجِبْرِياءِ بالعَلاءِ الأعْظَمِ
بالكَرَمِ الحَقِّ بِحَقِّ الكَرَمِ بِوَاسِعِ الرَّحْمَةِ لِلمُسْتَرْحِمِ
بِرُوحِكَ الأقْرَبِ مِنْ لَمْحِ البَصَرْ

بالوَاجِدِيَّةِ التي لا تَنْقَسِمْ بالأحَدِيَّةِ الحَقِيقِيَّةِ القِدَمْ
بالعِلمِ مِن قبلِ الوُجُودِ والعَدَمْ بالبِرِّ بالرَّأفةِ في كُلِّ القِسَمْ
وقِسَمُ اللهِ تُسَاوِقُ الخِيَرْ

بِسِرِّ كُنْ عِندَ مُرَادِ الخَالِقِ بِسِرِّ إخْصَائِكَ لِلخَلائِقِ
بِحِفْظِكَ المُحِيطِ بالحَقائِقِ بِنَفَسِ الرَّحْمنِ في المَضَائِقِ
يَا نَفَسَ الرَّحْمَنِ ضَاقَ المُضْطَبَرْ

بِصَمَدَانِيَّتِكَ اللهُمَّا بِجَاهِكَ الجَاهِ الأعَزِّ الأسْمَى
بِوَهْبِكَ الظَّاهِرِ والمُعَمَّى بالمَنِّ مِنكَ عَطْفةً ورُحْمَى
لا يَقْتَضِيهِ سَبَبٌ ولا وَطَرْ

بالطَّوْلِ يَا ذا الطَّوْلِ والتَّطَوُّلِ بِكَرَمِ الذاتِ بِلا مُعَلِّلِ
بالحِلمِ بالعَفْوِ بِغَفْرِ الزَّلَلِ بالفَضْلِ بالعَدْلِ بأعْلَى المَثَلِ
المَثَلِ الأعْلَى لِفَاطِرِ الفِطَرْ

بِحَمْدِكَ الوَاجِبِ لِلذَّاتِيَّةْ مُسْتَغْرِقِ المَحَامِدِ الكُلِّيَّةْ
بِما حَمِدْتَ نَفْسَكَ القُدْسِيَّةْ بِهِ مِنَ المَحَامِدِ الزَّكِيَّةْ
إذْ حَمْدُنا لِلحَمْدِ أيْضاً يَفْتَقِرْ

بِما بِهِ أثْنَيْتَ سَيِّدي عَلَى نَفْسِكَ مِن أمْجَادِ قَدرِكَ العُلَى
لِوَجْهِكَ المَجْدُ لِجَدِّكَ العَلا أنتَ كما أثْنَيتَ مِنْ نَفسِكَ لا
أُحْصِي ثَنَاءً لَكَ عَجْزِي قَدْ ظَهَرْ

بِحَقِّ قَيُّومِيَّةِ اللهِ عَلَى عَوالِمِ الحَادِثِ عِلْماً وَوَلَا
سَنَاءُ قَيُّومِيَّةِ اللهِ انْجَلَى بِكُلِّ ذرَّةٍ فَلا سَلْبَ وَلا
إِيْجَابَ إِلّا فِيهِ لِلقَيُّومِ سِرُّ

بِمُظْهِرِ الحَقِّ على الآثارِ بِمُشْهِدِ الحَقِّ على الأطْوَارِ
بِما لِوَجْهِ الحَقِّ مِنْ أَنْوارِ بِما لِذاتِ الحَقِّ مِنْ إِكْبَارِ
يَا حَقُّ لِلذاتِ بِلا شَرْطِ أَثَرْ

بِسُلطَةِ الإِبْدَاءِ والإِعَادَةْ بِحُكْمِ الاخْتِيارِ والإِرَادَةْ
بِشِدَّةِ المُحَالِ بالسِّيادَةْ بالمُلْكِ بالإِنْشاءِ بالإِبَادَةْ
بالأمْرِ بالخَلْقِ بأَسْرَارِ القَدَرْ

باسْمِكَ اللهِ الجَلِيلِ البَاهِرِ قُطْبِ الأَسَامِي جَامِعِ المَظَاهِرِ
مُشْرِقِ الاسْرَارِ عَلى السَّرَائِرِ مُقدِّسِ البُطُونِ والظَّوَاهِرِ
ومَاحِقِ الأغْيَارِ مُحْرِقِ الكَدَرْ

بِمَظْهَرَيْ رَحْمَتِكَ الحَفِيَّهْ مِنَ اسْمِكَ الرَّحْمنِ لِلبَرِيَّهْ
واسْمِكَ الرَّحِيمِ بالكُلِيَّهْ حَيَاتَنَا الدُّنْيا والاخْرَوِيَّهْ
وَسِعْتَ مَوجُودَكَ رَحْمَةً وبِرْ

بِمَالِكِ المُلْكِ المَلِيكِ المَلِكِ مُدَبِّرِ الأمْرِ مُدِيرِ الفَلَكِ
غَيرِ مُمَاثِلٍ وغَيرِ مُدْرَكِ مُمَلِّكِ المُلُوكِ ما لم تَمْلُكِ
بِيَدِهِ الإِيْتَاءُ والنَّزْعُ اسْتَقَرْ

بالطَّاهِرِ القُدُّوسِ ذَاتاً وَصِفَهْ عَنْ صِفَةٍ حَادِثَةٍ مُكَيَّفَهْ
قَدَاسَةٌ تُدْرَكُ مِنها المَعْرِفَهْ وحُدَتُهُ البَاطِنَةُ المُنْكَشِفَهْ
تَمَحَّضَتْ لِلذاتِ عَنْ شِبْهِ الأَثَرْ

باسْمِ السَّلامِ المُؤمِنِ المُهَيْمِنِ بِعِزِّ اسْمِكَ العَزِيزِ الأَمْكَنِ
بِقُوَّةِ الجَبَّارِ فَوقَ المُمْكِنِ بالمُتَكَبِّرِ الأَعَزِّ الأَمْتَنِ
الكِبْرِيَاءُ حَقُّهُ دُونَ الفِطَرْ

بـالـخَـالِقِ الـبَـارِىءِ لـلبَـدَائِعِ مُـصَـوِّرِ الأَشْـكَـالِ والـصَّـنـائِعِ
غَـفَّـارِ ذَنـبٍ مُـسْـرِفٍ وطَـائِعِ قَـهَّـارِ الاشْـيـاءِ بـلا مُـنـازِعِ
قَـدْ بَـهَـرَ الـمَـوجُـودَ رَبِّـي وَقَـهَـرْ

بـحَـقِّ وَهَّـابِ الـعَـطَـا بِـلا غَـرَضْ رَزَّاقِ مَـخـلُـوقـاتِـهِ بِـلا عِـوَضْ
فَـتَّـاحِ أَبْـوابِ الـنَّـدَى ومـا غَـمَـضْ عَـلِـيـمٍ مـا أَوْجَـدَ جِـسْـمـاً وعَـرَضْ
مِـمَّـا خَـفِـيْ أَحَـاطَ عِـلْـمـاً وظَـهَـرْ

بالقَـابِضِ البَاسِطِ أصْنافَ النِّعَمْ بـالـخَـافِـضِ الـرَّافِـعِ مَـنّـاً وكَـرَمْ
بـعِـزَّةِ الـمُـعِـزِّ مَـنْ شَـاءَ وكَـمْ أَذَلَّ بـاسْـمِـهِ الـمُـذِلِّ مِـنْ أُمَـمْ
سَـمِـيـعُ مـا يَـخْـفَـى بَـصِـيـرُ مـا يُـسَـرْ

بالحَكَمِ العَدلِ اللطِيفِ بالعِبَادْ وبـالـخَـبـيـرِ بـالـمُـرِيـدِ والـمُـرَادْ
وبـاسْـمِـكَ الـحَـلِـيـمِ عَـن أهْـلِ الـفَـسَـادْ وبـاسْـمِـكَ الـعَـظِـيـمِ قَـدْراً لا يُـسَـادْ
عَـظُـمْـتَ شَـأنـاً حَـصِـرَتْ عَـنـهُ الـفِـكَـرْ

بـاسْـمِـكَ الـغَـفـورِ بـالـشَّـكُـورِ بـاسْـمِـكَ الـعَـلِـيِّ بـالـكَـبـيـرِ
بـاسْـمِـكَ الـحَـفـيـظِ فـي الـمَـقْـدُورِ بـحِـفْـظِـكَ اسْـتِـقـامَـةَ الأُمُـورِ
بـحِـفْـظِـكَ انْـتِـظـامُ الابْـدَاعِ اسْـتَـقـرْ

بـاسْـمِـكَ الـمُـقِـيـتِ[1] لـلنُّـفُـوسِ والـرُّوحِ والـقُـلُـوبِ بـالـنَّـامُـوسِ[2]
بـاسْـمِـكَ الـحَـسِـيـبِ يَـا أَنِـيـسِـي فـي وَحْـشَـةِ الـمَـغْـقُـولِ والـمَـحْـسُـوسِ
لِـحِـسْـبَـةِ الـحَـسِـيـبِ كُـلٌّ مُـفْـتَـقِـرْ

بـاسْـمِ الـجَـلِـيـلِ مُـظْـهِـرِ الـجَـلالِ بـاسْـمِ الـكَـرِيـمِ مُـظْـهِـرِ الـجَـمَـالِ
وبـالـرَّقِـيـبِ شَـاهِـدِ الأَحْـوَالِ وبـالـمُـجِـيـبِ لَـهْـجَـةَ الـسُّـؤالِ
بـالـواسِـعِ الـحَـكِـيـمِ صُـنْـعـاً وخِـيَـرْ

---

(١) المُقيت: من أسماء الله الحُسنى؛ أي: المُعطي كلَّ شيء قُوْتَه.
(٢) النّامُوس: قابض الأسرار المُطّلع على بَواطن الأمور.

بِسِرِّ وُدِّ اسْمِكَ الوَدُودِ بِجَاهِ مَجْدِ هَيْبَةِ المَجِيدِ
بِاسْمِكَ البَاعِثِ بِالشَّهِيدِ بِالحَقِّ بِالوَكِيلِ لِلمَوْجُودِ
بِاسْمِ القَوِيِّ بِالمَتِينِ المُقْتَدِرْ

بِاسْمِ الوَلِيِّ بِالحَمِيدِ المُحْصِي بِالمُبْدِئِ المُعِيدِ ما لا نُحْصِي
وبِاسْمِكَ المُحْيِي المُمِيتِ نَصِّي إِلَيكَ فِي ضَرَاعَتِي ونَقْصِي
يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ مُجْمِلُ النَّظَرْ

بِاسْمِكَ المَاجِدِ بِاسْمِ الوَاجِدِ بِمَظْهَرِ الوِحْدَةِ اسْمُ الوَاحِدِ
بِالأَحَدِ المَشْهُودِ فِي المَشَاهِدِ بِالصَّمَدِ المُغِيثِ كُلَّ صَامِدِ
بِالقَادِرِ المُقْتَدِرِ المُنْشِي القَدَرْ

بِاسْمِكَ المُقَدِّمِ المُؤَخِّرِ بِالأَوَّلِ الآخِرِ بَعْدَ الفِطَرِ
بِالظَّاهِرِ النُّورِ بِوَجْهِ الأَثَرِ بِالبَاطِنِ الذاتِ عَنِ المُسْتَتِرِ
جَلَّ عَنِ الفِكْرِ وعَنْ دَرْكِ البَصَرْ

بِاسْمِكَ الوَالِي صُنُوفَ ما خَلَقْ بِالمُتَعَالِي جَدُّهُ رَبِّ الفَلَقْ
بِاسْمِكَ البَرِّ المُبِرِّ المُرْتَزَقْ[1] تَوْبُكَ يَا تَوَّابُ لِلتَوَّابِ حَقْ
وبِاسْمِكَ المُنْتَقِمِ الطَّاغِي انْكَسَرْ[2]

بِاسْمِ العَفُوِّ بِالرَّؤُوفِ المُقْسِطِ بِاسْمِكَ الغَنِيِّ مُغْنِي المُفْرِطِ
فِي الذَّنْبِ والصَّالِحِ والمُفَرِّطِ بِالمَانِعِ الحَافِظِ فِي التَّوَرُّطِ
بِالضَّارِّ بِالنَّافِعِ كَاشِفِ الضَّرَرْ

بِالنُّورِ بِالهَادِي البَدِيعِ البَاقِي بِالوَارِثِ الرَّشِيدِ بِالخَلَّاقِ
بِاسْمِ الصَّبُورِ صَادِقِ المِيثَاقِ يُمْهِلُنا ومَا سِوَاهُ الوَاقِي
سُبْحَانَهُ أَغْنَى وأَقْنَى وصَبَرْ

---

(١) المُرْتَزَقْ: مَن يُطلَبُ منه الرِّزق.

(٢) أي: بقوّة اسْمِكَ المُنتقِم انكسَرَتْ شَوْكَة الطّاغي.

بـاسْـمِـكَ الأَعْـلَى إِلَهَ الآلِهَـةْ بـاسْـمِكَ هُـو ذِكْـرُ الـقُـلُوبِ الـوَالِهَـةْ
بـاسْـمِكَ أَنـتَ لَهْـجَـةُ الـمُـوَاجَـهَـةْ بـاسْـمِ أَنـا عَـلَوْتَ عَـنْ مُـشَـابَـهَـةْ
مُـبْـتَـدَأُ الأَسْـمَـاءِ والـبَـاقِـي خَـبَـرْ[1]

بِكِلْمَةِ الإِخْلاصِ حِصْنُكَ الحَصِينْ بـحَـقِّ تَـوحِـيـدِكَ حَـبْـلِكَ الـمَـتِـيـنْ
بِـكُـلِّ سِرٍّ لَكَ فِـي الـغَـيْـبِ خَـزِيـنْ بـحَـقِّ ذِكْـرِ أَهْـلِكَ الـمُـقَـرَّبِـيـنْ
مِـمَّـنْ أَسَـرَّ بِـالـدُّعَـا ومَـنْ جَـهَـرْ

بـحَـقِّ مـا أَنْـزَلْـتَ مِـنْ كَـلامِـكَـا بـحَـقِّ مـا أَفْـهَـمْـتَ مِـنْ إِلْهَـامِـكَـا
بـحَـقِّ مـا دَلَّ عَـلَى إِعْـظَـامِـكَـا بـحَـقِّ مـا تَـعْـلَـمُ مِـنْ ثَـنـائِـكَـا
بـحَـقِّ أَحْـزابِ الـمَـيـامِـيـنِ الـغُـرَرْ

بِـدَعَـواتِ رُسْـلِكَ الـمُـطَـهَّـرَه بِـدَعَـواتِ الأَوْلِـيـاءِ الـخَـيِّـرَه
بـحَـقِّ أَذْكـارِ الـكِـرَامِ الـبَـرَرَه بِـكُـلِّ مـا تُـجْـزِي عَـلَـيـهِ الـمَـغْـفِـرَه
وكُـلِّ ذِكْـرٍ لَكَ فِـي الـلَّوْحِ سُـطِـرْ

بِـالـصَّـلَوَاتِ الـطَّـيِّـبَـاتِ أَوْأَلُ[2] بِـالـبَـاقِـيَـاتِ الـصَّـالِحَـاتِ أَسْـأَلُ
بِـالـكَـلِمِ الـطَّـيِّـبِ لِي مُـعَـوَّلُ بِـكُـلِّ مـا تَـرْضَـاهُ مِـنِّـي أَمْـثُـلُ
لَـم يَـفْـتَـقِـرْ دَاعٍ لِوَجْـهِـكَ افْـتَـقَـرْ

بـحَـقِّ ذِكْـرِ نُـورِكَ الـمُـحَـمَّـدِي بِـبَـرَكَـاتِ الـنَّـفَـسِ الـمُـحَـمَّـدِي

---

(١) في هذه القطعة المُختَسة، وبعد حُسن استهلاله في شطر المطلع: (باسمِكَ الأعلى إلَهَ الآلِهَة)، يقرن الشاعرُ اسمَ المُكَوِّن بضَّمائر: (هو)، (أنت)، و(أنا)، مُفرِغاً كلَّ ضمير من دلالته المُعتادة في الخطاب اليومي، تصعيداً لهُ إلى ما يليقُ بالمقام الرَّباني. فـ(هُو) تعني، في التَّصوُّف، الغَيب الذي لا يصحُّ شهوده للغير، كغيب الهُويّة المُعبَّر عنهُ كُنهاً باللّاتعيين، وهو أبْطنُ البواطن. ومخاطبته بـ(أنتَ) عَلَّلها الشاعر - في سِياق ترادُف الضَّمائر - بحتمية استخدامها في «اللهجة المُواجَهة»، وهي لهجة الدُّعاء الفردي الخالص بين المُريد وربِّه. أما استخدامُهُ لضمير الـ(أنا) فهو إعلاءٌ وتخصيص لـ «أنا» الخالِق، لم يلبث أن اقترنَ باشتراط «تعالي» ذات الخالق عن أيِّ «مُشابَهَة» قد تسمحُ بتأويلٍ آخَر لم يلبث الشاعر أنْ سَدَّ سُبُلَهُ في الختام بقولٍ فَصْل: «مُبْتَدَأُ الأَسْمَاءِ والبَاقِي خَبَرْ».

(٢) أَوْأَلُ: أَلجَأ.

بِسِرِّ فَيضِ المَدَدِ المُحَمَّدِي بِنَفَحَاتِ رَوْحِكَ المُحَمَّدِي

يَا حَبَّذا مِنْ نَفَحَاتٍ وبِشَرْ

بِقُرُبَاتِ المُصْطَفى مُحَمَّدِ بِسُبُحَاتِهِ لدى التَّهَجُّدِ

بِمَا لَهُ فِي مَصْدَرٍ ومَوْرِدِ مِنْ رُتْبَةٍ ومَشْهَدٍ ومَدَدِ

بِنُورِ ما أَبْطَنَهُ وما ظَهَرْ

بِقَلْبِهِ بِرُوحِهِ بِنَفْسِهِ بِعِلْمِهِ بِسِرِّهِ بِقُدْسِهِ

بِسَبْقِهِ لِيَومِهِ وأَمْسِهِ بِنَجْمِهِ بِبَدْرِهِ بِشَمْسِهِ

بِأَصْلِهِ المَقْبُوضِ مِنْ قَبلِ الفِطَرْ

بالمَعْنَوِيَّاتِ التي بِهَا انْطَوَى وبالخُصُوصَاتِ التي لَهَا احْتَوَى

بِعَرْشِ زُلْفَاهُ الذي فِيهِ اسْتَوَى يَا فَالِقَ الحَبِّ وفَالِقَ النَّوَى

صَلِّ عَلَيهِ عَدَداً لا يَنْحَصِرْ

بِجَاهِهِ بِقُرْبِهِ بِقَدْرِهِ بِأَمْرِهِ بِفَتْحِهِ بِنَصْرِهِ

بِجَدِّهِ بِعَزْمِهِ بِصَبْرِهِ بِحَوْلِهِ بِغَلْبِهِ بِقَهْرِهِ

قَامَ بِجِدٍّ واجْتِهَادٍ وقَهَرْ

بِحِرْصِهِ على جَمِيعِ الأُمَّه بِكَشْفِهِ لِمُغْضِلاتِ الغُمَّه

كَمْ أَزْمَةٍ فَرَّجَ بَعدَ الأَزْمَه ما خَابَ مَنْ لاذَ بِهِ وَأَمَّه

الفَوْزُ جَذْوَى وَافِدِيهِ والظَّفَرْ

بِشَرْعِهِ المُقدَّسِ النُّورُ المُبِينْ بِما تَلَقَّاهُ عَنِ الرُّوحِ الأَمِينْ

ومَنْ تَجَلَّى رَحْمَةً لِلعَالَمِينْ فَعَمَّ بالرَّحْمَةِ في دُنيا ودِينْ

في كُلِّ مَوجُودٍ لِرُحْمَاهُ أَثَرْ

بِما اخْتَصَصْتَهُ بِهِ مِنَ الهِبَه ومِن لَدُنِّيَّاتِكَ المُغَيَّبَه

ومِن كَمَالٍ لا يُوَازِيهِ شَبَه ومِن مَقَامَاتٍ لَهُ ومَرْتَبَه

بِمَا بِهِ مِنَ المَعَارِفِ انْتَشَرْ

بِهَذْيِهِ بِسَمْتِهِ بِهَيْبَتِهْ بِفَضْلِهِ بِوَصْلِهِ بِرَأْفَتِهْ

بِمُعْجِزَاتِهِ بِغَلْبِ حُجَّتِهْ بِحُبِّهِ وحِفْظِهِ لأُمَّتِهْ
مَا سَامَهَا الضَّيمَ العِدَى إلّا انْتَصَرْ

بِنَسْلِهِ بِآلِهِ المُطَهَّرِينْ بِصَحْبِهِ بِالخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينْ
بِأهلِ بَدْرٍ سَادَةِ المُجَاهِدِينْ بِأهلِ أُحْدِ المُتَّقِينَ الصَّالِحِينْ
بِالشُّهَدَاءِ الصَّابِرِينَ فِي الغُمَرْ[1]

بِحَمْزَةَ الشَّهِيدِ عَمِّ المُصْطَفى بِعَمِّهِ العَبَّاسِ مَعْدِنِ الوَفا
بِجَعْفَرِ الطَّيَّارِ نُورِ الشُّرَفا بِابْنِ عَبَّاس إمامِ مَنْ صَفا
الحَبْرِ فِي العِلْمِ وتَأْوِيلِ السُّوَرْ

بِبَيعَةِ العَقَبَةِ المُوَزَّرَه بِبَيعَةِ الرِّضْوَانِ تَحْتَ الشَّجَرَه
ومَنْ وَفَى بِعَهْدِهِ ووَقَّرَه فَفَازَ مِنكَ بِالرِّضَا والمَغْفِرَه
مِنْ كُلِّ مَنْ هَاجَرَ مِنْهُم أو نَصَرْ

بِعَبْدِكَ الصِّدِّيقِ ذِي المَعِيَّةِ صَاحِبِهِ فِي الغَارِ يَومَ الهِجْرَةِ
بِعُمَرَ الفَارُوقِ عَدْلِ السِّيرَةِ مَنْ كَادَ أنْ يَفوزَ بِالنُبُوَّةِ
وأيْنَ فِي أُمَّتِهِ مِثْلُ عُمَرْ

بِكُلِّ مَنْ بَشَّرَهُ بِالجَنَّه بِكُلِّ مَنْ تَابَعَهُ فِي السُّنَّه
بِكُلِّ مَنْ لَمْ يَنْغَمِسْ فِي الفِتْنَه ولَم يُغَيِّرْهُ طُرُوقُ المِحْنَه
حَتى قَضَى الحَيَاةَ طَيِّبَ الأثَرْ

والتَّابِعِينَ لَهُمُ بِإحْسَانْ وكُلِّ مَنْ نَوَّرْتَهُ بِالإيْمَانْ
وكُلِّ مَنْ أخْلَصْتَهُ بِالعِرْفانْ وكُلِّ مَنْ أدَّبْتَهُ بِالقُرْآنْ
فَلم يُجَاوِزْ مَا نَهَى ومَا أمَرْ

---

(١) الغُمَر: جمع غَمْرَة، وهي الشدة ـ يُقال: وفي غمْرَة المعركة...

بالأئمَّةِ الخَيْرِ الشَّهِيدَةِ الوَسَطْ بما لها عِندَكَ مِنْ خَيرِ الخُطَطْ

بكَوْنِها لِكُلِّ رَحْمَةٍ فَرَطْ كُلُّ مُكَلَّفٍ لِفَضْلِها غَبِطْ

مِنْ مَلِكٍ وجِنَّةٍ ومِنْ بَشَرْ

بالسَّادةِ الأبْدَالِ بالأقْطَابِ بالسَّادةِ الأفْرَادِ بالأحْبَابِ[1]

---

(١) البَدَل: في اللغة: هو قيام الشيء مقام الشيء الذاهب. يُقال هذا بدل الشيء وبديله. في القرآن: ورد الأصل «بَدَل» بالمعنى اللغوي السابق، وذلك بصيغة الفعل، بدلنا، بدلو، يبدلوا. جاءَ في الذكر الحكيم: «فأولئكَ يُبدِّلُ اللهُ سيِّئاتِهِم حَسَنات» [٢٥/ ٧٠]. عند ابن عربي: إن الولاية «دولة» قائمة باطنة في مقابل دولة الظاهر، وهذه الدولة يترأسُها القُطب أو الغوث، يليه الإمامان ثم الأوتاد الأربعة، فالأبدال السَّبعة. إنَّ البَدَليَّة تطلق بالاشتراك على حال معيَّنة، وعلى مقام مُعيَّن: حال البَدَليَّة: تبدّل الصفات المحمودة بالصفات المذمومة. مقام البَدَليَّة: مقام ذو مواصفات معينة تنطبق على عدد محدود من «الرجال»: أربعون عند بعض، وسبعة عند آخرين. يقول ابن عربي: «الأبدال: وهم سبعة. لا يزيدون ولا ينقصون يحفظ اللهُ بهم الأقاليم السَّبعة، لكلِّ بَدَلٍ إقليم فيه ولايته. الواحدُ منهم على قدم الخليل عليه السلام، والثاني على قدم الكليم عليه السلام، والثالث على قدم هارون، والرابع على قدم إدريس، والخامس على قدم يوسف، والسادس على قدم يس، والسابع على قدم آدم عليه السلام.. وسُمُّوا هؤلاء أبدالًا، لكونهم إذا فارقوا موضعاً ويريدون أن يخلفوا بدلًا منهم في ذلك الموضع، لأمرٍ يرونهُ مصلحةً وقرْبَة؛ يتركون به شخصاً على صورته، لا يشك أحد ممن أدرك رؤية ذلك الشخص أنه عين ذلك الرجل، وليس هو، بل هو شخص روحاني يتركه بَدَله بالقصد على علم منه، فكل من له هذه القوَّة فهُو البَدَل» [ف٢/ ٧] || (القُطْبُ والأقطاب راجع معناها الصُّوفي في شرح النُّونيَّة، حيث وردت مرتبة من مراتب الإمام سالم بن راشد الخروصي) || الأفراد: عند ابن عربي: الأفراد هم من «رجال المراتب» عند الشيخ الأكبر، فالسَّالِكُ يتقلبُ في المراتب: كالزهد والولاية.. فكل مرتبة من هذه المراتب، لا تخلو من رجال يحفظونها في كُلِّ زمان. وهم لا يتقيدون بعدد مخصوص في مُقابل رجال العدد. وتتوالى الأسماء عند ابن عربي على هذه الطائفة، فهم الأفراد: لأنه ليس لهُم حُكم العُموم.. وهم الأخفياء: لأنهم الذين لا يعرفهم الأبدال، ولا يشهدهم الأوتاد. وهم أفراد الوقت: لأنهم خارجون عن نظر القطب صاحب الوقت، فلا يحكمهم ولا يتصرف بهم، بل القطب منهم. وهم أعيان الأولياء: لأنهم الخاصَّة فيهم. وهم في جنس البشر كالملائكة المهيمين من جنس الملائكة. وهم الأبرياء: فلا يرى العالم عليهم من أثر التقريب شيئاً.

(١) الأفراد = رجال المراتب: «ومنهم رضي عنهم الأفراد، لا عدد يحصرهم، وهم المقربون بلسان الشرع.. وهم رجال خارجون عن دائرة القطب، والخُضر منهم، ونظيرهم من الملائكة الأرواح المهيمة في جلال الله، وهم الكروبيُّون». (٢) الأفراد = العائمة: «ولذلك سموا أفراداً، أي ليس لهم حكم العُموم. ولكن من هذا مقامه له قوة التستر [= الأخفياء] عن أعيُن الخلق، حتى لا يتسلط الخلقُ على فساد بُنيته». (٣) الأفراد = الأخفياء: «وهم الأفراد الذين لا يعرفهم الأبدال، ولا=

وبِـرِجَـالِ الـغَـيْـبِ بـالأَنْـجَـابِ بـالـنُّـقَـبَـاءِ الـطُّـهُـرِ الأَطْـيَـابِ[1]

بـالـسَّـادةِ الأَوْتـادِ بـالـغَـوْثِ الابَـرْ

بِـدَرَجَـاتِ الأَزْكِـيَـاءِ الـسَّـالِكِـيـنْ[2] وبـمَـقـامـاتِ نُـفـوسِ الـعَـارفـيـنْ

وبـقـلُـوبِ الأَوْلِـيـاءِ الـوَاصِـلِـيـنْ بـالـخُـلَـفـاءِ مِـنْـهُـمُ والـمُـرْشِـدِيـنْ

حَـقِـيـقَـةَ الـعَـيـنِ ابْـتَـغَـوا دُونَ الأَثَـرْ

=يشهدهم الأوتاد، ولا يحكم عليهم الغوث والقطب والإمام». (٤) الأفراد = أفراد الوقت: «فجلال الله في قلوب الأفراد على مثل ذلك، فلا يشهدون سوى الحق، وهم خارجون عن حكم القُطب، الذي هو الإمام، وهو واحد منهم». (٥) الأفراد مع القُطب = المهيمون مع العقل الأول: «واعلم أن العالم المُهيم لا يستفيد من العقل الأول شيئاً، وليس له على المهيمين سُلطان، بل هو وإياه في مرتبة واحدة. كالأفراد منا الخارجين عن حُكم القطب، وإن كان القطب واحداً من الأفراد، لكن خصص العقل بالإفادة، كما خصص القطب من بين الأفراد بالتَّولية». (٦) الأفراد = الأبرياء: «والنفسُ مجبولة على حب الشفوف على أبناء الجنس، وإظهار قدرها عند الله، ولهذا أكابر الأولياءِ أخفياء أبرياء لا ترى عليهم من أثر المكانة والتقريب، بل لا نفرق بينهم وبين العامة».

(١) رجال الغيب: يضع ابن عربي الرجل في مقابل المرأة، ولكنه تقابل صِفاتي مَرْتَبي، لا تَقابُل جنسي: فالرَّجُل؛ هو من حصَّل صفة «الرجولة» وتحقق بمقامها ومرتبتها [الظهور بصورة الحق: التصرف، الفعل، العدل...] ذكراً كان أم أنثى. فبعدما صنف ابن عربي الرجولة تصنيفاً مَرْتبياً، يرسم بدقة حدود دولة أهل الله، داخلاً في أدق التفاصيل بإبداع جغرافي كوني. واختصاراً رجال المراتب عددهم عند ابن عربي ١٤: ١ ـ الملامية = رجال المطلع. ٢ ـ الفقراء. ٣ ـ الصوفيّة. ٤ ـ العُبّاد. ٥ ـ الزهّاد. ٦ ـ رجال الماء. ٧ ـ الأفراد. ٨ ـ الأمناء. ٩ ـ القراء. ١٠ ـ الأحباب. ١١ ـ المحدثون. ١٢ ـ الأخِلّاء. ١٣ ـ السمراء. ١٤ ـ الوَرَثة. || النُّقباء: النقباء اثنا عشر في كل زمان، لا يزيدون ولا ينقصون، وهم من: رجال العدد، عند ابن عربي. يقول الشيخ الأكبر: «النقيب من استخرج كنز المعرفة بالله من نفسه لما سمع قوله عز وجلّ: سَنُرِيهِم آياتِنا في الآفاقِ وفي أنفسِهِم» [ف ـ ٤/٤١٦]

(٢) الأوتاد: وهم من رجال العدد (العدد = ٤)، ومن رجال العدد: الأبدال والنقباء السابق ذكرهم. [راجع: د. سعاد الحكيم، المُعجَم الصُّوفي، الحِكْمَة في حُدود الكَلِمَة]. تلميح: هذه المُصطلحات الصُّوفيّة، سواء في هذه الأبيات أو التي تليها، تُؤكِّدُ اطلاع أبي مُسلم الغزير على تراث الشيخ الأكبر ابن عربي، خلافاً لاعتقاد البعض بأنه كان مُجرَّد تابع مُقلِّد لما أملته مدرسة شيخه سعيد بن خلفان الخليلي ومن سبقه من العُمانيين في التصوّف، وهو ما لاحظناه خلال اشتغالنا على هذا الكِتاب منذ البداية، وكَوَّنا رُؤيةً حوله، إلّا أننا لم نتمكَّن من إثباتها، حتى وَصَلت إلينا نسخة من «المُعجم الصُّوفي» [قبل تمامنا العمل بفترة وجيزة]، هَدَتنا وأرشَدَتنا إلى ما كُنا نُحاولُ إثباته من ذهاب أبي مُسلم إلى أقصى باطنيَّةِ التصوُّف، خلافاً لما اعتُقِدَ بأنَّهُ يَمنَحُ مِنْ مدرسة سَلَفِهِ الخليلي.

بعُلَماءِ الدِّينِ أهْلِ العَمَلِ وبالأئِمَّةِ السُّراةِ الكُمَّلِ
بكُلِّ عَبْد لَكَ في الغَيْبِ وَلِي مِن أيِّ أمَّةٍ لأيِّ الرُّسُلِ
مِن سَابِقٍ أو لاحِقٍ على الأثَرْ

بالأنبياءِ بِجَمِيعِ رُسُلِكْ بالمَلإِ الأعْلَى مِنْ اصْنَافِ المَلِكْ
بحَامِلِي العَرْشِ بسَالِكِي الفَلَكْ بالعَرْشِ بالكُرْسِيِّ رَبِّي أسْأَلُكْ
سُؤالَ مُضْطَرٍّ إلَيكَ مُفْتَقِرْ

أدْعُوكَ يَا رَبِّي بما دَعَوتَ بِهْ وكُلِّ ما تُحِبُّ أنْ تُسْأَلَ بِهْ
وكُلِّ ما تُجِيبُ مَنْ دَعَاكَ بِهْ مُعتَقِداً لكُلِّ ما أمَرْتَ بِهْ
ذَخِيرَتِي أنتَ ونِعْمَ المُدَّخَرْ

مَلأتُ قلبي مِنكَ خَوفاً ورَجَا جَعلتُ حُسنَ الظَّنِّ فيكَ مَعْرَجَا
فاجْعَلْ لنا مِنْ كُلِّ أمْرٍ مَخْرَجَا وحَاجَتِي رَبِّي النَّجَا فِيمَن نَجَا
وأنتَ يَا رَبِّ عَلَيهَا مُقْتَدِرْ

أهَمُّ حَاجَاتي إليكَ المَغْفِرَه وإنْ أكُنْ ضَيَّعْتُ فَرْضَ المَعْذِرَه
صَحِيفتي بالسَّيِّئاتِ مُوْقَرَه ولَيسَ لي حَسَنَةٌ مُؤثِّرَه
أنتَظِرُ الرَّحْمَةَ فيمَنْ يَنْتَظِرْ

نَعَمْ بِتَوْحِيدي إلَيكَ أزْلُفُ وإنْ أكُنْ في قَيدِ ذَنْبِي أرْسُفُ
بتَوْبَتي في حَوْبَتي أُسَوِّفُ أُسْرِفُ في الذنبِ وأنتَ تَلْطُفُ
ما غَيرُ تَوْحِيدِكَ لِي قَطُّ وَزَرْ

غُفرَانَكَ اللهُمَّ أهْلَ المَغْفِرَه ليسَتْ ذُنُوبي عَنكَ بالمُستَتِرَه
عَلِمْتَ مِنِّي تَوْبَةً مُستَشْعَرَه فاجْعَلْ إلهِي تَوْبَتي مُكَفِّرَه
لكُلِّ ذنبٍ سَاقَهُ سُوءُ القَدَرْ

غُفرَانَكَ اللهُمَّ ذَنبي كَرَما وجَّهْتُهُ وَجْهِي حَنِيفاً مُسْلِما
قَدْ اعْتَرَفْتُ باكْتِسَابي المَأْثَما أُخْفِي وأُبْدِي أوْبَةً ونَدَما
ولي يَقِينٌ بِإلهِي مُستَمِرْ

أعْظَمْتُ في خِلافِكَ الجَرِيرَه وسَاءَتِ السِّيرَةُ والسَّرِيرَه
وانطَمَسَتْ مِنَ الهَوَى البَصِيرَه ما لِلهَوَى ونَفْسِيَ الأسِيرَه
سَطَا عَلَيهَا فتعَاطَى فَعَقَرْ

أبُوءُ بالخُطَّةِ مِن إسْرَافِيَهْ وأنتَ بالنِّعْمَةِ لِي والعَافِيَهْ
لا أَسْتَحِي مِنكَ عَلى خِلافِيَهْ وأنتَ لا تَخْفَى عَلَيكَ الخَافِيَهْ
مَعَاذَكَ اللهُمَّ مِنْ هذا الأَشَرْ

نَظْرَتُكَ اللهُمَّ رَبِّي نَظْرَتُكْ عَلِمْتَ دَحْضِي وعَلِمْتُ حُجَّتَكْ
لا وَجْهَ لي إلّا الْتِمَاسِي رَحْمَتَكْ بِرُوحِهَا أَنَالُ رَبِّي تَوْبَتَكْ
إنكَ لا تُبْلِسُ مِنهَا مَنْ أَقَرْ

لَزَّتْنِيَ الوَرْطَةُ مِنها فِي قَرَنْ[1] وحَجَبتْنِي عَنكَ وَيْلاتُ الفِتَنْ
أخْبِطُ في الغَيِّ عَلى غَيرِ سَنَنْ[2] وأنتَ تدْعُوني وتُدْنِي لِي المِنَنْ
وكُلُّ ما تَدْعُو لَهُ مِنهُ أَفِرْ

هذا اعْتِرَافِي واقْتِرَافي أَعْظَمُ قَدَّمْتُهُ وبِئْسَ ما أُقَدِّمُ
ومِنْ خَطِيئَاتِيَ ما لا أَعْلَمُ أحْصَاهُ في اللوْحِ عَلَيَّ القَلَمُ
ولَسْتُ أَدْرِي ما سَآتِي أو أَذَرْ

أعْرِضُ نَفسِي لِعَظِيمِ الحِلْمِ مُعْتَرِفاً بِخِسَّتِي وظُلْمِي
عَلى يَقِينٍ وثَبَاتِ عِلْمِ بِأَنَّ حِلْمَ اللهِ فَوقَ جُرْمِي
وأَنَّهُ بِصِدْقِ تَوْبِي مُغْتَفِرْ
حَاشَاكَ أنْ يَقْنُطَ مِنكَ المُسْرِفُ وَقَدْ أتاكَ تائِباً يَعْتَرِفُ

---

(١) قَرَن: قيد.

(٢) السَّنَن: الطريقةُ والمِثال. يُقال: بنوا بيوتَهم على سَنَنٍ واحد، ويُقال: تَنَحَّ عن سَنَنِ الخيل؛ أي طريقها.

مـا هُـوَ مِـقـدَارُ الـذي أَقْـتـرِفُ فـي جِـلْمِـكَ الـذي بِـهِ تَـتَّـصِـفُ
مِـنْ شَـأْنِـكَ الـحِـلْمُ ورَأْفَـةُ الـنَّـظَـرْ

مِـنْ شَـأْنِـكَ الـعَـفْـوُ عَـنِ الـجَـرَائِمِ مِـنْ شَـأْنِـكَ الـصَّـفـحُ عَـنِ الـمَـآثِـمِ
وَسِـعْـتَ كُـلَّ مُـحْـسِـنٍ وظَـالِمِ أَيْـنَ مَـفَـرُّ مُـوقَـرِ الـمَـظَـالِمِ
إلّا إلـيـكَ لِيَـحُـطَّ مـا وَقَـرْ

قـدَّمْـتُ نـفـسـي رَافِـعـاً كِـلْـتـا يَـدَيْ مُـسْـتَـسْـلِـمـاً لله لا أمْـلِكُ شَـيْ
فـإنْ تُـعَـذِّبْ فـلَكَ الـعَـدْلُ عَـلَيْ أو تَـعْـفُ عَـنِّي فـلَكَ الـفَـضْـلُ عَـلَيْ
مـالِي مِـنَ الأمْـرِ ولا مِـثْـقـالُ ذَرْ

اعْـتَـرَفَـتْ نَـفـسِـي بـعَـجْـزِ قَـدْرِهـا اعْـتَـرَفَـتْ نَـفـسِـي بـأَصْـلِ فَـقْـرِهـا
ولـي شُـئُـونٌ أَسْـتَـحِـي مِـنْ ذِكْـرِهـا لِمَـا جَـنَـتْـهُ مِـنْ عَـظِـيـمِ وِزْرِهـا
بَـلْ كَـرَمُ الـوَهَّـابِ مَـضْـمُـودِ الـفِـطَـرْ

أحَـطْـتَ عِـلْـمـاً بِـشُـؤونِـي كُـلِّـهـا والـعَـجْـزِ بـي عَـنْ عَـقْـدِهـا وحَـلِّـهـا
وحَـالَـتِـي وفَـقْـرِهـا وذُلِّـهـا وأنـتَ حَـسْـبِـي وكَـفَـى لِـنَـيْـلِـهـا
وأنـتَ مُـؤتِـي الـخَـيـرِ كَـاشِـفُ الـضَّـرَرْ

أدْعَـنِـي الـفَـقـرُ وأنـتَ الـشَّـاهِـدُ وأنـتَ ذو الـطَّـوْلِ الـغَـنِـيُّ الـوَاجِـدُ
بِـيَـدِكَ الـفَـضْـلُ ومِـنْـكَ الـوَارِدُ وكُـلُّ مَـوجُـودٍ سِـوَاكَ نَـافِـدُ
وكُـلُّ مَـوجُـودٍ يَـدَيْـكَ يَـسْـتَـدِرُّ

فَـتَـحْـتَ أَبْـوابَـكَ بـالـمَـوَاهِـبِ مَـنـاً عَـلَى الـخَـلْقِ بِـغَـيـرِ وَاجِـبِ
فـكُـلُّهُـم فـي بَـسْـطَـةِ الـرَّغَـائِبِ كِـفـايَـةٌ وحِـسْـبَـةٌ مِـنْ وَاهِـبِ
لا يَـهَـبُ الـوَهْـبَ بِـشَـرْطٍ أو وَطَـرْ

خَـزَنْـتَ بَـحْـرَ الـرِّزقِ فـي الأَسْـبـابِ وَقَـدْ عَـلِـمْـتَ حِـكْـمَـةَ الاكْـتِـسَـابِ
والـرِّزْقُ تَـحْـتَ قِـسْـمَـةِ الـوَهَّـابِ أخـرَجَ كُـلَّ مَـدَدٍ مِـن بَـابِ
وفَـتَـحَ الـبَـابَ وأَعْـطَـى وشَـكَـرْ

أقـمْـتَـنِـي فـي سَـبَـبٍ مُـعـوِّقِ أسْـتَـنْـطِـقُ الـرِّزْقَ مِـنَ الـمُـرْتَـزِقِ

مـا تَـحْـتَ وُسْـعِ اللهِ مِـنْ مُـضَـيِّـقِ ما ضَاقَ بي فَـضْـلُ غِـنـاكَ الـمُـطْـلَـقِ
رأفَـتُـكَ الـلـهُـمَّ أَحْـفَـى وأَبَـرُّ

مـا نَـفِـدَتْ خَـزَائِنُ الـكَـريـمِ والـفَـيْـضُ مِـنْ إحْـسَـانِـهِ الـقَـدِيـمِ
مـا قَـلَّ وُجْـدُ الـمَـلِكِ الـقَـيُّـومِ يَـا مُـخْـرِجَ الـمَـوجُـودِ مِـنْ مَـعْـدُومِ
أَخْـرِجْـنِـيَ الـلـهُـمَّ مِـنْ ضِـيـقِ الـعُـسْـرْ

جَـمِـيـعُ الاسْـبَـابِ تَـقَـطَّـعَـتْ بِـي والـسَّـبَـبُ الـمَـوصُـولُ فَـضْـلُ رَبِّـي
حُـسْـنُ افْـتِـقَـاري طَـيِّـبَـاتُ كَـسْـبِـي والـعَـمَـدُ الـفَـتَّـاحُ حَـسْـبِـي حَـسْـبِـي
كَـم نِـعْـمَـةٍ أَسْـدَى وكَـم عَـيْـبٍ سَـتَـرْ

ذَرِيـعَـتِـي جُـودُكَ وافْـتِـقَـاري وتَـرْكُ تَـدْبِـيـرِيَ واخْـتِـيَـاري
وخَـالِصُ الـتَـفْـوِيـضِ فِـي الأَطْـوَارِ وعِـلْـمُـكَ الـمُـحِـيـطُ بـاضْـطِـرَاري
وأَنَّـنِـي عَـبْـد بِـعَـجْـزِي مُـؤْتَـسِـرْ

حَـاشَـاكَ عَـنْ طَـرْدِي وقَـطْـعِ الأَمَـلِ لِمَـا عَـلِـمْـتَ مِـنْ قَـبِـيـحِ الـعَـمَـلِ
أنْـتَ وَلِـيُّ الـحَـمْـدِ والـتَّـفَـضُّـلِ جُـوداً إلـهِـيـاً ولُـطْـفَ مُـجْـمِـلِ
ونِـعْـمَـةً لِكُـلِّ فَـاجِـرٍ وبَـرّْ

حَـاشَـاكَ عَـنْ طَـرْدِي وإنْ سَـاءَ الأَدَبْ لأَيِّ بَـابٍ أم إلـى أيـنَ الـهَـرَبْ
مِـنـكَ إلـيـكَ والـتَّـدَابِـيـرُ نَـصَـبْ تُـدبِّـرُ الأمـرَ وتُـنْـشِـىءُ الـسَّـبَـبْ
وتـقـسِـمُ الـرِّزْقَ بـمِـيـزانِ الـخِـيَـرْ

لـو جَـدَّ جِـدُّ الـهِـمَـمِ الـمُـدَبِّـرَه رُدَّتْ إلـى قِـسْـمَـتِـكَ الـمُـقـدَّرَه
كُـلُّ قُـوَى تَـدْبِـيـرِنـا مُـنْـحَـصِـرَه فـي قَـبْـضَـةِ الـرَّبِ عَـلَـى مـا قَـدَّرَه
هَـبَـاءَةٌ[1] الـخَـلْـقِ بِـعَـاصِـفِ الـقَـدَرْ

---

(١) هَبَاءة: القطعة من الهَباء، وهو التراب الذي تطيّره الريح ويلزق بالأشياء.

مـا قَـدرُ شَـكْـوَايَ ومـا تَـعَـلُّقِـي أيُّ مَـقـامٍ لِيَ فـي الـتَّـخَـلُّقِ
يَـبْـلُغُ مـا يَـبْـلُغُـهُ تَـحَـقُّـقِـي بـرَحْـمَـةِ اللهِ الـغَـنِـيِّ الـمُـطْـلَقِ
لـكـنْ إلـهِـي بـالـدُّعَـاءِ قَـدْ أَمَـرْ

إنِّـيَ عَـنْ حَـقِّ الـدُّعَـاءِ أَعْـجَـزُ أَطْـنُـبُ[1] فـي تَـمَـلُّقِـي أو أُوْجِـزُ
لـكِـنَّـهـا خَـصَـاصَـةٌ تُـنْـجِـزُ تَـعْـلَمُـهـا مِـنِّـي وأَنْـتَ الـمُـنْـجِـزُ
قَـدْ مَـسَّـنِـي الـضُّـرُّ وأَنـتَ الـمُـنْـتَـظَـرْ

قَـدْ مَـسَّـنِـي الـضُّـرُّ وأَنـتَ أَرْحَـمُ وأَنـتَ بـالـضُّـرِّ إلـهِـي أَعْـلَمُ
تُـهِـيـنُ مَـن تُـهِـيـنُـهُ وتُـكْـرِمُ مَـنْ يَـقـصِـدُ الـعَـبْـد ومَـنْ يَـسْـتَـرْحِـمُ
إنْ قَـرَعَ الـبـابَ فـأَحْـرِمَ الـتَّـنَـظُّـرْ

مـا لَكَ كُـفْـؤٌ وبِـكَ الـكِـفَـايَـه وَقَـدْ رَأيـتَ مَـوْضِـعَ الـشِّـكَـايَـه
فـانْـظُـرْ إلَيَّ نَـظْـرَ الـعِـنَـايَـه مِـنْ بَـدْءِ أَحْـوَالِي إلـى الـنِّـهَـايَـه
ولَسْـتَ تَـحْـتـاجُ لَهَـا إلـى خَـبَـرْ

إنْ تَـنْـظِـرِ الـلهُـمَّ تَـنْـظُـرْ مُـسْـلِـمـا أو تُـغْـطِـنِـي تُـغْـطِ فَـقِـيـراً مُـعْـدَمـا
لـم يُـلْـفِ فـي الـكَـوْنِ سِـوَاكَ مُـكْـرِمـا ولا مِـنَ الـخَـيـرِ لَـديـهِ مَـقـسِـمـا
بـلْ أنـتَ أنـتَ اللهُ والـكَـوْنُ أَنَـرْ

قَـدْ رَدَّنِـي الـكَـونُ إلـى الـمُـكَـوِّنِ لـم أَرَ شَـيـئـاً إذْ فَـتـحْـتُ أَعْـيُـنِـي
ومِـثْـلُ مـا لَـم أَرَهُ لَـم يَـرَنِـي وإنَّـمَـا أَشْـهَـدُ مـا أَشْـهَـدْتَـنِـي
شَـهِـدْتُ أنَّ الـحَـقَّ يَـأتِـي ويَـذَرْ

شَـهِـدتُ أَطـواريَ فِـي كَـفِّ الـصَّـفَـه شَـهِـدتُ قَـيـومِـيَّـةً مُـصَـرِّفَـه
شَـهِـدتُ كُـلَّ الـحَـادِثـاتِ مُـوقَـفَـه شَـاهِـدَةً بِـعَـجْـزِهـا مُـعْـتَـرِفَـه
تـأثـيـرُهـا لِـنَـفْـسِـهـا لا يُـعْـتَـبَـرْ

---

(١) أطْنُبُ: أبالغُ وأكثِر. يُقال: أطْنَبَ في الكلام أو الوصف.

شَـهِـدتُ مَـعْـبُـودِيَ بِـي حَـفِـيًّـا أَوْجَـدَ نَـفْـسِـي بَـشْـراً سَـوِيًّـا
وأَسْـبَـغَ الـنِّـعْـمَـةَ لِي مَـلِيًّـا كَـم مَـلأَتْ يَـدَاهُ لِي يَـدَيَّـا
مـا شَـأْنُ فَـقْـرِي واضْـطِـرَارِي لـلفِـطَـرْ

انْـثِـلْـنِـيَ الـلهُـمَّ مِـن هـذا الـدَّرَكْ أَنْـقِـذْنِـيَ الـلهُـمَّ مِـن هـذا الـشَّـرَكْ
مـا فَـعَـلَ الـفَـقـرُ تَـرَى ومَـا تَـرَكْ ولَسْـتُ أَشْـكُـو يَـا إلـهِـي قـدَرَكْ
رَضِـيـتُ مَـولايَ الـقَـضَـاءَ والـقَـدَرْ

مـا جِـيـلَةُ الـبَـائِسِ إلّا الـمَـسْـأَلَه وأَنْ تَـرَاهُ صَـادِقـاً تَـبَـتُّـلَه
بِـوَقْـفَـةٍ يُـصْـلِحُ فـيـهَـا عَـمَـلَه لِـوَجْـهِـكَ الـكَـرِيـمِ يُـلْقِي أَمَـلَه
وذاكَ بـالـتَّـوفِـيـقِ لـلعَـبْـدِ وَزَرْ

مَولايَ قَـدْ عَـلِمْـتَ صِـدْقَ الـمُـدَّعَى وحِـيـلَتِـي مَـولايَ لَهْـجَـةُ الـدُّعَـا
دَعَـوْتَـنِـي وأَنـتَ خَـيـرُ مَـن دَعَـا فَـلا تَـدَعْـنِـي سَـيِّـدي مُـوَدَّعَـا
دَعَـوتَ لـلخَـيـرِ وكَـمْ وَقَـيـتَ شَـرّْ

إنْ كَـانـتِ الـلهْـجَـةُ مِـنِّـي كَـاذِبَـه وسَـيِّـئـاتِـي لِمُـرَادي حَـاجِـبَـه
فَـهَـذِهِ الـبَـأْسَـاءُ رَبِّـي لازِبَـه فَـالـطُّـفْ وألْـطَـافُـكَ رَبِّـي جَـاذِبَـه
تَـجْـذِبُ مِـنْ سُـوءٍ وتُـدْرِكُ الـضَّـرَرْ

بَـأْسَاءُ لا يَـقْـوَى لَهَـا تَـجَـلُّدِي وأَنـتَ مِـن وَرَائِهَـا بِـمَـرْصَـدِ
يَـا فَـاتِـحَ الـوَهْـبِ وبَـاسِـطَ الـيَـدِ يَـا قَـاسِـمَ الـرِّزقِ مُـفِـيـضَ الـمَـدَدِ
أَنـتَ لَهَـا فَـجَـلِّهَـا لَمْـحَ الـبَـصَـرْ

أَنـتَ لَهَـا فَـجَـلِّهَـا بِـعَـارِفَـه لَـيـسَ لَهـا مِـنْ دُونِ رَبِّـي كَـاشِـفَـه
كَـم نَـكَـبَـاتٍ أَصْـبَـحَـتْ بِـي طَـائِفَـه أَرْسَـلَ فِـيـهـا سَـيِّـدي لَطَـائِفَـه
مـا أَسْـرَعَ الـلُّـطْـفَ إذا الـكَـرْبُ اعْـتَـكَـرْ

عُـقْـدَةُ سَـوءٍ أَدْهَـشَـتْ مَـحَـالِي عِـيـلَ بِـهَـا صَـبْـرِي وضَـاقَـتْ حَـالِي
فَـأَذَنْ لَـهـا يَـا رَبُّ بِـانْـحِـلالِ وَأْذَنْ لألْـطَـافِـكَ فِـي أَحْـوَالِي
دِيـنـاً ودُنـيَـا واكْـفِـنِـي سُـوءَ الـقَـدَرْ

مَـشْـعَـرُ إحْـسَـانِـكَ رَبِّـي مُـزْدَلَفْ وفـيـكَ لِي مِـنْ كُـلِّ فَـائِتٍ خَـلَفْ
قَدْ انْتَهَيْتُ عَنْ جَمِيعِ المُقْتَرَفْ «إنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ ما قَدْ سَلَفْ»
سُـبْـحَـانَـكَ الـلهُـمَّ وَعْـدَكَ الأَبَـرُّ

مَـكِّـنِـيَ الـلهُـمَّ فـي خَـيـرِ مَـقـامْ فـي الـدِّيـنِ والـدُّنيـا وبَـلِّغْنِي المُرَامْ
وَرُدَّ أَحْـزابَ أَعَـادِيـكَ الـطُّـغَـامْ بِغَيْظِهِم عَنَّا وَحِدْهُم[1] بانْتِقامْ
إنِّـيَ مَـغْـلُوبٌ إلـهِـي فـانْـتَـصِـرْ

لـيسُـوا بِـمُـعْـجِـزِيـنَ فـي الأرضِ ومَـا كَـانَ لَـهُـمْ مِـنْ دُونِ رَبِّـي أَوْلِيَـا
ضَـاعِـفْ لَـهُـمْ مِـنَ الـعَـذابِ والـشَّـقـا مُـعَـجِّـلًا مـا عَـجِـزَتْ عَـنـهُ الـقُـوَى
حـتـى يَـكُـونُـوا كَـهَـشِـيـمِ الـمُـحْـتَـظِـرْ

إلـيـكَ وَجْـهِـي يَـا عَـظِـيـمَ الـمَـنِّ لا أَعْـلَـمُ الـقَـاطِـعَ إلّا مِـنِّـي
خَـلْـقُـكَ عَـنْ خَـلقِـكَ لَيْسَ يُـغْـنِـي لا يَـمْـلِكُـونَ كَـشْـفَ ضُـرٍّ عَـنِّـي
ولا يُـجِـيـرُونَ عَـلـيـكَ فـي أَثَـرْ

لا أَحْـذَرُ الـسُّـوءَ بِـأَيِّ مَـوْطِـنِ وَقَـدْ تَـقَـلَّدْتُ سِـلاحَ الـمُـؤْمِـنِ
يَـا حَـامِـيَ الـجَـارِ حَـمَـاكَ مَـأْمَـنِـي مَـنْ تَـتَـوَلَّى نَـصْـرَهُ لَـم يُـوْهَـنِ
لِبَـاسُـهُ الـعِـزُّ وشَـأْنُـهُ الـظَّـفَـرْ

فَـوَّضْـتُ أمـري كُـلَّهُ إلَيْـكَـا مُـعْـتَـمِـداً فـي وُجْـهَـتِـي عَـلَيْـكَـا
أَسْـتَـنْـجِـحُ الآمَـالَ مِـنْ لَدَيْـكَـا وأَسْـتَـمِـدُّ الـخَـيْـرَ مِـنْ يَـدَيْـكَـا
إنَّـكَ لا يَـشْـقَـى عَـلَـيـكَ الـمُـدَّكِـرْ

بَـارِكْ بِـيُـمْـنَـاكَ عَـلى حَـيَـاتِـي وخُـذْ إلَيـكَ خَـالِصَ الْتِـفَـاتِـي
لا تُـلقِـيَـنِّـي بَـيـنَ مُـهْـلِكَـاتِـي مـا الـنَّـصْـرُ إلّا مِـنْ لَدِيـكَ آتِ
نَـصْـرُكَ أَهْـلَ الـبـيِّـنـاتِ والـزُّبُـرْ

---

(١) حِدْهُم: أَمِلْهُم.

وَهَبْتَنِي الذِّكْرَ كَمَا أَجْرَيْتَهُ هَبْ لِي بِهِ نَجَاةَ مَنْ أَنْجَيْتَهُ
وَوَقِّنِي النَارَ كَمَنْ وَقَّيْتَهُ «مَنْ تُدْخِلِ النارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ»
وما لِظالِمٍ عَلَيكَ مُنْتَصِرْ

سَمِعْتُ مَنْ نَادَى لإِيمَانٍ وَقَدْ آمَنْتُ لا أَعْدِلُ بِاللهِ أَحَدْ
بِحَقِّ الايمَانِ بِغُفْرَانِكَ جُدْ مَعَاذَكَ اللهُمَّ مِنْ خِزْيِ الأَبَدْ
تَوَفَّنِي بَرّاً وأَنْتَ خَيرُ بَرْ

وآتِنا وَعْداً على رُسُلِكَ تَمْ لا تُخْزِنا يوم القِيامِ في الأُمَمْ
لا تُخْلِفِ المِيعَادَ ما قُلْتَ انْحَتِمْ ولا تُضَيِّعْ عَمَلًا فِيكَ وَلَمْ
تَحْرِمْ إجَابَةَ الدُّعَا مَنِ افْتَقَرْ

وهَذِهِ إنَابَةُ افْتِقَاري جَامِعَةٌ لِمُنْتَهَى أَوْطَاري
وجُلُّ قَصْدِي يَا عَزِيزَ الجَارِ رِضَاكَ والجَنَّةَ خَيرَ دَارِ
دُونَ رِضَاكَ كُلُّ شيءٍ مُحْتَقَرْ

إنْ وَقَعَ الدَّيْنُ وحَالِي مُبْلِسُ وطُولِبَ الدَّيْنَ البَئِيسُ المُفْلِسُ
لِسَانُ حُجَّتِي هُنَاكَ أَخْرَسُ نَعَمْ مِنَ الرَّحْمَةِ لَستُ أَيْأَسُ
مالِي سِوَى رَحْمَةِ مَولايَ مَفَرْ

إن فَاتَنِي حَظِّيَ مِنْ حُسْنِ العَمَلْ ما فاتني حَظِّيَ مِنْ حُسْنِ الأَمَلْ
والعَمَلُ الصَّالِحُ كَيفَما كَمُلْ كَمَالُهُ بِفَضْلِهِ عَزَّ وَجَلْ
بِهِ لَهُ ذِكْرُ وَشُكْرُ مَنْ شَكَرْ

ما هو فَضْلُ العَبْدِ في أَعْمَالِهِ إلّا إذا نَظَرْتَ في كَمَالِهِ
بِكَ البَلاغُ الصِّرْفُ في آمَالِهِ ماذا عَسَاهُ بَالِغاً بِحَالِهِ
مَنْ أَصْلُهُ عَجْزٌ وجَهْلٌ وخَوَرْ

يَا رَبِّ لا تَتْرُكْ صَلاحاً يُبْتَغَى إلّا إلَيهِ كُنْتَ لِي مُبَلِّغَا
واجْعَلْ مَعَاشِي خَالِصاً مُفرَّغَا للهِ في طَاعَتِهِ مُسْتَفْرِغَا
في اللهِ ما آتي وفِيهِ ما أَذَرْ

يَا رَبِّ خُذْ بِي فِي رِضَاكَ مَأْخَذَا يَا رَبِّ واعْصِمْنِيَ مِنْ كُلِّ أَذى
لا يَجِدُ الشيطانُ عِنْدِي مَنْفَذَا لستُ أَرَى إِلَهِي مُنْقِذَا
ولا إلى غَيرِ إلهِي لِي وَطَرْ
يَا رَبِّ وازْفُنِيَ حُسْنَ الخَاتِمَه يَا رَبِّ أَسْعِدْنا بِحُسْنِ الخَاتِمَه
تَوَفَّنِي رَبِّ بِحُسْنِ الخَاتِمَه يَا رَبِّ وَفِّقْنا لِحُسْنِ الخَاتِمَه
لِي ولأهْلِي وجَمِيعِ مَنْ حَضَرْ
وصَلِّ يَا رَبِّ وسَلِّمْ أَبَدَا فَوْقَ الرِّضَاءِ لَيسَ يُحْصَى عَدَدَا
خُصَّ بِهِ رَسُولَنا مُحَمَّدَا والآلَ والصَّحْبَ ومَنْ بِهِ اهْتَدَى
وَهَبْ لَنا بِجَاهِهِ مِنْكَ النَّظَر

الكَلِمُ الطيّب

غُـفـرَانُـكَ الـلهُـمَّ يَـا رَبَّـاهُ ... يَـا سَـامِـعـاً دُعَـاءَ مَـنْ دَعَـاهُ
عَـبْـدُكَ قَـدْ بَـاءَ بِـمـا جَـنَـاهُ ... فـاغْـفِـرْ لَهُ مـا كَـسَـبَـتْ يَـدَاهُ
بِـحَـقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

عَبْدُكَ لِلذنبِ العَظيمِ مُقترِفْ ... عَبْدُكَ لِلْوِزْرِ الثقيلِ مُحترِفْ
عَبْدُكَ عَبْدُ السُّوءِ رَبِّي مُعترفْ ... حَقِّقْ لَهُ التَّوبَةَ عَنْ هَوَاهُ
بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

عَبْدُكَ يَا اللهُ عَبْدٌ آبِقُ ... إلى الخَطَايا عَجِلٌ مُسَابِقُ
لِلصَّالِحَاتِ كُلِّهَا مُفَارِقُ ... فَخُذْ بِيُمْنَاهُ إلى هُدَاهُ
بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

أَتَيتُ في خِلافِكَ العَظائِما ... لا أرْعَوِي عَنْ كَسْبِيَ الجَرَائِما
فالآنَ قَدْ قَرَعْتُ سِنِّي نَادِما ... أطْلُبُ رِضْوَانَكَ لا سِوَاهُ
بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

ما غَرَّني بِرَبِّيَ الكَرِيمِ ... ما سَاقَني لِلمَأثَمِ العَظِيمِ
غَيرُ الهَوَى وَجَهْلِي الوَخِيمِ ... فاعْصِمْنِيَ اللهُمَّ مِنْ بَلْوَاهُ
بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

آتِي الخَطَايا كُلَّها تَعَمُّدَا ... أسْعَى إليها نَشِطاً مُجْتَهِدَا
وأنتَ بالمِرْصَادِ تُحْصِي العَدَدَا ... أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِمَا أحْصَاهُ
بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

صَرَفْتُ عُمْرِي فِي هَوًى مُتَّبَعِ ... والحَقُّ يَدْعُونِي وأُذْنِي لا تَعِي
هَدَيْتَنِي النَّجْدَيْنِ والغَيُّ مَعِي ... فاغْتَفِرِ اللهُمَّ ما تَرَاهُ
بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

فِي الفِعْلِ والتَّرْكِ خِلافِي وَاقِعُ ... وصُحْفِي مِنْ طَاعَتِي بَلاقِعُ
والوَيْلُ لِي مِنْ كُلِّ ما أُوَاقِعُ ... إلّا إذا لُطْفُكَ بِي كَفَاهُ
بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

نَفْسِي بِما يُوبِقُها مُرْتَهَنَه ... أَجْتَرِحُ الحَوْبَ وعَقْلِي فِي سِنَه
كَأَنَّمَا الحَوْبَةُ عِنْدِي حَسَنَه ... غَوْثاهُ مِنها حَوْبَةً غَوْثاهُ
بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

لا أَنْتَهِي لِزاجِرٍ عَنْ مَهْلَكَه ... وعَادِيَاتُ المَوتِ خَلْفِي مُدْرِكَه
أَلهُو ونَفْسِي فِي غِمَارِ المَعْرَكَه ... يَا رَبِّ أَوْزِعْنِي لِمَا تَرْضَاهُ
بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

سُوءُ اخْتِيارِي زَاغَ بِي عَنْ أَمْرِكَا ... وقُوَّتِي فِي بَطَرِي بِبِرِّكَا
يَا خَجْلَتِي تَحْتَ جَلالِ قَدْرِكَا ... زَكِّ اخْتِيارِي بِالذِي تَرْضَاهُ
بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

أَرَى ومَنْ يَحْلُلْ عَلَيهِ غَضَبِي ... فَقَدْ هَوَى فِي مُوبِقاتِ العَطَبِ
ولا أَرَى عَنِ الشَّقا مُنَقَلَبِي ... إلّا إذا رَحِمْتَنِي وَيْلاهُ
بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

مَنْ لِي بِأَنْ أَخْلُصَ مِنْ أَسْرِ الهَوَى ... وَأَزْعَوِي يَا رَبِّ فِيمَنِ ازْعَوَى
فَتُبْ عَلَى مَنْ تَابَ بَعدَ ما غَوَى ... شَيْطَانُهُ وَجَهْلُهُ أَغْوَاهُ
بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

يَا ضَلَّةً تَاهَ بِهَا فُؤادِي ... بِغَيرِ رُشْدٍ وبِغَيرِ زَادِ
لم أَنْتَبِهْ لِزَجْرَةِ الإِبْعَادِ ... انْظُرْ إِلى عَبْدٍ رَجَا مَوْلاهُ
بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

لا تَثْبُتُ النَّفْسُ عَلَى الإِنَابَه ... لِكُلِّ ما تَكْرَهُهُ كَسَّابَه
وأنتَ تَدْعُوها ولا إجَابَه ... اللهُ لا يُنقِذُنِي سِوَاهُ

بِحَقِّ لا إلَهَ إلّا اللهُ

شَقِيتُ لَولا أَمَلي في حِلْمِكَا ... وأَوْبَتي مِنْ حَوْبَتي بِعِلْمِكَا
حَقِّقْ مَتابي خَالِصاً بِفَضْلِكَا ... لا يَطْرُدُ الكَرِيمُ مَنْ رَجَاهُ

بِحَقِّ لا إلَهَ إلّا اللهُ

لَسْتُ بِمَتْرُوكٍ سُدَى وإنَّما ... على المَعَاصِي تَتَأَنَّى كَرَما
ما فَاتَنِي أَنكَ تُحْصِي المَآثِما ... وَقَدْ أَثِمْتُ فَاكْفِنِي إيَّاهُ

بِحَقِّ لا إلَهَ إلّا اللهُ

عَمِلتُ سُوءاً وظَلَمْتُ نَفسِي ... أُصْبِحُ في غِوَايَتي وأُمْسِي
أَوْحَشَنِي ذَنْبي وأَنتَ أُنْسِي ... والأُنْسُ لِلْمُذْنِبِ يَا رَبَّاهُ

بِحَقِّ لا إلَهَ إلّا اللهُ

إنْ يَنفعِ العَاصِيَ حُسْنَ تَوْبَتِهْ ... وَقَرْحَةٌ في قَلْبِهِ مِنْ حَوْبَتِهْ
وَالصِّدقُ في إخْلاصِهِ وَأَوْبَتِهْ ... فاقْبَلْ مَتابي الصِّدْقَ يَا اللهُ

بِحَقِّ لا إلَهَ إلّا اللهُ

بِسُوءِ ما اكْتَسَبْتُ هَلْ يُنْجِينِي ... لَكَ اعْتِرَافي مُخلِصاً لِدِينِي
وإنَّنِي مِنكَ عَلَى يَقِينِ ... بِأَنَّ مُنْتَابَكَ لا تُأْبَاهُ

بِحَقِّ لا إلَهَ إلّا اللهُ

بِبَابِ عِزِّ اللهِ أَوْقَفْتُ الأَمَلْ ... أَخْرَسَنِي الحَيَاءُ مِنْ سُوءِ العَمَلْ
وَلَيْتَهَا سَعَادَةٌ مِنَ الأَزَلْ ... تُسُوقُنِي لِعَمَلٍ تَرْضَاهُ

بِحَقِّ لا إلَهَ إلّا اللهُ

هذا مَقَامُ المُجْرِمِ المُسْتَبْصِرِ ... هذا مَقَامُ العَائِذِ المُسْتَغْفِرِ
بُؤساً لَهُ مِنْ أَشِرٍ مُسْتَهْتِرِ ... إنْ لَمْ يَفُزْ بِتَوْبَةٍ مَسْعَاهُ

بِحَقِّ لا إلَهَ إلّا اللهُ

أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِذَنْبِي مُطْلَقَا ... فِعْلًا وتَرْكاً نِيَّةً وَمَنْطِقَا
أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِذنبٍ سَبَقَا ... نَسِيتُهُ وَأَنتَ لا تَنْسَاهُ
بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

أَسْتَغْفِرُ اللهَ مِنَ التَّعَمُّدِ ... فِي أَيِّ مَصْدَرٍ وأَيِّ مَوْرِدِ
بِكَسْبِ جِسْمٍ أو بِقَصْدِ الخَلَدِ ... يَسْتَغْفِرُ العَامِدُ ما أَتَاهُ
بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِما أَخْطَأْتُ بِهْ ... مُنْتَبِهاً كُنتُ وغَيرَ مُنْتَبِهْ
أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِذَنبِ المُشْتَبِهْ ... فَعَلْتُهُ وأَنتَ لا تَرْضَاهُ
بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

أَسْتَغْفِرُ اللهَ مِنَ المُحَرَّمِ ... مِنْ مَلْبَسٍ وَمَشْرَبٍ وَمَطْعَمِ
وأَيِّ شَهْوَةٍ دَعَتْ لِلمَأْثَمِ ... عَبْدُكَ يَسْتَغْفِيكَ ما جَنَاهُ
بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِتَرْكِ ما أَمَرْ ... أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِفِعْلِ ما حَظَرْ
أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِكِبْرٍ وبَطَرْ ... فِي كُلِّ ما مِنْ فَضْلِهِ آتَاهُ
بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

أَسْتَغْفِرُ اللهَ لَهُ العُتْبَى عَلَيْ ... مِنْ سَيِّيءٍ جَرَى بِحُكْمِهِ عَلَيْ
والضَّعْفُ عَنْ إِتْمَامِ تَوْبَتِي لَدَيْ ... يُبْقِي عَلَى تَوْفِيقِهِ تَقْوَاهُ
بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِما قَدَّمْتُهُ ... وما تَرَكْتُهُ وما أَدَمْتُهُ
وما وَجَدْتُهُ وما أَعْدَمْتُهُ ... وكُلِّ ما تَقْدِيرُهُ أَجْرَاهُ
بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِما عُدتُ لَهُ ... بَعدَ مَتابي مِنهُ فَانْقَدْتُ لَهُ
وكُلِّ ما كُنتُ تَجَرَّدْتُ لَهُ ... لِوَجْهِهِ لأَجْلِ ما سَوَّاهُ
بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِكُفْرَانِ النِّعَمْ ... أَسْتَغْفِرُ اللهَ لأَسْبَابِ النِّقَمْ
وكُلِّ ما جَاءَ بِلا أَوْ بِنَعَمْ ... وكُلِّ ما يَطْرُدُ عَنْ حِمَاهُ
بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِسَوْءَاتِ الخَفَا ... والجَهْرِ والسَّوْءَةِ في غَيرِ الوَفَا
يَا وَاسِعَ الحَقِّ أَحَقُّ مَنْ عَفَى ... هَلْ تَرْحَمُ المُسِيءَ في عُقْبَاهُ
بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِكُلِّ مَعْصِيَه ... عن رَحْمَةِ اللهِ الكَرِيمِ مُقْصِيَه
وكُلِّ ما أُحْصِيهِ أو لَنْ أُحْصِيَه ... واللهُ في كِتَابِهِ أَحْصَاهُ
بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِتَرْكِ الذِّكْرِ ... أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِتَرْكِ الشُّكْرِ
أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِتَرْكِ الصَّبْرِ ... قَدْ طَالَمَا جَزِعْتُ في بَلْوَاهُ
بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِذنبِ الكَلِمَهْ ... أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِكُلِّ مَظْلَمَهْ
أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِكُلِّ مَأْثَمَهْ ... في حَقِّهِ أو حَقِّ مَنْ سَوَّاهُ
بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

أَسْتَغْفِرُ اللهَ مُضِلَّاتِ الفِتَنْ ... مِنْ ظَاهِرٍ مِنها وما كَانَ بَطَنْ
وكُلِّ إِثْمٍ بِيَقِينٍ أو بِظَنْ ... مَغْفِرَةً تُوجِبُهَا رُحْمَاهُ
بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

أَسْتَغْفِرُ اللهَ اكْتِسَبتُ الظُّلْما ... مَغْفِرَةً عَزْماً وَعَفْواً جَزْما
لا يَتْرُكَانِ مِنْ ذُنوبي إِثْما ... وأَنتَ مَنْ أَرْجُو وَمَن أَخْشَاهُ
بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

أَسْتَغْفِرُ اللهَ ولَستُ قَانِطا ... أَمْسَتْ هُمُومِي تُنْشِطُ المَنَاشِطا
عَصَيتُ رَبِّي قَابِضاً وبَاسِطا ... وَقُرْبَتِي وَقَدْ دَنَا لُقيَاهُ
بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

أَسْتَغْفِرُ اللهَ لآفَاتِ اللسانْ أَسْتَغْفِرُ اللهَ لآفَاتِ الجَنَانْ
أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِمَا جَرَّ اليَدَانْ وما جَنَى القَلْبُ وما نَوَاهُ
بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِذَنْبِ النَّظَرِ ولَستُ مِنْ ذُنُوبِ سَمْعِي بالبَرِي
واللمْسِ والذَّوْقِ وَشَمِّ المِنْخَرِ وكُلٌّ ذا مُسْتَطِرٍ أَلْقَاهُ
بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِذنبِ القَدَمَيْنْ أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِذنبِ الشَّهْوَتَيْنْ[1]
واللهِ لا أَرْجِعُ في خُفَّي حُنَيْنْ واللهُ لا يَرُدُّ مَنْ دَعَاهُ
بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

أَسْتَغْفِرُ اللهَ من المُكابَرَه أَسْتَغْفِرُ اللهَ من المُفاخَرَه
أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِنَسْيِ الآخِرَه يَا ظَفَرَ الكَيِّسِ في عُقْبَاهُ
بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِنفسٍ عَاتِيَه لِكُلِّ ما تَكْرَهُهُ مُؤاتِيَه
وتلكَ يَا رَبِّ خِلالُ ذَاتِيَه تَنْجُو إذا نَجَّيْتَهَا رَبَّاهُ
بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِعِلمٍ ما نَفَعْ أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِجَهْلٍ بي قَطَعْ
أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِمُذمُومِ الطَّمَعْ وَالشُّحِّ والبَذْلِ الذي تَأْبَاهُ
بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِعَينٍ جَامِدَه وَفِكْرَةٍ في الوَاجِباتِ خَامِدَه
وَنَهْضَةٍ في حَقِّ رَبِّي هَامِدَه ونَهْضَةِ العَبْدِ إلى مَوْلاهُ
بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

---

(١) الشَّهْوتان: البَطْنُ والفَرْج.

أَسْتَغْفِرُ اللهَ مِنَ التَّمَادِي ... فِي غَمْرَةِ اللهْوِ بِلا اسْتِعْدَادِ
تَرَكْتُ تَقْوَى اللهِ خَيرَ زَادِي ... عَسَاهُ أَنْ يُقِيلَنِي عَسَاهُ
بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

أَسْتَغْفِرُ اللهَ مِنَ الفَسَادِ ... أَسْتَغْفِرُ اللهَ مِنَ العِنَادِ
لَستُ مِن أَهْلِ الخَيرِ فِي عِدَادِ ... إِلّا إِذا وَفَّقَنِي الإِلَهُ
بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

أَسْتَغْفِرُ اللهَ مِنَ الإِرَادَةْ ... إِنْ خَالَفَتْ أَوَامِرَ العِبَادَةْ
أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِكُلِّ عَادَةْ ... أَلِفْتُهَا خِلافَ مَا تَرْضَاهُ
بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

أَسْتَغْفِرُ اللهَ مِنَ الإِقَامَةْ ... عَلَى مَقَامٍ غَيرِ الاسْتِقَامَةْ
مَا صَلَحَتْ لِلعَبْدِ مِنْ مَقَامَةْ[1] ... إِلّا بِإِصْلاحِ الَّذِي سَوَّاهُ
بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

أَسْتَغْفِرُ اللهَ مِنَ الإِقْدَامِ ... بِالعِلمِ وَالجَهْلِ عَلَى الحَرَامِ
أَسْتَغْفِرُ اللهَ مِنَ الأَوْهَامِ ... وَخَاطِرِ الشَّكِّ وَمَا ضَاهَاهُ
بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

أَسْتَغْفِرُ اللهَ مِنَ الآثَامِ ... عَوْذاً بِهِ مِنْ خَشْيَةِ الآثَامِ
إِنَّ العَزِيزَ حَافِظُ الذِّمَامِ ... مَنِ احْتَمَى بِرُكْنِهِ حَمَاهُ
بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

أَسْتَغْفِرُ اللهَ ذُنُوباً مُفْرِطَهْ ... مُخْلِقَةً مُوبِقَةً مُوَرِّطَهْ
أَسْتَغْفِرُ اللهَ الخَطَايَا المُسْخِطَهْ ... خُذْ بِيَدِي يَا بَاسِطاً يُمْنَاهُ
بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

---

(١) مَقامَة: مؤنث مَقام وهو المجلس ومكان الإقامة.

أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِقُبْحِ العَمَلِ ... أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِطُولِ الأَمَلِ
أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِكُلِّ الزَّلَلِ ... إِنْ وهَبَ العَفْوَ؛ فيَا بُشْرَاهُ
بِحَقٍّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ
أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِكُلِّ ما خَلَقْ ... وَشَاءَ أَنْ أُذْنِبَهُ عِلْماً سَبَقْ
والحَقُّ للهِ وَعَدْلُ اللهِ حَقْ ... فَنَجِّ مِنْ عَدْلِكَ مَنْ يَخْشَاهُ
بِحَقٍّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ
أَسْتَغْفِرُ اللهَ مِنَ الإِخْلالِ ... بِطَاعَةِ اللهِ بِكُلِّ حَالِ
وَمُنْكَرِ الأَقْوالِ وَالأَفْعَالِ ... أَفْلَحَ مَنْ غُفْرَانُهُ نَجَّاهُ
بِحَقٍّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ
أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِمَا أَعْتَدُّ بِهْ ... مِنْ طَاعَةٍ تَقْصُرُ عِنْدَ مَطْلَبِهْ
وَسَوْءَةٍ تَقْطَعُنِي عَنْ سَبَبِهْ ... واللهُ لا يَقْطَعُ مَنْ رَجَاهُ
بِحَقٍّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ
أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِذَنْبٍ اخْتَفَى ... وكُلِّ ما أَذْنَبْتُهُ مُنْكَشِفَا
وكُلِّ ما تَرَكْتُهُ تَخَلُّفَا ... وكَسَلّا عَمَّا أَحَبَّ اللهُ
بِحَقٍّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ
أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِذَنْبِ الارْتِيَابْ ... أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِتَسْوِيفِ المَتَابْ
أَسْتَغْفِرُ اللهَ مَتَابَ مَنْ أَنَابْ ... مَبْدَؤُهُ الفَقْرُ وَمُنْتَهَاهُ
بِحَقٍّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ
أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِتَوْبَةِ الرِّيَا ... وَتَوْبَةِ العُجْبِ وَقِلَّةِ الحَيَا
وَتَوْبَةٍ لَمْ تَنْبَعِثْ عَنِ اسْتِيَا ... وَتَوْبَةِ الغَافِلِ عَنْ أُخْرَاهُ
بِحَقٍّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ
أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِذَنْبِ الاغْتِرَارْ ... أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِسُوءِ الاخْتِيَارْ
يَا حَسْرَتَا مِنْ مَغْقِبٍ دَارَ البَوَارْ ... إِنْ خَسِرَ المُنِيبُ مُرْتَجَاهُ
بِحَقٍّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

أَسْتَغْفِرُ اللهَ مِنَ الشَّوَانِي ... فِي طَاعَةِ اللهِ بِحُبِّ الفَانِي
ولاتِّبَاعِي خُطْوَةَ الشَّيْطَانِ ... يَا رَبِّ جَنِّبْنِيَ مُبْتَغَاهُ

بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

أَسْتَغْفِرُ اللهَ مِنَ الإِضْرَارِ ... عَلَى الذي اكْتَسَبْتُ مِنْ أَوْزَارِ
وَالذَّنْبُ لِي لا لِيَدِ المِقْدَارِ ... تَحَوُّبُ العَبْدِ وَمُشْتَكَاهُ

بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

أَسْتَغْفِرُ اللهَ مِنَ الفِكْرِ الرَّدِي ... إِنْ تَابَعَتْهُ فَلَتَاتُ الخَلَدِ
وَنَزْعَةِ النَّفْسِ لِسُوءِ المَقْصَدِ ... يَنْتَابُهَا اللطْفُ بِمُقْتَضَاهُ

بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

أَسْتَغْفِرُ اللهَ تَهَوُّرَ الشُّنَعْ ... أَسْتَغْفِرُ اللهَ عَزَائِمَ البِدَعْ
أَسْتَغْفِرُ اللهَ شَكَائِمَ الخُدَعْ ... مَا أَخْدَعَ النَّفْسَ لِمَا تَهْوَاهُ

بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

أَسْتَغْفِرُ اللهَ مُنِيباً تَائِبَا ... أَسْتَغْفِرُ اللهَ مُطِيعاً آيِبَا
أَسْتَغْفِرُ اللهَ إِلَيهِ هَارِبَا ... وَمَهْرَبُ العَبْدِ إِلَى مَوْلاهُ

بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

أَسْتَغْفِرُ اللهَ تَقِيّاً سُخْطَهْ ... مِنْ كُلِّ زَلَّةٍ وَكُلِّ فَرْطَهْ
إِنْ يَكُنِ اسْتِغْفَارُ رَبِّي حِطَّهْ ... فَإِنَّنِي مُسْتَغْفِرٌ إِيَّاهُ

بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

أَسْتَغْفِرُ اللهَ نُزُوعاً عَنْ خَطَا ... وَفَيْئَةً إِلَيهِ عَمَّا فَرَطَا
حَاشَاهُ أَنْ يَطْرُدَنِي مُقَنَّطَا ... بِالفَضْلِ والرَّحْمَةِ مَا أَخْفَاهُ

بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

أَسْتَغْفِرُ اللهَ تَعَرُّضاً لِمَا ... أَوْجَبَهُ مِنْ عَفْوِهِ تَكَرُّمَا
أَسْأَلُهُ التَّوْبَةَ عَمَّا عَلِمَا ... مِنْ سَيِّيءٍ بِحُكْمِهِ قَضَاهُ

بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

أَسْتَغْفِرُ اللهَ كَبَائِرَ الزَّلَلْ ... وَمِنْ صَغَائِرٍ بِهَا الْقَضَا نَزَلْ
مُسْتَوْهِباً مِنْ فَضْلِهِ حُسْنَ الْعَمَلْ ... وَكُلَّ مَا يُكْسِبُنِي زُلْفَاهُ
بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

أَسْتَغْفِرُ اللهَ الذُنُوبَ الْفَادِحَهْ ... أَسْتَغْفِرُ اللهَ الْعُيُوبَ الْفَاضِحَهْ
نَفْسِي إِلَى اللهِ بِسُوءٍ كَادِحَهْ ... لَعَلَّنِي بِلُطْفِهِ أُكْفَاهُ
بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِوَهْنٍ فِي الثِّقَهْ ... ضَمَانَةُ اللهِ لَنَا مُحَقَّقَهْ
لِمَنْ يُخَلِّي خَالِقٌ مَنْ خَلَقَهْ ... ثَبِّتْ يَقِينِي فِيكَ يَا اللهُ
بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

أَسْتَغْفِرُ اللهَ لأَسْبَابِ الشَّقَا ... وَعَمَلٍ يُوجِبُ وَخْشَةَ اللِّقَا
لأَجْلِ أَنْ يَطْلُبَنِي هذا الْبَقَا ... فَاخْتِمْ بِرِضْوَانِكَ مُنْتَهَاهُ
بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

أَسْتَغْفِرُ اللهَ لَطِيفَ اللُّطَفَا ... ضَيَّعْتُ عُمْرِي فِي الْخَطَايَا مُسْرِفَا
مُنْتَهِكاً مُفْرِطاً مُسَوِّفاً ... يَا نَظْرَةَ اللهِ وَيَا رُحْمَاهُ
بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِهَفْوَةِ الْيَقِينْ ... أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِفَجْرَةِ الْيَمِينْ[1]
أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِكُلِّ الْمُؤْمِنِينْ ... أَسْتَغْفِرُ اللهَ كَمَا يَرْضَاهُ
بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِحَوْبٍ لَزِمَا ... أَسْتَغْفِرُ اللهَ بِهِ مُعْتَصِمَا
مِنْ خُطْوَةٍ إِلَى الْمَعَاصِي قُدُمَا ... مَنْ يَعْتَصِمْ بِهِ فَقَدْ هَدَاهُ
بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

---

(١) أي: اليمين الفاجرة؛ الكاذبة.

أَسْتَغْفِرُ اللهَ لإِيقَانٍ جَنَحْ ... لِجَانِبِ اليَأْسِ وَمَطْمَعٍ فَضَحْ
أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِتِيهٍ وَمَرَحْ ... امْلأْ جَنَانِي بِكَ مَا أَقْسَاهُ
بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِحِرْصٍ وَشَرَه ... أَسْتَغْفِرُ اللهَ الأُمُورَ المُنْكَرَه
أَسْتَغْفِرُ اللهَ إِلَيهِ المَعْذِرَه ... وَلَيسَ لِي عُذْرٌ بِهِ أَلْقَاهُ
بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

أَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ رَغَبَا ... أَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ رَهَبَا
يَا سَيِّدي قَدْ بَلَغَ السَّيْلُ الزُّبَى ... لا يَهْلَكُ الجَانِي بِمَا اسْتَهْوَاهُ
بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِذَنبٍ أَتَّقِي ... بِفِعْلِهِ مَنْ لا يَفِي ولا يَقِي
وَزَلَّةِ الغُلوِّ والتَّعَمُّقِ ... وَكُلِّ مَا مِنْ عَبْدِهِ قَلاهُ[1]
بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِمَحْظُورِ الكَسَلْ ... وَسُخْطِ مَقْدُورٍ وَأَمْنٍ وَفَشَلْ
أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِنِسْيَانِ الأَجَلْ ... يَا رَبِّ غُفْرَانَكَ فِي مَدَاهُ
بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

أَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ كُلَّ شَيْ ... قَارَفْتُهُ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيَّ
وَيْلاهُ قَدْ أَوْقَرْتُ مِنْ كَسْبٍ يَدَيَّ ... وِقْرَ الشَّقَا إِنْ لَمْ يُجِزْنِي اللهُ
بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

يَا أُنْسَ مَنْ أَوْحَشَهُ اقْتِرَافُهُ ... يَا رَوْحَ مَنْ أَكْرَبَهُ إِسْرَافُهُ
هَلْ نَافِعٌ لِعَبْدِكَ اعْتِرَافُهُ ... فَتُوسِعَ العَفْوَ لِمَا جَنَاهُ
بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

---

(١) قلاه: كرهه.

لَيسَ بِشُكْرَانٍ تُقِيلُ عَاثِرَا وَلا بِبِدْعٍ عَفْوُكَ الْجَرَائِرَا
أَصَبْتُ مِنْ ذُنُوبِيَ الْفَوَاقِرَا وَالْعَاصِمُ الْمُجِيرُ أَنتَ اللهُ

بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

طَالِبُكَ اللهُمَّ لَنْ تُضِيعَهْ وَحَوْبَتِي وَإِنْ تَكُنْ فَظِيعَهْ
فَلم أُرِدْ بِفِعْلِهَا قَطِيعَهْ وَالأَمْنُ مِنْ بَأْسِكَ سَيِّدَاهُ

بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

عَفْوَكَ أَرْجُو وَذرِيعَتِي الْكَرَمْ حَلَلْتُ مِنْ حَوْلِكَ رَبِّي فِي حَرَمْ
فَضِيلَةُ الْحَوْلِ وَسُلْطَانُ الْعِظَمْ مَوْئِلُ مَنْ آتَيْتَهُ تَقْوَاهُ

بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

أَعْلَمُ مِنْ نَفْسِيَ نَكْثَ الْعَهْدِ وَالْجِدَّ فِي السُّوءِ وَخُلْفُ الْوَعْدِ
إِلّا إِذا قَوَّمْتَنِي بِجَدِّ لا يُنْعِشُ الْجُدُودَ إِلّا اللهُ

بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

إِنْ كَانَتِ التَّوْبَةُ بَابَ الْمُذْنِبِ فَقَدْ عَلِمْتَ تَوْبَتِي وَمَطْلَبِي
لا تُحْجَبَهَنْ بِرَدِّهَا مُنْقَلَبِي وَبَابُكَ الْبَابُ الذي أَغْشَاهُ

بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

ما يَفعَلُ اللهُ بِتعْذِيبِ الْمُنِيبْ رَحْمَتُهُ مِنْ كُلِّ مُحْسِنٍ قَرِيبْ
غُفرَانَكَ اللهُمَّ يَا نِعْمَ الْمُجِيبْ مَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلّا اللهُ

بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

غُفْرَانَكَ اللهُمَّ زَلَّةَ الْقَدَمْ عَلِمْتَ مِنْ إِنَابَتِي صِدْقَ النَّدَمْ
وَيَا لَهَا فَضِيحَةً بَينَ الأُمَمْ فِي الْحَشْرِ إِنْ لَمْ يَسْتُرِ الإِلَهُ

بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

غُفرَانَكَ اللهُمَّ مالِي حُجَّةْ زُغْتُ عَلَى عِلْمٍ عَنِ الْمَحَجَّةْ
غَرِقْتُ مِنْ خَطِيئَتِي فِي لُجَّةْ وَمُنْقِذِي مِنْ غَرَقِي رُحْمَاهُ

بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

أَسْرَفْتُ فِي عَظَائِمِ الأُمُورِ ... إِذْ خَدَعَتْنِي خُدْعَةُ الغُرُورِ
أَدْعُوكَ بِالوَيْلِ وَبِالثُّبُورِ ... بِتَوْبَةِ المُخْلِصِ يَا غَوْثَاهُ

بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

عَلِقْتُ فِي حَبَائِلِ الخَسَارِ ... مِنْ فِتْنَةِ التَّسْوِيفِ وَالإِصْرَارِ
قَدْ أَوْقَفَتْنِي بِشَفِيرِ النَّارِ ... أَسْأَلُكَ النَّجَاةَ يَا اللهُ

بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

مَعَاذَكَ اللهُمَّ مِنْ دَرْكِ الشَّقَا ... أَعْدَمْتُ مَا يَنفَعُ فِي دَارِ البَقَا
انْظُرْ حَيَاةً آذَنَتْ أَنْ تُزْهَقَا ... وَالْطُفْ بِبَاقِيهَا بِمَا تَرْضَاهُ

بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

أَيْنَ نَجَاتِي مِنكَ إِنْ لَم تَرْحَمِ ... مَنْ نَاصِرِي مِنكَ وَمَنْ مُعْتَصَمِي
وَمَنْ مَعَاذِي وَبِمَنْ ذَا أَحْتَمِي ... أَنْتَ لِهَذَا العَبْدِ مُحْتَمَاهُ

بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

أَوْدَعْتُكَ النَّفْسَ وَأَنْتَ المَانِعُ ... وَلا تَضِيعُ عِنْدَكَ الوَدَائِعُ
شَأْنِي بِلا حِفْظِكَ شَأْنٌ ضَائِعُ ... يَصْلُحُ شَأْنِي حَيْثُمَا تَرْعَاهُ

بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

عَبْدُكَ فِي قَهْرِكَ يَسْتَقِيلُ ... بَيْنَ يَدَيْكَ خَاضِعٌ ذَلِيلُ
لَيْسَ لَهُ وَجْهٌ وَلا سَبِيلُ ... وَإِنَّمَا بَابُكَ مُنْتَحَاهُ

بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

قَدْ بَهَرَتْنِي كِبَرُ المَعَاصِي ... وَيْلاهُ يَومَ الأَخْذِ بِالنَّوَاصِي
إِنْ لَمْ تَدَارَكْنِيَ بِالخَلاصِ ... وَيَحْمَدُ العَبْدُ إِذاً مَسْرَاهُ

بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

لَبِسْتُ تَقْوَى اللهِ خَوفَ المَقْتِ ... مَنْ كَانَ ذا بَتٌّ فَهَذا بَتِّي
أَسْتَرْشِدُ اللهَ لِحُسْنِ السَّمْتِ ... الرُّشْدُ وَالتَّوْفِيقُ مِنْ جَدْوَاهُ

بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

أَمَّارَتِي بِالسُّوءِ مَا بِهَا ثِقَهْ ... غَدَّارَةٌ فِي غَيِّهَا مُنْطَلِقَهْ

اعْطِ اقْتِدَارِي صَوْنَهَا عَنْ مُوبِقَهْ ... وَاللهُ فِي القُدْرَةِ حَيُّ اللهُ

بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

صَدَقْتَ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ... إِنْ رَبُّهَا أَلْهَمَهَا تَقْوَاهَا[1]

وَحَلَّهَا مِنْ نُورِهِ هُدَاهَا ... خُذْ بِيَدِ الغَاوِي إِلَى هُدَاهُ

بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

يَا قَاهِرُ امْنَعْ نَفْسِيَ الجَرِيئَهْ ... عَنْ وِرْدِهَا المَوَارِدَ الوَبِيئَهْ

خِيرَتُهَا لِذَاتِهَا رَدِيئَهْ ... فَرَاعِهَا بِاللُّطْفِ يَا رَبَّاهُ

بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

فَرَبِّهَا تَرْبِيَةَ السِّيَاسَهْ ... وَزَكِّهَا بِالنُّورِ وَالقَدَاسَهْ

لا تُلقِهَا فِي ذِلَّةِ الخَسَاسَهْ ... أَفْلَحَ مَنْ إِلَهُهُ رَبَّاهُ

بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

مَنْ سَاسَهُ اللهُ اسْتَقَامَتْ حَالَتُهْ ... وَاللهُ مَنْ تُصْلِحُنَا إِيَالَتُهْ[2]

لِكُلِّ شَيءٍ قُوِّمَتْ كَفَالَتُهْ ... مَا ضَاعَ مَنْ بِلُطْفِهِ رَعَاهُ

بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

سُخْطُكَ رَبِّي دُونَهُ المَصَائِبُ ... أَيْنَ المَفَرُّ عَنكَ وَالمَذَاهِبُ

وَكُلُّ هَارِبٍ إِلَيكَ ذَاهِبُ ... يَا رَبِّ لا أُخْزَى وأَنْتَ اللهُ

بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

---

(١) لم يشتغل شاعرٌ على حَزين الطَّاقة الرُّوحيّة والجَمالية للآيات القرآنية كما فعل أبو مُسلِم الذي لم يَكتفِ بتضمينها واستعارتها في شعره، بلْ جعلَها في لُحمَة مِعمَارِهِ الشِّعْرِي وسداه تماهِياً في بُنْيَةِ الخِطاب القرآني، لا اقتباساً مِنه أو إحالة إليه، كما في هذا البيت المُنحَلّ في مَاءِ الآية: «وَنفسٍ وما سَوّاها فألْهَمَها فجُورَها وتقوَاهَا قد أفلحَ من زَكّاها وقد خابَ من دَسّاها».

(٢) الإيَالَة: ترد، هنا، بمعنى السِّياسة، والأصْل: قطعة من أرض الدولة يحكُمها وَالٍ من قِبَلِ السُّلطان.

قِنِي مِنَ السُّخْطِ وَمُوجِبَاتِهْ طُوبَى لِمَنْ تَقِيهِ سَيِّئَاتِهْ
وَسَاقَهُ اللهُ إِلَى مَرْضَاتِهْ وَيَسَّرَ اللهُ لَهُ يُسْرَاهُ
بِحَقٍّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الخُذْلانِ وَالمَقْتِ والإِبْعَادِ وَالجِرْمَانِ
وَسَقْطَةٍ مِنْ نَظَرِ الرَّحْمَنِ مَنْ يَسْتَعِذْ بِرَبِّهِ كَفَاهُ
بِحَقٍّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْ ضِيقِ المَقَامْ دُنيا وفي الأُخرَى وَمِنْ سُوءِ الخِتَامْ
وَسَلْبِ نِعْمَةٍ وَأَخْذِ وانْتِقَامْ بِحَوْلِهِ يَقِي مَنْ اسْتَوْقَاهُ
بِحَقٍّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْ حَالِ الشَّتَاتْ وَفِتْنَةِ المَحْيَا وَفِتْنَةِ المَمَاتْ
وَسُوءِ مَا فَاتَ وَسُوءٍ هُوَ آتْ وَسُوءِ مَا بِأَمْرِهِ قَضَاهُ
بِحَقٍّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِمَّا يُغْضِبُهْ أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِمَّا أَكْسِبُهْ
مَنْ عَاذَ بِالرَّحْمَنِ لا يُعَذِّبُهْ بِعِزِّهِ عُذْتُ، وَحَسْبِيَ اللهُ
بِحَقٍّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْ حَالِ الشَّقِي أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشِّرْكِ الخَفِي
رَبِّي لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ حَفِي لا يُضْلِحُ القُلُوبَ إِلّا اللهُ
بِحَقٍّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْ سُوءِ القَضَا أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْ فَوْتِ الرِّضَا
أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْ عُمْرٍ مَضَى عِيَاذَكَ اللهُمَّ مُحْتَوَاهُ
بِحَقٍّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْ جَهْدِ البَلا وَكُلِّ دَاءٍ وَمَقَامٍ أَعْضَلا
وَهَلَعٍ وَجَزَعٍ إِنْ نَزَلا جِبِلَّةُ المَرْءِ إِذا عَنَاهُ
بِحَقٍّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

أعُـوذُ بـالـرَّحْـمَـنِ مِـنْ كَـيْـدِ الـفِـتَـنْ ... وَالـهَـمِّ وَالـغَـمِّ وَإِرْهَـاقِ الـحَـزَنْ
وَالإِثْـمِ وَالـبَـغْـيِ وَطـارِقِ الـمِـحَـنْ ... سُـبْـحَـانَـهُ يَـكْـفِـي مَـنِ اسْـتَـكْـفَـاهُ
بِـــــــــحَـــــــــقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

أعُـوذُ بـاللهِ مِـنَ الـرِّجْـسِ الـلَّـعِـيـنْ ... وَهَـمْـزِهِ وَكَـيْـدِهِ فـي كُـلِّ حِـيـنْ
أنـتَ عَـلَى جِـهَـادِهِ نِـعْـمَ الـمُـعِـيـنْ ... احْـفَـظْـنِـيَ الـلهُـمَّ مـن بَـلْـوَاهُ
بِـــــــــحَـــــــــقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

أعُـوذُ بـاللهِ الـرَّشِـيـدِ الأَمْـرِ ... مِـنْ وَطْـأَةِ الـشَّـرِّ وَحَـمْـلِ الإِصْـرِ
وَالـكُـفْـرِ وَالـفَـقْـرِ وَضِـيـقِ الـصَّـدْرِ ... وَمِـنْ عَـذابِ الـقَـبْـرِ يَـا اللهُ
بِـــــــــحَـــــــــقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

أعُـوذُ بـاللهِ جَـمِـيـلِ الـسِّـتْـرِ ... مِـنْ مَـسَّـةِ الـضُّـرِّ وَحَـالِ الـخُـسْـرِ
وَمَـوقِـفِ الـخِـزْيِ وَعُـقْـبَـى الـمَـكْـرِ ... وَدَعْـوَةِ الـمَـظْـلُـومِ يَـا غَـوْثَـاهُ
بِـــــــــحَـــــــــقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

أعُـوذُ بـاللهِ مِـنَ الـتَّـعَـدِّي ... حُـدُودَهُ وَالـزَّيْـغِ والـتَّـرَدِّي
وَالـرَّدِّ عَـنْ أَبْـوابِـهِ وَالـطَّـرْدِ ... مَـصَـائِبٌ يَـصْـرِفُـهـا الإِلـهُ
بِـــــــــحَـــــــــقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

أعُـوذُ بـاللهِ مِـنَ الـمُـدَاهَـنَـهْ ... فِـيـهِ وَحَـالٍ فـي الـمَـعَـاصِـي رَاهِـنَـهْ
وَقَـوْمَـةٍ فـي قُـرُبَـاتِـي وَاهِـنَـهْ ... مـا أَوْهَـنَ الـعَـبْـدَ بِـمَـا عَـنَّـاهُ
بِـــــــــحَـــــــــقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

أعُـوذُ بـالـرَّحْـمَـنِ مِـنْ سُـوءِ الأَدَبْ ... وَالاتِّـكَـالِ دُونَـهُ عَـلَى سَـبَـبْ
أعُـوذُ بـالـرَّحْـمَـنِ مِـنْ طَـرْقِ الـرِّيَـبْ ... لا شَـكَّ فِـي اللهِ، تَـعَـالَى اللهُ
بِـــــــــحَـــــــــقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

أعُـوذُ بـاللهِ مِـنَ الـسَّـآمَـهْ ... فـي الـخَـيـرِ وَالـحَـسْـرَةِ وَالـنَّـدَامَـهْ
وَمُـعْـقِـبَـاتِ الـخِـزْيِ فـي الـقِـيَـامَـهْ ... لا تُـخْـزِ هـذا الـعَـبْـدَ فـي عُـقْـبَـاهُ
بِـــــــــحَـــــــــقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

أعُـوذُ بـاللهِ مِـنَ الـشَّـنـارِ[1] وَالـعَـارِ وَالـنَّـارِ وَهَـضْـمِ الـجَـارِ
وَالـمُـنْـتَـهِـي لِغَـضَـبِ الـجَـبَّـارِ أَجَـارَنـا اللهُ حَـمَـانـا اللهُ
بِـحَـقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

أعُـوذُ بـاللهِ مِـنَ الـقَـرَارِ بِـلَحْـظَـةٍ فـي الـلـيـلِ وَالـنَّـهَـارِ
فـي كُـلِّ أَطْـوَارِي إِلـى الآثـارِ مُـغْـتَـرِفٌ للهِ مَـا سِـوَاهُ
بِـحَـقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

أعُـوذُ بـاللهِ مِـنَ الـرُّكـونِ لِغَـيـرِهِ فـي سَـائِرِ الـشُّـؤُونِ
تِـلكَ لـعَـمْـرِي صَـفْـقَـةُ الـمَـغْـبُـونِ مَـنْ عَـرَفَ اللهَ كَـفَـاهُ اللهُ
بِـحَـقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

أعُـوذُ بـاللهِ مِـنَ الـشُّـحِّ الـمُـطَـاعْ وَالـحِـرْصِ وَالـجُـبْـنِ وَخِـبٍّ وَخِـدَاعْ
وَالـكِـبْـرِ وَالـبُـهْـتِ وَمَـذمُـومِ الـطِّـبَـاعْ وَحَـسَـدِ الـخَـلْـقِ بِـمَـا أَعْـطَـاهُ
بِـحَـقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

أعُـوذُ بـاللهِ مِـن أَبْـوابِ الـجَـفَـا وَكُـلِّ مَـا اسْـتَـعَـاذَ مِـنهُ الـمُـصْـطَـفَـى
أعُـوذُ بـاللهِ وَحَـسْـبِـي وَكَـفَـى عَـوْذَ فَـقِـيـرٍ تَـرِبَـتْ يَـدَاهُ
بِـحَـقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

تِـلكَ خِـلالٌ فِـي الـنُّـفُـوسِ جَـاثِـمَـهْ أَيـنَ الـصَّـفَـا مِـنَ الـنُّـفُـوسِ الآثِـمَـهْ
جِـبِـلَّةٌ بِـكُـلِّ نَـفْـسٍ قَـائِـمَـهْ إِلّا الَّـذي بِـلُـطْـفِـهِ صَـفَّـاهُ
بِـحَـقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

مـا أَتْـخَـنَ الـنـفـسَ وَمـا أَكْـدَرَهـا مـا أَكْـذَبَ الـنـفـسَ ومـا أَغـدَرَهـا
مـا أَرْذَلَ الـنـفـسَ ومـا أَقـذَرَهـا وإنـمـا يَـزْكُـو الـذي زَكَّـاهُ
بِـحَـقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

---

(١) الشَّنار: القبحُ والشُّنْعَةُ والتفْضِيح.

قَدْ غَلَبَتْنِي النَّفسُ في جِمَاحِهَا ... قَدْ وَهَنَتْ قُوَايَ في طِمَاحِهَا

يَئِسْتُ مِنْ حَوْلِي عَلَى إِصْلاحِهَا ... إِلّا إذا أَصْلَحْتَهَا رَبَّاهُ

بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

مَعْذِرَةٌ قَدْ خَلَعَتْ عِذَارَهَا[1] ... كَم أُنْذِرَتْ لو حَذِرَتْ إِنْذَارَهَا

فَالآنَ إِذْ تَمَحَّلَتْ[2] أَعْذَارَهَا ... تَلَقَّهَا بِالعَفْوِ يَا اللهُ

بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

أَذْنَبْتُ إِكْبَاراً وَعُذْرِي مُنْقَطِعْ ... وَعَفْوُكَ الأَعْظَمُ غَيرُ مُمْتَنِعْ

نَادَاكَ بِالتَّوْبَةِ عَبْدٌ مُنْتَجِعْ[3] ... مُعْتَرِفاً بِقَدْرِ مَنْ نَادَاهُ

بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

سُبْحَانَ رَبِّي عَزَّ في أَمْجَادِهِ ... يَعْفُو عَنِ العَبْدِ عَلَى عِنَادِهِ

وَيَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ... حَاشَاهُ عَنْ تَقْنِيطِ مَنْ دَعَاهُ

بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

مولايَ لَسْتَ لِعَذابي مُفتَقِرْ ... غَفَرْتَ لِي يَا رَبِّ أو لم تَغْتَفِرْ

إِنْقَاذُكَ الوَعِيدَ أَمْرٌ قَدْ قُدِرْ ... وَمَفْزَعِي حِلْمُكَ يَا اللهُ

بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

وَثِقْتُ بالحِلْمِ وَعُمْدَتِي بِهِ ... ما قَدْرُ ذَنْبِي سَيِّدي في جَنْبِهِ

ما وَثِقَ العَبْدُ بِحِلْمِ رَبِّهِ ... فلم يَجِدْهُ مُكْرِماً مَثْوَاهُ

بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

بِحُسْنِ ظَنِّي خِلْتُنِي مَرْحُوما ... لم أَنْقَلِبْ بِخَيْبَةٍ مَحْرُوما

هَبْنِي إِلهِي لَسْتُ مُسْتَقِيما ... فَحِلْمُ رَبِّي حَانَ مُنْتَهَاهُ

بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

---

(١) العِذار: في الأصل؛ جانِب لِحْيَةِ الغُلام ـ وما سَالَ من اللجام على خَدِّ الفَرَس. خلَعَ فُلانٌ عِذارَه: انهمك في الغيّ ولم يَنثنِ عن ذلك. وقوة الصورة الشعرية، هنا، هي في خلع المَعْذِرة لِعِذارِها!

(٢) تَمَحَّلَتْ: يَبِسَت وجفّت؛ ويقصد النفس المُكنّى عنها بـ المَعْذِرة خالعة العِذار.

(٣) مُنْتَجِعٌ: قاصِد.

عَـفْـوُكَ أَعْـلَى سَـيِّـدي مِـنْ عَـمَـلي ... بِـجُـودِكَ الـلهُـمَّ بَـسْـطُ الأَمَـلِ
يَـا حَـيُّ يَـا قَـيُّـومُ أيـنَ مَـوْئِلِي ... إنْ سَـيِّـدي أَحْـرَمَـنِـي حِـبَـاهُ

بِـــــــــحَـــــــــقِّ لا إلَهَ إلّا اللهُ

تَـقَـاعَـدَتْ فـي سَـكْـرَةِ الـمُـبَـاعَـدَهْ ... وَشِـرَّةِ الـسَّـهْـوِ حَـيَـاتِـي الـنَّـافِـدَهْ
حَـتـى إذا مـا أَيْـقَـظَـتْـنِـي الـوَارِدَهْ ... تُـبْـتُ إلـيـهِ طَـالِـبـاً رِضَـاهُ

بِـــــــــحَـــــــــقِّ لا إلَهَ إلّا اللهُ

حَـاشَـاهُ أَنْ يَـطْـرُدَنِـي عَـنِ الـحِـمَـى ... مُـنْـقَـطِـعـاً لِبَـابِـهِ مُـلْـتَـزِمَـا
إنْ كُـنـتُ قَـدْ أَجْـرَمْـتُ فِـيـمَـنْ أَجْـرَمَـا ... فَـفِـي اعْـتِـرَافِـي سَـلَـفٌ أَوْفَـاهُ[1]

بِـــــــــحَـــــــــقِّ لا إلَهَ إلّا اللهُ

فَـقْـرِي وَذُلِّي وَغِـنَـاهُ عَـنِّـي ... وَعِـزُّهُ مِـنْ مُـوجِـبَـاتِ الـمَـنِّ
مَـنْ يَـقْـتَـرِبْ مِنَ الـكَـرِيـمِ الـمُـغْـنِـي ... تَـنَـاوَلَـتْـهُ بِـالـمُـنَـى يَـدَاهُ

بِـــــــــحَـــــــــقِّ لا إلَهَ إلّا اللهُ

أَبْـوَابُـهُ مَـفْـتُـوحَـةٌ بِـالـكَـرَمِ ... أَسْـبَـابُـهُ مَـمْـدُودَةٌ بِـالـنِّـعَـمِ
أَلْـطَـافُـهُ سَـارِيَـةٌ بِـالـحِـكَـمِ ... أَسْـأَلُهُ الـلُّـطْـفَ بِـمَـا أَجْـرَاهُ

بِـــــــــحَـــــــــقِّ لا إلَهَ إلّا اللهُ

إنْ أَنْـجُ لَـمْ أَنْـجُ عَـلَـى اسْـتِـيـجَـابِ ... لا تُـقْـتَـضَـى الـنَّـجَـاةُ بِـالأَسْـبَـابِ
لَـكِـنَّـهَـا بِـمِـنَّـةِ الـوَهَّـابِ ... هَـبْ لِي الـنَّـجَـا وَالـفَـوْزَ يَـا رَبَّـاهُ

بِـــــــــحَـــــــــقِّ لا إلَهَ إلّا اللهُ

---

(١) يغترف التصوير الشعري في هذا البيت من التراث الصوفي الذي اطلع عليه أبو مُسْلِم في أفضل نماذجه، وإن لم يَتماهَ معه حد اعتباره مُتصوفاً خالصاً وصاحب سُلوك وطريقة، رغم استخدامه الكثيف للقاموس الصُّوفي في أذكاره ومدائحه النبوية. فمع إقراره بجرمه في حق الباري، إلا أنه - في البيت أعلاه - لا يعتبر اعترافه وسيلة ناجعة لتخفيف عقوبة مرتقبة، بل يُحقر مزية الإعتراف ذاته، لأنه قرضٌ وسلفٌ وهَبْتُهُ إيّاه الذات الإلهية ليتخفف من جُرمه.

جَـرَتْ مَـقَـادِيـرُكَ بِـاقْـتِـرَافِـيَـهْ كَـمَـا جَـرَتْ مَـوْلايَ بِـاعْـتِـرَافِـيَـهْ
أَسْـأَلُكَ الـفَـوْزَ وَنَـبْـتَ الـعَـافِـيَـهْ فِـي مَـدَّةِ الـعُـمْـرِ وَفِـي عُـقْـبَـاهُ
بِـحَـقٍّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

أَعْـيَـنْـنِـيَ الـحِـيـلَةُ وَالـمَـذَاهِـبُ وَأَكْـدَتِ الأَسْـبَـابُ وَالـمَـطَـالِبُ
وَدَرَسَـتْ آمَـالِيَ الـنَّـوَاصِـبُ إِلّا مِـنَ اللهِ وَقَـصْـدِي اللهُ
بِـحَـقٍّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

مَـنَـاهِـلُ الـرَّجَـا إِلَيـهِ مُـتْـرَعَـهْ وَسُـبُـلُ الـسُّـؤْلِ إِلَيـهِ مُـشْـرَعَـهْ
فِـي يَـدِهِ الـمَـوَاهِـبُ الـمُـوَزَّعَـهْ وَمَـوْقِـفِـي بِـبَـابِـهِ يَـرَاهُ
بِـحَـقٍّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

لِدَعْـوَتِـي بِـمَـوْضِـعِ الإِجَـابَـةِ لَصَـرْخَـتِـي بِـمَـرْصَـدِ الإِغَـاثَـةِ
يَـسْـمَـعُ حَـمْـدِي وَصَـدَى شِـكَـايَـتِـي رَبٌّ تَـدَارَكْ مَـنْ تَـرَى شَـكْـوَاهُ
بِـحَـقٍّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

فِـي لَهَـفِـي إِلـى الـضَّـمَـانِ بِـالـعِـدَهْ لِـي عَـوَضٌ مِـنْ كَـفِّ مَـانِـحِ الـجِـدَهْ
وَفِـي عَـطَـايَـاهُ إِلـى مَـنْ أَوْجَـدَهْ مَـنْـدُوحَـةٌ عَـنْ كُـلِّ مَـنْ عَـدَاهُ
بِـحَـقٍّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

إِن حَـجَـبَـتْـنِـي دُونَـهُ أَعْـمَـالِي لَـم يَـحْـتَـجِـبْ عَـنِّـي بِـكُـلِّ حَـالِ
يَـطْـلُـبُـنِـي بِـالـلُّـطْـفِ وَالـنَّـوَالِ وأَمَـلِي الـمَـزِيـدُ مِـنْ يَـدَاهُ[1]
بِـحَـقٍّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

---

(١) يوحي الشطر في ظاهره بأن المقصود هو أمل في المزيد من عطاء يديه، لكن ذلك يستوجب جرّ «يَدَيْه»، وفي ذلك مخالَفة للرَّوِيِّ. والحقيقة أن الشاعرَ لم يذهب بعيداً، لأنه قصد الفعل: «يَدَاه» ويعني: أصابَ يده. ويَدِيَ فلانٌ يَدًى: أعطى وأسدى معروفاً. قال الأعشى: فَلَنْ أذكُرَ النُّعمانَ إلّا بصَالح | فإنَّ لهُ عندي يَدِيّاً وأنْعُما. وقد تهوَّب منها بعض شُرّاح أبي مُسلم فكتبوا شطر البيت: وأمَلي المَزيدُ من نَدَاهُ.

أَفْضَلُ زَادٍ رَاحِلٍ إِلَيْهِ ... عَزْمُ إِرَادَةٍ لِمَا لَدَيْهِ
عَزِيمَةُ الرَّاجِي نَدَى يَدَيْهِ ... لا تَنْثَنِي بِالرَّدِّ عَنْ حِمَاهُ
بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

لَيْسَ لِدَعْوَةٍ عَلَيْهِ حَقُّ ... لَكِنَّهُ رَحْمَتُهُ وَالرِّفْقُ
تَحَقَّقَ الوُسْعُ لَهَا وَالسَّبْقُ ... يَا وَاسِعَ الرَّحْمَةِ يَا اللهُ
بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

لا تُخْزِنِي يَا رَبِّ بِالغِوَايَهْ ... واغْمُرْ جَنَانِي رَبِّ بِالهِدَايَهْ
وَحُفَّنِي بِاللُّطْفِ وَالعِنَايَهْ ... فِي الدِّينِ وَالدُّنيَا كَمَا تَرْضَاهُ
بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

عَجِزْتُ عَنْ تَتَبُّعِ المَرَاضِي ... وعُمُرِي يَجْرِي عَلَى أَوْفَاضِ[1]
وَمِنْ أَمَامِي وَقْفَةُ التَّقَاضِي ... وَعُدَّتِي الرَّجَاءُ فِي رُحْمَاهُ
بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

أَحْيَيْتَنِي تَحْتَ ظِلالِ نِعْمَتِكْ ... وَالعَدْلُ يَقْضِي بِحُلُولِ نَقْمَتِكْ
وَإِنَّمَا أَرْجُو النَّجَا بِمِنَّتِكْ ... جُوداً وَفَضْلاً لُطْفُكَ اقْتَضَاهُ
بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

آهاً لِنَفْسِي لَمْ أَجِدْهَا شَاكِرَهْ ... لِنِعَمٍ بَاطِنَةٍ وَظَاهِرَهْ
إِلّا إِذا أَوْزَعْتُهَا المُبَادَرَهْ ... وَشُكْرُكَ الحَقِيقُ لا أَقْوَاهُ
بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

ضَاقَتْ عَلَيَّ الأَرْضُ سَيِّدي بِما ... رَحُبَتِ الأَرْضُ وَنَفْسِي مَا أَثِما
إِلَيكَ أَلْجَأْتُ اضْطِرَارِي مُسْلِما ... أَسْأَلُكَ التَّوْبَةَ يَا اللهُ
بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

---

(١) من الفعل: وَفضّ؛ عَدَا وأسْرَعَ. يُقال: نعامَةٌ ميفاض، أي: مسرعة.

فَتُبْ عَلَيَّ تَوْبَةً عَمَّا غَبَرْ ... وَذَرَّةً مِنْ زَلَلِي إِخْدَى الكِبَرْ .
وَأَنْتَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ بِالفِطَرْ ... تَعْلَمُ مِنْ سِرِّيَ مَا أَخْفَاهُ

بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

عَلِمْتَ مِنْ سِرِّيَ تَوْباً جَازِمَا ... عَنْ كُلِّ مَحْظُورٍ وَأَوْباً لازِمَا
أَوَّاهُ لَو كُنتُ لَبِيباً حَازِمَا ... لَزِمْتُ بَابَ الحَقِّ فِي رِضَاهُ

بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

لَكِنَّنِي بِوَجْهِهِ أَعُوذُ ... وَبِجَلالِ مَجْدِهِ أَلُوذُ
مَسْأَلَتِي رِضَاهُ وَالتَّغْوِيذُ ... مِنْ سُخْطِهِ وَكُلِّ مَا اقْتَضَاهُ

بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

إِنِّي وَإِنْ عَزَّتْنِيَ الوَسَائِلُ ... فَاللهُ لا تُبْرِمُهُ المَسَائِلُ
كَمْ عَاذَ بِاللهِ كَمِثْلِي سَائِلُ ... أَكْرَمَهُ اللهُ بِمُبْتَغَاهُ

بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

لَم يَفْتَقِرْ فِي جُودِهِ إِلى سَبَبْ ... يَمْنَعُ مَنْ شَاءَ وَمَنْ شَاءَ وَهَبْ
بِحِكْمَةِ التَّدْبِيرِ عَلَّقَ النِّسَبْ ... وَجُودُهُ لِلعَبْدِ مُنْتَمَاهُ

بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

ذَرَّةَ خَيرٍ مِنكَ لا أَسْتَوْجِبُ ... بِمَحْضِ جُودِ اللهِ مَا أَطَّلِبُ
أَنتَ المُغِيثُ وَإِلَيكَ المَرْغَبُ ... صِلْ رَغْبَتِي مِنكَ بِمَا تَرْضَاهُ

بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

وَاخْتُمْ لِيَ اللهُمَّ بِالسَّعَادَهْ ... وَمُنَّ بِالحُسْنَى وَبِالزِّيَادَهْ
وانْظُرْ إِلَيَّ نَظْرَةَ الإِرَادَهْ ... تُدْخِلُنِي فِيمَنْ أَحَبَّ اللهُ

بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

بِجَاهِ نُورِ اللهِ مَولانَا الشَّفِيعْ ... مَنْ لَم يُزَاحَمْ فِي مَقَامِهِ الرَّفِيعْ
مُحَمَّدٌ خَيرُ مُطَاعٍ وَمُطِيعْ ... مَنِ اسْتَمَدَّ النُّورَ مِنْ هُدَاهُ

بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

مَنِ اسْتُضِيءَ النُّورُ مِنْ عِرْفَانِهِ ... مَنِ اسْتُفِيضَ الخَيرُ مِنْ إِحْسَانِهِ
مَنْ ثِقتِي بالفَوْزِ في ضَمَانِهِ ... مَنْ لا يَضِيعُ مُحْتَمِي حِمَاهُ
بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

بِجَاهِهِ وَجَاهِ كُلِّ الأَنْبِيَا ... وَجَاهِ آلِهِ الكِرَامِ الأَتْقِيَا
وَصَحْبِهِ وَالشُّهَدَا وَالأَوْلِيَا ... والعُلَمَا وَمَنْ لَدَيهِ جَاهُ
بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

صَلِّ عَلَيهِ وَعَلَيْهِم أَجْمَعِينْ ... مُسَلِّماً عَلَيهِمُ في كُلِّ حِينْ
أَعْدَادَ مَعْلُومَاتِ رَبِّ العَالَمِينْ ... وَضِعْفَ أَضْعَافِ الذي أَحْصَاهُ
بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

صَلِّ عَلَيهِ الصَّلَوَاتِ الكَامِلَةْ ... وسَلِّمِ التَّسْلِيمَ لا يُقَامُ لَهْ
مَشْفُوعَةً بِالبَرَكَاتِ الهَاطِلَةْ ... بِحَسْبِ ما تَرْضَى وَما يَرْضَاهُ
بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

وارفَعْ لَهُ في دَرَجَاتِ الزُّلْفَى ... وَلَقِّهِ الحَظَّ العَظِيمَ الأَوْفَى
وَرَوِّهِ مِنْ كَأْسِكَ المُصَفَّى ... وَارْزُقْهُ فِي أُمَّتِهِ مُنَاهُ
بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

وَاجْمَعْنِيَ اللهُمَّ في جَمَاعَتِهْ ... جَمْعاً عَلَى سُنَّتِهِ وَطَاعَتِهْ
وَلَقِّنِي في الحَشْرِ مِنْ شَفَاعَتِهْ ... مُزْدَلِفاً رِضَاكَ مُنتَهَاهُ
بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

وَاجْعَلْ نَصِيبَ الفَوْزِ لِي وَالِدَيّ ... وَوَلَدِي وَكُلِّ مَنْ عَزَّ عَلَيّ
وَالمُؤمِنِينَ كُلِّهِم مَيْتٍ وَحَيّ ... وَكُلِّ أَهْلِ الذِّكْرِ يَا اللهُ
بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

وأَيِّدِ الإِسْلامَ بِالكَرَامَةْ ... وَالمَجْدِ وَالعِزِّ وَالاسْتِقَامَةْ
وَارْفَعْ عَلَى أَضْدَادِهِ أَعْلامَةْ ... وَنَكِّسِ الشِّرْكَ وَمَنْ وَالاهُ
بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

وَاكْسِرْ قُوَى أَعْدَائِهِ مُعَجِّلا مُسْتَأْصِلًا شَأْفَتَهُم مُذَلِّلا

حَتَى مَتَى الإِسْلامُ مِنْهُم مُبْتَلَى نَصْرَكَ يَا غَوْثَاهُ يَا غَوْثَاهُ

بِحَقِّ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ

الباقيّات الصالحات

الصَّباحيّات

الباقية الأولى: (في التسبيح)

سُبْحَانَ ذِي اللُّطْفِ بِسْمِ اللهِ بِاللهِ ... كَمْ كُرْبَةٍ حَلَّهَا لُطْفٌ مِنَ اللهِ
سُبْحَانَ ذِي المَنِّ لم أَرْفَعْ إِلَيهِ يَدِي ... فقراً فلَمْ يُغْنِنِي مَنٌّ مِنَ اللهِ
سُبْحَانَ ذِي الفَتحِ لا يَنْفكُّ يُدْرِكُنِي ... في كُلِّ مُنغَلِقٍ فَتْحٌ مِنَ اللهِ
سُبْحَانَ ذِي النَّصْرِ كَمْ ظُلْمٍ مُنِيتُ بِهِ ... فَقامَ بالعَدْلِ لِي نَصْرٌ مِنَ اللهِ
سُبْحَانَ ذِي الوَهْبِ وَهَّابٌ بلا سَبَبٍ ... في السِّرِّ وَالجَهْرِ لِي وَهْبٌ مِنَ اللهِ
سُبْحَانَ ذِي الفَضْلِ تَغْشَانِي فَوَاضِلُهُ ... مِنْ أَوْجُهٍ كُلُّها فَضْلٌ مِنَ اللهِ
سُبْحَانَ ذِي البِرِّ وَالإِحْسَانُ مُتَّصِلٌ ... على الخَصَائِصِ بي بِرٌّ مِنَ اللهِ
سُبْحَانَ ذِي البَسْطِ لم أَبْسُطْ إِلَيهِ يَدِي ... إِلّا انْبَسَطْتُ عَلَى بَسْطٍ مِنَ اللهِ
سُبْحَانَ ذِي الفَيْضِ وَالآلاءِ ما نَضَبَتْ ... مِياهُ وَفْرِي عَلَى فَيْضٍ مِنَ اللهِ
سُبْحَانَ ذِي الطَّوْلِ كَمْ ضَرَّاءَ بَدَّلَها ... نَعْمَاءَ قَبْلَ الدُّعَا طَوْلٌ مِنَ اللهِ
سُبْحَانَ ذِي الجُودِ ما أَوْفَدْتُ لي أَمَلًا ... إِلّا تَخَوَّلَهُ جُودٌ مِنَ اللهِ
سُبْحَانَ ذِي الوُسْعِ ما ضَاقتْ بِنا سُبُلٌ ... إِلّا وَوَسَّعَهَا وُسْعٌ مِنَ اللهِ
سُبْحَانَ ذِي العِزِّ لا أَخْشَى بِعِزَّتِهِ ... ذُلًا وَيَشْمَلُنِي عِزٌّ مِنَ اللهِ
سُبْحَانَ ذِي الجَدِّ مُعْطِي الجَدَّ ما اسْتَنَدَتْ ... نَفسِي فَخَابَتْ إلى جَدٍّ مِنَ اللهِ
سُبْحَانَ ذِي المَجْدِ مَنْ تَعْنُو الوُجُوهُ لَهُ ... أَشْكُو هَوَانِي لِعِزِّ المَجْدِ لله

سُبْحَانَ ذِي المُلْك يُؤتِيهِ وَيَنْزَعُهُ ... مَا يَمْلِكُ الخَلْقُ تَمْلِيكٌ مِنَ اللهِ

سُبْحَانَ ذِي الحَوْلِ كم ضَيْمٍ تَنَاوَبَنِي ... فَحَالَ إذ مَدَّنِي حَوْلٌ مِنَ اللهِ

سُبْحَانَ ذِي اليُسْرِ كم عُسْرٍ تَكَنَّفَنِي ... فَحَلَّ عُقْدَتَهُ يُسْرٌ مِنَ اللهِ

سُبْحَانَ ذِي الرَّوْحِ لم أَقْنَطْ لِنَازِلَةٍ ... لِكُلِّ نَازِلَةٍ رَوْحٌ مِنَ اللهِ

سُبْحَانَ ذِي النُّورِ ما أَضْلَلْتُ حِكْمَتَهُ ... مَا ضَلَّ عَقْلٌ عَلَى نُورٍ مِنَ اللهِ

سُبْحَانَ ذِي العِلْمِ يُعْطِيهِ وَيَسْلُبُهُ ... فَكُلُّ عِلْمٍ إلى عِلْمٍ مِنَ اللهِ

سُبْحَانَ ذِي الشَّأنِ لم تَقْصِدْهُ مَسْكَنَتِي ... فما اسْتَقَلَّتْ على شَأْنٍ مِنَ اللهِ

سُبْحَانَ ذِي القِسْطِ ما في المُلْكِ مَظْلَمَةٌ ... تَجْرِي القَضَايَا على قِسْطٍ مِنَ اللهِ

سُبْحَانَ ذِي العَدْلِ ما قَدَّمْتُ مَظْلَمَتِي ... إلّا تَنَاوَلَهَا عَدْلٌ مِنَ اللهِ

سُبْحَانَ ذِي الحِلْمِ كم أَعْصِي فَيَغْفِرُ لي ... فإنْ أَعُدْ بَاءَ لِي حِلْمٌ مِنَ اللهِ

سُبْحَانَ ذِي العَفْوِ كم أَهْفُو فَيُوسِعُنِي ... صَفحاً وَيَشْمَلُنِي عَفوٌ مِنَ اللهِ

سُبْحَانَ ذِي القَهْرِ ما قَهْرِي بِمُنْفَصِمٍ ... حَيثُ اعْتَمَدْتُ عَلَى قَهْرٍ مِنَ اللهِ

سُبْحَانَ ذِي البَطْشِ كم أَرْدَى عِدَايَ وَمَا ... يَقُومُ شَيءٌ عَلَى بَطْشٍ مِنَ اللهِ

سُبْحَانَ ذِي الأمْرِ أَمْرٌ لا مَرَدَّ لَهُ ... وَلا مَحَالَةَ عَنْ أَمْرٍ مِنَ اللهِ

سُبْحَانَ ذِي الحُكْمِ لا مَيْلٌ وَلا شَطَطٌ ... وَلا مُعَقِّبَ في حُكْمٍ مِنَ اللهِ

سُبْحَانَ ذِي الخَيرِ ما اسْتَرْفَدْتُهُ[1] حَرَجاً ... إلّا وَعَاجَلَنِي خَيرٌ مِنَ اللهِ

سُبْحَانَ ذِي القُدْسِ عَنْ آفَاتِ فِطْرَتِنا ... لِي ذِكْرُ تَقْدِيسِهِ قُدْسٌ مِنَ اللهِ

سُبْحَانَ ذِي الحَمْدِ في ذَاتٍ وَفِي صِفَةٍ ... حَمْداً يَقُومُ بِه حَمْدٌ مِنَ اللهِ

سُبْحَانَ ذِي الرَّحْمَةِ العُظْمَى التي وَسِعَتْ ... يَا رَاحِمُ ارْحَمْ مُرَجِّي رَحْمَةِ اللهِ

بِمِنَّةِ اللهِ أَرْجُو مِنَّةَ اللهِ ... وَلَيسَ تُحْصَى بِعَدٍّ نِعْمَةُ اللهِ

سُبْحَانَ ذِي العِزَّةِ البَاقِي القَدِيمِ بِلا ... بَدْءٍ وَلا لِانْتِهَاءٍ عِزَّةُ اللهِ

---

(١) اسْتَرْفَدْتُه: طلبت عطاءه.

سُبْحَانَ ذِي القُدْرَةِ الأَعْلَى فلا أَحَدٌ ... بِفَائِتٍ قُدْرَهُ عَنْ قُدْرَةِ اللهِ

سُبْحَانَ ذِي السَّطْوَةِ الغَلّابِ كم قَصَمَتْ ... مَنْ شَاءَ قَصْمِيَ وَحْياً سَطْوَةُ اللهِ

سُبْحَانَ ذِي القُوَّةِ الحَقِّ المَتِينِ فلَنْ ... أُسَامَ ضَيْماً وَرُكْنِي قوةُ اللهِ

سُبْحَانَ ذِي السُّبُحَاتِ الطَّاهِرَاتِ وما ... عَسَاهُ يَبْلُغُ نَعْتِي سُبْحَةَ اللهِ

سُبْحَانَ ذِي الكِبْرِ في ذَاتٍ وَفي صِفَةٍ ... اللهُ أَكْبَرُ، كلُّ الكِبْرِ للهِ

سُبْحَانَ ذِي الحُرْمَةِ الحَامِي لحُرْمَتِهِ ... لم تَنْأَ عَنْ ذِي انْتِهَاكٍ غَيرَةُ اللهِ

سُبْحَانَ ذِي النِّقْمَةِ المَخْشِيِّ صَوْلَتُها ... حُلِّي بِسُوْحِ عِدَائِي نَقْمَةَ اللهِ

سُبْحَانَ مَنْ سَبَّحَ العَرْشُ العَظيمُ لَهُ ... وما أَحَاطَ بِهِ مِنْ صَنْعَةِ اللهِ

سُبْحَانَ مَنْ حَمِدَتْهُ كُلُّ حَادِثَةٍ ... وَحَمْدُها دُونَ حَقِّ الحَمْدِ للهِ

سُبْحَانَ ذِي الوَحْدَةِ الحَقِّ الأُلُوهَةِ لا ... إِلَهَ بِالحَقِّ غَيرُ الوَاحِدِ اللهِ

سُبْحَانَ مُبْدِيءِ الاشْيَاءِ المُعِيدِ لِما ... أَفْنَى وَما أَسْرَعَ التَّكْوِينَ للهِ

سُبْحَانَ مَنْ سَاسَنا فَضْلًا بِحِكْمَتِهِ ... وَالخَيرُ ما تَقْتَضِيهِ حِكْمَةُ اللهِ

سُبْحَانَ مَنْ تُصْلِحُ الأشياءَ خِيرَتُهُ ... أَسْعِدْ بِمَنْ دَبَّرَتْهُ خِيرَةُ اللهِ

سُبْحَانَ مُبْدِعِ إِبْدَاعِ العَجَائِبِ يَا ... عَجَائِبَ اللهِ سُوقِي نَفْحَةَ اللهِ

سُبْحَانَ مُسْتَوْدَعِ المَألُوهِ[1] رَأْفَتُهُ ... تَعَهَّدَتْ كُلَّ طَورٍ رَأْفَةُ اللهِ

سُبْحَانَ مَنْ فَرَّجَتْ هَمِّي لَطَائِفُهُ ... كَمْ زَحْزَحَ الضِّيقَ تَفْرِيجٌ مِنَ اللهِ

سُبْحَانَ مَنْ كَشَفَتْ غَمِّي إِغَاثَتُهُ ... وَعَادَةُ اللهِ عِنْدِي عَادَةُ اللهِ

سُبْحَانَ مَنْ جَبَرَتْ كَسْرِي مَعُونَتُهُ ... ما انْفَكَّ عَنْ حَالَتِي عَوْنٌ مِنَ اللهِ

سُبْحَانَ مَنْ عَوَّدَتْ فَقْرِي عَوَارِفُهُ ... أَنْ تَسْتَهِلَّ بِإِغْنَائِي يَدُ اللهِ

سُبْحَانَ مَنْ وَسِعَتْ سُؤْلِي خَزَائِنُهُ ... ما شَأْنُ سُؤْلِ امْرِئٍ فِي أَنْعُمِ اللهِ

سُبْحَانَ مَنْ عِصْمَتِي فيما يُقَدِّرُهُ ... بِهِ وَأَمْنَعُ شَيءٍ عِصْمَةُ اللهِ

سُبْحَانَ مَنْ يَعْلَمُ النَّجْوَى فَيَرْفَعُها ... ما فَاتَ سِرٌّ وَجَهْرٌ حِيطَةَ اللهِ

---

(١) المَألُوه: العبد.

سُبْحَانَ مَنْ يَسْمَعُ الشَّكْوَى فَيَرْحَمُها ... قَدْ قَارَنَتْ كُلَّ ضَيرٍ عَطْفَةُ اللهِ
سُبْحَانَ مَنْ يُبْصِرُ البَلْوَى فَيَكْشِفَها ... وَحْياً، وَمَنْ يَكْشِفُ البَلْوَى سِوَى اللهِ؟
سُبْحَانَ مَنْ يَقْبَلُ الدَّعْوَى فَيُكْرِمُها ... تَطَوُّلًا لَيسَ مِنْ حَقٍّ عَلَى اللهِ
سُبْحَانَ مَنْ نَظْرَةٌ مِنْ عِندِهِ نَظَرِي ... سَعِدْتُ إنْ أَسْعَدَتْنِي نَظْرَةُ اللهِ
سُبْحَانَ مَنْ لُطْفُهُ أَوْحَى إلى كُرَبِي ... لَطَائِفُ اللهِ تَجْلُو شِدَّةَ اللهِ
سُبْحَانَ سُبْحَانَ لا أُحْصِي الثَّنَاءَ لَهُ ... حَقُّ الثَّنَاءِ ثَنَاءُ اللهِ للهِ
سُبْحَانَ سُبْحَانَ أَدْرِكْنِي وَصَلِّ على ... مُحَمَّدٍ غَوْثِنَا مَعْ صَفْوَةِ اللهِ

الباقية الثانية: (في التحميد)

الحَمْدُ للهِ حَقُّ الحَمْدِ للهِ ... بِما بِهِ قَامَ حَقُّ الحَمْدِ للهِ
الحَمْدُ للهِ إطْلاقاً بِلا أَمَدٍ ... قَبلَ الوُجُودِ وُجُوبُ الحَمْدِ للهِ
الحَمْدُ للهِ أَهْلُ الحَمْدِ في أَزَلٍ ... قَبلَ الإضَافاتِ مِنا الحَمْدُ للهِ
الحَمْدُ للهِ لا حَصْرٌ ولا عَدَدٌ ... ولا حُدُودَ لِعُظْمِ الحَمْدِ للهِ
الحَمْدُ للهِ لا عَدْلٌ ولا مَثَلٌ ... ولا نَظِيرٌ لِقَدْرِ الحَمْدِ للهِ
الحَمْدُ للهِ لا بَدْءٌ ولا أَجَلٌ ... ولا فَنَاءٌ لِبَاقِي الحَمْدِ للهِ
الحَمْدُ للهِ بالحَمْدِ الرَّضِيِّ لَهُ ... وفَوقَ ما يَرْتَضِيهِ الحَمْدُ للهِ
الحَمْدُ للهِ بالحَمْدِ الذي عَجِزَتْ ... عَنْهُ القُوَى في مَقامِ الحَمْدِ للهِ
الحَمْدُ للهِ بالحَمْدِ المُنيرِ عَلَى ... أَسْمَائِهِ قَائِماً بالحَمْدِ للهِ
الحَمْدُ للهِ بالحَمْدِ الذي وُصِفَتْ ... صِفَاتُهُ مِنْ نُعُوتِ الحَمْدِ للهِ
الحَمْدُ للهِ بالحَمْدِ المَصُونِ لَدَى ... خَزَائِنِ الوَحْيِ بَحْرِ الحَمْدِ للهِ
الحَمْدُ للهِ بالحَمْدِ الأَخَصِّ بِهِ ... مُسْتَغْرِقاً لِكَمَالِ الحَمْدِ للهِ
الحَمْدُ للهِ بالحَمْدِ المَلِيِّ بِهِ ... يَفْنَى الوُجُودُ ويَبْقَى الحَمْدِ للهِ
الحَمْدُ للهِ بالحَمْدِ الذي هَدَرَ الـ ... ـعَرْشُ العَظِيمُ بِهِ في الحَمْدِ للهِ

الحَمْدُ للهِ بالحَمْدِ المُلِفِّ بِهِ الـ ... ـكُرْسِيَّ في سُبُحَاتِ الحَمْدِ للهِ

الحَمْدُ للهِ بالحَمْدِ الذي زَجَلَتْ ... بِهِ المَلائِكُ أهْلُ الحَمْدِ للهِ

الحَمْدُ للهِ حَمْدَ الأنْبِيَاءِ لَهُ ... على مَقَامَاتِهَا في الحَمْدِ للهِ

الحَمْدُ للهِ بالحَمْدِ المُحِيطِ بِهِ ... مُحَمَّدُ المُتَلَقِّي الحَمْدِ للهِ

الحَمْدُ للهِ بالحَمْدِ الذي خُزِنَتْ ... أسْرَارُهُ في مُحِيطِ الحَمْدِ للهِ

الحَمْدُ للهِ حَمْدَ المُخْلِصِينَ لَهُ ... حَمْداً يُكَافِىءُ فَضْلَ الحَمْدِ للهِ

الحَمْدُ للهِ حَمْداً طَيِّباً جَلَلًا ... مُبَارَكاً فِيهِ أسْنَى الحَمْدِ للهِ

الحَمْدُ للهِ حَمْداً زَاكِياً قُدُساً ... مُسْتَوْفِياً طَيِّبَاتِ الحَمْدِ للهِ

الحَمْدُ للهِ حَمْداً لائِقاً بِجَلا ... لِ اللهِ مُسْتَوعِباً لِلحَمْدِ للهِ

الحَمْدُ للهِ حَمْداً يَسْتَمِرُّ بلا ... طَرْفٍ شَمُولًا لِجِنْسِ الحَمْدِ للهِ

الحَمْدُ للهِ مَقْرُوناً بِنِعْمَتِهِ ... حَمْداً يُطَابِقُ شَأنَ الحَمْدِ للهِ

الحَمْدُ للهِ مَوْصُولًا تَتِمُّ بِهِ ... مَرَاتِبُ الشُّكْرِ لِي والحَمْدُ للهِ

الحَمْدُ للهِ مِنِّي لا وُقُوفَ لَهُ ... دُونَ الرِّضَا وتَمَامِ الحَمْدِ للهِ

الحَمْدُ للهِ مِنِّي أسْتَزِيدُ بِهِ ... مِنْ نِعْمَةِ اللهِ حُسْنَ الحَمْدِ للهِ

الحَمْدُ للهِ مِنِّي أسْتَفِيضُ بِهِ ... مِنْ فَيْضِهِ فَيْضَ وَهْبِ الحَمْدِ للهِ

الحَمْدُ للهِ مِنِّي أسْتَمِدُّ بِهِ ... مِدَادَ أسْرَارِ سِرِّ الحَمْدِ للهِ

الحَمْدُ للهِ مِنِّي أسْتَرِدُّ بِهِ ... فَوَائِتَ الخَيرِ حَيثُ الحَمْدُ للهِ

الحَمْدُ للهِ مِنِّي أسْتَهِلُّ بِهِ ... لَطَائِفَ اللهِ لِي في الحَمْدِ للهِ

الحَمْدُ للهِ مِنِّي أسْتَدِرُّ بِهِ ... يَدَيْهِ مِنْ بَرَكَاتِ الحَمْدِ للهِ

الحَمْدُ للهِ مِنِّي أسْتَغِيثُ بِهِ ... أوْحَى الإغَاثَاتِ غَوْثُ الحَمْدِ للهِ

الحَمْدُ للهِ مِنِّي أسْتَفِزُّ بِهِ ... كَرْبِي ولا كَرْبَ عِندَ الحَمْدِ للهِ

الحَمْدُ للهِ مِنِّي أسْتَعِينُ بِهِ ... وأعْظَمُ العَونِ عَوْنُ الحَمْدِ للهِ

الحَمْدُ للهِ مِنِّي أسْتَعِيذُ بِهِ ... إن المَعَاذَ مَعَاذُ الحَمْدِ للهِ

الحَمْدُ للهِ مِنِّي أسْتَجِيرُ بِهِ ... مِنْ كُلِّ سُوءٍ يُجِيرُ الحَمْدُ للهِ

الحَمْدُ للهِ مِنِّي أَسْتَقِيلُ بِهِ ... كُلَّ الخَطَايَا وتَرْكَ الحَمْدِ للهِ

الحَمْدُ للهِ مِنِّي أَسْتَجِيزُ بِهِ ... حُسْنِي جَوَائِزُهُ بالحَمْدِ للهِ

الحَمْدُ للهِ أَسْتَكْفِي البَلاءَ بِهِ ... يُكْفَى البَلاءُ بِفَضْلِ الحَمْدِ للهِ

الحَمْدُ للهِ أَسْتَغْطِي الجَزَاءَ بِهِ ... في مَقْعَدِ الصِّدْقِ مَجْلَى الحَمْدِ للهِ

الحَمْدُ للهِ أَسْتَوْفِي التُّقَاةَ بِهِ ... أَوْفَى التُّقَاةِ وَفَاءُ الحَمْدِ للهِ

الحَمْدُ للهِ أَسْتَوْقِي الوَعِيدَ بِهِ ... لم يَشْقَ مُسْتَسْعِدٌ بالحَمْدِ للهِ

الحَمْدُ للهِ أَحْيَانِي وعَلَّمَنِي ... وسَاسَنِي وهَدَانِي الحَمْدُ للهِ

الحَمْدُ للهِ أَغْنَانِي وآثَرَنِي ... وقَامَ بِي ورَعَانِي الحَمْدُ للهِ

الحَمْدُ للهِ عَافَانِي وأَكْرَمَنِي ... وخَصَّنِي وحَبَانِي الحَمْدُ للهِ

الحَمْدُ للهِ أَعْطَانِي وخَوَّلَنِي ... وسَدَّ أَبْوابَ فَقْرِي الحَمْدُ للهِ

الحَمْدُ للهِ زَكَّانِي وسَدَّدَنِي ... وحَاطَنِي وكَفَانِي الحَمْدُ للهِ

الحَمْدُ للهِ أَوْلانِي وأَتْحَفَنِي ... في السِّرِّ والجَهْرِ نُعْمَى الحَمْدِ للهِ

الحَمْدُ للهِ آوَانِي وأَيَّدَنِي ... بِنَصْرِهِ وحَمَانِي الحَمْدُ للهِ

الحَمْدُ للهِ رَبَّانِي وبَوَّأَنِي ... مُبَوَّءاً مِنْ لَدُنْهُ الحَمْدُ للهِ

الحَمْدُ للهِ نَجَّانِي وأَنْقَذَنِي ... بِنُورِهِ مِنْ ضَلالِي الحَمْدُ للهِ

الحَمْدُ للهِ حَلَّانِي ومَيَّزَنِي ... بالعَقْلِ والعِلْمِ مِنهُ الحَمْدُ للهِ

الحَمْدُ للهِ بالإِحْسَانِ أَلْهَمَنِي ... رُشْدِي وَعَرَّفَنِيهِ الحَمْدُ للهِ

الحَمْدُ للهِ أَدْنَانِي وَأَحْسَنَ بِي ... ولَمَّ شَعْثِي وأَمْرِي الحَمْدُ للهِ

الحَمْدُ للهِ كَمْ بالحِلْمِ سَتَّرَنِي ... في مُوبِقَاتِ المَعَاصِي الحَمْدُ للهِ

الحَمْدُ للهِ كَمْ خَطْبٍ أَنُوءُ بِهِ ... مما قَضَاهُ كَفَاهُ الحَمْدُ للهِ

الحَمْدُ للهِ كَمْ نَعْمَاءَ أَسْبَغَهَا ... ولَمْ أَقُمْ بِحُقُوقِ الحَمْدِ للهِ

الحَمْدُ للهِ كَمْ سَرَّاءَ جَدَّدَهَا ... لُطْفاً ومَنّاً عَلَيَّ الحَمْدُ للهِ

الحَمْدُ للهِ كَمْ ضَرَّاءَ بَعَّدَهَا ... بِحَوْلِهِ لا بِحَوْلِي الحَمْدُ للهِ

الحَمْدُ للهِ كَمْ أَعْدَاءَ مَزَّقَهُم ... بِكَيْدِهِ لا بِكَيْدِي الحَمْدُ للهِ

الـحَـمْـدُ للهِ تَـمْـجِـيـداً لِعِـزَّتِـهِ ... وَجَـهْـدَ عَـبْـدٍ يَـبُـثُّ الـحَـمْـدَ للهِ
الـحَـمْـدُ للهِ ذي الـحَـمْـدِ الـحَـمِـيـدِ وما ... عَـسَـاهُ أَبْـلُـغُـهُ فـي الـحَـمْـدِ للهِ
الـحَـمْـدُ للهِ أَنْـعِـشْـنِـي وَصَـلِّ عـلى ... مُـحَـمَّـدٍ مَـعَ أَهْـلِ الـحَـمْـدِ للهِ

الباقية الثالثة: (في التهليل)

إِلَهِـيَ الـحَـقُّ لـم أَشْـهَـدْ سِـوَى اللهِ ... وَلا إِلَهَ عَـلَـى حَـقٍّ سِـوَى اللهِ
إِلَهِـيَ الـحَـقُّ وَحْـدَانِـيَّـةٌ سَـبَـقَـتْ ... أُلُوهَـةٌ وَجَـبَـتْ لِلوَاحِـدِ اللهِ
إِلَهِـيَ الـحَـقُّ لَيـسَ الأَمْـرُ مُـشْـتَـرَكـاً ... بَـلْ أَنْـتَ أَنْـتَ، وَجَـلَّتْ وَحْـدَةُ اللهِ
إِلَهِـيَ الـحَـقُّ لا نِـدٌّ وَلا ضُـدُدٌ ... وَلا نَـظِـيـرَ وَلا أَمْـثـالَ للهِ
إِلَهِـيَ الـحَـقُّ لا بَـدْءٌ وَلا أَمَـدٌ ... الـبَـدْءُ وَالإِنْـتِـهَـا صُـنْـعَـانِ للهِ
إِلَهِـيَ الـحَـقُّ ذاتٌ غَـايَـرَتْ عَـرَضـاً ... وَجَـوْهَـراً وَالـكَـمَـالُ الـمَـحْـضُ للهِ
إِلَهِـيَ الـحَـقُّ مُـلْكٌ لا شَـرِيـكَ بِـهِ ... حَـالَ الـشَـرِيـكُ وَحَـقَّ الـمُـلْكُ للهِ
إِلَهِـيَ الـحَـقُّ أَمْـرٌ لا تُـنَـازَعُـهُ ... الأَمْـرُ للهِ وَالـتَّـدْبِـيـرُ للهِ
إِلَهِـيَ الـحَـقُّ حُـكْـمٌ لا مَـرَدَّ لَهُ ... الـحُـكْـمُ للهِ وَالـتَّـصْـرِيـفُ للهِ
إِلَهِـيَ الـحَـقُّ عِـزٌّ قَـاهِـرٌ أَبَـداً ... وَقُـدْرَةٌ ظَـهَـرَتْ فـي صَـنْـعَـةِ اللهِ
إِلَهِـيَ الـحَـقُّ مَـجْـدٌ لا حُـسُـورَ لَهُ ... مَـجْـدُ الأُلُوهَـةِ وَالـسُّـلْـطَـانُ للهِ
إِلَهِـيَ الـحَـقُّ عِـلْمٌ لا حُـدُوثَ لَهُ ... الـشَّـيءُ فـي عَـدَمٍ وَالـعِـلْمُ للهِ
إِلَهِـيَ الـحَـقُّ إِيـجَـادٌ بِـلا سَـبَـبٍ ... وَحِـكْـمَـةٌ حَـجَـبَـتْـهَـا حَـيْـطَـةُ اللهِ
إِلَهِـيَ الـحَـقُّ قَـيُّـومِـيَّـةٌ كَـنَـفَـتْ ... خَـلِـيـقَـةٌ قَـهَـرَتْـهـا قَـبْـضَـةُ اللهِ
إِلَهِـيَ الـحَـقُّ حَـوْلٌ مَـالَـهُ حِـوَلٌ ... وَقُـوَّةٌ لا تُـسَـامَـى قُـوَّةُ اللهِ
إِلَهِـيَ الـحَـقُّ مـا قَـهْـرٌ بِـمُـغْـتَـرِضٍ ... وَلا مُـحَـالٌ بِـمَـرْهُـونٍ مِـنَ اللهِ
إِلَهِـيَ الـحَـقُّ مـا أَمْـرٌ بِـمُـلْـتَـبِـسٍ ... عـلى الـحَـقِـيـقَـةِ آيَـاتٌ مِـنَ اللهِ
إِلَهِـيَ الـحَـقُّ ذا الـشَّـأْنِ الـعَـظِـيـمِ شُـؤُو ... نُ الـحَـقِّ دَانَـتْ لِوَحْـدَانِـيَّـةِ اللهِ

إلَهِيَ الحَقُّ شَأْنٌ لا حُدُودَ لَهُ ... شَأْنُ الجَلالِ وَشَأْنُ الكِبْرِ لله

إلَهِيَ الحَقُّ فَرْدَانِيَّةٌ وَلِهَتْ ... ذُلًّا وَفَقْراً إلَيْهَا فِطْرَةُ الله

إلَهِيَ الحَقُّ ذَرَّاتُ الوُجُودِ بِهَا ... شَوَاهِدُ الصُّنْعِ وَالتَّكْوِينُ لله

إلَهِيَ الحَقُّ بالآثارِ مُبْصِرَةٌ ... مِنَ اليَقِينِ على التَّأْثِيرِ لله

إلَهِيَ الحَقُّ أَقْدَارٌ وَأَقْضِيَةٌ ... مِنْ مَصْدَرٍ وَاحِدٍ مِنْ حِكْمَةِ الله

إلَهِيَ الحَقُّ ذا الإبْدَاعُ مُنْتَظِمٌ ... على كَمَالاتِهِ مِنْ وَحْدَةِ الله

إلَهِيَ الحَقُّ لو شُورِكْتَ لاخْتَلَفَتْ ... تِلْكَ الإرَادَاتُ بَيْنَ الشِّرْكِ بالله

إلَهِيَ الحَقُّ سُلْطَانٌ بِلا غَرَضٍ ... يَقْضِي عَلَيْهِ وَجَلَّت حُجَّةُ الله

إلَهِيَ الحَقُّ مَشْرُوكُ الإرَادَةِ وَالـ ... ـمُخْتَارُ إيجَادُهُ حُكْمَانِ لله

إلَهِيَ الحَقُّ تَقْضِي ما تَشَاءُ وَلا ... يُقْضَى بِشَيءٍ مِنَ الأَشْيَا عَلَى الله

إلَهِيَ الحَقُّ ما أَوْجَدْتَ مِنْ حَدَثٍ ... إلّا عَلَيْهِ سِمَاتُ الذُّلِّ لله

إلَهِيَ الحَقُّ حَالَ الأَيْنُ مِثْلُ مَتَى ... وَالكَيْفُ وَالكَمُّ عَنْ وَصْفِيَّةِ الله[1]

إلَهِيَ الحَقُّ فَرْدٌ وَاحِدٌ أَحَدٌ ... في الذاتِ وَالفِعْلِ وَالأوصَافِ لله

إلَهِيَ الحَقُّ حَيٌّ أَوَّلٌ صَمَدٌ ... كَذاكَ كُنْتَ وَلا أَزْمَانَ لله

إلَهِيَ الحَقُّ لم تُولَدْ وَلم تَلِدِ الـ ... ـأَشْيَاءُ خَلْقٌ وَلا أَكْفَاءَ لله

إلَهِيَ الحَقُّ قَيُّومٌ بِمَا خَلَقَتْ ... يَدَاكَ حِفْظاً وَتَدْبِيراً مِنَ الله

إلَهِيَ الحَقُّ لا نَومٌ وَلا سِنَةٌ ... إنَّ النَّقائِصَ لا تُفْضِي عَلَى الله

إلَهِيَ الحَقُّ لَامُ المِلْكِ[2] جَامِعَةٌ ... ما غَادَرَتْ ثِقْلَ ذَرٍّ لَيْسَ لله

إلَهِيَ الحَقُّ أَهْلُ الكِبْرِياءِ فَمَنْ ... هُوَ الشَّفِيعُ بلا إذْنٍ مِنَ الله

---

(١) حَالَ: ترد، هنا، بمعنى حَجَز ومَنَع ـ الأين: المكان، المتى: الزمان، الكيف: حَالُ الشيء وصِفَتُه، الكَمّ: في البيت رُوحُ فلسفيّ؛ فكُلٌّ من: الأين، المتى، الكَيف والكَمّ ـ وهي من أدوات المعرفة ـ أعْجَزُ عن الإحاطة بِوَصْفِ الخالق المُكوِّن.

(٢) لامُ المِلْك: سُمِّيت لام المِلك؛ لأنك إذا قلتَ هذا لزيد عُلِمَ أنهُ مِلْكُه، تمييزاً لها عن لام القسَم ولام الإضافة وغيرهنّ من اللامات.

إلَهِيَ الحَقُّ ذا العِلْمِ المُحِيطِ وَعَنْ ... مَشِيئَةٍ ما عَلِمْناهُ مِنَ الله

إلَهِيَ الحَقُّ مَنْ كُرْسِيُّهُ وَسِعَ الـ ... سَّماءَ وَالأَرْضَ في حِفْظٍ مِنَ الله

إلَهِيَ الحَقُّ لا تَحْوِي عُلُوَّكَ أَو ... هَامٌ وَلا العِظَمُ المَنْسُوبُ لله

إلَهِيَ الحَقُّ مُلْكٌ ما لَهُ وَزَرٌ ... مَنْ مَالِكُ المُلْكِ إلّا رَحْمَةُ الله

إلَهِيَ الحَقُّ تُؤْتِيهِ وَتَنْزَعُهُ ... وَالعِزُّ وَالذُّلُّ في المَخْلُوقِ لله

إلَهِيَ الحَقُّ إيلاجُ النَّهارِ بِلَيْـ ... ـلٍ، مَنْ إلَهٌ بِهِ يَأْتِي سِوَى الله

إلَهِيَ الحَقُّ إخْرَاجُ الحَيَاةِ مِنَ الـ ... مَمَاتِ وَالعَكْسُ هَلْ إلّا إلى الله

إلَهِيَ الحَقُّ أَرْزَاقٌ بِغَيرِ حِسَا ... بٍ، مَنْ إلَهٌ يُوَفِّيهَا سِوَى الله

إلَهِيَ الحَقُّ آجَالٌ مُقَدَّرَةٌ ... هَلِ المَقَادِيرُ إلّا في يَدِ الله

إلَهِيَ الحَقُّ تَقْدِيرٌ وَتَقْدِمَةٌ ... تَجْرِي بِحُكْمِ خَفَايَا حِكْمَةِ الله

إلَهِيَ الحَقُّ أَسْبَابٌ مُسَبَّبَةٌ ... بِلا ازْدِيادٍ وَلا نَقْصٍ مِنَ الله

إلَهِيَ الحَقُّ حَاطَتْ مِنكَ هَيْمَنَةٌ ... فالسِّرُّ وَالغَيْبُ كالإعْلانِ لله

إلَهِيَ الحَقُّ مِنِّي الرُّوحُ قَائِمَةٌ ... وَالسِّرُّ وَالقَلبُ بِالتَّوْحِيدِ لله

إلَهِيَ الحَقُّ إيمَانِي وَمَعْرِفَتِي ... في عَالَمِ الذِّكْرِ إكْرَامٌ مِنَ الله

إلَهِيَ الحَقُّ أَخْلِصْنِي مُخَالَصَةً ... بِالله في الله عِنْدَ الله لله

إلَهِيَ الحَقُّ نَوِّرْنِي بِمَعْرِفَةٍ ... وَهَبْ لِيَ القُرْبَ بِالعِرْفانِ لله

إلَهِيَ الحَقُّ أَخْلِصْنِي بِاسْمِكَ مِنْ ... اسْمِي وَخُذْ بِي إلى الإخْلاصِ لله

إلَهِيَ الحَقُّ لِي نَفْسٌ عَلِمْتَ بِهَا ... أَشْكُو جِبِلَّتَهَا السُّوْءَى إلى الله[1]

إلَهِيَ الحَقُّ تَدْعُوهَا لِتُصْلِحَهَا ... فَتَنْزَوِي لِلْهَوَى عَنْ طَاعَةِ الله

إلَهِيَ الحَقُّ صَدَّتْهَا عَلائِقُهَا ... وَأَقْعَدَتْهَا طَوَايَاهَا عَنِ الله

إلَهِيَ الحَقُّ مَحْضَهَا مُقَدَّسَةً ... مِنْ كُلِّ شَائِبَةٍ تُقْصِي عَنِ الله

---

(١) السُّوءَى: نقيض الحسنى، قال أبو الغول النَّهْشَليُّ: «ولا يَجْزُوْنَ من حَسَنٍ بسُوءَى | ولا يَجْزُوْنَ من غِلَظٍ بِلِيْنِ».

إِلَهِيَ الحَقُّ لو جَدَّتْ وَلو هَزُلَتْ ... بِغيرِ حَوْلِكَ لم تَبْلُغْ إلى الله

إِلَهِيَ الحَقُّ عَزَّتْنِي سِيَاسَتُها ... إلّا إذا وَفَّقَتْنِي نَظْرَةُ الله

إِلَهِيَ الحَقُّ لي ذَنْبٌ تَعاظَمَنِي ... وَلَيسَ يَعْظُمُ مِنْ شَيءٍ عَلَى الله

إِلَهِيَ الحَقُّ وَيْلِي حَيثُ تَقْذِفُنِي ... في هُوَّةِ المَقْتِ مَطْرُوداً عَنِ الله

إِلَهِيَ الحَقُّ أَدْرِكْنِي بِمَغْفِرَةٍ ... وَرَحْمَةٍ وَأَدِمْ لِي عِصْمَةَ الله

إِلَهِيَ الحَقُّ أَسْعِدْنِي وَصَلِّ على ... مُحَمَّدٍ مَدَدِي مَعْ خِيرَةِ الله

الباقية الرابعة: (في التكبير)

اللهُ أَكْبَرُ حَقَّ الكِبْرُ لله ... وَالقَهْرُ وَالجِبْرِيَا وَالعِزُّ لله

اللهُ أَكْبَرُ ذو القَدْرِ العَلِيِّ رَفِيـ ... ـعِ المَجْدِ لا مَجْدَ إلّا وَهُوَ لله

اللهُ أَكْبَرُ أَهْلُ الكِبْرِيَاءِ عَظِيـ ... ـمُ المُلْكِ حَقِّيَّةُ الإكْبَارِ لله

اللهُ أَكْبَرُ ذو العَرْشِ المَجِيدِ مَنِيـ ... ـعُ العِزِّ لا عِزَّ إلّا وَهُوَ لله

اللهُ أَكْبَرُ ذو البَطْشِ الشَّدِيدِ عَزِيـ ... ـزٌ ذو انتِقامٍ مِنَ العَاصِينَ لله

اللهُ أَكْبَرُ رَبٌّ لا شَرِيكَ لَهُ ... وَلا ظَهِيرَ وَلا أَشْبَاهَ لله

اللهُ أَكْبَرُ عَدْلٌ قَائِمٌ مَلِكٌ ... حَقٌّ كَمَا يَجِبُ التَّكْبِيرُ لله

اللهُ أَكْبَرُ حَقاً ذو الجَلالِ وَذو الـ ... إكْرَامِ تَكْبِيرُ ذَاتِ الله لله

اللهُ أَكْبَرُ تَكْبِيراً لِعِزَّتِهِ ... كما يُحِبُّ وَيَرْضَى اللهُ لله

اللهُ أَكْبَرُ تَكْبِيراً بِمَا جَمَعَتْ ... صِفَاتُهُ مِنْ سِمَاتِ الكِبْرِ لله

اللهُ أَكْبَرُ تَكْبِيراً بِمَا سَفَرَتْ ... أَسْمَاؤُهُ مِنْ عَظِيمِ القَدْرِ لله

اللهُ أَكْبَرُ تَكْبِيراً بِمَا نَطَقَتْ ... أَفْعَالُهُ مِنْ كَمَالِ الكِبْرِ لله

اللهُ أَكْبَرُ إِيمَاناً بِوَحْدَتِهِ ... في الذَّاتِ وَالنِّسَبُ العُلْيَا إِلَى الله

اللهُ أَكْبَرُ إِعْظَاماً لِرُتْبَتِهِ ... تَعَاظَمَتْ كُلَّ شَيءٍ رُتْبَةُ الله

اللهُ أَكْبَرُ عَنْ تَكْبِيرِ صَنْعَتِهِ ... فَوْقَ العِبَارَاتِ كِبْراً عِزَّةُ الله

اللهُ أَكْبَرُ عَنْ إِطْرَاءِ مِدْحَتِنَا ... أَصْغِرْ بِإِطْرَائِنَا فِي جَانِبِ اللهِ

اللهُ أَكْبَرُ عَنْ وَهْمٍ وَعَنْ فِكَرٍ ... حَسْبُ النُّهَى دَرْكُ أَنْ لا دَرْكَ للهِ

اللهُ أَكْبَرُ عَنْ عِلْمٍ يُحِيطُ بِهِ ... العِلْمُ بِالكُنْهِ مِمَّا اخْتَصَّ باللهِ

اللهُ أَكْبَرُ عَنْ كُنْهٍ يَحِلُّ وَعَنْ ... حُلُولِ أَغْيَارِ عَيْنِ الذَّاتِ باللهِ

اللهُ أَكْبَرُ عَنْ فَقْرٍ إلى صِفَةٍ ... سِوَاهُ فِي السَّلْبِ وَالإِيجَابِ للهِ

اللهُ أَكْبَرُ عَنْ كَيْفٍ وَهَلْ وَلِمَا ... تَقَدَّسَ اللهُ لا تَعْلِيلَ للهِ

اللهُ أَكْبَرُ عَنْ حَدٍّ وَعَنْ جِهَةٍ ... وَعَنْ مُقَابَلَةِ الأَشْيَاءِ للهِ

اللهُ أَكْبَرُ عَنْ نَقْصٍ يُؤَثِّرُهُ ... دَرْكُ العُيُونِ وَدَرْكُ العَقْلِ فِي اللهِ

اللهُ أَكْبَرُ عَنْ عِلْمٍ يُجَزِّئُهُ ... تَغَايُرُ الحَدَثِ المَصْنُوعِ للهِ

اللهُ أَكْبَرُ عَنْ عِلْمٍ عَلَى حَدَثٍ ... تَرْكُ الإِرَادَةِ عَنْ عِلْمٍ مِنَ اللهِ

اللهُ أَكْبَرُ عَنْ جَهْلٍ بِذِي عَدَمٍ ... وَمُسْتَحِيلٍ تَعَالَتْ غَيْرَةُ اللهِ

اللهُ أَكْبَرُ عَنْ حَالٍ وَعَنْ غِيَرٍ ... إِنَّ البِلَى عَرَضٌ فِي مُحْدَثِ اللهِ

اللهُ أَكْبَرُ عَنْ خُلْفِ الوَعِيدِ وَعَنْ ... تَبَدُّلِ القَوْلِ فِي وَعْدٍ مِنَ اللهِ

اللهُ أَكْبَرُ عَنْ شُغْلٍ يُضَايِقُهُ ... بِشَأْنِ آخَرَ عَنْ شَأْنٍ مِنَ اللهِ

اللهُ أَكْبَرُ عَنْ أَمْرٍ يُعَارِضُهُ ... أَمْرٌ يَدُ الغُلْبِ وَالتَّنْفِيذِ للهِ

اللهُ أَكْبَرُ عَنْ فَوْتٍ لِثِقْلِ هَبَا ... ءٍ عَزَّ عَنْ حَضْرِ قَيُّومِيَّةِ اللهِ

اللهُ أَكْبَرُ عَنْ وُلْدٍ[1] وَصَاحِبَةٍ ... وَوَالِدٍ وَعَنِ التَّقْسِيمِ للهِ

اللهُ أَكْبَرُ عَنْ إِيجَابِ مُوجِبَةٍ ... ذَاتُ الوُجُوبِ وُجُوبُ الذَّاتِ للهِ

اللهُ أَكْبَرُ عَنْ فَصْلٍ وَعَنْ صِلَةٍ ... خَصَائِصُ الدَّرْكِ نَافَتْ عِزَّةَ اللهِ

اللهُ أَكْبَرُ جَدّاً أَنْ يُمَانِعَهُ ... جَدٌّ فَمَا عَزَّ ذو جَدٍّ عَلَى اللهِ

اللهُ أَكْبَرُ جَدّاً أَنْ يُقَيِّدَهُ ... فَقْرٌ لِشَيْءٍ تَعَالَتْ غُنْيَةُ اللهِ

اللهُ أَكْبَرُ جَدّاً أَنْ يُغَالَبَ فِي ... سُلْطَانِهِ بِقَضَاءٍ لَيْسَ للهِ

---

(١) وُلْد: وَلَد؛ في المثل: «وُلْدُكِ من دَمَّى عَقِبَيكِ»: أي مَنْ نُفِسْتِ به؛ فهو ابْنُكِ.

اللهُ أَكْبَرُ جَدّاً أنْ أذلَّ وَلي ... مِنْ عِزِّ تَكْبِيرِهِ حِصْنٌ مِنَ اللهِ
اللهُ أَكْبَرُ مُلْكاً أنْ أَمُدَّ إلى ... غِناهُ كَفِّي فلا أَحْظَى مِنَ اللهِ
اللهُ أَكْبَرُ وَهْباً أنْ أُقِلَّ على ... مَوَاهِبِ اللهِ وَالحُسْنَى مِنَ اللهِ
اللهُ أَكْبَرُ وُسْعاً أنْ يُضَايِقَنِي ... سُوءٌ وَأَوْسَعُ شَيءٍ رَحْمَةُ اللهِ
اللهُ أَكْبَرُ جُوداً أنْ يُحَمِّلَني ... فَقراً إلى الخَلْقِ وَالإعْطَاءُ للهِ
اللهُ أَكْبَرُ لُطفاً أنْ يُقَيِّدَني ... سُوءُ الجُدُودِ وَآفاتِي عَنْ اللهِ
اللهُ أَكْبَرُ قَهْراً أنْ تُعَبِّدَنِي ... نَفسِي لِسُلْطَانِها عَنْ خِدْمَةِ اللهِ
اللهُ أَكْبَرُ حِفظاً أنْ يُغادِرَني ... مُسْتَرْسِلًا لِلهَوَى عَنْ خَشْيَةِ اللهِ
اللهُ أَكْبَرُ إحْسَاناً وَتَرْبِيَةً ... مِنْ أنْ أُزَايِلَ طَوْراً صِبْغَةَ اللهِ
اللهُ أَكْبَرُ بِرّاً أنْ أَقُومَ لَهُ ... فلا تُبارِكُ إخْلاصِي يَدُ اللهِ
اللهُ أَكْبَرُ مَنّاً أنْ يَرَى وَلَهِي ... فأَنْثِنِي عَنْهُ مَطْرُوداً عَنِ اللهِ
اللهُ أَكْبَرُ حِلْماً أنْ يُؤاخِذَنِي ... بِمَا اقْتَرَفتُ وَقَدْ أخْلَصْتُ للهِ
اللهُ أَكْبَرُ عَفْواً أنْ يُعَذِّبَنِي ... وَقَدْ تَنَصَّلْتُ مِنْ ذَنْبِي إلى اللهِ
اللهُ أَكْبَرُ صَفْحاً أنْ أَخِرَّ لَه ... مُسْتَصْغِراً فأَرَى مَقتاً مِنَ اللهِ
اللهُ أَكْبَرُ فَضْلًا أنْ يُبَاعِدَنِي ... وَقَدْ تَدَانَيْتُ بالتَّقْوَى مِنَ اللهِ
اللهُ أَكْبَرُ مَغْرُوفاً وَفاضِلَةً ... أنْ يُوحِشَ العَبْدَ بَعْدَ الأُنْسِ باللهِ
اللهُ أَكْبَرُ تَكْرِيماً لِمُقْتَرِبٍ ... تَقَرُّبُ العَبْدِ تَقْرِيبٌ مِنَ اللهِ
اللهُ أَكْبَرُ ما أَخْفَى عَوَاطِفَهُ ... بِعَائِذٍ بَائِسٍ رَاجٍ مِنَ اللهِ
اللهُ أَكْبَرُ ما أَوْحَى إغَاثَتَهُ ... لِلمُسْتَغِيثِ مِنَ الأَسْوَاءِ باللهِ
اللهُ أَكْبَرُ ما أَدْنَى لَطَائِفَهُ ... مِنْ لاجِيءٍ في بَلاياهُ إلى اللهِ
اللهُ أَكْبَرُ ما أَوْلَى مَرَاحِمَهُ ... بِحَلِّ عُقْدَةِ مُضْطَرٍّ إلى اللهِ
اللهُ أَكْبَرُ ما أَسْنَى جَوَائِزَهُ ... لِمَادِحِ اللهِ لا يَرْجُو سِوَى اللهِ
اللهُ أَكْبَرُ ما أَجْدَى عَوَارِفَهُ ... لِبَاسِطِ القَوْلِ بالتَّمْجِيدِ للهِ
اللهُ أَكْبَرُ ما أَوْفَى مَكَارِمَهُ ... لِتَارِكِ الخَلْقِ مُعْطِي الحَقَّ للهِ

اللهُ أَكْبَرُ مـا أَحْـرَى عِـنـايَـتَـهُ ... لِمَـنْ تَـمَـسَّـكَ فـي الأَطْـوَارِ بـاللهِ
اللهُ أَكْـبَـرُ مـا أَعْـلَى أَيَـادِيَـهُ ... تَـبَـارَكَ اللهُ تَـمَّـتْ نِـعْـمَـةُ اللهِ
اللهُ أَكْـبَـرُ أَصْـلِحْـنِـي وَصَـلِّ عـلى ... مُـحَـمَّـدٍ وَأَجِـزْنِـي الـحُـبَّ بـاللهِ

المَسائيَّـات

الباقية الأولى: (في التسبيح)

سُـبـحَـانَ رَبِّـيَ رَبِّ الـعِـزَّةِ اللهِ ... عَـنْ كُـلِّ مـا غَـايَـرَتْـهُ رُتْـبَـةُ اللهِ
سُبحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَى المَالِك المَلِكِ الـ ... ـقُـدُّوسِ أَعْـدَادَ مَـعْـلُومِـيَّـةِ اللهِ
سُبحَانَ رَبِّي العَظِيمِ الوَاحِدِ الأَحَدِ الـ ... ـرَّبِّ الـجَـلِيـلِ الـعَـلِيِّ الـقَـائِمِ اللهِ
سُبحَانَ رَبِّي الحَلِيمِ الغَافِرِ الصَّمَدِ الـ ... ـمُحْيِي المُمِيتِ القَوِيِّ القَادِرِ اللهِ
سُبحَانَ رَبِّيَ غَفَّارِ الذُّنُوبِ وَسَتَّـ ... ـارِ الـعُـيُـوبِ الـرَّؤُوفِ الـرَّاحِـمِ اللهِ
سُبحَانَ رَبِّي الكَرِيمِ البَاسِطِ النِّعَمِ الـ ... ـبَرِّ الرَّحِـيـمِ الـكَـفِـيـلِ الـوَاجِـدِ اللهِ
سُبحَانَ رَبِّي اللطِيفِ المُوْسِعِ المِنَنِ الـ ... ـكَافِي الحَفِيِّ المُقِيتِ المُحْسِنِ اللهِ
سُبحَانَ رَبِّي البَدِيعِ المُتْقِنِ الفِطَرِ الـ ... ـحَيِّ الـحَـكِـيـمِ الـعَـلِـيـمِ الـوَاسِـعِ اللهِ
سُبحَانَ رَبِّي العَزِيزِ القَاهِرِ المُتَعَا ... لِي الغَالِبِ المُسْتَعَانِ النَّاصِرِ اللهِ
سُبحَانَ رَبِّي المَجِيدِ المَاجِدِ المُتو ... لِّي المُسْتَجَارِ الوَلِيِّ المُقْسِطِ اللهِ
سُبحَانَ رَبِّيَ قَيُّومِ الخَلائِقِ فَتَّـ ... ـاحِ المَضَائِقِ مُحْصِي الحَادِثِ اللهِ
سُبحَانَ رَبِّيَ وَهَّابِ المَوَاهِبِ رَزَّ ... اقِ البَرَايَا بِلا حَقٍّ عَلى اللهِ
سُبحَانَ رَبِّيَ جَبَّارِ الكَسِيرِ رَحِيـ ... ـمِ البَائِسِينَ عَظِيمِ المِنَّةِ اللهِ
سُبحَانَ رَبِّيَ رَحْمَنِ البَرِيَّةِ غَفَّـ ... ـارِ الخَطِيئَةِ رَبِّ النِّعْمَةِ اللهِ
سُبحَانَ رَبِّي المُبِينِ النُّورِ عَالِمِ ما ... تُخْفِي وَتُعْلِنُ هَادِي الفِطْرَةِ اللهِ
سُبحَانَ رَبِّي البَصِيرِ المُدْرِكِ الحَرَكا ... تِ وَالسُّكُونِ السَّمِيعِ الشَّاهِدِ اللهِ
سُبحَانَ رَبِّيَ عَلَّامِ الغُيُوبِ رَقِيـ ... ـبِ الكَائِناتِ المُحِيطِ الفَاطِرِ اللهِ

سُبحَانَ رَبِّيَ مُعْطِي الخَيْرِ فَاتِحِهِ ... لا أَعْرِفُ الخَيرَ إلّا مِنْ يَدِ اللهِ
سُبحَانَ رَبِّي الشَّهِيدِ المُبدِيءِ الفِطَرِ الـ ... ـمُعِيدِ بَاعِثِ أَهْلِ المَحْشَرِ اللهِ
سُبحَانَ رَبِّي الحَمِيدِ الوَاهِبِ المَدَدِ الـ ... ـمُغْنِي الغَنِيِّ الوَهُوبِ المُنْعِمِ اللهِ
سُبحَانَ رَبِّي الوَدُودِ الفَاتِحِ الخَيرِ الـ ... ـبَرِّ المُبِرِّ الوَصُولِ المُجْمِلِ اللهِ
سُبحَانَ رَبِّي غَفُورِ السَّيئَاتِ مُجِـ ... ـبِّ التَائِبِينَ العَفُوِّ السَّاتِرِ اللهِ
سُبحَانَ رَبِّي مُعِزِّ المُؤمِنِينَ مُذِلِّ الكَافِرِينَ القَدِيرِ القَابِضِ اللهِ
سُبحَانَ رَبِّي النَّصِيرِ المَانِعِ المُتَدَا ... ـنِي في الجَلالِ الحَفِيظِ المُؤمِنِ اللهِ
سُبحَانَ رَبِّي سَرِيعِ الانْتِقَامِ شَدِيـ ... ـدِ البَطْشِ بالمُعْتَدِينَ القَاصِمِ اللهِ
سُبحَانَ رَبِّي المُقِيتِ الخَلْقِ قَاسِمِ مِقْـ ... ـدَارِ المَعِيشَةِ وِفْقَ الحِكْمَةِ اللهِ
سُبحَانَ رَبِّي الجَلِيلِ ذِي الجَلالِ وَذِي الـ ... ـإِكْرَامِ حَسْبِي الشَّكُورِ الشَّاكِرِ اللهِ
سُبحَانَ رَبِّي الرَّشِيدِ المُرْشِدِ المُتَأَ ... ـنِّي بِالعِبَادِ الصَّبُورِ العَاصِمِ اللهِ
سُبحَانَ رَبِّي إلَهِي سَيِّدِي أَمَلِي الـ ... ـثَّوَّابِ ذِي اللطْفِ في مِقْدَارِهِ اللهِ
سُبحَانَ رَبِّي المَتِينِ الحَقِّ مُبدِعِ آ ... ـياتِ العَجَائِبِ مُؤْتِي البَسْطَةِ اللهِ
سُبحَانَ رَبِّي الرَّفِيعِ المَجْدِ وَالدَّرَجَا ... تِ الخَافِضِ الرَّافِعِ الأحبابِ اللهِ
سُبحَانَ رَبِّيَ مُغْنِي الكَوْنِ وَارِثِهِ ... لَهُ البَقَاءُ وَلا بَاقٍ سِوَى اللهِ
سُبحَانَ رَبِّيَ يَقْضِي ما يَشاءُ بِفَضْـ ... ـلٍ أو بِعَدْلٍ ولا يُقْضَى على اللهِ
سُبحَانَ رَبِّي القَدِيمِ الأوَّلِ الأَزَلِـ ... ـيِّ الآخِرِ الأَبَدِيِّ المُوجِدِ اللهِ
سُبحَانَ رَبِّي الوَكِيلِ الظَّاهِرِ المُتَجَـ ... ـلِّي البَاطِنِ المُسْتَمَدِّ الكَاشِفِ اللهِ
سُبحَانَ رَبِّيَ خَلّاقِي المُقَدِّمِ مَنْ ... شَاءَ المُؤخِّرِ في أَحْكَامِهِ اللهِ
سُبحَانَ رَبِّي الحَسِيبِ القَيِّمِ المُتَكَـ ... ـبِّرِ المُهَيْمِنِ غَلَّابِ القُوَى اللهِ
سُبحَانَ رَبِّيَ ذِي الحَبْلِ الشَّدِيدِ وَذِي الـ ... ـأَمْرِ الرَّشِيدِ المُقِيتِ المُكْرِمِ اللهِ
سُبحَانَ مَنْ لَبِسَ العِزَّ الحَفِيَّ بِهِ ... وَقَالَ بِالعِزِّ في سُلْطَانِهِ اللهِ
سُبحَانَ رَبِّي خُضُوعاً مَنْ تَعَطَّفَ بالـ ... ـمَجْدِ العَظِيمِ وَكُلُّ المَجْدِ للهِ
سُبحَانَ مَنْ قَهَرَ الأَكْوَانَ هَيْبَتُهُ ... تَسْبِيحَ مَنْ لا يَرَى حَقاً سِوَى اللهِ

سُبحَانَ مَنْ تُعْجِزُ المَخْلُوقَ سُبْحَتُهُ ... ما أَعْجَزَ المُنْتهَى عَنْ سُبْحَةِ اللهِ

سُبحَانَ مَنْ بِيَدَيهِ المُلْكُ وَالمَلَكُو ... تُ الجَامِعُ الناسِ يَومَ المَحْشَرِ اللهِ

سُبحَانَ مَنْ فَاتَتِ الإحْصَاءَ نِعْمَتُهُ ... والشُّكْرَ مِنْ شَاكِرٍ مِنْ أَنْعُمِ اللهِ

سُبحَانَ مَنْ قَدَّرَ المَوجُودَ مُبْتَدِئاً ... بلا مِثَالٍ خَلا مِمَّنْ سِوَى اللهِ

سُبحَانَ مَنْ عَظُمَتْ جَدّاً مَوَاهِبُهُ ... بِقِسْمَةٍ قَدَّرَتْها حِكْمَةُ اللهِ

سُبحَانَ مَنْ قَامَ بالحُسْنَى وَجَدَّدَها ... تَكَرُّماً وَبِها وَعْدٌ مِنَ اللهِ

سُبحَانَ مَنْ فَرَضَ الإحْسَانَ كَيْ يَهَبَ الـ ... إحْسَانَ وَالكُلُّ إحْسَانٌ مِنْ اللهِ

سُبحَانَ مَنْ أَثَّرَ الآثارَ مُتَّصِفاً ... فيها بِنُورٍ تَجَلَّى الظَّاهِرُ اللهِ

سُبحَانَ مَنْ بَصَّرَ الألْبابَ فانْكَشَفَتْ ... لَها حَقِيقَةُ حَقِّ البَاطِنِ اللهِ

سُبحَانَ مَنْ فَاضَ مِنْهُ النُّورُ فامْتَزَجَتْ ... بِنُورِهِ أَنْفُسُ الأَحْبابِ للهِ

سُبحَانَ مَنْ فَاضَ مِنْهُ الفَيْضُ فامْتَلأَتْ ... بِهِ القُلُوبُ هُدًى مِنْ صَفْوَةِ اللهِ

سُبحَانَ مَنْ ذِكْرُهُ عِزٌّ وَطَاعَتُهُ ... فَوْزٌ وَشِرْعَتُهُ نُورٌ مِنَ اللهِ

سُبحَانَ مَنْ حُبُّهُ ما فَوْقَهُ شَرَفٌ ... فَازَ المُحِبُّونَ بِالزُّلْفَى إلى اللهِ

سُبحَانَ مَنْ مَلأَتْ قَلْبِي مَحَاسِنُهُ ... شَوقاً وَذَوقاً وَتَوْلِيهاً إلى اللهِ

سُبحَانَ مَنْ مَلأَتْ نَفْسِي مَخَافَتُهُ ... ناراً تَذُوبُ بِهَا مِنْ خَشْيَةِ اللهِ

سُبحَانَ مَنْ رَوَّحَتْ رُوحِي بَشَائِرُهُ ... بِمُسْتَهِلِّ الرَّجَا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ

سُبحَانَ مَنْ أَوْرَدَ الأَرْوَاحَ أَبْحُرَهُ ... وَهَيَّمَ الأَنْفُسَ الوَلْهَى إلى اللهِ

سُبحَانَ مَنْ خَصَّ بالعِرْفانِ طَائِفَةً ... أَفْنَتْهُمُ كَلِمَاتُ اللهِ في اللهِ

سُبحَانَ مَنْ سَاقَ لِلْيُسْرَى لِمَا خُلِقَتْ ... لَهُ النُّفُوسُ وَسِرُّ الأَمْرِ للهِ

سُبحَانَ مَنْ جَنَّبَ العُسْرَى وَيَسَّرَ لِلـ ... ـيُسْرَى وَأَعْطَى الهُدَى جُوداً مِنَ اللهِ

سُبحَانَ مَنْ جَعَلَ التَّسْبِيحَ مُزْدَلَفاً ... مَنْ سَبَّحَ اللهَ لم يَبْعُدْ مِنَ اللهِ

سُبحَانَ مَنْ جَعَلَ التَّوْحِيدَ جُنَّتَنا ... مَنْ وَحَّدَ اللهَ حَقاً فَازَ باللهِ

سُبْحَانَ سُبحَانَ رَبِّي رَبٌّ صَلِّ على ... مُحَمَّدٍ وَبِهِ امْدُدْنِي مِنَ اللهِ

الباقية الثانية: (في التحميد)

الحَمْدُ للهِ حَقُّ الحَمْدِ للهِ ... بما يَقُومُ بِحَقِّ الحَمْدِ للهِ

الحَمْدُ للهِ حَمْداً طَيِّباً جَلَلا ... مُبَارَكاً فِيهِ وِفْقَ الحَمْدِ للهِ

الحَمْدُ للهِ حَمْداً لا نَظِيرَ لَهُ ... ولا كِفاءَ لِعُظْمِ الحَمْدِ للهِ

الحَمْدُ للهِ حَمْداً لا يُقامُ بِهِ ... مَنْ ذا يَقُومُ بِحَقِّ الحَمْدِ للهِ

الحَمْدُ للهِ حَمْداً لا يُماثِلُهُ ... حَمْدٌ ولا حَمْدَ مِثْلُ الحَمْدِ للهِ

الحَمْدُ للهِ حَمْداً لا يُعادِلُهُ ... حَمْدٌ وَأَيْنَ عَدِيلُ الحَمْدِ للهِ

الحَمْدُ للهِ حَمْداً ظاهِراً أَبَداً ... كما يَكُونُ لِحَقِّ الحَمْدِ للهِ

الحَمْدُ للهِ حَمْداً كُفْءَ نِعْمَتِهِ ... كما يَحِقُّ لِفَرْضِ الحَمْدِ للهِ

الحَمْدُ للهِ حَمْداً فَوقَ وَاجِبِهِ ... وَضِعْفَ أَضْعَافِ عَينِ الحَمْدِ للهِ

الحَمْدُ للهِ حَمْداً فَوقَ مَقْدِرَتِي ... وَلَيْسَ يُقْدَرُ قَدْرُ الحَمْدِ للهِ

الحَمْدُ للهِ حَمْداً لائقاً بِكَمَا ... لِ اللهِ حَسْبَ كَمَالِ الحَمْدِ للهِ

الحَمْدُ للهِ حَمْداً لائقاً بِجَلا ... لِ اللهِ فَوقَ رِضَاهُ الحَمْدُ للهِ

الحَمْدُ للهِ حَمْداً لائقاً بِجَما ... لِ اللهِ مِنْهُ إِلَيْهِ الحَمْدُ للهِ

الحَمْدُ للهِ حَمْداً لائقاً بِشُؤ ... نِ اللهِ مِنْهُ إِلَيْهِ الحَمْدُ للهِ

الحَمْدُ للهِ حَمْداً لائقاً بِصِفا ... تِ اللهِ وَهُوَ مَقامُ الحَمْدِ للهِ

الحَمْدُ للهِ حَمْداً لائقاً بِأَسَا ... مِي اللهِ أَنَّى تَجَلَّى الحَمْدُ للهِ

الحَمْدُ للهِ حَمْدَ الذاتِ مِنْهُ لَهُ ... حَمْداً يُعَادِلُ كُنْهَ الحَمْدِ للهِ

الحَمْدُ للهِ حَمْداً لا نَفادَ لَهُ ... يَفْنَى الوُجودُ وَيَبْقى الحَمْدُ للهِ

الحَمْدُ للهِ حَمْداً ليسَ يَحْصُرُهُ ... حَدٌّ ولا حَدَّ يَحْوِي الحَمْدَ للهِ

الحَمْدُ للهِ حَمْداً لا يُحِيطُ بِهِ ... عَدٌّ تَنَزَّهَ عَنْهُ الحَمْدُ للهِ

الحَمْدُ للهِ حَمْداً لا يُقامُ بِهِ ... كَيفَ القِيامُ بِحَقِّ الحَمْدِ للهِ

الحَمْدُ للهِ حَمْداً يَرْتَضِيهِ لَهُ ... حَمْداً يُحَقِّقُ حَقَّ الحَمْدِ للهِ

الحَمْدُ للهِ مَحْمُوداً بلا سَبَبِ ... قَضَتْ أُلوهَتُهُ بالحَمْدِ للهِ
الحَمْدُ للهِ حَمْداً زَاكِياً وَجَبَتْ ... بِهِ قَضَاءُ حُقُوقِ الحَمْدِ للهِ
الحَمْدُ للهِ لا تُقْضَى حَقِيقَتُهُ ... إذ كُلُّ حَمْدٍ قَضَى بالحَمْدِ للهِ
الحَمْدُ للهِ قَيُّوماً بِفِطْرَتِهِ ... وَكُلُّهَا شَاهِدٌ بالحَمْدِ للهِ
الحَمْدُ للهِ حَمْداً باقِياً فَلَهُ ... حَسْبَ البَقاءِ بَقاءُ الحَمْدِ للهِ
الحَمْدُ للهِ فَتَّاحِ المَوَاهِبِ وَهَّـ ... ـابِ الفُتُوحِ بِسِرِّ الحَمْدِ للهِ
الحَمْدُ للهِ خَيرِ الرَّازِقِينَ مُقِيـ ... ـتِ العَالَمِينَ كِفاءَ الحَمْدِ للهِ
الحَمْدُ للهِ خَيرِ النَّاصِرِينَ وَخَيـ ... ـرِ الفَاتِحِينَ الكَرِيمِ الحَمْدُ للهِ
الحَمْدُ للهِ خَيرِ الرَّاحِمِينَ وَخَيـ ... ـرِ الغَافِرِينَ الحَلِيمِ الحَمْدُ للهِ
الحَمْدُ للهِ بَرأً مُحْسِناً صَمَداً ... أعْطَى وَأغْنَى وَأَقْنَى الحَمْدُ للهِ
الحَمْدُ للهِ رَزَّاقِ العِبادِ لَطِيـ ... ـفاً بالعِبادِ الرَّحِيمِ الحَمْدُ للهِ
الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ جَمِيـ ... ـلِ الصُّنْعِ مُولِي العَطَايا الحَمْدُ للهِ
الحَمْدُ للهِ أَهْلِ الجُودِ كُلُّ يَدٍ ... وَنِعْمَةٍ هِيَ مِنهُ الحَمْدُ للهِ
الحَمْدُ للهِ مَحْمُودِ الفِعالِ حَمِيـ ... ـدِ الذاتِ وَالوَصْفِ أَسْنى الحَمْدِ للهِ
الحَمْدُ للهِ أَهْلِ الحَمْدِ ما حَمِدَتْ ... ذاتٌ بِحَقٍّ سِواهُ الحَمْدُ للهِ
الحَمْدُ للهِ لا تُحْصَى مَحَامِدُهُ ... لم يَأْتِ خَلْقٌ بِحَقِّ الحَمْدِ للهِ
الحَمْدُ للهِ إخلاصاً أُحَقِّقُهُ ... لِوَجْهِ رَبِّيَ الأَعْلَى الحَمْدُ للهِ
الحَمْدُ للهِ مَرْضَاةً أُجَرِّدُها ... لِحَقِّهِ مِنْ شُؤُونِي الحَمْدُ للهِ
الحَمْدُ للهِ إيماناً بِوَحْدَتِهِ ... وَوَعْدِهِ وَالوَعِيدِ الحَمْدُ للهِ
الحَمْدُ للهِ شُكْراً وَافِراً وَيَقِيـ ... ـناً بالمَزِيدِ عَلَيهِ الحَمْدُ للهِ
الحَمْدُ للهِ طَوْعَ المُخْلِصِينَ لَهُ ... في الحَمْدِ وَالشُّكْرِ أَعْلَى الحَمْدِ للهِ
الحَمْدُ للهِ إقراراً وَمَعْرِفَةً ... بالعَجْزِ بي عَنْ أَدَاءِ الحَمْدِ للهِ
الحَمْدُ للهِ عِرْفاناً بِعِزَّتِهِ ... وَذِلَّتِي وَافْتِقاري الحَمْدُ للهِ
الحَمْدُ للهِ إذعاناً لِرُتْبَتِهِ ... وَجْهُ ابْتِهَالِي إلَيهِ الحَمْدُ للهِ

الحَمْدُ للهِ مِنْ حَقِّ الثَّنَاءِ لَهُ ... إِدْرَاكُ عَجْزِيَ عَنْهُ الحَمْدُ للهِ

الحَمْدُ للهِ قَدْ أَبْصَرْتُ حُجَّتَهُ ... بِنُورِهِ وَهُدَاهُ الحَمْدُ للهِ

الحَمْدُ للهِ حَمْداً حَيْثُ عَرَّفَنِي ... مَرَاتِبِي وَمَقَامِي الحَمْدُ للهِ

الحَمْدُ للهِ فِي عُسْرٍ وَمَيْسَرَةٍ ... أَقَامَنِي فِي مَقَامِ الحَمْدِ للهِ

الحَمْدُ للهِ فِيمَا اخْتَارَ مِنْ خِيَرٍ ... رَضِيتُ خِيرَتَهُ وَالحَمْدُ للهِ

الحَمْدُ للهِ فِي تَدْبِيرِ مَصْلَحَتِي ... وَلَوْ بِضِدِّ اخْتِيَارِي الحَمْدُ للهِ

الحَمْدُ للهِ فِي تَجْدِيدِ نِعْمَتِهِ ... مَنّاً وَطَوْلاً عَلَيَّ الحَمْدُ للهِ

الحَمْدُ للهِ فِي ضَرَّاءَ كَشَّفَهَا ... وَكُرْبَةٍ قَدْ جَلاهَا الحَمْدُ للهِ

الحَمْدُ للهِ كَم أَهْفُو فَيُوسِعُنِي ... حِلماً وَيَصْفَحُ عَنِّي الحَمْدُ للهِ

الحَمْدُ للهِ فِي خَوْفِي أَمِنْتُ بِهِ ... وَفِي رَجَائِي حَبَانِي الحَمْدَ للهِ

الحَمْدُ للهِ أَغْنَانِي جَوَائِزُهُ ... بِالافْتِقَارِ إِلَيهِ الحَمْدُ للهِ

الحَمْدُ للهِ كَم أَكْدَى فَيُنْعِشُنِي ... وَحْياً بِرَحْمَتِهِ وَالحَمْدُ للهِ

الحَمْدُ للهِ كَم مِنْ عُقْدَةٍ لَزِبَتْ ... فَحَلَّهَا لُطْفُهُ وَالحَمْدُ للهِ

الحَمْدُ للهِ آوَانِي وَأَيَّدَنِي ... بِنَصْرِهِ وَكَفَانِي الحَمْدُ للهِ

الحَمْدُ للهِ أَغْنَانِي وَبَوَّأَنِي ... مُبَوَّءاً حَسَناً وَالحَمْدُ للهِ

الحَمْدُ للهِ سَوَّانِي وَفَضَّلَنِي ... عَلى كَثِيرٍ غِنىً وَالحَمْدُ للهِ

الحَمْدُ للهِ أَعْطَانِي وَنَوَّرَنِي ... مِنْ عِلْمِهِ وَهَدَانِي الحَمْدُ للهِ

الحَمْدُ للهِ أَوْلانِي اليَقِينَ بِهِ ... فِي العُسْرِ وَاليُسْرِ مِنهُ الحَمْدُ للهِ

الحَمْدُ للهِ كَم فَتْحٍ وَخَاتِمَةٍ ... مِنْ وَهْبِهِ سَاقَهُ لِي الحَمْدُ للهِ

الحَمْدُ للهِ أَسْعِدْنِي وَصَلِّ عَلى ... مُحَمَّدٍ مَنْ هَدَى لِلحَمْدِ للهِ

الباقية الثالثة: (في التهليل)

بِسْمِ الإِلَهِ إِلَهِي الحَقِّ بِاللهِ ... للهِ فِي اللهِ إِخْلاصِي إِلَى اللهِ

إِلَهِيَ الحَقَّ لَم أَشْهَدْ سِوَاكَ ولا ... إِلَهَ بِالحَقِّ غَيرُ الوَاحِدِ اللهِ

إلَهِيَ الحَقَّ قَدْ أسْلَمتُ وَجْهِيَ لا ... إلَهَ غَيْرُكَ إذْعاناً إلى اللهِ
إلَهِيَ الحَقَّ قَدْ وَجَّهتُ وَجْهِيَ لا ... إلَهَ غَيْرُكَ إخْباتاً إلى اللهِ
إلَهِيَ الحَقَّ إيماناً خَضَعْتُ بِهِ ... إنَّ الأُلوهَةَ وَالسُّلطانَ للهِ
إلَهِيَ الحَقَّ وَحْدَانِيَّةٌ سَطَعَتْ ... أنْوَارُ شاهِدِهَا فِي فِطْرَةِ اللهِ
إلَهِيَ الحَقَّ بُرْهَانُ الأُلوهَةِ مَعْـ ... ـلُومُ الثُّبُوتِ لِذاتِ الوَاجِبِ اللهِ
إلَهِيَ الحَقَّ ذرَّاتُ الوُجُودِ وَنَصْـ ... ـرِيفُ الأمُورِ أبَانَتْ حُجَّةَ اللهِ
إلَهِيَ الحَقَّ عَيْنُ الكَوْنِ مُبْصِرَةٌ ... حَقِيقَةَ الأمْرِ إنَّ الأمْرَ للهِ
إلَهِيَ الحَقَّ هذا الكَوْنُ مُنْتَظِمٌ ... قَاضٍ بِأنَّ يَدَ الإبْدَاعِ للهِ
إلَهِيَ الحَقَّ رَبَّانِيَّةٌ وَجَبَتْ ... قَامَ الوُجُودُ بِرَبَّانِيَّةِ اللهِ
إلَهِيَ الحَقَّ رَبَّانِيَّةٌ قَهَرَتْ ... القَهْرُ للهِ وَالتَّذْبِيرُ للهِ
إلَهِيَ الحَقَّ رَبَّانِيَّةٌ ظَهَرَتْ ... لا شَكَّ فِي اللهِ جَلَّتْ عِزَّةُ اللهِ
إلَهِيَ الحَقَّ أمْجَادُ الأُلوهَةِ وَالـ ... ـفَرْدِيَّةُ المَحْضُ حَقُّ المَالِكِ اللهِ
إلَهِيَ الحَقَّ عِزُّ المُلْكِ حَقُّكَ لا ... شَرِيكَ، لا ضِدَّ لا أنْدَادَ للهِ
إلَهِيَ الحَقَّ ذا الوَصْفِ القَدِيمِ وَإيـ ... ـجَابِي وَسَلْبِيَ إنْعَامٌ مِنَ اللهِ
إلَهِيَ الحَقَّ نَفْيِي مَا نَفيتَ وَإثْـ ... ـباتِي لِمَا أثْبَتَّهُ كِلْمَةُ اللهِ
إلَهِيَ الحَقَّ أنْفِي كُلَّ مَا عَبَدُوا ... شِرْكاً، وَأُثْبِتُ حَقَّ اللهِ للهِ
إلَهِيَ الحَقَّ مَعْبُودِي اعْتَرَفْتُ لَهُ ... بِوَاجِبَاتِ اعْتِرَافِ العَبْدِ للهِ
إلَهِيَ الحَقَّ تَوْحِيدٌ وَلِهْتُ بِهِ ... لِوَجْهِهِ كَمُرَادِ اللهِ للهِ
إلَهِيَ الحَقَّ تَطْوِيرُ العِبادِ وَتَدْ ... بِيرُ الأمُورِ اقْتَضَتْهُ حِكْمَةُ اللهِ
إلَهِيَ الحَقَّ تَنْوِيرُ العُقُولِ وَإلْـ ... ـهَامُ النُّفوسِ دَلالاتٌ على اللهِ
إلَهِيَ الحَقَّ ضَلَّتْ بَعْدَما عَلِمَتْ ... لِسَابِقِ العِلْمِ أَلْبَابٌ عَنِ اللهِ
إلَهِيَ الحَقَّ لم يَعْرِفْكَ مُفْتَتِنٌ ... بِالاخْتِيارِ عَنِ التَّفْوِيضِ للهِ
إلَهِيَ الحَقَّ مَنْ يَعْرِفْكَ لم يَرَ مَو ... جُوداً وَلا اسْماً لِمَوْجُودٍ سِوَى اللهِ
إلَهِيَ الحَقَّ ما فِي الكَوْنِ ذو أثَرٍ ... لِذاتِهِ إنَّمَا التَّأْثِيرُ للهِ

إلَهِيَ الحَقَّ أَبْطَنْتَ الحَقِيقةَ في الـ ... ـتَّجَلِّيَاتِ على مَصْنُوعَةِ اللهِ
إلَهِيَ الحَقَّ غَيْبٌ بَاطِنٌ وَتَجَـ ... ـلٍّ ظَاهِرٌ صِفَتا ذاتِيَّةِ اللهِ
إلَهِيَ الحَقَّ ما غَيْبٌ بِمُنْكَشِفٍ ... وَلا ظُهُورٌ بِغَيْرِ الاسْمِ للهِ
إلَهِيَ الحَقَّ عَجْزُ الحَادِثاتِ عَنِ الـ ... ـإدْرَاكِ دَرْكٌ وَدَرْكُ اللهِ للهِ
إلَهِيَ الحَقَّ ما ظَنُّوا وَما وَهِمُوا ... مِنَ النَّقائِصِ مَنْفِيٌّ عَنِ اللهِ
إلَهِيَ الحَقَّ ما أَوْجَدْتَنِي عَبَثاً ... قَضَتْ بِإِيْجَادِ نَفْسِي حِكْمَةُ اللهِ
إلَهِيَ الحَقَّ إذ سَوَّيْتَنِي بَشَراً ... نَصَبْتَ لي عَلَماً يَهْدِي إلى اللهِ
إلَهِيَ الحَقَّ إنْ ضَلَّ البَصِيرُ فباخْـ ... ـتِيارِهِ وَعَلَيْهِ حُجَّةُ اللهِ
إلَهِيَ الحَقَّ لم تُجْبِرْ عَلَى عَمَلٍ ... ولا غَلَبْتَ عَلَى مَكْرُوهَةِ اللهِ
إلَهِيَ الحَقَّ كَسْبٌ أَنْتَ خَالِقُهُ ... وَلا اعْتِرَاضَ لِمَخْلُوقٍ عَلَى اللهِ
إلَهِيَ الحَقَّ لم تَأْخُذْ بِلا حُجَجٍ ... أَخْذٌ بِعَدْلٍ عَلَى عِلْمٍ مِنَ اللهِ
إلَهِيَ الحَقَّ ما في المُلْكِ مَظْلَمَةٌ ... فِعْلٌ وَتَرْكٌ عَلَى قِسْطٍ مِنَ اللهِ
إلَهِيَ الحَقَّ أَنْتَ اللهُ أَنْتَ وَلا ... إلَهَ غَيْرُكَ قَدْ أَخْلَصْتُ للهِ
إلَهِيَ الحَقَّ أَنْتَ اللهُ أَنْتَ فَأَخْـ ... ـلِصْنِي بِخالِصَةٍ في طَاعَةِ اللهِ
إلَهِيَ الحَقَّ أَنْتَ اللهُ أَنْتَ فَخَـ ... ـلِّصْ مِنْ كَمائِنِها نَفْسِي إلى اللهِ
إلَهِيَ الحَقَّ أَشْغِلْنِي بِحُبِّكَ عَنْ ... عَلائِقِي إنَّها حُجُبٌ عَنِ اللهِ
إلَهِيَ الحَقَّ أَنْتَ اللهُ أَنْتَ فَقِـ ... ـدِّسْنِي بِذِكْرِكَ عَنْ ذِكْرِي سِوَى اللهِ
إلَهِيَ الحَقَّ أَنْتَ اللهُ أَنْتَ فَبَا ... رِكْنِي سَعِيداً وَأَوْصِلْنِي إلى اللهِ
إلَهِيَ الحَقَّ أَنْتَ اللهُ أَنْتَ فَقَـ ... ـرِّبْنِي نَجِياً وَهَبْ لِي نَظْرَةَ اللهِ
إلَهِيَ الحَقَّ أَنْتَ اللهُ أَنْتَ فَهَبْ ... لي مِنْ لَدُنكَ فُتُوحَ العِلْمِ باللهِ
إلَهِيَ الحَقَّ أَنْتَ اللهُ أَنْتَ فَنَـ ... ـوِّرْنِي بِأَنْوَارِ نُورَانِيَّةِ اللهِ
إلَهِيَ الحَقَّ أَنْتَ اللهُ أَنْتَ عَظِيـ ... ـمُ المَجْدِ مَجِّدْ مَقامِي باسْمِكَ اللهِ
إلَهِيَ الحَقَّ أَنْتَ اللهُ أَنْتَ تَدَا ... رَاكْنِي بِلُطْفٍ وَإِمْدَادٍ مِنَ اللهِ
إلَهِيَ الحَقَّ أَنْتَ اللهُ أَنْتَ وَقَدْ ... جَدَّ البَلاءُ فَأَرْسِلْ نَفْحَةَ اللهِ

إلَهِيَ الحَقَّ شَدَّ الكَرْبُ وَاتَّسَعَتْ ... ضَرُورَتِي لَقِّنِي رَوْحاً مِنَ اللهِ

إلَهِيَ الحَقَّ لا أَخْشَى البَلِيَّةَ في ... دِينٍ وَدُنْيا وَحِصْنِي عِصْمَةُ اللهِ

إلَهِيَ الحَقَّ مَنْ تَعْصِمْهُ قَارَنَهُ ... جَدٌّ وَنُورٌ وَإِعْزازٌ مِنَ اللهِ

إلَهِيَ الحَقَّ حَبْلُ اللهِ مُعْتَصَمِي ... وَطَوْدُ تَوْحِيدِ قَلْبِي وَحْدَةُ اللهِ

إلَهِيَ الحَقَّ تَوْحِيدِي لِذاتِكَ لا ... أَبْغِي بِهِ عَرَضاً يُلْهِي عَنِ اللهِ

إلَهِيَ الحَقَّ تَنْزِيهِي صِفاتِكَ وَالـ ... أَسْمَاءِ أَبْغِي بِهِ الزُّلْفى مِنَ اللهِ

إلَهِيَ الحَقَّ مِنْ حَقِّ الأُلُوهَةِ تَنْـ ... ـزِيهٌ عَلَى غَيرِ حَرْفٍ لَيسَ للهِ

إلَهِيَ الحَقَّ عَرْضُ العَبْدِ فَاقَتَهُ ... عَلَيْكَ مِنْ وَاجِباتِ العَبْدِ للهِ

إلَهِيَ الحَقَّ قَدَّرْتَ الخَصَاصَةَ بي ... أَرْجُو لَهَا يَا إلَهِي مِنَّةَ اللهِ

إلَهِيَ الحَقَّ ما جَدِّي وَمَكْسَبَتِي ... إلّا إذا أَكْسَبَتْنِي نِعْمَةَ اللهِ

إلَهِيَ الحَقَّ أَوْقَرْتُ الذُّنُوبَ وَقَدْ ... أَوْفى اللقاءُ وَحَشْوِي خَشْيَةُ اللهِ

إلَهِيَ الحَقَّ صِلْنِي بالنَّجَاةِ وَغُفْـ ... ـرانِ الذُّنُوبِ فَذا تَوْبِي إلى اللهِ

إلَهِيَ الحَقَّ بالتوحِيدِ خُذْ بيَدِي ... إلى مَقَرِّ الرِّضَا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ

إلَهِيَ الحَقَّ ما لي قُرْبَةٌ وَيَدٌ ... إلا بتَوْحِيدِ وَحْدَانِيَّةِ اللهِ

إلَهِيَ الحَقَّ هَبْ أَزْكَى الصَّلاةِ رَسُو ... لَ اللهِ أَحْمَدَ هَادِينا إلى اللهِ

الباقية الرابعة: (في التكبير)

اللهُ أَكْبَرُ بِسْمِ اللهِ باللهِ ... اللهُ أَكْبَرُ حَقُّ الكِبْرِ للهِ

اللهُ أَكْبَرُ تَكْبِيراً لِعِزَّتِهِ ... العِزُّ للهِ وَالتَّكْبِيرُ للهِ

اللهُ أَكْبَرُ تَعْظِيماً لِهَيْبَتِهِ ... المُلكُ للهِ وَالتَّعْظِيمُ للهِ

اللهُ أَكْبَرُ تَمْجِيداً لِقُدْرَتِهِ ... القَهْرُ للهِ وَالتَّمْجِيدُ للهِ

اللهُ أَكْبَرُ تَقْدِيساً لِرُتْبَتِهِ ... القُدْسُ للهِ وَالتَّنْزِيهُ للهِ

اللهُ أَكْبَرُ تَحْمِيداً يَحِقُّ لَهُ ... الشُّكْرُ للهِ وَالتَّحْمِيدُ للهِ

اللهُ أكْبَرُ جَلَّ اللهُ عَنْ شَبَهٍ ... في الذاتِ وَالنَّعْتِ، لا أَشْباهَ للهِ

اللهُ أكْبَرُ لَيسَ الأَمْرُ مُشْتَرَكاً ... لا يَقْتَضِي الأَمْرُ إلّا وَحْدَةَ اللهِ

اللهُ أكْبَرُ حَالَ البَدْءُ عَنهُ وَحَا ... لَ الانتهاءُ؛ هُما صُنعَانِ للهِ

اللهُ أكْبَرُ حَقَّتْ أَوَّلِيَّتُهُ ... وَآخِرِيَّتُهُ لا حَدَّ للهِ

اللهُ أكْبَرُ ضَاءَتْ ظَاهِرِيَّتُهُ ... آثَارُهُ كُلُّها دَلَّتْ على اللهِ

اللهُ أكْبَرُ تَعْلُو البَاطِنِيَّةُ عَنْ ... دَرْكِ الحَقِيقَةِ، لا إدْرَاكَ للهِ

اللهُ أكْبَرُ جَلَّتْ قَادِرِيَّتُهُ ... عَنْ مُعْجِزٍ خَارِجٍ عَنْ قُدْرَةِ اللهِ

اللهُ أكْبَرُ ما ضَاقَتْ إحَاطَتُهُ ... تَكَنَّفَتْ كُلَّ شَيءٍ حِيطَةُ اللهِ

اللهُ أكْبَرُ حَيياً لا فَنَاءَ لَهُ ... ثَبَتَ البَقا تَقْتَضِي ذاتِيَّةُ اللهِ

اللهُ أكْبَرُ قَيُّومُ الوُجُودِ على ... كُلِّ الحَوَادِثِ قَيُّومِيَّةُ اللهِ

اللهُ أكْبَرُ ذو العِلْمِ القَدِيمِ بما ... قَدْ كانَ أو سَيَكُونُ العِلْمُ للهِ

اللهُ أكْبَرُ ما عِلْمٌ بِمُكْتَسَبٍ ... وَلا بِشَرْطِ وُجُودِ خِبْرَةُ اللهِ

اللهُ أكْبَرُ مُخْتاراً إرَادَتُهُ ... شَرْطُ المُكَوِّنِ وَالتَكْوِينُ للهِ

اللهُ أكْبَرُ لم يُنْشِىءْ بَدَائِعَهُ ... على مِثالٍ لَهُ سَبْقٌ على اللهِ

اللهُ أكْبَرُ لم يُبْدِىءْ خَلِيقَتَهُ ... وَلَم يُعِدْها بِعَوْنٍ ما سِوَى اللهِ

اللهُ أكْبَرُ عِزُّ الجِبْرِياءِ لَهُ ... الجِبْرِياءُ على التَّحْقِيقِ للهِ

اللهُ أكْبَرُ مَجْدُ الكِبْرِياءِ لَهُ ... على المُنازِعِ فيها قَصْمَةُ اللهِ

اللهُ أكْبَرُ عِزٌّ قَائِمٌ وَجَلا ... لٌ دَائِمٌ حَقُّ فَرْدَانِيَّةِ اللهِ

اللهُ أكْبَرُ جَبَّارٌ لِقُوَّتِهِ الـ ... إيجَابُ وَالسَّلْبُ عَزَّتْ قُوَّةُ اللهِ

اللهُ أكْبَرُ عَدْلٌ نَافِذٌ وَيَدٌ ... بالقِسْطِ آخِذَةٌ جَلَّتْ يَدُ اللهِ

اللهُ أكْبَرُ مُلْكٌ لا نَظِيرَ بِهِ ... وَلا وَزِيرَ وَلا أَضْدَادَ للهِ

اللهُ أكْبَرُ جَدٌّ شَأْنُهُ عِظَمٌ ... الجَدُّ وَالعِظَمُ الذاتِيُّ للهِ

اللهُ أكْبَرُ أمْجَادُ العَلاءِ لَهُ ... القَهْرُ وَالغَلْبُ وَالسُّلطانُ للهِ

اللهُ أكْبَرُ أمْجَادٌ مُقَدَّسَةٌ ... وَفَوقَ نِسْبَتِنا مَجْدِيَّةُ اللهِ

اللهُ أكْبَرُ إنْعَامٌ وَطَوْلُ يَدِ ... سِيقَتْ إلى خَلْقِهِ عَنْ قِسْمَةِ اللهِ

اللهُ أكْبَرُ تَفْضِيلاً بِرَحْمَتِهِ ... وَقِلَّةً قَدَّرَتْهَا حِكْمَةُ اللهِ

اللهُ أكْبَرُ ألْطَافٌ وَفَضْلُ يَدٍ ... لِلطَّائِعِينَ وَلِلعَاصِينَ للهِ

اللهُ أكْبَرُ ما أعْلَى سِيَاسَتَهُ ... يُعْطِي وَيَمْنَعُ تَدْبِيراً مِنَ اللهِ

اللهُ أكْبَرُ مَنْ أعْطَى فَعَنْ كَرَمٍ ... أعْطَاهُ وَالمَنْعُ فِيهِ خِيرَةُ اللهِ

اللهُ أكْبَرُ تِلكَ الحَالَتَينِ على ... كَرَامَتَينِ لَنا مِنْ نِعْمَةِ اللهِ

اللهُ أكْبَرُ قَدْراً ذو الجَلالِ وَذو الـ ... إكْرَامِ مِنْ بَسْطَتِي في مِدْحَةِ اللهِ

اللهُ أكْبَرُ شأنٌ لَيسَ يَبْلُغُهُ ... حَمْدِي وَذِكْرِي وَلكِنْ دَعْوَةُ اللهِ

اللهُ أكْبَرُ عُظْماً أنْ يَقومَ لَهُ ... شيءٌ، عَلَتْ كُلَّ شيءٍ هَيْبَةُ اللهِ

اللهُ أكْبَرُ قَهْراً أنْ يُضَادِدَهُ ... شيءٌ، على كُلِّ شيءٍ سَطْوَةُ اللهِ

اللهُ أكْبَرُ مُلْكاً عَنْ مُنَادَدَةٍ ... النِّدُّ للهِ مَنْفِيٌّ عَنِ اللهِ

اللهُ أكْبَرُ شأناً عَنْ مُعَادَلَةٍ ... قَدْ اسْتَحَالَتْ بلا شَكٍّ عَنِ اللهِ

اللهُ أكْبَرُ عِزّاً عَنْ مُقَاوَمَةٍ ... مِنْ أيْنَ لِلعَجْزِ أنْ يَقوَى على اللهِ

اللهُ أكْبَرُ رَزّاقٍ بِغَيرِ حِسَا ... بٍ قَبْلَ عَرْضِ الدَّعَاوَى مِنَّةُ اللهِ

اللهُ أكْبَرُ وَهَّابٌ مَوَاهِبَهُ ... سِرّاً وَجَهْراً قَضَايَا رَحْمَةِ اللهِ

اللهُ أكْبَرُ جُودٌ مُطْلَقٌ وَأيَا ... دٍ سَابِغَاتٌ وَألْطَافٌ مِنَ اللهِ

اللهُ أكْبَرُ مَوجُودٌ لِطَالِبِهِ ... لا يَحْجُبُ اللهُ قَطْعاً طَالِبَ اللهِ

اللهُ أكْبَرُ يَدْعُونِي إلى كَرَمٍ ... وهو الغَنِيُّ وَبِي فَقرٌ إلى اللهِ

اللهُ أكْبَرُ مَنّاً قَبْلَ مَسْأَلَتِي ... وَنَفْسُ مَسْأَلَتِي مَنٌّ مِنَ اللهِ[1]

اللهُ أكْبَرُ يَدْعُونِي لِمَغْفِرَةٍ ... وَرَحْمَةٍ وَأُعَاصِي دَعْوَةَ اللهِ

اللهُ أكْبَرُ أنْسَاهُ فَيَذْكُرُنِي ... وَقُوَّتِي في المَعَاصِي نِعْمَةُ اللهِ

---

(١) يُلاحَظ البُعد الفلسفي المُغترف من ينبوع المُتصوِّفة؛ كما في هذا البيت: فالمسألةُ، في حد ذاتها، مَنٌّ مِنَ الذات الإلهية.

اللهُ أَكْبَرُ إِيجَادِي وَمَصْلَحَتِي ... دُنيَا وَأُخْرَى بِقَيُّومِيَّةِ اللهِ
اللهُ أَكْبَرُ مَا لِي غَيرُ نَظْرَتِهِ ... هَلَكْتُ لَو فَارَقَتْنِي نَظْرَةُ اللهِ
اللهُ أَكْبَرُ غَيرُ اللهِ مُفتَقِرٌ ... مِثْلِي إِلَيهِ وَمَنْظُورٌ مِنَ اللهِ
اللهُ أَكْبَرُ لَو حَاقَتْ ذُنُوبِيَ بِي ... فَلَيسَ لِي عَاصِمٌ يُغْنِي مِنَ اللهِ
اللهُ أَكْبَرُ لَولا رَحْمَةٌ كُتِبَتْ ... مِنهُ عَلَيهِ لَحَلَّتْ نَقمَةُ اللهِ
اللهُ أَكْبَرُ عَينُ اللهِ نَاظِرَةٌ ... قُبْحِي وَلَكِنْ وَقَى حِلْمٌ مِنَ اللهِ
اللهُ أَكْبَرُ لَولا أَنْ يُقَابِلَنِي ... جَمَالُ رَبِّي سَبَتْنِي أَخْذَةُ اللهِ
اللهُ أَكْبَرُ آمَالِي يُحَقِّقُهَا ... فِيهِ يَقِينِي وَحُسْنُ الظَّنِّ بِاللهِ
اللهُ أَكْبَرُ أَخْشَاهُ لِرُتْبَتِهِ ... وَالذَّنْبُ يُوجِبُ أَيضاً خَشْيَةَ اللهِ
اللهُ أَكْبَرُ نَفْسِي فِي أَوَامِرِهَا ... بِالسُّوءِ، أَرْجُو عَلَيهَا نُصْرَةَ اللهِ
اللهُ أَكْبَرُ شَيطَانِي غُلِبتُ بِهِ ... مَا مُنْقِذِي مِنهُ إِلّا عِصْمَةُ اللهِ
اللهُ أَكْبَرُ حَسْبِي اللهُ مِنهُ وَمِنْ ... مُرَادِهِ بِي عَلَيهِ لَعْنَةُ اللهِ
اللهُ أَكْبَرُ سُلْطَانِي كَمَالُكَ أَيْ ... ذِنِي بِتَقْوَى وَرِضْوَانٍ مِنَ اللهِ
اللهُ أَكْبَرُ حُسْنٌ بِالصَّلاةِ عَلى ... مُحَمَّدٍ خَتْمُ قُرْبَانِي إِلى اللهِ

دُعاء أحْرُف النُّور

بِكَافِ الكَمَالِ وَكَوْنِ الكَرِيـ ... ـمِ كَفِيلَ الكَلاءَةِ[1] لِي وَالكِفَايَهْ
بِهَاءِ الهُوِيَّةِ وَالهَوْرِ[2] مِنّا ... وَهَيْبَتِهِ وَالهَوَى وَالهِدَايَهْ
بِيَاءِ اليَقِينِ وَأَنْوَارِهِ ... وَيُمْنِ يَمِينِكَ يَا مُشْتَكَايَهْ
بِعَيْنِ العُلُومِ وَأَعْيَانِهَا ... وَعَيْنِ العَلِيمِ وَعَوْنِ العِنَايَهْ
بِصَادِ الصَّفَاءِ بِصَيْمُودِيِّهِ ... بِصِدقِكَ فِي مُقْتَضَى كُلِّ آيَهْ
بِحَاءِ المَحَبَّةِ وَالحَقِّ وَالحُكْـ ... ـمِ وَالحَمْدِ مِنّا وَحُجْبِ الحِمَايَهْ
بِمِيمِ مَعَارِفِكَ المُشْرِقا ... تِ وأسْرَارِ مَبْدَئِهَا وَالنِّهَايَهْ
بِعَيْنِ أَعِنَّا بِهَا يَا مُعِينُ ... بِعَطْفِكَ لِلمُعْتَنِي بِالرِّعَايَهْ
بِسِينِ السَّلامِ وَسُبْحَانِهِ ... سَرِيعِ العَطَاءِ سَمِيعِ الشِّكَايَهْ
بِقَافِ القَوِيِّ بِقَهْرِ القَدِيرِ ... بِقَيُّومِ قَلْبِي بِقَدْرِ الوِقَايَهْ
سَأَلْتُكَ صَلِّ عَلى المُصْطَفَى ... إِلهِي وَسَهِّلْ وَيَسِّرْ مُنَايَهْ

---

(١) الكَلاءَة: الحِفظ. كَلأَ فلانٌ القومَ: حَفِظَهُم. وفي التنزيل: «قُلْ مَنْ يَكْلَؤُكُم بالليلِ والنهارِ مِنَ الرَّحْمَن».

(٢) الهَور: بُحَيرَة غير عميقة ترفدها الأنهار. وأشهر مثالٍ لها: أهوار في العراق.

مفاتيح المَدَد(*)

اللهُ اللهُ هُـــوَ اللهُ أَحَـــدْ اللهُ اللهُ هُـــوَ اللهُ الـصَّـمَـدْ
سُـبـحَـانَـهُ عَـنْ وَالِـدٍ وَعَـنْ وَلَدْ وَلَمْ يَـكُـنْ لِذاتِـهِ كُـفُـواً أَحَـدْ
بِـحَـقِّ لا إِلَهَ إِلّا الـلـه وَحَـقِّ أَسْـمَـائِكَ عَـجِّـلِ الـمَـدَدْ
وَالـنَّـصْـرَ وَالـتَّـفْـرِيـجَ وَالـفـتْـحَ الـقَـرِيـبْ

اللهُ اللهُ الـعَـزِيـزُ الـقَـاهِـرُ اللهُ اللهُ الـمُـحِـيـطُ الـفَـاطِـرُ
سُـبـحَـانَـهُ لا مِـثْـلُ لا نَـظَـائِرُ لا ضِـدُّ لا أَنْـدَادُ لا مُـظَـاهِـرُ(١)
بِـسِـرِّ لا إِلَهَ إِلّا الـلـه وَسِـرِّ أَسْـمَـائِكَ عَـجِّـلِ الـمَـدَدْ
وَالـنَّـصْـرَ وَالـتَّـفْـرِيـجَ وَالـفـتْـحَ الـقَـرِيـبْ

اللهُ اللهُ الـكَـبِـيـرُ الـمُـتَـعَـالْ اللهُ اللهُ الـسَّجَـلِـيـلُ ذو الـجَـلالْ
سُـبـحَـانَـهُ لَهُ الـجَـمَـالُ وَالـكَـمَـالْ وَالـمَـجْـدُ وَالـعِـزُّ وَشِـدَّةُ الـمِـحَـالْ
بِـعِـزِّ لا إِلَهَ إِلّا الـلـه وَعِـزِّ أَسْـمَـائِكَ عَـجِّـلِ الـمَـدَدْ
وَالـنَّـصْـرَ وَالـتَّـفْـرِيـجَ وَالـفـتْـحَ الـقَـرِيـبْ

اللهُ اللهُ الـقَـدِيـرُ الـقَـادِرُ الأَوَّلُ الـمُـحْـيِـي الـمُـمِـيـتُ الآخِـرُ
سُـبـحَـانَـهُ الـنُّـورُ الـبَـدِيـعُ الـظَّـاهِـرُ الـبَـاطِـنُ الـحَـقُّ الـغَـفُـورُ الـغَـافِـرُ
بِـمَـجْـدِ لا إِلَهَ إِلّا الـلـه وَمَـجْـدِ أَسْـمَـائِكَ عَـجِّـلِ الـمَـدَدْ
وَالـنَّـصْـرَ وَالـتَّـفْـرِيـجَ وَالـفـتْـحَ الـقَـرِيـبْ

(*) ورد الذِّكر في الأصل المُعتمد بعنوان: فاتحة الدعوة المباركة.

(١) مُظاهِر: مُعين.

اللهُ اللهُ المَلِيكُ المُقتَدِرْ اللهُ اللهُ الوَلِيُّ المُنتَصِرْ
سُبحَانَهُ في شَأْنِهِ أَنْ يَفْتَقِرْ لَهُ الوُجُودُ الأَبَدِيُّ المُستَمِرْ
بِقُدْسِ لا إِلَهَ إِلّا الله وَقُدْسِ أَسْمَائِكَ عَجِّلِ المَدَدْ
وَالنَّصْرَ وَالتَّفْرِيجَ وَالفَتْحَ القَرِيبْ

اللهُ اللهُ العَلِيُّ قَدرُهُ اللهُ اللهُ العَظِيمُ أَمْرُهُ
سُبحَانَهُ القُدُّوسُ جَلَّ ذِكْرُهُ أَغْنَى وَأَقْنَى وَكَفَانَا سِرُّهُ
بِنُورِ لا إِلَهَ إِلّا الله وَنُورِ أَسْمَائِكَ عَجِّلِ المَدَدْ
وَالنَّصْرَ وَالتَّفْرِيجَ وَالفَتْحَ القَرِيبْ

اللهُ اللهُ المَجِيدُ المَاجِدُ اللهُ اللهُ الشَّهِيدُ الشَّاهِدُ
سُبحَانَهُ البَرُّ الغَنِيُّ الوَاجِدُ البَاسِطُ المُعْطِي الحَمِيدُ الوَاجِدُ
بِفَضْلِ لا إِلَهَ إِلّا الله وَفَضْلِ أَسْمَائِكَ عَجِّلِ المَدَدْ
وَالنَّصْرَ وَالتَّفْرِيجَ وَالفَتْحَ القَرِيبْ

اللهُ اللهُ اللطِيفُ بِالعِبَادْ المُنْعِمُ المُحْسِنُ ذو الفضْلِ الجوَادْ
سُبحَانَهُ عَنِ الفَنَاءِ وَالنَّفَادْ كَمْ أَبدأَ النِّعْمَةَ لِي وَكَمْ أَعَادْ
بِبَسْطِ لا إِلَهَ إِلّا الله وَبَسْطِ أَسْمَائِكَ عَجِّلِ المَدَدْ
وَالنَّصْرَ وَالتَّفْرِيجَ وَالفَتْحَ القَرِيبْ

اللهُ اللهُ القَدِيمُ القَائِمُ الأَزَلِيُّ الأَبَدِيُّ الدَّائِمُ
سُبحَانَهُ لَيسَ لَهُ مُقَاوِمُ وَلَيس مِنهُ لِلعِبَادِ عَاصِمُ
بِقَهْرِ لا إِلَهَ إِلّا الله وَقَهْرِ أَسْمَائِكَ عَجِّلِ المَدَدْ
وَالنَّصْرَ وَالتَّفْرِيجَ وَالفَتْحَ القَرِيبْ

اللهُ اللهُ الحَلِيمُ المُجْمِلُ اللهُ اللهُ الرَّؤُوفُ المُفْضِلُ
سُبحَانَهُ في حِلْمِهِ لا يَعْجَلُ مِنْ شَأْنِهِ الغُفْرَانُ وَالتَّفَضُّلُ
بِأُنْسِ لا إِلَهَ إِلّا الله وَأُنْسِ أَسْمَائِكَ عَجِّلِ المَدَدْ
وَالنَّصْرَ وَالتَّفْرِيجَ وَالفَتْحَ القَرِيبْ

اللهُ اللهُ الـعَـفُـوُّ الـسَّـاتِـرُ اللهُ اللهُ الـشَّـكُـورُ الـشَّـاكِـرُ
سُـبـحَـانَـهُ يَـعْـفُـو وَلا يُـكَـاثِـرُ تُـمْـحَـى بِـجَـنْـبِ عَـفْـوِهِ الـجَـرَائِرُ
بِـجُـودِ لا إِلَهَ إِلّا الـلـه وَجُـودِ أَسْـمَـائِكَ عَـجِّـلِ الـمَـدَدْ
وَالـنَّـصْـرَ وَالـتَّـفْـرِيـجَ وَالـفـتْـحَ الـقَـرِيـبْ
اللهُ اللهُ الـكَـرِيـمُ الـمُـبْـتَـدِعْ اللهُ اللهُ الـعَـلِـيُّ الـمُـخْـتَـرِعْ
سُـبـحَـانَـهُ لا شَـيءَ عَـنْـهُ مُـمْـتَـنِـعْ لـم يَـتْـرُكِ الـخَـلْـقَ سُـدًى وَلـم يُـضِـعْ
بِـحُـكْـمِ لا إِلَهَ إِلّا الـلـه وَحُـكْـمِ أَسْـمَـائِكَ عَـجِّـلِ الـمَـدَدْ
وَالـنَّـصْـرَ وَالـتَّـفْـرِيـجَ وَالـفـتْـحَ الـقَـرِيـبْ
اللهُ اللهُ الـمُـبِـيـنُ الـهَـادِي اللهُ مَـنْ أَلْـهَـمَ لـلـرَّشَـادِ
سُـبـحَـانَـهُ الـرَّشِـيـدُ لـلـعِـبَـادِ مُـنَـوِّرُ الـمُـرِيـدِ وَالـمُـرَادِ
بِـفَـيْـضِ لا إِلَهَ إِلّا الـلـه وَفَـيْـضِ أَسْـمَـائِكَ عَـجِّـلِ الـمَـدَدْ
وَالـنَّـصْـرَ وَالـتَّـفْـرِيـجَ وَالـفـتْـحَ الـقَـرِيـبْ
اللهُ اللهُ الـمُـعِـزُّ نَـاصِـرَهْ اللهُ اللهُ الـمُـذِلُّ كَـافِـرَهْ
سُـبـحَـانَـهُ عَـنْ شِـرْكَـةِ الـمُـوَازِرَهْ أَلا إِلَـى اللهِ الأُمُـورُ صَـائِرَهْ
بِـعَـوْنِ لا إِلَهَ إِلّا الـلـه وَعَـوْنِ أَسْـمَـائِكَ عَـجِّـلِ الـمَـدَدْ
وَالـنَّـصْـرَ وَالـتَّـفْـرِيـجَ وَالـفـتْـحَ الـقَـرِيـبْ
اللهُ اللهُ الـقَـوِيُّ الأَقْـدَرُ الـخَـالِـقُ الـبَـارِىءُ وَالـمُـصَـوِّرُ
سُـبـحَـانَـهُ الـمُـقَـدِّمُ الـمُـؤَخِّـرُ مَـا لِـلْـوُجُـودِ غَـيْـرُهُ مُـدَبِّـرُ
بِـقُـدْرِ لا إِلَهَ إِلّا الـلـه وَقُـدْرِ أَسْـمَـائِكَ عَـجِّـلِ الـمَـدَدْ
وَالـنَّـصْـرَ وَالـتَّـفْـرِيـجَ وَالـفـتْـحَ الـقَـرِيـبْ
اللهُ اللهُ الـمُـكَـوِّنُ الـمَـدِيـدْ الـحَـيُّ وَالـقَـيُّـومُ بَـاقٍ لا يَـبِـيـدْ
سُـبـحَـانَـهُ ذو الـطَّـوْلِ مُـبْـدِ وَمُـعِـيـدْ لَـيْـسَ بِـظَـلَّامٍ ـ تَـعَـالَـى ـ لـلـعَـبِـيـدْ
بِـمَـنٍّ لا إِلَهَ إِلّا الـلـه وَمَـنِّ أَسْـمَـائِكَ عَـجِّـلِ الـمَـدَدْ
وَالـنَّـصْـرَ وَالـتَّـفْـرِيـجَ وَالـفـتْـحَ الـقَـرِيـبْ

اللهُ اللهُ الـمُـبـيـنُ الـمَـانِـعُ اللهُ اللهُ الـمُـقـيـتُ الـوَاسِـعُ
سُـبـحَـانَـهُ وَهُـوَ الـحَـمِـيـدُ الـنـافِـعُ الـخـافِـضُ الـمَـوْلَى النَّـصِـيـرُ الدَّافِـعُ
بِـيُـمْـنِ لا إِلَهَ إِلّا الـلـه وَيُـمْـنِ أَسْـمَـائِكَ عَـجِّـلِ الـمَـدَدْ
وَالـنَّـصْـرَ وَالـتَّـفْـرِيـجَ وَالـفـتْـحَ الـقَـرِيـبْ

اللهُ اللهُ الـحَـفـيـظُ الـبَـاعِـثُ اللهُ اللهُ الـصَّـبُـورُ الـوَارِثُ
سُـبـحَـانَـهُ دَلَّ عَـلـيـهِ الـحَـادِثُ لـم يَـخْـلُقِ الأشـيـاءَ وَهُـوَ عَـابِـثُ
بِـلُـطْـفِ لا إِلَهَ إِلّا الـلـه وَلُـطْـفِ أَسْـمَـائِكَ عَـجِّـلِ الـمَـدَدْ
وَالـنَّـصْـرَ وَالـتَّـفْـرِيـجَ وَالـفـتْـحَ الـقَـرِيـبْ

اللهُ اللهُ الـسَّـمِـيـعُ وَالـبَـصِـيـرْ اللهُ اللهُ مُـجِـيـرُ الـمُـسْـتَـجِـيـرْ
سُبحَانَهُ جَابِرُ ذي القَلْبِ الكَسِيرْ إِلَهـنـا الـرَّحِـيـمُ رَاحِـمُ الـفَـقِـيـرْ
بِـعَـطْـفِ لا إِلَهَ إِلّا الـلـه وَعَـطْـفِ أَسْـمَـائِكَ عَـجِّـلِ الـمَـدَدْ
وَالـنَّـصْـرَ وَالـتَّـفْـرِيـجَ وَالـفـتْـحَ الـقَـرِيـبْ

اللهُ اللهُ الـحَـبـيـبُ الـمُـنْـتَـقِـمْ الـضَّـارُّ وَالـمُـذِلُّ مُـلْـهِـمُ الأمَـمْ
سُبحَانَهُ الغَيُورُ مِنْ هَتكِ الحُرُمْ وَلا يُـرَدُّ بـأسُـهُ عَـمَّـنْ ظَـلَـمْ
بِـنَـصْـرِ لا إِلَهَ إِلّا الـلـه وَنَـصْـرِ أَسْـمَـائِكَ عَـجِّـلِ الـمَـدَدْ
وَالـنَّـصْـرَ وَالـتَّـفْـرِيـجَ وَالـفـتْـحَ الـقَـرِيـبْ

اللهُ اللهُ الـرقـيـبُ الأغْـلَـى اللهُ اللهُ الـقـريـبُ الـمَـوْلَى
سُبحَانَهُ المُجيبُ كَمْ تَجَلَّى عـلى قـلوبِ مَـنْ لَهُ تَـخـلَّى
بِـغَـوْثِ لا إِلَهَ إِلّا الـلـه وَغَـوْثِ أَسْـمَـائِكَ عَـجِّـلِ الـمَـدَدْ
وَالـنَّـصْـرَ وَالـتَّـفْـرِيـجَ وَالـفـتْـحَ الـقَـرِيـبْ

اللهُ اللهُ هُـوَ الـمُـحْـصِـي الـوَكِـيـلْ اللهُ عَـلّامُ الـغُـيُـوبِ وَالـكَـفِـيـلْ
سُبحَانَهُ عَنِ الشَّبِيهِ وَالبَدِيلْ فـي صُـنْـعِـهِ عـلى وُجُـودِهِ دَلِـيـلْ
بِـعُـظْـمِ لا إِلَهَ إِلّا الـلـه وَعُـظْـمِ أَسْـمَـائِكَ عَـجِّـلِ الـمَـدَدْ
وَالـنَّـصْـرَ وَالـتَّـفْـرِيـجَ وَالـفـتْـحَ الـقَـرِيـبْ

اللهُ اللهُ رَفِيعُ الدَّرَجَاتْ مُصَرِّفُ الآياتِ مُوجِدُ الذَّوَاتْ
سُبْحَانَهُ ذو الشأنِ أحيا وَأَمَاتْ مُقَدِّرُ الأوْقاتِ جَامِعُ الشَّتَاتْ
بِحَوْلِ لا إلَهَ إلّا الله وَحَوْلِ أَسْمَائِكَ عَجِّلِ المَدَدْ
وَالنَّصْرَ وَالتَّفْرِيجَ وَالفَتْحَ القَرِيبْ

اللهُ اللهُ هُوَ الفَتَّاحْ بِفَتْحِهِ تَنْبَسِطُ الأرْوَاحْ
سُبْحَانَهُ وَفَالِقُ الأصْبَاحْ مِنْ نُورِهِ المِشْكَاةُ وَالمِصْبَاحْ
بِضَوْءِ لا إلَهَ إلّا الله وَنُورِ أَسْمَائِكَ عَجِّلِ المَدَدْ
وَالنَّصْرَ وَالتَّفْرِيجَ وَالفَتْحَ القَرِيبْ

اللهُ اللهُ هُوَ الوَهَّابْ بِفَتْحِهِ تَنْفَتِحُ الأبْوَابْ
سُبْحَانَهُ وَأَمْرُهُ المُجَابْ وَكُنْهُهُ يُحَيِّرُ الألْبَابْ
بِوَهْبِ لا إلَهَ إلّا الله وَوَهْبِ أَسْمَائِكَ عَجِّلِ المَدَدْ
وَالنَّصْرَ وَالتَّفْرِيجَ وَالفَتْحَ القَرِيبْ

اللهُ اللهُ الوَهُوبُ الكَافِي اللهُ اللهُ الوَصُولُ الوَافِي
سُبْحَانَهُ اللطِيفُ وَالمُعافِي كم أَدْرَكَ المَلْهُوفَ بالألطافِ
بِوَصْلِ لا إلَهَ إلّا الله وَوَصْلِ أَسْمَائِكَ عَجِّلِ المَدَدْ
وَالنَّصْرَ وَالتَّفْرِيجَ وَالفَتْحَ القَرِيبْ

اللهُ اللهُ الخَبِيرُ فِي القِدَمْ بِالكُلِّ مِنْ قَبلِ الوُجُودِ وَالعَدَمْ
سُبْحَانَهُ كَشَّافُ أَسْتارِ الظُّلَمْ وَوَاهِبُ الأسْرَارِ أسْرَارِ الحِكَمْ
بِكَشْفِ لا إلَهَ إلّا الله وَكَشْفِ أَسْمَائِكَ عَجِّلِ المَدَدْ
وَالنَّصْرَ وَالتَّفْرِيجَ وَالفَتْحَ القَرِيبْ

اللهُ اللهُ السلامُ المُؤمِنُ المَلِكُ القُدُّوسُ وَالمُهَيْمِنُ
سُبْحَانَهُ الجَبَّارُ لَيسَ يُوهَنُ المُتَكَبِّرُ الوَدُودُ المُحْسِنُ
بِمُلْكِ لا إلَهَ إلّا الله وَمُلْكِ أَسْمَائِكَ عَجِّلِ المَدَدْ
وَالنَّصْرَ وَالتَّفْرِيجَ وَالفَتْحَ القَرِيبْ

اللهُ اللهُ هـــوَ الـــغـــفَّـــارُ اللهُ اللهُ هـــوَ الـــقـــهَّـــارُ
سُـبـحَـانَـهُ الـقـابـضُ مـا يَـخـتـارُ وَالـحَـاكِـمُ الـعَـدْلُ لَهُ الإِكْـبَـارُ
بـــحُـــكْـــمِ لا إِلَهَ إِلّا الـــلـه وَحُـكْـمِ أَسْـمَـائِكَ عَـجِّـلِ الـمَـدَدْ
وَالـنَّـصْـرَ وَالـتَّـفْـرِيـجَ وَالـفـتْـحَ الـقَـرِيـبْ
اللهُ لا إِلَهَ إِلّا هُـــوَ عَـــنْ مُـرَادِهِ مَـا كَـانَ أو مَـا لَمْ يَـكُـنْ
سُـبـحَـانَـهُ أَحْـصَـى الـخـفـايا وَالـعَـلَنْ يَـكُـونُ مـا يُـرِيـدُهُ بـقَـوْلِ: كُـنْ
بـــغَـــلْبِ لا إِلَهَ إِلّا الـــلـه وَغَـلْبِ أَسْـمَـائِكَ عَـجِّـلِ الـمَـدَدْ
وَالـنَّـصْـرَ وَالـتَّـفْـرِيـجَ وَالـفـتْـحَ الـقَـرِيـبْ
الـــلـه لا إِلَهَ إِلّا هُـــوَ فِـــي قُـدْرَتِـهِ سَـيْـطَـرَةُ الـتَّـصـرُّفِ
سُـبـحَـانَـهُ بـالـعُـسْـرِ لـم يُـكَـلِّفِ الـخَـلْقَ فـي مَـرَاحِـمِ الـتَّـلَطُّـفِ
بـــرُحـــمِ لا إِلَهَ إِلّا الـــلـه وَرُحـمِ أَسْـمَـائِكَ عَـجِّـلِ الـمَـدَدْ
وَالـنَّـصْـرَ وَالـتَّـفْـرِيـجَ وَالـفـتْـحَ الـقَـرِيـبْ
الـــلـه لا إِلَهَ إِلّا هُـــوَ لا تُـدْرِكُـهُ الأَبْـصَـارُ جَـلَّ وَعَـلا
سُـبـحَـانَـهُ عَـنِ الـتَّـصَـوُّرِ اعْـتَـلَى لا كَـيْـفَ، لا حَـدَّ ولا جِـنْـسَ خَـلا
بـــكِـــبْـــرِ لا إِلَهَ إِلّا الـــلـه وَكِـبْـرِ أَسْـمَـائِكَ عَـجِّـلِ الـمَـدَدْ
وَالـنَّـصْـرَ وَالـتَّـفْـرِيـجَ وَالـفـتْـحَ الـقَـرِيـبْ
الـــلـه لا إِلَهَ إِلّا هُـــوَ لـــمْ يُـدْرِكْ سِـوَاهُ الـكِـبْـرِيـاءَ وَالـعِـظَـمْ
سُـبـحَـانَـهُ عَـنْ جِـهَـةٍ وَمَـنْ وَكَـمْ وَعَـنْ مَـتَـى وَمَـا وَرَدٌ مَـا حَـكَـمْ
بـــجَـــدٍّ لا إِلَهَ إِلّا الـــلـه وَجَـدِّ أَسْـمَـائِكَ عَـجِّـلِ الـمَـدَدْ
وَالـنَّـصْـرَ وَالـتَّـفْـرِيـجَ وَالـفـتْـحَ الـقَـرِيـبْ
الـــلـه لا إِلَهَ إِلّا هُـــوَ بِـــهْ قَـامَ الـوُجُـودُ فـي صُـنُـوفِ رُتَـبِـهْ
سُـبـحَـانَـهُ مَـنْ يَـعْـتَـصِـمْ بِسَـبَـبِـهْ نَـجَـا بِـهِ مِـنْ مُـوبِـقَـاتِ غَـضَـبِـهْ
بـــفَـــوْزِ لا إِلَهَ إِلّا الـــلـه وَفَـوْزِ أَسْـمَـائِكَ عَـجِّـلِ الـمَـدَدْ
وَالـنَّـصْـرَ وَالـتَّـفْـرِيـجَ وَالـفـتْـحَ الـقَـرِيـبْ

الـــــله لا إلَهَ إلّا هُـــــوَ مـــــا فـــاتـــتْـــهُ ذرَّةٌ بـــأرْضٍ وَسَـــمـــا
سُـبـحَـانَـهُ وَالـحَـمْـدُ للهِ كَـمـا أحْـصَـى وَسَـوَّى وَقـضَـى وَعَـلَّمـا
بـــمَـــدٌ لا إلَهَ إلّا الـــــله وَمَـدٌّ أسْـمَـائِكَ عَـجِّـلِ الـمَـدَدْ
وَالـنَّـصْـرَ وَالـتَّـفْـرِيـجَ وَالـفـتْـحَ الـقَـرِيـبْ
الـــــله لا إلَهَ إلّا هُـــوَ عَـــمْ عِـبـادَهُ كـمـا أرَادَ بـالـنِّـعَـمْ
سُـبـحَـانَـهُ جَـفَّ بـمـا شَـاءَ الـقَـلَمْ لَيـسَ لَهُ مُـعـقِّـبٌ فـيـمـا حَـكَـمْ
بـــكُـــنْـــهِ لا إلَهَ إلّا الـــــله وَكُـنْـهِ أسْـمَـائِكَ عَـجِّـلِ الـمَـدَدْ
وَالـنَّـصْـرَ وَالـتَّـفْـرِيـجَ وَالـفـتْـحَ الـقَـرِيـبْ
اللهُ اللهُ لَهُ الـــحَـــمْـــدُ عـــلى مـا مَـرَّ مِـنْ مُـرِّ الـقَـضَـا وَمـا حَـلا
سُـبـحَـانَـهُ أحْـمَـدُهُ عـلى الـبَـلا حَـمْـداً بـآبـادِ الـبَـقـا مُـتَّـصِـلا
بـــرَوحِ لا إلَهَ إلّا الـــــله وَرَوحِ أسْـمَـائِكَ عَـجِّـلِ الـمَـدَدْ
وَالـنَّـصْـرَ وَالـتَّـفْـرِيـجَ وَالـفـتْـحَ الـقَـرِيـبْ
اللهُ اللهُ وَلـــيُّ الـــحَـــمْـــدِ اللهُ اللهُ عَـــلِـيُّ الـــجَـــدِّ
سُـبـحَـانَـهُ إلـيـه وَحْـيُ قَـصْـدِي حَـاشَـاهُ أنْ يَـجْـبـهَـنِـي بـالـطَّـرْدِ
بـــجَـــاهِ لا إلَهَ إلّا الـــــله وَجَـاهِ أسْـمَـائِكَ عَـجِّـلِ الـمَـدَدْ
وَالـنَّـصْـرَ وَالـتَّـفْـرِيـجَ وَالـفـتْـحَ الـقَـرِيـبْ
اللهُ اللهُ جَـمـيـلُ الـسِّـتْـرِ اللهُ اللهُ جَـلـيـلُ الـذِّكْـرِ
سُـبـحَـانَـهُ جَـلَّ عَـظـيـمُ الـقَـدْرِ الـله ذُخْـرِي يـا لَنِـعْـمَ الـذُّخْـرِ
بـــكَـــشْـــرِ لا إلَهَ إلّا الـــــله وَكَـشْـرِ أسْـمَـائِكَ عَـجِّـلِ الـمَـدَدْ
وَالـنَّـصْـرَ وَالـتَّـفْـرِيـجَ وَالـفـتْـحَ الـقَـرِيـبْ
اللهُ اللهُ وَلِـيُّ الـــمَـــغْـــفِـــرَه اللهُ رَبِّـي قَـابِـلٌ لـلـمَـعْـذِرَه
سُـبـحَـانَـهُ كـم فَـاضِـحٍ قَـدْ سَـتَـرَه بـذِكْـرِ مَـنْ يَـنْـسَـاهُ أو مَـنْ ذكَـرَه
بـــذِكْـــرِ لا إلَهَ إلّا الـــــله وَذِكْـرِ أسْـمَـائِكَ عَـجِّـلِ الـمَـدَدْ
وَالـنَّـصْـرَ وَالـتَّـفْـرِيـجَ وَالـفـتْـحَ الـقَـرِيـبْ

اللهُ اللهُ الـمَـلِيُّ بـالـكَـرَمْ ... اللهُ اللهُ الـحَـفِـيُّ بـالـنِّـعَـمْ
سُـبـحَـانَـهُ قـدَّرَ أَقْـدَارَ الـقِـسَـمْ ... فـي الـرِّزْقِ وَالـحِـرْمَانِ عَـدْلُهُ انْـحَـتَـمْ
بـِـشَـأنِ لا إِلَهَ إِلّا الـلـه ... وَشَـأنِ أَسْـمَـائِكَ عَـجِّـلِ الـمَـدَدْ
وَالـنَّـصْـرَ وَالـتَّـفْـرِيـجَ وَالـفَـتْـحَ الـقَـرِيـبْ

اللهُ اللهُ عَـلَـيـه أَعْـتَـمِـدْ ... اللهُ اللهُ إِلَـيـه أَسْـتَـنِـدْ
سُـبـحَـانَـهُ الـبَـرُّ أَبَـرُّ مَـنْ قُـصِـدْ ... وَخَـيـرُ مَـنْ إِلَـيـهِ فـي شَـأنٍ صُـمِـدْ
بـِـحِـصْـنِ لا إِلَهَ إِلّا الـلـه ... وَحِـصْـنِ أَسْـمَـائِكَ عَـجِّـلِ الـمَـدَدْ
وَالـنَّـصْـرَ وَالـتَّـفْـرِيـجَ وَالـفَـتْـحَ الـقَـرِيـبْ

اللهُ اللهُ مُـقِـيـمُ شِـرْعَـتِـهْ ... وَحِـفْـظُـهُ تَـامُّ نِـظَـامِ فِـطْـرَتِـهْ
سُـبـحَـانَـهُ تَـحْـتَ جَـلالِ عِـزَّتِـهْ ... مُـعْـتَـصِـمٌ بـحَـوْلِهِ وَقُـوَّتِـهْ
بـِـحِـفْـظِ لا إِلَهَ إِلّا الـلـه ... وَحِـفْـظِ أَسْـمَـائِكَ عَـجِّـلِ الـمَـدَدْ
وَالـنَّـصْـرَ وَالـتَّـفْـرِيـجَ وَالـفَـتْـحَ الـقَـرِيـبْ

اللهُ اللهُ مُـسَـبِّـبُ الـسَّـبَـبْ ... بـِحِـكْـمَـةٍ أَجْـرَى بَـدَائِعَ الـنِّـسَـبْ
سُـبـحَـانَـهُ لـكُـلِّ خَـلْـقِـهِ احْـتَـسَـبْ ... مـا ضَـاعَ مَـنْ إِلـى طَـرِيـقِـهِ انْـتَـسَـبْ
بـِـحَـبْـلِ لا إِلَهَ إِلّا الـلـه ... وَحَـبْـلِ أَسْـمَـائِكَ عَـجِّـلِ الـمَـدَدْ
وَالـنَّـصْـرَ وَالـتَّـفْـرِيـجَ وَالـفَـتْـحَ الـقَـرِيـبْ

اللهُ اللهُ لَهُ إِخْـلاصِـي ... لـيـس لـعَـبْـدٍ مِـنْـهُ مِـنْ مَـنـاصِ
سُـبـحَـانَـهُ أَرْجُـو بـِهِ خَـلاصِـي ... بـالـجُـودِ يَـومَ الأَخْـذِ بـالـنَّـواصِـي
بـِـرُكْـنِ لا إِلَهَ إِلّا الـلـه ... وَرُكْـنِ أَسْـمَـائِكَ عَـجِّـلِ الـمَـدَدْ
وَالـنَّـصْـرَ وَالـتَّـفْـرِيـجَ وَالـفَـتْـحَ الـقَـرِيـبْ

اللهُ اللهُ إِلَـيـهِ مَـهْـرَعِـي ... ظَـلَـمْـتُ نَـفْـسِـي وَإِلَـيـهِ مَـفْـزَعِـي
سُـبـحَـانَـهُ بِـعَـيْـنِـهِ تَـضَـرُّعِـي ... حَـاشَـاهُ رَبِّـي أَنْ يَـخِـيـبَ مَـطْـمَـعِـي
بـِـنَـفْـحِ لا إِلَهَ إِلّا الـلـه ... وَنَـفْـحِ أَسْـمَـائِكَ عَـجِّـلِ الـمَـدَدْ
وَالـنَّـصْـرَ وَالـتَّـفْـرِيـجَ وَالـفَـتْـحَ الـقَـرِيـبْ

اللهُ اللهُ إلـــيـــهِ رَغْـــبَـــتـــي وَنُـــسُـــكِـــي وَأَوْبَـــتـــي وَتَـــوْبَـــتـــي
سُـبـحَـانَـهُ يَـرَى مَـقـامَ لَهْـفَـتِـي يَـمِـيـنُـهُ تَـنْـشُـلُـنِـي مِـنْ كَـبـوَتِـي
بـــأمْـــنِ لا إلَهَ إلّا الـــلـه وَأمْـنِ أَسْـمَـائِكَ عَـجِّـلِ الـمَـدَدْ
وَالـنَّـصْـرَ وَالـتَّـفْـرِيـجَ وَالـفـتْـحَ الـقَـرِيـبْ
اللهُ اللهُ لَهُ وَجْـهِـي عَـنـا أشْـكُـو إلَـيـهِ مـا أُقَـاسِـي مِـنْ عَـنـا
سُـبـحَـانَـهُ أحْـصَـى الـخَـفـا وَالـعَـلَـنـا بَـيـنَ يَـدَيـهِ مَـنْ أنـا حَـيـثُ أنـا
بـــجَـــبْـــرِ لا إلَهَ إلّا الـــلـه وَجَـبْـرِ أَسْـمَـائِكَ عَـجِّـلِ الـمَـدَدْ
وَالـنَّـصْـرَ وَالـتَّـفْـرِيـجَ وَالـفـتْـحَ الـقَـرِيـبْ
اللهُ اللهُ إلـــيـــهِ أَنْـــظُـــرُ لِقَـذْرِهِ وَشَـأْنِـهِ أَسْـتَـشْـعِـرُ
سُـبـحَـانَـهُ لـم يُـغْـنِ عَـنـهُ الأثـرُ أسْـعِـدْ بـمَـنْ إلـيـهِ رَبِّـي يَـنْـظُـرُ
بـــبَـــابِ لا إلَهَ إلّا الـــلـه وَبَـابِ أَسْـمَـائِكَ عَـجِّـلِ الـمَـدَدْ
وَالـنَّـصْـرَ وَالـتَّـفْـرِيـجَ وَالـفـتْـحَ الـقَـرِيـبْ
اللهُ اللهُ بـــه أَسَّـــعْـــدُ حُـبِّـي لَهُ بِـحُـبِّـهِ مُـجَـرَّدُ
سُـبـحَـانَـهُ قـاصِـدُهُ لا يُـطْـرَدُ حَـاشَـاهُ أنْ يَـشْـقَـى بِـهِ مُـوَحِّـدُ
بـــحُـــبِّ لا إلَهَ إلّا الـــلـه وَحُـبِّ أَسْـمَـائِكَ عَـجِّـلِ الـمَـدَدْ
وَالـنَّـصْـرَ وَالـتَّـفْـرِيـجَ وَالـفـتْـحَ الـقَـرِيـبْ
اللهُ اللهُ مَـقـامـي يَـعـلَـمُـهْ مـا لـمَـقـامـي غَـيـرُهُ مِـنْ يُـكْـرِمُـهْ
سُـبـحَـانَـهُ يَـقـومُ مَـنْ يُـقـوِّمُـهْ لا يَـنْـقـضُ الـتَّـدْبـيـرَ أَمْـرٌ يُـبْـرِمُـهْ
بـــعَـــهْـــدِ لا إلَهَ إلّا الـــلـه وَعَـهْـدِ أَسْـمَـائِكَ عَـجِّـلِ الـمَـدَدْ
وَالـنَّـصْـرَ وَالـتَّـفْـرِيـجَ وَالـفـتْـحَ الـقَـرِيـبْ
اللهُ اللهُ مُـنـوِّرُ الـقُـلُـوبْ اللهُ اللهُ مُـفـرِّجُ الـكُـرُوبْ
سُـبـحَـانَـهُ عَـلّامُ مَـطْـوِيِّ الـغُـيُـوبْ لَهُ كَـمَـالاتُ الـسُّـلُـوبِ وَالـوُجُـوبْ
بـــحَـــمْـــدِ لا إلَهَ إلّا الـــلـه وَحَـمْـدِ أَسْـمَـائِكَ عَـجِّـلِ الـمَـدَدْ
وَالـنَّـصْـرَ وَالـتَّـفْـرِيـجَ وَالـفـتْـحَ الـقَـرِيـبْ

اللهُ اللهُ شَـدِيـدُ الـبَـطْـشِ لَمْ يُـهْـمِلْ وَإِنْ أَمْـهَـلَ حِـيـناً مَـنْ ظَـلَمْ
سُـبـحَـانَـهُ أَشْـكُـو إِلَيـهِ مـا عَـلِمْ مِـنْ بَـغْـيِ ظَـالِمٍ بِـشَـرٍّهِ اخْـتَـدَمْ
بِـقَـضْـمِ لا إِلَهَ إِلّا الـلـه وَقَـضْـمِ أَسْـمَـائِكَ عَـجِّـلِ الـمَـدَدْ
وَالـنَّـصْـرَ وَالـتَّـفْـرِيـجَ وَالـفَـتْـحَ الـقَـرِيـبْ

اللهُ اللهُ الـذي تَـوَحَّـدا أَشْـكُـو إِلَـيـهِ ظَـالِـماً تَـمَـرَّدا
سُـبـحَـانَـهُ بِـعِـلْـمِـهِ كَـيـفَ عَـدا قَـبْـضَـتُـكَ الـلهُـمَّ بَـسْـطَـةُ الـعِـدا
بِـسَـيْـفِ لا إِلَهَ إِلّا الـلـه وَسَـيْـفِ أَسْـمَـائِكَ عَـجِّـلِ الـمَـدَدْ
وَالـنَّـصْـرَ وَالـتَّـفْـرِيـجَ وَالـفَـتْـحَ الـقَـرِيـبْ

اللهُ اللهُ هُـوَ الـشَّـدِيـدُ اللهُ فَـعَّـالٌ لِمـا يُـرِيـدُ
سُـبـحَـانَـهُ الـكُـلُّ بِـهِ مَـسُـودُ أَيْـنَ الـمَـفَـرُّ عَـنـهُ وَالـمَـجِـيـدُ
بِـدَرْكِ لا إِلَهَ إِلّا الـلـه وَدَرْكِ أَسْـمَـائِكَ عَـجِّـلِ الـمَـدَدْ
وَالـنَّـصْـرَ وَالـتَّـفْـرِيـجَ وَالـفَـتْـحَ الـقَـرِيـبْ

اللهُ اللهُ إِلَيـهِ الـسَّـلْـوَى وَالـسِّـرُّ فـي حِـيـطَـتِـهِ وَالـنَّـجْـوَى
سُـبـحَـانَـهُ قَـدَّرَ قَـدْرَ الـبَـلْـوَى وَأَلْـهَـمَ الـعَـبْـدَ عَـرِيـضَ الـدَّعْـوَى
بِـوَحْـيِ لا إِلَهَ إِلّا الـلـه وَوَحْـيِ أَسْـمَـائِكَ عَـجِّـلِ الـمَـدَدْ
وَالـنَّـصْـرَ وَالـتَّـفْـرِيـجَ وَالـفَـتْـحَ الـقَـرِيـبْ

اللهُ اللهُ عَـلَـى الـعَـرْشِ اسْـتَـوَى مُـلْـكـاً وَقَـهْـراً وَعُـلُـوّاً لا سِـوى
سُـبـحَـانَـهُ مَـنْ عِـلْـمُـهُ قَـدْ احْـتَـوَى عـلى جَـهَـارِ خَـلْـقِـهِ وَمـا انْـطَـوَى
بِـعَـيـنِ لا إِلَهَ إِلّا الـلـه وَعَـيـنِ أَسْـمَـائِكَ عَـجِّـلِ الـمَـدَدْ
وَالـنَّـصْـرَ وَالـتَّـفْـرِيـجَ وَالـفَـتْـحَ الـقَـرِيـبْ

اللهُ اللهُ هـوَ الـمُـنْـتَـقِـمُ مـا خَـشِـيَـتِـي مِـنْـهُـمْ وَمَـا كَـيْـدُهُـمُ
سُـبْـحَـانَ رَبِّـي حَـسْـبُ رَبِّـي مِـنْـهُـمُ قَـدْ مَـكَـرَ الـذيـن مِـنْ قَـبْـلِـهِـمُ
بِـحِـرْزِ لا إِلَهَ إِلّا الـلـه وَحِـرْزِ أَسْـمَـائِكَ عَـجِّـلِ الـمَـدَدْ
وَالـنَّـصْـرَ وَالـتَّـفْـرِيـجَ وَالـفَـتْـحَ الـقَـرِيـبْ

اللهُ اللهُ هُـوَ الـمُـعَـايِـنُ عَـجْـزِيَ مِـنْ خَـصْـمٍ لَهُ ضَـغَـائِنُ
سُـبْـحَـانَـهُ بِـاللهِ خَـصْـمِـي وَاهِـنُ يُـثَـبِّـتُ اللهُ الـذيـن آمَـنُـوا
بِـدَفْـعِ لا إِلَهَ إِلّا الـلـه وَدَفْـعِ أَسْـمَـائِكَ عَـجِّـلِ الـمَـدَدْ
وَالـنَّـصْـرَ وَالـتَّـفْـرِيـجَ وَالـفـتْـحَ الـقَـرِيـبْ

اللهُ اللهُ مَـعَـاذِي بَـابُـهُ إِنَّ الـعَـزِيـزَ مَـنْ حَـوَى جَـنَـابُـهُ
سُـبْـحَـانَـهُ مُـوْرِدُ مَـنْ يَـنَـابُـهُ عَـذْبَ فُـرَاتٍ سَـائِغٍ شَـرَابُـهُ
بِـوِرْدِ[1] لا إِلَهَ إِلّا الـلـه وَوِرْدِ أَسْـمَـائِكَ عَـجِّـلِ الـمَـدَدْ
وَالـنَّـصْـرَ وَالـتَّـفْـرِيـجَ وَالـفـتْـحَ الـقَـرِيـبْ

اللهُ اللهُ بِـهِ الـخَـصْـمُ يَـهُـونْ كم حَلَّ بالخَصْمِ عَذابٌ مِنْهُ هُونْ
سُـبْـحَـانَـهُ وَعِـيـدُهُ حَـتـمـاً يَـكُـونْ هذا الذي كُنتُمْ بِهِ تَستَعْجِلُونْ
بِـقَـمْـعِ لا إِلَهَ إِلّا الـلـه وَقَـمْـعِ أَسْـمَـائِكَ عَـجِّـلِ الـمَـدَدْ
وَالـنَّـصْـرَ وَالـتَّـفْـرِيـجَ وَالـفـتْـحَ الـقَـرِيـبْ

اللهُ اللهُ دُعَـانَـا سَـمِـعَـا وَسَـمِـعَ الـدُّعَـاءَ مِـنْ حَـيـثُ الـدُّعـا
سُـبْـحَـانَـهُ عَـنْ مَـنْـعِ مُـضْـطَـرٍّ دَعـا أَنْ لَـيـسَ لـلإِنْـسَـانِ إِلّا مـا سَـعَـى
بِـضَـمْـنِ لا إِلَهَ إِلّا الـلـه وَضَـمْـنِ أَسْـمَـائِكَ عَـجِّـلِ الـمَـدَدْ
وَالـنَّـصْـرَ وَالـتَّـفْـرِيـجَ وَالـفـتْـحَ الـقَـرِيـبْ

اللهُ اللهُ الـمُـبْـرِمُ الـمُـنْـعِـمُ يَـرْزُقُ مَـنْ يَـشَـاءُ لَيـسَ يَـسْـأَمُ
سُـبْـحَـانَـهُ نِـعْـمَـتُـهُ تُـتَـمِّـمُ وَلأُتِـمَّ نِـعْـمَـتِـي عَـلَـيْـكُـمُ
بِـحِـفْـظِ لا إِلَهَ إِلّا الـلـه وَحِـفْـظِ أَسْـمَـائِكَ عَـجِّـلِ الـمَـدَدْ
وَالـنَّـصْـرَ وَالـتَّـفْـرِيـجَ وَالـفـتْـحَ الـقَـرِيـبْ

اللهُ اللهُ بِـهِ أَسْـتَـفْـتِـحُ بِـغَـيـرِ فَـتْـحٍ مِـنْـهُ لا يُـفْـتَـتَـحُ

---

(١) وِرْد: الماءُ الذي يُورَد؛ ويُقصَدُ به، هنا، ما يُرَدِّدُهُ المُريدُ من تسابيح وأدعية خلال نهاره وليله.

سُبحانَهُ مِنْ مُمْسِكٍ ما يُفْتَحُ بفَتْحِهِ يَفوزُ قَومٌ أَضْلَحُوا
بمَنْحِ لا إلَهَ إلّا الله وَمَنْحِ أَسْمائِكَ عَجِّلِ المَدَدْ
وَالنَّصْرَ وَالتَّفْرِيجَ وَالفَتْحَ القَرِيبْ

الله الله إليه أَصْرِفُ وَجهيَ وَهُوَ المُصْلِحُ المُصَرِّفُ
سُبحانَهُ ما خَابَ مِنهُ المُسْرِفُ قُلْ يا عِبَادِيَ الذينَ أَسْرَفوا
بمَدْحِ لا إلَهَ إلّا الله وَمَدْحِ أَسْمائِكَ عَجِّلِ المَدَدْ
وَالنَّصْرَ وَالتَّفْرِيجَ وَالفَتْحَ القَرِيبْ

الله الله وَمِنْ مِنَّتِهِ أُفَوِّضُ الأَمْرَ إلى خِيَرَتِهِ
سُبحانَهُ لا ضِيقَ في رَأْفَتِهِ يُدْخِلُ مَنْ يَشاءُ في رَحْمَتِهِ
بعِضْمِ لا إلَهَ إلّا الله وَعِضْمِ أَسْمائِكَ عَجِّلِ المَدَدْ
وَالنَّصْرَ وَالتَّفْرِيجَ وَالفَتْحَ القَرِيبْ

الله الله بهِ الكَوْنُ نَشا بنُورِهِ مَشى إلَيهِ مَنْ مَشى
سُبحانَهُ كَمْ آنَسَ المُسْتَوحِشا الله يَجْتَبي إلَيهِ مَنْ يَشا
بذاتِ لا إلَهَ إلّا الله وَذاتِ أَسْمائِكَ عَجِّلِ المَدَدْ
وَالنَّصْرَ وَالتَّفْرِيجَ وَالفَتْحَ القَرِيبْ

الله الله إليه أَنْصَبُ الله الله إليهِ أَرْغَبُ
سُبحانَهُ مِنْ كُلِّ شيءٍ أَقْرَبُ مُطْلِعٌ لا شَيءَ عَنهُ يَعْزُبُ
بسَبْقِ لا إلَهَ إلّا الله وَسَبْقِ أَسْمائِكَ عَجِّلِ المَدَدْ
وَالنَّصْرَ وَالتَّفْرِيجَ وَالفَتْحَ القَرِيبْ

الله الله إليهِ أَبْتَهِلْ أَعِلُّ مِنْ مَشْرَبِهِ وَأَنْتَهِلْ
سُبحانَهُ مِنْ بَطْشِهِ الكُلُّ وَهِلْ أَدْعُوهُ وَالعُمْرُ مُوَلٍّ مُكْتَهِلْ
برَوْحِ لا إلَهَ إلّا الله وَرَوْحِ أَسْمائِكَ عَجِّلِ المَدَدْ
وَالنَّصْرَ وَالتَّفْرِيجَ وَالفَتْحَ القَرِيبْ

الله الله عَلَيهِ أَتَّكِلْ تَوَكُّلًا بكُلِّ طَوْرٍ مُتَّصِلْ

سُبحَانَهُ يَرعَى حُقُوقَ المُتَّكِلْ ... ما اتَّكَلَ العَبدُ على الله وَذَلْ
بِرَعْيِ لا إلَهَ إلّا الله ... وَرَعْيِ أَسْمَائِكَ عَجِّلِ المَدَدْ

وَالنَّصْرَ وَالتَّفْرِيجَ وَالفَتْحَ القَرِيبْ

اللهُ اللهُ بِهِ أَعْتَصِمُ ... اللهُ اللهُ لَهُ أَستَسْلِمُ
سُبحَانَهُ لِعِزِّهِ التَّكَرُّمُ ... لِبَابِ رَبِّي مُقدِمٌ لا أُحْجِمُ
بِحُبِّ لا إلَهَ إلّا الله ... وَحُبِّ أَسْمَائِكَ عَجِّلِ المَدَدْ

وَالنَّصْرَ وَالتَّفْرِيجَ وَالفَتْحَ القَرِيبْ

اللهُ اللهُ بِجَاهِهِ العَظِيمْ ... اللهُ اللهُ بِوَجْهِهِ الكَرِيمْ
سُبحَانَهُ اهْدِنا الصِّرَاطَ المُستَقِيمْ ... وَنَجِّنا رَبٌّ مِنَ الكَرْبِ العَظِيمْ
بِطِيبِ لا إلَهَ إلّا الله ... وَطِيبِ أَسْمَائِكَ عَجِّلِ المَدَدْ

وَالنَّصْرَ وَالتَّفْرِيجَ وَالفَتْحَ القَرِيبْ

اللهُ اللهُ بِكُلِّ ما تُحِبْ ... مِنْ صِفَةِ الرَّبِّ وَكُلِّ ما يَجِبْ
سُبْحَانَكَ اللُّطْفُ بِيَ وَاغْفِرْ وَاسْتَجِبْ ... وَنَجِّنِي وَعَافِنِي وَارْحَمْ وَتُبْ
بِوَزْنِ لا إلَهَ إلّا الله ... وَوَزْنِ أَسْمَائِكَ عَجِّلِ المَدَدْ

وَالنَّصْرَ وَالتَّفْرِيجَ وَالفَتْحَ القَرِيبْ

اللهُ اللهُ بِنُورِ ذَاتِكْ ... بِقُدْسِكَ اللهُمَّ في صِفَاتِكْ
سُبْحَانَكَ ارْحَمْ وَقْفَتِي بِبَابِكْ ... وَزَكِّنِي بِالنُّورِ مِنْ أَسْمَائِكْ
بِبَرْقِ لا إلَهَ إلّا الله ... وَبَرْقِ أَسْمَائِكَ عَجِّلِ المَدَدْ

وَالنَّصْرَ وَالتَّفْرِيجَ وَالفَتْحَ القَرِيبْ

اللهُ اللهُ بِشَاهِدِ الوُجُودْ ... اللهُ اللهُ بِأَنْوَارِ الشُّهُودْ
سُبحَانَكَ اقْبَلْنِي بِأَسْرَارِ الوُرودْ ... وَهَبْ لِيَ الرَّحْمَةَ في دَارِ الخُلُودْ
بِوُدِّ لا إلَهَ إلّا الله ... وَوُدِّ أَسْمَائِكَ عَجِّلِ المَدَدْ

وَالنَّصْرَ وَالتَّفْرِيجَ وَالفَتْحَ القَرِيبْ

اللهُ اللهُ بِوَهْبِيَّاتِكَا ... وَالمُشْرِقَاتِ مِنْ تَجَلِّيَاتِكَا

سُبحَانكَ اعْرُجْ بي إلى مَرْضَاتِكَا وَهَبْ لِيَ العِصْمَةَ مِنْ خِلافِكَا
بِعَفْوِ لا إلَهَ إلّا الله وَعَفْوِ أَسْمَائِكَ عَجِّلِ المَدَدْ
وَالنَّصْرَ وَالتَّفْرِيجَ وَالفَتْحَ القَرِيبْ

الله الله بِعِزِّ السَّلْطَنَهْ الله الله بِمَجْدِ الهَيْمَنَهْ
سُبحَانكَ اللهُمَّ قَدرَ الأَزْمِنَهْ وَبَعْدَها انظُرْنا بأهْلِ المَيْمَنَهْ
بِفَضْلِ لا إلَهَ إلّا الله وَفَضْلِ أَسْمَائِكَ عَجِّلِ المَدَدْ
وَالنَّصْرَ وَالتَّفْرِيجَ وَالفَتْحَ القَرِيبْ

الله الله بِسَبْقِ الكَلِمَهْ بالصُّحُفِ الطَّاهِرَةِ المُكَرَّمَهْ
سُبحَانكَ اللهُمَّ أهْلَ المَرْحَمَهْ نَفسِيَ إنْ قَوَّمْتَها مُقَوَّمَهْ
بِجَذْبِ لا إلَهَ إلّا الله وَجَذْبِ أَسْمَائِكَ عَجِّلِ المَدَدْ
وَالنَّصْرَ وَالتَّفْرِيجَ وَالفَتْحَ القَرِيبْ

الله الله إليهِ أَصْعَدُ بِكَلِمَاتِكَ التي لا تَنْفَدُ
سُبحَانكَ المُوَفِّقُ المُسَدِّدُ إيَّاكَ أَدْعُو سَيِّدي وَأَحْمَدُ
بِخَيرِ لا إلَهَ إلّا الله وَخَيرِ أَسْمَائِكَ عَجِّلِ المَدَدْ
وَالنَّصْرَ وَالتَّفْرِيجَ وَالفَتْحَ القَرِيبْ

الله الله بِذِكْرِكَ الحَمِيدْ بِحُبِّكَ المَكْنُونُ في قلبي العَمِيدْ
سُبحَانكَ اللهُمَّ ذا الأمْرِ الشَّدِيدْ خُذْ بيَدِي وَارْحَمْ مَقامِي يَا مَجِيدْ
بِوَثْقِ لا إلَهَ إلّا الله وَوَثْقِ أَسْمَائِكَ عَجِّلِ المَدَدْ
وَالنَّصْرَ وَالتَّفْرِيجَ وَالفَتْحَ القَرِيبْ

الله الله بِحَقِّ رَحْمَتِكْ رَبِّي اهْدِنِي لِقُرْبَةٍ مِنْ قُرْبِكْ
سُبحَانكَ انْعِشْنِي بفَضْلِ العِلْمِ بكْ وَاخْتِمْ بِرِضْوَانِكَ كَيْ أَفُوزَ بكْ
بِسِبْخرِ لا إلَهَ إلّا الله وَبَحْرِ أَسْمَائِكَ عَجِّلِ المَدَدْ
وَالنَّصْرَ وَالتَّفْرِيجَ وَالفَتْحَ القَرِيبْ

الله الله إليكَ المُنْتَهَى هَبْنِيَ في هَوَاكَ رَبِّي وَلِهَا

سُبحانكَ اللهُمَّ عَبدُكَ انتهى ... إذ لم أكُنْ أُصدِقُكَ التوَجُّهَا
بذوقِ لا إلَهَ إلّا الله ... وذوقِ أسمائِكَ عَجِّلِ المَدَدْ
وَالنَّصْرَ وَالتَّفْرِيجَ وَالفَتْحَ القَرِيبْ

اللهُ اللهُ دَنا مِنِّي الأجَلْ ... وَلَم يُقدِّرْ لِيَ صَالِحُ العَمَلْ
سُبحانكَ اللهُمَّ حَقِّقِ الأمَلْ ... إنَّ اعْتِرافي مِنْ وَسَائِلِ العِلَلْ
بصَفْحِ لا إلَهَ إلّا الله ... وَصَفْحِ أسمائِكَ عَجِّلِ المَدَدْ
وَالنَّصْرَ وَالتَّفْرِيجَ وَالفَتْحَ القَرِيبْ

اللهُ اللهُ رَجائِي وَالثِّقَهْ ... بَينَ طِباقِ السَّبْعاتِ المُوبِقَهْ
سُبحانكَ ارْحَمْ مَنْ جَدَاهُ عَلَقَهْ[1] ... وَاجْعَلْ ظُنُوني كُلَّها مُحَقِّقَهْ
بنُجْحِ لا إلَهَ إلّا الله ... وَنُجْحِ أسمائِكَ عَجِّلِ المَدَدْ
وَالنَّصْرَ وَالتَّفْرِيجَ وَالفَتْحَ القَرِيبْ

اللهُ اللهُ الجَوَادُ المُسْعِفُ ... اللهُ يَا مَنْ ذاتُهُ لا تُوصَفُ
سُبحانكَ العَدْلُ العَزيزُ المُنصِفُ ... تَوَلَّني يَا صَادِقاً لا يُخْلِفُ
بسِتْرِ لا إلَهَ إلّا الله ... وَسِترِ أسمائِكَ عَجِّلِ المَدَدْ
وَالنَّصْرَ وَالتَّفْرِيجَ وَالفَتْحَ القَرِيبْ

اللهُ اللهُ الحَبيبُ المُجْمِلُ ... المُكْرِمُ المَوْلَى الذي لا يَبْخَلُ
سُبحانكَ اللهُمَّ أنتَ المُوكَلُ ... كُنْ يَا مُعِينِي حَافِظاً لا يَغْفَلُ
بكَفٍّ لا إلَهَ إلّا الله ... وَكَفِّ أسمائِكَ عَجِّلِ المَدَدْ
وَالنَّصْرَ وَالتَّفْرِيجَ وَالفَتْحَ القَرِيبْ

اللهُ اللهُ المُثِيبُ المُجْزِلُ ... اللهُ اللهُ العَطُوفُ المُنْزِلُ
سُبحَانَهُ لِخَلْقِهِ مُعَوَّلُ ... سُبحَانَهُ لِكُلِّ شَرٍّ مُبْطِلُ

---

(١) جَدَاه: أصلُه || عَلَقة: إحدى مراحل نُموّ الجنين.

بـــنَـــفْـــعِ لا إلَهَ إلّا الـــلـه وَنَـفْـعِ أَسْـمَـائِكَ عَـجِّـلِ الـمَـدَدْ
وَالـنَّـصْـرَ وَالـتَّـفْـرِيـجَ وَالـفـتْـحَ الـقَـرِيـبْ

اللهُ اللهُ رَجَـــاءُ الـــسَّـــائِلِيـــنْ اللهُ اللهُ أَنِـيـسُ الـعَـارِفِـيـنْ
سُـبـحَـانَـهُ قُـرَّةُ عَـيـنِ الـعَـابـدِيـنْ مُـنـفِّـسُ الـكُـرْبَـةِ رُكْـنُ الـلاجـئِـيـنْ
بـــكَـــفْـــلِ لا إلَهَ إلّا الـــلـه وَكَـفْـلِ أَسْـمَـائِكَ عَـجِّـلِ الـمَـدَدْ
وَالـنَّـصْـرَ وَالـتَّـفْـرِيـجَ وَالـفـتْـحَ الـقَـرِيـبْ

اللهُ اللهُ بـــالاسْـــمِ الأَعْـــظَـــمِ صَـلِّ عـلى مُـحَـمَّـدٍ وَسَـلِّمِ
فَـضْـلِ الـوُجُـودِ الـفـاتِـحِ الـمُـخْـتَـتِـمِ وَآلِهِ وَالـصَّـحْـبِ أَهْـلِ الـكَـرَمِ
بـــعِـــلْـــمِ لا إلَهَ إلّا الـــلـه وَعِـلْـمِ أَسْـمَـائِكَ عَـجِّـلِ الـمَـدَدْ
وَالـنَّـصْـرَ وَالـتَّـفْـرِيـجَ وَالـفـتْـحَ الـقَـرِيـبْ

اللهُ اللهُ وَحُـــلَّ عُـــقْـــدَتَـــي بـجَـاهِـهِ الأَعْـظَـمِ وَاجْـبُـرْ عِـلَّتِي
وَعَـافِـنِـي يَـا رَبِّ وَاشْـفِ كُـرْبَـتِـي فـي الـدِّيـنِ وَالـدُّنـيَـا وَيَـسِّـرْ عُـسْـرَتِي
بـــسَـــيْـــبِ لا إلَهَ إلّا الـــلـه وَسَـيْـبِ أَسْـمَـائِكَ عَـجِّـلِ الـمَـدَدْ
وَالـنَّـصْـرَ وَالـتَّـفْـرِيـجَ وَالـفـتْـحَ الـقَـرِيـبْ

وَافـتـح لـيَ الـلـهُـمَّ مِـنْ آمَـالِي أَنْـفَـعَـهَـا فـي الـحَـالِ وَالـمَـآلِ
وَالـــوَالِـدَيـــنِ وَجَـمِـيـعِ الآلِ وَاخْـتِـمْ لَـنَـا بـصَـالِحِ الأَعْـمَـالِ
بـــعَـــرْشِ لا إلَهَ إلّا الـــلـه وَعَـرْشِ أَسْـمَـائِكَ عَـجِّـلِ الـمَـدَدْ
وَالـنَّـصْـرَ وَالـتَّـفْـرِيـجَ وَالـفـتْـحَ الـقَـرِيـبْ

وقال أيضاً:

اللهُ بِـــسْـــمِ اللهِ يَـــا اللهُ الأَجَـــلْ بِكَ أَسْتَجِيرُ مِنَ الخَطَايَا وَالزَّلَلْ
اللهُ بِـسْـمِ اللهِ يَـا رَحْـمَـنُ هَـبْ لِـي رَحْـمَـةً إنِي عـلى خَـطْـبٍ جَـلَلْ
اللهُ بِـسْـمِ اللهِ سَـعْـنِـي رَحْـمَـةً أَنَا يَا رَحِيمُ لِوَاسِعِ الرُّحْمَى مَحَلْ
اللهُ بِـسْـمِ اللهِ يَـا مَـلِكُ اخْـمِـنِـي مِنْ كُلِّ سُوءٍ، إنَّ مَن لَم تَحْمِ زَلْ
اللهُ بِـسْـمِ اللهِ يَـا قُـدُّوسُ حُـلْ بَـيْـنِـي وَآفَـاتِي الرَّوَاسِخِ كَـالـجَـبَـلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ سَلِّمْ طَاعَتِي ... لَكَ يَا سَلامُ إِنَّنِي رَهْنُ العِلَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ أَمْنَكَ إِنَّنِي ... يَا مُؤْمِنَ المَذْعُورِ مِنكَ على وَجَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ أَشْكُو ظَالِماً ... طَالَتْ قُواهُ يا مُهَيْمِنُ وَاهْتَبَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ عِزِّي ثَابِتٌ ... بِكَ يَا عَزِيزاً عَزَّ وَالخَصْمُ الأذلُّ

اللهُ بِسْمِ اللهِ يَا جَبَّارُ خُذْ ... خَصْمِي وَمَزِّقْهُ فقد غَلَبَ الحِيَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ يَا مُتَكَبِّراً ... فَلْتُمْحِقِ المُتكبِّرِينَ على عَجَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ جُدْ يَا خَالِقَ الـ ... أَشْيَاءِ مِنْ عَدَمٍ بِإِيجَادِ الأَمَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ كُوِّنْ مَطْلَبِي ... يَا بَارِئُ المُخْتَارِ جَلَّ عَنِ العِلَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ صَوِّرْ فِي جَنَا ... نِي يَا مُصَوِّرُ حُبَّكَ الأَعْلَى الأَجَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ يَا غَفَّارُ قَدْ ... أَسْرَفْتُ فاغْفِرْ ما أَسَأْتُ مِنَ العَمَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ يَا قَهَّارُ خُذْ ... خَصْمِي العَنِيدَ فأنتَ تَعْلَمُ ما فَعَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ يَا وَهَّابُ هَبْ ... لِي رَحْمَةً دُنيَا وَأُخْرَى تَشْتَمِلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ يَا رَزَّاقُ قَدْ ... أَقْلَلْتُ فَارْزُقْنِي وَرِزْقُكَ لا يَقِلّ

اللهُ بِسْمِ اللهِ يَا فَتَّاحُ أَبْـ ... ـوابِ الفُتُوحِ افْتَحْ لِعَبْدِكَ ما انْقَفَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ كَشَّافُ جَهَالَتِي ... بِكَ يَا عَلِيمُ اكْشِفْ لِعَقلِي ما جَهِلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ خُذْ يَا قَابِضَ الـ ... أَرْوَاحِ رُوحَ الظَّالِمِ الطَّاغِي المُضِلّ

اللهُ بِسْمِ اللهِ جُدْ لِي بَسْطَةً ... يَا بَاسِطَ الخَيْرَاتِ لِلعَبْدِ المُقِلّ

اللهُ بِسْمِ اللهِ خَافِضَ مَنْ طَغَى ... بِكَ أَسْتَجِيرُ مِنَ العِدَى اخْفِضْهُم بِذُلّ

اللهُ بِسْمِ اللهِ رَافِعُ أَهْلِهِ از ... فَعْنِي مِنَ الدَّرَجَاتِ فِي أَسْنَى مَحَلّ

اللهُ بِسْمِ اللهِ ثَبِّتْ عُمْرَتِي ... لَكَ يَا مُعِزُّ وَذَلَّ خَصْمِي يَا مُذِلّ

اللهُ بِسْمِ اللهِ سَامِعَ دَعْوَتِي ... لَكَ يَا سَمِيعُ وَأَنتَ تَسْمَعُ مَنْ وَأَلّ

اللهُ بِسْمِ اللهِ قَوِّ بَصِيرَتِي ... بِكَ يَا بَصِيرُ إِلى المَرَاشِدِ أَسْتَدِلّ

اللهُ بِسْمِ اللهِ يَا حَكَمُ انْتَقِمْ ... مِنْ ظَالِمِي أَشْكُوهُ خُذْهُ بِلا مَهَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ يَا عَدْلُ اجْتَرَى ... هذا الظَّلُومُ وَأَنتَ أَعْدَلُ مَنْ عَدَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ لُطْفاً في النَّوَا ... زِلِ يَا لَطِيفُ الطُفْ بنا فيما نَزَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ أَظْهِرْ لِي الحَقا ... ئِقَ يَا خَبِيرٌ لا يَزَالُ ولم يَزَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ عَبْدُكَ مُسْرِفٌ ... وَعَظِيمُ حِلْمِكَ يَا حَلِيمُ هُوَ الأَمَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ أَعْظِمْ بُغْيَتِي ... فَوْزاً عَظِيماً، يَا عَظِيمُ، تَلا الأَجَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ بالغُفْرَانِ جُدْ ... لي يَا غَفُورُ فما بعَدْلِكَ لي قِبَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ هَبْ لِي الشُّكْرَ في الـ ... ـنِّعَمِ الدَّقِيقةِ يَا شَكُورُ وَفِي الجَلَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ أَعْلِ مَكَانَتِي ... بعُلُوِّ عِلْمِكَ يَا عَلِيُّ وَبالعِلَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ جَلَّتْ كِبْرِيَا ... ؤُكَ يَا كَبِيرُ فلا نَدِيدُ وَلا مَثَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ حِفْظاً شَامِلًا ... أنا يَا حَفِيظُ بما تَرَاهُ مُغْتَقَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ أنتَ المُنعِمُ الـ ... ـمُعْطِي المُقِيتُ افْتحْ وَبَارِكْ ما حَصَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ حَسْبِي اللهُ في الـ ... ـتفصِيلِ مِنْ قَدْرِ الحَسِيبِ وَفي الجُمَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ جَلَّ جَلالُهُ ... بك يَا جَلِيلُ أَجِلُّ عَنْ شَيْنِ الخَلَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ أَكْرِمْ مَوقِفي ... أنتَ الكَرِيمُ وَأنتَ أخفى مَنْ كَفلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ حَسْبِي أنَّ عِلْـ ... ـمَكَ يَا رَقِيبُ بسُوءِ حَالِي لم يَحلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ كَاشِفُ سُوءِ مُضْـ ... ـطَرٌّ دَعَاهُ مُجِيبُ دَعْوَةِ مَنْ سَأَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ دَافِعُ كُلِّ ضُـ ... ـرٍّ، يَا حَكِيمُ ادْفعْ بِحِكْمَتِكَ العِلَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ ذي العَرْشِ المَجـ ... ـيدِ بحَقِّ وُدِّكَ يَا وَدُودُ أَغِثْ وصِلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ مَجْدُكَ مَوْئِلِي ... بك يَا مَجِيدَ الوُدِّ باسْمِكَ أَبْتَهِلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ فابْعَثْ باعِثَ الـ ... ـمَوتى بلُطْفِك يَا لَطِيفُ لم يَزَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ أَشْهِدْ لِي عُيُو ... بي مُخْلِصاً لَكَ يَا شَهِيد بالعَمَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ يَا حَقُّ اكْفِنِي ... أَسْواءَ نفسِي وَالمَعَالِي وَالقَبَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ كُنْ لِي في أُمُو ... رِي يَا وَكِيلُ وَيَا حَسِيبُ مَنِ اتَّكَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ قَوِّ عَزائِمِي ... في مُرْضِيَاتِكَ يَا قَوِيُّ مِنَ العَمَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ مَتِّنْ حَبْلَ حَـ ... ـظِّي يَا مَتِينُ فإنَّ حَظِّي مُنْبَتِلْ

اللهُ بِـــسْـــمِ اللهِ رَبِّ تَـــوَلَّنِـــي ... بِـكَ يَـا وَلِيُّ أَلُوذُ فِـي ضِـيـقِ الـحِـيَـلْ

اللهُ بِـسْـمِ اللهِ أَنـتَ الـمُـنـعِـمُ الـ ... ـمَلِكُ الحَمِيدُ وَحَمْدُكَ الحَمْدُ الأَجَلْ

اللهُ بِـسْـمِ اللهِ سَـخِّـرْ لِـي الـكَـوَا ... ثِنَ أَنتَ مُخصِي كُلَّ شَيءٍ فِي الأَزَلْ

اللهُ بِـسْـمِ اللهِ أَوْجِـدْ مَـطْـلَـبِـي ... يَا مُوجِدَ الأَشيَاءِ لا تَحْكِي مَثَلْ[1]

اللهُ بِـسْـمِ اللهِ عُـدْ لِـي عَـوْدَةً ... أَنتَ الـمُعِيدُ وَأَنتَ أَخفَى مَنْ بَذَلْ

اللهُ بِـسْـمِ اللهِ أَحْـيِ سَـرِيـرَتِـي ... بِالذِّكْرِ يَا مُحْيِي وَصِنْعَةَ مَنْ وَصَلْ

اللهُ بِـسْـمِ اللهِ أَهْـلِكْ ظَـالِمِـي ... وَبِعَيْنِ عَدْلِكَ، يَا مُمِيتُ، بَغَى وَضَلْ

اللهُ بِـسْـمِ اللهِ قَـلْـبِـي أَحْـيِـهِ ... يَا حَيُّ إِذ بِحَيَاتِكَ الحَيُّ اسْتَقَلْ

اللهُ بِـسْـمِ اللهِ يَـا قَـيُّـومُ يَـا ... مَنْ جَلَّ عَنْ دَرْكِ السَّآمَةِ وَالمَلَلْ

اللهُ بِـسْـمِ اللهِ أَوْجِـدْ لِي الـغِـنَـى ... يَا وَاجِداً حَقَّ الكَمَالِ بِلا مَثَلْ

اللهُ بِـسْـمِ اللهِ مَـجْـدُكَ عِـصْـمَـتِـي ... يَا مَاجِدُ اكْفِ الفَقرَ مِنْ كُلِّ السُّبُلْ

اللهُ بِـسْـمِ اللهِ وَحْـدَتُـكَ انْـجَـلَتْ ... يَا وَاحِدُ الأَحَدُ الوُجُودُ عَلَيكَ دَلْ

اللهُ بِـسْـمِ اللهِ يَـا صَـمَـدُ اكْـفِـنِـي الـ ... ـعُسْرَى وَصُنْ وَجْهِي بِيُسْرٍ مُنْهَمِلْ

اللهُ بِـسْـمِ اللهِ حُـلَّ شَـدَائِدِي ... يَا قَادِرُ امْحَقْهَا فَقَدْ ضَاقَ الكَبَلْ[2]

اللهُ بِـسْـمِ اللهِ تَـذْهَـبُ عَـاجِـلًا ... واللهُ مُـقْـتَـدِرٌ عَـلَى نَـسْـفِ الـجَـلَلْ

اللهُ بِـسْـمِ اللهِ قَـدِّمْ زُلْفَـتِـي ... لَكَ يَا مُـقَـدِّمُ فِي مَرَاتِبِ مَنْ قُبِلْ

اللهُ بِـسْـمِ اللهِ أَبْـعِـدْ ظَـالِمِـي ... عَنْ كُلِّ خَيرٍ يَا مُؤَخِّرُ وَاعْتَقِلْ

اللهُ بِـسْـمِ اللهِ أَسْـبِـقْ فِـي الـرِّضَـا ... يَـا أَوَّلًا دُونَ ابْـتِـدَاءٍ لَمْ يَـزَلْ

اللهُ بِـسْـمِ اللهِ صَـفِّ سَـرِيـرَتِـي ... يَا آخِرَ الأَشْيَاءِ لَيسَ إِلى أَجَلْ

اللهُ بِـسْـمِ اللهِ أَظْـهِـرْ حُـجَّـتِـي ... يَا ظَاهِراً لِظُهُورِهِ المَصْنُوعُ دَلْ

اللهُ بِـسْـمِ اللهِ آنِـسْ وَحْـشَـتِـي ... يَا بَاطِنَ الذاتِ المُقَدَّسِ مِنْ عِلَلْ

---

(١) لا تحكي مثل: لا تشابه شبيهاً.

(٢) الكَبَل: القيد.

اللهُ بِسْمِ اللهِ يَا وَالِي اخْمِنِي ... مِن كُلِّ سُوءٍ وَاصِلٍ أو لم يَصِلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ يَا مُتَعالِياً ... عَنْ أيِّ نَقْصٍ أعْلِنِي عَمَّا سَفَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ بِرَّكَ أغْنِنِي ... يَا بَرُّ إذْ بِرُّ الخَلِيقَةِ مُنْبَتِلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ يَا تَوَّابُ تُبْ ... إنِي أنِبْتُ مِنَ الخَطايَا وَالزَّلَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ قِسْطُكَ قَائِمٌ ... فَتَجَلَّ مُنْتَقِماً مِنَ الطاغِي الأَضَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ عَفْواً مَاحِياً ... ذنبي وَعَفْوُكَ يَا عَفُوُّ هُوَ الأَمَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ أسْأَلُ رَأْفَةً ... إني بِبابِكَ يَا رَؤُوفُ عَلَى وَجَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ أوْسِعْنِي الغِنَى ... يَا مَالِكَ المُلْكِ المُدَبِّرِ لِلدُّوَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ هَبْ يَا ذا الجَلا ... لِ لَنا، وَذا الإكْرَامِ عِزاً لا يُذَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ مُقسِطِ حُكْمِهِ ... إني ظَلَمْتُ وَلَيسَ عِندِي مُحْتَمَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ جَامِعُ خَلْقِهِ ... لِلِقائِهِ اجْمَعْنِي وَعَجِّلْ بِالشَّمَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ فَقْرِي زَائِلٌ ... طَوْلُ الغَنِيِّ الحَقِّ طَوْلٌ لا يُغَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ يَا مُغْنِي اكْفِنِي ... عَمَّنْ سِوَاكَ فإنَّ جُودَكَ لا يَقِلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ يَمْتَنِعُ الشَّقا ... يَا مَانِعُ امْنَعْ كُلَّ سُوءٍ بي نَزَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ يَا ضَارُّ انْتَقِمْ ... مِنْ ظَالِمٍ لِصَوَارِمِ العُدْوَانِ سَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ نَافِعَ خَلْقِهِ انـ ... ـفَعْنِي بِما أمَّلْتُ نَفْعاً مُشْتَمِلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ نُورٌ بَاطِنِي ... يَا نُورُ وَاجْعَلْنِي بِنُورِكَ أشْتَعِلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ يَا هَادِي اهْدِنِي ... واهْدِ القُلُوبَ إلَيَّ وَاهْدِ بيَ السُّبُلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ نَفْحَةَ رَحْمَةٍ ... تَذرُ المَصَاعِبَ يَا بَدِيعُ كَلَم تَنَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ يَا بَاقِي اكْفِنِي ... ضُرّاً يُلازِمُنِي كَمَا لَزِبَ الجَبَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ وَارِثُ خَلْقِهِ ... يَا وَارِثُ امْنَحْنِي خَصَائِصَ مَنْ كَمُلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ أرْشِدْ فِي المَرَا ... شِدِ يَا رَشِيدُ مِنَ الخَلائِقِ وَالعَمَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ هَبْ لي الصَّبْرَ في ... كُلِّ الأمُورِ بِغيرِ ضُرٍّ قَدْ حَصَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ يَا ذا الطَّوْلِ عَبْـ ... ـدُكَ يَستقِيلُكَ فاعْفُ عَنهُ ما جَهِلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ فَقْرِي عَاقِلِي ... بِيَدِ الإِلَهِ الحَقِّ فكُّ المُعْتَقَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ يَنْقَلِبُ البَلا ... بكَ يَا مُحِيطُ وَيَنْطَوِي نَشْرُ العِلَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ حَظِّي بِاقْتِدَا ... رِكَ يَا قَدِيرُ يَنالُ ما عَزَّ الحِيَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ وَفْرُ كِفايَتِي ... بِكِفايَةِ الكَافِي الكَرِيمِ لِمَنْ كَفلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ حَقِّقْنِي شَكُو ... راً حَامِداً يَا شَاكِرَ العَبْدِ المُقِلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ قَضْماً ظَالِمِي ... يَا قائماً بالقِسْطِ قِسْطُكَ لم يَحُلْ[1]

اللهُ بِسْمِ اللهِ غَارَتَكَ السَّرِيعَةَ ... يَا سَرِيعُ عَلَيهِ أَرْسِلْها العَجَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ صَفْحُكَ سَيِّدي ... يَمْحُو الخَطايَا غَافِرَ الذَّنْبِ الجَلَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ تَعْلَمُ تَوْبَتِي ... يَا قَابِلَ التَّوْبِ ارْضَهَا فِيما قُبِلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ نَكِّلْ بِالعِدَى ... أَنتَ الشَّدِيدُ عِقابُهُ، أَنتَ الأَجَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ غَوْثاً مُسْرِعاً ... يَا مُسْتَغاثُ وَيَا مُغِيثاً مَنْ وَأَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ حَسْبِي فَاطِرَ الـ ... أَشْيَاءِ في سُلْطانِهِ كَنَفٌ وَظِلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ رَبِّ تَوَلَّنِي ... عِظَمُ الرُّبُوبَةِ لا تَضِيقُ بِذي أَمَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ قَهْراً خَضْمَنا ... يَا قَاهِرَ الغُلَّابِ صَيِّرْهُم مَثَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ مَوْلايَ انْتَصِرْ ... ولَنِعْمَ مَوْلَى لا تُنازِعُكَ العِلَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ قَدْ مَرَدَ[2] العِدَى ... نِعْمَ النَّصِيرُ فَأَيِّدِ الحِزْبَ الأَقَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ دَعْوَةُ مُخْلِصٍ ... أَنتَ القَرِيبُ تُجِيبُ دَعْوَةَ مَنْ سَأَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ يَا فَعَّالُ تَفْـ ... ـعَلُ ما تُرِيدُ وَكُلُّ ما شِئْتَ انْفَعَلْ

اللهُ بِسْمِ اللهِ يَا مَنَّانُ مَنَّـ ... ـكَ لَيسَ يَنْفَدُ بالعَطَاءِ وَلا يَقِلُّ

اللهُ بِسْمِ اللهِ خَلَّاقُ البَرِ ... يَّةِ ما تَشاءُ عَلَى اخْتِيَارِكَ يَسْتَقِلْ[3]

اللهُ بِسْمِ اللهِ يَا ذا القُوَّةِ ادْ ... فعْ كَيدَ خَصْمِي وَلْيَكُ النُّكْسَ الأَذَلْ

---

(١) لم يَحُل: لم ينزل.

(٢) مَرَدَ: تمرّد.

(٣) يستقلّ: يختص.

اللهُ بِـسْـمِ اللهِ يَـا ذا الـعِـزَّةِ انـ ... ـظُرْنا وَأَوْجِبْ في أَعَادِينا الفَشَلْ
اللهُ بِـسْـمِ اللهِ يَـا ذا البَطْشِ أَخْـ ... ـزِهِمُ بِبَطْشِكَ في أَعَادِيكَ الأُوَلْ
اللهُ بِـسْـمِ اللهِ عَـجِّـلْ هَـلْكَـهُـم ... ذا الانتقامِ فإنَّ جُورَهُمُ اشْتَعَلْ
اللهُ بِـسْـمِ اللهِ يَـا خَـلَّاقَـنـا ... يَا ذا المَعَارِجِ هَبْ لنا العِزَّ الأَجَلْ
اللهُ بِـسْـمِ اللهِ يَـا ذا الـعَـرْشِ لا ... تَنصُرْ عَلَينا باغِياً نَسِيَ الأَجَلْ
اللهُ بِـسْـمِ اللهِ يَـا ذا الـفَـضْـلِ قَـدْ ... بَسَطَ اليَمِينَ إِلَيكَ عَبْدُكَ وَابْتَهَلْ
اللهُ بِـسْـمِ اللهِ يَـا ذا الـرَّحْـمَـةِ ... ارْحَمْنِي فإنِّي مَسَّنِي الضُّرُّ الجَلَلْ
اللهُ بِـسْـمِ اللهِ عَـبْـدُكَ ضَـارِعٌ ... لَكَ يَا مَلِيكُ شُؤُونَ مَطْلَبِهِ وَكَلْ
اللهُ بِـسْـمِ اللهِ أَدْعُـو مُـخْـبِـتـاً ... أَرْجُو التَّجَاوُزَ مِنكَ عَنْ سُوءِ الفِعَلْ
اللهُ بِـسْـمِ اللهِ أُثْـقِـلَ كَـاهِـلِي ... وَعَظِيمُ فَضْلِكَ وَاسِعٌ حَطَّ الثِّقَلْ
مَوْلايَ فِي أَسْمَائِكَ الحُسْنى لنا ... حَبْلٌ مَتِينٌ لا يُرَامُ وَلا يُحَلْ
مَوْلايَ فِي أَسْمَائِكَ الحُسْنى لنا ... غَوْثٌ سَرِيعٌ بانْتِصَارِكَ يُسْتَهَلْ
مَوْلايَ فَرِّجْ هَمَّنا وَغُمُومَنا ... بِفُيُوضِهَا وَافْتَحْ بها بَابَ الأَمَلْ
مَوْلايَ بِالأَسْمَاءِ وَالأَسْرَارِ وَالـ ... أَنْوَارِ وَالآثَارِ مِنْهَا أَبْتَهِلْ
أَدْعُو بِكُلِّ اسْمٍ لِذاتِكَ بالصِّفا ... تِ الطَّاهِرَاتِ وَكُلِّ مَوْحِيٍّ نَزَلْ
أَدْعُو بِكُلِّ وَسِيلَةٍ أَحْبَبْتَهَا ... مِنْ سَائِلِيكَ فَتَسْتَجِيبُ لِمَنْ سَأَلْ
بِمُحَمَّدٍ وَالطَّيِّبِينَ وَمَنْ إِذا ... ذُكِرُوا؛ بِهِمْ بَرَكَاتُ فَضْلِكَ تَسْتَهِلْ
يَا رَبِّ صَلِّ مُسَلِّماً أَبَداً عَلَيهِ ... وَآلِهِ وَعَلَى المَلائِكِ وَالرُّسُلْ

القصيدة الهَمزيَّة(*)

إلـهِـيَ لاسْـمِـكَ الأَعْـلَى الـعَـلاءُ ... لَهُ الـتَّـسْـبـيـحُ مِـنِّـي وَالـثَّـنـاءُ

أَقَـمْـتُ لِـعِـزِّ وَجْـهِـكَ ذُلَّ نَـفْـسِـي ... فَـأَفْـنِ الـنَّـفْـسَ فِـيـكَ لَكَ الـبَـقـاءُ

إِلَيـكَ يَـسُـوقُـهَـا شَـوْقٌ مُـلِحٌّ ... وَأَصْـوَاتُ الـصِّـفـاتِ لَهَـا حُـدَاءُ

أُجَـنِّـبُـهـا الـعَـزَائِمَ وَهِـيَ نَـضْـوٌ[1] ... وتَـحْـتَ عَـزَائِمِ الـنَّـفْـسِ الـعَـلاءُ

أُجَـرِّدُهـا مِـنَ الأَهْـوَاءِ حَـتَـى ... يُـبَـاشِـرَهَـا بِـمِـنَّـتِـكَ الـصَّـفـاءُ

أَمَـزِّقُ بِـاسْـمِـكَ الأَعْـلَى صِـفـاتِـي ... وَأَلْـبِـسُ مِـنْ صِـفـاتِـكَ مـا أَشَـاءُ

أُبَـيِّـتُ سِـوَى جَـلالِكَ لـي جَـلالاً ... وَلَـيْـسَ كَـنُـورِ وَجْـهِـكَ لِي سَـنـاءُ

أَنَـصُّ[2] إِلـيـكَ بـالإِخْـلاصِ سَـيْـرِي ... تَـسَـاوَى الـخَـوفُ عِـنـدِي وَالـرَّجَـاءُ

أُمَـنِّـي الـنَّـفْـسَ مِـنْ لُـقْـيَـاكَ خَـيـراً ... فَـهَـلْ لِسَـعَـادَتِـي ذاكَ الـلقـاءُ

إِلـهِـي بُـلْـغَـتِـي[3] لَـيْـسَـتْ بِـزَادٍ ... وَفِـيـكَ لِكُـلِّ ذِي أَمَـلٍ كِـفـاءُ

أَقُـومُ بِـمـا أَقُـومُ بِـهِ وَلَـكِـنْ ... حَـقِـيـقَـةُ مـا أَقُـومُ بِـهِ خَـلاءُ

أَمَـا وَجَـلالِ وَجْـهِـكَ لَيْـسَ إِلّا ... مُـجَـرَّدَ فَـضْـلِكَ الـعَـمَـلُ الـوَفـاءُ

(*) وردت القصيدة الهمزية في الأصل المُعتمد بعنوان: وقال عفى الله عنه.

(١) نَضْو: الهزيل من الحيوانات.

(٢) نَصَّ الدّابّة: استحثها للإسراع في مشيها.

(٣) البُلْغَة: ما يكفي لسدِّ الحاجة ولا يَفضُلُ عنها.

أمِنتُ بِنُورِ وَجْهِكَ في طَرِيقي ... وإلّا فالضَّلالَةُ وَالشَّقاءُ
أَسَأْتُ صِناعَتِي وَالسُّوءُ طَبْعِي ... وَأَنتَ مِنَ الإِساءَةِ لِي بَرَاءُ
أَسِيرٌ تَحْتَ بَابِكَ بالخَطايَا ... وَعَدْلُكَ في الحَقِيقَةِ لِي جَزاءُ
أَشُدُّ مَصَائِبِي ذَنْبِي وَلَكِنْ ... بِرَحْمَتِكَ التَأَسِّي وَالعَزَاءُ
أَقِلْ لِي عَثْرَتِي وَاغْفِرْ ذُنُوبِي ... فَإِنَّ اللهَ يَغْفِرُ مَا يَشَاءُ[1]
أَتَطْرُدُنِي وَقَدْ حَقَّقْتُ تَوْبِي ... وَأَنتَ البَرُّ عَادَتُكَ الوَفَاءُ
إذا أَخْلَصْتُ إِيمَانِي وَتَوْبِي ... إِلَيكَ فَما بَقِي إلّا الرِّضَاءُ
أَقَمْتَ لِيَ الدَّلِيلَ عَلَيكَ حَتى ... تَجَلَّى الأَمْرُ وَانْكَشَفَ الغِطَاءُ[2]
إِلهِي كُنْتَ كَنْزاً فِي خَفَاءٍ ... فَحِينَ فَطَرْتَنا بَرِحَ الخَفَاءُ
أَحَقُّ الاعْتِرَافِ بِأَنَّ عَبْداً ... إذا عَرَفَ اسْتَقَامَ لَهُ الوَلاءُ
أَعِرْفَانٌ وَمَعْصِيَةٌ وَجَهْلٌ؟ ... مَعَاذَ اللهِ ذاكَ هُوَ البَلاءُ
أَقِمْ لِي عِصْمَةً وَاحْفَظْ سُلُوكِي ... فَإِنَّ الحَقَّ عِصْمَتُهُ وِقَاءُ
أَما وَجَلالِ وَجْهِكَ لَنْ تَرَانِي ... سَلِيماً حِينَ يُسْلِمُنِي القَضَاءُ
أَأَشْقَى سَيِّدِي وَالذِّكْرُ كَسْبِي ... وَأَنْفَاسِي التَّبَتُّلُ وَالدُّعَاءُ

---

(١) من تقنيات الخطاب الشعري المُوجّه للذات الإلهية عودة الشاعر (وغالباً في نفس البيت) لاستخدام ضمير الغائب في تقرُّبه من الخالق بآيةٍ من آيات القرآن الكريم، وهي وسيلة هدفها التأكيد على مطلبه باستخدام أكثر من ضمير، كما في هذا البيت الذي يتخلى في شطره الثاني عن خطابه المُباشر: (أقِلْ لي عثرتي..) إلى التوسُّلِ بمُسَلَّمة: (فإنَّ الله يفعل ما يَشاءُ). والحقيقة أن خروجاته ودخولاته بين الضمائر أسلوبيّة يَنضحُ بها خطابُهُ الشعري تناظُراً وتقابُلاً.

(٢) بعد معاتبته للخالق في البيتين السابقين على عدم قبوله بين الأبرار (أتطردني؟ رغم تحقيقي لكل شروط التوبة المُستوجِبَة لرضاك...)، يعود لتعليل حُجّة تماديه في خطاب الذات الإلهية في هذا البيت: (أقمتَ ليَ الدّليل عليك..) كسراً لمَسار خطابه في الشطر الثاني من البيت، فالتتمة ليست كما يُوحي ظاهرها بقيام دليل المخلوق في مُحاجَجته (وهو دَليلٌ أقامه الخالق)، بل للتخفيف من حِدَّة خطابه بالعودة لاستخدام مثل يُضرَبُ لحظة انكشاف الحقيقة (وهي حقيقة الخالق): تجلّى الأمرُ وانكشفَ الغطاء، وهو ما يتمهَّلُ في إيضاحه عن قصد حتى البيت التالي: إلهي كُنتَ كنزاً في خفاءٍ | فحِينَ فطَرْتنا برح الخفاءُ.

أَجِزْنِي نَظْرَةً فِي الحَالِ وَالطُّفْ ... بِهِ أَنتَ اللطِيفُ بِمَا تَشَاءُ
أَجِبْ بِمُحَمَّدٍ كَلِمَاتِ ذِكْرِي ... وَصَلِّ عَلَيهِ مَا نُشِرَ الثَّنَاءُ[1]

(١) على قِصَرِها بين مُطوّلاته، لكنّ هذه القصيدة ذات فرادة خاصّة في الخطاب والمعنى والتأويل والتركيب، فأبياتها تبدأ بألِفٍ مَهمُوزة لتنتهي قوافيها بألِفٍ متبوعة بهمزةٍ مرفوعة.

القصيدة البائيَّة(*)

بِاسْمِكَ سَيِّدي تُجْلَى الكُرُوبُ ... وَذِكْرُكَ تَطْمَئِنُّ بِهِ القُلُوبُ(١)

بِحَمْدِكَ سَبَّحَتْ رُوحِي وَنَفْسِي ... وَقَلْبِي فِيكَ مُنْكَسِرٌ قَطِيبُ(٢)

بَثَثْتُ إِلَيكَ أَحْزانِي وَكَرْبِي ... وَحَالِي عَنكَ رَبِّي لا تَغِيبُ

بِرَحْمَتِكَ اسْتَغَثْتُ وَلِي يَقِينٌ ... بِأَنَّ مَنِ اسْتَغَاثَكَ لا يَخِيبُ

بِلُطْفِكَ سَيِّدي فَرَجٌ وَبُشْرَى ... وَإِنْ عَقَدَتْ شَدَائِدَها الخُطُوبُ

بِمَنْظَرِكَ العَلِيِّ صِفاتُ نَفْسِي ... وَما جَرَّتْ عَلَيَّ بِهِ الذُّنُوبُ

بِسُوءِ الاخْتِيارِ عَصَيْتُ رَبِّي ... وَتِلْكَ قَضِيَّةٌ مِنها أَتُوبُ

بَصُرْتَ بِزَلَّتِي سِراً وَجَهْراً ... وَسِرُّكَ لَيسَ تَهْتِكُهُ العُيُوبُ

بَعِيدٌ مِنْ عَبِيدِكَ كُلُّ خَيرٍ ... وَلكِنْ أَنتَ بِالحُسْنى قَرِيبُ

بِرَأْفَتِكَ اسْتَجَرْتُ مِنَ الخَطايَا ... فَكُلُّ مَكَاسِبِي إِثْمٌ وَحُوبُ(٣)

بَرِئْتُ إِلَيكَ مِمَّا لَسْتَ تَرْضَى ... وَأَنْتَ عَلَى بَرَاءَتِيَ الرَّقِيبُ

بِأَوْبَةِ مُخْلِصٍ لَم يَبْقَ شَيءٌ ... سِواكَ على الوُجُودِ لَهُ حَبِيبُ

بَعَثْتُ إِلَيكَ مِنْ سِرِّي رَجاءً ... وَأَنتَ عَلِيمُ ما تُخْفِي الغُيُوبُ

(*) القصيدة البائية وردت في الأصل المُعتمد بعنوان: (وقال).

(١) كسابقتها، تبدأ جميع أبيات هذه القصيدة بحرف باءٍ مجرور أو منصوب لتنتهي بنفس الحرف مرفوعاً، كما لو أرادها بائيةً مُزدَوَجة.

(٢) القَطِيب: هو الممزوجُ من الشراب، والقصد امتزاجُ الخوف والرَّجاء في القلب.

(٣) حُوب: ذنب.

بَصِيرٌ بِي وَما أُخْفِي وَأُبْدِي ... وَما يَأْتِي بِهِ الزَّمَنُ العَصِيبُ

بِما نَجَّيتَ نُوحاً حِينَ نادى ... وَأَنتَ لِكُلِّ مَنْ نادى مُجِيبُ

بِما نَجَّيتَ يُونُسَ حِينَ نادى ... وَسَبَّحَ فانْجَلَتْ عَنهُ الكُرُوبُ

بِما نَجَّيتَ أَيُّوبَ المُنادِي ... ونِعْمَ العَبْدُ أَوَّابٌ مُنِيبُ[1]

بَدِيعَ الكائِناتِ الْطُفْ بِعَبْدٍ ... لَهُ مِنْ كُلِّ سَيِّئَةٍ نَصِيبُ

بِرَحْمَتِكَ التي وَسِعَتْ أَصِبْنِي ... فإنكَ مَنْ تَشاءُ بِهَا تُصِيبُ

بَلِيَّاتِي أَحاطَتْ بِي وَمالِي ... عَلَيها سَيِّدي صَبرٌ رَحِيبُ

بِنَضرِكَ أَستَعِدُّ لِكُلِّ هَوْلٍ ... بِحَوْلِكَ كُلُّ هَوْلٍ لا يَنُوبُ

بِحَوْلِكَ رَبِّ لِي نَصْرٌ عَزِيزٌ ... بِحَوْلِكَ رَبِّ لِي فَتْحٌ قَرِيبُ

بَدَا لِي مِنْ جَلالِكَ قَهْرُ خَصْمِي ... فَأَسْهُمُهُم إليَّ لَهُم تُصِيبُ

بَغَوا بِي السُّوءَ فَانْجَدَلُوا وَخَابُوا ... كَذلِكَ كُلُّ جَبَّارٍ يَخِيبُ

بِعِزَّتِكَ اعْتَصَمْتُ فَلا أُبالِي ... وَإِنْ نَصَبَتْ مَكائِدَهَا الخُطُوبُ

بِعِزِّ اللهِ سُلْطَانِي عَلَيهِم ... وَعَدْلُ اللهِ سُلْطَانٌ مَهِيبُ

بِقُدْرَتِكَ اسْتَجَرْتُ مِنَ الأَعَادِي ... فأنتَ القَاهِرُ الحَكَمُ الحَسِيبُ

بِنُورِ مُحَمَّدٍ نَوِّرْ يَقِينِي ... وَصَلِّ عَلَيهِ ما نَارَتْ قُلُوبُ

---

(١) الإشارات في هذا البيت والبيتين السّابقين له إلى الأنبياء: نوح، يونس وأيّوب.

الشجرة المُباركة(*)

سُبْحَانَ مَنْ وَجَبَ الوُجُودُ لِذاتِهِ ... لِلذاتِ، لا لِوُجُودِ مَخْلُوقَاتِهِ[1]

وَجَبَ الوُجُودُ لَهُ بِما هُوَ أَهْلُهُ ... مِنْ مُقْتَضَى أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ

وَجَبَ الوُجُودُ لذي الجَلالِ بشَرْطِ لا ... وَلَو انْجَلَى بِوُجُودِ مَوْجُودَاتِهِ

وَجَبَ الوُجُودُ لِذِي الجَلالِ مُقدَّساً ... عَنْ شَائِباتِ النَّقْصِ فِي سُبُحَاتِهِ

وَجَبَ الوُجُودُ لَهُ بِغيرِ مُعلِّلٍ ... لِوُجُودِهِ أَوْ مُوجِبٍ لِثَبَاتِهِ

وَجَبَ الوُجُودُ لِذِي الأُلوهَةِ مُطْلَقاً ... فِي قُدْسِهِ عَنْ كُلِّ تَقْيِيدَاتِهِ

وَجَبَ الوُجُودُ لَهُ غَنِياً نَفْسُهُ ... مِنْ حَيثُ وَحْدَتِهِ وَرُتْبَةِ ذاتِهِ

وَجَبَ الإلَهُ وَلا تَعيَّنَ مُمْكِنٌ ... إلّا تَعَيُّنُهُ بِمَعْلُومَاتِهِ

ما زالَ حَقُّ وُجُوبِهِ مُتَعَيِّنٌ ... بِوُجُوبِهِ مِنْ جِنسِ مَضْنُوعَاتِهِ

لم تَصْدُرِ الآثارُ حَقَّ وُجُوبِهِ ... إلّا دَلالَتُهَا لِتَأْثِيرَاتِهِ

إيجَابُها حَدَثٌ وَلا تَأْثِيرَ فِي ... ثبتِ الوُجُوبِ الحَقِّ مِنْ إثْبَاتِهِ

آثارُ إمْكَانِ الوُجُوبِ لِغَيرِهِ ... جَلَّ الوُجُوبُ الحَقُّ عَنْ عِلّاتِهِ

(*) وردت في الأصل المُعتمد بعنوان: (وقال أيضا).

(١) وجب الوُجُودُ لذاته: أي أن تحقق شرط وجود الوجود (والعدم، بالضرورة) عائد لا لوجوب وجوده، بل للذات الإلهية دونما اعتبار لوجود المخلوقات من عدمه. وهي مُحاججة فلسفية رفيعة تعتد في متن الأبيات اللاحقة لتفنيد موجبات وجود الوجود وعِلّتِهِ المعلولة حصراً بإرادة الذات الإلهية.

أعْطَى الوُجُودَ لِمُمْكِنٍ مُخْتارُهُ ... في حَدِّ عِلَّتِهِ وَمَعْلُولاتِهِ[1]

حَقَّتْ لَهُ أَحَدِيَّةٌ في ذَاتِهِ ... وَثُبُوتِهِ وَوُجُوبِهِ وَصِفاتِهِ

بَحْتُ[2] القَدَاسَةِ في مَقامِ وُجُودِهِ ... عَمّا يَحِدُّ وُجُودَ مُخْتَرَعاتِهِ

فَوُجُودُهُ لِلذَّاتِ لَيسَ لِمُقْتَضٍ ... وَوُجُودُهُنَّ يُعَدُّ من آياتِهِ

وَوُجُودُهُ صِفَةٌ لِعِزِّ كَمالِهِ ... يُنهِي إلَيها ما يَلِيقُ بِذَاتِهِ

وَوُجُودُه سَلْبٌ لِضِدِّ وُجُودِهِ ... والشَّيءُ مُعْتَبَرٌ بِضِدِّيَّاتِهِ

وَوُجُودُهُ سَلْبُ انْتِهَاءِ وُجُودِهِ ... يَقْضِي الوُجُوبُ مُحَالَ نَفْيِ ثَبَاتِهِ

وَوُجُودُ مُبْدِعِهِ وَتَرْكُ وُجُودِهِ ... فِعْلٌ وَتَرْكٌ مِنْ تَجَلِّيَّاتِهِ[3]

وَبِفَيْضِ مَرْتَبَةِ الوُجُودِ تَقَيَّدَ الـ ... إمْكانُ في إيجادِ مَاهِيَّاتِهِ

فَبِفَيضِ اخْتِيارٍ لَيسَ غُلْباً، لا ولا ... طَبْعاً يُؤَثِّرُ في طَبِيعِيَّاتِهِ

ما حِيلَةُ الإمْكَانِ حَيثُ كُمُونُهُ ... وَبُرُوزُهُ مِنْ بَعْضِ مُقْتَضَيَاتِهِ

في فَقرِهِ الإمْكَانُ تَحْتَ وُجُوبِهِ ... مُتَقَيِّداً بِقُيُودِ مُخْتَمَلاتِهِ

وَوُجُودُ مُخْتَمَلِ الوُجُودِ بِخَلْقِهِ ... وَبِأَمْرِهِ أَثَرُ اخْتِيارِيَّاتِهِ

وَالفَيْضُ بالتَّعْلِيلِ يُوجِبُ كَثْرَةَ ... القُدَمَاءِ في نَفسِ القَدِيمِ بِذاتِهِ

والتَّرْكُ دُونَ الاخْتِيارِ لِعَاجِزٍ ... في ذاتِهِ مِنْ فِعْلِ مَقْدُورَاتِهِ

وَقَضِيَّةُ الإمْكَانِ شَاهِدَةٌ على ... إتْقانِ مُخْتارٍ لِمَصْنُوعَاتِهِ

ظَهَرَ اخْتِيارُ الحَقِّ في وَجْهِ النَّنا ... قُضِ وَالتَّضَادُدِ بَينَ مُخْتَرَعَاتِهِ

---

(١) مُمْكِن: مخلوق || مُختاره: من اصطفته الذات الإلهية ليكون مُمْكناً/ مخلوقاً. أي أن إعطاء حق الوجود لمخلوق ما مُرتبط، أساساً، بحق الاصطفاء في تعيين العِلّة والمعلول الإلهيين، لأنه ـ أي الخالق ـ هو الوحيد الذي حقّت له الأحدية (وحدة ذاته وصِفاته)، كما يرد في البيت التالي.

(٢) البَحْت: الصِّرْف الخالِص.

(٣) في الأبيات الأربعة السابقة، كما في هذا البيت إثباتٌ لوجود الخالق، وتفريق لعلّة وجوده (المعلولة بوجوده) عما يقتضي وجود مخلوقاته الذي لا يعدو أن يكون واحدة من آياته، في حين أن وجود الخالق سَلبٌ للعَدَم = (ضد وجوده)، بدليل قاعدة الأضداد: فالأشياء تعتبر وتقاس ويُراز تحققها بأضدادها، قبل وبعد أي اعتبار آخر: وبضدِّها تتبيَّنُ الأشياءُ.

وَتَغَايُرِ الإِبْدَاعِ تَحْتَ شُؤُونِهِ ... فِي حَضْرِ «كُنْ» طَوْعاً لِتَقْدِيرَاتِهِ

لا قَابِلِيَّةً فِي وُجُودِ مُمْكِنٍ ... لِسِوَى اخْتِيَارِ الحَقِّ كَيْنُونَاتِهِ

وَمُعَلِّلٌ فَرْدٌ يُعَلِّلُ مُفْرَداً ... لا يَقْتَضِي تَعْلِيلَ مَعْلُولاتِهِ[1]

وَالنَّقْضُ وَالإِبْرَامُ وَالتَّصْرِيفُ وَالـ ... ـتَّدْبِيرُ لِلمُخْتَارِ، مِنْ آيَاتِهِ

وَتَبَايُنُ الأَقْدَارِ حَسْبَ شُؤُونِهِ ... مِنْ عَالَمِ الجَبَرُوتِ فِي حَضَرَاتِهِ

لِلوَاجِبِ المُخْتَارِ مَظْهَرُ حِكْمَةٍ ... عَنْ قُدْرَةٍ وَجَبَتْ لِوَحْدَةِ ذَاتِهِ

يَا مَنْ تَجَلَّى بِالوُجُوبِ وُجُودُهُ ... فِي نُورِ حِكْمَتِهِ وَظِلِّ صِفَاتِهِ[2]

يَا مَنْ تَجَلَّى بِالأُلُوهَةِ وَاجِباً ... مِنْ حَيْثُ مَظْهَرِهِ عَلى كَلِمَاتِهِ

يَا مَنْ تَجَلَّى بِالوُجُوبِ مُدَبِّراً ... جُزْئِيَّ مُبْدَعِهِ وَكُلِّيَّاتِهِ

يَا مَنْ تَجَلَّى مِنْ سَنَا أَخْلاقِهِ ... وَعَظِيمِ رَحْمَتِهِ وَتَبْرِيكَاتِهِ

يَا مَنْ تَجَلَّى فِي سِيَاسَةِ مُلْكِهِ ... وَاللُّطْفِ بِالمَخْلُوقِ فِي حَالاتِهِ

يَا مَنْ تَجَلَّى فِي مَشَاهِدِ حُبِّهِ ... بِبَلائِهِ فِي أَهْلِ تَقْرِيبَاتِهِ[3]

يَا مَنْ تَجَلَّى فِي نَعِيمِ عَدَائِهِ[4] ... بِوُجُوبِ حِكْمَتِهِ بِمَقْتَضَيَّاتِهِ

يَا مَنْ تَجَلَّى فِي بَدَائِعِ صُنْعِهِ ... بِعَجَائِبِ الإِتْقَانِ فِي ذَرَّاتِهِ

يَا مَنْ تَجَلَّى وَاحِداً فِي ذَاتِهِ ... وَصِفَاتِهِ فِي أَيِّ تَغْرِيفَاتِهِ

يَا مَنْ تَجَلَّى بِالكَمَالِ وُجُوبُهُ ... فِي فِعْلِهِ وَلِذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ

---

(١) توضيح: ومُعلِّلٌ فرْدٌ [أي المخلوق] حين يُعلِّلُ المُفرَد [أي الخالق]، لا يَقتضي، بداهةً تعليلَ المَعلول بِتعلِّةٍ مُبتَدَعة. وهو ما يتكشفُ في الأبيات التالية، وسنقتصر على ما ورد في البيت التالي لهذا البيت، ليكون في مقام الشرح المُوفِّي: فكُلٌّ من النقض والإبْرام وتصريفُ شؤون الكَون وتدبيره للمُختار، وهي ليست مُجرَّد صِفاتٍ دالَّةٍ على قدرته اللامُتناهِية، بل آيَةٌ من آياته.

(٢) في هذا البيت إغلاءٌ شِعريٌّ (خارج تفلسُف الحُجّة) لوُجوب وُجود الخالق المُتجلّي في نُور الحِكْمة وَظِلِّ الصِّفة الإلهيتين، كما لو كانت الحِكْمة نُوراً والصِّفةُ ظِلَّها المُلازم.

(٣) أهل تقريباته: المُقرّبين الذين تولاهم الخالق بابتلائه لهم حُباً، والإشارة صُوفيَّةٌ بامتياز وتمايُز لها مُعتاد القول.

(٤) عَدَائه: أعدائه المُتجلّي، لحِكْمة ومُقتضى، في قلب النعيم الذي يَرفلون فيه.

يَا مَنْ تَجَلَّى بِالجَلالِ وُجُوبُهُ ... مِنْ حَيثُ هَيْبَتُهُ وَعِزَّةُ ذاتِهِ

يَا مَنْ تَجَلَّى بِالجَمَالِ وُجُوبُهُ ... مِنْ حَيثُ رَأْفَتُهُ بِمَرْبُوبَاتِهِ

يَا مَنْ تَجَلَّى بِانْتِفَاءِ مَثِيلِهِ ... فِي السَّلْبِ عَنهُ وَفِي إِضَافِيَّاتِهِ

يَا مَنْ تَجَلَّى بِانْتِفَاءِ شَرِيكِهِ ... مِنْ وَجْهِ قُدْرَتِهِ وَتَقْدِيرَاتِهِ

يَا مَنْ تَجَلَّى فِي مَوَاجِدِ أَهْلِهِ ... بِمَسَابِحِ الأَذْوَاقِ فِي سُبُحَاتِهِ

يَا مَنْ تَجَلَّى لِلنُّهَى بِفُتُوحِهِ ... وَشَوَارِقُ العِرْفَانِ مِنْ فَيضَاتِهِ

يَا مَنْ تَجَلَّى لِلسَّرَائِرِ بَاطِناً ... بِمَوَاهِبِ الإِمْدَادِ مِنْ نَفَحَاتِهِ

يَا مَنْ تَجَلَّى فِي قُلُوبِ شُهُودِهِ ... بِشُهُودِ عِزَّتِهِ وَتَمْجِيدَاتِهِ

يَا مَنْ تَجَلَّى فِي مَظَاهِرِ قُدْسِهِ ... عَنْ ذِكْرِهِ لِذَوِي خُصُوصِيَّاتِهِ

يَا مَنْ تَجَلَّى فِي قُلُوبِ العَارِفِيـ ... ـنَ بِمَا حَبَاهُم مِنْ لَدُنِيَّاتِهِ

يَا مَنْ تَجَلَّى لِلعُقُولِ بِنُورِهِ ... مِنْ حَيثُ أَغْرَقَهَا بِبَحْرِ صِفَاتِهِ

يَا مَنْ تَجَلَّى لِلفُهُومِ فَأَدْرَكَتْ ... أَنْ لَيسَ تُدْرِكُ غَيرَ تَسْبِيحَاتِهِ

يَا مَنْ تَجَلَّى بِالمَحَامِدِ مُطْلَقاً ... فِي جُودِهِ وَشُمُولِ تَكْرِيمَاتِهِ

أَوْجَدْتَنِي بَشَراً سَوِياً عَاقِلاً ... وَوَهَبْتَ عَقْلِي كُلَّ إِدْرَاكَاتِهِ

عَبْداً تُقَيِّدُهُ الضَّرُورَةُ عَاجِزاً ... فِي أَيِّ طَورٍ مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهِ

عَبْداً يُصَرِّفُهُ اقْتِدَارُ إِلَهِهِ ... بِسُكُونِهِ فَقْرٌ وَفِي حَرَكَاتِهِ

أَوْجَدْتَ عَبْدَكَ وَاقْتَضَيْتَ نَصِيبَهُ ... بِحَيَاتِهِ الدُّنيَا وَبَعْدَ مَمَاتِهِ

حَسْبِي وُجُودُكَ مِنْ وُجُودٍ قَائِمٍ ... بِوُجُودِ ذَاتِكَ أَصْلُهُ فِي ذَاتِهِ

لا يَقْتَضِي ضُراً وَنَفعاً دُونَ مَا ... تَقْضِي بِهِ فِي دَفْعِهِ وَثَبَاتِهِ

أَوْجِدْ بِجَاهِ وُجُودِكَ الأَنْوَارَ فِي ... قَلْبِي وَأَسْعِدْنِي بِرُوحِ حَيَاتِهِ

يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ عَبْدُكَ مُعْدَمٌ ... مِنْ حُسْنِ عِيشَتِهِ وَمِنْ حَسَنَاتِهِ[1]

---

(١) إشارة مُختتِمَة: القصيدةُ برُمَّتِها حول وُجُوب وُجُودِ الذَّات الإلهية، فضلًا عن الشواهد التي ساقها الشاعر لتأكيد إثبات ذلك الوجود. لكنه في البيت الأخير يتوسّلُ بأنه مُعْدَم (مُشتقة من العَدَم، ضِدّ الوُجُود) مِن حُسن العيش في الدُّنيا الفانية ومن حسناته/ مَنجاته في الآخرة، وهو توسُّلٌ ختامي.

نفحَات النَّشر(*)

إلهِي اسْمَعِ الذِّكرَ الذي أَنتَ مُنعِمٌ ... عليَّ بهِ والذِّكرُ مِنْ أَسبَغِ النِّعَمْ
أَرَدتَ فكانَ الذِّكرُ قولًا جَرَى على ... لساني ونُوراً مِنْ فؤادِيَ مُنسَجِمْ
وإنْ هِيَ إلّا نَظرَةٌ مِنكَ أَوْجَبَتْ ... قِيامِي بهذا الذِّكرِ كاليَدِ والقَلَمْ
وما ليَ فَضلٌ فِيهِ مِنْ لَدُنَّيَّتِي ... ولكنْ يَدُ التَّوفِيقِ حَاكَتْهُ فالْتَحَمْ
بذكركَ بَدْءاً حَيثُ سَدَّدْتَ لهجتِي ... لذكركَ فاذكُرنِي بعائِدَةِ الكَرَمْ
بنظرَتِكَ الأولى أَجِزْنِي بِنَظرَةٍ ... بها الخَيرُ في دِيني ودُنيايَ لي يَعُمْ
وليسَ وُقُوفِي وابْتِهالِيَ مُجْدِياً ... إذا لم تُجِزْنِي أنتَ نَظرَةَ مَنْ رَحِمْ
بنظرَتِكَ اسْتَخْلِصْ لِذِكْرِكَ وِجْهَتِي ... لتنظُرَ مِنِّي الذَّاكِرَ المُحْسِنَ المُتِمْ
هِيَ الأَصْلُ والفرْعُ اختياري فَسُقْهُ فِي ... مَرَاضِيكَ ذِكراً مُستمِراً بلا سَأْمْ
أَنَلْ مِنْ حُظوظِ الذِّكرِ مَرْضاةَ خَالِقِي ... وأقمَعُ شيطانِي وأُجلِي بِهِ الغُمَمْ
ويَحيَى بهِ قلبِي ويُشرِقُ نُورُهُ ... ويَحظى بحُبِّ اللهِ مِنهُ ويَغتَنِمْ

(*) هذه القصيدة غير موجودة في المخطوطة ولا في الأصل المُعتمد؛ فأضفناها من مخطوطة كتابه «نثار الجوهر» الذي خطه بقلمه؛ حيث وردت بذات العنوان مع مقدمة كتبها الشاعر مُوضحاً: «أضعُ، هنا، ما نظمتُهُ في خاتمة دعوةٍ من دعواتي سمَّيتُها نفحات النشر، وضمَّنتُ تلك الخاتمة فوائد الذكر وأسراره ومنافعه الدينيَّة والدنيويَّة والأخروية، فأذكر بمناسبة هذا الحديث الرفيع منها خصوصَ هذا الأسلوب البديع، وإن كان ليس مما نحن بصدده ولكن ذكر منافع الذكر في جانب ذكر حقوق المساجد مما يُناسب المقام سيّما والمساجد رياض الله، وقد أمرنا الشارعُ أن نرتع فيها ونرتعي منها، وقد فسَّرَ صلى الله عليه وسلم ذلك الرَّعي بأنهُ ذِكر الله والرغبة إليه. فمن الهداية إلى العلم النافع أنْ نذكر، هنا، منافع ذلك الرَّعي في هذه الرِّياض المُباركة في الدين والدُّنيا».

فذكرُكَ بَابُ القُرْبِ والحُبِّ والرِّضَى ... وفاتحةُ الإحسانِ، والفتحُ مِنهُ طَمْ

وَذِكْرُكَ مِفتاحِي لِصدقِ إنابَتِي ... وحُسنِ رُجُوعِي عِندَ نَازِلَةٍ تُلِمْ

وَذِكْرُكَ إنْ أَحسنتُ فِيهِ حَقِيقةٌ ... بِهِ انفجَرَ العِرْفانُ باللهِ وانْسَجَمْ

وَذِكْرُكَ سُلطانٌ غلَبتُ به الهَوَى ... بإذنِكَ والحُصنُ الذي فِيهِ أَعْتصِمْ

وَذِكْرُكَ ذِكرٌ مِنكَ لِي فهي نِعْمَةٌ ... لكَ الحَمدُ؛ لا أَقوَى على شُكْرِها وَلَمْ[1]

وَذِكْرُكَ قُوتُ القلبِ والرُّوحِ؛ فَقْدُهُ ... يَصيرُ بِهِ قلبي وَرُوحِيَ فِي الرِّحَمْ

وَذِكْرُكَ مَجْلاةٌ لِقلبي مِنَ الصَّدَى ... فكَمْ غَفلةٍ جَلَّى وكَمْ مُشغِلٍ صَدَمْ

وَذِكْرُكَ حَطٌّ للخطايا ومُوجِبٌ ... مِنَ الحَسَناتِ الأعظمَ الأوفرَ الأتمْ

وَذِكْرُكَ عَينُ الأُنسِ بَينِي وسَيِّدِي ... وفي وَحْشةٍ عَبدٌ بغفلَتِهِ ارْتَطمْ

وَذِكْرُكَ إجلالاً بحالي مُذكِّرٌ ... إذا ناصَبَتْني بالقضَا أَزْمَةُ الأَزَمْ

وَذِكْرُكَ إنْ لازَمْتُهُ حَالَةَ الرَّخا ... عَرَفتُ بِهِ غوثاً إذا البُؤسُ بي أَلَمْ

وَذِكْرُكَ أَنجَا مِنْ عَذابِكَ والشَّقا ... وأَرْجَا لِسُكنى الخُلدِ بُحبُوحَةِ الكَرَمْ

وَذِكْرُكَ تغشاني بِهِ الرَّحمَةُ التي ... رَجَوتُ ويُغشِيني السَّكِينةَ إنْ سَلِمْ

وَذِكْرُكَ صَونُ الْلسنِ عَمَّا يَشِينُها ... وخازنُها في الحَقِّ عَنْ بَاطِلِ الكَلِمْ

وَذِكْرُكَ إنْ أَجلِسْ لَهُ حَفَّنِي بِهِ ... مَلائِكَةُ الرَّحمنِ بالنُّورِ والرُّحَمْ

وَذِكْرُكَ يا مَولايَ فِيهِ سَعَادَتِي ... وحَظُّ جَلِيسِي مِنْ سَعَادتِهِ قُسِمْ

وَذِكْرُكَ ظِلِّي يَومَ لا ظِلَّ نافِعٌ ... سِوى ظِلِّكَ الوَافِي وَنَارُكَ تَحْتطِمْ

وَذِكْرُكَ أَسْبَابٌ لأَمْنِيَ حَسْرَتِي ... بِسَاعَةِ لا يُجدِي التَّحسُّرُ والنَّدَمْ

وَذِكْرُكَ إنْ تُشغِلْ بِهِ النَّفسَ تُعْطِنِي ... بِهِ فَوقَ سُؤلِ السَّائِلِينَ مِنَ النِّعَمْ

وَذِكْرُكَ مَولانا أَخفُّ وَظِيفةً ... ولكنَّ فضلَ الذِّكر للذاكِرِينَ جَمْ

وَذِكْرُكَ في جَناتِ عَدْنٍ غَرَاسُها ... حَنانيكَ؛ هَلْ غَرْسِي على سُوحِها نَجَمْ

---

(١) المعنى: وذِكْرُكَ ذكرٌ مِنكَ لي؛ فهي من نعمك التي ـ لك الحمدُ ـ أنعمتَ عليَّ بها، لا أقوى على شُكرها كما لَمْ أقوَ على شُكْرِها من قبل.

وَذِكْرُكَ ما تُعطِي عَليهِ مِنَ العَطا ... يَفوقُ سِواهُ في الأُجُورِ وَفِي القِسَمْ
يَقينيَ من نَسْيَانِ رَبِّي وسِرُّهُ ... شِفاءُ مَعَاشِي وَالمَعَادُ بِهِ يُعَمْ
أَسِيرُ بِهِ وَالرَّكبُ خلفي وَإِنْ أَكُنْ ... بقاعَةِ بَيتِي حابساً خُطوةَ القَدَمْ
ولي مِنهُ مَنشورُ الوِلايَةِ خَارِجٌ ... «إذا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالفتحُ» والسَّلَمْ
وَإِنَّ بقلبي خِلةٌ لا يَسُدُّها ... سِواهُ؛ إذا أَضْحَى شِعاراً وَمُلْتَزَمْ
يُخامِرُ قلبي النَّومُ وَالذِّكْرُ مُيْقِظٌ ... يَرُدُّ لَهُ فَوتاً كَمَا كَانَ لَمْ يَنَمْ
وَمِنْ ثَمَرِ الذِّكْرِ المَقامَاتُ كُلُّهَا ... مِنَ اليَقْظَةِ الأُولى لِغايَةِ مَا قَسَمْ
وَذِكْرُكَ في قلبي وَقَبْرِيَ نُورُهُ ... وَيَسْعَى أَمَامِي سَاعَةَ البَعْثِ للأُمَمْ
أَنَالُ بِهِ الزُّلفى وَعَينَ مَعِيَّةٍ ... كما هِيَ شأنُ اللهِ بالحِفظِ وَالعِصَمْ
وَذِكْرُكَ رَأسُ الشُّكْرِ إذ كُلُّ نِعْمَةٍ ... ذَكَرْتُكَ فِيهَا؛ فَهْوَ شُكْرٌ عَلى النِّعَمْ
وَأَكْرَمُ خَلقِ اللهِ أَتقاهُمُ لَهُ ... وَأَسْبَقُ مِنهُمْ دَائِمُ الذِّكرِ فِي الكَرَمْ
وَلَوْلاهُ مَا ذابَتْ مِنَ القلبِ قَسْوَةٌ ... وَلا احترَقتْ أَمَّارَةُ السُّوءِ كالحِمَمْ
وَلَوْلاهُ ما نالتْ قُلوبٌ سَقِيمَةٌ ... بِغفلَتِهَا عَنهُ شِفاءً مِنَ السَّقَمْ
وَلَوْلاهُ ما وَالَيتَ عَبداً وَلا غَدَا ... لِحُبِّكَ قَلْبٌ صَادِقَ الحُبِّ يَغتنِمْ
وَلَوْلاهُ لم يَستَجْلِبِ العَبدُ نِعْمَةً ... وَلَوْلاهُ لم يَستدفِعِ السُّوءَ وَالنِّقَمْ
وَلَوْلاهُ ما صَلَّى عَلَينا إلهُنا ... وأخرَجَنا للنورِ مِنْ سُدَفِ الظُّلَمْ
وَلَوْلاهُ لم نَرْتَعْ بِرَوْضَاتِ عَذْبِهِ ... وَقَدْ ضُرِبَتْ لِلذَّاكِرِينَ بِهَا خِيَمْ
وَلَوْلاهُ ما زَارَ المَلائِكُ مَجْلِساً ... لنا، وَتنادَوا لِلحُضُورِ أَلا هَلُمْ
وَلَوْلاهُ ما بَاهَيتَ ـ رَبِّ ـ بِأَهْلِهِ ... مَلائِكَةَ الرَّحمنِ فِي الفَضْلِ وَالهِمَمْ
ولم تُشْرِعِ الأَعْمَالَ إلّا إقامَةً ... لِذِكْرِكَ؛ وَالمَقصُودُ ذِكْرُكَ بالأَعَمْ
وَمُدمِنُ ذِكرِ اللهِ يَدْخُلُ صَاحِكاً ... بِعَدْنٍ، وَإلّا نَاضِرَ الوَجْهِ مُبتسِمْ
وَأفضَلُ خلقِ اللهِ فِي أَيِّ قُربَةٍ ... إذا كانَ فِيهَا الذِّكر مِنْ غَيرِهِ أَتَمْ
وَمَنْ أَعْجَزتْهُ حَالُهُ عَنْ تَطَوُّعٍ ... أقامَ بِذِكرِ اللهِ مِنهُ الذي انْهَدَمْ
وَأَكْبَرُ عَوْنِ العَبدِ فِي فِعْلِ طَاعَةٍ ... إذا أَكْثَرَ الذِّكْرَ الحَقِيقِيَّ فِي الخِدَمْ

وَمَا سَهَّلَ الصَّعْبَ العَسِيرَ وَخفَّفَ الـ ... ـمَشقَّةَ مِثلُ الذِّكْرِ أَوْ فَرَّجَ الغُمَمْ

يُؤَثِّرُ أَمْنَ القلبِ وَالخَوْفُ شَاغِبٌ ... كأَنَّ شَدِيدَ الخَوْفِ أَمْنٌ إذا اذْلَهَمْ

وَذِكْرُكَ يُعْطِي الجسمَ وَالرُّوحَ قُوَّةً ... ولو بَلغَ الجسمُ النِّهَايَةَ فِي الهَرَمْ

وبالذِّكر سَبْقُ المُفرِدِين وَهُمْ هُمُ ... إذا أهْتَرُوا ذِكراً كمَنْ مَسَّهُ لَمَمْ[1]

وبالذِّكرِ تُبْنَى دُورُ عَدْنٍ لأَهْلِهِ ... وَمِنهُ لَهُم سَدٌّ عَنِ النَّارِ قَدْ رُدِمْ

ويُكرَمُ باستغفارِ أَهْلِ السَّمَاءِ مَنْ ... بذِكْرِكَ أَفنَى عُمْرَهُ وبِهِ احْتَزَمْ

ويَستَشْعِرُ البُشرَى الجَمُادُ لِذاكِرٍ ... ولا غَرْوَ أَنْ يَستَبْشِرَ الحَجَرُ الأَصَمْ

وَيَأمَنُ قَطْعاً ذاكِرٌ مِنْ نِفاقِهِ ... وَلَذَّةُ ذِكرِ اللهِ مِنْ دُونِها النِّعَمْ

وَأَوجُهُ أَهْلِ الذِّكْرِ يُكْسِبُ نَضرَةً ... وَيَأتونَ يَومَ النَّشْرِ وَالوَجْهُ بَدرُ تَمْ

وَفِي الذِّكْرِ شَغلُ النَّفسِ عَنْ كُلِّ بَاطِلٍ ... وَصَرْفٌ لَهَا عَمَّا يَسُوءُ وَمَا يُذمْ

وَيَشهَدُ عِندَ اللهِ بالذِّكرِ خَلْقُهُ ... فيَا لَشهَادَاتٍ بِفَضْلِكَ تَزْدَحِمْ

وَذِكْرُكَ طَرْدٌ للشياطِينِ مَانِعٌ ... لِعَبْدِكَ مِنهم عِندَهُ قطُّ لَمْ تَحُمْ

إلهِي بِفَضْلِ الذِّكْرِ هَبْ لِي عِنايةً ... بِذِكْرِكَ أَو يُقضَى وُجُودِي إلى العَدَمْ

وَصُنْ قَالِبِي وَالقلبَ مِنِّي بِسُورِهِ ... فذا طَايفُ الشَّيطانِ حَوْلِيَ قَدْ هَجَمْ

وكُنْ لِي إذا شَدَّ العَدوُّ مُؤيِّداً ... بِذِكْرِكَ مَحْصُوناً بِهِ ثابتَ القَدَمْ

وهَبْ لِي بِهِ شَوْقاً وَذَوْقاً وَرَغْبَةً ... إليكَ وَرَهْباً مِنكَ فِي القلبِ يَضْطَرِمْ

وَهَبْ لِي يَقِيناً يَمْلأُ القلبَ نُورُهُ ... بِأَنَّ ضَمَانَ اللهِ لا بُدَّ مُنجَزِمْ

---

(١) **هامش الشاعر بخط يده:** «قولي سَبْقُ المُفرِدِين أصله من حديث أبي هُريرة، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسلك طريق مكّة فمَرَّ على جبل يقال له جمدان؛ فقال: هذا جمد إن سبق المُفرِّدون، قالوا: وما المُفرِّد؟.. [ثمة سقط في تصوير النسخة، ونعتقد أنها المُفرِّد أو المُفرِّدون] يا رسول الله؟ قال الذاكرون الله كثيراً و..[سقط آخر]... الترمذي، قالوا يا رسول الله وما المُفرد [سقط آخر].. المُستَهْتَرُوْنَ بذكر الله يضع الذك..[سقط آخر] فيأتون يوم القيامة خفافاً [سقط آخر!]... هم المولعون بالذكر المُداومون عَلَيهِ [أو عليها؛ سقط آخر] ما قيل فيهم ولا فُعِلَ بهم».

اقتِناء الشريعة(*)

أفرِغْ الجُهدَ في اقتِناءِ الشريعه ... هِيَ للفوزِ والنجَاةِ ذريعه
أنتَ في مجهَلِ التكاليفِ أعمى ... وبغيرِ الدَّليلِ لنْ تَستطِيعَه
هلْ تؤدِّي التكليفَ جَهلًا وخبطاً ... صِلَةٌ القُربِ دونَ عِلمٍ قَطِيعَه
أيّ فِعلٍ وأيّ تركٍ صحيحٌ ... لستَ تدري أُصُولَهُ وفُروعَه
فامتَلِئ مِنْ شَريعَةِ اللهِ عِلماً ... أنتَ مِنْ دُون عِلمِها بمَضيعَه

(*) العنوان من اختيارنا. وهذه الأبيات كتبها الشاعر كمقدمة للجزء الثاني من كتابه: «نثار الجوهر»، مشفوعة بتعليق: أبيات من كلام المؤلف لطف الله به.

أصلُ الشَّرعِ وفرعُه(*)

تَجَرَّدْ لِعِلمِ الشرعِ في الفرعِ والأصْلِ ... فما صَالحُ الأعمالِ يُدرَكُ بالجهلِ
تَعَلَّمْ، هَدَاكَ اللهُ، عِلماً مُوصِّلاً ... إلى اللهِ في التكليفِ بالتركِ والفعلِ
وَجَاهِدْ على إدراكِهِ النَّفسَ إنها ... عَن الخيرِ في قيدٍ وبالسُّوءِ في غِلِّ
صَحَابَةُ كُلِّ العِلْمِ بالمَوتِ تَنتهِي ... وَصُحبَةُ عِلمِ الشَّرْعِ فِي مَوقِفِ الفَصْلِ
أَلا تَقْتَنِي عِلْماً تَكُونُ خليفةً ... بِهِ عَنْ جَمِيعِ الأنبياءِ على الكُلِّ
أَلا تَقتَنِي عِلماً تَسيرُ بنورِهِ ... إلى السُّعداءِ الأصفياءِ من الرُّسْلِ
تَعَنَّ لَهُ وانْصَبْ لَهُ واحتفِظ بِهِ ... وَصُنْهُ لوجهِ اللهِ عن مَطمَعٍ نَذلِ
وَأَخلِصْ لَهُ مِنْ نَفسِكَ الجَدَّ دائباً ... لتحصيلِهِ؛ فالعُمرُ ضاقَ عن الهَزلِ
أَتُنْفِقُ هذا العُمرَ في الجَهْلِ خاسِراً ... وَدُونَكَ يَومٌ فيهِ خُسرُكَ بالجهلِ
أَترغبُ عن علمٍ تزالُ مُرَكِّباً ... بِهِ لكَ، بَلْ والخلقِ عَقلاً على عَقلِ
فَجَلِّ بِهِ العَينين تدركْ بنورِهِ ... بصيرة فرق الحُزْمِ في الدينِ والحِلِّ
لشتان ما بين البصير وذي العمى ... وشتان ما بين السلوكين في السُّبْلِ
متى يُدركُ الأعمى حقيقة مَقصَدٍ ... وغايةُ ما يأتي به زَلَّةُ الرِّجْلِ
قيامُكَ بالتكليفِ سَهْلٌ مع الهُدى ... ولكنْ على جهلٍ بِهِ ليسَ بالسَّهْلِ
وعُنْقُكَ من طوقِ الأمانة مُشغَلٌ ... فكُنْ في فكاكِ الطوقِ، ويحَكَ، في شُغْلِ
ولستَ تؤدِّيها كما هي جاهلاً ... ولا عالِماً؛ إنْ كُنتَ بالعِلمِ تَستَعْلي

(*) العنوان من اختيارنا. وهذه الأبيات مقدمة عثرنا عليها في السفر الثالث من كتاب «نثار الجوهر».

في ذاتِ واجب الوجُود

قِـدَمُ الـعَـلِيـمِ لِذاتِـهِ مُـسْـتَـوْجِـبٌ ... عِـلماً مُحِيطاً بالوُجُودِ وبالعَدَمْ
كـانَ الـعَـلِيـمُ فـكـانَ مِـنْ إيـجَـادِهِ ... طَـرَفـاهُـمَـا بَـعـدَ الإرَادَةِ والـقِـدَمْ
لِوجُـوبِـهِ وَجَـبَـتْ إحَـاطَـةُ عِـلمِـهِ ... والـشيءُ والـلاشيءُ جَفَّ بهِ الـقَـلَمْ

عَلِمَ الحَقّ

عَـــلِمَ الـــحَـــقُّ بِـــذاتِـــهْ لا بـــأسْـــبَـــابٍ صِـــفـــاتِـــهْ
حِـكـمَـةُ الـمَـعْـدومِ والـمَـو جُـــودِ مِـــنْ قَـــبْـــلِ ثَـــبَـــاتِـــهْ
كَـــيـــفَ لا يَـــعْـــلَمُ شَـــيـــئـــاً وَهـــوَ مِـــنْ مُـــبـــتَـــدَعَـــاتِـــهْ

كل فِعلٍ لخالقِ الاخْتيار

لـيـسَ لـلاخْـتِـيـارِ ذَرَّةُ فِـعـلِ ... كُـلُّ فِـعـلٍ لِخَـالِقِ الاخْـتِـيـارِ

لـو وُكِـلْنا إلى الـنـفـوسِ وَمَـا تَـخْـ ... ـتـارُ، كـانَ اخْـتِـيـارُنـا لـلبَـوَارِ

خِـيـرَةُ اللهِ بـي أبَـرُّ وَأحْـفَـى ... وإلـى خِـيـرَتِـي انْـتِـسَـابُ خَـسَـارِي

لـو تَـلـمَّـحْـت حِـكْـمَـةَ الله فـيـمـا ... تـقـتـضِـيـهِ الأقـدارُ فـي الأطْـوارِ

وتـأمـلتَ لُـطْـفَـهُ فـي قـضـايـا ... بَـرِزتْ فـي قَـوالِبِ الأضْـرَارِ

شُـمْـتَ دُونَ الـحِـجَـابِ أبْـهَـى جَـمـالٍ ... يَـتَـجَـلّى بـأوْجُـهِ الآثـارِ

لـيـسَ لـلـعَـجْـزِ ذَرَّةٌ مِـن مَـحَـالٍ ... أيـنَ تَـذْبـيـرُ وَصْـمَـةِ الإفـتِـقـارِ

كـيـفَ يَـمـشـي تَـدبـيـرُ فِـطْـرَةِ ذلٍّ ... إنْ يَـكُـنْ ضِـدَّ مُـبْـرَمِ الأقـدارِ

أتَـرَانِـي أقْـضِـي وَقَـدْ قُـضِـيَ الأمْـ ... ـرُ كَـمَـا شَـاءَهُ خِـلافَ اخْـتِـيـاري

أم تَـرَى لـي حَـوْلًا يُـقَـرِّرُ حُـكْـمـاً ... وهـو فـي عِـلْـمِـهِ مُـحـالُ الـقَـرَارِ

أم تَـرَانـي مُـقَـدِّمـاً مـا اقـتـضـى تـأ ... ـخِـيـرَهُ حُـكْـمُـهُ مِـنَ الأوْطَـارِ

أم تَـرَانـي إذا سَـخِـطْـتُ بَـلاءً ... شـاءَهُ لـي صَـرَفْـتُـهُ بـاخْـتِـيـاري

أم تَـرَى لـلـوُجُـودِ ذَرَّةَ تـأثـيـ ... ـرٍ، وَهَـلْ لـلـوُجُـودِ مِـن مِـقـدارِ

إنْ تَـحَـقَّـقْـتَـهُ رُسُـومـاً وآثـا ... راً فـمَـا لـلـرُّسُـومِ والآثـارِ

أو تَـيَـقَّـنْـتَـهُ فَـنَـاءً وَمَـحْـواً ... مُـحِـيـتْ عَـنـكَ ظُـلْـمَـةُ الأغْـيـارِ

أو تَـمَـثَّـلْـتَـهُ قَـوِيـاً قَـويـمـاً ... فـهَـبَـاءٌ فـي عَـاصِـفـاتِ الـذَّوَارِي

مـن رَأى الـلَّـيْـسَ لـم يُـعـايِـنْ سِـوَاهُ ... فـي ضُـرُوبِ الإيـرَادِ والإصْـدَارِ

دَعْـهُ يَـرْمِـيكَ بـالـبَـلايـا فـمـا أقـ ـرَبَ رُحْـمـاهُ مِـنْ مَـقـامِ اضْـطِـرارِ
دَعْ حَـبـيـبـي يَـسُـوقُ لـي مِـن بَـلايـا ـهُ، فـمـا ضَـاقَ عِـلْمُـهُ بـانـكِـسَـاري
دَعْ حَـبـيـبـي يُـمَـوِّهُ الـحُـبَّ بـالـصَّـ ـدِّ ويُـخـفِـي الـصَّـفـاءَ فـي الأكْـدارِ
عِـلْمُـهُ سَـابِـقٌ وأقـدارهُ تَـجْـ ـري وألْـطَـافُـهُ بـهِـنّ سَـوَاري
فـإلـى أيـنَ نَـزْوَةٌ لاعْـتِـرَاضٍ وإلـى أيـنَ وِجْـهَـةٌ لِفَـرارِ

العقل طريق الحق

خَـلَقَ اللهُ لـلمُـكَـلَّفِ عَـقـلًا ... فـلمـاذا يَـهـيـمُ فـي كُـلِّ وَادِي

شَرَكُ الـنفـسِ لا يَـغـيبُ عَـنِ الـعَـقـ ... ـلِ فـكـيـفَ الـوُقـوعُ فـي الأضْـفـادِ

يَـنفُذُ الـعَـقـلُ حَـيـثُ لا يَـنفُذُ الـرُّمـ ... ـحُ، ويَـجْـرِي أمَـامَ حَـضْـرِ الـجَـوَادِ

لا يَـرُدُّ الـبُـقـولَ بـابٌ عَـنِ الـحَـ ... ـقِّ، ولا تَـنْـطَـوي بـقَـرْعِ الـعَـوادي

كَـيـفَ تَـكْـبُـو بَـصَـائِرٌ مُـشـرِقـاتٌ ... دُونَ إدْرَاكِ مُـشـرِقـاتِ الـرَّشـادِ

يَـعْـجَـزُ الـجَـيـشُ عَـن مُـهِـمٍّ وَكَـمْ فَـضْـ ... ـفَـضَ ذُو نُـهْـيَـةٍ صُـدُورَ الـهَـوَادي

نَـحـنُ لا نُـدْرِكُ الـعَـواقـبَ إلّا ... أنَّ لِلعَـقـلِ مَـنْـفَـذاً فـي الـدَّآدِي[1]

---

(١) الدَّآدِي: الليالي المُعتِمة.

حِكمة اللَّهِ جَلَّ جلالُه

سَـبْـقُ الإرَادَةِ سُـلَّمُ الـمُـرْتـادِ ... فـارْتَـدْ لَعَـلَّكَ سَـابِـقُ الـرُّوادِ
نـادَتْـكَ أَلْسِـنَـةُ الـحَـقِـيـقَـةِ فَـالْتَـفِـتْ ... نَـحْـوَ الـنـداءِ وَنَـحْـوَ ذاكَ الـنَّـادِي
أرْحِـلْ طَـلِـيـحَـكَ لـلـنـفـيـرِ فـرُبـمـا ... سَبَقَ الـطَّـلِـيـحُ وَكُـلُّ ظَـهْـرِ الـقَـادِي
قَـدْ رَشَّـحَـتْـكَ لِشَـأْنِـهـا بِـشَـوَاهِـدٍ ... أَبْـدَى كَـوَاكِـبَـهـا الـجَـمـالُ الـبَـادي
أَتُـرَاهُ يَـدعُـوكَ الـحَـبِـيـبُ لِقُـرْبِـهِ ... فـإذا اقـتـرَبْـتَ رَمَـاكَ بـالإبْـعَـادِ؟
لـو تـهْـتَ مِـن نُـورِ الـجَـمَـالِ بِـمَـشْـهَـدٍ ... لـرأيـتَ سِـرَّ الـلُّـطْـفِ بـالأشْـهَـادِ
نُـورُ الـجَـمَـالِ عَـلى الـمَـظَـاهِـرِ لائـحٌ ... فـالـحَـظُّ مُـرْتَـسِـماً عـلى الإيـجَـادِ
لـولاهُ لاحْـتَـرَقَـتْ بِـنُـورِ جَـلالِهِ ... وَجَـهِـلـتَ حِـكْـمَـةَ عَـالَمِ الأضْـدَادِ
أَلْـقـاكَ فـي دَارِ الـفَـنـاءِ لِحِـكْـمَـةٍ ... خَـفِـيَـتْ حَـقـائِـقُـهـا عَـنِ الأفـرَادِ
وَدَعَـاكَ أنْ أقْـبِـلْ إلـيَّ ولا تَـخَـفْ ... فـي الـمُـدْلِجِـيـنَ إلـيَّ مِـن أَجْـنـادِي
أنـتَ الأمِـيـنُ عَـلَـى أمَـانَـتِـنـا الـتـي ... ثَـقُـلَـتْ عـلـى الأفـلاكِ وَالأطْـوادِ
أتُـرَى تُـؤَدِّيـهـا بـغَـيْـرِ إعَـانَـتِـي ... أو كُـنـتَ تَـحْـمِـلُـهـا بـغـيـرِ مُـرَادي
أَلْبَسْتُكَ السَّبعَ المَثاني[1] حُلْعَةً ... فـي هَـيـكـلٍ مِـن عَـالَـمِ الأجْـسَـادِ
فـاخـلَعْ كَـثِـيـفَـتَـكَ الـتـي لا تَـنْـبَـغِـي ... لـشُـهُـودِ حَـضْـرَتِـنـا مَـعَ الأشْـهَـادِ
واغـسِـلْ بِـمَـاءِ الـقُـدْسِ عَـشْـرَ لَـطَـائِـفٍ ... هـيَ أنـتَ مِـنْ دَنَـسِ الـطِّـبَـاعِ الـكَـادِي
أَشْـرِبْـتَ خَـمْـسَـةَ أبْـحُـرٍ لِـتَـعِـيـشَ فـي ... ظُـلَـمـاً، فَـرِدْ فَـرَطـاً مَـعَ الـوُرَّادِ
فَـجَّـرْتُـهـا لـكَ مِـنْ صِـفـاتِ الـذاتِ فـي ... عَـيْـنِ الـظُّـهُـورِ وَمَـبْـدَأ الآحَـادِ

(١) السبع المثاني: الفاتحة.

ثمرات المَعارف وطيّبات العَوارف(*)

هُـوَ اللهُ فـاعْـرِفـهُ وَدَعْ فِـيـهِ مَـنْ وَمَـا[1]
دَعَـاكَ وَلَم يَـتـرُكْ طَـرِيـقَـكَ مُـظـلِمـا
عَـنِ الـحَـقِّ نَـحـوَ الـخَـلْقِ يَـدْفـعُـكَ الـعَـمَـى
تَـقـدَّمْ إلـى بَـابِ الـكَـرِيـمِ مُـقـدِّمـاً لـهُ مِـنـكَ نَـفـسـاً قـبـلَ أنْ تَـتـقـدَّمـا
تَـجـنَّـبْ قُـيـودَ الـحَـظِّ فـالـحَـظُّ مُـرْتَـهَـنْ
وَأزْهِـقْ جُـنـودَ الـنـفـسِ حَـرْبـاً ولا تَـهِـنْ
وفـي ظُـلُـمـاتِ الـطـبـعِ بـالـحَـقِّ فـاسْـتَـبِـنْ
وعَـرِّجْ عـلى بـابِ الـعَـلـيـمِ فَـسَـلْهُ مِـنْ مَـوَاهِـبِ نـورِ الـعِـلـم بَـحْـراً قَـلَـيْـذَمـا[2]
أتَـرْضَـى مَـقـامَ الـجَـهـلِ تَـخْـبـطُ فـي الـسُّـرَى
بـظَـامِـسَـةٍ أغْـلامُـهـا مُـتـحـيِّـرا
تَـطَـلَّـعْ لِـنـورِ الـعِـلـمِ وَاطْـلُـبْ مُـشَـمِّـرا
فَـمَـنْ لَـمْ يَـكُـنْ بالعِلمِ في الناسِ مُبصِرا فـلا عَـاشَ إلّا فـي الـضَّـلالَةِ وَالـعَـمَـى
ذوو الـعِـلْـمِ بَـيـنَ الـعَـالَـمِـيـنَ أعِـزَّةٌ

(*) القصيدة تخميس لقصيدة الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي. وردت في الأصل المُعتمد بعنوان: (هو الله فاعرفه).

(١) مَن [للعاقل]، ما [لغير العاقل] ـ ويقصد دع كُلَّ ما دعاك إلى غير الله، عاقلًا كان أم غير عاقل.

(٢) قَلَيذَم: البئر الغزيرة وافرة الماء.

عـلى دَرَجـاتِ الـمُـصْـطَـفِـيـنَ أدِلَّةٌ
وفـي مَـلَـكـوتِ الله لـلـقـوم شُـهْـرَةٌ

ومَـنْ لا لَهُ مِـنْ عِـزَّةِ الـعِـلْمِ نِـسْـبَـةٌ فـلـيـسَ لَهُ إلّا إلـى الـذِّلَّةِ انـتِـمَـا
تَـرَقَّ بـهِ فـالـعِـلْمُ عِـزٌّ وَذِرْوَةٌ
وحَـبْـلٌ مَـتِـيـنٌ لـلـتُّـقـاةِ وَعُـرْوَةٌ
وَوَفـرُ الـغِـنـى فـي الـجَـهـلِ عُـدْمٌ وَشَـقْـوَةٌ

ومَـنْ لا لَهُ مِـنْ ثـرْوَةِ الـعِـلـم ثـرْوَةٌ فـمِـنْ ثـرْوَةِ الـدَّارَيْـنِ قـدْ صَـارَ مُـعْدَمـا
قـضَـى اللهُ أنَّ الـعِـلـمَ نُـورٌ وَحِـكْـمَـةٌ
كـمـا أنَّ أضْـلَ الـجَـهـلِ شُـؤْمٌ وَظُـلْـمَـةٌ
وأنَّ رِجَـالَ الـعِـلـم لـلـنـاسِ عِـصْـمَـةٌ

نَـعَـمْ عُـلَـمَاءُ الـديـنِ فـي الأرْضِ نِـعْـمَـةٌ عـلى الـثَّـقَـلَـيـنِ عَـمَّـتِ الـكُـلَّ مِـنـهُـمـا
بـه أصْـفِـيـاءُ الله هَـامُـوا بـحُـبِّـهِ
بـهِ أدْرَكـوا حَـسْـبَ الـحُـظُـوظ لِقُـرْبـهِ
وهُـم أوْصَـلوا الـسُّـلاكَ أسْـرَارَ غَـيْـبِـهِ

بـهِـمْ شَـرَفُ الـدَّارَيـنِ ثَـمَّ فـهُـمْ بِـهِ مَـلائِـكَـةٌ بَـاهَـتْ مَـلائِـكَـةَ الـسَّـمـا
مـلائـكـةٌ ألـبـابُـهُـم وَسَـنـاؤهُـم
أقـامَـهُـمُ هـذا الـمَـقـامَ صَـفـاؤهُـم
عـلى الـمَـلأ الأعْـلَـى يَـحِـقُّ وَلاؤهُـم

ألـم تَـرَ فـي الـقـرآنِ أنْ أوْلِـيـاؤهُـم مَـلائـكَـةُ الـرَّحْـمَـن فـالله أعْـلَـمَـا
لـقَـدْ نَـطـقَ الـوَحْـيُ الـعـزيـزُ بـنُـبـلِـهِـمْ
ولا حَـبـلَ لـلـمُـسْـتَـمْـسِـكِـيـنَ كـحَـبـلِـهِـمْ
بِـقَـولِـهِـمُ نُـورُ الـهُـدى وَبِـفِـعْـلِـهِـمْ

أقَـرَّتْ جَـمِـيـعُ الـكَـائِـنـاتِ بـفَـضْـلِـهِـمْ عَـلـيـهـا، فـحُـوتُ الـبَـحْـرِ فـي الـبَـحْـرِ هَـيْـنَـمـا
إلـى رَبِّـهـا اسْـتِـغْـفـارُهـا وَخُـشُـوعُـهـا

لـهُـم إذ هُـمُ أمْـطَـارُهـا وَرَبـيـعُـهـا
وَخَـالِقـهـا فـي الـمُـهْـتَـدَيـنَ سَـمِـيـعُـهـا

ولِمْ لا، وَلَولاهُـمْ تَـلاشتْ جَـمِيعُـهـا ولم يَبقَ مِنها في الوُجُودِ لها سُمَا[1]
مَـصَـابـيـحُ أرضِ اللهِ مَـهْـبِـطُ فَـيْـضِـهِ
هُـداةٌ لـمَـسْـنـونِ الإلـهِ وَفَـرْضِـهِ
هُـمُ شُـفـعَـاءُ الـعَـبـدِ فـي يَـوم عَـرْضِـهِ

هُـمُ خُـلفـاءُ الله فـي أهـلِ أرضِـهِ بِـهَـذْيِـهِـمُ أمْتُ[2] البَسِيطَةِ قُوِّما
لأمْـرِهِـمُ كُـلُّ الـكَـوَائِنِ أذْعَـنَـتْ
لـسُـلطـانِـهِـم بـالـعِـلم بـاللهِ سَـلَّمَـتْ
لـعِـزِّهِـمُ ذَلّتْ بـنـورِهِـمُ اهْـتَـدَتْ

لـحُـكْـمِـهِـمُ الـدُّنـيـا تَـدِيـنُ وَقَـدْ عَـنَـتْ سَلاطِينُ أهلِ الأرضِ أعْظَمَ أعْظَما
عـلى الأرضِ والألـبـابِ فـي عَـالَمِ الـقـدُسْ
يَـرَونَ بـنـورِ اللهِ مـا غَـابَ كـالـقـبَـسْ
لأفـهَـامِـهِـمْ كـالأنْـجُـمِ الـزُّهْـرِ مـا الـتـبَـسْ

وآرَاؤهُـمْ تَـقـضِـي بِـهِـنَّ مَـلائـكُ السَّـ ـمَـواتِ فـيـمَـا قَـدْ أحَـلَّ وَحَـرَّمـا
تَـجَـلَّت لَهُـم كـالـشـمسِ خَـلْفَ حِـجَـابِـهـا
فـجَـاءوا بـهـا بَـرَّاقـةً فـي صَـوابِـهـا
حَـقـائـقُ شَـرْعٍ فـي غَـوَاشِـي غِـيـابِـهـا

ولـوْ لَمْ يَـكُـنْ نَـصُّ الكِـتـابِ أتـى بـهـا صَـرِيـحاً، ولا الـهَـادِي بـها قَـدْ تَـكَـلَّما
هَـدَوا إذْ هُـمُ نُـورٌ إلـى اللهِ وَاهْـتَـدَوا
إذِ اتَّـزَرُوا بـالـعِـلْـمِ بـاللهِ وارْتَـدَوا

---

(١) سُمَا: عَلامَة.
(٢) أمْت: اعوجاج.

حَـدَاهُـم مِـنَ الـعِـرفـانِ ذَوقٌ بِـهِ حَـدَوا
غَـدَا قُـدْوَةَ الأمْـلاكِ لَمَّـا هُـمُ اقْـتَـدَوا بِـمَـا لَـهُـمُ رَبُّ الـمَـلائِكِ أَلْهَـمـا
سَـمـا بِـهِـمُ الـعِـرفـانُ أعـلى الـمَـراتـبِ
ونـالـوا مَـقـامـاً فـيـهِ فَـتـحُ الـمَـواهِـبِ
وفَـهْـمُ خِـطـابِ الـحَـقِّ مـن كُـلِّ جَـانـبِ
وذلـكَ مِـنْ أدْنَـى رَفـيـعِ مَـنَـاقِـبِ لَهُـم لَمْ يَـعُـدُّوهـا فـخـاراً وَمَـكْـرَمـا
تـجَـلّى لَهُـم بـاسْـمِ الـمُـبـيـنِ بِـمَـنِّـهِ
فـفـازوا بِـظَـهْـرِ الـوَحْـيِ كَـشْـفـاً وبَـطْـنِـهِ
وحَـازوا بـفـتـحِ اللهِ مَـكـنـونَ ضِـمْـنِـهِ
فما اسْتَحْسَنوا، فاللهُ يَقضِي بِحُسْنِهِ وما اسْتَقبَحُوا إلّا قَبيحاً مُذمَّما
لَـهُـمْ مِـن مَـقـامِ الاجْـتِـبـاءِ عَـلِـيُّـهُ
وَمِـنْ قَـدَمِ الـصِّـدقِ الـزَّكِـيِّ رَضِـيُّـهُ
ومِـن مَـوردِ الإحْـسَـانِ مـا طَـابَ رَيُّـهُ
وَرَبُّـكَ مَـنْ وَالَوْهُ فَـهُـوَ وَلِيُّـهُ ومَـنْ خَـاصَـمُـوهُ كـانَ للهِ أخْـصَـمـا
مُـلُوكٌ عـلى مَـنْ يَـمْـلِكُ الأرْضَ حَـولُهُ
لَـدَى طَـوْلِهِـمْ أدْنَـى مِـنَ الـذَّرِّ طَـوْلُهُ
فَـقِـيـرٌ عَـدِيـمٌ مَـنْ تَـوَلاهُ جَـهْـلُهُ
هُـمُ أغنياءُ الـعَـصْـرِ وَالـعَـصْـرُ أهْـلُهُ قَـدْ افـتـقـرُوا والـمَـالُ بَـيـنَـهُـمُ نَـمَـا
ومـا لِـكُـنـوزِ الـتِّـبْـرِ شَـأنٌ لِمَـنْ فَـهِـمْ
إذا وُزِنَـتْ فـي جَـانِـبِ الـعِـلمِ وَالـحِـكَـمْ
كُـنـوزُ رِجـالِ اللهِ أبـقـى وَوَفْـرُهُـمْ
يَـرُومُ كُـنـوزَ الأرضِ غَـيْـرُهُـم وهُـمْ أصَابوا كُنوزَ العَرْشِ وَفْراً وَمَغْنَما
رَقَـوا بِكَـمَـالاتِ الـهُـدى مُـنـتـهـى الـعُـلى
وأنـزلَهَـم مِـن قُـرْبِـهِ الـحَـقُّ مَـنـزِلا

وأوْرَدَهُـم مِـن مَـوردِ الـوُدِّ مَـنـهَـلا

وهُم في الثرى قاموا وأرواحُهم إلى سَما العَرشِ والكُرسِي، أَدُونُهَما سَما؟

تَـوَلّاهُـمُ قَـهـرُ الـشُّـهُـودِ بـحَـولِهِ

وأفـنـاهُـمُ عَـن كُـلِّ شـيءٍ بِـوَصْـلِهِ

فـغـابـوا عَـنِ الأكْـوَانِ فـي غَـيـبِ ظِـلِّهِ

وما قَنِعُوا بـالـعَـرْشِ وَالـفَـرْشِ كُـلِّهِ فـجَـازُوا إلى أعْـلى مَـقـامٍ وَأعْـظَـمـا

رَمَى بِهِمُ الـمَـحْـبـوبُ فـي الـمَـحْـوِ رَمْـيَـةً

فـمـا أبـصَـرُوا مِـقـدارَ ذا الـكَـوْنِ ذَرَّةً

ولا وَقـفـوا عـنـد الـخَـوادِثِ لَمْـحَـةً

ولو وَقفوا بالعَرْشِ والفَرْشِ لَحْظةً لـعَـدُّوهُ تـقـصِـيـراً وَجُـرْمـاً وَمَـأثـمـا

إلـى الـحَـقِّ إخـلاصـاً وأخـذاً بـحَـبـلِهِ

قـد انـصَـرَفـوا عَـنْ فَـضْـلِ كَـونٍ وَوَصْـلِهِ

مَـقـاصِـدُهُـم مَـقـصُـورةٌ تَـحْـتَ حَـولِهِ

تَـقـدَّمَ فـي ذاكَ الـخـلـيـلُ بـقـولِـهِ لِجبـريـلَ دَعْـنِـي مِـنـكَ للهِ مُـسْـلِـمـا

نُـفُـوسـهُـمُ فـي اللهِ للهِ جـاهَـدَتْ

فـلم يَـنـثـنـوا عَـن وَجْـهِـهِ كـيـفَ كـابَـدَتْ

عـلـى نُـقـطَـةِ الإخـلاصِ للهِ عَـاهَـدَتْ

لِـمِـلَّةِ إبـراهِـيـمَ شـادوا فـشـاهـدوا التـ ـلفُّـتَ لـلـشِّـرْكِ الـخَـفـيِّ مُـتـمِّـمـا

تَـوَلّاهُـمُ الـقـيُّـومُ فـي أيِّ وِجْـهَـةٍ

وَزكّـاهُـمُ بـالـمَـدِّ والـتَّـبَـعِـيـةِ

وَلـقَّـاهُـمُ الـتـوحِـيـدَ فـي كُـلِّ ذَرَّةٍ

فـقـامـوا بـتـجْـرِيـدٍ وَدَامـوا بـوَحْـدةٍ عن الإنسِ رَوْمَ[1] الأُنسِ فِيها تَنعُّما

---

(١) رَوْم: طَلَب.

مُحِبُّونَ لاقى الكُلُّ في الحُبِّ حَينَهُ
نفوسُهُمُ ذابَتْ بِهِ واضْطُلِينَهُ
فلم يَبْقَ مِنها الحُبُّ بل صِرْنَ عَينَهُ
بِخَلْوَةِ لي عَبدي وَسِرِّيَ بَيْنَهُ وَبَينِي عَنِ الأَمْلاكِ وَالرُّسْلُ كُتِّما
وَأَوْرَثَهُم لِلحُبِّ إِرْثَ النُّبُوةِ
فكانوا دُعَاةَ اللهِ في خَيرِ دَعْوةِ
تَرَقَّوا بِفَيْضِ اللهِ أَرْفَعَ ذَرْوَةِ
وما بَلَغوا ذاكَ المَقامَ بِقُوَّةٍ ولكنْ بِنُورِ العِلمِ قَدْ بَلَغوا الحِمَى
حَباهُم بِمِنهَاجِ السُّلوكِ اسْتِطاعَةً
فلم يَتْرُكوا فيهِ الحُقوقَ مُضَاعَةً
ونالوا أَمَامَ اللهِ مِنهُ شَفاعَةً
عَشِيَّةَ أَعْطَوهُ عُهُوداً مُطاعَةً على طَاعةٍ مِنهُم غَدَاةَ تَحَكَّما
قَدِ اتَّخَذوا العِرفانَ باللهِ جُنَّةً
وَثَارُوا إِليهِ مُطْلِقِينَ أَعِنَّةً
وَمُذ أَدْرَكُوا مِنهُ المَقامَاتِ مِنَّةً
وَقَدْ بَايَعُوه أَنفُساً مُطمَئِنَّةً بِبَيعَتِهِ وَالعَقدُ بالعَهْدِ أُحْكِمَا
هَدَاهُمْ سَنا العِرفانِ والليلُ قَدْ سَجَى
فما جَهِلوا، وَهوَ الدليلُ، المَنَاهِجَا
بِهِ عَرَجُوا مُستبصِرِينَ المَعَارِجَا
فَجَدَّ بِهِم في السَّيرِ للخَيرِ وَاللَّجَا[1] بِهِمْ أَخْطَرَ الأَهْوَالِ حِينَ تَقَحَّما
فَنَزَّهَهُم عَنْ قَيدِ أَيِّ إِرَادَةٍ
وَأَفرَغَ مَجْهُودَاتِهِم في العِبَادَةِ

(١) اللجا: المعقل والملاذ.

وَمَيَّزَهُم عَن غَيرِهِم بِالسِّيَادَةِ

فَأبعَدَهُم عَن كُلِّ إلْفٍ وَعَادَةٍ وعَوَّدَهُم شُرْبَ الشَّدَائِدِ عَلْقَما

فَجَدُّوا وَشَدُّوا وَانْتَوَوا شِقَّةَ النَّوى

وَخَيرٌ لَهُم في الجُهْدِ وَالعُرْيِ وَالطَّوَى

وفي النَّوحِ والتذكارِ والكَرْبِ والجَوى

فمِنْ بَعدِ عَهْدِ النَّومِ وَالشِّبْعِ وَالرِّوَى غَدَوا حِلْفَ إلْفِ السُّهْدِ والجُوعِ وَالظَّما

جَرَوا في مَيَادِينِ الشُّهُودِ تَقَدُّما

وَصِدْقُ الرَّجَا وَالخَوفُ فيهِم تَحَكَّما

فلم يَبْقَ كَونٌ مِنْهُمُ ما تَهدَّما

فَنُدْمَانُهُم عَادَ البُكَاءَ تَنَدُّما وَأزمَانُهُم بالنَّوْحِ قَدْ عُدْنَ مَأتَما

فَسَاروا على تَغرِيدِ حَادٍ مُزَعْزِعِ

بِشَوقٍ مُلِحٍّ وَالْتِياعٍ مُرَوِّعِ

وَغابُوا عَنِ الأكْوانِ في مُنْتَهَى مَعِي

وَأوْرَدَهُم بالحُزنِ لُجَّةَ أدْمُعِ وَأوْرَى بِهِمْ لِلخَوفِ نارَ جَهَنَّما

تَبدَّتْ لَهُم أكْوانُهُم فَتَبدَّدَتْ

نُفوسُهُمُ في السَّحْقِ وَالمَحْقِ أنْفَذَتْ

إذا فَارَقَتْ غَوْراً مِنَ الدَّمْعِ أنْجَدَتْ

شَدَائِدَ عَدُّوها فَوَائِدَ فاغْتَدَتْ عَوائِدَ أعْيادِ السُّرُورِ تَنَعُّما

مَصَائِبُ عَامُوا في بُحُورِ صِعَابِها

وقَرُّوا على آسَادِها وذِئَابِها

وطَابَ لَدَيْهِم حَسْوُ كَاسَاتِ صَابِها

ولو جَانَبُوها رَوْمَ غَيرِ جَنَابِها لعَدُّوا بِحُكْمِ العَدْلِ ذا العَدْلَ مَأثَما

وتلكَ بِفَضْلِ العِلْمِ أهْنَى المَوَارِدِ

وأكْرَمُ مَوهُوبٍ وأسْنَى المَشَاهِدِ

أتعلمُ مِثلَ العِلمِ مَجْداً لِمَاجِدِ
هُمُ صَدَّقوهُ وهو أصْدَقُ وَاعِدِ وأوْفى ذِمَامٍ حَبْلُهُ لَيسَ أفْصَما
بِهِ قَطَعُوا أصْلَ العَلائقِ والهَوَى
بِهِ أخلَصُوا في طَاعَةِ الحَقِّ لا سِوَى
بِهِ رَوْضُ هذا الكَونِ في عَينِهِم ذَوَى
بِهِ نَهَجُوا في كُلِّ مُنطَمِسِ الصُّوَى[1] فكَانَ لهُم في كُلِّ يَهْمَاءَ مَعْلَما
تُبِينُ لهُم أسْرَارُهُ كُلَّ كائنِ
ويُخلِصُهُم للحَقِّ مِن كُلِّ شَائنِ
فطُوبَى لهُم يَجْرِي بِهِمْ في المَآمِنِ
ويُملِي لهُم في السَّيرِ عَن كُلِّ كامِنِ وحَالَ إلى أسْوَى طَرِيقٍ وأقْوَما
مَقاماتُ أهلِ اللهِ مِنهُ مَصَابِحُ
وكُلُّ مَقامٍ حَلَّهُ القومُ رَابِحُ
وكُلُّ مَقامِ العَارِفِينَ مَدَائحُ
وقاسَمَهُم باللهِ إنِّي نَاصِحُ فأُنْهَى إلى أبْهَى مَقامٍ وَأكْرَما
لقَدْ قامَ عِلمُ القومِ للحَقِّ مَعْلَما
وجَلَّى لهُم بالكَشْفِ سِراً مُخَتَّما
وفَتَّحَ أقفالاً وأطْلَعَ أنْجُما
وحَلَّ لهُم رَمْزاً وكَنزاً مُكَتَّما مِن السِّر قَدْ كَانَ الرَّحِيقَ المُخَتَّما
بِهِ سَلكوا في حُبِّهِ مَسْلَكاً جُهِلْ
وكُلُّهُمُ بَينَ المَشاهِدِ قَدْ ذَهِلْ
وكُلُّهُمُ مِن مَوردِ الحُبِّ مُنتَهِلْ
وقالَ لَهُم هذا المَقامُ وهَذِهِ الْـ ـخيامُ وذا بَابُ المَليكِ وذا الحِمَى

(١) الصُّوى: جمعُ صُوَّة وهي الأرض الوعرة || يَهْماء: الفَلاةُ لا يُهتدى فيها إلى طريق.

هنا مَوقِفي وهو المَقامُ المُحَدَّدُ
فغَنُّوا على هذا المَقامِ وغَرِّدُوا
وما بَعدَ هذا للمَدارِكِ مَشهَدُ

فما ليَ فيما بَعدَ ذلكَ مَصْعَدُ ولا مَوعِدٌ مِن بَعدِ ذلك أُلْزَما
هُنالكَ فَهْمُ العَقلِ والذِّكْرِ مُندَرِسْ
هُناكَ لِسانُ العِلمِ في الشَّأنِ قَدْ خَرِسْ
هُنالكَ حَدُّ السَّيرِ مَنْ يَعْدُهُ افْتُرِسْ

هُنالكَ قَدْ تُطْوَى الصِّحَافُ وتُنْشَرُ السّـ ـجَافُ فلا يُطْوَى بِحَدِّكَ فَافْهَما
فما بَعدَ هذا للمَدارِكِ غَايَةٌ
فنُقطَةُ هذا الحَدِّ فيها نِهَايَةٌ
ولا بابَ إلّا أنْ تَكُونَ رِعَايَةٌ

ولا تَفتَحُ الأبوابَ إلّا عِنايَةٌ لِمَنْ شاءَهُ ذاكَ المَليكُ تَكَرُّما
تَجَرَّدْ مِنَ الدَّعْوَى فقَدْ كَمُلَ السُّرى
وَرَاءَكَ لا تُقْدِمْ فحَظُّكَ مُدْبِرا
فلَسْتَ بِلاقٍ فوقَ ذلكَ مَصْدَرا

فسَلِّم إليهِ الأمْرَ واطَّرِحِ المِرَا ولا تكُ في شيءٍ مِنَ الأمرِ مُبْرِما
وقِفْ وَقْفَةَ المُنْدَكِّ مَا لَكَ حِيلَةٌ
فحالُكَ في هذا المَقامِ جَليلةٌ
ونفسُكَ في عِزِّ الجَلالِ وَذِيلَةٌ

وقلْ بلِسَانِ الحَالِ مَالي وَسِيلَةٌ ولا حِيلَةٌ، وَالْهَجْ بقولِكَ: مَا وَمَا
وعَرِّجْ على التَّقديسِ تستَخْلِصَنَّهُ
وَنَفْسُكَ نُسْكٌ لازِمٌ فاذْبَحَنَّهُ
وَشَأْنُكَ إنْ أخْلَصْتَ لا تَخْقِرَنَّهُ

فإنْ تَكُ لا شَيئاً هُناكَ فإنَّهُ رَناكَ[1] لِما أذناكَ إذ لَكَ قَدْ رَمَى

أرَادَكَ حَتى قُمتَ فيهِ مُجَالِداً

يُميتُكَ مَشهُوداً ويُحيِيكَ شاهِداً

وإنْ سَاعَةً أحيَاكَ أبقَاكَ بَائِداً

وإنْ سَاعَةً أفنَاكَ أبقَاكَ خَالِداً بوَصْفٍ لَهُ باقٍ صِفاتَكَ أعْدَما

تَفرَّدْ ولا تَستَثنِ في سُبُحَاتِهِ

ووحِّدْ صِفاتِ الحَقِّ توحِيدَ ذاتِهِ

وسَافِرْ بعَينِ الحَقِّ في حَضَراتِهِ

فإنْ هُو جَلّى فيكَ بَعضَ صِفاتِهِ فما كُنتَ أنتَ الآنَ أنتَ المُقدَّما

تَفاوَتَ حَسْبَ الفَيْضِ ذوقُ مُلُوكِها

فهُم بَينَ مُثرِيها وَبينَ ضَرِيكِها[2]

مَرَاتِبُهُم شتَّى بمَرْقى سُمُوكِها[3]

وفيها مَقاماتٌ لأهْلِ سُلُوكِها شُمُوساً وأقماراً تُنيرُ وَأنجُما

تَفَاوَتُ أذواقُ المُحبِّينَ رَغْبَةً

مَرَاتِبُهُم حَسْبَ المَقاماتِ رِفْعَةً

هُيَامَى إلى «إنَّا فَتَحْنا» مُلِظَّةً[4]

فمَنْ ذاقَ مِنها نَغْبَةً مَاتَ رَغْبَةً ومَنْ لم يَذُقْهَا مَاتَ بالغَمِّ مُسْقَما

ومَا فَاضَ حَسبَ الفتحِ مِن شِبْهِ وَحْيِها

وَعَيَّنَهُ سِرُّ الحَكِيمِ بِطَيِّها

بإثباتِها ما أثبَتَتْ أو بِنَفْيِها

---

(١) رَناك: أبصَرَك.

(٢) الضّريك: الفقير البائس.

(٣) سُمُوكِها: جمع سَمْك وهو السقف العالي المُرتفع.

(٤) مُلِظَّة: مُلِحّة.

مَعَالِمُ تَسْتَهْدِي الحُلُومُ بِهَدْيِها عُلُوماً بِها كَانَ العَلِيمُ المُعَلَّما
أقَامَ لَهُم فِيها حُظُوظاً مُقَامَةً
وأنزَلَهُم حَسبَ الحُظوظِ مَقَامَةً
وقَلَّدَهُم في العَالَمِينَ إمَامَةً
فَعَرَّفَهُم إيَّاهُ مِنهُ كَرَامَةً وأشهَدَهُم إيَّاهُ مِنهُ تَكَرُّما
تَوَلّاهُمُ بِاسْمِ البَدِيعِ تَنَزُّلا
وفي حَضْرَةِ الفَتاحِ لِلقَوْمِ أنْزَلا
وَنَوَّرَهُم نُورُ السَّمواتِ وانْجَلَى
وَخَلْقُهُمُ باسْمِ العَلِيمِ تَفَضُّلا وكانَ لَهُم باسْمِ المُبينِ مُسَوِّما
فَجَرَّدَهُم عَنهُم لِخالِصِ حُبِّهِ
فَما هَمَّهُم إلّا وَسائِلُ قُربِهِ
عُرُوجاً بِهِ عَنهُم إلَيهِ بِغَيبِهِ
وكانَ لَهُم عَنهُ فَكانُوا لَهُ بِهِ وقامَ بِهِم عَنْهُم إلَيهِم مُكَلِّما
تَحَكَّمَ فِيهِم حُبُّهُ وَتَصَرَّفا
وأوْقَفَهُم في القَبْضِ والبَسْطِ مَوقِفا
وأرْسَلَ في أسْرَارِهِم نَفحَةَ الصَّفا
فَمُذ عَرَفوهُ لَم يَرُومُوا تَعرُّفا إلى غَيرِهِ والغَيرُ ثَمَّ تَعَذَّما
تَشعْشَعَ فيهِم صُبْحُهُ فانجَلَى المَسا
فَهُم في ضِياءٍ مِنهُ والليلُ عَسْعَسَا
بِآيَةِ طُورِ صُبحُهُم قَدْ تَنَفَّسَا
وليسَ لَهُم جَهْلٌ هُناكَ وما عَسَى لَهُم أنْ يَرَوا مِن بعدِ ذلكَ مُبْهَما
تَعَهَّدَهُم إذ زَايَلوا الخَلْقَ بالمَدَدْ
فَهُم في بَسَاطِ الأنسِ بالوَاحِدِ الأحَدْ
وكُلٌّ بِفَتحِ اللهِ فازَ بِما وَجَدْ

وما عَلِموا شيئاً بعِلْمِهِمُ وَقَدْ أحاطُوا بعِلمِ الكُلِّ واللهُ أعْلَما

فصَارَتْ شَهادَاتٍ لَدَيْهِم غُيُوبُهُم

قَدْ امْتَلأتْ بالكَشْفِ مِنهُ جُيُوبُهُم

هُمُ العَالَمُ الأعْلى احْتَوَتْهُ جُنُوبُهُم

هُمُ لَوحُهُ المَحفوظُ كَانتْ قُلوبُهُم بِهِمْ قَلَمُ الأنْوارِ لِلسِّر رَقَّما

لَهُم دَرَجاتٌ مِن لَدَيهِ تَحَقَّقتْ

عليهِم بها شَمسُ الحَقيقةِ أشرَقَتْ

وألطافُ وَهْبٍ مِنْ لَدُنْهُ تَدَفَّقتْ

مَوَاهِبُ قَدْ دَقَّتْ عَنِ الفهْمِ وارْتَقتْ عَنِ الوَهْمِ زَقَّتْ عَنْ نَسِيمٍ تَنَسَّما

حَوَى نُسْخَةَ الإمْكَانِ إدْرَاكُ فَهْمِهِم

فلا كُنهَ إلّا تَحتَ حِيطَةِ عَقلِهِم

لَهُم حَضْرَةُ القَيُّومِ تُمْلَى لِسِرِّهِم

بها انْطَوَتِ الأكْوَانُ في طَيِّ عِلمِهِم مِنَ العَرْشِ والكُرْسِيِّ والأرضِ والسَّما

فما السِّرُّ والإعْلانُ ما الجَهْرُ ما الخَفا

وحَسبُهُم نُورُ المُبينِ مُكَشِّفا

هَدَاهُم وصَفَّاهُم وجَلَّى الكَثائِفا

فكَانتْ جَمِيعُ الكائناتِ مَصَاحِفا لَهُم تَهَبُ السِّرَّ المَصُونَ المُكتَّما

بَدائعُ فيضٍ أُبْدِعَتْ بعَجائبٍ

يُنَوِّعُها فَتَّاحُ بَابِ المَوَاهِبِ

تُبَادِيهِمُ بالفتحِ مِنْ كُلِّ جَانبِ

لطائفُ لم تُودَعْ صَحَائِفَ كَاتِبٍ تُطَالِعُها الأفهَامُ، واللهُ أَلْهَما

أُرِيدُوا لها فاستنسَخُوها عَلَى النُّهَى

لقَدْ فَكَّكُوا، والحَمدُ للهِ، رَمزَهَا

وكَمْ أدْرَكوا بالعَقلِ أمْراً مُنزَّهاً عَنِ النَّقلِ في الألْواحِ لَنْ يُتَرَسَّما

لقَدْ كانَ تَحتَ الخَتْمِ مِنْ قَبلِ فَضِّهِ
فصَارَ ظُهُورُ البَرْقِ في وَشْكِ وَمْضِهِ
وما انفتحَ المَختومُ إلّا بفَيضِهِ
يَضيقُ فَضَا الأكْوَانِ عَن شرْحِ بَعضِهِ وكُلُّ لسانٍ كَلَّ، بل ظلَّ مُفحَما
عُلومٌ تجَلّى مِنْ «لَدُنّا» ظُهُورُها
ولم يَتعَلَّقْ باكْتِسابٍ سُفُورُها
تَجَلَّتْ بأسْرَارِ الرِّجالِ بُدُورُها
بهِ صُحُفُ الأرْواحِ أشْرَقَ نُورُها وصِينَ عَنِ الأرْواحِ إذْ كُنَّ أظْلَما
تَجَرّدْ لها إنْ كنتَ في القربِ تَرْغَبُ
ولا تَغْلُوَنْ فالشَّأنُ مِنْ ذاكَ أقْرَبُ
فلَسْتَ بقَرْعِ البَابِ بالصِّدْقِ تُحْجَبُ
لذلكَ فاطْلُبْ إنْ يَكُنْ لكَ مَطْلَبُ تَرَى كُلَّ مَطلوبٍ سِوَى ذاكَ مَغْرَما
خُذِ الحَزْمَ واجْعَلْهُ إلى الحَقِّ مَقصَدا
وأخلِصْ مَتينَ العَزمِ صِدْقاً مُجَرَّدا
ومَنْ قَصَدَ الحَقَّ اسْتقامَ وسَدَّدا
ففي قَصْدِهِ قَصْدُ السَّبيلِ ومَنْ عَدا سبيلَ الهُدى نحْوَ الرَّدَى قَدْ تَيَمَّما
مُلابَسَةُ الأغْيارِ عَينُ إضَاعَةٍ
وقَصْدٌ عَلى حَرْفٍ نَقيضِ لِطَاعَةٍ
فأخلِصْ تَرَى الإخلاصَ أزْكَى بِضَاعَةٍ
فكُنْ وَاقِفاً بالبابِ في كُلِّ سَاعَةٍ تَرَى الذلَّ فيهِ عِزَّةً وَتَكَرُّما
أتعلَمُ أنَّ الأمرَ ليسَ كَمَا هُنا
فدَعْ دَعْوَةَ الشيطانِ والنفسَ أوْهِنا
وخَلِّ حُظُوظَ النفسِ يَسْحَقها الفَنا
وجانِبْ رِيَاشَ الجَاهِ والعِزِّ والغِنى وكُنْ باضْطِرَارٍ وافْتِقارٍ مُؤمِّما

وإنْ شِئْتَ قُرْبَ اللهِ فالعِلْمُ قُرْبَةٌ[1]
وإنْ شِئْتَ جَاهاً فهوَ جَاهٌ ورِفْعَةٌ
وإنْ شِئْتَ وَفْراً فهوَ وَفْرٌ ودَوْلَةٌ
وإنْ شِئْتَ عِزَّ العِلْمِ فالعِلمُ عِزَّةٌ لِباسُ لَبُوسِ الذلِّ للهِ مُسْلِما
طَرِيقانِ فاخْتَرْ ما تَرَى لكَ أحْسَنا
إذا كنتَ تبغِي الحَقَّ فاهْجُرْ لَهُ «أنا»
فإنَّ «أنا» حَظٌّ عَوَاقِبُهُ العَنا
وإنْ كنتَ تبغِي العِزَّ والجَاهَ في الدُّنا فدَعْ عَنكَ دَاعِي العِلمِ وارْحَلْ مُسَلِّما
وعِشْ لِحُظوظِ النفسِ نَذْباً مُكافِحاً
وعَنْ كُلِّ مَرْغوبٍ سِوَى الحَقِّ جَامِحاً
إليهِ انْطَرِحْ للكَائِناتِ مُبَارِحاً
ودَعْ عَنكَ أدْناسَ المَطَامِعِ طَامِحاً لمَولاكَ فيهِ طَائِعاً جَلَّ مُنْعِما
تَوَجَّهْ إليهِ وَاجْعَلِ الفقرَ دَيْدَنا
يَعُدُّكَ بالفقرِ الحَقيقيِّ مُحْسِنا
فخذ بطريقِ الفقرِ بالحَقِّ مُوقِنا
ففِيهِ الغِنى والفقرُ إذ رُؤيَةُ الغِنى هناكَ الغِنى، بَلْ مِنهُما اقصِدْهُ مُغْدَما
تَعَنَّ ولا تَستَبِقِ للنفسِ عَادةً
أتلقى إذا لمْ تَشْقَ فيهِ سَعَادةً
أذِبْها وأضْرِمْها وَسُقْها مُقادةً
فلا رَاحَةٌ تُرْجَى لِمَنْ رَامَ رَاحَةً ومِنهما بَذلْتَ الرُّوحَ صَادَفتَ مَغْنَما
تَلفَّتْ لَها مِنْ حَيثُ وَلَّتْ وَأقبَلَتْ
فإنَّ لها كَيْداً وإنْ هِيَ أجْمَلَتْ

---

(١) قُرْبَة: دُنُوّ.

عَـلَيـكَ بـهـا انْـحَـزهَـا وإنْ هِـيَ وَلْوَلَتْ

فـفـي بَـذلِهـا صَـونٌ لَهـا إنْ تَـقـبَّـلتْ وإلّا فـقَـدْ سِيقتْ إلى ذلكَ الـحِـمَى

فـإنْ هِـيَ عَـمّـا يُـوجِـبُ الـبُـعـدَ أعـرَضَـتْ

وسَـلَّمَـتِ الأطْـوَارَ فـيـهِ وفـوَّضَـتْ

وشَـدَّتْ بـعَـزمٍ فـي الـسُّـلُوكِ وقَـوَّضَـتْ

هَـنِـيئاً لـهـا فَـخراً بـمـا قَـدْ تَـعَـرَّضَـتْ لذاكَ الحِمَى لو كانَ مَطْلَبُها احْتمَى

ذرِ الـكَـونَ فـي أثـوابـهِ يَـتـغـوَّلُ

يَـرُوقُ لِوَهْـنِ الـرَّأيِ حُـسْـنـاً ويَـجْـمُـلُ

فـمـا لـكَ دُونَ الـحَـق فـيـهِ مُـعـوِّلُ

وإنْ أَمَّ أبْـوابَ الـسُّـلُوكِ مُـؤمِّـلُ فـيَـمِّـمْ إلـى أبْـوابـهِ مُـتـقـدِّمـاً

كَـرِيـمٌ لـضَـرَّاءِ الـفـقـيـرِ مُـرَاقِـبُ

لـطـيـفٌ إذا ضَـاقـتْ بـعَـبْـدٍ كَـوَارِبُ

لـهُ فـي الـقـضَـايَـا نَـظْـرةٌ وَمَـوَاهِـبُ

وأبْـوابُـهُ فَـتْـحٌ ومَـا ثَـمَّ حَـاجِـبُ وأفـضَـالُهُ شَـرْحٌ ومَـا ثَـمَّ مُـحْـتَـمَى

تـخـلّى لـرَبِّـي ظـاهِـرِي والـذي بَـطَـنْ

وخَـلَّيْـتُـهُـم والـكَـونَ والأهْـلَ والـوَطَـنْ

كَـفـانـيَ عَـنْ زيـدٍ وعَـمْـرو وعَـنْ وعَـنْ

لأبْـوابـهِ مـا عِـشْـتُ أغْـشـى ولَمْ أكُـنْ لأخْـشـى رَقـيـبـاً أو عَـذولًا مُـلوِّمـا

رَفـضْـتُ لَهُ الأكْـوانَ مِـنْ ذِي سَـرَائـرِي

وصُـنـتُ عَـنِ الـتَّـغْـلِيلِ مَـرْمَـى بَـصَـائِرِي

وسِـيَّـانَ فـيـهِ نـافِـعِـي مِـثْـلُ ضَـائِرِي

فـعِـنـدِيَ فـيـهِ عَـاذِلِي مِـثْـلُ عَـاذِرِي ومَـنْ فـيـهِ عَـادَانِي كَـمَـنْ بي تَـرَحَّـمـا

فـلَـسْـتُ بـذي طَـرْفٍ بـفُـرْقَـتِـهِـم قُـذِي

بـمَـذْهَـبِ إنِّـي ذاهِـبٌ أنـا مُـخْـتَـذِي

طَـرِيـقَـةَ ذِي صِـدْقٍ مَـعَ الـحَـقِّ أخـوَذِي

سَأرْحَلُ عَنهُم أجْمَعِينَ إلى الذي بـهِ لـذَّ لِي ذُلِّي وعِـزِّي تَـهَـجُّـمـا

أرَانِـي خَـلِـيـلُ اللهِ وَشْـكَ ذَهَـابِـهِ

وعَـلَّلَنـي مِـنْ نَـغْـبَـةٍ مِـنْ شَـرَابِـهِ

وسِـرْتُ مـع الـمُـخـتـارِ تَـحْـتَ رِكَـابِـهِ

عَـسَـى أنَّـنِـي أُدْعَـى دَعِـيـاً بـبَـابِـهِ إذا لـم أكُـنْ بـاسْـمِ الـخَـدِيـمِ مُـوَسَّـمـا

فـصِـرْتُ بـعَـيـنِ الـحَـقِّ أرْفـعَ مَـنـزِلا

بـأيِّ مَـقـامٍ شـاءَهُ لِي وَأنْـزَلا

دُعِـيـتُ دَعِـيـاً أو وَلِـيـاً مُـكَـمِّـلا

وإلّا فـإنْ أُدْعَـى بـهِ مُـتـطَـفِّـلا فقَدْرِي بهذا الاسْمِ يَخْترِقُ السَّما

كَـفـانِي اخْـتـيـارُ الـحَـقِّ فـي كُـلِّ مَـوطِـنِ

بـأيَّـةِ حَـالٍ أو بـأيٍّ تَـعَـيُّـنِ

فـلَسْـتُ لِمَـا يَـخـتـارُهُ عَـبـدَ دَيْـدَنـي

وإنْ أُدْعَ لا شَـيْـئـاً هُـنـاك فـإنَّـنـي بذاكَ لقَدْ أصْبَحْتُ في النَّاسِ مُغرَما

فـلَسْـتُ سِـوى مَـا اخْـتـارَهُ مُـتـخـيِّـرا

ولا وَاقِـفـاً خَـلْفَ الـدَّلِـيـلِ تَـحَـيُّـرا

ونِـسْـبَـةُ مـا يَـخْـتـارُهُ صَـارَ مَـفْـخَـرا

وماذا عَسَى أُدْعَى، وماذا عَسَى أُرَى فـمـا كُـنـتُ فـيـمـا يَـرْتـضِـيـهِ لأسْـأمـا

دَعَـا دَعْـوَةً فـيـهـا الـسَّـنـا والـمَـنـاصِـبُ

وأطْـلَـعَ نَـجْـمـاً دَلَّ والـنَّـجْـمُ ثـاقِـبُ

وذلـكَ إحْـسَـانٌ لَهُ ومَـوَاهِـبُ

وإنْ كـانَ لـي مِـنْ لُؤمِ نَـفْـسِـيَ حَـاجِـبُ جَـعَـلْتُ الـرَّجَـا مِـنِّـي بـهِ لِيَ سُـلَّـمـا

ويُـطْـمِـعُـنـي مِـنـهُ بـأنِّـي عَـرَفْـتُـهُ

وإنِّـيَ فـي أمْـرٍ وَنَـهْـيٍ أطَـعْـتُـهُ

وإنِّي عَلَى العَهْدِ الذي قَدْ قَطَعْتُهُ
وبَينَ يَدَي نَجْوَايَ لمّا قَصَدْتُهُ جَعَلْتُ الرَّجَا أَرْجَى شفِيعٍ وَأَكْرَما
أقدِّمُ ذلِّي وانْكِسَارِيَ لاجِياً
وأخْلَصْتُ إعْلانِي وسِرِّي مُناجِياً
ولولا رَجَائِي لم أكُنْ مِنهُ ناجِياً
وما كُنتُ أرْجُو أنْ يُخيِّبَ رَاجِياً ولو لم يَكُنْ أهلًا ليُدْنِي ويُكْرِما
عَرَفتُ اضْطِرَاري وافتِقَارِي وحَوْلَهُ
وتَدْبِيرَهُ مَالم أكُنْ أنا أهْلَهُ
فليسَ بكَسْبِي ذرَّةٌ لم تَكُنْ لَهُ
وما أنا أرْجُو باجْتِهادِيَ وَصْلَهُ وما لاجتِهادِي أنْ يَكُونَ المُقوِّما
تَطارَحتُ في عَجْزِي حَسِيراً مُبَلَّدَا
يَقيناً بأنَّ الأمْرَ لِلحَقِّ ما عَدَا
ومُذْ كَانَ لِي هذا اليَقينُ تَجَدَّدَا
تَرَكْتُ اجْتِهادِي واعْتِبادِيَ إذْ غَدَا مُرَادِي اعْتِمَادِي مُسْلِماً ومُسَلِّما
وحِكْمَتُهُ نُورٌ أرَاهُ شَهَادَةً
ولولا شُهُودِي لم أُصَحِّحْ عِبَادَةً
وحِكْمَتُهُ ما اخْتَارَهُ ليَ عَادَةً
وحِكْمَتُهُ في كُلِّ أمْرِي إرَادَةً وفِعْلًا ومَلْبُوساً وشُرْباً ومَطْعَما
بِهِ لا بِحَوْلِي كَانَ لِي مَا أُرِيدُهُ
أُثبِّتُ أرْكَانِي وَسِرِّي قُيُودُهُ
وقَامَتْ حُقوقُ الحَقِّ لِي وَحُدُودُهُ
وأجْرَيتُ مِني النفسَ فيما يُرِيدُهُ بأمْرٍ وزَجْرٍ إنْ أحَلَّ وحَرَّما
وَضَعْتُ لَهُ كُلِّي ولا حَرْفَ ألْمَحُ
وَوَضْعٌ عَلى حَرْفٍ شَهِيدٌ مُجَرَّحُ

أنـا الـعَـبـدُ مـا لِي دُونَ مَـولايَ مَـبْـرَحُ

فمَالي إلى مَا صَدَّنِي عَنكَ مَطْمَحُ وإنْ حَـدَّ لـي أمْـراً فـلَنْ أَتـلَعْـثـمـا

دَعَـا دَعْـوَةً لـلقُـرْبِ مِـنـهُ فـأسْـمَـعَـا

وَعَـرَّفـنِـي نَـهْـجَ الـسُّـلوكِ فـوَسَّـعَـا

فـمـالِيَ لا أسْـعَـى اتِّـبَـاعـاً لِمَـنْ سَـعَـى

ومـالـيَ لا أسْـعَـى إلـى مَـا لَهُ دَعَـى ومـالـيَ لا أرْضَـى إذا مـا تَـحَـكَّـمـا

ومـالـي أنْ أُدْعَـى لأمـرٍ فَـأَنْـهَـضَـا

ومـالـيَ أنْ آبَـي الأمُـورَ مُـفَـوَّضَـا

ومـالـي لـمـا يَـرْضَـاهُ أنْ أتَـعَـرَّضَـا

ومـالـيَ مِـنْ سَـعْـيٍ ومـالـيَ مِـنْ رِضَـا سِـوَى نِـسْـبَـةٍ مِـنـهُ بـمـا قَـدْ تَـكَـرَّمـا

بَـدا لِي مُـرَادِي فـاخْـتَـرَمْـتُ سَـوَادَهُ[1]

وكَـوْنِـي مُـرَادِي الـحَـقَّ صُـنـعٌ أجَـادَهُ

فـمـا لـيَ تَـحْـقِـيـقـاً سِـوَى مـا أرَادَهُ

ولا قُـدْرَةٌ لِي أنْ أُرِيـدَ مُـرَادَهُ فكيفَ مُرَادِي؟ إنْ أُرِدْ كُنتُ أظْلَمـا

عَـوَالِمُ نـفـسِـي قـارَنـتْـنِـي مُـرَادَةً

أرِيـدُ ولا عِـنـدِي أُرِيـدُ أصَـالَةً

ظِـلالُ إرَادَاتِـي أرَاهَـا مُـبَـادَةً

مُـرادِيَ لـي أنْ لا أرَى لِي إرَادَةً وتـلكَ لَهُ عَـيـنُ الإرَادَةِ فِـي الـعَـمَـى

يَـرَى الـحَـقُّ مِـنِّـي قُـرْبَـةً كُـلَّ أحْـرُفِـي

وكُـلُّ حُـرُوفِـي حُـسْـنُـهـا حُـسْـنُ يُـوسُـفِ

لأنِـيَ لـم أزُقَّـمْ حُـرُوفِـي بـمِـصْـحَـفِـي

---

(١) فاخْتَرَمْتُ سَوَادَه: أخذتُ مُعظمَه.

فصَمْتيَ ذِكْرَى والسُّكُونُ تَصَرُّفِي ونَومِيَ وِرْدِي حَيثُ كَانَ المُنَوَّما
مِنَ الفرْشِ[1] حَتى العَرْشِ سِرْتُ ولا خُطى
ويُشْرِبُنِي بَحْراً صُعُوداً وَمَهْبِطا
سَألتُ فجَاءَ المَنعُ في صُورَةِ العَطا

وأَشْهَدُ مِنهُ المَنعَ صَرْفاً مِنَ العَطا وفي الفصْلِ مَعْنى الوَصْلِ بالأصْلِ قَيِّما
لقَدْ سِمْتُ مَشياً مَا أَشَاءُ فما مَشى
ونُودِيتُ بالتَّأدِيبِ عَبْدِيَ لا تَشا[2]
ولُقِّنْتُ تَفوِيضَ الأمُورِ كَمَا يَشا

فما شاءَ فلْيَفْعَلْهُ، مَا شاءَهُ أَشا وما أنا مِمَّنْ بالمَشِيئَةِ آثِما
أُقدِّسُ عَن قَصْدِي حَقائقَ خَلْوَتِي
ولا، لا يَرَى نَفسِي بقَصْدٍ تَحَلَّتِ
نَعَمْ قَصْدُهُ قَصْدِي وَرُوحِي وَمُنْيتي

فلا قَصْدَ لِي، والقصْدُ لِي تَرْكُ رُؤيَتي بقصْدِي، وَلَيسَ التَّرْكُ عِندِي مُحَرَّما
مُحِيطُ التَوَلِّي جَزْرُهُ مِثْلُ مَدِّهِ
إذا كانَ في الحَالَينِ ألطَافُ وُدِّهِ
قَصَدْتُ إليهِ مِنْ مَشارِقِ مَجْدِهِ

وإنْ كانَ قَدْرِي حَطَّ عَنْ دُونِ قَصْدِهِ فقصْدِي لهذا القصْدِ لِي شَرَفٌ نَمَا
وإنْ لَم يَكُنْ إلّا اغتِبَاطِي بحَمْدِهِ
فإنَّ مَقامَ الحَمْدِ بَسْطٌ لِعَبْدِهِ
أَقلُّ مَزَايَا الحَمْدِ إنْجَازُ وَعْدِهِ

---

(١) الفرش: الأرض.

(٢) سِمْتُ: أردتُ || عبديَ لا تشأ: إشارة إلى الآية الكريمة [وما تشاؤونَ إلّا أن يشاء الله].

وإنْ لـم يَـكُـنْ إلّا أمَـانِـيَ قـضـدِهِ فلا عِشتُ مِنْ تلكَ الأمَانيَ مُغدَما
وإنْ لَم يَـكُـنْ إلّا الـتِـمَـاسِـي لِرَفْـدِهِ
وعِـرْفـانُ أنْ لا فـتْـحَ فـي حُـكْـمِ سَـدِّهِ
وتـحـقـيـقُ ذلّي تَـحْـتَ عِـزَّةِ مَـجْـدِهِ
وإنْ لَم يَـكُـنْ إلّا مَـحَـبَّـةَ قـضـدِهِ فعُذْتُ وَلِي في ذلكَ الحُبِّ مُنْتمَى
وإنْ لـم يَـكُـنْ إلّا انـطِـرَاحِـي مُـفَـوِّضَـا
وإنْ لـم يَـكُـنْ إلّا بـمـا اخْـتَـارَهُ الـرِّضَـا
وإنْ لـم يَـكُـنْ إلّا الـرِّضَـاءُ بـمَـا قـضَـى
وإن لـم تـكُـنْ إلّا مَـحَـبَّـةُ مَـنْ مَـضَـى إلـى قـضـدِهِ، ذرْنِـي بـهـا مُـتـنـعِّـمـا
وإنْ لـم يَـكُـنْ مِـنْ ذوْقِـهِـم لِي رَقِـيـقَـةٌ
ومِـنْ خَـطْـرَةٍ فـي سِـرِّهِـم لِي دَقِـيـقَـةٌ
ومِـنْ حُـبِّـهِـم فـي قـضـدِهِـم لِي طَـرِيـقَـةٌ
وإنْ لـم يَكُـنْ لِي فـي هَـوَاهُـم حَـقِـيـقَـةٌ فـدَعْـنِـي أعِـشْ فِـي حُـبِّـهِـم مُـتـوَهِّـمـا
إلـهِـي وإنْ لاقـى الـعَـرَاءَ سَـقِـيـمُـهُ
فـأنْـبِـتْ عَـلـيـهِ مِـنْ مَـقـامٍ يَـقـومُـهُ
لأمْـسَـيْـتُ لَـيْـلِي غَـائِـرَاتٍ نُـجُـومُـهُ
وإنْ لـم يَـكُـنْ لِي نَـمَّ حَـظٌّ أرُومُـهُ إليكَ، فأبْلِغْنِي المَقامَ المُعَظَّما
نَـزِيـلُكَ مـا تَـخْـتَـارُهُ لِي نَـزَلْتُـهُ
لـكَ الأمْـرُ إبْـرَامِـي وَنَـقْـضِـي حَـلَلْتُـهُ
ولـي ولَكَ الـحَـقُّ الـذي مَـا جَـهِـلْتُـهُ
وإنْ لـم أكُـنْ أهْـلًا لِمَـا قَـدْ سَـأَلْتُـهُ فـإنـكَ أهْـلٌ مِـنَّـةً وَتَـكَـرُّمـا
مَـتـى تَـبْـلُـغَـنِّـي حِـيـلَـتِـي مَـا فَـقَـدْتُـهُ
ولا حَـوْلَ لِي فـي دَرْكِ شـيءٍ وَجَـدْتُـهُ
لـتـدْبـيـرِكَ الـلهُـمَّ شـأنِـي تَـرَكْـتُـهُ

وإنْ لـم يَـكُـنْ لي مُـبْـلِغـاً مـا أَرَدْتُـهُ فـحُـبّي لـمـا تَـرْضَـى أَرَى لـيَ أَحْـزَمـا

وعِـزفـانُـكَ الـلـهُـمَّ كَـنـزٌ حَـوَيْـتُـهُ

وتـوحِـيـدُكَ الـبَـحْـرُ الـمُـحِـيـطُ شَـرِبْـتُـهُ

وتـسـبـيـحُ طَـيّـاتِـي ومَـا قَـدْ نَـشَـرْتُـهُ

وحَمْدَيْكَ[1] لِي في كُلِّ حَالٍ حَمَدْتُهُ فـلا زلـتُ قـوّالًا بـهِ مُـتـكَـلِّـمـا

بـحَـمْـدِكَ إذ مَـلَّكْـتـنِـي كُـلَّ مَـغْـدَنِ

وأيْـنَ مُـلُوكُ الأرْضِ عَـمّـا تـمُـدُّنـي

وإنّـي بـهـذا الـمُـلْكِ لَو لـم تـوَدُّنِـي

فـهذا بفـضْـلٍ مِنكَ قَدْ صَارَ دَيدَنِي فلا عِشتُ يَوماً حُلْتُ عَنهُ مُصمِّما

---

(١) حَمْدَيْك: حَمْدكَ سَرّاءَ وضَرّاء.

فرعُ الحَيَاة المُقدَّسة

اللهُ حَـيٌّ لا يَـزَالُ وَلَـم يَـزَلْ ... فـي ذاتِـهِ وَبِـذاتِـهِ وَلِذاتِـهِ[1]

لا شَـيءَ غَـيـرَ اللهِ حَـيٌّ كَـائِنٌ ... لِـلذَّاتِ قَـامَ لَهُ وُجُـودُ حَـيَـاتِـهِ

وَحَقائِقُ الأسْمَاءِ في اسْمِ الحَيِّ إذ ... هُـوَ أوَّلُ الأسْـمَـاءِ فـي مَـرْقَـاتِـهِ[2]

رَجَعتْ إليهِ عَيْنُ كُلِّ حَقِيقَةٍ ... مِـنْ بَعْدِ جَامِعِ اسْمِهِ وَصِفَاتِهِ

وَمِنَ المُحَالِ وُجُودُ ذاتِ حَقِيقَةٍ ... لاسْمٍ وَغَيرُ الحَيِّ أَصْلُ ثَبَاتِهِ

وَالحَيُّ مَنْ تَجِبُ الحَيَاةُ لِذاتِهِ ... لِلذاتِ لَيسَ لِخارجٍ عن ذاتِهِ

والحَيُّ مَنْ لَيسَتْ حَيَاةٌ عَيْنُهُ ... كَلّا، وَلا هِيَ بَعضُ غَيرِيَّاتِهِ

الله حَيٌّ لا بِمَعْنًى زَائِدٍ ... فيهِ، قَدِيمٌ غَيرَ نَفْيِ مَمَاتِهِ

يَكْفِي وُجُوبُ حَيَاتِهِ لِلذاتِ عَنْ ... فَوزِ الحَيَاةِ مُسَبِّباً لِثَبَاتِهِ

حَيّاً وُجُوباً لا لِمُوجِبِ عَارِضٍ ... فَيَكُونُ مُفْتَقِراً لِمُفْتَقَرَاتِهِ[3]

حَيّاً وُجُوباً لا لِكَوْنِ حَيَاتِهِ ... سَبَباً أَقَامَ لَه وُجُودَ حَيَاتِهِ

هذا وُقُوعُ الشَّيءِ عِلَّةَ ذاتِهِ ... وَمِنَ المُحَالِ الشَّيءُ عِلَّةُ ذاتِهِ[4]

---

(١) في ذاته: في كينونته || بذاته: مستقلًا دون صفة زائدة تُضفى عليه كالحياة التي تستلزم الفناء || لِذاته: دونما اعتبار لشواهد مخلوقاته على وُجُوده، لأن وُجُودها [في حَدّ ذاته] آيةٌ من آياته.

(٢) مَرْقاته: سموه وعلوه وصعوده.

(٣) تنويع وتوكيد لما سبق طرحه في القصيدتين السابقتين حول وجوب وجود ذات الخالق، لا لـ «مُوجِبٍ عَارِض»، و«لا لكَوْنِ حَيَاته [البيت التالي] سَبَباً أقام له وجود حياته».

(٤) توضيح لما ذهب إليه في البيت السابق؛ إذ من المُحال أن تكون الأشياءُ في ذاتها عِلّة ذاتها، وفقاً لمبدأ العِلّة ومَعْلُولِها.

لَيسَ اعْتِدالًا في المَزاجِ وَلا قُوَى ... حِسٌّ لِجِنْسِ حَياةٍ مُبْتَدَعاتِهِ

الذاتُ كَافٍ صِحَّةُ اسْتِلْزَامِها ... دُونَ الوَسِيطَةِ مِنْ قَدِيمِ صِفاتِهِ

الوَاجِبُ الحَقُّ القَدِيمُ يَجِلُّ عَنْ ... إيجابِ وَاسِطَةٍ خُصُوصِيَّاتِهِ

تَجِبُ الصِّفاتُ لَهُ وَلَيسَتْ غَيرَهُ ... وَثُبُوتُها في نَفْيِ سَلْبِيَّاتِهِ

وَتَجَاذُبُ الأَسْمَاءِ مَوْجُودَاتِها ... لِحَقِيقَةِ اسْمِ الحَيِّ جَمْعِ شَتَاتِهِ

لِلحَيِّ هَيْمَنَةٌ على الأَسْمَاءِ مِنْ ... حَيثُ الظُّهُورُ وَمَجْدُ قَيُّوماتِهِ

وَعَلَى كَمَالاتِ الحَيَاةِ تَوَقَّفَتْ ... آثَارُ كُلِّ اسْمٍ بِمَأْثُورَاتِهِ

وَظُهُورُ كُلِّ اسْمٍ بِنُورٍ خَصَّهُ ... فَشُعَاعُهُ الوَقَّادُ مِنْ مِشْكَاتِهِ

وَظُهُورُ كُلِّ اسْمٍ بِقُوَّةِ فِعْلِهِ ... لِلحَيِّ سُلْطَانٌ على قُوَّاتِهِ

بَرَزَتْ ظُهُورَاتُ الصِّفاتِ وَكُلُّها ... مَمْدُودَةٌ مِنْ مَاءِ عَيْنِ حَيَاتِهِ[1]

---

(١) اللافت، على الصعيد الشعري، في بيته الأخير تصويره لتظهُرات الصِّفات المَمْدُودة أفلاجاً يُنبوعُها الصَّافي عَينُ ماءِ حياة الذات الإلهية.

طمْسُ الأبصار
عن إدراك رُؤية ذات الجبّار(*)

نَـزِّهْ إلَهَـكَ أنْ يُـرَى كَـيْ تَـعْـرِفَـهْ ... أَتُـرَاكَ تَـعْـرِفُـهُ وَتُـثْـبِـتُ ذِي الـصِّـفَـهْ

وَاعْـرِفْ مَـقَـامَـكَ دُونَ مـا حَـاوَلْـتَـهُ ... إنَّ الـتـي حَـاوَلْـتَـهَـا لَكَ مُـتْـلِفَـهْ

أتْـعَـبْـتَ نَـفْـسَـكَ فـي ظُـنُـونٍ قُـلَّبٍ ... وَالـحَـقُّ إنَّ ظُـنـونَ وَهْـمِـكَ مُـخْـلِفَـهْ[1]

فِـيـهـا تُـوَحِّـدُهُ وَتَـجْـعَـلُهُ لأغْـ ... ـرَاضِ الـطَّـبـيـعَـةِ عُـرْضَـةً مُـسْـتَـهْـدَفَـهْ[2]

رَمَّـزْتَ عَـنْ تَـجْـسِـيـمِـهِ وَنَـصَـبْـتَـهُ ... غَـرَضـاً لِـعَـيْـنِـكَ مِـنْ وَرَاءِ الـبَـلْـكَـفَـهْ[3]

وَأَحَـلْـتَ كَـيْـفَ، وَمَـا، وَأَيْـنَ وَشِـبْـهَـهَـا ... وَعَـبَـدْتَ ذاتـاً بـالـحِـجَـابِ مُـكَـنَّـفَـهْ[4]

(*) هذه القصيدة، في جَدَلِها البُرْهاني، رَدٌّ دامِغ على القائلين بإمكانية رُؤيَة الخالق يوم القيامة.

(١) قُلَّب: متقلبة وغير ثابتة || مُخلِفة: من الخُلْف، وهو في العلوم الفلسفية، المُحالُ الذي يُنافي المنطق ويُخالف العقل.

(٢) فيها: عائدة إلى ظنون الوهم الواردة في البيت السابق. وفي البيت صيغة تَعَجُّب مِمَّنْ يُوحِّدون ويُؤمنون برُؤية الخالق بالعين المجردة، لأن في ذلك تَشْيِئاً لذاته المتعالية، وهبوطها إلى أغراض الطبيعة.

(٣) البَلْكَفة: لفظ مُرَكَّب: (بلا ـ كيفيّة)، وترد في مَجال رُؤية الخالق من عَدَمِها. والشاعر يعيب المُرمِّزين عن التجسيم، في الوقت الذي يؤمنون برؤيته؛ أو ـ وفق تعبيره: يَتحاشون تَجْسِيمَهُ ويَنصبونه هدفاً لأعينهم الناظرة إليه من وراء البلكفة، أي القول برؤيته بلا كيفية تحاشياً للتجسيم. [جدير بالذكر أنَّ لأبي مُسلم كتاباً كاملاً بعنوان: شرح القصيدة البَلْكَفيّة، وهي مَنظومة للشيخ سعيد بن خلفان الخليلي توسَّعَ فيها أبو مُسْلِم تنظيراً للقصيدة والمُصطلَح].

(٤) المعنى: في الوقت الذي تجعل اتصافه بحدود المَاهِيّة والهَيْئة والحال والمَكان مُستحيلًا، تَعْبُدُ ذاتاً مُستترة بحجاب، وفي ذلك التناقض ـ كما ينصُّ البيت التالي ـ في الاعتقاد شاهد على تديُّن متعجرف.

هـذا التَّـنـاقُـضُ فـي اعْـتِـقـادِكَ شَـاهِـدٌ ... يَـقـضِـي عَـلَـيـكَ بـأنَّ دِيـنـكَ عَـجْـرَفـهْ

إنْ كُـنـتَ تَـعْـقِـلُ مـا تـراهُ، فـهـذه ... مـاهـيَّـةٌ مَـحْـدُودَةٌ مُـتـوَقِّـفـهْ

أوَ لَسْـتَ تَـعْـقِـلُهُ؟ فـأنْـتَ مُـخـلِّطٌ ... دَرْكٌ وَلا دَرْكٌ، فـأيـنَ الـمَـعْـرِفَـهْ؟

إنْ قُـلتَ: مَـعْـلُومـاً، أَحَـطْـتَ بـذاتِـهِ ... وَجَـعَـلتَ عَـجْـزَكَ قُـدْرَةً مُـتَـصَـرِّفـهْ

أو قـلتَ: مَـجْـمُـولًا فـأنْـتَ مُـعَـطِّـلٌ ... أعبدتَ مَجْمُولًا وَعَطَّلْتَ الصِّفهْ[1]

أنْـبَـتَّ إدْرَاكَ الـعَـوَارِضِ ذاتَـهُ ... إنْ كُـنـتَ دَرْكَ الـعَـيـنِ لَنْ تَـسْـتَـكِـفـهْ

يَـسْـتَـلزِمُ الإدْرَاكُ، وَيْـلَكَ، مُـدْرَكـاً ... مُـتَـحَـيِّـزاً ذا صُـورَةٍ مُـتَـكَـيِّـفـهْ[2]

تَـنْـفِـي الـتَّـحَـيُّـزَ وَالـحُـلُولَ وَتُـثْـبِـتُ ... الـمُـسْـتَـلْـزِمَ الـمَـنْـفِـيَّ، ما هذا السَّفهْ

إنْ قُـلْـتَ أَمْـرٌ خَـارِجٌ عَـنْ فَـهْـمِـنـا ... وَأَتَـيْـتَـنـا بـقَـضِـيَّـةٍ مُـتَـكَـلِّـفـهْ

فـإلَـيـكَ لـو جَـرَّدْتَـهـا عَـقْـلِـيَّـةً ... لـرَأَيْـتَ نَـفْـسَـكَ فـي الـهَـوَى مُـتَـعَـسِّـفـهْ

إنْ كُـنـتَ تُـدْرِكُـهُ بِـغَـيـرِ وَسِـيـطَـةٍ ... فـالـفِـعْـلُ لَـيْـسَ لِـفـاعِـلٍ لَنْ نَـعْـرِفَـهْ

أوْ لا، فَـأيُّ وَسِـيـطَـةٍ تَـسْـطُـو بـهـا ... فَـتَـرَى عَـيَـانـاً ذاتَـهُ مُـتَـكَـشِّـفَـهْ

وَحَـدِيـثُـكُـم يَـقـضِـي بِـرُؤْيَـتِـكُـم لَهُ ... بـالـعَـيْـنِ لا حِـسٌّ سِـوَاهـا عَـرَّفَـهْ

رِدْفـاً لِـقَـولِ اللهِ نَـاظِـرَةٌ وَمَـا ... فـي حُـجَّـتَـيْـكَ عَـلَى ادِّعَـائِـكَ مَـعْـرِفَـهْ[3]

هَـبْ أنَّـنِـي سَـلَّـمْـتُ فَـهْـمَـكَ مِـنْـهُـمـا ... أيـنَ اسْـتَـقَـرَّتْ مِـنْـهُـمـا تِـلكَ الـصِّـفـهْ

هَـلْ أُوتِـيَـتْ إلّا لِـعَـيـنِـكَ رُؤْيَـةٌ ... حـمـلا عـلـى بُـهْـتـانِ أَهْـلِ الـسَّـفْـسَـفـهْ

تَـرَكـوا الـمَـجَـازَ عَـلَـى هَـوَاهُـم هـا هُـنـا ... وَتَـقَـلَّـدُوهُ فـي أُمُـورٍ مُـتْـلِـفَـهْ

أَتَـرَى مَـجَـازاً فـي الـجَـوارِحِ سَـالِـمـاً ... إنْ كُـنْـتَ فـي هـذا الـمَـقـامِ مُـعَـنِّـفَـهْ

---

(١) مَجْمول: دون صِفة || المُعطِّل: الذي لا يُثبت الصِّفة، والبيت كسابقه ـ وما سيليه ـ حُجَّة لإثبات تناقض القائل بالرُّؤية.

(٢) **توضيح**: أي أن الإدراك بالعوارض الزائلة، كالبصر، يَستلزم أن يَكُونَ المُدْرَكُ مُحتوى في حيِّز وصُورة في حال يسمح بحدوث ذلك الإدراك.

(٣) الإشارة إلى قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يومئذ ناضِرَة إلى ربِّها ناظِرَة﴾، وهي حُجَّة القائلين بالرُّؤية، لكنَّ الرُّؤية لا تتمّ إلّا بجارحة النظر.

تـأبَـى حَـقِـيـقَـةُ الاسْـتِـوَاءِ لِذاتِـهِ ... إلّا هُـنـا، لِلْزُومِـهـا مُـتـألِّفَـهْ

أَوْجـبْـتَ رُؤْيَـتَـهُ فـأَوْجَـبَ سَـمْـعَـهُ ... وَعَلَيهِما؛ فَلَهُ الذي لَكَ مِنْ صِفهْ[1]

إنْ قُلْتَ قد سَمِعَ الكَلِيمُ[2] كَلامَهُ ... أترى حَقِيقةُ ذاكَ: صَوتاً عَنْ شَفَهْ

كَـلّا لَقَـدْ خَـلَقَ الإلَهُ لأُذْنِـهِ ... صَـوتـاً فَـعَـرَّفَـهُ بِـهِ مـا عَـرَّفَـهْ

إنْ قِـسْـتَ رُؤيَـتَـهُ عـلى تَـكْـلِيـمِـهِ ... لَزِمَ الـحُـدُوثُ لِمُـدْرَكِ الـمُـتَـشَـوِّفـهْ

فَيَكُونُ مَخْلُوقاً، وَتَـزْعُـمُ خَالِقاً ... بـالـحِـسِّ تُـدْرِكُـهُ وَتُـدْرِكُ مَـوْقِـفَـهْ[3]

أم غَـيْـرُهُ؟ جَـرَّدْتَـهُ مِـنْ نَـفْـسِـهِ ... أم غَـيرُهُ هُـوَ ذاتُـهُ؟ أمْ مـا الـصِّـفـهْ؟[4]

هـذا هُـوَ الـتَّـجْـدِيـدُ وَالـتَّـحْـدِيـدُ وَالـ ... ـتَّـقْـسِـيـمُ وَالـتَّـعْـدِيـدُ يـا مُـتَـعَـسِّـفـهْ

فـإذا نَـصَـبْـتَ سُـؤالَ مُـوسَـى حُـجَّـةً ... وَنَـبَـذْتَ أَحْـكَـامَ الـعُـقُـولِ مُـزَيِّـفـهْ

قـلْ لي: أَمُوسَى كَـانَ يَـجْـهَـلُ مَـنْـعَـهـا ... مِـنْ قَـبـلِ صَـاعِـقَـةِ الـنَّـكِـيـرِ الـمُـرْجِـفـهْ

فَـتَـسُـومُـهُ الـنُّـقْـصَـانَ فـي تَـوْحِـيـدِهِ ... وَتَـكُـونُ أَكْـمَـلَ فـي الـحِـجَـى وَالـمَـعْـرِفـهْ

أم كَـانَ يَـعْـلَـمُ مَـنْـعَـهـا فَـأَرَادَهـا ... عَـدْواً، فَـتَـنْـسِـبَ لـلـرِّسَـالَـةِ عَـجْـزَهْ

أم كَـانَ يَـعْـلَـمُ مَـنْـعَـهـا بِـحَـيَـاتِـهِ الـ ... ـدُّنـيـا فـأَعْـجَـلَ رَبَّـهُ لِـيُـشَـرِّفـهْ

وَعَـلى الـثَّـلاثَـةِ فـالـنَّـقِـيـصَـةُ عِـنـدَهُ ... بِـسُـؤالِـهـا أو لا، فـلَيْـسَـكَ[5] مُـنـصِـفـهْ

بَـلْ كَـانَ يَـعْـلَـمُ مَـنْـعَـهـا دُنـيـا وَأُخْـ ... ـرَى، وَالـسُّـؤالُ جَـرَى لأَجْـلِ ذَوِي الـسَّـفـهْ

كَـفَـرُوا بِـهِ، أَوْ يَـنْـظُـرُوهُ جَـهْـرَةً ... فَـنَـهَـاهُـمُ فَـعَـتَـوا عُـتُـواً خَـوَّفـهْ

فـأرادَ مِـنْ حِـرْصٍ عـلى إيـمـانِـهِـم ... إقْـنـاعَـهُـم بـالـزَّجْـرِ عَـنْ تِـلكَ الـصِّـفـهْ

---

(١) **المعنى**: بما أنكم تركتم المَجاز في الرُّؤية، فعليكم تركُهُ، إذنْ، في باقي الصفات كالسَّمع وسواه، وفي هذه الحالة تتساوى صفة الخالق ـ تعالى عن ذلك ـ والمخلوق.

(٢) الكليم: النبي موسى عليه السلام.

(٣) إن قِسْتم الرؤية على التكليم، فقد لزمت ضرورة الإدراك بالحواس، وعليه يكون المُدرَكُ مخلوقاً لا خالقاً.

(٤) في البيت سخرية واضحة من الموقف؛ هل تتحدثون عن غيره مجردين إياه من نفسه؟ أم أن غيره هو نفسه؟ أم ماذا؟

(٥) ليسَكَ: لستَ.

أَتُراهُ يَسْأَلُها الكَلِيمُ لِنَفْسِهِ ... طَمَعاً بِها، وَلَهَا اليَهُودُ مُعَنِّفَهْ
وَاللهِ ما جَهِلَ المَقامَ وَلا نَسِي ... عِزَّ الجَلالِ وَلا تَخَطَّى مَوْقِفَهْ
لَكِنْ لِكَبْحِ عِنادِهِم وَعُتُوِّهِم ... عَرَضَ السُّؤالَ، وَقَلْبُهُ في المَعْرِفَهْ
أَوْ لَمْ يُصَرِّحْ أَنَّهُم سُفَهَاءُ مَفْـ ... ـتُونُونَ عِندَ التَّوْبِ مِمّا أَسْلَفَهْ
وَمَتابُهُ مِنْ جَرْيِها بِلِسانِهِ ... مِنْ دُونِ إِذْنٍ أَوْ لِصَعْقٍ خَوَّفَهْ
أَعْمِيتَ عَنْ تَأْبِيدِ «لَنْ» مَنْفِيَّها ... وَجَعَلْتَ في التَّأْكِيدِ: «لَنْ» مُتَوَقِّفَهْ[1]
ما بَالُ تَخْصُرُها عَلَى تأْكِيدِها ... لولا التَّجَاهُلُ في مَقامِ المَعْرِفَهْ
هَبْ أَنَّ بُرْهَانَ العُقولِ رَفَضْتَهُ ... فالنصُّ تَسْتُرُ شَمْسَهُ مُتَكَشِّفَهْ
أيقولُ رَبُّكَ: «لَنْ تَرَاني» فارْتَدِعْ ... وتقولُ: سَوفَ أَرَاكَ خَلْفَ البَلْكفَهْ
أَوْ لَيْسَهُ هذا عِنادٌ ظَاهِرٌ ... فاذْهَبْ؛ أَمَامَكَ مَوْعِدٌ لَنْ تُخْلِفَهْ
أَبِآيَةِ الأَنْعَامِ أَدْنَى شُبْهَةٍ ... أم آيةُ الأَعْرَافِ، وَيْلَكَ، مُحَرِّفَهْ[2]
هَلْ فِيهِما بَعْضُ التَّشَابُهِ مُوهِماً ... إِيجَابَ سَلْبِهِمَا لِمَنْ لَمْ يَأْنَفَهْ
كَلّا، وَلكنَّ الهَوَى سَلَبَ النُّهَى ... وَأَضَلَّهَا فَتَهَوَّكَتْ[3] في الزُّخْرُفَهْ
ومِنَ المُصِيبَةِ ضَلَّ سَعْيُ مَعَاشِرٍ ... قَلَّدْتَهُم تَخِذوا هَوَاهُم مَزْلَفَهْ
أَلَمَحْتَ مِنْ نُورِ التَّجَلِّي لَمْحَةً ... فَجَعَلْتَ ذاتَ الحَقِّ تِلْكَ مُكَشِّفَهْ
سُبْحَانَهُ جَلَّتْ صِفاتُ كَمالِهِ ... عَنْ كُلِّ ما لَحِقَ الحُدُوثَ مِنَ الصِّفَهْ
الطُّورُ أَتْحَفَهُ التَّجَلِّي عَنْ حَقِيـ ... ـقَتِهِ، وَمُوسَى مُصْعَقٌ ما أَتْحَفَهْ
أَجَهِلْتَ أَنَّ تَجَلِّياتِ جَلالِهِ ... ظَهَرَتْ لِسَائِلَةِ المُحَالِ مُخَوِّفَهْ

---

(١) الإشارة، هنا، إلى منطوق الآية: «لَن تراني» ـ ولن حرف نصب ونفي واستقبال، نحو: لن أفعل هذا أبداً ـ ومُحاجَجَتُه: نسيانُ المُخاطَب لتأبيدها النفي، وعدم اعتداده بأنها تفيد التوكيد فحسب، حصراً لمعناها (البيت التالي) تجاهلاً في مقام معرفة.

(٢) *آيةُ الأنعام: «لا تُدْرِكُهُ الأبصارُ وهو يُدْرِكُ الأبصارَ وهو اللطيفُ الخبير» ـ آيةُ الأعراف: «قالَ لَنْ تَرانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلى الجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوفَ تَرَانِي فَلَمّا تَجَلّى رَبُّهُ لِلجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ مُوسَى صعقاً فَلَمّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنا أَوَّلُ المُؤمِنين».*

(٣) تَهَوَّكَت: حَمُقَتْ، وإنْ كان فيها بَقيّة من عَقل.

طَلَبَ التي نَافَتْ خَصَائِصَ ذاتِهِ ... فاسْتَخْطَفَتْهُمْ غَضْبَةٌ مُسْتَخْطِفَهْ

أَنْكَرْتَ دَكَّ الطُّورِ مِنْهُ بِآيَةٍ ... زَجْراً لِعَاتِيَةِ اليَهُودِ المُسْرِفَهْ

فَهَبِ التَّجَلِّي ما تَقُولُ، فأينَ في ... أَنْبَاءِ آيَتِهِ مَقامُ البَلْكَفَهْ؟[1]

وَإذا أَنِفْتَ تَجَلِّياً بالآيَةِ الـ ... ـكُبرى، فَحَسْبُكَ ضِلَّةً أَنْ تَأْنَفَهْ[2]

فَجَلالُهُ وَجَمالُهُ وَكَمالُهُ ... شَاهَدْتَهُ في الذاتِ؟ أم فِعْلِ الصِّفَهْ[3]

أَعَلِمْتَ رَبَّكَ قَادِراً إلّا بِمَـ ... ـظْهَرِ الاقْتِدَارِ لِذاتِهِ المُتَصَرِّفَهْ

ماذا تَرَى في «جَاءَ رَبُّكَ»، هَلْ عَنَى ... بالذَّاتِ؟ أم أَمْرَ القِيامَةِ كَشَّفَهْ؟[4]

ما جَاءَ إلّا أَمْرُهُ وَعَظِيمُ قُـ ... ـدرَتِهِ، وَأَجْنَاسُ الخَلِيقَةِ مُوقَفَهْ

أَتُراهُ جَاءَ مَعَ المَلائِكِ نَفْسُهُ ... بالذَّاتِ في ظُلَلِ الغَمَامِ مُكَنِّفَهْ[5]

هَلْ جَاءَ إلّا أَخْذُهُ وَأَلِيمُ بَطْـ ... ـشَتِهِ بِجَاحِدَةٍ لَهُ مُسْتَنْكِفَهْ

أَظَنَنْتَ مَحْجُوبِينَ عَنْ جَنَّاتِهِ ... وَشُهُودِ عَيْنِ الرَّحْمَةِ المُتَعَطِّفَهْ

مَنَعَ الحِجَابُ عُيُونَهُم عَنْ ذاتِهِ؟ ... أَخْطَأْتَ ـ أَوْ فاعْبُدْ حِجَاباً كَنَّفَهْ

هَلْ زَادَ أم نَقَصَ الحِجَابُ أم اسْتَوَى ... وَتُرَاهُ مِنْ أَيِّ الجِهَاتِ تَكَنَّفَهْ

مَزِّقْ حِجَابَكَ يا مُجَسِّمَ رَبِّهِ ... وَحِجَابَ جَهْلِكَ، إنَّهُ ما أَكْنَفَهْ

وَاعْرُجْ إلى تَقْدِيسِ ذاتِ الحَقِّ بالـ ... ـنُّورِ الذي أَوْحَى، وَحَسْبُكَ مَعْرِفَهْ

قَدِّسْ نُعُوتَ اللهِ عَنْ مَخْلُوقِهِ ... وَانْبِذْ نُعُوتَ البِدْعَةِ المُتَحَرِّفَهْ

---

(١) **توضيح**: بعد حُجَجه التي ساقها في الأبيات السابقة نافياً فيها تَجَلِّي الله بذاته في جَبَلِ الطُّور، يَعُود مُتسائلاً مَعَ المُخاطَب: هَبْ أنَّ تَجَلِّيه حدث (كما تدَّعِي) في الجبل. فأين قولك السابق بـ البَلْكَفه = (بلا ـ كَيفية) وأنتَ تُكَيِّفُ تجلِّيه في جَبَلِ الطُّور؟... أيُّ تناقُضٍ هذا؟

(٢) **المعنى**: وإنْ كَرِهْتَ تقبُّلَ تَجَلِّيهِ نُوراً (الآية الكُبرى) فحسبك ضلال إنكار تَجلِّي نوره.

(٣) **توضيح**: وعليه؛ هل شاهدت جلال الخالق وجماله وكماله في ذاته أم في صِفته؟.. فهي نقطة الخلاف.

(٤) **مُحَاجَجَة**: وما تأويلك لقوله: «وجَاءَ رَبُّكَ والمَلَكُ صَفّاً صَفّاً» ـ بذاته؟ أم كان أمراً بقيام السّاعة؟

(٥) **مُكَنِّفة**: مُحاطة، والمقصود ظُلَل الغمام كما تشير إليها الآية: «أم يَنظُرُونَ إلّا أنْ يَأتِيَهم اللهُ في ظُلَلٍ مِنَ الغَمَامِ وَالمَلائِكَة».

وإذا نَـزَعْـتَ إلـى الـهُـدَى عَـنْ غَـيـرِهِ ... فـالاسْـتِـقـامَـةُ نَـزْعَـةُ الـمُـتـصَـوِّفَـهْ[1]

لله نِـحْـلَـتَـنـا وَنِـعْـمَ سَـبـيـلُـهـا ... أَصْـلًا وَفَـرْعـاً لا تُـخَـالِفُ مُـصْـحَـفَـهْ

هيَ عَـيـنُ مـا نَـزلَ الأَمِـيـنُ بِـهِ عـلى الـ ... ـهَـادِي الأَمِـيـنِ، وَمـا سِـوَاهـا زَخْـرَفَـهْ

لا نَـعْـبُـدُ الـمَـحْـسُـوسَ ذاتـاً، كُـلُّ مَـحْـ ... ـسُـوسٍ حُـدُوثٌ ذاتُـهُ مُـتـألِّفَـهْ

بَـلْ نَـعْـبُـدُ الـرَّبَّ الـذي عِـرْفـانُـنـا ... إيّـاهُ، عِـرْفـانٌ بـأنْ لَنْ نَـعْـرِفَـهْ

أي: عَـجْـزُنـا عَـنْ دَرْكِـهِ هُـوَ دَرْكُـهُ ... لا دَرْكَ مَـاهِـيَّـاتِـنـا الـمُـتـكـيِّـفَـهْ

تَـجْـرِيـدُنـا لِصِـفـاتِـهِ وَلِذاتِـهِ ... تَـجْـرِيـدُهُ هُـوَ نَـفْـسُـهُ لَنْ نَـعْـرِفَـهْ

تَـوْحِـيـدُنـا إيّـاهُ تَـوْحِـيـدُ الـقُـرآ ... نِ بِـذاتِـهِ، وَالـفِـعْـلِ مِـنْـهُ الـمَـعْـرِفَـهْ

وَنُـجِـلُّهُ عَـنْ رُؤْيَـةٍ بـالـعَـيْـنِ أو ... بـالـقَـلْـبِ فـي الـدُّنـيـا وَأُخْـرَى مُـزْلِفَـهْ

وَالـدِّيـنُ نـأْبَـى أنْ نُـقَـلِّدَهُ رِجَـا ... لًا غَـيـرَ مَـعْـصُـومِـيـنَ عَـمَّـا حَـرَّفَـهْ

وَنُـقَـلِّدُ الـرَّأيَ الـمُـطَـابِـقَ أَصْـلَهُ ... لـمُـحَـقِّـقِ اسْـتِـنْـبَـاطِـهِ عَـنْ مَـعْـرِفَـهْ

أَفْـلَـتَّ سَـانِـحَـةَ الـهُـدَى فـارْبَـعْ عـلى ... ضِـلَعِ الـعَـمَـى وَابْـغِ الـضَّـلالَةَ مَـزْلَـفَـهْ

أضَـللتَ صِـدِّيـقـيـةً عُـمَـريَّـةً ... وَهْـبِـيَّـةً تَـهَـبُ الـهِـدَايَـةَ مُـنْـصِـفَـهْ[2]

بَـدْرِيَّـةً أُحُـدِيَّـةً مـا حَـكَّـمَـتْ ... عَـمْـرواً عَـلَى قُـرآنِـهـا لِـيُـحَـرِّفَـهْ[3]

شَـرِبَـتْ بـمَـاءِ الـنَّـهْـرِ[4] كَـأْسَ نَـبِـيِّـهـا ... كَـأْساً بـأمْـزِجَـةِ الـرَّحِـيـقِ مُـقَـرْقَـفَـهْ[5]

---

(١) **مُلحوظة توضيحية**: رغم أن هذه القصيدة كُتبت لتوضيح موقف أتباع المذهب الأباضي من مسألة الرُّؤية، والرَّد على مُخالِفيهم إلّا أنَّ مَنحى التصوُّف المُتجرِّد ـ وهذا رأيٌ شخصيٌّ ـ يَغلبُ على الشاعر ويُغالِبه؛ كما في هذا البيت المُؤكِّد صَراحةً بوضُوحه الخاص استقلاليته عن المَنحى العام للقصيدة: في تأكيده الواضح: أنَّ الاستقامة نزعة المُتصوِّفة.

(٢) صدّيقيّة: طريقة أبي بكر الصِّديق || عُمريّة: طريقة عمر بن الخطاب || وَهْبيّة: طريقة عبدالله بن وَهب الراسبي.

(٣) الإشارة لغزوتي بَدر وأُحُد || عمرو: هو عمرو بن العاص.

(٤) الإشارة، هنا، لمعركة النَّهْرَوان.

(٥) القَرْقَفُ: الخمرة، وتعني أيضاً: الماء البارد الصافي، وهي تسمية مَنحُوتة مِن أدبيَّات الخمر. قال ابن الأعرابي: سُمِّيت بذلك لأنها تُزعِدُ شاربها، وأنكر ذلك عليه أبو عبيد، وقال السُّكري: القَرْقَفُ: التي يُزعد عنها صاحبها من إدمانه إيّاها، وقال الليث: القَرْقَفُ: التي يُزعد عنها صاحبها من إدمانه=

لا تـدَّعِـي هَـتْـكَ الـجَـلالِ بِـرُؤْيَـةٍ ... حَسْبَ الـمُقُولِ مِنَ الـمَقامِ الـمَعْرِفَهْ

أَقْـصِـرْ مَـطَـامِـعَـكَ الـتـي طَـوَّلْتَـهـا ... إنَّ الـمَـطَـامِـعَ فـي مُـحَـالٍ مُـخْـلِفَـهْ

أنصِفْ حَقِيقَةَ «لَنْ تَرَاني»، تلْقَها ... نَـفْـيـاً يُـؤَيِّـدُ قـاطِـعَ الـمُـتَـشَـرِّفَـهْ

وَانْـظُـرْ إلـى الـشَّـأنِ الـمُـحَـالِ وُقُـوعُـهُ ... إذ بـالـمُـحَـالِ تُـبُـوتَـهُ قَـدْ أَوْقَـفَـهْ

لـو جَـازَ، لـمْ يَـكُ بـالـمُـحَـالِ مُـعَـلّقاً ... كـلّا، وَلا صُـعِـقَـتْ يَـهُـودُ بـمُـرْجِـفَـهْ

قـد كَـانَ فـي الـعِـلْمِ الـقَـدِيـمِ بـأَنَّـهُ ... لا يَـسْـتَـقِـرُّ الـطُّـورُ سَـاعَـةَ أَرْجَـفَـهْ[1]

=إياها، وقال الليث: القَرْقَفُ: تُوصف به الخمر ويوصفُ به الماء البارد: قال الفَرَزْدَق في وصف ما بدا أنهُ الماء: «ولا زادَ إلّا فُضْلَتانِ سُلافَةٌ | وأبْيَضُ من ماءِ الغَمَامَةِ قَرْقَفُ». فقال الأزهري [مُوضِّحاً مقصد الفرزدق]: هذا وَهْم، في البيت تأخير أُريد به التقديم، فـالمعنى: سُلافةٌ قَرْقَفٌ وأبيض من ماء الغمامة. وقال ابن عبّاد: القُرْقُوفُ: الخمر. وقال الليث: يُسَمَّى الدِّرْهَمُ قُرْقُوفاً، فقال السّاجع: أبيض قُرْقُوفْ؛ لا شَعْر ولا صُوفْ؛ بكُلِّ بَلدٍ يَطوفْ! وعَنى به الدِّرْهَمَ الأبيض ||توضيح: استعارة الشاعر في هذا البيت لوصف شهداء معركة النهروان مأخوذة من قاموس الخمريّات في التراث الشعري العربي إلى جانب الأبعاد الرُّوحيّة للمُصطلح في أدبيّات المُتصوِّفة، ناهيك عن وُرود مُفردة: «أمزجة»، فهي، بدورها، مُستعارة من تمازج الماء بالصَّهْباء، ومُفردة: «الرَّحيق» بدلالتها التي لا تخفى. [تفضيح: للأسف حُرِّفَ هذا البيت، واستُبْدِلت: «مُقرْقفة» بـ«مُقرَّفة»، ضرباً بمقصد الشاعر العميق، ونُسِبَت إلى (القِرْفة) التي شُرِحت في [حَوَاشِي بعض شُرَّاحِ أبي مُسْلم] على «أنها مادّة يُستخرج منها العِطر»!، رغم أنها، في الحقيقة، بَهَارٌ يُنكِّهُ به الطعام!... والتحريف نابعٌ، كما يَبدو، مِنْ تخوُّف شبيهِ الأباضيّةِ الجُدُد على استقامة أبي مُسلم، كما تراها ذائقتُهُم وأخيلَتهم، لا كما يَرَاها - رحمه الله - عِلمُ أبي مُسلم الفيّاض ومَعْرِفَتُهُ الأوسع بحدود اللغة ومَجَازات وموانع استخدامها. نقول هذا، فيما نتجاوز (كي لا نُطيلَ)، عن وُضُوح وتلازم المَقصد في مُفرداتٍ بعينها وردت في البيت: كأس، أمْزِجَة وقرقف التي قَرفوا، كما يبدو، من اقتراف أبي مُسْلِم لها. لكنَّ المُفارقة المُثيرة لِكَوَامِنِ سُخرية سوداء، هي أنَّ موضع التحريف وقع في قصيدة يُدافع فيها أبو مُسلم عن قيمة «المَجَاز» وطاقته اللغوية والرُّوحيّة الخلاقة في ردّهِ على القائلين بإمكان رُؤية الذات الإلهية بالعَين المُجرّدة، كما في تأويله المُنطلق مِنْ رُؤية نُورَانيّة ذات بُعد مَجَازي مُطلق، تسامياً على أنساقِ تفكير «الإنسان ذي البُعْد الواحد»؛ كما فصَّلَ ذلك في كتابه الموسوم بنفس الاسم؛ الفيلسوف الألماني هربرت ماركوز [وهو مُناضل ذو اتجاهات يَساريّة ويُعتبر أحد أهم المُمَثلين الكبار لمدرسة فرانكفورت والفرويديّة الماركسيّة].

(١) **تلميح**: يشيرُ الشاعر، هنا، إلى ما جاءَ في العِلم القديم، وهي إشارة تورانيّة جليّة لها ما يُؤكِّدُها في القرآن الكريم. ولتوضيح البيت نستعير ما أورده الباحث فِراس سوّاح، حول كُلٍّ من الرّوايتين القرآنيّة والتوراتيّة؛ حيث يقول: «أعطى القرآن الكريم لأخبار موسى وقومه حيزاً في الكتاب لم يُعطه لأي=

وَإِنِ ادَّعَيْتَ بِأَنَّ هٰذا المَنعَ في الـ ـدُّنيا وَبالأُخرَى حُقُوقٌ مُوقَفَهْ

=شخصية دينية أخرى: ١ ـ التجلّي على الجبل: **الرواية القرآنية**: (وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشرٍ، فتمّ ميقات ربّهِ أربعين ليلة. وقال مُوسى لأخيه هرون: اخلفني في قومي وأصلِح ولا تتبع سبيل المفسدين. ولما جاء موسى لميقاتنا وكلّمهُ ربُّهُ، قال: ربِّ أرني أنظر إليك. قال: لن تراني، ولكن أُنظر إلى الجبل فإنْ استقرَّ مكانه (٧) فسوف تراني. فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً، وخرَّ موسى صعقاً. فلما أفاق قال: سبحانك تبتُ إليك وأنا أول المؤمنين) [٧ الأعراف: ١٤٢ ـ ١٤٣]. **الرواية التوراتية**: في الرّواية القرآنية عن التجلي لدينا عُنصران، العُنصر الأول هو طلب موسى رؤية الرَّب، والعُنصر الثاني هو تَجلّي الربّ على الجبل ليجعله دَكّاً. وهذان العُنصران موجودان في الرّواية التوراتية في موضعين منفصلين: أ ـ طلب الرُّؤية: (فقال موسى: أرني مَجْدَكَ. فقال: أجيز كل جودتي قُدّامك، وأنادي باسم الرَّب قدامك، وأتراءف على من أتراءف، وأرحم من أرحم. وقال: لا تقدر أن ترى وجهي، لأنَّ الإنسان لا يراني ويَعيش. وقال الرب: هو ذا عندي مكان، فتقف على الصخرة، ويكون متى اجتاز مجدي أني أضعك في نقرة من الصخرة وأستُرُكَ بيدي حتى أجتاز، ثم أرفع يدي فتنظر ورائي وأما وَجْهي فلا يُرى) [الخُروج ٣٣: ١٨ ـ ٢٣]. ب ـ التَّجلّي على الجبل: (وفي الشهر الثالث بعد خروج بَني إسرائيل من أرض مصر، في ذلك اليوم جاؤوا إلى برِّيَّة سيناء مقابل الجبل.) [الخروج ١٩: ١ ـ ٢]. (وقال الربُّ لموسى: اصعد إلى الجبل وكُنْ هناك فأعطيك لوحَيْ الحجَارة (٨) والشريعة والوصيَّة التي كتبتها لتعليمهم. فقام موسى ويشوع خادمه، وصعد موسى إلى جبل الله. وأما الشيوخ فقال لهم: اجلسوا لنا هنا حتى نرجع إليكم، وهو ذا هرون وحور معكم، فمن كان صاحب دعوى فليتقدم إليهما. فصعد موسى إلى الجبل وحَلَّ مجد الربِّ على جبل سيناء وغطاه بالسحاب مدة سبعة أيام. وفي اليوم السَّابع دُعي موسى من وسط السحاب. وكان مَنظرُ مَجدِ الربِّ كنار آكلةٍ أمام عُيون جميع بني إسرائيل. ودخل موسى في وسط السَّحاب وصعد إلى الجبل. وكان موسى في الجبل أربعين نهاراً وأربعين ليلة) [الخروج ٢٤: ١٢ ـ ١٨]. (وكان جبل سيناء كُلُّهُ يُدخن مِن أجل أنَّ الرَّبَّ نزل عليه بالنار، وصعد دخانه كدخان الأتون وارتجف كُلُّ الجَبَلِ جداً. فكان البرق يزداد اشتداداً وموسى يتكلم والله يجيبه) [الخروج ١٩: ٨ ـ ١٩]. ٢ ـ الرسالة: **الرواية القرآنيّة**: (قال يا موسى إنِّي اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي، فخذ ما آتيتك وكُنْ من الشاكرين. وكتبنا له في الألواح مِنْ كُلِّ شَيء مَوعِظةً، وَتفصِيلًا لِكُلِّ شيء، فخُذها بِقُوَّةٍ وأمُرْ قومَكَ يَأخُذُوها بأحسنِها، سَأُوريكُم دار الفاسِقين (٩)، سأصرفُ عن آياتي الذين يَتكبَّرُونَ في الأرضِ بغيرِ حقٍّ، وإنْ يَرَوا كُلَّ آيةٍ لا يُؤمنوا بها) [٧ الأعراف: ١٤٤ ـ ١٤٦]. **الرواية التوراتيّة**: على قمة جَبَلِ سِيناء الذي كان يُدَخِّنُ ويَرْتَجِفُ لأنَّ الله نزلَ عَليهِ بالنارِ (الخروج ١٩). يتلقى مُوسَى من رَبِّهِ الوَصَايا العشر: لا تكُن لك آلهة أخرى أمامي، أكرم أباك وأمك، لا تقتل، لا تسرق... الخ [الخروج ٢٠]. وبعد ذلك يأخذ الرب بتفصيل الأحكام الشرعية [الخروج: ٢١ ـ ٣١]. وفي النهاية يعطي الربُّ مُوسى لَوْحَينِ مِنْ حَجَرٍ نُقشَتْ عَليهِما وَصيَّتُهُ وشَرِيعَته: (ثم أعطى موسى عند فراغه من الكلام معه في جبل سيناء لوْحَيْ الشهادة، لوحي حجر مَكتوبَين بإصبع الله) [الخروج ٣١: ١٨].=

قُلْنا: حَكَمْتَ بِأَنَّهُ مُتَغَيِّرٌ ... لَمّا فَرَضْتَ: هُناكَ تَغْييرَ الصِّفَهْ
وَكَمالُهُ بِالذّاتِ لَيْسَ مُؤَقتاً ... كَلّا، وَلَيْسَ صِفاتُهُ مُتَطَرِّفَهْ
ما يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ فيما لم يَزَلْ ... قَدَّرْتُمُوهُ لِغايَةِ المُتَشَوِّفَهْ
لا تَسْتَحِيلُ صِفاتُ خَالِقِنا الـ ... ـقَدِيمِ، وَلا تُغَيِّرُهُ الدُّهُورُ المُرْدِفَهْ
سُبْحانَهُ! لا مُنْتَهَى لِكَمالِهِ ... إذْ لَم يَكُنْ لِبِدَايَةٍ مُسْتَأْنَفَهْ
عُدْ عَنْ طَرِيقِكَ، ما لِعَيْنِكَ مَنْفَذٌ ... إلّا إلَى كَيْفِيَّةٍ مُسْتَهْدِفَهْ
إلّا إلَى جِهَةٍ تُحَدِّدُ جَوْهَراً ... مُتَلَبِّساً عَرَضاً تُحَقِّقُ مَوْقِفَهْ
أوْلا، فَلَيْسَتْ رُؤْيَةٌ مَعْقولَةٌ ... فَنَرَى حَدِيثَكُمُ إلَيْها مَصْرَفَهْ
بَيْنِي وَبَينكُمُ الكِتابُ؛ فَقَدْ قَضَى ... أنّا عَلَى رُشْدٍ وَأنّ بِكُمْ سَفَهْ
لا تَجْعَلُوا التَّوحِيدَ عُرْضَةَ وَهْمِكُم ... غَرَضُ الحَقِيقَةِ مِنهُ عَينُ المَعْرِفَهْ
ما أبْعَدَ العِرْفانَ عَنْ ألْبابِكُم ... إنْ كَانَ تَقْدِيسُ المُهَيْمِنِ بَلْكَفَهْ

=**توضيح**: أوردنا كلا الرّوايتين القرآنية والتوراتيّة للإشارة إلى غور مَقصد أبي مُسلم من تلمحيه: «وقد جاءَ في العِلم القديم...»، اتساقاً مع الرّوايات المرويّة، حول رَجْفةِ الجَبَل، في الكُتب السماويّة المُقدّسة.

قصيدة الوادي المُقدَّس(*)

(إطناب)

طَنَّبْتُ في الوَادِي المُقدَّسِ خَيْمَتي ... وَرَعَيْتُ بَينَ شُعُوبِهِ أَغْنامِي(١)

قُلْ لِلذِّئابِ الكَاسِرَاتِ تَفَسَّحِي ... عَزَّ الحِمَى وَأَعَزُّ مِنهُ الحَامِي

فَلَقَدْ نَزَلْتُ على عَظِيمِ قَادِرٍ ... عِزُّ الجَلالِ إليه والإكرامِ

يَقْضِي وَلا يُقْضَى عَلَيهِ، نَزِيلُهُ ... لو كَادَهُ الثَّقلانِ غَيرُ مُضَامِ

مِنْ بَعدِ ما طُرِّدْتُ كُلَّ مُطَرَّدٍ ... وَنُشِبْتُ بَينَ أَظَافِرِ الأَيامِ

سَتَرَتْنِيَ الأَسْمَاءُ في مَلَكُوتِها ... فَحُجِبْتُ عَنْ فَهْمِي وَعَنْ أَوْهَامِي(٢)

وَسَقَتنِيَ الأَسْرَارُ شَرْبَةَ ذَوْقِها ... فَعَجِزْتُ عَنْ تَعْبِيرِهِ بِكَلامِي

وَذَكَرْتُ مَنْ هُوَ في الحَقِيقةِ ذاكِرِي ... وَحَقِيقتي لا شيءَ، وَهِيَ مَقامِي

وَحَقِيقتي أَنِّي مَحَوْتُ حَقِيقتي ... إِذْ ثَبَتُّها صَنَمٌ مِنَ الأَصْنامِ

(*) **توضيح**: وردت هذه القصيدة في الأصل المعتمد بهذا العنوان، كما وردت مُطوَّلتهُ الأخرى «الوادي المقدس» بعنوان: هو الله بسم الله تسبيح فطرتي، لكننا أعدناه كما ورد في المخطوطة ـ [في موضع آخر، راجع هامش قصيدة الوادي المقدس]. وكي لا يقع لبس، وتمييزاً بينهما أضفنا مفردة [قصيدة] الوادي المُقدَّس إلى هذه القصيدة، إلى جانب عنوان فرعيٍّ مُمَيِّز لها: إطناب، لأنها استعادة لأسماء الله الحسنى المُكنى عنها بـ الوادي المقدس الذي يزوره الشاعر من جديد راكزاً خيمته وراعياً أغنامه الصُّوفيّة بين شعابه.

(١) طنّب: أقام بالمكان، وطنب الخيمة: جعل لها أطنابا ليشدها بها.

(٢) يُشير إلى أسماء الله الحُسنى.

لـمّـا مَـحَـوتُ اسْـمِـي بـاسْـم مُـحَـقِّـقِـي ... مَـكَّـنـتُ فـوقَ رُؤُوسِـهِـم أَقْـدَامِـي

أَنْـفَـقْـتُ وِجْـدَانِـي لِوَحْـدَةِ مُـوجِـدِي ... وَعَـلـى سِـواهُ حَـقـائِقُ الإِعْـدَامِ

وَإِرَادَتِـي إِيّـاهُ ظِـلُّ إِرادةٍ ... سَـبَـقـتْ لَهُ فـي الـنَّـقْـضِ وَالإِبْـرَامِ[1]

---

(١) **ملحوظة**: نستشف بجلاء في هذه القصيدة موقف الشاعر المُتماهي مع مواقف المُتصوِّفة الكبار، حيث يتعالى على الإطار المذهبي لصالح الحقيقة الكُبرى، حقيقةِ مُوجِدِ الوجود. لذلك تظلُّ إرادةُ الشاعر في مُوجِدِه الأعلى «ظلّ إرادة» حُسِمَ أمرُها سَلفاً في سيرورة النقض والإبرام الإلهي.

خَمْرَة اللّه(*)

نَصَبْتُ لَهُمْ مِنْ نَيِّرِ الذِّكْرِ مَعْلَماً ... وَبَوَّأْتُهُم مِنْ أَنْفَعِ الذُّخْرِ مَغْنَما

وَصَيَّرْتُ نَفْسِي خَادِماً لِطَرِيقَةٍ ... بِها هَامَ أَهْلُ اللهِ في الأَرْضِ وَالسَّما

فَيَا لَرِجَالِ الحُبِّ وَالكَأْسُ مُفعَمٌ ... هَلُمَّ اشْرَبُوا هذا المُغَنَّى تَرَنُّما

عَصَرْتُ لَكُم مِنْ خَمْرَةِ اللهِ صَفْوَهَا ... فَمُوتُوا بِها سُكْراً؛ فما السُّكْرُ مَأْثَما

لَقَدْ هَامَ أَهْلُ الاسْتِقَامَةِ قَبْلَنا ... بِها، فانْتَشَوا بَينَ الخَلِيقَةِ هُيَّما[1]

تَرَاهُم سُكارَى يَنْشُرُ الجَمْعُ فَهْمَهُم ... وَيَطْوِيهِ نُورُ الفَرْقِ في أَبْحُرِ العَمَى[2]

(*) **توضيح**: تحاشى بعض المُجتهدين في تحقيق أعمال أبي مُسلِم عنوان القصيدة الأصلي: «خمرة الله»، لتَصِير العنوان وِفْق اجتهادهم: نَيِّر الذِّكْر، رغم ورودها في كافة المَصَادِر بعُنوان: خمرة الله.

(١) رغم أن أبا مُسلِم لم يُصَعِّد في العلن تجربته الرُّوحية لبلوغ شطحات وإشراقات المُتصوِّفة الكبار مكتفياً في انهماكه بالأذكار والدوران في فلكها، لكننا نكاد نجزم باطلاعه على تراثهم وتطلعه لبلوغ مراحل الإمْحَاء الكُلِّي في الذات الإلهية على طريقة أبي يزيد البسطامي وابن عربي والنِّفري، لكنه آثر، ظاهِراً، اتباع التيَّار المُحافظ بين المُتصَوِّفة لذَرائع عقدية ومذهبية لم تمنعه ـ مع ذلك ـ من اختراق التابو Tabu في إشارات يُمكن للمتتبع تلمُّسها في عدة مواقع من تراثه الشعري، وما ساعده على إخفائها تضلعه في اللغة وقدرته على استخدام عبارات حَمّالة أوجُه. وإشارته لأهل الاستقامة في هذا البيت تُومِئ إلى تلك الفئة مِن المُتصوِّفة، لا أتباع المَذهب المُنتمي إليه سُلوكاً واعتقاداً ومُمارسة في العَلَن؛ فالقصيدة تنضحُ بالمُفردات ذات الأبعاد الصُّوفيّة في دلالاتها، خارج سياقاتها اللغويّة والمُعجميّة المعهودة.

(٢) ينشر: النَّشْر: الرِّيح الطيِّبة؛ يَنْشُره نَشْراً ونُشُوراً وأَنْشره فَنَشَر الميتُ لا غير: أَحياه؛ قال الأعشى: حتى يقولَ الناسُ مما رَأَوْا | يا عَجَباً للميّت النَّاشِرِ. وفي التنزيل العزيز: وانْظُرْ إلى العظام كيف ننشرها؛ قرأها ابن عباس: كيف نُنْشِرُها، وقرأها الحسن: نَنْشُرها. والنَّشْر: القوم المتفرِّقون الذين لا يجمعهم رئيس. **تلميح**: في هذا البيت نراه يُطنِبُ في مدح المُتصوِّفة، السُّكارى بالله، الذين يَنشرُ=

مَـلأْتُ لَكُـم دَنِّـي شَـرَاباً مُـرَوّقـاً وَحَرَّكْتُ أَوْتاري، فأَنْطَقْتُ أَعْجَما
وَغَنَّيْتُ في شَرْبٍ[1] هُمُ الرُّسْلُ كُلُّهُم «تقدَّمْ إلى بَابِ المَلِيكِ مُقدِّما»[2]

=الجمعُ فهْمَهُم، لكنَّ نور الفرق يطويه في أبحُر العَمى؛ وقصد به عامَّةَ الناسِ مِمَّن لا يصْاغدون لتلك المَرتبَة.

(١) الشَّرْب (بِفتح الشين): القوم يَشربون مُجتمعين على شراب.

(٢) **تلميح**: مِن الواضح أنَّ قصيدته هذه كُتبَت وفي خياله طيفُ شيخه العلَّامَة الرَّباني سعيد بن خلفان الخليلي الذي خمَّسَ لهُ الشاعر قصيدته المَعروفة، ومنها شطر هذا البيت الذي يختتم به قصيدة خمرة الله: تقدَّم إلى بابِ المَليكِ مُقدِّماً | لهُ مِنكَ نَفساً قبلَ أن تتقدَّما؛ والبيت الذي يختتم به قصيدة خمرة الله شطر مُقتبس من أصل قصيدة الشيخ سعيد بن خلفان، ويبدو أنَّ المُخاطَب رُوحيّاً برؤيا تصوُّفيّة في قصيدة «خمرة الله»، هو شيخه الجليل بعد رحيله الفاجع.

النَّبيُّون كلُّهم نُدماني(*)

مَنْ كَمِثْلي، وَذا الشَّرَابُ شَرَابي ... وَالنَّبِيُّونَ كُلُّهُم نُدْمَانِي
هَامَ، قَبْلِي، بِهِ الخَلِيلُ وَمُوسَى ... ثم عِيسَى وَصَاحِبُ القُرْآنِ[1]
هَذِهِ حَالَتِي وَهَذا مَقَامِي ... فَاعْرِفُونِي وَأَنْكِرُوا عِرْفَانِي

(*) العنوان من اختيارنا؛ إذ لم نعثر على عنوان لهذه القصيدة في الأصل المُعتمد.

(١) ينحو في هذه القصيدة القصيرة ذات المنحى الإشراقي المُفصَح عنه في قصيدة «خمرة الله»، وتأكيداً لما ذهبنا إليه في حاشية تلك القصيدة نجده يُسمّي ندمانه الأنبياء بأسمائهم: إبراهيم، موسى وعيسى دون اقتراب مباشر من حُرْمَة اسم النبي محمد، مُفضلًا ـ لا لضرورة شعرية ـ تعبير: صاحب القرآن، رغم أنه أقرب مقامات الأنبياء المذكورين إليه، وفي ذلك تميز وإعلاء لمكانة آخر الرُّسُل.

مَصابيح العِرْفان(*)

بِنُورِ وَجْهِكَ يَا نُورَ السَّمَواتِ أَشْعِلْ مَصَابيحَ عِرْفاني بِمِشْكَاتِي
وَامْلأْ بِحُبِّكَ قَلْبِي وَاجْتَذِبْ رَمَقِي مِنْ بَينِ أَبْحُرِ أَوْهَامِي وَغَفْلاتِي

(*) العنوان من اختيارنا؛ إذ لم نعثر على عنوان لهذه القصيدة في الأصل المُعتمد، وهي تنحو ذات المنحى الإشراقي العِرفاني في القصائد السّابقة.

اخلع النعلين(*)

هَـذِهِ الـنـارُ وَذا الـوَادِي الـمُـقـدَّسْ ... فَـاخْـلَعِ الـنَّـعْـلَـيـنِ وَالـذِّلَّةَ فَـالْبَـسْ
وَاجِـدٌ أَنْـتَ هُـدًى أو قَـبَـسـاً ... لا تُـجَاوِزْ إنَّ هَـذا الـلـيـلَ عَـسْـعَـسْ(١)

(*) العنوان من اختيارنا؛ إذ لم نعثر على عنوان لهذه القصيدة في الأصل المُعتمد.

(١) يعزج في هذه القطعة الشعرية بين دخوله في لحظات الإشراق الصوفي الخالص (المُرَكَّز عنهُ بـ الوادي المُقدّس) مُقتبساً، في الآن ذاته، قصة النبي موسى حين قال لأهله: «إني آنستُ ناراً لعلّي آتيكُم منها بقبَسٍ أو أجدُ على النَّارِ هُدًى»، كما جاء في الآي الكريم.

طُرَق اللّه(*)

طُـرُقُ اللهِ نُـصْـبَ عَـيْـنِـي وَأَسْـرَا ... رُ أَسَـامِـيـهِ أَبْـحُـرِي وَسَـفِـيـنِـي
مـا الـذي صَـدَّنِـي عَـنِ اللهِ إلّا ... سُـوءُ أَمَّـارَتِـي وَسُـوءُ يَـقِـيـنِـي
رَبِّ غَـوْثَـاهُ جَـلَّهـا ظُـلَـمَـاتٍ ... بُـؤْتُ فِـيـهَـا بِـصَـفْـقَـةِ الـمَـغْـبُـونِ
أَنـتَ نُـورُ الأَنْـوَارِ نَـوِّرْ يَـقِـيـنِـي ... فِي حَيَاتِي الـدُّنْـيَـا بِـنُـورٍ مُـبِـينِ[1]

(*) العنوان من اختيارنا؛ إذ لم نعثر على عُنوان لهذه القصيدة في الأصل المُعتمد.

(١) إن صَحَّ الاجتهادي المتواضع، فإن الشاعر بعد كتابته لقصيدته المطوَّلة «الوادي المقدس» الأولى وقصائد الأسماء الحسنى اصّاعَدَ إلى مرتبة عليا من مراتب الإشراق جعلته يكتب قصيدته الثانية عن الوادي المقدس، لتتلوها قصائده الخمس الأخيرة: خمرة الله، النبيون كلهم ندماني، مصابيح العرفان، اخلع النعلين وطُرُق الله.

القصِيدَة النَّهْرَوانيَّة(*)

سَمِيرِي وَهَلْ لِلمُسْتَهَامِ سَمِيرُ ... تَنامُ وبَرقُ الأبرَقَينِ سَهِيرُ

تُمزِّقُ أَحْشاءَ الرَّبابِ نِصالُهُ ... وقلْبي بهاتيكَ النِّصَالِ فَطِيرُ(١)

تَطَايرَ مُرْفَضُّ الصَّحائفِ في المَلا ... لَهُنَّ انطِوَاءٌ دَائِبٌ وَنُشُورُ

يُهَلْهِلُ في الآفاقِ رَيْطاً مُورَّداً ... طِوالَ الحَواشي مُكْتَهُنَّ قَصِيرُ(٢)

بِمُنتَحِباتٍ مُرْزِمَاتٍ يَحُثُّها ... حُداءُ النَّعَامى دَمْعُهُنَّ غَزِيرُ

تَنبَّهْ سَمِيري نَسْألِ البَرقَ سَقيَهُ ... لِرَبْعٍ عَفَتْهُ شَمْألٌ وَدَبُورُ

ذَكَرْتُ بِهِ عَهداً حَميداً قَضَيتُهُ ... وذو الحُزنِ بالتَّذكَارِ، وَيْلَكَ، أَسِيرُ

عُهوداً على عينِ الرَّقيبِ اختلستها ... ذَوَتْ رَوْضَةٌ مِنها وَجَفَّ غَدِيرُ

مَتاعيَ رَجْعُ الطَّرْفِ مِنها، وكلُّ ما ... يَسرُّكَ مِن عَيشِ الزَّمانِ قَصِيرُ

وبي مِن تَباريحِ الجَوى مَا شَجَا الهَوَى ... وذلكَ ما لا يَدَّعِيهِ ضَمِيرُ

وَقفْتُ لرَسِيسِ الحُبِّ بالصَّبرِ مُهْجَتي ... وما كُلُّ مَنْ شَفَّ الغرامُ صَبورُ

وإلّا فما بالي وَغَورُ مَدَامِعي ... ودَمعُ التصابي لا يكادُ يَغورُ

أَدَهْرِي عَمِيدُ الحُبِّ؟ والعُودُ ذابلٌ ... فَهَلّا وَأَمْلُودِ الشَّبابِ نَضِيرُ

(*) قال هذه القصيدة في ذكرى شهداء معركة النّهرَوان بعد رفضهم التحكيم، يلوم فيها الإمام عليّ بن أبي طالب على القبول به. **إشارة توضيحية**: اشترك في وضع حواشي القصيدة النهروانية كُلٌّ مِن المُحَقِّق والمُدقِّق.

(١) الرَّباب: السحاب الأبيض، واحدته: ربابة.

(٢) الرَّيط: جمع ومفردها الرَّائطة، وهي المُلاءة كلّها نسج واحد وقطعة واحدة.

عَذيرُ غِوايات الغرَامِ مِن الصِّبا ... وما لِغِواياتِ المَشِيبِ عَذيرُ
وكُلُّ غرامٍ قارَن الشَّيبَ سَوءةٌ ... وكُلُّ غَريرٍ في المَشيب غرورُ
أبَعدَ تَباشير المَشيبِ غِوَايَةٌ؟ ... وللعَقلِ مِنها زَاجرٌ وَنَذيرُ
تَنَاقلَنِي عُمرانِ: عُمرٌ قَدْ انحَنى ... بشيبٍ، وعُمرٌ للشبابِ كَسيرُ
تناهت حَياتي غَيرَ نزرٍ على شَفا ... وذلك قَدْرٌ، لو نَظرتَ، يَسيرُ
صَبابةُ عُمرٍ حَشوُها الغيُّ والهَوَى ... وهذا مقام بالتُّقاةِ جَديرُ؟!
تَقضَّى ثَمِينُ العُمرِ في نَشوةِ الهَوَى ... وحَشوُ مَزادي باطلٌ وغُرورُ
أألهو؟ وَقَدْ نادى المُنادي لِمُنْتَهى ... إليهِ، وإنْ طالَ المَطالُ أَصِيرُ
وَصُبْحَانِ مِن عَقلٍ وَشيبٍ تَنفّسا ... فذا مُسفِرٌ هَادٍ وذاكَ سَفيرُ
أأتْرُكُ نفسي بعدَ ذا بيَدِ الهَوَى ... تُسامُ، كَمَا جَرَّ الحِمارَ جَريرُ
وَأُوقِرُها شراً؟ وفيها اسْتطاعَةٌ ... إلى الخَيرِ، والنَّاهِي الرَّقيبُ غَيورُ
وإني وإنْ سَوّمْتُ نفسي بمَسرَحٍ ... مَرَاعِيهِ: سُمٌّ ناقِعٌ وَشُرورُ
يُطَوِّرُ لي الشيطانُ أطوارَ كَيْدِهِ ... ونفسي لهُ فيما يَشاءُ نَصِيرُ
فَلَسْتُ بمَتروكٍ سُدًى دُونَ مَوقِفي ... على الغَيِّ، عُقبَى أَشْرَفتْ وَمَصِيرُ
سَيُوقِفُني مِن رَقْدَةِ اللهْوِ نَاعِبٌ ... يَحُطُّ بمَحْتومِ الرَّدَى وَيَطيرُ
تَقَضّى بيَ المَحْيا، وَجَهْلي مَطِيَّتي ... وَقَائدُها دُنْيَايَ، وهيَ غَدُورُ
أَمَانٍ وَأَوهَامٌ وَزُخْرُفُ بَاطِلٍ ... سَرَابٌ بِقِيعَانِ الفَلاةِ يَمُورُ
مُحَصِّلُها بالكدِّ وَالكدْحُ رَاقِبٌ ... لفَوتٍ وتَفريقٍ إليهِ تَحُورُ[1]
فليسَ سَدِيداً جَمعُ هَمٍّ لجَمعِها ... ودَائِرَةُ التَّفريقِ سَوفَ تَدورُ
سَتَتْرُكُها بالرَّغمِ وَهيَ حَبيبَةٌ ... وَرُبَّ حَبيبٍ للنفوسِ مُبيرُ[2]
وَمِنْ عَجَبٍ مَيلُ النفوسُ لِعَاجلٍ ... يَحُولُ عَلَى أكْدارِهِ ويَبورُ

---

(١) تَحُور: ترجع؛ حارَ حَوْراً، وحُوراً. وفي التنزيل العزيز: «إنهُ ظَنَّ أنْ لَنْ يَحُور».
(٢) مُبير: مُهلِك.

وإشْـرَاعُـهـا فـي الـغَـيِّ إشْـرَاعَ آمِـنِ ... ونـاقِـدُ أعْـمَـالِ الـعِـبـادِ بَـصِـيـرُ

متى أقلَعَتْ عَنا المَنونُ؟ وَهَلْ لنا ... بـغـيـرِ طَـريـقِ الـغَـابـريـنَ عُـبُـورُ

أمِ الأمَـلُ الـمُـلهِـي بَـرَاءَةُ غَـافـلٍ ... مِـنَ الـمَـوتِ؟ أمْ يَـومُ الـمَـعَـادِ يَـسِـيرُ

أتـمْـرَحُ إنْ شَـاهَـدتَ نَـعـشـاً لِهـالـكٍ؟ ... إلـيـكَ أكُـفُّ الـحَـامِـلِـيـن تُـشِـيـرُ

سَتَرْكَبُ ذاكَ المَرْكَبَ الوَعْرَ سَاعَةً ... إلـى حَـيـثُ سَـارَ الأوّلـونَ تَـسِـيـرُ

نَقِي[1] مِن غُبارِ الأرْضِ بِيضَ ثِيابِنا ... وتـلكَ رُفـاتُ الـهَـالِكـيـن تَـطِـيـرُ[2]

ليَ الويلُ، هَلّا أرْعَوِي عَن مَهَالِكي ... أمـا فـي الـمَـنـايـا وَاعِـظٌ وَنَـذِيـرُ

أما في عَويلِ النَّائِحَاتِ مُذكِّرٌ ... أمِ الـنَّـوْحُ حَـولِي وَالـبُـكـاءُ صَـفِـيـرُ

أمِ الغَارَةُ الشَّعْواءُ مِن أمِّ قَشْعَمٍ[3] ... يَـشُـنُّ أَصِـيـلٌ هَـولَهَـا وَبُـكُـورُ

على كُلِّ نَفسٍ غَيرَ نَفسِيَ رُزْؤها ... ويَـمـنـعُـنـي مِـنـهـا جِـمىً وسُـتُـورُ

بَلى؛ سَوفَ تَغشَانِي مَتى حَانَ حَيْنُها[4] ... فَـيـعْـجَـزُ عَـنـهـا نـاصِـرٌ وَعَـشِـيـرُ

وَتَـفْـجَـأُنِـي يَـومـاً، وَزادِي خَـطِـيـئَـةٌ ... وإثْـمٌ وَحُـوبٌ[5] فـي الـكِـتـابِ كَـبِـيـرُ

أرَى الخَطْبَ صَعباً والنفوسَ شَحِيحَةً ... عـلى زُخْـرُفٍ فَـانٍ مَـدَاهُ قَـصِـيـرُ

---

(١) نَقِي: نَصُون.

(٢) العَجْد البلاغي الفارِق والمُؤسِّس لشِعريّة هذا البيت أكثر رُسُوخاً وديمومة من الحِكْمَة التقليدية المُتوَسِّلة في سِياقه الظاهري (المُتوقع في بُنية الخِطاب ومَقاصِده)؛ لكننا لو تأملنا المشهد من زاويةٍ ومَنظُورٍ زَمَنيّ في اللحْظة التي فيها نقِي من غُبار الأرض ثيابنا البيضاء (وهي، بامتياز ساخِر، مُعادلٌ موضوعيٌّ للكَفَن) سنكتشف أن رُفاتَ الهالكين قد تحلّقتْ منذ زمن بعيد نحو مصيرها في غياهب السّماء، كما في غياهب الصُّورة الشعرية القابضة على حركة التحليق في لقطتها السينمائية التي تشفّ عن بُعدٍ فلسفيّ مُبطّن في تضاعيف الصُّورة التي لا تلتفِت (كما لو عَن قصد) إلى مَصير الرُّوح الأخفّ والأجدر رمزياً بالتحليق والرّفرفة إلى مَثْواها الأزلي؛ بمُوازاة لحظة بَصَريّة خاطفة لوقاية الدشاديش في طريقٍ مُتْرَب، غالباً ما يَقودُ أجسادها الملبوسة (أرواحها؟) إلى ذات المصير. [جدير بالذكر أن ثمة قراءة ثانية لهذا البيت: نَقَىً مِنْ غُبارِ الأرضِ بِيضُ ثِيابِنا | وتلكَ رُفاتُ الهالكين تطيرُ].

(٣) أمّ قَشْعَم: المَوت.

(٤) الحَيْنُ: الهلاك.

(٥) حُوب: ذنب.

وتلكَ ثِمارُ الجَهلِ، والجَهلُ مَرْتعٌ ... وَخِيمٌ وَدَاءٌ لِلنفوسِ عَقورُ[1]

ولو حَاوَلَتْ نَفسٌ عَنِ الشَّرِّ نَزْعَةً ... تَنازَعَها طَبعٌ هُناكَ خَؤُورُ[2]

فَزَجَّتْ بها الآمَالُ في غَمَراتِها ... إلى أنْ دَهَاهَا مُنكِرٌ وَنَكِيرُ

فَشَبَّطَها تسويفُها وهو قَارِضٌ ... لِرِمَّةِ آجَالِ النفوسِ هَصُورُ[3]

ودَأْبُ النفوسِ السُّوءُ مِن حَيثُ طَبعِها ... إذا لَم يَصُنها لِلبصائرِ نُورُ

بها تزْتَمِي في الخُسْرِ آفاتُ طَبعِها ... خَلائِقُ تُوحِيها الجِبِلَّةُ بُورُ

تَدَارَكْ وَصَايا الحَقِّ والصَّبرِ إنما ... يَفوزُ مُحِقٌّ بالفلاحِ صَبُورُ

وَخُذْ بكتابِ اللهِ حَسْبُكَ إنهُ ... دَليلٌ مُبينٌ للطريقِ خَفيرُ

فما ضَلَّ مَن كان القُرآنُ دَليلَهُ ... وما خَابَ مَن سَيرَ القرآن يَسيرُ[4]

تَمسّكْ به في حَالَةِ السُّخْطِ والرِّضا ... وَطَهِّرْ بهِ الآفاتِ فهو طَهُورُ

وحَارِبْ به الشَّيطانَ والنفسَ تَنتصِرْ ... فَكَافِيكَ مِنهُ عَاصِمٌ وَنَصِيرُ

---

(١) عَقور: قاتِل.

(٢) الخَؤور: الضعيف المُنكسر؛ وهو خائِرٌ وخوَّار.

(٣) قارض: القَرْضُ: القَطْعُ. قَرَضه يَقْرِضُه، بالكسر، قَرْضاً وقَرَّضَه: قطَعه، والقُراضةُ: ما سقَط بالقَرْضِ، ومنه قُراضةُ الذَّهب || رِمَّة: الرِّمَّةُ، بالكسر: العظام البالية، والرِّمَّةُ والرُّمَّةُ: قطعة من الحبْل بالية، والجمع رِمَمٌ ورِمام؛ وبه سمي غَيلانُ العدوي الشاعر ذا الرُّمَّةِ لقوله في أُرجوزته يعني وَبَداً: «لم يَبْقَ منها، أَبَدَ الأَبِيدِ | غيرُ ثلاثٍ ماثلاتٍ سُودِ * وغيرُ مَشْجوجِ القَفا مَوتُودِ | فيه بَقايا رُمَّةِ التَّقْليدِ»؛ يعني ما بقي في رأْس الوَتِدِ من رُمَّةِ الطُّنُبِ المعقود فيه، ومن هذا يقال: أَعطيته الشيء برُمَّتِه أي بجماعته || هَصور: الهَصْرُ: الجَذْبُ، والإمالَةُ، والكسْرُ، والدَّفْعُ، والإدناءُ، وعَطْفُ شيءٍ رَطْبٍ كالغُصْنِ ونحوِه، وكسْرُهُ من غيرِ بَيْنونَةٍ، أو عَطْفُ أيِّ شيءٍ كان. هَصَرَهُ وبه يَهْصِرُهُ فانْهَصَرَ واهْتَصَرَهُ فاهْتَصَرَ. والهَيْصورُ والهَيْصَرُ والهَيْصارُ والهَصَّارُ والمِهْصَرُ والهُصَرَةُ، كهُمَزَةٍ، والهاصِرُ والهَصُوَرَةُ والهَصُوَرُ والمِهْصارُ والمِهْصِيرُ والهَصِيرُ، ككتفٍ وصُرَدٍ، والمُهْتَصِرُ: الأَسَدُ. تلميح: هذا البيت واحد من الأبيات اللافتة في شِعريّةِ أبي مُسلم: يُشيرُ فيه إلى النفس التي ثبّطها التسويف؛ القارض لرِمَّةِ آجال نفوسهم؛ فنراه صيَّر التسويف مقرضاً ليس لآجال تلك النفوس، بل لرِمَّتها؛ أي عظامها، فمزج بين آجال تلك النفوس وبين ما تبقى منها في الأرض وهو رميمُها. وهي صورة بلاغية مُركَّبة نادرة بتصويرها البليغ والمُفارق.

(٤) القُرآن: قصد القُرْآن، وخففتُ للضرورة الشعرية.

دُعيتَ لأمرٍ ليسَ بالسّهل فاجتهِدْ ... وسَدِّدْ وقارِبْ، والطريقُ مُنيرُ
وأسِّسْ على تقوى مِن الله توبةً ... نَصُوحاً على قُطبِ الكَمَالِ تَدورُ
وزِنْ صَالحَ الأعمالِ بالخوفِ والرَّجا ... هُما جُنَّةٌ للصَّالِحاتِ وَسُورُ
وبالعَدلِ والإحْسَان قُمْ واسْتَقِمْ كما ... أُمِرْتَ، وبَادرْ فالمَعاشُ قَصيرُ
وراقِبْ وَصَايا الله سِرّاً وجَهْرَةً ... ففي كُلِّ نَفسٍ غَفلةٌ وَفُتورُ
وجَرِّدْ على الإخلاصِ جِدَّكَ في التُّقى ... فَفوقَكَ بالشَّزْكِ الخَفيِّ خَبيرُ
وَثابِرْ على المَعروفِ كَيفَ اسْتَطَعْتَهُ ... وَدَعْ مُنكَرَاتِ الأمرِ فهيَ ثُبُورُ[1]
ومِلْ حيثُ مَالَ الحَقُّ والصِّدقُ واسْتَبِقْ ... مَليّاً إلى الخَيراتِ حيثُ تَصيرُ
وأخلصْ مَعَ الجِدِّ اليقينَ فإنهُ ... بهِ تَنْضُرُ الأعْمَالُ وهي بُذورُ
وبالرُّتْبَةِ القُصْوى مِنَ الوَرَعِ التَبِسْ ... فَلِلْوَرَعِ الدِّينُ الحَنيفُ يَحورُ
وكُنْ في طريقِ الإسْتقامةِ حاذراً ... كَمينَ الأعَادِي، فالشُّجاعُ حَذورُ
يَجُوزُ طَريقَ الإستقامةِ حَازمٌ ... على حَربِ قُطَّاعِ الطريقِ قَديرُ
مَراصِدُها شتى وفي كُلِّ مَرصدٍ ... لخَضْمِكَ حَربٌ بالبَوارِ تَفورُ
فلا تخشَ إرْهاقاً وَسَاوِرْ لُيُوثَها ... بعَزمٍ يَفُضُّ الخَطبَ وهو حَسيرُ
ورافِقْ دَليلَ العِلم يَهْدِكَ إنهُ ... طريقٌ يَحارُ العقلُ فيه وَعِيرُ
وَفِعلُكَ حَدَّ المُسْتطاعِ مِن التُّقى ... على غيرِ عِلمٍ؛ ضَيعَةٌ وَغُرورُ
فما زَكَتِ الطَّاعَاتُ إلّا لمُبصِرٍ ... على نُورِ عِلمٍ في الطريقِ يَسيرُ
أتدَّخِرُ الأعْمالَ جَهلًا بوَجْهِهَا؟ ... وأنتَ إلى عِلمٍ هُناكَ فَقيرُ
فيا طالبَ اللهِ ائتِهِ مِن طَريقِهِ ... وإلّا فبالجِرْمَانِ أنتَ جديرُ
فلستَ إذا لم تَهتدِ الدَّرْبَ وَاصِلًا ... قَبيلُكَ في جَهلِ السُّلوكِ دَبيرُ[2]
وما العِلمُ إلّا ما أرَدتَ بهِ التُّقى ... وإلا فخِطْأٌ ما حَملتَ كَبيرُ

---

(١) ثبور: الثُّبور الهلاك والخسران.

(٢) دَبير وقبيل: القُبل عكس الدُّبر؛ أي أمامك وخلفك كلاهما سواء؛ في حالة جهلك الطريقة والسلوك.

فكَم حَامِلٍ عِلماً وفي الجَهلِ لوْ دَرَى ... سَلامَتُهُ مِمّا إليه يَصيرُ

وما أنتَ بالعِلم الغزيرِ بمُفْلِحٍ ... وَمَالَكَ جَدٌّ في التُّقاةِ غَزيرُ

وحَسبُكَ عِلماً نافعاً فَرْدُ حِكْمَةٍ ... بها السرُّ حَيٌّ والجَوارحُ نُورُ

تَعلّمْ لوَجْهِ الله واعْمَلْ لوَجْهِهِ ... وثِقْ مِنهُ بالمَوعُودِ، فهو جَديرُ

تَعَرَّضْ لتوفيقِ الإلهِ بحُبِّهِ ... ودَعْ ما سِواهُ فالجَميعُ قُشُورُ

هو الشَّأنُ بالتوفيقِ تَزْكُو ثِمَارُهُ ... وَمَثْجَرُهُ، وَاللهِ، لَيسَ يَبورُ

كَأيٍّ رَأينا عَالِماً ضَلَّ سَعيُهُ ... وضَلَّ بهِ جَمٌّ هُناكَ غَفيرُ

مَعارفُهُ بَحرٌ ويَصرِفُ وَجْهَهُ ... إلى الباطلِ الخَذلانِ وهو بَصيرُ

وأفلحَ بالتوفيقِ قَومٌ نَصيبُهُم ... من العِلمِ، في رَأيِ العُيونِ، حَقيرُ

وتلكَ حُظوظٌ للإرَادَةِ قَسْمُها ... وحِكْمَةُ مَن يَختارُنا وَيخِيرُ[1]

تَحَزّبَتِ الأحْزابُ بعدَ مُحمَّدٍ ... فكُلٌّ إلى نهجٍ رَآهُ يَصيرُ

وقَرَّتْ على الحَقِّ المُبينِ عِصَابَةٌ ... قليلٌ وَقِلُّ الأكْرَمِينَ كَثيرُ

هُمُ الوارثونَ المُصْطفى خَيرُ أُمَّةٍ ... لمَذْحِهِمُ آيُ الكِتابِ تُشيرُ

أولئكَ قومٌ لا يَزالُ ظُهورُهُمْ ... على الحقِّ ما دَامَ السَّماءُ تَدُورُ

على هَضَبَاتِ الاسْتقامَةِ خَيَّمُوا ... إذا أعْوَجَّ أقوامٌ وَضَلَّ نَفيرُ

تَنافَرَ عَنهُم رُفَّضٌ وَخَوَارِجٌ ... وَحَشوِيَّةٌ حَشوَ البلادِ تَمُورُ[2]

رأوا طُرُقاً غيرَ الهُدى فتنافروا ... إليها وَبَتَّتْ ضِلَّةٌ وَنُفورُ

---

(١) **ملحوظة**: كُلّ الأبيات السّابقة تُشكِّلُ مُقدمة ومدخلًا لموضوع القصيدة الذي سوف يبتدئ مُباشرة من البيت التالي.

(٢) رُفَّض: الرَّافِضَة، اسم يطلقه مخالفو الشيعة عليهم تشنيعاً || الخوارج: هم الخوارج || الحَشويّة: هم الآخذون بظواهر الآيات ولا يُثبتون المَجاز في القرآن. تلميح: لا يخفى ما في البيت من لغزٍ من قناةِ المُخالفين؛ فالشِّيعة أطلق عليهم: «الرَّوافض»، كما هو الشائع لدى مُخالفيهم. أما لقب: «الخوارج» المشهور والذي يُقدّح به في الأباضية، مذهب الشاعر نفسه؛ فإنهُ يُجيِّرُهُ لحزب مُعاوية، ثم ثنّى على الحشويّة موطئاً لنصرة مذهبه.

لـهُـم نُـصُـبٌ مِـن بِـدْعَـةٍ وَزَخَـارِفٍ ... بـهـا عَـكَـفـوا، مـا لـلـعُـقـولِ شُـعُـورُ[1]

تَـدُعُّـهُـمُ[2] أهْـوَاؤهُـم فـي هَـلاكِـهِـم ... كـمـا دُعَّ فـي ذُلِّ الإسَـارِ أَسِـيـرُ

لأقـوَالِـهِـم صَـدْعٌ وفـيـهـم شَـقـاشِـقٌ ... لـهُـنَّ ولا جـدوى هـنـاك هـديـرُ[3]

دَلـيـلُـهُـمُ يَـهـوي بـهِـم فـي مَـضَـلَّةٍ ... وهُـم خَـلـفَـهُ عُـمْـشُ الـعُـيـونِ وَعُـورُ

فـيـا أسـفـاً لـلـعِـلـم يـطـمِـسُـهُ الـهَـوَى ... ويـا أسَـفـا لـلـقـومِ كَـيـفَ أُبـيـرُوا

أرَى الـقَـومَ ضَـلُّوا والـدَّلِـيـلُ بِـحَـيـرَةٍ ... ولـلـحَـقِّ نُـورٌ والـصِّـرَاطُ مُـنـيـرُ

سَـرَوا يَـخْـبِـطُـونَ الـلـيـلَ عُـمْـيـاً تـلـفُّـهُـم ... شَـمَـائِـلُ مِـن أهْـوَائِـهِـم وَدَبُـورُ[4]

يَـتـيـهُـونَ سُـكْـعـاً فـي الـمَـجَـاهِـلِ مـا بِـهِـم ... بِـمَـوْطِـىءِ أخـفـافِ الـمَـطِـيِّ بَـصـيـرُ

يـقـولـونَ مـا لا يَـعـلـمُـون، ورُبَّـمـا ... عـلـى عِـلْـمِـهِ بـالـشَّـيءِ ضَـلَّ خَـبـيـرُ

ولـو كـانَ عَـيـنَ الـحَـقِّ مَـنـشـودُ جُـهْـدِهِـم ... لـمـا حَـالَ سَـدٌّ أو طَـوَتْـهُ سُـتـورُ

نـعـم أبـصَـرُوهُ حَـيـثُ غَـرَّهُـمُ الـهَـوَى ... فَـصَـدَّهُـمُ عَـنـهُ هَـوى وَغُـرورُ

أقاموا لَهُم مِنْ زُخْرُفِ القولِ ظُهْرَةً[5] ... ولـلـبُـطْـلِ فـيـمـا اسْـتَـظْـهَـرُوهُ ظُـهُـورُ

وفـي زُخْـرُفِ الـقـولِ ازْدِهَـاءٌ لِـمَـنْ غَـوَى ... وألـهَـتـهُ عَـن لُـبِّ الـصَّـوَابِ قُـشُـورُ

وفـي الـبِـدَعِ الـخُـضْـرِ ابْـتِـهَـاجٌ لأنـفُـسٍ ... تَـدُورُ بـهـا الأهْـوَاءُ حَـيـثُ تَـدورُ

نَـشَـاوَى مِـن الـدَّعْـوَى الـتـي يَـعْـصِـرُونـهـا ... ولـيـسَ لـبُـرهـانٍ هُـنـاك عَـصـيـرُ[6]

---

(١) النُّصُب: الأوثان والأصنام التي تُنصَبُ للعبادة.

(٢) تَدُعُّهُم: تدفعهم.

(٣) شقاشق: الشقشقة، في الأصل، شيءٌ كالرِّئة يُخرجهُ الجَمل من فِيه إذا هاج وهدر. والشَّقْشِقة هي ضجَّةُ الفِتنة وهديرها، تُجمَعُ على شقاشق.

(٤) شمائل: جمع شَمال، وهي ريحٌ شماليّة ـ دَبُور: ريحٌ غربية.

(٥) ظُهْرة: مُعين.

(٦) المعنى: الصورة الشعرية في هذا البيت عجيبة وغريبة، لا سيَّما في تشبيهها الذي لا يقلُّ غرابة عن خصوبة المُخيِّلة التي أفرزتها؛ فالبيت يصف الذين أقاموا لأنفسهم من زخرف الحق مُعيناً ونصيراً؛ تراهُم نَشاوَى من الدَّعوى التي يعصرونها كرحيق الخمرة تُعتصَرُ من العِنب، لكنْ ليس ثمة عَصيرُ بُرهانٍ يُؤخذ به حُجَّةٌ يقينيَّةٌ لدعواهم التي انتشوا بها.

وما رَوَّقُوهُ[1] من رَحِيقٍ مُفوَّهٍ ... فذلكَ سُمٌّ في الإناءِ خَبِيرُ

يَدُرُّونَ أنواءَ الكَلامِ وما بها ... رُواءٌ ولا يُطْفى بهِنَّ هَجيرُ

وما كُلُّ طُولٍ في الكَلامِ بطائلٍ ... ولا كُلُّ مَقصُورِ الكَلامِ قَصيرُ

وما كُلُّ مَنطوقٍ بليغُ هِدايةٍ ... ولا كُلُّ زَخَّارٍ[2] المِياهِ نميرُ

وما كُلُّ مَوهُومِ الظُّنونِ حقائقٌ ... ولا كُلُّ مَفهُومِ التَّعَقُّلِ نُورُ

وما كُلُّ مَرئيِّ البصَائِرِ حُجَّةٌ ... ولا كُلُّ عَقلٍ بالصَّوابِ بَصِيرُ

وما كُلُّ مَعلومٍ بحَقٍّ ولا الذي ... تُقُبِّلَ عِلْماً بالأحَقِّ جَديرُ

ولكنَّ نورَ اللهِ وَهْبٌ لِحِكْمَةٍ ... يَصيرُ مَعَ التوفيقِ حَيثُ يَصيرُ

هُدَى اللهِ حَظٌّ والحُظوظُ مَقاسِمٌ ... إلى مُقتضَى العِلمِ القَدِيمِ تَحُورُ

وليسَ اختيارُ اللهِ في فَيضِ نُورِهِ ... بمُكتَسَبٍ أو تَقتَضيهِ أمُورُ

وفي ظَاهِرِ الأقدَارِ أسرَارُ حِكْمَةٍ ... طَوَاهُنَّ من عِلْمِ الغُيُوبِ ضَميرُ

أرَتني هُدَى زَيدٍ وفي العِلْمِ قِلَّةٌ ... وَضَلَّةَ عَمْرٍو والعُلُومُ بُحُورُ[3]

وذاكَ دَلِيلٌ أنَّ للهِ أنفُساً ... عليها مِنَ اللُّطْفِ الخَفِيِّ سُتورُ

ظَواهِرُها بُلَهٌ وتَحْوِي بَوَاطِناً ... لدى عِلمِها جِنسُ الوُجُودِ حَقيرُ

عليها خُدُورٌ مِن غُبارِ غَبَاوَةٍ ... ولكنها تَحْتَ الخُدُورِ بُدُورُ

تَجَرَّدْنَ من لُبسِ الخيالاتِ وانطَوَى ... عَلَيهِنَّ رِيشٌ مِن هُدَى وَشَكِيرُ[4]

---

(١) رَوَّقُوه: صَفَّوْه، مِن: رائق، صاف || مُفوَّه، أو مُفوَّه: يُقال رجلٌ مُفَوَّه إذا أجادَ القولَ، لكنه يُضفي الصفة، هنا، على الرَّحيقِ مُفوَّهاً أو مُفوَّها؛ وهو من التراكيب العجيبة الداعية للتأمُّل. **تلميح مُضاف**: يُكمل في هذا البيت ما ذهبت إليه الصورة الشعرية في البيت السابق؛ فعصير دعوتهم التي انتشوا بها لم يُصفَّ [كالخمرة الجيِّدة]، ذات الرَّحيق المُفوَّه؛ والدليل الدامغ هو أنَّ نتاج الدَّعوى التي اعتصروها (ليَنتشوا بها نشوة الخمر الرَّديئة)؛ هي سُمٌّ تخثرَ في إناءِ تلك الدَّعوى.

(٢) زخّار: صيغة مبالغة من زاخر، وهو الماء الفائض.

(٣) **المعنى**: أرَتني بَواطنُ الأقدار لا ظواهرُها أسرارَ حِكمةٍ (من البيت السابق) تتجلى في هُدى زيد على قِلّة عِلمه وضلال عمرو رغم تبحُّره في العِلم.

(٤) شَكِير: زَغَبُ الطّائر.

سَرَيْنَ رياحُ اللهِ تَحْدُو رِكَابَها ... إليهِ وأنوارُ اليَقينِ خَفيرُ

يُغادِرنَ فيهِ مَنزلاً بعد مَنزلٍ ... يَكادُ بها الشَّوقُ المُلِحُّ يَطيرُ

تَدَثَّرْنَ خَيلَ اللهِ حتى بَلغْنَهُ ... وَوَاجِدُها في العَالَمِينَ دُثُورُ

وَرَدْنَ مياهَ النَّهرِ[1] غَرْثى صَوادِئاً ... وليسَ لها حتى اللقاءِ صُدُورُ

أوَانسُ في مَرْجِ الرَّجَاءِ رَوَاتِعٌ ... وللخوفِ في أحْشائِهِنَّ زَفيرُ

غَسَلنَ بهِ أحْكَامَ سَهمٍ وأشعرٍ ... ودُرْنَ مع القرآنِ حَيثُ يَدُورُ

نَحَرْنَ عُقَيبَ الدَّارِ بازِلَ ناكِثٍ ... وأمْسَى بصِفِّينٍ لهُنَّ هَريرُ[2]

فلو قَدَّرَتْها هَاشِمٌ حَقَّ قَدْرِها ... هَشَمْنَ ابنَ صَخْرٍ[3] للحُرُوبِ صُخورُ

ولكنْ وَهَى رَأيٌ وَخَامَتْ عَزيمةٌ ... فحُكِّمَ خَصْمٌ واستُبيحَ نَصيرُ[4]

بني هاشمٍ عَمداً ثَللتُمْ عُروشَكُم ... وفي عَبدِ شَمسٍ نَجْدَةٌ وَظُهُورُ

على غَيرِ ذَنبٍ غَيرَ إنْكَارِ قِسْطِهِم ... وللجُورِ مِن نفسِ المُحِقِّ نكِيرُ[5]

قتلتُم جُنوداً حَكَّمُوا اللهَ لا سِوى ... وقالوا: عَليٌّ، لا سِواهُ، أميرُ

فيا لَدِمَاءٍ في حُرُوزَاءَ غُودِرَتْ ... تَمُورُ وأطْبَاقُ السَّماءِ تَمُورُ

وأنفُسُ صِدِّيقِين أزْهَقها الرَّدَى ... وشُقَّتْ عَنِ التَّقوى لَهُنَّ نُحُورُ

مُخَرْدَلَةُ الأشْلاءِ للطَّيرِ في الفَلا ... وهُنَّ بجَنَّاتِ النَّعيمِ طُيورُ

على جَنبَاتِ النَّهْرَوانِ عَقائرٌ ... كما وُفِّيتْ بالمَشْعَرَينِ[6] نُذورُ

---

(١) النهر: يقصد موقعة النهروان ـ غَرْثى: جائعة ـ صَوادئ: عطاش.

(٢) عُقيب الدار: يقصد بها معركة الجَمل التي أعقبت يوم الدار، وهو يوم مقتل عثمان بن عفان || بازل: جَمَل || صِفِّين: المعركة المعروفة || هَرير: صوت الكلاب ويُقصد به، كنايةً، صَوتُ جِمَالِ الفريق المُعادي.

(٣) ابن صخر: معاوية بن أبي سفيان.

(٤) حُكِّمَ خصم: يُقصَدُ به عمرو بن العاص || استُبيحَ نصير: المقصود أهل النهروان؛ أنصار عليٍّ قبل قبوله بالتحكيم.

(٥) قِسْطِهِم: حِصَّتهم ونصيبهم.

(٦) المَشْعَرَين: الصَّفا والمَرْوَة.

أُبِيدَ خِيارُ المُسلِمِين بِضَحْوةٍ ... كَمَا نُحِرَتْ لِلمَيْسِرَيْنِ جَزُورُ[1]

يَعُجُّونَ بِالتَّحْكِيمِ لله وَحْدَهُ ... وَهَامُهُمُ تَحْتَ العَجَاجِ تَطِيرُ

فيا أُمَّةَ المُختارِ هَلْ فِيكِ غِيرَةٌ ... فإنَّ مُحِبَّ اللهِ فِيهِ غَيُورُ

ويا ظُهْرَةَ الإيمانِ هل فيكِ مَنْعَةٌ ... وهيهاتَ عَزَّتْ مَنْعَةٌ وظَهِيرُ

ويا لَرِجَالِ اللهِ أينَ مُحَمَّدٌ ... وناصِرُهُ بالنَّهْرَوانِ عَقِيرُ

ولو وَقْعَةٌ كانتْ بعَينِ مُحَمَّدٍ ... لما قَرَّ عَيناً أو يَزُولُ ثَبِيرُ[2]

فمَن لِصُدُورِ الخَيلِ فوقَ صُدُورِهِم ... وللهِ في تلكَ الصُّدُورِ بُحُورُ

تُطَلُّ دِمَاءُ المُؤمِنين على الهُدى ... وخَيلُ ابنِ صَخْرٍ في البِلادِ تُغِيرُ

ويُعصَى ابنُ عَبَّاسٍ[3] إذا لَمَّ شَعْثَهَا ... ويُسمَعُ فيها أشْعَثٌ وَجَرِيرُ[4]

على أنْ عَلَتْ فوقَ الرِّمَاحِ مَصَاحِفٌ ... ونادوا: إلى حُكْمِ الكِتابِ نَصِيرُ

مَكِيدةُ عَمْرٍو حَيثُ رَثَّتْ حِبَالُهُ ... وكَادَتْ بُحُورُ القَاسِطِينَ تَغُورُ[5]

أبا حَسَنٍ ذَرْها حُكُومَةَ فَاسِقٍ ... جِرَاحَاتُ بَدْرٍ في حَشَاهُ تَفُورُ[6]

أبا حَسَنٍ أقدِمْ فأنتَ على هُدًى ... وأنتَ بغاياتِ الغَوِيِّ بَصِيرُ

---

(١) جَزُور: بعير || المَيسِرَين: طقسٌ من طقوسِ عرب الجاهليّة تُنحَرُ فيه البُعْران.

(٢) ثبير: جَبَلٌ في مكّة.

(٣) ابن عباس: عبدالله بن عباس بن عبدالمُطّلب.

(٤) أشعث: هو الأشعث بن قيس الكندي؛ أحد قادة جيش الإمام علي بن أبي طالب، وهو مِمَّنْ حرفوا مسار الأحداث حتى أُلْزِمَ الإمامُ علي على قبول التحكيم.

(٥) القاسطين: قَسَطَ فُلان ـ يَقسِطُ: جار وعدل عن الحق، فهو قاسط، وتُجمع على قُسّاط وقاسِطون.
ملحوظة: القاسطون والناكثون لفظان سيتردان مراراً في هذه القصيدة، وهما مصطلحان يُطلقان على الفريقين اللذين نازعا الإمام علياً: فريق الجَمَل: (الناكثون)، وفريق: صِفِّين: (القاسطون)، وكل فريق يستند في دعواه إلى أحاديث؛ فقد جاء في مجمع الزوائد للهيثمي [ج٥، ص ١٧٦] رواية عن علي بن ربيعة قال: سمعتُ علياً على منبركم هذا يقول: عهد إليَّ النبيُّ صلى الله عليه وسلم أن أقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين. ومما يُلاحظ أن الشاعر تجاهل المُصطلح الثالث: (المارقين)!

(٦) **ملحوظة**: الفاسق والغويّ في هذه الأبيات هو عمرو بن العاص؛ صاحب خدعة التحكيم التي أذهبت ريح جيش الإمام علي، وتجوز الإشارة في الأبيات إلى مُعاوية الذي قُتِل عدد من أقاربه، ومنهم جدُّه لأمه وخاله يوم بدر.

أبا حَسَنٍ لا تُعطِيَنَّ دَنِيَّةً ... وأنت بسُلطانِ القَدِيرِ قَدِيرُ

أبا حَسَنٍ لا تنسَ أُخْداً وَخَندَقاً ... وما جَرّ عِيرٌ قبلها ونفيرُ

أبا حَسَنٍ أينَ السَّوابقُ غُودِرَتْ ... وأنتَ أخُوهُ والغَدِيرُ غَدِيرُ[1]

أبا حَسَنٍ إنْ تُعطِها اليومَ لَمْ تَزَلْ ... يَحُلُّ عُراها فاجرٌ ومُبِيرُ

أبا حَسَنٍ طَلَّقتَها لِطَلِيقِها ... وأنتَ بقيدِ الأشْعَرِيِّ أسِيرُ[2]

أتَحْبِسُ خَيلَ اللهِ عَن خَيلِ خَصْمِهِ ... وسَبْعُونَ ألفاً فَوقَهُنَّ هَصُورُ

أيُرْها رِعَالاً تنسِفُ الشّامَ نَسْفَةً ... بِثاراتِ عَمّارٍ[3] لَهُنَّ زَفِيرُ

وصُكَّ ثُغورَ القاسِطين بفيلَقٍ ... لهُ مَدَدٌ مِنْ رَبِّهِ وَظَهِيرُ

فلم يَبْقَ إلّا غلوَةٌ أو تَحُسُّهُم ... ويَبْكِي ابنَ صَخْرٍ قُبَّةٌ وَسَرِيرُ[4]

فما لكَ والتحكِيمَ والحُكْمُ ظَاهِرٌ ... وأنتَ عَلِيٌّ والشآمُ تَمُورُ

أفي الدِّينِ شكٌّ؟ أم هَوَادَةُ عَاجِزٍ ... تَجَوَّزْتَها، أمْ ذو الفِقارِ[5] كَسِيرُ

---

(١) **ملحوظة**: الضمير في «أخوه» تعود للنبي محمد (ص)، والغدير هو غدير خُمّ؛ والإشارة واضحة لحادثة الغدير التي يستند إليها الشيعة في إثبات أحقيّة الإمام علي بالخلافة بعد النبي (ص). والمُسلمون ينقسمون حول هذه الحادثة إلى فريق يُثبتها بشدة، ويستند إليها في دعواه؛ وهم عُموم الشيعة، وفريق آخر ينفيها، وفريق ثالث يُثبتها؛ لكنهُ يُؤوّلها تأويلًا مُختلفاً عمّا يذهب إليه الشيعة. والشاعر، هنا، يُثبتُ هذه الحادثة، ولا يخرج في تأويلها كثيراً عن تأويل الشيعة لها، ولكنه لاحقاً ينقلبُ على هذا التأويل ويتخذ مساراً مُختلفاً.

(٢) في الأبيات السابقة يُعاتب الشاعرُ الإمام عَليًا (مُخاطباً إياه، تودداً، بـ أبا الحسن) على قبوله التحكيم؛ مُذكّراً (في هذا البيت) بمَغبّة ذلك القبول حين جعل أبا موسى الأشعري مُمثلا له أمام داهية كعَمرو بن العاص، وكانت النتيجة خلعُهُ من خِلافته | الطليق: هو من دخل الإسلام بعد الفتح وكان مُكرَهاً على ذلك، والمقصود بـ «أطلقتها لطليقها» ـ في سياق البيت ـ مُعاوية بن أبي سفيان.

(٣) يستنهض الشاعرُ الإمام عليّ بن أبي طالب ليطالب بثأر عمّار بن ياسر القتيل في صِفّين، لا سيما أن النبي (ص) رُوي عنه قوله: «ويحَ عمّار؛ تقتلُهُ الفِئةُ الباغية»، والمقصود ـ تخصيصاً في السياق ـ مُعاويَة بن أبي سفيان ومَن وَالاه.

(٤) ابن صخر: مُعاوية بن أبي سفيان.

(٥) ذو الفقار: سيف عليّ بن أبي طالب، وكان غنيمة من الوليد بن عُتبة في معركة بدر.

يَبيتُ قَريرَ الجَفنِ بالجَفنِ لاصِقاً[1] وَجَفنُ حُسامِ ابنِ اللعِينِ سَهِيرُ
فلا جَبُرَتْ حَدَّاهُ إنْ ظَلَّ مُغمَداً وهِنديُّ هِندٍ مُنجِدٌ وَمُغِيرُ[2]
ولا جَبُرَتْ حَدَّاهُ يَومَ سَلَلْتَهُ لهُ في رِقابِ المُؤمِنينَ صَرِيرُ
أتَغمِدُهُ عَنْ عَبدِ شَمْسٍ وحِزْبِها وَيَلْفحُ حِزبَ اللهِ مِنهُ سَعِيرُ
فمالكَ والأبْرارَ تَنْثرُ هَامَهُمْ كأنَّكَ زَرَّاعٌ وَهُنَّ بُذورُ
ذَرَوْتَهُمُ عَصْفاً وتبكِي عَلَيهِمُ بَلى فابْكِ، خَطْبٌ بالبكاء جديرُ
فما هيَ إلا جَذْعَةُ الأنفِ مَا شَفَتْ غَليلاً وَجُرْحٌ لا يزالُ يَغورُ
ستحصُدُ هذا الزَّرْعَ مَهما تَقصَّدَتْ عِرَاقُكَ، لا يَلوي عليكَ ضَمِيرُ[3]
تُنازِعُها سَلَّ السُّيوفِ فَتلْتوِي وَتَخْطُبُ فيها والقلُوبُ صُخورُ
قتلتَ نَفيرَ اللهِ والرِّيحُ فيهُمُ وأصْبَحْتَ فذاً والنَّفِيرُ نَفُورُ
نَشَدْتَ دَوِيَّ النَّحْلِ[4] لمَّا فَقدْتَهُم وَيُعْسُوبُ ذاكَ النَّحْلِ عَنهُ خَبيرُ
أرَقْتَ دِمَاءَ المُؤمِنينَ بَرِينَةً لهُنَّ بِزَيْزاءِ الحَرَارِ خَرِيرُ
عَلِيّاً أميرَ المُؤمنينَ بَقِيةً كأنَّ دِمَاءَ المُؤمِنينَ خُمُورُ
سَمِعْناكَ تنفي شِرْكَهُم وَنِفاقَهُم فأنتَ على أيِّ الذنوبِ نَكِيرُ
وما الناسُ إلا مُؤمِنٌ أو مُنافقٌ ومِنهم جَحُودٌ بالإلهِ كَفُورُ
وَقَدْ قلتَ ما فيهِم نِفاقٌ ولا بِهِم جُحُودٌ، وهذا الحُكمُ مِنكَ شَهيرُ
فهلْ أوْجَبَ الإيمانُ سَفْكَ دِمَائِهم وأنتَ بأحْكامِ الدِّمَاءِ بَصيرُ
تَرَكْتَهُمُ جَزْرَ السِّباعِ عَلَيهِمُ لَفائفُ مِن إيمَانِهِم وَسُتورُ

---

(١) أي سيف عليّ النائم قرير الجفن في جفنه (جرابه)، في حين أن جفنَ سيفِ مروان بن الحَكم ساهر مُتربِّص بذي الفقار. دُعي ابن اللعين لأن أباه لعَنَ الرسول فطرده من المدينة، ولم يعُد إليها إلّا في خلافة عثمان.

(٢) هِنديُّ هِند: قصد به سيف مُعاوية بن هند بنت أبي عُتبة؛ لانكَة الأكباد.

(٣) تقصَّدَ: تَقصَّدَ العُودُ؛ تكسَّر. يُقال: تقصَّدَت الرِّماح؛ أي تكسَّرت وصارت قِصَداً قِصَداً.

(٤) يذكُرُ مناقب القتلى من الصحابة في النهروان، وافتقاد الإمام عليٍّ لدَوِيِّ النحل [قراءتِهم للقرآن]، رغم أنه هو يُعسُوبُه [مَلِك النّحل] الخبير بذاك الدّويّ.

مَصَاحِفُهُمْ مَضْبُوغَةٌ بِدِمَائِهِم ... عَلَيْهِنَّ مِن كُتْبِ السِّهَامِ سُطُورُ

وَكُنتَ حَفِيّاً يا ابنَ عَمِّ مُحَمَّدٍ ... بِجِفْظِ دِمَاءٍ مَا لَهُنَّ خَطِيرُ

وكنتَ حَفِيّاً أن يكُونُوا بَقِيَّةً ... لِنَصْرِكَ حَيثُ الدَّائِرَاتُ تَدورُ

تَنَاسَيتَ يَومَ الدَّارِ إذ جَدَّ مُلْكُهَا ... فَلِلعَاصِ فِيهَا دَولَةٌ وَظُهُورُ[1]

وَيَومَ جِبَالُ النَّاكِثِينَ تَدَكْدَكَتْ ... وَطلحَةُ والعُودُ الطَّلِيحُ عَقِيرُ[2]

وَحَرباً تَؤُزُّ الشَّامَ أزّاً قِرَاعُهَا ... لهُ في جُموعِ القَاسِطِينَ سَعِيرُ[3]

تَعَوَّذَ مِنهَا القَاسِطُونَ بِخُدْعَةٍ ... بِجَدْعَةِ تلكَ الأنفِ فازَ قَصِيرُ[4]

مَوَاطِنُ أهْوَالٍ تَبَوَّأتَ فَلْجَهَا ... إلى أنْ دَهَتْهَا فَلْتَةٌ وَفُتُورُ

تفانتْ ضَحَايا النَّهرِ في غَمَرَاتِها ... وأنتَ شَهِيدٌ وَالعَدُوُّ وَتِيرُ

تُنَادِي أعِيرُونِي الجَمَاجِمَ كَرَّةً ... فَقَدْ قَدَّمُوهَا وَالوَطِيسُ سَعِيرُ

أمَا والذي لا حُكْمَ مِن فوقِ حُكْمِهِ ... على خَلْقِهِ وِزْدٌ بِهِ وَصُدُورُ

لَقِدْماً أعَارُوكَ الجَمَاجِمَ خُشَّعاً ... عَلَيهِنَّ مِن قَرْعِ الصِّفَاحِ فُطورُ

فقَصَّعْتَهَا إذ حَكَّمَتْ حُكْمَ رَبِّهَا ... فما بَقِيَتْ عَارِيَّةٌ وَمُعِيرُ[5]

فيا أسَفا مِن سَيفِ آلِ مُحَمَّدٍ ... على المُؤمِنينَ الصَّالِحِينَ شَهِيرُ

نَبَا عَنْ رُؤوسِ الشَّامِ في الحَقِّ وَانْثَنَى ... إلى ثِفناتِ العَابِدِينَ يَجُورُ[6]

---

(١) يوم الدّار: هو يوم الإنقلاب على الخليفة عثمان بن عفان، عندما اقتحم الثائرون عليه داره وقتلوه.

(٢) **ملحوظة**: الناكثون هُم حزب الزبير وطلحة وعائشة أمّ المُؤمنين؛ أصحاب حرب الجَمَل، وذلك أنَّ الزبير وطلحة كانا من أوائل من بايعَ الإمام علياً ثم نكثا عندما لم يُولِّهما، فخرجا عليه وحارباه في الوقعة المشهورة.

(٣) تَؤُزُّ: أزَّ، أزيزاً، وأزازاً: تحرك واضطرب، وهو صوت ينتج عن شدة الحركة والغليان، وفي الذكر الحكيم: «ألم تَرَ أنّا أرْسَلْنا الشَّياطينَ على الكافِرينَ تَؤُزُّهُمْ أزّاً».

(٤) قصير: وزير حُذيفة الأبرش الذي أخذ بثأره بعد أن جدع أنفهُ وادَّعى أمام الزّباء أنه طَريد. وهي خدعة لا تختلف، في نظر الشاعر، عن خدعة رفع المصاحف على أسِنّة الرماح.

(٥) قصّع: صَغَّرَ وحَقَّر.

(٦) ثُفنات: مِن ثَفِنَتْ يده ثَفْناً: غَلُظَتْ ويبست من العمل. **تلميح**: ذو الثفنات المُشار إليه في البيت هو عبدالله بن وهب الراسبي الذي اختاره النهروانيُّون إماماً لهُم، من بعد قبول الإمام علي للتحكيم؛ لُقِّبَ بذلك لغلظة وتيبس يديه ورُكبتيه من طول العبادة ومُداومة الصلاة.

أَحَيْدَرَةُ الكَرَّارُ[1] إنَّ خِيارَكُم ... وقُرَّاءَكُم تَحتَ السُّيُوفَ شُطُورُ

أَحَيْدَرَةُ الكَرَّارُ تابَعتَ أَشْعَثاً ... وأَشْعَثُ شَيطانٌ أَلَدُّ كَفُورُ[2]

أُعِشرُونَ أَلفاً قَلبُهُم قَلبُ مُؤمِنٍ ... بِأَوْجُهِهِم نُورُ اليَقينِ يَنُورُ

بَهالِيلُ أَفنَوا في العِبادَةِ أَنفُساً ... لَهُم أَثَرٌ في الصَّالِحاتِ أَثِيرُ

أُسُودٌ لَدَى الهَيْجا رَهابِينُ في الدُّجى ... أَناجِيلُهُم وَسْطَ الصُّدُورُ سُطُورُ

وفي القَومِ حُرقُوصٌ وَزَيْدٌ وَفِيهِمُ ... أُوَيْسٌ ومِنْ بَدرٍ هُناكَ بُدورُ[3]

وَمِن بَيْعَةِ الرِّضوانِ فِيهِم بَقِيَّةٌ ... بِأَيْدِيهِمُ مِنها نَدًى وَعَبِيرُ

أَكَلْتَهُمُ في النَّهْرِ فِطْرَةَ صَائِمٍ ... فَكَيفَ أَبَا السِّبْطَيْنِ سَاغَ فُطُورُ[4]

فَيا فِتْنَةً في الدِّينِ ثارَ دُخانُها ... وذاكَ إلى يومِ النُّشُورِ يَثُورُ

نَجَوْنا، بِحَمْدِ اللهِ، مِنها على هُدى ... فَنَحْنُ على سَيرِ النَّبِيِّ نَسِيرُ

بَصَائِرُنا مِن رَبِّنا مُستَمِدَّةٌ ... إذا اشتَبَهَتْ لِلمَارِقِينَ أُمُورُ

وَيُقْنا بِأَنَّ الدِّينَ عُرْوَةُ أَمْرِنا ... وما شَذَّ عَنهُ فِتنَةٌ وَغُرورُ

وإنَّ رِجالاً حَكَّمُوا اللهَ حُجَّةٌ ... على مَنْ بِتَحْكِيمِ الرِّجالِ يَصُورُ[5]

بِبَيِّنَةٍ مِن رَبِّهِم وَبَصِيرَةٍ ... تَجاهَلَ فيها عَسْكَرٌ وَأَمِيرُ

وأَنَّهُمُ حَجُّوا[6] عَلِيّاً وَأَعْذَرُوا ... وَمَا فَاتَهُم مِمَّنْ لَدَيْهِ عَذِيرُ

على أَنَّهُ مِنْ أَبْصَرِ النَّاسِ لِلهُدَى ... وَكَمْ بِقَضاءِ اللهِ ضَلَّ بَصِيرُ

تَنَوَّرَهَا الحَبْرُ ابنُ عَبَّاسَ مِنهُمُ ... فَحَجَّ عَلِياً وَالحَجِيجُ نَصِيرُ

جَزَى اللهُ أَهلَ النَّهْرَوانِ رِضَاءَهُ ... وما فَوقَ مَرْضَاةِ الإلهِ أُجُورُ

---

(١) حيدرة الكرّار: لقب الإمام عليّ بن أبي طالب.

(٢) أشعثاً: قصد به الأشعث بن قيس الكندي، وقد سبق ذكره.

(٣) حُرقوص بن زهير السعدي، صحابي قُتِلَ في النهروان || زيد بن حصن، من أصحاب الرسول وقتل في النهروان || أُوَيس القرني، تابعي قتل في صفين.

(٤) السِّبطان: الحسن والحُسين، ولدا عليّ وبنت الرّسول.

(٥) يَصُور: يَميلُ ويَعْوَجُّ: مِن صَوِرَ صَوَراً.

(٦) غلبوه في الحُجّة.

كـمـا جَـاهَـدُوا فـي اللهِ حَـقَّ جِـهَـادِهِ ... وقـامـوا بـمـا يَـرْضَـى وَفِـيـهِ أُبِـيـرُوا
وَمَـاتـوا كِـرَامـاً قـانِـتـيـنَ وَكُـلُّهُـمْ ... عـلى الـمَـوتِ صَـبَّارٌ هُـنـاكَ شَـكُـورُ
شُـراةٌ سُـراةٌ لا يُـخَـطُّ غُـبـارُهُـم ... وإن أبْـلَجَـتْ فـوقَ الأمُـورِ أمُـورُ
إذا انتُـهِـكَـتْ مِـن دِينِ الاسْلامِ حُـرمَـةٌ ... فـلـيـسَ لـهُـم عَـيـشٌ هُـنـاكَ قَـريـرُ
كِـرامٌ شِـدادُ الـغـارِ فـي ذاتِ رَبِّـهِـم ... عـلى كُـلِّ حَـالٍ، والـمُـحِـبُّ غَـيُـورُ
نـفـوسُـهُـمُ حَـيـثُ ابْـتُـلُوا وَجْـهَ رَبِّـهِـم ... قَـرَابـيـنُ مِـنـهُـم قُـدِّمَـت وَنُـذورُ
نَـدِيـنُ لِوَجْـهِ اللهِ طَـوعـاً بـحُـبِّـهِـم ... ومـا شَـنـآنُ الـمُـلحِـدِيـنَ مُـضِـيـرُ
هُـمُ الـقـومُ بَـلَّغَـهُـم مَـخـافـةُ رَبِّـهِـم ... وَدَارَتْ عـلـيـهِـم أبْـطُـنٌ وَظُـهُـورُ
فـلا بَـارَحَ الـرَّوْحُ الإلـهـيُّ رَبْـعَـهـم ... ولا فـارَقَـتْـهُـم رَحْـمَـةٌ وَحُـبـورُ
وإخـوانُـهُـم أهْـلُ الـنَّـخـيـلَةِ بَـعـدَهُـم ... وأتْـبَـاعُـهُـم حَـتـى يَـقـومَ نُـشـورُ[1]
ولا زَالَ مُـنـهَـلُّ الـسَّـلامِ عَـلَـيْـهِـمُ ... تَـرَادَفُ آصَـالٌ بـهِ وَبُـكُـورُ
وَأدْخَـلَـهُـم دَارَ الـسَّـلامِ إلـهُـهُـم ... جَـمـيـعـاً عَـلَـيـهِـم نَـضْـرَةٌ وَسُـرُورُ

---

(١) **ملحوظة**: أهل النخيلة: هم جماعة من الحروريّة، أتباع عبدالله بن وهب الراسبي، فارقوا إخوانهم في النهروان؛ اجتمعوا وتواصَوا فيما بينهم، وتأسفوا على خذلانهم إخوانهم يوم النهروان، وخرجوا إلى مكان يُقال له النخيلة يريدون الحرب، فوجّه إليهم الإمامُ عليّ ابنَ عَمِّهِ عبدالله بن عباس ليُفاوضَهم، فما انثنوا عن رأيهم حتى حاربهم عليّ وغلبَهُم. وفيهم يقولُ شاعر الخوارج عمران بن حطان: «إني أدينُ بما دانَ الشُّراةُ بهِ | يَومَ النخيلةِ عند الجوسقِ الخَرِبِ»، وقد عارضه السيد الحميري قائلًا: «إني أدينُ بما دانَ الوصِيُّ به | يومَ النخيلةِ مِنْ قتلِ المُحِلِّينا».

أشِعَّة الحَقّ(*)

أشِعَّةُ الحَقِّ لا تَخْفَى عَنِ النَّظَرِ ... وإنما خَفِيَتْ عن فاقدِ البصرِ

وكِلْمَةُ اللهِ لم تُنْزَلْ مُحَجَّبَةً ... عن البَصَائِرِ بينَ الوَهْمِ وَالفِكَرِ

نادَى المُنادِي بها بَيْضَاءَ نيِّرَةً ... حَنِيفةً سَمْحَةً لم تَغْيَ بالفِطَرِ(١)

أقامَها اللهُ دِيناً غَيرَ ذِي عوَجٍ ... جَاءَ البَشيرُ بها للجنِّ والبَشرِ

والجَاهِلِيَّةُ في غَلْوَاءَ عَارِضَةٍ ... مِن جَهلِها ومِنَ الإشْرَاكِ في غَمَرِ

فقامَ مُضطَلِعاً يُثقلُ الرِّسَالَةِ مَجْـ ... ـدُودَ العَزائِمِ فَرْداً خِيرَةَ الخِيَرِ

والوَحْيُ يَأتي نُجُوماً مُعْجزاً قِيَماً ... والشِّرْكُ يُكبَتُ والإسلامُ في ظَفَرِ(٢)

وَكِلْمَةُ اللهِ تَعلو فوقَ جَاحِدِها ... وآيةُ الحِجْرِ تمْحُو آيةَ الحَجَرِ

حَتى تَجَلّى مَنارُ الدينِ مُنبَلِجاً ... بصَادِعِ الذِّكْرِ والصِّمْصَامَةِ الذَّكَرِ

وَآمَنتْ بِرَسُولِ اللهِ طَائِفةٌ ... أعْطَاهُمُ السَّبقَ فيه سَابِقُ القَدَرِ

زكّى قلوبَهُمُ النورُ المُبينُ كما ... يَزْكُو النباتُ بما يَلقَى مِن المَطرِ

لاقى صُدُورَهُم الإيمانُ فانشرَحَت ... لهُ وقاموا به في عَزمٍ مُنتصِرِ

تأزَّرُوا شُعَبَ الإيمانِ وانتبهوا ... بَينَ الجِهَادَيْنِ مِنهُم أنْفَسَ العُمُرِ(٣)

(*) كافة هوامش قصيدة «أشعّة الحقّ» من وَضْعِ مُراجِعِ ومُدقِّق الكِتاب.

(١) الفِطَر: جمعُ فطرة، وهيَ السَّجيّة التي فُطِرَ عليها الناس.

(٢) نُجُوماً: أي مُنجَّماً؛ بمعنى مُتفرقاً على مراحل زمنية.

(٣) انتبهوا: أي أخذوا واستولوا، والمعنى: أنهم بين الجهادين؛ الأصغر والأكبر قدَّموا خيرة أيام أعمارهم في سبيل الله.

أحاطَهُم وَأمِينُ الله فانتَشَئوا ... بينَ الأمِينَيْنِ والقرآنُ في وَزَرِ[1]
غذّاهُمُ الوَحْيُ في مَهدِ الرِّسالَةِ مِن ... طَورٍ إلى آخَرٍ كالمَاءِ في الشَّجَرِ
نُورٌ بَواطِنُهُم، نُورٌ ظَواهِرُهُم ... نُورٌ خَلائِقُهُم في الفِعلِ والخَيَرِ
تُضَايقُ المَلأ الأعلَى مَكانَتُهُم ... في فِطْرَةِ الله لا في فِطْرَةِ البَشَرِ
كم جاءَ جبريلُ في أحزابِهِ مَدَداً ... مِنَ السماءِ على المِغْنَاقَةِ الضُّمُرِ
خَيرُ القرُونِ قَرِينُ المُصطفى وَكَذا ... حُكْمُ القَرِينَيْنِ لا يَنفكُّ مِنْ أثَرِ[2]
فمَاتَ عَنهُم رَسُولُ الله عِدَّتُهُم ... كالأنبياءِ عُدولُ الحُكْمِ والسِّيَرِ
وكُلُّهُم أوْلِياءٌ غَيرُ مُقترِفٍ ... كَبيرةً لم يَتُبْ مِنها، فمِنهُ بَرِي
ومِنْ مُصَوِّبِ ذِي بُطْلٍ لدى فِتَنٍ ... لا واقفاً جَاهِلًا مَنْ بالصَّوَابِ حَرِي
وَعالِمُ الحَقِّ في حُزنٍ تَوقُّفَ عَن ... عِلمٍ فذاكَ وُقُوفٌ غَيرُ مُغتَفَرِ
تَشهِّياً أو رُجُوعاً عَن بَصِيرتِهِ ... فالحُكْمُ يَبرَأُ مِن هذا بلا حَذرِ
وهُم وإنْ شَرُفُوا مِنْ أجْلِ صُحبَتِهِ ... فحُكْمُ تكْلِيفِهِم كالحُكْمِ في البَشرِ
ومَدْحُهُ لهُمُ فَرْعُ استِقامَتِهِم ... في طَاعةِ الله، لا مَدْحاً على الغِيَرِ
وللمُوَفِّينَ في الإيمان مُنَّجِهٌ ... ما جاءَ مِن مَدحِهِم في مُحكَمِ السُّورِ
وفي البَرَاءَةِ مَن أبقى وَلايَةَ ذِي ... بُطْلٍ لِمَحْضِ عُمُومِ المَدْحِ في الزُّبُرِ
والحُبُّ والبُغضُ فَرْضَانِ اسْتَحَقَّهُما ... خَصْمانِ في الله مِنْ بَرٍّ وَمِنْ فَجِرِ
والأمرُ يُبنى على الأعمال كَيفَ جَرَتْ ... والمَدحُ والذَّمُّ بَحتاً غَيرُ مُعْتَبَرِ
وأكْرَمُ الخَلقِ أتْقاهُم فليس إذاً ... للمَدْحِ والذمِّ بالأهواءِ مِن أثَرِ
فِيمَ المُحَابَاةُ مَا قُربي بمُزْلِفَةٍ ... من دُون تقوى ولا بُعدِي على خَطَرِ
لا نَسْلَ، لا أهْلَ، لا أصْحَابَ يَفرُقُهُم ... دِيناً على الخَلقِ حُكْمٌ مَا مِنَ الصُّوَرِ[3]

---

(١) الوَزَر: الملجأ، وأصلها الجبل المنيع.

(٢) القرينين: هما الخليفتان الرَّضيَّان أبو بكر وعُمر بن الخطاب.

(٣) **ملحوظة**: هذه واحدة من أوجُه التمايز التي اختصّ بها الإباضيَّة بين موقفين مختلفين لكلٍّ من الشيعة الذين يُعلون من شأن آل بيت النبي (ص) حَدَّ العِصْمَة، والسُّنة الذين يُجلُّون الصحابة حَدَّ القداسَةِ؛ حتى أنَّهُم يرورن عن النبي (ص): أصحابي كالنجوم، بأيِّهِم اقتَدَيْتُم اهتَدَيْتُم.

نادَى العَشيرَةَ في رَأسِ الصَّفا عَلناً ... وَصَاحَ فيهم رَسُولُ الله بالنُّذرِ
فانظرْ إلى حِكْمَةِ التخْصِيصِ كَيفَ أتتْ ... للأقْرَبينَ مِنَ أَهْلِ البَدْوِ والحَضَرِ
ليَعْلمُوا أنَّهُ التكْليفُ لا نَسَبٌ ... يُغْني ولا فيهِ دُونَ اللهِ مِنْ وَزَرِ
لو كانَ بالشَّرَفِ التَّكْليفُ مُرْتفِعاً ... إذاً تَعَطَّلَ عَدلُ الله في الفِطَرِ
وَحُجَّةُ الله بالتَّكْليفِ لازِمَةٌ ... سيَّانَ في الأمر مَفضُولٌ وَذُو الخَطَرِ
للرُّسْلِ والمَلأ الأعْلَى وَأشْرَفِهم ... بالاستقامَةِ تَكْليفٌ بلا عُذُرِ
الكُلُّ في قَرَنِ التكليفِ مُؤتسِرٌ ... ما بالُ مَن ليسَ مَعصُوماً مِنَ الغِيَرِ
لا نَبْخَسُ الناسَ بالأهْوَاءِ حَقَّهُمُ ... ولا نُبالي بقدْحِ الخَاتِرِ الأشِرِ
قَدْ جَاءنا اللهُ بالقرآن بَيِّنَةً ... وسُنَّةِ الحَقِّ والإجْمَاعِ والأثرِ
فما وَجَدْنا بحُكْمِ الله عَاصِيَةً ... لِمَحْضِ قُرْبَاهُ مَعْدُوداً مِنَ البَرَرِ
ولا تَقِيأً لأمْرِ اللهِ مُتَّبِعاً ... بالحُبِّ حُكْماً لأجْلِ البُعدِ غَيرَ حَرِي
كَمَالُ تَوحِيدِ رَبِّي حُبُّ طَائِعِهِ ... وبُغضُ أعْدَائِهِ في السِّر والجَهَرِ
يا مَنْ أعَابَ على الأبْرَارِ نِحْلَتَهُم ... أعَبْتَ وَيْلَكَ دِينَ الله عَنْ بَصَرِ[1]
هُمْ حُجَّةُ الله أهْلُ الاسْتِقامَةِ ما ... خَامَتْ عَزائِمُهُم عَنْ آيَةِ الزُّمَرِ[2]
مُحَكِّمِينَ بَرَاءٌ مِنْ مُعَاوِيَةٍ ... وَمِنْ عَلِيٍّ،[3] وَيَا لَيتَ الأخِيرَ بَرِي
والقَاسِطِينَ أبي مُوسَى وَصَاحِبِهِ ... عَمْرِو اللَّعِينِ فَتَى قَطَّاعَةِ البَظَرِ[4]

---

(١) إشارة إلى أهل النهروان.

(٢) آية الزُّمَر؛ هي الآية ٧٣ من سُورة الزمَر: «وسِيقَ الذين اتَّقَوا رَبَّهم إلى الجَنَّة زُمَراً، حتى إذا جاؤوها وفُتِحَتْ أبوابُها وقالَ لهُم خَزَنَتُها سَلامٌ عليكُمْ فادخُلوها خالِدين».

(٣) أي: يا ليت علياً كان بريئاً من تلك الدِّماء.

(٤) يقصد أبا مُوسى الأشعري (مُمثل عليّ في التحكيم)، وعمرو بن العاص (مُمثل مُعاوية). **ملحوظة:** الإشارة، هنا، جليّة إلى أُمّ عمرو بن العاص، وكان اسمُها النابغة وهي أَمَة لرجل من عنزة، فسُبِيَتْ فاشتراها عبدالله بن جدعان التميمي بمكّة، فكانت بَغِياً، ثم أعتقها. فوقع عليها أبو لهب بن عبدالمطلب، وأُمَيّة بن خلف الجمحي، وهشام بن المُغيرة المخزومي، وأبو سفيان بن حرب، والعاص بن وائل السهمي، في طُهْرٍ واحد، فولدت عَمْراً، فادَّعاهُ كُلُّهم، فحُكِّمَتْ أُمُّهُ فيه، فقالت: هو من العاص بن وائل، وذلك لأنهُ كان يُنفقُ عليها كثيراً. قالوا: وكان كثير الشَّبَه بأبي سفيان!=

وَقاسِطِي الشَّام والرَّاضِي حُكُومَتَهُم ... مِنْ أَهْلِ صِفِّينَ والرَّاضِي على أَثَرِ

ليتَ الحُكُومَةَ مَا قامَتْ قِيامَتُها ... وليتَها مِنْ أبي السِّبْطَينِ لم تَصِرِ

مَلعُونةٌ جَعَلَتها الشَّامُ جُنَّتَها ... مِنْ ذي الفِقارِ وَقَدْ أشْفَتْ على الخَطَرِ

عَجَّتْ بتَحْكِيمِ عَمْرٍو بَعدَما حَكَمَتْ ... هَمْدَانُ فيها بحُكْمِ البِيضِ وَالسُّمُرِ

تباً لها رَفَعَتْ كَيداً مَصَاحِفَها ... وَمُقتضَاهُنَّ مَنبُوذٌ على العَفَرِ

مَهلاً أبا حَسَنٍ إنَّ التي عَرَضَتْ ... زَوْرَاءُ في الدِّينِ كُنْ مِنها على حَذَرِ[1]

ضَغائنُ اللاتِ والعُزَّى رَقَلْنَ بها ... تَحْتَ الطَّلِيقِ وَعُثْمَانِيَّةِ الأشِرِ[2]

لا تَلْبِسَنَّ أبا السِّبْطَينِ مُخْزِيةً ... فذلكَ الثوبُ مَطْوِيٌّ على غَرَرِ

لم تَنْتقِلْ عَبدُ شمْسٍ مِنْ نَكَارَتِهَا ... دَمُ الكُبُودِ على أنْيَابِهَا القُذُرِ[3]

فما صَحِيفةُ صِفِّينَ التي رُقِمَتْ ... إلّا صَحِيفةُ بَينَ الرُّكْنِ والحَجَرِ

نَسِيتَ بَدْراً وَأُحُداً يا أبا حَسَنٍ ... وَنَدْوَةَ الكُفرِ ذاتِ المَكْرِ وَالغُدُرِ

ويومَ جَاءَكَ بالأحْزابِ صَخْرُهُمُ ... فاندَكَّ بالرِّيحِ صَخرُ القومِ والذُّعُرِ[4]

وَفتحَ مَكَّةَ وَالأغْياضُ كاسِفةٌ ... وأنتَ حَيْدَرَةُ الإسْلامِ كالقَمَرِ

والقومُ ما أسْلَمُوا إلّا مؤلَّفَةٌ ... والرَّأيُ في اللاتِ بينَ السمعِ والبَصَرِ

مَتى ترَى هَاشِمٌ صِدْقَ الطَّلِيقِ بها ... وَتْغرَةُ الجُرْحِ بَينَ النَّحرِ والفِقَرِ

ما لابنِ هِندٍ بثأرِ الدَّارِ مِن غَرَضٍ ... لهُ مَرَامٌ وَلَيتَ الدَّارَ في سَقرِ[5]

=[المصدر: ابن أبي حديد المُعتزلي، شرح نهج البلاغة، ج٦/ص٢٨٣]... وجاء في نفس المصدر: وقال أبو عمر بن عبد البر صاحب كتاب الاستيعاب: كان اسمها سلمى وتلقبت بالنابغة بنت حرملة من بني جَلّان بن عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار. وفي نفس المصدر: وقال المُبرّد في كتاب الكامل: اسمها ليلى، وجاء أيضاً أن حسان بن ثابت هجا عُمراً في أبيات وذكر نسَبه.

(١) زوراء: الزَّوْر؛ وسط الصَّدر، والزَّوْرُ عِوَج، والزوراء: العَوجاء.

(٢) رَقَلْنَ: أسْرَعْنَ || الطَّليق: هو معاوية بن أبي سفيان الذي أطلقه النبي (ص) غِبَّ فتح مكّة فدخل الإسلام انتهازاً، لا قناعة.

(٣) إشارة إلى هند بنت عُتبة أم معاوية التي مَثّلَتْ بجُثة حمزة بن عبدالمطلب ولاكَتْ كَبِدَه يوم أُحُد.

(٤) إشارة إلى أبي سفيان، واسمه صخر بن حرب، وكان قائد جيش الأحزاب.

(٥) قصد بثأر الدّار: عثمان بن عفان قتيل داره.

لـقَـدْ تَـقـاعَـدَ عَـنـهـا وَهِـيَ مُـحْـرِجَـةٌ ... حتى قَضَتْ فقضَى مَا شَاءَ مِنْ وَطَرِ[1]

تـرَبَّـصَ الـوَغـدُ مـن عُـثـمـانَ قَـتـلَـتَـهُ ... فـقـامَ يَـنْـهَـقُ بَـيـنَ الـحُـمْـرِ وَالـبَـقـرِ

يَـنـوحُ فـي الـشـام ثـكـلى نـاشـراً لـهُـمُ ... قـمـيصَ عـثـمَانَ نَـوْحَ الـوُرْقِ بـالـسَّـحَـرِ

حَـتـى إذا لَفَّ أُولاهـا بـآخِـرِهـا ... بِـشُـبْـهَـةٍ مـا تُـغـطِّـي نَـقـرَةَ الـظُّـفُـرِ

أتـاكَ يَـقـرَعُ ظُـنْـبُـوبَ الـشَّـقـاقِ لَهُ ... رَوْقانِ في الكُفرِ مِنْ جَهلٍ ومِن بَطَرِ[2]

تَـعُـكُّ عَـكَّ نِـفـاقـاً خـلـفَ خُـطْـوَتِـهِ ... كـأنَّـهـا ذَنَـبٌ فـي عَـجْـمِـهِ الـوَضِـرِ

يُـديـرُ بَـيـنَ وَزِيـرَيْـهِ سِـيـاسَـتَـهُ ... عَـمْـرٍو وَإبـلـيـسَ فـي وُرْدٍ وفـي صَـدَرِ

مَـتـى جَـهِـلـتَ أبـا الـسِّـبْـطَـيـنِ خِـطَّـتَـهُ ... وأنـتَ أعـلَـمُ أهـلِ الـطِّـيـنِ وَالـوَبَـرِ

حَـاكَـمْـتَـهُ بَـعـدمـا ألـحَـمْـتَـهُ قَـرِمـاً ... بـعَـقـرِ سَـبْـعـيـنَ ألـفـاً عَـقـرَةَ الـجُـزُرِ

حَـاكَـمْـتَـهُ بَـعـدَ عَـمَّـارٍ وَرَوحَـتِـهِ ... إلـى الـجـنـانِ وَبَـعـدَ الـسَّـادَةِ الـطُّـهُـرِ

حَـاكَـمْـتَـهُ بَـعـدَ حُـكْـمِ الله فـيـهِ بِـمَـا ... يـشـفِـي الـغَـلِـيـلَ وَقَـدْ أيْـقـنـتَ بـالـظَّـفَـرِ

أقـمْـتَ فـي الـبَـغْـيِ حَـدَّ الله أوَّلَـهـا ... فـفـيـمَ تَـسْـتَـنُّ بـالـتـحْـكِـيـمِ فـي الأُخَـرِ

أصَـبْـتَ فـي حَـرْبِـكَ الـبَـاغِـيـنَ ثَـغْـرَتَـهـا ... بـحُـكْـمِ رَبِّـكَ لـم تَـضْـلِـلْ وَلـم تَـجُـرِ

قَـبِـلْـتَ عَـوراءَ مِـن عَـمـرٍو يَـفُـتُّ بـهـا ... سَـواعِـدَ الـديـن فَـتَّ الـعَـضْـفِ بـالـحَـجَـرِ

ولـم تُـعِـرْ نُـصَـحَـاءَ الـديـنِ وَاعِـيَـةً ... وَلَـيـتَ لـلأشْـعَـثِ الـمَـلـعُـونِ لَـم تُـعِـرِ[3]

فـاصْـرِفْ أعِـنَّـتَـهـا صَـوبَ الـعِـرَاقِ فـقَـدْ ... سُـدَّتْ عَـلـيـكَ ثُـغـورُ الـشـامِ بـالـبَـدَرِ

فـطـالِـبُـو الـديـن قَـدْ نـابَـذتَ عِـصْـمَـتَـهُـم ... والأمـرُ مِـن طَـالِـبِـي الـدنـيـا عـلـى ضَـرَرِ

فـيـمَ الـحُـكُـومَـةُ أخـزى الله نـاصِـبَـهـا ... لـم يَـتـرُكِ الله هـذا الـحُـكْـمَ لـلـبَـشـرِ[4]

---

(١) **ملحوظة**: يُشير إلى معاوية الذي تخاذل عن نصرة الخليفة عثمان بن عفان وهو مُحاصَر في داره حتى قُتِل، وكان عثمان قد استصرخه أكثر من مرة، ولكن كانت لمعاوية حسابات أخرى.

(٢) الظُّنبوب: هو حَرفُ السَّاقِ اليابس من العَظم لشدة الهُزال، وقرع الظنبوب تعبير عن سرعة الإجابة. قال سلامة بن جندل: «كُنا، إذا ما أتانا صارِخٌ فَزِعٌ | كانَ الصُّراخُ لهُ قَرْعَ الظَّنابيبِ».

(٣) هو الأشعث بن قيس الكندي؛ أحد قادة جيش الإمام علي بن أبي طالب، وهو مِمَّنْ حرفوا مسار الأحداث حتى أُلزِمَ الإمامُ عليٌّ على قبول التحكيم.

(٤) ثمة إشارة، هنا، إلى شعار الخوارج الشهير الذي سُمُّوا به لاحقاً: «لا حُكْمَ إلّا لله».

ولستَ في ريبَةٍ ممّا عُنِيتَ بهِ ... ولا القضاءُ قِياسِيٌّ على صُوَرِ
فما قتالُكَ بَعدَ الحُكْمِ رَاضِيَهُ ... وما قتالكَ مَن لم يَرْضَ بالنَّهَرِ
قدِ ارْتكَبتَ أبا السِّبطَينِ في جَلَلٍ ... وَفاتكَ الحَزمُ وَاستأسَرتَ للحَذَرِ
وما قتالُ ابنِ صَخْرٍ بَعدمَا انسَكَبَتْ ... خِلافَةُ اللهِ في بُلْعُومِهِ البَجِرِ
حَكَّمْتَهُ في حُدودِ اللهِ يَنسِفُها ... نَسفَ العَواصِفِ مَندُوفاً مِنَ الوَبَرِ
بأيِّ أمْرَيكَ نرْضَى يا أبا حَسَنٍ ... تحْكِيمَ قاسِطِهِم أمْ قَتْلَةِ البَرَرِ
أم بانقِيادِكَ عَزماً خلفَ أشعَثِها ... يَفرِي أديمَكَ لا يَألو بلا ظُفُرِ
أرْضَعْتَهُ دُرَّةَ الدُّنيا فما مَصَحَتْ ... وأنتَ مِن دَمِها رَيَّانُ في غَمَرِ
مَا زَالَ يَنقُبُ خَيلَ اللهِ مُشْئِمَةً ... فأعْرَقتْ صَهَواتُ الخَيلِ بالدُّبُرِ
ألم تقاتلهُ مُرتداً فمُذ عَلَقتْ ... بهِ البَرَائِنُ ألقى سِلْمَ مُختَضَرِ[1]
يُلقي شَرَاشِرَهُ مَكْراً عَليكَ وما ... يَنضَمُّ مِن حَنَقٍ إلّا على سُعُرِ
أضبَحتَ في أُمَّةٍ أوْتَرتَ مُعظَمَها ... بَهِيمَةُ اللهِ بَينَ الذِّيبِ وَالنَّمِرِ
تُسدِّدُ الرأيَ مَعصُوماً فَتَنْقُضُهُ ... بِطَانةُ السُّوءِ مَركُوساً إلى الحُفَرِ
تَنافَرَتْ عَنكَ أوْشابُ النِّفاقِ إلى ... دُنيا بني عَبدِ شَمسٍ نَفْرَةَ الحُمُرِ
وَعَزَّكَ الجِدُّ والتوفيقُ فانصَدَعَتْ ... سِيَاسَةُ الدينِ صَدْعاً سَيءَ الأثرِ
قَدْ كُنتَ في وَزَرٍ مِمَّنْ فتَكتَ بهم ... أحْسِنْ عَزاءكَ لَستَ اليومَ في وَزَرِ[2]
ما ذنبُ عِيبَةِ نُصْحِ الدين إذ عَصفتْ ... بهم رياحُكَ لا تُبقي ولم تَذَرِ
بَقيَّةَ اللهِ قَدْ هَاضَتْ عِظَامَهُمُ ... عَرَارَةُ الحَرْبِ أوّاهُونَ في السَّحَرِ
أقْعَصْتَهُمْ في صَلاةٍ لا بُواءَ لَهُم ... هَلّا مُشابَرَةٌ والقومُ في حَذرِ[3]
قَدْ حَكَّمُوا اللهَ لم يَفْلُلْ عَزيمَتَهُم ... عن نُصْرَةِ اللهِ قَرْعُ الصَّارِمِ الذَّكَرِ

---

(١) كان الأشعث بن قيس الكندي ضمن المُرتدّين بعد وفاة النبي (ص).
(٢) تلميح: أي أنكَ كُنتَ في مَنعةٍ ممن قتلتهم، لكنكَ لم تعُد كذلك بعد قتلك لهم.
(٣) المَشابِرُ: حُرُورٌ في ذِراعٍ يُتَابَعُ بها، وأنهارٌ تَنْخَفِضُ فَيَتأدى إليها الماءُ من مَواضِعَ، جَمْعُ مَشْبَرٍ ومَشْبَرَةٍ.

رَمَيتَ سَهمك عن كَبْدَاءَ في كَبِدٍ ... حَرَّى مِنَ الذِّكْرِ والتسبيحِ والسُّوَرِ

إنَّ القلوبَ التي تَرْمِي تَطِيرُ بها ... مَصَاحِفُ الذِّكْرِ، والإيمانُ لم يَطِرِ

ما عَلَّقُوها على أعْناقِهِم غَرَضاً ... فاكْفُفْ سِهامَكَ وَاكْسِرْها عَنِ الزُّبُرِ

أعْظَمْتها يومَ أهْلُ الدَّارِ تَرْفعُها ... واليومَ تُرْمَى كَرَمْيِ العُفْرِ وَالبَقرِ

هَانتْ عَليكَ جِبَاهٌ ظَلْتَ تَرْضَخُها ... لَطَالَما رَضَخَتْها سَجْدَةُ السَّحرِ

لم تَقتلِ القومَ عَنْ سُوءٍ بِدِينِهِمُ ... وإنما الأمرُ مَبْنِيٌّ عَلى القَدَرِ

قَتلتَهُم بِرِوَايَاتٍ تُقِيمُ بها ... عُذرَ القِتالِ وَلَيْسَتْ عُذْرَ مُعْتَذِرِ

ما ذو الثُّدَيَّةِ إلا خُدْعَةٌ نُصِبَت ... للحَرْبِ تُوهِمُ فيها صِحَّةَ الخَبَرِ[1]

وما حَدِيثُ مُروقِ القومِ مُعْتَبَراً ... فيهِم لِمَنْ سَلَكَ الإنصَافَ في النَّظَرِ

خَلَّصْتَ نَفسَكَ بالتَّحْكِيمِ مُنْخَدِعاً ... وأنتَ أوْلَى بها مِنْ سَائِرِ الفِطَرِ[2]

فَحَكَّمُوا اللهَ واختارُوكَ أنتَ لها ... فكانَ قَولُهُمُ نَوعاً مِنَ الهَذَرِ

وقلتَ قَدْ مَرَقوا إذ هُمْ عَلى قَدَمٍ ... صِدْقٍ مِنَ الحَقِّ لَم يَبْطَرْ وَلم يَجُرِ

مَضَوا بهِ قِدَماً جَزْياً عَلى سُنَنٍ ... للمُصْطفى وَأبي بَكْرٍ إلى عُمَرِ

مَا بَدَّلَ القومُ في دَارٍ ولا جَمَلٍ ... وهُم على العَهْدِ ما حَالُوهُ بالغِيَرِ

شَفيْتَ نفسَكَ مِنْ غَيظٍ بها بدَمٍ ... مِنْ مُهْجَةِ الدينِ والإيمانِ مُنفَجِرِ

دَمِ ابنِ وَهْبٍ وَحُزقُوصٍ وَحَبْرِهِمُ ... زَيدِ ابنِ حُصْنٍ خِيارِ الأمَّةِ الطُّهُرِ[3]

دِماءِ عِشرينَ ألفاً وَقتَ جُمْعَتِهِم ... وَسْطَ الصَّلاةِ هَمَتْ كالوَابلِ الهَمِرِ

لِيَهْنَكَ الدَّمُ يا مَنصُورُ قَدْ رَجَفتْ ... مِنهُ السَّمواتُ والأرضُونَ مِنْ حَذَرِ

---

(١) إشارة إلى حرقوص بن زهير، وقد وُضعَت أحاديث بهذا الاسم تبريراً لقتله يوم النهر.

(٢) ملحوظة: كما في قصيدته النهروانيّة، نرى تتابع الإشارات إلى غدير خُمّ، وأحقيّة الخلافة للإمام عليّ بعد النبي (ص)، وفي هذا دلالة على ميلٍ باطنيٍّ، في الأقلّ، وإن لم يُفصح عنهُ في ظاهر مُعتقد الشاعر إلى مذهب الشيعة، فالإشارات في شعره جليّةٌ في هذا الشأن، لكنَّ دفاعه عن المذهب الإباضي (لا سيّما في قصائده الوطنية، كالنونية والميميّة وسواهُما) جَليٌّ أيضاً.

(٣) ابن وهب: عبدالله بن وهب الراسبي || حرقوص بن زُهَير: أحد قادة المُحكِّمة البارزين، قضى يوم النهر || زيد بن حصن: صحابي، كان فيمن قضى يوم النهر.

لو أنَّ رُمْحَكَ في حُزْقُوصٍ اشْتَرَكَتْ ... فيهِ الخَليقةُ أرْدَاهُم إلى سَقَرِ
يا فِتْنةً فتكَتْ بالدينِ جِمَّتُها ... تذوبُ مِن هَولِها مَلْمُومَةُ الحَجَرِ
ما سَاءَنِي أنْ أقولَ الحَقَّ إنَّهُمُ ... قومٌ قتلتَهُمُ بَغياً بلا عُذُرِ
وإنَّهُم أوْلِياءُ اللهِ حُبُّهُمُ ... فَرْضٌ وَبُغْضُهُمُ مِن أفظَعِ النُّكُرِ
صَلّى الإلهُ على أرْواحِهِم وَسَقى ... أجْدَاثَهُم رَوْحَهُ بالأُصْلِ وَالبُكُرِ

برهان الاستقامة

عَـلِمـتُ رَبِّـي وَلا عَـيـنٌ وَلا أثـرُ ... ولا ظُـروفٌ ولا شـرطٌ ولا صُـوَرُ
مـا فـاتَ عِـلمَكَ مَـوجـودٌ ولا عَـدَمٌ ... جَـارٍ بـعِـلمِـكَ مَـا تـأتـي وَمـا تَـذَرُ
ولـيـسَ عِـلمُكَ مَـوقـوفـاً عـلى حَـدَثٍ ... مـا كـانَ أو لـم يَـكُـنْ يَـجْـرِي بـه قَـدَرُ
والاسـتـحَـالَةُ والإمـكـانُ حُـكْـمُـهُـمـا ... وفْـقَ الـمَـشـيـئـةِ أنّـى شِـئـتَ مُـقـتـصِـرُ
قـدَّرتَ شـيـئـاً مُـحـالًا ثـم تـجْـهَـلُهُ ... سُبحانَ سُبحانَ حَقّ القَدْرِ ما قَدِرُوا
مـا لـلـطـبـيـعَـةِ تَـنْـزو فـوقَ مَـرْكَـزِهـا ... ومـا لـهـا فـي الـذي تـنـزو لَهُ أَثـرُ
أليسَ نـفـسُ الـهَـيُـولـى لا يُـحَـرِّكُـهـا ... إلا الـمُـعَـلِّلُ وَالـمَـعْـلُـول مُـقـتـسِـرُ
والـحَـدُّ والـرَّسْـمُ والأشـكـالُ والـصُـوَرُ ... والـحَـلُّ والـعَـقـدُ والإبْـرَامُ والـغِـيَـرُ
والـكُـلُّ والـجُـزءُ مـمـا كـان مُـمـتـنِـعـاً ... وغـيـرَ مُـمْـتـنِـعٍ فـي الـلـوحِ مُـسْـتَـطَـرُ
وكُـلُّ مـا كـان مَـوجُـوداً وَمُـنـعَـدِمـاً ... فـمِـن إرادَتـهِ، لا شـكَّ، مُـؤتَـمِـرُ
أيَـجْـهَـلُ اللهُ أمـراً نـحـنُ نَـعْـلَـمُـهُ ... أنْ لـيـسَ تـحْـصُـرهُ مِـنْ جِـنـسِـهِ صُـوَرُ
مِن أمْرِهِ اللَّمْ يَكُنْ واللايَكُونُ وكُنْ ... فكيفَ يَجْهَلُ ما يَستحْصِلُ البَشَرُ
مـن ذا أفـاضَ عَـلَـيـنـا مَـا نُـحَـصِّـلُهُ ... مـن الـعُـلوم، ومـا تَـسْـتَـدْرِكُ الـفِـكَـرُ
هَبِ القُوَى أدْرَكَتْ، فالمُدرَكَاتُ لها ... قُـيُـودُهـا الـعِـلـمُ والإدْرَاكُ والـنَّـظَـرُ
ومَنْ أمَدَّ القُوى حتى تُحَصِّلَ في ... مَـنْ كـانَ هَـيَّـأهـا حَـتـى بَـدَا الأثـرُ
وهَـلْ مَـعـارِفُـنـا إلّا مَـوَاهِـبُـهُ ... والكَسْبُ في ضَغطَةِ التّكْوينِ مُنحَصِرُ
أنـحـنُ نَـعْـلَـمُ بـالـتَّـعْـقِـيـلِ مُـنـعَـدِمـاً ... وَخـالـقُ الـعَـقـلِ عَـنـهُ الأمـرُ مُـسْـتَـتِـرُ؟

إنْ شاءَ شيئاً فذاكَ الشّيءُ يَعْلَمُهُ ... أو لمْ يَشأْهُ انطوى عَن عِلمِهِ الخبَرُ
مَنْ أوجَدَ الشيءَ مِن لا شيءَ يَجهَلهُ؟ ... كيفَ استقامَ لهُ الإيجادُ والأثرُ
والجَهلُ بالصُّنعِ عَجزٌ لا تَقومُ بهِ ... على كَمالاتِها الأكْوانُ والفِطَرُ
إن كانَ يَجهلُ شيئاً قبلَ مَوقعِهِ ... فإنَّهُ قبلَ ذاكَ الشيءِ مُفتقِرُ
ما الشأنُ في الذّاتِ قبلَ الخَلْقِ في أزَلٍ ... قَدْ عَزَّها العِلمُ، لا سَمعٌ ولا بَصَرُ
أستغفِرُ اللهَ هذا الكَونُ عِلّةُ عِلـ ... ـمِ اللهِ أم كيفَ هذا العِلمُ يُعتَبَرُ
قَدْ قَفَّ شَعْريَ مِنْ خَطبٍ حُذيتُ لهُ ... تكادُ مِنهُ السّما والأرضُ تَنفطِرُ
آهاً على فلْتَةٍ جاءَ البَصيرُ بها ... قَدْ خاصَمَتْهُ عليها الآيُ والسُّوَرُ
أقولُ للعَقلِ والبُرهانُ في يَدهِ ... هَلّا حَكَمْتَ وأنتَ الفيصَلُ الذَّمِرُ
سَلَبتهُ صِفةً ذاتيةً وَجَبتْ ... لِذاتهِ، حيثُ لا كَونٌ ولا فِطَرُ
فحينَ أوجَدَها صُنعاً أضفتَ لهُ ... عِلماً يُساوقُ ما يَجري بهِ القدَرُ
هَلّا حَكمْتَ بأنَّ الذاتَ عالِمَةٌ ... بنَفيِ أضْدَادِها مِن قبلِ أنْ ذَكَرُوا
هَلّا حَكمْتَ بأنّ الذاتَ فاعِلةٌ ... بالاختيارِ لِما تأتي وَما تَذَرُ
لو لمْ يَكُنْ عِلمُهُ بالشيءِ يَسبقُهُ ... لكانَ بالطبعِ أو بالجَبْرِ يَقتدِرُ
لو كانَ يَختارُ أمراً ليسَ يَعلمُهُ انْـ ... ـحَلَّ الوجودُ لما تأتي به الخِيرُ
يُدبِّرُ الأمرَ مَطْوياً على غَرَرٍ ... إنْ كانَ يَغرُبُ عن إدراكه الغَرَرُ
ما كانَ أغناهُ عَن تدبيرِ صَنعَتِهِ ... إن كانَ يَجهلُ، قبلَ الصُّنعِ، ما الخَبَرُ
سُبحانَ ربِّيَ تقديساً لِعِزّتِهِ ... في عِلمِهِ النَّفيُ والإثباتُ مُنحَصِرُ
بالذاتِ للذاتِ مَعلومَاتُهُ انْكَشَفتْ ... ما ثَمَّ وَاسِطةٌ في الذاتِ تُعتَبَرُ
وَكَوْنُهُ النفيُ والإثباتُ حِكْمَتُهُ ... يقضي بإدراكِهِ المَنفيَّ لو نَظَروا
أأوْجَبتْ عِلمَهُ آثارُ قُدْرَتِهِ ... فيلزمُ الجَهلُ لو لمْ يَظهَرِ الأثرُ
لو كانَ ذاكَ لَمَسّتْ ذاتَهُ عِلَلٌ ... إذِ الصِّفاتُ إلى الأحْدَاثِ تَفتقِرُ
أو يَلزَمُ الدَّورُ فيها أو مُرَادِفُهُ ... أو ليسَ يَعلمُ إلّا حِينَ يَقتدِرُ
هَبْ أنهُ لم يَشأْ شيئاً فأعدَمَهُ ... أكانَ مَا شاءَ نَفياً عَنهُ يَستَتِرُ

أم كانَ مَا لمْ يَشأهُ الحَقُّ مُنفعِلًا ... لذاتِهِ قادِرٌ في نَفسِهِ قَدَرُ
أو كَونُ مَا كَانَ مَعْدُوماً تَقَدَّمَهُ ... أم صَدَّهُ جَلَّ عنهُ العَجزُ والخَوَرُ
ما للعُقولِ على أَقْوَى بَسَاطَتِها ... ضَلَّتْ فلم تُغنِها الآياتُ والنُّذُرُ
تحكَّمتْ في صِفاتِ اللهِ جاعِلةً ... حَقيقةَ الذاتِ للعِلَّاتِ تَأتَمِرُ
قضِيَّةٌ أثْمَرَتْ تَعْطِيلَ مُنشِئِها ... ليتَ القضِيَّةَ ما كَانتْ ولا الثمَرُ
ليتَ التَّنوُّرَ بالإسلام يَنبِذُها ... إلى الذين برُسْلِ اللهِ قَدْ كَفَرُوا
كمْ في القرْآنِ «ولو شئنا» تَدُلُّ على ... أنَّ الذي لم يَشأْ في العِلْمِ مُنحَصِرُ
لو شاءَ إذهابَ ما أوْحى لأذهَبَهُ ... أو شاءَ جَمْعَهُم بالحَقِّ لابْتَدَرُوا
أكانَ يَجهلُ ما لو شاءَ أوْجَدَهُ ... قبْلَ الوُجُودِ وَعَنهُ تُنبِئُ السُّوَرُ
لو كانَ ما يَلزمُ المَشْروطُ يَجْهَلُهُ ... فعَنْ حَقيقةِ ماذا يَصدُقُ الخَبَرُ
ماذا دَهَى الزَّيْغَ مِن خَطْبِ الكَلِيمِ لَوَ ... أنَّ العُقولَ إلى الإنْصَافِ تَبتدِرُ
انْظُرْ فسوفَ تَرَانِي[1] كَيفَ أبْرَزَها الـ ... ـعِلمُ الحَقيقيُّ إنْ لَمْ يُخْطِىء النَّظَرُ
تَرَى التَّعَلقَ بالحَالِ التي فَرَضَت ... على المُحَالِ بصِدقِ الحَالِ تَعْتَبِرُ
أكانَ يَجهلُ ذَكَّ الطُّورِ وَهوَ عَلى ... مَرْسَاهُ لم يَنتقِضْ مِن بَينِهِ حَجَرُ
أم لم يُحِطْ قبلَ تكْلِيمِ الكَلِيمِ لَهُ ... أن ليسَ يُدْرِكُهُ عَقلٌ ولا بَصَرُ
المُستحِيلُ وَمَتروكُ الإرَادَةِ والـ ... ـمَخصُوصُ بالفعلِ مِمّا رَجَّحَ القَدَرُ
مَعلُومَةٌ حَسْبَ مَاهِيَّاتِها وَعَلى ... ما اختارَها مَالَها في نَفسِها خِيَرُ
وَعِلْمُهُ ذاتُهُ، والذَّاتُ سَابِقَةٌ ... والمَا سِوَى مُطْلَقاً لِلعِلمِ مُختَظَرُ
هذا هو الحَقُّ لا أبغِي بِهِ بَدَلًا ... بأيِّ حَالٍ ولو عَادَتْنِيَ العُصُرُ
إني لأنصُرُ ذا حَقٍّ يَقومُ بِهِ ... والمُؤمِنُ الحَقُّ للإيمانِ يَنتصِرُ

---

(١) يُشيرُ إلى قوله جلَّ وَعَلا لنبيِّهِ مُوسى: «لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني، فلما تجلى ربُّهُ إلى الجبل جعله دكّاً وخرَّ موسى صعقا».

الباب الثاني

المَدائح النبويَّة

الغوثُ السَّريع بالحَبيب الشفيع(*)

غَوْثَ الوُجُودِ أَغِثْنِي ضَاقَ مُضْطَرَبي ... سِرَّ الوُجُودِ اسْتَلِمْنِي مِن يَدِ الخَطَرِ

نُورَ الوُجُودِ تَدَارَكْنِي فَقَدْ عَمِيَتْ ... بَصِيرَتِي فِي ظَلامِ العَينِ وَالأثَرِ

رُوحَ الوُجُودِ، حَيَاتِي إِنَّهَا ذَهَبَتْ ... مِنْ جَهْلِهَا بَينَ سَمعِ الكونِ والبَصَرِ

رَوْحَ الوُجُودِ دَهَى الكَرْبُ العَظِيمُ وَفِي ... أَنْفَاسِ رَوْحِكَ رُوحُ المُخْرَجِ الحَصِرِ

أُنْسَ الوُجُودِ قَدِ اسْتَوْحَشْتُ مِنْ زَلَلِي ... وَأَنتَ أُنسِيَ فِي وِرْدِي وَفِي صَدَرِي

أَمْنَ الوُجُودِ أَجِرْنِي مِنْ مَخَاوِفِ مَا ... أَحْرَزْتُ نَفسِيَ مِنْهَا فِي حِمَى الحَذَرِ

عَينَ الوُجُودِ تَرَى بُؤسِي وَنَازِلَتِي ... وَفِي مَحَالِكَ إِنقَاذِي مِنَ الضَّرَرِ

عِزَّ الوُجُودِ بِعِزٍّ اللهِ أَنتَ لَهَا ... فَوَاقِرٌ دَرَسَتْ أَعْيَانُهَا أَثَرِي

وَجَّهتُ نَحْوَ رَسُولِ اللهِ نَازِلَتِي ... وَقُلْتُ يَا نَفْسُ حُمَّ النَّصْرُ فَانْتَظِرِي

أُمْنِيَةُ الفَوزِ مِنهُ غَيرُ خَائِبَةٍ ... وَمَطمَعُ النُّجْحِ مِنهُ غَيرُ مُنحَسِرِ

وَنَائِلُ الخَيرِ مِنهُ غَيرُ مُنقَطِعٍ ... وَفَائِضُ البِرِّ مِنهُ غَيرُ مُنحَصِرِ

بَسَطتُ كَفِّي إِلى فَيَّاضِ رَحْمَتِهِ ... عَلى يَقِينٍ بِدَرْكِ السُّؤلِ وَالظَّفَرِ

وَقُمتُ أَلْهَجُ وَالآمَالُ صَادِقَةٌ ... يَا عِصْمَتِي، يَا حَبِيبَ اللهِ يَا وَزَرِي

حَقِيقَةُ الصَّبْرِ أَستَعْطِي الثَوَابَ بِهَا ... وَالفَقرُ يَلْزَمُنِي مَا عَزَّ مُقْتَدِرِي

وَلَستُ أَعْذُرُ هَذَا الدَّهْرَ فِي شَظَفٍ ... مَا دَامَ فَضْلُكَ عِندِي غَيرَ مُعْتَذِرِ

وَلا أُزِيدُكَ بِالأيَامِ تَبْصِرَةً ... لأَنتَ أَبْصَرُ بِالدُّنْيَا مِنَ البَصَرِ

(*) وردت في الأصل المُعتمد بعنوان: (في مدح الرسول).

أنتَ الحَياةُ التي نَفسُ البَقاءِ بها ... بَلْ أنتَ مَكْنُونُ سِرِّ اللهِ في البَشَرِ

مَولايَ مَنْ كُنتَ في الأزْمَاتِ نَاصِرَهُ ... فليسَ يَغلِبُهُ شَيءٌ سِوَى القَدَرِ

تلقَّنِي في مَهَاوِي حَوْبَتِي فلقد ... أوْقعْتُ نَفسِي بِبُعْدِي عَنكَ في الخَطَرِ

يا مُصْطَفى اللهِ يا مُختارَ نَظْرَتِهِ ... يا أصْلَ ما أظْهَرَ الإبْدَاعُ مِنْ فِطَرِ

يا رَحْمَةَ اللهِ يا مَبْعُوثَ رَأفَتِهِ ... يا مُظْهِرَ اللطْفِ في الأرْوَاحِ وَالصُّورِ

يا أوَّلَ الكُلِّ بَعْدَ اللهِ مُبْتَدَعاً ... وَأوَّلَ الكُلِّ عِندَ اللهِ في الخَطَرِ

يا آخِرَ الرُّسْلِ، لا تَأخِيرَ مَرْتَبَةٍ ... وَإنما السِّرُّ مَطْوِيٌّ عَنِ الفِكَرِ

يا ظَاهِراً بكَمَالاتِ الظُّهُورِ على ... كُلِّ الظَّوَاهِرِ في سُلطانِ مُقْتَهِرِ

يا باطِناً لم تفُتْهُ الباطِناتُ ولم ... يُدرِكْ مَقاماتِهِ عِلمٌ مِنَ الفِطَرِ

أنوارُ حُبِّكَ في قَلْبِي قَدِ انْطَبَعَتْ ... جِبِلَّةً كانْطِباعِ الشَّمْسِ في القَمَرِ[1]

ما زَالَ حُبُّكَ في رُوحِي يُخَامِرُها ... حتى تَجَرَّدْتُ عَنْ عَيْنِي وَعَنْ أثَرِي

ما لِلمَحَبَّةِ مِقْدَارٌ إذا اقْتَصَرَتْ ... الحَقُّ حُبُّكَ حُبٌّ غَيرُ مُقْتَصِرِ

تَجَرُّداً مِنْ هِناتٍ كُلُّها حُجُبٌ ... لا وَصْلَ، وَالحُبُّ مَحْجُوبٌ بذي السُّتُرِ

أدْعُوكَ خَلْفَ حِجَابِ الكَوْنِ مُنْبَسِطاً ... في بَسْطِ حُبِّكَ لم أخْلُصْ مِنَ الأثَرِ

ذُهِلْتُ عَنْ كُلِّ شَيءٍ مُذْ عَلِقتُ بِهِ ... فلا أفرِّقُ بَينَ الصَّفْوِ وَالكَدَرِ

لا أحْسَبُ الرُّوحَ إلّا أنها خُلِقَتْ ... مِنَ الهَوَى فَاخْتَفتْ عَنْ عَالَمِ الصُّوَرِ

فلا عِلاجَ لها مِنْ أصْلِ فِطْرَتِها ... إذا أُصِيبَتْ بِسَهْمِ الحُبِّ عَنْ قَدَرِ

وَجَدْتُ رُوحِي صَرِيعاً في مَصَارِعِهِ ... يا حُبُّ لا تُبْقِ مِنْ رُوحِي وَلا تَذَرِ

---

(١) **ملحوظة**: إشارته في هذا البيت إلى ظاهرة فلكية هي انغمار سطح القمر بضوء الشمس ليعاد انعكاسُه خافتاً إلى كوكب الأرض وفق منازل القمر. اللافت أنه سمى انعكاس ضوء الشمس انطباعاً على القمر، وفي ذلك دِقَّة عِلْمِية. فضوء الشمس يغمره كما يغمر الأرض، وإن امتحقَ في آخر ليلتين من الشهر القمري، كما أن ما يصلنا منه هو انعكاس انطباعه المُصْفى. وتحديده في القول: «كانطباع الشمس في القمر»، دقيق أيضاً. فالشمس، كما نعلم، كُتلة ضَوء نارية.

نـارُ الـمَـحَـبَّـةِ نـارٌ لا يُـقـامُ لـهـا ... لـوَّاحَـةٌ، قَـسَـماً بـالـحُـبِّ، لـلبَشَرِ[1]

طَـارَحْـتُ أَهْـلَ الـهَـوَى حَـتَّى بُـلِيتُ بِـهِ ... فَـفُـقْـتُـهُـم وَمَـشَـوا خَـلْـفِـي عَـلَى أَثَـرِي

لا يُـصْـدِق الـحُـبَّ إلّا مَـنْ يَـمُـوتُ بِـهِ ... ما لِلهَوَى دُونَ حَسْوِ المَوْتِ مِنْ قَدَرِ

وَلَيْـتَـهـا مَـوْتَـةٌ فِـي الـحُـبِّ مُـوصَـلَةٌ ... بِـوَصْـلَةٍ مِـنْ حَـبِـيـبِ اللهِ فـي الـعُـمُـرِ

وَلَسْتُ في الحُبِّ مِنْ نَفسِي على ثِقةٍ ... مِـنْ نَـصْـبِـهـا لـلـهَـوَى طَـوْراً عَـلَى وَطَـرِ

إنْ كَـانَ حُـبِّـيَ مَـعْـلُـولًا فـأنـتَ لـهـا ... أدْرِكْ عَـلِـيلَكَ قَـبْـلَ الأَخْـذِ فـي الخَـطَـرِ[2]

بِقُدْسِ نُورِكَ أسْتَشْفِي وَقد ضَنِيتْ ... نَـفـسِـي بـآفـاتِ هَـذا الـعَـالَـمِ الـقَـذِرِ

وَأنـتَ طِـبٌّ بَـصِـيـرٌ قـد بُـعِـثْـتَ بـمـا ... يَشفِي العُضَالَ؛ فأنْقِذْنِي مِنَ الضَّرَرِ

فِـداً لـكَ الـكَـوْنُ لا أَسْـلُو بـزَهْـرَتِـهِ ... عَـنْ فَـرْطِ حُـبِّـكَ يـا مَـنْ حُـبُّـهُ وَزَرِي

وَكَـيـفَ تُـفـدَى بـكَـوْنٍ أَنـتَ عِـلَّـتُـهُ ... لَولاكَ مـا أُوْجِـدَتْ مَـوجُـودَةُ الـفِـطَـرِ

لـو كُـنـتُ أعْـلَمُ غَـيـرَ الـحُـبِّ مَـنْـزِلَـةً ... تُـدْنِي إلـيـكَ لَكَـانَـتْ مُـنْـتَـهَـى خِـيَـرِي

لـكِـنَّـنِـي بِـغَـرَامِـي فِـيـكَ لـي أَمَـلٌ ... مِـنَ الـيَـقِـيـنِ بـأنِّـي مِـنـكَ بـالـنَّـظَـرِ

كـم نـالَ مِـنـكَ الـعِـدَى عَـفـواً وَنـائِـلَةً ... مـا شـأنُ مَـنْ رُوحُـهُ بـالـحُـبِّ فـي سُـعُـرِ

صِدقُ الهَوَى فِيكَ يَنْتاطُ[3] الفَلاحُ بِهِ ... فـاقْـبَـلْ مُـحِـبَّـكَ يـا سَـمْـعِـي وَيـا بَـصَـرِي

مُـضْـنـاكَ، مُـضْـنـاكَ لا تُـرْجِـىءْ رَجَـاوَتَـهُ ... أَطْـلَـقـتُ فِـيـكَ رَجَـاءً غَـيـرَ مُـقْـتَـصِـرِ

وَمـا أُنـادِيـكَ عَـنْ عُـذْرٍ أُحَـقِّـقُـهُ ... أَبُـوءُ، وَيْـلِـي، بِـذَنْـبٍ غَـيـرِ مُـنْـحَـصِـرِ

---

(١) يُقسِم بالحُبّ في هذا البيت وصفا لقوة نار المحبة التي يُذكي شعلتها الحارقة بمنطوق الآية: «وما أدْرَاكَ ما سَقَر لَوَّاحَةٌ لِلبَشَر».

(٢) **ملحوظة**: تتوقف القصيدة وتنتهي عند هذا البيت في نسخة وزارة التراث والثقافة، ١٩٨٧م = [المنحولة، بدورها، من نسخة الشيخ صالح بن عيسى الحارثي، بعد حذف القصائد الوطنية، وكافة المدائح النبويّة الأخرى، مما يُدَلِّل على وجود موقف رسمي من مدائحه النبوية واستنهاضيّاته]، ويَبدو أن حذف كافة مدائحه النبوية (عدا أبيات هذه القصيدة التي انتهت بهذا البيت) ربما كانت أسبابه هي مُخالفته للرَّأي الإباضي الرَّسمي، لا سيَّما أنَّ القصيدة تنحو في بقيّة الأبيات مَسلكَ المُتصوِّفة في التوسُّل بالنبي محمد (ص)، أما حذف الاستنهاضيات الوطنية فهو نتيجة موقف سياسي.

(٣) ينتاط: يتعلق.

أوقرتُ[1] وِقْرَ الشَّقا حَتَّى خُذِيتُ لَهُ[2] ... والنفسُ مِنْ أَبحُرِ الغَفلاتِ في غَمَرِ

في شِرَّةِ السَّهوِ أجْري سَادِراً نَزِقاً ... لا أرْعَوِي عَن غِوَايَاتي لِمُزْدَجرِ

تَسُوقُنِي نَزغةُ الشَّيطانِ مُنغمِساً ... في وَرْطَةٍ مِنْ غُرُورِ الزُّخْرُفِ الوَضِرِ[3]

يا سَائِقاً حُطَماً رِفْقاً بِسَائِمَةٍ[4] ... عَشْوَاءَ تَخْبِطُ مِنْ جَهْلٍ بمُعْتكِرِ

نِضْوٍ بَرَاها الوَنَى نَدَّتْ بِمَقْفَرَةٍ[5] ... بَينَ السِّباعِ بلا مَاءٍ وَلا شَجَرِ

هَيهَاتَ لا يُقلعُ السَّوَّاقُ مِنْ مَلَلٍ ... وَلا المَسُوقُ عَنِ اسْترْسَالِ مُؤْتَسِرِ

إلّا إذا عَصَمتْنِي مِنكَ عَاصِمَةٌ ... تُحِلُّني مِنكَ في أَمْنٍ وَفي وَزَرِ

يا مَنْ بِهِ سَلوَتي في كُلِّ وَاقِعَةٍ ... عَنْ كُلِّ كَائِنةٍ في الوِرْدِ وَالصَّدَرِ

أدنى حُقُوقِكَ تَشْقِيقُ القُلُوبِ وَإِز ... هَاقُ النُّفوسِ مَتى تَخْطُرْ لِمُدَّكِرِ

يا مَنْ وَقَتْهُ السَّحَابَ الحُرَّ تابعةٌ ... لِذاتِهِ في حُلُولِ الرَّكْبِ وَالسَّفرِ

يا مَنْ بِهِ بَشَّرَتْنا الأنْبياءُ وَكَمْ ... شَدَتْ بِهِ الجِنُّ في بَدوٍ وفي حَضَرِ

يا مَنْ بِهِ أخبَرَ الكُهَّانُ وَهُوَ عَلَى ... أَرَائِكِ الغَيْبِ لم يَبْدُرْ مِنَ السُّتُرِ[6]

يا مَنْ تَقدَّمَ نُوراً في حَظائِرِ نُو ... رِ اللهِ حَتى تَلَقَاهُ أَبُو البَشَرِ

فلم يَزلْ تَتلَقَّاهُ الكِرَامُ على ... طَهَارَةِ الشَّرْعِ حتى حَلَّ في مُضَرِ

وَمِنهُ في صُلْبِ إلْيَاسٍ فَأَسْمَعَهُ ... في الصُّلْبِ لَبَّيكَ بَينَ الرُّكْنِ وَالحَجَرِ

حتى تَهلَّلَ في مِشْكَاةِ آمِنةٍ ... يا أُخْتَ زُهْرَةَ حِزْتِ النُّورَ فازْدَهِرِي[7]

---

(١) أوقرت: حَمَلْت حِملا ثقيلا || في الدّارج العُماني: وْقَر حطَب؛ أي: وِقْر = حِمْل.

(٢) خُذِيتُ لَه: خضعت وانقدت له.

(٣) الوَضِر: الوَسِخ.

(٤) الحُطَم: راعي الدابة الشديد العَسُوف || التائمة: الدابّة المتروكة للرعي دون أن تُعْلَف.

(٥) نِضْو: الدابة الهزيلة || الوَنى: الضعف والتعب.

(٦) أرائك: جمع أريكة؛ وهي المقعد المُنجّد المُريح للنوم والجلوس. **ملحوظة**: حديثه في هذا البيت والأبيات السابقة عن الإشارات الدالة على ظهور النبي محمد كروايات كُهّان النصارى بقرب ظهوره، والمُلفت هو تعبيره الشعري البديع: (أرَائِك الغَيْب) التي كان الرسول مُستريحاً عليها قبل ظهوره الدُّنيوي.

(٧) آمنة: أم الرسول، آمنة بنت وهب بن عبد مناف. **ملحوظة**: ورد في الذكر الحكيم من سُورة=

وَزَارَهـا أَنْـبِـيـاءُ اللهِ قَـاطِـبَـةً ... فَـبَـشَّـرُوهـا بِـهِ فـي نَـوْمَـةِ الـسَّـحَـرِ

وَكَـمْ لـهـا مِـنْ خُـصُـوصَـاتٍ وَخَـارِقَـةٍ ... فـي حَـمْـلِهِ شَـاهَـدَتْـهَـا رُؤْيَـةُ الـبَـصَـرِ

وَلـلـخَـوَارِق فـي لَوْحِ الـوُجُـودِ لَهُ ... فـي بُرْهَـةِ الـحَـمْـلِ شَـأْنٌ غَـيـرُ مُـسْـتَـتِـرِ

مـا صَـدْعُ إِيْـوَانِ كِـسْـرَى فـي تَـزَلْزُلِهِ ... إِلّا لِـنَـازِلَـةٍ مِـنْ مُـعْـجِـزِ الـقَـدَرِ

وهـيَ الـتـي طَـيَّـرَتْ إِكْـلِـيـلَ مَـفْـرِقِـهِ ... يـا طَـيـرُ قَـدْ عِـشْـتَ دَهْـراً قَـبْـلُ لَـمْ تَـطِـرِ

وَمـا لِسَـاوَةَ غَـاضَـتْ هَـلْ تَـقَـبَّـلَـهـا ... وَادِي سَـمَـاوَةَ حَـتـى فَـاضَ بـالـقَـفَـرِ[1]

وَمـا دَهَـى الـنـارَ مِـنْ خَـطْـبٍ إِذِ انْـطَـفَـأَتْ ... يـا نـارُ فـي كَـبِـدِ الإِشْـرَاكِ فَـاسْـتَـعِـرِي[2]

حـتـى إِذا آنَ إِتْـحَـافُ الـوُجُـودِ بِـهِ ... وَأَنْ يُـبَـاشِـرَهُ بِـالـفَـوزِ وَالـظَّـفَـرِ

تـهـلَّلَ الـعَـرْشُ وَالـكُـرْسِـيُّ وَالـمَـلأُ الـ ... أَعـلـى وَزُخْـرِفَـتِ الـجَـنَّـاتُ بـالـبُـشَـرِ

وَجـاءَ جِـبْـرِيـلُ بـالـتَّـمْـجِـيـدِ مُـبْـتَـدِراً ... مَـشَـاعِـرَ اللهِ وَالأَمْـلاكِ فـي زُمَـرِ

وَحَـفَّـتِ الـحُـورُ وَالـعَـذْرَاءُ مَـرْيَـمَ وَالـ ... ـغَـرَّاءُ آسِـيَـةٌ فـي الـذَّلِّ وَالـخَـفَـرِ[3]

بِـبِـنْـتِ وَهْـبٍ وَرَوحُ اللهِ يَـمْـسَـحُـهـا ... بـالـرُّوحِ وَالـنُّـورِ مِـنْ أَنْـفَـاسِـهِ الـعُـطُـرِ

وَالـبَـيـتُ يَـهْـتَـزُّ وَالأَمْـلاكُ خَـافِـقَـةٌ ... شَـرقـاً وَغَـربـاً وَكَـوْنُ اللهِ فـي حَـبَـرِ[4]

تـنـزَّلَـتْ فـي غَـوَاشِـي الـرُّوحِ لائِـحَـةُ الـ ... ـإِذْنِ الإِلَـهِـيِّ بَـيـنَ الـفَـجْـرِ وَالـسَّـحَـرِ

فـأَبْـرِزَتْ دُرَّةُ الأَكْـوَانِ ذاتُ صَـفِـ ... ـيِّ اللهِ سَـاجِـدَةً للهِ فـي الـعَـفَـرِ

فـلـيـتـنـي ذَرَّةٌ مِـنْ تُـرْبَـةٍ لَـمَـسَـتْ ... آرَابَـهَ[5] فـي سُـجُـودٍ غَـيـرِ مُـبْـتَـكَـرِ

=الشُّعَراء: الذي يَرَاكَ حِينَ تقوم [٢١٨] وتَقَلُّبَكَ في السَّاجِدِين [٢١٩]، وهي آية أخذها بعضُ المُتصَوِّفة إلى المأخذ الذي يسيرُ عليه الشاعر في هذه الأبيات حذو النعلِ بالنعل.

(١) ساوة: بحيرة كثيرة الماء في العراق غاضت/ جفت لدى مولد الرسول ـ سَمَاوة: واد في جزيرة العرب قليل المياه فاض ساعة المولد النبوي. وتساؤل البيت: هل انتقلت المياه من بحيرة ساوة إلى وادي سماوة القاحل؟

(٢) الإشارة إلى نار المجوس التي لا تنطفئ في معابدهم، لكنها خمدت، على غير عادتها، عند ميلاد الرسول.

(٣) آسية بنت مزاحم، زوجة فرعون موسى، وفقاً للروايات الإسلامية.

(٤) حَبَر: من الحُبُور؛ وهو البشاشة والابتهاج.

(٥) آراب: جمع إرْب، وهو العُضْو من الإنسان والحيوان ـ يُقالُ: قطّعه إرْباً إرْباً؛ أي عُضواً عُضواً.

فـي عَـالَـمِ النُّـورِ لـم تَـفْـتُـرْ مَـسَـاجِـدُهُ ... مِنهُ، فَلا تَفْتَكِرْ في عَالَمِ الصُّوَرِ[1]

بالقَولِ مُجِّدَ عِيسَى وَالحَبِيبُ أتى ... بالقَولِ وَالفِعْلِ في التَّمْجِيدِ بِالصِّغَرِ

مَوَاهِبُ اللهِ في تَمْجِيدِهِ حَصَرَتْ ... لَهُ الكَمَالاتِ في أَطْوَارِهِ الزُّهُرِ

فلا كَمَالَ لِمَخْلُوقٍ وَلَيسَ بِهِ ... وَإنما فَاضَ مِنهُ الفَيْضُ لِلفِطَرِ

لا عَرْشَ لا فَرْشَ لا كُرْسِيَّ لا مَلَكاً ... لا إنسَ لا جِنَّ لم يَمْدُدْهُ بِالخِيَرِ

أَبٌ لِكُلٍّ وُجُودٍ أَصْلُ مَبْدَئِهِ ... مِنهُ، وَمِنهُ مِدَادُ الأَنفُسِ الطُّهُرِ

لا بِدْعَ أَنْ تَغْمُرَ الأَكْوانَ رَحْمَتُهُ ... لأنها مِنهُ كالأَغْصَانِ لِلثَّمَرِ

ماذا عَسَى بالِغاً إِطْرَاءُ مِدْحَتِهِ ... دَقِيقةُ الأمرِ لم تَخْطُرْ عَلَى الفِكَرِ

أَقْصَى المَدَائِحِ في تَمْجِيدِهِ حَسَرَتْ ... وَشَأْنُهُ في المَعَالِي غَيرُ مُنحَسِرِ

وَإنما يُؤخَذُ التَّوْصِيفُ مِنهُ كما ... يَشتَفُّهُ الطَّيرُ وَسْطَ البَحرِ مِنْ قِطَرِ[2]

ما لِلمَعَاجِزِ قَدْرٌ في مَرَاتِبِهِ ... الشَّأْنُ أَغْنَى عَنِ التَّدْلِيلِ وَالنَّظَرِ

مَجْدُ الرِّسَالَةِ وَالشأنُ المُضَافُ لَهُ ... شَهَادَةُ اللهِ أَغْنَتْهُ عَنِ العِبَرِ

عِزُّ المَكَانَةِ عِندَ اللهِ مُتَّصِلٌ ... بِحُجَّةِ اللهِ لا تَسْبِيحَةِ الحَجَرِ[3]

وَإنَّما سِيقَتِ الآياتُ تَكْرِمَةً ... لَهُ وَتَبْصِرةً لِلسَّيءِ البَصَرِ

بَصَائِرٌ جَهَرَتْ[4] أَبْصَارَ جَاحِدِها ... يَخْفَى لَدَيهِنَّ ضَوءُ الشَّمْسِ وَالقَمَرِ

---

(١) مساجده: أماكن سجوده. أي أنَّ أماكن سُجوده في عالم النور قبل ولادته لم تتوقف، فما بالك بمساجده في الصُّور، أي بعد خلقه وولادته.

(٢) ما يشتفُّهُ الطير: ما يرتشفه منقاره || قِطَر: جمع قطرة.

(٣) **ملحوظة**: ورد البيت في الأصل المُعتمد كما أثبتناه، وبه استصغار للأقوام التي تعبد أطياف آلهتها الحجرية المسبحة مقارنة بعز مكانة الرسول المتصل بحجة الله. لكن البيت ورد في أحد المصادر كالتالي: «عِزُّ المكانة عند الله متَّصِلٌ | بحُجّة الله في تشبيحة الحَجر»، متبوعاً بشرح يفيد أن تسبيحة الحجر بين يديه واحدة من معجزات الرسول، وفي ذلك إبغال لا نعتقد أن الشاعر قصده. لذلك اعتمدنا الصِّيغة الأصل، والهدف من ثبتنا للصيغة الأخرى، في الهامش، هو إتاحة الفرصة كي يطلع عليها مَنْ تستهويه ويَميلُ إلى صِياغتها.

(٤) بحُسن نيّةٍ بيّن، حُرِّفت «بَصائرٌ جَهَرَت» في المصدر المُشار إليه في الهامش أعلاه، لتصِيرَ «بَصائرٌ بَهَرَت»، كما حُرِّفت في مصدر آخر لتصير: «بصائرٌ جحدت»؛ والحقيقة أن أبا مُسْلم دقيق في=

لو لم يَكُنْ غَيرَ إعْجَازِ البَلاغةِ في الـ ... ـذِّكْرِ الحَكِيمِ لِطَوعِ الجِنِّ وَالبَشرِ

أَتَى وَلِلبُلَغَاءِ اللُّسْنِ عَارِضَةٌ ... فَصَكَّ ثَغْرَ بَيانِ القَوْمِ بالحَجَرِ[1]

وَاسْتَيقَنوا أنَّ خَلْقاً لا يَجِيءُ بِهِ ... وَأَنَّهُ خَارِجٌ عَنْ طَاقَةِ الفِطَرِ

وَحِينَ أبْهَتَهُم حَادَتْ شَكَائِمُهُم ... بَغياً وَعَدْواً إلى الإلْحَادِ وَالأَشَرِ

فقال بَعْضُهُمُ سِحْرٌ وَبَعْضُهُمُ ... سَجْعٌ وَبَعضُ أَسَاطِيرٍ مِنَ الزُّبُرِ

تَنَافَرُوا عَنْ هُدَى مَولاهُمُ وَهُمُ ... على بَصِيرَةِ عِلْمٍ نَفْرَةَ الحُمُرِ[2]

وَعَانَدُوا إذْ تَحَدَّاهُم بِهِ حَسَداً ... مِنْ عِندِ أنفُسِهِم رَمْياً بلا وَتَرِ

فكانَ جَهْدُ حُدَيَّاهُمْ مُسَاوَرَةَ الـ ... ـبِيضِ القَوَاضِبِ إذ خَامُوا عَنِ السُّوَرِ

فَصَكَّهُم سَيْفُ جَبَّارٍ بِكَلْمَةِ جَبـ ... ـبَّارِ السَّمَاءِ عَلى الأَجْيالِ مُنْتَصِرِ

فَاجْتَثَّ أَثْلَتَهُمْ سُلطَانُ سَطْوَتِهِ ... بِصَوْلَةٍ مِنْ جَلالِ اللهِ في وَزَرِ[3]

بِصَارِمٍ في يَمِينِ اللهِ قَائِمُهُ ... كأَنَّما صِيغَ حَدَّاهُ مِنَ القَدَرِ[4]

كم فَيلَقٍ جَرَّهُ مِنْ تَحْتِ رَايَتِهِ ... جُيُوشُ جِبريلَ فَوقَ الشُّزَّبِ الضُّمُرِ[5]

مُسَوَّمِينَ بنورِ اللهِ يَقْدُمُهُم ... حَيزُومُ وَالمَلأُ الأعْلَى على الأثرِ

يُبَاشِرُونَ الوَغَى بُلْقاً خُيُولُهُمُ ... صُفراً عَمَائِمُهُم في قَالب البَشرِ

=تعبيره مهما بدا في مِجْهَر المُحَقِّق المُتسرِّع من أَوابِدِ الكلام التي لا تستقيم إلّا بفرقة إنقاذ نحويّة لتقويمها. جَهَر الشيءَ: رآه بلا حِجاب. وجَهَرَ الجيشَ والقومَ: كثروا في عينه. وجَهَرَتِ الشمسُ فلاناً: حَيّرت بصره منها فلم يُبصِر. وفي حديث عليّ في صِفته صلى الله عليه وسلم: «لم يكن قصيراً ولا طويلًا، وهو إلى الطول أقرب. مَنْ رَآهُ جَهَرَه».

(١) اللُّسن: الفصَحاء || صَكَّ ثغرَ بَيان القوم بالحَجر: ألْقَمَ أفواهَهُم المُتفاصِحَة ببيانها وبلاغتها حَجَراً ثقيلا مِن بيان وبلاغة وفصاحة القرآن.

(٢) نفرة الحُمُر: خوف وجزع قطيع من الحمير في فلاة.

(٣) الأثلة: الأصل والمجد والثراء والمتاع والأهبة والعُدّة ـ لامرئ القيس: ولكِنَّما أسعى لمَجْدٍ مُؤَثَّلٍ | وقد يُدرِكُ المَجْدَ المُؤَثَّلَ أمثالي.

(٤) ملحوظة: البيت تتمة لسابقه، وهو من النماذج الرّفيعة في شعر أبي مُسلم الذي اجْتثَّ أثلة الكفار بسيفٍ مِقبَضُهُ في يَدِ الله وحَدَّاهُ القاطعان صِيغا من قَدَرِهِ.

(٥) الشُّزَّب الضُّمُر: الأحصنة السريعة المُضَمَّرة المُروَّضة.

نِعْمَ الكَتائِبُ رُوحُ الحَقِّ سَيِّدُها ... وَالرُّوحُ جِبرِيلُ مِنْ فُرْسَانِها الذُّمُرِ

أجْلَتْ وَغاها وَخَيلُ اللَّاتِ ضَاحِيةٌ ... على الظَّوَاهِرِ وَالقِيعانِ كالجُزُرِ

أشلاءُ دَفَّتْ عليها الفُتْخُ وَانْتَهَبَتْ ... أوْصَالَها السِّيدُ بَعدَ البِيضِ وَالسُّمُرِ[1]

يا نَخوةَ اللاتِ وَالعُزَّى خُزِيتِ وَيا ... جَبرِيَّةَ الشِّرْكِ جَاءَ اللهُ فانْكَسِرِي

وَيا بَني الجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ حَسْبُكُمُ ... مِنْ رَمْيَةِ اللهِ في الدُّنيا وَفي سَقَرِ

ويا مُثَلَّثَةَ اللاهُوتِ قد كَسَرَ اللهُ ... الصَّلِيبَ بِهَذا الصَّارِمِ الذَّكَرِ

وَيا مُعَطِّلَةَ التَّكْوِينِ قَدْ بَهَرَتْ ... قَضِيةُ اللهِ شَأنَ الدَّهْرِ فانْدَحِري

بِالهَاشِمِيِّ الذي نَادَتْ بِهِ الصُّحُفُ ... الأولى مُبشِّرَةً في سَالِفِ العُصُرِ

جَاءَ المُشَفَّعُ وَالأجْيَالُ تَعْرِفُهُ ... بِنَعْتِهِ عَنْ لِسَانِ الرُّسْلِ وَالزُّبُرِ

جَاءَ المُشَفَّعُ جَاءَ النُّورُ مُبتَدِراً ... لم يَأتِ إلّا لِمَولاهُ وَلم يَذَرِ

جَاءَ البَشِيرُ النَّذِيرُ السَّيدُ الصَّمَدُ الـ ... ـبَرُّ الكَرِيمُ المُرَجَّى خِيرَةُ الخِيَرِ

يَهْدِي إلى اللهِ لا تَثْنِيهِ كَارِثَةٌ ... عَنْ أمْرِهِ مِنْ غُمُومِ الأزْمَةِ النُّكُرِ

يَدعُو إلى اللهِ فرداً في عَوَالِمِهِ ... بِعَزْمِ مُضْطَلِعٍ للهِ مُصْطَبِرِ

أتى على فَتْرَةٍ وَالدِّينُ مُشْتَرَكٌ ... بَينَ الكَوَاكِبِ وَالأمْلاكِ وَالحَجَرِ[2]

فَقَامَ للهِ لا يَألُو مُجَاهَدَةً ... فيهِ حَنِيفاً على السَّراءِ وَالضَّرَرِ

حتى اسْتقامَتْ لَهُ في الكَوْنِ سَيطَرَةٌ ... مِنْ فِطْرَةِ اللهِ بينَ العِزِّ وَالظَّفرِ

حَنِيفَةٌ سَمْحَةٌ بَيْضَاءُ نَيِّرَةٌ ... إلى القِيامةِ في أمْنٍ مِنَ الغِيَرِ

يَحْمِي حِمَاها مَلِيكُ الأنْبياءِ أبِـ ... ـيُّ الضَّيْمِ حَياً وَمَيتاً مِنهُ في وَزَرِ

لَيْثُ الرِّسَالةِ صِنْدِيدُ المَلاحِمِ سُلـ ... ـطَانُ العَوَالِمِ مَولى سَائِرِ الفِطَرِ

شَمسُ النُبُوَّةِ إجْلالاً وَمَرْتَبَةً ... لولاهُ قِنْدِيلُ جِنْسِ النُّورِ لَمْ يُنِرِ

---

(١) الفُتْخ: العُقبان الجارحة || السِّيد: الآساد والسباع || البيض والسُّمر: السيوف والرماح، على التوالي.

(٢) **فحوى البيت:** ظهور النبي محمد بدينه الجديد في فترة كان الناس يعبدون فيها الشموس والأحجار وما إليها من آلهة لا تُسمِنُ ولا تُغني.

مُحَمَّدٌ عَاصِمُ الكَوْنَيْنِ فَاتِحُ كُـ ... ـلِّ الخَيرِ قَائِدُ كُلِّ البِرِّ وَالخَيرِ

فَتحُ السعادةِ في الدَّارَين مَوْهِبَةٌ ... مِنهُ، وَإِنْعاشُ جَدِّ العَاثِرِ الذَّعِرِ

مُبارَكٌ رَحْمَةٌ لِلعَالَمِين بِهِ ... دَرْكُ الفلاحِ وَكَشفُ البُؤسِ وَالضَّرَرِ

مُهَيَّىءٌ لاخْتِصَاصٍ لا مَقَامَ لَهُ ... في غَيرِهِ وَكَمَالٍ غَيرِ مُنْحَصِرِ

شَمسُ الكَمَالاتِ الاسْمَائِيَّةِ انْبَسَطَتْ ... مِنهُ الكَمَالاتُ في كُنْهِيَّةِ الأَثَرِ

حَقِيقَةٌ عَكَفَتْ فيها المَحَاسِنُ فالإِ ... بْدَاعُ مُنْدَهِشٌ مِنْ حُسْنِها النَّضِرِ

عِزٌّ تَرَقَّى بِعِلِّيِّينَ رِفْعَتُهُ ... بِمُشْرِقِ المَجْدِ وَالأَدْوَارُ لم تَدُرِ

وَلا يَزالُ تَرَقِّيهِ لِغَيرِ مَدَى ... يَسْمُو المَرَاتِبَ مِنْ أُولَى إلى أُخَرِ

وَلَنْ تَزَالَ على الأَغْيَانِ فَائِضَةً ... فُيُوضُ رُحْمَاهُ بالآصَالِ وَالبُكُرِ[1]

مُحَمَّدِيَّتُهُ البَحْرُ المُحِيطُ فَمِنْ ... فَيَاضِهِ رَحْمَةُ الدَّارَينِ لِلفِطَرِ

إنْ غَابَ شَخْصاً، فَمَا غَابَتْ شَهَادَتُهُ ... الكَوْنُ مِنهُ مَحَلُّ السَّمْعِ وَالبَصَرِ

سَرَتْ عِنايَتُهُ في كُلِّ نَاشِئَةٍ ... وَرُوحُهُ سَرَيَان المَاءِ في الشَّجَرِ

مِهَادُ رَأْفَتِهِ عَدْنٌ وَنَحْنُ بِها ... في مِقْعَدِ الصِّدْقِ نَحْيا عِندَ مُقْتَدِرِ

مُخَصَّنِينَ بِحِصْنٍ مِنْ رِعَايَتِهِ ... مُسْتَعْصِمِينَ بِهِ في الصَّفْوِ وَالكَدَرِ

مُخَلَّصِينَ بِهِ في عِزِّ مِلَّتِهِ ... مِمَّا نُحَاذِرُ في الدَّارَيْنِ مِنْ خَطَرِ

نَصِيرُ دَعْوَتِهِ يَحْمِي حَفَائِظَنا ... فَنَحْنُ مِنْ عِزَّةِ الإِيمَانِ في وَزَرِ

طُوبَى لَنا، قَدْ جُعِلْنا أُمَّةً وَسَطاً ... خَيْراً شُهُوداً لِمَولانا عَلَى البَشَرِ[2]

مُبارَكِينَ بِنُورِ الخَتْمِ تَنْفَحُنا ... أَنْفَاسُ أَحْمَدَ حَمَّادِينَ في الزُّبُرِ

نَمْشِي عَلَى سُنَّةِ الصَّدْرِ المُبَارَكِ مِنْ ... أَصْحَابِهِ المُهْتَدِينَ السَّادَةِ الطُّهُرِ

شَعْبٌ كَرِيمٌ قَدِيمُ الذِّكْرِ بَارَكَهُ ... نُورُ الرِّسَالَةِ في الأَسْرَارِ وَالسِّيَرِ

---

(١) في هذا البيت، يهمل الشاعر ويتحاشى استخدام التعبير المألوف: (ولا تزال..) مستعيضاً عنه بـ (ولن تزال) مُبالغةً منه في التعبير عن ديمومة فُيُوض رحمة الرّسول على الناس.

(٢) البيت ترجيعٌ للآية الكريمة: «وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً».

عِنايَةُ اللهِ خَصَّتْهُم بما سَبَقوا ... بِهِ البَرِيَّةَ مِنْ زُلْفى وَمِنْ خِيَرِ
في اللهِ جَدُّوا فَجَدُّوا في مَفاخِرِهِم ... وَمِدْحَةُ اللهِ فِيهِم حَسْبُ مُفْتَخِرِ
فَرُّوا إلى اللهِ وَاسْتَبَقوا بِجُهْدِهِمُ ... بَقِيَّةَ اللهِ ذُخْراً خَيرَ مُدَّخَرِ
وَجَرَّدوا النَّفسَ تَجْرِيدَ السُّيُوفِ ... فَلِلهِ النُّفُوسُ وَحَدُّ السَّيفِ لِلكُفْرِ
هَبُّوا لِدَاعِي الهُدَى وَالنُّورُ حَشْوُهُمُ ... ما بَينَ ذِي هِجْرَةٍ فِيهِ وَمُنْتَصِرِ
أُسْدٌ صَنادِيدُ في أَيْدِي عَزَائِمِهِم ... طَيُّ الخُطُوبِ وَنَشْرُ الفَوزِ وَالظَّفَرِ
غُرٌّ أَيَامِنُ أَنْضَاءُ العِبَادَةِ في ... وُجُوهِهِم مِنْ سُجُودٍ نَيِّرُ الأثَرِ
حَتَّى مَضَى المُصْطَفَى وَاللهُ يَمْدَحُهُم ... وَهُمْ لَنا قَادَةٌ، وَالحَقُّ في وَزَرِ
نِهَايَةُ القَولِ فِيهِم أَنَّهُم بَشَرٌ ... فَازوا بِما لَم يَنَلْهُ سَائِرُ البَشَرِ
يا صَحْبَ أَحْمَدَ، يا أَنْصَارَ حُجَّتِهِ ... وَالحَائِزِينَ مَقامَ القُرْبِ وَالنَّظَرِ
أَنْتُم شَفِيعِي إلى مَنْ لَيسَ يَحْجُبُهُكُم ... بَحْرِ الكَمَالِ عَظِيمِ الشَّأنِ وَالخَطَرِ
ما قَدْرُ مَدْحِي وَقَولُ اللهِ يَمْدَحُكُم ... لولا المَحَبَّةُ وَاسْتِمْدَادُ مُفتقِرِ
عَسَاهُ يَشفَعُ عِندَ اللهِ لِي، فَلَهُ ... شَفاعَةٌ وَسِعَتْ ما كَانَ مِنْ وَطَرِي
يا سَيِّدِي، يا رَسُولَ اللهِ قد وَصَلَتْ ... إليكَ حَالِي، فَصِلْهَا مِنكَ بالنَّظَرِ
فنظرَةٌ مِنكَ في حَالِي يَكُونُ بها ... فوزي بِرَبِّي وَإنقاذِي مِنَ الضَّرَرِ
يا سيدَ الرُّسلِ ضاقتْ كلُّ كائنةٍ ... «بناصِرٍ»[1] فلتكُنْ لِي خَيرَ مُنتصِرِ
وَإنْ يَضِقْ بِيَ أَمْرِي فهو مُتَّسِعٌ ... بوُسْعِ جَاهِكَ في وِزْدِي وَفي صَدَرِي
هذا الرَّجاءُ، حَبيبَ الله، مُنبسِطٌ ... فابْسُطْ يَمِينَكَ بالحُسْنَى إلى ضَرَرِي
يا رَبِّ صَلِّ وسلِّم عَدَّ ما وَهَبَتْ ... يَدَاكَ مِنْ نِعْمَةٍ في السِّرِّ وَالجَهَرِ
وَمِثْلَ نُورِكَ مِلءَ العَرْشِ مُنْبَسِطاً ... وَمِلءَ ما حَاطَهُ المَقْدُورُ مِنْ أَثَرِ
وَمِثْلَ حُبِّكَ أَقْوَاماً رَضِيتَهُمُ ... بِمُقتضَى أَزَلِيِّ العِلْمِ وَالقَدَرِ
وَمِثْلَ حُبِّهِمُ إِيَّاكَ إذ خَلُصُوا ... فما لَهُم غَيرُ حُبِّ اللهِ مِنْ وَطَرِ

---

(١) يُشيرُ الشاعر إلى اسمه الأول: ناصر، مُستغلًا إمكان تفسيره المُزدوج: أي: «ناصِرُ» النبي.

وَمِثْلَ أَضْعَافِ نُورِ الْمُصْطَفى رُتَباً ... وَمَجْدِهِ وَمَعَالِيهِ عَلى الْبَشَرِ

عَلى رَسُولِكَ مَولانا الْحَفِيِّ بِنا ... مُحَمَّدٍ وَعَلى أَوْلادِهِ الطُّهُرِ

وَآلِهِ وَجَمِيعِ الصَّحْبِ مَنْ شَهِدَتْ ... بِفَضْلِهِم أَبَدِياً أَلْسُنُ السُّوَرِ

أَنْمَى صَلاةٍ وَأَزْكَاهَا وَأَوْفَرَهَا ... مَوصُولَةَ الفَيْضِ وَالإِمْدَادِ في العُصُرِ

تَرْضَى بِها سَيِّدي عَنِّي وَتُلْهِمُني ... رُشْدِي وَتَغْفِرُ لِي يا خَيرَ مُغتَفِرِ

وَتَجْعلُ الفَوزَ بالجَنَّاتِ جَائِزَتي ... بِفَضْلِها وَنَجَاتِي، رَبِّ، مِنْ سَقرِ

وَوَالِدَيَّ وَأَوْلادِي وَمَقْرَبَتِي ... وَالمُؤمِنِينَ وَأَنْصَارِي وَمُؤْتَزِرِي

وَكُلِّ مَاضٍ وَآتٍ وَالمُعَاصِرِ مِنْ ... أَئِمَّةِ الدِّينِ وَالقُوَّامِ بِالبَشَرِ

وَاجْعَلْ صَلاتِي لَهُ يا رَبِّ مُتَّصِلًا ... بِرُوحِهِ نُورُها كالنُّورِ بِالبَصَرِ

وَاجْعَلْ مَدِيحِي لَهُ ضَيفاً يَلُمُّ بِهِ ... يَعُودُ لِي عَنهُ بِالإِكْرَامِ وَالخِيَرِ

ما خَابَ رَاجِي رَسُولِ اللهِ في أَمَلٍ ... وَلا انْثَنى عَنهُ إِلّا قَاضِيَ الوَطَرِ

النشأة المُحمَّدية(*)

بـلَغَ الـمَـدَى سَـفَـرٌ مِـنَ الآزَالِ ... بِـمَـوَاكِـبِ الأَعْـظَـامِ وَالأَجْـلالِ(١)

حَلَّ الـمُسَافرُ بعد أَحْقابٍ خَلَتْ ... مِنْ سِيرَةٍ سَبَقَتْ على جِبْرَالِ(٢)

فـي طَـوْرِهِ بَـشَـراً لِيَـكْـمُـلَ أَمْـرُهُ ... وَتَـكُـونَ عَـنـهُ مَـرَاتِـبُ الإِكْـمَـالِ

بعد السُّرى بِمَجَامِعِ القُدْسِ التي ... طـابـت بـهِ فـي الـحِـلِّ وَالـتَّـرْحَـالِ

بَدْأَ الـمَسِيرَ، وَلَاتَ سِدْرَةُ مُنتهَى ... بَـلْ قَـبْـلَ خَـلْقِ الـعَـرْشِ بـالإِجْـمَـالِ

مـا زَالَ مِـنْ طَـوْرٍ لآخَـرَ يَـرْتَـقـي ... حتى اسْتَوَى بـالـهَـيْكَـلِ الـصَّـلْصَـالِ

فَـجَـرَى تَـنَـاقَـلُهُ الـطَّـهَـارَةُ وَالـصَّـفـا ... مِـنْ آدَمٍ وَإِلـى الـذَّبِـيـحِ الـتَّـالِي

حتى تَـجلَّى مِنْ عُـصَـيْـمَـةِ عِـصْـمَـةٍ ... مَـلِكُ الـوُجُـودِ وَصَـفْـوَةُ الـمُـتَـعَـالِي

فَـتَـقَـبَّـلَـتْ أُمُّ الـقُـرَى مِـنْ أُمِّـهِ ... أُمَّ الـكِـتَـابِ وَنُـسْـخَـةَ الأَشْـكَـالِ

أَهْـلًا بـأَكْـرَمِ نَـازِلٍ نَـزَلَتْ بـهِ الـ ... ـبَـرَكَـاتُ فَـوقَ رَغَـائِبِ الآمَـالِ

أَهْـلًا بِـمَـحْـبُـوبِ الإِلَهِ وَمَـرْحَـبـاً ... بِـمُـبَـارَكِ الأَعْـمَـارِ وَالأَعْـمَـالِ

أَهْـلًا بِـأَحْـمَـدَ حَـيْـثُ كَـانَ مُـحَـمَّـداً ... خَـلْـقـاً وَخُـلْـقـاً فـي هُـدىً وَكَـمَـالِ

(*) العنوان من وضعنا، فقد وردت القصيدة في الأصل المُعتمد بعنوان: (وقال فيه صلى الله عليه وسلم)، وقد حُذفت بكاملها من طبعة وزارة التراث والثقافة.

(١) الأعظام: العُظماء || الأجلال: الأجلّاء.

(٢) جبرال: جبريل؛ وأصلُها عبراني.

أهْلًا بِمَنْ خُلِقَ الوُجُودُ لأَجْلِهِ ... سِرُّ الوُجُودِ وَفاتِحُ الأَقْفَالِ[1]

أهْلًا بِمُغْنِي العَالَمِينَ[2] بِجُودِهِ ... دُنْيا وَأُخْرَى غُنْيَةَ المِفْضَالِ

فَعَلَى يَدَيْهِ حُظُوظُهُم مَقْسُومَةٌ ... حتى السَّعَادَةُ قِسْمَةَ الأَنْفالِ

وَعَطَاؤُهُم مِنهُ عَطاءُ مُبَرِّرٍ[3] ... وَحُقُوقُهُم مِنهُ حُقوقُ عِيَالِ

أهْلًا بِمَنْ نَزَلَ البَسِيطَةَ رَحْمَةً ... فالكُلُّ مِنهُ على يَدٍ وَنَوَالِ

أهْلًا بِمَنْ رَقِبَ الوُجُودُ ظُهُورَهُ ... فَقراً إلى مَعْرُوفِهِ الهَطَّالِ

وَافى مِنَ السَّفَرِ البَعِيدِ فَحَلَّ في الـ ... ـبَيتِ الحَرامِ وَجَاءَ بالإهْلالِ[4]

إنْ حَجَّ مُغْتَمِراً فقد لبَّى لها ... في صُلْبِ إلْياسٍ بِصَوتٍ عَالِ

أهْلًا بِمَنْ لَمَسَ الوُجُودَ بِلُطْفِهِ ... وَشَفاهُ مِنْ مُتَكَاثِفِ الأعْلالِ[5]

أهْلًا بِمَنْ مَسَحَ القُلُوبَ بِنُورِهِ ... فَتَقَدَّسَتْ مِنْ قَسْوَةٍ وَضَلالِ

أهْلًا بِمَنْ جَمَعَ المَعَاجِزَ كُلَّها ... في نَفْسِ مُعْجِزَةِ الكَلامِ العَالِي[6]

بَلْهَ[7] المَعَاجِزَ مِنْ كَلامِ حِجَارةٍ ... وَحَيَاةِ أَجْزَاءِ الرُّفَاتِ البَالِي

بَلْهَ المَعَاجِزَ مِنْ خَرِيرِ المَاءِ مِنْ ... بَينِ الأَصَابِعِ أو زَكَاءِ المَالِ

---

(١) بالإمكان قراءة هذا البيت بطريقة أخرى، لكننا اعتمدنا القراءة التقليدية. وقراءتُهُ، اتِّباعاً لاختيار بعض المُتصَوِّفة، كالتالي:
أهْلًا بِمَنْ خَلَقَ الوُجُودَ لأَجْلِهِ || سِرُّ الوُجُودِ وَفاتِحُ الأَقْفَالِ.

(٢) وكذلك هذا البيت، إنْ استُبدِلَت قراءة: العَالَمِينَ بـ «العَالَمَيْنِ». مُلاحظات كهذه نضعها للتنبيه والتوكيد على انفتاح نَصِّ أبي مُسْلِم على عِدَّةِ قِراءات، وانطِوَائِهِ، في ذات الوقت، على أكثر مِنْ تأويل.

(٣) مُبَرِّر: بمعنى صاحب بِرّ.

(٤) الإهْلال: رفع الصوت بالتلبية للإحرام حجّاً أو عُمْرَة.

(٥) مُتكاثِفِ الأعلال: المتراكم من العِلل والأمراض ـ وردت (شَفاهُ) في الأصل المعتمد: (شكاهُ)، واعْتقدنا بتغييرها لتنسجم مع لُطْفِ اللمْسَةِ التي حظي بها الوُجُود في صَدْرِ البيت. ومع ذلك، لا نعتقد بخُلوّ (شَكاهُ) مِنَ الصِّحَة.

(٦) المَعَاجز: المُعجزات على اختلاف أنواعها ومصادرها || الكلام العالي: القرآن الكريم.

(٧) بَلْهَ: اسمُ فعل بمعنى: دَعْ. يكون ما بعدها منصوباً. ومصدر، ويكون ما بعدها مجروراً. وتأتي بمعنى: كيف، ويكون ما بعدها مرفوعاً.

بَلْهَ المَعَاجِزَ مِنْ كَلامِ الوَحْشِ[1] وَالأ ... نْعَامِ وَالأشْجارِ وَالأَطْفالِ

بَلْهَ المَعَاجِزَ لَيسَ يُحْصِي عَدَّها ... ذِكْرٌ عَلَى الإطْنابِ وَالإيغالِ

بَلْهَ المَعَاجِزَ يومَ أَشْبَعَ جَيْشَهُ ... صَاعٌ[2] وَأَرْوَتْ رَكْوَةُ السَّلْسالِ

بَلْهَ المَعَاجِزَ سَابقاتٍ قَبْلَهُ ... مِنْ غَيرِهِ أو أَعْقَبَتْ في التالي

فَالكُلُّ مُنْتَسِبٌ إليهِ أَصَالَةً ... وَاحْكُمْ على التَّفْصِيلِ وَالإجْمَالِ

وَمَنِ اسْتَقَرَّ لَهُ الأمُورُ كَمَا يَشا ... لا بِدْعَ مِنه خَوَارِقُ الأحْوَالِ

أمْضَى على المَنفُوذِ قُدْرَةَ حَاكِمٍ ... ما شَاءَ كَانَ بِقُدْرَةِ المُتَعَالي

في السَّلبِ وَالإيجَابِ وَالإعْدَامِ وَالإ ... يجَادِ وَالإيثَارِ وَالإقْلالِ

قُلْ ما تَشاءُ وَحَاشَ مَجْدُ اللهِ في ... تَمْجِيدِهِ لا تَقْتَصِرْ في القَالِ

يا سَيِّدَ الرُّسْلِ اسْتَقَرَّ بكَ الرَّجَا ... فانزلْ، فَدَيتكَ، رَاحِمَ النُّزَّالِ

انْزلْ، فَديتكَ، مُرْتَضًى مُتَقَبَّلًا ... بِكَ، مِنكَ، فِيكَ بَشائرُ الإقْبَالِ

انْزِلْ، فَديتكَ، قَيِّماً بالكائنا ... تِ مُسَلَّطاً في القَبْضِ وَالإيصَالِ

انْزِلْ على نُزُلِ المَحَبَّةِ وَالصَّفا ... وَالخُلَّةِ[3] العُظْمَى وَعَرْشِ جَلالِ

انْزِلْ إمَامَ الاسْتِقَامَةِ وَالهُدى ... لِتُقِيمَ شَأْنَ المُعْوَجِ المَيَّالِ

انْزِلْ أبا الأكْوَانِ حَافِظَ شَأنِها ... بِمَقَامِ حِفظِ الليْثِ لِلأشْبَالِ

ما اخْتِيرَ نُورُكَ أن يَكُونَ مُجَسَّداً ... إلّا لِمَظْهَرِ رَحْمَةٍ وَجَمَالِ

سَبَقتْ على غَضَبِ الكَرِيمِ الرَّحْمَةُ الـ ... ـعُظمى، فَكُنتَ وَكُلُّ شَيءٍ تَالِ

ما زِلْتَ في مَلَكُوتِهِ مُسْتَرْسِلًا ... حتى ظَهَرْتَ لِرُتْبَةِ الإرْسَالِ

فَمَعَاهِدُ المَلَكُوتِ مُذ فَارَقْتَها ... أَلِفتْ حَنِينَ الإلْفِ كالمِطْفَالِ

---

(١) الوَحش: ما لا يُستأنس من دَوابّ البَرّ.

(٢) الصّاع: مِكيالٌ تكال به الحُبوب كالبُرّ والقمح والأرز ـ الرَّكْوة: الدَّلْو الصغيرة، والإناء الصغير من الجلد يُشرَبُ فيه الماء/ السلسال.

(٣) الخُلَّة: الصُّحبة الصافية، ومنها: الخليل.

مـا فـي حَـنـيـنِ الـجِـذْعِ أَيُّ غَـرَابَـةٍ ... إنْ حَنَّ مِثلَ الـمُـثْكَلِ الـمِـغْـوَالِ[1]

يـا نُـورَ أوَّلِ قَـبْـضَـةٍ أَزَلِيَّـةٍ ... مـا بِـنتَ عَـنـهُ وَلا الرُّبُـوعُ خَـوَالِ[2]

لـكِـنْ نُـقِـلْتَ إلـى مَـقـامٍ جُـمِّـعَـتْ ... لَكَ فِـيـهِ فَـوقَ الـمُـرْسَـلِـيـنَ مَـعَـالِ

لَكَ حَيثُ كُنتَ وَكَيفَ كُنتَ مَزِيَّةٌ ... أَنْـوَارُهـا لـلأَنْـبـيـاءِ مَـجَـالِ

يـا لـيـلَةَ الـمِـيـلادِ مـا أَظْـهَـرْتِ مِـنْ ... مَـجْـدٍ وَمَـا أَبْـرَزْتِ مِـنْ إجْـلالِ

أَشْـفَـرْتِ مِـنْ نُـورِ الـنَّـبِـي مُـحَـمَّـدٍ ... وَمَـحَـوتِ آيَـةَ لَـيـلِ كُـلِّ ضَـلالِ

فَـفَـضُـلْتِ حـتـى لَـيـلَةَ الـقَـدْرِ الـتـي ... هـي لـلـكـتـابِ مَـظِـنَّـةُ[3] الإنْـزَالِ

وكُـسِـيـتِ مِـنْ حُـلَلِ الـبَـهَـاءِ كَـرَامَـةً ... لـلـمُـصْـطَـفـى مـا لَـمْ تَـنَـلْهُ بِـحَـالِ

سُـدْتِ الـزَّمَـانَ وَكُـنـتِ فِـيـهِ غُـرَّةً ... حـتـى الـلـيـالـي سَـادَهُـنَّ لَـيَـالِ[4]

بُـشْـرَى لأُمَّـتِـهِ حَـبَـاهـا جَـاهُـهُ ... شَـرفـاً عـلـى مُـتـقَـدِّمِ الأجْـيـالِ

وَبِـذِكْـرِهـا الـمَـحْـمـودِ فـي كُـتُـبِ الـسَّـمـا ... وَطَـهـارَةِ الأخـلاقِ وَالأعـمَـالِ

وبِـدِيـنِـهـا الـسَّـهـلِ الـحَـنـيـفِ وَكَـوْنِـهـا ... مـا حُـمِّـلَـتْ إصْـراً مِـنَ الأَحْـمَـالِ

وَبِـبَـعْـثِـهِـم بِـوُضُـوئِـهِـم أَنْـوَارُهُـم ... غُـرَرٌ وَفـوقَ مَـواضِـعِ الأحْـجَـالِ

وَبِـأَنَّـهـا الـوَسَـطُ الـسَّـوَاءُ الـعَـدْلُ فـي الـ ... ـنِّـيـات وَالأقـوالِ وَالأفـعـالِ

وَلَـهـا الـخَـصَـائِـصُ كـالـشَّـهَـادَةِ وَالـشَّـفـا ... عَـةِ بَـعـدَهُ وَالـفَـيءِ والأنـفـالِ

وَبِـأَنَّ عَـالِـمَـهـا الـتَّـقِـي مُـشَـبَّـهٌ ... بـالأنـبـيـا فـي الـهَـدْيِ وَالإيـصَـالِ

---

(١) يُروى أن الرسول كان يخطب خطبة الجمعة متكئاً على جذع نخلة، فلما بُني المنبر بكى الجذع لفراقه فنزل الرسول من منبره وضم الجذع مهدهداً إياه كالطفل.

(٢) بِنْتَ: فارقتَ، ويقصد الجذع سابق الذكر والرُّبوع التي لم تخلُ منه رغم ارتفاعه إلى [البيت التالي] مقام جُمعت له فيه المعالي، دون المرسلين الآخرين، لأنه وحده نور القبضة الأزلية، وفي هذا تصوير شعري أخاذ في الإعلاء من مقام ممدوحه محمد (ص).

(٣) مَظِنَّةُ الشيء: موضعه ومألَفُهُ الذي يُظنُّ كونُهُ فيه، جمعها: مَظَانّ.

(٤) في هذا البيت تصوير شعري جماله مُضمر، فالشاعر لا يقصد أن الليالي سادتهن ليال لشدة سطوع ليلة الميلاد التي كانت غُرّة الزمان؛ بل قصد انتشاء الليالي الأخرى بليلة الميلاد، وليال ـ إن راق لنا التأويل حسب مرجعيات المُتصَرِّفة ـ جَمعٌ لـ (ليلى الخمر): وهي نشوتها وبدء سُكرها.

وبأنها مَرْحُومَةٌ بِنَبِيِّها ... مِنْ أَخْذِها بالخَسْفِ وَالزِّلْزالِ

يا وِجْهَةَ الأَكْوَانِ جَاهُكَ عِصْمَتي ... وَبِهِ البَيَاذِي حَينَ ضَاقَ مَجَالي

يا مُصْطفى اللهِ العَظيمِ انْظُرْ إلى ... أَمَلي، وَلا تَنْظُرْ إلى أَعْمَالي

وَافيتُ بَابَكَ بالخَطايا رَاجِياً ... حَطَّ الذي أَوْعَيتُ مِنْ أَثْقالي

مُسْتَشْعِراً حَقَّ اليَقينِ بأَنَّ مَنْ ... وَافاكَ لم يَرْجِعْ بغيرِ نَوَالِ

مَوْلاي: آمَالي إليكَ جَليلةٌ ... وَشَكِيَّتِي ذَنْبي وَرِقَّةُ حَالي

مَوْلاي: مالي غَيرُ بَابكَ وِجْهَةٌ ... فإليكَ في حَاجِي[1] أَحُطُّ رِحَالي

مولاي: أَوْحَشَنِي اقْتِرَافٌ هائلٌ ... وَعَظيمُ جَاهِكَ دَافِعُ الأَهْوَالِ

مَوْلاي: ضَاقَ بيَ الفَسِيحُ خَصَاصةً ... وَإليكَ رَفعُ يَدِي وَبَسْطُ سُؤالي

مَوْلاي: عَفْوُ اللهِ أَسْنَى مَقْصِدِي ... وَبكَ الوَسِيلَةُ لا حَمِيدُ فِعَالي

مَوْلاي: لم أَحْمَدْ لِنَفسِي خَلَّةً ... لا شيءَ إلّا ما يَشِينُ خِلالِي

مَوْلاي: عِشتُ على المَعَاصِي غافلًا ... بِيَدِ الهَوَى عَمَّا إليهِ مَآلي

مَوْلاي: إنْ أَحْمَدْ لِسَعْيي ذرَّةً ... فهو الرَّجَاءُ بِهِ عَقدْتُ حِبَالي

مَوْلاي: لَستُ على حِقيقةِ صَالحٍ ... إنْ عِشتُ بَينَ هَوَايَ في اسْتِرْسَالِ

مَوْلاي: تُبْتُ مَتابَ عَزْمِ إِنَابَةٍ ... بِنَدَامَةٍ قَطَعَتْ عُرَى أَوْصَالي

مَوْلاي: قَدْرُكَ لا يَضِيقُ بِحَالتي ... وَعَظيمُ جَاهكَ طَالَ كُلَّ مَطَالِ

مَوْلاي: فاشْفعْ لي وَأَنتَ زَعِيمُها ... قَبلَ النِّكَالِ، وَلَاتَ حِينَ مَزَالِ

مَوْلاي: وَانْظُرْ في خَصَائِصِ فَاقتِي ... إنِّي اعْتَمَدْتُ عَليكَ في أَحْوَالي

مَوْلاي: أَعْيَتْنِي حَوَادِثُ جَمَّةٌ ... ما لِلحَوَادِثِ، ما لَهُنَّ وَمَالِي

مَوْلاي أَدْرِكْنِي وَحُلَّ عُقودَها ... إنِّي على دَاءٍ بِهِنَّ عُضَالِ

أَيْقَنتُ أَنكَ يا رَسُولَ اللهِ إنْ ... تَفرُغْ لَهَا ذَهَبَتْ كَطَيفِ خَيَالِ

وَمِنَ الحَقائِقِ أنَّ جَاهَكَ شَامِلٌ ... دُنيا وَأُخْرَى مُطْلَقَ الآمَالِ

---

(١) حاجي: حاجتي.

وَمِنَ الحَقائِقِ أنَّ جُودَكَ كَافِلٌ ... بِجَوَامِعِ الخَيرَاتِ وَالأفضَالِ

وَمِنَ الحَقائِقِ أنَّ بَعْثَكَ رَحْمَةٌ ... لِلعَالَمِينَ مُحبِّهِم وَالقَالِي

أَلْفِتْ حَبِيبَ اللهِ نَحو مَطَالِبِي ... نَظَرَ الرَّحِيمِ وَرَأفَةَ المِفْضَالِ

وَاسْأَلْ ليَ الغُفْرَانَ مِنْ رَبِّي فقد ... أذْنَبتُ في الأَفعَالِ وَالأَقوالِ

وَانْظُرْ لأمَّتِكَ الضَّعِيفةِ إنها ... أضْحَتْ مَصِيدَ الذِّيبِ وَالرِّيبَالِ

دَامَتْ عَلَيكَ صَلاةُ رَبِّكَ، وَالسَّلا ... مُ مُبَارَكاً أَبَداً وَكُلّ الآلِ[1]

---

(١) في هذا المقام اختص النبي بصلاة الرَّبّ، إذ لم يقل كعادته في مواضع أخرى: دامت عليك صَلاةُ رَبِّي، بل: دامت عليك صَلاةُ رَبِّكَ.

القلائد الدُّريَّة
في مدح خير البَريَّة(*)

أشَمسٌ أضَاءَتْ أَمْ سَنا وَجْهِ عَزَّةِ ... وَلَيلٌ سَجَى أم حَالِكَ الفودِ أَبْلَدَتِ

بَريقُ الثنايا لاحَ أم بَرْقُ عَارِضٍ ... فَهيَّجَ بَلْبالي وَشَوقِي وَلَوْعَتي

تَمَنيتُ مِنْ دَهْرِي أَفوزُ بِنَظْرةٍ ... إليها، فَهَلْ لِي أَنْ أَفُوزَ بِمُنيَتي

ثَبتُّ على صِدقِ الوِدَادِ فما انْثنتْ ... وَلَكِنَّها شَحَّتْ عَلَيَّ بِمُهْجَتِي

جَرَى جُودُ دَمْعِي يَومَ جدَّتْ[1] جِمَالُها ... فَجدَّدتُ صَبْراً عِندَ ذاكَ لِمِحْنتِي

حَلا حَيُّهَا فِي خَاطِرِي مِثل ما حلا ... ضَرِيبٌ لِظَمْآنٍ، وَإنْ هِيَ وَلَّتِ[2]

خَرُودٌ مَيُودٌ طَرْفُها طَرْفُ جُؤذَرٍ ... بِهِ سَلَبَت قَلْبَ الحَلِيمِ وَتَبَّتِ[3]

دَمِي سَفَكَتْ هَدْراً وَفي حُكْمِ وُدِّها ... حَلالٌ لها سَفْكُ الدَّمَا إنْ تَجلَّتِ

(*) وردت في الأصل المُعتمد بعنوان: (وقال فيه صلى الله عليه وسلم)، وكسابقتها حُذفت من طبعة وزارة التراث والثقافة. إشارة: يُلاحظ أن أبيات هذه القصيدة من الأول حتى السابع والثلاثين قد رتبت تسلسلًا وفق حروف المعجم: ا، ب، ت، ث، ج، ح، خ، د، ذ، ر إلخ

(١) جدّت: أسرعت في مسيرها.

(٢) في الأصل المُعتمد، وردت: حَلا حَيُها، أي الحَيّ الذي أقامت به؛ وهو ما نميلُ إليه رغم أن بعض الشرّاح اعتبروها خطأ مطبعياً وصَوَّبوا الجُملة لتصير: «حَلا حُبُها» || ضَرِيب: اللبن المَخلوب من نُوق مختلفة في إناء واحد.

(٣) الخرود: البِكْر العذراء ذات الحياء || الميود: المتثنية المتمايلة كالخيزران في مشيتها || الجُؤذر: وليد المَها أو البقر الوحشي ـ تبّت: قطعت.

ذَهَبتُ بها عُجْباً وَتِيهاً كَمَا بِها ... شَذا جِسْمِها يزْرِي عَلَى مِسْكِ تَبَّتِ[1]

رَعَى اللهُ أيام الغَضَارَةِ[2] وَالصِّبَا ... رَعَيْتُ بها وَصْلًا إلى أنْ تَقَضَّتِ

زَمانٌ زَهَتْ فِيهِ أَزَاهِيرُ زَهْرَةِ ... الشَّبَابِ، وَحُبِّي لا يَعِزُّ بِزَوْرَةِ

سَلامٌ على دَهْرٍ مَضَى بِسُلافَةِ[3] الـ ... ـسُّرُورِ، وَسَهْلًا بَعدَ ذَاكَ بِشِدَّةِ[4]

شَدَائِدُ مِثلُ الشَّرْيِ[5] طَعْماً تَتابَعتْ ... عَليَّ، وَشَأْنِي الصَّبْرُ في كُلِّ نَوْبَةِ

صُرُوفُ الليالي صَيَّرَتْ في حَشاشَتِي ... قَصِيرَ قِبَالٍ؛ فابْصُرُوا أَيَّ صِرْفَةِ[6]

ضَنِيتُ ضَنىً لمّا ضَرِيتُ[7] بِحبِّهِم ... وَضَنُّوا بِوَصْلٍ وَاقْتَلَتُّ بِعَضَّةِ

---

(١) مِسك تبّتْ: يُنتجُ طِيبَ المسك أيّلُ المِسْك، وهو حيوان شبيه بالغزال خوّافٌ سريع الهرب يسعى لطلب طعامه ليلًا ولذلك يصعب اصطياده. يقطن جبال الهيمالايا وتمتد مساكنه من سيبيريا إلى الشمال الغربي من الصين وأواسط آسيا. أجود أنواع المسك هو الوارد من الصّين والتِّبيت TIBET ويليه في الجودة ذلك المستورد من مملكة النيبال. ويبدو أن العرب القدامى كانوا يستوردون أجوده عبر طريق الحرير من أعالي التِّبيت. وهو يتواجد في كيس جلدي يبلغ حجم البرتقالة في بطن الأيّل يُسمى بما فيه من مسك: فأرَة المسك. والجيد منه قاتم اللون مُرُّ المذاق لا تُحمَدُ رائحة المُركّز منه، لكنه إذا خُفِّفَ تركيزه فاح برائحته الزكيّة.

(٢) الغضارة: النعمة وَسِعَة العَيش. ولسبب نجهله؛ حُرِّفت في مصدر آخر لتصير: النضارة، رغم أن في إتّباع الغضارة [النعمة] بمفردة (الصِّبا) بيّنة ودليل لعدم حاجة الشاعر لاستخدام مفردتين تذهبان إلى ذات المعنى، فالصبا والنضارة أقرب إلى الترادف في المعنى من التنافر، في حين أنه أراد جمع الحُسنيين: سِعَة العَيش وَشَبابه.

(٣) السُّلافة: من الخمر أَخْلَصُها وأَفْضَلُها، وذلك إذا تَحَلَّب من العنب بلا عَصْرٍ ولا مَرْثٍ، وكذلك من التمر والزبيب ما لم يُعَدْ عليه الماء بعد تَحَلُّب أوّله. [لسبب لا نجهله؛ حُرِّفَ معناها في المصدر المشار إليه، ليصير معنى السُّلافة: المَذاق الحُلو!].

(٤) بعد أن سلم على دهر مضى بسُلافة السرور، يُضمِر لازمة التحية الأولى: أهلًا، لتستمرَّ تحيّته الواجبة (ولكن المَنقوصة) في النصف الثاني من مُتلازِمَتي التحية: وسَهْلًا بعد ذاك بشِدّةٍ لم تلبث أن تضاعفت بمجرد انتقال القارئ إلى شدائد في البيت التالي. واللافت هو انتقاله من شدة واحدة في نهاية بيته هذا إلى شدائد مُرّة يفتتح بحنظلها بيته اللاحق تعبيراً عن تعاظمها في فترة أقصر من قصر انتقال عين القارئ من نهاية بيت إلى بداية الذي يليه.

(٥) الشَّري: الحنظل، وهو نبات معروف بشدة مرارته.

(٦) قَصِيرَ قِبَال: سَيِّئَ رَأْي.

(٧) ضريت: تعوّدت وتولّعت، وهي مفردة شائعة الاستخدام في الدارج العُماني.

طَبيبي وَمَطْلُوبي وَطِبّي وَطِيبَتِي ... وَمُعْتَمَدِي في الأَمْرِ سَاكِنُ طِيبَةِ[1]

ظَمِئْتُ إلى ما بَينَ أَظْلالِ يَثْرِبٍ ... فيا لَيتها كانَتْ مَدَى الدَّهْرِ ظَلَّتِي[2]

عَلِيلٌ وَمَا بي عِلَّةٌ غَيرَ أَنَّني ... سُلوكِيَ حُبَّ المُصْطَفى صَارَ عِلَّتي

غَلِيلٌ غَلِيلٌ غَالَني حُبُّ أَحْمَدٍ ... فما حِيلَتي أنْ لا أَمُوتَ بِغُلَّتِي

فليتَ فَنائِي كَانَ فِي فَيءِ طِيبَةٍ ... إذا فَاهَ فُوهُ القَبْرِ فُهْتُ بِلَهْفَتِي

قَتلتُ قَتِيلَ العَذْلِ في دَارِ حُبِّهِ ... وَقُلْتُ لِقلْبي: اقْبَلْ، وَكِبْدِي: تَفتَّتِ

كَمالُ جَمالِ المُصْطفى وَبَهَاؤُهُ ... إليهِ دَنَتْ شُهْبُ السَّمَا وَتَدَلَّتِ

لهُ مِنْ خَفِيَّاتِ العُلُومِ جَلِيَّةٌ ... خَبَتْ دُونَها أَفْكَارُ أَهْلِ الحَقِيقَةِ

مَلائِكةُ المَولى حَمَتهُ، وَفَخْرُهُ ... مَلا وَاعْتلى فَوقَ الطِّباقِ الرَّفِيعةِ

نَفى دِينَ أهلِ الشِّرْكِ نُورُ مُحَمَّدٍ ... وَأَصْبَحَ دِينُ اللهِ في أَيِّ بَهْجَةِ

وَأَشْبَعَ يَومَ الخَندَقِ الناسَ كُلَّهُم ... مِنَ البُرْمَةِ الصَّفرَاءِ لَحْماً بِتَفْلَةِ[3]

هَمَتْ يَومَ حَلَّ الغِلُّ في الصَّحْبِ كَفُّهُ ... يَنابيعَ سَلْسَالٍ مِنَ المَاءِ أَرْوَتِ[4]

لآلِئُ دُرٍّ وَسْطَ فِيهِ تَلألأتْ ... وَمِنْ ضَرَبٍ تِلكَ المَناسِمُ عَلَّتِ[5]

يَلُوحُ مُحيَّاهُ البَهِيُّ فَتَستَحِي ... لَهُ الشَّمْسُ مِنْ نُورٍ بأنوارِ غُرَّةِ

أتتْ نَحْوَهُ الأملاكُ[6] مِنْ أَمْرِ رَبِّهِ ... وَمَا كَانَ أَمْرُ اللهِ إلّا لِرَحْمَةِ

---

(١) بعد استهلاله الغزلي البديع في الأبيات السابقة يبدأ في ذكر طبه وطبيبه ومطلوبه وطِيبته ـ محبوبه ساكن طِيبة؛ وهو لقب للمدينة المُنورة.

(٢) ظَلّتي: من الظِّلّة/الظُّل؛ وهي مفردة صميمة في اللهجة العمانية، وأبو مُسلم يتسقط هكذا مفردات عن وَعْي، ويُعيد إنتاج فصاحتها المنسيّة في مَتنِ المَتنِ من قاموسه الشعري.

(٣) تلميح: يُشير إلى المجاعة التي أصابت المسلمين وقت الخندق جرّاء الحصار، حين أخذ النبي (ص) قليل طعام ونَفَلَ فيه، فجعل الله البركة تحلُّ فيه، فكفى المسلمين وأشبعهم، حسبما ورد في السِّيَر.

(٤) تلميح: ومن معاجزه أيضاً (ص)، إرواء جيش المُسلمين في إحدى غزواتهم وقد شَحَّ خزينُهُم من الماء المتوافر.

(٥) الضَّرَب: العسل الأبيض الغليظ، القطعة منه: ضَرَبَة || عَلَّت: شربت وارتوت.

(٦) الأملاك: الملائكة.

بِطَسْتٍ مُلِي حِكْماً وَنُوراً فَأَبْقَرَتْ ... عَنِ القَلْبِ حتى أَفْعَمَتهُ بِحِكْمَةِ[1]

تَبَاهَتْ بِذاكَ النُّورِ مِشْكَاةُ قَلْبِهِ ... فَأَشْرَقَ مِنهُ ظَاهِرُ البَشَرِيَّةِ

ثَمَالُ اليَتَامَى وَالأَرَامِلِ مُثْمِلٌ ... إذا عَضَّ نَابُ الدَّهرِ وَالقَومُ ثُلَّتِ

جَبابرَةُ الأَمْصَارِ خَرَّتْ وَنُكِّسَتْ ... لِطَلْعَتِهِ الأَصْنَامُ تَخْتَ الأَسِرَّةِ

حَلِيمٌ عَنِ الزَّلاتِ غَيرُ مُعَاقِبٍ ... على الحَوبِ إلّا بالتَّرَفُّقِ وَالتي . .

خَلائِقُهُ مَعْشُوقَةٌ وفِعالُهُ الـ ... ـحَمِيدَةُ عَزَّتْ أَنْ تُدَانى وَجَلَّتِ

وَقد كانَ في مَبدَاهُ يَعْتَزِلُ الوَرَى ... وَيَطْوِي ثلاثاً لا يَهُمُّ بِشَهْوَةِ[2]

وَكانَ أَمِيناً في قُرَيشٍ مُحَبَّباً ... إليها بِصِدقِ الوَعْدِ قَبلَ النُّبوَّةِ

إلى أَنْ أتى جِبْرِيلُ بالحَقِّ مِنْ لَدَى ... الإلهِ وَنَالَ الجهدُ مِنهُ بِغَطَّةِ[3]

فقالَ له: «اقرَأْ» قال: ما أنا قَارِىءٌ ... فقال له: «اقرأ باسْمِ رَبِّكَ» وَأَثْبَتِ

وقمْ وادْعُ واصْدَعْ بالذي جَاءَ في الوَرَى ... وَلا تَبْتَئِسْ وَاصْبِرْ على كُلِّ نَكْبَةِ

فلما دَعَاها لِلإلَهِ وَأُزْهِقَتْ ... أَباطِيلُها وَابْلَوْلَجَ الحَقُّ وَلَّتِ

وَأَغْرَتْ بِهِ صِبْيانَها وَعَبِيدَها ... فكم خَضَّبُوهُ بالدِّما فَوقَ وَجْنَةِ

وَقالتْ: أَمَجْنُونٌ يُرِيدُ يَصُدَّنا[4] ... عَنِ اللاتِ وَالعُزَّى وَلم تَتَلَفَّتِ

فلما أرادَ اللهُ إبْرَازَ شَمْسِهِ ... أتى الوَحْيُ: أَنْ قُمْ وَاشْحَذِ السَّيفَ وَاصْلتِ

وَجَاهِدْهُمُ تُنصَرْ عَلَيهِم بِحَوْلِنا ... وَبَدِّدْهُمُ في كُلِّ صَحْرَاءَ أَصْمَتِ

فَكَمْ أَدْهَمَتهُم غَارَةٌ أَحْمَدِيَّةٌ ... فَجُندِلَ فيها مِنهُمُ كُلُّ عُتْعُتِ[5]

كأَنَّ عَليهِم في العَرِيكَةِ بَعْدَما ... سَقاهُم كُؤوسَ المَوتِ مِنْ صَبْغِ قُرَّةِ[6]

---

(١) طسْت: إناء || أبقرت: شقت || أفعمته: مَلأهُ وأتمّ مَلأه. يشير، هنا، إلى حادثة شق الصَّدر والملكين اللذين شقا صدر النبي صغيراً في البادية وملآهُ معرفة وحِكْمة.

(٢) يطوي ثلاثاً: يجوع ثلاثة أيام.

(٣) إشارة: أي ضَمَّهُ إلى صدره حتى أجهَدَه.

(٤) يُريدُ يَصُدَّنا: أنْ محذوفة، فالأصل: يُريدُ أن يَصُدَّنا، ونُقرأ أيضاً: يَصُدُّنا.

(٥) عتعت: طويل القامة شديد البأس.

(٦) صبغ قوة: صبغة الدم.

مُخَرْدَلَةٌ أَشْلاؤُهُم بِسِيُوفِهِ ... أُتيحُوا قِرًى للوَحْشِ في كُلِّ عِضْمَةِ

فَأَضْحَى رَسولُ اللهِ في أيِّ عِزَةٍ ... عَلَيهِم، وَأَهْلُ الشِّرْكِ في أَيِّ مَحْوَةِ

وَعُصْبَةُ سُوءٍ كَذَّبُوهُ وَقَد أَتَى ... بِكُتْبِهِمُ في كُلِّ آيٍ وَسُورَةِ[1]

وَبَشَّرَهُم عِيسَى المَسِيحُ وَقَبلَهُ ... بِتَوْرَاتِهِ مُوسَى، فَحَادَتْ وَضَلَّتِ

وَما تُنْكَرُ الخُفَّاشُ إنْ هِيَ أَغْمَضَتْ ... عَنِ الشَّمْسِ، في وَسْطِ النَّهَارِ، وَغَضَّتِ

وَكَم مُعْجِزاتٍ لِلنَّبِيِّ عَظِيمَةٍ ... لها تَسْجُدُ الأَذْقَانُ فِي كُلِّ بُقعَةِ

وَما أعظَمَ القرآنَ مُعجِزَةً لَهُ ... شَوَاهِدُهُ في كُلِّ آيٍ جَلِيَّةِ

ضِياءٌ إذا ما دَلْهَمَتْ كُلُّ ظُلْمَةٍ ... شِفاءٌ إذا ما أَعْضَلَتْ كُلُّ عِلَّةِ

وَما أَحْمَدٌ في الرُّسْلِ إلّا يَتِيمَةٌ ... بِعِقْدٍ فما في العَيْنِ غَيرُ اليَتِيمَةِ

وَما الرُّسْلُ إلّا كَالكَوَاكِبِ في السَّما ... وَأَحْمَدُ شَمْسٌ حِينَ جَاءَ اسْتَسَرَّتِ

لَهُ الشَّرَفُ الأعلى وَجُلِّيَةُ العُلَى ... وَرُتْبَتُهُ تَعْلُو عَلى كُلِّ رُتْبَةِ

وَكَم قد أتى مِنْ خَارِقَاتِ عَوَائِدٍ ... وَبَاهِرِ آياتٍ وَرَدَّ بَلِيَّةِ

أتى نَحْوَهُ آتٍ بِسَاقٍ كَسِيرَةٍ ... فَأَبْرَأَها مِنهُ بِأَكْرَمِ مَسْحَةِ

وَرَدَّ على بَعضِ الصَّحَابَةِ عَينَهُ ... وَقد دُخِشَتْ بالرُّمْحِ أَعْظَمَ دَخْشَةِ

تَوَضَّأَ في بِئرٍ فأَغْزَرَ مَاؤُها ... وَلَم تَكُ، قَبلًا، قَطُّ تَندَى بِقَطْرَةِ

وَجَاءَ بَعِيرٌ نَحْوَهُ يَشْتَكِي لَهُ ... العَياءَ وَتَنْكِيداً لَهُ في العُلُوفَةِ

وَمَرَّ على بَعضِ المِياهِ بِمَزْأَةٍ ... لَدَيْهَا صَبِيٌّ ذُو اعْتِرَاءٍ بِجِنَّةِ

فَألقى على المَجْنونِ كَفاً كَرِيمَةً ... بها خَرَجَ الجِنِّيُّ مِنْ بَعدِ ثَغَّةِ[2]

وَكَم شَجَرَاتٍ قد أَتَتْهُ فَسَلَّمَتْ ... عَلَيهِ، وَحَيَّتهُ بِأَزْكَى تَحِيَّةِ

وَفِيما رَآهُ الناسُ في الزَّبَرْقَانِ مِنْ ... تَشَقُّقِهِ مِنْ أَكْبَرِيَّةِ حُجَّةِ

وَظَلَّلَتِ الصَّهْبَا عَلَيهِ وَبَرَّدَتْ ... لَهِيبَ هَجِيرٍ عِندَ وَقْتِ الظَّهِيرَةِ

---

(١) إشارة إلى اليهود.

(٢) الثُّغَة: الفَيء.

وَرَاوَدَهُ شُمُّ الجِبَالِ فَآنَسَتْ ... نِفاراً بِتَخْوِيلٍ لِتِبرٍ وَفِضَّةِ
وَسَمَّتْ لَهُ لَحْمَ الذِّراعِ عَدُوَّةٌ ... فَأَخْبَرَهُ نُطْقاً بِمَا فِيهِ دَسَّتِ
وَما لَيْلَةُ الإِسْرَاءِ عَنْكَ خَفِيَّةٌ ... أَتَاهُ أَمِينُ اللهِ فِي بَطْنِ مَكَّةِ
فَأَرْكَبَهُ ظَهْرَ البُرَاقِ وَلَم تَكُنْ ... لِغَيرِ رَسُولِ اللهِ أَوْطَى رَكُوبَةِ
فَأَعْلَى بِهِ السَّبعَ الطِّبَاقَ فَمَا انْتَهَى ... سُرَاهُ بِهِ حَتى انْتَهَى تَحْتَ سِدْرَةِ
وَشَاهَدَ أَنْوَارَ الجَلالِ بِعَينِهِ ... وَأَثْبَتَ جِبرَائِيلُ أَوْضَحَ رُؤْيَةِ
فَمَا زَاغَ مِنْ تِلكَ البَوَاهِرِ جَأْشُهُ ... وَلَكِنَّهُ مُسْتَوْطِنٌ لِلأُلُوكَةِ
وَأَوْعَبَهُ الرَّحمَنُ فَيضَ مَعارِفٍ ... وَأَوْحَى إِلَيهِ مَا أَرَادَ بِقُدْرَةِ
وَطِيفَ بِهِ الجَنَّاتِ بَينَ قُصُورِها ... فَشَاهَدَ ما في الخُلْدِ مِنْ كُلِّ لَذَّةِ
وَطَافَ بِأَقْطَارِ السَّمواتِ كُلِّها ... وَأَبْصَرَ ما في الكَونِ مِنْ كُلِّ آيَةِ
وَمَنْ لِي بِأَنْ أُحْصِي مَعَاجِزَ أَحْمَدٍ ... تَقَاصَرَتِ الأَفْهَامُ عَنْها وَكَلَّتِ
وَما يَأْخُذُ المِدَّاحُ مِنْ وَصْفِ أَحْمَدٍ ... كما يَأْخُذُ المِنقارُ مِنْ وَسْطِ لُجَّةِ
تَأَدَّبْ بِجَنْبِ اللهِ عَنْ قَولِ رُؤْيَةٍ ... وَقُلْ ما تَشا مِنْ مَدْحِ خَيرِ البَرِيَّةِ
فَذاكَ اعْتِقادُ المُبْطِلِينَ بِرَبِّهِم ... وَما قَولُهُم في ذِلكُمْ غَيرِ رِيبَةِ
تَنَزَّهَ مَولانا، وَلَيسَ اعْتِقادُنا ... اعْتِقادَ افْتِرَاءٍ مِن حُلُولٍ وَرُؤْيَةِ
فَما في كِتابِ اللهِ أَنَّ مُحَمَّداً ... رَأى رَبَّهُ بِالعَينِ أَكْمَلَ نَظْرَةِ
وَلكِنَّ آياتِ القُرانِ بِغَيرِ ذا ... شَوَاهِدُهُ طُراً عَلى الأَفْضَلِيَّةِ
فَما مِنْ خَلِيلِ اللهِ يُرْجَى وَلا مِنَ ... الكَلِيمِ وَلا عِيسَى قُبُولُ الوَسِيلَةِ
بِيَومٍ يَقومُ النَاسُ فِيهِ لِرَبِّهِم ... وَلكِنها مِنْ ذِي الخِلالِ الكَرِيمَةِ
وَلَيسَ لَهُم حَوْضٌ وَلَيسَ لَهُم لِوَا ... وَلَيسَ بِأَيْدِيهِم مَفاتِيحُ جَنَّةِ
وَما أُرْسِلوا إِلّا إِلى الإِنْسِ وَحْدَهُم ... وَأَحْمَدُ مَبْعُوثٌ لإِنسٍ وَجِنَّةِ
شَرَائِعُهُم مُسْتَضْعَبَاتٌ عَظِيمَةٌ ... وَأَحْمَدُ مَبْعُوثٌ بِسَهْلِ شَرِيعَةِ
وَما قَومُهُم بِالشَّاهِدِينَ على الوَرَى ... وَلكِنَّ قَومَ المُصْطَفى خَيرُ أُمَّةِ
لَهُمْ شَهِدَ القُرْآنُ فَاعْظِم بِشَاهِدٍ ... بِأَنهُمُ أَشْهَادُ يَومٍ عَظِيمَةِ

تَـرَاهُـم إذا مـا الـلـيـلُ أظـلـمَ رُكَّـعـاً ... وَأَكْـبَـادُهُـم مِـنْ خَـشْـيـةٍ فـي تَـفـتُّـتِ

إذا بَـرَزوا بِـالـسِّـلْمِ عِـنـدَ نَـبـيِّـهِـم ... تَـخَـالُ شُـمُـوسـاً أو بُـدُورَ تَـتِـمَّـةِ

وَإنْ كَـشَّـرُوا لـلـحَـرْبِ خِـلتَ عَـوابِـساً ... مِـنَ الأُسْـدِ وَالأَعْـدَا أَذلَّ فَـرِيـسَـةِ

وَإنْ وُهِـبُـوا مَـنّـا أَنَـالُوا بِـمَـا بِـهِ ... غِنَى لِجَمِيعِ النَاسِ مِنْ جُودِ مُزْنَةِ

وِضَاءُ[1] وُجُوهٍ كَالبُرُوقِ ابْتِسَامُهُم ... أُنُوفُـهُـمُ مِـثْـلُ السُّـيُـوفِ الـصَّـقِـيـلَةِ

وَلو طَفِقَ المُدَّاحُ في نَشْرِ وَصْفِهِم ... لما بَلَغُوا مِعْشَارَ عُشْرِ المَدِيحَةِ[2]

أَتَـيـتُ رَسُـولَ اللهِ مَـدْحـاً لِشَـأْنِـكُـم ... وَجُـهْـدِيَ هَـذا، فَـاعْـذُرُوا فَـوْقَ قُـدْرَةِ

وإنِّـيَ قـد أَقْـرَرْتُ أنِّـي مُـقـصِّـرٌ ... بِـشَـأنِـكَ مَـدْحـاً فـاعْـفُ عَـنِّـي لِزَلَّـتِـي

أَتَـيـتُ ذُنُـوبـاً أَبْـعَـدَتْـنِـي بِـفِـعْـلِـهـا ... عَـنِ اللهِ فَـاسْـتَـوْحَـشْـتُ عَـنْـهُ بِـنُـفْـرَةِ

فَضَاقَتْ بيَ الدنيا وَضَاقَتْ مَسَالِكِي ... بِـهَـا فَـجَـفـانِـي، عِـنـدَ ذاكَ، أَخِـلَّـتِـي

وَأَنـتَ رَسُـولُ اللهِ خَـيـرُ مُـشَـفَّـعٍ ... جَـعَـلْـتُـكَ فـي دَفْـعِ الـبَـلاءِ ذريـعَـتِـي

وَيَـا رَبِّ عَـبْـدٌ آبِـقٌ هُـوَ رَاجِـعٌ ... إلَيكَ، فَـخُذْ بالعَفْوِ لِي عَنْ جَرِيرَتِي

بِـحُـرْمَـةِ مَـنْ أَسْـهَـرْتُ عَـيْـنـي لِشَـأْنِـهِ ... فَـأَبْـدَيـتُ مـا قَـدَّرْتَـهُ مِـنْ قَـصِـيـدَتِـي[3]

وَصَـلِّ عَـلَـيْـهِ يـا إلَهِـيَ مـا شَـدَا ... هَـزَارٌ بِـتَـغْـرِيـدٍ عَـلَـى غُـصْـنِ أَيْـكَـةِ[4]

وَسَـلِّـم عَـلَـيْـهِ ثُـم بَـارِكْ وَآلِهِ ... وَصَـحْـبٍ أُولِي بِـرٍّ وَأَتْـبَـاعِ سُـنَّـةِ

---

(١) وِضَاء وأوضِياء: جمعٌ لـ وَضيء؛ حَسُنَ وجَمُلَ وجهه.

(٢) إشارة توضيحية: لا يترك أبو مُسلم شاردة عِلم أو واردة، ففي تعبيره: مِعشار العُشر مُبالغة رقمية في تصغير مِقدار المِدحة قياساً إلى مقام المَمْدُوح!

(٣) استِملاح: في البيت السابق يطلب العفو عن آثامه، وفي هذا البيت يستنجد بحُرمة النبي الذي أسهر عينيه لشأنه ليُبدي ويُظهر ما قدَّرَهُ الله من إبداع في قصيدته؛ وفي هذا اعترافٌ ضمني بإعلائه الشخصي من شأن مُبْتَدَعِه ـ إن استعرنا قاموسه ـ لكنهُ، في آخر المطاف، يُجيلُ تمتُّعَهُ بمَلَكَةِ الإبداع إلى قدرة الخالق عز وجل.

(٤) الهَزار: طائر حسن الصوت. [فارسيٌّ مُعَرَّب]، ويقالُ له: هَزارْ دَسْتانْ؛ لقدرته على غناء عدة ألحان.

نَسَبُ الرَّسُول(*)

نَسَبٌ صَانَهُ الجَمالُ الإلـ ـهِيُّ لِسِرٍّ بِهِ عَلَيْهِ انْطِوَاءُ
مَسَحَتْ بالزَّكَا عَلَيهِ يَدُ اللهِ فلا بِدْعَ مِنْهُ ذاكَ الزَّكَاءُ
لم تُشَنِّعْ أُمٌّ بِلؤْمٍ وَفُحْشٍ لا، وَلا شُنِّعَتْ بِهِ الآبَاءُ
لَنْ تَرَى المِسْكَ في إناءٍ فلا يَعْـ ـبَقُ إلّا بِالمِسْكِ ذاكَ الإناءُ
تَتَجلَّى الأَنْوَارُ في غُرَرِ القَو مِ، وَللهِ في التَّجلِّي خَفَاءُ
أودَعَ اللهُ في شَمَائِلِهِم سِـ ـراً فَأَخْلاقُهُمْ سَناً وَسَناءُ
يُكْسِبُ الوَالِدُ الوَليدَ الذي تُكْسِـ ـبُهُ البَدْرَ في السَّمَاءِ ذُكَاءُ(١)

(*) وردت في الأصل المُعتمد بعنوان: (وقال فيه أيضاً)، والعنوان من وضعنا [إشارة: هذه القصيدة واحدة من مدائحه النبوية التي أقْصَتها واستبعدتها طبعات غالبية طبعات ديوانه؛ لما فيها من إعلاء مُبالغ فيه - كما يَرَى المُتزمِّتون - حول كيفية خلق النبي، وابتداء الخلق به قبلَ آدم ومن جاء بعده من الأنبياء والرُّسُل. والملاحظة ذاتها تنسحب بدورها على القصيدتين السابقتين: «النشأة المُحمَّدية» و«القلائد الدُّرية في مدح خير البريَّة». والسبب، في اعتقادنا تعارض الفكر التصوُّفيّ المُفصَح عنهُ في هذه المدائح مع عقيدة المذهب المُنتمي إليه أبو مُسلم، والحقيقة أن هذه المدائح النبويَّة تفتح السؤال على أكثر من مَدار حولَ ما جاهر به أبو مُسلم من اعتقاد ترتَّبَ عليه وأخلص له في مُعظم اشتغاله الشعري - وبين ما آثرَ الإبقاءَ عليهِ في طويَّتِهِ تأثراً بالفكر الفلسفي والتصوفي لمذاهب أخرى وجد فيها ضالته الرُّوحيَّة المُعبِّرة عنه وعن وعيِهِ بوجُودِهِ كائناً مُتصوِّفاً لا تحُدُّهُ المذهبيَّة من الاستفادة الرُّوحيَّة العميقة لمَذاهب أخرى.

(١) ذُكَاء: الشمس، وهذا هو المقصود الحرفي للبيت، لكن تضاعيف دلالاته تشمل أيضاً، الذَّكاء: لهب النار، اشتداد حرارة الشمس، الجمرة الملتهبة وقدرة المرء على التحليل والتركيب والتمييز والاختيار، فضلًا عن التكيُّف إزاء المواقف المختلفة.

أيُّ نُـورٍ تَـقَـيَّـلَتْ أمُّ وَهْـبٍ ... كـانَ مِـنـهُ الأمْـلاكُ وَالأنْـبِـيـاءُ

غَبَطَتْـهـا الـسَّـمَـاءُ فِـيـهِ فَـكَـادَتْ ... غِـبْـطَـةً فِـيـهِ أنْ تَـمُـورَ الـسَّـمـاءُ

حَـضَـنَـتْـهُ حَـوَاضِـنُ الـلُّـطْـفِ فـي الـغَـ ... ـيْـبِ، وَلا آدَمٌ وَلا حَـوَّاءُ[1]

فـي شُـهُـودٍ يُـسَـبِّـحُ اللهَ وَالأمْـ ... ـلاكُ والـرُّسْـلُ، وَالـوُجُـودُ خَـلاءُ

لا تَـسَـلْ عَـنْ تـأخُّـرِ الـشَّـكْـلِ عَـنـهُ ... هُـوَ كُـلٌّ وَهُـم لَهُ أجْـزَاءُ[2]

سَبَقوا في الدُّنيا، وفي عَالَمِ الغَـ ... ـيبِ لَهُ الـسَّـبْـقُ دُونَـهُـم وَالـجَـلاءُ

فَـهُـوَ الـسَّـابِـقُ الأخِـيـرُ لِـيَـمْـتـا ... زَ لَهُ بَـيـنَ حَـالَـتَـيـهِ الـعَـلاءُ

قَـذَفَـتْـهُ فِـي قَـالَبِ الـبَـشَـرِ الـحِـكْـ ... ـمَـةُ نُـوراً تَـصُـونُـهُ الأحْـشَـاءُ

مِـنْ مَـجِـيـدٍ إلـى مَـجِـيـدٍ إلـى أنْ ... أمْـجَـدَتْـهُ زُهْـرِيَّـةٌ زَهْـرَاءُ[3]

فـأضَـاءَتْ نُـوراً وَبَـشَّـرَهـا الـحُـو ... رُ وَزَارَتْ مَـكَـانَـهـا الأنْـبِـيـاءُ

وَتَـنـادتْ بِـقِـصَّـةِ الـحَـمْـلِ أمْـلا ... كُ الـسَّـمَـوات، وَالـسُّـرُورُ الـنِّـدَاءُ

كَـبَـيَـانِ الـعَـجْـمَـاءِ نُـطْـقـاً عَـنِ الـ ... ـحَـمْـلِ وَبِـدْعٌ أنْ تَـنْـطِـقَ الـعَـجْـمَـاءُ

وَتَـحَـلَّت بـالـزُّخْـرُفِ الأرضُ إذ زُ ... فَّـتْ إلـيـهـا عَـرُوسُـهـا الـسَّـرَّاءُ

وَسَـقَـتْـهَـا الـمُـبَـشِّـرَاتُ بـمـا فِـ ... ـيـهِ لِبُـشْـرَى بَـشِـيـرِهـا إيـمَـاءُ

وَتَـهَـاوَتْ أسِـرَّةُ الـمُـلْـكِ وَالأصْـ ... ـنَـامِ وَاسْـتَـوْحَـشَـتْ بِـهِ الأهْـوَاءُ

رَفَـعَـتْ حُـجْـبَـهـا الـغُـيُـوبُ عـن الـنـو ... رِ الـذي أشْـرَقَـت بِـهِ الأضْـوَاءُ

وَتَـجَـلَّى الـسِّـرُّ الـذي خُـلِـقَـتْ مِـنْ ... أجْـلِ إكْـرَامِ شَـأنِـهِ الأشْـيَـاءُ

---

(١) **إشارة:** وفقاً لرُؤيَة الشاعر، فإن تقدير خلق الرسول سابق على خلق الخلق، وعليه فإن حواضن اللطف الإلهي في الغيب هي من حضنه قبل أن يولد لأبويه في هيئته البشرية، بل قبل خلق آدم وحواء.

(٢) **إشارة:** ولأن خلقه سابق للخلق، فلا تَسلْ عَنْ تأخر خلقه الدنيوي وإكسابه الشكل/ الصورة لأنه كُلٌّ ومن عداه أجزاء منه وإن سبقوا تكوينه الدنيوي، فالسبق والظهور له وحده في عالم الغيب - البيت التالي.

(٣) **إشارة:** بعد أن قذفته الحكمة نوراً في قالبه البشري لتصونه الأحشاء، وتنقله من مجيد إلى مجيد ظهر في صلب آمنة بنت وهب المنسوبة إلى بني زهرة.

وَأَتى اللهُ بالضَّميرِ[1] الذي كا ... نَ بِثَنْيِ الزُّلْفَى عَليهِ انْطِواءُ

وَبَدا للوُجُودِ مِنْ مَصْدَرِ القد ... سِ سُفُورٌ جَاءَتْ بِهِ السُّفَرَاءُ

سَدَّ ما ازَّيَّنتْ به جَبْهةُ العَرْ ... شِ، فَفِيها مِنْ رَشْمِهِ لألآءُ[2]

فسَرَى مِنْ لَطَائِفِ البِشْرِ فِي الكَو ... نِ بِهِ أَرْيَجِيَّةٌ وَازْدِهَاءُ

أَيْنَ بِشْرُ الأَكْوَانِ مِنْ بِشْرِ جِبْ ... رِيلَ وَمَرْأَى مُحَمَّدٍ وَالِلقَاءُ

خَاطَبَاً فِي مَلائِكِ اللهِ وَالنو ... رِ بِهِ مِنْ مُحَمَّدٍ وَالبَهَاءُ

ثُم طَافوا بِهِ العَوَالِمَ وَالأر ... ضُونَ تَهْتَزُّ فَرْحَةً وَالسَّمَاءُ

وَتَسَابيحُ اللهِ تُتلى مِنَ الإيجَا ... دِ شُكْراً، إذْ جَلَّتِ النِّعْمَاءُ

وَعَرَى الكَعْبَةَ الحَرامَ انْتِشَاءٌ ... وَاهْتِزَازٌ كَأَنهُ العَرْوَاءُ

وَاسْتطالتْ لِحَضْنِهِ الوَحْشُ وَالـ ... ـطَّيرُ، وَفِي عَينِ اللهِ عَنْها غِنَاءُ

وَتَمَنَّتْ حَظَائِرُ القُدْسِ مَجْلا ... هُ، فَفَازَتْ بِيُمْنِهِ البَطْحَاءُ

رُبَّما اسْتَشْرَفتْ لَهُ أشرف الأشْيا ... ءِ، وَحَازَتْهُ دُونَهَا أَشْيَاءُ

عَادَةُ اللهِ فِي الحُظُوظِ لِمَنْ تُهْـ ... ـدَى إِلَيهِ، وَما الحُظُوظُ سَوَاءُ

حَرَّمَ اللهُ أَيَّ حَظٍّ تَقَيَّـ ... ـلْتَ ثَواباً لا يَمَلُّ مِنهُ الثَّوَاءُ

لَيلةُ المَوْلِدِ التي هِيَ فِي سِلكِ ... اللَيالِي الفَريدةُ الزَّهْراءُ

فَدَهَى الكُفْرَ مِنهُ قَاصِمَةُ الـ ... ـظَّهْرِ وَأَلْفَتْ ظَهِيرَهَا الحُنَفَاءُ

فَالهَنَاءُ الهَنَاءُ يا مِلَّةَ ... اللهِ بِمُخْتَارِهِ الهَنَاءُ الهَنَاءُ

حَصَرَ الآيَ وَالمَعَاجِزَ فِي الـ ... ـمَهْدِ، فَهَلْ بَعْدَهُ لَهَا إِحْصَاءُ

جَمَعَ الأَنبياءَ وَالرُّسْلَ وَالأمْـ ... ـلاكَ فِي ذاتِهِ، فَمَا الأُكْفَاءُ

وَاحْتوى فِي المَقَامِ جَامِعةَ الـ ... ـكُلِّ، فَمَا الجَمْعُ بَعدُ وَالاحْتِوَاءُ

مُعجِزُ الرُّسْلِ مُعجِزٌ مِنهُ، فَهُوَ الـ ... ـبَحْرُ وَالمُعْجِزَاتُ فِيهِ الدِّلاءُ

---

(١) الضمير: كناية عن الظهور الدنيوي للرسول.

(٢) سَدَّ الشيء: استقام وأصاب، وتعني أيضاً: إغلاق خلله وردم ثلمه، ومنها سد الباب || الرشم: الرسم والكتابة والوشم.

فَـاتَـهُـم قُـرْبَ أَحْـمَـدٍ وَتَـدَا ... نِـيـهِ رَضِـيـعـاً، وَلَمْ يَـفُـتْـهُ اجْـتِـبَـاءُ

وَظُـهُـورُ الآيـاتِ فـي لَيـلَةِ الـمَـو ... لِـدِ بِـرٌّ بِـأَحْـمَـدٍ وَاحْـتِـفَـاءُ

وَلَهُ الـقَـدْرُ وَالـجَـلالَـةُ عِـنـدَ ... اللهِ مِـنْ دُونِـهِـنَّ وَالاصْـطِـفَـاءُ

أَنْـذَرَتْ غَـافِـلَ الـعَـوَالِمِ بـالـ ... ـخَـطْـبِ الـذي بَـشَّـرَتْ بِـهِ الأَنْـبِـيَـاءُ

وَأَمَـاطَـتْ قَـذَى الـبَـصَـائِرِ لـلأَبْـ ... ـصَـارِ، إِنْ كَـانَ لـلـعُـقُـولِ ارْتِـيَـاءُ

حَيَّ سَـعْـدٍ[1] لَقَدْ ظَـفِـرْتُـم بِـكَـنْـزٍ ... صُـرِّفَـتْ عَـنْ أَبْـوَابِـهِ الأَحْـيَـاءُ

أَخَـذَ الـحِـلْمَ مِـنْ حَـلِـيـمَـةَ بـالـحَـزْ ... مِ وَلِـلـجَـدِّ يُـرْشَـدُ الـحُـلَـمَـاءُ

سَـبَـقَـتْـهـا مَـرَاضِـعُ الـبَـذْوِ لـلوَ ... جْـدِ، وَفـي عُـذْمِـهـا اسْـتَـكَـنَّ الـثـراءُ

رُبَّ مَـالٍ فـي طَـيِّـهِ الـفَـقْـرُ وَالـ ... ـذُلُّ وَفَـقْـرٍ هُـوَ الـغِـنَـى وَالـغَـنَـاءُ

وَازْدَرَاهـا لِسُـوءِ حَـالٍ غَـنِـيٌّ ... وَبِـهـا عَـنْ غَـيـرِ الـغَـنِـيِّ إِبَـاءُ

فَـهَـداهـا لِسَـابِـقِ الـعِـلْـمِ، لـلـخَـيْـرَا ... تِ وَالـيُـمْـنِ ذلـكَ الازْدِرَاءُ

فَاشْمَعَلَّتْ[2] فـي الرَّكْـبِ تَـحْـمِـلُ فَـرْداً ... مِـنْ مَـعَـانِـيـهِ الـرُّسْـلُ وَالأَنْـبِـيَـاءُ

أُخْـتَ سَـعْـدٍ حَـمَـلْـتِ ذاتاً عـلى الـكُـر ... سِـيِّ وَالـعَـرْشِ كَـانَ مِـنْـهَـا انْـطِـوَاءُ

أُخْـتَ سَـعْـدٍ ذَاتُ الـكَـرِيـمِ عـلى اللهِ أَقَـلَّـتْ أَتَـانَـكِ[3] الـقَـمْـرَاءُ

رَحْـمَـةُ الـعَـالَـمِـيـنَ وَالأَوَّلُ الآ ... خِـرُ الـمُـقْـتَـضَـى لَهُ الإِنْـشَـاءُ

قَـلَّمَ اللهُ حُـجَّـةُ اللهِ فـي الـلـو ... حِ الـذي فِـيـهِ الـنَّـبْـتُ وَالانْـمِـحَـاءُ

نُـقْـطَـةُ الاخْـتِـيـارِ وَالأَلِفُ الـ ... ـقَـائِمُ قَـبْـلَ الـظُّـهُـورِ، بَـلْ وَالـبَـاءُ

مَـظْـهَـرُ الـعَـيـنِ وَالـذي ظَـهَـرَتْ ... مِـنـهُ وَفِـيـهِ الـصِّـفَـاتُ وَالأَسْـمَـاءُ

هَـلْ كَـشَـفْـتِ الـخِـبَـاءَ فـي الـغَـيْـبِ عَـن ... أَحْـمَـدَ حَـتـى اسْـتَـدْعَـاهُ مِـنـكِ الـخِـبَـاءُ

فَـاسْـتَـهِـلِّي الـسَّـعَـادَتَـيـنِ فَـمـا ... يَـسْـعَـدُ إِلّا بِـيُـمْـنِـهِ الـسُّـعَـدَاءُ

---

(١) حيّ سعد: هم القبيلة المنتمية لها حليمة السعدية التي أرضعت الرسول.

(٢) اشمعلّت: أسرعت.

(٣) الأتان: الحِمَارة، لا الحِمَار.

وَاسْتَهِلِّي السَّعَادَتَيْنِ فما جَدْ ... وَاهُ إلّا السَّحَابةُ الوَطْفاءُ[1]

غَيرُ بِدْعٍ أنْ تَحْفِلَ الشَّارِفُ الـ ... ـعَجْفاءُ مِنْ يُمْنِهِ وَتَسْمَنَ شَاءُ

فهو عَينُ الوُجُودِ بَلْ رُوحُهُ الـ ... ـمُحْيي، وَبالرُّوحِ قَامَتِ الأَحْياءُ

صَادَرَتْ صَدرَهُ المَلائكُ بالـ ... ـشَّنِّ وَحَالَتْ مَشَقَّةٌ وَعَنَاءُ

ثم ألقوا في القلْبِ جَامِعَةَ الـ ... ـحِكْمَةِ وَالقلْبُ قَبلَهَا لألاءُ

---

(١) الوَطْفاء: كثيرة الماء.

شفيع المُذنِبين(*)

إلـيـكَ رَسُـولَ اللهِ بَـثُّ شِـكَـايَـتِـي ... وَأنـتَ عَـلَى دَفْـعِ الـشَّـكـاةِ قَـدِيـرُ
تُذكِّرُنِي الـحُسْنَى وَيَقصُرُنِي الحَيَا ... وَأَنـتَ شَـفِـيـعُ الـمُـذنِبِـيـنَ بَـصِـيـرُ
وَإِنِّي قَـصِـيرُ البَاعِ عَنْ شُكْرِ نِـعْـمَـةٍ ... وَمَـا هُـوَ فـي كَـسْـبِ الـذُّنُـوبِ قَـصِـيـرُ
أَغِـثْ لَهْـفَـتِـي وَحْـيـاً بـمـا أَنـتَ أَهْـلُهُ ... فَـأَنـتَ بِـفِـعْـلِ الـمُـحْـسِـنِـيـنَ جَـديـرُ
وَخُـذْنِـي بِـيُـمْـنـاكَ الـكَـرِيـمَـةِ أَخْـذَةً ... بِـهَـا فـي مَـقـامِ الـمُـخْـلِـصِـيـنَ أَصِـيـرُ
وَمَـن لـي إذا أَعْـرَضْـتَ عَـنِّـي لِزَلَّـتِـي ... وَبَـابُـكَ بَـابٌ وَاسِـعٌ وَمَـصِـيـرُ
وَقَدْ ضَاقَتِ الدُّنْيا عَلَى العَبْدِ نَاصِرٍ(١) ... وَأَنـتَ إِمَـامُ الـمُـرْسَـلِـيـنَ نَـصِـيـرُ
وَذِكْـرُكَ مِـفـتَـاحٌ لِكُـلِّ مَـضِـيـقَـةٍ ... وَنُـورُ الـهُـدَى، بَـلْ عَـنْـبَـرٌ وَعَـبِـيـرُ

(*) العنوان من وضعنا، فقد وردت في الأصل المُعتمد بعنوان: (وقال فيه صلى الله عليه وسلم).
(١) مرّة أخرى يشير الشاعر إلى اسمه: ناصر.

ذكرُكَ في الغيب القديم(*)

ظُهُورُكَ فِي أُفْقِ الوُجُودِ كَرِيمُ ... وَذِكْرُكَ فِي الغَيْبِ القَدِيمِ قَدِيمُ

وَسِرُّكَ قَبلَ الكَوْنِ فِي الكُلِّ رَحْمَةٌ ... تَمَنَّى مَسِيحٌ حَظَّهَا وَكَلِيمُ(١)

وَطَورُ التَّجَلِّي طَوْرُ أَنَّكَ مُرْسَلٌ ... رَؤُوفٌ بِكُلِّ المُؤْمِنِينَ رَحِيمُ

تَرَبَّعتَ فِي مُسْتَوْدَعِ القُدْسِ قَبْلَهُم ... وَأَنتَ بِكُرسِيِّ الجَلالِ عَظِيمُ

وَجِئتَ وَأَرْوَاحُ الوُجُودِ صَدِيَّةٌ(٢) ... إِلَيكَ، وَرَوضُ الصَّالِحَاتِ هَشِيمُ

فَآنَسَتِ الأَرْوَاحُ مِنكَ رُوَاءَهَا ... وَفَاحَ لِهَاتِيكَ الرِّيَاضِ شَمِيمُ

فَيَا مَدَدَ الأَمْدَادِ يَا مُصْطَفَى أَفِضْ ... لَنَا مَدَداً نَحْيَا بِهِ وَنَقُومُ

فَأَنتَ لَنَا فِي كُلِّ قَصْدٍ وَسِيلَةٌ ... وَأَنتَ بِنَجْحِ الآمِلِينَ زَعِيمُ

(*) العنوان من اختيارنا؛ فقد وردت في الأصل المعتمد بعنوان: (وله فيه صلى الله عليه وسلم).

(١) مسيح، كليم: النبي عيسى، النبي موسى. إشارة: نجده في هذه القصيدة، كما في مدائحه السابقة، يشير إلى أن سِرَّ خاتم الأنبياء موجود قبل نشوء الكون، وهو رحمة تمناها أنبياءُ الرِّسالات السابقة لرسالته؛ عيسى وموسى.

(٢) صَدِيَّة: عطشى.

الباب الثالث

القصائد الوطنية والاستنهاضيَّة

المَقْصُوْرَةُ(*)

(مُذَيَّلَةً بِتَقْدِيْمٍ وَحَوَاشٍ شَارِحَةٍ)(**)

(*) خِلافاً لأسلوبه في النونيّة، نجد أن أبا مُسلم في المقصُورة شاعر يَستحلبُ، ببصيرة وقَّادة، ضِرعَ بلاغةٍ أسلوبيّةٍ مُلغِزة؛ لغةً واستعارةً وكنايةً لبلوغ القصد الذي لا يُعبِّرُ عنه باستهاضيّةٍ مُباشرة ـ كما لو كان، هنا، يخاطب نُخبة النُّخبة في عصره ـ مثلما تقصَّد عن وَعْي جارح مُخاطبة الشرائح العريضة بلغة استنهاضِهِ الشامخ في نُونيّته المِزنان. والمقصُورة واحدة من أهم قصائده، رغم ذيوع النونية التي حَجَبتْ ـ بانتشارها الواسع بين القاصِي والدَّاني ـ فرَادة فريدته المَقصُورة التي تضاءلَ الإلتفات لها بسبب لغتها المُستعصية حتى على النُّخبِ المُثقفة التي لم تُفكِّك إلماحاتِ بَيانها. وهي قصيدة يفتتحها بمطلع طللي يَنحَتُ جِدَّة أسلوبه مع الإبقاء ـ عن سَبْقِ ترصُّدٍ جَماليّ ـ على نفحَةٍ من شميم عُيون مطالع الشعر الجاهليّ الرفيع. فمَمْدُوحَتُهُ الرَّاحِلة [وهي ناقةٌ ستتحولُ، فيما بعد، إلى فرس وفارسه الذي يقطع أعناق الأعداء بسيف بَرْقِه] ـ ممدوحته تلك، وفضاءات ترحُّلها بين الأطلال تنتحي عن أفقيّة مسعاها لترتفع ظلال تمجيدها الشعري بلوغاً بها ـ بحنين صاحبها الشاعر، بالأحرى ـ بُعداً أسطورياً لافتاً بمُعجمه الفريد والمُستعصي على القبض، لِيترحَّل به ويَترحَّلَ بها إلى نواحي مقاصده في حِقب المقصورة. وهي مَقاصد لا يُفصِحُ عنها، بل يُلمِّحُ إليها مازجاً مِلْحَ فضيّته الخاصة بفلفل عالمُها المُتمثلِ في حُرقته على حال الأمّتين العربية والإسلامية وتدهوُرها المُشين؛ لتكالب الأعداء عليهما مِن استعمار وَوُلاة أمر صاغرين له رغم وثائق «استقلالهم»، مُستثمِراً في بنائها أقصى ما أتاح لهُ الزمن من تخمُّر لقصيدته في غربال جماليّات المُعلّقات الشاهقة بحنينها وظعْنِها واستيحاش أناشيدها الطللية المُضمَّخة بنوستالجيا فجائعيّة؛ تعالجها المقصورة بمبضع جرَّاح حاذق وقادر على خلق توازن يُخفي المسافة الهائلة بين أسلوبيّته المُجترحَة والمُمَجّدة ـ إن صح التعبير ـ لحُقبة جاهليّة تمَكّن من ترميم قدَامَتها شعرياً اجتراحاً لشعريّتها المُوازية في بدايات القرن العشرين، تعبيراً مُفارِقاً عن ضحالة واقع مُستلَب. والمقصورة ـ قَصْراً للقول ـ مُعلَّقة حِكمَةٍ مُحكمَة جَمَع فيها تالدَ القول بآبدِه لتستولِد، قرناً بعد قرن، وضُوحها المُنحَلّ أبداً في غمُوضِها العَصِيّ بظِلالها وتعدُّد مُستويات التأويل، كأنما لإبانة اقتداره، إلى جانب قدرتها على مواجهة حُكم الزمن في دَيمُومتها التي تعالت عليه وعلى صُروفه.

(**) في توضيح وتفسير ما استعصَى من غريب مُفردات المقصورة ومعانيها استأنسنا واسترشدنا بكتاب: «الدُّرَر المَنثورة في شرح المقصورة» للشيخ العلامة منصور بن ناصر الفارسي الفنجاوي الذي عثرنا=

تِلكَ رُبُوعُ الحَيِّ فِي سَفْحِ النَّقا تَلُوحُ كَالأَخْلالِ مِنْ جَدِّ البِلَى[1]

=عليه ضمن دراسة لغوية أعدّها د. عادل محمد علي الطنطاوي، كلية الشريعة والقانون، مسقط ـ ٢٠٠٥. والدراسة بحث أكاديمي وجدناه في نسخة طبعت على الآلة الكاتبة، ولا يبدو ـ حسب علمنا ـ أنه نشر في كتاب صادر عن دار نشر، أو عن كلية الشريعة والقانون. ورغم استفادتنا منهُ عوناً ومَرجعاً مُعيناً في تبسيط شرحنا للمقصورة، إلّا أننا لم نعتمد كُلياً على ما ورد في شرح الشيخ الجليل ولا فيما وافقه ـ أو لم يوافقه فيه ـ مُحقِّقُ «الدُّرر المنثور»؛ بل اخترنا منهجاً وسطاً يُقرِّبُ المقصورة من ذائقةِ جيلٍ لم تسعفه لغته المُتداولة على تذوُّقِها، دون الإخلال برصانة وكثافة ومَرجعيات وإحالات تلك اللغة؛ دون تبسيطها إخلالاً بمتن القصدِ والقصيد، وأيضاً؛ دون توغلٍ مُنفِّرٍ في استفاضاتها النحوية واللغوية التي ستبدو لقارئ اليوم لُغزاً مُلغزاً؛ قد يجعله يَنكفئ ويَكفُّ عن مُحاولة تذوق النَّص. لذلك وافقنا مُحقق «الدُّرر المنثورة في شرح المقصورة» في بعض المواضع وخالفناه في مواضع شتى؛ لا سيما فيما ارتأيناه خطأ أوتعجُّلاً أو قصُوراً في فهم مراميها؛ لأسباب أملَتها طبيعة الاشتغال الأكاديمي وانهمام الباحث في دراسته اللغوية بمعاني الكلمات والإفاضة في شروحها القاموسية أكثر من الحفر والاشتغال على بُنية النَّص الشعرية في كُلّيتها، كما في ترميزها الإيحائي الذي مَيَّز مقصورة أبي مُسلم. وهو الأمر الذي لمسه بتفطُّن وتواضع لمَّاح الشيخ منصور بن ناصر الفارسي في شروحاته المُقتضبة. [يُعرِّفه الطنطاوي في التعليق على الشرح بصفته الفنجاوي، نسبة إلى بلده، فغيَّرنا النسبة إلى قبيلته: الفارسي، حيثما وردت إشارة إليه]، مع ذلك، فإن الدراسة اللغوية لشرح المقصورة كانت عَوناً لنا في اجترائنا على مُحاولة تقديمها مُبسَّطة قدر الإمكان، لا سيما أن الطبعات السَّابقة ـ بما فيها الأصل المعتمد، على دِقَّتِهِ ـ لم تُغنَ بتشكيلِ المَقصورة وشرح مغاليق مفرداتها التي تستغلق على القارئ في تتبُّعها دون اليسير من التمهيد الشارح للجُزئيّ من المفردات والكُلّي مما ترمي إليه أبياتها. وقد اعتمدتُ فرش شرحي طبقة دهان مُضافة ـ إن صح التعبير ـ على دُرر الشيخ منصور الفارسي، لكنني عدَّلت و ـ أو أضفت واسترسلتُ جمالياً في بعض الشروحات، بموازاة إهمالي للزوائد اللغوية الزائدة لشارح «الدُّرَر المنثورة»، اكتفاءً باعتماد ما بدا صَواباً وتصحيح ما بدا خطأً في نظرنا، وإهمالِ شرح الأبيات التي بدت لنا شارحة لذاتها، كما أنني خالفتُ الشيخ الفارسي في بعض المواضع وبيَّنتها في مواضعها، وبطبيعة الحال خالفتُ مُحقق الدُّرر المنثورة الذي لم ينتبه لها (قياساً إلى تصيُّداته اللغوية لهفوات الشيخ الفارسي، دون أن يُسبغ على «تحقيقه» بصيرة الأكاديميّ المُتفحص لمقاصد النصّ ومَرامي شارحه) ـ كُلُّ ذلك لم ألتفت إليهِ قدر التفاتي للمقارنة بن مفردات «الأصل المُعتمد» وأصلِ «الدُّرر المنثورة» واختلافاتهما في بعض المواضع وتبيان تلك الاختلافات، لتكون هذه النسخة المشروحة من المقصورة أقرب ما تكون إلى نسخة الشاعر الأم، قدر المُستطاع، وتقديمها مشروحةً ومُوثقةً بتبسيط يُقرِّبُها من القارئ المُعاصر؛ ليتمكَّنَ مَن اطّلع عليها وأعيتهُ بمُعجَمِها سَهلًا مُمتنعاً أن يتقرب منها شميمَ ذائقة لم يُستنفد، بعد، في هواء المَقاصِير. ||**ملحوظة**: وردت المقصورة في الأصل المعتمد بعُنوان: «المجد لا يُملك عن وُرَّاثِهِ»، واستبدلناه بعنوانها الشائع: المقصورة.

(١) رُبوع: جمعُ رَبْع، وهي المنازل والبيوت والوطن متى كان وبأيِّ مكان كان || الحَيّ: البطنُ من=

أَخْنَى عَلَيْهَا الْمِرْزَمَانِ حِقْبَةً ... وَعَائَثَ الشَّمْأَلُ فِيهَا وَالصَّبَا[1]

مُوحِشَةٌ إِلّا كِنَاسَ يَعْفُرٍ ... وَمِجْثَمَ الرَّأْلِ وَأُفْحُوصَ القَطَا[2]

عَرِّجْ عَلَيْهَا وَالِهاً؛ لَعَلَّهَا ... تُرِيحُ شَيْئاً مِنْ تَبَارِيحِ الجَوَى[3]

=العَرب والقوم، وقصد بالحَيّ الأحباب الذين تشبَّب بهم || السَّفح: عَرض الجَبل أو أصله || الثَّنا: القطعة من الرَّمل وموضع بين المدينة وجبل أُحُد || تلوح: تظهر وتبين || الأخلال: جمع خَلَل، ويُجمعُ على أخيلة وهو ما يعرض للرَّائي بين نومه ويقظته؛ والقصد أنها صورة ذهنية مُتخَيَّلة غير حقيقية أقرب إلى الوهم مِنها إلى الواقع || الجَدّ: التعجيل والإسراع || البِلى: القِدم والفناء. **المعنى**: تلك منازل القوم والأحباب في السُّفوح تبين للناظر إليها كأنها صُورة، وهي ليست كذلك من شدة الفناء وسرعته؛ حتى يظن أنه لم يرها إلا توهُّماً ـ إيغالاً في القِدَم والاضمحلال اللذين يُفصِحُ عنهما المطلع، تسريباً ـ لقارئ المَقصورة ـ أسلوبياً مُبكِّراً عمّا ستشِفُّ عنه مَناخات القصيدة.

(١) أخنى عليها: أهلكها || المِرْزَمان: مِرزما الشُّعرَيين، وهما نجمان أحدهما في الشِّعرى والآخر في الذراع || حِقبة: المُدَّة من الدهر لا وقت مُحدَّد لها، [تستخدم حالياً في تحقيب العُصور الجيولوجية القديمة]، وجاء في التنزيل العزيز «لابثين فيها أحقابا» || الشَّمأل: ريح الشمال | الصَّبا: ريح مهبُّها من مطلع الثريا إلى بنات نعش. **المعنى**: لقد طال الدهر وأهلك تعاقب نجمي المِرزمان تلك الرّبوع كما أفسدتها الصَّبا ورياح الشمال حتى لاحت كئيبة كالأطلال لناظرها.

(٢) موحشة: مقفرة خالية. يجوز قراءتها بالرفع: هي مُوحِشةٌ وبالنصب على الحال من الرّبوع || الكِناس: موضع استتار ذوات الأظلاف كالظباء والأوعال في الرمال أو تحت الأشجار || اليَعفُر: الظبي الذي بلون التراب، أو أنه أراد مُطلق الظباء. (وردت في الأصل المُعتمد: أغفَر: وتعني الظبي العربي؛ وهو الغزال الأعفر) || المِجثم: موضع جثوم الرَّأل ومكان لزومه كالكِناس لليعفر || الرَّأل: فرخ النَّعام || الأفحوص: مَجْثَمُ القَطاة لأنها تَفْحَصُ الموضع ثم تبيض فيه، وكذلك هو للدجاجة؛ قال الممزَّق العبدي: «وقد تَخِذَتْ رِجْلي إلى جَنْبِ غَرْزِها | نَسِيفاً كأُفْحُوصِ القَطاةِ المُطَرَّقِ» [وردت في الأصل المُعتمد ولدى الشيخ الفارسي: «أحفوص»، فصحّحناها من النسخة الواردة في كتاب «نهضة الأعيان»] || القطا: طائر معروف، سمي بذلك لثِقَل مَشيه، واحدته قَطاة، والجمع قَطَوات وقَطَيات. **المعنى**: إن تلك الرّبوع أضحت مقفرة موحشة بعدما كانت آنسة عامرة بسُكانها، ولم يبق فيها سوى آثار مراقد الظباء وولدان النعام والقطا. **تلميح**: يتمظهر، هنا، حنين الشاعر الشفيف رغم قسوة ظعنه الجاهليّ صُورة وتركيباً في هذا البيت الذي يملأ شاشة العين بأطياف الذكرى الموغلة في قدمها حَدَّ طَيفِها من جديد في مياه الذاكرة بموتها وحياتها المُستعادة فيه؛ كما لو في حُداءٍ يُبحرُ ليسَ في رمالِ الذكرى بل في ترَمُّلها ويُتيِمها الفائض من يُنبوع التفجُّع، كما في هذا البيت وما يليه من أبيات المطلع.

(٣) عرِّج عليها: مِلْ واعطِف عليها، وأيضاً ترد بمعنى: قِف والبثْ، ومنها تعرَّج على المكان: أي حبسَ مَطيّته عليه || والهاً: حزينا كئيبا || تباريح الجوى: شدة الوجد والشوق من عشق أو حزن. **المعنى**: =

نَسْأَلُها ما فَعَلتْ قُطَّانُها ... مُذ بَايَنُوها ارتَبَعُوا أيَّ الحَشا[1]

هَيْهَات أفوَتْ لا مُبِينَ عَنهُمُ ... لِمُختَفٍ بِشأنِهِم غيرُ الصَّدى[2]

تَربَّعَ الآنِسُ مِنْ أرْجَائِها ... واستَأنَسَتْ بها الظِّباءُ والمُهَا[3]

فَقِفْ بِنا عِندَ غُصُون بَانِها ... نُشاطِرِ الوُرْقَ البكاءَ والأسَى[4]

=أيها القاصد إلى تلك الربوع عرج عليها براحلتك واعطف وأظهِرْ عندها الحزن والوله، علّ وقوفك بها يخفف حدة الشوق وتوهجه. **تلميح**: رغم وحشتها تلك، يطالبُ المُحدَّث ـ يُطالبُ حنينه، بالأحرى ـ التعريج على تلك الرُبوع الموحشة، علّها ـ وإن لم تتيقن ـ تريحك من شدة توهج الشوق، فربّما تحصل لدى تلك الربوع، على إجابة شافية للسؤال.

(١) نسألها: أي نسأل الربوع || قطّانها: المقيمون الساكنون في المنازل || باينوها: فارقوها || ارتبعوا: سكنوا وأقاموا ونزلوا || الحشا: ما دون الحجاب مما يلي البطن كلّه من الكبد والطحال والكرش. **المعنى**: نسألُ منازل تلك الربوع الموحشة عما فعله سكانها منذ فراقهم لها. وأين سكنوا؟ لأنهم، في حقيقة الأمر، لم يُفارقوا مَرابعهم تلك، بل سكنوا في الحَشا. **تلميح**: والبيت تأكيد على استمراريّة صيرورة الظعن والحنين بين الراحل والمُترحّل عنه في تبادُل أدوارهما التي لا تنتهي بنهاية التسآل.

(٢) هيهات: فعل ماض بمعنى: بعد || أفوت: فنيَت || المُحتفي: السائل بإلحاح || الصَّدى: طائر يصيح بالليل. والصَّدى: العطش وما يردُّه الجبل على المُصوِّت فيه، وجمعيها تناسب تفسير الصَّدى. **المعنى**: لقد فنيت تلك الطلول ولا أحد يخبر السائل بإلحاح عن سكانها غير الصدى. وامتزاجُ معاني الصدى الثلاثة: الطائر النواح ليلًا، العطش وترجيع الجبل على المصوّت فيه إيغالٌ مُبالغة لوحشة تلك الربوع.

(٣) تربَّع: خلا وفني، وأيضاً الإقامة المؤقتة في المكان وقت الرّبيع ثم الرحيل عنه || الآنِس: من الأنس؛ ومنها الأنيس: وهو وصف بمعنى الأنيس؛ أي الجليس. والمُؤانِس: كلُّ مَأنُوسٍ به. يُقال: ما بالدار أنيس، وهم سُكّانها || الأرجاء: الجِهات || استأنست: استقرّت ورتعت || المُها: جمع مهاة وهي بقر الوحش: (بن سُولع بالدّارج العُماني). **المعنى**: لقد رحل سكان تلك الربوع من كافة نواحيها، وما بها من أنيس يُستأنس بوجوده بعد أن رتعت فيها الظباء وبقر الوحش واستأنستها لدرجة أنها لم تعد متوحشة. من اللافت في هذا البيت أن الشيخ الفارسي لم ينتبه لِمُفردة «الآنِس»، كما لم ينتبه لها دارس شرحه واعتُبرت: «الأنس» في الشرح. فـ«الآنِس» هو الأنيس المُستأنِس والمُستأنَس به في أرجاء مكانه ـ وفي استقامة البيت الشعري دليلٌ وعلامة ـ وهو ما يُحيلُ بداهة إلى قول الشاعر في الشطر الثاني من البيت: «واستأنست بها الظباءُ والمُها»، فالظباءُ وبقر الوحش لا تَستأنسُ بقعة آنَسَها إنسان.

(٤) البان: شجر له أغصان ميّاسة يتشبب بها الشعراء || الورْق: الطيور ذوات الأسماع كالحمام والبلابل وغيرهما || الأسى: الحزن || أهْرِيق: فعل مضارع من أهْراق الماء يهريقه إهراقةً، وأهرقه يهريقه: أي صَبَّهُ وسَكبَه || البقايا: جَمعُ بُقية وهي بعض الشيء؛ أي آخر ما تبقّى منه، ويقصد ما تبقى من=

بِحَيثُ أُهْرِيقُ بقايا دَمْعتِي ... وأُتْبِعُ النَّفْسَ إذا الدَّمعُ انقضَى

إنَّ مِنَ الحَقِّ على مَدامِعي ... أن تَسْبِقَ السُّحْبَ على رَبْعٍ عَفا[1]

عَهْدِي بِدَمْعِي طاعَةُ ادِّكارِهِم ... وَبِفُؤادِي إنْ دَعَا العَذْلُ عَصَا[2]

وَمَا وُقُوفِي عِندَ بَانٍ نَبَتَتْ ... غُصُونُهُ بينَ الضُّلوعِ وَالحَشَا[3]

لولا علاقاتُ هَوىً تَحَكَّمَتْ ... في رَمَقٍ عاشَ على مِثلِ الصِّلا[4]

=مُهجته || أُتبِعُ: أُلحِقُ || النَّفس: الرُّوح والدم والجسد || انقضى: فِنِيَ ونفذ وكَمُل. **معنى البيتين**، تِباعاً: أيها العاطف نحو تلك الربوع إذا وصلتها فقف بنا عند أشجارها كي نتقاسم مع حماماتها الحزن والبكاء. فحالها كحالنا في الحُزن، ليستطرد في البيت التالي إمعاناً في تشخيص ما تستوجبه حاله انفراداً وتفرُّداً عن سواه من العابرين في القافلة: بحيث أسكب بقايا مهجتي وألحِقها بالنفس إن لم أجد ما أجودُ به بعد انقضاء الدمع ونضوبه في مَحاجر عينيّ.

(١) إن من الحق: أي من الواجب || المدامع: جَمعُ مَدْمَع وهو مخرج الدمع في العينين، ولكل عين مدمعان. وربما أراد بالمدامع الدموع ذاتها || تسبق: تتقدَّم || السُّحب: جَمعُ سَحَابة || الرَّبع: المنازل || عَفا: فنِيَ وذهب. **المعنى**: إن من الواجب على دموعي أن تستبق السَّحاب في انسكابها حُزناً على ذهاب وفناء تلك الرَّبوع. في هذا البيت يبلغ أبو مُسلم الذروة في إيغال تصويره لأرض يباب لا حياة بها تعوي بها ريحُ العدَميَّةِ والموت؛ ولذلك سيحتاج بعدها إلى راحلة أسطورية تسوقها البُروق مُحلِّقةً بها إلى السماوات العُلا حتى يخرج من ذلك المَوات.

(٢) عهدي: عِلمي ومعرفتي || الطاعة: الانقياد || الادِّكار: التذكُّر || العذل: اللوم || عَصَى: خالف الأمر. وعَصَى الطائرُ يعصِي: بمعنى طار. **المعنى**: ما تعودته وعهدته من دمعي هو الانقياد لتذكرهم انسكاباً، وما علمته من فؤادي أنه مُنقاد طائع لذكرهم مخالف أبداً لدعوة لائمه، أو طائراً عنه. (ورد في «الدُّرر المنثورة» شرحُ المعنى الأول لـ عَصَى، وقد وجدنا المعنى الثاني: «طار» في لسان العرب، فأضفناه، لأننا اعتقدنا بصوابه أيضاً: فالأفئدة ـ كما تُخالف لوم العاذل الدَّاعِي ـ فهي تطير كالطيور، وإحكام بلاغة البيت وجماليته الشعرية قائمة على ثنائية المعنى).

(٣) ما: استفهامية تعني التعجُّب || وقوفي: قيامي. **المعنى**: وما فائدة وقوفي على غصون البان النابتة داخل جسمي بين الضلوع والحشا، فهو وقوف لا يخفف همِّي، بل يزيدني حزناً وشوقاً مُضاعفاً إلى الأحباب.

(٤) لولا: أداة شرط رُكِّبت من «لو» و«لا» النافية || العلاقات: جمع علاقة، وهي السبب، والعلقة: تعني الدّم || الهوى: الحب || تحكمت: تغلبت وجازت || الرَّمَق: بقية الحياة. وبكسر الميم: رَمِق، تعني ضعيفُ العيش، وأيضاً الفقير المُتبلِّغ بما يترمّق به من العيش القليل|| عاش: حَيِيَ ضد مات، وأيضاً: الطعام الذي يعيش به || الصِّلا: الشواء، بكسر الصّاد، وأيضاً تعني المقاساة بفتحها، مِن صَلي بالنار. **المعنى**: لولا وجود أسباب الحب والشوق التي تحكمت وتغلبت على المتبقي في بقية=

دَعْـنـيَ أبْـكِـي دِمَـنـاً تـغـيَّـرَت ... وأُطْـبِـقُ الـجَـفـنَ بـهـا عـلى الـقَـذى[1]

وَأَذكُـرُ الإلْفَ الـذي كـان بـيـنَـهـا ... وَكَـيـفَ شَـطَّـتْ بِهِمُ عَـنـهـا النُّـوى[2]

لـم يَـبـقَ فـيـهـا أثـرٌ لـهُـم سِـوى ... عَـيـارَةِ الـخَـيـلِ ومَـرْكَـزِ الـقَـنـا[3]

لِتـسـرَحِ الـبُـرْحَـةُ فـي بَـرَاحِـهـا ... فـإنَّـهـا قـد بَـلـغـتْ رَأسَ الـمَـدَى[4]

لـطَـالـمـا أطْـلَـحْـتُـهَـا سَـارِيـةً ... تَـمْـزِعُ فـي الـدَّوِّ وَلا مَـزْعَ الـطَّـلا[5]

يَـعـمَـلَـةٌ قـد أخـذتْ سُـلاحَـهـا ... مِـنْ حَـقَـبٍ يَـزِيـنُـهـا عـلى الـوَنَـى[6]

=قليلة من الحياة؛ لعاش قلبي كالشواء لا حياة فيه قط، لكن تحكم الشوق هو ما أبقى الحياة في ذلك الرَّمق، ولولاه لانقطعت أسباب وجود حياته قلباً ينبض بالحياة.

(١) الدِّمَن: جمعُ دِمْنَة وهي آثار الديار وآثار الناس، وربما أراد بها الدار من باب تسمية الأعم بالأخص || التغيُّر: التبدل من حالة الحُسن إلى حالة القبح || أطبق: ألصق || الجفن: غطاء العين أعلى وأسفل، جَمعُهُ: جفون || القذى: ما يتكون في العين من رمَص وغمَص وغيرهما ليتراكم حول المدامع. **المعنى**: دعني أيها اللائم أبكي تلك الدِّمَن المُتغيرة، دعني أبكيها حتى يلتصق الجفن بالجفن من شدة البكاء على قذى العين.

(٢) الإلْف: الأليف الذي يألفك وتألفه || شطّت: بَعُدَت || النُّوى: الخيام. **المعنى**: ودعني أيها اللائم أبكي وأذكر الإلف الذي كان في هذه الدِّمن وأسألها عنه بعد أن بعدت به الخيامُ عن معاهده التي عهدته فيها.

(٣) عَيارَة الخيل: موضِع رباطها || مركز: موضع الرماح || القنا: جمع قناة وهن الرماح. **المعنى**: لقد فنيت تلك الرُّبوع والدِّمن ولم يبق من أثر لسكانها سوى مواضع رباط الخيل ومواضع غرز الرماح.

(٤) البُرحة: الناقة الشريفة المنتمية إلى خِيار الإبل || البَرَاح: المُتسع من الأرض || رأس المَدى: أعلاه وغايته || المَدى: الحدّ الذي تنتهي إليه الغاية. **المعنى**: فلتسرح ولتنطلق بي هذه الناقة انطلاقاً في المتسع من الأرض، فقد بلغت أعلى وأقصى المدى المقصود. وما نلاحظه، هنا، إعلان الشاعر/ الراحل بأن رحلته قد وصلت نهايتها، وأنه سيحتاج بعدها إلى «براق» يحلِّقُ به بعيداً عن هذا الباب.

(٥) أطلحتها: أتعبتُها || سارية: مسيرها في الليل || تمزع: تسرع، والمَزع: هو الإسراع أوّلَ العَدْو وآخره|| الدَّو: الفلاة الواسعة والمستوي من الأرض [وردت في الشرح: الدّق، وفُسِّر أيضاً بالفلاة]|| الطلا: ولد الظبية. **المعنى**: لطالما أتعبت هذه الناقة لكثرة السُّرى في الليل بتسارع يفوقُ في شدته حتى تسارع وليد الظبي خفيف الحركة. وفي البيت امتداح لراحلته بصفاتها الغرائبية التي تتفوق من خلالها على كافة النجائب في ترحُّلها الطلليّ.

(٦) يَعْمَلة: الناقة النجيبة || سُلاح: النجو (بالضم)، أي نجاتها. وناقة سَالِح: سَلحت من البقل وغيره، وسلح الحشيشُ الإبل. وسِلاح: بالكسر، اسم جامع لآلة الحرب، وأيضاً أخذت الإبل سِلاحَها:=

رَوْعَاءُ تَرْمِي مُقَلَّتَيْهَا حَذَراً ... بَيْنَ عَزِيفٍ وَعُوَاءٍ وَصَدَى[1]

زَيَّافَةٌ تَخُوذُ فِي تَجْلِيحِهَا ... لا فَرقَ مَا بَيْنَ الدُّمَاثِ والكُدَى[2]

تُخَلِّفُ الرِّيحَ تَكُوسُ خَلْفَهَا ... كَأَنَّهَا أَعَارَتِ الرِّيحَ الحَفَا[3]

كَأَنَّهَا مِنْ حَقَبٍ مُنَحَّبِ ... فِي سُدْفَةِ اللَّيلِ هِلالٌ قد خَوَى[4]

=أي سَمِنت. وكلُّ تلك المعاني مُتضافرة في المعنى المُراد || الحَقب: ما تشد به الناقة من حبل وغيره في البطن || يزينها: ضد يشينها [أيضاً، يقترح الشيخ الفارسي ورودها: يزبُنها؛ أي يحميها ويدفعها] || الوَنَى: الإعياء والتعب. المعنى: وهذه الناقة النجيبة قد نالت نجاتها وقوتها واستمرارها في قطع المفاوز بسبب حَقبها المشدود إليها (حقبها الذي يزبُنها) إضافة إلى حمايته لها من تعب المسير. نلاحظ أن أبا مُسلم يسبغ، في هذا البيت، على راحلته الموصوفة بتمعن شاعر ضليع مُتمكِّن من موضوعه، كما لو كان من شعراء الجاهلية أو الشعراء الصعاليك أو شعراء صدر الإسلام، رغم أنه لم يعش في عُمان، بل قضى مُجلّ حياته في شرق أفريقيا. ملحوظة: يبدو أن لأبي مُسلم هدفاً آخر من هذا الإطناب في وصف راحِلته (وهو أمر لا داعي له في زمَكان الشاعر)؛ فهو وصف يتصاعد من راحِلة قوية جلدة تقطع مفاوز الصحراء بثقة وقوة حتى تنتهي إلى كائن أسطوري مُجنح بوميض البرق اللامع مُحلِّقةً بفارسها عبر مجرات الكون.

(١) روعاء: ذكية || ترمي مقلتيها: تلقيهما || العزيف: أصوات الجِنّ || عواء: أصوات الكلاب والذئاب أو أصوات السباع على إطلاق || الصَّدى: أصوات الطير وما يرجُعُهُ الجبل للمُصوِّت. المعنى: هذه الناقة شديدة الجري ذكية شهمة في جريها الليلي تلقي بنظرتها يميناً وشمالًا في حذر احترازاً مما يخيف من عزيف الجن وعواء السباع وصدى الطيور الليلية وترجيع صدى الجبال.

(٢) زيّافة: نعت للناقة، والتزيُّف هو التبختر في المشي || تَخوذ: تسرع || التجْليح: الإقدام والتصميم || الدُّماث: الأراضي المستوية || الكُدى: الأراضي الصلبة. المعنى: ومن صفات هذه الراحلة المتبخترة في سيرها أنها ذات إسراع شديد وعزم قوي وإقدام لا يُضاهى غير مُفرَّقة في سيرها الحثيث بين الصلب من الأرض والليِّن.

(٣) تكُوسُ خلفها: تعيا وراءها || الحفا: ضدّ المُنتعل. المعنى: ولشدة سُرعتها تسبق الريح ذاتها، بل تورثها الإعياء كما لو أنها أعارتها الحَفا؛ لتسبقها بأخفافها التي لا تبلى. والمفارقة الشعرية اللافتة في البيت هي إسباغ صفات النوق على الريح لإظهار مدى وقدرة استباق الراحلة السبوق لريحٍ عيَّانةٍ حافية لا تستطيع مُجاراة راحلته.

(٤) حَقَب: الحزام الذي يلي حَقوَ البعير. والخقبُ في الثَّجائب: لطافةُ الحَقْوَين وشدة صِفاقهما، وهي مِدْحة || مُنحَّب: نعت لحَقب وتعني شديد قوي. والمُنحَّب: القاصد في سيره لا يريد غيره، كأنه جعل ذلك نذراً على نفسه، والنَّحب: السير السريع || السُّدْفة: ظلمة الليل، وطائفة منه، وظلمة فيها ضوء من أول الليل وآخره؛ ما بين الظلمة إلى الشفق، وما بين الفجر إلى الصلاة || الهلال: غُرَّة القمر أو لليلتين أو لثلاث ليال أو سبع || خَوَى: خَفِيَ ودَقّ. المعنى: ومن صفاتها المُميزة خلال=

كـأنَّـمَـا تُـطِـيـرُ مِـنْ لُغـامِـهـا ... سِرْبَ ثُغَامٍ فوقَ خِيطانِ الغَضَى[1]

يَـلُـبُّـهـا الـبَـرْقُ كـأنَّ سَـائِقـاً ... يَـحْـزَوْهَـا نَـحّـاً بـأسْـوَاطِ الـسَّـنـا[2]

إذا اسْـتَـطَـارَ أزْزَمَـتْ وَازِفَـةٌ ... تُـوَاضِـخُ الـخَـالَ بـأجْـوازِ الـفـلا[3]

كـأنَّـمـا الـبَـرْقُ لـهَـا أجْـنـحَـةٌ ... إذا رَأتْـهُ حَـلَّقـتْ إلـى الـسُّـهَـا[4]

=سيرها وامتدادها في السير خَفاؤها، فهي تكاد لا تبين، وإن بانت بدت للناظر إليها كهلال مطلع الشهر؛ لرشاقتها البالغة، بسبب اشتداد حزامها ولطافة خقويها اللذين يساعدانها على الإسراع حتى تكاد لا تُرى في ظلمة الليل.

(١) تُطِير: تقذف || اللُّغام: الزَّبد الذي يخرج من فم البعير عند هيجانه || السِّرب: القطيع من كُل شيء || الثغام: نبت أبيض الثمر والزهر يُشبّه ببياض الشيب، وأيضاً هو البياض من كل شيء || خيطان: جمع خائط || الغضى: شجر من نباتات الرمال. المعنى: ولشدة سيرها فهي تقذف من فمها الزبد في كل الاتجاهات، كما لو كانت تقذف سرباً من الزهر الأبيض على أعواد شجيرات الغضى الكثيفة. ولنا أن نتخيل ناقة لشدة سرعتها في المشي تقذف زبدها الأبيض سرباً من الزهور البيضاء على أعواد الغضى، فالصُّورة الشعرية مُتفجرة من ينبوع لم يُعهد له مثيل في الشعر الكلاسيكي، وهو مِثال جليّ على قوة التخييل الشعري لدى أبي مُسلم.

(٢) اللَّبّ: الحَادِي اللازم لسَوق الإبل لا يفتر عنها ولا يُفارقها إقامة وتسريعاً لسيرها || يَحزَوْها: يحزأُ الإبل؛ أي يجمعها ويسوقها || نَحّاً: سيراً عنيفاً، وهو مفعول لأجله: أي لأجل السير سيراً عنيفاً || أسواط: جَمعُ سَوط، وهو ما يستخدمه الحادي لتوجيه ناقته وحثها على الإسراع || السَّنا: ضوء البرق. المعنى: هذه الناقة العجيبة لا يسوقها الحادي المُعتاد لتسرع في سيرها، لأن من يلبُّها هو البرق لتسرع في مشيها بأسواط السَّنا لا الخيزران. وهو بيت يُبين عن مخيّلة جامحة لا تكتفي بالأنساق المُتعارف عليها في صنعة الشعر ولا تتكلف مُجاراتها، فالحادي هو البرق الذي يسوقها ببريق لمعانه السريع المتقطع في البيداء.

(٣) استطار: سَطَع؛ والفاعل ضمير عائد إلى البرق || أزمَت: ثبتت في سيرها || وازفة: مُسرعة تُقارب خطوها || تُوَاضِخ: تواضحت الإبل: تبارت في السير [وردت في الشرح: تواضح، فصحّحناها] || الخال: السحاب الذي إذا رأيته حسبته ماطراً ولا مطر فيه || الأجواز: جمعُ جوز وهي الطرق || الفلا: الأرض الواسعة؛ حُذفت اكتفاءً، وأصلُها: الفلاة. المعنى: فإذا ما سطع نور البرق اشتد سيرها بتأثير سياطه، لتثبت في سَيرها قبل أن تستمر في وتيرة إسراعها بخطو متقارب، لا لتباري مثيلاتها من الإبل، بل لتباري مَشيَ السُّحب التي تعلوها، كأنما اهتداء بها في طريقها التي تشقها في الفلوات.

(٤) حَلّقت: علَت وارتفعت || السُّها: كُويكبٌ صغير خفيُّ الضَّوء في بنات نعش الكُبرى، يمتحن الناسُ به قوّة إبصارهم. المعنى: وللبرق أكثر من فعل، فكما كان الحادي بعصاه الضوئية في البيت السابق، يتحوَّلُ ليُصبح أجنحة لتلك الناقة الأسطورية؛ نراه يتحوّل إلى طائر من ذوات الأجنحة يُحلّق بها=

أقــولُ لــلبــرْقِ وقــد أرَّقــنِــي ... لَهِـيـبُـهُ أعْـلَى ثَـنـيَّـاتِ الـحِـمَـى[1]

سَـقـيْـتَ أجْـرَازَ الـبـلادِ فـارْتـوَتْ ... وحَـظُّ قـلبي مِـنكَ إلـهَـابُ الـجَـذى[2]

خَـلِّ نُـعَـامَـاكَ تُـدَاجـي مُـهْـجَـتـي ... فـإنَّـهَـا مَـجْـرُوحَـةٌ مِـنَ الـجَـوَى[3]

أهْـفُـو إلـى رَوحِ الـنَّـسِـيـمِ راجـيـاً ... إطفـاءَ مـا بـالـقـلبِ مِـنْ حَـرِّ الـصِّـلا[4]

أعَـلِّلُ الـشـوقَ يُـصَـادِي كَـبـدِي ... نـفـحُ شَـمِـيـمِ الـزَّهْـرِ مِـنْ تِـلكَ الرُّبَـا[5]

=البرق (أو تُحلِّقُ بأجنحته) إلى كُوكبِ الشُّعا البعيد في نجوم نَعْش، ذاك الكُوكب الذي اعتاد الناس امتحان قدرتهم على الإبصار برُؤيته. لكنَّ الرِّحلة لم تكتمِل، إذ أن شدة وميض البرق قد أعاد الشاعر إلى أرض الواقع، ملتفتاً أكثر إلى أساهُ الداخلي، وعجزه، وحيرته، كما سَيظهر في الأبيات اللاحقة. [في الدرر المنثورة، ورد البيت كالتالي، خلافاً لِما ورد في الأصل المُعتمد: «كأنما البرقُ لها أجنحةٌ إذا رأتهُ حَلَّقتْ إلى السَّماء»، لكننا فضَّلنا ما ورد في الأصل المُعتمد اعتقاداً بدقَّتِهِ وصَوابه، ولا بأس به معنى مُرادِفاً].

(١) أرَّقني: أسهرني || لهيبه: تأجُّج حَرِّه واشتعاله || ثَنيات: جَمعُ ثَنِيَة، وهي العقبة في الجبل أو العقبة تتلو العقبة. ومنه قولهم: فلان طلّاعُ الثّنايا || الحِمَى: الذي يُحْمَى أن يُنالَ بالضّيم من مكانٍ وغيره. **المعنى**: بعد أن غَذَّتْ راحلته في سيرها وجَنَّحت إلى نجم الشُّعا [أو إلى السَّماء، في شرح الشيخ الفارسي] يعود ليخاطِبَ البرق بعد أن أنجزت راجِلَتهُ مَجازيها الإستعاري والوظيفي، قائلًا له بعد أن أرَّقه بسناء ولهيبه الساطع أعلى ثنيات المنازل التي يتشبث بسكانها الراحلين.

(٢) سقيت: أمطرت، والسّقي للبرق مجاز استعاري || أجراز: الأرض الملحة التي لا نبت فيها || ارتوت: أخصبت || الإلهاب واللهب واللهيب والتلهب: الحَرّ والاشتعال || الجَذى: جمعُ جذوة، القبس من النار أو الجذوة الشديدة. **المعنى**: أمطرتَ حتى الأراضي المالحة التي لا نبت فيها من أرجاء البلاد، وحظ قلبي منكَ، يا برق، إلهابُ جذوته المشتعلة أصلًا عوضاً عن تبريدك لحَرِّهِ بالقليل الفائض من مطرك الهاطل.

(٣) خلِّ: فعل أمر من خلا يخلي، أي: دع واترك || النُّعامى: من أسماء ريح الجنوب؛ لأنها أبلُّ الرياح وأرطبُها || تُداجي: تُعلِّلُ وتُداري || المُهجة: دم القلب، ولا بقاء للنفس بعدما تُراق مُهجتها، وقيل هي الدم، وخالصُ النَّفس || مَقروحة: مجروحة، والقرحة هي الجرح المتآكل || الجَوى: الحزن والشوق. **المعنى**: يخاطب البرق: فإن لم تمطرني، فدَعْ ريحك الباردة تداري مُهجتي المجروحة من الحزن والشوق.

(٤) أهفو: أحِنُّ وأشتاق || الرَّوح: الراحة ونسيم الرِّيح الباردة || الصِّلا: النار. **المعنى**: فكم اشتقت إلى النسيم البارد عله يطفئ نيران قلبي.

(٥) أعلِّل: أُلهي || يُصادي: يداجي ويُداري (أيضاً، وردت بصادي: أي الكبد العطشى) || نفح الشميم: رائحة الزهر وحس الأنف بريح الطيب || الرُّبا: جمع ربوة، وهي ما ارتفع من الأرض، وأراد بها=

فكَانَ مِنْ حَيثُ الشِّفاءِ عِلَّتي: وَرْيُ زنادِ الشَّوقِ مِنْ ذاكَ النَّشا[1]

ورُبَّما مَنَّيتُ نَفسِي طَيفَهُم وهو حَلالٌ لِيَ إنْ حَلَّ الكَرَى[2]

ولو قَصَدْتُ هَفوَةً بِحُبِّهِم أو كُنتُ مَنْ عَاهَدَهُم فمَا وَفَى

أرْسَلتُ طَرْفي رَائِداً لِدَهْشَةٍ بِرَبْعِهِم تَذْهَلُنِي عَنِ الأسَى[3]

هَيهَات لا تَمنحُنِي طُلُولُهُم وسَانِحاتُ ذِكْرِهِم إلّا الضَّنى[4]

=منازل الأحباب. **المعنى**: أعلل شوقي (وهو يداري كبدي) أو أعلله بكبد عطشى لتنفحني رائحة زكية من زهر تلك الرُّبا. (تُقرأ نفحِ بالكسر، بَدَل اشتِعمال في حالة: بصادي).

(١) حيث: اسم مكان مُبهم || الوَرَى: الاتقاد والاشتعال، بالنصب مفعول لأجله، أو وُرَى ـ بالضم ـ بدل اشتمال من علّتي || الزناد: الحجر تنقدح منه النار || النَّشا: ما أخبرت به عن الرجل من حسن أو سيء، ويكون للخير والشر [هكذا في الأصل المعتمد، وترد لدى الفارسي: النشا: أي الرائحة الطيبة]. **المعنى**: فثبت عندي أن وجود علتي ومرضي الذي أقاسيه واقع من حيث أظنه شفاء لأجل وري نار الحب واشتعاله بسبب تلك الريح الطيبة التي أظنها شفاء لما بي ـ وفقاً لشرح الشيخ ـ ونحن نعتقد بصحة ما ورد في الأصل المُعتمد: النَّشا، وعليه يكون **المعنى**: بعد أن علّلت الشوق بعطش كبدي بأريج من شميم تلك الرُّبا ـ كانت علّتي من حيث شفائي، فاتقدت نار الشوق مما حسبته شفاء بسبب ذاك النَّشا؛ أي اختلاط الخير والشر دون تمييز وتفريق بين الروائح؛ وذلك ـ في اعتقادنا ـ أنه أراد مقابلة ضدِّية العلة والشفاء في الشطر الأول، تأكيداً على تبادل دوريهما من حيث هما علّة وشفاء في الوقت نفسه.

(٢) **المعنى**: وربما منيت نفسي برؤية طيفهم بعد استحالة رؤيته في اليقظة، فهو ـ حسب علمي ـ حَلالٌ وليس حراماً في أحلام النائم.

(٣) أرسلت طرفي: أطلقته وبسطته || رائداً: من الرَّوْد، أي طالباً. والرود: طلبٌ للشيء والذهاب إليه || الدَّهَش: التحيُّر وذهاب العقل. **معنى البيتين**: ولو قصدت هفوة بحبهم، أو كنتُ ـ لا سمح الله ـ مُعاهداً لم يَفِ بما عاهد به، لأرسلتُ طرفي وبَسَطته في ربوعهم طالباً لدهشة تحيِّرني وتطيِّبُ نفسي مما أنا فيه من ألم وحزن وأسى.

(٤) تمنحني: تهبُني [وردت في الأصل المعتمد: «تمنعُني»، ووردت في شرح الشيخ الفارسي: «تُمتِعُني»، ولم نعتقد بصحة كليهما، وفي اجتهادنا المُتواضع أنها كانت في الأصل: «تمنحني»، فانقلبت الحاءُ غيناً لدى تداولها ونقلها من المخطوطة] الطلول: ما بقي شاخصاً من آثار الديار || الضَّنى: المرض، والسقيم الذي طال مرضه وثبت فيه || السانحات: جمع سانحة؛ وتعني اليُمن، وأصلها مرور الطائر أو الظبي من ميسرتك إلى ميمنتك ليولِّيكَ مَيمَنته، والعرب يتيمَّنون به ويتباركون|| الضَّنى: المرض. **المعنى**: ولكن هيهات، لا تهبني رؤية تلك الطلول، ولا التبرُّك بذكرهم وهم يمرون في خيالي كالطيور من ميسرتي إلى ميمنتي، لأنَّ النتيجة في حالتي، ليست سوى المزيد والمزيد من الحُزن والسقم الذي لا يَبرأ.

ولو تَرَكْتُ واجِباتِ حُبِّهِم ... أو صَدَفَ الهَجْرُ غَرامِي والقِلى

أو تَرَكَتْ لِي كَبِداً صَحِيحةً ... أو جَلَدَ الحُرِّ عَلى قَرْعِ النَّوَى

لكانَ لِي عَلى الطُّلولِ وَقْفةٌ ... أُبرِّئُ النَّفسَ بِها مِنَ الهَوَى[1]

لكنَّ لِي قلباً عَرَتهُ سَكْرَةٌ ... مَا ضَلَّ فِي غِمارِها ولا غَوَى[2]

وعَاشَ فِي صَبَابةٍ تَعْمِدُهُ ... مَالَ إليها عَامِداً فَمَا ارْعَوى[3]

أسْلُو بِمَن أهْواهُمُ وإنْ نَأوا ... وكَيفَ يَسْلو دَنِفٌ بِمَنْ نَأى[4]

وكَيفَمَا خَامَرَنِي الحُبُّ فَمَا ... قلتُ: رَشادي، يا تُرى، أينَ وَخَى[5]

---

(١) صدف: أعرض ومال | الهجر: الترك والقطع || القِلى: البغض || جلَدَ: اسم مصدر بمعنى التَّجلُّد || الحُرّ: ضد العبد || القرع: التعنيف أو الذهاب؛ قرعه يقرعه؛ أي أذهَبَه || النَّوَى: البُعد || الطلول: آثار الديار || أبرِّئ: أنزه || الهَوى: العشق وإرادة النفس. **معنى الأبيات الثلاثة**: ولو كان قصدي أن أترك وأدع الواجب اللازم عليَّ في حُبِّهم، أو مال قلبي عن حُبِّهم أو قصدت هجرهم واعتزالهم، أو أبقت لي واجبات حبِّهم كبداً صحيحة أو تجلُّداً على حُبِّهم ـ لو كان الأمر كذلك؛ لوقفت على آثارهم لأشفي نفسي مما اعتراها لأبرِّئ نفسي عن الهَوى، لكن الأمر لم يكُن كما حسبته.

(٢) عَرَتهُ: غشيته || سَكْرَة: ضدّ الصحو؛ أي ذهابُ العقل بمُسكِر ما || ضلَّ: عكس اهتدى || غِمارِها: من الغَمْرَة؛ أي مُنهَمَك الباطل، يقال: هو في غَمرة من اللهو والتسكع [وردت لدى الشيخ الفارسي: خِمارها: بمعنى السُّكر نفسه مُشتق من الخمرة، ولا بأس بالمعنيين معاً] || غَوَى: من الغِواية. **المعنى**: لكنَّ لي قلباً غشيتهُ سكرة الحُبّ، ورغم السَّكرة لكنه ما ضلَّ انهماكاً فيها ولا غوى. وكما نلاحظ؛ أهميّة ورود الخِمار إلى جانب الغِمار؛ فقد سبق وذكَرَ قلبهُ الذي عَرَتهُ سَكْرَة، والضمير في خِمارها أو غِمارها يعود إلى السَّكْرَةِ ذاتِها.

(٣) صبابة: شوق || تعمده: توجعه وتمرضه وتضنيه || عامداً: قاصداً || ارعوى: كَفَّ وارتدع وانتهى. **المعنى**: وهذا القلب عاش في اشتياق يوجعه ويضنيه قاصداً عامداً متعمداً في ميله دون أن يكفَّ أو يرتدع عن الشوق المُمِض المُمرض.

(٤) أسلو: أنسى، والسُّلوان والسُّلوانة: خرزة تُسحقُ ويُشرب ماؤها، فيسلو شاربه عن حُب من ابتُلي بحُبِّه || نأوا: بعُدوا || دَنِف: مريض. **المعنى**: لقد ابتليت بحبِّهم، ولا أسلو عنهم إلا بهم وإن بَعُدوا، فكيف يسلو المُدنف عمَّن بَعُد عنه به؟ فسُلواني عنهم ما هو في الحقيقة إلا سُلوانٌ بهم.

(٥) خامَرَ: قارب الشيء وخالطه. يمثاله قولُ ذي الرّمة: || هامَ الفؤادُ بذكراها وخامَرَهُ || منها، على عُدَواءِ الدَّارِ، تَسْقِيمُ || رشادي: هُداي || وَخَى: قصد. يُقال: وخى وخيَه، أي قصد قصده. **المعنى**: وكيفما خالطني الحب، وبأية طريقة كانت، لن أتساءلَ عن طريق رشادي ومقصده.

لِيَعْمَلَ الحُبُّ بنفسِي ما يَرَى ... إنَّ ضَلالِي بهَوى القَومِ هُدَى[1]

ما زالَ بي مع الهَوى تَبَصُّرٌ ... يَنتقِدُ الحُبَّ على شَرطِ الحِجَا[2]

ليتَ النُّهَى مَعَ الهَوَى تَثبَّتَتْ ... راسِخةٌ فيها عَزائمُ التُّقى[3]

لو ارْعَوَتْ مَعَ الغَرَامِ نُهْيَةٌ ... لم يَعْبَثِ الحُبُّ بأحْلامِ النُّهَى[4]

أعْمَدُ مِمَّنْ ضَلَّلتهُ صَبْوَةٌ ... وبَينَ فُودَيْهِ ضِياءُ ابْنِ جَلا[5]

لرُبَّما يَهْفو النَّصَابي بالفتى ... ومَالَهُ وَهَفوةٌ إذا عَتا[6]

---

(١) الضلال: الزيغ، ضد الهوى || القوم: الأحباب. **المعنى**: أيها الحب افعل بنفسي ما تراه، فإنني لا أنتهي عن قصدي أبداً في حُبهم. وإن زعم أحدهم أني ضالّ فضلالي في حُبهم هو حقيقة الهُدى.

(٢) التبصُّر: الفطنة || ينتقد: يميز || الحِجا: العقل. **المعنى**: رغم حبي وولهي الشديدين، لكنني ما زلت مُتبصِّراً أستطيع التمييز بين الخالص من المُزيَّف في الهوى باشتراط العقل، رغم أن عاطفة الحب وخصيصته لا تبقي، عادة، على ما يجعل المرء قادراً على التمييز مع اشتراط العقل والذكاء.

(٣) النُّهى: العقل || تثبتت: من الثِّبان، وهو الموضع تحمل فيه من الثوب إذا تلحفت بالثوب أو توشحت به وثنيته بين يديك لتضع فيه شيئاً. والثبان: وعاء نحو أن تعطف ذيل قميصك فتجعل فيه شيئاً، والقصد هو تثبُّن النُّهى مما وضع فيها [أوردها الفارسي: تثبّت، وما ورد في الأصل المُعتمد هو ما نرجِّح صحته] || راسخة: شديدة الثبات || التُّقى: الورع والإيمان الخالص. **المعنى**: ليت العقل يحفظ ما في ثبانه رغم تأثره بالهوى المُصاحِب كي ترسخ عزائم إيمانه وورعه.

(٤) ارعوت: كفّت وارتدعت || نُهْيَة: مفرد النُّهى، وهي العقل || يعبث: يلعب || أحلام: جمع حِلم، وهو الأناة والصفحُ والإغضاء. **المعنى**: لو كان ينتهي ويرتدع عقل ويثبت مع شدة الغرام لما تلاعب وعبث الحب بعقول العقلاء التي تتميز بالصفح والأناة في حُكمها على الأمور، لكن الحُب وحده القادر على قلب المُعادلة.

(٥) أعمد: أفعل تفضيل خبر مبتدأ محذوف، أي: أنا أعمد، بمعنى العمد؛ عمد على كذا أي: فعله عامداً || ضللته: صيّرته ضالاً || صبوة: جهالة الفتوّة || فوديه: الشعر من الرأس مما يلي الأذنين من الجهتين || ضياء: النور، وقصد به هنا بياض الشعر || ابن جَلا: الواضح بعد خفاءٍ من الأمر. وابن جلا مثل يُضرب به فيما ظهر من الأمور الخفية، كقول الحجاج حين قدم الكوفة معتماً بعمامة سوداء متلثماً بها وقد أنكروه واحتقروه فسمع ذلك وأنشد: «أنا ابن جلا وطلاعُ الثنايا | متى أضع العمامة تعرفوني». [د. عادل محمد الطنطاوي يُصحِّحُ نسبة الشيخ منصور الفارسي هذا البيت للحجاج، وينسبه لسحيم بن وثيل الرياحي]. **المعنى**: أنا أشد عمداً في هوى من أحببتهم ممن ضيَّرتهُ صبوة الضلالة وبين فوديه مشيبُ شعره واضح ظاهر للعيان.

(٦) يهفو: يُحرّك؛ من هفا الريح بالشجر || النصابي: ما يفعله الإنسان في صِباه بتأثير من جذوة الحب=

إذا تَبَاشِيرُ مَشيبٍ وَضَحَتْ ... لم تَعْذُرِ المَرْءَ: مَتى ولا عَسَى[1]

وفي الصِّبا مَعْتَبَةٌ وزاجِرٌ ... فكيفَ في الشَّيبِ إذا العُودُ انْحَنَى[2]

وَكيفَ في الشَّيبِ إذا تَقارَبَتْ ... خُطاهُ أنْ يَقصُرَ في الجِدِّ الخُطا[3]

يُبادِرُ الكَيِّسُ أخرى عُمْرِهِ ... فيَرْقَعُ الخِرْقَ ويُوثِقُ العُرى[4]

إذا تَوَلَّى أمَدٌ مُوَقَّتٌ ... لم يَبقَ للرَّجْعةِ مِنهُ مُرْتَجَى[5]

وكُلُّ ما تَلبَسُهُ مِنْ جِدَّةٍ ... يَعْرُوهُ مِنْ كَرِّ الجَدِيدَيْنِ البِلَى[6]

=والهوى || الفتى: أراد به الشاب || هفوة: منصوبة بواو المَعيّة، وتعني: السقطة والزلة || عتا: تقال للشيخ إذا كبُر وولى. **المعنى**: ربما يحرك التصابي الفتى في حال صِباه زمن الولوع والهوى، فماله وسقطة كتلك إذا شاب بعد أن ولّى زمن شبابه.

(١) تباشير: بوادر || وضحت: لاحت || متى: اسم استفهام || عسى: حرف يدل على الترجي، وبعض النحاة يرى أنها فعل يدل على الرجاء. **المعنى**: إذا لاح نذير الشيب لم ينفع المرء قول: «متى» مَرَّ الشباب، ولا «عسى» أن يعود ثانيةً، فقد فاته الأمر.

(٢) الصِّبا: الفتوة والصغر || مَعتبة: مَلامَة || الزاجر: المانع || العود: جسد المرء وقد صار نحيلًا بسبب الشيب || انحنى: اعوجّ. **المعنى**: المرء حقيق بالملامة والزجر في صباه وحداثة سنه، فكيف لا يُلام ولا يزجر إذا اعوج عوده ودق عظمه من الشيب.

(٣) تقاربت: تدانت، ضد تباعدت || يقصر: يقارب خطاه، وربما أراد بالقصر الترك مطلقاً || الجِدّ: ضد الهزل || الخُطا: جمع خطوة. **المعنى**: وما حالة المرء في شيبه وقد تقاربت خطوات قدميه في مشيه، إلّا أن يقصر ويترك اتباع الهوى ويعود عما كان عليه في شبابه.

(٤) يبادر: يستدرك ويعاجل || الكيِّس: اللبيب العاقل || عُمْرِه - بفتح العين وسُكون الميم - وعُمُره - بضم العين وسُكون الميم: جمع أعمار || يرقع: إضافة رقعة إلى الثوب البالي [لدى الشيخ الفارسي وردت: يرتق: بمعنى يلئمه ويصلحه] || الخرق: شق وخرق الثوب || يوثق: يشده ويحكِمه || العُرى: جمع عُروة، وهي المقبض من الدلو والكوز، وما يُسدُّ به الثوب عند زرّه. **المعنى**: إن العاقل واللبيب يستدرك أواخر عمره ندماً على ما فات، فيصلح ما تبقى منه ويُحكم أيامه إحكاماً حتى لا يفوته منها ما يتحسر عليه ويندم.

(٥) تولّى: مضى || الأمد: الغاية || مُوقَّت: محدد، وهو المقدر من الدهر، وأكثر ما يُستعمل فيما مضى من الزمان || الرجعة: بمعنى الرجوع || مُرتجى: رجاء، ضد اليأس. **المعنى**: إذا مضى من عمر الإنسان وقت محدد لم يبق منه مُرتجى لعودته.

(٦) الجدّة: بمعنى الجديد من كل شيء || يعروه: يصيبه وينالَه || الكَرّ: مصدر كرَّ يكرُّ كرّاً وكروراً وكريراً وتكراراً، أي: رجع || الجديدين: الليل والنهار || البِلى: القِدم والفناء. **المعنى**: إن كل جديد من لباس وغيره سيفنى ويبلى بسبب تعاقب الليل والنهار عليه.

لـيـسَ الـجَـدِيـدَانِ وَقـد تَـبـارَيـا ... في حَرْبِنا يُرْضِيهِما مِنَّا الفِدَا[1]

حَـتـى يَـثُـلَّا مَـعْـهَـداً ومَـعْـهَـداً ... ويَـمْـضِـيـا ثُـمَّ عَـلى الدُّنيَا العَـفـا[2]

لـقـد بَـلَوتُ الـدَّهْـرَ فِـي عَـفـوَتِـهِ ... فـكـدَّرَ الـصَّـفـوَ وجَـدَّ مَـا عَـقـى[3]

وكـانَ مَـا اجْـتَـبَـيـتُ فـي صُـرُوفِـهِ ... بالصَّبرِ أجْدَى مِنْ تَفاريقِ العَصَا[4]

مـا سَـاءنِـي الـفـائِتُ إذ أكْـسَـبَـنـي ... كَـنـزاً مِـنَ الـصَّـبـرِ وفَـوزاً بـالـرِّضـا[5]

جِـبِـلَّةُ الـدَّهْـرِ خَـؤُونٌ حُـوَّلٌ ... مـا رَاشَ فـي عَـافـيـةٍ إلّا بَـرَى[6]

---

(١) الجديدان: الليل والنهار || تباريا: تقاطعا || الفداء: جمع فدية وهي ما بذل من مال لتخليص أحدهم وافتدائه. **المعنى**: لا يرتضي تقادم الزمن في توالي أيامه ولياليه التي تتبارى في حربنا، ولا يرضيهما عن صيرورتهما افتداءٌ أو فدية نتقي بها تواليهما القاتل.

(٢) يثلّا: يهلكا، والضمير عائد إلى الجديدين في البيت السابق || معهد: المنزل المعهود كالمسكن. وأراد بقوله: معهداً ومعهداً، عموم المعاهد || ويمضيا: للتراخي وللمصاحبة بأن يكون ذهابهما مع فناء آخر معهد من الدنيا || ثم على الدنيا العفا: دعاء عليهما، والعفا: الزوال والامّحاء. **المعنى**: لم يزل الجديدان متباريين على حربنا ولن يتوقفا حتى يُهلكا آخر المعاهد في الدنيا حتى لا يبقى فيها أثر، وبعدها على الدنيا السلام.

(٣) بلوت: جربت || العفوة: فضله ومعروفه الظاهر || جَدَّ: بمعنى جدَّد || عقى: يَفقو واعتقى في كلامه: استوفاه. ويعتقي: أي يحبس ويرد أمر من علا عليه، ولها معاني أخرى [وردت لدى الشيخ الفارسي: عفا: بمعنى أهلك، لكننا فضلنا ما ورد في الأصل المُعتمَد]. **المعنى**: إني اختبرت الدهر والزمان حتى فيما بدا معروفاً وفضلاً منه، لكنني وجدته قد كدَّرَ الصافي وجدد استيفاء كلامه راداً حابساً وعوده، وهكذا شأنه عاكساً منقلباً على من وثق به.

(٤) اجتبيت: اخترت || الصُّروف: نوائب الدهر وحَدَثانه، وتعني أيضاً الليل والنهار فهما صَرْفان || أجدى: أفعل تفضيل من الجدوى بمعنى العطاء || تفاريق العصا: مثل يُضرب لمن صلح حاله بعد فقر وإساءة. **المعنى**: إني صبرت على إساءة الدهر حتى صار ما اخترته لمواجهة نوائبه فكان أجدى وأعظم نفعاً لي من تفاريق العصا على كثرتها، فالصبر على المصائب عاقبته السرور الدائم، وسروره وفرحه، أراد به وجود أحبابه بعد تعدمهم.

(٥) ما ساءني: ما أحزنني || الفائت: الذاهب والماضي عنك لم تدركه. **المعنى**: إني لم أحزن على ما فاتني وذهب عني مما مضى في حياتي، بل سررت به سروراً عظيماً لأني أصبتُ كنزاً عظيماً ونجاة مما أخاف بسبب صبري ورضاي.

(٦) جبلّة الدهر: خلقته وطبيعته || خؤون حُوَّل: كثير الخيانة لا يثبت على حال || راشَ: روشاً: أكل كثيراً، وراش المرضُ فلاناً: أعياه وأضعفه || العافية: الصحة || برى: بمعنى قطع. وبرى السفرُ والجوعُ المرء: هزله. **المعنى**: خُلق الدهر وطُبع على الخيانة والتقلب في أحواله وعدم ثباته. وإن تمكن المرء وعاش في عافية وصحة من النوائب قطع ديمومتها بالنكد والسَّقم.

مُحافِظُ الثَّبْتِ عَلى طِباعِهِ ... حَتى يَحُولَ الآلُ بَحراً في المَلا[1]

لا يَسْتَقِيلُ عَثْرَةً مِنْ نَدَمٍ ... ولا يُقِيلُ مَنْ بِهِ الحَظُّ كَبا[2]

فاصْحَبهُ ذا عَزمٍ عَلى عِلَّاتِهِ ... تُزْجِي الهُمومَ للعُلا على الوَجا[3]

مُسْتَحْقِبَ الصَّبرِ عَلى مِراسِهِ ... حُرّاً سَليمَ العِرْضِ مِنْ سُوءِ النَّثا[4]

تُبِلُّهُ الخَطْبَ إذا جالَدْتَهُ ... بِمِرَّةٍ تَبُسُّهُ بَسَّ السَّفا[5]

مُحَجَّبَ البَثِّ رَحِيباً شامِخاً ... مِنْ رِقَّةِ الشَّكْوَى وَسَوْرَةِ الجَفا[6]

---

(١) المحافظة: المواظبة على الشيء والاحتراس || الثبت: الثبات والدوام على الشيء || الطباع: جمع طبع، وهي السجيّة || يحُول: يصير || الآل: السراب || المَلا: الصحراء. **المعنى**: إن الدهر لا يرجع عن طباعه التي جُبل عليها ولا ينثني عن حالته إلى أن يصير السراب بحراً حقيقياً في موضعه. وبديهي أن انقلاب السراب بحراً لا يصح عقلًا وعادة، لكن مُراد الشاعر أن يكون يرى سراباً في البحر مُبالغة لتأبيد ثبات الدهر ومواظبته على طباعه التي اعتادها.

(٢) **المعنى**: ومن شأن الدهر أنه لا يعذر عاثراً إن عثر ولو كان كثير الندم، كما لا يعذر من سقط حظه وانكبّ به زمانه.

(٣) علاته: نوائب الدهر || تُزجي: تدفع || العُلا: الارتفاع والشرف || الوَجا: الحَفا، وقيل شدة الحَفا [وردت لدى الشيخ الفارسي: الوَحى: بمعنى الإسراع والعجلة، خلاف ما وردت في الأصل المُعتمد]. **المعنى**: عاشر الدهر ما عشت فيه حال كونك ذا عزم قوي على نوائبه ومصائبه غير مُبال به تدفعُ همومك وإرادتك لما يرفعك ويعزك على الحَفا الشديد. [وفقاً للشيخ الفارسي: تزجي همومك وكلية إرادتك لما يرفعك ويعزك مسرعاً غير مُتأنٍّ].

(٤) مُستحقِبَ الصَّبر: مُدَّخِرَ الصبر، بنصب مُستحقب؛ فهي حال معطوفة لقوله: ذا عزم ـ في البيت المُتقدم || المِراس: الشدة || حُرّاً: ضد العبد || سليم العِرض: سالم النفس || النّثا: كلمة ذم، ضد الثنا. **المعنى**: ويا من ادّخرت الصبر حقبة بعد حقبة اتخذه عدّة على مِراسه ومواجهة شدائده، وأنت حُرٌّ سالم النفس والشرف مما يشينهما، مُجتنباً الخصال الذميمة.

(٥) تبلد: تحيِّر || الخطب: الأمر العظيم || جالدته: ضاربته وقارعته || المِرّة: القوة. قال تعالى: ﴿ذو مِرَّةٍ فاستوى﴾ || تبسّه: تقطعه || السَّفا: ذرُوُ الريح للتراب. **المعنى**: هكذا تُحيِّر الأمر الجليل إذا قارعته بقوة منك تقطع خطوبه العظيمة ليغدو أمرها وحالها كحال الرمال تذروها الرياح.

(٦) مُحجَّبَ البثّ: مستتره || البثّ: نشر الخبر || رحيباً: واسعاً || شامخاً: مرتفعاً متعززاً || سَوْرَة الجفا: شدة البعد، كسورة الخمر: شدة تأثيرها على العاقل الرزين. **المعنى**: وكُن في مقارعتك للدهر صابراً واسع القلب كتوماً لا تنشر وتذيع ما أصابك منه، متعززاً بنفسك عزة عظيمة ترفعاً عن ذلة الشكوى في رقة أو في سورة غضب وجفوة لمن تشكو إليه أمرك.

إنْ هَـزَّكَ الـمُـمِـضُّ هُـزَّ طـودَه ... أو هَـزَّكَ الـهَـولُ فـسَـيـفـاً مُـنـتـضَـى[1]

تُـوسِـعُـهُ مَـريـرَةُ ويَـتَّـقـي ... مِـنْ جَـدِّهَـا مـا يُـتَّـقـى مِـنَ الـرَّدَى[2]

لا تَـعـرِفُ الـنَّـكْـبَـةُ مِـنـكَ جَـولَةً ... تَـخْـذُو لـهَـا خَـذْوَ مَـقـودَاتِ الـبُـرَا[3]

تُـصَـارِعُ الأخْـطَـارَ غَـيـرَ ضَـارِعٍ ... لِطَـوْدِهَـا الأعْـصَـمِ سَـاخَ أو رَسَـا[4]

تَـحُـسُّ كُـلَّ حَـادِثٍ بـسَـيـفِـهِ ... فـإنْ نَـبَـا جِـيـنـاً فـأحـيـانـاً مَـضَـى[5]

---

(١) هزك: حرّكك || المُمِضّ: الحُزن الذي بلغ سويداء القلب || طوده: الجبل مُطلقاً أو عظيم الأمر || الهَول: الفزع والخوف || فسيفاً مُنتضى: سيفاً مسلولاً. المعنى: إن حركك المحزن والمُمِضّ من نوائب الدهر فهُزَّ أمره العظيم ولا تتراجع عن مقارعته ومقارعة الهول فهزَّهُ، هو الآخر، وكن له سيفاً مسلولاً.

(٢) توسِعُهُ: تحيط به وتعمّه || مَريرَة: قوة وشدة. والمريرة عزة النفس والعزيمة || يُتَّقي: يُحذر ويُتحاشى|| جَدُّها: عِظمها || الرَّدى: الموت: المعنى: وبعد أن تنتضي نفسك سيفاً لمواجهة هوله أوسِعهُ قوة وشدة وعزيمة من نفسك ليحذر ويتقي من عِظم شأنها ما يُتقى من الموت.

(٣) النكبة: المصيبة || جولة: الكرُّ والفرُّ في الحرب، وأيضاً لعب الفارس بسيفه وإدارته على جوانبه || تخذو: تسترخي، وأصلها استرخاء الأذن في الناس والخيل والحُمُر خلقة أو حَدَثاً. وأذُنٌ خذواء: خفيفة السمع [هكذا وجدناها في الأصل المُعتمد، لكنها ترد في تفسير الشيخ الفارسي: تحذو حذو مَقودات البُرا] || مقودات البُرا: جمع مَقودَة، ويقصد بهن النياق. المعنى: قارع نكبات دهرك بحيث لا تعلم منك انكشافاً متى تكون جولتك التالية، وكن هادئاً مسترخياً في مواجهتك وانقضاضك عليها جولة إثر جولة كاسترخاء آذان النوق المَقودة على مهل، لتقضي عليها في الجولة القادمة. [إذا ما اعتبرناها تحذو حذو مقودات البُرا؛ فإن التفسير، وفقاً للشيخ الفارسي، سيكون: قارع الأهوال مقارعة عظيمة حتى لا تعلم منك انكشافاً عن مقارعتها تحاذيها يميناً وشمالاً كما تحاذى الناقة ذات السير الشديد، ويصحُّ تضافُر المَعنيين فكلاهما صورة فنية سائغة تستوفي المعنى].

(٤) المصارعة: المدافعة، وصرعه: دفعه وطرحه || الأخطار: جمع خطر، وهو الإشراف على الهلاك || الطود: الجبل || الأعصم: العالي المرتفع || ساخ: رسخ || رَسَا: ثبت ووقف. المعنى: ولتكن طوال حياتك مدافعاً للأخطار مطارحاً لها، حال كونك غير متذلل لأعظمها خطراً؛ ناهيك أن تتذلل لأدناها ثبت عليك عظيمها أو أتام فائت لها.

(٥) تحُسُّ: تقطع || الحادث: ما تحدثه الأيام من البلايا والمصائب || نبا: ما لم يستو في مكانه المناسب، ونبا السيف عن الضريبة: لم يُصبها؛ يُقال: «لكلّ سيف نبْوَة» || مضى: يمضي مُضاء: قطع. المعنى: اقطع كلّ حادث من حوادث الدهر بسيفه، أي آلة قطعه المناسبة. فلكل شيء آلة تناسبه، فإذا كلَّت عنه حيناً فلا بد أنها ستقطعه في أحايين أخرى. والمُراد: أن يقابل كل ما يناله من الشدائد بآلته المناسبة التي بفضلها سينال الظفر وإن عجزت في مهمتها أحياناً.

لا تُعجِلِ الأمرَ أمامَ وَقْتِهِ ... ولا تُفِتْهُ حيثُ آنَ بالوَنَى[1]

وإنْ تُعارِضْكَ اثنتانِ فاتَّخِذْ ... أَوْلاهُما بالحَقِّ وانْبُذِ الهَوَى[2]

إنَّ القويَّ مَنْ ثَنَا شِرَّتَهُ ... ومَنْ إذا مَالَ إلى النَّفسِ انْتَهَى[3]

والعَقلُ والحَقُّ يُحَرِّرَانِ مِنْ ... رِقِّ الهَوَى ويَدْعُوَانِ للعُلا[4]

وَشَرُّ مَا صَاحَبَ مَرْءٌ جَهْلَهُ ... مَطِيَّةٌ فارِهَةٌ إلى الرَّدَى[5]

ومَنْ تَكُنْ عَادَتُهُ طَادِيَةً ... بالسُّوءِ هَدَّ مَجْدَهُ بِمَا طَدَا[6]

إنِّي أصُونُ صَفحَتِي مُقتَنِعاً ... بِمَا يَطُفُّ مِنْ عُلالاتِ الحَسَى[7]

أَنْبُو وَأُلْهُوبُ أُوَارِي سَاعِرٌ ... عَنْ مَشرَبٍ أشرَبُهُ عَلى القَذَى[8]

---

(١) لا تعجل: لا تستعجل ما أردته من الأمور قبل أوانه || لا تُفِته: لا تفوّته تاركاً || آن: بمعنى حضر، وفاعلها ضمير مستتر يعود للأمر || بالونى: جار ومجرور تعني التأخير والتّأني. **المعنى**: إذا حاولت أمراً من الأمور يستوجب فعلًا أو تركا له، فلا تستعجله قبل أوان وقته، وإن حضر في حينه المناسب فلا تتركه يفوتك بتأخير ما يستوجب منك المبادرة والحسم.

(٢) **المعنى**: إن قابلتك خصلتان فانظر فيهما وتدبر في أمرهما، فما رأيته أحق بالحق فخذه، واترك ما تراه بعيداً عن الحق وأقرب لهوى النفس ورغائبها.

(٣) ثنا: رد الشيء بعضه إلى بعض، أو تراجع عنه رغم تمكنه منه || الشِّرّة: نشاط الشباب وفورانه || انتهى: انزجر وتراجع. **المعنى**: القويّ والشجاع من الناس من استطاع أن يكبح نشاط الشباب وفورانه مفضلًا الاحتكام إلى النفس بعد أن يميل إليها لتثنيه عن عزمه وينثني مُنزجراً ولو ملك القوة.

(٤) **المعنى**: اجتماع العقل مع الحق يعتقان المرء من أهواء الباطل ويدعوانه للمجد.

(٥) شرّ: بمعنى أشرُّ، من أوزان أفعل التفضيل المحذوفة الهمزة || مَرْء: أصلُها امرؤ || مطية فارهة: ناقة مسرعة نشطة. **المعنى**: إن أشرّ صاحب صحبه الإنسان في حياته جهله؛ لأنه يقوده إلى الهلاك بسرعة.

(٦) عادته: ديدنه || طادية: ثابتة، وطاد يطود: ثبت، فقد سُمي الجبل طوداً لثبوته || هدّ: هدم. **المعنى**: ومن تكن عادته في الناس ثابتة على الشر والباطل فقد هدم شرفه ومجده بسبب ما اعتاد عليه.

(٧) أصون: أحفظ || صفحتي: وجهي || يطف: يقلّ، ومنه الطفيف || عُلالات: جمع عُلالة، وهي ما يتعلل به من القوت عن الهلاك جوعاً || الحسى: ما يحتسيه الجائع من قليل الطعام. **المعنى**: إني أحفظ وجهي وعرضي عن الشكوى راضياً بقليل القوت أعلل به النفس وأتحتى به عن الجوع.

(٨) أنبو: أبعد وأجتنب || الألهوب: شدة حر النار ولهبها || ساعر: متوقد، وسعر النار والحرب: أوقدهما || القذا: ما يقع في الشراب من الغثاء الذي تكرهه النفس. **المعنى**: إني أبعد نفسي وأتجنب مشرب ماء أصابه غث ولو كنت عطشاً في حاجة ماسة إليه.

يَحْمِي الكَرِيمُ عِرْضَهُ ويَحْتَمِي ... أنْ يَرِدَ الآجِنَ في كُلِّ الرُّكَى[1]

لِمَ التِّفَانِي في بُرَاضٍ آسِنٍ ... لا يُرْتَجَى مِنْ نَبْضِهِ بَلُّ الصَّدَى[2]

ولا أُقَامِي طَمِعاً مُقَارِداً ... ولستُ وَلّاجاً بِأشْوَاءِ القُمَى[3]

كَيْ لا تَرَى عَينُ خَسِيسٍ مَوقِفِي ... بِبَابِهِ مُنْتَظِراً مِنهُ الجَدَا[4]

في ظَلَفِ العَيشِ عَلى قَنَاعَةٍ ... تَظلِفُ لِلعِرْضِ عَنِ السُّوءِ غِنَى[5]

ومَطْعَمٍ تَهَافَتَتْ ذُبَّانُهُ ... قَضْمُ الهَبِيدِ مِنهُ أحْلَى فِي اللَّهَا[6]

---

(١) يحمي: يمنع || العِرض: جانب الرجل الذي يصونه من نفسه وحسبه || الآجن: الماء المتغير اللون والطعم كالآسِن || الرُّكى: جمع رُكية ـ كمُدى، جمع مُدية ـ وهي البئر الصغيرة قليلة الماء. **المعنى:** الكريم من الناس من يصون عرضه ويحميه بامتناعه عن ورود الماء المُنتن رغم حاجته إليه، والبيت عطف وإضافة على معنى البيت السابق.

(٢) التفاني: قضاء المرء لحياته في أمر دون سواه || بُراض: الماء القليل || آسِن: الماء لا يتحرك فسد طعمه ولونه || نبضه: جريانه وسيلانه || بَلّ: الرطوبة وما يتبلل به الحلق || الصدى: العطش. **المعنى:** لأي شيء نقضي حياتنا في غير شيء، كالماء المُنتن لا يأمل العطشان حتى أن يُبلل به عطشه فضلًا عن ورده.

(٣) لا أقامي: لا أوافق || طمِعاً: طامعاً || مُقارداً: ذليلًا [كما أوردها الشيخ الشيخ الفارسي]، وأقرب ما وجدته لها في لسان العرب فعل قرَدَ لعياله قرداً: جمع وكسب، وربما هي صيغة تحقيرية مضاعفة لجامع المال الطماع || ولّاجاً: كثير الدخول والولوج، وهي صيغة من أبنية التكثير || أسواء: جمع سوء وهو المكروه والقبيح || القمى: الدخول من باب الدار، أو هي مطلق الكوى. في الحديث: كان النبي يقمُو إلى منزل عائشة كثيراً، أي يدخل. **المعنى:** ولا أوافق صاحب غنى طماع تذللا له ولغناه، ولست ممن يدخلون من أسوأ المداخل، لأنني قانع بفقري راضٍ بما قسم الله لي.

(٤) العين: عين الباصرة || الجَدَا: العطاء. **المعنى:** واحد من أسباب عدم موافقتي لأصحاب الغنى وعدم ولوج أبوابهم، هو كي لا يراني خسيس واقفاً موقف الذل على بابه انتظاراً لعطاء يسلب كرامة المرء.

(٥) في ظلف العيش: شدة المعيشة || قناعة: الرضا بما قسم الله || تظلف: تصون وتمنع. **المعنى:** أحيا في شدة عيش عن قناعة ورضى، صوناً لعِرضي عن السّوء، ففي صيانةُ العرض غنى.

(٦) تهافتت: تساقطت || ذبّانه: جمع ذباب || قضم: الأكل بالأطراف || الهبيد: الحنظل، وقيل حَبُّه وبعضهم قال شحمه. ومنه قول بعض الأعراب: فخرجتُ لا أتلفع بوَصِيدة ولا أتقوَّتُ بهَبِيدَة || اللَّها: جمع لهَاة، وهي اللحمة المشرفة على الحلق أعلى منبت اللسان. **المعنى:** إن كل مطعم يطعمه الإنسان بسقوط شرف مُرٌّ غير سائغ لدرجة أن قظم الحنظل أحلى منه ليس في اللسان فحسب، بل في اللهاة، وهي مبالغة توكيدية للمعنى المُراد.

مَـا أَضْـيَـعَ الـنُّـبْـلَ إذا تَـطَـاوَلَتْ ... خَسَاسَةُ الـعِـرْقِ عَـلَيـهِ بـالـجِـبَا[1]

حَسْبُكَ عَيشُ مَاجِدٍ عَلى الرِّضَا ... بِـمَـا مَـنَـى اللهُ بِـهِ مِـنَ الـمُـنَـى[2]

مَـا أقْـذَرَ الـعِـرْضَ يَـلُبُّ عَـاذِيـاً ... بِـرَأسِـهِ إلـى لـئِـيـمِ الـمُـنْـتَـحَـى[3]

حَـتـى بُـغَـاثُ الـطَّـيـرِ تَـسْـمُـو أَنَـفـاً ... عَـنْ مَـسـرَحٍ تُـخْـزَى بِـهِ لِمُـنْـتَـضَـى[4]

آلـيـتُ لا تَـعـلُو يَـدِي يَـدَ امْـرِءٍ ... يُـسْـفِـلُـهَـا الـلؤمُ ويُـطْـغِـيـهـا الـغِـنَـى[5]

ولا أَرَى وَجْـهِـيَ نَـاظِـراً إلـى ... وَجْـهٍ يُـحِـقُّ أنْ يُـحَـيـا بـالـحَـشَـى[6]

---

(١) النبل: النجابة والزكاء || الخساسة: الدناءة والسقوط || العِرق: الأصل والمنبت || الجِباء: الدناءة ـ بكسر الحاء ممدوداً ـ، وبفتحها مع القصر؛ تعني المُحاباة، ولها أوجه ومعان أخرى. **المعنى**: ما أقبح بالإنسان الشريف إذا استحكمت عليه خساسة الأصل واستبدل الشرف بالدناءة ومال إليها طبعُه.

(٢) حسبك: يكفيك || عيش: ما يُعتاش به من القوت || ماجد: من مَجَدَ الناقة، وأمجدها إذا أطعمها نصف بطنها || مَنى: قدرة الله على الابتلاء || المُنى: جمع منية، وهي ما يتمناه الإنسان، وربما أراد نفس العطاء من الله بمعنى: المنّة. **المعنى**: يكفيك أيها الإنسان من دنياك هذه عيش قليل تتروق به نصف بطنك مع القناعة والرِّضا بما قدر لك من رزق، فإن ذلك منة من الله عليك، وذلك خير لك مما تتمناه من الكثرة والسعة، لأنك ربما تتمنى شيئا لا تؤدي حقوقه ولا تقوم بها، فتكون كمن تمنى هلاك نفسه.

(٣) يلبُّ: يقيم || عاذياً: مُلتجئاً إليه ومعتصماً به. تقولُ: *(أعوذ بالله من الشيطان الرجيم؛ أي أعتصم بالله منه)*|| الرأس: الأعلى من كل شيء، ورأس الإنسان أعلاه || اللئيم: ضد الكريم || المُنتحى: النسب. **المعنى**: ما أقذر العِرض يقيم ويلتجئ برأسه الشامخ إلى لئيم دنيئ وضيع النسب يطلب ما عنده.

(٤) بغاث الطير: أراذلها || يسمو: يعلو ويتسامق || آنِفاً: متعززاً. أنف الرجل عن كذا إذا أظهر عزة وأنفة || المسرح: مكان سرحه ورعيه || تُخزى: مبني لما لم يُسمّ فاعله؛ تذلّ وتفضح || المُنتضى: المَنكَن. **المعنى**: حتى أرذل أنواع الطير تأبى أن تسرح وترعى في المواضع التي تُذلّ فيها، وتنتقل منها إلى موضع لا تذل فيه تعززاً ورفعة، وهي طير وضيع؛ فكيف بالإنسان الذي تملي عليه إنسانيته وكرامته أن لا يستقر في موضع يُخزى ويُهان فيه.

(٥) آليت: حلفت || تعلو: ترتفع || اليد: تطلق على العضو المعروف من الكتف إلى الأصابع، والكف وحدها، وأيضاً النعمة سُميت كذلك لأن المُعطي يعطي بيده والمُعطى يأخذ بيد تسافلها توضُّعاً ومقاماً || يُسفلها: يُنزلها ويحقرها، ضد يُعليها || اللؤم: الخساسة || الإطغاء: مجاوزة الحدّ والقدر. [قال تعالى: كلّا إن الإنسان ليطغى أنْ رآهُ استغنى]، أي جاوز حدّه وطوره. **المعنى**: إني حلفت يمينا بالله أن لا تكون لرجل خسيس أسفلَهُ لؤمُه وأطغاهُ مالُه مِنّة عليَّ أبداً.

(٦) لا: حرف نفي معطوف على قوله: «لا تعلو» عطف جملة منفية على مثلها || أرى: بصريّة || وجهي: =

وعِيشَةٌ تَمُنُّهَا خَسَاسَةٌ ... أَشَدُّ عِنْدِي قَذراً مِنَ الوَغَى[1]

قَنَاعَةُ المَرْءِ بِمَا يُمْنَى لَهُ ... مِنْ حَظِّهِ فِي عِيشَةٍ خَيرُ المُنَى[2]

ولا أذودُ الحَظَّ عَنْ طَرِيقِهِ ... فالسَّيلُ حَظٌّ لِلوِهَادِ لا الرُّبَى[3]

ولا أُبَاتُ شَاكِعاً مِنْ حَسَدٍ ... قد هَيَّأَ اللهُ لِكُلٍّ مَا كَفَى[4]

في قِسْمَةِ اللهِ وفِي ضَمَانِهِ ... وفي اقتِنَاعِ الرِّزقِ غَايَاتُ الرِّضَا[5]

إذا سَنَا اللهُ لِعَبْدٍ نِعْمَةً ... فواجِبُ العَبدِ الرِّضَا بِمَا سَنَا[6]

=مفعول أرى؛ فهو كقولك: لا أراني أفعل كذا تأكيداً لعدم الفعل، وأسند النظر إلى الوجه مجازاً استعارياً لعلاقة إطلاق الأخص بالأعمّ. والوجه [في الشطر الثاني] أراد به عموم جنس الإنسان || يُحقُّ: مبني لما لم يُسم فاعله، بمعنى: يلزم، أو بمعنى: يستحق || يُحيَا: مشتق من التحية || الحشا: التراب. **المعنى**: وحلفت أيضاً أن لا أراني باشا مُنطلقاً أبداً لرجل من لازمِهِ وحقه أن يُحشا عليه التراب، ولا تخفى، هنا، الصيغة التهكمية اللاذعة باستخدامه يُحيَا بالحشا، أي: التراب، عوضاً عن الصيغة المُباشرة التي لا تقل إهانة واستصغاراً.

(١) تمنُّها: تنعمها، والمَنّ: الإنعام || الخساسة: الدناءة وسوء الخلق || أشد: صيغة أفعل تفضيل || قذراً: تمييز، وهو ما يستقذره الإنسان || الوَغَى: القيء والمدّ والقبح. **المعنى**: إن العيشة في ظل مَنٍّ من رجل خسيس دنيء أكثر قذارة في نظري من القيء والقبح. [**ملحوظة**: وردت (الوغى، في الأصل المُعتمد عوضاً عن الوَغَى)، واعتمدنا ما أورده الشيخ الفارسي لاعتقادنا بصوابه]

(٢) القناعة: الرضى بالمقسوم || يُمنى له: ما يُقدّر له، [مبنيّ لما لمْ يُسم فاعله] || الحظ: النصيب || عِيشة: مطلق ما يُعاش به من الرزق || المُنى: جمع مُنية، وهي ما يتمناه الإنسان. **المعنى**: إن رضى العبد بما قسم الله له من الرزق والنصيب في كل ما آتاه من سعة وضيق، وعسرة ويسرة أخيَرُ له من جميع ما يتمناه، لأن القناعة أصل الغنى وأسُّ العافية.

(٣) لا أذود الحظ: لا أدفعه ولا أطرده || السيل: المطر الكثير || الوهاد: الأراضي المنخفضة || الرُّبى: جمع ربوة، وهي المكان المرتفع من الأرض. **المعنى**: إني لا أطرد الحظ عن طريقه المقصودة، فالسيل ينزل حظاً مقدراً للأرض الواطئة وللنبات، لا الأرض المرتفعة، والمراد: أنني لا أطلب الحظ وأوجه طريقه، فكل مُيسر لما خلق له، وليس غريباً أن يكون السيل من حظ الأراضي الواطئة وليس المرتفعة.

(٤) شاكعاً: متوجعاً. **المعنى**: إني لا أحسد أحداً على ما أتاه الله من فضله، ولا أبات متوجعاً حسداً، فالله قدر لكلٍّ كفايته من الرزق لا يفوته منه شيء.

(٥) **المعنى**: في قسمة الله وفي كفالته أرزاق الخلق، وفي قناعة العبد بما قسم له من رزق نهاية الرضى.

(٦) سَنا: فتح وسهّل وأعطى. **المعنى**: إذا فتح الله لعبده نعمة ويسرها له، فعلى العبد الشكر لنعمة ربه.

فـفـيـمَ يُـصْـلِي حَـاسِـدٌ ضَـمِـيـرَهُ ... والـحَـظُّ والأرزاقُ تَـقـديـرٌ مَـضَـى[1]

فـافـطِـنْ لأقـسـامِ الـحُـظـوظِ إنَّـهَـا ... قـضِـيَّـةٌ عَـادِلَـةٌ بَـيـنَ الـوَرَى

سَـوِيَّـةٌ وإنْ تـكُـنْ تَـمَـايَـزتْ ... حَـالَةُ ذي عُـدْمٍ وحَـالُ مَـنْ ثَـرَا[2]

لـم يَـظْـلِمِ الـقَـاسِـمُ مَـحْـرُوماً ولا ... كُـلَّ سَـعِـيـدٍ بـالـثـرَاءِ مُـحْـتَـظَـى[3]

مـا سَـرَّنِـي مِـنَ الـثـرَاءِ وَفْـرُهُ ... إنْ كـانَ بَـيـنَ الـلؤمِ والـحِـرْصِ نَـمَـا[4]

إذا نَـفَـثْـتُـهُ هَـكَـذا وهَـكَـذا ... صَـنَـائِـعٌ فـي أهـلِـهـا فـقـد زَكَـا[5]

فـأنْـهِـبِ الـمَـالَ حَـقَـائِـقَ الـعُـلا ... وَفُـكَّ مِـنْ أسْـرِ الـزَّمَـانِ الـمُـهْـتَـدَى[6]

مـا بَـلِـيَـتْ مُـوهَـبَـةٌ فـي حَـقِّـهَـا ... وَوَعْـدُ مَـا ضَـنَّ بـهِ الـحِـرْصُ الـبِـلَى[7]

---

(١) يُصلي: يحرق ويُعذب || الضمير: الخاطر والقلب || مَضى: ثبتَ في حُكم الله وقدره. **المعنى**: لأي شيء يُعذبُ الحاسد نفسه، فالأرزاق والنعم ثابتة وأمرها محسوم سلفاً بيد الله عز وجل، ولا تتحولُ أو تنتقل عما ثبت في حُكم القدير بحسد حاسد ولا بأمنية مُتمنٍّ.

(٢) ثرا: يثرو ثروا وثروة وثراء: أي غني، والثراء: المال والغنى، مطلقاً. **معنى البيتين**: تدبر في قسمة الأرزاق، تجدها مقسومة بعدل بين العباد وإن تفاضلت بين فقير وغنيٍّ، فالتفاضل والتمايز لحكمة شاءها الرازق.

(٣) مُحتظى: من الاحتظاء، وهو المكانة من الشيء والإعطاء.

(٤) **المعنى**: ما سرني وسع المال وكثرته أبداً، إذا كان نماؤه، أي زيادته ناشئة بين البخل والجشع، فلا فائدة لبخيل فيما يجمعه من مال.

(٥) **المعنى**: لا يُحمد المال ولا فائدة فيه لصاحبه إلا إذا نفاه، أي: فؤقه يميناً وشمالاً سجية منه، ليزكو ويزداد المال، وقد أراد بذلك إخراج حقوقه بالزكاة.

(٦) النهب: الغنيمة والإعطاء والبذل || الحقائق: جمع حقيقة، ضد المجاز والواجب، كحققته عليك؛ أي: أوجبته وألزمته إياك || العُلا: الارتفاع والعلو || فُكَّ: فعل أمر من فكّهُ يفكّه، أي: خلّص وأطلق || الأسر: الشدة والضيق والحبس || المُهتدى: مفعول فُكَّ، أي: الذي يُهتدى به. **المعنى**: ابذل المال بذلا كثيراً، فيما تعلو وترتفع به على غيرك، وخلّص به من أهانه الزمان بالدفع وإنفاقه على من اهتدى.

(٧) ما بليت: ما فنيت || مُوهَبَة: موهوبة، والوهب: العطاء || في حقها: أي في واجبها وفي موضعها|| الوعد: بمعنى الموعود به || ضنَّ: بخلَ بخلا شديداً || البلى: الفناء. **المعنى**: لن تضيع ولن تفنى عطية أو هبة وهبها صاحبها في موضع مستحق، بل هي باقية ينتفع بها حيا وميتاً، في حين أن وعد الحريص يضيع ويفنى.

فَرُبَّمَا تَحْسَبُهُ وَضِيعَةً ... فِي مَتْجَرِ الفَضْلِ بِهِ الرِّبْحُ نَمَا[1]

عَقَائِلُ المَالِ إذا أَطْلَقْتَهَا ... خَلَّدَتِ الذِّكْرَى وأنتَ فِي الثرَى[2]

مَا أَلْحَقَ اللهُ بِنَفْسٍ حَوْبَةً ... تَحَوَّبَتْ مِنْ شُحِّهَا بِالمُقْتَنَى[3]

أَذَلَّ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ حِرْصُهُم ... لا تَسْتَقِيمُ عِزَّةٌ عَلى الكَدَى[4]

حَتَّى مَتَى كَأْسِيَ رِيقُ حَيَّةٍ ... ومَطْعَمِي مِنْ زَمَنِي مُرُّ الجَنَى[5]

أُطَالِبُ الدَّهْرَ حُقُوقاً كُلَّهَا ... كَبَارِحِ الأَرْوَى مَنِيعَاتِ الذُّرَى[6]

---

(١) وَضِيعةً: ضائعاً أو بمعنى قليل || متجر: بمعنى التجارة || الفضل: الشرف والرفعة || الربح: زيادة الفائدة || نما: كثر وزاد. **المعنى**: لا تحتقر ما تتصدق به وتهبه وتحسبه ضائعاً على قلته، لأنه يزيدك ربحاً ونماء وكثرة في متجر الرفعة والشرف.

(٢) عقائل المال: كرائمه || أطلقتها: بذلتها || الذكرى: الصيت والشرف || الثرى: التراب. **المعنى**: إذا بذلت كرائم مالك وأحسنه غير باخل به أصبت طريقه، وستبقى لك الذكرى صيتاً وشرفاً حتى بعد رحيلك عن هذه الفانية.

(٣) الحَوْبَة: الهم والحزن والحاجة والمسكنة والتوجع والمرض والهلاك والبلاء || تحوَّبتْ: تجمعت وعظُمت || الشحّ: البخل والحرص || المُقتنى: المُكتسب، وقناه يقنيه قنى وقناء كسبه فجمعه. **[ملحوظة]**: [ورد الشطر الثاني في شرح الشيخ الفارسي هكذا: تحوَّبتْ من شحِّهِ لمُقتنى]. **المعنى**: ما أصاب الله بعبد من عباده مرضا وهما يتعاظم عليه خطره وبلاؤه بأشد من بخله وحرصه على ما يجمعه من مال، فهو الداء العضال الذي لا دواء معه، فإذا استحكم الشحُّ بالمرء صعب عليه التخلص من خصاله الذميمة.

(٤) الكَدى: البخل والمنع، وجمع المال كداه يكديه كدى، أي: جمعه شيئاً فشيئا. **المعنى**: إن البخل يهين الرجال ويذل رقابهم ويسلبهم عزتهم، فلا عزة تبقى مع خصيصة الحرص، ولذلك لا ترى بخيلًا إلا ذليلًا مُهاناً، ولا تجد كريماً إلا عزيزاً متعالياً.

(٥) **[ملحوظة]**: ورد الشطر الأول في شرح الشيخ الفارسي مقلوباً هكذا: [حتى متى كأسيَ ريقُ حيَّةٍ]، والمعنى واضح من سياق البيت في الحالتين: كأسُهُ المسمومة وطعامُهُ مُرُّ المُقتطف.

(٦) **[ملحوظة]**: في شرح الشيخ ورد البيت: أطالب الدهر حقوقاً كلها | كطالب الأروى منيعات الذرى]، ونستصوب ما ورد في الأصل المعتمد: بارح، عوضاً عن طالب]. بارح: برح بروحاً: زال، وبرح الظبي والطائر: مرَّ من يمين الرائي إلى يساره، والعرب تتشاءم به || الأروى: بضم الهمزة وفتحها، جمع أروية وهي أنثى الوعول || الذرى: العلو والارتفاع. **المعنى**: إني أطالب الدهر وأسأله حقوقاً كثيرة ثبتت لي عليه، لكنه لا يذعن لمطلبي، وصار طلبي كمن يرى الوعل المتمنع في ذروات الجبال وهي تمر من يمينه إلى يساره، إمعاناً في التشاؤم باستحالة صيدها.

أقطعُ آمالي بما في بَعضِهِ ... أكبرُ مِنْ كافٍ لدَرْكِ المُبتغَى[1]

كأنَّ تَطلابيَ أمراً مُمكِناً ... أصعَبُ مِنْ أمرٍ مُحالِ المُرْتَجَى[2]

لستُ على الحَمدِ مِنَ الأمرِ إذا ... غالَطْتُهُ خِلابَةً فيما أتَى[3]

آتيهِ نَصّاً فإذا خَادَعَني ... فوَّضْتُها للهِ يَقضِي مَا قَضَى[4]

والخَبُّ لا تَصْحَبُهُ فَضِيلَةٌ ... ولو إلى النَّجْمِ بِدَهْيِهِ عَلا[5]

إنْ وَسِعَ الدَّهرُ اختِمَالَ عَاجِزٍ ... فهو سِلاحِي وتِلادِي المُجْتبَى[6]

---

(١) أقطع آمالي: أسرعها وأقربها تحققا || بما في بعضه: الضمير عائد إلى الدهر في البيت السابق || أكبر: أعظم || كاف: جبل عظيم || المبتغى: المراد والمُتمنى. **المعنى**: لقد رأيت أن أسرع وأقرب آمالي إلى التحقق في بعض أيام الدهر أعظم صعوبة من صعود جبل «كاف» صعب المنال.

(٢) التطلاب: مصدر تطلب تطلاباً، بمعنى: طلب، لكن التطلب يكون بإلحاح || أمراً: مفعول «تطلابي»، وهو الشأن المطلوب || محال: مستحيل || المُرتجى: بمعنى الرجاء. **المعنى**: كأنّ إلحاحي وترددي في طلب ما أردته من الدهر، وهو مُمكن، أشد صعوبة من أمر مستحيل رجاؤه.

(٣) الحمد: الثناء التام || الأمر: بمعنى الشأن || المغالطة: الاحتجاج وإعياء الخصم بالحجة، وغالطه في الأمر: خالفه || الخِلابة: الخداع. **المعنى**: إن الدهر لا يستقيم على طريقة ولا يدوم على حال، فأنا عنده محمود ما لم أخالفه في شيء مما يأتيه، فإذاخالفته في أدنى شيء فلست عنده على الحمد، كما لو لم أكن ممن صحبه يوماً.

(٤) نصّاً: بمعنى الإظهار، واستخراج الشيء تأصيلًا، ونص الحديث نصاً: استخرجه ورافقه لرواية من غير تبديل ولا تغيير لوضعه || التفويض: رد الأمر لمالكه كالتوكل || القضاء: الحكم الجازم النافذ. **المعنى**: إنني لا أبالي بما يصيبني من الدهر من نكبات، بل أفعل الأمور وآتيها نصّاً كما هي دون مبالاة بحدثانه وتقلباته عليّ، فإن خادعني الدهر وأرادني بسوء رددت أمري إلى الله يفعل ما يشاء ويحكم بما يريد.

(٥) الخبّ: البخيل والجبان والخدّاع || الدَّهْي: العقل وجودة الرأي [وردت لدى الشيخ الفارسي بَدِيَهَةً؛ وفسّرها: أول كل شيء وما يفجأ به وابتداء الأمر]. **المعنى**: إن البخيل والخداع والجبان لا تعاشره خصلة حميدة ولا تقوم له فضيلة ولو علا وارتفع إلى الثريا بجودة رأيه أول الأمر، فلا بد من انحطاطه وسقوطه.

(٦) وسع: اتسع وصار ذا وسع، ضد ضاق || العاجز: المثبط، ضد الكيّس || السلاح: آلة الحرب || التلاد: المال || المُجتبى: المُختار. **المعنى**: إني أقر بعجزي وقصوري عن مقاومة الدهر، لكنْ إن وسعه احتمالي له على مكارهه وتكلُّفي مشاقه، فذلك الاحتمال هو سلاحي الذي أحارب به، ومالي المغني عن احتياجي إليه.

يُـنـفِـقُ فِـي إهَـانَـتِـي صُـرُوفَـهُ ... وأُنْـفِـقُ الـعَـزْمَ وإنْـفـاقِـي زَكَـا[1]

ذنـبـي إلـيـهِ جَـنـفِـي عَـنْ لُؤمِـهِ ... وقُـدْرَتِـي عَـلى احْـتِـمَـالِ مَـا جَـنَـى[2]

وإنَّـنِـي الـحَـتـفُ عَـلى لِـثـامِـهِ ... أَنْـكَـأُ فِـي حُـلوقِـهِـم مِـنَ الـشَّـجَـا[3]

أَذودُ عَـنْ حُـرِّيـتِـي بـحَـقِّـهَـا ... وأُجْـهِـدُ الـنَّـضـرَ لِحُـرٍّ مُـبْـتَـلَا[4]

وإنَّـنِـي لا أعـرِفُ الـحَـدَّ لِمَـا ... أسْـطِـيـعُ أنْ أُنْـجِـزهُ مِـنَ الـعُـلا[5]

وإنَّـنِـي لا أُبْـطِـلُ الـجُـهـدَ إلـى ... حَـدٍّ سُـكُـونِـي بَـيـنَ أَطْـبَـاقِ الثَّـرَى[6]

وإنَّـنِـي أُدْرِكُ أنَّ عَـازِمـاً ... مُـشـابِـراً يُـدْرِكُ غـايَـاتِ الـمُـنـى[7]

وإنَّـنِـي فـي مِـحَـنٍ سَـاوَرْتُـهـا ... عَـلِـمْـتُ مَـا جَـهِـلـتُـهُ مِـنَ الـوَرَى[8]

وإنَّ فـي حُـسْـنِ الـتَّـدَابِـيـرِ غِـنـىً ... عِـنْ خِـدعٍ وَهُـوَ عِـمَـادُ مَـنْ وَهَـى

---

(١) زكا: نما وكثر وثبت. **المعنى**: إن الدهر لم يزل يبذل صروفه في إهانتي، وبدوري أبذل عزمي وثباتي على ما أنا عليه، والخلاصة أن عزمي نما وثبت وقويَ على صروفه.

(٢) جَنفي: المَيل || جنى: بمعنى فعل. **المعنى**: ليس لي عند الدهر ذنب أستحق بموجبة الإهانة والذل، عدا مجانبتي وميلي عن سوء فعله في أهله لؤماً مع قدرتي على احتمال ما يفعله ويجنيه.

(٣) الحتف: الموت والهلاك || أنكأ: أفعل تفضيل مهموز الآخر، بمعنى: أقتل، أي أشد قتلاً وفتكاً || الشَّجا: ما ينشب في الحلق من عظم وغيره. **المعنى**: أنا الموت القاطع على لئام الزمان وبخلائه، لذلك تراني أشد فتكاً وضرراً بهم مما ينشب في حلوقهم.

(٤) أذود: أدفع || حرية الإنسان: عزته وشرفه || بحقها: بما لها من الحق الثابت. **المعنى**: أدافع عن حريّتي، كما أنصر كل حُرٍّ ابتليَ من الدهر بكل ما أوتيت من قوة.

(٥) الحدّ: الحاجز بين شيئين، ومنتهى كلّ شيء || أسطيع: أستطيع، قلبت تاء الافتعال طاء لاجتماعها بالطاء فأدغمت التاء في الطاء || العُلا: الرفعة. **المعنى**: إنني أدافع عن حريّتي قدر استطاعتي، ومثلي منشغل بإمضاء المدافعة إنجازاً للرفعة.

(٦) أبطل: أضيع || الجهد: الاجتهاد والبذل في طلب المراد || سكوني: حلولي وإقامتي || أطباق: جمع طبق، وهن الأغطية واحداً فوق آخر، وقصد بها طبقات تراب القبر || الثرى: التراب. **المعنى**: ولا أضيع اجتهادي ما دمت حياً حتى تنعدم حيلتي بعد سكناي في مثواي الأخير.

(٧) **المعنى**: إنني علمت يقيناً أن من أراد فعل أمر وقطع عليه همته وواظب على فعله وطلبه يدرك ما أراده من الغايات.

(٨) المُساورة: المُواثبة. **المعنى**: كما أنني في البلايا والمحن استطعت مقارعتها ومواثبتها بتجلد، وعرفت ما جهلته من الخلق.

وإنَّـنِـي لا أَسْـتَـثِـيـرُ سَـيِّـئـاً ... ولا أُسِـيءُ دَفـعَـهُ إذا عَـنَـى[1]

ولا أُدَاجِـي مَـالِئـاً وذامُـهُ ... عَـلَيَّ غَـيْـظاً بـفـقـاعَـاتِ الـنَّـشـا[2]

ولا أُحَـابِـي مَـلِـقـاً ذا ظَـاهِـرٍ ... يَـشِـفُّ لِي ظَـاهِـرُهُ عَـمَّـا انْـطَـوَى

مَـالِي وَجْـهَـانِ ولا ثَـلاثَـةٌ ... إنْ لَـم أَكُـنْ حُـلواً أَكُـنْ مُـرَّ الـجَـنَـى[3]

تِـلكَ ومَـا يَـفـضُـلُـهَـا خَـصَـائِـصِـي ... ولَـيْـسَـهَـا عِـنـدَ الـزَّمَـانِ تُـرْتَـضَـى[4]

أَرَى الـحَـيَـاةَ كُـلَّـهَـا ذَمِـيـمَـةً ... وخَـيـرَهَـا وشَـرَّهَـا إلَـى مَـدَى[5]

يُـحِـبُّـهَـا الـمَـرْءُ عَـلَى آفَـاتِـهَـا ... وتَـظـهَـرُ الآفَـةُ عِـنـدَ الـمُـنْـتَـهَـى

يَـعِـيـشُ لا تَـنـدَى صَـفَـاةُ كَـفِّـهِ ... يَـخـزِنُ لِلوَارِثِ كُـلَّ مَـا اصْـطَـفَـى[6]

لا تُـرْبِـحِ الـدُّنـيَـا بِـشُـحٍّ وَافْـتَـقِـدْ ... مَـا أَوْضَـعَ الـجَـامِـعَ مِـنْ حُـلْـدِ الـغِـنَـى

نَـهُـبٌ فِـيـهَـا هَـبَّـةً فَـتَـنَـسَـرِي ... وكُـلُّـنَـا مُـرْتَـهَـنٌ بِـمَـا أَتَـى[7]

---

(١) **المعنى**: لا أستثير ولا أطلب قيام لئيم أو جلادا على عداوة، ولا أقصر في رده عني إذا قصد الأمر.

(٢) المالئ: الواسع الممتلئ من المال || ذامُه: مُحقره؛ وهو مبتدأ خبره محذوف تقديره: كائن أو ثابت || غيظاً: حقداً || فقاعات: جمع فقاعة، وهي الخبث، والفقيع: الرجل الخبيث || النشا: الذم والشتم، نقيض الثناء. **المعنى**: لا أداري غنياً لأجل غناه، وذمه حقداً عليّ بخبيث الشتم من غيظ وحسد.

(٣) الجنى: التمر المُجتنى وسواه من الثمار. **المعنى**: تلك صفاتي، ولست صاحب ثلاثة وجهوه، فوجهي دائماً واحد؛ إن لم أكن حُلواً فالمُجتنى من وجهي مُرٌّ علقم.

(٤) ليسها: بمعنى ليس هي. **المعنى**: في إشارة للأبيات السابقة من عدم محاباته وعدم امتلاكه لأكثر من وجه كالمنافقين، يؤكد على خصائصه وفضائلها التي ـ مع ذلك ـ لا يرضى الزمان بها.

(٥) إلى مَدَى: إلى أجل.

(٦) بعد توضيحه لرؤيته للحياة بصفتها ذميمة رغم معرفة المرء بآفاتها التي لا تظهر إلا ساعة حضور الأجل؛ يتحدث عن نقيصة البُخل البشريّ لدى الثريّ الذي لا تندى صَفاة كفّه لأنه يخزن لمن سيرثه كلَّ ما اصطفاه من غنى وجاه دون أن يستمتع به أو يعطي منه حقوق الآخرين. والصَّفاة: هي حجارة الوادي الملساء استعارها الشاعر تشبيها بها لعدم إنداء كفّ الشحيح، لأن الصَّفاة تقبض ما عليها ولا تنديه. وفي الصورة الشعرية تلاعب على مفارقة ندى الكفّ وتعرُّقها الطبيعي والكرم المُؤمّل منها يداً إنسانية، لذلك شبه يد البخيل بالصَّفاةِ الصَّلدة التي لا تُعتصر.

(٧) الهَبّ: الإسراع والنشاط || تنسري: تنكشف وتزول. **المعنى**: إننا نسرع في طلب الدنيا بنشاط ورغبة إسراعاً شديداً، وحين تنكشف نبقى مرتهنين بأعمالنا تحت اللحود لا ينفعنا إسراعنا ولا رغبتنا فيها.

يَفوزُ فِيهَا كَيِّسٌ بِرَبِّهِ ... إمَامُهُ الرُّشْدُ بِمِنهَاجِ الهُدَى

فاستخلِصِ المَجْهُودَ في تَخلِيصِهَا ... مِنْ وَرْطَةِ الذنبِ وَأَشْرَاكِ الهَوَى

وانْتهِزِ الفُرْصَةَ فِي اسْتِدْرَاكِهَا ... أَوَامِرَ اللهِ ومَا عَنهُ نَهَى

إنَّ لَهَا عَدْواً إلى غَايَاتِهَا ... والحَدُّ وَافاكَ وَدَرْبُكَ انْقَضَى

لا تُهمِلَنَّ ذَرَّةً فِي عَبَثٍ ... فلَسْتَ مَتروكاً كمَا شِئتَ سُدَى

تُوَدِّعُ الأنفاسَ لا تَبكِي لَهَا ... وَرَجْعُ مَا وَدَّعْتَهُ لا يُرْتَجَى

والكُلُّ مِنهَا رَاحِلٌ بِبِضْعَةٍ ... مِنْ أَجَلٍ مُقدَّرٍ عَلى شَفَا

وآخِرُ الأنفاسِ يَرجُو وَقْتَهُ ... فَهَلْ تَرَى تَأخِيرَهُ إذا دَنَا؟

وَرُبَّمَا فكَّرْتَ فِي تَأخِيرِهِ ... يَكُونُ أَدْنَى لكَ مِنْ فِكْرِ الحِجَا

فَوَدِّعِ البَاقِيَ مِنْهَا مُخلِصاً ... بالبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ فِي اللِقَا

دَرَاكِهَا مُبَادِراً دَرَاكِهَا ... فالأجَلُ المَعْدُودُ للعُمْرِ خَلا[1]

أَمَا تَرِقُّ لِحَيَاةٍ أُوذِنَتْ ... بِغُصَّةِ المَوتِ وَهَولِ المُلتقى[2]

ارْحَمْ حَيَاةً طَلُحَتْ بِوِزْرِهَا ... فِي حَمْلِ ذَرٍّ مِنهُ إِيهَانُ القُوَى[3]

لو قَرَصَتْهَا ذَرَّةٌ تَألَّمَتْ ... فكَيفَ بالنَّارِ إلى غَيرِ مَدَى

حَتى مَتى تُنصِبُنِي أُمْنِيَةٌ ... فِي نُصْرَةِ اللهِ فَتعْدُونِي المَنَى[4]

كأَنَّنِي مُكَبَّلٌ فِي شَرَكٍ ... يَزدَادُ فِي الشَّدِّ إذا قُلتُ وَهَى[5]

---

(١) دراكِها دراكِها: اسما فعل مبنيان على الكسر، بمعنى أدرك أدرك || خلا: مَضى. **المعنى**: أدرك وتدارك ما بقي لك من أنفاس قليلة، فقد مضى واكتمل أجلك المعدود.

(٢) أوذِنَت: مبنيٌ لما لم يُسَمَّ فاعله؛ أي: وعدت.

(٣) طلحت: تعبت || ذرّ: أقل القليل || القوى: شدّة النفس. **المعنى**: ارحم نفسك واشفق لها وأنقذها من حمل الآثام والأوزار، فقليل الإثم يهين النفس ويذلها ولو كان مقدار ذرّة.

(٤) تنصبني: تتعبني || المَنى: بفتح الميم، تعني البلا، ومَناة يمنوه، أي: بَلاه. **المعنى**: إلى متى أقعد عن نصرة الله؟ فكلّما أقامتني أمنية في نصرته صرفتني البلايا عما تمنيته.

(٥) **المعنى**: كأنني مُكبَّلٌ في مصيدة لا أفلت منها للقيام بنصرة الله، حبالها تشتدُّ كلما اعتقدت أنها ضعفت.

أُشاطِرُ النَّجْمَ السُّهَادَ سَارِياً ... فيَغرُبُ النَّجْمُ وَعَينِي فِي السُّرَى[1]

كأنَّ أفعَى نَهَشَتْ حُشاشَتِي ... مِنْ لازِب الهَمِّ وتِلْهَابِ الحَشَى[2]

أذكَى مِنَ النارِ بقلبي زَفرَةٌ ... يُخرِجُهَا المَظلومُ مِنْ حَرِّ الأسَى[3]

مُختَرِقُ الأكْبَادِ مِنْ حَشرَتِهِ ... لا غَوْثَ، لا مُنصِفَ، لا يَلوِي إلى . .

أنفاسُهُ تَطْرُقُ بَابَ العَرْشِ لا ... تَطْرُقُ بَاباً غَيرَهُ ولا ذَرَى[4]

وعَبْرَةٌ تَسْفَحُهَا أرْمَلةٌ ... كالخَلِقِ السَّحْقِ أصَارَهَا الضُّوَى[5]

شَعْثَاءُ غَبرَاءُ عَلَيهَا ذِلَّةٌ ... مَهْضُومَةُ الحَقِّ عَدِيمَةُ الحِمَى

وصُفرَةٌ عَلى يَتِيمٍ شَاحِبٍ ... أدْقَعَهُ الفَقْرُ وَأشْوَاهُ الضَّنَى

مُفتَرِشاً عَلى العَفا أدِيمَهُ ... وهَلْ لَهُ عَافِيَةٌ عَلى العَفا؟[6]

يَغدُو ويُمْسِي ضَاحِياً تَحتَ السَّمَا ... كأنهُ عُودُ خِلالٍ أو خَلا[7]

---

(١) **المعنى**: أتابع النجم في مسراه ليصل موضع قصده، في حين أظل ساهراً بعد أفوله لا أبلغ المقصد.

(٢) لازب الهم: ثابته. **المعنى**: ولشدة الهمّ الثابت والمُلازم، صرت من السهر وقلة النوم، كما لو أن حيّة خبيثة نهشت روحي.

(٣) أذكى: أفعل تفضيل؛ أي أشد ذكاء || حَرّ الأسى: شدة اشتعاله. **المعنى**: وبقلبي زفرة أشد من النار كتلهب زفرة المظلوم الذي ناصر له ولا معين على إخراج حقه من شدة الحُزن.

(٤) الذَّرَى: (بفتح الذال): المُلتجأ؛ ذراهُ يذريه ذرىً، أي حماه واحتمى به ولجأ إليه، وهي مفردة من صميم اللهجة العُمانية استخداماً، **ومعنى** البيت واضح ومفهوم.

(٥) العَبرة: جمعها عَبَرات، وهي الدمعة قبل أن تفيض من العين، أو ترددها في الصدر بكاء وحُزنا || الخَلق: الثوب البالي المتغير لونه || السَّحق: من الثياب؛ الخَلَق البالي، وقد يُضاف للبيان فيقال: سَحقُ ثوب || أصارها: صيّرها وتركها || الضُّوى: الهزال ودقة العظم. **المعنى**: من ذلك الهم المُلازم عَبرة تسكبها الأرامل من النساء والضعفاء من الرجال الذين صيَّرهم ضعفهم وهزال أجسامهم كالأثواب البالية.

(٦) العفى: التراب السبخ || الأديم: الجلد، والمراد به الجسم. **المعنى**: ذلك اليتيم يفترش السبخة لسوء حاله. . فهل ستبقى له صحة وعافية وهو على تلك الحال.

(٧) ضاحياً: بارزاً غير مُستتر || خِلال: الشيء الدقيق يُنظر من بعيد يكاد يُبصر ولا يكاد، لدقته وبعده عن الرائي || خلا: قصره للضرورة الشعرية، وأراد به الخلاء. **المعنى**: ويصبح ذلك اليتيم ويمسي بارزاً كعود خِلال في الخلاء تكاد تراه ولا تراه لشدة نحوله، بل كأنك تشاهد خلاء خالياً لشدة اضمحلاله ونحوله.

وَضَرْبَةٌ مِنْ سَيفِ بَاغٍ نَهَكَتْ ... وَجْهَ تَقِيٍّ مِثلَ تَشْهَاقِ العَفَا[1]

وسَطْوَةٌ مِنْ ظَالِمٍ شَبَاتُهُ ... أقتَلُ لِلإسْلامِ مِنْ حَدِّ الظُّبَى[2]

يَنتَهِكُ الحُرْمَةَ لا تُرِيغُهُ ... ضَرِيبَةٌ مِنْ كَرَمٍ وَلا تُقَى[3]

يَرَى عِيَالَ اللهِ صَيْدَ قَوسِهِ ... يَترُكُ مَا شَاءَ ومَا شَاءَ رَمَى[4]

جَاسَ البِلادَ بالبَلاءِ طَامِياً ... فَبَزَّ حَتى بَلغَ السَّيلُ الزُّبَى[5]

---

(١) تشهاق: تردد البكاء في الصدر كالشهيق || العفا: الجَحْش. المعنى: ومن الهم العظيم الذي بقلبي ضربة باطلة من باغ ظالم أهلكت عبداً تقياً طائعاً لربه بغير وجه حق، يشهق كتشهاق الجحش الصغير المغلوب على أمره لا ناصر له على عدوه. والحقيقة أنني لم أجد وجه مُناسبة في تشبيه ضربة سيف الباغي على وجه التَّقيّ بتشهاق الجحش، وبدت لي غرابة المُماثلة بين تشهاق التقيّ وتشهاق الجحش، لكنني وجدتُ الشاهد ـ على غرابة التشبيه ونفور الذائقة منه ـ فيما أنشده ابن السكيت والمُفَضَّل لأبي الطَّمحان حَنْظَلة بن شَرْقيّ: «بضَرْبٍ يُزيلُ الهامَ عن سَكِناتِه || وطَعْنٍ كتَشْهاقِ العَفَا هَمَّ بالنَّهْقِ»!

(٢) السطوة: الصولة والقهر || الشباة: النعل، وأراد بها وطأته. وخففه من باب تسمية الموصوف بصفته، وأصلها شباة النعل: أي جانباه || أقتلُ: أفعل تفضيل، أي أشد قتلًا || الظُّبى: حدُّ السيف والسنان والخنجر. [وردت في شرح الفارسي «الضبا»، وقد عجز عن معناها محقق الدُّرر المنثورة د. عادل محمد علي الطنطاوي، فعلَّق: «بحثت في كثير من المعاجم فلم أجد ما ذكره الشيخ»... والحقيقة لو أنه بحث ـ وهو المُحقِّق ـ في باب «الظاء» عوضاً عن «الضاد» لوجدها في لسان العرب. وأصلها: الظُّبَة. قال بشامة بن حرى النهشلي: إذا الكُماةُ تنحَّوا أن ينالهم || حَدُّ الظُّبات، وصلناها بأيدينا. وفي حديث علي بن أبي طالب: نافحوا بالظُّبى؛ هي جمع ظُبَة السيف، وهو طرفه وحدُّه. المعنى: وصولة وقهر من ظالم متعد، ووطأة قدمه أشد قتلا وهلاكاً للمسلمين من حد السيف.

(٣) لا تُريغهُ: لا ترده ولا تمنعه || الضريبة: الطبيعة والسجية من الإنسان. المعنى: إن ذلك الظالم دائماً ينتهك محارم الله ويتعدى حدوده بظلم العباد والبغي عليهم لا يرده ولا يمنعه عن ذلك سجية كرم وتعزز في نفسه ولا تُقىً رادع له.

(٤) المعنى: ومن شدة ظلمه وتكبره يرى عباد الله [عياله] وأهل طاعته مُلك قوسه يختار اصطياد من شاء منهم ليرميه بقوسه تاركاً من لم يَشأ.

(٥) جاس: طلب الشيء باستقصاء متردداً على البيوت والدور بغاراته || طامياً: عالياً متكبراً || بزَّ: غلب|| الزُّبى: مقصور جمع زبية، وهي ما ارتفع من الأرض، وهو مثل يُضرب في شدة الأمور حين تبلغ مبلغاً فظيعاً. المعنى: لقد تردد هذا الظالم الباغي في بلاد المسلمين متعالياً متكبراً عليهم بالغلبة والقهر حتى بلغ جوره مبلغاً فظيعاً.

وغِيرَةُ المُؤمِنِ فِي ضَمِيرِهِ ... يُطْفِئُهَا الخَوفُ ويُورِيهَا الأسَى[1]

يُهَانُ فِي حَرِيمِهِ وعِرْضِهِ، ... وَدِينُهُ وَمَالُهُ مِثْلُ اللَّقَا[2]

حَامِي الحُمَيَّا مَرِسٌ لَكِنَّهُ ... شَرَارَةٌ فِي ضَرَمٍ لا مَا عَدَا[3]

ما تَنفَعُ الغِيرَةُ فِي مَكْمَنِها ... والسَّيفُ فِي قِرَابِهِ لا يُنْتَضَى[4]

حَتى تَكِرَّ الخَيلُ كِسْفاً سَاقِطاً ... تَهْوِي هَوِيَّ العَاصِفاتِ في الوَغَى[5]

تَجْمِزُ جَمْزاً بالكُمَاةِ شُزَّباً ... عَوابساً شُمْساً كسِيدَانِ الغَضَى[6]

هَوَازِجاً غُرْباً لُجَاجاً ضُبَّعاً ... غُمْرَ الأجَارِيِّ بَعِيدَاتِ الشُّحى[7]

---

(١) **المعنى**: ينتقل ابتداء من هذا البيت لوصف حالة المؤمن الضعيف الذي تتذبذب غيرته على الدين بين خوف يطفئها وحزن يوقد أوارها.

(٢) اللَّقا: ما طرح على وجه الأرض لحقارته. **المعنى**: والمؤمن الذليل الضعيف مُهان في هتك حريمه وعرضه واستباحة دينه وماله، حاله حال ما استُغني عنه لحقارته وطرح على الأرض.

(٣) **الحامي**: المانع والمدافع عن نفسه || الحُميّا: الحوزة وما وليه الإنسان || مَرِس: أي شديد المراس، على وزن فَعِل || الضرَم: الحطب || لا: نافيه || ما عدا: أداة استثناء والمُستثنى محذوف، أي: لا ما عدا ذلك، كقولك: الأمر كذا وكذا، ليس إلّا. **المعنى**: إن هذا المؤمن في حقيقة أمره مدافع عن حوزته وحَرَمه ذو شدة وشهامة، لكنه مخذول بعدم المُعين له، فهو كشرارة نار ضعيفة واهية في حطب رقيق ليّن بالكاد تتقد النار فيه ـ لا أكثر ولا أقل من ذلك.

(٤) **المكمن**: مكان الاستخفاء والاستتار || القِراب: غمد السيف || لا يُنتضى: لا يُسلُّ من غمده. **المعنى**: لا فائدة من غيرة المؤمن الكامنة دون ظهورها وتجليها فعلًا، ولا فائدة من سيف مغمد لا يُسلُّ وقت الحاجة والضرورة.

(٥) تكرّ: تحمل، والكرّة: الحملة في الحرب || كسفاً: قطعاً، وربما أراد به جمع كَسفة ـ بفتح السين ـ وهي القطعة || ساقطاً: واقعاً من أعلى إلى أسفل || العاصفات: جمع عاصفة وهي الريح الشديدة || الوغى: الحرب والفلاة. **المعنى**: لا غيرة تنفع ولا سيف مغمد، إلّا خيلٌ فرسانها أسود الله تهوي على الأعداء قطعاً ساقطات في انقضاضها العاصف.

(٦) تجمز: تثبت || جمزاً: الوثوب وشدة العدو || الكُماة: الشجعان || شزّباً: ضامرة || عوابساً: جمع عابس || شُمساً: جمع شامس، وهو المانع لظهره القوي الصعب، وجميعها نصبت على الحال || السِّيدان: جمع أسود، والحية العظيمة || الغضى: شجر الأثل، واحدته غضاة ـ وتعني أيضاً الليل المظلم. **المعنى**: البيت في وصف الخيل وهي تهجم على الأعداء بفرسانها تثب وتعدو عدواً شديداً لضمورها وخشونتها في آن، كالحة في وجوه الأعداء تشبه الأسُود أو الحيّات في الليل البهيم.

(٧) هوازجاً: جمع هازج، وهو المتدارك والمتقارب والصوت الواقع الشديد || غُربا: جمع غريب وهو الحال النشط || لجاجاً: جمع لجوج، واللجاجة التردد في الشيء من شدة الخصومة || ضُبَّعاً: =

فِـي فَـيْـلَقٍ حَـالِكَـةٍ أَرْكَـانُـهُ ... يُجَلِّلُ الأَرضَ الدُّجَى رَادَ الضُّحَى[1]

مَـجْـرٍ لُهَـامٍ أَرْعَـنٍ هَـطِـلَّعٍ ... غَـمْـرٍ دِحَاسٍ لَجِبٍ صَعْبِ الذُّرَى[2]

يُـقِـلُّ فِـي الـجَـوِّ عِـجَـاجـاً لـو هَـوَى ... عَـلَيـهِ رَضْـوَى لـم يَـصِـلْ إلـى الـثـرَى[3]

تُـعَـشِّـشُ الـعُـقـبَـانُ فِـي أَحْـضَـانِـهِ ... وتَـنـشَـطُ الـوحْـشُ إلَـيـهِ لـلـخَـلَا[4]

=جمع ضابع، وهو الضابط المُصوِّت ساعة جريه || غُمر: جمع غامر، وهو الجواد من الخيل || الأجاريّ: شديد السير || الشّحى: الواسع من كل شيء. وخيل شواحي: أي فاتحات أفواههن. وأيضاً تعني ما بين الخطوتين، جمع شحوة. وانتصاب هوازجاً إلى آخر البيت أحوال مؤكدة في تفوق الخيل. **المعنى**: ولتلك الخيل هزج، أي أصوات متقاربة ذوات بأس واسعة الخطوات والأفواه، والبيت بمجمله يجري في وصف الخيل الشريفة.

(١) الفيلق: الجيش العظيم || حالكة: مسودّة || أركان الجيش: جهاته || يجلل: يكسو || الدجى: سواد الليل || رَادَ الضحى: ظرف زمان من ارتفاع الشمس نحو باع إلى زوالها. **المعنى**: البيت في وصف الخيل حين تكون في جيش عظيم أركانه حالكة من الجهات الأربع، لكثرته يكسو الأرض حتى يصير النهار ليلًا لشدة قتامه.

(٢) مَجْر: نعت لفيلق، أي جيش عظيم || اللهام: العدد الكثير، وربما أراد بلهام: ذا لُهَام: أي ذا قتل وأسر، ولهمه: ابتلعه مرة واحدة || الأرعن: الجيش الواسع الذي يغشى الأرض، وجيش أرعن: له فضول وقوافي، أي: أتباع من غير انقطاع || الهَطلّع: الجيش الذي له طول وعرض || الدِّحاس: الجيش الذي يملأ الأرض || اللجب: المضطرب || صعب: الشديد المخشوشن || الذُّرى: جمع ذروة، وهي أعلى الشيء، كذروة الجبل. **المعنى**: ينتقل الشاعر من الجزء إلى الكل. فبعد وصف الخيل في فيلق واحد من الجيش يبدأ في وصف الجيش ذاته، باتساعه وعرضه وطوله يغشى الأرض قاطبة ويملأها سهلًا وجبلًا مُبتلعاً كل ما لاقاه مرة واحدة، مضطرب كاضطراب البحر عند هيجانه لا يُدرك منتهاه.

(٣) يُقِلّ: يثير ويقيم || الجوّ: الهواء بين السماء والأرض || العِجاج: الغبار الذي يثيره الجيش || هوى: وقع وسقط || رضوى: اسم جبل بالمدينة، [لكنه وفق تفسير الشيخ الفارسي: اسم للجبل الأخضر]، وسُمّي رضوى باسم نبي دفن في سفح من سفوحه || الثرى: الأرض. **المعنى**: وهو جيش يثير في الجو غباراً كثيفاً ثخينا، لو سقط عليه الجبل الأخضر بأسره لم ينته إلى الأرض بل حمله غبار الجيش الكثيف مانعاً إياه من السقوط أرضاً، وثئة مُبالغة طاغية في البيت الذي يصف كثافة غبار الجيش الذي يستطيع حمل جبل بأسره.

(٤) **المعنى**: ولشدة كثافة ذلك العجاج والغبار الكثيف الذي يثيره الجيش تحسبه العقبان جبلًا فتعشش فيه وتخرج الوحوش إليه من جميع الأماكن لترعى، وذلك لشدة صلابته وقوة تراكمه، رغم أنه غبار تبدّى لها كالأرض والمراعي. وهذا واحد من أبيات أبي مسلم التي تشطح فيها مخيلته الشعرية،=

لـولا بُـرُوقُ الـمَـشْـرَفِـيَّـاتِ بـهِ ... لَم يَهْتدِ الجَيشُ الأَمَامَ والقَفَى[1]

تَـضْـطَـرِمُ الأَرضُ بـمَـا تَـقـدَحُـهُ ... سَـنـابِـكُ الـجُـرْدِ وَتَـقْـرَاعُ الـشَّـبَـا[2]

يَـخـلِطُ غَـوْراً بِـيَـفـاعٍ وَقْـعُـهُ ... فـالأرضُ فـي بَـطْـنِ رَحَـاهُ كـالـلَّهَـا[3]

تَـلـتـحِـمُ الـشُّـكَّـةُ فِـي رِعَـالِهِ ... فـالجَيشُ فِي بَحْرٍ حَديدٍ قد طَغَى[4]

مُـزْمِـجِـرُ الـوَغْـرِ لَهُ زَمَـازِمٌ ... زَهَـاؤُهُ الـلـيـلُ إذا الـلـيـلُ عَـسَـى[5]

بِـكُـلِّ صِـنـدِيـدٍ عَـتِـيـكٍ دَاغِـرٍ ... مُـهَـوِّلِ الـكُـبَّـةِ شَـدَّادِ الـسَّـطَـا[6]

=فرغم أن التقنية واللغة مماثلة لما قاله الشعراء القدامى في وصف الخيل والجيش العرمرم، إلا أنه يتفرد بمثل هذا الوصف للغبار الذي يثيره الجيش، لدرجة أن العقبان تعشش فيه.

(١) البروق: جمع برق || المشرفيات: جمع مشرفية، وهي السيوف المنسوبة إلى المشارف من قرى ارض العرب. **المعنى**: وذلك العجاج الذي يثيره الجيش لشدة ظلمته لما اهتدى الجيش إلى طريقه ولم يعرف ميمنته من ميسرته ولا قدامه من قفاه، لولا وميض السيوف في الظلمة الحالكة ترشد الفرسان إلى طريقها الصحيح.

(٢) الجُرد: جمع أجرد، وهي الخيل || التُّقراع: مصدر قرَّعه تقراعاً، وهو شدة الدق والضرب || الشبا: حدُّ السيف. **المعنى**: وهو جيش يُشعل الأرض نارا متوقدة لكثرة قدح حوافر الخيل في مشيها وتكسر النصال على النصال.

(٣) يخلط: يُسوّي. وخلطت الأرض بعضها على بعض: سوَّيتها || الغور: الأرض المنخفضة || اليَفاع: التلال والكثبان، أي ما ارتفع من الأرض || وقعه: مشيه وانطلاقه || الرَّحى: صدر الجيش || اللَّها: جمع لهاة، وهي اللحمة المشرفة على باطن الحلق. **المعنى**: وهو جيش يسوِّي فوق الأرض بتحتها لشدة وقعه عليها، فترى جميع من عليها لعظم صدر ذلك الجيش يبدو صغيراً كاللهاة في حلق الإنسان لم تأخذ من رحاه إلّا قليلًا، فكأنه أوسع من الأرض ذاتها بأضعاف مضاعفة.

(٤) تلتحم: تجتمع وتلتئم || الشُّكة: السلاح || رعاله: أي في سعته ونشاطه، والضمير عائد إلى الجيش - وأراد بالبحر: السلاح ذاته، مشبهاً أسلحة ذلك الجيش بالبحر المتلاطمة أمواجه وترادفها واحدة فوق أخرى، فحذف المشبه به؛ وهو الأسلحة وذكر من لوازمه الحديد، فالمحذوف استعارة تخييلية تمثيلية || طغى: علا وارتفع. **المعنى**: ومن صفات ذلك الجيش أن أسلحته تجتمع ويلتم بعضها على بعض في سيره على سعته، فتصير شيئاً واحداً مترادفا بعضه يتبع بعضاً، يعلو ويرسب كبحر متلاطم، لولا أنه بحر من حديد يعلو الجيش ويرتفع في مسيره على صفحته.

(٥) الوغر: شدة العداوة والغيظ || زمازم: الهدير والزجل، وزمزم الجملُ إذا هدر || زَهاؤه: يماثله ويشابهه || عسى الليل: أظلم كعَسْعَسَ. **المعنى**: ومن صفاته أيضاً أن له زجلًا في مشيه وسيره شديد الصخب متوقداً غيضاً وعداوة على الأعداء، مظلم لكثرته كظلمة الليل.

(٦) الصنديد: السيد الشجاع والحليم والكريم من الناس || العتيك: الكرّار في القتال || الداغر:=

يَسْتَحْقِبُ الحَتْفَ وَيَشْهَى حَيْنَهُ ... إنْ يَكُنِ الحَتْفُ انْتِصَاراً لِلهُدَى[1]

تَهْوَى النُّسُورُ سَيْفَهُ ورُمْحَهُ ... لِمَا يُتِيحَانِ لَهَا مِنَ القِرَى[2]

يَصْدَعُ قَلْبَ الرَّوْعِ فِي عَزِيمَةٍ ... أَسْرَعُ مِنْ بَرقٍ وأَوْرَى مِنْ لَظَى[3]

كَأَنَّمَا جُرَازُهُ مِنْ قَلْبِهِ ... لا يَنْتَجِي ضَرِيبَةً إلّا فَرَى[4]

مُجَرِّسٌ مُضَرِّسٌ مُمَارِسٌ ... يَمْتَرِسُ الخَطْبَ إذا الخَطْبُ شَحَا[5]

عَلَى سَرَاةٍ شَامِسٍ مُطَهَّمٍ ... مُعْتَرِقٍ فِي جَرْيِهِ عَبْلِ الشُّوَى[6]

=المُدافع والمهول والمرعب || الكَتِبَة: الحملة في الحرب || شدّاد النَّطا: كثير البطش والصَّولة. **المعنى**: يصحب ذلك الجيش كل شهم شجاع كريم كثير الكرّ في القتال مفزع لأعدائه بحملته عليهم.

(١) يستحقب الحتف: يطلب الموت ـ وقد سبقه إلى مقاربة المعنى المُمزق العبدي: «فإني يُتْهموا أُنجِدْ خلافاً عليكمُ | وإن تُغمِنوا مُستحقبي الحرب أغرقِ»، لكن تجديد أبي مُسلم هو في استخدامه للحتف استحقاباً، عوضاً عن الحرب || يشهى: يتشهَّى || حَينه: وقت حلول الموت، وأيضاً تعني الانتصار. **المعنى**: كل شجاع في ذلك الجيش يطلب الموت ويرغب فيه، بل يتشهاهُ انتصاراً ومماتاً، إن كان الحتف آخر طريق لنصرة الهدى والهداية.

(٢) **المعنى**: تهوى النسور سيف ذلك الشجاع ورمحه، لأنهما يهبانها الطعام؛ يقصد أشلاء الأعداء بعد تقتيلهم.

(٣) يصدع: يشق ويفرق || الرَّوع: الفزع. **المعنى**: ذلك الشجاع يشق قلب الفزع مفرّقاً مهولات الحرب بعزيمة أسرع من البرق وأشد أواراً من لظى النار.

(٤) جُرازه: سيفه القاطع || لا ينتحي: لا يقصد || ضريبة: المضروب بالسيف || فرى: قطع. **المعنى**: لشدة بسالة وشجاعة ذلك المحارب كما لو أن سيفه قُدَّ من قلبه لا يضرب أحداً بسيفه إلّا قطعه.

(٥) المُجرِّس: المُجرّب للأمور الذي أصابته البلايا [وردت في شرح الشيخ الفارسي: مُحرِّس، أي محافظ، ونعتقد بخطأه وخطأ محقق الدُّرر المنثورة، لأن معنى البيت لا يستقيم مع الصفات الأخرى، فضلًا عن ورودها في الأصل المُعتمد: مُجرِّس] || المُضرِّس: من ضرَّسته الحروب والخطوب؛ أي جرَّبتهُ وأحكمته || المُمارس: الداهية || يمترس: يحتكّ || الخطب: الأمر العظيم || شحا: وسع وانفتح. **المعنى**: إن ذلك الشجاع المُجرِّب الذي خبرته الخطوب ببلاياها، ومن ضرَّسته الحروب داهية يمترس الأمر الجلل إذا انفتح على مصراعيه.

(٦) على سَراة: على ظهر المركوب، وهو الجواد || شامس: المانع لظهره || مُطهَّم: السمين الممتلئ والدقيق الجسم || عبل الشوى: ضخمه وغليظه || الشوى: اليدان والرجلان وقحف الرأس، أو الرأس كله. **المعنى**: وذلك الشجاع راكب على فرس كريم مانع لظهره ممتلئ سمنا شديد الجري غليظ الرأس والرجلين واليدين. نلاحظ أن الشاعر يمتدح الفارس وفرسه، دون تفريق، كما لو كانا معاً آلة حرب واحدة لشدة التحامهما في المعركة، وهو ما سنلاحظه في البيت اللاحق.

يَخْتَرِقُ الحَوْمَةَ فِي وَطِيسِهَا ... يُعَارِضُ الهَوْلَ وَيَعْتَامُ الرَّدَى[1]

كَأَنَّهُ صَاعِقَةٌ مُنْقَضَّةٌ ... لَوصَكَّ فِي خَطْفَتِهِ الطَّوْدَ ثَوَى[2]

مُحْتَمِشاً مُضْطَغِناً صَمْصَامَةً ... يَحُوشُ أَكْدَاسَ الرِّعَالِ كَالقَطَا[3]

أَخْلَصَهُ الصَّقَلُ شِهَاباً قَبَساً ... وَكَمِنَ المَوتُ بِهِ عَلى الشَّبَا[4]

يُفْضْفِضُ الجَحْفَلَ بِاهْتِزازَةٍ ... مِنْهُ وَيَجْتَزُّ الأَشَمَّ إِنْ هَوَى[5]

---

(١) الحومة: شدة القتال || الوطيس: الحرب || يعارض الهول: يتلقى الخوف والفزع || يعتام الرَّدى: يخوِّض في الموت. **المعنى**: وهو يخترق شدة القتال في الحرب يتلقى أهوالها يخوضُ في الموت دونما مبالاة.

(٢) صَكَّ: دفع الشيء بقوة، واصطكَّ الشيئان: صَكّ أحدهما الآخر || خطفته: سرعته الخاطفة || الطود: الجبل || ثوى: اندكّ. **المعنى**: كما لو كان صاعقة منقضة، لو دفع جبلًا مِنْ سُرعته الخاطفة لاندكّ تماماً.

(٣) محتمشاً: مُغضباً || مُضطغناً: الحقد الشديد، والضغون: الذي يجري كأنه يرجع القهقرى، وضغنت الدابة؛ أي استصعبت على القياد، والخيل لا يجري ولا يعدو إلا إذا ضُرب [وردت في الدرر المنثورة: مضطفناً: بمعنى آخذاً] || صمصامة: المُصمِّم على الأمر، وأيضاً تعني السيف الصارم الذي لا ينثني || يحوش: يسوق || أكداس: هنا بمعنى الخيل ازدحمت في سيرها || الرِّعال: القطعة من الخيل قدر عشرين أو أكثر || القطا: طائر معروف. **المعنى**: كما أشرت أعلاه فإن أبا مسلم يجمع بين السيف والفارس وفرسه في صورة شعرية واحدة، بحيث تمحي الفوارق بين الثلاثة في وصف الهجوم وأرض المعركة، لكنه أقرب في هذا البيت إلى دمجه لروح السيف والجواد معاً يسوسهما الفارس الغضب بحيث يسوق أكداس خيول الأعداء أمامه كقطيع من القطا، وعلى بساطة إمكانية تأويل الصورة الشعرية، فهي أكثر تعقيداً مما تبدو عليه حين يقارنها المرء مع سابقها من الأبيات التي تبين عن خوض أبي مسلم نفسه لمعارك على تلك الشاكلة مكنته من الإيغال في وصف المعركة للإمساك على لقطاتها الصعبة حتى على مخرج سينمائي محترف.

(٤) أخلصهُ الصقل: تركه خالصاً؛ أي صافياً مُجوهراً || الصقل: الجلاء صقلًا || كمِنَ: رصد || الشَّبا: حدّ السيف. **المعنى**: وهو سيف تجوهر بالصقل فصار كالشهاب الذي كمن الموتُ فيه على حدِّ شفرتيه.

(٥) يُفضفض: يُفرِّق || الجحفل: الجيش الواسع || باهتزازةٍ: معناها معروف [وردت في الدرر المنثورة «باهتزازه»، وذاك خطأ أوقع محقق المقصورة نفسه فيه، لا سيما أنها متبوعة في عجز البيت بـ «منهُ»، أي باهتزازةٍ من السيف!] || يحتزُّ: يقطع || الأشمّ: المرتفع، ولا تعني هنا الجبل المرتفع [كما ورد لدى الشيخ ومحققه]، بل تعني الرجل الذي يمر رافعاً رأسه تكبُّراً، ومنها الشَّمَم: ارتفاع قصبة الأنف في استواء || هوى: وقع. **المعنى**: وهو سيف يفرِّق جحفل الجيش باهتزازة واحدة منه لا غير=

يُشْفِعُهُ بِلَهْذَمٍ سِطَامُهُ أَعْصَلُ رَقْشاءُ عَلى الحَتفِ انْطَوَى[1]

فِي مَأْزِقٍ بَيْنَ كَمِيٍّ قَد ذَمَى يُحْشرِجُ الرُّوحَ وَضِرغامٍ شَصَا[2]

يَسُوطُ فِيهِ فَيلقاً بِفَيلَقِ كَمَا يَسُوطُ البُهْمَ تَقراعُ الشَّبا[3]

=(إمعاناً ومبالغة في صفة سيف يفرّقُ جيشاً كاملًا باهتزازة منه، كما يقطعُ جسد الفارس الرافع رأسه تكبراً في المعركة أثناء سقوطه عن فرسه، والصورة الشعرية بليغة، فهو يفترض أنه سيف يفرق جيشاً بأكمله، ويحز جسد أفضل فرسانه بحزة ثانية خلال سقوطه.

(١) يشفعه: يشفع الشيء شفعاً؛ أي يضم مثله إليه، وأيضاً: يجعله زوجاً [يشفعه وردت في نسخة الشيخ: «يُسعفه»، لكننا نميل، لأسباب جماليّة صِرف، إلى ما ورد في الأصل المُعتمد ـ على صِحّة يُسعفه] || اللهذم: السيف القاطع || سِطامُهُ: حدُّه || الأعصل: السيف المعوج في صلابة || الرقشاء: الحَيّةُ لرقشة جلدها || على الحتف انطوى: اشتملَ على الموت. **المعنى:** ولأنه سيف يفرّقُ جيشاً كاملًا باهتزازة منه، كما يقطعُ جسد الفارس الرافع رأسه تكبراً في المعركة؛ فإنه لا يكتفي بذلك بل يشفعه بفارس آخر يضمه إليه مُجندلًا بضربة واحدة من حدِّ سيفه المُتموج على صلابته كالحيّة الرقشاء لشدةِ انطوائه صلابةً وتموجاً على الحتف الأكيد، ومرة أخرى نلاحظ أن الشاعر ضم إلى صلابة سيف الفارس الممدوح أثناء الضرب وقدرته على التموج والانثناء كالأفعى، تأكيداً لعمق الصورة الشعرية، ولذلك فضلنا «يشفعه» عوضاً عن «يسعفه»، لأنه انتهى في لحظته الخاطفة من قتل فارس ليلقي على جثته فارساً آخر في ذات اللحظة.

(٢) المأزق: المَضيق الحرج، وأراد به هنا موضع القتال || الكَميّ: الشجاع || ذَمَى: من الذماء؛ وهي بقية الروح في المذبوح. قال الأصمعي (في اللسان): ذمِي العليلُ يذمي ذمياً إذا أخذه النزع فطال عليه الموت. [في الأصل المعتمد وردت دَمَى، ولم نعتقد بصحتها، وفي الدرر المنثورة وردت ذمّا: أي وقع على الأرض، ولم نعتقد بصحتها أيضاً ـ واستنتاجنا أنها ذَمَى، كما أوردناها مع تفسيرها، سابق الذكر في اللسان] || يُحشرج: يغرغر الموت ولما تزل الروح فيه || ضرغام: بطل || شصا: الميت يشصو شصوّاً؛ انتفخ وارتفعت يداه ورجلاه، فهو شاصٍ [وبالتأكيد نخالف الشيخ في الدرر المنثورة، حيث فسرها: شصا يشصو شصى: أي شخص بصره]. **المعنى:** وهو سيف يخوض في موضع القتال بين شجاع مُجندل قبل لحظات ما زالت روحه في النزع الأخير تغرغر بالموت وبطل آخر تحقق موته في المعركة وانتفخت جثته كجثث الماشية وقد ارتفعت يداه ورجلاه.

(٣) يسوط: يخلط شيئين في موضع واحد ثم يضرب بعضهما ببعض، والضمير عائد إلى المأزق في البيت السابق || البُهم: جمع بهيمة || تقراع: مصدر قرعه، بمعنى ضربه || الشَّبا: السُّوط [تقراع الشبا، وردت في الأصل المُعتمد: ضرغام الشرى، لكننا استصوبنا ما أورده الفارسي في الدُّرر المنثورة، لا سيما أن مفردة «ضرغام» وردت في البيت السابق لهذا البيت، ونعتقد أن شاعراً كأبي مسلم (وفي قصيدة كالمقصورة بالذات) لن يكرّر مفردة في بيتين متتابعين]. **المعنى:** وفي مضيق المعركة الحرج تراه يخلط فيلقاً بفيلق يقلبهما كيفما شاء بيُسر خاطف، كما يضرب الراعي أغنامه بطرف عصاه.

بِـهَـذِهِ الـخُـطَّـةِ نُـشـفِـي غَـيْـظَـنـا ... إنْ كانَ بالسَّيفِ أَخُو الغَيْظِ اشْتَفَى[1]

بِـهَـذِهِ الـخُـطَّـةِ نُـرْضِـي رَبَّـنـا ... إنْ كـانَ فِـيـنـا طَـالِبٌ مِـنـهُ الـرِّضَـا

بِـهَـذِهِ الـخُـطَّـةِ نَـبْـتـاعُ الـعُـلا ... في الدِّينِ والدُّنيا وَنَسْتوفِي المُنى

بـهَـذِهِ الـخُـطَّـةِ نَـرْقـى سُـلَّـمـاً ... لِغـايَـةٍ حَـضَّ عَـلـيـهَـا وَدَعَـا

أيـنَ رِجَـالُ اللهِ مَـا شـأنُـكُـمُ ... إلى مَتى في دِينِنا نَرْضَى الدُّنا[2]

إلى مَـتـى نَـعْـجَـزُ عَـنْ حُـقـوقِـنـا ... إلى مَتى يَسُومُنا الضَّيمَ العِدَا

كُـنـا أُبَـاةَ الـضَّـيـمِ لا يَـقـدَحُ فـي ... صَـفـاتِـنـا الـذُّلُّ ونَـقـدَحُ الـصَّـفـا[3]

كُـنـا حُـمَـاةَ الأنْـفِ لا يَـطـمَـعُ فـي ... ذَرْوَتِـنـا الـطَّـامِـعُ فـي نَـيـلِ الـذُّرَى

لا يَـطـرُقُ الـوَهْـنُ عِـمَـادَ مَـجْـدِنـا ... وكَـمْ ثَـلَلْنَـا عَـرْشَ مَـجـدٍ فـكَـبَـا

عَـلامَ صِـرْنـا سُـوقَـةً إمَّـعَـةً ... أتـبَـعَ مِـنْ ظِـلٍّ وأَقْـفَـى مِـنْ عَـصَـا[4]

مَـا أفْـظَـعَ الـشَّـنـارَ أو يُـزِيـلُهُ ... ضَـرْبٌ يُـزيـلَ الـهَـامَ مِـنْ فَـوقِ الطُّلَى[5]

إلـى مَـتـى نُـخْـزَى ولا يُـؤلِـمُـنـا ... كـالـمَـيـتِ لا يُـؤلِـمُـهُ حَـزُّ الـشَّـبَـا

أذلُّ مِـنْ وَتْـدٍ جِـمَـارٍ فِـيـهِـمُ ... وَقَـدْرُنـا أَقْـصَـرُ مِـنْ ظِـفـرِ الـقَـطَـا

---

(١) المعنى: بهذه الطريقة التي ذكرتها ـ يستخلص الشاعر نتائج معركة المقصورة ـ نبري ما بقلوبنا من الغيض والحقد على أعدائنا، إن اشتفينا بسيوف فرسانا لنزيح عن صدورنا الغيض، وهو يستمر في تعداد أوجه تلك الخطة في الأبيات التالية لهذا البيت، وهي من الوضوح للقارئ بمكان.

(٢) ابتداء من هذا البيت، وبعد وقفته على مسار المعركة ووصفه لها، يبدأ في استنهاض رجال معركته الذين دعاهم الشيخ الفارسي «حزب الله وأهل طاعته»، قائلًا لهم في شرحه لتوبيخ الشاعر لتراجع هممهم: ما الذي ثبطكم عن قتال عدوكم وإظهار دينكم؟ وإلى متى ترضون الذل والهوان في دينكم الحق؟... إلخ الأبيات.

(٣) الصَّفا: جمعُ صَفاة، وهي الحصاة الملساء، وكنى بها، هنا، عن شرف الإنسان وعزته نقيضاً للذلّ.

(٤) أقفى: أطوع. المعنى: وكيف صرنا سَوْقة كالعوام في استسلامنا للمصير الذي فرضه علينا الأعداء، لدرجة أننا صرنا أتبعَ لهم ولمبتغاهم من ظِلٍّ وأكثر طاعةً من عصيّهم. كما نرى، ورغم تخفف أبيات المقصورة من فخامة لغتها وجزالة القول فيها، نجد الشاعر في هذا الجزء المراد به التبسيط والإفصاح لعموم قرائه، إلّا أن بيته هذا لا يسلم من التوظيفات البلاغية التي امتاز بها أبو مُسلم، لا سيما في تعبيره: أطوعَ من ظِلٍّ وأقفى من عصى!

(٥) الشنار: العار والعيب || الهام: جمع هامة، وهي جبين الرأس || الطُّلا: العنق.

إلى مَتى نَهْطَعُ فِي طَاعَتِهِم ... ونَتَّقِي، وَلَيتَهَا تُجْدِي التُّقَى[1]

إلى مَتى نَهْرَعُ فِي أَذنابِهِم ... لا مُلْتجَى، لا مُنْتهَى، لا مُنْتحَى

إلى مَتى يَعْرِقُنا نَكِيرُهُم ... وجَورُهُم وكُفرُهُم عَرْقَ المُدَى[2]

إلى مَتى تَقضِمُنا أَضْرَاسُهُم ... إلى مَتى نَحنُ لهُم عَبدُ العَصَا[3]

إلى مَتى تَعْرِكُنا أَحْكامُهُم ... إلى مَتى إلى مَتى إلى مَتى؟

أينَ مُحِبُّ اللهِ فِينا صَادِقاً ... لو صَدَقَ الحُبُّ لهَانَ المُخْتَشى[4]

لا يَنْتَهِي إذ نَفشَتْ قَرْوَانَهَا ... مَحَارِمُ الليلِ إلى العَزْمِ اللقا[5]

---

(١) نهطع: نسرع في طاعتهم.

(٢) يَعرقنا: عرقه يعرقه عرقا: أكل لحمه حتى تركه عظاماً بالية لا لحم عليها، وعرقه تعني أيضاً: حمّله من المشاق ما لا يطيق || نكيرُهم: مُنكرهم، وربما أراد بالنكير إنكارهم عليه إظهار ما يدينون به من العبادات || الجَور: الحيف والظلم والتعدي || المُدى: السكاكين. **المعنى**: إلى متى نحتملُ عَرْقَ منكرهم وتعدّيهم وإظهار كفرهم فينا عَرقَ السكاكين التي تسلخ اللحم من عظام الذبيحة. **ملحوظة**: ورد البيت في نهضة الأعيان كالتالي: «إلى متى يعركُنا إنكليزُهم | وجورهم وكفرهم عرق المُدى»، لكننا لم نَعتدّ بما ورد فيها، لاعتقادنا أن التحريف الطفيف في الصياغة مَردُّهُ أهداف سياسية أملَتها على الشيخ أبي بشير مقامات تلك الأزمنة. ومع ذلك أثبتنا في هذه الملحوظة ما ورد في نهضة الأعيان، لمزيد من الفائدة.

(٣) عبد العصا: تعبير عن الإشارة بالعصا، كما يشيرُ السيد لمملوكه تكبُّراً وعتوّاً في تحكُّمه به سكوناً وحركة.

(٤) **المعنى**: أين فينا مُحبُّ الله الصادق بالفعل؟.. فلو صدق الحُبُّ لهان وسهل علينا ما نخافه ونحذره من ظلم الأعداء.

(٥) نفشت: مزّقت، والنفشُ: تشعيث الصُّوف وتفريقه || القِروان: شجرة القرع، كما ورد في شرح الشيخ الفارسي، إلا أنني لم أجدها بنفس المعنى المُطابق تماماً في اللسان، فبحثت عنها لأجد أصلها في تاج العروس من جواهر القاموس: [عن اللحياني والجمع اقراء وقروان، قال مالك الهذلي يصف الضبع: «إذا نفشت قروانها وتلفتت | أشب بها الشعر الصدور القراهب»، (كالقِروان) بالكسر والجمع قروانات نقله الصاغاني، والقرا (القرع) الذى يؤكل، عن ابن الاعرابي كأن عينه مبدلة من الالف، (وناقة قرواء طويلة) القرا وهو الظهر وفي الصحاح طويلة (السنام) ويُقال الشديدة الظهر بينة القرا، هذا نص الجوهرى]، ويبدو أن أبا مُسلم استل المعنى من بيت مالك الهذلي في وصف الضَّبع. وتأتي قريناتها في المعنى بغرابات يصعب على المرء التكهن بأيّها قصد أبو مُسلم معنى هذا البيت، [لذلك سأورد في شرح المعنى حرفياً ما أورده الشيخ الفارسي] || محارم الليل: مخاوفه || العزم: الإرادة||=

أيـنَ ذوُو الـغِـيـرَةِ مَـنْ لِي بـهِـمُ ... قـد حَـزَبَ الأمـرُ قـد انْـقـدَّ الـتَّـلا[1]

أتَّـسَـعَ الـخَـرقُ عَـلى رَاقِـعِـهِ ... مَـنْ يُـشعِبُ الـوَهَـى ويَـرْتـقُ الـثَّأى[2]

أمَـا شَـعَـرْتُـم أنَّـهَـا دَاهِـيَـةٌ ... شَـعْـوَاءُ لا فَـضِـيَـةَ مِـنهـا بـالـوَنَـى[3]

هُـبُّـوا مِـنَ الـنَّـوْمَـاتِ إنَّ حَـيَّـةً ... تَـنْـبَـاعُ مَـا بَـيـنَ شَـرَاسِـيـفِ الـحَـشَـا[4]

حَـتـى عَـلى الـمَـوتِ الـزُّؤامِ نَـوْمُـكُـم ... ولَـيـتَـهُ مَـوتٌ عَـلى حِـفـظ الـحِـمَـى[5]

قـد اسْـتـبَـاحُـوا حُـرُمَـاتِ دِيـنِـكُـم ... ومَـنـعُـوا الأرْضَ الـحَـيَـاةَ والـحَـيَـا[6]

=اللقا: الملاقاة، وإضافته إلى العزم، معرّفين من باب إضافة: «كالجعد الشعر»، وجاز هنا لتنزيله العزم في جزم الإرادة في النفس باللقاء نفسه. **المعنى، وفقاً للدرر المنثورة:** يقول: لا ينتهي بغيُهم ولا غاية له في ذلك حين أصابوا مطلوبهم فينا وفرقوا جمعنا وفرقونا بظلمهم إلى أن نعزم عزماً قوياً لملاقاتهم وقتالهم: شبه المسلمين في تعاضدهم وتحاميهم بعضهم ببعض بشجر القرع عضد بعضه بعضاً حتى حشى على الأرض، وشبه الكفار بغنم عدت عليه فأكلته ومزقته، والله أعلم.

(١) حزبَ الأمر: اشتدّ [وردت خرب الأمر في الدُّرر المنثورة] || انقدَّ: انشق وانقطع || التّلا: الجلدة التي يتكوَّنُ فيها الوليد في البطن، إذا بلغ الأمر أقصاه؛ كقولك: بلغ السكين العظم. **المعنى:** أسائلُ عن أصحاب الغيرة الذين يغارون على دينهم، أين هم؟ لأن الأمر قد اشتدَّ وبلغ غايته وأقصاه.

(٢) الخرق: الشق || الرّاقع: من يرقع الثوب ويشد خرقه || يُشعب: يُصلح || الوَهَى: الشق والخرق || الثأى: أثر الجرح المتآكل المفتوح. **المعنى:** عظم الأمرُ فاتسع الخرق على راقعه، فهل يوجد من يصلح الفاسد ويجمع المتفرق ويلئم الجروح الفاسدة فينا؟

(٣) لا فَضِيَةَ: لا خلاص || الونى: البطء والتواني [وردت في الأصل المُعتمد: «الوَلَى»، لكننا أثبتنا ما أورده الشيخ الفارسي]. **المعنى:** أما علمتم أن تسلط الأعداء عليكم داهية عظيمة، ولا خلاص لكم منها بقعودكم وتوانيكم عن قتالهم.

(٤) حيّة: أفعى، وهي اسم إنَّ ونكّرها للتهويل قاصداً بها الأعداء || تنباع: تنبسط || شراسيف: جمع شرسوف؛ وهو غضروف معلق بكل ضِلع مثل غضروف الكتف، وأيضاً تعني: البعير المُقيد والأسير المكتوف || الحَشا: ما دون الحجاب مما يلي البطن كُلُّهُ مِنَ الكبد والطحال والكرش، **والمعنى** واضح من سياق البيت.

(٥) الزُّؤام: الكريه. **المعنى:** حتى على الموت الكريه تكون غفلتكم ونومكم؟.. وليته كان موتاً أو أن تدافعون عن حِماكم ومحارمكم.

(٦) أوردنا ما وجدناه في الأصل المُعتمد اعتقاداً بصحة صيغته [فهو يرد لدى الشيخ الفارسي بصيغة تساؤل: هل استباحُوا حُرمات دينكم | هل منعوا الأرضَ الحياةَ والحَيا؟]، **والمعنى** واضح من السياق في صيغته الحالية، وليس بصيغته سؤالاً مَبتوراً من سياق الأبيات السابقة واللاحقة له.

تَحَكَّمُوا فِي مُلْكِكُم وَرِزْقِكُم ... وكَبَسُوا البِئرَ وقَطَّعُوا الرِّشا[1]

مَنُّوا عَلَيكُم بِغِذاءِ طِفْلِكُم ... وحَسْوَةِ المَاءِ ونَفْحَةِ الصَّبَا

وأزعَجُوكُم مِنْ ظِلالِ رِيفِكُم ... ولَيتَكُم لَنْ تُزْعَجُوا مِنَ الفَلا

وضَايَقُوكُم فِي بِلادِ رَبِّكُم ... حَتى عَلى مَدْفَنِ مَيْتٍ فِي الثرَى

لا يَرْقُبُونَ فِيكُمُ إِلًّا وَلَا ... ذِمَّةَ دِينٍ أو ذِمَامَ مَنْ رَعَا[2]

قَدْ سُفِكَتْ دِمَاؤُكُم وَانْتُهِكَتْ ... حُرْمَتُكُم ولا حَشا ولا خَلا[3]

نَقعُدُ يَشْكُو بَعْضُنا لِبَعْضِنا ... ومَا مَفادُ مَنْ شَكَى وَمَنْ بَكَى؟

فِي بَعضِ هذا غُصَّةٌ لِعَاقِلِ ... لو رَجَعَتْ أفكارُنا إلى النُّهَى

يَسُومُنا الخَسْفَ خَسِيسٌ نَاقِصٌ ... لا دِينَ، لا حِكْمَةَ، لا فَضلَ وَلا . .

أليسَ مِمَّا يَذهلُ اللُّبَّ لَهُ ... عَسْفُ الطَّوَاغِيتِ بِشَرْعِ المُصْطَفى

وحَمْلُنا عَلى اتِّبَاعِ غَيِّهِم ... مُصِيبَةٌ لِحَرِّها ذابَ الحَصَى

هَبْ مُلْكَنا ورِزْقَنا فَيْءٌ لَهُم ... فدِينُنا الأقْدَسُ فَيْءٌ وجِزَى[4]

للهِ مَا أفظَعَهَا دَاهِيَةً ... لو عُوفِيَتْ قُلُوبُنا مِنَ العَمَى

فيَا صَبَاحَاهُ وَهَلْ مِنْ سَامِعٍ ... لِصَرْخَتِي وَهَلْ يُجيبُ مَنْ دَعَا[5]

---

(١) الرِّشا: حبلُ دلو البئر.

(٢) لا يرقبون: لا يحفظون || إِلًّا: الإلّ ـ بكسر الهمزة ـ العهد واليمين || رعا: رعواً كفَّ وارتدع، ورعا الشيء رعياً ورعايةً: حفظه. وفي التنزيل العزيز: «فما رَعَوها حقَّ رعايتها» ـ وأيضاً ترِدُ بمعنى: رَعَا له عهده أو حرمته [وردت لدى الشيخ الفارسي: رَعَا]. المعنى: وهم لا يراعون فيكم عهداً ولا يميناً أعطوكم إياه ولا حُرمة دينكم ولا حُرمة من أوفى لهم بعهده منكم.

(٣) ولا حَشا ولا خَلا: أدوات استثناء.

(٤) جِزى: جمعُ جِزية ـ كفِرى، جمعُ فِريَة ـ وهو الخراج الذي يؤخذ من أهل الذِّمة، وظِلالُ المعنى واضحة في لُبِّهِ ولُبابه.

(٥) يا صباحاه: كلمة يُشدى بها لاجتماع الناس عند نزول حادث ودُهُوم أمر. المعنى: بعد ابتداء صيحته بالتنبيه: يا صباحاه! وحين لم يرد عليه أحد لدعوته من قومه، يتساءل الشاعر مُستنكراً: أنا من دعى، فهل أجيب نفسي؟.. تلك غريبة الغرائب وعجيبة العجائب. [يرد المعنى في شرح الفارسي هكذا: إني أصيح صيحة عظيمة لأجل اجتماع الناس إليّ فأخبرهم بحالهم، والحالة ليس أحد يسامع صيحتي فيجيب دعائي أبداً. والله أعلم].

قَـدْ ذُبِـحَ الـمُـلْكُ وهـذا دَمُـهُ ... وَمُـذْيَـةُ الـذَّابِـحِ فِـي نَـحْـرِ الـهُـدَى

وأَصْـبَـحَ اسْـتِـقـلالُكُـم فَـرِيـسَـةً ... بَـيـنَ كِـلابِ الـنَّـارِ يَـا أُسْـدَ الـشَّـرَى[1]

أَلَـيْـسَ عَـاراً أَنْ نَـعِـيـشَ أُمَّـةً ... مِـثْـلَ الـلَّقَـا أو غَـرَضـاً لِمَـنْ رَمَـى

يَـلـفُّـنـا الـخِـزْيُ إلـى أَوْكَـارِهِ ... ويَـحْـكُـمُ الـنَّـذْلُ عَـلـيـنـا مَـا يَـرَى

أَنـشْـرَبُ الـمَـاءَ الـقَـرَاحَ مَـا بِـنَـا ... مِـنْ مَـضَـضٍ وَلَيْـسَ بـالـحَـلْقِ شَـجَـا[2]

وَنَـهْـنـأُ الـعَـيْـشَ عَـلـى أَكْـدَارِهِ ... ونُـطْـعِـمُ الأَجْـفـانَ لـذَّاتِ الـكَـرَى[3]

وجَـنـبُـنـا جَـنـبُ صَـدِيٍّ صَـاغِـرٍ ... والسَّيفُ حَرَّانُ الحَشا مِنَ الصَّدَى[4]

كـم نَـظْـلِمُ الـسَّـيـفَ بـمَـنـعِ حَـقِّـهِ ... أَمَـا يُـجَـازَى ظَـالِمٌ بـمَـا جَـنَـى[5]

---

(١) نلاحظ تطوُّرَ المقصورة لغة وأسلوباً وبلاغة في مراحل خطاباتها متعددة الأوجه ـ كتعدُّدِ المُخاطَب ـ تناغماً تُبين عنه لغة الخطاب. لذلك نرى أبا مُسلم، ابتداء من هذا البيت، ينسلُّ من مرحلتين، من تعميم في مجاز القولِ إلى تخصيصٍ (هو في عُمقِهِ المُوازي تعميمٌ لسوء حالِ وطنِه الصغير مُعبَّراً عنهُ ضِمناً في سوءِ حالِ الوطن الكبير). وقد كان من الذكاء في إلماحه إلى الخاص والعام بحيث جمعهما معاً في هذا البيت عبر استخدام مفردة «استقلالكم» ـ إشارةً إلى ملامح استقلال الدول العربية الظاهري من الاستعمار، مقابلَ مُصطلحٍ أقرب ما يكون لخصيصةِ مُواطنيه الإباضيين: «أسد الشَّرى»، كنايةً عن الشُّراةِ الخوارج، دامجاً خاصَّ المصيبة والداهية بتمظهرها في عامِّها الأكثر تدهوراً ـ كما رآهُ الشاعر المُتابعُ ـ بعين المُستبصر في زنجبار النائية ـ لما كان يحدث في مصر والشام أيام استقلالاتٍ ما زالت بعد مائة عام ـ كما نرى إليها اليوم ـ أضحوكةً ستضحكُ منها الأجيال، لتستمر المقصورة في أبياتها اللاحقة لهذا البيت في تبئير الحكمةِ استخراجاً لها بدَلوهِ المعرفيِّ والاستنهاضيِّ الذي خبرناهُ أسلوبيةً ضمَّخت بعطرها المُستفز للذائقةِ الكسلى في قصيدته النونيّة، كما في قصائده الوطنية الأخرى، مُقرناً ومُجاوراً في خطابه بني وطنه الصغير والكبير.

(٢) القراح: العذب الصافي || مَضض: ألم || شجا: ما ينشب في الحلق.

(٣) الكَرى: النوم.

(٤) الجنب: أراد به مُطلق الجسم || الصَّديّ: من اشتد عطشه || الصاغر: الذليل || حَرّان: العطش|| حشى السيف: حدَّاه أو شفرتاه || الصَّدى: أصلها الصَّدأ؛ وطبقة هشة تعلو الحديد ونحوه من المعادن. المعنى: ومن العار علينا أن تكون أجسامنا متذللة صاغرة للأعداء كالعطشان الذي أوقعه عطشه في الذل والمهانة، وأسيافنا ضامية بسبب الصَّدأ الذي علاها لكثرة هجراننا لها.

(٥) المعنى: إلى متى نظلم السيوف حقها الواجب لها علينا؟.. ألا يُعاقب الظالم بعمله وكسبه وجنايته؟

إنَّ السُّيُوفَ طُبِعَتْ لِحَقِّهَا ... وحَقُّهَا تَحْكِيمُهَا عَلَى الطُّلَى[1]

والسَّيفُ شَهْمٌ لا يُفِيتُ حَقَّهُ ... أَصْدَقُ مَنْ جَدَّ وَأَكْفَى مَنْ كَفَا[2]

والسَّيفُ حُرٌّ لا يَقِرُّ خَازِياً ... يَصُولُ إنْ ضِيمَ وإنْ صَالَ اشْتَفَى[3]

والسَّيفُ لا يَرْضَى الذَّليلَ صَاحِباً ... إنَّ الذَّليلَ بالشَّنارِ مُكْتَوَى[4]

والسَّيفُ جَلَّاءُ المَخازِي آخِذٌ ... بِضَبْعِ مَنْ يُكْرِمُهُ إلى العُلا[5]

والسَّيفُ مِفتاحٌ إذا تَضَايَقَتْ ... على الهُمَامِ الحُرِّ آرَاءُ النُّهَى[6]

والسَّيفُ كالصِّدقِ مِنَ الرِّجَالِ مَا ... هَزَزْتَهُ لِخُطَّةٍ إلّا مَضَى

والسَّيفُ فِي عُزومِهِ مُؤيَّدٌ ... إنْ شَدَّ سَدَّ وَتَقاضَى وَقَضَى

والسَّيفُ ذُو نَقِيبَةٍ فِي أَمْرِهِ ... ثَبْتٌ على العِلّاتِ مَيْمُونُ الخُطَى

والسَّيفُ أَقْضَى بالحُقوقِ حَاكِماً ... أَوْفَرُ حَقٍّ مَا بِهِ السَّيفُ أَتَى

والسَّيفُ أَوْفَى صَاحِبٍ رَافَقْتَهُ ... إنْ خَانَكَ الدَّهْرُ وَأَهْلوهُ، وَفَى

والسَّيفُ فِيهِ فَرَجٌ مُعَجَّلٌ ... إنَّ الغُمُومَ بالسُّيُوفِ تُجْتَلَى

والسَّيفُ يُعْطِيكَ الذي اشْتَهَيتَهُ ... إنْ تُولِهِ مِنْ حَقِّهِ كَمَا اشْتَهَى

إنَّ السُّيوفَ عَاهَدَتْ أَرْبَابَهَا ... بالمَصْدَرِ الأقصَى وَتَقرِيبِ القَصَا[7]

---

(١) طُبعت: صُنعت || الطُّلى ـ بضم الطاء ـ الأعناق، وبفتحها نَفْس المرء. **المعنى**: كيف نظلم السيوف حقها الواجب لها والذي صنعت لأجله: أي تمكينها من رقاب الأعداء.

(٢) **المعنى**: السيف شجاع بطل في ذاته غير مضيع لحقه، فهو أشد صدقاً ممن اجتهد في طلب حقه وأشد كفاية ممن كافأ.

(٣) **المعنى**: السيف بطبيعه حُرٌّ لا يهدأ ولا يستقر على خزي، يصولُ إن ظُلم، وإن صال اشتفى لغيظه من عدوه.

(٤) الشنار: العار والخزي || مُكتوى: موسومٌ بالكَيّ، وجعله رمزاً للذليل الذي لا يرتضيه السيفُ صاحباً له.

(٥) جلّاء: كشّاف || الضَّبْع: المنكبُ واليدُ والإبط || العُلا: الرفعة. **المعنى**: السيف كشاف للمخازي ولا يخذل يد من يكرمه بل يسمو به نحو الرفعة.

(٦) تضايقت: عَسُرت || آراءُ النُّهى: آراءُ ذوي العقول، **والمعنى** واضح من سياق البيت.

(٧) أربابها: أصحابها || القصا: مصدر قصِيَ يقصُو قصَى؛ أي البعيد.

هُنَّ فُحولُ الحَرْبِ مِنهَا لَقِحَتْ ... وهُنَّ يَفْتَدَنْ الفُحولَ بالبُرَى[1]

والمَجْدُ حَيثُ أَبْرَقَتْ وأَرْعَدَتْ ... يَنبُتُ مِنْ سَاعَتِهِ وَيُرْتَعَى[2]

مَا بَالُنَا نُحْصِنُهَا عَقَائِلًا ... مِنَ المَقَاصِيرِ عَلَيهِنَّ الحِلَى[3]

أَيْنَ بَنُو الإِسْلامِ مَا يُعْجِزُنَا ... والعِزَّةُ: الكَرُّ بحَوْمَاتِ الوَغَى

أَيْنَ بَنُو القُرآنِ هَلْ تُبَّطَكُم ... كِتَابُكُم عَنِ الجِهَاد للعِدَا

أَيْنَ غَطَارِيفُ الجِلادِ بالظُّبَا ... أَيْنَ مَشَائِيمُ الطِّعَانِ بالقَنَا[4]

أَيْنَ بَنُو التَّوحِيدِ لو صَدَقْتُمُ ... تَوْحِيدَكُم مَا رَقَصَ الشِّركُ عَلى[5]

---

(١) فحول الحرب: أراد بفحول الحرب شجعانها وصناديدها || لقحت: قبلت اللقاح وحبلت، قصد بها الحرب، فقد شبه السيوف بالذكران المتأهلة للجماع، والحرب بالإناث القابلة للنسل|| البُرى: جمع بُراة، وهي حلقة تُجعل في أنف البعير أو في لحمة أنفه، ويحتمل أنه أراد بها: مطلق الأزِمّة. المعنى: السيوف ذكران الحرب ومنها تلقح الحرب لتلد مولوداتها، وهن من يجذب الفحول والشجعان إلى وطيسها.

(٢) المعنى: والمجدُ، في حقيقته، يكون حيث أبرقت وأرعدت السيوف، ونتيجة البرق والرعد في الصورة المجازية هو المطر، لكن مطر السيوف دماء الأعداء، لتستمر الصورة في الشطر الثاني، حيث يَنبتُ المجد في ساعته ويُرتعى في آنه.

(٣) نُحصنها: نمنعها ونضعها في مكان حصين || عقائلًا: جمعُ عقيلة؛ أي كريمة. وهي ممنوعة من الصرف: عَقائلَ، صُرفت للضرورة الشعرية || المقاصير: جمعُ مقصورة، ويجوز قراءتها: أقاصير (كما يرى الشيخ الفارسي)؛ أي أجفان المرأة الكريمة || الحِلى: بكسر الحاء جمع حِلية، وهي الصوغ الذي تزين به السيوف ـ وبفتح الحاء بمعنى الصَّدأ. المعنى: ما بالنا نضع سيوفنا محصنة كنسائنا مخبوءة مُحلاة بالزينة والصوغ فيما يعلوها الصَّدأ، عوضاً عن القيام بمهمتها في الحرب.

(٤) غطاريف الجِلاد: أسياد الحرب || الظُّبا: السيوف || مشائيم: جمعُ مشيم؛ وهو ذو الشيمة والحميّة والشدة سليقةً في طبعه، وربما المعنى مشتق من التشاؤم للعدو، ولعله شبههم بشجرة الشوما، فقد كانت العرب إذا أرادت قتالًا تعرَّكت بها. ومنها المثل العربي «عطر منشم»، الذي يطلق على من كان بينه وبين أحدهم صفاء وود ثم أفسد عليهما آخر ذلك الود. واستعمال المثل واضح، وورد في معلقة زهير بن أبي سلمى: «تداركتما عبساً وذبيان بعدما ! تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم» || الطِّعان: الطَّعن|| القنا: جمع قناة وهي الرماح. المعنى: وأين السادة أرباب الشرف والسخاء، أصحاب الصبر والضرب بالسيوف والاسنة والرماح؟.. لا أرى أحداً منهم اليوم.

(٥) بنو التوحيد: أراد بهم المتلبسين به من جميع الفرق الإسلامية، أو أراد الآخذين بكمالاته من أهل الاستقامة || ما رقص الشِّركُ على: قصد: ما رقص الشركُ على الإسلام، والحذفُ، هنا، هو حذف اكتفاء.

أيْـنَ بَـنُـو الأحْـرَارِ مَـا سُـكُـونُـكُـم ... والـمُـلكُ والـدِّيـنُ حَـريـبٌ وَالـحَـرَا[1]

كَـمْ ذا يُـنـاغِـيـكُـم مُـبـيـرٌ خَـادِعٌ: ... أطْرِقْ كَرَى إنَّ الـنَّـعَـامَ فِـي الـقُـرَى[2]

فَـجَـشِّـمُـوهُ جَـشْـمـاً وَبِـيـلَةً ... أو تَهْصِرُوا العَظْمَ وتَنزَعُوا الشَّوَى[3]

هَـلُمَّ شُـدُّوا شَـدَّةً قـاصِـمَـةً ... مَرِيضَةَ الشَّمْسِ حَمِيَّةَ الوَحَى[4]

ثِـبُـوا إلـى الـمَـوْتِ كِـرَامـاً وانـدُبُـوا ... عَـزائِـمـاً تَـسْـعَـرُ تِـسْـعَـارَ الـصَّـلا[5]

إنَّ ضِـرَابـاً بـالـصِّـفـاحِ خُـطَّـةٌ ... تَـرُدُّ مَـا فـاتَ وتُـرْسِـي مَـا هَـفـا[6]

قـد آنَ لـلإحْـرَامِ أنْ نُـحِـلَّهُ ... ونَـنْـحَـرَ الـهَـدْيَ عَـلى رَأسِ الـصَّـفـا[7]

قـد آنَ لـلصَّـائِـمِ وَقـتُ فِـطْـرِهِ ... لـطَـالـمَـا أرْمَـضَ بـالـصَّـومِ الـحَـشَـى

---

(١) الحريب: المسلوب || الحَرا: هي الناحية، وأراد بها مُطلق المكان. **المعنى**: أين الأحرار؟ ولم سكونكم في العراقد؟ وملككم ودينكم سُلبا من بين أيديكم، ولم يبق لكم مستقر ولا وطن حتى صرتم مملوكين بعد أن كنتم ملوكاً.

(٢) يناغيكم: يدانيكم ويباريكم، وأصل المناغاة: لفظ لا يُفهم منه شيء، ومنه مناغاة الطفل يريد أن ينطق بمثلها فلا يستطيع || مُبير: المهلك للأمّة || خادع: مخادع || أطرق كرى: مثل يُضرب لمن يخدع بكلام مُلطف يراد به الغائلة، وأصله اقتباس غير تام من بيت لم أقع على قائله: «أطرق كرى، أطرق كرى | إن النعام في القرى». **المعنى**: طالما تغرب إليكم عدوكم بمَعْسُوْلِ الله الكلام، لكنه في الحقيقة مخادع ومهلك لآمالكم، ولا يريد سوى الفتك بكم.

(٣) جشّموه: حمّلوه || الجشم: الثقل || وبيلة: وخيمة || تهصروا العظم: تكسروه || تنزعوا: تقلعوا || الشّوى: قحف الرأس واليدين والرجلين. **المعنى**: احملوا على عدوكم المخادع حملة وخيمة تكسر عظامه وجماجم فرسانه.

(٤) مريضة الشمس: ضعيفة النور حميّة: يقال: حمي الوطيس؛ أي اشتدت الحرب واضطرم الأمر|| الوحى: تُقالُ في الاستعجال. احملوا على أعدائكم حملة قاصمة شديدة حتى تصير الشمس ضعيفة النور لكثرة عجاج وغبار الحرب في تسراعها.

(٥) الصَّلا: النار. **المعنى**: أسرعوا إلى الموت كراماً وحثوا عزائمكم لتسعر كالنيران المُتأججة.

(٦) **المعنى**: إن قتال الأعداء ومقارعتهم بالسيوف خصلة حميدة ترد الفائت وتقيم المعوج وتثبت الهافي غير الثابت.

(٧) الإحرام: ضد الإحلال، وأراد به الإمساك عن قتال الأعداء || نُحِلَّهُ: ترك المُحرِم إحرامه بعد الحلق أو التقصير حتى يصير حلالاً مما كان عليه في إحرامه || النحر: الذبح مطلقاً || الهَدْي: ما يُهدى للكعبة فداءً أو تقرُّباً || الصَّفا: جمعُ صَفاة، وهي الحصاة الملساء. **المعنى**: آن الوقت الذي نحلُّ فيه إحرامنا عن مقاتلة الأعداء تقرُّباً إلى الله بإراقة دمائهم.

قد آنَ للوُضُوءِ أنْ نُنْقِضَهُ ... بالسَّافِحِ النَّائِرِ فِرْصَادِ الكُلى[1]

نَقَوُّ أَحْلاسَ البُيوتِ خُشَّعاً ... أبْصَارُنا مُغْمَضَةٌ عَمَّا دَهَى[2]

نَدْرُسُ تَأْرِيخَ الأُلَى تَقَدَّمُوا ... وحَسْبُنا اللهُ تَعَالى وَكَفَى[3]

إنَّ العِظَامَ لا تُؤاتِي شَرَفاً ... ولا أقاصِيصُ الوَغَى تَكْفِي الوَغَى[4]

والسَّلَفُ الصَّالِحُ سَلَّ سَيْفَهُ ... وكَانَ مَا كَانَ لَهُ ثُمَّ انْقَضَى[5]

تِلكَ الرُّفاتُ طِينَةٌ صَالِحَةٌ ... لِغارِسٍ وحَارِثٍ وَمَنْ بَنَى

أتَبْحَثُونَ بَينَهَا عَنْ عِزَّةٍ ... أو فِي لَعَلَّ فَرَجاً أو فِي عَسَى[6]

تِلكُم إذاً أُمْنِيَةٌ مُخْلِفَةٌ ... وضَيْعَةُ العَقلِ وَجَهْلٌ وَعَمَى

لَنا صِفاحٌ وَلَهَا سَوَابِقٌ ... لكِنَّنا نَصْفَحُ عَنْ سَبْقِ العُلا

---

(١) **المعنى**: وحان الوقت الذي علينا أن ننقض فيه وضوءنا ونهدم فيه طُهرنا بإراقة دم الأعداء المسفوح ليس من أوردتهم فحسب، بل من كليتي كلّ مُقاتل فيهم. والطريف في البيت مزجه التشبيهي بثمرة الفرصاد (التوت) الشبيهة شكلًا بالكُلية والمكتنزة بسائل أحمر قانٍ يشبه الدم.

(٢) **نَقوُّ**: نلازم || أحلاس: جمع حِلس، وأصله ثوب يُفرش في البيت. يقال: فلان حلس بيته: إذا لم يُفارقه. **المعنى**: نلازم بيوتنا لا نبرحها متذللين مستكينين بأبصار مغمضة لا تبصر الداهية والمُصيبة.

(٣) **المعنى**: نلازم بيوتنا في الأحلاس لندرس تاريخ الأسلاف، مُكتفين بترديد: حسبنا الله تعالى وكفى. طبعاً في البيت نقد صارخ لأبناء الأمة وعلمائها المتقاعسين عن الجهاد. وهي خصيصة مفصلية نجدها في شعر أبي مُسلم، كما تبين الأبيات التالية لهذا البيت عن وعي جارح ونعي لأمة تنعى شرف أسلافها وقصصهم، مؤكداً أن حكايات الحرب ليست كافية عن خوضها. فالأولون سلوا سيوفهم وكان ما كان لهم من مآثر لن نكتسبها بالوراثة. فرفاتهم طينة صالحة لمن غرس وحرث وبنى، وليس لمن يبحث بين رفاتهم عن عزة متوهمة في عسى ولعلّ فرجاً يأتي من تلقاء ذاته. تلك، إذن، أمنية مخلفة، ومتلفة للعقل وجهلٌ وعمى.

(٤) العظام: جمعُ عظم، وأراد بها عظام الأسلاف الراحلين. **المعنى**: إن عظام الأسلاف لن تسبغ عليكم المجد والشرف، كما أن القصص المرويَّة عن بطولاتهم لن تكون كافية لتنتصروا في معركتكم.

(٥) **المعنى**: سلفكم الصالح سَلَّ سيفه وبقيت لنا أمجاده، وكان ما كان لهم حتى انقطاعه وانقضائه.

(٦) **معنى البيت والبيتين السابق واللاحق له**: رفات أسلافكم، في حقيقة الأمر، تربة صالحة للحارث وغارس الشجرة وباني القلعة ممن خلفهم. ليأتي تساؤل الشاعر: أتبحثون عن عزة مجانية تأتيكم من تلك الرفات دون عمل؟.. أم أنكم كعادتكم ستبحثون عنها تمنياً وترجياً بترداد عسى ولعلّ فرجاً يتنزل علينا من السماء. ثم يستكملُ تهكمه في البيت اللاحق: إن كان الأمر كذلك، فهي أمنية مُخلفة؛ أي أمنية غدر وعدم وفاء، فضلًا عن كونها جهل وعمى وضياع عقل.

والـمَـجْـدُ لا يُـمْـلَكُ عَـنْ إِرَاثَـةٍ ... لكِنْ بتَحْطِيمِ الشَّبَا عَلَى الشَّبَا[1]

عِـزٌّ عَـلى مَـا أَثَّـلَتْ عُـهُـودَهَـا ... كَسْبُ الـمَعَالِي وانْدِفاعُ مَا عَنَا[2]

ولـو تَـقَـلَّدْنـا فِـعَـالَ أَهْـلِهَـا ... لم يَعبَثِ الفأرُ بهَيْصَارِ الشَّرَى[3]

نَـعِـيشُ فِـي هَـيْـنَـمَـةٍ بِـذِكْـرِهِـمْ ... يَـعْـقُـبُـهـا وَاهـاً وأَنَّـى ومَـتَـى[4]

نَـعَـمْ لـهُـم سَـوَابِـقٌ لـكِـنَّـهـا ... لا تُـنْـعِـشُ الـجَـدَّ إذ الـجَـدُّ كَـبَـا[5]

مَـعْـصُـومَـةُ الـذُّرْوَةِ لا يَـبْـلُـغُـهَـا ... إلّا هُـمَـامٌ بـالـلهَـامِـيـمِ اقْـتَـدَى[6]

إذا اتَّـكَـلْـنـا قَـعْـدَداً عَـلـيـهِـمُ ... لـم يَـسْـلَمِ الـمَـجْـدُ إذاً مِـنَ الأذَى[7]

شَـدُّوا الـحَـزيـمَ لـلهَـوَادِي فَـانْـثَـنَـتْ ... ودَوَّخُـوا بـالـعَـزْمِ صَـعْـبَ الـمُـرْتَـقَـى[8]

---

(١) **معنى البيتين**: نعم. لنا سيوف لها سوابق مشهورة، لكننا اليوم نتسامح مع أنفسنا عن سبق المعالي، فالمجد لا يورَّث أباً عن جد، وإنما بقرع السيوف بالسيوف.

(٢) أثلت: تأصّلت وتقدمت، وأثل الشيءَ: أصّلَه. قال امرؤ القيس: «ولكنما أسعى لمجدٍ مُؤثَّلٍ | وقد يُدرِكُ المجدَ المُؤثَّلَ أمثالي» || عنا: نزل، من يعنو عنى وعناء. **المعنى**: فالسيوف عز لأربابها الحافظين للمواثيق القائمة بها، وهي طلب المعالي وإزالة النازل من المحذورات.

(٣) هيصار: الأسد. **المعنى**: لو اتبعنا سنة أهل تلك السيوف، لم يعبث الفأر بمكمن الآساد.

(٤) هينمة: الصوت الخفيّ، والمتكلم بكلام لا يُفهم كالغمغمة. **المعنى**: نغمغم فيما بيننا بذكر أجدادنا الصناديد، دون أن نفعل مثل فعلهم، بل نلوك التأوه والتمني برحيل الأعداء، مردِّدين: أنى ومتى يرحلون.

(٥) تنعش: من أنعشه؛ أي أثاره وأنهضه || الجَدّ: الحظ والعُلوّ || كبا: سقط. **المعنى**: صحيح أن لهم سوابق مشهودة، لكنّ سوابقهم تلك لا تستثير حظاً ومجداً ساقطاً.

(٦) الهمام: السيد الشجاع || اللهاميم: جمع لهام؛ وهو الجواد السابق والكريم الباسل من الناس والخيل. **المعنى**: إن تلك السوابق والمزايا الرفيعة لأرباب السيوف لا يبلغها إلا الباسل الشجاع المُقتدي بفعالهم.

(٧) القعدد: منصوب على الحال من فاعل «اتكلنا»؛ وتعني: الجبان الخامل اللئيم القاعد عن الحرب والمكارم، وأيضاً من تقعد به أنسابه، والقريب من الجدِّ الأكبر، والقعْدَد: من كان لئيماً من الحسب، وقصدها جميعها في بيته. **المعنى**: إذا كان اعتمادنا واتكالنا على أسلافنا ونحن قاعدون عن طلب المجد والشرف، لن ينجو الشرف ولا المجد من شر الأعداء.

(٨) الحزيم: الحزم والضبط في الأمور || الهوادي: جمع هادية أو جمع هدية (في شرح الشيخ الفارسي)، لكنني وقعت في اللسان على أكثر من معنى؛ منها: الهَديُ والهَديُّ؛ هو الرجل ذو الحُرمة يأتي القوم يستجير بهم أو يأخذ منهم عهداً، والهَديُّ والهديّةُ: العروس، وهوادي الليل: أوائله=

وأَخْمَشُوا الحَرْبَ أُبَاءَ ضَيْمِهَا ... بَلْ هُمْ لهَا مَتى ذَكَتْ عَينُ الذَّكَا[1]

هُمْ عَلَّمُوا الدَّهْرَ مِرَاسَ قَرْنِهِ ... ثُمَّ انْتَهَى بَعدَ المِرَاسِ مُهْتدَى[2]

هُمْ عَلَّمُوا السَّيفَ مُضَاءَ عَزْمِهِمْ ... فهو قَرِينُ عَزْمِهِم حَيثُ انْتَوَى[3]

هُمْ أَدْهَشُوا الهَوْلَ بمَا يَهُولُهُ ... فانكَفأَ الهَوْلُ شَكِيّاً بالضَّوَى[4]

هُمْ شَيَّدُوا المَجْدَ بمَا ابْيَضَّ بِهِ ... فَوْدُ عَوَادِي دَهْرِهِمْ حَتى غَطَا[5]

هُمْ عَقَدُوا بالعِزِّ عَينَ هَمِّهِم ... فلا تُدَانِي ذِلَّةٌ لهُم حِمَى[6]

لا يَطرُقُ الضَّيْمُ عَزِيزَ رُكْنِهِم ... ولا يُضَامُ عَائِذٌ بِهِ احْتَمَى[7]

=لتقدمها كتقدم الأعناق، وأيضاً إذا قلت أقبلت هوادي الخيل: تعني إذا بدت أعناقها. **المعنى**: إن الأسلاف شدوا حزمهم واستوثقوا العهود من أعدائهم، (في تفسير الشيخ الفارسي)، ولها وجه آخر: أنهم شدوا الحزم على الخيل المتقدمة، ودوخوا المرتقى الصعب بعزائمهم.

(١) أحمشوا: أوقدوا || أُباء: جمعُ أبيّ || ضيمها: الانتقاص والظلم، والهاء عائدة إلى الحرب || ذكتْ: استعرت واشتد لهيبها || عين الذكا: الذكا نفسه. **المعنى**: وهم من أوقد نار الحرب في أعدائهم، وحين استعرت كانوا هم ذاتهم شدة استعارها ولهيبها ووقودها. فالشاعر في هذا البيت كأنه حصر نار الحرب فيهم دون سواهم.

(٢) قرن الدهر: شدائده || مُهتدى: دليل. **المعنى**: هم علموا الدهرَ ممارسة شدائده حتى بلغ الدهر من تعليمهم إياه بأن صار دليلًا للشدائد؛ بحيث أن كلَّ شِدَّةٍ تقعُ في الدهر إنما مصدرها تعليم أولئك الشجعان للدهر كي يكونَ دهراً شديداً وذا شدائد.

(٣) **المعنى**: وأيضاً، هم دون سواهم من علم السيف إضافةً إلى مُضائه، مُضاءَ عزمهم فصار مُصاحباً لإرادتهم وقريناً لها حيث شاءت نواياهم وشاؤوا.

(٤) الضَّوى: [لم يُشر إليها الشيخ في شرحه لهذا البيت]، لكنها، كما وجدناها في اللسان: ضويَ يضوى ضوىً: تعني من يُولد ضعيفاً هزيلًا، **والمعنى**: أنهم أدهشوا الهولَ بما يهوله، لينكفئ الهولُ شاكياً هزاله وضعفه أمام ما هاله منهم. والمُفارقة البلاغية في البيت؛ هي أنّ الهول الذي يُخيف الناس عاد إلى هؤلاء الصناديد شاكياً ضعفه خِلقةً منذ ولادته. وقد جاء في الحديث: اغتربوا ولا تُضْووا: أي تزوجوا في البِعاد الأنساب لا في القرائب، لئلّا تَضْوى أولادكم: أي تضعف وتهزل!

(٥) ابيضَّ: عكس اسودَّ، وأراد به بياض الشيب || الفَوْد: معظم شعر الرأس مما يلي الأذُن || عَوادي الدهر: عَواقبه || غَطَا: عَلا. **المعنى**: وهم شيدوا المجد وأقاموه لبِنَةً لبِنَة حتى ابيضَّ شعر عواقب الدهر لإصرارهم حتى علا بُنيان مجدهم.

(٦) **المعنى**: وهم من جمعوا الهمم العالية والعز الباذخ، فشدوا العز بالهمم والهمم بالعز؛ لذلك لم تدانِ الذلَّةُ حِماهم ومرابعهم.

(٧) **المعنى**: ولذلك، لا يطرق الضيم والانتقاصُ والجور جانبهم، ولا يُظلم من التجأ بحماهم.

هُمْ أَسْغَبُوا لِلمَكْرُمَاتِ دَهْرَهُم ... فَدَهْرُهُم لِلمَكْرُمَاتِ فِي طَوَى[1]

هُمْ أَجْدَبُوا سُوحَهُمُ مِنْ وَفْرِهِم ... وَهُمْ لأرضِ اللهِ غَيْثٌ وَحَيَا[2]

هُمْ أَنْضَبُوا غُدْرَانَهُم بِجُودِهِم ... وَفَجَّرُوا فِي النَاسِ يُنْبُوعَ الغِنَى[3]

هُمْ وَسِعُوا الكَوْنَ حُلُوماً وهُدَى ... وصَائِلًا ونَائِلًا ومُجْتَدَى[4]

هُمْ أَمْجَدُوا وأَنْجَدُوا وأَوجَدُوا ... وأَفقَدُوا وطَوَّلُوا البَاعَ الوَزَى[5]

هُمْ جَرَّدُوا وشَرَّدُوا وطَرَّدُوا ... وأَوْفَدُوا وأَوْرَدُوا بَحْرَ الجَدَى[6]

---

(١) أسغبوا: أجاعوا وأعطشوا؛ والسَّغب: الجوع || في طَوى: في جوع. **المعنى**: وهم من أجاعَ همَّهُ للمكرمات حتى أضحى الدهرُ برمَّته جائعاً متعطشاً لمكرماتهم.

(٢) أجدبوا: أمحَلوا || سُوحهم: جمعُ ساح؛ وهو الفضاء المفتوح بين النجوع والدُّور || وفرهم: كرمهم|| حَيا: الرزق والنبات. **المعنى**: ولشدَّةِ كرمهم الزائد أمحلوا سُوحَهم التي قطنوها؛ لكنَّهم - في حقيقة الأمر - ورغم ما بدا ظاهرياً بأنهُ مَحلٌ لشدة كرمهم، هم المطر والنبات والمرعى لأرض الله قاطبة. والمُفارقة التي يتوسَّلها البيت في صورته الكُلِّيَة؛ هي أنهم قدر ما أمحلوا وأجدبوا مراعيهم، فإنهم - مع ذلك - هم الحياة والمطر والمرعى.

(٣) **المعنى**: وعلى ذات الوتيرة؛ هم - دون سواهم - من أنضبوا غدرانهم لشدة كرمهم، لكنهم فجروا ينابيع الغنى في الناس قاطبة.

(٤) [ورد الشطر الثاني في الدُّرر المنثورة: «وطائلًا ونائلًا ومَحتدى»، ولم نعتقد بصوابه قياساً إلى المُثبت في الأصل المُعتمد، وأيضاً لعدم تناسُب «طائلًا» لنسق المعنى الكُلِّيّ]. حُلوماً: جمعُ حِلم؛ أي الأناة والعفو وعدم الاستعجال، وتعني أيضاً رزانة العقل || الهُدى: الرشاد || صَائلًا: مقداماً؛ بمعنى: أن من يصول في الحرب يكون ذا صَولة: أي مِقدام|| نائلًا: نالَ على فلان: جادَ عليه بالعطية|| مُجتدَى: أجدى: أعطى، وأجداهُ: أعطاه، والمُجتدَى: من قَصَر في طلب المالِ منهم دون سواهم. **المعنى**: وهم من وسع الكون بأناتهم وصبرهم وتعقلهم ورشادهم، تماماً كما وسعوه إقداماً في الحروب وجوداً وكرماً حتى صار طالب العطيَّة لا يقصد سواهم.

(٥) أمجدوا: أشبعوا عدوهم قتالًا || أنجدوا: أعانوا || أفقدوا: أعدموا وأماتوا || الباع: قدر مَدّ اليدين || الوَزَى: قصير الباع، وأراد به بذلهم للمال في الجهاد وإنفاقه يمنة ويسره. **المعنى**: وهم الذين أشبعوا عدوهم في القتال وأثخنوهم وخرجوا لقتالهم في كل بلاد حتى ظفروا بهم ونالوا مرادهم غير مُقصرين في بذل المال لصالح حربهم.

(٦) جردوا: سلوا سيوفهم || أوعَدُوا: أسرعوا ودعوا|| بحر الجَدَى: بحر الكرم والعطاء. **المعنى**: وهم الذين سلُّوا سيوفهم وأخرجوا نفوسهم من أوطانهم للجهاد وفرقوا جموع أعدائهم ونفوهم من مراتعهم، ولم يكتفوا بذلك؛ بل دعوا الناس في قتالهم باذلين في ذلك العطايا والذخائر.

هُـمُ لِكَـبَّـاتِ الـخَـمِـيـسِ حَـدُّهَـا ... وجَـدُّهَـا وشَـدُّهَـا والـمُـخْـتَـمَـى[1]

هُـمُ إذا الـخَـيْـلُ ارْجَـحَـنَّ بَـخْـرُهـا ... فـي مَـأزِقِ الـرَّوْعِ تَـرَامَـوا لـلرَّدَى[2]

أولـئـكَ الـقـومُ وصِـيـتُ فَـخْـرِهِـم ... إنْ كـانَ فِي أَسْـمَـاعِكُـم ذاكَ الوَحَـى[3]

أسْـلافُـنـا وَمَـالَـنَـا مِـنْ مَـجْـدِهِـم ... إلا حَـدِيـثٌ، بَـعـدَهُـم، لا يُـفْـتَـرَى[4]

لـم الـتَّـحَـجِّـي بَـعـدَهُـم فـي شَـرَفٍ ... عِـنـدَ رُفـاتِ الـقَـوْمِ فِي الأرضِ حَـجَـا[5]

---

(١) كَبَّات الخميس: جمعُ كبَّة؛ وهي الدفعة الكبيرة في القتال، وأيضاً تعني: الحملة في الحرب || حَدُّها: غايتها || جدُّها: آباؤها الذين انتسبت إليهم تلك الحملات، ولم يقل «جُدودها»، لأنهم في جملتهم رجلٌ واحد، ويُحتمل أنه أراد بها الجِدّ (ضد الهزل)؛ أي حقيقتها || شدُّها: قوتها || والمُحتمى: أي مُوقدوها ومسعِّروا أوارها ـ ويحتمل المعنى أنه قصد: من يحمونها ويصونونها، كما يشير الشيخ الفارسي في شرحه.

(٢) ارجَحَنَّ: اهتزَّ أو مال أو وقع بمرَّة، والترجُّح هو التذبذب بين شيئين، وامرأة راجح ورجاح: ثقيلة العجيزة، وكتائب رُجُح: جرَّارة. [وردت في الأصل المُعتمد: «ارتجَحْن»، لكنَّنا استصوبنا ما أورده الشيخ الفارسي فاعتمدناه]. || مأزق الرَّوع: موضع الفزع || تراموا للرَّدى: اندفعوا للموت. **المعنى**: هم الذين إذا اهتزت الأرض وارتجفت لكثرة الخيل وتزاحمها الخيل بحرُها الطامي ثابتين في مواضع الفزع والهول يندفقون سراعاً للموت غير مُبالين به.

(٣) الوَحَى: أشار وأومأ وكلم المُخاطب بكلام يخفى على الآخرين. **المعنى**: أولئك القوم الذين أمتدحهم دون مُبالغة الشاعر، بل بسبب صيت فخرهم الذي اكتسبوه، إن كان يصلُ أسماعكم ما أشير وأومئ إليه وأسرُّهُ في آذان البعض منكم.

(٤) **المعنى**: بلى، هم أسلافنا. ولكن لا حق لنا في مجدهم، فهو حق لهم وحدهم. وعلينا الاكتفاء في أحاديثنا بذكرهم دون افتراء.

(٥) التحجُّي: كلمة معناها مخالف للفظها؛ فالمُراد بها الانتحاء بالآباء والأسلاف انتساباً إليهم في شرف [كما أورد الشيخ الفارسي]، لكنني بحثت في اللسان عن أصلها فوجدت أن التحَجُّي تعني: تعمدته وقصدته، وحجا بالمكان حجواً: أقام وثبت. قال ذو الرُّمة: «فجاءت بأغباشٍ تحَجَّى شريعةً | تِلاداً عليها رَمْيُها واحتبالُها» || حَجَا: الحَجا؛ ما أشرف من الأرض، وحَجا الوادي: مُنعطفه، والحَجَا: الملجأ [الشيخ الفارسي ذكر أنه قصد حِجا: أي العقل]، لكنني من استقراء سياق البيت أرى أنها حَجَا؛ بمعنى الملجأ. وعليه يكون **المعنى**: لم تعمدون وتتقصدون شرفاً لأسلافكم وتنسبونه إليكم؟ فعند رفات القوم ثمة في الأرض ملجأ أكيد لشرفهم، لا شرفكم. [وإن أخذنا بما ورد في الدُّرر المنثورة، لكان **المعنى**: «أيها القوم لأي شيء تفتخرون وتنتخون بعد أسلافكم بشرفهم عند كون فنائهم وبلاء أجسامهم وأنتم لا تفعلون كفعلهم فذلك ادعاء منكم للشرف. والله أعلم».

نَـرْفَـعُ مِـنْ أَنـفُـسِـنـا ونَـنْـتَـخِـي ... كـأنـهَـا مِـنْ كَـسْـبِـنـا تِـلكَ الـنُّـخَـا[1]

نُـصْـجِـبُـهُـنَّ أَنْـفُـسـاً مُـثـقـلَـةً ... بَـطِـيـئـةً تَـحْـمِـلُ أَوْقـارَ الـوَنَـى[2]

تَـعْـزِفُ عَـنْ مَـضُـوفَـةٍ إذا عَـنـتْ ... مُـجْـفـلَـةً عَـنِ الـمُـضَـافِ إنْ دَعَـا[3]

ألا نُـفـوسٌ عُـزُمٌ عَـارِفَـةٌ ... لـهُـنَّ جَـأشٌ إنْ طَـمَـا الـهَـوْلُ رَسَـا[4]

أَلا شَـدَا فِـي أَنْـفُـسٍ أَبِـيَّـةٍ ... يُـصْـبِـرُهَـا عَـلى مُـقـاسَـاةِ الـشَّـدَا[5]

تَـشْـفَـعُ أَحْـسَـاباً زَكَـتْ بِـمِـثـلِهَـا ... لـهَـا بِـمَـا أَصَّـلَـهُ الأصْـلُ أَسَـى[6]

هَـلُمَّ فَـلْـنَـحْـذُوَ حَـذْوَ سَـعْـيِـهِـم ... فَـلـيـسَ لـلإنـسَـانِ إلّا مَـا سَـعَـى

لـيـسُـوا رِجَـالًا لا نُـطِـيـقُ فِـعْـلَهُـم ... لـكِـنَّـهُـم جَـدُّوا وقَـصَّـرْنـا الـخُـطَـى

تَـنَـاوَلَـتْ أَكُـفُّـنـا سُـيُـوفَـهَـم ... يـا أسَـفـاً وعَـجِـزَتْ عَـنِ الـسَّـطَـا[7]

---

(١) النُّخا: جمعُ نخوة، وهي الافتخار. **المعنى**: نرفع من أنفسنا مفتخرين، كما لو كان ذلك الفخرُ من كسبنا.

(٢) نُصْجِبُهُنَّ أنفساً: بضم النون المضارعة، والفاعل ضمير عائد إلى المتكلم؛ أي: نحن، والضمير عائد إلى النُّخا في البيت السابق. أي نُصحِبُ تلك النُّخا أنفساً مثقلة بطيئة || أوقار الوَنَى: أثقال البطء. **المعنى**: ولا نكتفي بذلك، بل نُصحِب تلك النخوة أنفسنا المثقلة البطيئة التي لا تتسق ولا تتفق مع ما ندعيه من فخر أسلافنا الذي أسبغناهُ عنوةً على أنفسنا.

(٣) تعزفُ: تنصرف || المَضُوفة: الحاجة، ورجلٌ مَضوف؛ أي: مُحتاج، ولذلك النزيلُ يُدعى ضيفاً لحاجته || مُجفلة: نافرة || المُضاف: من وقع بين الخيل والأبطال وليست له قوّة للنهوض، والمُضاف في الحرب: هو من أحيط به. **المعنى**: وتلك الأنفس التي نرفعها ونعظمها نخوة فارغة؛ نراها تنصرف عند مسيس الحاجة تنفر مجفلة عن نصرة من أحيط به في الحرب لا حول له ولا قوة بين الخيل والفرسان.

(٤) **المعنى**: ألا أرى أنفُساً ذات عزم وإرادة تعرف تدابير الحرب؟.. نفوسٌ ذات جأش ثابتة راسية مهما هاج وماج الهول في المعركة.

(٥) الشدا: الدُّعاء. وشدا للأمر: دَعا إليه || الشَّدا (الثانية): تعني الحرب. **المعنى**: ألا دُعاء في الأنفُس الأبية يُصبِّرها على معاناة شدائد الحرب؟..

(٦) تشفعُ: تتبع || أحساباً: جمع حَسَب، وهو المجد والحَسَب الرفيع || زكَت: طَهُرت || أصَّلَهُ: من التأصيل [وردت في الدُّرر المنثورة: «أثَّلَهُ»، ولا فرق بين المعنيين] || أسَى: بمعنى اقتداء. **المعنى**: وتلك النفوس الأبية تتبعُ حسباً رفيعاً مثل أحساب لها؛ اقتداءً بما أقامَهُ وأصَّلهُ الأصل.

(٧) السَّطا: الصَّولُ في الحرب والبطش.

مَا انْطَمَسَتْ مِنْ دُونِنَا سَبِيلُهُم ... قد نَصَبُوا الأعْلامَ فيها والصُّوَى[1]

مَا كَابَدْنَا خُطَّةٌ عَنْ شَأنِهِم ... أفْظَعُ مِمَّا كَابَدُوهُ فَانْفَأى[2]

هُمْ غَرَّبُوا وشَرَّقُوا وأَيْمَنُوا ... وأَشْأَمُوا ومَهَّدُوا لَنَا الذُّرَى

وهُمْ سَرَوا بِجِدِّهِم وجَهْدِهِم ... فَحَمِدُوا صَبَاحَهُم غِبَّ السَّرَى[3]

هُمُ أَقَامُوا سُنَناً شَامِخَةً ... تُمَثِّلُ الشُّهْبَ ارْتِفاعاً وَسَنا

هُمْ أَقْدَمُوا الجُرْدَ السَّرَاحِيبَ لَهَا ... تُعَطِّشُ الصَّادِي إلى نارِ الوَغَى[4]

تُزْفِي الخَمِيسَ جَحْفَلاً فَجَحْفَلاً ... مِثْلَ الدَّبُورِ انْجَفَلَتْ عَنهَا الطَّخَا[5]

يا هَيَّ مَالي وَعَشِيرِي أَرْمَلُوا ... مَعَاقِلَ العِزِّ وأَيْتَمُوا العُلا[6]

أَيْنَ رِجَالُ اللهِ أَيْنَ غَارُهُم ... قَدْ هُدِمَ الحَوْضُ ودُمِّتِ الرُّكَا[7]

---

(١) الصُّوى: جمع صُوَة ـ ككُوَة ـ وهي حجر توضع في الطريق علامة اهتداء. **المعنى**: طريقُ أسلافنا لم تمَّحِ ولم تندرس آثارها، لأنهم أشرعوا لنا البيارق ووضعوا الأحجار علامات لنهتدي بها نحو طريقهم؛ فلا عُذر لنا بالتقاعس.

(٢) الخُطّة: الطريقة || انْفَأى: انفرج. **المعنى**: لم نكابد في طريقنا أفظع مما كابدوه للوصول إلى الأمر العظيم حتى انفرج لهم الضيق وانفتح الباب.

(٣) الغِبّ: عاقبة الشيء، نقولُ: حَمَدتُ غِبَّه؛ أي عاقبته، والبيتُ تنويعٌ على المَثل: «عند الصباح يحمد القومُ السُّرى».

(٤) أقدموا: أرسلوا وأطلقوا || الجُرد: جمع أجرد؛ وهو الخيل السبوق || السَّراحيب: جمعُ سرحوب؛ وهو الطويل من الخيل || تُعَطِّش: بمعنى تُشوِّق || الصَّادي: الظمآن || نار الوغى: لهيب الحرب. **والمعنى** واضح.

(٥) تُزفي الخميس: تسوق وتفرِّق الجيش || الدَّبور: ريحٌ تُقابل ريح الصَّبا || انجفلت: انقلعت وتقطّعت || الطَّخا: السُّحُب. **المعنى**: إن تلك الخيول الباسلة تسوق وتفرق جيش الأعداء جحفلًا فجحفلًا كرياح الدَّبور إذا هبت في كثير السحاب تفرق عنها.

(٦) يا هيَّ مالي: كلمة مُركبة تُقال للتعجب من أمرٍ حادث || العشير: القريب والصديق || أرملوا: فعل ماض فاعله ضمير الأسلاف؛ أي تركوها كالمترمِّلات من النساء || المَعاقد: معاهد العز والشرف || أيتموا: يتمُّوا. **المعنى**: إن الأسلاف رحلوا وتركوا معاهد العز والشرف أرملة ضعيفة لا يدافع عنها أحد من الأحفاد، كما تركوا الرفعة يتيمة بعد رحيلهم.

(٧) غارهم: غيرتهم || دُمِّت: كُبست || الرُّكا: الآبار والمنازف المعدودة للاستقاء.

أيْـنَ الـذيـن اسْـتَـخْـلصَـتْ شِـيـمَـتُـهُـم ... كـأنـهـا الـدُّرُّ الـيَـتِـيـمُ الـمُـنْـتـقَـى[1]

أيْـنَ الـذيـن مَـحَّـصَـتْ سِـيـرَتُـهُـم ... مُـكَـدِّرَاتِ دَهْـرِهِـم حَـتـى صَـفـا

أيْـنَ الـذيـن عَـرَّجُـوا إلـى الـسَّـمَـا ... أعْـنِي سَـمَـاءَ الـعِـلـمِ والـدِّينِ الـهُـدَى[2]

أيْـنَ شُـمُـوسُ الأرضِ أيْـنَ أفَـلَـتْ ... وأبْـقَـتِ الـنَّـاسَ عَـلـى مِـثـلِ الـدُّجَـى[3]

أيْـنَ الـخِـيَـارُ الـعَـائِذُ الـكَـوْنُ بِـهِـم ... وَصَـفْـوَةُ الـصَّـفْـوَةِ مِـنْ هَـذا الـوَرَى[4]

أيْـنَ رَبِـيـعُ الأرْضِ أيْـنَ غَـيْـثُـهَـا ... يـا حَـرَبَـا لا غَـيْـثَـهَـا ولا الـسُّـدَا[5]

أيْـنَ بَـقـايَـا اللهِ فِـي عِـبَـادِهِ ... ضَـنَـائِـنُ اللهِ وَقَـائِذُ الـتُّـقَـى[6]

أيْـنَ أُسُـودُ الـغَـيْـلِ مَـاذا اغْـتَـالَـهَـا ... قَـدْ أُسِّـدَ الـشِّـعْـلَـبُ فِـيـنَـا وَضَـرَى[7]

---

(١) استخلصت: صَفَت. **المعنى**: وأين من صَفت شيمتهم وطبائعهم لله خالصة لوجهه كالدُّرة اليتيمة المُنتقاة.

(٢) بالإمكان قراءة البيت هكذا: [أين الذين عَرَّجوا إلى السَّما | أعني سَماءَ العِلمِ، والدِّينُ الهُدى]

(٣) **المعنى**: أين عُلماءُ الأرضِ/ شُمُوسها التي متى أفلت وغربت تركت الناس في حُلكة ليل دامس.

(٤) **المعنى**: وأين الأخيار الفضلاء الذين يستعيذ بهم الكون؟.. أين صفوة الصَّفوةِ من جميع الخلق؟

(٥) يا حَرَبَا: كلمة ندب وتوجُّع؛ أصلها: واحَرْباه ـ فَفُتِحت الرّاءُ للاستثقال || السُّدا: المعروف. **المعنى**: وأين من كانوا ربيع الأرض ومطرها؟.. يا ويحي، لا غيث يرويها ولا معروف.

(٦) بقايا الله: أهلُ طاعته القليلون من عباده || ضَنائنُ الله: خواصُّ خلقه || وقَائِذُ: الوَقِيذ: الشديد المرض الذي أشرف على الموت. وفي حديث عُمر أنه قال: «إني أعلم متى تهلك العربُ، إذا سَاسَها من لم يُدرك الجاهلية فيأخذ بأخلاقها، ولم يُدركهُ الإسلامُ فيَقِذَهُ الوَرَعُ؛ قوله: فيَقِذَهُ أي يُسكِّنُهُ ويُثخِنُهُ ويبلغ منه مبلغاً يمنعه من انتهاك ما لا يحلُّ ولا يَجْمُل». || التُّقى: الورع. [وردت في الأصل المُعتمد: «وقائذ»، لكنَّها وردت في الدُّرر المنثورة «وقائذُ التُّقى»؛ وفسَّرها الشيخ الفارسي: «والقائد: الذي يقود الدابة نقيض السائق، فالقائد من أمام والسائق من خلف وأراد بالقائد: الذي يحمي الدين ويأخذ بزمامه»، فأحسستُ بخطأٍ في تفسير البيت، بل إنني مِلتُ إلى «وقائد التقى» في البداية؛ بمعنى شُعل التقى، لكنني حين عدت إلى اللسان وجدتها في حديث عُمر، لأنني تعلمت من اشتغالي على أبي مُسلم أنه لا يأتي بمفردة، مهما بدت غريبة وغير مُستساغة أول الأمر، إلّا أنه كان قد سبق إلى وضعها في موضعها الصحيح]. **المعنى**: وأين النذرةُ من عباد الله وخواصُّ خلقه ممّن سكَّنهم الورعُ المانع لهم من انتهاك ما لا يحلُّ ولا يجْمُل...

(٧) أسودُ الغَيل: جمعُ أسد ـ والغَيل: الغلام العظيم المُمتلئ السَّمين وقصد بهم الشجعان، وتعني أيضاً الوادي كثير الأشجار || أُسِّدَ الثعلبُ: جُعِلَ وصُيِّرَ أسَداً || ضَرَى: فتكَ كالضَّواري، **والمعنى يُستشفُ** من سياق البيت.

هَيْهَاتَ بَعدَ القومِ شَدَّتْ رَحْلَهَا ... حَمِيَّةُ الدِّينِ وَصَارَتْ مُنْتَمَى[1]

أُنْشِدُهَا مِنْ مَسْجِدٍ فَمَعْهَدٍ ... فَمَنْهَجٍ فَمَجْمَعٍ فَمُنْتَدَى

فلم أَجِدْ مَنْشُودَتِي فِي مَوضِعٍ ... ثم حَدَسْتُ أَنهَا رَهْنُ الثرَى

أَرْمَلَةٌ نَاحَتْ عَلى أَحْرَارِهَا ... ثُمَّ ثَوَتْ آسِفَةً فِيمَنْ ثَوَى[2]

أَوْاه أَوْاه رُزِئْنَا بَعْدَهُم ... ولَيْتَنَا فِي خَلْفِ عَمَّنْ مَضَى

مَا فِي الحِمَى مِنْ دَافِعٍ ومُتَّقِ ... مَا يُعْقَبُ الخِزْيَ ولا مَنْ يُتَّقَى

قَدْ ضَاعَتِ الحُرْمَةُ بَعدَ صَوْنِهَا ... وَشُنَّتِ الغَارَةُ فِي عَقْرِ الحِمَى

وطَرَقَ الحَيَّ ذِئَابُ جَوِّهِ ... ودُعْثِرَ الزُّرْبُ وخَاسَ المُرْتَعَى[3]

أَدْعُو رُعَاةَ الحَيِّ فِي قُبُورِهِم ... إِنْ سَمِعَ المَيْتُ دُعَاءَ مَنْ دَعَا

أَدْعُو لَهَا الأَمْوَاتَ إِذْ آيَسْتُ مِنْ ... أَحْيَائِهِم لَعَلَّ فِيهِمْ مَنْ وَعَى

يَا أَيُّهَا الرَّاعِي انْتَبِهْ فَمَا بَقَى ... حَوْلَ المَرَاعِي مَا ثَغَا وَمَا رَعَى[4]

يَصْخُّ صَوْتِي مَسْمَعاً ومَسْمِعاً ... لو كَانَ مَنْ يُزْعِجُهُ هَذا النِّدَا[5]

---

(١) البيتُ واضحٌ مبنى ومعنى، كما أثبتناهُ، هنا، وكما ورد في الأصل المُعتمد؛ لكنَّ الشيخ منصور الفارسي يُوردُ «شَدق رحلها»، ربما لخطأ في النسخة التي اعتمدها. وبدوره، فإنَّ مُحقق «الدرر المنثورة في شرح المقصورة» لم ينتبه لها، في حين يشغل نفسه بتصحيح أقوال الشيخ الجليل بعبارات من مثل: «*ومما يُؤخذ على الشارح ذكر المبتدأ ولم يذكر الخبر*»، دون أن يكلف نفسه كـ«مُحقق» لعمل أدبيٍّ الإصغاءَ لروح الشاعر وروح شارح المقصورة، لكننا دأبنا على التغاضي، هنا وهناك، عن هذه وتلك، لأن فائدتنا كانت، حقيقةً، في جُهد الشيخ العلامة منصور بن ناصر الفارسي، الذي لولا جُهده لما استطعنا التجرُّؤ على محاولة الإستئناس بشرحه وتبسيطه للمقصورة.

(٢) معنى الأبيات الثلاثة، تباعاً: أنشدُها؛ أي أسألُ عنها (يقصد حميّة الدِّين) من مسجد فمعهد فمنهج، إلخ.. لكنني لم أفلح في العثور عليها، فحدستُ أنها حبيسة الثرى في صُدور من رحلوا عنا، حالها كالأرملة التي ناحت على الأحرار، وكان مصيرها مثلهم في التراب.

(٣) الطَّرق: الإتيان بالليل || دُعثر: مُزِّقَ || الزرب: الزريبة || خاس: فسد || المُرتعى: الذي يرعى ويؤكل. **المعنى**: كنى العدو بالذئب الذي يهجم ليلًا ليُدعثر الزرائب ويُفسد مراعي الأغنام.

(٤) **المعنى**: انتبه أيها الراعي؛ فلم يبق حول مراعيك شاة تغفو وترعى.

(٥) يصخ: صَخًّا، وصَخيخًا: صوَّت عند القَرع. و ـ فلانًا ـ صَخًّا: ضَرَبَ أُذُنَهُ فأصَمَّها. ويقال: صَخَّ سمعَهُ، وصَخَّ الصوتُ أُذُنَهُ. و ـ الصُّلبَ على الصُّلب: طَرقهما فصوّتا [وردت لدى الفارسي:=

أَصْبَحَ قَوْمِي جُثَّةً بَارِدَةً ... عَيَّ بِهَا الطَّبُّ وَعَيَّتِ الرُّقَى[1]

مَا أَثَرُ النُّصْحِ عَلَى أَلْبَابِهِمْ ... إِلَّا كَآثَارِ الحَيَا عَلَى الحَصَى[2]

وَمَا رُسُوخُ الوَعْظِ مِنْ قُلُوبِهِمْ ... إِلا كَمَا يَرْسَخُ فِي الصَّخْرِ الصَّدَى[3]

وَلا لأَحْرَارِ الكَلامِ عِنْدَهُمْ ... تَكْرُمَةٌ وَلا لِحُرٍّ مُسْتَوَى[4]

تَنْصَحُهُمْ فَتُجْتَوَى دِيَارُهُمْ ... إِنَّ الكِرَامَ دَارُهُمْ لا تُجْتَوَى[5]

أَمْحَضُهُمْ نَصَائِحاً لَوْ ذَهَبَتْ ... إِلَى جَمَادٍ ذابَ أَو مَاءٍ جَسَا[6]

فَتَنْثَنِي نَصَائِحِي مَكَارِهاً ... يَقْرِضُهَا اللومُ وَيَنْفِيهَا القَلَا[7]

=«يضجُّ»، لكننا استحسنا ما ورد في الأصل المُعتمد] || مَسمَعاً ومَسمِعا: الأولى ـ بفتح الميمين ـ مصدر سَمِع، والثانية ـ بكسر الميم الثانية ـ على أنه ظرف مكان كالمطلِع والمَجلِس؛ أي موضع السمع، وتكراره للتكثير || يزعجه: يقلقه || النِّدا: النِّداء. **المعنى**: إن ندائي يصكُّ آذاناً كثيرة، كما يصخ أذني ويصمُّها لشدة بلاغه، لو وُجد من يقلقه ذلك النداء لأجاب، ولكن هيهات.

(١) عَيَّ: عجز || الطِّبّ: بفتح الطاء؛ الطبيب الماهر الحاذق || الرُّقى: التعاويذ الشافية. **المعنى**: صار القوم الذين تمنينا عليهم اتباع السلف الصالح جثة باردة عجز عنها الأطباءُ والتعاويذ.

(٢) أثر النصح: علاماته [ورد البيت لدى الشيخ الفارسي كالتالي: ما أثَرُ النُصحُ على ألبابِهم | إلّا كآثار الحَيا على الحَصا] || الحَيا: المطر || الحَصَى: مُطلق الحجر. **المعنى**: ما أثرُ النصيحَة في قلوبهم إلّا كما يؤثر المطرُ في حَصاةٍ جامدة، وآثرنا «ما أثرُ النُّصحِ» عوضاً عما اقترحه الشيخ: «ما أثَرُ النصحُ»، لأنَّ الشاعر أراد مُفارقة التشبيه: فكما لا يؤثر المطر في الحصى ولا يترك أثراً عليه؛ فإن النصيحة في قلوبهم، أيضاً، لا أثرَ لها.

(٣) **المعنى**: والوعظُ، بدوره، لا يرسخ في قلوبهم ولا يعلق بها، لأنه كصدى الجبالِ الذي لا يرسخُ، بعد التصويت والمناداة، في صخوره الصَّماء.

(٤) **المعنى**: ولا تكريم لديهم لحُرِّ الكلام النفيس، ولا احترام لديهم للأحرار.

(٥) تُجْتَوى ديارهم: أي تُكْرَه كديار اللئام، ومَنْ اجْتوى بيته: تعني كَرِهَه.

(٦) أمْحضُهُم نَصائحاً: أُخْلِصُ النُّصح || جَمَدا: جمد ووقف. **المعنى**: ورغم كثرة نصائحي التي أخلصتها لهم لم تؤت ثمارها، ولو أن تلك النصائح ذهبت إلى جمادٍ لذابَ من حَرِّ تأثيرها، أو إلى ماءٍ لتوقف عن الجريان.

(٧) تنثني: ترتد وترجع || مَكارهاً: قبائح مكروهة || يقرضها: يقطعها بالمقراض || اللَّوم: المَلامَة، كما وردت في الأصل المُعتمد [ووردت «اللُّوم» لدى الفارسي] || ينفيها: يُنحّيها ويُبعدها || القَلا: البغض. **المعنى**: لكن نصائحي التي أخلصتها لهم ترتدُّ إليَّ قبائح يقطعها اللومُ بمقراضه، كما يُبعدها الكرهُ والبُغض.

سَيُدْرِكُ النُّصْحَ لِزازٌ مُخَوِّذٌ ... عَزَائِمُ الرَّأْيِ إذا لاحَ الجَلا[1]

لقد نَفَتْ عَنِّي الرِّجَالُ شِيمَةً ... لو سَكَنَتْهُم زَلْزَلَتْ قلبَ العِدَا

لكِنَّنِي أَعْجَزُ أنْ أُفِيتَهُم ... تَكْذِيبَهُم، بَيِّنَتِي للمُدَّعَى[2]

إنَّ القُلوبَ اسْتَشْعَرَتْ جِبِلَّةً ... فَتَارَكَتْ أَحْلامَهَا إلى الهَوَى[3]

ليسَ العَصُورُ الغُرُّ إنْ تَكَشَّفَتْ ... بِحُسْنِهَا هَادِيَةً لِمَنْ غَوَى[4]

كُلُّ امْرِئٍ بِفِعْلِهِ مُغْتَبِرٌ ... والسَّيْفُ بالشَّفْرَةِ يَفْضُلُ العَصَا[5]

فَتَحْتُ عَيْنِي فَرَأَيْتُ غَافِلًا ... يَحْمِلُهُ السَّيلُ وَلَيْتَهُ دَرَى[6]

---

(١) اللزاز: الشجاع || المُخوِذ: الحاذق المُشمِّر للأمور القاهر لها || الجَلا: أصلها الجلاءُ وقصرت للضرورة الشعرية؛ وتعني وُضوح الأمر [وردت لدى الشيخ «الجَلا»، وفسرها بقوله: جبلٌ بالمدينة، وأراد به الشدة!]. المعنى: سيدرك حقيقة نصحي شجاعٌ حاذق لا تفوته الخوافي، فعزائمُ الرأي لا تُدرك لأول وهلة، بل تُرى حقيقة صَوابها إذا ما تجلَّت واتضحت.

(٢) معنى البيتين: لقد نفى القومُ عني شيمةً لو سكنت قلوبهم لزلزلت قلوب الأعداء، لكنني أعجز من أن أبطلَ دعواهم التي ادعوها ضدي كذباً، لذلك فإن البيِّنة على ما أقوله ستثبت للمُدَّعى؛ أي الحق الذي وقعت فيه الدعوى.

(٣) جبلَّة: سليقة وطبيعة || تارَكَتْ: رفضت وهجرت، والمُتاركَة: مُفاعلة؛ وهي أن يترك كلٌّ واحد صاحبه من المُتتاركَين، وتتاركَ الخصمان: تركَ كلٌّ منها صاحبه؛ أي قاما بفعل الترك كلٌّ من جانبه في ذات الوقت || أحلامَها: جمعُ حِلم؛ وهو العقل والتأني في الحُكم || الهَوى: المَيلُ عن الحق إلى ما تُسوِّغه النفسُ من ضلال. المعنى: إن قلوب الرجال الذين أنكروا عليَّ شيمتي علمت من تلقاء ذواتها حقيقة ما أدّعيه وأقوله؛ فرفضت التأني في الحُكم عليَّ بما يُمليه التعقل ميّالةً إلى ما أملاهُ عليها هواها وضلالاته.

(٤) العَصُور: الكريم || الغُرّ: الباسل || إن تكشفت: إن ظهرت، وفاعلها محذوف يعودُ إلى بدعة أو ضلالة ونحوها || غوى: ضلّ. المعنى: ليس الكريم الباسل إن تكشفت له البدع بحسنها لهداية من غوى، فهي تبدو كذلك في أهلها القابلين للغواية.

(٥) المعنى: كلُّ إنسان يعبر عنه زينُ فعله وشينه، وبذلك يعلو أو يسفل مقداره، وإلا ما شرُفَ السيفُ وتفوق على العصا مَكانةً.

(٦) بعد أن وصل إلى الخلاصات في المقصورة؛ ينتهي أبو مُسلم إلى خلاصة الخلاصة في المقصورة ابتداء من هذا البيت والأبيات التالية له، كما لو كان يردد مع دعبل الخزاعي: «**إني لأفتحُ عيني حين أفتحها | على كثير، ولكن لا أرى أحدا**»، لذلك يفتحُ عينه فيرى غافلًا حمله السيل دون أن يدري... إلخ الأبيات.

وَنَـائِمـاً والـنَّـارُ فِـي جُـثْـمَـانِـهِ ... كـأَنَّـهُ جَـزْلُ الـغَـضَـى وَمَـا وَعَـى[1]

وَرَاضِـيـاً بِـذِلَّةٍ مُـفْـتَـخِـراً ... بـأَنْ يَـعِـيـشَ خَـازِيـاً وَمُـزْدَرَى

وَمُـؤْمِـنـاً مُـسْـتَـضْـعَـفـاً يَـغْـمِـزُهُ ... ظـالِمُـهُ مِـنَ الـرَّجَـا إلـى الـرَّجَـا[2]

وعَـاقِـلًا فِـي رَأْيِـهِ مُـتَّـهَـمـاً ... وأَرْشَـدُ الآرَاءِ لِلحُـرِّ الـدَّوَا[3]

وحَـاسِـداً لِنِـعْـمَـةٍ تَـخَـالُهُ ... أَسْـعَـرَ مَـا كـانَ إذا قُـلـتَ خَـبَـا[4]

وبَـائِـعـاً لِوَطَـنٍ فِـيـهِ انْـتَـشَـا ... بِـلُـقْـمَـةٍ يَـلـذُّهَـا وهِـيَ الـوَدَى[5]

فَـهَـلْ لـنـا اسْـتِـقـامَـةٌ وَعِـزَّةٌ؟ ... وحَـالُـنـا مَـشْـؤُومَـةٌ، كَـمَـا نَـرَى . .

وأَغْـلَـبُ الـنـاسِ الـوَفَـاءُ عِـنْـدَهُـم ... مُـسْـتَـهْـجَـنٌ وعَـهْـدُهُـم عَـلى شَـفَـا[6]

يَـجْـرُونَ فِـي الأَهْـوَاءِ لا تَـكْـبَـحُـهُـم ... شَـكِـيـمَـةٌ عَـنْ دَخَـلٍ ولا هَـوَى[7]

وأَدْعِـيَـاءُ الـفَـضْـلِ إنْ دَعَـوْتَـهُـم ... لِغُـمْـرَةِ الـجُـلَّى تَـرَامَـوا لـلـعَـرَى[8]

هَـمُّـهُـمُ فِـي شَـهَـوَاتِ طَـبْـعِـهِـم ... هَـمَّ الـسَّـوَامِ فِـي ارْتِـيَـادِ الـمُـرْتَـعَـى[9]

---

(١) الجزل: الحطب الغليظ || الغضى: شجر معروف، وقيل هو الطلح.

(٢) **المعنى**: ورأيتُ مؤمناً مُستضعفاً يغمزه ظالمه، وحاله في برزخ من رجاء الحياة إلى رجاء الموت.

(٣) **المعنى**: ورأيتُ عاقلًا متهماً في رأيه مشكوكاً في قوله، رغم أن أرشد الآراء هي دواءُ الأحرار.

(٤) **المعنى**: ورأيتُ، فيما رأيت، حاسداً لنعمة تحسبُ نارَهُ أكثر تلهباً كلما اعتقدت أنها خبت.

(٥) انتشا: نشأ وولد فيه || الوَدَى: الهلاك والعطب. **المعنى**: كما رأيت من باع وطنه الذي ولد ونشأ فيه ليحصل على لقمةٍ يستلذها، وهي الهلاكُ بعينه.

(٦) **المعنى**: وكما نرى ونرى في زماننا، فإن الوفاء بالعهود أضحى مُستهجناً لدى أغلب الناس، ناهيكَ عن عهودهم التي إن لم ينكثوا بها فهم على شفا التنكر لها في أية لحظة.

(٧) لا تكبحهم: لا تردعهم || الشكيمة: الأنفة || الدَّخَل: الرجل الخداع || هَوَى: هلاك. هَوى الرَّجُلُ: مات؛ قال النابغة: «وقال الشامتونَ هَوى زِيادٌ | لكُلِّ مَنِيَّةٍ سَبَبٌ مَتِينُ». **المعنى**: وهم يتهافتون جرياً وراء أهوائهم لا تردعهم أنفةٌ عن خبث وخداع، ولا هلاك.

(٨) أدعياءُ الفضل: أصحاب المناصب والمراتب والرُّؤساء || دعوتهم: ناديتهم || الغُمرة: الشدَّة || الجُلّا: الأمر العظيم الجَلل || ترامَوا: تراخوا || العَرَى: ترك الأمر وعدم الاهتمام به. **المعنى**: والمُعضلة أنك إن ناديت «أدعياء الفضل» أصحاب المناصب والمراتب الدينية والاجتماعية والسياسية في الشدَّة للأمر الجلل المُحيق بالأمة لتراخو ولم يلتفتوا إلى دعوتك. وفي البيت نقد لاذع للسَّاسة ورجال الدين وأولي الأمر المُتواطئين واللامُكترثين بما يُحدق بهم.

(٩) السَّوام: جمع سائمة، وهي الإبل التي أطلقت للرَّعي || المُرتَعَى: المَرعى. **المعنى**: وأدعياء=

سَرِيُّهُم مَنْ جَمَعَ المَالَ ولو ... أَفْلَسَ مِنْ مُرُوءَةٍ ومِنْ حِجَا[1]

إذا دَعَا المَجْدُ تَفادَى نَاقِصاً ... وإنْ دَعَاهُ بَذَخٌ قَالَ: أَنَا[2]

لا يَشْرُفُ اليَومَ بِعَقلٍ مُقْتِرٌ ... والسَّيدُ الأَقْعَسُ مَنْ نَالَ الغِنَى[3]

فَخُذْ مِنَ الغُمْرِ الدَّنِيِّ رَأْيَهُ ... إنْ مُلِئَ الكِيسُ، وَدَعْهُ إنْ ضَقَا[4]

تَخَاضَعَتْ لَهُ الرِّقَابُ عَنوةً ... وإنْ جَسَتْ صَفْحَتُهُ وإنْ ضَمَى[5]

عَصَائِبَ الإسلامِ تِلْكُم حَالُنَا ... وليسَ يَخْفَى فِي الظَّلامِ ابْنُ جَلَا[6]

=الفضل هؤلاء لا همَّ لهم إلا شهواتهم، لأنهم في الحقيقة لا يكترثون بحال الأمة والرُّعية قدر اهتمامهم بشهواتهم. وهو همُّ من لا همَّ له، كاهتمام الإبل بالبحث عن المرعى، ومرَّةً أخرى يتنقد الشاعر وُلاة الأمر، بل يسخر من تفاهتهم.

(١) سَرِيُّهم: عاقلهم وكريمهم || الحِجَا: العقل والفطنة. **المعنى**: والعاقل والكريم في تقدير هؤلاء هو من جمع المال، ولو أفلس من المُروءة والفطنة.

(٢) تفادى: تأخر وتكأكأ || ناقصاً: خاسراً، [ويجوز قراءتهُ ناكِصاً؛ أي راجعاً مُحجماً ـ كما يُشير الشيخ الفارسي في شرحه ـ وأوافقه على تجويزه، لكنني أثبتُّ الأصلَ كما أثبته في نُسخته]. **المعنى**: وسُراة القوم هؤلاء؛ إذا ناداهم الشرفُ والمجد تأخروا عنه ناكصين مُحجمين، وإن دُعُوا للبذخ هتف كلُّ واحدٍ منهم: أنا!

(٣) مُقتِر: مُعدَم || السَّيد: شريفُ القوم || الأقعس: المنيع الثابت في عزه. **المعنى**: لذلك انقلبت الموازين في زماننا، فصاحب الشرف والمنزلة الرفيعة ليس الراجح في العقل، بل جامع الأموال.

(٤) الغُمر: الجاهل || الدَّنيّ: الدَّنِيء الذليل || الكيس: وعاء الدراهم || ضَقا: ضاق، مصدر ضاق يضيق ضيقاً وضقاً، أو هو فعل ماض من ضقا يضقو ضقاً وضقاءً، أو مصدر ضقا، حُذفت لامه لأجلِ الرَّويّ، ومعناه: بَخل. **المعنى**: لذلك ـ والحالُ هذا ـ خذ الرَّأيَ السديد من الجاهلِ الدَّنيّ بعد أن تملأ كيسهُ دراهماً، وإن بخلت وضاق كيسك فلن يمنحك رأياً. [ثمَّة قراءة معكوسة للبيت ومعناه، في حال استبدلتْ «إنْ مُلِئ الكيسُ» بـ «إنْ مَلأ الكيسَ»، وهو ما ورد في الأصل المُعتمد].

(٥) تخاضعت: تذللت وخضعت || عَنوةً: بلا شدَّة، وانقياداً دون إكراه || جَسَت: تصلبت واخشوشنت|| صحفته: كفُّه || ضمَى: ظلم. **المعنى**: فلصاحب المال سطوة وهيبة تجعل الرِّقاب تتخاضع وتتذلل له انقياداً، ولو كانت كفه مُتصلبة كنفسه لا تندى كرماً، فالناسُ تخضع له فطرةً وإن ظلمهم.

(٦) عصائبَ الإسلام: جمع عاصب، وهم جماعات الإسلام قاطبة، وأصل المُفردة: ذوو القرابة المتعصبون للمرء || ابنُ جَلا: مثلٌ يضرب في ظهور الشيء وعدم خفائه، وأصله بيت سحيم بن وثيل: «أنا ابنُ جَلا وطلاعُ الثنايا | متى أضعُ العمامة تعرفوني»، وقد تمثلَ به الحجاج. **المعنى**: يا فرق الإسلام وعصائبه تلكم حالتنا المُزرية التي تعرفون نقائصها بجلاء ووضوح.

مَا تَنْظُرُونَ فِي التِمَاسِ طِبِّكُم ... قد نُكِئ الجُرْحُ وأَذْنَفَ الضَّنَى[1]

لَيسَ لَهَا إلّا التِفَافُ قُوَّةٍ ... بِقُوَّةٍ ومُقْتَدًى بِمُقْتَدَى[2]

لَيسَ لَهَا إلّا نُفُوسٌ طُفِئَتْ ... أضْغانُهَا واشْتَعَلتْ فِيهَا التُّقَى[3]

يَلُمُّهَا الإيمَانُ قلباً واحِداً ... وِجْهَتُهُ اللهُ وَحَشْوُهُ الهُدَى[4]

إذا رَمَتْ فَقَوْسُهَا وَاحِدَةٌ ... ومَا رَمَتْ؛ وإنَّمَا اللهُ رَمَى[5]

دَبَّ إلَيكُم دَاءُ مَنْ قَبلَكُمُ ... مِنْ حَسَدٍ يَسْفَعُكُم ومِنْ قَلَا[6]

فَخَلِّصُوا الأَنْفُسَ مِنْ أَدْوَائِهَا ... فَقَلَّ مَنْ مَهْمَا أَصَابَتْهُ نَجَا[7]

ولو تَآلَفتُم عَلى إيمَانِكُم ... وكَانَتِ الأَوْجُهُ وَجْهاً يُنْتَحَى

ومَحَّصَتْ أَنْوَارُهُ قُلوبَكُم ... فَصَفِيَتْ مِنْ فِتْنَةٍ ومِنْ شَذَا[8]

---

(١) نُكِئ الجرح: تآكل وفسد حتى عسر بُرؤه || الضَّنى: المرض المُلازم. **المعنى**: أما وقد صرتم تعرفون ما آلت إليه حالنا، فما دواءُ مرضنا العُضال بعد أن تمكن من أجسادكم؟

(٢) **المعنى**: في نظري؛ لا علاج لحالتنا تلك إلّا اجتماعنا على كلمة واحدة وجمع كل ما لدينا من قوة يقتدي أحدنا بالآخر.

(٣) **المعنى**: ولا دواء لحالنا تلك إلّا بتصفية النفوس وإخماد نيرانها من الأحقاد، نفوس اشتعلت في بواطنها أنوار الإيمان.

(٤) **المعنى**: نفوسٌ يلمها الإيمان قلباً واحداً مقصدها الله بعد امتلائها هداية ورشاداً.

(٥) **المعنى**: نفوسٌ إذا رمت عدوها، كما لو أنها بمجموعها وائتلافها ترميه بقوس واحدة؛ وساعتها لن تكون هي الرامية بل سبحانه وتعالى، كما جاء في محكم كتابه العزيز: «وما رميتَ إذ رميت ولكنَّ الله رمَى» - والشطر الثاني مقتبسٌ من الآية الكريمة.

(٦) **يسفعُكم**: يلطمكم، كيصفعُكم || القَلا: البُغض والكراهية. **المعنى**: لقد سرى فيكم داء من سبقوكم من الحسد والبغض والكراهية لبعضكم البعض، وفي البيت اقتباس من الحديث النبوي: «دبَّ إليكم داءُ الأمَم قبلَكُم الحسدُ».

(٧) **المعنى**: فخلصوا أنفسكم من عللها المُهلكة، فقد قلَّ من أصابته علة الحسد والكراهية فنجا من هلاكها دنيا وآخرة.

(٨) **يُنتحى**: ينتسب || الشذا: التفرق. **معنى البيتين**، تباعاً: لو تآلفتم على إيمانكم، وكانت أوجهكم في الإيمان وجهاً واحداً تاركين ما وراء ذلك من الأنساب، حين يكون نسبكم للإيمان الذي مُحِّصت أنوارُهُ قلوبَكم لصَفت من الفتنة والتفرق...

ضَاقَ عَلى الخَصْمِ الفَضَاءُ دُونَكُم ... وعَزَّهُ الإِرْكَاسُ مِنْ حَيثُ نَزَا[1]

عَسَى الذي قَدَّرَ مَا يَهُولُكُم ... يُزِيلُ باللُّطْفِ الخَفِيِّ مَا عَنَا

ويُمْطِرُ الرَّوحَ عَلى رُبُوعِكُم ... فَيَنْضُرُ الرَّوْضُ وإِنْ كَانَ ذَوَى[2]

---

(١) عزَّهُ: ضد ذلّه || الإركاس: التنكيس || نزا: وثب. **المعنى**: لو أنكم اجتمعتم على إيمانكم لضاق الفضاءُ على خصمكم، ولانتكس عزُّهُ ذُلًّا من حيث وثبت خطوته.

(٢) ما يهولكم: ما يفزعكم، والهول: الداهية العظيمة || ما عَنا: ما وقع || الرَّوح: الحياة || ينضر: ينبت ويخضرّ || الرَّوض: جمع روضة، وهي المُخضر والحدائق. **معنى البيتين**، تباعاً: عسى أن يزيل سبحانه جلَّ وعلا ما أصابكم من الدواهي والمصائب بلطفه الخفيّ، وعسى أن يُمطر ربوعكم حياة لتنضر وتخضر رياضها بعد أن ذوَتْ، والبيتان دُعاء وخاتمة.

النُّونِيَّة(*)
(الفَتحُ والرِّضْوان في السَّيفِ والإيمان)

تـلكَ الـبَـوَارِقُ حَـادِيـهـنَّ مِـزنـانُ ... فـمَـا لِطَـرْفِـكَ يـا ذا الـشَّـجْـو وَسْـنـانُ

شَقَّتْ صَوارِمُها الأَرْجَاءَ وَاهْتزَعَتْ ... تُزْجِي خَمِيساً لَهُ في الجَوِّ مَيْدَانُ

تَبَجَّسَتْ بِهَزِيمِ الوَدْقِ مُنْبَعِقاً ... حتى تَسَاوتْ بِهِ أُكْمٌ وَقِيعَانُ

سَقَى الشَّوَاجِنَ مِنْ «رَضْوَى» وَغَصَّ بِهِ ... «سِرٌّ» و«جَوْفٌ» وَغَصَّت مِنهُ «جَرْنانُ»

وَجَلَّلَ السَّهْلَ وَالأَوْعَارَ مُعْتَمِداً ... رُبُوعَ ما ضَمَّ «عِنْدَامٌ» وَ«جَعْلانُ»

وَرَاثَ يَنْضَحُ لِـ «الجَرْداءِ» سَاحَتَهَا ... وَطَمَّ ما رَدَّ «صَفْنانٌ» و«صَخْنانُ»

يُرِيقُ في الجَوِّ مِنهُ رَيِّقٌ هَطِلٌ ... في لُوحِهِ مِنْ سَنَاءِ البَرْقِ أَلْوَانُ

إنْ هَيَّجَ البَرْقُ ذا شَجْوٍ فَقَدْ سَهَرَتْ ... عَيْنِي وَشَبَّتْ لِشَجْوِ النَّفْسِ نِيرَانُ

وَصَيَّرَ البَرْقُ جَفْنِي مِنْ سَحَائِبِهِ ... يا بَرْقُ: حَسْبُكَ، ما في الأَرْضِ ظَمْآنُ

إِنِّي أَشُحُّ بِدَمْعِي أَنْ يَسُحَّ على ... أَرْضٍ وَمَا هِيَ لِي، يا بَرْقُ، أَوْطَانُ

هَبْكَ اسْتطَرْتَ فُؤادِي فَاسْتطِرْ رَمَقِي ... إلى مَعَاهِدَ لي فِيهِنَّ أَشْجَانُ

تِلكَ المَعَاهِدُ ما عَهْدِي بِهَا انْتَقَلَتْ ... وَهُنَّ وَسْطَ ضَمِيري، الآنَ، سُكَّانُ

(*) وردت النونية، في الأصل المُعتمد، بعنوان: «يا للرِّجال» ـ موشى بعنوان فرعي: «وقد مدح بها إمام المُسلمين سالم بن راشد الخروصي رحمه الله»، لكننا آثرنا عنوانها الشائع، مُضافاً إليه عُنوانُها الأصلي: الفتح والرِّضوان في السَّيف والإيمان. **ملحوظة**: لكثرة حواشي النونيَّة؛ آثرنا وضع نسختين إحداهما دون شرح والتي تليها مُذيَّلة بشروحات مُوسَّعة.

نَـأيْتُ عَـنْـهَـا، وَلـكِـنْ لا أُفَـارِقُـهـا ... بَـلَى! كَـمِ افْـتَـرَقَـتْ رُوحٌ وَجُـثْـمَـانُ
وَكَـيفَ أَنْسَى عُهُودِي فِي مَسَارِحِها ... وَهُـنَّ بَـيـنَ جِـنـانِ الـخُـلْدِ بُـطْـنـانُ
أَمْ كَـيـفَ يُـمْـكِـنُ سُـلْـوانِـي فَـضَـائِلَـهـا ... نَـعَـمْ لَدَيَّ لِذا الـسُّـلْـوَانِ سُـلْـوَانُ
مَـعَـاهِـدٌ شَـاقَـنِـي مِـنْـهَـا مَـحَـاسِـنُـهـا ... إِنْ شَـاقَ غَـيْـرِيَ آرَامٌ وَغِـزْلانُ
لَهَا عـلى الـقـلْـبِ مِـيـثـاقٌ يَـبُـوءُ بِـهِ ... إِنْ بَـاءَ بِـالـحُـبِّ فِـي الأَوْطَـانِ إِيـمَـانُ
نَـزَحْـتُ عَـنْـهَـا بِـحُـكْـمٍ لا أُغَـالِـبُـهُ ... لا يَـغـلِـبُ الـقَـدَرَ الـمَـحْـتُـومَ إِنْـسَـانُ
كـأَنَّـنِـي وَاغْـتِـرَابِـي وَالـغَـرَامَ بِـهَـا ... حَـيٌّ قَـضَـى خَـلْـفَـتْـهُ، بَـعْـدُ، أَحْـزَانُ
هِيَ النَّوَى جَعَلَتْنِي فِي مَحَاجِرِها ... مِـثـلَ الـخَـيَـالِ وَرُوحِـي ثَـمَّ جُـثْـمَـانُ
أَعِيشُ فِي غُرْبَةٍ عَيْشَ السَّلِيمِ على ... رَغْـمِـي، وَلَـيـسَ إِلـى الـتِّـرْيَـاقِ إِمْـكَـانُ
يا بَرْقُ حَرِّكْ هُمُومِي إِنْ تَكُنْ سَكَنَتْ ... فَـكُـلُّ حَـظِّـيَ تَـحْـرِيـكٌ وَإِسْـكَـانُ
مـا زَالَ يَـنْـشِـطُ بـي هَـمِّـي وَأُصْـبِـرُهُ ... وَنَـاشِـطُ الـهَـمِّ لا تَـزْوِيـهِ أَرْسَـانُ
يا بَرْقُ هَلْ وَالحَنايا مِنْ «ضَعَاضِعَ» و«اللّـ ... ـتَـامِ» فَـ«الـطَّـفِّ» حَـيَّـاهُـنَّ هَـتَّـانُ
وَهَلْ ذُرَى «القَفْصِ» فَ«المِقْرَاةُ» مُعْشِبَةٌ ... وَهَـلْ قَـطِـيـنٌ بِـعَـلْـيـا «قَـاعِـرٍ» بَـانُـوا
عَهْدِي بِهَا وَنَضِيرُ العَيْشِ يَصْحَبُها ... وَالـدَّهْـرُ فِـي غَـفْـلَـةٍ وَالـشُّـهْـبُ إِخْـوَانُ
نَشْأَتُ فِيهَا، وَرَوْضَاتِي وَمُرْتَبَعِي ... رَوْحُ الـفَـضِـيـلَـةِ لا رَنْـدٌ وَرَيْـحَـانُ
أَرْتَـاحُ فِـيـهـا إِلـى «خِـلٍّ» فَـيُـبْـهِـرُنِـي ... صِـدْقٌ وَقَـصْـدٌ وَمَـعْـرُوفٌ وَعِـرْفَـانُ
فَحَالَ حُكْمُ النَّوَى بَيْنِي وَبَيْنَهُمُ ... هُـنَـا تَـيَـقَّـنْـتُ أَنَّ الـدَّهْـرَ خَـوَّانُ
حتى مَتى أَتَقَاضَى الدَّهْرَ قُرْبَهُمُ ... والـدَّهْـرُ يَـهْـرَمُ والآمَـالُ وُلْدَانُ
حَتَّامَ يا دَهْرُ لا تُبْقِي على بَشَرٍ ... حُـرٍّ، وَحَـتَّـامَ ضَـيْـمُ الـحُـرِّ إِحْـسَـانُ
أَكُـلُّ رَأْيِـكَ حَـرْبِـي أَمْ لَهَا أَمَـدٌ ... فَـإِنَّ عَـهْـدِي وَلِلحَـالاتِ أَلْـوَانُ
حُلَّ العِقَالَ وَأَطْلِقْنِي إِلى سِعَتِي ... فَـفِـي سُـجُـونِـكَ لِلمَـيْـدَانِ فُـرْسَـانُ
يا دَهْرُ يا بَاخِسَ الأَحْرَارِ حَقَّهُمُ ... أَعْـطِ الـعَـدَالَةَ؛ إِنَّ اللهَ دَيَّـانُ
فِيمَ التَّقَصِّي بِأَهْلِ الفَضْلِ، إِنْ نَقَصَتْ ... حُسْنَاكَ زَادُوا وَإِنْ شَانَ الوَرَى زَانُوا
لا يَـسْـقُـلُونَ وَإِنْ خَـفَّـتْ عِـيَـابُـهُـمُ ... عَنِ النَّدَى، وَلَهُم بِالحِلْمِ رُجْحَانُ

أَخْفَى غُبَارُكَ يا دَهْرِي مَحَاسِنَهُم ... فَإِنْ دَعَوْتَهُمُ فِي نَكْبَةٍ بَانُوا

إِنْ تَعْرِفِ الحَقَّ فِيهِم لم تَذُدْ أَسَداً ... عَنِ الوُرُودِ وَغَيْرُ الحَيِّ رَيَّانُ

يا نَاقِلَ العِيسِ مِنْ عَلْيا «بَدِيَّةَ» حَيـ ... ـثُ «اليَحْمَدُ» الحَائِزُونَ المَجْدَ قُطّانُ

خَلِّفْ وَرَاءَكَ «عِزاً» و«المُضَيرِبَ» و«الـ ... ـدَّرِيزَ» وَ«القَابِلَ» الرَّاسِي بِهَا الشَّانُ

وَخَلِّ «إِبْرَاءَ» أَعْلاهَا وَأَسْفَلَهَا ... حَيثُ القَطِينُ مُلُوكُ النَّاسِ قَحْطَانُ

وَخُذْ بَأَوْجُهِهَا عَنْ سَاحَتَي «سَمَدٍ» ... «مَيَاسِرِ» «الفَتحِ» حَيثُ الحَيُّ «كَهْلانُ»

وَدَعْ وَرَاءَكَ إِنْ غَرَّبْتَ «أُخْشَبَةً» ... تَجْرِي المَجَرَّةُ فيها وَهِيَ «سَدْرَانُ»

وَيَامِنِ «الدَّوْحَ» وَ«الخَضْرَاءَ» مُنتجِياً ... أَفْنَاءَ «حَلْفِينَ» حَيثُ السُّوحُ «جَوْنَانُ»

وَاعْمِدْ إِلى «الجَوْفِ» وَاسْتَظْهِرْ أَسَافِلَهَا ... أَرْضٌ لِعَامِرَ أَهْلِ الفَضْلِ أَوْطَانُ

وَافْرُقْ بِها البِيدَ حَتَّى يَسْتَبِينَ لها ... «فَرْقٌ» على «بَيضَةِ الإِسْلامِ» عُنْوَانُ

فَإِنْ تَيَامَنَتِ الحَوْرَاءُ شَاخِصَةً ... لها مَعَ السُّحْبِ أَكْنَافٌ وَأَخْضَانُ

فَحُطَّ رَحْلَكَ عَنْهَا إِنَّهَا بَلَغَتْ ... «نَزْوَى» وَطَافَتْ بِهَا لِلمَجْدِ أَرْكَانُ

فَطَالَمَا وَخَدَتْ تَبْغِي لُبَانَتَهَا ... كَأَنَّهُنَّ مَعَ الإِنْضَاءِ عُقْبَانُ

انْزِلْ - فَدَيْتُكَ - عَنْهَا إِنَّ حَاجَتَهَا ... عَدْلٌ وَفَضْلٌ وَإِنْصَافٌ وَإِحْسَانُ

انْزِلْ - فَدَيْتُكَ - عَنْهَا إِنَّ وِجْهَتَهَا ... تَحْتُ الأَئِمَّةِ مُذ كَانَتْ وَمُذ كَانُوا

هُنَالِكَ انْزِلْ وَقَبِّلْ تُرْبَةً نَبَتَتْ ... بِهَا الخِلافَةُ وَالإِيمَانُ أَيْمَانُ

انْزِلْ عَلَى عَرَصَاتٍ كُلُّهَا قُدُسٌ ... لِلحَقِّ فِيهِنَّ أَزْهَارٌ وَأَفْنَانُ

انزِلْ على عَتَبَاتِ النُّورِ حَيثُ حَوَتْ ... أَئِمَّةَ الدِّينِ قِيعَانٌ وَظُهْرَانُ

حَيثُ المَلائِكَةُ احْتَلَّتْ مَشَاهِدَهُم ... لَهَا عَلَى الحِلِّ وَالتَّغْرِيجِ إِدْمَانُ

أَرْضٌ مُقَدَّسَةٌ قَدْ بُورِكَتْ وَزَكَتْ ... تَنْصَبُّ فِيهَا مِنَ الأَنْوارِ مُعْنَانُ

مَا طَارَ طَائِرُهَا للهِ مُحْتَسِباً ... لَهُ جَنَاحَانِ إِيقَانٌ وَعِرْفَانُ

إِلّا وَقَامَ يَمِينُ اللهِ سَاعِدُهُ ... وَالفَتْحُ وَالنَّصْرُ وَالتَّأْيِيدُ أَعْوَانُ

مَيْمُونَةٌ بَرَكَاتُ اللهِ تَنْفَحُهَا ... وَاليُمْنُ يُتْمِرُهُ عِلْمٌ وَإِيمَانُ

رَسَتْ بِهَا هَضْبَةُ الإِسْلامِ مِنْ حِقَبٍ ... وَإِنْ قَضَتْ بِاسْتِتَارِ العَدْلِ أَحْيَانُ

قَدِيمَةُ الذِّكْرِ عَاذَ الدِّينَ عَائِذُهَا ... مِنْ يَومِ أَصْبَحَ تَوْحِيدٌ وَقُرْآنُ

قَامَتْ بِهَا قُبَّةُ الإِسْلامِ شَامِخَةً ... حَتَّى تَوَاضَعَ «بَهْرَامٌ» وَ«كِيوَانُ»

وَلَم تَزَلْ عَرْصَةً لِلعَدْلِ، عَاصِمَةً ... لِلاسْتِقَامَةِ فِيهَا الدَّهْرُ سُلطَانُ

كم أَشْهَرَ اللهُ فِيهَا مِنْ حُسَامٍ هُدًى ... كَأَنَّهَا لِسُيوفِ اللهِ أَجْفَانُ

كِنَانَةٌ لِسِهَامِ اللهِ مَا فَرَغَتْ ... مُذْ كَانَ لِلجَوْرِ سُلطَانٌ وَشَيطَانُ

بِحُجَّةِ اللهِ قَامَتْ فِي الشِّقَاقِ لَهَا ... بِدِينِ ذِي الشَّفَنَاتِ الحَبْرِ إِيقَانُ

لِسِرِّهَا وَاخْتِصَاصِ اللهِ قَائِمِهَا ... بِالنَّصْرِ، وَالفَتْحُ بُرْهَانٌ وَبُرْهَانُ

تَعَاقَبَتْ خُلَفَاءُ اللهِ مَنْصِبَهَا ... مُنذُ «الجُلنْدَى» وَخَتْمُ الكُلِّ «عَزَّانُ»

أَئِمَّةٌ حُفِظَ الدِّينُ الحَنِيفُ بِهِم ... مِنْ يَومِ قِيلَ لِدِينِ اللهِ أَدْيَانُ

صِيدٌ، سُرَاةٌ، أُبَاةُ الضَّيْمِ، أُسْدُ شَرًى ... شُمْسُ العَزَائِمِ أَوَّاهُونَ رُهْبَانُ

سُفْنُ النَّجَاةِ هُدَاةُ النَّاسِ قَادَتُهُمْ ... طُهْرُ السَّرَائِرِ لِلإِسْلامِ حِيطَانُ

تَقَيَّلُوا مِدَحَ القُرْآنِ أَجْمَعَهَا ... إِذا اسْتَحَقَّ مَدِيحَ اللهِ إِيمَانُ

جَدُّوا إِلى البَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ فَلَمْ ... يَفُتْهُمُ فِي التُّقَى سِرٌّ وَإِعْلانُ

عَلَى الحَنِيفِيَّةِ الزَّهْرَاءِ سَيْرُهُمُ ... وَالوَجْهُ وَالقَصْدُ إِيمَانٌ وَإِحْسَانُ

بِسِيرَةِ «العُمَرَينِ» اسْتَلأَمُوا وَسَطًا ... لِشِرْبَةِ النَّهْرَوَانِ الكُلُّ عَطْشَانُ

صُعْبُ الشَّكَائِمِ فِي ذاتِ الإِلَهِ فَإِنْ ... حَنَاهُمُ الحَقُّ عَنْ مَكْرُوهَةٍ لانُوا

مُسَوِّمِينَ لِنَصْرِ اللهِ أَنْفُسَهُم ... أَزْوَاجُهُم فِي سَبِيلِ اللهِ قُرْبَانُ

سُبْقٌ إِلى الخَيرِ عَنْ جَدٍّ وَعَنْ كَيَسٍ ... دَانُوا النُّفُوسَ فَعَزَّتْ حَيثُما دَانُوا

سِيمَاهُمُ النُّورُ فِي خَلْقٍ وَفِي خُلُقٍ ... وَهَدْيُهُم سُنَّةٌ بَيْضَاءُ تِبْيَانُ

مُقِيدُونَ بِحُكْمِ اللهِ حِكْمَتُهُم ... وَهَمُّهُم حَيثُما كَانَ الهُدَى كَانُوا

هُمْ أَسْمَعُ النَّاسِ فِي حَقٍّ وَأَبْصَرُهُم ... وَفِي سِوَاهُ هُمُ صُمٌّ وَعُمْيَانُ

لَمْ تُلْهِهِم زَهْرَةُ الدُّنيا وَزُخْرُفُهَا ... إِذْ هَمُّهُم صَالِحٌ يَتْلُوهُ رِضْوَانُ

بَاعُوا بِبَاقِيَةِ الرِّضْوَانِ فَانِيَهُم ... كَأَنَّ لَذَّةَ هَذا العَيْشِ أَوْثَانُ

وَقْفٌ عَلَى السُّنَّةِ البَيْضَاءِ سَعْيُهُمُ ... وَفِي الجِهَادَيْنِ؛ إِنْ عَزُّوا وَإِنْ هَانُوا

ما زَايَلَتْ خَطْوَةَ المُخْتارِ خَطْوَتُهُم ... وَلا ثَنَى عَزْمَهُمْ نَفْسٌ وَشَيْطَانُ
فَجَاهَدُوا وَاسْتَقَامُوا فِي طَرِيقَتِهِ ... عُزُومُهُم لِصُرُوحِ الدِّينِ أرْكَانُ
وَسَلَّطُوا بِحُدُودِ اللهِ حُكْمَهُمُ ... حَتى اسْتَقامَ لِحُكْمِ اللهِ سُلطَانُ
أُولئِكَ القَومُ أنْوَارِي، هُدِيتُ بِهِم ... عُقْبَى مَحَبَّتِهِم عَفوٌ وَغُفْرَانُ
أئِمَّتِي، عُمْدَتِي، دِينِي مَحَجَّتُهُم ... غَوْثِي إذا ضَاقَ بِي فِي الكَوْنِ إمْكَانُ
لا يَقْبَلُ اللهُ دِيناً غَيرَ دِينِهِمُ ... وَلا يَصِحُّ الهُدَى إلّا بِمَا دَانُوا
مِنْ عَهْدِ بَدْرٍ وَأُحُدٍ لا تُزَعْزِعُهُم ... عَنْ مَوْقِفِ الحَقِّ أزْمَاتٌ وَأزْمَانُ
حَقِيقَةُ الحَقِّ ما دَانُوا بِهِ وَأتَوا ... وَما عَدَاهُ أخَالِيطٌ وَخُمَّانُ
إنْ يَشْرُفِ النَّاسُ فِي الدُّنْيا بِثرْوَتِهِم ... فَثَرْوَةُ القَومِ إخْلاصٌ وَإيقَانُ
للهِ ما جَمَعوا، للهِ ما تَرَكُوا ... للهِ إنْ قَرُبُوا، للهِ إنْ بَانُوا
أزْكَى الصَّنِيعَيْنِ ما كَانَ الهُدَى مَعَهُ ... لَدَيْهِمُ، وَلَهُ فِي الحَقِّ رُجْحَانُ
تَرَاهُمُ فِي ضَمِيرِ اللَيلِ صَيَّرَهُم ... مِثلَ الخَيَالاتِ تَسْبِيحٌ وَقُرْآنُ
هُمُ الأبَاضِيَّةُ الزُّهْرُ الكِرَامُ لَهُم ... بِعِزَّةِ اللهِ فَوْقَ الخَلْقِ سُلطَانُ
لا يُعْرَفُ العَدْلُ إلّا في اسْتِقَامَتِهِم ... لَمْ يُوفِ - إلّا لَهُم - فِي العَدلِ ميزانُ
في الذَّبِّ عَنْ حُرُمَاتِ اللهِ شَأْنُهُمُ ... لا شَأنُ دُنْيَاهُمُ نَيلٌ وَحِرْمَانُ
رَضُوا بِبُلْغَةِ مَحْيَاهُم عَلَى حَذَرٍ ... مِنْهَا، كَأنَّهُمُ بِالبُلْغَةِ اخْتَانُوا
سِيمَا التَّعَفُّفِ تَكْسُوهُم جَلالَ غِنىً ... فَالقَلْبُ فِي شَبَعٍ وَالبَطْنُ خَمْصَانُ
سَمْتُ المُلُوكِ وَهَدْيُ الأنبياءِ عَلَى ... أخْلاقِهِم، فَكَأنَّ الفَقْرَ تِيجَانُ
تَمَثَّلتْ لَهُمُ الدُّنْيَا فَمَا جَهِلُوا ... حَقِيقَةَ الأمْرِ أنَّ العَيْشَ ثُعْبَانُ
جَازُوا الجُسُورَ خِفَافَ الحَاذِ وِقْرُهُمُ ... زُهْدٌ وَخَوْفٌ وَإصْبَارٌ وَشُكْرَانُ
فَازَ المُخِفُّونَ مِنْ دَارِ الغُرُورِ فَلا ... خَوْفٌ عَلَيْهِم وَلا بِالقَوْمِ أحْزَانُ
مَضَوا وَآثَارُهُم نُورٌ وَذِكْرُهُمُ ... رُحْمَى، وَمَضْجَعُهُم رَوحٌ وَرَيحَانُ
تَتَابَعُوا دَوْلَةً فِي إثْرِ سَابِقَةٍ ... كَمَا جَلَى الرُّسْلُ أحْيَانٌ فَأحْيَانُ
حَتَّى انْجَلَى الكَوْكَبُ الدُّرِّيُّ فَانْكَشَفَتْ ... بِنُورِهِ عَنْ وُجُوهِ الحَقِّ أغْيَانُ

هُنالِكَ انْبَعَثَتْ رُوحُ الحَيَاةِ إلى ... جِسْمِ الوُجُودِ وَقَدْ أَرْدَاهُ طُغْيَانُ

وَقَامَ لِلحَقِّ شَأْنٌ بَعْدَمَا لَعِبَتْ ... مِنَ الكَوَارِثِ أَحْكَامٌ وَأَدْيَانُ

وَأَصْلَتَ اللهُ إِصْلِيتاً يَحُسُّ بِهِ ... سَوَاعِداً شَدَّهَا بَغْيٌ وَكُفْرَانُ

وَأَعْرَبَ الكَوْنُ عَنْ بُشْرَى ضَمَائِرِهِ ... فَالكَائِنَاتُ أَغَارِيدٌ وَأَلْحَانُ

أُمْنِيَّةٌ رَقِبَ الإِسْلامُ طَلْعَتَهَا ... أَتَاحَهَا اللهُ، لَمْ يُضْرَبْ لَهَا آنُ

وَلِلأَمَانِيِّ أَوْقَاتٌ إذا قُدِرَتْ ... وَلِلأَمَانِيِّ آيَاتٌ وَإِيذَانُ

تَمَنَّعَتْ فِي خُدُورِ الغَيْبِ آوِنَةً ... ثُمَّ انْجَلَتْ فَانْجَلى عَدْلٌ وَإِحْسَانُ

ما سَاوَرَتْهَا صُرُوفُ الدَّهْرِ إِذْ نَجَمَتْ ... وَمَا لِرَدِّ مُرَادِ اللهِ إِمْكَانُ

وَحِكْمَةُ اللهِ فِي التَّدْبِيرُ قَاهِرَةٌ ... وَقَائِدُ العَقْلِ فِي المِقْدَارِ حَيْرَانُ

يَقْضِي بِمَا شَاءَ وَالأَسْبَابُ جَامِدَةٌ ... وَيُحْكِمُ الأَمْرَ وَالأَفْكَارُ عُمْيَانُ

يَخْتَصُّ مَنْ شَاءَ بِالرُّحْمَى وَيَصْرِفُهَا ... عَمَّنْ يَشَاءُ، وَفِي الحُكْمَيْنِ رَحْمَنُ

إِنَّ الذِي يَتَعَاطَاهُ الذَّكَاءُ لَدَى ... حُكْمِ المَقَادِيرِ تَخْمِينٌ وَبُهْتَانُ

ما حِيلَةُ الظَّنِّ وَالأَوْهَامِ فِي قَدَرٍ ... إِلّا قُصُورٌ وَعَجْزٌ ثُمَّ إِذْعَانُ

لا بُدَّ أَنْ تَرْبِطَ الأَفْهَامُ وَخْدَتَهُ ... وَلَوْ تَطَاوَلَ تَقْرِيبٌ وَإِمْعَانُ

خُذْ ما أَتَاكَ وَسَلِّمْهَا لِخَالِقِهَا ... فَالشَّأْنُ ـ لا غَيْرَ ـ لِلأَكْوَانِ دَيَّانُ

انْظُرْ إلى دَوْلَةٍ أَعْيَتْ مَعَاجِزُهَا ... رَأْيَ الفُحُولِ، فَفِيهَا ثَمَّ بُرْهَانُ

أَرَادَهَا اللهُ فَاحْتَلَّتْ مَنَاصِبَهَا ... وَالعَقْلُ فِي نَصَبٍ وَالكَوْنُ أَشْجَانُ

بِأَسْهُمِ اللهِ تَرْمِي مَنْ يُقَاوِمُهَا ... وَلا يَقُومُ لِسَيْفِ الحَقِّ بُطْلانُ

إِنَّ الأَسِنَّةَ لا تَعْدُو مَقَاتِلَهَا ... إِنْ شَدَّ بِالجَدِّ وَالتَّوْفِيقِ مِطْعَانُ

عَادَتْ إِلَى جِذْلِهَا مِنْ طُولِ غُرْبَتِهَا ... خِلافَةُ اللهِ وَالإِسْلامُ جَذْلانُ

عِنَايَةُ اللهِ تَحْدُوهَا لِمَوْطِنِهَا ... وَلِلخِلافَةِ فِي الإِسْلامِ أَوْطَانُ

تَنْحُو ابْنَ بَجْدَتِهَا العُلْيَا وَيُؤْبُؤَهَا ... وَشَأْنُهَا لِمُصَاصِ المَجْدِ خُلْصَانُ

تَقَلَّدَ العِقْدَ مِنْهَا صَدْرُ قَيِّمِهَا ... صَدْرٌ بِخَالِصَةِ الإِيمَانِ مَلآنُ

هُمَامُهَا العَاصِمُ الكَافِي لِعِصْمَتِهَا ... لَهُ عَلَى حَمْلِهَا جَدٌّ وَإِقْرَانُ

سُمَيْدَعٌ مِثْلُ صَدْرِ السَّمْهَرِيِّ لَهُ ... فِي هَضْبَةِ المَجْدِ أَجْذَالٌ وَأَغْصَانُ

رَحْبُ المَبَاءَةِ قَوْمٌ لا بَوَاءَ لَهُ ... بِفَضْلِهِ شَهِدَتْ سَهْلٌ وَأَحْزَانُ

مُشَمِّرٌ أَحْوَذِيٌّ رَأْيُهُ فَلَقٌ ... وَعَزْمُهُ قَبْلَ وَضْعِ الرُّمْحِ طَعَّانُ

مُرَوَّعٌ ألمَعِيٌّ فِي بَصِيرَتِهِ ... مِنَ الذَّكَاءِ لِمَحْضِ الرَّأْيِ تِبْيَانُ

تَحَكَّمَتْ مِنْ أَصِيلِ الرَّأْيِ فِطْنَتُهُ ... كَأَنَّهَا فِيهِ أَبْصَارٌ وَآذَانُ

يَطْوِي عَزَائِمَ بِالتَّقْوَى وَيَنْشُرُهَا ... كَأَنَّهُنَّ بِخَصْمِ اللهِ نِيرَانُ

أَصَارَهُ عِلْمُهُ بِاللهِ مَحْضَ هُدًى ... وَغَيْرُ بِدْعٍ هُدًى يُذْكِيهِ عِرْفَانُ

لم يَنزِلِ العِلْمُ مِنْهُ مَوْضِعاً كَدِراً ... يُمَثِّلُ الشَّمْسَ مِنهُ الذَّاتُ وَالشَانُ

ما زَالَ تَمْحَصُهُ التَّقْوَى وَيَمْحَصُها ... وَسِرُّهُ مَلَكٌ وَالشَّخْصُ إِنْسَانُ

حَتَّى تَمَحَّضَ نُوراً لا يُكَدِّرُهُ ... خَيْرٌ وَشَرٌّ وَأَغْيَارٌ وَأَغْيَانُ

وَالعِلْمُ باللهِ وَالإِخْلاصُ عَارِفَةٌ ... مِنَ الكَرِيمِ وَتَخْصِيصٌ وَإِحْسَانُ

مَوَاهِبٌ سَاقَهَا مِنْ فَيْضِ رَحْمَتِهِ ... لأَنفُسٍ ما لَهَا فِي النَّاسِ حُسْبَانُ

يَعُدُّهَا النَّاسُ مِنْ أَحْجَارِ سُوحِهِمُ ... وَهُنَّ فِي مَلَكُوتِ اللهِ شُهْبَانُ

يَمْشُونَ بُلْهاً، وَهَمُّ النَّفْسِ فِي كَيَسٍ ... وَالعَقْلُ فِي الوَجْدِ بِالمَشْهُودِ وَلْهَانُ

وَالفَتْحُ يَقْصِدُ قَلباً ما بِهِ سَعَةٌ ... إِلّا لِمَنْ لم تَسَعْهُ قَطُّ أَكْوَانُ

مَحَبَّةُ اللهِ سِرٌّ حَيْثُمَا صَدَقَتْ ... لَهَا عَلَى عَالَمِ الإِمْكَانِ سُلطَانُ

تُعْطِيكَ فَتْحاً وَإِنْ سُدَّتْ مَغَالِقُهُ ... وَطَوْرُ عَقْلِكَ فِي ذا الفَتْحِ حَيْرَانُ

فَلا عَلَيكَ إِذا صَحَّتْ مَحَبَّتُهُ ... إِذا وَفَى لَكَ هَذا الخَلْقُ أَو خَانُوا

للهِ ما أَنْفُسٌ فِي سِرِّهَا اشْتَعَلَتْ ... بِالحُبِّ؟ للهِ أَنْوَارٌ وَنِيرَانُ

تَحُلُّ فِي الأَرْضِ وَالأَلْبَابُ طَائِرَةٌ ... فِي عَالَمٍ فِيهِ أَهْلُ اللهِ نُدْمَانُ

رَيَّانَةٌ بِشَرَابِ الحُبِّ مُخْرَقَةٌ ... وَالحَالُ صَحْوٌ وَكُلُّ الشُّرْبِ نَشْوَانُ

تِلْكَ النُّفُوسُ التي هَذا «الإِمَامُ» لَهَا ... قُطْبٌ وَمَوْرِدُهُ الصَّافِي لَهَا حَانُ

خَاضَ الحَقِيقَةَ كَشْفاً فَاسْتَقَامَ لَهُ ... كَشْفٌ وَشَرْعٌ وَتَكْمِيلٌ وَسُلطَانُ

جَاءَتْ إِمَامَتُهُ وَالأَرْضُ مُظْلِمَةٌ ... وَالنَّاسُ فَوْضَى وَأَهْلُ الجَورِ ذُؤْبَانُ

فَأشْرَقَ العَدْلُ فِي أرْجَائِها وَلَقِي ... عِزَّ المَفاسِدِ إرْهَاقٌ وَإيهَانُ

حَادَثْهُ ما كَانَ بِدْعاً، مِنْ أئِمَّتِهَا ... مَنْ جَدُّهُ ابْنُ تَمِيمِ المَجْدِ «عَزَّانُ»

في ضِئْضِىءِ العِزَّةِ القَعْسَاءِ مَحْتِدُهُ ... إذا تَفَاخَرَ قَحْطَانٌ وَعَدْنَانُ

بِذَرْوَةِ «اليَحْمَدِ» الصِّيدِ المُلُوكِ لَهُ ... إعْرَاقُ مَجْدٍ وَآسَاسٌ وَبُنْيَانُ

لا يُنْكِرُ النَّاسُ ما لِلقَوْمِ مِنْ قِدَمٍ ... وَكَيْفَ يَلْحَقُ عَيْنَ الشَّمْسِ نُكْرَانُ

أحْسَابُهُم وَمَعَالِيهِم وَدِينُهُمُ ... كَوَاكِبٌ وَهِدَايَاتٌ وَرِضْوَانُ

ما اخْتَارَهُ اللهُ صَفْواً مِنْ خُلاصَتِهِم ... إلّا وَلِلصَّفْوِ مِنْ إكْرَامِهِ شَانُ

يا «سَالِمَ» الدِّينِ وَالدُّنْيا «ابْنَ رَاشِدَ» خُذْ ... أمَانَةَ اللهِ وَالأقْدَارُ أعْوَانُ

أنْتَ الضَّلِيعُ بِهَا حِمْلاً وَتَأدِيَةً ... إذْ كُلُّ أمْرِكَ تَدبِيرٌ وَإتْقَانُ

أخْدِرْ وَأضْعِدْ وَأيْقِنْ إنَّ صَاحِبَهَا ... سَيْفٌ مِنَ اللهِ لا تَخْوِيهِ أجْفَانُ

يَسُوسُهَا مُؤمِنٌ باللهِ مُعْتَصِمٌ ... وَخَيرُ ما دَبَّرَ الأمْلاكَ إيمَانُ

لِلاسْتِقَامَةِ فِي تَقْدِيرِهِ قَبَسٌ ... فَظَنُّهُ تَحْتَ نُورِ اللهِ إيقَانُ

لا يَصْرِفُ الفِكْرَ فِي شَيءٍ فَيُخْلِفُهُ ... لأنَّهُ مِنْ فُيُوضِ الكَشْفِ مَلآنُ

وَالمُؤمِنُونَ بِنُورِ اللهِ نَاظِرَةٌ ... عُيُونُهُم، وَبِعَيْنِ اللهِ أعْيَانُ

يا لَلرِّجَالِ وَدَاعِي اللهِ بَيْنَكُمُ ... لَبُّوا الدُّعَاءَ فَإنَّ الصَّوْتَ قُرْآنُ

يا لَلرِّجَالِ أَلَمْ يَأْنِ الجِهَادُ لَكُم ... بَلَى! لَقَدْ فَاتَ إبَّانٌ وَأبَّانُ

يا لَلرِّجَالِ أَقِيمُوا وَزْنَ قِسْطِكُمُ ... فَمَا لَكُم قَبْلَ وَزْنِ القِسْطِ مِيزَانُ

يا لَلرِّجَالِ احْفَظُوا أوْطَانَ مِلَّتِكُم ... فَمَا لَكُم بَعْدَ خَذْلِ الدِّينِ أوْطَانُ

يا لَلرِّجَالِ احْفَظُوا أحْسَابَ مَجْدِكُمُ ... إنْ لَم تَكُنْ فِيكُمُ لِلدِّينِ أشْجَانُ

يا لَلرِّجَالِ انْدُبُوا اللهَ غِيرَتَكُم ... فالوَقْتُ قَدْ ضَاقَ وَالتَّثْبِيطُ خُسْرَانُ

يا لَلرِّجَالِ! أَلا للهِ مُنْتَصِرٌ؟ ... فَنَاصِرُ اللهِ لا يَغْرُرُهُ خُذلانُ

يا لَلرِّجَالِ أرُونِي مِنْ شَهَامَتِكُم ... إنَّ الحَوَادِثَ آسَادٌ وَسِيدَانُ

يا لَلرِّجَالِ اجْعَلوا اللهَ نَجْدَتَكُم ... فَالغَايَةُ الفَتْحُ أو مَوْتٌ وَرِضْوَانُ

يا لَلرِّجَالِ أَلَمْ يَحْزُنْكُمُ زَمَنٌ ... طَارَ البَغَاثُ بِهِ وَانْحَطَّ عُقْبَانُ

يـا لَلرِّجَـالِ أَلَم يَـذهِـشْ عُـقُـولَكُـمُ ... أنْ يَـحْـكُـمَ الـدِّيـنَ أوثـانٌ وصُـلْبـانُ

يـا لَلرِّجـالِ حُـدودُ اللهِ قـد حُـذِفـتْ ... وعِـصْـمَـةُ الـحَـقِّ عـنـدَ الـحَـقِّ بُـهـتـانُ

يـا لَلرِّجـالِ أَلَم يَـطْـرُقْ مَـسـامِـعَـكُـم ... صَـوْتُ الأرامِـلِ والأيـتـام؛ إذ هَـانـوا

هَـذَا الـيَـتِـيـمُ قَـدْ انْـحَـازَتْ مَـفـاصِـلُهُ ... مِـنْ جَـلْـبَـةِ الـجُـوعِ وَالـظَّـلَّامُ تَـخْـمَـانُ

يـا لَلرِّجَـالِ بُـيُـوتُ اللهِ قَـدْ هُـدِمَـتْ ... وَمَـالُـهَـا لِلعِـدَا نَـهْـبٌ وَحُـلْـوَانُ

يـا لَلرِّجَـالِ دِمَـاءُ الـمُـسْـلِـمِـيـنَ غَـدَتْ ... هَـدْراً كَـمَـا عَـبَـثَـتْ بِـالـمَـاءِ صِـبْـيـانُ

فـلا قِـصَـاصٌ وَلا أرْشٌ وَلا قَـوَدٌ ... كـأنَّ لَحْـمَ بَـنِـي الإسْـلامِ جُـغْـلانُ

يـا لَلرِّجَـالِ أفِـيـقُـوا مِـنْ سُـبَـاتِـكُـمُ ... فَـقَـدْ أحَـاطَ بِـكُـمْ بَـغْـيٌ وَعُـدوَانُ

أخِـيفَةَ الـمَـوتِ ظَـلَّ الـعَـجْـزُ يُـقْـعِـدُكُـم ... وَلَـيْـسَ لِلأَجَـلِ الـمَـغْـدُودِ نُـقْـصَـانُ

لا يَـحْـجُـبُ الـمَـوْتَ جُـبْـنٌ عِـنـدَ مَـوقِـعِـهِ ... ولا يُـقَـدِّمُ وَعْـدَ الـمَـوْتِ شُـجْـعَـانُ

يَـا لَلرِّجَـالِ لَقَـدْ ذَلَّتْ حَـفِـيـظَـتُـكُـم ... إذا اسْـتَـطَـالَـتْ عَـلَـى الآسَـادِ حُـمْـلانُ

إنَّ الـسُّـيُـوفَ الـتِـي كَـانَـتْ لِسَـالِـفِـكُـم ... مَـا ضَـمَّـهـا مَـعَـهُـم رَمْـسٌ وَأَكْـفـانُ

مَـرِيـضَـةٌ هِـيَ فِـي الأجْـفـانِ؟ أمْ مَـرِضَـتْ ... قُـلُـوبُـكُـم؟ أمْ نَـأى عَـنْـهُـنَّ وِجْـدَانُ

بِـئْـسَ الـسُّـيُـوفُ إذا حَـلَّتْ عَـوَاتِـقَـكُـم ... وَمَـا بِـهَـا لِعَـتِـيـقِ الـمَـجْـدِ أحْـزَانُ

لا تَـحْـجُـبُـوهَـا إنَـاثـاً فِـي مَـغَـامِـدِهَـا ... فَـإنَّ تِـلْـكَ الـيَـمَـانِـيَّـاتِ ذُكْـرَانُ

فَـدَيْـتُـكُـم أوْرِدُوهَـا إنَّـهَـا عَـطِـشَـتْ ... إنْ كَـانَ فِـيـكُـم يُـلاقِـي الـرِّيَّ عَـطْـشَـانُ

كَـانَـتْ بَـوَارِقَ فِـي الأخْـطَـارِ سَـاهِـرَةً ... وَهَـمُّ أصْـحَـابِـهَـا فِـي الـمَـجْـدِ سَـهْـرَانُ

فَـالـيَـومَ نَـامَـتْ هُـمُـومُ الـقَـوْمِ فِـي جَـدَثٍ ... وَسَـاهِـرُ الـبَـرْقِ فِـي الأغْـمَـادِ وَسْـنَـانُ

تَـكَـادُ أنْ تَـتَـلاشَـى مِـنْ تَـحَـرُّقِـهَـا ... غَـيْـظاً عَـلَـى «صَـارَ»، أو حُـزْنـاً عَـلَـى «كَـانُـوا»

أُورِثْـتُـمُـوهَـا مِـنَ الأوْتَـارِ مُـشْـعَـلَـةً ... كَـأنَّـهَـا فِـي دُخَـانِ الـحَـرْبِ نِـيـرَانُ

وَالـيَـومَ تُـغْـمَـطُ فِـيـكُـمْ وَهِـيَ مُـغْـضَـبَـةٌ ... وَمَـا بِـكُـم لِـحُـقُـوقِ الـسَّـيْـفِ غَـضْـبَـانُ

مـا عَـوَّدَتْـهَـا بَـنُـو عَـدْنَـانَ مـا لَـقِـيَـتْ ... مِـنكُـم وَلا أسْـكَـنَـتْـهَـا الـغِـمْـدَ قَـحْـطَـانُ

لا تَـحْـمِـلُوهَـا إذا كَـانَـتْ لِـزِيـنَـتِـكُـم ... إنَّ الـرِّجَـالَ بِـفِـعْـلِ الـسَّـيْـفِ تَـزْدَانُ

فَـلَـيْـتَ أسْـيَـافَـكُـم صَـارَتْ مَـعَـاوِلَـكُـم ... وَلَـيْـتَ خَـيْـلَـكُـمُ مَـعْـزٌ وَثِـيـرَانُ

حَتَّامَ طَرْفُ الهُدَى سَهْرَانُ مِنْ قَلَقٍ ... فِيكُم، وَطَرْفُ العِدَا فِي الظُّلْمِ سَهْرَانُ

لَيسَتْ بِسُنَّتِكُم مُذْ كَانَ عُنْصُرُكُم ... وَإِنَّمَا الحَظُّ كَالأَزْمَانِ أَزْمَانُ

يا لَلقَبَائِلِ يا أَهْلَ الحِفاظِ وَمَنْ ... أَمْجَادُهُم فِي جَبِينِ الدَّهْرِ عُنْوَانُ

شُدُّوا العَزَائِمَ فِي اسْتِدْرَاكِ فَائِتِكُم ... إِنَّ العَزَائِمَ لِلإِدْرَاكِ إِقْرَانُ

أَهْلَ المَكَارِمِ إِنَّ اللهَ أَكْرَمَكُم ... بِنِعْمَةِ العَدْلِ، إِذْ لِلجُورِ بُرْكَانُ

لا تَكْفُرُوا اللهَ فِي نَعْمَاءَ أَنْعَمَها ... فَإِنَّما يَرْبُطُ النِّعْمَاءَ شُكْرَانُ

فَأَيْنَ أَيْنَ ذِئَابُ الدَّوِّ حَمَّتُها ... «بَنُو تَمَامٍ» وَمَنْ رَبَّتْهُ «جَعْلانُ»

وَأَيْنَ عَنْهَا «الجُنَيْبِيُّونَ» إِنَّهُمُ ... سَعْدُ العَشِيرَةِ عَلْيَا «مَذْحِجٍ» كَانُوا

غَارَاتُهُم بِرِياحِ المَوْتِ عَاصِفَةٌ ... وَفَخْرُهُم بِحَمِيدِ الذِّكْرِ يَزْدَانُ

وَأَيْنَ «رَاسِبُ» سَيْفُ الأَزْدِ إِنَّهُمُ ... سَارَتْ بِصِيتِهِمُ فِي الأَرْضِ رُكْبَانُ

وَأَيْنَ أَهْلُ الذِّمَارِ «الهُشْمُ» بَحْرُهُمُ ... بِالمَجْدِ وَالفَضْلِ فَيَّاضٌ وَمَلآنُ

عَهْدِي لَهُمْ نَجْدَةٌ فِي الحَرْبِ شَاهِرَةٌ ... وَمِنْهُمُ لِحُقُوقِ اللهِ أَعْوَانُ

وَيَا «لَشَمْسٍ» وَكَبَّاتُ الخَمِيسِ لَكُم ... أَنْتُمْ لَهَا يَا أُسُودَ اللهِ أَرْكَانُ

أَنْتُمْ سِمَامُ الوَغَى لَبُّوا إِمَامَكُمُ ... وَعِنْدَكُم مِنْ ثُغُورِ اللهِ «جَعْلانُ»

وَأَيْنَ «أَوْلادُ عِيسَى» وَالحِفاظُ لَهُم ... نُجْدٌ ضَرَاغِمُ أَوْاهُونَ رُهْبَانُ

صَمِيمُ «كِنْدَةَ» حَيِّ المُلْكِ مِنْ يَمَنٍ ... عَهْدِي بِهِم لِلهُدَى حِصْنٌ وَإِيوَانُ

شُدُّوا فَدَيْتُكُمُ أَنْتُمْ بَوَاسِلُهَا ... أَم فِيكُمُ لِمُصَابِ الدِّينِ سُلْوَانُ

وَأَيْنَ «يَحْمَدُهَا الحِرْثُ» الكِرَامُ فَفِي ... عَزَائِمِ القَوْمِ جَنَّاتٌ وَنِيرَانُ

ضَنَائِنُ اللهِ أَنْتُم لا يَزَالُ لَكُم ... فِي نُصْرَةِ اللهِ صَوْلاتٌ وَسُلطَانُ

يَبْلى الزَّمَانُ وَلا تَبْلَى مَحَامِدُكُم ... مَا دَامَ يُحْمَدُ مِطْعَامٌ وَمِطْعَانُ

إِنْ كَانَ «صَالِحُ» طَوْدُ المَجْدِ فَارَقَكُم ... فَإِنَّ إِصْلاحَكُم رَضْوَى وَثَهْلانُ

«عِيسى» لَكُم خَلَفٌ صِدْقٌ لِخَيرِ أَبٍ ... وَفِي «عَلِيٍّ» أَخِيهِ لِلعُلَى شَانُ

صِنْوَانِ يَسْتَبِقَانِ المَجْدَ فِي حَسَبٍ ... سَيَّارَةُ الشُّهْبِ فِي جَنْبَيهِ صَوَّانُ

وَفِيكُمُ الأَسَدُ الكَرَّارُ فَارِسُ شَرْ ... فَاءَ ابْنُ عَمِّهِمَا الكَافِي «سُلَيْمَانُ»

السَّيدُ «ابْنُ حُمَيْدٍ» سَيفُ سَطْوَتِكُم ... وَمَنْ لَهُ فِي بِنَاءِ المَجْدِ أرْكَانُ
بَحْرُ المَكَارِمِ غَوْثُ الخَلْقِ، مَنْ شَمِلَتْ ... لِلكَوْنِ مِنْ بِرِّهِ رُحْمَى وَإحْسَانُ
البَاسِلُ البَطَلُ المِغْوَارُ مَنْ شَهِدَتْ ... بِطُولِ يُمْنَاهُ آبَاءٌ وَوِلْدَانُ
وَفِيكُمُ مِنْ رِجَالِ المَجْدِ مَنْ خَرَسَتْ ... عَنْهُ القَوَافِي، وَلَمْ يَبْلُغْهُ تِبْيَانُ
أيْنَ «المَسَاكِرَةُ» الصِّيدُ الغَطَارِفُ مِنْ ... ذَوَائِبِ الأَزْدِ حَيثُ المَجْدُ وَالشَّانُ
فِي ذَرْوَةِ المَجْدِ مِنْ فَهْمٍ إذا انْتَسَبُوا ... أَسَاوِدُ المَوْتِ يَومَ الهَوْلِ طُوفَانُ
شُمٌّ إذا حَزَمُوا، نَارٌ إذا عَزَمُوا ... شُهْبٌ إذا رَجَمُوا، لِلفَضْلِ هَتَّانُ
كَوَاكِبُ العِزِّ، لا تُرْعَى مَسَارِحُهُم ... وَلا تُرَاعُ لَهُمْ بِالضَّيْمِ جِيرَانُ
وَأيْنَ «حَبْسٌ» كِرَامُ الخِيلِ مِنْ قِدَمٍ ... وَفِيهِمُ مِنْ عِبَادِ اللهِ «غَسَّانُ»
سُيُوفُهَا وَعَوَالِيهَا وَأسْهُمُهَا ... وَهُم إذا افْتَخَرَ الفُرْسَانُ فُرْسَانُ
وَأيْنَ أُسْدُ شَرَاهَا مِنْ «وَهِيبَةَ» أهْلِ ... الجَدِّ وَالجُودِ إنْ شَدُّوا وَإنْ لانُوا
وَأيْنَ «عَامِرُ» وَالأحْسَابُ مُشْرِقَةٌ ... نَاهِيكَ مِنْ عَامِرٍ وَالأصْلُ «عَيْلانُ»
وَأيْنَ هَمْدَانُ مِنْ صِفِّينَ تَعْرِفُهُم ... إذْ عَكُّ عَكٌّ وَإذْ هَمْدَانُ هَمْدَانُ
وَأيْنَ قَائِدُهُم لَيْثُ المَعَارِكِ صِمْـ ... ـصَامُ المَعَاضِلِ بَدْرُ الفَضْلِ «سُلطَانُ»
وَأيْنَ نَارُ الوَغَى «آلُ المُسَيَّبِ» مِنْ ... «قُضَاعَةٍ» وَزَعِيمُ القَوْمِ «زَهْرَانُ»
وَأيْنَ «وَائِلُ» وَالآثَارُ شَاهِدَةٌ ... وَمَجْدُ وَائِلَ فِي التَّارِيخِ شُهْبَانُ
وَأيْنَ «مِعْوَلَةٌ»؛ قَبْلَ الرَّسُولِ لَهُم ... عَلَى «مَزُونَ» إتَاوَاتٌ وَتِيجَانُ
وَأيْنَ عَنْهَا «ذِئَابُ الخَطْمِ» إنَّ لَهُم ... مَنَاقِبٌ لا يُدَانِيهِنَّ إنْسَانُ
وَأيْنَ حُلقُومُ ذَاكَ المُلْكِ، مِعْصَمُهُ ... «سَمَائِلٌ»، فَهِيَ لِلسُّلطَانِ سُلطَانُ
وَأيْنَ عَنْ أجْرَبَيْهَا مَنْعُ بَيضَتِهَا ... وَالأجْرَبَانِ بَنُو عَبْسٍ وَذُبْيَانُ
يا جَمْرَةَ العُرْبِ يا عَبْسَ الطِّعَانِ ألا ... لا يُطْفِئَنَّ جَمرَكُم بَغيٌ وعُدوانُ
لا تُشعِلوا الحربَ إلّا في مَوَاقِدِها ... حيثُ الجهادُ على البَاغِين مُؤْتَانُ
وَيَا بَنِي عَمِّنا «ذُبْيَانَ» مَجْدَكُمُ ... إنَّا وَإيَّاكُمُ فِي المَجْدِ صِنْوَانُ
بِآلِ «حِصْنٍ» وَ«بِالعَمْرَيْنِ» قَدْ فَرَعَتْ ... عِزّاً وَنُبلًا؛ جَمِيعُ النَّاسِ غَطْفَانُ

إذا مَـدَحْـتُ بَـنِـي ذُبْـيَـانَ إخْـوَتَـنـا ... أظْهَرْتُ شَمْساً لَهَا فِي العَيْنِ بُرْهَانُ

فَـيَـا لُيُـوثَ بَـغِـيـضٍ دَرَّ دَرُّكُـمُ ... هَـلّا سِـبَـاقٌ إلـى خَـيْـرٍ وَإرْهَـانُ

فُرْسَانَ «دَاحِسَ» وَ«الغَبْرَاءَ» حَسْبُكُمُ ... مِـنَ الـرِّهَـانِ جِـهَـادٌ فَـهُـوَ مَـيْـدَانُ

ذَرُوا الـضَّـغَـائِنَ تَـذْرُوهَـا الـرِّيـاحُ فَـمَـا ... تَـبْـقَـى عَـلَـى خَـالِصِ الإيـمَـانِ أضْـغَـانُ

إنَّ الـحُـظُـوظَ الـتِـي تُـرْجَـى بِـأُلْـفَـتِـكُـم ... فِي الدِّينِ، فِي مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ فُرْقَانُ

وَمَـا شِـفَـاءُ حَـزَازَاتِ الـصُّـدُورِ سِـوَى ... أنْ يَـسْـتَـبِـدَّ بِـطِـبِّ الـقَـلْـبِ إيـمَـانُ

وَأيْنَ «إزْكِي» وَطِيسُ الحَرْبِ؟ مَا فَعَلَتْ ... فَـإنَّ عُـمْـدَةَ هَـذا الأمْـرِ «جَـرْنَـانُ»

وَأيْنَ «حِـمْـيَـرُ» أهْـلُ الـعِـزِّ مَـا اعْـتَـبُـوا ... عَـنْ وَعْـرِ عِـزَّتِـهِـم يَـومـاً وَلا هَـانُـوا

صِـيـدٌ صَـنَـادِيـدُ أقْـيَـالٌ عَـبَـاهِـلَـةٌ ... أُسْـدٌ كَـوَاسِـرُ فِـي الـهَـيْـجَـاءِ حُـرْدَانُ

جَاءَتْ «رِيَامُ» بِـمَـا أعْـلَـتْـهُ حِـمْـيَـرُ مِـنْ ... مَـجْـدٍ، وَقَـامَ عَـلَـى الـبُـنْـيَـانِ بُـنْـيَـانُ

وَأيْـنَ حِـمْـيَـرُهَـا الـثَّـانِـي وَأُسْـرَتُـهُ ... ذَوُو الـمَـعَـالِي مُـلُـوكُ الـنَّـاسِ «نَـبْـهَـانُ»

أبْـقَـى لَهُ الـسُّـؤْدَدَ الأعْـلَـى كَـوَاهِـلُهُ ... «مُـظَـفَّـرٌ» وَ«سُـلَـيْـمَـانٌ» وَ«كَـهْـلانُ»

«هُودٌ»، «عَزَارٌ»، «فَلاحٌ»، «مُحْسِنٌ» مَلَكُوا ... فَـنَـبَّـهُـوا الـمُـلْـكَ حِـيـناً وَهُـوَ نَـعْـسَـانُ

وَكَـانَ مِـنْ فَـرْعِـهِـم مُـلْـكُ الـيَـعَـارِبَـةِ الـ ... ـصِّـيـدِ الـكِـرامِ، وَمَـا أدْرَاكَ مَـا الـشَّـانُ

سَلْ سَيْفَ «يَعْرُبَ» عَنْ أخْبَارِ سِيرَتِهِم ... فَـمَـنْـطِـقُ الـسَّـيْـفِ إعْـرَابٌ وَألْـحَـانُ

وَيَـا «بَـنِـي غَـافِـرٍ» عَـلْـيَـا قُـرَيْـشَ لَكُـم ... أصْـلٌ وَأنْـتُـم لِذاكَ الأصْـلِ أغْـصَـانُ

قُـومُـوا إلـى اللهِ وَاعْـتَـدُّوا لِنُـصْـرَتِـهِ ... فَـمَـوْعِـدُ اللهِ جَـنَّـاتٌ وَغُـفْـرَانُ

وَأيْـنَ أطْـوَادُهَـا الـعُـلْـيَـا «بَـنُـو حَـكَـمٍ» ... أيْنَ «الذُّهُولُ» سُرَاةُ الـمَـجْـدِ «شَـيْـبَـانُ»

وَأيْـنَ رَهْـطُ «بَـنِـي سَـمْـحٍ» فَـوَارِسُـهَـا ... «بَـنُـو شُـكَـيْـلٍ» وَأيْـنَ الأُسْـدُ «كَـلْـبَـانُ»

وَأيْـنَ قُـوَّامُ أمْـرِ الـنَّـاسِ قَـادَتُـهُـم ... «بَـنُـو خَـرُوصٍ» حُـمَـاةُ الـدِّينِ مُـذْ كَـانُـوا

وَأيْـنَ عَـنْـهَـا لُـيُـوثُ الـغَـابِ مِـرَّتُـهَـا ... «بَـنُـو هَـنَـاءَةَ» مَـا دِيـنُـوا وَكَـمْ دَانُـوا

أيْنَ «الـيَـعَـاقِـيـبُ» أرْضُ الـسِّـرِّ مُـلْـكُـهُـم ... وَمَـنْ مَـفَـاخِـرُهُـم لِلـفَـخْـرِ أرْكَـانُ

وَأيْـنَ أهْـلُ الـغِـنَـى فِـي كُـلِّ مُـعْـضِـلَـةٍ ... «بَـنُـو عَـلِـيِّ بْـنِ سَـوْدٍ» أيْـنَ «حِـدَّانُ»

وأيْـنَ يَـا «آلَ سَـعْـدٍ» عَـزْمُ نَـجْـدَتِـكُـم ... وَأنْـتُـمُ لِرَسُـولِ اللهِ أحْـضَـانُ

هَـلُمَّ يَـا «ابْـنَ هِـلالٍ» قُـمْ بِـنُـصْـرَتِـهَـا ... فَـالـمُـسْـلِمُـونَ بِـهَـذا الـدِّيـنِ بُـنْـيَـانُ

وَأيْـنَ مِـنْ «آلِ بَـدْرٍ» سَـادَةٌ نُـجُـدٌ ... مُـبَـادِرُونَ إلـى الـخَـيْـرَاتِ سُـرْعَـانُ

أيْنَ «الحَوَاسِنَةُ» النُّجْبُ الكِرَامُ فَمَا ... عَـهْـدِي لَهُـمْ فِي كِفَاحِ الحَرْبِ أقْرَانُ

وَأيْـنَ عَـنْـهَـا عَـوَادِيـهَـا «بَـنُـو عُـمَـرٍ» ... فَـإنَّ جَـانِـبَـهُـم بِـالـفَـخْـرِ عُـمْـرَانُ

وَأيْنَ «ضَـنْـكُ» وَأفْـيَـالُ «الـنُّـعَـيْـمِ» بِـهَـا ... أيْنَ «الصُّلُوفُ» وَطَوْدُ الفَضْلِ «سُلْطَانُ»

وَأيْنَ «كَـعْـبٌ» وَأيْنَ الحَيُّ مِنْ «قَـتَـبٍ» ... أيْنَ «الظَّـوَاهِـرُ» وَالـفُـرْسَـانُ «كَـهْـلانُ»

وَمَـا رَجَـاءُ «بَـنِـي يَـاسٍ» عَـلَـى خَـطَـإٍ ... فَـإنَّـمَـا الـقَـوْمُ أعْـوَانٌ وَإخْـوَانُ

قَـوْمٌ عَـلَـى صَـهَـوَاتِ الـخَـيْـلِ طِـفـلُـهُـمُ ... يَـرْبُـو لَهُ مِـنْ دَمِ الأبْـطَـالِ أَلْـبَـانُ

مَـسَـاعِـرُ الـحَـرْبِ إنْ تَـنْـزِلْ لَهُـم نَـزَلُـوا ... وَإنْ تُـعَـاضِـلْـهُـمُ رَكْـبـاً فَـرُكْـبَـانُ

أشَـدُّ خُـدُورُهُـمُ، سُـمْـرُ الـرِّمَـاحِ فَـإنْ ... شَـبَّ الـهِـيَـاجُ فَـتِـلكَ الـسُّـمْـرُ شُـهْـبَـانُ

صُـعْـبٌ شَـكَـائِـمُـهُـم، سُـحْـبٌ مَـكَـارِمُـهُـم ... إنْ حَـارَبُـوا صَـعُـبُـوا أوْ أكْـرَمُـوا هَـانُـوا

لا يَـقْـتَـنُـونَ رِيَـاشـاً فَـوْقَ سَـابِـغَـةٍ ... كَـأنَّـهُـنَّ إذا أُلْـقِـيـنَ غُـدْرَانُ

وَغَـيْـرَ صَـفْـحَـةِ هِـنْـدِيٍّ مُـفَـلَّلَةٍ ... كَـأنَّـهَـا بِـنَـفَـاثِ الـمَـوْتِ ثُـعْـبَـانُ

وَغَـيْـرَ أنْـيَـابِ أغْـوَالٍ مُـسَـنَّـنَـةٍ ... مِـنْ عَـهْـدِ عَـادٍ لَهَـا ذِكْـرٌ وَأسْـنَـانُ

وَغَـيْـرَ شُـمْـسٍ سَـرَاحِـيـبٍ مُـفَـنَّـقَـةٍ ... كَـأنَّـهَـا فِـي قَـتَـامِ الـحَـرْبِ غُـرْبَـانُ

تَـعَـلَّمَـتْ مِـنْ مِـرَاسِ الحَرْبِ نَـجْـدَتَـهَـا ... فَـهُـنَّ تَـحْـتَ يَـدِ الـشُّـجْـعَـانِ شُـجْـعَـانُ

كَـأنَّـهُـنَّ أعَـاصِـيـرٌ إذا احْـتَـدَمَـتْ ... نَـارُ الـوَغَـى وَهِـيَ فِي النِّـسْـنِـينِ ذُؤبَـانُ

تِـلْـكُـمْ حُـصُـونُ بَـنِي يَاسٍ وَمَـعْـقِـلُـهُـم ... لا يُـحْـصِـنُ الـقَـوْمَ أسْـوَارٌ وَأفْـدَانُ

وَأيْـنَ عَـنْـهَـا «بَـنُـو بَـطَّـاشَ» أيْـنَ هُـمُ ... مَـنْ لِي بِـهِـم وَهُـمُ لِلحَـرْبِ أخْـدَانُ

عَادَاتُ «طَـيِّءَ» تَـخْـضِـيبُ الـسُّيوفِ وَإرْ ... وَاءُ الـمُـثَـقَّـفِ، وَهُـوَ الـيَـومَ عَـطْـشَـانُ

طَـالَ الـوُقَـادُ بِـكُـمْ هُـبُّـوا فَـدَيْـتُـكُـمُ ... فَـالـشَّـمْـسُ طَـالِـعَـةٌ وَالـسَّـيْـلُ مِـرْعَـانُ

أيْنَ العَصَائِبُ مِنْ «قَحْطَانَ» أجْمَعِهَا ... وَأيْـنَ مَـنْ نَـتَـجَـتْ لِلمَـجْـدِ «عَـدْنَـانُ»

هُـبُّـوا لأخْـذِ الـمَـعَـالِي مِـنْ مَـرَاقِـدِكُـم ... فَـلَـيْـسَ يَـسْـتَـدْرِكُ الـعَـلْـيَـاءَ نَـوْمَـانُ

هُـبُّـوا لِدَاعِي الـهُـدَى، هُـبُّـوا لِعِـزِّيَـكُـم ... وَكَـيْـفَ نَـوْمُـكُـمُ وَالـخَـصْـمُ يَـقْـظَـانُ

جُدُّوا فَدَيْتُكُمُ فِي نَصْرِ دِينِكُمُ ... فَاليَومَ فِيكُم لِنَصْرِ الدِّينِ إِمْكَانُ

كَتَائِبَ اللهِ لا يَحْتَلَّ بَيْضَتَكُم ... خَصْمٌ مَسَاعِيهِ في الإِسْلامِ تُغْبَانُ

كَتَائِبَ اللهِ ذُودُوا عَنْ حِيَاضِكُمُ ... كَيْ لا يُهَدِّمَهَا بَغْيٌ وَكُفْرَانُ

كَتَائِبَ اللهِ مَا عَيْشُ الذَّلِيلِ لَكُم ... عَيْشٌ، وَلا فِي مَنَايا العِزِّ نُقْصَانُ

كَتَائِبَ اللهِ لَمْ يُعْهَدْ بِكُم خَوَرٌ ... وَلِلجِبَالِ عَلَى الأَزْمَاتِ إِقْرَانُ

كَتَائِبَ اللهِ حَامُوا عَنْ حَنِيفَتِكُم ... قَدْ لَوَّثَتْهَا خَنَازِيرٌ وَصُلْبَانُ

كَتَائِبَ اللهِ دِينُ اللهِ فِي طَلَقٍ ... وَالمُشْرِفِيَّاتُ فِي الأَيْمَانِ طَلْقَانُ

كَتَائِبَ اللهِ لم تُخْلَقْ نُفُوسُكُمُ ... لِكَيْ يُسَخِّرَهَا ذُلٌّ وَأَهْوَانُ

كَتَائِبَ اللهِ أَدْعُوكُم إِلَى شَرَفٍ ... عُقْبَاهُ - إِنْ تَصْدُقِ النِّيَّاتُ - رِضْوَانُ

كَتَائِبَ اللهِ يَومَ الهَوْلِ عِيدُكُمُ ... فَمَا لَكُم لِبَغِيضِ اللهِ عُبْدَانُ

يا غَارَةَ اللهِ وَالأَحْكَامُ مُرْمِلَةٌ ... لَهَا مِنَ الحُزْنِ بِالتَّعْطِيلِ أَرْدَانُ

يا غَارَةَ اللهِ وَالحُرُّ الغَيُورُ لَهُ ... صَدْعٌ وَمَا أَذِنَتْ لِلصَّدْعِ آذَانُ

يا غَارَةَ اللهِ نَحْزَى فِي دِيَانَتِنَا ... أَلَيْسَ عَاراً وَحَامِي الدِّينِ خَزْيَانُ

يا غَارَةَ اللهِ نَحْيَا كَالبَلِيَّةِ فِي ... عِقَالِ سُوءٍ وَمَا بِالرِّجْلِ عُقْلانُ

يا غَارَةَ اللهِ كَمْ نَرْضَى مَهَانَتَنَا ... وَالسَّيْفُ يَرْفَعُ أَقْوَاماً وَإِنْ هَانُوا

أَيْنَ العَزَائِمُ؟ أَيْنَ النَّخْوَةُ انْتَقَلَت ... أَيْنَ الحِفَاظُ؟ وَأَيْنَ العِزُّ وَالشَّانُ؟

أَيْنَ الشَّكَائِمُ في الإِسْلامِ؟ مَا فَعَلَتْ ... أَظُنُّهَا مَعَ آبَاءٍ لَنَا بَانُوا

سَلُوا القُبُورَ التي ضَمَّتْ أُصُولَكُمُ ... هَلْ وَاطَنُوا الذُّلَّ؟ أَم في دِينِهِم هَانُوا

رَبُّوا لَكُم بِالظُّبَا وَالسُّمْرِ مِلَّتَكُم ... وَأَنْتُمُ الآنَ تُجَّارٌ وَرُهْبَانُ

تَرَكْتُمُ سُنَّةَ الأَسْلافِ مُطْرِقَةً ... وَلا يُؤَنِّبُ بِالإِطْرَاقِ خَجْلانُ

تَمْشُونَ هَوْناً كَأَنَّ الزُّهْدَ أَثْقَلَكُم ... وَأَنْتُمُ بِهَوَانِ النَّفْسِ ثُقْلانُ

أَمَا يُحَرِّكُكُمْ إِنْ قَالَ نَاصِحُكُم: ... الأَصْلُ كَاسٍ وَفَرْعُ الأَصْلِ عُرْيَانُ

أَقُولُ لِلبَعْضِ مِنْكُم، وَهُوَ عَنْ أَسَفٍ ... وَالحُرُّ يَأْسَفُ لِلأَحْرَارِ إِنْ شَانُوا

قَدْ كُنْتَ نُخْبَةَ هذا الأَمْرِ مِنْ قِدَمٍ ... وَاليَوْمَ أَنْتَ عَلَى الأَبْوَابِ ذُبَّانُ

مَاذا تَقُولُ إذا كُنتَ ابْنَ بَجْدَتِها ... وَالأَصْلُ مَعْرِفَةٌ وَالفِعْلُ نُكْرَانُ

طَالِعْ صَحِيفَةَ مَجْدٍ أَنْتَ وَارِثُهُ ... إنْ كَانَ فِيهَا مَجِيدُ القَوْمِ خَوَّانُ

إذا تَنَكَّرْتَ لِلإسْلامِ عَنْ حَسَدٍ ... فَاسْأَلْ أَبَاكَ وَلِيَّ اللهِ: مَا الشَّانُ؟

يُخْبِرْكَ أَنَّكَ قَدْ فَارَقْتَ خِطَّتَهُ ... وَأَنَّهُ لِلذِي فَارَقْتَ حَسْرَانُ

أَبْعَدَ شَيْبِكَ فِي الإسْلامِ تَفْعَلُها؟ ... يَبْكِي الخَلِيلُ لَهَا وَالحَبْرُ شَاذَانُ

أَحْسِنْ عَزَاءَكَ مِنْ عِلْمٍ وَمِنْ عَمَلٍ ... وَأَنْتَ لِلطَّمْعِ المَرْذُولِ نَجْرَانُ

أَيْنَ السَّوَابِقُ يا قَمْقَامَهَا طُوِيَتْ ... أَعَاذَكَ اللهُ طَاوِيهِنَّ شَيْطَانُ

أَسَاءَكَ العَدْلُ إذْ قَامَتْ بِهِ فِئَةٌ ... لَهَا مَعَ اللهِ أَقْدَارٌ وَأَوْزَانُ

أَلا تَكُونُ لَهَا قُطْباً تَدُورُ بِهِ ... هَلْ أَنْتَ عَنْ قُطْبِهَا المَعْهُودِ غَفْلانُ

أَظُنُّ عَهْدَ الشَّهِيدَيْنِ اللذَيْنِ هُمَا ... يَسْتَنْصِرَانِكَ قَدْ أَغْفَاهُ نِسْيَانُ

أَبْعَدَ أَخْبَارِكَ الأَبْرَارِ تَنْسِفُهَا؟ ... وَأَنْتَ فِي بَحْرِهَا دُرٌّ وَمَرْجَانُ

بَنَيْتَ قُبَّةَ إيمَانٍ وَتَهْدِمُهَا ... للهِ! هَلْ بَعْدَ هَذا الهَدْمِ بُنْيَانُ

نَظَرْتَ «أَحْمَدَ» حَتَّى حَلَّ مَسْكَنَهُ ... فِي الخُلْدِ مِنْ حَوْلِهِ حُورٌ وَوِلْدانُ

وَصَارَ عِنْدَ أَبِيهِ فِي حَظَائِرِهِ ... سِ اللهِ، حَظُّهُمَا فَوزٌ وَرِضْوَانُ

عَدَوْتَ تَنْقُضُهَا مَثْنَى وَوَاحِدَةً ... وَكُلُّكُم فِي مَقَامِ الفَضْلِ صِنْوَانُ

وَقُلْتَ: شَأْنُكَ مِنْ بَابِ السِّيَاسَةِ فِي ... دَفْعِ الأَجَانِبِ، لا بَغْيٌ وَعُدْوَانُ

تَسُوسُهَا أَنْتَ؟ وَالإيمَانُ يَتْرُكُهَا ... مَا قَامَ ـ عَمْرُكَ ـ فِي دَعْوَاكَ بُرْهَانُ

سِيَاسَةُ اللهِ فِي القُرْآنِ كَافِيَةٌ ... وَمَا يَزِيدُ عَلَى القُرْآنِ نُقْصَانُ

فَارْجِعْ إلى اللهِ وَانْظُرْ فِي سِيَاسَتِهِ ... فَأَنْتَ مِنْ مَشْرَبِ القُرْآنِ رَيَّانُ

مَاذا رَأَيْتَ أَبَاكَ الطُّهْرَ يَصْنَعُ فِي ... سِيَاسَةِ الدِّينِ لَمَّا قَامَ «عَزَّانُ»؟

أَنْتَ الشَّهِيدُ عَلَى إشْرَاقِ سِيرَتِهِ ... وَلِلبَصَائِرِ بِالمَشْهُودِ إيقَانُ

أَفِي إمَامَةِ حَقٍّ بَعْدَ مَا ثَبَتَتْ ... بِحَقِّهَا؛ أَنْتَ ـ يَا ذا اللُّبِّ ـ حَيْرَانُ؟

لا عُذْرَ، لا عُذْرَ. فِيهَا حُجَّةٌ قَطَعَتْ ... عُذْرَ الخِلافِ، لَهَا فِي الدِّينِ تِبْيَانُ

فَمَا انْجِرَافُكَ عَنْهَا بَعْدَ مَا وَجَبَتْ ... إلّا خُرُوجٌ عَلَيْهَا وَهُوَ عِصْيَانُ

أَبْعَدَ سِتِّينَ عَاماً! عِشْتَ تُنْفِقُهَا ... لِلهِ وَالحَمْدِ؛ أَنْتَ اليَومَ خُسْرانُ
فَاتْبَعْ إِمَامَكَ وَالْزَمْ غَرْزَ سِيرَتِهِ ... وَدَعْ هَوَى النَّفْسِ، إِنَّ النَّفْسَ شَيْطَانُ
وَصُنْ بَقِيَّةَ هَذا العُمْرِ فِي كَيَسٍ ... فَإِنَّ دَهْرَكَ ـ لَوْ فَكَّرْتَ ـ كَيْسَانُ
فَارَقْتَ عِزَّتَكَ العُلْيَا إِلى طَمَعٍ ... حَتَّى لَقَدْ قَالَ أَهْلُ السُّوءِ: سَاسَانُ
لِلمُسْلِمِينَ ظُنُونٌ فِيكَ عَالِيَةٌ ... يَا ابْنَ المَعَالِي، وَهُنَّ اليَومَ خَيْلانُ
كُنْتَ السَّفِينَةَ لِلإِسْلامِ تَحْمِلُهُ ... ثُمَّ انْكَفَأْتَ بِهِ وَالغَيُّ طُوفَانُ
كُنْتَ المُرَزَّءَ لِلإِسْلامِ تَكْلَؤُهُ ... وَاليَوْمَ، مِنْ كُثْرِ مَا يَشْكُوكَ، ضَجْرَانُ
فَافْتَحْ، فَدَيْتُكَ، عَيْنَي جُؤْذَرٍ يَقِظٍ ... فَإِنَّ كَاتِبَ مَا تُمْلِيهِ يَقْظَانُ
بِيضُ العَمَائِمِ لا تُجْدِي إِذا انْكَدَرَتْ ... بِيضُ القُلُوبِ، وَلِلإِيمَانِ عُنْوَانُ
طَهِّرْ ثِيَابَكَ وَاغْسِلْ رَاحَتَيْكَ فَهَا ... تِيكَ المَطَامِعُ أَوْسَاخٌ وَأَدْرَانُ
وَاحْمَدْ نَصِيحَةَ حُرٍّ لا يُرِيدُ بِهَا ... ذَمّاً، وَفِيكَ لِطَوْدِ الحَمْدِ أَرْكَانُ
إِنْ تَعْرِفِ الصِّدْقَ فِي نُصْحِي فَقَدْ سَبَقَتْ ... عُهُودُ صِدْقٍ وَإِخْلاصٌ وَإِحْسَانُ
لَيْسَ الخَلِيلُ المُدَاجِي عِندَ شَائِنَةٍ ... إِنَّ المُدَاجِيَ فِي العَوْرَاءِ فَتَّانُ
لَكِنَّهُ مَنْ رَأَى عَيْباً وَحَقَّقَهُ ... أَهْدَاكَ عَيْبَكَ غَيْظاً وَهُوَ لَهْفَانُ
أُرِيكَ مِنْ أَسَفِي خَصْماً تُبَاعِدُهُ ... وَالقَلْبُ مِنْ حُبِّكَ المَكْنُونِ وَلْهَانُ
خُذْ مِنْ مَضَائِقِ أَقْوَالِي نَصَائِحَهَا ... وَفِي ضَمِيرِي لَكُم بِالحُبِّ مَيْدَانُ
يَا قَوْمِ أَهْلَ عُمَانٍ كَم تَخَالُفُكُم ... إِنَّ التَّفَرُّقَ لا يَرْضَاهُ إِيمَانُ
أَطُولَ دَهْرِكُمُ خَوْفٌ، مُدَاهَنَةٌ ... مَطَامِعٌ، حَسَدٌ، بَأْوَاءُ، خُذلانُ
أَهَذِهِ شُعَبُ الإِيمَانِ عِنْدَكُمُ ... أَهَكَذا سُنَّةٌ قَالَتْ وَقُرْآنُ؟
ما ذا الشِّقاقُ الذي يَفْرِي جُنُوبَكُمُ ... وَالمُؤمِنُونَ بِذَاتِ الدِّينِ إِخْوَانُ
أَطْلَقْتُمُ السَّيْفَ فِي أَفْرَادِ مِلَّتِكُم ... وَقَيَّدَتْهُ عَنِ الأَعْدَاءِ أَجْفَانُ
هَبْ أَنَّ أَسْيَافَكُم غَرْثَى بِهَا قَرَمٌ ... فَفِي لُحُومِ العِدَا يَغْتَاشُ غَرْثَانُ
هَانَتْ عَلَيْكُم تُرَاثُ الكُفْرِ وَاشْتَعَلَتْ ... فِيكُم عَلَى بَعْضِكُم لِلبَعْضِ أَضْغَانُ
وَأُلْفَةُ الدِّينِ قُرْبَى لَمْ يَكُنْ مَعَهَا ... أَعْلَى وَأَدْنَى وَأَحْرَابٌ وَأَدْيَانُ

يـا قَـومِ هَـذا إمَـامُ الـدِّيـنِ بَـيْـنَـكُـمُ ... مَـقـصُـودُهُ الـحَـقُّ، لا مُـلْكٌ وَسُـلْطَـانُ

يَـدْعُـو إلـى اللهِ قَـوَّامـاً بِـمِـلَّتِـهِ ... لَهُ حُـسَـامَـانِ: إقْـسَـاطٌ وَإحْـسَـانُ

يا قَومِ طَاعَتُهُ فِي مِصْرِكُم وَجَبَتْ ... فَرْضاً عَلَيْكُم وَمَا فِي الدِّينِ إدْهَانُ

يـا قَـومِ لا تُـدْبِـرُوا عَـنْـهُ فَـإنَّ لَكُـم ... رَبـاً يُـحَـاسِـبُ وَالإدْبَـارُ عِـصْـيَـانُ

يـا قَـومِ إنْ تُـدْبِـروا يَـغْـضَـبْ إلَهُـكُـمُ ... فَـأيْـنَ مَـلْجَـؤُكُـم وَاللهُ غَـضْـبَـانُ

إنْ تَـنْـصُـرُوا اللهَ يَـنْـصُـرْكُـم فَـلا تَـهِـنُـوا ... فَالكُفْرُ فِي المَقْتِ وَالإسْلامُ رِضْوَانُ

إنَّ الإمَـامَ يَـمِـيـنُ اللهِ بَـيْـنَـكُـمُ ... فَـبَـايِـعُـوهُ وَإلّا حَـلَّ خُـسْـرَانُ

قَـامَـتْ عَـلَيْكُـم بِـحُـكْـمِ اللهِ حُـجَّـتُـهُ ... إنْ كَـانَ فِـيـكُـم لِحُـكْـمِ اللهِ إذْعَـانُ

إنْ تَـتْـبَـعُـوهُ فَـعَـيْـنُ الـرُّشْـدِ خِـطَّـتُـكُـم ... أو تُـعْـرِضُـوا عَـنْـهُ فـالإعْـرَاضُ طُـغْـيَـانُ

فَـرَاقِـبُـوا اللهَ فِـيـهِ إنَّ حُـجَّـتَـهُ ... قَـدْ قَـامَ فِـيـهَـا بِـحُـكْـمِ اللهِ بُـرْهَـانُ

تِـلْكُـم وَصِـيَّـةُ حَـسَّـانٍ لَكُـم نَـبَـتَـتْ ... فَـإنَّـنِـي الـيَـومَ لـلإسْـلام حَـسَّـانُ

لا يَـصْـدُقُ الـدِّيـنَ إلّا مَـنْ يُـنَـاصِـحُـهُ ... وَلا يَـتِـمُّ بِـغَـيْـرِ الـنُّـصْـحِ إيـمَـانُ

فـإنْ تَـمَـكَّـنَ نُـصْـحِـي مِـنْ بَـصَـائِـرِكُـم ... بَـدَا لَكُـمْ مِـنْ ضِـيَـاءِ الـحَـقِّ فُـرْقَـانُ

شَرْحُ النُّونِيَّة(*)

(الفَتحُ والرّضْوان في السَّيفِ والإيمان)

(*) وردت النونيّة، في الأصل المُعتمد، بعنوان: «يا للرّجال» ـ موشى بعنوان فرعي: «وقد مَدَحَ بها إمام المُسلمين سالم بن راشد الخروصي رحمه الله»، لكننا آثرنا إعادة تقديمها بالعُنوان الذي اشتهرت به مُزنَّراً بين قوسين بعنوانها الأصلي: (الفتح والرضوان في السيف والإيمان)، الذي لا يقلُّ عنه شيوعاً وذيوعاً. وكلاهما عُنوان عُرفت به القصيدة المَكتوبة لاستنهاض القبائل العُمانية لنبذ خلافاتها نُصْرَةً للإمام سالم بن راشد الخروصي (١٨٨٤ ـ ١٩١٩م) الذي بُويع في ١٩١٣م، إثر انقطاع الإمامة نحو أربعين سنة إثر مقتل الإمام عَزَّان بن قيس (١٨٣٦ ـ ١٨٧١م) الذي لم تدم إمامته طويلًا. وقد أُرْسِلَتْ القصِيدَة البَيان؛ المانيفِستو Manifesto مِنْ جزيرة زنجبار، ولاقت صَدى مُنقطع النظير بين العُمانيين آنذاك، لا سيَّما أن الشاعر تعمَّد فيها مخاطبة كل قبيلة باسمها مُشيداً بمناقبها، ولم يُفوِّت تشمية الأخيار والحُكماء والأشدّاء من زُعَماء ومشايخ تلك القبائل استنهاضاً لهم كي يقفوا في صَفِّ الإمام الذي بُويعَ بعد فترة طويلة من الفوضى وشيوع الظلم والفساد وعدم الاستقرار السياسي. والقصيدة التي ما زالت حتى اليوم تحظى بمكانةٍ قلَّ لها نظير كوثيقة إثنوغرافِيَّة ـ إلى جانب أهميتها التاريخية والوجدانيَّة ـ تؤرِّخ لمُعظم القبائل العمانية وأصولها العربية التي تحدَّرت منها، كما أنها مثال شعريٌّ فريد للوثيقة الطُبُوغْرَافية والجُغْرَافية والمناخية لعُمان بمُدُنها وقُراها ووديانها وسُوحِها وجبالها وأنوائها في توثيقها المَشْكُوب شعراً رفيع الطراز في لغته التي تتتبَّعُ الرُّبوع والنجوع بيتاً بيتاً في رحلةِ قافلةِ المُبايعة السِّريَّة؛ تلك التي امتدت من المنطقة الشرقية حتى المنطقة الداخلية، فيما بدا اقتفاءً واقعياً في مَجازه ومَجازياً في واقعيّته لرحلة الشيخ نور الدين السالمي لمبايعة الإمام سالم بن راشد الخروصي في بلدة تنوف الواقعة على سفوح الجبل الأخضر، لكنَّ مرامي القصيدة ومسار الرِّحلة ـ النِّعْلَة لاجتراح كتابتها أكثرُ اتساعاً وأبعد قصداً مِنْ تتبع الرِّحلة ـ المفتاح لانطوائها على طبقات مُتعددة من رحلاتٍ مُماثلة أوجَبَها النداءُ الرُّوحي المُضْمَر في طبقات خطابها الاستنهاضي بثرائها الدِّلالي الذي لا تني طبقاته في الإفصاح عن مضمونه بالدعوة المُباشِرة لكافة القبائل كي تقوم بذات الرِّحلة ـ النموذج لمُبايعة الإمام ونُصْرته. ثمة أبيات في النونية شرحها مراجع الكتاب ومدقّقه، والإشارة إليها موضحة في حواشي تلك الأبيات.

تـلكَ الـبَـوَارِقُ حَـادِيـهـنَّ مِـرْنـانُ فـمَـا لِطَـرْفِكَ يـا ذا الـشَّـجْـو وَسْـنـانُ[1]

شَـقَّـتْ صَـوارِمُـهـا الأَرْجَـاءَ وَاهْـتـزَعَـتْ تُـزْجِـي خَـمِـيسـاً لَهُ فـي الـجَـوِّ مَـيْـدَانُ[2]

---

(١) احتار اللغويون والنُّحاةُ في مَطلع النونيّة. فما ظُنَّ أنه خطأ لغويٌّ أوقع الشاعرُ مَطلعَ قصيدته فيه برفعه لـ(وَسْنان) رغم وُجُوبِ نَصْبها، ظاهرياً، على الحال ـ لم يكُن كما ذهبت ظنون تلك الحيرة التي كانت بواعثها الاستكانة إلى سلامة المطلع؛ لأنَّ شاعراً عَلّامَةً كأبي مُسلم ما كان لِيُوقِعَ نَفْسَهُ في خطأ إعرابيٍّ يُصيب مُقلة قصيدته الخالدة في مَقتل؛ بل تعمد إصابة مطلعها بسهم الظنون ضناً بفرادة فريدته من أن تتساوى وفرائد السابقين من الشعراء، ناهيك عن توظيفه غير المُباشر لسَهم «خطأ القاتل» سُمُوّاً وتسامُقاً بمطلعها المِرنان. فلـ«وسنان» محلٌّ إعرابيٌّ آخر هو الرَّفع كونها خبراً لمُبتدأ محذوف. لذا تسهلُ قراءة البيت، فيما لو نُظِرَ إليه بعين خلوده: فما لطرفكَ يا ذا الشجو ـ أهو وَسْنان؟.. وهو تساؤلٌ استنكاريٌّ مُضمَرٌ لإيقاظ النائم كي يصحو من نومه على حدث عظيم هو قيام الإمامة المُعبّر عنه بالبوارقِ وحَادِيهنَّ المِرْنان/ مُعادِلِ الحَدَث المَوْضُوعِي في إشراقة المطلع الفارق تعبيراً عن حدث مُفارِق. فـ«الوسنانُ المُخاطَب» هو كُلُّ من لم يبلغه الخبر بعد. وأيضاً، هو الشاعر مُخاطِباً ومُعاتباً ذاته بحُكم تواجده في زنجبار لحظة قيام الإمام الخروصي بثورة ١٩١٣م. واختياره رفع وسنان [خبر المبتدأ المحذوف] حتَّمته فِطنة الشاعر الذي ارتأى ضرورة تصعيد نبر الحدث الجَلَل بعودةِ إمامة العدل، فضلًا عن مزلق الحيرة النحويِّ المُفارق ذاك؛ إسهاماً مُضافاً إلى البلبلة التي أثارها عُنفوان الحدث. لذلك خالف أبو مُسلم المَشهور والمتواتر في الإعراب، فيما تقصَّدَ عن وَعْيٍ فنيٍّ لعبتهُ التي سارت بها الرُّكبانُ كما سارت بقصيدته. ومن أشهر من خالف أبا مُسلم، آنذاك، شيخ البيان الشاعر ابن شيخان، وقد كتب الشيخُ سالم بن سليمان البهلاني ـ تلميذ أبي مُسلم وابن أخيه ـ ردًّا على ابن شيخان دَعاهُ: (الحُجَّة والبُرهان في الرَّد على ابن شيخان) انتصر فيه لشيخه وعمِّه أبي مُسلم. وعلاوة على ذلك الجدل الذي دار بين المشايخ والفقهاء في عُمان وزنجبار حول مُعضلة المَطلع النحويّة، فإنَّ لأبي مُسلم حُجَّةً في القرآن الكريم: «فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ» [سُورة المُدَّثر]، التي نُصبت فيها مُعْرِضِين، رغمَ أن مقامَها الرَّفعُ في السِّياقات النحويّة السَّائدة.

(٢) البوارق: لها خمسة معان، هي على التوالي: ١ ـ البرق في السماء. ٢ ـ هطول المطر المُصاحَب بالبرق. ٣ ـ لمعان السيف. ٤ ـ شروق الصُّبح. ٥ ـ انفراج أسارير الوجه، وكافة معانيها مُكتنزة في بيت المطلع || الحادي: هو من يسوق الإبل بالحُداء حثاً كي تسرع في مشيها || مِرْنان: صيغة مُبالغة من رَنين، تكرار الحادي لترنمه بأغنيته || الطرف: العين وحركة الجفن || الشجو: الهَمّ والشوق وتهييج الحزن || وسنان: آخِذٌ في النعاس، وهو بداية مراحل النوم || الصَّوارم: جمع صارم، وهو السَّيف البتار || الأرجاء: الأماكن والنواحي || اهتزعت: أسرعت، واهتزع السيف: اهتزّ || تُزجي: تسوق وتدفع || الخميس: الجيش الجرّار، وسُمِّيَ كذلك لأنه مكوَّن من خمس فِرَق، هي: المقدِّمة، القلب، المَيمَنة، المَيسَرة والساق؛ أي مؤخرته. معنى بيتي المطلع: مَطْلع النونيّة مشحونٌ بجماليات مطالع الشعر العربي ومُتفرِّد عنها بموضوعته المُستقلة عن مألوف إنشاد المطالع؛ فالحادي المِرنان هو حادي السُّحُب المُترنم بمطرها؛ لا حادي قوافل الإبل في المفازات. أما تصويته المُستحِث=

تَبَجَّسَتْ بِهَزِيمِ الوَدْقِ مُنْبَعِقاً ... حتى تَسَاوتْ بِهِ أُكْمٌ وَقِيعَانُ

سَقَى الشَّوَاجِنَ مِنْ «رَضْوَى» وَغَصَّ بِهِ ... «سِرٌّ» و«جَوْفٌ» وَغَصَّت مِنهُ «جَرْنانُ»(١)

=لإسراع حركتها إنما هو صَوتُ الرَّعد (وهو أحد مكونات البوارق)؛ فكأنما السُّحُبُ إبلٌ مُتخيلة: رُعودها حُداتها التي تسوقها. ودَمْجُهُ في صيغة الخطاب بين الذات والآخر تفخيم وإجلالٌ للخطب يتمظهر في الشطر الثاني بما انطوى عليه من مفارقة الطرْف الناعس: نقيض البوارق وعنفوانها الطافح في صدر البيت، ليأتي عَجُز البيت بصيغة تساؤل استنكاري: رغم الحدث الجلل ـ يُحيِّرني أيها المشتاق المتأجج بحزنه سِرُّ نعاسٍ طرفك: أهو وسنان؟.. تغفو وثورةُ الإمام عمَّت أرجاء البلاد؟..

وللمطلع تنمُّته الشارحة لمعناه في البيت الثاني؛ حيث سيوف البوارق التي شقت كافة الأنحاء باهتزازها (وهي تدفع جيش السُّحُب المُكتمل بفرقه الخمس) في ميدان معركة تعالت في الأجواء، خلافاً لميادين الحروب التقليدية. وقد أشرنا إلى أنه استخدم مُفردة البوارق مُكثفةً بكافة معانيها؛ فهي البرق ذاته، والسحابة الماطرة، وهي السُّيوف تهتز وتتقدم مُسرعة في حنها لجيش من السُّحب ميدانه الأجواء، وهي شروق الصباح وانفراج أسارير الوجوه، وجميعها ترميز بالغ الثراء في إيحائه النُّبوئي بدلالات القيامة التي زفَّتْ بُشرى الحَدَث المُبارَك: عودة الإمامة بعد طول انقطاع بإمام عادل.

(١) تبجَّس: تفجَّرَ || الهزيم: من أنواع الغيث، وتعني أيضاً صوت الرَّعد || الوَدْق: المطر، كثيفه وقليله || مُنبَعِق: نزول المطر فجأة وبشدة، كما لو انشقت عنه السماء || أكم: جمع أكَمة؛ وهي التلال والأماكن المرتفعة وما دون الجبال، أي الموضع الذي هو أشد ارتفاعاً مما حوله، والجمع أَكَمٌ وأُكُمٌ وأُكْمٌ وإكامٌ وآكامٌ [جمعها البعضُ أَكَم وفي ذلك انكسار للبيت، فبحثت عنها في اللسان لأجد جمعاً لها غير مطروقٍ في سِواه من المَعاجم: أُكْمٌ، وهي التي قصدها الشاعر] || قيعان: ما انخفض من الأرض || الشواجن: جمع شاجن؛ وهو الوادي الكثير الشجر، وهي الشِّعاب المتفرعة من الوادي الرَّئيس || رضوى: اسمٌ من أسماء الجبل الأخضر || غصَّ: امتلأ، وغصَّ بالماء غصاً؛ وقف في حلقه || سِرّ: قصد بها أرض السِّرّ؛ وهي منطقة «الظاهرة» التي سُمِّيت بهذا الاسم البديع لوقوعها خلف سلسلة جبال الحَجر الغربيّ من عُمان || الجَوف: المنطقة الداخلية من عُمان، وعاصمتها «نزوى» || جرنان: الاسم القديم لولاية «إزكي» بحَارَتَيْهَا العَريقتين: «يمن» و«نزار».

ملحوظة حول جرنان: في الدارجة العُمانية؛ جرنان تعني المرجل الذي يغلي بما فيه لشدة الحرارة، وفي ذلك إشارة إلى أن مُعظم الفتن في عُمان أصلها ومُنطلقها من إزكي التي عاشت= =طوال تاريخها صراعاً لم يهدأ قط بين يمنها ونزارها، ذلك الصراع الذي طبع الشخصية العامة لأهلها بطابع التوجُّس والحذر والتكتُّم، ناهيك عن مناخها الحار المؤيد لهذه التسمية، فضيف إزكي جحيم لا يُطاقُ لشدة حَرِّه، وشتاؤها قارص جاف لا يشبهه مناخ آخر في عُمان. وإلحاح الشاعر على اسم جرنان تذكير بحالها وحال أهلها المُقتتلين دوماً، في تلخيص لعموم أهل عُمان. وقد أطلق الشاعر على إزكي لقب وطيس الحرب، لأنها مُبتدأ الفِتن والحروب؛ فموقعها على مفترق الطرق، بالإضافة إلى التوليفة القبليّة المُتنافرة التي تقطنها؛ جعلتها تستحقُّ لقب «جرنان» بامتياز. **[الملحوظة الأخيرة حول جرنان وضعها مُراجع الكِتاب ومُدقِّقه]**. =

وَجَـلَّلَ الـسَّـهْـلَ وَالأَوْعَـارَ مُـغْـتَـمِـداً رُبُـوعَ مـا ضَـمَّ «عِـنْـدَامٌ» وَ«جَـعْـلانُ»

وَرَاثَ يَـنْـضَـحُ لِـ «الـجَـرْداءِ» سَـاحَـتَـهَـا وَطَـمَّ مـا رَدَّ «صَـفْـنانٌ» و«صَـخْـنانُ»[1]

يُـريـقُ فـي الـجَـوِّ مِـنـهُ رَيِّـقٌ هَـطِـلٌ فـي لُـوحِـهِ مِـنْ سَـنـاءِ الـبَـرْقِ أَلْوَانُ[2]

= **معنى البيتين**: يأتي البيت الثالث مُتمِّماً لحدث البوارق السَّماوي واصفاً آثاره على الأرض. فبعد أن حركت جُيوش السُّحب فيالقها في ميدانها الجوِّي؛ كانت النتيجة ذلك التالي الصَّافي لمفردات صدر البيت: (تبجَّست بهزيم الودق منبعقاً) تعبيراً عن كثافة المطر وشدة هطله الذي غمر الأرض حتى تساوت قيعانها بتلالها، ولم يعد التفريق مُمكناً بين أكمة وقاع؛ بعد أن سقت مياه الأمطار المُبتهجة بالحدث وديانَ الجبل الأخضر حتى غصَّت بمياه شعابه أرضُ السَّرْ والجَوف [الظاهرة والداخلية، على التوالي]، ناهيك عن جرنان. **وأبيات مطلع النونيّة الأربعة** بَدْءاً باستهلالها الفارع: تلك البوارق؛ ومعركتها السَّماويَّة وقد تمخضت عن مطر عميم عَمَّ كافة أنحاء البلاد. وهو تعبير ذكيٌّ كُنِّيَ به عن عودة العدل والرخاء والنعمة على أهل البلاد جميعاً بُعَيد تنصيب الإمام سالم بن راشد الخروصي الذي بويع إماماً بعد أزمنة طويلة من القحط والبؤس وزوال نعمة العدل والأمن والرخاء.

(١) جلَّلَ: عَمَّ؛ ونمة تخصيص للمطر في مَعنى التَّعميم || السَّهل: المُنبسِط من الأرض || الأوعار: الصِّلب منها || ربوع: جمع رَبْع، وهو الحَيّ والدار وما حول الدار والموضع يُنزَلُ فيه || عندام: واد يهبط من سلسلة جبال العَقّ مروراً بـ سْناو والمضيبي ونواحيها ليصب في بحر العرب قرب مُحُوت || جَعلان: ولاية في المنطقة الشرقية، ويقصد كافة أودية المنطقة الشرقية التي تصل حتى جعلان لتصب في بحر العرب || راث: أبطأ || ينضح: يرشّ بالماء || طَمَّ: عَمَّ || الجرداء: مُنفسحٌ بعد وادي العَقّ، وهو بداية المنطقة الشرقية من عُمان، ويفصلها عن المنطقة الداخلية والعاصمة مسقط ومنطقة الباطنة || صَفنان وصخنان: موردا ماء؛ أولهما في وادي البطحاء قرب سْناو، والثاني في سمائل. **معنى البيتين**: وكما غصَّت منطقة الظاهرة والداخلية بالسيول؛ فقد عَمَّت تلك البُشرى الخصيبة جنوباً حتى منفسح الرمال وبحر العرب بكافة ما ضمه وادي عندام من بلدان وسكان وصولاً حتى ربوع جعلان في أطراف المنطقة الشرقية، ورغم إبطاء المطر في رشِّه لمنطقة الجرداء، لكنه عَمَّ موارد المياه العذبة التي يؤمها الناس في أزمنة المحْل، كصفنان وصخنان التي لم يعد الناس في حاجة للسقاية منهما.

(٢) يُريق: يصبّ || ريِّق: أول المطر ومقدِّمه || هَطِل: المطر تتابع سقوطه وانصبابه || اللُّوح: الهواء بين السَّماء والأرض || سَناء: أتت بمعنى العُلوّ والارتفاع، وأيضاً بمعنى الضوء [نعتقد بخطأ بعض الشرَّاح في تأويل هذا البيت؛ والسَّبب هو ورود: (لَوْحَةٍ/لَوْحِهِ)، لكن أبا مُسلم، بدقة الرَّسام الفطري في دواخله، كان أبعد في القصد من تأويل الشرّاح الذين اعتقدوا أنه قصد: (لوحة انطباعية)، والعكس صحيح، فقد قصد بمُفردةِ «لُوحِهِ»: جدار الهواء المرفوع بين السماء والأرض]. **المعنى**: وهو مطر يصبُّ منه ريِّقه المُفتتح لهطوله في الجوّ، ولأنه مطرٌ يتناوبُ الشدة والكثافة في الهواءِ العالي يبدو للناظر إليه من شدة علو تأثيره في الأفق ألواناً متغيرة تباعاً؛ أي أنَّ انصباب المطر المتتابع في اللُّوح [الهواء]؛ هو لوحته الطبيعيَّة التي ترسم ألوانها بروق في الأعالي.

إنْ هَيَّجَ البَرْقُ ذا شَجْوٍ فَقَدْ سَهَرَتْ ... عَيْنِي وَشَبَّتْ لِشَجْوِ النَّفْسِ نِيرَانُ

وَصَيَّرَ البَرْقُ جَفْنِي مِنْ سَحَائِبِهِ ... يا بَرْقُ: حَسْبُكَ، ما في الأَرْضِ ظَمْآنُ[1]

إِنِّي أَشُحُّ بِدَمْعِي أَنْ يَسُحَّ عَلى ... أَرْضٍ وَمَا هِيَ لِي، يا بَرْقُ، أَوْطَانُ[2]

هَبْكَ اسْتَطَرْتَ فُؤَادِي فَاسْتَطِرْ رَمَقِي ... إلى مَعَاهِدَ لِي فِيهِنَّ أَشْجَانُ[3]

تِلْكَ المَعَاهِدُ ما عَهْدِي بِهَا انْتَقَلَتْ ... وَهُنَّ وَسْطَ ضَمِيرِي، الآنَ، سُكَّانُ[4]

---

(١) معنى البيتين: وإن هيَّج البرق ذا حُزن وشوق مثلي لأرضه البعيدة، فإن عيني سهرت وشبَّت لحُزن النفس وهَمِّها نيرانٌ لا تقارن بتهييج البروق لذي حزن وشوق، وهو يفرُقُ، هنا، بين المعنى العام لمفردة شجو الواردة في صدر البيت وبين تخصيصه في الشطر الثاني: شجو النفس لينسلخ المشهد السينمائي من لقطته الافتتاحية في معاهد التذكار عودة به إلى زنجبار المَطِيرَة حيث استمراً البرقُ اللعبة لدرجة أنه أحال جفن الشاعر سَحابة من سحائبه، لكنه يمعن في لومه مطالباً إياه بالكفِّ عن شجنه وسهره الدائم في أرض ريّانةٍ مشبعة بالأمطار، ليجيبهُ الشاعر مُفسّراً (لبرق زنجبار) سبب هطول مطر/ مدامع عينيه أن يتوقف عن لومه الضمني للشاعر الذي يعرف أن زنجبار ليست عطشى، لكنَّ سبب هطول مدامعه في الحقيقة حنينه ليرى البرق وهو يحيي موات أرضه الحقيقية.

(٢) أشُحُّ: أبخل || يشُحَّ: يسيل؛ وسَحَّ الدمعُ والمطر والماءُ سالَ وتعني شدة انصبابه، وقصد الشاعر المفردة بمعنييها دمعاً ومطراً. المعنى: لومه في البيت السابق لبرقِ زنجبار، له ما يُبرِّره: فهو يبخلُ بدمعه/ مطره الهطال من سحابة جفنه أن ينصبَّ ويسيل على أرضٍ لم ولن تكون وطناً له. واستخدامه لصيغة الجمع: أوطان، ليست مبالغة أو لضرورة إيقاعية، بل تأكيد مقصود على وطنه الواحد (في زمن كانت فيه زنجبار وطناً لمن استوطنها من العُمانيين)، وإن اختلفت ألوان الرايات المرفرفة في مسقط أو زنجبار، فعاصمة وطنه الحقيقية هي راية الإمامة البيضاء في نزوى.

(٣) هَبْ: فعل أمر مِن وَهَبَ. يقال: «هَبْني فَعلتُ»، أي احْسَبْني فعلت || استطِرْ: الاستِطارَةُ والتَّطايُرُ: التفرُّقُ والذهابُ والانتشار، واستطار فلان سيفه؛ إذا انتزعه من غمده مسرعاً، وصُبحٌ مُستطير: ساطع ومنتشر، واستطارت الزجاجة والحائط: تبين فيهما الصدع || الرمق: بقية الرُّوح || المعاهد: الموضعُ كنتَ عَهِدْتَه أو عَهِدْت هَوىً لك أو كنتَ تَعْهَدُ به شيئاً، والجمعُ المَعَاهِدُ؛ أي الأماكن التي عاش المرء فيها حياته بذكرياته التي لا تمحى. المعنى: ولنفترض، يا برق، أنك استطعت التسلط والسيطرة على فؤادي المُسيطر عليه أصلًا بجذوة الشوق والحنين، وقدرت تصيبه بالصدوع، فاستطِر وأسرع بالمتبقي لي من بقية الروح لأقضّي المُتبقي من فُضلة العُمر في تلك المعاهد والمرابع التي اخضرَّت بمقدم الإمام.

(٤) المعنى: بعد إفصاحه عن انتقاله جسداً عن معاهده ومراتع صباه يُصعِّدُ لعبته الشعرية معكوسة في هذا البيت، لتبدو الصُّورَة الشعرية مقلوبة في الحنين المُزدوج: كما لو أنه لم يتنقل عنها، بل هي من انتقل عنه وهو ما زال فيها، مُتسائلًا: ما بالُ تلك المَعاهد التي أعهدها في عُمان تنتقل فجأة إليَّ هنا في=

نَـأيْـتُ عَـنْـهَـا، وَلـكِـنْ لا أُفَـارِقُـهـا بَـلَى! كَـمِ افْـتـرَقـتْ رُوحٌ وَجُـثْـمَـانُ[1]

وَكَـيـفَ أَنْـسَى عُـهُـودِي فِي مَـسَـارِحِـهـا وَهُـنَّ بَـيـنَ جِـنـانِ الـخُـلْـدِ بُـطْـنـانُ[2]

=زنجبار لتسكُن قلبي المُولَّه بها. واللافت في البيت أن المبالغة طلليّة المنحى للتعبير عن دهشته من انتقال تلك المعاهد وليس انتقاله هو عنها، ليكتشف أنها قد سكنت ضميره المؤنب لابتعاده الفيزيقي عنها، وتصبح وتمسي ساكنة في ضواحي قلبه، وتلك مُفارقة البيت وإيماءته المُتبادلة إلى الروح والجسد، كما سيظهر في البيت التالي، كما أن تحاشيه لابتذال قوله: أنه سكنت قلبي وضميري، يتضحُ في صيغة الجمع «سُكَّان» الدالّة على أن قلبه الصغير ضاحية سُكَّانها الحقيقيون هم الساكنون في تلك الربوع البعيدة، بالمعنى والإيحاء الحميم الذي تحيل إليه السُّكنى والسكن.

(١) في هذا البيت يأتي الصَّمت لاعترافه المَنقوص، ولكن المُتمِّم للمعنى: نأيتُ عنها، ولكن لا أفارقها، والقصد اعترافه الصريح بمثلية النأي عن بلاده، وتأكيده في نفس الشطر على أنهُ رغم بُعادِهِ عن مَرابعها، إلَّا أنهُ ـ في حقيقة الأمر ـ لم يُفارقها! لذلك يأتي تأكيده البَدَهيُّ اللاحق: «بلى كم افترقت روح وجثمانُ» ـ لا ليؤكِّد حقيقةً أزليَّة، بل تقصُّداً لإفراغ المعنى من دلالته الاستعارية الأخف وطأةً من تقريص مُعاناته الحقيقية. فلطالما افترقت روح عن جثمانها، لكنَّ فراقي عن تلك المعاهد (بما هي عليه صِنوٌ للروح، بل الرّوح ذاتها) صَيَّرَني جثة فارقتها روحها بالفعل. لذا فتأكيده للفعل الأزليّ بافتراقِ الرُّوح عن الجسد/ الجُثمان بتقريره لواقع حال مؤكَّد حاسم في مفتتح عجز البيت: [بلى]، لم يَقصد به تقريرَ ما ستؤولُ إليه أية جثةٍ بعد مفارقة روحها لها، وإنما أراد بذلك مُفارقةَ الشطر الأول من بيته [نأيتُ عنها، ولكن لا أفارقها]، عن الصيغة التقريرية للحالات المُماثلة من افتراق الجسد والروح توكيداً على خصوصيَّةِ حالته وفرديّتها؛ فقد نأى (جسداً)، لكنهُ لم يُفارق (روحاً) ووجداناً مرابعه في عُمان.

(٢) عُهودي: العَهْدُ: المطرُ الذي يكون بعد المطر، والجمع الجِهادُ والعُهودُ. وقد عُهِدَتِ الأرضُ فهي معهودةٌ، أي ممطورةٌ، والعَهْد المَوْثِق، وجمعه عُهود، وأصلها: العهد الذي يُكتب للولاة وهو مشتق منه، والجمع عُهودٌ || المَسارح: المرابع والمراعي والمواضع التي تسرح إليها الإبل || البُطنان: بضمِّ الباء ـ وسط الشيء، وبُطْنانُ الأرض ما تَوَطَّأَ في بطون الأرض سَهْلِها وحَزْنها ورياضها، وهي قَرار الماء ومستَنْقَعُه، وهي البواطنُ والبُطون. ويقال: أَخذ فلانٌ باطناً من الأَرض وهي أَبطأُ جفوفاً من غيرها. وتبطَّنتُ الوادي: دخلْت بطْنه وجَوَّلْت فيه. وبُطْنانُ الجنة: وسَطُها. وفي الحديث: ينادي مُنادٍ من بُطْنانِ العرش أَي من وسَطه، وقيل: من أَصله، وقيل: البُطْنان جمع بطن، وهو الغامض من الأَرض، يريد من دواخل العرش؛ ومنه كلام عليٍّ، عليه السلام، في الاستسقاء: تَرْوَى به القِيعانُ وتسيل به البُطْنان. المعنى: وكيف لي أن أنسى مواثيقي في مرابعها المطيرة، وهُنَّ بسَهلها وحَزْنها ورياضها بغامضها وواضحها وسط الجنة، وفي ذلك تلميح إلى شعاع العدلِ الذي ساد ربوع بلاده التي أمطرت بمبايعة إمام عادل؛ فهي مرابع مُماثلة لمرابع الجنة المأمولة، بل أضحتْ ـ في نظر الشاعر، قبل اندثار الحياة ـ مُتوسطة جنان الخلد لشدَّةِ قربها عَدلًا من بُطْنان العرش، ولا يخفى ما=

أَمْ كَيفَ يُمْكِنُ سُلْوانِي فَضَائِلَها ... نَعَمْ لَدَيَّ لِذا السُّلْوَانِ سُلْوَانُ[1]

مَعَاهِدٌ شَاقَنِي مِنْهَا مَحَاسِنُها ... إنْ شَاقَ غَيْرِيَ آرَامٌ وَغِزْلانُ[2]

لَهَا عَلى القَلْبِ مِيثَاقٌ يَبُوءُ بِهِ ... إنْ بَاءَ بِالحُبِّ فِي الأَوْطَانِ إيمَانُ[3]

نَزَحْتُ عَنْهَا بِحُكْمٍ لا أُغَالِبُهُ ... لا يَغلِبُ القَدَرَ المَحْتُومَ إنْسَانُ[4]

=في البيت من تمجيد مُبالغ فيه لحالة العدل التي سادت في عُمان لدرجة أنَّ عُهودهُ [بكافة معانيها] أضحت مسرحاً من مسارح الجنان.

(١) السُّلوان: النسيان، وتقال فيمن نسي حبيبه وطابت نفسه منه || الفضائل: ما تقدَّم وسبق من إحسان|| السُّلوان (الأخيرة): ماءٌ يُزعمُ أن العاشق إذا شربه سَلا عن حُبه، ودواء يشربه الحزين فيُسْليه ويُفرِّحُه ـ وهو المقصود بآخر «سلوانات» البيت. **المعنى**: في هذا البيت يتلاعب أبو مُسلم بمفردة السُّلوان وتعدُّد طبقات دلالاتها، بحيث يستعمل سُلوانه/ ترياقه لنسيان النسيان الذي يُحاولُ أن ينسيه فضائل معاهده/ مُعادلهُ الموضوعي لشيمةِ: *سُلوان الحبيب*. وتأكيده في الشطر الثاني: «*نعم، لديَّ لذا السُّلوان سُلوان*»، يُحيلُ إلى حقيقة وجُوده في أفريقيا حيث يتأتى له الحُصول على ترياقٍ سِحريٍّ مُماثِل. فهو مُتاح، لا سيما أنَّ «السُّلوانة» خرزة يُزعمُ أنه إذا انصبَّ عليها ماء المَطر فشربه العاشقُ سَلا؛ أي نسي. صحيحٌ أن تفسير «سُلوان» الأخيرة ـ كما ذهب إلى ذلك بعض الشُّراح ـ مُمكنٌ على اعتبار أنها تفيد النسيان، كسابقتها. لكن استخدامه للصيغة التوكيديَّة: نعم! يُؤكِّدُ ما ذهبنا إليه في تفسير آخر [سُلوان] ورد في البيت، وفي هذا توكيدٌ على مقاصد أبي مُسلم وعنايته الفائقة بكلِّ مُفردةٍ ودلالاتها اللغوية والإيحائية، فكما اجترح المعنى المُفارق من ثقافة شرق إفريقيا نجدُهُ يُحيلُ إليه في معنى «السُّلوانَة» في التراث المُعجمي العربي في ينابيعه المُغترفة من عظمة الشعر الجاهليّ، ناهيك عن التذاذه الخفيّ بها مُفردةً تُحيلُ إلى مُعجَمِهِ الصُّوفيّ الباطن، وقد أشرنا إلى ذلك في هوامش قصائده الأخرى، لا سيما الإلهيَّات ومدائحه النبوية.

(٢) آرام: جمع ريم وهو الظبي الخالص البياض. **المعنى**: البيت تأكيد لتشوُّقه الجارف إلى محاسن معاهده ومراتع صباه بما ربَّته عليه من فضيلةٍ وعِلم، خلاف غيره ممن اعتادوا في قصائدهم اشتياق الفاتنات من النساء؛ المُكنَّى عنهن بالآرام والغزلان.

(٣) باءَ، يَبُوء: رجع وعاد. **المعنى**: ولتلك المعاهد ميثاق حُبٍّ على القلب يقتاده عنوة إليها. في الشطر الثاني إحالة إلى مُتواتر القول: «حب الأوطان من الإيمان»، لكنها مقولة يؤكدها ـ كما لو ينقضها ـ التشكيك باستخدامه لـ[إنْ الشَّرطيَّة]، وهو ما يُوفِّي شرط الاختصاص، كما لو كان بين المُتشكِّكِ والمُتيقِّنِ مِنْ حِكمَةِ الشطر الثاني من البيت: إن رجع بالحُبِّ إيمانٌ في الأوطان؛ وهو إيغالٌ شِعريٌّ يمتحُ ظغثهُ من أسلوبية طلائع الشعريَّةِ اللافتة للمُعلَّقات.

(٤) نزح: بَعُدَ عن دياره وغاب عنها غيبة طويلة || لا أغالبه: لا أستطيع دفعه. **المعنى**: وابتعادي ونزوحي عنها لم يكن اختياراً؛ لأنَّ غيابي عن معاهد دياري المُحبَّبة كان نتيجة لحُكم لا أستطيعُ دفعه بقوَّتي وضعفي كإنسان أمام الأقدار المكتوبة، لكنه يُومئ في البيتِ إلى الأسباب التي دعته للخروج من=

كـأَنَّـنِـي وَاغْـتِـرَابـي وَالـغَـرَامَ بِـهَـا ... حَيٌّ قَضَى خَلْفَتْهُ، بَعْدُ، أَحْزَانُ[1]

هِيَ النَّوَى جَعَلَتْنِي فِي مَحَاجِرِهَا ... مِثْلَ الخَيَالِ وَرُوحِي ثَمَّ جُثْمَانُ[2]

=عُمان دون أن يُوضِّحَ تلك الأسباب، كعادته في قصائده الأخرى التي يُكرِّر فيها عذابات مَنفاه الاختياري، رغم أنهُ في إيماءاته يبدو منفى إجبارياً لأسباب اجتماعية في الغالب بعد رحلته الأولى من عُمان وعودته في زيارةٍ لم يمكُث خلالها طويلًا، قبل قراره بالعودة النهائية إلى زنجبار ـ كما أنها أسباب سياسيّة، لا سيَّما بعد توليهِ منصب القضاءِ في زنجبار، لكنه ظل دائماً يُلمِّحُ إليها دون التطرُّق إليها صراحة، وفي الغالب أن الإنكليز (بإيحاءاتهم لسلاطين زنجبار) استشعروا الخطورة الكامنة في عودته فارتأوا وضعهُ تحت إقامةٍ جبريَّةٍ في زنجبار، مع تمتعِهِ بمزايا مَنصبه، وهو الأمر الذي أشار إليه باقتضاب د. محمد المحروقي في كتابه «أبو مُسلم البهلاني رائداً».

(١) قضى: بلغ الأجل الذي حُدِّدَ له || خلَّفته: تركتهُ وراءها || بَعْدُ: ظرف زمان مُبهم يُفهم معناه بالإضافة لما بعده، فيكون مبنياً على الضَّم. **المعنى**: في هذا البيت بأركان ثالوثه الشِّعري المُقدس: (أنا الشاعر، اغترابه عن عُمانِه وغرامِهِ بها) ـ نجد الشاعر يُشبِّهُ أركان ثالوثهِ بكنونة الحَيّ المُتوفى وقد تركته الأحزان بعد رحيله، بعد رحيلِ أضلاع المُثلَّث الذي لا تنفصمُ عُرى حياته ومَواته. قد يبدو التشبيه عادياً لأول وهلة؛ لكنه يستمد عُصارته الشعرية الطازجة من تشبيه ثالوثه (وليس أنا الشاعر، فحسب) بالمتوفى الذي لم يترك خِلْفةً ولم يُخلِّف وراءه شيئاً سوى الأحزان، ولأنه بالكاد في حُكم الحَيّ فهي أحزانه وحده، لكنها في العُمق اللامَنظور أحزان أقانيم ثالوثه الفجائعيّ المُقدَّس.

(٢) النَّوى: البُعد || مَحاجرها: جمع مِحجَر وهي الحديقة المُسوَّرة، وتعني أيضاً مَحجِر العين: ما دار بها || الخيال: الظن والوهم وطيف الغائب || ثَمَّ: اسمٌ يُشار به إلى البعيد، بمعنى: هناك. **المعنى**: للمحاجر معان مُتعدِّدة، خلاف التي ذكرناها. لكنه في اعتقادنا يشير إلى الحديقة، كناية عن زنجبار: حديقة بُعدِهِ ونأيِه حيث يمشي فيها غريباً كطيف المتوفى (وفي هذا إشارة ضمنية إلى المَغايبة المَسحورين، وتلميح إلى حديقة المَنفى القشري)، عدا أنه يختلف عن المَغايبة ـ إن صحَّ التأويل ـ ويمتاز عليهم بجثمان روحه التي تركها هناك، أي في وطنه حيث معاهد تذكاره. وفي البيت تصعيد شعري لحالة الروح التي تصعد بعد الموت إلى بارئها، لكنها في حالته تتشبأُ بجُثمانٍ في ربوع الوطن؛ فردوسه المفقود، فيما يتشبأُ هو [الجثمان] خيالًا وطيفاً مُغيباً هائماً في حدائق المنفى، نقيض فردوسه المُتخيَّل في الوطن. والحقيقة أنَّ من يُدقِّقُ فيما وراء طبقات المَعنى ظاهِراً وباطناً ستنعكِسُ الصُّورة في مرايا مُحاولات التأويل وسيستنبط قلباً لصورة «المُغيَّب» وعَكساً لها. وربما سيكون مفيداً أن نستطرد، هنا، إلى المُسمَّى المحلّي للصورة الفوتغرافية في لهجات أهل الخليج، فقد كانت الصُّور تُدعى: «العكوس»، في حالة الجمع، والصُّورة الواحدة: «عَكس»، وهي التفاتة شعبيَّة ذكيَّة للتعبير عن الصُّورة، لأنَّها تكُونُ عَكساً مقلوباً للواقع في النُّسخة السَّالبة من الفيلم قبل تحميضها لتنقلبَ من جديد صُورةً مُطابِقة للواقع.

أَعِيشُ فِي غُرْبَةٍ عَيْشَ السَّلِيمِ على ... رَغْمِي، وَلَيسَ إلى التِّرْياقِ إمْكَانُ[1]

يا بَرْقُ حَرِّكْ هُمُومِي إنْ تَكُنْ سَكَنَتْ ... فَكُلُّ حَظِّيَ تَحْرِيكٌ وَإسْكَانُ[2]

ما زَالَ يَنْشِطُ بي هَمِّي وَأُصْبِرُهُ ... وَنَاشِطُ الهَمِّ لا تَزْوِيهِ أَرْسَانُ[3]

يا بَرْقُ هَلْ وَالحَنايا مِنْ «ضَعَاضِعَ» و«اللِّـ ... ـتَامِ» فَـ «الطَّفِّ» حَيَّاهُنَّ هَتَّانُ

وَهَلْ ذُرَى «القَفْصِ» فَـ «المِقْرَاةُ» مُعْشِبَةٌ ... وَهَلْ قَطِينٌ بِعَلْيا «قَاعِرٍ» بَانُوا[4]

---

(١) السَّليم: لديغ الأفعى، وسُمِّيَ كذلك تفاؤلًا بشفائه من اللدغة || التِّرياق: الدَّواء الدافع للسُّموم، والتِّرياقة: الخمر، سُمِّيَت كذلك لأنها تدفعُ الهُموم. المعنى: يختصر، في هذا البيت، حالته في الغربة باللديغ ووطنه بالترياق بعيد المَنال، كما أن استخدامهُ لمفردة «السَّليم» يحتملُ معناها الظاهري: أي أعيشُ في الغربة كما يعيشُ السليم، لكنَّهُ معنى ظاهريٌّ مُتقصَّد لتورية بَواطن المعنى المُفصَح عنها في عَجُز البيت. كما أننا أوردنا معنى الترياقة، لاحتمالٍ ضعيفٍ في المعنى لا نميلُ إليه؛ في أنه لديغ هموم الغربة، وبالتأكيد لا إمكان لشيخ مثله إلى تلك الترياقة؛ طاردة الهموم.

(٢) المعنى: يعود، من جديد، لمُخاطبة البرق تخوُّفاً على همومه/ حنينه وشوقه من الفتور والسُّكون، ليطالب البَرق (مُحَرِّك نونيَّتِهِ الجامح) أن يُحرِّك تلك الهُموم فيما لو بدت أمارات سُكونها. أما الشطر الثاني (رغم وضوحه في استصغار حظوظه التي لا تعدو التحريك والإسكان)؛ تعبيراً عن جيشان هُمومه أو فتورها، لكن البيت يَحتملُ إجمالًا في تضاعيف المعنى إشارةً هامزة إلى صَنعة الشعر وتضييع أصحابها لوقتهم في تحريك الكلمات وتسكينها قياساً إلى من يخوضون المعركة الفعلية دفاعاً عن الدين والوطن، وفي ذلك إعلاء من شأن من سيخوُضُ معهم استنهاضاً لهِمَمِهِمْ سواءٌ على أرض معركة الحق أو في مُعادلها الموضوعي: نونيَّته الخالدة.

(٣) ينشط: ضد الكسل، ونشَط من المكان يَنْشِطُ: خرج، وكذلك إذا قطع من بلد إلى بلد، وقيل: النَّشْطُ الطعْنُ، أَيّاً كان من الجسد ونشَطَتْه الحيةُ تَنْشِطُه وتَنْشُطُه نشطاً وأَنْشَطَتْه: لدغَتْه وعضَّتْه بأَنيابها. قال الأَخفش: الجِمارُ يَنْشِطُ من بَلد إلى بلد، والهُمُومُ تَنْشِطُ بصاحِبها؛ وقال هِمْيانُ: «أَمْستْ هُمُومِي تَنْشِطُ المَناشِطا | الشامَ بي طَوْراً، وطَوْراً واسِطا» || أُصبِرُه: أُصبِّرُه، أي آمُرُهُ بالصَّبر || تزويه: الزَّيُّ: مصدر زَوى الشيءَ يَزْويه زَيّاً وزُوِيّاً فانْزَوى، نَحَّاه فتَنَحَّى. وزَواهُ: قبضه. وزَوَيْت الشيءَ: جمعته وقبضته || أرسان: الرَّسَنُ، محرَّكةً: الحَبْلُ، وما كانَ من زِمامٍ على أَنْفٍ، ج: أَرْسانٌ وأَرْسُنٌ، وهو اللجام. المعنى: ما زال همِّي وشوقي وحنيني ينشطُ بي لأقطَع طريق العودة، لكنني اعتدتُ أن آمره بالصبر، ولكن إلى متى؟ لأنَّ من كان مثلي ناشط هموم لا يقبضه ولا يمنعه اللجام. وقد أوردنا كافة معاني ينشطُ، لأنهُ قصد مجموع تلك المعاني.

(٤) الحنايا: أصلها القوس، والحِنْوُ: كلّ شيءٍ فيه اعوجاج أو شبْهُ الاعوجاج، كعَظْم الحِجاج واللَّحْي والضِّلَع والقُفِّ والحِقْفِ ومُنْعَرَج الوادي، والحِنْوُ والحِجاج هو العَظْم الذي تحت الحاجب من الإنسان، والمَحنِيَة من الوادي؛ مُنْعَرَجُه حيث يَنْعطِف || «ضَعاضِع» و«اللتام» و«الطَّفّ» و«القفص»=

عَهْدِي بِهَا وَنَضِيرُ العَيشِ يَصْحَبُها ... وَالدَّهْرُ فِي غَفْلَةٍ وَالشُّهْبُ إِخْوَانُ[1]

نَشَأْتُ فِيهَا، وَرَوْضَاتِي وَمُرْتَبَعِي ... رَوْحُ الفَضِيلَةِ لا رَنْدٌ وَرَيْحَانُ[2]

أَرْتَاحُ فِيها إلى «خِلٍّ» فَيَبْهَرُنِي ... صِدْقٌ وَقَصْدٌ وَمَعْرُوفٌ وَعِرْفَانُ[3]

=و«قاعر» مسميات أماكن ووديان وشعاب في وادي مَحرَم حيث عاش الشاعر فيها مطلع شبابه || هتّان: المطر الضعيف الدائم. ومطر هَتُون: هَطُولٌ || بانوا: بعدوا ورحلوا. **معنى البيتين**: يُسائلُ البرق ـ مُذكِّراً إياه أن حناياهُ (بمجموع معانيها) من ضعاضع واللّتام والطفّ ـ هل بلغها وابلُ مطرك؟.. وهل أعالي القفص (وهو شعب وادٍ في الطريق إلى بلدة «قرقا» حيث كان يختلي في خلواته الصوفية مع زميله الشيخ أحمد بن سعيد بن خلفان الخليلي في مُعتزل بعيد يوجد به قاطور ماءٍ يتنزل من الوادي ويُسمع له لحن موسيقي)، يُسائلُهُ ـ هل تلك الذرى والمقراة مُعشبةٌ كمهدي بها في تلك الأيام؟.. وهل ما زال القاطنون في قاعر مقيمين هناك؟ أم أنهم ارتحلوا إلى مكان آخر؟ والبيتان يتدفقان حنيناً جارفاً إلى تلك المناطق والوديان والشعاب بأسمائها بالغة الدلالة؛ حيث قضى صباهُ بمعيّةِ صديقه في التمدرس والتصوُّف والانعزال عن العالم المحيط بهما.

(١) نضير العيش: نضارته واخضراره || الشهب: الشَّهَبُ والشُّهْبَةُ: لَونُ بَياضٍ، يَصْدَعُه سَوادٌ في خِلالِه؛ وقيل: الشُّهْبَة البَياضُ الذي غَلَبَ على السَّوادِ. **المعنى**: يعودُ مرَّةً أخرى إلى عهده بتلك المرابع والشعاب التي قضى فيها شرخ شبابه مع صديقه الشيخ أحمد بن سعيد بن خلفان الخليلي، مناغياً بوارق نونيّته: عهدي بها، يومَذاك، يصحبُها نضير العيش، حين كان الدَّهر في غفلةٍ، والشهبُ إخوانُ، وهي إشارة إليهِ وإلى صديقه، وقصد بالشهب: عمامتيهما اللتين يخالطهما سوادُ لحيتيهما في شرخ الصِّبا. والحقيقة أن كثيرين لم يُعطوا هذا البيت حقه من الشرح، وظنوا أنه قصدَ النجوم، رُغم أنها قابلة لتأويلها بذلك **المعنى**: أي أنهما شهابان أخوان، لكننا لم نستملح ذلك استقراءً لمساقات التعبير الشعري.

(٢) الرَّوْح: نسيم الرِّيح وشميمُها [لا بأسَ من رُوحِ الفضيلة، معنى مُرادِفاً؛ لكننا مِلنا إلى المُقابَلة بين الرَّوْح؛ شميم الرِّيح ضداً للرند والريحان] || الرَّندُ والرَّيحان: الآس؛ وقيل: هو العُود الذي يُتبخَّر به، وقيل: هو شجر من أشجار البادية وهو طيب الرائحة، والرَّيحان معروف. **المعنى**: لقد نشأت في تلك الرِّياضِ مع صِنوي وصديقي [الشيخ أحمد بن سعيد] حيث كان مرتبعنا معاً رَوحَ الفضيلةِ عُزلة تصُّوفٍ وخلوات ذكر، لا الارتياح لشميم الرَّند والرَّيحان.

(٣) خِلّ: من الخَليل المُحِبُّ الذي ليس في محبته خَلَل. وفي القرآن انحصَرَتْ في النبي إبراهيم: واتخذ الله إبراهيم خَليلًا؛ أي أحبه محبة تامّة لا خَلَل فيها؛ وقيل للصداقة خُلّة لأن كل واحد منهما يَسُدُّ خَلَل صاحبه في المودّة والحاجة. ففي القرآن: يمثل إبراهيم الفكر الإنساني في تطلعه إلى الحقيقة المطلقة عبر مراحل نضجه، فنراه يبحث عن معبوده في المحسوسات أولًا، ثم يترقى من خلال صفة الثبوت إلى التجريد، فتتجلى له الحقيقة. وبعض المتكلمين يرجعون في طريقة برهانهم على وجود خالق؛ إلى طريقة استنتاج إبراهيم أن الآفِلات ليست بآلهة، وذلك في النص القرآني المشهور:=

=«فلما جنَّ عليه الليل رأى كوكباً، قال هذا ربي، فلما أفلَ قال لا أحبُّ الآفلين» [سورة الانعام]، فالقرآن أشار إلى مراتب الكمال التي تحقق بها إبراهيم عليه السلام، فهو: صديق، نبي، رسول، إمام، وخليل الحق. أما عند ابن عربي: إبراهيم الخليل رمز لحقيقة الانسان الكامل، التي تجمع في كونها، من ناحية، جميع الحقائق الإلهية، ومن ناحية أخرى؛ المحَلّ والمَجْلى والمظهر الكامل للحق. وابن عربي يعتمد في بيان هذه المرتبة على كلمة «الخليل»: فالحق يتخلل صورة إبراهيم، وإبراهيم يتخلل جميع ما اتصفت به الذات الإلهية، فهناك تبادل في فعل التخلُّل، والدليل عليه تبادل ظهور كل من الحق والخلق بصفات الآخر، وليس المُتخلَّل والمُتخلِّل سوى الظاهر والباطن. وأبو مُسلِم قصد بالخِلّ صديقه الوفيّ الشيخ أحمد بن سعيد بن خلفان الخليلي || يبهرني: يُضيؤني ويدهشني ببراعته، وبَهَرَ القمرُ: أضاء حتَّى غلب ضَوْءهُ ضَوْءَ الكواكب. يقال قمرٌ باهِرٌ. وبَهَرَ الرجل: بَرَعَ. وأَبْهَرَ الرَّجلُ إذا جاء بالعَجَبِ. ابن الأعرابي: البَهْرُ الغلبة، وأبو مُسلم قصد مُعظم معانيها || القصد: العدل، وأيضاً تعني الرَبعة || عِرفان: العرفان لغة مَصدر عَرفَ، يَعرِفُ فهو عَارِف، والعِرْفان العلم. والعرفان في [التصوُّف] يقتصر على الناحية الدينية، وهي المعرفة التي تأتي قبالة البرهنة العقلية، ولذلك لا تخضع هذه المعرفة للأقيسة البرهانية، وإنما للذوق النفسي والتجربة الشعورية الخاصة بالإنسان. فالعرفان، إذن، هو الحصول على المعرفة عن طريق الكشف والإلهام والفيض، وهي طريقة ترتفع ـ عند أصحابها ـ عن تحصيل المعرفة من طريق البحث والبرهان، فهذا من شأن العلماء والحكماء، أما الطريقة الأولى فمن شأن العرفانيين. وعلى ذلك فالعرفان هو تحصيل المعرفة الدينية بطريقة غير خاضعة للمنطق. وقد دفع المتدينين إلى هذا المسلك أمران بحسب طبيعتهم: (أ): **أصحاب كتاب**: ليتجنبوا البرهة العقلية على صحة معتقداتهم، كالمتصوفة من الهندوس والنصارى والمسلمين. (ب): **غير أصحاب الكتاب**: وهؤلاء اعتبروا المعرفة الدينية تجربة ذاتية داخلية، ومن هؤلاء قبل الإسلام أفلاطون. وقد ابتدأ **العرفان** كحالة فردية، بمعنى ليس هناك عرفان واحد، بل عرفانات لانهائية بعدد العارفين اللانهائيين، ولكن كأي فكرة تتحول مع مرور الزمن من الممارسة الفردية إلى الاعتناق الجمعي، فوجد العرفان كتيار يحاول فهم «الأسرار الدينية»، وتفسير حركة الكون والوجود بها، وظل في معظمه على هذا الحال، فألفت حوله الكتب والرسائل التي تكرس تقليده. ثم بمُضيّ الدهور ارتقى العرفان مع البعض إلى دين؛ كالمانوية والمندائية. وكأي عمل غير منضبط منطقياً فإنه من السهل اختراقه، فدخل العرفان كثير مما هو لامنطقي غير مقيس، فولجته الخرافة والأسطورة والسحر والتنجيم والسيمياء والطلسمات وأسرار الحروف. والحقيقة أن القرآن لم يتعرض إلى موضوع العرفان مباشرة، إلا أنَّ العرفان جاء في القرآن بما يمكن أن يحمل عليه، ذ«معجزات الأنبياء» بحسب ما هو مطروح من تفسير يمكن أن تدخل في هذا السياق، وإن كان يمكن تأويلها بما يُخرجها عن العرفان. أما قضايا الغيب [كإثبات وجود الله والمآل الأخروي]، فقد أخرجها القرآن ذاته من العِرفانيّة إلى المنطقيّة البُرهانية. وأهم إشارة وردت إلى العرفان في القرآن كانت في سورة الأعراف بذكر أصحاب الأعراف، والتفسير السلفي الظاهري ينسب أصحاب الأعراف إلى المكان، فهي نسبة جغرافية، وعند بعض المتقدمين الأعراف هي حالة، فلا جدار=

فحَالَ حُكْمُ النَّوَى بَيْنِي وَبَيْنَهُمُ ... هُنا تَيقَّنْتُ أَنَّ الدَّهْرَ خَوَّانُ[1]

حتى مَتى أتقاضَى الدَّهْرَ قُرْبَهُمُ ... والدَّهْرُ يَهرَمُ والآمَالُ وُلْدَانُ[2]

حَتَّامَ يا دَهْرُ لا تُبقِي على بَشرٍ ... حُرٍّ، وَحَتَّامَ ضَيْمُ الحُرِّ إحْسَانُ[3]

أَكُلُّ رَأْيِكَ حَرْبِي أَمْ لَهَا أَمَدٌ ... فَإنَّ عَهْدِي وَلِلحَالاتِ أَلْوَانُ[4]

=فاصلًا بين الجنة والنار يقف عليه رجال يُعرفون بأصحاب الأعراف، وإنما هم «فئة من الخلق» متحركون «راجلون» وهي حركة معنوية وليست حسية بين الجنة والنار، «تكشفت» لهم معرفة بأحوال الفريقين. بيد أن هذا التأويل لم يحضر لدى المُفسرين إلا نادراً لغلبة «الذهنية التشخيصية التجسيديّة» لدى فرق الكَلف، وأهمهم أهل السنة المنظرون الأقوى في العلوم الدينية عند المسلمين. و«انكشاف» هذه المعرفة لم تُحَدَّد في القرآن، وقد حاول المفسرون أن يجدوا تأويلًا منطقياً لها، إلا أن أحوال الآخرة غير خاضعة للمنطق الدنيوي. . **المعنى**: تلك الرَّوضات والمرابع التي نشأتُ فيها كنتُ أرتاحُ فيها إلى أعز صديق كان يُضيؤني ويدهشني ببراعته في الرَّبعة والصداقة صدقاً وعدلًا ومعروفاً وعِرفان تَصُوُّنٍ لا يَنقطعُ في الله، وبالله. كأنّي به في هذا البيت المُؤكِّد لخصيصة العلاقة بينه وبين الشيخ أحمد بن سعيد ـ كأني به يستعيد بيت الحَلّاج: «كتبتُ ولم أكتُبْ إليكَ وإنّما | كَتبتُ إلى رُوحي بغيرِ كِتابِ»، تعبيراً عن عُمق العلاقة العِرفانيّة والرُّوحيّة التي جمعتهما.

(١) النوى: البُعد || خوّان: صيغة مُبالغة من كثير الخيانة. **المعنى**: لكنَّ البُعد والفراق حالَ بيني وبين أولئك الأحبة، فتيقنت أنَّ الدَّهر بجبلَّته خؤون خوَّان. **تلميح**: يوحي البيت بسذاجةٍ ظاهريّة، لكنَّ المُتمعِّن في صيغة الشطر الثاني: [هنا تيقنت]، تجعلُ المُتمَعِّن يعيد النظر كرَّتين في ظاهر البيت وبواطنه؛ فقد قصد الشاعر [بعد افتراقه عن خِلِّهِ الخليل] فجائعيّة نوائب الدهر التي لا يكترث المرء لها قبل حدوثها، وقد أراد بهذا التأكيد اليقيني أنَّ الدَّهر أصاب الشاعر في مَقتلٍ بفعل خيانته الذي ورد في صيغة المبالغة: خوَّان. كما أنَّ الصيغة التي استخدمها تعليلًا مُتمِّماً لفاجعة الفقد في الأبيات السابقة، ستصبحُ استهلالًا لما سيأتي من الأبيات التي يعدِّدُ فيها ملامته للدهر وخياناته للأحرار.

(٢) أتقاضى: يُقال: تَقَاضَيْته حَقِّي فَقضانِيه أي تَجازَيْتُه فجزانِيه. ويقال: اقْتَضَيتُ ما لي عليه أي قَبَضْته وأخذْته. واستَقْضاه: طلَب إليه أن يَقْضِيَه. وتَقاضاه الدَّيْنَ: قَبَضَه منه || الهَرَم: أقصى الكِبَر ومُنتهاهُ في عمر الكائنات || وُلدان: تفيد التجديد والتجدُّد، أصلها من الوليد والصبي. **المعنى**: وإلى متى أتقاضى قربهم من الدهر، وهو يرفض تحقيق أمنيتي حتى شاب وهرم، لكنَّ آمالي ـ كما كانت دائماً ـ ولّادةُ آمال.

(٣) حتام: حتى متى || الضيم: الظلم. **المعنى**: وحتى متى يا دهر لا تُبقي على الأحرار وتحسبُ ـ في شِرعتِك المُخاتِلة ـ أن ظلمَكَ لهم إحسانٌ وتفضلٌ مِنكَ عليهم.

(٤) الأمَد: المُنتهى والغاية كالمَدَى؛ يقال: ما أمَدُك؟ أي منتهى عمرك. جاء في التنزيل العزيز: ولا تكونوا كالذين أُوتو الكتاب من قبل فطال عليهم الأمدُ فَقَسَتْ قلوبهم. **المعنى**: يقولُ مخاطباً الدهر: هل تحكمك عليّ بمحاربتي ومعاداتي؟ أم أنَّ لحربك تلك نهاية؟ . . لأنني أعرف تغيُّر وتبدل حالاتك وألوانك، فهل ستعدل عن معاداتي وتسالمني يوماً ما؟

حُلَّ الـعِـقـالَ وَأَطْـلِقْـنِي إلـى سِـعَـتِـي ... فَـفِـي سُـجُـونِـكَ لِلمَـيْـدَانِ فُـرْسَـانُ[1]

يـا دَهْـرُ يـا بَـاخِـسَ الأَحْـرَارِ حَـقَّـهَـمُ ... أَعْـطِ الـعَـدَالَةَ؛ إنَّ اللهَ دَيَّـانُ[2]

فِيمَ التَّقَصِّي بِأَهْلِ الفَضْلِ، إنْ نَقَصَتْ ... حُسْنَاكَ زَادُوا وَإنْ شَانَ الوَرَى زَانُوا[3]

لا يَـثْـقُـلُونَ وَإنْ خَـفَّـتْ عِـيَـابُـهُـمُ ... عَنِ النَّدَى، وَلَهُم بِالحِلْمِ رُجْحَانُ[4]

أَخْـفَى غُـبَـارُكَ يـا دَهْـرِي مَـحَـاسِـنَـهُـم ... فَـإنْ دَعَـوْتَـهُـمُ فِـي نَـكْـبَـةٍ بَـانُـوا[5]

إنْ تَـعْـرِفِ الـحَـقَّ فِـيـهِـم لـم تَـذُدْ أَسَـداً ... عَـنِ الـوُرُودِ وَعَـيْـرُ الـحَـيِّ رَيَّـانُ[6]

يـا نَـاقِـلَ الـعِـيسِ مِـنْ عَـلْـيا «بَـدِيَّـةَ» حَـ ... ـيثُ «اليَحْمَدُ» الحَائِزُونَ المَجْدَ قُطَّانُ[7]

---

(١) **المعنى**: فكّ الحبل الذي ربطتني به وأطلقني إلى سعتي فيما اتسع من الأرض كي أتمكن من مُناصرة الإمام العادل، فطالما سجنت يا دهر فرساناً مكانهم ميادين الحروب، لا الزنازين.

(٢) باخِس: مُنتقِص || ديَّان: مُكافئ ومُجازٍ بالخير والشر. **المعنى**: وكُن عادلًا، يا دهرُ، في حق الأحرار الذين انتقصت من حقوقهم المشروعة، ولا تنسَ أنّ الله سيُجازي كُلَّ دهرٍ بما فعل.

(٣) **المعنى**: ولم تضايقُ أخيار القوم وأفاضلهم وأحرارهم المُصلحين؟.. رغم معرفتك بأنهم يكملون ويزيدون على حُسناك، كما تعرف أنهم كلما شانت مراتب الناس زانوا فضلًا وورعا وتقى وشجاعة.

(٤) لا يثقلون: لا يمتنعون ولا يتكأكؤون || عِيابُهُم: العَيبة وِعاءٌ من أَدَم، يكون فيها المتاع، وأيضاً ما توضع فيه الثياب؛ أي حقائب المتاع || الندى: الكرم. **المعنى**: هؤلاء الذين تضايقهم في الشاردة والواردة، لاكتشفت يا دهر، أنهم لم يمتنعوا يوماً عن كرمهم الفطريّ، وإن بدى لك فقرهم لخفةِ ما يَحملون من متاع، ناهيكَ عن جِلمِهم ورجاحة آرائهم السديدة. **تلميح**: مُفارقة البيت تكمُن في: لا يثقلون عن الندى وإن خفَّ متاعُ حقائبهم لفقرهم المُدقع.

(٥) **المعنى**: ومما يُؤسِفُ حقاً؛ أنَّ غبارك حجبَ محاسنهم؛ لأنك أخفيتها كما أخفيتهم زمناً طويلًا، وحين رجعت مُحتاجاً إليهم في النكبات لم تجدهم أمامك للمُناصرة لأنهم ابتعدوا بسبب إجحافك وحجبك لهم ولفضائلهم ومُروآتهم التي لا تُعدُّ ولا تُحصى.

(٦) لم تذد: لم تمنع || العَيْر: الحِمار. وفي المثل: «إن ذهبَ غَيرٌ فغَيرٌ في الرِّباط»، يُضرَبُ في الرِّضا بالحاضر وترك الغائب. **المعنى**: ولو كنتَ حقاً تعرفُ واجبات الحق وما يستحقونه لعاملتهم بعدالة، ولم تمنع الأسود الشجعان عن ورود الماء بينما حمير الحَيّ الثائبة ريَّانة لكثرة الورود. **تلميح**: قصد من مُعاتبته للدَّهر الجاحد التفريق بين من يريدون مُناصرة الإمامة ولا يستطيعون ذلك، رغم إدراكهم لأهميتها، ومن لم يُدركوا أهميّة المُناصَرة آنذاك.

(٧) ناقل العيس: الناقلة في الأصل؛ قبيلة تنتقل إلى أخرى، ونواقل العرب: من انتقل من قبيلة إلى أخرى، والنقلُ: سُرعة نقل قوائم الفرس، وتصحُّ على الإبل؛ قال كعب: «لهُنَّ، من بعدُ، إزقالٌ وتَنقِيلُ»، والمَناقِل، اشتقاقاً؛ هي المراحل في السفر || العِيس: الإبل || بديَّة: ولاية في المنطقة=

خَلِّفْ وَرَاءَكَ «عِزاً» و«المُضَيرِبَ» و«الـ ـدَّرِيزَ» وَ«القَابِلَ» الرَّاسِي بِهَا الشَّانُ[1]

=الشرقية تقع بين ولاية القابل ووادي بني خالد، وتضم عدة بلدات عاصمتها المُنترب، وقصد بعليا بديّة بلدة «الظاهر» القريبة لولاية القابل حيث ابتدأ الشيخ نور الدين السالمي رحلته لمُبايعة الإمام || اليَحْمَد: إضمامة قبائل تشملُ بني خروص وبني خليل والحُرث وسواهم من القبائل، وقد قصد في بيته هذا قبيلة «الحُرث» || قُطَّان: سُكَّان مقيمون. المعنى: انطلاقاً من هذا البيت؛ يبتدئ أبو مُسلم إنشادَهُ الشعريَّ المُمتدح لرحلة الشيخ العلامة نور الدين السالمي لمُؤازرة الإمام سالم بن راشد الخروصي انطلاقاً من بلدة «الظاهر» التي اختارها سكناً دائماً للإقامة فيها بعد مُكوثه في بلدة «القابل» دارساً في مدرسة العلامة المُحتسب الشيخ صالح بن علي الحارثي التي تتلمذ فيها أشياخ ذلك الزمان، ومنهم الإمام المُبايَع سالم بن راشد الخروصي، مُستخدماً في نقلته الشعريَّة نظيرها المُوازي في التراث الشعري الجاهلي: «يا ناقل العيس»، بكُلِّ ما تُشيرُ إليه مَناقِلُ الترحال، لتبدأ قافلة رحلة المُبايعَة من «أعالي بديّة»، كناية عن بلدة الشيخ نور الدين «الظاهر» المُحاذية لبلدة «القابل» في طريقها إلى المنطقة الداخلية مُروراً ببلدات وقرى ووديان طرق القوافل القديمة، جاعِلًا من تلك الرِّحلة التي يُخاطِبُ فيها «ناقِل العيس» مُتكأً جَمالياً صارخاً للتعبير عن حنينه العارم لحظة اجتياحه لفرائص أبي مُسلم الأسير طوعاً أو جَبْراً في زنجبار. لذا، فإنَّ هذا البيت مطلعٌ آخر لفريدته النونيّة التي تبدأ نقلتها الفنيّة ابتداءً من هذا البيت استنهاضاً لقبائل عُمان كافة كي يُناصروا الإمام العادل. والمُفارقُ أنَّ أبا مُسلم ـ كما أشرنا باقتضاب في تقديم القصيدة ـ أبان عن معرفة واعية بطبوغرافية عُمان وقبائلها القاطنة هنا أو هناك، مُستخدماً دهاء السياسيِّ المُحنَّك لِلَمِّ شملِ تلك القبائل المُتنازعة فيما بينها، مُشيداً بمناقب رجالاتها وأعيانها قبيلةً قبيلة وناحية ناحية، دون إجحاف لمجموعة قبلية على حساب أخرى. لذا سنرافق هذه الرحلة في طريقها إلى نزوى، «بيضة الإسلام»، لنكتشف فيما بعد أنها رحلة تتجاوز التأريخ الفعلي المُتبع لرحلة العلامة نور الدين السالمي، لتعُمَّ كافة أرجاء البلاد.

(١) عِزّ والمُضيرب والدريز والقابل: بلدات في ولاية القابل ترأسُها القابل. المعنى: بعد المُفتتح/ المطلع الثاني للقصيدة، يستمرُّ في مخاطبة دليل القافلة مُرشداً إياهُ إلى الطريق الصحيح بإشارات مَلّاحٍ مُتمرِّس يَبْنيها الشاعر من زنجبار؛ قائلًا له: بعد انطلاقك اتركَ وراءك بلدات الحُرث واحدة بعد أخرى: «عِز» و«المُضيرب» و«الدريز» و«القابل» الرّاسي بها الشانُ. والمُلاحَظ أنَّ أبا مُسلم تعمَّدَ اختصاص بلدة القابل الصغيرة بمديح قد يبدو مُبالغاً فيه، لكنَّهُ مديحٌ له ما يُبرِّرُه من حيث رُسُوُّ شأنها؛ لأنها أضحت مدرسة علم وفقهٍ بزَّتْ المدرسة النزوانية والرّستاقية [المُعادل العُماني ـ على غير قِياس ـ لمدرستي البَصرة والكوفة] في ذلك الزمان ـ لا لأهميتها قِبلةً تُؤمُّ ويُحَجُّ إليها، بل لأنها أضحت مدرسة عِلم وفقه قطنها العلامة المُحتسِب صالح بن علي الحارثي وجاورها في بلدة الظاهر نور الدين السالمي. وفي قوله: خلِّف وراءكَ عِزّاً والمُضيرب، إلخ.. حَثٌّ لدليل قافلةِ الشيخ الأعمى نور الدِّين لاستقبال الآتي في مُنتقَلِ ترحاله.

وَخَـلِّ «إبْـرَاءَ» أعْـلاهـا وَأسْـفـلَهـا حَيثُ القَطِينُ مُلُوكُ النَّاسِ قَحْطَانُ[1]

وَخُذْ بَأوْجُهِهَا عَنْ سَاحَتَي «سَمَدٍ» «مَيَاسِرِ» «الفَتحِ» حَيثُ الحَيُّ «كَهْلانُ»[2]

وَدَعْ وَرَاءكَ إنْ غَـرَّبْـتَ «أخْـشَـبَـةً» تَجْرِي المَجَرَّةُ فيها وَهِيَ «سَدْرَانُ»[3]

---

(١) إبراء: يقصد ولاية إبرا، ومَدَّها نُطقاً للضرورة الشعرية، وهي واحدة من الولايات المُنقسمة إلى «علاية» و«سفالة»؛ أي المُرتفع طبوغرافياً، قياساً إلى المُنخفض وفقاً لمجرى الأفلاج والوديان، وهو تقسيم تتسم به كثير من بلدات عُمان؛ فـ«العلاية» تسكُنها قبيلة المساكرة و«السفالة» تسكنها قبيلة الحُرث || القطين: السكانُ القاطنون فيها || قحطان: القبائلُ قحطانية الأرومة. **المعنى:** وفي طريقك تلك دع إبرا (سفالة وعلاية)، ليمتدخ أثناء عبور قافلة مُبايعة الإمام [حملة انتخابه، بالأحرى] كُلٌّ من سكنوا تلك الولاية من المساكرة والحُرث، جامعاً إياهم في نسبهم الأعلى: قحطان؛ فالحُرث من اليَحْمَد، والمساكرة (في شق منهم) من أولاد سليمة بن مالك بن فهم، كما مالَ إلى ذلك بعض النَّسّابة، ومنهم أيضاً قبيلة الإسماعيلي المُنضوية تحت القبيلة الأكبر: المساكرة.

(٢) سَمَد: تُعرفُ باسم سَمَد الشان، وهي بلدة تابعة لولاية المضيبي || مياسر: في الغالب تقصد بلدة المِيسْر، وهي إحدى القرى التابعة لسمد الشان، ويسكنها آل شبيب || الفتح: قرية أخرى تابعة لولاية المضيبي تسكنها قبيلة الحبوس || كهلان: نسب تُنسبُ إليه بعض القبائل. **المعنى:** وفي طريقك، خذ رواحلَ قافلتك الناخبة لإمامِها نحو سَمَد الشان، مروراً ببلدتي المِيسر والفتح.

(٣) أخشبة: يقصد بلدة «الخُشَيبَة»، وهي بلدة تابعة لولاية المضيبي، وأضاف إليها ألِفَ الإبتداءِ لاستقامة الوزن مع حذف اللام تخفُّفاً لتقترب في نطقها من الدارج العُماني: «الخُشَبه» || المَجرَّة: شَرَحُ السماء، يقال هي بابها وهي كهيئة القبة. وفي حديث ابن عباس: المَجَرَّةُ باب السماء وهي البياض المعترض في السماء والنُّسرَان من جانبيها. وأيضاً المجرَّة تعني المكان يتدرج في الانحدار حتى يسهل على الثيران جرُّ الدلاء لتفريغها من الماء، وهي «الجازرة»، كما تُدعى في الدّارج العُماني || سدران: أي غافلة عمّا يجري في مجرَّتها من حدث تاريخي فارق. سَدِرَ، سَدْراً وسَدَارَةً: تحيَّر بصره من شِدَّة الحَرّ، ولم يُبالِ ما يصنع؛ فهو سادِرٌ. ويُقال: هو سادرٌ في الغيِّ؛ أي: تائه. **المعنى:** المجرَّة تشبيه عجيب من الشاعر قصد به قافلة المُبايعة التي انطلقت سِرّاً من القابل، حيث كان أولُ لقاءٍ لملاقاة سواهم من العُلماء في إزكي لاحقاً، وقصد الشاعر بالبيت أنَّ بلدة الخشبة الصغيرة كانت سادرة لا تدري ما يحوم في الأفق من أمر جلل، وخطب عظيم حين وصلتها المَجرَّة وجرت فيها [تعبيراً عن موكب المُبايعة السِّري] في ليل مُدلهم (المُراجِع). **استطراد من نهضة الأعيان: تفاصيل الرحلة السِّريَّة:** في اليوم السابع والعشرين من شهر جمادى الأولى سنة ١٣٣١ للهجرة [٤ مايو، ١٩١٣]، خرج سيدي نور الدين من بيته بالظاهر من الشرقية، وأقام بقية الشهر بيته الذي بالقابل، ثم خرج منه في اليوم الثاني من شهر جمادى الثانية ١٣٣١ هـ [٩ مايو، ١٩١٣م]، فأقام بفلج مسعود [غربيّ بلدة المُضيرب]، وفي صحبته الشيخ سالم بن راشد الخروصي [الإمام الذي سيُبايع]،=

وَيَامِنِ «الدَّوْحَ» وَ«الخَضْرَاءَ» مُنتحِياً أفْنَاءَ «حَلْفِينَ» حَيثُ السُّوحُ «جَرْنانُ»[1]

=والشيخ عبدالله بن راشد الهاشمي، وحمود بن ناصر المعولي، وسالم بن ناصر الحبيشي، وابنه محمد شبية [مُؤلف نهضة الأعيان]، ثم راح عصر ذلك اليوم من فلج مسعود، فكان مبيته في المكان المعروف (أبو ظَلَمَا)، وقال في اليوم الثالث يقابل آل بوسعيد، فاجتمع فيها بأحد أصدقائه من الأعراب [البدو] حمد بن البليدي؛ القنّاص الجَحّافي؛ فأسرَّ إليه [أي نور الدين السالمي] أن يأتيه بإبل تحمله إلى تنوف دار هجرته، وأن يُلاقيه بها في بلد خشبة العزور، فخرج حمد لإحضار الإبل، وتوجّه نور الدين إلى المضيبي، وقد سبق وعد بينه والعلّامة أبو مالك عامر بن خميس الذي هو من بني مالك؛ فوافاه بالشارق؛ وهي بلدة من أعمال المضيبي، وبها وافاه صاحبه الخصوصي [صاحب نور الدين] أبو هُشيمَة سعيد بن عبدالله الهاشمي (وهو رسوله السِّريّ، ومن المُساعدين له على غرضه، وجاسوسهُ المُنتخب)، ثم خرجوا جميعاً غرة اليوم السادس من الشهر المذكور، فقالوا [أي قَبَلوا] ببلد الأخشبة، وفي ذلك اليوم أتاهم حمد القنّاص بالرِّكاب، فكان جُملة من اجتمع في رفقته ١٣ رجلًا: ١ ـ زعيم الأمة العُمانية، وهو رئيسهم؛ عبدالله بن حميد السالمي. ٢ ـ الشيخ سالم بن راشد بن سليمان الخروصي [الذي عُقدت عليه الإمامة]. ٣ ـ الشيخ الجليل عامر بن خميس المالكي. ٤ ـ الشيخ العلامة عبدالله بن راشد بن صالح الهاشمي. ٥ ـ الشيخ العالِم عامر بن عُلَيّ بن راشد الشيذاني الحبسي. ٦ ـ الشيخ العارف حمدي بن مُسَلَّم بن عبيد الحجري. ٧ ـ الشيخ الفقيه حمود بن ناصر المعولي. ٨ ـ الشيخ الورع سالم بن ناصر الحبيشي. ٩ ـ سعيد بن عبدالله بن خادم الهاشمي. ١٠ ـ حمد بن البليدي، القنّاص الجَحّافي الوهيبي. ١١ ـ سيف بن حميد ولد الصويغ الهاشمي. ١٢ ـ خادمه: خويطر بن زايد مولى الجحاحيف. ١٣ ـ إعرابي [طناف الرِّكاب]، لا يحضرني اسمه. ١٤ ـ محمد شبية بن نور الدين السالمي. عددهم عدد حروف النور، عدد ما ناف على المائة من السور خرجوا فرادى مُستخفِين، يتسللون تسلل القطا، فقد شاع في الناس اعتراض الأمير عيسى [بن صالح الحارثي] لنور الدين؛ أن يعدل عن هذا الطلب، فخرج مُستخفياً، وأسَرَّ إلى إخوانه المذكورين أن يجتمعوا ببلدة الأخشبة؛ فوافوه بها، وقبيل الفجر خرجوا منها، فقالوا [قَبَلوا] يوم السابع من الشهر المذكور ببلد العاقل (من بلدان العوامر) وراحوا منها بعد العصر، فعرَّسوا بـ «زكيت» (بلدة صغيرة قرب إزكي)، ومنذ وصل [أي نور الدين] العاقل أرسل إلى تلميذه الكبير أبي زيد عبدالله بن محمد الريامي الإزكوي، وكان يسكن إزكي، أنْ يُوافيه بمن عنده من الأعلام والمطاوعة. وفي غرة اليوم الثامن خرج من زكيت، وقال بالبزكَة، فوافاه أبو زيد [الريامي] عصر ذلك اليوم، وعنده من الشُّراة ستون رجُلًا كلهم شارٍ بايع نفسه لله. [راجع نهضة الأعيان، في المصادر والمراجع]. **ملحوظة**: نلاحظ، من سياق الشرح التاريخي لتلك الرحلة أنَّ أبا مُسلم مُلمٌّ بها (وهو في زنجبار)، وبنى عليها حركيّة نُونيّته واضطرامها.

(١) يامِن: خذ جانب اليمين || الدَّوح: إحدى مناطق البادية التي يقيم بها الجحاحيف من قبيلة وهيبة ||=

وَاعْمِدْ إلى «الجَوْفِ» وَاسْتظْهِرْ أسَافِلَهَا ... أرْضٌ لِعَامِرَ أهْلِ الفَضْلِ أوْطانُ[1]

وَافْرُقْ بها البِيدَ حَتَّى يَسْتَبِينَ لها ... «فَرْقٌ» على «بَيْضَةِ الإسْلامِ» عُنوَانُ[2]

=الخضراء: قرية خضراء بني دفاع الواقعة على طريق المسافر بين سناو وإزكي || مُنتحياً: والانْتِحاءُ اعْتِمادُ الإبل في سيرها على الجانب الأيسر || أفناء: ورجل من أفْناء القبائل أي لا يُدرى من أيّ قبيلة هو، شجرة فَنْواء إذا اتسعت وانتشرت أغصانها، وكذلك أفناء الناس انتشارهم وتشعبهم، وقصد كافة معانيها، دلالة على خصب وادي حلفين وتنوع القبائل التي تسكنه || حلفين: وادٍ ينبع من نهايات الجبل الأخضر ليمُرَّ بإزكي حتى مصبّه في بحر العرب في ولاية محوت || جرنان: اسمُ ولاية إزكي القديم، كما سبق ذكره. **المعنى:** وفي طريقك دع الدَّوح وخضراء بني دفاع إلى يمينك، وانتحِ بقافلتك يساراً صوب وادي حلفين حيثُ كافة السيوح هناك تقودك في مُنفسحها إلى إزكي.

(١) اعمِد: اقصُد || الجوف: حَوض المنطقة الداخلية الذي تصبُّ في جوفه شعابُ المُتفرِّقِ من وديان الجبل الأخضر || استظهِر: || أسَافِلَها: مُنحدراتها || أرضٌ لعامر: يقصد من سكن تلك النواحي في قلعة العوامر وحبل الحديد والحليْ والعَاقِل وسواها من القرى الفاصِلة بين حدود المنطقتين: الداخلية والشرقية من عُمان. **المعنى:** وبعد مُيامِنتكَ للخضراء، قاصداً وادي حَلفين استظهر ما تراهُ أمامكَ من أرض عامر التي استوطنوها، قبل ظهور مَهابَة المكان الجليل وعظمته الأسطورية في السُّيوح الفاصلةِ بين مُنطلَق الرِّحلة [م. الشرقية] ومُبتغاها [م. الدّاخلية] حيثُ تتمركز إزكي؛ البُؤرة التاريخية.

(٢) افرُق: شُقَّ وفرِّق || البيد: المفازات || فرْق: أتت هنا بمعنييها المُزدوجين: «فرق» البلدة الواقعة على تخوم نزوى، وتعني أيضاً معناها الفارق في اللغة مجازاً استعارياً مُعبِّراً عن عهود ظلامٍ لم تر أنوارَ زمن الإمام العادل الذي سيتربَّعُ مُرتبَع العدالة في قلعة نزوى || بيضة الإسلام: هي نزوى؛ وهو اسم عاصمة الإمامة، وأصل اسم البيضة الدِّرْع، وقيل الخوذة، ولطالما اتخذ العُمانيون نزوى درعاً أخيرة في ملماتهم التاريخية الكُبرى. **المعنى:** وبعد خروجك من إزكي/ جرنانُ افلقْ وشُقَّ المفازات في طريقك حتى تتراءى لك بلدة «فرق»: عنوان القصدِ والمَقصَدِ؛ بيضة الإسلام التي حَجَّ إليها الشيخ نور الدين السّالمي لتنصيب ومُبايعة الإمام العادل. ولا تخفى براعة الشاعر الذي جعل من بلدة فرق باسمها المُفارق عُنواناً رمزياً دالّاً على فحوى الرِّسالةِ قبلَ فتحِ مَظاريف المُبايعة [آلية الإنتخاب الديموقراطي، بلغة العصر]؛ فضلًا عن البُعد الطبوغرافي المُهيمِن على جغرافيّةِ مَنطقةِ الجوف بجلالِ عاصمة الأئمّةِ وترميز رسائلِ أئمّتها عبر العصور للأُمّةِ التي شقت وحدتها خلافاتها القبلية. أما بلاغة القول الشعريِّ فهي كامنة في اعتبارهِ بيضة الإسلام «رسالة الرِّسالات» المُنقذة بوَرَخي سُطورها للأُمّة، وتكييفِهِ لبلدة «فرق» كي تصيرَ العُنوان المكتوب على تلك الرِّسالة، فيا له مِنْ فَرْقٍ فارِقٍ ومُفارِقٍ أنْ يجعَلَ الشاعِر مِنْ مَدينة نزوى «مَهبط رسالات»، ويَجعلَ من بلدة «فرق» عُنوان تلك المَدينةِ الرَّسوليّة.

فَإنْ تَيَامَنَتِ الحَوْرَاءُ شَاخِصَةً ... لها مَعَ السُّحْبِ أكْنَافٌ وَأَحْضَانُ(١)

فَحُطَّ رَحْلَكَ عَنْهَا إنَّهَا بَلَغَتْ ... «نَزْوَى» وَطَافَتْ بِهَا للمَجْدِ أرْكَانُ(٢)

فَطَالَمَا وَخَدَتْ تَبْغِي لُبَانَتَهَا ... كَأَنَّهُنَّ مَعَ الإنْضَاءِ عُقْبَانُ(٣)

---

(١) الحوراء: جبل يقع على يمين المُسافر في طريقه من فرق إلى نزوى || شاخصة: قصد بها حَيد الجبل الشاخص يخرج منه فيتقدم كأنه جَناح || أكناف: أكناف الجبل والوادي: نواحيه حيث تنضم إليه || الحضن: الجنب، وحِضْنُ الجبل: نواحيه وما يُطيف به. **المعنى**: فإن تيامنت الحوراء ـ بعد عبورك لفرق ـ شاخصةً بأجنحتها تنظرُ من عَلٍ على نواحي الجبل بسُحبها المتعالية...

(٢) الرَّحل: مركب البعير وحمولته || أركان: والرُّكْنُ: الناحية القوية وما تقوّى به من مَلِكٍ وجُنْدٍ وغيره، وبذلك فسر قوله عز وجل: فتَوَلَّى برُكْنِه، ودليل ذلك قوله تعالى: فأخذناه وجنودَه؛ أي أخذناه ورُكْنَه الذي تولى به، والجمع أرْكان وأرْكُنٌ؛ أنشد سيبويه لرؤبة: وزَحْمُ رُكْنَيْكَ شديدَ الأرْكُنِ. ورُكْنُ الإنسانِ: قوّته وشدّته، وكذلك رُكْنُ الجبل والقصر، وهو جانبه. ورُكْنُ الرَّجُل: قومه وعَدَدُه ومادّته. وفي التنزيل العزيز: لو أنَّ لي بكم قُوَّةً أو آوِي إلى رُكْن شديد. **المعنى**: [تتمة البيت السابق] ...في تلك اللحظة، بعد بلوغ المرام، ألقِ عصا التسيار وحُطَّ رحلَكَ عن ناقتك (قافلتك، بالأحرى) ـ مُخاطباً دليلها؛ ناقل العيس ـ، لأنها بلغت قصدها المُراد: نزوى، وصار من حقها أن تُباهي بقية الرواحل والقوافل بلوغها أركانَ مجدها الذي سيؤرّخ في السِّير. وليسَ عسيراً على القارئ ملاحظة استخدامه القاطع لفكرة نهاية الرحلة ومُنتهاها في ابتداء الشطر الثاني من البيت الذي تبلغه القافلة ـ كما لو كانت تعبُرُ مفازة ـ بعد لأي، لتكتشف فجأة أنها بلغت «نزوى»! ورغم ما توحي به الدلالة السطحية أن المقصود بـ«وطافت بها للمجد أركان» ـ نزوى، لكنَّهُ مَطبٌّ شِعريٌّ باذخ؛ فأبو مُسلم يقصِدُ قافلة مُبايعة الإمام التي طافتْ أركانها حول مَجدها المُؤثَّل.

(٣) وخدت: الوَخْدُ ضربٌ من سَير الإبل، وهو سعة الخَطْو في المشي. يقال: وخَدَتِ الناقةُ تَخِدُ وخْداً؛ أي أسرعت. قال النابغة: «فَما وَخَدَتْ بِمِثْلِكِ ذاتُ غَرْبٍ | خَطُوطٌ في الزِّمامِ ولا لَحُونُ». ووخَدَ البعير يَخِدُ وَخْداً وَوَخَداناً: أسْرَعَ ووَسَّع الخَطْو؛ وقيل: رمى بقوائمه كمشي النعام || لُبانتها: اللُّبانة الحاجة من غير فاقة ولكن من هِمَّة || الإنضاء: الهُزال || عُقبان: جمع عقاب، وهو من الطيور الجارحة. **المعنى**: وقد آن لتلك الراحلة أن تستريح بعد مسيرها الشاق من المنطقة الشرقية إلى المنطقة الداخلية، في خبَب إسراعها اللاهث (وهي تُوسِعُ مَجالَ خطوِها في طريقها) ـ لها حقُّ استحقاقِ حاجتها التي سعت إليها. لكنَّ حاجتها ـ المُستشفَّة من سِياق الأمثولة الشعرية ـ ليست كحاجة سواها من الرَّواحل كَلأً ومشرباً عذباً؛ بل غذاؤها الرُّوحيّ المُتوخى من إسراعها في مَسعاها؛ كما لو كانت تستنبط وتُؤوِّلُ هدف الرحلة، لدرجة أنَّ من يراها، من يرى جِمال تلك القافلة من بعيد، يخالها ويحسبها لشدَّة الهُزال عُقباناً مُحلقة في الفيافي التي تذرعُها بأجنحةِ الرُّوح العطشى للفضيلة والعدالة. والصورة الشعرية بالغة الفوتوغرافية والتخييل الجموح، ولا تُماثلُ شيئاً عدا ذاتِها في=

انْزِلْ ـ فَدَيْتُكَ ـ عَنْهَا إنَّ حَاجَتَهَا ... عَدْلٌ وَفَضْلٌ وَإنْصَافٌ وَإحْسَانُ

انْزِلْ ـ فَدَيْتُكَ ـ عَنْهَا إنَّ وِجْهَتَهَا ... تَحْتُ الأئِمَّةِ مُذ كَانتْ وَمُذ كَانُوا[1]

هُنَالِكَ انْزِلْ وَقَبِّلْ تُرْبَةً نَبَتَتْ ... بِهَا الخِلافَةُ وَالإيْمَانُ أيْمَانُ[2]

=تخيُّلِ قافلةٍ مُرفرفةٍ في ماء السَّراب، كعُقبانٍ مرفرفةٍ على ضحضاحِ المُتخيَّلِ في ظهيرة لاهبة، وهي صورة شعرية تستمدُّ يُنبوعَ شعريَّتها من المُتلازمة الفاتنة في إحالة الواقع إلى المُتخيل، وإحالة المُتخيل إلى الواقع في جُملة: «كأنَّهُن مع الإنضاء عُقبان»؛ فشرطُ الصورة السَّرابيَّة المُتخيَّلَة هو «واقِعُ» هُزالِ تلك النوق الذي استطاع أن يُجرِّدها من صُورتها الواقعية: كائنات أرضية ضخمة أشبه بالفيلة في التصاقِ أطنانِ خِلْقتها بالأرض، لتصبحَ بعدَ رحلةِ المُبايَعة أقرب ما تكون للجوارح المُرفرفةِ بأجنحة أرواحِها التي تخلَّصتْ من أثقال الأرض وأوحالها التي دَبَّت عليها أثقلُ الكائنات. والمُفارقة بمجازها وبُلغةِ بلاغتها اللامطروقة، واحدة من الأسباب التي جعلتْ الثُّريَّة، فيما نحسب، أثراً شعرياً خالداً فيما «توقعه» الشاعر وما «تخيَّلَهُ» من تصاعُد كثافتِها الشعرية التي ستطغى بحُبِّ مواطنيهِ الفائضِ في سُموِّهِ على مَوضوعَتي «الواقع» و«الخيال» الشعري في انفرادهما موضوعتين تحملُ كُلٌّ منهما نقيضها، وهي ذات الفكرة المائحة من مستويات ومراقي الخطاب الصوفي حول الباطن والظاهر.

(١) تخت: أصلها وعاءٌ تُصانُ فيه الثياب، وهي فارسية استخدمها العرب. وتعني، فيما تعنيه، المكان المُرتفع لجلوس الوُجهاء، تستخدم كمقابل للعَرش، واستخدمها الشاعر عن قصد في وصفه لمَجالس الأئمَّة تحاشياً لاستخدام مُفردة العرش بظِلالها الدُّنيوية التي ابتذلتها وتهابَطت بها من سُمُوِّ العرش الرَّباني. معنى البيتين: لذلكَ انزلْ عنها ودعها تستريح قليلًا من وعثاء سفرها، لأن حاجة قافلتك ليست كحاجة سائر القوافل في بُرٍّ أو شعير، بل فضلٌ وإنصافٌ وإحسانٌ لم تعتدهُ في مواسم ترحُّلها العاديِّ، وهي مُثقلةٌ بغُبَار الآفاق ومُؤنهم بين سُوح البلاد ومفاوزها.

(٢) الخِلافة: قصد بها العودة الرَّمزيَّة للخلافة الرَّاشدية مُمثلةً في عُمر وأبي بكر واستمراريَّتها ـ وفق مُعتقد الإباضيَّة ـ صيرورة وسيرورة في أئمَّةِ عُمان || الإيمان: ضد الكُفر، وتعني التصديق، ضدُّه التكذيب. يقال: آمَنَ به قومٌ وكذَّب به قومٌ || الأيْمَان: اليَمِينُ؛ الحَلِفُ والقَسَمُ، والجمع أيْمُنٌ وأيْمان. المعنى: ولا يكفي أن تنزل فحسب من راحلتك وحسب؛ فكما قامت بَدورها عليك أن تقوم، أنت الآخر، بدورك المَنوط بك وُجُوباً: تقبيلُ التربة التي نبتت فيها الخلافة الحَقَّة والإيمان الحقُّ [كما عهدناهما في عهد عُمر وأبي بكر حيث أزهرت قيَم العدل المُستعادة هنا، في بيضة الإسلام، بعد انقطاعها في دُوَلٍ تُوُورِثتْ فيها الخلافة]؛ فاقسِم واحلف بعد بُلوغكَ الغاية على إيمانِكَ بخلافة الإمام الذي انتخبتهُ الأئمَّة، فالقسَمَ ـ في حَدِّ ذاتِه ـ إيمانٌ مُؤكَّدٌ لإيمانك باستمرار الخلافة الراشدية. [وردت في مُعظم النسخ المُتوافرة، بما في ذلك مخطوطة ١٣٣٢ هـ (١٩١٤م): إيمانٌ وإيمانُ، ولم=

انْـزِلْ عَـلَى عَـرَصَـاتٍ كُـلُّهـا قُـدُسٌ لـلحَـقِّ فِـيـهِـنَّ أزْهَـارٌ وَأفْـنَـانُ[1]

انزلْ على عَتَبَاتِ النُّورِ حَيثُ حَوَتْ أَئِمَّـةَ الـدِّيـنِ قِـيـعَـانٌ وَظُـهْـرانُ[2]

=أعتقد بصحَّتها، وما ورد في الشرح هو تخريجة من عندي تَحتملُ صَوابَها وخطأها]. **تلميح**: نلاحِظ، هنا، تعدُّدَ مُستويات الخطاب؛ فكما كانت الرِّاحلة المَمدُوحَة في صَدر القصيدة تُشيدُ في الباطن الذي لم يُفصَح عنه في تخوم القول الشعري ورسالته برحلة نور الدِّين التالمي، نجدُها في الظاهر تُخاطِبُ المُواطِن المُنتخِب ـ بكسر الخاء ـ تعميماً للرِّسالة الاستنهاضيَّة [المُفتتحَة بالرِّحلةِ المُؤسطِرَة لنور الدّين السالمي] إظهاراً واستظهاراً لباطِنِ القول المُستتر في تضاعيفِ الكلام. لذلك يُفصِحُ الخطابُ النُّونيّ ـ نسبة إلى النُّونيّة ـ عن مَكنونه ليتمَظهر في تعميمِ القول وينسحِب، تالياً على كافة أتباع الإمام المُنتخَب، عبر آليّةِ المُبايَعة. وتلك حيلة شعريّة لا تُجيدُها سوى فطنة أبي مُسلم؛ فمن يقرأ مَسْرَدَ أبيات المَطلع لن ينتبه إلى تحوُّلِ رمزيَّةِ كُلٍّ من (المُخاطَب، تخصِيصاً في المُفتَتح البارق)، و(المُخاطَب، في الجَمهَرة بعد هَطلِ الوَحْيِ الماطر بخصب العَدل)، وتلك سِمَة بلاغيّة، ومُبتدَع انتِخابيّ لا يُجيدُهُ ولا يُتقن عريكَتهُ، وعورة قول مغموس في سَلاسَته سِوى شاعر كأبي مُسلم.

(١) عَرَصات: كل بُقْعةٍ بين الدور واسعةٍ ليس فيها بناء؛ قال مالك بن الرَّيْب: «تَحمَّلَ أصحابي عِشَاءً، وغادَرُوا | أخا ثِقَة، في عَرْصةِ الدارِ، ثاوِيا». والعَرَصاتُ: جمع عَرْصة، وهي كل موضع واسع لا بناء فيه. **المعنى**: وفي تلك العَرصات التي آمرُكَ بالنزول فيها والقسمِ بإيمانك بين دُورها القدُس المُتقدِّسة والمُقدسةِ تُربة مُباركة؛ ستجد أنَّ للحقِّ في ساحاتِها دوحَةً مُزهرة بأكثر من زهرةٍ وفَنَنٍ يُعيدانِكَ إلى حَياةِ الحَياةِ التي افتقدتها، والتعبيرُ في مُجمله إعلاءٌ وإكبار من شأن بيضة الإسلام.

(٢) العَتَبَات: عَتَبات الدُّرْجة: [مَراقيها]، كلُّ مِرقاةٍ من الدُّرْجة عتَبة. العَتَبَةُ: أُسْكُفَّةُ البابِ التي تُوطأُ؛ وقيل: العَتَبَةُ العُلْيا. والخَشَبَةُ التي فوق الأعلى: الحاجِبُ؛ والأُسْكُفَّةُ: السُّفْلى؛ والعارِضَتانِ: العُضادَتانِ، والجمع: عَتَبٌ وعَتَباتٌ. والعَتَبُ الدَّرَج. وعَتَّبَ عَتَبةً: اتخذها. وعَتَبُ الدَّرَجِ: مَراقِيها إذا كانت من خَشَب؛ وكلُّ مِرْقاةٍ منها عَتَبةٌ. وفي حديث ابن النَّخام، قال لكعب بن مُرَّةَ، وهو يُحدِّثُ بدَرَجاتِ المُجاهد. ما الدَّرَجةُ؟ فقال: أما إنَّها ليستْ كعَتَبةِ أُمِّك أي إنها ليست بالدَّرَجة التي تَعرِفُها في بيتِ أُمِّكَ؛ فقد رُوِيَ أنَّ ما بين الدرجتين، كما بين السماء والأرض. [وردت في الأصل المُعتمد (عَذبات)؛ وتعني فيما تعنيه أطراف السيوف، وعَذَبةُ اللسان: طَرَفُه الدقيق، كما أنها وردت في نسخة «نهضة الأعيان» (عزبات)، وفي اعتقادنا أنها عَتبات، وقد غيَّرتها أقلامُ النُّسّاخ؛ لأنَّها الأنسب والأكثر مُلاءمَة للمَعنى، فيما نحسب، ناهيكَ عن الشائع تعبيراً عن عَتبات النُّور، وعدم عُثورنا في عَذَبات مايُفيدُ المعنى صراحةً، كما تعودنا مِن أبي مُسلم الذي لا يَضعُ مُفردة إلَّا وكان شاهِدُهُ سَبّاقاً إليها، كما أنني وجدت تحتها خطأً خفيفاً في مخطوطة ١٩١٤، يفيد استغراب ورودها ممن سبق وقرأها]|| قِيعان: القاعُ والقاعةُ والقِيعُ: أرض واسعةٌ سَهْلة مطمئنة مستوية حُرَّةٌ لا حُزُونةَ فيها ولا ارْتِفاعَ ولا=

حَيثُ المَلائِكَةُ احتَلَّتْ مَشَاهِدَهُم لَهَا عَلَى الحِلِّ وَالتَّعْرِيجِ إِدْمَانُ[1]

=انْهِباطَ، تَنْفَرِجُ عنها الجبالُ والآكامُ، ولا حَصَى فيها ولا حجارةَ ولا تُنْبِتُ الشجر، وما حوالَيها أَرْفَعُ منها وهو مَصَبُّ المِياه || ظُهْران: الظهر من كُلِّ شيءٍ خلاف البطن، وأراد به ما ظهر ونتأ من الأرض، خلافَ ما غارَ منها في القيعان. المعنى: انزل على عتبات النور التي حوت أئمّة الدين بما ظهر منها من فيوض عدل الأحياء من الأئمة، وما استبطنته الأرض في جوفها، وقصد به نورانية مراقد الأئمة. إشارة تلميحية: لا نرى بأساً في الأخذ بما ورد في «نهضة الأعيان» المُستنسخة عن المخطوطة، لا سيَّما أنَّ الإمام عليّ بن أبي طالب أشار إلى ذات الاصطلاح في حديث الاستسقاء آنف الذِّكْر، وباليسير من المُخيِّلة المُتحفزة للاستنتاج لن نُعدَمَ حُجَّةً وحَجَّةً ـ في قول أبي مُسلم ـ واعتماده على حديث علي بن أبي طالب، فيما لو تداركنا التأويل المُنغلق فيما أورده أبو مُسلم في قصيدته «النهروانيَّة» بانحيازهِ إلى «باطِنِ» الحَقّ، رغم ما أظهَرَتْهُ القصيدة في «ظاهِرِها» الذي لا يُعوَّلُ عليه في خَطْفةِ التأويل. وكما قال الشيخ مُحيي الدين ابن عَرَبي: «كُلُّ مَعرِفةٍ لا تنوِّعُ لا يُعوَّلُ عليها»، و«كُلُّ امتزاجٍ لا يُعطيكَ أمراً لم يكُنْ عندكَ مِنْ قبلِ وُجُودِهِ، لا يُعوَّلُ عليه» ـ لكنَّنا نُعوِّلُ كثيراً على امتزاج ما قالَهُ أبو مُسلم لعليّ بن أبي طالب في قصيدته النَّهروانيَّة، لاعتقادِنا بسَبْكِهِ المُضمَر في «نهروانيَّته» الخالِدَة لمقولةِ جلال الدِّين الرُّومي: «إنَّ الدَّمَ ليَتفجَّر مِنْ فمي مع الكلمات» في مُعاتبته الشفيفةِ للإمام عليٍّ حول ما حدث في موقعة النهروان، وانثيالِ أبي مسلم في أغراضها الشعريَّة المُتَسرِخة لمَوقِفِهِ من عِلَّةِ الخِلافِ المَذهبيِّ ومَعلولِه، كما قال ـ جلال الدِّين الرُّومي ـ مُضيفاً: «لقد حَبستَ المَعنى الحُرَّ الطليق، وبذلك جعلتَ الهواءَ أسيراً للحُروف»، وفي ذلك إشارة تأويليَّة لباطِنِ «النهروانيَّة» المُناقِض لِظاهرها الشائع. واستطراداً في القول؛ نعتقدُ أنَّ أبا مُسلم قرأ ومَحَّصَ أفكار كبار المُتصوِّفة؛ ولم يَكتفِ بمَسلك شيخه سعيد بن خلفان الخليلي المائح من حُجَّة الإسلام وابن الفارض. لذلك لن يكُون غريباً ـ في سِياق مُطوَّلةِ هذه الحاشية ـ أنْ نستنتجَ استنتاجاً «نُورانيّاً» ـ ولو كُنا أرضِيِّينَ ـ لا نحسبُ أنهُ خفيَ على الشيخ أبي مُسلم (وإن لم يُظهِرْهُ ليَظلَّ في بَواطِنِ مَعرفة العِرفان) ـ فيما لو قرأنا، على سبيل المِثال: [موقف ما يَبْدُو] للشيخ محمد بن عبدالجبَّار النِّفري: «أوقفني فيما يبدو فرأيتُه لا يبدو، فَيخفى ولا يخفى فيبدو ولا معنى فيكون معنى، وقال لي: قِفْ في النار، فرأيتُه يعذبُ بها، ورأيتها جنةً، ورأيتُ ما ينعم به في الجنَّةِ هو ما يعذبُ بهِ في النار». وخُلاصَة المُبتغى والمُراد مِنْ هذه الإطالَة هو التأكيد والتوكيد على إيمان أبي مُسلم بالشَّق الرُّوحي المُتمَثل في الإمام المَمدوح وحَواريِّيه، ناهيك عن مُعتقدِهِ الذي لا يدحضُهُ داحضٌ بفكرة اعتقاده المُصطفى باصطفائهم من لدُن العليِّ القدير، رَفعاً لهُم ولمَكانتهم أحياء وأمواتاً؛ وهو البُعد البَاطنيُّ المُضمَر في تلاقُحِ أنوارِ النُّونيَّة إلى جانِبِ بُعدها الاستنهاضيِّ الظاهر في أبياتها الاستنهاضيَّةِ الأخرى.

(١) مَشاهدهم: مواطنهم وأماكنهم التي أقاموا فيها، والمَشهد محضر النَّاس ومجمعهم || الإدمان: المُعاقرة، كإدمان شارب الخمر. المعنى: هذا البَيت تفسيريٌّ يُؤكِّدُ ما ذهبنا إليه في شرح البيت=

أَرْضٌ مُـقـدَّسَـةٌ قَـدْ بُـورِكَـتْ وَزَكَـتْ تَـنْـصَـبُّ فِـيـهَـا مِـنَ الأَنْـوارِ مُـعْـنـانُ[1]

=السابق؛ فهو يقول: أنَّ الملائكة احتلَّتْ أماكنهم التي أقاموا فيها أحياء وأمواتاً (قيعاناً وظُهراناً) تبرُّكاً بمقاماتهم الرَّفيعة لدى الواحد الأحد؛ ورغم واجباتهم [أي الملائكة] المناطة بهم في بقاع أخرى من الأرض، إلَّا أنَّ زوراتهم لمواطنهم وأماكنهم التي ألفوها أحياء لا تنقطع، تماماً كزياراتهم المستمرة لمقابر الأئمَّةِ بعد رحيلهم؛ لشدَّةِ إدمانِهم عليها هبوطاً عُلوياً من السَّماوات وتعريجاً عليها في طريق عودتهم. **تلميح**: يتضح صفاء البُعد الصُّوفي العَميق في تعبيره: «لها على الجِلِّ والتعريج إدمان»، مُوائماً ومُزاوجاً بين المُصطلح الصُّوفي المُعبِّر عن السُّكْر بالله، وامتداد ذلك السُّكْر إلى المَلائكة الذين وجدوا «خانتهُم» الأرضيَّة في بيضة الإسلام يُعرِّجون عليها، وَمِنها يُعرِّجون صُعوداً نحو السموات بعد نشوتهم الرُّوحيَّة، فضلًا عن البُعد الشِّعري الخلاق الذي أبطَنهُ أبو مُسلم في هذه الأبيات للتعبير عن إعجابه بمُبتدعات خمريَّات الشعراء الأرضيِّين كأبي نُواس، ناهيك عن تأثره الواضح بسيرة وشعر الحسين بن منصور الحلَّاج، وسواهُما من شُعراء العصر العباسي ـ لكنَّ هدفه لم يكُن الإلماح لحالة سُكْر دُنيويّ، قدر تصريحِهِ ـ بل واستفزازه في بعض أبيات النونيَّة ـ للذائقة السَّائدَة آنذاك في «بيضة الإسلام» بتعاليمها المُتشدِّدَة التي لا تتقبَّلُ نزوعاً إلى ما بدا لأولي الأمر «خروجاً» يسرح ويمرح على رصيف الصراط المُستقيم. لكن أبا مُسلم ـ كما نرى ـ لم يأبه بذلك وقالَ ما أراد قوله في عَقرِ نونيَّتِه بلغتِه التي لم يَستطِع فُقهاءُ ذلك العصر أن ينبسوا بكلمة تجاه ما بدا لهم «تجديفاً» غير مُستساغ في ظاهر القول، لأنهم يُدركون أنَّهُ صادرٌ من عِرفان عارفٍ ببواطنه؛ تماماً كما عَرَفت الملائكَة طريقها إلى مقابر الأخيار والأولياء والأئمَّة التي أدمَنتْ على زيارتها إدمانَ مُعاقِر الخمر.

(١) زكت: الزَّكاء؛ النَّماء والازدهار || مُعْنان: المَعْنُ والمَعِينُ: الماء السائل، وقيل: الجاري على وجه الأرض، وقيل: الماء العذب الغزير، وكل ذلك من السُّهولة. والمَعْنُ: الماء الظاهر، والجمع مُعُنٌ ومُعُناتٌ، ومياهٌ مُعْنان. **المعنى**: فبيضة الإسلام (نزوى) أرض مُقدَّسة بوركت ونمت وازدهرت تنصَبُّ فيها الأنوار سائلة كانصباب الأمطار الغزيرة. **تلميح**: ثراء الصورة الشعرية محبوسٌ في نقيضه؛ انصباب مَعِينِ الأنوار التي سَيَّلَها الشاعر في دفقه الشِّعري كما يسيل الماءُ العذب، وقوة الاستعارة مُكثفة في مفردة «مُعنان» وارتباطها مباشرة، دون وسيط تشبيهي، بالنور السائل مُنصباً من سماء الله. وهذا ما يجعل المعاني المجردة في مقام المحسوس، تقوم بوظيفتها الشعرية خارج أقنوم دلالتها المحدَّدِ بمحدوديَّةِ تلك الدلالة الناشئة عن تواتر العلاقة المنطقية بين الدَّالِّ والمَدلُول. فنواة البُنية الشعرية داخليَّة تستمد طاقتها التخييلية من عناصرها، وليس عبر التشبيه المُحيل إلى المقارنة، وفي ذلك تأبيدٌ للجوهر الشعريِّ قياساً بريقِ مُحسِّناته البديعيَّة. فالاستعارات التقليدية في الشعر الكلاسيكي لم تستطع الصمود أمام فتوحات الشعرية الحديثة؛ تلك التي أفسحت المجال لمجازات المُتخيَّل أن تطلقَ عنان/ مُعنان آفاقها الحبيسة في ضيق محدوديَّة المعنى حين ينفصلُ عما يستطيع خلقه من ترادفات تكون نتائجها خلَّاقة في صُهارة التكوين الشعري والجمالي، كما هو الحالُ في مُعنانِ أنوار هذا البيت.

مـا طَـارَ طَـائِرُهـا لله مُـخْـتَـسِـبـاً ... لَهُ جَـنَـاحَـانِ إِيْـقَـانٌ وَعِـرْفَـانُ[1]

إِلّا وَقَـامَ يَـمِـيـنُ اللهِ سَـاعِـدُهُ ... وَالـفَـتْـحُ وَالـنَّـصْـرُ وَالـتَّـأْيِـيـدُ أَعْـوَانُ[2]

مَـيْـمُـونَـةٌ بَـرَكَـاتُ اللهِ تَـنْـفَـحُـهَـا ... وَالـيُـمْـنُ يُـثْـمِـرُهُ عِـلْـمٌ وَإِيـمَـانُ[3]

رَسَـتْ بِـهَـا هَـضْـبَـةُ الإِسْـلامِ مِـنْ حِـقَـبٍ ... وَإِنْ قَـضَـتْ بِـاسْـتِـتَـارِ الـعَـدْلِ أَحْـيَـانُ[4]

---

(١) إيقان: اليَقَن واليَقين: زَوال الشَّكِّ، وقصد به تناهي الإيمان || العِرفان: المعرفة الباطنية بذات الله. **المعنى**: قصد بطائر تلك الأرض المقدسة عُلماءها رجال العُزوم وطُلاب العدالة المُحتسبين يُرفرف بأنوَاتِهم النورانيّة جَناحان: اليقين الإيماني والمعرفة الباطنية بالذات الإلهيّة المُتعالية.

(٢) **المعنى**: وما طار طائرٌ تلك الأرض المُقدسة [وهُم أنقَتُها الحافظون لقدسيّة بيضة الإسلام]، إلّا وكان توفيق الله ويُمنهُ ساعداً أيمَن لذلك الطائر؛ أما الفتح والنصر والتأييد فهيَ ـ من باب أولى ـ أعوانٌ مُؤازرة له في مَسعاه النُّوراني. **تلميح**: لا يَنِي الشاعِرُ في نونيّتِهِ عن المُزاوجة بين اللين والقسوة، سطوة الخطاب في بُعده الباطني، وانثيال خِفَّته الظاهريّة، مشفوعةً بمُسلماتٍ لا خلاف بشأنها. ففي الشطر الأول يتحدث عن [الباطن]؛ وهو الطائر الميمُون مُتحققاً في الإمام بجناحيه إيقاناً وعِرفاناً، وفي الشطر الثاني يُخاطب جُموع الجَمهرة بما عهدته في الغزوات الإسلامية الأولى وفتوحاتها [الظاهرة]، ليظفرَ بتأييدها للإمام عبر ربطه الوثيق بين الآية القرآنية وبين المُبتغى المُتوخى منهم، على اعتبار أن الفتح والنصر [والتأييد] ثلاثة عناصر تتكاتف معاً في مُعاونة ما سبقَ لطائر الله المُحتسِب أن قامَ به جناحاه المجدول ريشهما من إيقانه وعرفانه.

(٣) **المعنى**: وتلك الأرض المُقدَّسة ميمونةٌ لأنَّ الله نفحها ببركاته، ويُمنُها ثمرة لاتحاد الحُسنَيَيْن: العلم والإيمان في صُدور أخيارها من الأئمة وأعوانهم المُجاهدين المُحتسبين لدنياهم وآخرتهم.

(٤) رست: استقرَّت || هضبة الإسلام: الهَضْبَةُ: كلُّ جَبَلٍ خُلِقَ من صخرةٍ واحدةٍ؛ وقيل: كلُّ صخرةٍ راسيةٍ، صُلْبةٍ، ضَخْمة؛ أي: الجَبَلُ المُنبسِطُ على الأرض، أو جَبَلٌ خُلِقَ من صَخْرَةٍ واحِدَةٍ، أو الجَبَلُ الطويلُ المُمْتَنِعُ المُنْفَرِدُ، ولا يكونُ إلَّا في حُمْرِ الجِبال. **المعنى**: وليس غريباً شأن بيضة الإسلام المُقدَّسة؛ فقد رست سفينة الإسلام الحق في صخورها الصلبة حقبة بعد حقبة، دون أن تتنكَّر لعبادهِ الأولى، وإن استتر العدلُ فيها أحياناً؛ فتلكَ مشيئة الخالق وحِكمتهُ التي لا تؤوَّل. (يتضمن البيت إشارة إلى انقطاع الإمامة نحو أربعين عاماً ونيّف في الفترة الفاصلة بين مقتل الإمام غزّان بن قيس والإمام الجديد سالم بن راشد الخروصي، كما يتضمَّن إشارات لبعض زعماء القبائل الذين طغوا بسلطانهم وجبروتهم في تلك الحقبِ وما سبقها في القرون الأولى خلطاً مِنهم بين الزعامَتين: الدينية والقبليّة). **تلميح**: رغم أنَّ الإشارة إلى استتار العدل ليست من صالح خطابه الاستنهاضي، لكنه يستخدمها آليّةً دفاعيّة لصالح استنهاضه، مُذكراً قومَهُ بأنَّ مشيئة الله كانتْ دائماً تُظهِرُ العدلَ بعد حقب الظلم والجبروت، وعليهم أن يدركوا أن هذه مرحلة جديدة لقيام العدالة، عليهم استثمارها ما أمكنهم ذلك.

قَـدِيـمَـةُ الـذِّكْـرِ عَـاذَ الـدِّيـنَ عَـائِذُهـا مِـنْ يَـومِ أَصْـبَـحَ تَـوْحِـيـدٌ وَقُـرْآنُ[1]

قَـامَـتْ بِـهَـا قُـبَّـةُ الإِسْـلامِ شَـامِـخَـةً حَـتَّـى تَـوَاضَـعَ «بَـهْـرَامٌ» وَ«كِـيـوَانُ»[2]

---

(١) عاذ: لاذ فيه ولجأ إليه واعتصم به. والعُوذةُ والمَعَاذَةُ والتَّعْوِيذُ: الرُّقية يُرْقى بها الإنسان من فزع أو جنون لأنه يعاذ بها || أصبح: بمعنى صار. **المعنى**: في البيت تأكيدٌ على المكانة الرُّوحية لبيضة الإسلام وقدسيّتها المُضاف إليه، ضِمناً، في خطاب التوكيد ذكرها القديم مُذ أدركت البشريّة القرآن والتوحيد في أسفار الأولين. وهي بفضل هذا الدين أضحت محروسة [عاذ الدِّينَ عائذُها] مذ كان توحيد وقرآن، وهو يستخدم عاذ بمعنيها: لجأ واعتصم به، وتعويذة أو رُقية تحميها من الهلاك والدمار بعد دخولها حضيرة الإسلام. **تلميح**: نلاحظ أنه استخدم مفردتي «توحيد» و«قرآن» جنباً إلى جنب، تبريراً لذكر بيضة الإسلام/ نزوى قديمة الذكر، ولذلك أسبابه، فالتوحيد قديم قبل ظهور الإسلام، لكنه أراد الإشارة والإلماح إلى مرويّات الكُهّان والأحبار اليهود والنصارى حول ظهور نبيٍّ في جزيرة العرب مُعجزته كلماتُ الرَّب، خلافاً لمعاجز موسى وعيسى وسواهم من الأنبياء؛ لذا فإنَّ ربطه بين المُفردتين (إلى جانب ذكر نزوى)، لم يأتِ جُزافاً، كما قد نعتقد في ظاهر ضحضاح التفسير المُخالِفِ لباطنِهِ في بطن الشاعر.

(٢) بهرام: كوكب المريخ || كيوان: كوكب زحل. **المعنى**: خلافاً لاعتقاد سائد أنَّ أبا مُسلم يُشيرُ إلى أسماء ملوك أو قادة فرس في هجماتهم على عُمان، لاعتقادنا أنه، في الغالب، قصد الكواكب والنجوم في قبابها السماوية التي بدت له مُتواضعة أمام قبة الإسلام الشامخة في نزوى، لا سيما أنه يُشير في بيتيه السابقين إلى قدم ذكرها في حِقَب الأولين. وفي هذا دليل على اطلاعه بعلم الفلك وعلم الهيئة، وهي عُلوم مُوازية لاهتماماته بالطرق الصوفية وحساب النجوم والرِّياضات ذات البُعد التصوُّفي. فالأسماء التي أوردها هي أسماء فارسية للنجوم، وقد كان للعرب قبل الإسلام معرفة فلكية انحدرت إليهم من تراث أجدادهم، بالإضافة إلى ما أخذوه من الأقوام المجاورين لهم كالكلدانيين والفرس والسريان المُلمّين بمواقع النجوم وسيرها التقريبي بالملاحظة اليومية واستدلوا بذلك على فصول السنة، ناهيك عن معرفتهم للكواكب والنجوم بأسمائها العربية أو الفارسية أو الكلدانية (مثل المريخ الذي عرّبوه من الاسم الكلداني البابلي: مردوخ، ثم في فترة لاحقة استعاروا أسماء من الفارسية مثل: كيوان؛ برجيس؛ بهرام؛ أناهيد التي أطلقوها على زحل والمشتري والمريخ والزُّهرة على التوالي. وفي تقديرنا التأويليّ المُتواضع؛ أنَّ الشاعر أراد الإعلاء من شأن قبّةِ الإسلام مُعادلاً دهريّاً يتساوق شموخاً كقباب الكون الفلكيّة. ومما يُسهم في توكيد ما ذهبنا إليه انتفاء مُناسبة ذكر قُوّاد الفرس ومُلوكهم [كما قال بذلك بعض الشُّرّاح]، لتقارن القبّة الشامخة في بيضة الإسلام بقرينها الفلكيّ وليس بما لا تصحُّ المُقارنة به من ملوك وقواد الفرس الذين دخلوا عُمان في فترات مُتأخرة، قياساً إلى ما أراده الشاعر من إعلاء مكانتها قبل ظهور الإسلام، ولا أدلَّ على ذلك من قلعة بهلا المجاورة بحصنها الحصين المبني قبل ظهور الإسلام؛ إذ أنها كانت مدخلاً غربيّاً للعاصمة نزوى في تلك العصور، تُيامِنها إلى الشرق كل من سمائل [سَمَوأل] وإزكي [جرنان] بتواريخهما التي فُقدت تفاصيلها للأسف.

وَلَم تَـزَلْ عَـرْصَـةٌ لِلعَـدْلِ، عَـاصِـمَـةٌ ... لِلاسْـتِـقَـامَـةِ فِـيـهَـا الـدَّهْـرُ سُـلطَـانُ[1]

كـم أشْـهَـرَ اللهُ فِـيـهَـا مِـنْ حُـسَـامٍ هُـدًى ... كَـأنَّـهَـا لِسُـيـوفِ اللهِ أجْـفَـانُ[2]

كِـنَـانَـةٌ لِسِـهَـامِ اللهِ مَـا فَـرَغَـتْ ... مُـذْ كَـانَ لِـلجَـوْرِ سُـلطَـانٌ وَشَـيْـطَـانُ[3]

بِـحُـجَّـةِ اللهِ قَـامَـتْ فِـي الـشِّـقَـاقِ لَهَـا ... بِـدِيـنِ ذِي الـثَّـفَـنَـاتِ الـحَـبْـرِ إيـقَـانُ[4]

---

(١) **المعنى**: ولم تزل هذه المدينة ساحة للعدل وعاصمة للاستقامة، لا سُلطان عليها سوى ديمومة الدَّهر. **ملحوظة**: قدر ما أحب سمائل وأفرد لها بيتاً من الشعر في نونيّته (سمائلٌ فهي للسلطان سلطانُ)، نجده في هذا البيت المُتقدِّم يخصُّ نزوى بسلطانها الحاكم، وهو الدَّهر الشاهد على ديمومتها وبقائها عاصمة دهريّةَ الشأنِ لا تمحو شأنها القَساقِطُ والمَطارِحُ اللاحِقة، لِتعِلَّةٍ بيَّنها الشاعر في صدر البيت، قبل بلوغ خُلاصته التاريخية في عَجُزه: عَرْصَةَ عَدْلٍ وعاصمة استقامة!

(٢) جَفْنُ السيف: غِمدُه. **المعنى**: وليس ذلك بغريب على بيضة الإسلام. ولك أن تتساءل عمَّن أشهرهم اللهُ سيوفَ عدل وهِدايةٍ في قلعتها وساحاتها المُتاخمة، كما لو لم تكُن هذه المدينة المُقدَّسة سِوى أغمادٍ لسُيوف اللهِ التي لا تُنتضى من جُفونها إلّا لتحقيق عدالته. **تلميح**: بلاغة البيت ورِقَّتِها المَجازيّة المُوازية مُستثمَرة في نقيض مَحمُولها الدَّلالي؛ بساطة استعماله لمُفردة: «أجفان» التي تعني، بداهَةً، غمد السَّيف، لكنها تُحِيلُ (مِنْ طرف خفيٍّ) إلى لُطفِ وحساسيَّةِ حَملةِ تلك السُّيوف في مدينتهم المُقدَّسة؛ لدرجةِ أنكَ تحسَبُ ـ وأنت تقرأ البيت ـ أنها مَدينة مَهَمَّتها هَذْهَذة سُيوفِ الله وإغماض جفني عينيها عليها سيفاً بعد آخر؛ لتستريحَ كافة سُيوف الله بعد يوم شاق في المعركة التي لا هدف لها سوى استواء العدل إعلاءً لكلمة الواحد الأحد. وهي استعارة شعريَّة نادرة؛ حيثُ شبَّهَ بيضة الإسلام بمجموع سهلها ووعرها، قاحلها والمُستزرع في ضواحيها بجِباءِ جلديٍّ هائِلٍ تأوي إليهِ كافة سُيوف اللهِ في معموره؛ لتستريح بعد معركة شاقةٍ ضد أعدائه.

(٣) الكنانة: جَعْبة السِّهام تُتَّخذُ من جُلود لا خَشب فيها أو من خشب لا جلود فيها، والكِنُّ: كلُّ شيءٍ وَقَى شيئاً فهو كِنُّه وكِنانُه. **المعنى**: لذلك أضحت [مدينة، بجموع مجموعها] جعبة لسهام الله لم تفرغ أبداً من السِّهام، مُذ كان للظلم في الارض سُلطانٌ يَقمعُ العِباد باسمه وشيطانٌ نَديدٌ مُؤلِّبٌ لإظهار ما في قلبه من جور على عباد الله المُؤمنين.

(٤) الشِّقاق: بالكسر تعني؛ العداوة بين فريقين والخلاف بين اثنين، سُمِّيَ ذلك شِقاقاً لأن كل فريق من فِرْقَتَي العداوة قصد شِقَّاً أي ناحية غير شِقِّ صاحبه || ذي الثَّفنات: الثَّفِنةُ من الإبل: التي تَضْرِب بثَفِناتها عند الحلب، وهي أيسر أمراً من الضَّجُور. والثَّفِنةُ رُكْبةُ الإنسان، وسُمِّي عبد الله بن وهب الراسبي ذا الثَّفِنات لكثرة صلاتِه، ولأنَّ طولَ السجود كان أثَّرَ في ثَفِناته، وهو من قصده أبو مُسلم || الحَبْر: معناه العالم بِتَحْبِيرِ الكلام والعلمِ وتحسينِه. وحَبَّرتُ الشيء تَحْبِيراً إذا حسَّنْتَه. قال أبو عبيد: وأما الأحْبارُ والرُّهْبان فإن الفقهاء قد اختلفوا فيهم، فبعضهم يقول حَبْرٌ وبعضهم يقول حِبْرٌ، وقال الفرَّاء: إنما هو حِبْرٌ، بالكسر، وهو أفصح، لأنه يجمع على أفْعالٍ دون فَعْلٍ، ويقال ذلك للعالم، وإنما قيل كعب الحِبْرِ لمكان هذا الحِبْرِ الذي يكتب به، وذلك أنه كان صاحب كتب. قال: وقال=

لِسِرِّهَا وَاخْتِصَاصِ اللهِ قَائِمِهَا ... بِالنَّصْرِ، وَالفَتْحُ بُرْهَانٌ وَبُرْهَانُ[1]

تَعَاقَبَتْ خُلَفَاءُ اللهِ مَنْصِبَهَا ... مُنذُ «الجُلَنْدَى» وَخَتْمُ الكُلِّ «عَزَّانُ»[2]

أَئِمَّةٌ حُفِظَ الدِّينُ الحَنِيفُ بِهِم ... مِنْ يَومِ قِيلَ لِدِينِ اللهِ أَدْيَانُ[3]

=الأصمعي لا أدري أهو الجبْرُ أو الخَبْر للرجل العالم؛ قال أبو عبيد: والذي عندي أنه الخَبر، بالفتح، ومعناه العالم بتحبير الكلام والعلم وتحسينه. قال: وهكذا يرويه المُحدِّثون كلهم، بالفتح. [تعمّدنا، هنا، إيراد المعنى القاموسي الشائع، لكنَّ ما أراده أبو مُسلم هو صيغة مُبالغة تُعلي من مكانة عبدالله بن وهب]. **المعنى**: تأكيداً لمكانةِ هذه المدينةِ وقدسيَّتها، يُشيرُ الشاعر إلى حُجَّةِ وجودِها بفضلِ حُجَّةِ الله حين قامت لها مكانة لحظة الشقاق والعداوة بين المُسلمين، تيمُّناً بتلك الحُجَّةِ الإلهية ومذهبِ الحَبرِ العلامة عبدالله بن وهب الذي استحق كُنيتهُ الشهيرة: ذا الثفنات لشدة خشونة مَفاصِل رُكَبه وأطرافه لكثرة التعبُّد. وإلماحته، هنا، تُذكِّرُ الأذهان بموقف عبدالله بن وهب الذي ارتأى عزل مُعاوية بن أبي سفيان وعزل الإمام عليٍّ بن أبي طالب (الذي عزلَ نفسهُ تلقائياً بقبول التحكيم). **ملحوظة**: البيت برُمَّتِه إعلاءٌ لموقف الإباضية من تلك المسألة التي أشار إليها أبو مُسلم في أكثر من قصيدة، لا سيَّما في قصيدته «النهروانيَّة». والحقيقة أن أبا مُسلم ـ في هذا البيت ـ تأخذه الحَميَّة لمَذهبه، خلاف ما اعتدنا عليه من تسامح في قصائد أخرى، وما يُبرِّرُ له انشغالهُ بموضوعة النَّهروان ـ في اعتقادنا ـ هو انهمامه بحشد كُلّ ما أتيحَ لهُ من معرفة تاريخانيَّة تُسنِدُ وتُعلي من شأن قضية انتخاب إمام عادل سيعيدُ لعُمان العدالة بعد حقب الظَّلام والظُّلّام.

(١) **المعنى**: وهو تتمَّة للبيت السابق؛ ـ وذلك لسِرٍّ اختصَّت به هذه المدينة (الماثحة من اختصاص الله الذي أقامَ صيرورتها وديمومتها بالنصر)؛ أما الفتحُ فهو نتيجةٌ وبُرهانٌ يتلوه بُرهانٌ إثر بُرهانٍ مُؤكِّد على سِرِّها المَحفوظ بخصيصة الإختصاص الرَّباني. [ورد البيت في مخطوطة ١٩١٤م كالتالي: «لسِرِّها واختِصاصِ الله قائمها | بالنَّصرِ والفتحِ بُرهانٌ وبُرهانُ»، وقد تأمَّلنا مَليّاً في الصِّيغة المُقترحة في المخطوطة؛ لكننا آثرنا ـ اجتهاداً، وقياساً ـ فصلَ الفتح عن النصر (المَجرور، سياقاً نحويّاً) ليصيرَ الفتحُ ـ بضمِّ الحاء ـ بُرهاناً مُضاعفاً على نتيجةٍ يَسهُلُ توقعها في سياق البيت بعد حدوث واقعة النَّصر؛ لذلك وضعنا في المَتنِ فاصلةً مُباعَدَة بينهما؛ وهو اقتراحٌ جَمَاليٌّ للقراءة من عِندِيّاتنا لا نُلزِمُ بهِ أحداً، لكننا أوردناهُ، كما أوردنا ما يُناقضُه، ليس في الأصل المُعتمد وحَسب، بلْ في أقدم مخطوط للنونيَّة].

(٢) **الجُلندى**: يقصد الجلندى بن مسعود || عزان: يقصد الإمام عزان بن قيس. **المعنى**: ومنصب هذه المدينة المُقدَّسة تعاقبه خُلفاءُ اللهِ المُحتسبون في أرضه ابتداءً بالإمام الجلندى بن مسعود بن جيفر بن جلندى أحد بني الجلندى بن المستكبر، وهو أول إمام بويع في عُمان عام ١٣٢هـ (٧٥٠ م) واستشهد في جلفار على يد خازم بن خزيمة أحد قواد الدولة العباسية حتى آخر الأئمَّة عزان بن قيس بن عزان بن قيس بن أحمد بن سعيد الذي بايعه الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي ليُقتل بعد نحو عامين انقطعت إثرها الإمامة نحو أربعين عاماً ونيِّف، حتى بُويعَ الإمام المَمدوح في القصيدة؛ سالم بن راشد الخروصي.

(٣) **المعنى**: هؤلاء ومن خامَرَ مُغامَرتهم هُمْ أئمَّة الدين الحنيف الذين حُفِظت مرجعيَّته السَّليمة بهم؛=

صِيدٌ، سُرَاةٌ، أُبَاةُ الضَّيْمِ، أُسْدُ شَرًى شُمْسُ العَزَائِمِ أَوَّاهُونَ رُهْبَانُ[1]

=منذ اليوم المشؤوم الذي تفرَّق فيه المُسلمون وأصبحوا شِيعاً ومذاهب. ولا يخفى للمُتمعِّن في مضامين البَيت تألم وحُزن أبي مُسلم من فرقة المُسلمين كافة إلى سُنة وشيعة وسوى ذلك من المذاهب التي كانت نتيجتها ـ كما جاء في البيت ـ تعدُّديَّة دين الله الواحد إلى أديان/ مذاهب شتى. **ملحوظة**: هكذا إشارة تحتمل أكثر من تفسير؛ فدين الله هو الإسلام، وأصبح بعد اختلاف المذاهب فِرقاً وشِيعاً يُكفِّرُ بعضها بعضاً، والبيت يُلمِّحُ، ولو من بعيد، إلى أنَّ دين اللهِ (في حقيقته) واحدٌ أحدٌ، كما هي ذات الله الواحد الأحد. ولو أردنا الاسترسال في تأويل اتساع ما أضمره البيت من تِعِلّات؛ لتجاوزنا المذاهبَ الإسلاميةَ؛ لتعميم المعنى على كافة المُوحِّدين من يهودٍ ونصارى اختلفوا، بدورهم، في شِقاق وانشقاق مَذاهبهم.

(١) صِيد: جمع أصيَد؛ وتعني المَلِكُ في القوم، وسمِّيَ بذلك لقلَّة التفاتِه || سُراة: تعني المروءة والشرف، قال الشاعر: «تَلْقَى السَّرِيَّ من الرجال بِنفسه | وابنُ السَّرِيِّ، إذا سَرَا، أَسْرَاهُما»؛ أي أَشْرَفُهما || أباة الضَّيم: الإباء: أن تعرض على الرجل الشيءَ فيأبى قبولَه || الضيم: الظلم || أسد الشرى: موضعٌ تُنْسب إليه الأُسْدُ، يقال للشُّجْعانِ: ما هُمْ إلا أُسودُ الشَّرى || الشُّمُس: المانع لظهره. قال الأخطل: «شُمُسُ العَداوةِ حتى يُستَقادَ لهم | وأَعْظَمُ الناسِ أَحلاماً إذا قَدَرُوا». وشامَسَه مُشامَسَةً وشِماساً: عاداه وعانده || أوَّاهون: كثيرو التأوه من خشية الله || رُهبان: الرَّاهِبُ؛ واجِدُ رُهْبَانِ النَّصارَى، ومَصْدَرُهُ: الرَّهْبَةُ والرَّهْبَانِيَّةُ، أو الرُّهْبَانُ، قد يكونُ واحِداً، وقصد باستعارته المعنى من النصرانية؛ أنهم منقطعون إلى عبادتهم. **المعنى**: البيتُ مُكرَّس لمديحهم؛ فهم مُلوك وأشراف لا يقبلون المظلمة في العِرْض، وآساد مانعون لظهورهم وأفئيتهم من اعتداء غاشم مُعتدٍ أو مُستجرئ عليهم من رَعاعَةِ الناس ومُقطاعهم؛ بفضل عزائمهم الوقادة، وفوق سيرتهم النهارية تلك؛ تراهم في الليالي المُدلهمَّةِ أوَّاهُون كرُهبانِ الكنائس النصارى لشدة تعبُّدهم، فيما يتأوَّهُون خوفاً من التقصير في حقِّ الخالق، رغم أنهم باعوا أنفسَهم سَلفاً ليشتروا مرضاته بفعل الخير ودفع الظُّلام. **إشارة تاريخية**: فيما يتعلق بدعم الحجريِّين لنشر العلم في فترة ما بين إمامة عزان بن قيس وإمامة سالم الخروصي: طالَبُوا الشيخ صالح بن علي الحارثي بانتقال الشيخ الفقيه حمد بن سليمان اليحمدي للعيش معهم في بدية ليكون مُعلماً وقاضياً ومُفتياً لهم، واشتروا له منزلا ومزرعة حتى يكون في غنى عن السؤال. لذلك تجد الأوقاف الكثيرة من المياه والنخيل والبيوت في كل بلد من بلدانهم فكان يُدفع للمُتعلمين مُخصصات شهرية تعينهم على التعلم حتى إنك تجد أبناء البدو يتعلمون القرآن والكتابة لحاجتهم للمال. ومما يذكر أن الشيخ السالمي طلب من الفاضلة سالمة بنت سلطان بن عبيد الحجري مالا يُعينهم على تنصيب الإمام سالم وقال لها إن تم الأمر فسنأخذ المال للقيام بأمور الدولة وإن لم نوفق فسنرد المال إليك فقالت له: ما يخرج من عندي شيء في سبيل الله لا يرجع إليَّ، ولكنْ تصرَّف به في نشر العلم. يُذكر أيضاً أن عامر بن حمد الحجري أوصى بأثر ماء لشراء الكتب. ومن كثرة الأوقاف فُرِضَ للمُتعلمين: قرش فضة لدارس كتاب «تلقين الصبيان»، و«المُلحَة» قرشان، والألفية ٤ قروش، ومع ذلك فاضت غلة الأوقاف ١٦٠٠ قرش، هذا فضلا عما يتقاضاه المُعلِّمون. ولهذه=

سُفْنُ النَّجَاةِ هُدَاةُ النَّاسِ قَادَتُهُمْ ... طُهْرُ السَّرَائِرِ لِلإِسْلامِ حِيطَانُ[1]

تَقَيَّلُوا مِدَحَ القُرْآنِ أَجْمَعَهَا ... إذا اسْتَحَقَّ مَدِيحَ اللهِ إِيمَانُ[2]

جَدُّوا إلى البَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ فَلَمْ ... يَفُتْهُمُ فِي التُّقَى سِرٌّ وَإِعْلانُ[3]

=الأسباب اتخذ نور الدين السالمي بدية مسكنا له لما لمسه من تشجيع العلم وتكفل الأوقاف بمصاريف المُعلمين والمُتعلمين، وهذا ما يشير إليه أبو مُسلم بقوله «أزاهُون رُهبان»، والحقيقة أنَّ الفقيه الأديب محمد بن راشد بن عزيّز الخصيبي في كتابه «شقائق النعمان على سُموط الجُمان» يتوسَّعُ في ذكر الأفاضل من أهالي بديّة، قائلًا: «وفي بديّة من الحَجريين عُلماء وأخيار وكُتاب وأطباء، وقد بحثتُ عنهم الشيخ العالِم علي بن سالم بن ناصر الحَجري، ساكن [بلدة] الحُويّة ليكتب لي أسماءهم بالتفصيل». **تلميح**: صحيح أن بعض مُفردات التديُّن المسيحي واليهودي دخلت في المُصطلح الإسلامي، رغم تحاشي بعض المُتفيقهين لها؛ إلّا أننا نجد أبا مُسلم يَحفظ لها مكانتها اللغويّة والدّلاليّة، ولا يَستنكِفُ استخدامها في أكثر من قصيدة، بل يُعوّلُ عليها مُصطلحاً رائجاً في ثقافة ذلك العصر ليشدَّ بها عَصبَ المُبتغى من كافة إمكانات تأويل قصيدته، دونما إقصاءٍ للآخر، وتلك مَزيّة تمنى المَرءُ لو حظيَ بها المُتأخرون مِمَّن حاولوا تفسير قصائده لتناسب أهواءهم [المذهبيّة الضيّقة] في تضييقها على المُتسّع في مُنفتح المُتسّع من التأويل.

(١) **المعنى**: وهم ـ إلى جانب ما سبق أنْ ذكرناه ـ سُفُن نجاة مُنقذة للغرقى في بُحيرات المعرفة ومُحيطاتها، وقادة الناس وهُداتُهم بسرائرهم الطاهرة، كما أنهم ـ إلى جانب ذلك ـ حيطانٌ منيعة وقلاعٌ حصينة تُسوِّدُ بصالح الأعمال بَياضَ صفحةِ الإسلام الحقِّ وعدالته المفتقَدَة في حواضر هذه الأمّة المُستضعفة. **ملحوظة**: البيت مُكتنز بفضائل مَمدوحيه المسرودة بلغة صافية سهلة ـ كما قد يبدو لقارئه ـ في ضحلِ التأويل المُتسرِّع، لكنه مُشتغلٌ عليه، شِعرياً، بحنكة لمّاحة واقتضاب وتكثيف يَخذلان البلاغة ذاتها.

(٢) **تقيّلوا**: تقيّلَ الشيء؛ إذا نزَع إليه في الشَّبه، والقصد هنا مُشابهتم سُلوكاً لمدائح القرآن في بعض الأولياء والأنبياء. **المعنى**: ولذلك شابهوا، بل كانوا طبق الأصل من مدائح القرآن في تشبيهم بها. وكما نلاحظ؛ ففي البيت استصغار مُبطَّن قُصِدَ به إظهار الإكبار؛ فقوله: «إذا استحق مديح الله إيمانُ»، في الشطر التالي أراد به الإعلاء من شأن إيمانهم في مِدحته؛ ليستثني في عَجُز البيت ما رَسَّختهُ صفاتهم وسلوكياتهم المُطابقة للمدائح المذكورة في القرآن الكريم عن صفات الأوّلين ـ إن استحقَّ الإيمانُ مديحَ الله؛ فتقيُّلُهم وتشبُّههم بمدائح القرآن يَستحقُّ ـ في نظر الشاعر ـ مَديحَ الخالق لصفاتهم وسُلوكهم؛ وإنْ تأخروا زَمَناً طويلًا عن أحقيّتهم باستضافة الله لهم في أنوار مَدائحهِ التي تمثلوها ـ دون سِواهُم ـ وطبّقوها بحذافيرها في أزمنة الجور؛ إعلاءً لكلمة الله.

(٣) **المعنى**: لقد اجتهدوا، تُقى وطاعة، في بلوغ الباقيات الصالحات؛ وهي ما يبقى من صالح العمل للمرء بعد مماته، ولم يَفُتهُم في مَسْرَى التُّقى إعلانُ ثُقاهُم ـ حيث وجب ذلك ـ أو التحفظ عليهِ في سرائر نفوسهم؛ فهم في جِبلّتهم كانوا كما كانوا في ورع من الله في الحالين: سِرّاً مكشوفاً وإعلاناً مُضمَر الغايات لصالح المَربُوب، قبلَ مَصالحِ ذواتهم الأخرويّة.

عَـلَى الـحَـنِـيـفِـيَّـةِ الـزَّهْـرَاءِ سَـيْـرُهُـمُ ... وَالـوَجْـهُ وَالـقَـصْـدُ إِيـمَـانٌ وَإِحْـسَـانُ[1]

بِـسِـيـرَةِ «الـعُـمَـرَيـنِ» اسْـتَـلأَمُـوا وَسَـطَـوا ... لِشَـرْبَـةِ الـنَّـهْـرَوَانِ الـكُـلُّ عَـطْـشَـانُ[2]

صُـعْـبُ الـشَّـكَـائِـمِ فِـي ذاتِ الإِلَهِ فَـإِنْ ... حَـنَـاهُـمُ الـحَـقُّ عَـنْ مَـكْـرُوهَـةٍ لانُـوا[3]

---

(١) الحنيفيّة: الحنيف هو المُسلم المُستقيم؛ ومعنى الحنيفيّة [إطلاقاً] في اللغة: المَيْلُ، وأصل المعنى أنَّ إبراهيم حَنَفَ إلى دينِ اللّه ودين الإسلام! وقد أُخِذَ الحَنَفُ من قولهم رَجُل أَحْنَفُ ورِجْلٌ حَنْفاء، وهو الذي تَميلُ قدَماه كلُّ واحدة إلى أُخْتِها بأصابعها. والحنيفيّة: مِلّة الإسلام في عُمومِها. || الزهراء: مأخوذة من البياض؛ ورجل أَزْهَرُ أي أبيض مُشْرِقُ الوجه. والأزهر: الأبيض المستنير. والزُّهْرَةُ: البياض النَّيِّر. وفي حديث عليّ، عليه السلام، في صفة سيدنا رسولِ الله، صلى الله عليه وسلم: كان أَزْهَرَ اللَّوْنِ ليس بالأبيضِ الأَمْهَقِ. [وقصد أبو مُسلم استقامَة الإباضية الخفاقة برمزها اليتيم في رايتهم البيضاء]. المعنى: وسَيرُهم ومسعاهم واضحٌ لا لبس فيه كسيرتهم الوضاحة، لأنهم مُلتزمون بصفاءِ حنيفيّتهم البيضاء التي تنضحُ بها وُجُوهُهم، كما يشفُّ عنها بياضُ المقصدِ إيماناً وإحساناً في سعيهم لنصاعته بلوغاً في عصا التسيار لذُرى الإشراقة النورانيّة المُنتظرة دائماً وأبداً في أحد المُنعطفات التاريخية.

(٢) العُمَرَين: أبو بكر وعُمر بن الخطاب، وقد غُلِّبَ عُمَر لأنه أَخَفّ الاسمين || استلأموا: يُقالُ لبس لأمَته؛ أي: إذا لبس الرجل ما عنده من عُدّةٍ رُمحٍ وبَيْضَةٍ ومِغْفَر وسَيفٍ ونَبْل؛ وجميعها عُدَّة حَرْب. والمُلأَمَ، بالتشديد: المُدَرَّع. واللُّمْ: فِعْلٌ من المُلاءَمة، ومعناه الصلح. || سَطوا: السَّطْوَةُ: القهر بالبطش والعقاب || شربة النهروان: إشارة مِلحاح إلى معركة النهروان بين الإمام عليّ بن أبي طالب ورَفضة التحكيم، وقصد بالشربة؛ دماء من شُفِكت أرواحهم في تلك المعركة. المعنى: كانت قلوبهم وما زالت على مبدأ الحنيفية الزهراء مُدَرَّعِين في سطوة الحق ويُسْرِهِ بسيرة عُمر وأبي بكر؛ لأنهم ما زالوا عُطاشى إلى شَرْبَة صافية من معركة النهروان التي ذهبَت بالأخيار من صحابة رسول الله؛ علَّهُم يستعيدونها شهادةً بزكِيّ دمائهم تُكافأ يومَ القيامَة بماءِ قراح في الجنة. ملحوظة: نجد الشاعر هنا يُوازي بين معركة النهروان ونتائجها الدنيويّة والأخرويّة؛ تصعيداً شعرياً وروحياً للمُبتغى السّامي لأرواح الشهداء المُنتمين لتلك الأروعَة الإستشهادية اللافتة في تاريخ الإسلام، اجتذاباً لنوستالجيا حنينها المُوغل في صُدور الإباضيّةِ لتتنفّعَ بالمثالِ الماثلِ تاريخاً؛ الثورة الثالثة، ثورة الإمام سالم بن راشد الخروصي.

(٣) صُعْب الشكائم: الشَّكيمة أصلها من اللِّجام: وهي الحديدة المُعْتَرِضة في فم الفرس. وتعني أيضاً: الأَنَفَةُ والانتصار من الظُّلْم || حَناهم: أمالهم وأخضعهم. المعنى: يُلجمُون أنفسَهم عن الإشارة أو المَسّ بمُقدسات الإله [وِفقَ ما اعتقدوه]، فإنْ حَناهُم الحقُّ [أي: الله] عن إحدى مَكارِهِه لانوا له طوعاً، رغم صُعوبَة شكائمهم التي لا تلين لسبب واضح وَوَضّاح: لأنهم قوم ذوو أنفةٍ لا تُساوِمُ في ذاتِ الإله، كما لا يُساومون في حُريَّةِ نفوسهم؛ لذلك تَراهُم لا ينحنون إلّا لهُ وللحقِّ الساطع بعد تيقنهم مِنْ مُكوِّناتِ نُورانيّته.

مُسَوِّمِينَ لِنَصْرِ اللهِ أَنْفُسَهُم ... أَرْوَاحُهُم فِي سَبِيلِ اللهِ قُرْبَانُ[1]

سُبْقٌ إلى الخَيرِ عَنْ جَدٍّ وَعَنْ كَيَسٍ ... دَانُوا النُّفُوسَ فَعَزَّتْ حَيثُما دَانُوا[2]

سِيمَاهُمُ النُّورُ فِي خَلْقٍ وَفِي خُلُقٍ ... وَهَدْيُهُم سُنَّةٌ بَيْضَاءُ تِبْيَانُ[3]

مُقَيِّدُونَ بِحُكْمِ اللهِ حِكْمَتَهُم ... وَهَمُّهُم حَيثُما كانَ الهُدَى كَانُوا[4]

هُمْ أَسْمَعُ النَّاسِ فِي حَقٍّ وَأَبْصَرُهُم ... وَفِي سِوَاهُ هُمُ صُمٌّ وَعُمْيَانُ[5]

لَمْ تُلْهِهِم زَهْرَةُ الدُّنيا وَزُخْرُفُها ... إِذْ هَمُّهُم صَالِحٌ يَتْلُوهُ رِضْوَانُ[6]

---

(١) مُسوِّمين: السَّوْمُ: عَرْضُ السِّلْعَةِ على البيع. والخيل المُسَوَّمة المُرْسَلة وعليها ركبانها، وهو من قولك: سَوَّمْتُ فلاناً إذا خَلَّيته وسَوْمه أي وما يريد، وقيل: الخيل المُسَوَّمة هي التي عليها السِّيما والسُّومةُ وهي العلامة || قُربان: ما قُرِّبَ إلى اللّه تعالى من نَسِيكةٍ أو غيرها؛ وتعني الأضحية والتضحية لدى بعضِ أتباعِ الديانات الوثنية. **المعنى**: عَرَضوا نُفوسَهم الغالية في مَزاد نصرة الله؛ وليس غريباً، بعدها، أن تكون أرواحُهم قُرباناً مُستخلصاً من خلاصة تلك الأرواحِ التي أفنوها في سبيله.

(٢) سُبقٌ إلى الخير: سبّاقون إليه || الجَدّ: البَحْثُ والحظْوَةُ|| كَيس: الخفَّة والتوقُّد والفهامة || دانوا: دانَ فلان يَدينُ دَيْناً: استقرض وصار عليه دَيْنٌ، فهو دائِنٌ. **المعنى**: كانوا سبّاقين إلى الخير عن حظوةٍ وتوقدِ رأيٍ؛ لكنهم أقرضوا نفوسهم مبغاة رضى الله فعزَّت حيثما دانوا.

(٣) **المعنى**: وعلاماتهم المُميِّزة لهم نوّارة في نورهم المُتجلي في خِلقتهم، كما في النور الوضاح في أخلاقهم؛ لأنَّ الهَدْيَ أساسُهُ سُنَّة بيضاء لا مِراء فيها.

(٤) **المعنى**: ولا غرو؛ فهم مُقيِّدون حكمتهم بسلاسل حُكم الله في نفوسهم، وهمُّهم ـ ببساطةٍ آسِرة ـ هو أنهم يكونون حيث كان مِشعل الهدى مُنيراً لطريقهم.

(٥) **المعنى**: وعليه؛ فهم أسمَعُ الناسِ وأبصرهم بالحق، لكنهم في الباطلِ صُمٌّ وعُميان. **ملحوظة**: رغم بساطة البيت، وعدم حاجة القارئ لشرح يُضافُ إلى وُضُوحه؛ لكنني أُعجبتُ بنسقه التبريري، إن صَحَّ لي القول. فهو يقولُ ـ رفعاً من شأنِ عدالتهم في استبصارهم لدروب الحق ـ نجدُهُ يُخاتلُ قارئهُ بالنقيض: تصامُمهم وتعاميهم عمّا سِواه؛ أي الحقّ الذي أبصروه واستبصروه، بحيث أنهم استسلموا طوعاً لما صيَّرتهم إليه عِبادَة الحَقِّ (والحَقُّ لها تأويلُها الدُّنيويّ في شرعة حُقوق الإنسان، وتأويلها اللاهوتي، وقبل كُلِّ شيء تأويلُها اسماً من أسماء الله الحُسنى)؛ لدرجة أنهُم أضحوا صُمّاً وعُمياناً؛ فيما لو حدَّثهُم أحدٌ عن سِواه، لشدَّةِ التزامِهم به، ولو كان في ذلك خسرانهم على الصعيدين الستراتيجي والتكتيكي في معركتهم أمام الباطِل.

(٦) **المعنى**: لمَن استفسر عن سيرتهم؛ سيعرف أن زخرف الدنيا وزهرته الفوّاحة بأطايبها لم تُلهِهم عن قصدهم ومَرامهم؛ لأنهم لا يرتجون سوى صالح أعمالٍ في الدنيا يتبعه رضوانٌ في الآخرة.

بَـاعُـوا بِبَـاقِـيَـةِ الـرِّضْـوَانِ فَـانِـيَـهُـم ... كَـأَنَّ لَذَّةَ هَـذا الـعَـيْـشِ أَوْثَـانُ[1]

وَقْفٌ عَلَى السُّنَّةِ البَيْضَاءِ سَعْيُهُمُ ... وَفِي الجِهَادَيْنِ؛ إِنْ عَزُّوا وَإِنْ هَانُوا[2]

ما زَايَلَتْ خَطْوَةَ المُخْتارِ خَطْوَتُهُم ... وَلا ثَنَى عَزْمَهُمْ نَفْسٌ وَشَيْطَانُ[3]

فَجَاهَدُوا وَاسْتَقَامُوا فِي طَرِيقَتِهِ ... عُزُومُهُم لِصُرُوحِ الدِّينِ أَرْكَانُ[4]

وَسَلَّطُوا بِحُدُودِ اللهِ حُكْمَهُمُ ... حَتى اسْتقامَ لِحُكْمِ اللهِ سُلطَانُ[5]

---

(١) باقية الرضوان: تعبير قصد به الجنة، تعبيراً عن عدم سُخط الخالق من المخلوق لحظة مُكافأتِه بديمُومَة النعيم الأخرويّ || فانِيَهُم: تعبير قصد به الدنيا || أوثان: أصنام. **المعنى**: لقد استوقفني هذا البيت كثيراً، وكان بإمكاني الإنسياق لشرحه [بالمُتوافر من عُدَّةِ التأويلِ وعَدَدِها]، لكنني ارتأيتُ التفكُّرَ فيهِ قبلَ الإدلاءِ بمجازفةٍ تأويليَّة. وفي اعتقادي ـ الذي كوَّنتُهُ مُسبقاً ـ هو ربطه بين وشيجة الفاني مُقابل الآبد المُتأبِّد مما سيبقى للمخلوق من رضى ورضوان عند الله ـ إلى أن توصلت إلى ظِلالِ المغزى الخفي: فالشاعر قصد القول أنهم باعوا بباقية الرضوان ما سيفنى من أجسادهم، اعتقاداً منهم بأنَّ لذة العيش في الحياة الدنيا، كما في الآخرة أوثانٌ سيعبدونها هناك، كما عبدوها على هذه الأرض [التي تستحقُّ الحياة هنا، كما تستحقها الحياة الأخرى هناك في الآخرة التي تستحقُّ، بدورها، العَمَلات المُفضِي إلى رضوانها]، لكنني فطنتُ إلى ظِلالٍ تجديفٍ لا يليقُ بأبي مُسلم فيما فرط واستفرط من تأويلي، إلى أن وجدتُ ما يُرضيني ويُرضي أبا مُسلم في ظِلال التأويل؛ وهو أنه قصد بأنَّ هؤلاءِ الثقاة باعوا دنياهُم الفانيةِ (قابضوها، بالأحرى) بالرِّضوان الذي سيحصلون عليه ويتمتعون به في حياتهم الأخرى؛ بديلًا للذة العيشِ في هذه الدُّنيا الفانية؛ إذ أنهُم هناكَ بعد انتهاء محكومية اختبارهم في حياتهم الفانية، يستطيعون التلذذ بباقيةِ الرِّضوان ليتداولوها ـ بمعرفة الخالق، وأمام سمعه وبصره ـ لذَّةً بديلةً لهُم عن الالتذاذ الفطريِّ لدى المَخلوق بعبادة خالق مّا. **خلاصة مُركّزة**: إن لذة هذا العيش فانية ووهميَّة، تماماً كالأوثان المعبودةِ وَهْماً وهيَ فانية.

(٢) الجهادين: جهاد النفس ضد المعاصي، والجهاد ضد أعداء الأئمة. **المعنى**: وسَعيُهُم ومُبتغاهم أوقفوه حصراً على السُّنة البيضاء (وهو تعريفٌ مُتداول في أوساط المُتمذهبين بالمَذهب اعتقاداً بصوابه، وتخطيء مُضمَرٌ للمذاهب الأخرى)، ولذلك تراهم في كلا الجهادين ـ ضدَّ مزالق النفس ووسوسة الشيطان ـ مُتَّبعون لسُنته؛ ولا فرق إن كانت النتائجُ رافِعَةً مُعِزَّةً لما انتهجوه أم مُهينة لهم؛ لأن الهدف أسمى، في نهاية المطاف، من طرفي المُعادلة.

(٣) ما زايلت: ما فارقت. **المعنى**: وخطواتهم لم تفارق مَنهجاً وعقيدةً خطوة النبيِّ المُختار، ولم يَثنِ عزمَهم المُتوقِّد هوى نفسٍ أو شيطان مُوسوِسٌ لشويدائها لاتباع طريق آخر.

(٤) **المعنى**: فجاهدوا حق الجهاد استقامة ونهجاً لا يخرجان عن طريقته، حتى أضحت عُزومُهم أركاناً راسخة لصروح الدين الحنيف.

(٥) **المعنى**: ونتيجة لذلك؛ سلطوا أحكامهم على العباد [وفقاً لحُدود الله] التي شرعها حتى استقامَ سُلطانُ عدالة حُكمِه في عِباده.

أُولئِكَ القَومُ أنْوَارِي، هُدِيتُ بِهِم ... عُقْبَى مَحَبَّتِهِم عَفوٌ وَغُفْرَانُ

أئِمَّتِي، عُمْدَتِي، دِينِي مَحَجَّتُهُم ... غَوْثِي إذا ضَاقَ بِي فِي الكَوْنِ إمْكَانُ

لا يَقْبَلُ اللهُ دِيناً غَيرَ دِينِهِمُ ... وَلا يَصِحُّ الهُدَى إلّا بِمَا دَانُوا[1]

مِنْ عَهْدِ بَدْرٍ وَأُحْدٍ لا تُزَعْزِعُهُم ... عَنْ مَوْقِفِ الحَقِّ أَزْمَاتٌ وَأَزْمَانُ[2]

حَقِيقَةُ الحَقِّ ما دَانُوا بِهِ وَأتَوا ... وَما عَدَاهُ أَخَالِيطٌ وَخُمَّانُ

إنْ يَشْرُفِ النَّاسُ فِي الدُّنْيا بِثَرْوَتِهِم ... فَثَرْوَةُ القَوْمِ إخْلاصٌ وَإيمَانُ[3]

للهِ ما جَمَعوا، للهِ ما تَرَكُوا ... للهِ إنْ قَرُبُوا، للهِ إنْ بَانُوا

أزْكَى الصَّنِيعَيْنِ ما كَانَ الهُدَى مَعَهُ ... لَدَيْهِمُ، وَلَهُ فِي الحَقِّ رُجْحَانُ[4]

تَرَاهُمُ فِي ضَمِيرِ اللَيلِ صَيَّرَهُم ... مِثْلَ الخَيَالاتِ تَسْبِيحٌ وَقُرْآنُ

---

(١) **معنى الأبيات الثلاثة، تباعاً**: الأبيات في مَجمُوعها ـ كما هو واضحٌ من السِّياق ـ إعلاءٌ من شأنِ قوم الأنوار المُهتدى بهم؛ لأنَّ مَحبَّتهم عفو وغفران لأمثالي؛ فهم عُمدتي، ودِيني مَحجَّتهم، كما أنهم الغوثُ الحقيقي إن ضاقت بي أكوانُ الأرضين. واعتقادي فيهم لا يتبدَّلُ ولا يتغير؛ لأن الله ـ في نظري ـ لا يَقبلُ ديناً غير الذي اعتمدوه، كما أن الهداية والهُدى لا يَصحّانِ إلّا باتباعِ المرء لمنهاجهم والاقتداء به.

(٢) **المعنى**: يقصد اتِّباع أئمَّةِ الإباضية لروح المصطفى ونهجه القائم على العدالة، بدءًا بصلابة مواقف أسلافهم الشهداء من الصحابة الأخيار في معركتي بدر وأُحد؛ لأنهم ـ وإن تأخر الزمان ـ اقتدوا بأسلافهم في تتبُّع الحقِّ والمُجاهرة به، دون أن تزعزعهم حوادث الأزمات واختلافات الأزمان عن موقفهم المُشرِّف في صَفِّ الحقيقة المُتسامية ـ في اعتقاد الشاعر ـ على ما سواها.

(٣) أخاليط: قُصِدَ بها الخلط في القول، لا يَعرِفُ قائلهُ صحَّته وصَوابَهُ من عدمهما || خُمّان: الخُمامَةُ والقُمامَةُ؛ وتعني الكُناسَة، وما يُخَمُّ من تراب البئر. والخَمَّانُ من الرَّمْح: الضعيف. والخُمَّان: الضَّعيفُ خِلقةً ورأياً على غير صواب [ونعتقد أنه قصد كافةَ معانيها] || إيقان: تعني العِلْم وإزاحة الشك وتحقيقُ الأمر. **معنى البيتين، تباعاً**: وُضوح البيتين أشفُّ إخلاصاً لمَقصدوحيه مِنْ مُحاولة شرحنا لهُما؛ فالوُضوحُ كان دائماً غَلّابَ الغُموض.

(٤) بانوا: بَعُدوا || أزكى: أطهر. **معنى البيتين، تباعاً**: للهِ ما جمعوه ذخراً ليوم الحساب، وما تركوه من متاع الدنيا ـ قربوا أو بَعدوا، سِيَّان، فأطهرُ صنيعهم، حقيقةً، هو ما رافقه الهُدى، كما رافق سواهم من المُهتدين، لكنَّ امتيازهُم يَكْمُنُ في رُجحانِ اختيارهم للحقِّ وسيلةً وَهَدفاً مُبتغى في آخر المطاف.

هُـمُ الأَبَـاضِـيَّـةُ الـزُّهْـرُ الـكِـرَامُ لَهُـم ... بِـعِـزَّةِ اللهِ فَـوْقَ الـخَـلْقِ سُـلطَـانُ[1]

لا يُـعْـرَفُ الـعَـدْلُ إلّا فـي اسْـتِـقَـامَـتِـهِـم ... لَمْ يُوفِ ـ إلّا لـهُـم ـ فِي الـعَدلِ ميزانُ[2]

فـي الـذَّبِّ عَـنْ حُـرُمَـاتِ اللهِ شَـأْنُـهُـمُ ... لا شَـأنُ دُنْـيَـاهُـمُ نَـيْـلٌ وَحِـرْمَـانُ[3]

رَضُـوا بِـبُـلْـغَـةِ مَـحْـيَـاهُـم عَـلَى حَـذَرٍ ... مِـنْـهَـا، كَـأَنَّـهُـمُ بِـالـبُـلْـغَـةِ اخْـتَـانُـوا[4]

---

(١) الضَّمِير: السِّرُّ وداخِلُ الخاطر، وقيل أنَّ ضمير الليل هو آخره حتى وقت السَّحَر || الخيالات: خَشَبة عليها ثياب سُود تُنْصَبُ للطير والبهائم فتظنه إنساناً، وتعني في مُجملها الأطياف مَحسوسَةً ومُبهَمَة || الزُّهر: جمعُ أزهر؛ وهو الحَسَنُ الأبيضُ من الرجال، ورجل أَزْهَرُ أي أبيض مُشْرِقُ الوجه. والأزهر الأبيض المُستنير. **معنى البيتين**: وترى هؤلاء الزهاد العُبّاد في ضمير الليل وقد صيَّرهم التسبيح وتلاوة القرآن كالأشباح لشدة التعبُّد؛ لأنهم ـ دون سِواهُم ـ هُم الإباضيَّة المُنوَّرة وجوههم بفضلِ ورعهم الذي مكنهم بخصيصة امتياز سُلطانهم العادل فوق الورى. [حُذِفَ هذا البيت من بعض النُّسَخ المُتأخرة، ونُثبتهُ كما ورد في الأصلِ المُعتمَد ومخطوطةِ ١٩١٤م]. إقصاءً، مِن جانبنا، لمَبدأ الإقصاءِ الذي مُورِسَ على تُراثِ أبي مُسلم لأسباب لا تخلو مِنْ قِصَرِ نَظَر مُسبِّباته وأسبابه، ناهيك عن مُتسبِّبيها تطاوُلًا وقصْراً لمَنظور الشاعر، وهو ما يَفضحُهُ في مَجمُوع مُفرَدَتي «سُلطان الأباضيَّة الزُّهر».

(٢) **معنى البيت**: والعدلُ الصِّرف لم يُعهَدْ منذ دُهُور؛ إلّا في نصاعةِ استقامتهم؛ ولذلك لم يُوفِ الكيلَ ميزانُ العَدالة والإنصافِ إلّا لهم دون سواهم مِمَّن تشدَّقوا بمعايير عدالاتهم المَنقوصَة، [وِفقاً لاعتباراتِنا المَبدئيَّةِ حول مكاييل العدالة ومَقاييسها التي لا نعتدُّ بسواها في مكاييل الإغيار]. **ملحوظة خارجة عن السِّياق**: بيتٌ كهذا جعلني أُفكِّرُ في مُصطلح طالما سمعناه في مُحدَثي التلفاز حول ازدواج معايير الغرب في نظره لقضايانا العادلة؛ لأعود مائة سنة إلى الوراء لأفكِّرَ، من جديد، في تَنوُّرِ أبي مُسلم المُضاهي، يومذاك، لفكر محمد عبده وجمال الدين الأفغاني وسِواهُم من رُوَّاد النهضة التي لم يُكتب لها التحقق حتى بعد ملاحقتنا، حياةً، للعقد الأول من الألفيَّةِ الثالثة.

(٣) **معنى البيت**: لقد كان شأنهم في الدنيا دفاعهم عن حُرمات الله؛ ولم ينشغلوا بالزائل من حُطامها فرحاً بنيل جزية أو جزيل عطاءٍ أو حرمان مِنه. **ملحوظة**: نُلاحِظ في هذا البيت تشدُّدَهُ في مبدأ العدل، لا سيَّما في اعتباره مَبدأ القياس المُؤسِّس له، مُتخذاً من مَمدُوحيه مِثالًا يُحتذى؛ لأنهم عدلوا مدفوعين بخصيصة العدل ذاته، وليس بدرجاته التي تُعليهم وتُسفِلهم في مَقامات هذه الدنيا الفانية، ولعمري أنهُ استخلص هذا البيت مِنْ مُعاناته في مَنصِب القضاء وتكلُّفِهِ بمَشاقه الجمَّةِ في عُهودِ سلاطين استطاعَ (بعلمه وورعه) التقرب مِنهم وإليهم، كما تشي بذلك قصائده القليلة في مديح أخيارهم.

(٤) البُلغة: هِيَ ما يكفي لسَدِّ الحاجة، ولا يَفضُلُ عنها || مَحْيَاهُم على خطر: حياتهم التي على شفا=

سِيمَا التَّعَفُّفِ تَكْسُوهُم جَلالَ غِنىً فَالقَلْبُ فِي شَبَعٍ وَالبَطْنُ خَمْصَانُ[1]

=هاويةٍ من ذاتِها وكينونتها || اختانوا: أصلها الخِتان؛ وهو مَوضع الخَتْنِ من الذكر، ومَوضع القطع من نَواة الصَّبايا. قال أبو منصور: هو موضع القطع من الذكر والأنثى؛ ومنه الحديث المَرْوِيّ: إذا التَقَى الخِتانان فقد وجَبَ الغُسلُ، وهما موضع القطع من ذكر الغلام وفرج الجارية. وأصل الخَتْن: القطع، إطلاقاً، كما تأتي (اختانوا) بمعنى: فُطِمُوا؛ أي فُطموا على سَدِّ الرَّمق || على حَذر: معناها واضح، لكننا نؤكد أنها وردت في مخطوطة ١٩١٤م هكذا، وقد اعتمدناها؛ رغم ورودها في الأصل المُعتمد والنُّسَخ الأخرى: «على خطر» || مِنها: أي مِنْ بُلْغَةِ المَحْيَا؛ وهو مَفْعَلٌ من الحَيَاة. **المعنى:** ونُدامى الله الأخيار هؤلاء؛ لم يَكتفوا بكلِّ ما سبق، لأنهم رضوا منه بما يكفيهم لسدِّ الرَّمَق ـ رغم أن حياتهم برُمَّتها كانت في خطرٍ مُحدق من أسلوب عيشهم المُتقشف، خوفاً من الله، وحِفاظاً على رمقٍ ـ بالكاد ـ يُبقيهم على قيد الحياة؛ حتى يَتفيَّقوا للجهاد في سَبيله. وحالهم في هذا المَسْلَكِ ليسَ غريباً؛ لأنهم كانوا منذ صِغرهم ـ بل قبل بُلوغهم، قد تعوَّدوا تلك الحالِ من كفاف العيشِ، كما لو أنَّ نُفوسَهم لم تُفطَر عليه جِبِلَّةً وتعفُّفاً فحسب، بلْ خُتِنوا بتلك الفضيلة والمَنقبة في شرخ الصِّبا وبَواكيره **معنى مُضاف:** فيما لو تخيَّرنا تفسير اختانوا بـ: فُطِموا؛ فالشاعر يقول أنهم فُطِمُوا على ما يَسُدُّ الرَّمَقَ، ورغم ذلك؛ فهم وَجلون حَذِرون من فِتنةِ الدنيا؛ وهذه هي ـ لعَمري ـ الغايَةُ في النزاهة والتعفُّف. **ملحوظة:** هذا واحد من أبيات النونيَّة المُنقبَةِ في فرائد الفصحى وإمكانياتها اللامُتناهية فصاحة وشفافيَّةً وسُفوراً إيروتيكياً لم يَعُدْ مَطرُوقاً؛ فالتعبير المُفارق في عَجُز البيت: «كأنَّهُمُ بالبُلغةِ اختانوا» يُحيلُ إلى ما وراء أعراف اللغةِ المُتداولة آنذاك، ناهيك عن الأسلوبيَّةِ المُفخَّخة بالكامِنِ من الدلالات غير المنظورة وراء المَعنى العابر في إيروسِيَّتِهِ المُقنَّعة؛ سواءٌ في مرجعيَّاتها الفقهية، أو أنماطها التعبيرية السائدة، ابتكاراً لبُؤرة تعبير غير مطروق في مُنحنى تعبيريٍّ لم تعتده الذائقة السَّائدة آنذاك، فما بالك بمُنحناها الخارج والمُتقافز على رَصَانةِ مَعايير الصَّنعة الشعرية بإيروتيكيَّةٍ فضاحَةٍ لم يجد الشيخ العَلاّمَة أبو مُسلم البهلاني غضاضة ـ وهو قاضي القضاة ـ في استخدامِها مُفردَةً لا تعيقه عن استنباط أقصى دلالات التعفُّفِ (تَفَقُّهاً، وحِسِّيَّةً إيروتيكِّيَّة، على حد سواء)؛ ولو في مَواضِع الجسد الأكثر حِسِّيَّةً: ختن الذكر والأنثى، لا ليُعبِّرَ عن موضوعةٍ شَرعيَّة [من الشَّرع]، أو إيروتيكيَّة [بمعناها الشائع في المُحدَث من أُنصُوخةِ الفُضحى]؛ بل عمَّا هو أسمى من رِضى أخياره المُختارين ببُلغةِ الحياةِ ـ ولو على حَذر ـ لأنَّهُم اختانوا [اختنوا أنفسهم بتعبير أسهل] بسدِّ حاجة الرَّمَق دون الزيادة عليه.

(١) السِّيما: العَلامة. أنشد شمر في باب السِّيما مقصورةً للجَعْدِي: «ولهُمْ سِيما، إذا تُبصِرُهُمْ | بيَّنَتْ رِيبةَ من كانَ سَأَلْ» || الخُمْصَان: الجائعُ الضامرُ البطن. جاءَ في حديث جابر: رأيت بالنبي، صلّى الله عليه وسلّم؛ خَمْصاً شديداً. ومنه الحديث: كالطير تَغْدُو خِماصاً وتَرُوحُ بِطاناً أي تَغْدو بُكْرةً وهي جِياعٌ وتروح عِشاءً وهي مُمْتَلِئةُ الأجوافِ؛ ومنه الحديث الآخر: خِمَاصُ البُطونِ خِفاف الظهور أي أنهم أَعِفَّةٌ عن أموال الناس، فهم ضامرو البطون من أكلها خِفافُ الظهورِ من ثِقلِ وِزْرِها. **المعنى:**=

سَمْتُ المُلُوكِ وَهَدْيُ الأنبياءِ عَلَى ... أَخْلاقِهِم، فَكَأنَّ الفَقْرَ تِيجَانُ[1]

تَمَثَّلتْ لَهُمُ الدُّنْيَا فَمَا جَهِلُوا ... حَقِيقَةَ الأمْرِ أنَّ العَيْشَ ثُعْبَانُ[2]

جَازُوا الجُسُورَ خِفَافَ الحَاذِ وِقْرُهُمُ ... زُهْدٌ وَخَوْفٌ وَإِصْبَارٌ وَشُكْرَانُ[3]

=وملامح تعففهم عن الدنيا تكسوهُم مهابة غنى لم يشغلوا أنفسهم به؛ فمن يراهم سيتبين له فقرهم المُدقِع، فيما لو قورن بقلوبهم الرَّيَّانة مِن وليمة رَوْحِ الله وريحانه، وتلك المُفارقة الدقيقة، كشعرة مُعاوية؛ هي ما وهبهم المكانة التي استحقوها بجدارة.

(١) تيجان: التَّاجُ، معروف، والجمعُ أتواجٌ وتِيجانٌ، والفعل التَّتويجُ. والعربُ تسمِّي العمائمَ التاجَ. وفي الحديث: العمائمُ تِيجانُ العربِ، جمع تاج، وهو ما يصاغ للملوك من الذهب والجوهر؛ أراد أن العمائم للعرب بمنزلة التيجان للملوك لأنهم أكثر ما يكونون في البوادي مكشوفي الرؤوس. **المعنى**: فمن يراهُم على تلك الهيئةِ المُتسمة بأخلاق المُلوك وهدي الأنبياءِ الواضح في مُحيّا أخلاقهم يكاد لا يُصدِّقُ ما تراهُ عيناه؛ لكنه لو نظر للأمر من زاوية أخرى لعرفَ أنَّ فقرَهم هو ما أوصلهم لتلك المراتب الرفعية؛ ولاستنتجَ أنَّ للفقر تيجاناً مُفارِقة لتيجان المُلوك بفضلِ فضائل هؤلاءِ الأئمّة الذين نهضوا من قعر الأرضِ فاستنهضوها عدلاً لبسوا تيجانه. خلاصة التناهي البلاغيّ المكثف في البيت هي «كافُ» التشبيه وما يتبعها: «فكأنَّ الفقرَ تيجان»؛ لأنَّ الفقر لم يكُن في يوم من الأيام تاجاً يُتباهى به، لكنَّ هؤلاء الأفذاذ حِكمَةً وعِصمةً وتديُّناً خالصاً استطاعوا قلب المُعادلة؛ فأضحوا مُلوكاً بتسيُّد العدلِ، رغم ما يشهد به الحال الماجِلُ من فقر ذوات أيديهم. وقد تعمَّدنا التلميح في شرح معنى كلمة تيجان الواضحة إلى مقولة: العمائمُ تيجان العرب؛ لأنَّ أبا مُسلم ننسف أمثولة المَثل بالضربة القاضيةِ في هذا البيت، ليجترحَ أمثولتهُ الرَّفيعَةَ في إحالة المعنى، جمالياً ورؤيوياً إلى نقيضه اللامطروق، وتلك مطرقة الشاعر.

(٢) **المعنى**: تمثلت لهم الدنيا؛ وهي ألعُبانٌ مُبرقش في كافة صُوره وفخاخه المُترعة بالملذات والشهوات، لكنهم كانوا حذرين منها لتيقُّنِهم من حقيقة الأمر؛ فالعيشُ فيها ثعبانٌ سام تعلموا الحذر والخشية منه.

(٣) الجُسور: جمع جسر؛ وتعني القناطر، وقصد بها مفازات دُنياه الدنيا يقطعها المرء عُبوراً إلى دُنياه الآخرة. قال الأعمش في قوله: إنَّ ربك لَبالْمِرْصَاد: المرصاد ثلاثة جسور خلف الصراط: جسر عليه الأمانة، وجسر عليه الرحم، وجسر عليه الربّ || الحاذ: تعني؛ الحال؛ ومنه قوله في الحديث: أغبط الناس المؤمنُ الخفيفُ الحاذ أي خفيف الظهر. ورجل خفيف الحاذ أي قليل المال، ويكون أيضاً القليل العيال || الوِقْر: الوِقْرُ بالكسر: الثِّقلُ يُحمل على ظهر أو على رأس، وعادة ما يكون وِقر حطب مُحتطَب || الشُّكْران: خلاف الكُفْران. **المعنى**: وقد عبروا قناطر ومفازات دنياهم إلى آخرتهم التي عبروا صراطها وبرزخها بسلاسة؛ رغم أنَّ ظُهورهم مُتخففة من متاع الدنيا مالًا وعيالًا؛ فأحمالُ ظُهورهم لم تكُن سوى زهدهم وخوفهم من الله، واصطبارهم على بلواه وشكرهم لهُ على نعمه سَرّاء وضرّاء. **تلميح**: لا يخفى بالنسبة للقارئ المُتمعِّن اختياره الدَّقيق لمُفردات البيت: «خفاف الحاذ»،=

فَازَ الـمُـخِـفُّـونَ مِـنْ دَارِ الـغُـرُورِ فَـلا ... خَـوْفٌ عَـلَـيْـهِـم وَلا بِـالـقَـوْمِ أَحْـزَانُ[1]

مَـضَـوا وَآثَـارُهُـم نُـورٌ وَذِكْـرُهُـمُ ... رُحْـمَـى، وَمَـضْـجَـعُـهُـم رَوحٌ وَرَيـحَـانُ

تَـتَـابَـعُـوا دَوْلَـةٌ فِـي إِثْـرِ سَـابِـقَـةٍ ... كَـمَـا جَـلَـى الـرُّسْـلُ أَحْـيَـانٌ فَـأَحْـيَـانُ[2]

حَتَّى انْجَلَى الكَوْكَبُ الدُّرِّيُّ فَانْكَشَفَتْ ... بِـنُـورِهِ عَـنْ وُجُـوهِ الـحَـقِّ أَغْـيَـانُ[3]

=و«وِقر» الحاملة لنقيضَ دلالاتها حينما ينسِفُ المتخيَّل من الحاذ والوِقر الثقيل؛ ليتبيَّن للقارئ أنَّ ثِقلَ ظهر ممدوحيه ناتجٌ ـ في شفافية حقيقته ـ عن امتلاءِ زوَّادات ترحالهم بالزهد والخوف والإصبار والشكران. والمُفارقة اللافتة، هنا، هيَ أنَّ هذا الزاد ـ على خفَّتِه في ميزانِ الجاهل ـ أثقلُ في ميزان العارف من ألْفِ وِقرٍ وَوِقر حَمَلتهُ المَناكِبُ والظُّهور.

(١) **المعنى**: البيت تتمَّة مُضافة للسابق؛ ولذلك فاز المتخففون ـ أمثالهم ـ من متاع دنياهم الفانية؛ فلا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون ـ وعجُز البيت اقتباسٌ من الآيِ الكريم.

(٢) **معنى البيتين**: لقد مضوا وَرِعاً في إثر وَرِع، لكنَّ آثارهم نورٌ مُصفى، وذكرهم رُحمى لمن ظل بعدهم على قيد الحياة ومراقدهم النيِّرة كانت وما زالت يعبق منها طيبُ الفراديس، بعد أن تتابعوا في خلافة الأمة دولة إثر أخرى، لتختفي إمامة العدل في بعض الأحايين؛ لكنها تعود للظهور من جديد. وليس ذلك بغريب على الله وفردانيَّةِ حِكمته: فقد تقطعت وانقطعت حقب الرسالات وظهورات الرُّسل والأنبياء حيناً بعد حين، وحالُ أئمَّتنا لا تختلفُ في مُكابدة الظهور والانقطاع عن حال الرُّسل والإنبياء. **ملحوظة**: كما نرى ثمة إعلاء من شأن الرَّاحلين من الأئمَّة ورجالات الورع مُقابل من سيظهرون في حقب لاحقة؛ والبيت برُمَّتِهِ استبشار بمُبايعة الإمام سالم بن راشد بعد انقطاع الإمامة نحو نصف قرن من الزمان.

(٣) **أغيان**: جمعُ غَين؛ وهو الغيم الساتر لصفاء السَّماء. **المعنى**: قصد في بيته هذا انفلاق أفق الكُربة ببزوغ الإمام سالم بن راشد وظهوره النوراني كوكباً دُرِّياً لتتكشفَ بأنواره الغيوم الساترة للحقِّ والحقيقة. **ملحوظة**: مَرَّة أخرى، لا تخفى دِقَّة أبي مُسلم في التعبير، ولو في موضوعة مِثاليَّة تعبِّر عن عواطفه الجياشة وفرحه الغامر بتنصيب الإمام ومُبايعته لتكْشِفَ عن وُجوهِ الحَقِّ الستائرُ الحاجبة لوجوهها الحقَّة. ومن يتملى في البيتِ مَلياً يَجدُ أنَّ الشاعِر فطِنٌ ـ بحدس المُتصوِّف ـ إلى أنَّ [الحَقَّ] ليسَ واحداً، لأنه مُتمظهرٌ بوجوه مُتعدِّدَة تقتضي تأويل طبقات أقنعتها؛ وإنْ بدت قناعاً حقانياً لوجهٍ واحد. في القرآن: (أ) الحق هو الله. (ب) الشرع أو الشريعة التي أرسل بها المرسلين «إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً» [٢/١١٩]. (ج) الحق ـ الصدق والوُجوب. «فاصبر إنَّ وعدَ اللهِ حق»، ولا يستخفنكَ الذين لا يُوقِنون» [٣٠/ ٦٠]. (د) الحق ـ العدل. «يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق» [٣٨/ ٢٦]. (هـ) الحق ـ النصيب، الحظ. «والذين في أموالهم حقٌّ للسائل والمحروم» [٧٠/ ٢٤]. (و) الحق، بمعنى ما وجب للشيء بعين الاستحقاق. «وجاهدوا في الله حَقَّ جهاده» [٧٨/ ٢٢]. (ز) الحَاقَّة = القيامة. «الحاقة. ما الحاقة. وما أدراك ما الحاقة» [٦٩/ ١ ـ ٢ ـ ٣]. **عند ابن عربي**: إن الحق في كلام ابن عربي هو الله، لا من حيث ذاته المُجردة عن كل وصف=

هُـنـالِكَ انْـبَـعَـثَـتْ رُوحُ الـحَـيَـاةِ إلـى ... جِـسْـمِ الـوُجُـودِ وَقَـدْ أَرْدَاهُ طُـغْـيَـانُ[1]

وَقَـامَ لِلحَـقِّ شَـأْنٌ بَـعْـدَمَـا لَغِـبَـتْ ... مِـنَ الـكَـوَارِثِ أَحْـكَـامٌ وَأَدْيَـانُ[2]

وَأَصْـلَـتَ اللهُ إِصْـلِـيـتـاً يَـحُـسُّ بِـهِ ... سَـوَاعِـداً شَـدَّهَـا بَـغْـيٌ وَكُـفْـرَانُ[3]

وَأَعْـرَبَ الـكَـوْنُ عَـنْ بُـشْـرَى ضَـمَـائِـرِهِ ... فَـالـكَـائِـنَـاتُ أَغَـارِيـدٌ وَأَلْـحَـانُ[4]

أُمْـنِـيَّـةٌ رَقِـبَ الإِسْـلامُ طَـلْـعَـتَـهـا ... أَتَـاحَـهَـا اللهُ، لَمْ يُـضْـرَبْ لَهَـا آنُ[5]

=ونسبة؛ بل من حيث ألوهيته للخلق. والحق هو الوجود والخير في مقابل الباطل (= العدَم = الشرّ). إن الحقيقة الوجودية ـ وفقاً لابن عربي ـ واحدة بذاتها، ثنويّة بوجهيها: حق خلق ـ رب عبد ـ واحد كثير ـ قديم حادث، إلى غير ذلك من الثنائيات التي برع الشيخ الأكبر في تعدادها. «فالحق» هنا أحد وجهي الحقيقة الجامع لكل صفات القِدَم، في مقابل «الخلق» الوجه الآخر الجامع لكل صفات الحُدوث. ومما لا شكّ فيه أن مرجعية الشاعر الصُّوفية صافية في وضوح تَبْئيرِهِ لتفلسُفِ بئر غار في غياهب المعنى؛ فالحقُّ لم يكُن حقيقةً واحدة؛ بل حقيقة تظلّ خَمَّالَة أوجُهٍ، وهو ما أراده الشاعر، هنا، في سياق خِطاب يُضمِرُ الحقيقة الواحدة؛ [تنصيب الإمام العادل] القائم [بوجوه الحقّ] ذات الأصل الواحد، وإن تعدَّد التأويل أو كَثُرَت الغيوم الساترة للحَقّ مُتجلياً في أحسن خلقه المُتأخرين.

(١) **المعنى**: يعود في هذا البيت إلى موضوعته ـ وظاهرها مديح ممدوحه وإمامته الغرّاء ـ لكنه، كما نرى، يستعيد في استبطانه نوستالجيا حنينه المُنجَرف إلى نورانيّة رُوحِهِ المُتصوِّفة، كما بدا وظهر عياناً في قصائده الأخرى؛ كأنما لتنبعث روحُ الحياةِ طازجةً بقيم العدالة في جسد الوُجُود المُفتقِر إليها؛ بعد أن أرداهُ الظلمُ والطغيان، لولا النهايات السعيدة ببزوغ إشراقات هذا الإمام المُتوَّج بتاج الفقر والورع والتقوى ـ كما أشارَ إليهِ في بيتٍ سابق.

(٢) **لغِبَتْ**: اللُّغُوبُ: التَّعبُ والإعياءُ، ولَغَبَ على القوم يَلْغَب، بالفتح فيهما، لَغْباً: أَفْسَدَ عليهم. وقال الزِّبْرِقان: «أَلَمْ أَكُ باذِلًا وُدِّي ونَصْرِي | وأَصْرِفُ عنكُمُ ذَرَبي ولَغْبي» ـ وكلامٌ لَغْبٌ: فاسِدٌ، لا صائِبٌ ولا قاصِدٌ. ويقال: كُفَّ عَنَّا لَغْبَك أَي سَيِّئَ كلامِك. **المعنى**: لذلك؛ وبفضلِ إمامته العادلة قام واستقام شأنُ الحق بعد فساد الأديانِ والأحكامِ في غابةِ الظلم والفساد.

(٣) **إصليت**: الصَّلْتُ: البارِزُ المُستَوي. أَصْلَتُ السيفَ أَي جَرَّدْتُه || الإصليت: السيف الصقيل || **يُحِسُّ**: يقطع. **المعنى**: وإن تأخر الوقتُ في تقديري، لكنَّ الله كعادته؛ كان رؤوفاً بعباده المُستضعفين؛ فسلطَ سيفَ هذا الإمام الصَّقيلِ (شفرةً ونُقى) ليقطع به شأفة الكفر وطاغوت الجبابرة.

(٤) **المعنى**: لذلك أعلن الكون بأسره عن بُشرى المكنونِ سَلفاً في هيولى الخفاء التي أنصت عنها استبشاراً تألّقَ خصباً وأمناً ورخاءَ عمَّ البلاد المُفتقِدَةِ للعَدل؛ لدرجة أن كائناتِها عصافيرَ وفراشاتٍ عادت لترتع في مراعيها صَدَّاحةً مغردة بألحانها المُرحّبة باسيتقاظ الرُّوح الجمعيَّةِ للبلاد بأسرها وقد تمثلتْ في شخصِ إمام المُسلمين المُعتصِم بالله.

(٥) **معنى البيت**: وتلك أمنية عزيزة ـ تنصيب الإمام ومُبايَعته ـ انتظرت طلعتها شموس الإسلام، وقد=

وَلِلأَمَانِيِّ أَوْقَاتٌ إِذا قُدِرَتْ ... وَلِلأَمَانِيِّ آيَاتٌ وَإِيذَانُ[1]

تَمَنَّعَتْ فِي خُدُورِ الغَيْبِ آونَةً ... ثُمَّ انْجَلَتْ فَانْجَلى عَدْلٌ وَإِحْسَانُ[2]

ما سَاوَرَتْهَا صُرُوفُ الدَّهْرِ إِذْ نَجَمَتْ ... وَمَا لِرَدِّ مُرَادِ اللهِ إِمْكَانُ[3]

وَحِكْمَةُ اللهِ فِي التَّدْبِيرِ قَاهِرَةٌ ... وَقَائِدُ العَقْلِ فِي المِقْدَارِ حَيْرَانُ[4]

=أتاحها الله في وقتها المُناسب لصلاح الأمة الغارقة في مآسيها التي أنستها الأمثولة، ولم تُثمّن تلك اللحظة الرَّبانيّة التي هبطت من لدُنه رحمة بأحوالهم، في لحظة لم تكُن مُتوقعة في عُصور الظلام.

(١) قُدِرَت: بمعنى؛ إنْ قيست ودُبِّرت تلك الأوقات || آيات: علامات || إيذان: إعلام؛ ويقال: أَذِنَ فلانٌ يأْذَنُ به إذْناً إذا عَلِمَ. وقوله عز وجل: وأذانٌ من الله ورسولِهِ إلى الناسِ؛ أي إعْلام. **معنى البيت:** ولتلك الأماني مواقيتها المُحددة المَحسوبة؛ فيما لو حُسبَت بتقدير العارف؛ كما أنَّ لتلك الأماني آيات وعلامات تُعلِمُ وتأذن بمواقيت حدوثها.

(٢) تمنعت: تحجّبت || خدور: جمعُ خِدر؛ وهو سِتْرٌ يُمَدُّ للجارية في ناحية البيت ثم صار كلُّ ما واراك من بَيْتٍ ونحوه خِدْراً. || الغيب: الشَّكُّ، وجمعه غِيابٌ وغُيُوبٌ؛ قال: «أَنْتَ نَبِيٌّ تَغلَمُ الغِيابا | لا قائلًا إفْكاً ولا مُرْتابا». والغَيْبُ: كلُّ ما غاب عنك. أَبو إسحق في قوله تعالى: يؤمنون بالغَيْبِ؛ أي يؤمنون بما غابَ عنهم، مما أَخبرهم به النبيُّ من أَمرِ البَعْثِ والجنةِ والنار. والغَيْبُ أيضاً ما غابَ عن العُيونِ، وإن كان مُحَصَّلًا في القلوب. **المعنى:** هذا أحد الأبيات التي استوقفتني في النونية؛ لأن الشاعر استعاد فيه ما سبق لهُ طرحه في مدائحه النبويّةِ المُؤسطِرَة لظهُور النبيّ محمد بعد تمنعه بحياة الفراديس في حُجُبِ الغيب، [وفقاً لرؤية الشاعر التي تحفظُ عليها أتباعُ المَذهب الإباضي، وحاولوا- قدر جهدهم - إخفاءها بعدم التطرُّق لها ولمعانيها في المُتواتر من أدبيّاتهم]؛ رغم دفاع الشاعر الوضّاح عن المذهب وحرصه البالغ على رموزه وأيقوناته التي أعلى من شأنها، لا سيَّما في أذكاره التي وردت في «النَّفَسِ الرَّحمَاني» وسواه من القصائد. ففي بيت كهذا؛ نراه يَستعيد طَرَقَ الفِكرةِ على رُخامِ ذاكرةٍ مُتصلِّد من خلال استعادتِهِ الشفيفة للأماني التي طالما انتظر ظهوراتها بعد تحجُّبها وتمنُّعها وراءَ سُتُر الغيب آونةً طالت - بمقاييس التحقيب الدَّهري - لتنجلي تلك الأماني، أخيراً، ببيعة هذا الإمام الورع الذي انجلى العدلُ والإحسانُ بعد مُبايعته إماماً وضَّاحاً كنور سريرته التي أظهَرَت تلك الأماني مِن غُيُوب الأعالي.

(٣) ساورتها: واثَبَتها || نجَمَت: طلعت وظهرت. **المعنى:** ولتلك الأماني المُتمنِّعة في خدور الغيب مواقيت ظهوراتها؛ ولذلك لم تستطع صُروف الدَّهر مُواثَبتها ساعةَ حان ظهورها من جِباء الغيب؛ فلا إمكان لحظة ظهورها المُباغت لرَدِّ ما سبق لله أنْ أرادَهُ وكتبَهُ سلفاً في لوحه المحفوظ.

(٤) **المعنى:** تبريراً لعودة انكشافِ الأماني وتحققها بعد لأي في الواقع المُعاش؛ يؤكِّدُ الشاعر، هنا، حكمة الله في تدبير شؤون عباده؛ لذلك انكسرت تكهنات العقلاء وارتدَّت في قلوب حيرتهم بعد أن استعصى عليهم استيعاب المِقدار المُعطى - والمُتمنِّع، في الآن ذاته - دونما أسباب واضحة تُفسِّرُ أُلغُوزةَ مَواقيت الحِكمَة الرَّبانيّة التي بدت لهم مواقيتَ ظهوراتها كما لو كانت في غير مَحلِّها، لولا إيمانُهُم باقتدار القادر على كُلِّ شيء.

يَـقْـضِـي بِـمَـا شَـاءَ وَالأَسْـبَـابُ جَـامِـدَةٌ ... وَيُـحْـكِـمُ الأَمْـرَ وَالأَفْـكَـارُ عُـمْـيَـانُ[1]

يَـخْـتَـصُّ مَـنْ شَـاءَ بِـالـرُّحْـمَـى وَيَـصْـرِفُـهَـا ... عَـمَّـنْ يَـشَـاءُ، وَفِـي الـحُـكْـمَـيْـنِ رَحْـمَـنُ[2]

إِنَّ الـذِي يَـتَـعَـاطَـاهُ الـذَّكَـاءُ لَـدَى ... حُـكْـمِ الـمَـقَـادِيـرِ تَـخْـمِـيـنٌ وَبُـهْـتَـانُ[3]

مَـا حِـيـلَـةُ الـظَّـنِّ وَالأَوْهَـامِ فِـي قَـدَرٍ ... إِلَّا قُـصُـورٌ وَعَـجْـزٌ ثُـمَّ إِذْعَـانُ[4]

لا بُـدَّ أَنْ تَـرْبِـطَ الأَفْـهَـامُ وَحْـدَتَـهُ ... وَلَوْ تَـطَـاوَلَ تَـقْـرِيـبٌ وَإِمْـعَـانُ[5]

---

(١) **المعنى**: ومما يُدهش قصور عقولهم أنهُ يقضي بما شاءَ بغض النظر عن النتائج وأسبابها التي تقتضي ـ في زخم عُقولهم ـ نتائج مخالفة لما يبدو من جُمود واستكانة؛ لأنهُ ـ بقدرته الغيبيّة ـ أحكَمَ الأمر ببصيرة غَيبِهِ المُتعالي ـ وإن عَميَتْ أفكارُ العُقلاء عن تفسير العلَّةِ بمعلولها: أي؛ التتيجة والسَّبب ـ وكلاهما آليّتان عُقد عليهما لواءُ المنطق والتفلسُف الظاهراتي في مَنظومَاتِ الفكر البشري، على اختلاف مشاربه، لذلك يبدو عدم اتساق السَّبب والنتيجة قُصُوراً في تأويلِ المُؤوّلين، قياساً إلى ما قضاهُ وقدَّره دون تبيان العِلَّةِ التي احتارت فيها الأفكار. **ملحوظة**: مَرَّةً أخرى نلحظُ حذاقة الشاعر في اختيار المُفردات المُناسبة لخِطابه؛ فهو لم يَقُل ـ رغم النقد المُباشِر الذي تَنضحُ به عُصارة البيت ـ عَمَى أفكارهم؛ بلْ جَزمَ الأمر بحرصٍ يقتضيه حالُ العَماء المَعرفيّ في اختصاره البليغ: «والأفكارُ عُميان»، ليَنتهي تأويلُ الحكايةِ بنُقطةٍ جازمةٍ خاتِمَةٍ في آخر السَّطر.

(٢) **المعنى**: وبناءً على هذه القاعدة الغيبيّةِ التي لم يُفَكِّكْ، بعدُ، نسقها المُلغِز والمُغيِّب عن فطرةِ العقولِ المُستنيرة؛ لذلك تراهُ يختصُّ من شاءَ من عباده برحمته، لكنهُ يحجبُها، أيضاً، عَمَّن يشاءُ دونما إلماح لكينونةِ اللغز ـ لأنَّ منطق النتيجة التي ستظهر لاحقاً؛ سيُبيِّنُ أنَّهُ رحمنٌ عادلٌ في بواطن الحُكْمَين، وإن قالت ظواهرهما بغير ذلك في مُقتضياتِ حُدودِ العقلِ المُفكِّر الحائر.

(٣) **المعنى**: لذلك؛ فإنَّ النتيجَة الحتميّة لكُلِّ ما يتعاطاهُ الذكاءُ البشريّ أمامَ تقدير حُكمِ مَقادير المُقتدِر تأويلًا بمحدوديّةِ مَنطِقه القاصر ستكونُ نتيجتها تخميناً وبهتاناً قاصرين بدَورهمَا؛ لأنَّ العِلَّةَ ـ تخصيصاً، في حال كهذه ـ لا تُستنبطُ، كما يلا يُمكِنُ تأويلها جُزافاً.

(٤) **المعنى**: والسؤالُ الذي سيطرحُ نفسهُ بداهةً في مُتوالية الأبيات: ما حيلة الظنِّ والأوهامِ في تعليلِ تعارُضِ النتائج القدَريّةِ في مَعكوساتها وفقاً لقصور المُخيّلة البشريّة؛ إلّا عجز تفلسُفها الفادح إذعاناً ـ في بصيص الطيف الرُّؤيَوي ـ لحقيقة المُمضلةِ التي استعصى فهم نَسَقها الرَّبانيّ الكامل على مُحاولات تلك العُقول المُفكِّرَة.

(٥) **المعنى**: وخلاصَة الحَدَث الغيبيّ؛ هي وُجُوب ربط الأفهام لوَحدَتِهِ الكُليّة؛ فدون ذلك الرَّبط ينتقض مُستوى تعليلِ وَحدَةِ الخالق ومشيئته اللامُفسَّرة، رغم محاولات التفسير المُتطاولَة على اختيارات مشيئتِهِ بتقريبِ العِلَّةِ إلى حوافِّ مَعلولاتها والإمعانِ والتفكُّرِ جُزافاً فيما لا فائدة تُرتجى من سَبر أغواره.

خُذْ ما أتاكَ وَسَلِّمْهَا لِخَالِقِهَا ... فَالشَّأنُ ـ لا غَيْرَ ـ لِلأكْوَانِ دَيَّانُ[1]

انْظُرْ إلى دَوْلَةٍ أعْيَتْ مَعَاجِزُهَا ... رَأيَ الفُحُولِ، فَفِيهَا ثَمَّ بُرْهَانُ[2]

أرَادَهَا اللهُ فَاحْتَلَّتْ مَنَاصِبَهَا ... وَالعَقْلُ فِي نَصَبٍ وَالكَوْنُ أشْجَانُ[3]

بِأسْهُمِ اللهِ تَرْمِي مَنْ يُقَاوِمُهَا ... وَلا يَقُومُ لِسَيفِ الحَقِّ بُطْلانُ[4]

---

(١) **المعنى**: وعليك الاعتراف بالتسليم للخالق بخصوص الأمر المُبهَم في بصيرةِ عقلك المَنقوص؛ فضلاً عن مُعضلتك البَشريّةِ المحدودةِ بمنطقِ قصور عقلك البشريِّ عن فهمها وتأويلها وتقدير حِكمَتِهِ التي بدا لك نشازها لقصُور رؤيتكَ الكُليّانيّةِ لأسبابِهِ التي غيّبتها مَقاصِدُه، قصداً، عن مَحدودِ تفكير العقلاء من عِبادِهِ وعَبدِيّهِ الذي امتازوا بمزيّةِ التفكيرِ فيه وفي خلقِه وفي تقدير مواقيتِهِ لظهوراتِ ما أخفاهُ في خدور غيبيّاتِه.

(٢) معاجزها: جمع مُعجزة؛ كمُعجزات الأنبياء || الفحول: الرُّواة، [ولم يقصد الشاعر معناها الشائع]. **المعنى**: وإذا ما أردت دلائل ظهورات الإعجاز وتمَظهُراته؛ وكُنتَ ممَّن يتفكرون، بحَقّ، في مَاهيّة خوارق الخالق التي لا تُحصى؛ تمَلَّ بعين الفطِنةِ، إذن، في أمر دولةٍ أعيت (مُعجزاتُ قيامها في آخر الزمان) رأيَ الرُّواةِ الذين تداولوا أمرَ مُعجزتها الخارقة؛ ففي تحيُّرهم من الحدث الكونيِّ درسٌ لعقلك المُتفكر وبُرهانٌ ساطعٌ لحواريِّه.

(٣) مَناصبها: المَنْصِبُ والنِّصابُ: الأصل والمَرْجِع || النَّصَبُ: الإعياءُ من العَناءِ || أشجان: تعني، هنا، الحاجة أينما كانت، ولا تعني، في السِّياق، عداه من المعاني الشائعة. قال الشاعر، فيما أورده اللسان: «ذَكَرْتُكِ حيثُ استَأْمَنَ الوَحشُ، والتَقَتْ | رِفاقٌ من الآفاقِ شَتَّى شُجُونُها»، ويُروى: لُحونُها أي لغاتها، وأراد أرضاً كانت له شَجَناً لا وَطَناً ـ أي حاجةً، وهذا البيت استشهد الجوهري بعجزه وتمَّمه ابن بري وذكر عجزه: «ذَكَرتُكِ حيثُ استأمَن الوحشُ، والْتَقَتْ | رِفاقٌ به، والنفسُ شَتَّى شُجُونُها»، وهو بيت لقيس بن المُلوّح. **المعنى**: وهي دولة ـ أي دولة الإمام سالم بن راشد ـ أرادها الله، ولو تأخرت زمنيّاً عن استقامة دولة الخلافة الرَّاشدية لتحتلَّ موضعها وأصلها في كينونتي زمانها ومكانها، رغم الدهشة التي أصابت عُقولَ الظلاميّين المُحتكِمين إلى سَطوةِ رؤوس القبائل، عدا النخبة المُستنيرةِ بورعها وتقواها. ورغم ذلك ذهُلت عقولهم من عناءِ التفكُّر في أمر قيامِها المُفاجئ لقاطبة الكينونة وحَوضِ الكَون المُحتاج ساعتئذٍ لبشير إنقاذٍ ظهر في ذروة اللحظة المُناسِبة بعد استفحالِ الظَّلام وسَلاطين الظَّلام المُتقلبِين بِبُرُدَةِ المُستعمِر.

(٤) **المعنى**: ودولة هذا الإمام التقيُّ الورع لم ترم أعداءها بمنجنيقِ مُناصريها الكُفار؛ بلْ بسهام الله مُقاومَةً من تصَدَّى لحَقِّها بسيف بطلان حُجَّة الباطل. في البيت إضمار لتحول الإمامة، لا سيما في شتات عُهود أبناءِ سعيد بن سُلطان لتاج سلطنةٍ مُتوارثة، مُقابلَ البديلِ الحضاريِّ المُتوارث: اختيارِ الأئمة لإمامِها المُنتخبِ وِفقَ ما أقرَّته شِرعة آخر الأنبياءِ التي لم تقُم لها قائمة في أصقاع الأمة الإسلاميّة، إلّا في هذا الثغر الذي اختارَهُ الله وحِكْمَتُه لتكُون بيضة الإسلام/نزوى مَنبَت عدالتِهِ المُؤمَّلة.

إنَّ الأَسِنَّـةَ لا تَـعْـدُو مَـقـاتِـلَهـا ... إنْ شَـدَّ بـالـجَدِّ وَالـتَّـوْفِـيـقِ مِـطْـعَـانُ[1]

عَـادَتْ إِلَى جِـذْلِهَـا مِـنْ طُـولِ غُـرْبَـتِـهـا ... خِـلافَـةُ اللهِ وَالإِسْـلامُ جَـذْلانُ[2]

عِـنَـايَـةُ اللهِ تَـحْـدُوهَـا لِمَـوْطِـنِـهـا ... وَلِلخِـلافَـةِ فِـي الإِسْـلامِ أَوْطَـانُ[3]

---

(١) الأسنَّة: الرِّماح || لا تعدو: لا تتجاوز || مَقاتِلَها: مَقاتِل الإنسان؛ هي المواضع التي إذا أُصيبت منه قَتَلَتْه، واحدها مَقْتَل || الجَدّ: الحظ || مِطعان: كثير الطَّعْنِ للعَدُوّ. **المعنى**: وما عرفناهُ من درس التاريخ المُكرَّر دائماً لنفوس نفسه؛ عرفنا أنَّ الرِّماح لا تتجاوز مَقتلَها المُتوخى والمُؤمَّل في القِتْلَة والقَتْلَة؛ إلّا إن استشرسَ المُقاتلون في طعنهم العشوائي للأعداء في مَعركتهم اعتماداً على خصيصتين: الحظ والتوفيق. **ملحوظة**: ثمَّة استنهاضٌ مَعنويٌّ غير مَنظور في هذا البيت؛ هو اعتماده في استنهاضِهِ على الحظ والتوفيق إكباراً مِن شأن العَدوّ الذي لا بُدَّ لفرسان الله مِن مُقاتلته بعُدَّةٍ أكثر خشونة، إلى جانب الإعتمادِ على توفيق الله؛ الذي هو ـ في نظر الشاعر ـ حاصِل تحصيل لنتائج المعركة بين الأخيار والأشرار.

(٢) جِذلها: الجِذْل، بكسر الجيم: أَصل الشيء الباقي من شجرة وغيرها بعد ذهاب الفرع، والجمع أَجذال وجِذال وجُذُول وجُذُولة.
والجِذْل ما عَظُم من أُصول الشجر المُقَطَّع، وقيل: هو من العيدان ما كان على مثال شماريخ النخل، وفي الحديث: يبصر أَحدكم القَذى في عين أَخيه ولا يبصر الجِذْل في عينه؛ أي العُود أو الشَّيق الذي دخل عينه. [لم يُصِبْ من اعتقدوا بأنه قصد جَذلها ـ بفتح الجيم ـ بمعنى فرحها وسرورها في النسخ الموجودة من النونية، كما في شروح شُرَّاحها؛ فغور القصد المُبتغى في البيت هو عودة دولة الخلافة إلى أصلها القديم بعد طول غربة] || جذلان: فرح ومسرور. **المعنى**: وليس غريباً بعد بسالتهم تلك أن تعود الخلافة إلى أصول مَعاقلها التي اختارها الله بعد اجتثاثها مِن ربوع الأمَّةِ واغترابها في دُولٍ شتى؛ ليعود الإسلامُ [بكافةِ مَذاهِب المُتَمَذهِبين به] فرِحاً مَسروراً مُغتبطاً بنصر الأئمة.

(٣) تحدوها: تسوقها. **المعنى**: وهي دولةٌ وخِلافة ساقتها عِنايَة الله لتعود لمَوطنها المُحافِظ على شُروطِها التي اشترطها النبيُّ محمد، وطُبِّقت في العصر الأوَّل من الخلافة الرَّاشدية قبل انقطاعها؛ لتعود تلك الخلافة بعد نحو ألف عام مُتماسكة بعد غُربَتها في أوطانٍ لم تكُن وطناً حقيقياً لرسالتها [تحديداً؛ يقصد الدولتين الأمويَّة والعَباسيَّة] اللتين احتكَرَتا إسلام ما بعد الخلافة الرَّاشديَّة في مَذهب بعينه دون سواهُ من المذاهب كالإباضية والشيعة والزيدية وغيرها من المَذاهب التنويريَّة التي قُمِعت طوال فترة ازدهار «مُؤسَّسات الدولة الإسلاميَّة»؛ لذلك يُبرِزُ الشاعر عودة ظهور الخلافة الرَّاشِدِيَّةِ الحَقِة في عُمان؛ (أي في بيضة الإسلام) لتصير وطناً بديلًا لها عن مَوطنها الأوَّل، ساطعاً في لُمُوع استنهاضه: «وللخلافةِ في الإسلامِ أوطانُ». وفي ذلك تأكيدٌ مُضمَر على فسادِ الخلفاء/ الأمراء الذين كانوا، في حقيقة الأمر، خلفاءَ أنفسهم ومَلذاتهم في الدولتين الأمويَّة والعبَّاسية، لولا استثناء عُمر بن عبد العزيز وبعض الخلفاء الصالحين، مُستطرداً في القول: وليس غريباً أن يصير وطنُها الجديد بيضة الإسلام التي تقاطر إليها الإباضية من أصقاع مغارب الأرض ومشارقها، بعد أن حارب اعتقادَهم= =الحُرّ

تَنْحُو ابْنَ بَجْدَتِها العُلْيا وَبُؤْبُؤَهَا ... وَشَأْنُهَا لِمُصَاصِ المَجْدِ خُلْصَانُ[1]

تَقَلَّدَ العِقْدَ مِنْهَا صَدْرُ قَيِّمِهَا ... صَدْرٌ بِخَالِصَةِ الإِيمَانِ مَلآنُ[2]

هُمَامُهَا العَاصِمُ الكَافِي لِعِصْمَتِها ... لَهُ عَلَى حَمْلِهَا جَدٌّ وَإِقْرَانُ[3]

مركز الإسلام الرَّسمي في مَعاقل دُورهم. **ملحوظة**: رغم محاولتنا شرح البيت ضمن تاريخانيّته؛ لكنَّ أبا مُسلم ـ لحظة كتابة القصيدة ـ كان مُؤمناً بأنَّ الله يختارُ، كما في الأزمنة القديمة أماكن خِلافته لاستخلافِ نُظَراء وأنداد خُلفائهِ التاريخيِّين. وسُؤالنا الذي ربَّما سيطرحُهُ أبو مُسلم، نفسه، على نفسه بعد مائة سنة تقريباً على رحيله: هل كان اعتقادُهُ صحيحاً بأنَّ للخلافةِ أوطاناً اختارَها الله وحفظ قُدسيَّتها؟ . . لن نجيب على السُّؤال المؤرِّق للأذهان، لأنَّ الدَّهرَ الذي اعتمَدَهُ الشاعر مقياساً لديمومَةِ آرائه وأفكاره، هو من سيتكفل بصراحته اللامُبالية على ذلك التسآل.

(١) تنحو: النَحْوُ؛ هو القصْد، والطريق. يقال: نَحَوْتُ نَحْوَكَ، أي قصدتُ قصدك || ابن بجدَتِها: يُقال عنده بَجْدَة ذلك ـ بالفتح ـ أي علمه؛ ومنه يُقال: هو ابن بَجْدَتها للعالم بالشيءِ المتقن له المُميز له، وكذلك يقال للدليل الهادي؛ وقصد بالتعبير الشائع: الإمام سالم بن راشد || العُليا: العَلاءُ: الشرفُ، وذو العُلا: صاحب الصفات العُلا، والعُلا: جمع العُلْيا أي جمع الصفة. أما العَليا (بفتح العين) فهو اسمٌ للمكان العالي، وللفَعْلة العالية على المَثَل، والعَلْياءُ رأْسُ الجَبَل، وفي التهذيب: رأْسُ كلّ جَبَلٍ مشرفٍ، وقيل: كلُّ ما عَلا من الشيءِ؛ قال زهير: «تَبَصَّرْ خَلِيلي، هَلْ تَرَى من ظَعائِنٍ | تَحَمَّلْنَ بالعَلْياءِ، من فوقِ جُرْثُم». والعَلْياءُ: السماءُ اسمٌ لها، وليس بصفةٍ، وأصله الواو إلا أنه شَذَّ. والسَّموات العُلَى: جمع السماء العُلْيا || بؤبؤها: البُؤْبُؤُ: تعني الأصل، وأيضاً العالِمُ المُعَلِّمُ، وإنسانُ العين || مُصاص المجد: المُصاصُ خالصُ كلِّ شيءٍ. يقال: فلانٌ مُصاصُ قومِه، إذا كان أخلصهم نسباً || الخُلصان: خَلَصَ خُلُوصاً وخِلاصاً: صَفا وزالَ عنه شَوبُه، وخَلَصَ إلى الشيء: وَصَل، فهو خالص. والخُلصان: الخالِص من الأخدان، وخَلَصَ الشيءُ، بالفتح، يَخْلُصُ خُلوصاً صار خالِصاً. **المعنى**: يقصد الشرفُ الأصيلُ عالِمَهُ الهادي المُتيقن من يقينه؛ وشأنُها ـ أي الخلافة المُستعادَة ـ لخالص نَسَبها فمُصاصُها خالصٌ في المجد، ذائب فيه.

(٢) **المعنى**: ولا غروَ إنْ نَحَتْ ذلك المَنحَى؛ فصدرُ قيِّمِها القائم على شُؤونها تقلَّدَ واسطة العِقد من تلك الخلافة المُتمترسة في قلعة بيضة الإسلام/ أو نزوى واسطة ذلك العقد، لأنَّ صَدرَها [أي الإمام سالم بن راشد]؛ بِبَيْضَاءِ قلبه صَدرٌ مُمتلئٌ بخلاصة الخالِصِ من الإيمان المَحضِ الذي لا تشوبُهُ شائبة.

(٣) الهُمام: الملكُ العظيم الهِمّة، وفي حديث قُسٍّ: أيها الملكُ الهُمامُ، أي العظيمُ الهِمَّة || العاصم: المانع الحامي || عِصمَتها: والعِصْمَةُ الحِفْظُ والمَنع || جَدّ: عَظمَة || إقران: الإقْرانُ قُوَّة الرجل على الرجل [ولم يعنِ الأقران؛ أي النُّظَراء كما اعتقد بعضُ الشرّاح]. **المعنى**: يستخدم في هذا البيت مُفرَدة تليق بتفخيم المُلوك؛ لكنَّهُ أراد بذلك التفخيم إمام تلك الدولة المُنتمِية روحاً للصَّرف المُصفَّى من الخلافةِ الرَّاشِدية؛ ليستطرد قائلاً: هُمامها [أي إمامها الممدوح] العاصم الكافي لعصمة تلك الإمامة التي حملها وساس أمورها بعظمته الرُّوحية وقوَّته البدنيّة.

سُمَيْدَعٌ مِثْلُ صَدْرِ السَّمْهَرِيِّ لَهُ ... في هَضْبَةِ المَجْدِ أَجْذَالٌ وَأَغْصَانُ[1]

رَحْبُ المَبَاءَةِ قَرْمٌ لا بَوَاءَ لَهُ ... بِفَضْلِهِ شَهِدَتْ سَهْلٌ وَأَحْزَانُ[2]

مُشَمِّرٌ أَخْوَذِيٌّ رَأْيُهُ فَلَقٌ ... وَعَزْمُهُ قَبْلَ وَضْحِ الرُّمْحِ طَعَّانُ[3]

مُرَوَّعٌ المَعِيٌّ فِي بَصِيرَتِهِ ... مِنَ الذَّكَاءِ لِمَحْضِ الرَّأْيِ تِبْيَانُ[4]

---

(١) السُّمَيْدَع: الشجاع الكريم سيد القوم الجميل الجسيم المُوَطَّأُ الأكناف، والأكنافُ النواحي || السَّمهري: الرُّمحُ الصُّلْبُ، والمنسوبُ إلى سَمْهَر زَوْجِ رُدَيْنَةَ، وكانا مُثَقِّفَيْنِ لِلرِماحِ! قال الشاعر: «مَصانعُ فخرٍ ليس بالطِّينِ شُيِّدَت | ولكن بطعن السَّمهريِّ المُعَوَّنِ» || أجذال: الجِذْل أصل كل شجرة حين يذهب رأسها. يقال: صار الشيء إلى جِذْلِه أي أصله، ويقال لأصل الشيء جِذْل، وكذلك أصل الشجر يقطع، وربما جُعِل العُود جِذْلاً في عينك. الجوهري: الجِذْل واحد الأَجْذال وهي أُصول الحَطَب العظام [وردت أجدال في كافة النسخ؛ فصَحَّحناها من مخطوطة النونية التي خُطَّت في ١٣٣٢هـ (الموافق ١٩١٤م)، راجع قسم الصور والوثائق]. المعنى: فهو شجاع كريم وسيد قوم مُوطأ الأكناف، كالرمح في صلابته، له في هضبة المجد أغصان وجذوع راسخة كالأشجار العظيمة.

(٢) المَباءة: المنزل، وقيل مَنْزِل القوم حيث يَتَبَوَّأُونَ من قِبَلِ وادٍ، أو سَنَدِ جَبَلٍ. وفي الصحاح: المَباءة: مَنْزِلُ القوم في كل موضع، ويقال: كلُّ مَنزِل يَنْزِله القومُ. قال طَرَفة: «طَيِّبو الباءة، سَهْلٌ، ولَهُمْ || سُبُلٌ، إن شئتَ في وَحْش وَعِر» || قَرْم: القَرْمُ من الرجال: السيد المعظم || بَوَاء: نظير وكُفء || سَهل: المُنبسط من الأرض || أحزان: جمع حَزْن؛ وهي الأرض الغليظة الوعرة. المعنى: ومَضافَتُهُ رَحبَة؛ لأنهُ سَيِّدُ قومٍ مُبجَّل لا نظير له، ولفضله الذي شهدت به الأرض سهلًا وجبلًا.

(٣) مُشمِّر: جادٌّ في أمره؛ وفي الحديث: ألا هل مُشَمِّرٌ للجنة فإن الجنة لا خَطَرَ لها؛ أي لا عِوَضَ عنها ولا مِثْلَ لها || أخوَذِيّ: والأخَوَذِيُّ: المشمر في الأُمور القاهر لها الذي لا يشذ عليه منها شيء، والأخوَذِيّ الذي يَغْلِب. || فلق: والفَلَق بيان الحق بعد إشكال؛ والفَلَق، بالتحريك: ما انفَلَقَ من عمود الصبح، وقيل: هو الصبح بعينه، وقيل: هو الفجر، وكلٌّ راجع إلى معنى الشَّق. المعنى: وهو إمام جادٌّ في أمره قاهر للمعضلات التي تواجهه، رأيه فلقٌ وضَّاح، وعزمُهُ طَعَّانٌ لأعداءِ الله قبل وضع رُمحِهِ في صدورهم.

(٤) مُرَوَّع: المُرَوَّعُ المُلْهَم كأنّ الأمر يُلْقَى في رُوعه. وفي الحديث المرفوع: إنّ في كل أُمة مُحَدَّثين ومُرَوَّعين، فإن يكن في هذه الأُمةِ منهم أحد فهو عُمر؛ وأيضاً المُرَوَّعُ: هو من أُلقي في رُوعه الصواب والصِّدْق، وكذلك المُحَدَّث كأنه حُدِّثَ بالحقّ الغائب فنطق به. وقد اختار الشاعر المُفردة بعينها تدليلًا على تشابه فِعالِ عُمر بن الخطاب وفِعالِ الإمام سالم بن راشد الخروصي || ألمعي: الأَلمَعِيُّ الذي إذا لَمَعَ له أولُ الأمر عرف آخره، يكتفي بظنه دون يقينه، وهو مأْخوذ من اللَّمْع، وهو الإشارةُ الخفية والنظر الخفيُّ || الذَّكاء: التوقد والفطنة || تمحض الرَّأي: خالِصُه. المعنى: مُلهَمٌ وقادٌ في بصيرته، له تبيان في خالص الرَّأي السديد لشدة ذكائه الفطري المُوجِّه لبصيرته تلك. [نقترح لمن أراد التوسع الرجوع إلى معاني الكلمات وشروحها التي تُسبغ عليها ظلال مقاصد البيت].

تَحَكَّمْتُ مِنْ أَصِيلِ الرَّأْيِ فِطْنَتُهُ ... كَأَنَّهَا فِيهِ أَبْصَارٌ وَآذَانُ[1]

يَطْوِي عَزَائِمَ بِالتَّقْوَى وَيَنْشُرُهَا ... كَأَنَّهُنَّ بِخَصْمِ اللهِ نِيرَانُ[2]

أَصَارَهُ عِلْمُهُ بِاللهِ مَحْضَ هُدًى ... وَغَيْرُ بِدْعٍ هُدًى يُذْكِيهِ عِرْفَانُ[3]

لَم يَنزِلِ العِلْمُ مِنْهُ مَوْضِعاً كَدِراً ... يُمَثِّلُ الشَّمْسَ مِنهُ الذَّاتُ وَالشَانُ[4]

---

(١) تحكَّمت: أصلها الحُكْمُ: العِلْمُ والفقه والقضاء بالعدل، وهو مصدر حَكَمَ يَحْكُمُ، ويُروى: إن من الشعر لحِكْمَةً، وهو بمعنى الحُكم؛ ومنه الحديث: الخِلافةُ في قُرَيش والحُكْمُ في الأنصار؛ خَصَّهُم بالحُكْمِ لأن أكثر فقهاء الصحابة فيهم، منهم مُعاذُ بن جَبَلٍ وأُبَيّ بن كَعْبٍ وزيد بن ثابت وغيرهم. **المعنى**: وفطنته تحكَّمت من ثاقب الرَّأي علماً وقضاء بالعدل، كأنَّ فطنته الخارقة تلك تجسدت في كُلِيَّتِهِ مجسَّات سمع وإبصار لاقطة لما خفي واستعصى فهمه من الأمور. **تلميح**: أراد باستخدامه لكاف التشبيه، في الشطر الثاني من البيت صيغة المُبالغة، بحيث أضحت فطنته (المُتمكنةُ في شخصِهِ عِلْماً وعدالة) أبصاراً وآذاناً يرى ويسمع بها، تركيزاً لوظائفها للقيام بوظيفة العدل وحصافة الرأي، دون انشغال حواسِّهِ بغيرها من المَحسُوسات والمُدرَكات.

(٢) عزائم: العزائمُ الرُّقَى. وعَزائِمُ الله: فَرائِضُهُ التي أَوْجَبَهَا، والعَزْمُ ما عَقَد عليه قَلْبَك من أَمْرٍ أَنَّكَ فاعِلُه؛ وقول الكميت: «يَرْمي بها فَيُصِيبُ النَّبْلُ حاجَته | طَوْراً، ويُخْطِئُ أَحْياناً فيَعْتَزِمُ»؛ قال: يَعودُ في الرَّمْي فَيَعْتَزِمُ على الصواب فيَختَشِدُ فيه، وإن شئت قلت يَعْتزِمُ على الخطإ فَيَلِيجُ فيه إن كان هَجاه. **المعنى**: وبالتقوى، دون سواها، يطوي العزائم وينشرها، في اللحظة الصحيحة والمُناسبة للإنقضاض، بحيث تبدو مطويَّةً كانت أم منشورة تلك العزائم في نظر العدو نيراناً عليه أن يحسب لها ألف حساب.

(٣) محض هدى: هدى خالص || بدع: البِدْعُ؛ هو الشيء الذي يكون أَوَّلًا. جاء في محكم التنزيل: «قُل ما كنتُ بِدْعاً من الرُّسُل»؛ أي ما كنت أَوَّلَ من أُرْسِلَ، قد أُرسل قبلي رُسُلٌ كثير. والبِدْعةُ الحَدَث وما ابْتُدِعَ من الدِّينِ بعد الإكمال || يُذكيه: يُوقِدُه ويُنيره || العِرفان: العِلم والمعرفة الباطنية بالله في المُصطلح الصوفي. **المعنى**: لقد صيَّرَهُ عِلمُهُ هدى خالصاً ينضح على كافة أتباعه، وما ذلك بغريب ولا مُبتدَع عليه، لأنهُ انحلَّ من جسده الإنساني في لبوس الهُدى المُتوقد بالعرفان الرَّباني. **ملحوظة**: نلاحظ أنَّ أبا مُسلم يُضفي على شخص الإمام (وأخيار تابعيه في الأبيات اللاحقة) صِفات عِرْفان المُتصوِّفة الكبار، تعبيراً عن تناهي ورعهم وتقاهم، لكنَّ واقع الحال غير ذلك؛ أي أنَّ الإمام الممدوح لم يبلغ تلك المراقي التي أضفاها عليه مادحه الشاعر، مهما بُولغ في الخطاب الرَّافِع من شأنه، لا سيَّما أنه انتخب وهو ما زال في حدود الثامنة والعشرين من عُمره واغتيل في حدود الخامسة والثلاثين، وفي محيط هذا العُمر لا تترسخ المعرفة الكلية للكائن الورع في باطنها وظاهرها؛ لكنه خِطابٌ نعتقدُ أن الشاعر عكس في صفاءِ جدول مائه ما يجول في خاطره فرحاً بقيام دولة الإمامةِ فأضفى على ممدوحيه عِرفانه الشخصي.

(٤) لم ينزل: النُّزُول؛ هو الحلول، وقد نَزَلَهم ونَزَل عليهم ونَزَل بهم [وردت في الأصل المُعتمد=

ما زَالَ تَمْحَصُهُ التَّقْوَى وَيَمْحَصُها ... وَسِرُّهُ مَلَكٌ وَالشَّخْصُ إِنْسَانُ[1]

حَتَّى تَمَحَّضَ نُوراً لا يُكَدِّرُهُ ... خَيْرٌ وَشَرٌّ وَأَغْيَارٌ وَأَغْيَانُ[2]

وَالعِلْمُ بِاللهِ وَالإِخْلاصُ عَارِفَةٌ ... مِنَ الكَرِيمِ وَتَخْصِيصٌ وَإِحْسَانُ[3]

مَوَاهِبٌ سَاقَهَا مِنْ فَيْضِ رَحْمَتِهِ ... لأَنفُسٍ ما لَهَا فِي النَّاسِ حُسْبَانُ[4]

=والنسخ الأخرى: «لم يَتْرُكِ العِلمُ»، لكننا اعتمدنا ما ورد في مخطوطة [١٩١٤م] لفرادتِهَا الإيحاءات الجمالية لمفردة نُزول العلم في قلب نَقاوةِ الله وخلصائه || كَدِراً: عكسُ صفاءِ الشيء. **المعنى**: والعلم والمعرفة والعرفان لم تنزل منه موضعاً كدراً (لعدم وجود موضع كذاك، أصلًا، في قلبه وبدنه)، فشأنه وكينونة ذاته يُمثِّلان الشمس الناصعة في إشراقتها.

(١) تَمْحَصُهُ: تنقِّيه وتصفيه وتجعله خالصاً، كما يمحصها بدوره || مَلَك: مَلاك. **المعنى**: فالتقوى تنقيه وتصفيه ليكُون خالصاً، كما يمحصها من أدران شوائب الأغيار ومدسوساتهم، وهو لا يبوح عن ذلك التمحيص المُتبادل بينه وبين التقوى، لأنَّ سِرَّهُ (باطنه) مَلاكٌ مُتعالٍ تَسرْبَلَ (في الظاهر) بخصائص الإنس في شخصنته الظاهرية المُتمظهِرَة. **تمحيص**: نلاحظ إعلاءهُ من شأن إمام أئمته المُختار في تمحيصه وتمحيص التقوى له، ليُعلي الشاعرُ من مَقامه المُتعالي لدى العليِّ القدير في مرتبة الملائكة المُصطفين، وإنْ بدا لمَن خالطوه من عامَّة الناس إنساناً بسيطاً مثلهم يمشي على قدمين.

(٢) تمحَّض: تصَفَّى || أغيار: قصد بها أحداث الدهر وأحواله المُتغيِّرة || أغيان: غِينَ على قلبه؛ أي: غُطِّيَ عليه وأُلْبِسَ. وغِينَ على الرجل؛ أي غُطِّيَ عليه. وفي الحديث: إنه ليُغانُ على قلبي حتى أستغفر الله في اليوم سبعين مرة. **المعنى**: لقد مَرَّ بكُلِّ تلك المراحل حتى تصفى من كُلِّ شائبةٍ في الرُّوح والجسد ليتجسَّدَ نوراً صافياً لا يُكدِّره شرٌّ وخيرٌ ولا لبوس موبقات الدهر من تغير أحواله وإسدال سُترها عليه.

(٣) عارفة: العُرْفُ والعارِفة والمَعروفُ واحد: ضد النُّكْر، وهو كلُّ ما تَعْرِفه النفس من الخير وتَبَسأُ به وتَطمئنّ إليه، وقيل: هي الملائكة أُرسلت مُتتابعة. وفي حديث كعْب بن عُجْرةَ: جاؤوا كأنَّهم عُرُف، أي: يتْبع بعضهم بعضاً، وقرئت عُرْفاً وعُرُفاً والمعنى واحد، وقيل: المرسلات هي الرسل. وقد تكرَّر ذكر المعروف في الحديث، وهو اسم جامع لكل ما عُرف من طاعة الله والتقرّب إليه والإحسان إلى الناس، وكل ما ندَب إليه الشرعُ ونهى عنه من المُحسَّنات والمُقَبَّحات وهو من الصفات الغالبة أي أمْر مَعْروف بين الناس إذا رأَوْه لا يُنكرونه. **المعنى**: والعِلم المُتبحِّر بالله بعد الإخلاص لهُ، عارِفَةٌ وإحسانٌ من عوارف الكريم التي اختصَّ بها مثل هذا الإمام الذي بين أيديكُم.

(٤) فيض رحمته: نَهْرُ رَحمَته. **المعنى**: ولا مجال لاستغراب واستنكار كُلِّ من الجاهل والعالم على السواء؛ فتلك مَواهبُ سَاقها العليُّ القدير من فيض رحمته على من اختصهم بها، لعلمه بمكانة تلك الأنفُسِ في عرشه، وإنْ لم تحتسب لها عامَّة الناس حُساباً يُعيدُ إليهم (أي العامَّة، وليس أولئك الأخيار) المَكانةَ التي غفلوا عنها جهلًا بمقدارهم العالي لدى رَبِّ الأرباب، وبطبيعة الحال، فإنَّ الإشارة والتلميح يَنضحانِ وُضوحاً وإيماءً في شخص مَمدُوحِه الإمام سالم بن راشد الخروصي.

يَعُدُّهَا النَّاسُ مِنْ أَحْجَارِ سُوحِهِمُ وَهُنَّ فِي مَلَكُوتِ اللهِ شُهْبَانُ[1]

يَمْشُونَ بُلْهاً، وَهَمُّ النَّفْسِ فِي كَيَسٍ وَالعَقْلُ فِي الوَجْدِ بِالمَشْهُودِ وَلْهَانُ[2]

وَالفَتْحُ يَقْصِدُ قَلباً مَا بِهِ سَعَةٌ إِلّا لِمَنْ لَمْ تَسَعْهُ قَطُّ أَكْوَانُ[3]

---

(١) سُوح: الفضاء والخلاء بين دُورِ الحَيّ؛ وهي السُّبوح في الدارج العُماني || شُهبان: في الأصل، الشُّعْلَة من النَّارِ؛ ويقال للرجُلِ الماضي في الحرب: شِهابُ حَرْبٍ أي ماضٍ فيها، على التَّشْبيهِ بِالكَوْكَبِ في مُضِيِّه، والجمعُ شُهُبٌ وشُهْبانٌ؛ قال ذو الرُّمة: «إذا عَمَّ داعِيها، أَتَتْهُ بمالِكٍ | وشُهْبانِ عَمْرٍو، كلُّ شَوْهاءَ صِلْدِمِ». أرادَ بشُهْبانِ عَمْرٍو: بَني عَمْرو بنِ تَميم. **المعنى**: وتلك المَواهِبُ التي اختصَّ بها الرحمان رجالاته الأخيار، يحسبُها عُموم الناس ويعتقدونَ أنها حجر لا قيمة له كالأحجار التي امتلأت بها السُّوح المحيطة ببلداتهم، دون تثمينها بما تستحقه حَجَراً كريماً نفيساً، لو أدركوا قيمة تلك الأحجار/ المواهب المُتوقِّدة شهاباً إثر شهابٍ مُضيءٍ، ليسَ في سُوحِهم الجرداء فحسب، بل في ملكوتِ الله، لو كانوا يعلمون.

(٢) بُلهاً: جمع أبله؛ أي حمقى || كَيَس: الكَيِسُ: خفَّة الفهم وتوقُّد الذكاء || الوَجْد: الوَلَه؛ وهي ترِدُ في هذا البيت خالصةً بمُعتِقِ ظلالها الصُّوفية || المَشهود: ذات الله، وأيضاً تعني: يوم القيامة || ولهان: الوَلَهُ: ذهاب العقل لِفَقْدانِ الحبيب، وقصد به ذات الخالق جلَّ وعلَا. **المعنى**: وهذا الإمامُ وخُلَّصُ حواريِّيه ـ كما ترون يا عائلة الناس ـ يَمشونَ بينكُم بلِحاهم وعَمائمِهم المُستنيرة؛ كما يمشي البُلهاء والمجانين في بلداتكُم، لا لبلاهَةٍ، بل لشدَّةِ وَرَعِهم وتقواهُم ومخافتهم من الله التي صيَّرَتهُم في عُيونكُم كالشُّعراءِ العُشاق يُطوِّفون من حارةٍ إلى حارة تشبيباً بالمحبوب، لكنَّ مَحبوبَ هؤلاء [البُلْه]، هو الله عز وعلا. **تلميح**: تطفى على البيت قُبَّةُ بُعدٍ صُوفيٍّ تُذكِّرُ، ولو من بعيد، بمَولويَّات الشيخ جلال الدِّين الرُّومي؛ الذي يبدو لنا أنَّ الشاعرَ أسبغ ظِلالَ بُعدِهِ القاموسي (وليسَ الشُّلوكي، شطحاً) على الأتقياء الوَرِعين من أتباع إمام المُسلمين الممدوح في القصيدة.

(٣) الكَعَة: نقيض الضيق || الفتح: **في اللغة**: الفَتْحُ النصر. والفَتْحُ الماء يجري من عينٍ أو غيرها. وفاتحة الشيء: أوَّلُه. **في القرآن**: (أ): خلاف الإغلاق «لا تفتح لهم أبواب السماء» [٧/ ٤٠]. (ب): فتح = حكم. الفتَّاح = الحاكم. «قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم» [٣٤/ ٢٦]. (ج): فتحَ: أرسلَ وأطلقَ. «ما يَفتحُ الله للناس من رحمة فلا مُمسِكَ لها» [٣٥/ ٢]. (د): فتحَ: بيَّن. «أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم» [٢/ ٧٦]. (هـ): الفتح ـ النصر، وقيل القضاء، استفتحَ = استنصر. «إنا فتحنا لك فتحاً مُبينا» [٤٨/ ١]. (و): يوم الفتح = يوم القيامة. «قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون» [٣٢/ ٢٩]. **عند ابن عربي**: (١) نظر إليه نظرة «عرفانية» لم يَتخطَّ بها أفق من سبقه من المُتصوِّفين، وكانت بالتالي عباراته فيها مستمدة منهم: فتح حلاوة ـ فتح عبارة ـ فتح مكاشفة، وهو فتح إنساني علمي؛ أي أنه «فتح عِرفان». (٢) نظرة «إيجاديَّة» تذكِّرنا بالتجلي الوجودي عنده، وهي نظرة خاصة شديدة اللصوق بمذهبه في التجليات والفيوضات. ولذلك جاءت عباراته فيها اصطلاحية، خاصة: المفاتح الأولى ـ المفاتح=

مَحَبَّةُ اللهِ سِرٌّ حَيثُمَا صَدَقَتْ ... لَهَا عَلَى عَالَمِ الإِمْكَانِ سُلطَانُ[1]

تُعْطِيكَ فَتْحاً وَإِنْ سُدَّتْ مَغَالِقُهُ ... وَطَوْرُ عَقْلِكَ فِي ذا الفَتْحِ حَيرَانُ[2]

فَلا عَلَيكَ إذا صَحَّتْ مَحَبَّتُهُ ... إذا وَفَى لَكَ هَذا الخَلْقُ أو خَانُوا[3]

للهِ ما أَنْفُسٌ فِي سِرِّهَا اشْتَعَلَتْ ... بِالحُبِّ؟ للهِ أَنْوَارٌ وَنِيرَانُ[4]

تَحُلُّ فِي الأَرْضِ وَالأَلْبَابُ طَائِرَةٌ ... فِي عَالَمٍ فِيهِ أَهْلُ اللهِ نُدْمَانُ[5]

=الثواني مفاتح الأسباب. وهذا الفتح هو إلهي إيجادي، لا قدم لمخلوق فيه. إنه «فتح خلق وإيجاد». . إلخ. **المعنى**: وفتحُ القلوب يقصد القلب الضيق على ما سواه، إلّا من لم تسَعْهُ براري الأكوان، لِعَظَمِ اتساع قلبه قياساً إلى محدوديَّتها.

(١) **المعنى**: وحين تصدق محبّة الله؛ فإنَّ لها سُلطاناً غامضاً خفيّاً سِريّاً على عالَم الإمكان لا تُدركُهُ مداركُ من تشرنقوا فيه، دون النظر بعيداً إلى عالم اللا ـ إمكان، وإلّا لاكتشفوا ذلكَ السِّر المُعجز في كينونة أفهامهم الضيقة بمنطقها التبريري الذي لا يرى ما وراء الأشياءِ والمُمكِنات لتنكشف لهم أسراره بسلطانها الباذخ على عالم الإمكان الواقعي المشهود، لدى خواصّ الله بنقيضيه: المُتمَرئي واللامرئي.

(٢) **المعنى**: فمَحبّة الخالق تعطيكَ فتحاً غير مُتوقع بعد أنْ سُدَّت مَغالِقه، وأنت غير مُصدِّق كحالة عقل الحائر.

(٣) **المعنى**: فإن صحَّت محبّته ـ أي محبّة الخالق ـ ولا شكَّ فيكَ أيُّها الإمام ولا في مَحبّتك، ولا تكترث سواءٌ وَفتْ لك الخلائق انطلاقاً من محبّتك الخالصة لله، أم خانوها. **ملحوظة**: ينتقل الخطاب في هذا البيت من التخصيص إلى التعميم، انطلاقاً من الإمام الممدوح إلى أقرب أخياره وأصفيائه، تصاعداً إلى عُموم المُخاطَبين في الكُونيّة، أوفياءَ كانوا لإمامهم العادل أم خونة لرسالته.

(٤) **المعنى**: ويا لها من أنفسٍ تلك النفوس التي توقَّدَت بحُبِّ الله الخالص؛ وليسَ بِدْعاً أن تشتعلَ أنوارُها الجُوَّانيّة بمحبّته، فكما لله نيرانٌ تستعر في القلوب المُطفأة، فثمّة أنوارٌ تُضيء في القلوب التي اختصَّها بمحبّته، كما اختصوه بمحبّتهم.

(٥) **الألباب**: العُقول || نُدمان: النَّدِيمُ: الشَّرِيبُ الذي يُنادِمه. قال الراعي: «يُنازِعُني بها نُدْمانُ صِدْقٍ | شِواءَ الطَّيرِ، والعِنَبَ الحَقِينا»، أراد بها الخمر رُوحاً وراحاً سَماوِيَّين. **المعنى**: وأنفسُهُم تلك، تحُلُّ في الأرض [أي تتنزلُ عليها من السماء] والألباب طائرةٌ مرفرفة مُحلِّقة في العالم الذي كان فيه وما زالَ أهلُ الله نُدمانٌ، لم يُفيقوا بعد مِنْ سَكرتهم فيه وبه. **تفصيح**: كثيرٌ مِنْ مُحاولي تفسير أبيات أبي مُسلم صَدَمَتهم أبياتٌ كهذا البيت، رغم وضوحها الرُّؤيوي وإشراقها الصُّوفي الخالص. ولو تمعنوا في سياق الأبيات، لارتووا مِن يُنبوع القول المُتسامي في رفعه لنُفوس ممدوحيه [الإمامُ وخُلَّصُ حَواريِّيه]، وهي تتهبَّطُ من السَّماءِ والألبابُ طائرة في عالم نَوْرَانِيٍّ كان حضرته [كُلُّ أهلِ الله]؛ أي أصفياؤه نُدمانٌ يُصافي أحدهم الآخر بمحبّة كينونة الذات العُليا. فالشاعر، قدر ما يستعير مبدأ=

رَيَّـانَـةٌ بِـشَـرَابِ الـحُـبِّ مُـخـرَقَـةٌ وَالـحَالُ صَـحْوٌ وَكُـلُّ الشَّرْبِ نَشْوَانُ[1]

تِلْكَ النُّفُوسُ الـتـي هَـذا «الإمَـامُ» لَهَـا قُـطْـبٌ وَمَـوْرِدُهُ الـصَّـافِـي لَهَـا حَـانُ[2]

=صُوفياً صرفاً في التعالي النوراني، قدر ما يُقرِّبُ المعنى [لمن لم يعرف مُصطلحات المُتصوِّفة، بمُصطلحات الخمريَّات]، ومن قرأ أبا نواس (على سبيل المثال)، لأدرك الفرق بين مقاصده في التشبيب بالغلمان والجواري، قياساً إلى مقاصد الحُسين بن مَنصور الحَلّاج، الذي نكاد نجزم بتأثر أبي مُسلم بطرائقه الصُّوفيَّة التي اتخذت لذاتها [كما لذات خالقها ومعبودها] أقصى يسار النعوت الوَصَّافة له. لأنَّ أبا مُسلم ركبَ مركب الحقيقة، وإنْ لم يُصرِّح به مَذهباً، كما صرَّحَ به الحَلّاج: «رُكُوبُ الحقيقةِ لِلحَقِّ حَقُّ | ومَعنى العِبارَةِ فيهِ يَدقُّ || رَكِبتُ الوُجودَ بِفَقدِ الوُجودِ | وقلبي على قسوَةٍ لا يَرِقُّ»، وقد اخترنا هذين البيتين عن قصد، وإلّا كان بإمكاننا اختيار ما يُناسِب الإدمان الرُّوحي بالله من ديوان الحلَّاج، لكنَّ ذلك لم يكن مَسعى ولا هدفاً لنا، قدر ما أردنا الإعلاء من شأن أبي مُسلم الذي ظُلِم في حياته كما في مَماته، من كِلا الطرفين: أعدائه البيِّنين الواضحين بعد نحو مائة عام من رحيله، ومن اعتقدوا، جَهلاً به، في أنفسِهم فُيوضَ مَحبَّته، سَواءٌ بسواء.

(١) ريَّان: ضد عطشان، وريَّانة على القياس، لأن العرب تقول: رجلٌ رَيَّان وامرأة رَيَّا؛ قال ابن سيده: وأمّا رَيَّا التي يُظنّ بها أنها من أسماء النساء فإنه صِفة || الشَّرب: بفتح الشين وسُكون الرَّاء: الجماعة يَشْرَبُونَ الخمْر. **المعنى**: ونفوس أولئك القوم المُتهبِّطة من علياء السماوات ريَّانة بشراب الحُبِّ الإلهيّ، قدر ما هي مُحرَقة محروقة به، رغم أن الحال صَحو [قياساً إلى المَناخ الأرضي] وكُلُّ نُدامى الله مُنتشون بخمرته التي اختصَّهُم بها. **تلميح**: مَرَّةً أخرى، نُلاحِظ إسباغ الشاعر صِفات المُصطفين الأخيار من أتباع الإمام (وليس شخصه، فحسب) مُكسِباً إيَّاهم صِفاتٍ لم يعتقدوها في أنفسهم [لولا تنبيه الشاعِر لهم، في نُونيَّتِهِ ـ المانيفِستو]... وكما أشرنا من قبل فهو أسلوبٌ (بالأحرى، تقنيَة وليس مُبالغة)، قُصِدَ بها حثُّ أتباعه وأنصاره ومُؤيِّديه لاتباع طريق الهُدى الذي دعاهُم الإمام إليه، ليدعوا بدورهم (كرجالات دولة مُتحقِّقين) فئات الأئمّة وقبائلها المُتنازعة، يومها، حول هذا الإمام الذي ظهَرَ ولم تحسم أمرها بشأن الولاء المُطلق له. وسواء اعتقدنا (نحن، كدارسين مُتأخرين لتلك المرحلة) بصدقِ أكذوبَة الشاعر، أو كذبها المحض، لكننا حتماً سنُصَدِّقُ مَرامَها وبُعدها الاستنهاضي في خاصَّةِ أتباعِ الإمام بأنهم [مُصطفون مُختارون، كإمامِهم] من ذات الله العليِّ القدير، وسنقف مكتوفي الأيدي أمام مَديحه [في ذواتِهم أو ذوات أسلافِهم في أبعد تقدير]؛ إن لم تتنزل نفوسُهُم بعد من السماء كأُولئك الأسلاف، فإنَّها لا محالة ستفعلُ ذلك وستُشاركهم المُنادَمَة بعد النصر أو الشهادة في وليمَة الله.

(٢) الإمام: قصد بالمعنى ممدوحه الإمام سالم بن راشد الخروصي، تحديداً وتخصيصاً. **الإمَامَة في اللغة**: «والإمام: كُلُّ من اقتديَ به، وقُدِّمَ في الأمُور. والنبيُّ [محمد] إمام الأئمّة، والخليفة أمام الرَّعيَّة، والقُرآن: إمام المُسلمين» [مُعجَم مقاييس اللغة، ج ١ ص ٢٨]. **في القرآن**: وردت كلمة إمام بمعنى: المُقدَّم المتبوع، سواءٌ كان شخصاً أم كِتاباً. «قال إني جاعِلُكَ للناسِ إماماً، قال ومن ذريَّتي» [٢/ ١٢٤]، «ويتلوهُ شاهِدٌ مِنهُ ومِن قبله كتاب مُوسى إماماً ورَحمَة» [١١/ ١٧]. **هند ابن=**

=عربي: يتعذر بحث «الإمامة» و«الإمام» على المُستوى النظري والفكري. والسبب عائد إلى أنَّ الإمامة نشأتْ وترعرعتْ في حمى السياسة، وكانت الباعث الأول والأكبر على خلْقِ الفِرق والمِلل التي تشقق إليها البُنيان الإسلامي، وهي أول حدث اختلف فيه المُسلمُون بعد وفاة النبي [محمد]. والمُلاحظ أن أوائل المُسلمين استعملوا كلمة إمامة وخلافة على التَّرادُف، لأنَّ الشخص الذي يرتضونه إماماً يُبايعونه خليفة. فالإمامُ هو الخليفة، وعند أهل السنة عامة: الخليفة هو الإمام. ولكن بعد الخلفاء الراشدين كثُرتْ الفِرق، واستحالَ إرضاؤها. فالفرقة التي لم توفق بأن تجعل إمامها الذي تعتقد به خليفة للمُسلمين، استمرت في اعتقادها بإمامها، واتخذت عقيدتها إما تقية، وإما ذريعة للخروج على سُلطان الدولة بالفِتَنِ والحُروب. هكذا استطاعت نظرية الإمامة أنْ تفرض نفسها على كُتبِ عِلم الكلام، بالنسبة لما يرمز إليه صاحبُها؛ أي: «الإمام» من فعالية سياسيّة ودينيّة، ناهيك عما أثارته من جدل بين أهل السُّنة والشيعة، لأن السُّنة يَرتضونَ الخليفة القائم إماماً بصورة عامة [وتِلك مثلبَتُهُم]، ولذلك لا نجد لهذه النظرية الأبعاد التي أخذتها في الفِكر الشيعي [والأباضي، استكمالاً، من جانِبنا، لفحوى القول]. لذا لم يبق أمام الشيخ ابن عربي، إلّا أن يُوضِّحَ موقفه من المشكلة التي عاصرت الإسلام منذ فجره حتى اليوم. [راجع في المَراجع: المُعجم الصُّوفي: الحِكمة في حُدود الكلمة]. فابن عربي يأخذ الإمامة بمعناها الشامل الواسع المُطلق، أي: التقدُّم والتوليَة والتصرُّف، دون أن يُحدد شخص الإمام أو شخوص المأمومين. فهي، هنا، مرتبة أو وظيفة وليست شخصاً مُعيناً، وهو بهذا العرض للإمامة يبتعد عن الخوض فيها. يقول الشيخ الأكبر: «اعلم أنَّ الإمامة هي المنزل الذي يكون النازل فيها متبوعاً وكلامُهُ مَسموعاً، وحُكم الإمام على قسمين؛ لمّا كان الإمامُ إمامَين: ناطق ومُضمَّنٌ نُطقاً، وصادقٌ ومُودعٌ صدقاً كالإمام الذي هو صحيح الكِتاب، وفي كُلِّ أمَّةٍ نذير من نفسها على حسب نفسها، ولا بد من اتخاذ الإمام المُتبع في الشيء الذي قدم له واتُّبع؛ فإنْ نازعهُ آخر هلك، لو كان فيهما آلهة إلّا الله لفسدتا، فقد تُرِن الإفسادُ بالاشتراك. فالإمامَةُ هي الولايَة نفسُها بتعبير آخر. والولايَة [عند الشيخ الأكبر] عالَمٌ قائمٌ بذاتِه، كالنبوَّةِ لهُ مُفرداته الخاصة وتعابيره الاصطلاحيّة. (أ) أثبت ابن عربي في الزمن الواحد إمامَين: إمامٌ [ظاهِرٌ]؛ هو الخليفة الحاكِم السِّياسي [مُتفقاً في ذلك مع أهل السُّنة]، وإمامٌ [باطِنٌ]، هو الخليفة على الحقيقة، لكن هذين الإمامين لا تنافُرَ بينهُما، بل يمدُّ الثاني الأول، فالثاني هو ما يسمونه بـ«القُطب» و«الغوث» و«صاحب الوقت». (ب) وكما أنَّ للولاية ختماً، كذلك فالإمامة تختم «بالإمام الأكبر»، لكن الختم له وظيفة في مُنتهى الأهمية، لن نبحثها هنا، وليُراجعها ـ [كما تُشير د. سعاد الحكيم في مُعجمها الصُّوفي] ـ من شاءَ التَّوسُّع في باب «ختم الولاية». (ج) يُوازن ابن عربي بين الولاية والإمامة حرفيّاً تقريباً، فنجده يُشير إلى أنَّ «الإمام الأعلى» هو الله، كما سيرد أنَّ «الوليّ» هو الله أيضاً. وذلك ينسجم تماماً مع نظريته القائلة: إن كُلَّ شيء في الحقيقة هو الله || قُطب: قُطب القوم؛ سَيِّدُهم الذي يلوذون به. في القرآن: الكلمة غير قرآنية. عند ابن عربي: يستعمل ابن عربي لفظة «قطب»: نكِرَة مُضافة، وهي في هذه الحال تكتسب معناها وشخصها وإضافتها. والقطبُ، هنا، يؤخذ بالمعنى اللغوي الهندسي فيكون: كلُّ شخص يدور عليه أمر من الأمور. أو مقام من المقامات، أو حال من الأحوال. مثلًا=

خَاضَ الحَقِيقَةَ كَشْفاً فَاسْتَقَامَ لَهُ كَشْفٌ وَشَرْعٌ وَتَكْمِيلٌ وَسُلطَانُ(١)

=الزهد والتوكل وكل ما توصل إلى تعداده المُتصوفة من المقامات والأحوال، لكل منها قطب تدور عليه. كما يستعمل ابن عربي لفظة «قطب» مُعرَّفة مطلقة، أي غير مُضافة، وهي هنا تفيد شخصاً مُعيّناً (القطب) في مرتبة مُعينة (القطبيّة). ويضيف ابن عربي: «فمنزل القطب حضرة الإيجاد الصرف، فهو الخليفة، ومقامه: تنفيذ الأمر وتصريف الحُكم، وبيده خزائن الجُود، والحَقُّ [الله] مُتجَلٍّ لهُ على الدوام، ولا بد لكل قطب عندما يلي مرتبة القطبية، مِنْ أن يُبايعه كُلُّ سِرٍّ وحيوان وجماد، ما عدا الإنس والجنّ، إلّا القليل منهم» || خان: أصلها الحانةُ: موضعُ بَيْعِ الخَمْر؛ قال أبو حنيفة: أظُنُّها فارسية وأن أصلها خانة، ويُقال: الحانوتُ والحانِيَة والحاناةُ كالناصيةِ والنَّاصَاة. قال الأزهري: التاء في الحانوت زائدة، يُقال حانَةٌ وحانوت وصاحبها حانِيٌّ. إشارات: أطلنا، قصداً، في إشارتنا إلى مُفردة الإمام، ومفردة القُطب، كما وردت في اللغة، والقرآن ولدى الشيخ الأكبر ابن عربي، الذي اعتقدنا ـ من خلال قراءتنا واستنتاجنا، صواباً كانت أم خطأ ـ أن الشاعر كان على اطلاع واسع عليها، كما على سواها من مُبتدَعِ كِبار المُتصوِّفة. وفي اعتقادنا أنه حاول، ليس في أذكاره وإلهاماته ومدائحه النبوية فحسب، إظهار تلك الرُّؤيَة بل في نونيّته العَصماء التي تشفُّ عما ذهبنا إليه في قراءتنا له واستنتاجاتنا التي انبنت على خلاصات تلك القراءات، ورددنا موجودة [في المُقدِّمة] على المخالفين. المعنى: وحديثي في الأبيات السابقة عن «تلك النفوس» النورانيّة الطاهرة؛ النفوس التي هُيئ لها هذا «الإمام» ليكون «قطباً» لها تدور حول محوره، فموردُهُ الصافي ـ دون سواه مِنْ مَوارد العطاش ـ حانَةٌ خاصَّةٌ تُؤمُ، ليس من قِبل العائمة، بل من تلك النفوس التي أشرتُ إلى تحرُّقها وشوقها وظمأها ورواها في الأبيات الثلاثة السابقة. استدراكٌ مُقتضب من فيوض المُتصوِّفة: استفاد ابن عربي من تمثيل «الشَّرْب» المعروف في التصوف قبله وتوسُّطه بين الظمأ والرّي، للدلالة على أوسط التجليات التي أولها الذوق (الذي يُنقل إلى مقام أعلى)، ونهايتها الرّيّ. يقول: «الذوق: أولُ مبادئ التجليات الإلهية. الشَّرب: أوسط التجليات التي غاياتها في كُلِّ مقام». يقول الطُّوسي في اللمع: «والشَّرب، تلقِّي الأرواح والأسرار الطاهرة لما يَرِدُ عليها من الكرامات وتنعمها بذلك، فشبه ذلك بالشَّرْب، لتهنِّيهِ وتنعُّمِهِ بما يردُ قلبه من أنوار مشاهدة قُرْبِ سَيِّدِه [أي: حضرة الله]. قال ذو النُّون: «لما أراد أنْ يسقيهم من كأس محبّته ذوَّقَهُم من لذاذته، وألْعَقَهُم مِنْ حلاوته».

(١) الحقيقة: ما يصير إليه حَقُّ الأمر ووجُوبُه || الكَشف: رفعُك الشيء عما يُواريه ويغطّيه، وقصد به علم الكشف وعلم الأسرار؛ أي علوم الباطن. ورد في كتاب «الجواهر والدُّرر» للإمام القطب العارف بالله أبي المواهب عبد الوهاب بن أحمد الشعراني المتوفي سنة ٩٧٣ هـ ورد فيه: سألت شيخنا رضي الله عنه عن حقيقة علم الكشف. فقال رضي الله عنه: إنه علم ضروري يحصل للمكاشف ويجده في نفسه ولا يقبل معه شبهة ولا يقدر أن يدفعه عن نفسه ولا يعرف لذلك دليلا يستند إليه سوى ما يجده في نفسه وقد يكون أيضاً صادراً عن حصول تَجَلٍّ إلهي يَحصلُ للمُكاشَفِ، لكنَّ هذا خاص بالرسل وكُمَّل الأولياء ثم إن علم الكشف الصحيح لا يأتي قط إلا موافقا للشريعة المُطهَّرة. فقلت له: فما ميزان الكشف في باب الاعتقادات في الله عز وجل؟=

جَـاءَتْ إِمَـامَـتُـهُ وَالأَرْضُ مُـظْـلِمَـةٌ وَالنَّاسُ فَوْضَى وَأَهْلُ الجَورِ ذُؤْبَانُ[1]

فَـأَشْـرَقَ الـعَـدْلُ فِـي أَرْجَـائِهـا وَلَقِـي عِـزَّ الـمَـفـاسِـدِ إِرْهَـاقٌ وَإِيـهَـانُ[2]

=فقال رضي الله عنه: ليس لذلك ميزان مضبوط لأن الحق تعالى قد تعرّف إلى كل مخلوق بوجه لا يشاركه فيه مخلوق آخر. فقلت له: فهل يدخل كشف الكُمّل حيرة في الله؟ فقال رضي الله عنه: حيرتهم في الحق أشد من حيرة النظار. فقلت: لِمَ؟ فقال رضي الله عنه: لأن أصحاب النظر والفكر ما برحوا بأفكارهم في الأكوان وأهل الكشف قد ارتفعوا عن الأكوان في شهودهم وشهدوا الشاهد كالمشهود فكانت حيرتهم باختلاف التجليات أشد من حيرة تعارض الدلالات، فمن وصل إلى الحيرة من الأولياء فقد وصل || شرع: قصد به علم ما أنزل الله على رسوله من البيانات والهُدى || تكميل: التكميل اصطلاح صُوفي يُحيلُ إلى أولياء الله، وهو في مقام الكمال في الشريعة والطريقة والحقيقة. وقد قسم بعض الصُّوفية «الواصلون» بحسب مقامهم التكميلي، فأبو بكر الصديق مثلاً أرفع مقاماً في التكميل من سائر الصحابة، والنبيّ محمد هو أرفع جميع الخلق مقاماً، ولذلك قالوا: أعطي النبي موسى التكليم، وأعطي النبي محمد التكميل. فهم يرون أن مقام التكميل أعلى لأنه يعني انكشاف كافة «الصفات الإلهية» للنبي محمد، بينما التكليم هو انكشاف «صفة» واحدة له وهي الكلام. . يقول السرهندي: «ولما وَصَلتُ إلى المَقام الذي فوق المَقام السَّابق، بعد التوجه بالإنكسار وإظهار الافتقار، تبين لي أنه مقام حضرة ذي النورين، وللخلفاء الباقين عبور من ذلك المقام، وهذا المقام مقام التكميل. ثم وقع النظر على مقام فوقه، ولما وصلت إليه تبين لي أنه مقام الفاروق رضي الله عنه، وللخلفاء الباقين عبور من ذلك المقام، ثم ظهر فوقه مقام الصديق الأكبر رضي الله عنه، ووصلت إليه أيضاً. . . إلخ» [مكتوبات السرهندي الصفحة ١٧، المكتوب ١١] || السُّلطان: قدرةُ المَلِك والحُجّةُ والبُرْهان. **المعنى**: فإمامكم التقيُّ الوَرِعُ هذا الذي اختصَّتكُم به حقيقة الحَقّ وخصيصته، خاض الحقيقة المُطلقة كَشفاً، دون أن يُهادن في التيقُّن من معرفة الحَقّ بالحَقّ؛ ولذلك استقامَت لهُ الأركان الاربعة ـ كما ترونَ بأمُ أعيُنِكُم ـ من كشف وشرع وتكميل وسُلطان.

(١) الجَور: الظلم نَقِيضُ العَدْلِ، وتعني أيضاً الميل عن القَصْد || ذؤبان: جمعُ ذئب، وذُؤْبانُ العرب: لُصُوصُهم وصَعالِيكُهُمُ. **المعنى**: ولإمامته استحقاقُها الدُّنيوي والأخروي؛ فقد هبطت عليكم وأرضكم مُظلمة بجور المُفسدين فيها، والناس [عُموم الناس] شتات فوضى، وأهلُ الجور (الذين تعرفونهُم) ذئابٌ لا ترحم.

(٢) أرجائها: نواحيها || عز المفاسد: ذروتها وبؤرتها. قال أبو حنيفة: العِزُّ المطر الكثير. أرض مَعْزُوزَة: أصابها عِزٌّ من المطر، وربما أراد أبو مُسلم النقيض: أي انهمار المَفسَدَة كالمطر في أزمنة البَغي || إرهاق: إعياء، والمُرْهَقُ؛ هو مَنْ أُدرِكَ لِيُقْتَلَ || إيهان: تعب. **المعنى**: وفي غمضة عين ساهيةٍ أشرقت العدالةُ في كافة الأرجاء، وعانى المُفسدون في أرضِكُم التعب والإعياء من مُكابَدَتهم لإشراقة العدل التي أخذتهم على حين غُرّة.

حَادَتْهُ ما كَانَ بِدْعاً، مِنْ أَئِمَّتِهَا ... مَنْ جَدُّهُ ابْنُ تَمِيمِ المَجْدِ «عَزَّانُ»[1]

في ضِئْضِىءِ العِزَّةِ القَعْسَاءِ مَحْتِدُهُ ... إذا تَفَاخَرَ قَحْطَانٌ وَعَدْنَانُ[2]

---

(١) حادَتْهُ: حَدَا الإبلَ وحَدَا بِها يَحْدُو حَدْواً وحِدَاءً، ممدود: زَجَرَها خَلْفَها وساقَها. الحَادِي المتعمد للشيء. يقال: حَدَاه وتَحَدَّاه وتَحرَّاه بمعنى واحد، قال: ومنه قول مجاهد: كنتُ أَتَحَدَّى القُرَّاءَ فأَقْرَأُ أي أَتعَمَّدهم. وهو حُدَيًّا الناسِ أي يَتَحَدَّاهم ويَتَعَمَّدهم. الجوهري: تَحَدَّيْتُ فلاناً إذا بارَيْته في فعل ونازَعْته الغَلَبَةَ. ابن سيده: وتَحَدَّى الرجلَ تعمَّدَه، وتَحَدَّاه: باراه ونَازَعه الغَلَبَةَ، وهي الحُدَيَّا. وأنا حُدَيَّاك في هذا الأمر أي ابْرُزْ لي فيه؛ قال عمرو بن كلثوم: «حُدَيَّا الناسِ كلِّهِم جَمِيعاً | مُقارَعَةً بَنِيهِمْ عن بَنِينَا». وفي التهذيب، تقول: أنا حُدَيَّاكَ بهذا الأمر أي ابْرُزْ لي وَحْدك وجارِني. وتَحادَثْ هي: حَدَا بعضُها بعضاً؛ قال ساعدة بن جؤية: «أَرِقْتُ له حتَّى إذا ما عُرُوضُه | تَحادَثُ وهاجَتْها بُرُوق تُطِيرُها». يقال للعَيْرِ حادِي ثلاثٍ وحادِي ثَمانٍ إذا قَدَّم أمامَه عِدَّة من أُتُنِهِ. وحَدَا الريشُ السَّهم: تبعه. والحَوادِي: الأَرْجُل لأنها تتلو الأيدي؛ قال: «طِوالُ الأيادي والحَوادِي، كأَنَّها | سَمَاحِيجُ قُبٍّ طارَ عنْها نُسالُها»، ولا أَفْعله ما حَدَا الليلُ النهارَ أي ما تبعه. التهذيب: الهَوَادِي أَوَّلُ كلِّ شيءٍ، والحَوادِي أَواخِرُ كلِّ شيءٍ. وحَدَدْت الدار أَحُدُّها حدّاً والتحديد مثله؛ وحدَّ الشيءَ من غيره يَحُدُّه حدّاً وحدَّدَه: مَيَّزه [وردت في كُلٍّ من «الأصل المُعتمد»، طبعة دمشق ١٩٨٦، و«نهضةِ الأعيان»، للسالمي: «جاءته»، ويبدو أنَّ كِلا الشيخين أبي بشير محمد بن شبيه بن نور الدين السالمي وصالح بن عيسى الحارثي لم يستسيغا إغرابَ مفرَدَة: «حَادَتْهُ» التي، رغم ذلك، استسغناها واعتمدناها اتِّساقاً مع ما ورد في مخطوطة النونيَّة (١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م)، لاعتقادنا بصحَّتِها، ولاعتقادنا بأنهما حاولا، معاً، تقريبها إلى أفهام العامَّة]. فالشاعر قصد بمُفرَدَته المُستغلِقة سَبق إمامة عزان لإمامة مَمدُوحِهِ سالم بن راشد الخروصي، واتباعِها لذات النهج الإصلاحي القويم || بِدعاً: البِدْعُ: الشيء الذي يكون أَوَّلًا. وفي التنزيل: قُل ما كنتُ بِدْعاً من الرُّسُل؛ أي ما كنت أَوَّلَ من أُرْسِلَ، قد أُرسل قبلي رُسُلٌ كثير، والمُراد بـ ما كان بدعاً؛ أي ما كان غريباً || عزان: قصد به الإمام عزان بن تميم الخروصي، وهو من أئمَّة القرن الثالث، وبالتأكيد هو سابق، زمناً بنحو ألف سنة، للإمام عزان بن قيس الذي اشتهر بثورته (١٨٦٩ ـ ١٨٧١) الذي ظهر في القرن الثالث عشر للهجرة، أي بعد ألف سنة. **المعنى**: ولا غرو، فقد حادَتْهُ سَبقاً في مُبارزة العدالة [واستخلفتهُ، ضِمناً]، إمامات وأئمَّة تعاقبوا على حُكم البلاد بقابوس العَدل، لا سيَّما إمامة جدِّهِ عزان بن تميم قبل نحو ألف سنة بأمجاده التي لا تُنسى في التاريخ.

(٢) ضِئضِئ: الضِّئْضِئُ والضِّؤْضِؤُ: الأَصْلُ والمَغْدِنُ. قال الكُمَيت: «وَجَدْتُك في الضِّئْضِئِ من ضِئْضِئٍ | أَحَلَّ الأكابِرُ منه الصِّغارا»، وفي الحديث: أَن رجلًا أَتَى النبيَّ صلى اللّه عليه وسلم، وهو يَقْسِمُ الغنائم، فقال له: اعْدِلْ فإنك لم تَعْدِلْ. فقال: يخرج من ضِئْضِئِ هذا قوم يَقْرَؤُون القرآن لا يُجاوِزُ تَراقِيَهُمْ، يَمْرُقون من الدِّين كما يَمْرُق السَّهمُ من الرَّمِيَّة || القعساء: عِزَّةٌ قَعْساء: ثابتة؛ والعِزَّة القَعْساء لِلأَعَزّ ورجل أَقْعَس: ثابت عزيزٌ مَنِيع. وتَقَاعس العِزّ أي ثبت وامتنع ولم يُطَأْطِئْ رأسه فانْقَعْنَسَ، أي: فثبت مَعَه || المَحْتِد: الأصل الكريم || قحطان وعدنان: قحطان جد القبائل العربية ذات=

بِذَرْوَةِ «اليَحْمَدِ» الصِّيدِ المُلُوكِ لَهُ ... إعْرَاقُ مَجْدٍ وَآسَاسٌ وَبُنْيَانُ[1]

لا يُنْكِرُ النَّاسُ ما لِلقَوْمِ مِنْ قِدَمٍ ... وَكَيْفَ يَلْحَقُ عَيْنَ الشَّمْسِ نُكْرَانُ[2]

أحْسَابُهُم وَمَعَالِيهِم وَدِينُهُمُ ... كَوَاكِبٌ وَهِدَايَاتٌ وَرِضْوَانُ[3]

ما اخْتَارَهُ اللهُ صَفْواً مِنْ خُلاصَتِهِم ... إلّا وَلِلصَّفْوِ مِنْ إكْرَامِهِ شَانُ[4]

يا «سَالِمَ» الدِّينِ وَالدُّنْيَا «ابْنَ رَاشِدَ» خُذْ ... أمَانَةَ اللهِ وَالأقْدَارُ أعْوَانُ[5]

=الأصول اليمانية، وعدنان تُنسب إليه القبائل القيسية والمُضرية، وقصد بذلك ارتواءَ عُروق الإمام بدِماءِ أسلافه . المعنى: أصله الكريم ومعدنه النادر ثابت متأصّلٌ في تلك الأعراق إذا ما تفاخرت عصائب قحطان وعدنان.

(١) اليَحْمَد: يَحْمَد: أبو بطن من الأزد. واليَحامِدُ جَمْعٌ لقبيلة اليَحْمد. والإشارة، هنا، إلى أصول بعض القبائل العُمانية كاليحامدة وبني خروص والحُرث وسواها من القبائل، لكنهُ يُشير، هنا، تحديداً إلى القبيلة الأزدية القحطانية التي يتصل نسبها إلى خروص بن شاري بن اليَحْمَد بن عبدالله بن عثمان بن نصر بن زاهر بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبدالله بن مالك بن نصر بن «الأزد» بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سَبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن النبي هُود، إلخ النسَّب || الصِّيد: مُلوك القوم وسادتهم || إعراق: عِرْق كل شيء: أصله، والجمع أعْراق وعُروق، ورجل مُعْرِقٌ في الحسب والكرم؛ ومنه قول قُتَيلة بنت النضر بن الحرث: «أمُحَمَّدٌ ولأنْت ضَنْءُ نَجيبةٍ | في قَوْمها، والفَحْلُ فحلٌ مُعْرِق»؛ أي عريق النسب أصيل، [لا مانع من قراءتها: أعراق مَجدٍ، فالفرق في المعنى طفيف]. المعنى: لهذا الإمام إعراق مجدٍ مُتأصّلٍ وأساس وبنيان تقادم عِرْقُه في ذروة الذروة من سادة اليَحْمَد ومُلوكِها.

(٢) المعنى: ولا أحد قادر على نكران مجد قبيلة بني خروص؛ فعين الشمس لا يلحقها نكران ناكر لحقيقتها المُضيئة.

(٣) المعنى: ولا غرو؛ فأحسابُهُم الرفعية ومَعالي شأنهم، وحفظهم لدينهم في سلالة أئمّتهم كواكب نيرة وهدايات ورضوان.

(٤) المعنى: فالله، لم يختر هذا الإمام من صفوة الصفوة من خلاصة بني خروص، إلّا وللصَّفو (ذاتِه) شأنٌ مِنْ إكرام هذا الإمام بهذه المنزلة.

(٥) المعنى: يُخاطبُ، هنا، سالم بن راشد داعياً إيّاه لأخذ أمانةِ الله التي يَستشعر الشاعرُ جبال أثقالها وخطرَها على الإمام، لكنَّهُ يحثُّه على تقبُّل الأمانة، ليستدركَ في الشطر الثاني مَعنيين: «والأقدارُ أعوانٌ»؛ (أ): تبريره لأمر الإمام بتقبُّل الأمانة [وهي الإمامة، بكافة تبعاتها] شارحاً له أنَّ الأقدار، في نهاية المطاف، بكُلِّيّها أعوانٌ (أي: في مجموعها) لتحقيق ما ارتضاه لنفسه من أخذه لتلك الأمانة، دون أن ننسى رواية تنصيبه الذي فوجئ به الإمام الغزّ على حين غرّة: [في عام ١٩١٣م، اجتمعت مجموعة من العُلماء ورؤساء القبائل في بلدة تنوف، وكان لهذا الاجتماع هدف وحيد: انتخاب=

أَنْـتَ الـضَّـلِـيـعُ بِـهَـا جِـمْـلًا وَتَـأْدِيَـةً ... إِذْ كُـلُّ أَمْـرِكَ تَـدبـيـرٌ وَإِتْـقـانُ[1]

أَخْـدِرْ وَأَصْـعِـدْ وَأَيْـقِـنْ إِنَّ صَـاحِـبَـهَـا ... سَـيْـفٌ مِـنَ اللهِ لا تَـخْـوِيـهِ أَجْـفَـانُ[2]

=إمام. اقترح عبدالله السالمي [نور الدين] ترشيح العالم سالم بن راشد الخروصي، لكن الخروصي الذي لم يكن يتوقع هذا الاقتراح حاول أن يعتذر بالقول أنهُ أتى لإعطاءِ بَيْعَتِه، لا لِتلقِّي البَيعَة! إلّا أنه لم يكن من حقه ولا في مقدوره، لا من وجهة نظر مذهبيَّة، ولا من حيث التقاليد، أن يعتذر عن هذا الترشيح. فرَفْضُ الترشيح كان يعني رفض الثقة التي وضعها العُلماء فيه، لا سيما وأن مثل هذا الرفض كان يمكن أن يعني، أيضاً، انقسام صفوف المُسلمين ـ راجع «عُمان: الديمقراطية الإسلامية وتقاليد الإمامة]، لكنَّ الحقيقة كانت مختلفة عما ذكره د. حسين غانم غباش في كتابه الهام ذاك؛ إذ أنَّ الحقيقة الساطعة، هي أنَّ نور الدين السالمي قال فجأة في الاجتماع الذي هُيِّء له في مسجد «الشرع» ببلدة تنوف لانتخاب إمام جديد؛ قالَ مُوجِّهاً كلامه لسالم بن راشد الخروصي: المسلمون ارتأوا أن يُبايعوك إماماً لهُم! فرد عليه سالم بن راشد قائلًا: ما صحبتكم لهذا، ولا أصلح أن أكون إماماً، فقد جئتكُم مُبايِعاً، لا مُبايَعاً. لكنَّ نور الدين السالمي حَزم أمره سَلفاً فنادى ساعتها أبا زيد عبدالله بن محمد الرِّياحي، قائلًا له: اقطع رأسَه! [أي رأسَ رافض المُبايعة، سالم بن راشد]، فشهر أبو زيد سيفه مُمتثِلًا لشيخه نور الدِّين السالمي، فقال سالم بن راشد الخروصي: ما تكون منزلتي معكم إن قتلتموني؟.. قيل له: نَبرَأُ مِنكَ، لأنكَ شققتَ عصا المُسلمين برفضك قبول البيعة، مُفرِّقاً ذات بينهم بعدما التأمت. قال سالم بن راشد: أعوذ بالله أنْ أنزل هذه المنزلة، رضيتُ بما ارتضاهُ المُسلمون لي، فبُويعَ إماماً تحت تهديد سيف أبي يزيد الرِّياحي. (ب): تُحيلُ جُملة «والأقدارُ أعوان» إلى استشفاف الشاعر النُّبوئي للمَصير الذي سيؤولُ إليه هذا الإمام الغِرّ ـ قياساً إلى صِغر سِنه ـ اغتيالًا بعد نحو سبع سنوات من تنصيبه. [جدير بالذكر أن ثمة قصيدة في هذا الديوان بعنوان النبوءة وجدت في إضبارة الإمام يوم مقتله في خضرا بني دفاع ـ راجعها في موضع آخر]. **تلميح**: تُلاحَظُ، في هذا البيت، دِقَّةُ الشاعر وفطنته في التلاعُب المُفكِّكْ لمدلول اسم الإمام: «سالم بن راشد»، ليضع اسمه الأول «سالم» مضافاً إليه سَلامَته (دُنياً ودِيناً) قبل استطراده في ذكر اسم أبيه: «راشد»، وهو اسمٌ، بدوره، لا يخلو من دِلالات الرَّشاد المُتوخى في الإمام «السَّالم» ديناً ودُنيا مِنَ مأزقه الوُجودي بتقبُّله [طوعاً، أو كرهاً على حدِّ السيف] حَمْل الأمانة على منكبيه.

(١) الضليع: العظيم الخلق الشديد. يقال: ضَليعٌ بيِّنُ الضَّلاعةِ، والأضْلَعُ يوصف به الشديد الغليظ. **المعنى**: ثمَّة تأكيد في البيت على ضَلاعَةِ الإمام المَمدوح تأديَةً وحملًا على تقبُّل «الأمانة» [طوعاً أو كرهاً، تحت تهديد السَّيف]، مُمتدحاً ومُسَوِّغاً لهُ صحَّة رأيه السَّديد بقبول حَملها؛ لأنَّ هَمَّهُ [أي الإمام المُنتخَب] تدبيرٌ وإتقانٌ لإدارة دولته التي انتخبه المُسلمون تشريفاً له ليكون على تخت رأسها.

(٢) أخْدِر: الحَذْرُ من كل شيء تَحْذُرُه من عُلْوٍ إلى سُفْل، || أصعِد: قال الليث؛ صَعِدَ إذا ارتقى، وأَصْعَدَ يُصْعِدُ إصْعاداً، فهو مُصْعِدٌ إذا صار مُستَقْبِلَ حَدُورٍ أو نَهَر أو واد، وهي إلى جانب سابقتها «أخدِر» المُقابلُ لـ شَرَّقْ وغرِّبْ || أجفان: جمع جفن؛ وهو غمد السَّيف. **المعنى**: في هذا البيت تخلُّصٌ من الحديث المُباشر والضمني إلى ممدوحه الإمام؛ عطفاً على مَنْ والاهُ (ومَنْ سَيواليه من=

يَسُوسُهَا مُؤمِنٌ بِاللهِ مُعْتَصِمٌ ... وَخَيرُ مَا دَبَّرَ الأَملاكَ إيمَانُ[1]

لِلاسْتِقَامَةِ فِي تَقْدِيرِهِ قَبَسٌ ... فَظَنُّهُ تَحتَ نُورِ اللهِ إيقَانُ[2]

لا يَصْرِفُ الفِكْرَ فِي شَيءٍ فَيُخْلِفُهُ ... لأَنَّهُ مِنْ فُيُوضِ الكَشْفِ مَلآنُ[3]

وَالمُؤمِنُونَ بِنُورِ اللهِ نَاظِرَةٌ ... عُيُونُهُم، وَبِعَينِ اللهِ أَعْيَانُ[4]

=القبائل التي لم تستجب، بعدُ، لبيْعَتِه)، وفيه تأكيد على ضرورة الإيقان بمُولاةِ صاحب الإمامة؛ لأنهُ سيفٌ من سيوف الله مُتحقِّقٌ في تجريده المَحْض وواقعيّته المُتحقِّقةِ في شخصه؛ لا يُعْمَدُ في قِرابه. **تلميح**: من الواضح للقارئ أنه كنَّى الإمام بالسيف المُبايَع، وتلك مُبالغة قُصِدَ بها الإعلاءُ من شأن الإمام المُنتخب سَيفَ عَدلٍ وعدالَة لا يُغمض شفرتيه في أجفانِ قِرابه.

(١) يسوسُها: يُدبِّر شؤونها. **المعنى**: ولتعلم إن لم يصلك عِلمٌ بهذا الشأنِ؛ أنَّ مَن يسوس هذه الدولة مُؤمِنٌ مُعتصمٌ بالله؛ ولا يخفى عليك أنَّ الإيمان [وليس السِّياسة]، هيَ ما يُدبِّرُ ديمُومَة المُلك [أي الإمامة، في بُعدها المُسيَّس] شؤوناً وشجوناً.

(٢) القَبَس: الشُّعلة من النار. **المعنى**: في تقديره قَبَسٌ للاستقامة، وظنُّهُ إيقانٌ مُؤكَّدٌ تحت نور الله المُستظِلِّ به.

(٣) فيوض الكشف: مصطلح من مُصطلحات المُتصوِّفة؛ والفيض في **القرآن**: (أ): جريان الشيء بسهولة: «ترى أعينهم تفيضُ من الدَّمعِ مما عرفوا من الحق» [٥/٨٣]. (ب): أفاض القوم من عرفة: إذا دفَعوا: «ثم أفيضوا مِن حيثُ أفاضَ الناسُ واستغفروا الله». [٢/١٩٩]. (ج): أفاض القوم في الحديث: إذا اندفعوا فيه: «ألا كُنا عَليكُم شُهوداً إذ تفيضُونَ فيه» [١٠/٦١]. عند **ابن عربي**: حاول ابن عربي أن يُفسِّرَ فعل الخلق، ووجود المخلوقات إلى جانب الحقِّ في الوجود، دون أن يخرج عن الوَحدة الوجوديّة. فأتى بمفردات وصور تُحافظ على وحدة الوجود عبر ثُنائيّتِهِ المشهودة (خالق ـ خلق): المرايا، الصُّور، المَجالي، الفيوضات... فالخلق في مذهب ابن عربي ليس إيجاداً من العَدَم، بل هو ظهور وتجلٍّ إلهيّ فيما لا يُحصى عدده من صُوَر الموجودات. فالحق يخلق المخلوقات (بلغة ابن عربي): يتجلى في صُورتها. وهذا الفيض الإلهي نوعان، يُشكِّلان مرحلتين في منطق النظام الوجودي لا واقع الأمر: الفيض الأقدس، والفيض المُقدس. فالفيض الأقدس يسبق الفيض المُقدَّس في منطق الوجود، على أنّ حقيقة الأمر عند الشيخ الأكبر، هو أنّ الفيضَ دائم مُستمرّ. **المعنى**: فهو لا يصرف فِكرَهُ في أمرٍ فيخلفه؛ لسبب جَليّ: امتلاء قلبه وروحه وجسده بكافة مَراقي فيوض الكشف.

(٤) أعيان: العَيْنُ: حاسَّة الرؤيا، وهي مؤنَّثة، والجمع أعْيُنٌ وعُيونٌ وأعْيانٌ، وبالتأكيد لم يقصد بها أعيان القوم: أي؛ سَراتهم وأشرافهم. **المعنى**: وكافة المؤمنين عيونهم ناظرة إليه بنور الله، ولا غرابة في الأمر، فثمة في نور الله عُيونٌ مُبصرة.

يـا لَلرِّجَـالِ وَدَاعِـي اللهِ بَـيْـنَـكُـمُ ... لـبُّـوا الـدُّعَـاءَ فَـإنَّ الـصَّـوْتَ قُـرْآنُ[1]

يـا لَلرِّجَـالِ أَلَـمْ يَـأْنِ الـجِـهَـادُ لَكُـم ... بَـلَى! لَقَـدْ فَـاتَ إبَّـانٌ وَأبَّـانُ[2]

يـا لَلرِّجَـالِ أَقِـيـمُـوا وَزْنَ قِـسْـطِـكُـمُ ... فَـمَـا لَكُـم قَـبْـلَ وَزْنِ الـقِـسْـطِ مِـيـزَانُ[3]

يـا لَلرِّجَـالِ احْـفَـظُـوا أَوْطَـانَ مِـلَّـتِـكُـم ... فَـمَـا لَكُـم بَـعْـدَ حَـذْلِ الـدِّيـنِ أَوْطَـانُ[4]

يـا لَلرِّجَـالِ احْفظُوا أَحْسَابَ مَـجْـدِكُـمُ ... إنْ لَـم تَـكُـنْ فِـيـكُـمُ لِلدِّيـنِ أَشْـجَـانُ[5]

يـا لَلرِّجَـالِ انْـدُبُـوا للهِ غِـيـرَتَـكُـم ... فالوَقْتُ قَدْ ضَاقَ وَالتَّثْبِيطُ خُسْرَانُ[6]

---

(١) **المعنى**: ابتداءً من هذا البيت يُخاطِبُ الشاعر شَعبَهُ مُستنهضاً مُستفزاً هِمَمَهم الخامِلة، مُستحثاً إياهم لمُناصرة الإمام سالم بن راشد الخروصي، وهو أسلوبُ خطاب استنهاضيٌّ مَيَّز النُّونيّة وتميَّزت به؛ لدرجةٍ أنها أضحت تُعرفُ بذلك العُنوان: «يا للرجال»؛ (الذي تخيَّرَهُ الشيخ المُجاهد صالح بن عيسى في مَنفاهُ، وهو في مِصر بعد أن وصلت إليهِ مخطوطة ديوان أبي مُسلِم التي تكفَّلَ بها وطبعها مرتين عام ١٩٥٧م في القاهرة، وعام ١٩٨٦م في دمشق)، حُبّاً ووفاءً لذكرى شاعر العرب أبي مُسلم. وخلاصة مُفتتح خطابه الاستنهاضي في هذا البيت: يا للرِّجال المُنتظرين لمعجزاته؛ هاهو ذا الإمام داعي الله بين ظهرانيكم، فقد حان الوقت لتلبُّوا النداء، فصوته قرآنٌ تُستجاب دعوته. فلم لا تنصرونه وتنصرون دعوته؟

(٢) لم يَأنِ: ألم يصل بعد، ولم يحن وقت الجهاد؟.. حان وأدرك، وخَصَّ بعضهم به النبات. يُقال أَلَمْ يَأْنِ وأَلَم يَتِنْ لك وأَلم يَئِلْ لكَ وأَلم يُئِلْ لك، وأَجْوَدُهُنَّ ما نزل به القرآن العزيز، يعني قوله: أَلم يَأْنِ للذين آمنوا؛ هو من أنى يأني وآنَ لك يَئين. || إبَّان وإبَّان: أوقات وأوقات. **المعنى**: ألم يحن الوقت للجهاد تحت راية هذا الإمام؟.. بلى؛ لقد فات الوقت وفوَّتمُوه فتداركوا الأمر.

(٣) قسطكم: عَدلِكم. **المعنى**: وقبل شروعكم في مُناصرته أقيموا ميزان العدل بينكم، فلا ميزان لكم قبل إقساطكم لأنفسكم بنبذ خلافاتكم القبليّة، ثمة إلماح إلى عَصَبيّة (الغافريّة والهناويّة) التي يدعو الشاعر لذوبانها تحت راية إمام عادل.

(٤) **المعنى**: ويا للرجال الذي استنهضتهم نونيتي؛ احفظوا أوطان عقيدتكم؛ إذ لا وطن لكُم بعد خذلانِكم للمُعتقد. **تلميح**: نلاحظ استخدامه لتعبير (أوطان مِلَّتكم) التي ستتكرَّر في الشطر الثاني مقلوبة: فما لكُم بعد خذلِ (الدِّين أوطان)، وفي هذا تأكيد على واحديّةِ المِلَّةِ، وإنْ تَعَدَّدتْ أوطانُها.

(٥) أحساب: جمع حسب؛ وهو الشرف والحسب الرَّفيع || أشجان: حاجات، وإنّما سمِّيت أشجان لالتباسها وتعلّق القلبِ بها. **المعنى**: وإنْ لم تكُن فيكُم حاجة ملحاح للتديُّن فاحفظوا شرفكم وحَسَبكم اللذين طالما تفاخرتم بهما. **تلميح**: يضرب، هنا، على وتر القبليّة تخفُّفاً من وشيجة التديُّن لدى الأتباع الذين أراد الشاعر حشدهم في مَرْكَبِ قضيّته؛ بمعنى إنْ كُنتم لا تكترثون لدينكم فاكترثوا لحسبكم الذي طالما دافعتم عنه.

(٦) اندبوا: استعينوا واستغيثوا || التثبيط: ردّك الإنسانَ عن الشيء يفعله، وثَبَّطَه عن الشيء ثَبطاً وثَبَّطَه:=

يـا لَلرِّجَـالِ! ألا للهِ مُـنْـتَـصِـرٌ؟ فَـنَـاصِـرُ اللهِ لا يَـغْـرُوهُ خُـذلانُ[1]

يـا لَلرِّجَـالِ أُرُونِـي مِـنْ شَـهَـامَـتِـكُـم إنَّ الـحَـوَادِثَ آسَـادٌ وَسِـيـدَانُ[2]

يـا لَلرِّجَـالِ اجْـعَـلوا للهِ نَـجْـدَتَـكُـم فَـالغَـايَـةُ الـفَـتْـحُ أو مَـوْتٌ وَرِضْـوَانُ[3]

يـا لَلرِّجَـالِ أَلَمْ يَـحْـزُنْـكُـمُ زَمَـنٌ طَـارَ الـبَـغَـاثُ بِـهِ وَانْـحَـطَّ عُـقْـبَـانُ[4]

يـا لَلرِّجَـالِ أَلَـم يَـذْهِـشْ عُـقُـولَكُـمُ أنْ يَـحْـكُـمَ الـدِّيـنَ أوْثـانٌ وصُـلْـبَـانُ[5]

يـا لَلرِّجَـالِ حُـدودُ اللهِ قَـد حُـذِفَـتْ وعِـصْـمَـةُ الـحَـقِّ عندَ الـحَـقِّ بُـهتَـانُ[6]

=رَيِّه ونَجْته. **المعنى**: وفي هذه الحال، فاستغيثوا بالله إن كُنتم ستفشلون في الدفاع عن شرفكم ومجدكم، فالوقتُ ضاق للتفكُّر في الأمر وتثبيط أحدكم الآخر؛ لأنَّ النتيجة خُسرانكم بالجملة، وليس هاماً ـ لحظتها ـ لأيِّ مُعسكرٍ قَبَليٍّ تنتمُون.

(١) **يعروه**: يصيبه. **المعنى**: معقوله! ألا يوجد في مجموعكم من ينتصر لله وكلمته المُتجسِّدَةِ في هذا الإمام؟.. أم أنكم نسيتم أنَّ مَنْ ناصر الله لا يُصيبه الخذلان فيما سعى إليه.

(٢) **آساد**: أسود || **سيدان**: السِّيد الذئب، يقال سيدٌ رَمْلٍ؛ والجمع السيدان، والأنثى سِيدةٌ وربّما سمِّي به الأسد. **المعنى**: لذلك دعوني أرى ما عوَّدتموني إيَّاهُ من شهامة مُتأصِّلة في أعراقكم، فالحوادث تُختزلُ نتائجها الملحميَّة فيما يحسمه الأسد والذئب. **ملحوظة**: لا تخفى في البيت استثارته للعُصبَة القبلية، وإنْ تمثَّلَ بأسُود الغابة وذئابها حثّاً واستنهاضاً مِنه للمتقاعسين من زعماء القبائل الذين ينتظرون من الدعوة مردوداً مادياً دُنيوياً، لأنَّ شرائحهم العريضة غير مَعنيَّة بالبُعد الدِّيني للاستنهاض، لذلك يلعب الشاعر، ويتلاعب بكلا الوترين الحَسَّاسَيْن: التديُّن والعُصبَة القبليَّة.

(٣) **المعنى**: ولتكُن نجدتكم لله دون سواه؛ فغاية الغايات: فتح ثغور الأعداء في الدُّنيا، أو الشهادة التي ستنالون مُكافأتها رضواناً أخرويّاً؛ ففي كلا الحالين لستم خاسرين فيما لو وقفتم صَفّاً واحداً لنُصرة إمامِكُم المُنقذ.

(٤) **البغاث**: الرَّخَم، جمع رَخَمَة، وهي من الطُّيور الوضيعة || **عُقبان**: جمع عُقاب، وهو من الطيور الجوارح المِقدامَةِ في السماوات. **المعنى**: اختزالًا، أراد القول: ألم يحزنكم زمن طارت فيه الرَّخم وانحطت فيه عقبان السماء؟ وشبَّهَ المُعادلة واضحان، مُتجليَان في ترميزه بالعُقبان والرَّخم استنهاضاً لِمَنْ «تَراخَمُوا» ولم «يَتَعَقْبَنوا» مِنْ رجالات قومِهِ المُستنهَضين، وتلك سِياسَة النبيُّ في مُقابَلَتِهِ بين الرَّخمَة والعقاب.

(٥) **المعنى**: وهل يُعقل يا رجالات القوم ألّا تدهَشَ عُقولكم مِمَّا آلَ إليه حالكم؛ بحيث بات النصارى يحكمونكم؟.. **تلميح**: في البيت إشارة استنكاريَّة لخضوع «سلطنة مسقط»، وسلاطينها، آنذاك، للإنكليز.

(٦) **المعنى**: واضح من سياق البيت.

يـا لَلرِّجـالِ أَلَم يَـطْـرُقْ مَـسـامِـعَـكُـم ... صَـوْتُ الأرامِلِ والأيتـامِ؛ إذ هَـانـوا[1]

هَـذَا الـيَـتِـيـمُ قَـدْ انْـحَـازَتْ مَـفـاصِـلُهُ ... مِـنْ جَـلْبَةِ الـجُوعِ وَالـظُّـلَّامُ تَـخْـمَـانُ[2]

يـا لَلرِّجَـالِ بُـيُـوتُ اللهِ قَـدْ هُـدِمَـتْ ... وَمَـالُـهَـا لِلعِـدَا نَـهْـبٌ وَحُـلـوَانُ[3]

يـا لَلرِّجَـالِ دِمَـاءُ الـمُـسْـلِمِـيـنَ غَـدَتْ ... هَـدْراً كَـمَـا عَـبَـثَـتْ بِـالـمَـاءِ صِـبْـيـانُ[4]

فـلا قِـصَـاصٌ وَلا أَرْشٌ وَلا قَـوَدٌ ... كـأنَّ لَـحْـمَ بَـنِـي الإسْـلامِ جُـعْـلانُ[5]

---

(١) **المعنى**: هذا البيت يندرج تحت الاستنهاض المُبالغ فيه؛ فالمُتفكِّر في أحداث تلك الحقبة؛ يتساءل عما قدمته، آنذاك، دولة الإمامة للأرامل والأيتام؟ والجواب ـ في اعتقادنا ـ لا شيء إطلاقاً؛ لأنَّ مشروعها لم يكُن معنياً بهم (المُراجِع).

(٢) انحازت: تلوَّت || الجُلْبة: شدة الجوع || الظُّلَّام: صيغة مُبالغة في الظالم || تَخمَان: شبعان حدّ التُّخمة. **المعنى**: واضح من سياق البيت.

(٣) الحُلوان: الرِّشوة، وما يُعطاه الكاهنُ ويُجعَلُ له على كهانَتِهِ، تقول منه: حَلَوْتُه أحلوه حُلواناً إذا حَبَوْته. وقال اللحياني: الحُلْوان أُجرة الدَّلَّالِ خاصةً. **المعنى**: يشير الشاعر إلى مُصادرة أموال الأوقاف من قبل السُّلطة، وقد كانت تلك الأموال تُشكِّلُ رافداً مهماً للإقتصاد المَحلّي. وقد تشعبت هذه القضية، لاحقاً، عقب الإجراءات الحاسمة التي اتخذها الإمام سالم لاسترداد تلك الأموال، فيما عُرِفَ مَحَلّياً باسم: (تغريق أموال الظَّلَمَة). ودار لغط وجدل قويّ حولها بين جناحي الإمامة، حتى انبرى الشيخ عامر بن خميس المالكي لوضع رَدٍّ نظميٍّ لها بعُنوان: (غاية التحقيق في أحكام التغريق)؛ ألقمَ به أفواه المُعترضين حَجَراً ثقيلًا. **توضيح**: مُصطلح التغريق يعني ـ باختصار ـ التَّأميم. **إشارة**: بعد نجاح الجناح اليميني المُهادِن في إقصاءِ يَساريِّي وثوريِّي الإمامة (بعد اغتيال الإمام سالم بن راشد الخروصي، ومُبايعة الإمام محمد بن عبدالله الخليلي مسنوداً بثقلِ الأمير عيسى بن صالح الحارثي والشيخ سعيد بن ناصر الكندي وآخرين)؛ أُعيدت تلك الأموال لمُغتصبيها السَّابقين، تماماً كما حدث في بلدان كثيرة بعد تسلق الطغيليين ووصولهم للسلطة عقب تجارب اشتراكية واعدة، في تلك البُلدان. **إشارة شارحة**: في الحقيقة؛ لم يهدم أحد بيوت الله أو يُعطِّل حدوده في عُمان آنذاك؛ بل الطرف الآخر ـ المُستَنهَض ضِدَّه ـ يدين بذات الدين والمذهب، ويُطبِّق ذات الأحكام، فكلُّ قُضاته ورجالاته من ذات المدرسة. جُلُّ ما في الأمر تصعيد في نبرة الخطاب الاستنهاضي لأبعد مدى مُمكن (المُراجِع).

(٤) **المعنى**: لقد غدت دماء المسلمين هدراً يعبث بها وبكرامتها الأعداء كما يعبث الصِّبيان بمياه الأفلاج في حواري قُراكُم.

(٥) قِصاص: القِصاص في الجِراح، وذلك أنَّه يُفعَل بهِ مثلُ فِعلِهِ بالأوّل، فكأنَّه اقتصَّ أثره || الأرْش: دِيَة الجراحات كالشجَّةِ ونحوها قَوَد: القِصاصُ وقَتْلُ القاتِلِ بدل القتيل؛ || جُعلان: جمع جُعل؛ وهي الخنفساء. **المعنى**: وهل يُعقلُ صَمتكُم هذا: لا قصاص، لا أرش ولا دِيَة للقتيل بين ظهرانيكُم؟، كما لو كانتْ لُحوم المُسلمين وضيعة المَحتد كالحشرات والخنافس وأبي جُعَل؟

يـا لَلرِّجـالِ أفِيـقُـوا مِـنْ سُـبَـاتِـكُـمُ ... فَـقَـدْ أحَـاطَ بِـكُـم بَـغْـيٌ وَعُـدوَانُ

أخِيفةَ المَوتِ ظَلَّ العَجْزُ يُقْعِدُكُم ... وَلَيسَ لِلأَجَلِ المَعْدُودِ نُقصَانُ[1]

لا يَحْجُبُ المَوْتَ جُبْنٌ عِندَ مَوقِعِهِ ... ولا يُقدِّمُ وَعْدَ المَوْتِ شُجْعَانُ[2]

يَا لَلرِّجَالِ لَقَدْ ذَلَّتْ حَفِيظَتُكُم ... إذا اسْتَطَالتْ عَلَى الآسَادِ حُمْلانُ[3]

إنَّ السُّيُوفَ التِي كَانَتْ لِسَالِفِكُم ... مَا ضَمَّهَا مَعَهُم رَمْسٌ وَأكْفَانُ[4]

مَرِيضَةٌ هِيَ فِي الأجْفانِ؟ أمْ مَرِضَتْ ... قُلُوبُكُم؟ أمْ نَأى عَنْهُنَّ وِجْدَانُ[5]

بِئْسَ السُّيوفُ إذا حَلَّتْ عَوَاتِقَكُم ... وَمَا بِهَا لِعَتِيقِ المَجْدِ أحْزَانُ[6]

---

(١) **معنى البيتين:** أفيقوا من سُباتكم الذي طال وأنتم ترون البغي والعُدوان المُحيطان بكُم.. أم أنَّ هلعكم من الموت هو ما أقعدكم في مرابض الذُّلِّ عاجزين خانعين؟.. رغم أنكُم تعرفون أنَّ مَوعدَ آجالِكم محسومٌ سَلفاً، وبالتأكيد لن ينقص بقليل من الشجاعة المطلوبة لمواجهة الموقف ودرء الخطر المُحدق بكم.

(٢) **معنى البيت:** فالموت لحظة وقوعه لا يُؤجِّلُهُ جُبنٌ مُؤجِّلٌ، كما لا تُقدِّمُ مَوعِدَهُ شجاعةُ الشجعان، لأنَّهُ واقعٌ لا مَحالَة.

(٣) الآساد: الأسود || الحُملان: جمعُ حَمَل؛ وهو الخروف. **المعنى:** ومما يؤسف له تردِّيكُم إلى هذا الدَّرَك ـ وأنتم رِجالات القوم ـ بعد أنْ استبيحت مُروؤتكم وشرفكم ونخوتكم إذلالاً مُهيناً لكُم، حين انقلبت آية الزمان واستطالتْ الحملان على الأسود.

(٤) سالفكم: سلفكم الصالح || رَمْس: قبر، وتعني أيضاً ما يُحثى على القبر من تراب. **المعنى:** وآخر عهدي بالسيوف التي ورثتموها عن أسلافكم الأحرار، عهدي بها إرثٌ ستحافظون عليه، إلَّا إن كانوا ـ لا سمح الله ـ اصطحبوها معهم في قبورهم وكُفِّنَتْ كأجسادهم الطاهرة. **تلميح:** ينطوي البيت، بطبيعة الحال، على بلاغة سخرية لاذعة مُرَّة هدفه منها استنهاضُ قومه للنهوض من سُباتهم، وتَعَرُّفِ واقعهم المُزري بالحواسِّ التي تُمكِّنهم من اجتراح آليات غلَبَتهم عليه.

(٥) الأجفان: جمع جفن وهو غمد السيف || نأى: بَعُد || الوجدان: الوله عشقاً والمشاعر والأحاسيس. **المعنى:** يبلغ الشاعر، هنا، مُنتهى سُخريته اللاذعة: هل سُيوفكُم مَريضة في مَغامدها، ولم تعُد قادرَة على المُبارزة في ساحات المعارك؟.. أم أنَّ قلوبَكم هي التي مَرضتْ بعد أن غار في غياهبها وجدانُها المُحرِّك والمُثوِّر لمَكامِن ثاراتها الكامِنة؟.. أسألكُم، فهل مِنْ مُجيب؟

(٦) بئس: فعل جامع لأنواع الذمّ، وهو ضد نعم في المَدح || حلَّت: الحُلَّة تعني الزينة، يُقال: لَبِس فلان حُلَّته أي سِلاحه || العاتِقُ: ما بين المَنْكب والعُنُق || عتيق: بالغ القِدَم || أحزان: هُموم. **المعنى:** بئس سيوف الرِّجال، إنْ كان جُلُّ ما قدرتم عليه هو استعمالها حُليةً للتفاخر في مجالس المناسبات والأعياد، ولتذهب إلى الجحيم إنْ لم يبقَ فيها لعتيد المجد هَمٌّ وتوجُّعٌ على ما مضى من صليلِ فرَجِها الغابر.

لا تَحْجُبُوهَا إِنَاثاً فِي مَغَامِدِهَا ... فَإِنَّ تِلْكَ اليَمَانِيَّاتِ ذُكْرَانُ[1]

فَدَيْتُكُم أَوْرِدُوهَا إِنَّهَا عَطِشَتْ ... إِنْ كَانَ فِيكُم يُلاقِي الرِّيَّ عَطْشَانُ[2]

كَانَتْ بَوَارِقَ فِي الأَخْطَارِ سَاهِرَةً ... وَهَمُّ أَصْحَابِهَا فِي المَجْدِ سَهْرَانُ[3]

فَاليَومَ نَامَتْ هُمُومُ القَوْمِ فِي جَدَثٍ ... وَسَاهِرُ البَرْقِ فِي الأَغْمَادِ وَسْنَانُ[4]

تَكَادُ أَنْ تَتَلاشَى مِنْ تَحَرُّقِهَا ... غَيْظاً عَلَى «صَارَ»، أو حُزْناً عَلَى «كَانُوا»[5]

---

(١) مغامدها: جمع غمد || اليَمانيّات: ضَرْبٌ من السُّيوف الشريفة حادَّة الشفرة تُنسَبُ لليَمَن. **المعنى:** في هذا البيت يستثير الشاعر مكامِن النخوة العربيّة في قومه (بظلالٍ مفاهيم الذكورة والشرف في اللّاوَعْي الجَمْعِي)؛ هامزاً من حجبهم لسُيوفهم في مغامدها، كما يُحجِّبون نساءهم؛ ليُذكِّرهُم - في عَجُز البيت - بحقيقةٍ يبدو أنَّ الرِّجالَ المُستَنْهَضِينَ تناسوها: وهي أنَّ سيوفهم اليمانيّة ذكْرانٌ تقومُ بما يقومُ به الفحول. **تلميح:** لا تخفى الإحالة الإيروتيكيّة المُضمَرة في عُنفوان ذكورَةِ السُّيوف التي لا يُطفئ تأجُّجَ رغبتها الجامحة سوى إغمادها في رقابِ الأعداء (المُعَادِل الإيروتيكي Erotic Correlative للأنوثةِ المُضمَّخة بدَمِ الإفتراعِ انتهاكاً لعُذريّةٍ رمزيّةٍ آن أوانُها).

(٢) أوردوها: الوِرد موضع سقي الإبل، لكنه استخدمها لرَيِّ السيوف بدماء الأعداء || الرِّيُّ، بالكسر، تعني: الارتواء من العطش. **المعنى:** فديتكم أوردوا تلك السُّيوف العطشى لدماءِ أعدائكُم؛ إن كان فيكُم عطشانٌ يُلاقي موضع المورد والرِّيّ في ساحات القتال.

(٣) بوارق: لمعان السيوف || الأخطار: جمع خطر، وقصد بها الشدائد والمِحَن. **المعنى:** كانت سيوفكم بلمعانها بوارق ساهرة في الشدائد، كما كان هَمُّ من ورثتموها منهم ساهراً، بدوره، في ذروة أمجادهم. **تلميح:** (كما لو كان الشاعر يستخدم في هذا البيت تقنية سينمائيّة معهودة؛ هي الاسترجاع السِّينمائي Flashback فيما يَستعيدُ، في هذا البيت، مَعنى مُحدَّداً من إضمامة كثافة المَعاني المُتعدِّدة التي سبق له استخدامها في مطلع النونيّة: «تلك البوارق..»، ترجيعاً بَصَرِيّاً لرَنين فخامة المَطلع المِزنان وإحالة إليه، ربطاً له بصعودات وهبوطات نسيج الخطاب المُؤنَّث للبَيان والبَنيان الذي امتاز به مِعمارُ النُّونيّة الفريد).

(٤) جدث: قبر || وَسْنان: نعسان. **المعنى:** أما اليوم فقد نامَت هِمَمكم نومَة أهل الكهفِ في قبر جماعيٍّ؛ رغمَ أنَّ ساهِرَ البَرق ورميضه المُتعالي في سيوفكم مُستعدٌّ للمُبارزة، لولا أنهُ حُكِمَ عليهِ للأسف بالنعاسِ في تلك الأغماد، كما حكمتم على هِمَمِكُم العالية بالنوم قبل أوان موتها في قبور مُهيّأة لها سَلفاً.

(٥) **المعنى:** فتلك السيوف الساهرة في أغمادها تكاد لشدَّةِ تحَرُّقِها أن تتلاشى غيظاً على ما صار لكم ولها من إهمال، وحُزناً على ما كُنتم عليه من شجاعة افتقدتها تلك السيوف. **ملحوظة:** الذروة الفنيّة لصورة البيت الشعرية كامنة في تعبيره: «تكادُ أن تتلاشى من تحَرُّقِها» الشديد، لا سيما أن الشاعر أضافَ في عَجُز البيت الأسباب التي دعت تلك السيوف للتلاشي.

أُورِثْتُمُوهَا مِنَ الأَوْتَارِ مُشْعَلَةً ... كَأَنَّهَا فِي دُخَانِ الحَرْبِ نِيرَانُ[1]

وَاليَومَ تُغْمَطُ فِيكُمْ وَهِيَ مُغْضَبَةٌ ... وَمَا بِكُم لِحُقُوقِ السَّيْفِ غَضْبَانُ[2]

مَا عَوَّدَتْهَا بَنُو عَدْنَانَ مَا لَقِيَتْ ... مِنكُم وَلا أَسْكَنَتْهَا الغِمْدَ قَحْطَانُ[3]

لا تَحْمِلُوهَا إذا كَانَتْ لِزِينَتِكُم ... إنَّ الرِّجَالَ بِفِعْلِ السَّيْفِ تَزْدَانُ[4]

فَلَيْتَ أَسْيَافَكُم صَارَتْ مَعَاوِلَكُم ... وَلَيْتَ خَيلَكُمُ مَعْزٌ وَثِيرَانُ[5]

---

(١) أُوْرِثْتُمُوها: وُرِّثتم إيّاها || الأوتار: جمع وِتر، بالكسر، وهو الدم وطلب الثأر، وفي حديث عبد الرحمن في الشورى: لا تُغْمِدُوا السيوفَ عن أعدائكم فَتُوتِرُوا ثأركم. قال الأزهري: هو من الوَتْر؛ يقال: وَتَرْتُ فلاناً إذا أصبته بِوَتْرٍ، وأَوْتَرْتُه، والثَّأْرُ ههنا العَدُوُّ لأنه موضع الثأر || مُشْعَلَة: مُتقدّة. **المعنى**: لقد ورثتموها وهي مشتعلة مُتقدّة بالدَّم وطلب الثأر من أعدائكم؛ لدرجة أنها حين تصولُ في دخان الحرب لا تبدو سيوفاً بارقة، بل نيراناً تتلظى للتشفّي بدماءِ الأعداء.

(٢) تُغمَط: الغَمْطُ: الاستِهانة والاستِحقارُ. **المعنى**: واليوم تغمطُ سيوفُكم فيكم استهانةً واستحقاراً بكُم، وهي مُغضبة من واقع حالكم المُزري لتراخيكُم عن الأخذ بحقوقها؛ إذ لم يَعُد بينكُم غاضبٌ يأخذ حقَّها وحَقَّه.

(٣) عدنان: جدُّ كافة القبائل النزارية المُنتسبة إلى قيس ومُضر || قحطان: جدُّ القبائل اليمانيّة، وكلاهُما جدُّ كافة العَرب. **المعنى**: في البيت استِثارة للحَمِيَّةِ العربيّة توسُّلاً برمُوز أنساب شجرتها العُليا، وهو يُعاتبُ قومَه المُتخاذلين عن عادات أجدادهم العدنانيين والقحطانيين، على حدٍّ سواء.

(٤) **المعنى**: يعود، هنا، لتقنية التكرار الواردة في بيت سابق، ولكن بصيغة أخرى توكيداً على انتفاء مفخرة تقلُّد السُّيوف زينة فحسب؛ لأنَّ الرِّجال الحقيقيين يزدانون ويزدهون بِفِعالِ سُيوفهم وليس باستعراضِها في المُناسبات.

(٥) **المعنى**: وما دامت هذه حالكُم، وهذا مُنتهى تقديرهم للسيوف؛ لكنتُ تمنَّيت لو صارت سيوفكم مَعاولَ تستفيدون منها في حراثة أرضكم، (كما سأتمنى ـ في هذا السِّياق الرَّث ـ)؛ لو كانت خيولكم ثيراناً تستفيدون منها في الفلاحة، وشِياهاً تأكلون لحمها وتحلبونها لتستمر معيشتكُم كالحيوانات. **ملحوظة**: في هذا البيت المُؤثر استخدم الشاعر أسلوباً استنهاضياً غير مُباشر ولم يكُن معهوداً لدى العُمانيّين، لذلك تبرعمت قيمته الإستنهاضية في ذاكرة العُمانيين من نقيضِها القِيَمِيّ المُخجل: تمنِّي الشاعر على قومه المُتفاخرين بسُيوفهم وخيولهم في الحروب تحويلها لما يُمكِن أن يُستفاد منه في واقعهم المُزري؛ كأن تصير سُيوفهم (المُفاخر بها) مَعاول يُستفاد منها في حقولهم وخيولهم (المُتفاخر بها) حيوانات لِبونة مِكداح في تلك الحقول، ما داموا غير مُقتنعين بضرورة وأهميّة نُصرة إمامهم العادل. والحقيقة أنَّ سُخرية قاصِمة كهذه أصابتهم في مَقتل، نجح الشاعِرُ فيه مِن تصعيد لومِهِ ولائمته على بني جلدته أكثر مِمَّا فعله وسيفعلهُ في تالي الأبيات باستنهاضِهِ المُباشِر.

حَتَّامَ طَرْفُ الهُدَى سَهْرَانُ مِنْ قَلَقٍ ... فِيكُم، وَطَرْفُ العِدَا فِي الظُّلْمِ سَهْرَانُ[1]

لَيسَتْ بِسُنَّتِكُم مُذْ كَانَ عُنْصُرُكُم ... وَإِنَّمَا الحَظُّ كَالأَزْمَانِ أَزْمَانُ[2]

يَا لَلقَبَائِلِ يَا أَهْلَ الحِفَاظِ وَمَنْ ... أَمْجَادُهُم فِي جَبِينِ الدَّهْرِ عُنْوَانُ[3]

شُدُّوا العَزَائِمَ فِي اسْتِدْرَاكِ فَائِتِكُم ... إِنَّ العَزَائِمَ لِلإِدْرَاكِ إِقْرَانُ[4]

أَهْلَ المَكَارِمِ إِنَّ اللهَ أَكْرَمَكُم ... بِنِعْمَةِ العَدْلِ، إِذْ لِلجُورِ بُرْكَانُ[5]

لا تَكْفُرُوا اللهَ فِي نَعْمَاءَ أَنعَمَهَا ... فَإِنَّمَا يَرْبُطُ النِّعْمَاءَ شُكْرَانُ[6]

---

(١) حَتَّامَ: نحت لغوي مُركَّب يعني: حتى متى. المعنى: وإلى متى سَيَظلُّ طرف الهداية ساهراً من قلق فيكم (نلاحظ أنه لم يَقُل: عليكم)، وأنتم غافلون ناعسون عن عين الهداية والهُدى بينما عيون أعدائكم الظُّلام ساهِرة لاقتناص اللحظة المُواتية للإنقضاض عليكم؟

(٢) سُنتكم: عادتكم || عنصركم: تعني؛ الأصل والحسب. المعنى: وما أعهده عنكم فيما مضى أنَّ مثل هذا التخاذل لم يكُن من عاداتِكُم ولا من سُنن أصولكم العتيدة؛ لكنَّ الحظ ـ كما يبدو ـ كما هي الأزمان في تقلُّبها، ولا حظ لي أن أراكُم في عُهودكم المُشرقة في سالف [ضِمناً في..] قادِم العهد والزمان.

(٣) يا للقبائل: نداء استنهاضي، قصد به الشاعر استنهاض كافة القبائل المُنتمية لعُصَبتي عدنان وقحطان|| يا أهل الحِفاظ: يا أهل الأنفة، ويا حفظة العهود. المعنى: في هذا البيت يتخلى عن ندائه الإستنهاضي الأشهر في القصيدة: «يا للرِّجال»، المُستثير لرجالات القوم فرداً فرداً، مُعمِّماً ذات النداء على المجموع المُنضوي في صوت القبائل التي يتنحى فيها الشاعر بأنفتها وخصيصة حفظها للعهود، مُصَوِّتاً فيما يَبْغ نداءً غير مسموع بأمجادهم، مُذكِّراً إياهم بأنها أمجاد لا تُنسى لحُسن فِعالِهم فيما مضى؛ لحَدٍّ أنَّ الدَّهر ذاته تَعنْوَنَ بها لتكون علامته الفارقة على جبينه.

(٤) الإدراك: اللحاق، يقال: مشيت حتى أَدْرَكته وعِشْتُ حتى أَدْرَكْتُ زمانه || إقران: بكسر الألِف؛ قُوَّة الرجل على الرجل. يقال: أَقْرَنَ له إذا قَوِيَ عليه. المعنى: شُدُّوا عَزائمَكُم في استدراك ما فات، لأنَّ العَزائم قُوَّةٌ تنضافُ في السَّعي إلى ما فاتكُم استدراكُه. [لا نرى وجهاً في تفسير بعض الشرَّاح بأنَّ العزائم قرينة الإدراك، فالشاعِر ـ وفقَ تأويلنا ـ قصدَ الإقران، وهو القوَّة والبأس، وليس الأقران: الأنداد]، وهي واحدة مِن مَصايِدِ أبي مُسْلم التي يُوقِعُ فيها قُرَّاءهُ وشُرَّاحه ـ وربَّما كُنتُ واحداً مِنهم لفرط جهلي وعَميم جِلبِه.

(٥) المعنى: ويا أهل المَكارم؛ إنَّ الله أكرَمَكُم، قبيلة قبيلة، بنعمة العدلِ التي رسَّخها هذا الإمام العادل فناصِروه بما أوتيتْ أيديكُم، ولا تتراجعوا عن مُناصرته لتنصرفوا إلى فِتَنِكُم القديمة، فالجَور والظُّلم المُحدقان بكُم جميعاً بُركانٌ لن يهدأ ساعة تفيقون من سَكْرَة النعمةِ التي لم تحافظوا على مُكْتسباتها.

(٦) المعنى: نلاحظ، في هذا البيت، انقلاب صِيغة الخطاب المُهادنة: «يا أهل المَكارم» في البيت السابق، لتصبح صيغة أمر: «لا تكفروا الله!» في نعمائه التي أنعم بها عليكُم؛ لأنَّ شرط دوام=

فَـأيْـنَ أيْـنَ ذِئـابُ الـدَّوِّ حَـمَّـتُـهـا «بَـنـو تَـمـامٍ» وَمَـنْ رَبَّـتْـهُ «جَـعْـلانُ»[1]

وَأيْـنَ عَـنْـهَـا «الـجُـنَـيْـبِـيُّـونَ» إنَّـهُـمُ سَـعْـدُ العَـشِـيـرَةِ عَـلْـيَـا «مَـذْحِـجٍ» كَـانُـوا[2]

=النِّعمة ـ وإنْ كانتْ مِن مَخلوقٍ مثلكم ـ شُكرُها، تعبيراً عن تقديرها والامتنان لواهِبها. **تلميح**: تُلاحظ بُعد وَصْفِهِ لكافةِ القبائل المُخاطَبة في مانيفستو Manifesto «الثُّونيّة»، واستدراكه الذكيّ تذكيراً لجَمْعِهِ المُخاطب؛ بصفتهم «أهل الحِفاظ»؛ فيما نراهُ يعود مُنقلباً على مديحه لهم في هذا البيت والذي سبقه، تأسيساً لأسباب مدائحه فيهم، دون التفريط بواجبات ما استوجبه ذلك المَديح؛ وهو إكرامُ الخالق لهم بإمام عادل أنعم عليهم به؛ وأبسط ما يُقدِّمُونه لتلك النِّعماءِ ـ مِن وِجهَة نظر الشاعر ـ قليلٌ من نفحات الشُّكران.

(١) حَمَّتُها: الحَمَّةُ عين ماء فيها ماء حارّ يُستَشْفى بالغسل منه؛ قال ابن دُرَيْد: هِيَ عُيَيْنَةٌ حارَّةٌ تَنْبَعُ من الأرض يَستشفي بها الأعِلّاءُ والمَرْضَى. وفي الحديث مَثَلُ العالم مَثَلُ الحَمَّةِ يأْتيها البَعَداءُ ويتركها القُرَباءُ، فبينا هي كذلك إذ غار ماؤُها وقد انتفع بها قوم وبقي أقوام يَتَفَكَّنون أي يتندَّمون. وفي حديث الدجال: أخبروني عن حَمَّةِ زُغَرَ؛ أي عينها، وزُغَرُ: موضع بالشام. || ذئاب الدَّوّ: ذئاب الفلوات والمفازات الصحراويةِ الضَّاريَة || بَنو تمام: قصد بهم بني بُوعَلي؛ وهم قبيلة أزدية قحطانية، يتصل نسبها إلى تمام ثم إلى الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان || جَعلان: ولاية جعلان في المنطقة الشرقية، وتنقسم إلى جعلان بني بوحسن: وجعلان بني بوعلي، وهي قسمة قبليّة ومذهبيّة بالضرورة. **المعنى**: نلاحظُ في هذا البيت العودة الجغرافية إلى منطقة الشرقية بعد وصول «ناقل العيس» بقافلة الشيخ نور الدين السالمي إلى مُنتهاها في بيضة الإسلام نزوى، ليبتدئ الشاعرُ ترحُلهُ التالي في نونيّته العصماء مُشيداً بمناقب القبائل العُمانيّة [غافريّةٌ كانت، أم هناويّة] في مسح طبوغرافي فريد يتقصّى بلاده بعين فوتوغرافيّة وهو في زنجبار لأعطاء كُلّ قبيلة مكانتها في قصيدته المُستنهضة لكافةِ عَصائب قحطان وعدنان. **المعنى**: وأين عنها ذئابُها الجاهليُون [تحقيباً]؛ ذئاب الدَّوّ المُغيرَة في مثل هذه الصحراء؟.. وهُم حَمَّتها بنو تمام، ناهيك نسباً ومُفاخرة عمَّن رَبَّتْهُ جَعْلان. [ثمَّة في البيت استثارة لحَميَّةِ الجعلانيين؛ بني بو حسن كانوا أم بني بو علي] كما سيتضحُ من الأبيات التالية ليتضافروا معاً في نُصرة إمامِهم الذي هبط عليهم بمظلة التقوى؛ ولا فرق في نظر الشاعر ـ إباضيّة كانوا أم سُنّة ـ فالقصدُ هو توحيد ثغور البلاد تحت راية إمامٍ عادل.

(٢) الجُنيبيون: قصد بهم قبيلة الجنبة؛ وهي قبيلة قحطانية، يتصل نسبها إلى جنب بن يزيد بن حرب بن غامد بن مالك بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود النبي عليه السلام. أما المجاعلة منهم فيتصل نسبهم ببني خروص بن شاري بن اليحمد. والجنبة أربعة أفخاذ: القراما، المخانّة، الغيالين والفوارس، وتقطن في صور وجعلان والجازر وجزيرة مصيرة وسواها من المناطق || سعد العشيرة: قصد به أصول الجَنبَة الضاربة في زبيد بن سَلَمَة بن مازن بن منبه بن صعب بن سعد العشيرة بن مذحج || مَذحِج: نسب مذحج: هو مالك بن أدد بن يشجب وهو عمرو بن عريب بن زيد بن كهلان ومن ولده لخم وجذام وعاملة وكندة. أما مذحج فقد=

غَـارَاتُـهُـم بِـرِيـاحِ الـمَـوْتِ عَـاصِـفَـةٌ ... وَفَـخْـرُهُـم بِـحَـمِـيـدِ الـذِّكْـرِ يَـزْدَانُ[1]

وَأَيْـنَ «رَاسِـبُ» سَـيْـفُ الأَزْدِ إِنَّـهُـمُ ... سَارَتْ بِصِيتِهِمُ فِي الأَرْضِ رُكْبَانُ[2]

وَأَيْـنَ أَهْـلُ الـذِّمَـارِ «الـهُـشْـمُ» بَـحْـرُهُـمُ ... بِـالـمَـجْـدِ وَالـفَـضْـلِ فَـيَّـاضٌ وَمَـلآنُ[3]

عَـهْـدِي لَهُـمْ نَـجْـدَةٌ فِي الـحَـرْبِ شَـاهِـرَةٌ ... وَمِـنْـهُـمُ لِـحُـقُـوقِ اللهِ أَعْـوَانُ[4]

وَيَـا «لَـشَـمْـسٍ» وَكَـتَـائِـبُ الـخَـمِـيـسِ لَـكُـم ... أَنْـتُـمْ لَـهَـا يَـا أُسُـودَ اللهِ أَرْكَـانُ[5]

أَنْـتُـم سِـمَـامُ الـوَغَـى لَبُّـوا إِمَـامَـكُـمُ ... وَعِـنْـدَكُـم مِـنْ ثُـغُـورِ اللهِ «جَـعْـلانُ»[6]

=اختلف فيه فقال قوم مذحج بن مالك بن أدد نسب إليه ولده، وقيل: بل هي أكمةٌ حمراء ولد عليها مالك بن أدد فعرف بها ولده. المعنى: واضح من السّياق.

(١) المعنى: فغارات أولئك القوم عاصفة برياح المجد، وفخرهم مُزدانٌ بحميد الذِّكر، دونما حاجةٍ لذكرهم في تُونيتي.

(٢) راسب: قبيلة بني راسب؛ وهي قبيلة أزدية قحطانية، يتصل نسبها إلى راسب بن مالك بن ميدعان بن نصر بن الأزد، والمفرد: الرّاسبي. المعنى: واضح من السياق.

(٣) أهل الذمار: الذِّمَرُ: اللَّوْمُ والحَضُّ معاً. وذِمارُ الرجلُ وهو كل ما يلزمك حفظه وحياطته وحمايته والدفع عنه وإن ضَيّعه لزمه اللَّوْمُ || الهشم: قبيلة أزدية قحطانية ، يتصل نسبها إلى الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود النبي عليه الصلاة والسلام. والمفرد: الهاشمي، ويقيمون في ولاية الكامل والوافي وبعضهم في وادي بني خالد وولاية بدية في المنطقة الشرقية من عُمان. المعنى: واضح من ا لسياق.

(٤) المعنى: واضح من السياق.

(٥) آل شمس: قصد بهم «بني بوحسن» المُقيمين في جعلان بني بو حسن؛ وهي قبيلة قحطانية ، يتصل نسبها إلى حسن بن شمس بن وائل بن الغوث بن قطن بن عمرو بن الهميسع بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود النبي عليه الصلاة والسلام، وهي قبيلة معروفة في اللهجة المحلية بمسمى: بني بو حسن، وديارهم جعلان بني بو حسن، وينقسمون إلى فروع؛ منها: الضّواويع والمطاعنة والمشايخة والمسارير || كَتَبات الخميس: الجيش الجرّار بفيالقه الخمسة. المعنى: واضح من السياق.

(٦) سِمام الوغى: سُمّ الحرب || جعلان: ولاية جعلان؛ المُنقسمة إلى جعلان بني بوعلي آنفة الذكر، وجعلان بني بوحسن. المعنى: منذ بداية الغزوات السعودية على عُمان ـ تلك الغزوات المُلتحفة برداءِ المذهب الوهّابي ـ والعُمانيون يعتبرون جعلان ثغراً من الثغور، كما في مرحلة توسُّع الدولة الإسلامية إبّان حُكم بني أُميّة والعباس. وهي تسمية مُضلِّلة ـ يؤكدها الشاعر ـ نرفضها اليوم؛ فجعلان في القلب من عُمان، وليست ثغراً نُؤتى منه (المُراجِع).

وَأيْنَ «أوْلادُ عِيسَى» وَالحِفاظُ لَهُم ... نُجْدٌ ضَرَاغِمُ أوَّاهُونَ رُهْبَانُ[1]

صَمِيمُ «كِنْدَةَ» حَيِّ المُلْكِ مِنْ يَمَنٍ ... عَهْدِي بِهِم لِلهُدَى حِصْنٌ وَإيوَانُ[2]

شُدُّوا فَدَيْتُكُمُ أنْتُمْ بَوَاسِلُهَا ... أم فِيكُمُ لِمُصَابِ الدِّينِ سُلْوَانُ[3]

وَأيْنَ «يَحْمَدُهَا الحِرْثُ» الكِرَامُ فَفِي ... عَزَائِمِ القَوْمِ جَنَّاتٌ وَنِيرَانُ[4]

---

(١) أولاد عيسى: قصد بهم قبيلة الحَجْرِيِّين التي تقطن ولاية بديّة؛ وهم قبيلة أزدية قحطانية، يتصل نسبها إلى الحجر بن عمران بن عامر (ماء السماء) بن حارثة بن امرئ القيس، ثعلبة بن مازن بن الأزد وبعض النسابة العمانيين من ينسب الحجريين إلى كندة، والكُلُّ قحطانيون || نُجْد: أشداء ومغيثون يُستنجَدُ بهم || ضراغم: أسود || أوّاهون: كثيرو التأوه من خشية الله || رُهبان: منقطعون إلى العبادة. المعنى: يستمرُّ في ندائه مخاطباً الحَجريِّين بكُنيتهم المُحبَّبة: أولاد عيسى [لجذورها هي أنَّ بعض النسّابة ينسبون الحجريين إلى عيسى بن كندة]؛ ذوي الحِفاظ، فهُم أسودٌ مغيثون يُستنجَدُ بهم في مُلمّات الحَرب، كما كانوا رُهباناً أوّاهين في ليالي التَّبتُّل. ورُغم أنَّ بلادَهم أقرب للبادية وانفتاحها على عفويّة المُكتسَب البدويّ؛ إلّا أنه يُشير لتديُّنهم وانقطاعهم إلى العبادة ـ إلى جانب شجاعة سُيوف نهاراتهم تلك، ولذلك ما يُفسِّره؛ ففي اعتقادنا أنهُ يُلمِّحُ إلى تجربة الزهد وأوقاف المُتعلمين، إلى جانب التجربة الصُّوفيّة النِّسويّة المُتفرِّدة في بلدة الواصل، أسوة بالنساء العابدات الزاهدات المُعتزلات المُتسربلات في نوع من التَّرهُبُن، كما في مناطق أخرى من عُمان؛ كعابدات الفرفارة في بدبد، وعابدات الدَّن في سمائل وأمَّهات الواصل في بديّة، ناهيك عما سبق لنا شرحه في بيت مُتقدِّم.

(٢) صميم كِندَة: قصد بها أن الحَجْريِّين ينتسبون إلى كِندَة، وهو ما يؤكِّدُهُ الشاعر التقاءً لنسب الحجريين في شجرة نسب الشاعر || حَيّ المُلك من يَمَن: تُشيرُ الجُملة إلى مُلوكِ كِندَة وشأنهم العظيم منذ الجاهلية؛ ومن مُلوكِهم معد يكرب بن الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار الكندي، وهو من ملوك اليمن في الجاهلية، يلقب بـ«الغلفاء»؛ لأنه ـ كما قيل: أول من تغلَّف بالمِسك، وهو عمُّ الشاعر المشهور «امرئ القيس بن حجر» || إيوان: والإيوانُ: الصُّفَّةُ العظيمة، وفي المحكم: شِبْهُ أَزَجٍ غير مشدود الوجه، وهو أعجمي، ومنه إيوانُ كِسرى. المعنى: فُهم من صميم كِندة نسباً، فيا أهلًا وسهلًا بالمُلك المُؤثِّل في اليمَن، فعهدي بهم، دائماً، أنهم حِصنٌ وعرشٌ للهُدى والهِدايَة.

(٣) بواسلها: شجعانها || سُلوان: نسيان. المعنى: إذن، شدُّوا العَزم والهمَّة؛ فأنتم يا أولاد عيسى شجعانها الحقيقون بها، وحقّاً من الشاعر لبسالتهم نراهُ يُخاطبهم قائلًا: أأنتُم مِمَّن يُعوَّلُ عليه في المُلمّات والشدائد ـ كما عهدنا ـ أم أنَّكُم ستتناسونَ مُصابكم ومُصابنا الفادح في الدِّين؟

(٤) اليَحْمَد: عَزوة قبيلة الحِرْث، انتماءً إلى جدهم الأكبر يَحْمَد || الحِرْث: قبيلة أزدية قحطانية، يتصل نسبها إلى الحارث بن كعب بن اليحمد بن عبدالله بن عثمان بن نصر بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبدالله بن مالك بن نصر بن الأزد. والمُفرد: الحارثي، ويقيمون في ولايتي «القابل» و«إبرا» من المنطقة الشرقية. المعنى: وأين الحُرْثُ الكرام من سُلالة اليَحْمَد الكِرام؟ هل هُم أيضاً في الرَّكْب؟ فما عَهِدْنُهُ من عَزائم سِيرتِهم جَنَّاتٌ تستقبلُ الأولياء والأخيار ونيرانٌ تلفحُ الفُجّارَ والأشرار.

ضَـنَـائِنُ اللهِ أَنْـتُـم لا يَـزَالُ لَكُـم ... فـي نُـصْـرَةِ اللهِ صَـوْلاتٌ وَسُـلطَـانُ[1]

يَـبْـلى الـزَّمَـانُ وَلا تَـبْـلَى مَـحَـامِـدُكُـم ... مـا دَامَ يُـحْـمَـدُ مِـطْـعَـامٌ وَمِـطْـعَـانُ[2]

إنْ كَـانَ «صَـالِحُ» طَـوْدُ المَـجْـدِ فَـارَقَـكُـم ... فـإنَّ إصْـلاحَـكُـم رَضْـوَى وَثَـهْـلانُ[3]

---

(١) ضنائن الله: خواص عباده المُقربين. يُقال: فلان ضِنّتي من بين إخواني؛ وضِنّي تعني أنني أختص به وأَضِنُّ بموتِه، وفي الحديث: «إن لله ضنائن»؛ أي خصائص. **المعنى**: ولا غرْوَ في ذلك؛ فأنتم خوَاصُّ الله وضَنائنُه المُدافعون عنه بخصيصة الضَّنين لضَنِينِه، وما زالت لكُم في نُصرته صولاتٌ وسلطانٌ وأبّهَة لا تنتهي بانتهاء الأزمان والأحقاب.

(٢) يبلى: يتناهى في القِدَم || محامدكم: أفعالكم الحميدة || مِطعام: صيغة مبالغة في الكَرَم || مِطعان: صيغة مُبالغةٍ في الشجاعة؛ لكثرة طعن الأعداء. **المعنى**: فالزَّمان قد يَبلى قِدَماً وقَدَامَةً يا من تعتزون بالمَحْمَد، لكنَّ مَحامِدَكُم الطولى لا تبلى أبداً، بل تتجَدَّدُ في ديمومة الدَّهر ما دام يُحْمَدُ كريمٌ مِضياف، وشُجاعٌ مِقدامٌ لا تبلى حَرْبَتُهُ رغم شدَّةِ الطِّعان. **تلميح**: ثمة إشارة جَليّة في هذا البيت المُكرَّس لقبيلة الحُرْث إلى المَفهوم الجاهلي [والمابَعد ـ إسلامي] لخصيصتي الكرم والشجاعة اللتين تميزت بهما المُعلقات، وصُنِّفت على أساسها في تلك المرتبة؛ وبالتأكيد يتراءى، هنا، إضفاء الشاعر لخصائص الذّيمومَة على مَمدوحيه الحُرْث.

(٣) صالح طود المَجد: قصد به الشيخ المحتسب الوليّ صالح بن علي الحارثي ١٢٥٠هـ ـ ١٣١٤هـ (١٨٣٤م ـ ١٨٩٧م) المولود بولاية القابل. توفي عنه أبوه وهو صغير فزاده ذلك رغبة في طلب العلم فرحل إلى علامة عصره الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي فأخذ عنه إلى أن أصبح ممن يُشار إليهم بالبنان فرجع إلى بلده ومسقط رأسه معلما، وآمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر مُصلحاً لما اعوجّ من الأمور، وكان ممن تتلمذ على يديه النور السالمي فقها وفكرا وسلوكا وهكذا مرت أيامه إلى أن توفاه الله سنة ١٣١٤هـ (١٨٩٧م). || رضوى وثهلان: رضوى من تسميات الجبل الأخضر في عُمان، وثَهلان جَبَل معروف في اليمن؛ وقد كنّى الشاعر بالجبلين عن ابني الشيخ المُحتسب: عيسى وعلي بن صالح. **المعنى**: وإن كان جَبَل مجدكم الأشم صالح المُحتسِب لله قد فارقكم، فإنَّ صلاحَكُم وإصلاحَكُم في خليفتيه: عيسى وعلي؛ وكِلاهُما (ثقلًا مَعنوياً وروحيّاً لكُم)، كرضوى وثهلان. **تلميح**: استخدم التكنية عن عيسى بن صالح وعلي بن صالح بجَبَلين، قياساً إلى الطَّوْد الأكبر [صالح بن علي] في صَدر البيت، وبطبيعة الحال في ذلك إكبار ومبالغة ترميزيّة وتمييز لوَلَدَيه، واحتضانٌ مَعنويٌّ من الشاعر لهُما أمام قبيلتهما. فإذا لم يكُن علي بن صالح صاحب دور سياسيّ جذاب في تلك المَرْحَلة، إلّا أنَّ نُبوءة أبي مُسلم تمَظهَرَت وتحَقَّقتْ في عيسى بن صالح، فيما كان يُصَعِّدُ مَرتبة أبيه بِبُعدها الإصلاحي الديني المَحض مُرحِّلًا إياها إلى تخوم المُمَارسَة السِّياسيّة للإمارَة توازياً وتوالياً مع البُعد الدِّيني، وهي الخصيصة والسِّمَة التي وَسَمَت كثيراً من الزعامات التي تقاطع فيها كُلٌّ من البُعدَيْن: الدِّيني والقبلي، على حَدٍّ سواء، كما سنلحظ ذلك في الحديث لاحقاً عن النباهنة وبني ريام.

«عيسى» لَكُم خَلَفٌ صِدْقٌ لِخَيرِ أَبٍ ... وَفِي «عَلِيٌّ» أَخِيهِ لِلعُلَى شَانُ[1]

صِنْوَانِ يَستَبِقَانِ المَجْدَ فِي حَسَبٍ ... سَيَّارَةُ الشُّهْبِ فِي جَنْبَيهِ صَوَّانُ[2]

وَفِيكُمُ الأَسَدُ الكَرَّارُ فَارِسُ شَرْ ... فَاءَ ابْنُ عَمِّهِمَا الكَافِي «سُلَيمَانُ»

السَّيدُ «ابْنُ حُمَيدٍ» سَيْفُ سَطْوَتِكُم ... وَمَنْ لَهُ فِي بِنَاءِ المَجْدِ أَرْكَانُ[3]

---

(١) عيسى: قصد الشيخ عيسى بن صالح بن علي الحارثي؛ وهو من شيوخ العلم المُتلمِذين على نور الدين السالمي، وقد ورث الزعامة والإمارة عن أبيه صالح بن علي، وكان معروفاً بالشجاعة والغيرة للعلم؛ وقد جُمعت فتاويه في كتاب: «خلاصة الوسائل في ترتيب المسائل»، كما أنه هو من وقع، مُفوَّضاً من العُمانيين «اتفاقية السِّيب» بين الإمامة والسلطنة عام ١٩٢٠م || عليّ: هو الشيخ علي بن صالح بن علي الحارثي؛ وقد اشتهر بالشجاعة والنجدة. المعنى: فعيسى بن صالح خلفٌ لخير أب تواجد بين ظهرانيكم، وفي روح أخيه علي بن صالح [وإنْ لم يَظهَر، سياسةً وتديُّناً وحاكميّة قياساً إلى أخيه عيسى]، ففيه أيضاً شانٌ لا يُستهان به نحو مُرتقى العُلى والعُليا.

(٢) صِنوان: مثيلان ونظيران || سيَّارة الشُّهب: قصد بالتعبير أنهما شهابان ضمن الكواكب الخمسة السَّيَّارة || الصَّوَّان: حجارة يُقْدَحُ بها لإشعال الشرر. المعنى: فعيسى، خلفٌ صادق لأبيه، وفي أخيه عليّ شانٌ للعُلى لا يُستهانُ به، وإن بَعُد عن السياسة مُقارنةً بأخيه عيسى بن صالح. تلميح: الأبيات في مجموعها استنهاضٌ لقبيلة الحرث المُسيطرة على منطقة الشرقية كي تُناصِر الإمام المُنتخب بثقلها الاجتماعي، ليس في الحواضر فحسب، وإنما في البادية.

(٣) الكرَّار: صيغة مُبالغة من الكَرّ في قتال الأعداء || سُليمان: هو الشيخ سليمان بن حميد بن عبدالله الحارثي؛ ابن عمّ عيسى وعلي ابني صالح، وكُنيته التي اشتهر بها: «فارس الشَّرْفاء» [وهو اسم فرسه الأثيرة]؛ التي يُشيرُ إليها الشاعرُ في نونيّته لشجاعته وفروسيّته الفائقة || السَّيد ابن حُمَيد: إشارة أخرى إلى فارس الشرفا سليمان بن حميد. معنى البيتين: وفي قبيلتكُم المؤسِّسة لمجد كهذا في فرعكم الآخر من [آل حُمَيد] بمُمَثلها فارس الشرفا المِغوار، ابن عمّ كُلٍّ من علي وعيسى ابني صالح بن علي. لكنني أقصد تحديداً، هنا، سُليمان الكافي لمهمَّات الرُّسُل. فارسُ الشرفاء: يُورد الشيبة أبو بشير في **نهضة الأعيان** ترجمة للشيخ الفارس سليمان بن حميد بن عبدالله بن سليمان بن محمد بن عيسى بن راشد الحارثي، قائلًا: كان هذا السيد من عُلوّ القدر وبُعد الهِمَّة وجلالة المَنزلة بحالة انفرد بها دون أقرانه، فهو فرد دهره أدباً وفضلًا وكرماً ومجداً وفروسيةً وشجاعة، أما جُوده وسخاؤه، فحَدِّث ولا حَرج. شهد بعض مواقفه ابن بزّاك أحد الأبطال النجديين في حادثة أبدى فيها من البسالة والفروسية ما تكمكع عنه نُظراؤه في ذلك الموقف، حتى رمى جواده وهو على سرجه، فرجع إلى قومه يطلبُ جواداً آخر يقف عليه في حَومَةِ الوغى إلى أن تنجلي غمته، فضنُّوا به عليه، ولما انجلت المعركة ورجعوا إلى الشيخ صالح بن علي [الحارثي]، سألهم عن الخبر، فأجاب النَّجدي (وكان ضيفاً لهُم): يا صالح؛ ضَحِّ بالحُرث، وأطعمهم سُليمان، فبقيت هذه الكلمة مَثلًا عندهم.

بَحْرُ المَكَارِمِ غَوْثُ الخَلْقِ، مَنْ شَمِلَتْ ... لِلكَوْنِ مِنْ بِرِّهِ رُحْمَى وَإِحْسَانُ

البَاسِلُ البَطَلُ المِغْوَارُ مَنْ شَهِدَتْ ... بِطُولِ يُمْنَاهُ آبَاءٌ وَوِلْدَانُ[1]

وَفِيكُمُ مِنْ رِجَالِ المَجْدِ مَنْ خَرَسَتْ ... عَنْهُ القَوَافِي، وَلَمْ يَبْلُغْهُ تِبْيَانُ[2]

أَيْنَ «المَسَاكِرَةُ» الصِّيدُ الغَطَارِفُ مِنْ ... ذَوَائِبِ الأَزْدِ حَيْثُ المَجْدُ وَالشَّانُ[3]

فِي ذَرْوَةِ المَجْدِ مِنْ فَهْمٍ إِذَا انْتَسَبُوا ... أَسَاوِدُ المَوْتِ يَومَ الهَوْلِ طُوفَانُ[4]

---

(١) **معنى البيتين**: هذا بيت جاهليٌّ في مَنحى التعبير ينتمي لابن زُهَير؛ فهو البَاسِلُ البَطَلُ المِغْوَار من شهدت بطول يمين كرمه آباءُ عُمان وأحفادهم حتى في زنجبار؛ والبيت مديح لصديقه فارس الشرفا؛ لأنهُ كان حقيقة واحداً مِن مُناصِري الشاعر آنذاك كما فعل ذلك أشياخ المساكرة المُتواجدون، آنذاك في زنجبار.

(٢) **معنى البيت**: تواترت في ذهني مَرويّات كثيرة عَنْ هذا البيت، سمعتُها من الشيخ سالم بن حمد بن سليمان الحارثي [وكُنتُ أحد جُلاس مجلسه]، ومِن أبي، شاعِر الشرق، أحمد بن عبدالله الحارثي؛ حيث قالا: أنَّ أبا مُسلم قصد في هذا البيت أخا فارس الشرفاء الشهير: وهو الشيخ عبدالله بن حميد المشهور بالحكمة والفراسة والتطبُّب والمعارف الباطنية. وشخصياً كنتُ أميل إلى رأي كهذا يستند إلى مرويّات فقهاء وشعراء؛ لكنَّ روايةَ الأخ يُوسف بن يعقوب الحارثي، [نقلًا عن عمه الشيخ عبدالله بن حمد سليمان الحارثي]، جعلتني أتراجع في تأويل المسألة؛ فالشيخ عبدالله بن حمد؛ ارتأى ـ وفقاً للروايَة ـ أنَّ أبا مُسلم لم يُشِر في هذا البيت إلى عبدالله بن حميد؛ وإنما إلى بعض أعيان فخائذ قبيلة الحرث، سواءٌ مِن الدَّغشة أو الخناجرة أو البراونة أو المحارمة أو سِواهم من أشراف رجالات القوم آنذاك.

(٣) المَساكِرة: قبيلة أزدية قحطانية، يتصل نسبها إلى الأسود بن عمران بن عمرو بن عامر (ماء السماء) بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد، ومن بطونهم من ينتسب إلى سليمة بن مالك بن فهم. من بطونهم أيضاً بنو اسماعيل والكل أزد، ويقطنون «ولاية إبرا» بالمنطقة الشرقية || الصِّيد: الأصْيَد: المَلِك، وجمعه الصِّيد. قالوا: وسُمِّيَ بذلك لقلَّة التفاتِه.
ومن الناس مَنْ يكونُ أصيَدَ خِلقةً || الغطارف: الشريفُ السخيّ الكثير الخير || ذوائب الأزد: جمع ذؤابَة؛ وهي جمع ذُؤَابةٍ، وهي الشَّعَر المَضْفورُ من شَعَرِ الرأس. **المعنى**: وأين المساكرة المُلوك الشرفاء الخيِّرون؟.. فأعراقهم تنتمي لذوائب الأزد، وكفاهم فخراً.

(٤) **معنى البيت**: وهم ـ أي المساكرة ـ في ذروة المجد إذا انتسبوا إلى جدِّهم الأعلى مالك بن فَهْم؛ كما أنهم في شقهم الآخر أساودُ مَوت، في انتسابهم إلى الأسود بن عمران، ولا يخفى مزجُهُ في تعبيره: «أساود الموت» بين عراقة النسب وشجاعة الأسود القاتلة في الأهوال بجحافلهم الشبيهة بالطوفان الذي لا يُرَدّ.

شُمٌّ إذا حَـزَمُـوا، نَـارٌ إذا عَـزَمُـوا ... شُهْبٌ إذا رَجَمُوا، لِلفَضْلِ هَتَّانُ[1]

كَوَاكِبُ العِزِّ، لا تُرْعَى مَسَارِحُهُم ... وَلا تُرَاعُ لَهُمْ بِالضَّيْمِ جِيرَانُ[2]

وَأيْنَ «حَبْسٌ» كِرَامُ الخِيلِ مِنْ قِدَمٍ ... وَفِيهِمُ مِنْ عِبَادِ اللهِ «غَسَّانُ»[3]

سُيُوفُهَا وَعَوَالِيهَا وَأسْهُمُهَا ... وَهُم إذا افْتَخرَ الفُرْسَانُ فُرْسَانُ[4]

وَأيْنَ أُسْدُ شَرَاهَا مِنْ «وَهِيبَةَ» أهْلِ ... الجَدِّ وَالجُودِ إنْ شَدُّوا وَإنْ لانُوا[5]

وَأيْنَ «عَامِرُ» وَالأحْسَابُ مُشْرِقَةٌ ... نَاهِيكَ مِنْ عَامِرٍ وَالأصْلُ «عَيْلانُ»[6]

---

(١) شُمّ: جمع أشم؛ وتعني الرِّجال ذوي الأنفة، وتعني أيضاً طوال الأُنوف، وهو كناية عن الرفعة والعُلو وشرف الأنفُس || هتان: انصباب المطر من السماء، وكنّى به عن أفضالهم الدفاقة. **المعنى**: واضح من السياق.

(٢) مسارحهم: قصد بها المواضع التي تسرح إليها الإبل || تُراع: قصد بها الرَّوْع الفَزَع || الضيم: الظلم. **المعنى**: واضح من سياق البيت.

(٣) حَبْس: قصد بها قبيلة الحبوس؛ وهي قبيلة عدنانية، يتصل نسبها إلى شهاب بن النويرة. والمُفرد: الحَبسي. ويقطنون «ولاية المضيبي» || غسّان: فخذ من قبيلة الحبوس امتاز أفراده بالورع والتقوى، ولذلك مُيِّزوا في الشطر الثاني من البيت. **المعنى**: وأين قبيلة الحبوس، كرام الخيل مِن قِدم الأزمان؟.. لا سيما أنَّ فيهم فخذ غسّان الشهير بورعه وتقواه.

(٤) **المعنى**: وهم سيوفها ورماحها وأسْهُمُها؛ ولذلك حَقَّ لهم الفخر إذا تفاخر الفرسان، لأنهم فرسان بشجاعتهم وآلة الحرب التي تمتلكها القبيلة من رماح وسيوف وسهام.

(٥) أسد شراها: آسادها الشجعان || وهيبة: قبيلة عدنانية، يتصل نسبها إلى وهب الأكبر بن الأضبط بن كلاب بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مُضر بن نزار بن معد بن عدنان. والمفرد: الوهيبي، وهم قبيلة كبيرة تتوزع رمال وهيبة والبلدان المُتاخمة ابتداء من «شناو» بولاية المضيبي حتى البلدات المُتاخمة لبحر العرب، ومن فروعها: «بنو غفيله» و«الجحاحيف». **المعنى**: وأين قبيلة وهيبة؟ فهم أصحاب الحظ والكرم، شدّةً ولِيناً.

(٦) عامر: قصد بها العوامر؛ وهي قبيلة عدنانية، يتصل نسبها إلى عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مُضر بن نزار بن معد بن عدنان. والمفرد: العامري، وهي قبيلة كبيرة تنتشر في عدة مناطق من عُمان في الداخلية والباطنة والشرقية، وتنسب إليهم كثير من البلدات؛ مثل حبل الحديد وبرزمان وشافع وقلعة العوامر || عَيْلان: قصد به نسبهم الأعلى عيلان بن مُضر. **المعنى**: وأين قبيلة العوامر؟.. فأحسابهم مُشرقة بأمجادها، ناهيك من عامر، فأصلهم يتسامق إلى عيلان.

وَأَيْنَ هَمْدَانُ مِنْ صِفِّينَ تَعْرِفُهُم ... إِذْ عَكٌّ عَكٌّ وَإِذْ هَمْدَانُ هَمْدَانُ[1]

وَأَيْنَ قَائِدُهُم لَيْثُ المَعَارِكِ صِمْـ ... ـصَامُ المَعَاضِلِ بَدْرُ الفَضْلِ «سُلطَانُ»[2]

وَأَيْنَ نَارُ الوَغَى «آلُ المُسَيَّبِ» مِنْ ... «قُضَاعَةٍ» وَزَعِيمُ القَوْمِ «زَهْرَانُ»[3]

---

(١) صِفِّين: المعركة التي وقعت بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان؛ وانتهت بالتحكيم الذي لم يُرض الجُند الأوفياء لعلي بن أبي طالب، وهم - أي همدان - إلى جانب قبيلة عَكّ، كانوا من أشجع المُحاربين الذين شايعوا عليّ بن أبي طالب الذي مدح قبيلة همدان بقصيدة قال فيها: «تيمّمتُ هَمْدانَ الذين هُمُ هُمُ || إذا نابَ أمرٌ جنتي وحُسامي» | «وناديت فيهم دعوة فأجابني || فوارسُ من همدان غير لئام»، إلى أن قالَ في نهاية قصيدته بيته المُغالي في مديحهم: «ولو كُنتُ بوّاباً على بابِ جنّةٍ | لقلتُ لهَمدانَ ادخلوا بسلام»، وعرّض الإمام عليّ لنقد جارح من المُناوئين || همدان: يقصد قبيلة الرُّحبيين المُنتسبة إلى الجد الأعلى همدان: وهي قبيلة قحطانية ، يتصل نسبها إلى أرحب بن دعام بن مالك بن معاوية بن صعب بن دومان بن بكيل بن همدان بن مالك بن زيد بن أوسلة بن ربيعة بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن النبي هود. والمفرد الرحبي، ويقيمون في ولايتي سمائل وبدبد ووادي الطائيين. **المعنى**: وأين همدان المعروفون بمواقفهم منذ معركة صِفين؟.. يوم كانت عَكّ عَكّ وهمدان همدان، لكنّ الشاعر، في البيت، يستثير في البيت نخوة الرُّحبيين المُتمين إلى همدان كي يُناصِروا الإمام المَمدوح في قصيدته، أسوة بسائر القبائل العُمانية وزعمائها. والحقيقة أنّ الشاعر يستخدم تقنية المُوالاة القبلية المُتوقعة من الرُّحبيين؛ أحفاد همدان لمُناصَرةِ الإمام سالم بن راشد، كما ناصرت قبيلتهم الأُمّ عليّ بن أبي طالب؛ وكما نرى في هذا البيت، أنّ أبا مُسلم لا يَستنكِفُ في خطابه الاستنهاضي لمُناصَرةِ الإمامة الثالثة استدعاء حوادث تاريخية أعلى من شأنها واستشهد بها؛ لأنها في صالح دعوته الإصلاحيّة - مانيفستو قصيدته، بالأحرى - وإن كانتْ جُذورُها تمتدُّ إلى قبيلة هَمدان التي أُعجِبَ أبو مُسلم بمديح الإمام عليّ بن أبي طالب لها؛ لا سيّما أننا سنكتشف مدى ذلك الإعجاب في مَتنِ كتابه «نِثار الجَوْهر»، حيث أتى بقصائد قصيرة لأبي بَكْر وعُمر بن الخطاب وعُثمان وعليّ بن أبي طالب؛ كما لو أنهُ أراد القولَ: تلك مذاهِبُكُم، ولكن اصطفوا خلْفَ مَبدئها الرَّاشِديّ، دونما تخصيصٍ في [العُمَرَين]؛ ولعَمري تلك حيلة شعريّة خلاقة أراد بها أبو مُسلم رَأبَ صَدعٍ وطنه المُنشقّ كإزاره في زنجبار.

(٢) **المعنى**: يتساءل، هنا، ضمن حَشده الرُّوحي والمَعنوي لزعامات القبائل عن زعيم الرُّحبيين سلطان بن سلام الرحبي؛ أسد المعارك وسيفِ معاضلها البتار.

(٣) نار الوغى: نار الحرب || آل المُسَيَّب: قصد بهم قبيلة الشيابيّين: وهي قبيلة عدنانية، يتصل نسبها إلى شهاب بن النويرة بن عمرو بن الحارث بن زهير بن أبي نويرة بن ربيعة بن مرة بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن غنيم بن تغلب بن وائل بن قاسط بن هنب بن أقصى دعمي بن جذيلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان. والمفرد: الشّيابي. يقطنون ولايتي سمائل وبدبد، وقد نسب=

وَأيْـــنَ «وَائِلٌ» وَالآثَـــارُ شَـــاهِـــدَةٌ ... وَمَـجْـدُ وَائِلَ فِي التَّارِيخِ شُـهْـبَـانُ[1]

وَأيْـنَ «مِـعْـوَلَةٌ»؛ قَـبْـلَ الـرَّسُـولِ لَهُـم ... عَـلَى «مَـزُونَ» إتَـاوَاتٌ وَتِـيـجَـانُ[2]

وَأيْـنَ عَـنْـهَـا «ذِئـابُ الـخَـطْـمِ» إنَّ لَهُـم ... مَـنَـاقِـبٌ لا يُـدَانِـيـهِـنَّ إنْـسَـانُ[3]

وَأيْـنَ حُـلْـقُـومُ ذَاكَ الـمُـلْكِ، مِـعْـصَـمُـهُ ... «سَـمَـائِلٌ»، فَـهِـيَ لِلسُّـلْـطَـانِ سُـلْـطَـانُ[4]

=الشاعر زعامتهم إلى شيخهم محسن بن زهران السبابي. **المعنى**: وأين السّبابيون، نار الحروب، المنتمون نسباً إلى قضاعة؟.. أين هُم وأين زعيمهم المُحسِنُ الزاهر؛ مُحسن بن زهران؟..

(١) وائل: قصد به جد القبائل المُنتسبة إلى بكر وتغلب، ومنهم قبيلتا الحضرمي وبنو شيبان، والذهول وسواها من القبائل المُنتمية للجذر الوائلي. **المعنى**: وأين بنو وائل الذي انتسبت إليه إضمامة من القبائل؟.. أين أحفاده؟.. فالآثار شاهدة على مجد وائل؛ فهم في التاريخ شهبان.

(٢) مِعْوَلَة: يقصد قبيلة المعولي العريقة، وهي قبيلة أزدية قحطانية، يتصل نسبها إلى مِعْوَلَة بن شمس بن عمرو بن غنم بن غالب بن عثمان بن نصر بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبدالله بن مالك بن نصر بن الأزد. المفرد: المعولي. وهم يقطنون وادي المعاول قرب نخل وبركا وغيرها من الأماكن، ومنهم الإمام الجلندى بن مسعود، وينتسبون مباشرة إلى معولة بن شمس || مَزون: أحد أسماء عُمان القديمة || إتاوات: جمع إتاوة؛ وهي الخراج؛ وما كان يستحوذ عليه ملوك الجاهلية من مغنم على التجارة، وتعني بلغة العصر ضريبة الدَّولة || تيجان: معروف، والجمعُ أتواجٌ وتِيجانٌ، والفعل التَّتويجُ. **المعنى**: وأين معولة المُنتمون إلى عبد شمس؛ فلهم منذ عهود الجاهلية ضرائبهم ومُكُوسُهم التي فرضتها على عُمان تيجانُ مُلكِهم.

(٣) ذئاب الخطم: هم قبيلة الهَدادِبة؛ وهي قبيلة قحطانية ، يتصل نسبها إلى طيء بن أدد بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن النبي هود. والمفرد: الهدّابي، وبلدهم فنجا التي تشتهر ببرج الخطم المُشرف على ثغر الوادي الموصل مناطق الداخلية والظاهرة والشرقية بمنطقة الباطنة وولايات الرستاق ونخل ووادي المعاول. **المعنى**: وأين عنها الهدادبة ذئاب برج الخطم، فلهم مناقب لا تُدانى.

(٤) الحلقوم: الحلق؛ وهو مَخرَج النَّفَس والصَّوت، وإذا قُطِعَ مات صاحبه || مِعصمه: ساعِده || سمائل: من أقدم مُدن المنطقة الداخلية، وهي ثغر مِفصَلي بين عاصمة الإمامة «نزوى» وعاصمة السلطنة «مسقط»، قبل وِحدَة البلاد، كما أنها بلد الصَّحابي مازن بن غضوبة بن سبيعة بن شماسة بن حيان بن مُرّ بن حيان الطائي النبهاني السعدي ـ من بني سعد بن نبهان بن الغوث بن طي، وهو أوّل من أسلم من أهل عُمان؛ وسبب إسلامه أنه كان يسدن صنماً بسمائل، فذبح ذات يوم ذبيحة فسمع صوتاً من جوف ذلك الصَّنم، وهو أبيات من الشعر تُنبئ عن ظهور النبي، وتكرر ذلك، فقال مازن: إن هذا لعجب، وإنه لخير يُراد بي، قال: فبينما نحن على ذلك قدم رجل من أهل الحجاز يُريد دماً، فقلنا له: ما وراءك؟ فقال: ظهر رجلٌ يُقال له أحمد [أي النبي محمد]، يقول لمن أتاه أجيبوا داعي الله؛=

وَأَيْنَ عَنْ أَجْرَبَيْهَا مَنْعُ بَيضَتِهَا وَالأَجْرَبَانِ بَنُو عَبْسٍ وَذُبْيَانُ(١)

=فقلتُ هذا والله نبأ ما سمعت من الصنم، فوثبت عليه وكسرته جذاذاً، وركبت راحلتي حتى قدمت على رسول الله بالمدينة، فسألته عما بُعث له، فشرح لي الإسلام، فأسلمتُ، وقال واصفاً ترحاله إلى النبي قائلًا: «إليكَ رسولَ الله خبَّت مَطِيّتي || تجُوبُ الفيافي مِن عُمانَ إلى العَرْجِ || لتشفع لي يا خير من وطئ الحصى | فيغفر لي ربِّي فأرجع بالفَلْجِ» || إلى مَعشرٍ جانبتُ في الله دينَهُم || فلا دينهُم ديني || ولا شَرْجُهم شَرْجي». كما أن سمائل بلد الإمام محمد بن عبدالله الخليلي، والشيخ خلفان بن جمَيِّل السيابي، وقد تخرَّجَ من مدرستها الفقهية والأدبية فقهاء وشعراء أفذاذ. **المعنى**: في هذا البيت الشائع الذائع على كُلِّ لِسان نجدُ أبا مُسلم (يُخفي مظلة سِحر بيانه في شمس سمائل)؛ التي اعتبرها حلقوم المُلك المُؤَثَّل [بخليليّيه، ورواحيّيه، وجابريّيه، وسِواهُم من القبائل]، اختيالًا في ديمومة بيته هذا الذي أراد ـ آنذاك ـ نِسبتهُ لسمائل الفيحاء، وليس لبني جابر وبني رواحة وبني خليل بطبيعة الحال؛ فمُردَة «حلقوم» توحي مُباشرة إلى العُنق، وسمائلُ كانت، آنذاك، العُنق الإثنو ـ جُغرافي المُهيمِن على مَقطع الطُّرُق بين مسقط وبيضة الإسلام؛ نزوى عاصمة الثورة الثالثة للإمام سالم بن راشد الخروصي. وكما نُلاحِظ ـ شِعرياً، في أضيَق الحُدود ـ فقد وَهَبَ سَمائل بيتاً من الشعر سَيُتداوَلُ جيلًا بعد جيل، دون أن يعرف كثيرون أسباب الشاعر لاختياره مديح سمائل؛ وليس قُطّانها بني رواحة الذين استعر أُوار الحرب بينهم وبين بني جابر. لذا أوقف الفتنة المُستفحِلة، آنذاك، في بيتٍ مِن الشعر خلَّدَ سمائل، ثغر أساسٍ دون المَساسِ ـ بل التأكيد ـ على مَكانتها الرَّفيعة مَعبَراً بين سلطنةِ مسقط وإمامةِ عُمان الداخل. ليس ذلك فحسب؛ بل أنهُ أكرمها بقوله الحاسم والمحسوم: سمائلٌ فهي للسُّلطان سُلطانُ؛ وقصد بها أنها ثغرٌ مَنيعٌ، مَنْ نالَها واحتلَّ حِصنها فهو سُلطانها، إماماً ـ كان، إن طاب لي القولُ؛ أم سُلطاناً مِنْ سلاطين مَشكَد ـ لأنَّها مَدينةٌ دَيْدَنُها التاريخي والستراتيجي أن تكون سُلطانَ السُّلطانِ ونورَ إمامَتِه المُستبصِرِ بها طرائق العدالة ودُروب بَياضِ رايَتِها الناصعة.

(١) أجربيها: الأجْرَبَان؛ بَطْنان من العرب، وقصد قبيلتي بني رواحة وبني جابر المُنتسِبَتين إلى عبس وذبيان، على التوالي [أورد بعض الشرّاح أجربيها؛ مُثنى أجرب: أي؛ غمد السيف، وذلك خطأ، ففي الحديث: والسَّيفُ في جُرْبَانه، أي في غِمْده، وجُرْبَانُ السَّيْف، بالضم والتشديد، قِرابُه، وقيل حَدُّه] || مَنع بَيضتها: قُوَّة بَيضتها وحُماتها؛ والبيضة من السِّلاح، سُمِّيت بذلك لأنها على شكل بَيضة النعام؛ أي الخوذة، والتعبير كِناية عن حُماةِ سمائل من القبيلتين المُتناحرتين، في سالف الزمن: بني رواحة وبني جابر || بنو رواحة: قبيلة عدنانية، يتصل نسبها إلى رواحة بن قطيعة بن لهيعة بن عمرو بن عبس بن بغيض بن ريث بن عطفان بن قيس بن غيلان بن مُضر بن نزار بن معد بن عدنان. والمُفرد: الرَّواحي || بنو جابر: قبيلة عدنانية، يتصل نسبها إلى جابر بن يربوع بن بغيض بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن قيس بن عيلان بن مُضر بن نزار بن معد بن عدنان. والمُفرد: الجابري. وكِلا القبيلتين تقطنان سمائل إلى جانب قبائل أخرى. **المعنى**: وأين تُروس ذاك الحلقوم [سمائل] من بني رواحة وبني جابر، المكنى عنهما بنسبهما الأعلى عبس وذبيان... أين هُم من الوقوف إلى جانب الإمامة؟

يا جَمْرَةَ العُرْبِ يا عَبْسَ الطِّعَانِ ألا ... لا يُطْفِئَنْ جَمرَكُم بَغيٌ وعُدوانُ[1]

لا تُشعِلوا الحَربَ إلّا في مَوَاقِدِها ... حيثُ الجهادُ على البَاغِين مُؤتَانُ[2]

وَيَا بَنِي عَمِّنَا «ذُبْيَانَ» مَجْدَكُمُ ... إنَّا وَإيَّاكُمُ فِي المَجْدِ صِنْوَانُ[3]

بِآلِ «حِصْنٍ» وَ«بِالعَمْرَيْنِ» قَدْ فَرَعَتْ ... عِزّاً وَنُبْلًا؛ جَمِيعُ النَّاسِ غَطْفَانُ[4]

---

(١) جمرة العُرْب: لقب بني عَبس منذ أزمنة الجاهلية؛ كناية عن بسالتهم وشدّة بأسهم؛ والقصد، هنا، بنو رواحة، والجَمْرَةُ، في الأصل، كل قوم يصبرون لقتال من قاتلهم لا يحالفون أحداً ولا ينضمون إلى أحد، تكون القبيلة نفسها جَمْرَة تصبر لقراع القبائل كما صبرت عَبْسٌ لقبائل قيس. وفي الحديث عن عمر: أنه سأل الحُطَيْئَةَ عن عَبْسٍ ومقاومتها قبائل قيس فقال: يا أمير المؤمنين كنا ألف فارس كأننا ذَهَبَةٌ حمراء لا تُستَجْمِرُ ولا تُحالفُ؛ أي لا نسأل غيرنا أن يجتمعوا إلينا لاستغنائنا عنهم. والجَمْرَةُ: اجتماع القبيلة الواحدة على من ناوأها من سائر القبائل؛ ومن هذا قيل لمواضع الجِمَارِ التي ترمى بِمِنًى جَمَرَاتٌ لأن كلّ مَجْمَع حَصًى منها جَمْرَةٌ وهي ثلاث جَمَرَاتٍ. وقال عَمْرُو بن بَحْرٍ: يقال لعَبْسٍ وضَبَّةَ ونُمير الجَمَرات؛ وأنشد لأبي حَيَّةَ النُّمَيري: «لَنَا جَمَرَاتٌ ليس في الأرض مِثْلُها | كِرامٌ، وقد جُرِّبْنَ كُلَّ التَّجَارِبِ» || «نُمَيْرٌ وعبسٌ يُتَّقَى نَفَيَانُها | وضَبَّةُ قَوْمٌ بَأْسُهُم غَيْرُ كاذِبِ» || عَبْس الطِّعَان: نُسِبَت عَبس إلى الطِّعان؛ أي الطَّعن في الحرب لتميُّزها في ذلك دون سِواها من قبائل العرب، كما لو أنها لم تكُن تجيد سواه، وهي صيغة مَديح خصَّ بها الشاعر أسلاف قبيلته بني رواحة. **المعنى:** ينتخي بقبيلته بني رواحة المُحتربة مع قبيلة بني جابر، مُطالباً إياهم ألّا يطفئ تلك الجمرة [جمرة العُرب] بغيٌ وعُدوانٌ لا فائدة منه، في وقت تحتاج فيه الأمة لتكاتف جميع القبائل.

(٢) مُؤتان: المُواتُ والمُوتانُ والمَوْتانُ: تعني المَوْتُ، وفي الحديث: يكونُ في الناس مُوتانٌ كقُعاصِ الغنم. والمُوتانُ، بوزن البُطْلانِ: أي الموتُ الكثير الوقوع. **المعنى:** احترابكم مع إخوانكم بني جابر، لم يعد له معنى الآن؛ لذلك أشعلوا الحرب في مواقدها ضد أعدائكم، بقيادة هذا الإمام، حيث الجهاد على الفئة الباغية ـ كما أرى ـ ميِّت ومُنطفئ الشعلة.

(٣) ذُبيان: يُخاطب، هنا، بني جابر المُنتمين لذبيان، وهم أبناء عُمومَة مع بني رواحة؛ لأنَّ النَّسبين العُلوَيَّين من بني عبس وبني ذبيان يلتقيان في غطفان بن قيس بن عيلان || صِنوان: نظيران. **المعنى:** ويا أبناء عمومتنا بني جابر: أظهِروا معادن مجدكم؛ فنحن ـ بني رواحة ـ وأنتم في مَراقي المَجد صِنوان لا يُناظِرُهما أحد.

(٤) آل حصن: قصد بهم زعماء ذبيان؛ وهم حُذيفة وإخوته || العَمْرَيْن: زعيما عبس اللذان اختلفا || فرعت: عَلَت شَرَفاً، وتعني أيضاً: تفرَّعت || غطفان: هو غَطَفانُ بن سَعْدِ بن قيس عَيْلان. **المعنى:** لقد تفرَّعت قبيلتانا ابتداءً من آل حِصن والعَمْرَين؛ لكننا جميعاً ننتمي لجدنا الأكبر غطفان. **ملحوظة:** قد يبدو استخدامه لتعبير: «جميع الناس غطفان» هِنة اضطُرَّ إليها الشاعر، كما بدت في لُحْمَةِ السِّباق؛ لكنهُ قصد ذلك عامِداً مُتعمِّداً؛ ليقولَ للقبيلتين المُتناحرتين، آنذاك، أنَّ جميع الناس فينا (كما في قبائل أخرى) ينتمون لغطفان، وليس نحن فحسب ـ فلماذا كُلُّ هذا التناحر غير المُجدي في هذه المرحلة الحاسمة؟

إذا مَـدَحْـتُ بَـنِـي ذُبْـيَـانَ إخْـوَتَـنـا ... أظْهَرْتُ شَمْساً لَهَا فِي العَيْنِ بُرْهَانُ[1]

فَـيَـا لُيُـوثَ بَـغِـيـضٍ دَرَّ دَرُّكُـمُ ... هَـلّا سِـبَـاقٌ إلـى خَـيْـرٍ وَإرْهَـانُ[2]

فُرْسَانَ «دَاحِسَ» وَ«الغَبْرَاءَ» حَسْبُكُمُ ... مِـنَ الـرِّهَـانِ جِـهَـادٌ فَـهُـوَ مَـيْـدَانُ[3]

ذَرُوا الـضَّـغَـائِنَ تَـذْرُوهَـا الـرِّيـاحُ فَـمَـا ... تَبْقَى عَلَى خَالِصِ الإيمَانِ أضْغَانُ[4]

إنَّ الـحُـظُـوظَ الـتِي تُـرْجَـى بِـأُلْفَـتِـكُـم ... فِي الدِّينِ، فِي مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ فُرْقَانُ[5]

---

(١) **المعنى**: وإذا مدحتُ بني ذبيان إخوتنا؛ فقد أظهَرتُ بمدحي شمساً ساطعة بُرهانها لا يخفى في العيون، وقد أراد بذلك تجنُّبَ اللوم من قومِهِ بني رواحة، فيما يؤكِّدُ لهم أنهم أبناء عمومة (كما أشار في بيت سابق)، بل أخوة كما أكَّدَ في هذا البيت الدَّاعي لصفاء القلوب والتغاضي عن الأحقاد.

(٢) يا ليوث: يا أُسود || بَغيض: قصد به جدُّ قبيلتي بني رواحة وبني جابر بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مُضر، واختار بغيض لأنه أقرب جدود القبيلتين نَسَباً قبل افتراقِ نسبهما في عبس وذبيان [وأخطأ بعض الشرّاح في تفسير بغيض بـ«الكريه»، فالشاعر قصد جدَّ القبيلتين بغيضاً] || دَرَّ دَرُّكُم: أصلُ الدَّر إدرار الناقة للحليب؛ والقصد: كَثُرَ وزادَ خيرُكُم في بعضكُم || إرهان: وإرْهانُ الشيء: إثباتُه وإدامتُه، وقصد به التسابق إلى الخير وإدامته والثبوت عليه. [أخطأ بعض الشرّاح في تأويلها بالفراهة والرُّهان، لأنها لا تصحُّ لغةً، لا سيما أن الشاعر تطرّق لذات المعنى: أي الرِّهان، في البيت التالي]. **المعنى**: ويا أيها الأسود المُنتمون جميعكم إلى جدكم بغيض؛ أكثروا الخير بينكم، وتسابقوا إلى الخير شرط الثبات عليه وإدامته. **ملحوظة**: نلاحظ اختياره المُوفق لاسم جد القبيلتين بَغيض بدلالاته الدالة على التباغض، وكان بإمكانه العودة إلى جده غطفان لكنَّهُ أراد مُفارقة دعوته للصلح بين القبيلتين في بيت يُذكِّرُهُما فيه بجدِّهما بغيض!

(٣) داحس والغبراء: هي الحرب المعروفة التي دامت أربعين عاماً بين عبس وذبيان بسبب رهان على فرسين، ينهزم فريق ويتنصر آخر، حتى أصلح بينهما هرم بن سنان والحارث بن عوف بعد أن تحمَّلا دِيَاتِ القتلى. وهي الحرب التي قال عنها زهير بن أبي سلمى في مُعلقته: «تَدَارَكْتُمَا عَبْسًا وَذُبْيَانَ بَعْدَمَا|| تَفَانَوْا وَدَقُّوا بَيْنَهُمْ عِطْرَ مَنْشَمِ». **المعنى**: فيا فرسان داحس والغبراء [بني جابر وبني رواحة] كفاكُم شقاقاً وفتنة، وتوقفوا عن الرِّهان القديم، وحسبُكُم منه اليوم الجهاد؛ لأنَّهُ ميدانٌ يتسعُ لنصرة دينكم وإمامكم الذي وحَّدَ البلاد والعباد.

(٤) الأضغان والضغائن: العداوات والأحقاد. **المعنى**: لقد حان الوقت لتتركوا أحقادكم وتتناسوها مَذرُوَّةً في الرِّياح، كي يُصفِّي أرواحَكُم الإيمانُ إنْ أخلصتُم له، ومن كان الإيمان خالِصته صَفِيت نفسُهُ من أدران الحقد والعداوة.

(٥) ألفتكم: تقاربكم وتراحمكم || فُرْقان: الفُرْقانُ القرآن. وكل ما فُرِقَ به بينَ الحق والباطل، فهو فُرْقان، ولهذا قال الله تعالى: ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان. **المعنى**: إن الحظوظ المُؤمَّلة لرفعة الدِّين والبلاد بتآلفكم؛ هيَ في حُكْم الدِّين، بل في مُحكَم التنزيلِ فرْقٌ واضح وبيِّنٌ بين الحقِّ=

وَمَا شِفَاءُ حَزَازَاتِ الصُّدُورِ سِوَى ... أنْ يَشتَبِدَّ بِطِبِّ القَلْبِ إيمَانُ[1]

وَأيْنَ «إزْكِي» وَطِيسُ الحَرْبِ؟ ما فَعَلَتْ ... فَإنَّ عُمْدَةَ هَذا الأمْرِ «جَرْنَانُ»[2]

=والباطِل. **ملحوظة**: رغم أن الشاعر قصد بمُفردة الفرقان التمييز بين الحق والباطل في دعوته لتعاضد وألفة القبيلتين كما هو واضح من السّياق؛ إلّا أنّ أبا مُسلم لا يتركُ ظِلالَ المَعنى وطبقاتِهِ غير المَنظورةِ على عَواهِنِها، فكأنما أراد أن يقول لكلا القبيلتين: إنّ تآلفكُم قرآن في حدّ ذاته، وهي مُبالغة وإدخال للمعنى في المعنى؛ فالقرآنُ كتابُ هِدايَةٍ للناس. صحيح أنهُ أبرز المعنى الأول: أي؛ التفريق بين الحق والباطل ليضيف بعد مُفردة الدِّين جملة: «في مُحكم التنزيلِ» تفريقاً مِنهُ لمدلول الكلمة، لكنهُ في حَدسِنا أظهَرَ معنى وأبطَنَ الآخرَ توريةً في ترادُفِ كُلٍّ مِنْ «مُحكَمِ التنزيل» و«الفرقان»، وهو ترادُفٌ يُظهِرُ عكسَ ما ذهبنا إليهِ في تأويلنا، لكنَّهُ يُبطِنُ ما ذهبنا إليهِ في ثُقبٍ وتقيّة.

(١) حزازات الصُّدور: الحَزَازَة وجع في القلب من غيظ ونحوه، جاء في الحديث: «الإثمُ حَزَّازُ القلوب». **المعنى**: ولا شفاء لحزازات القلوب وتأكُّلها من شدَّة الغيظ إلّا باستبداد الإيمانِ طَبيباً ومُعالجاً نفسيّاً يشفيها لتبرأ من عِللها. **استطراد**: نلاحظ، هنا، انتباهة الشاعِرِ المُبكِّرة في تعبيره اللافتِ تركيباً: «طِبّ القلب» تعبيراً عمّا صِرنا نعرفه اليوم بالعلاج النفسي بشتى فروعه، ومن ضِمنها «تقنيات تدبُّر الغضب» Anger Management Techniques والقرابة بين التعبيرين مُدهشة ولافتة، بدورها، في اصطلاحه المُبتكر: «طبّ القلب» وشفائه من الغيظ. وبطبيعة الحال لا تخفى ظِلال الإحالة المرجعية إلى [التطبُّب بالقرآن] إيماناً به وبتأثيره الإيمانيّ والأيقونيّ الخارق، لكنَّ المُفارق، أيضاً، هو استخدامه لمُفردة «الاستبداد» في قوله: «أن يَستبدَّ بطبِّ القلبِ إيمان»؛ للدلالة على أنَّ تخليص القلوب من حزازاتها وضغائنها ليس سهلًا، بل يتطلَّبُ استبداد الإيمان الخالصِ، ليس بالقلب وحدَه فحسب، بل بطبّه وطبابته.

(٢) إزكي: قصد بلدة إزكي الواقعة بين نزوى وسمائل، وقد أشار إلى اسمها القديم جرنان، السابق شرحه || وطيس الحرب: الوَطِيس المَفركة لأن الخيل تَطِسُها بحوافرها || عُمدة الأمر: عميده؛ يقال وفلان عُمْدَةُ قومه إذا كانوا يعتمدونه فيما يَحزُبُهم، لكنه قصد إزكي بظلال اسمها الجاهليّ جرنان، لشدة الحروب التي وقعت فيها بين كثير من القبائل العُمانيّة حقّاً وباطلًا مُظلِّلًا بالحق، كالدراكمة وبني توبة وبني رواحة والعزور والعوامر؛ لأنها كانت بحُكم موقعها المتوسط من الجوف على سفح الجبل الأخضر ساحة ناسَبَت جُغرافيّاً اكفهرار الضغائن والمُشاحنات القبلية. **المعنى**: وأين إزكي؟.. وساحتها وطيس حروب مشهودة. ما شأنها؟ وما الذي فعلته بشأن التحلُّق حول إمام المُسلمين؛ فهي جرنان عُمدة الأمر منذ القدَم. **ملحوظة**: نلاحظ في السياق التركيبي للقصيدة أنَّ الشاعر يتعمد في ندائه الإستنهاضي المزج بين القبائل بأسمائها الحالية والموغلة في القدم، وحين يستدعي الأمر يذكر زعيم قبيلة باسمه حَثّاً منه لنصرة الإمام، إلى جانب ابتدائه في بعض أبياته الإستنهاضية بأسماء مُدُنٍ بعينها مثل سمائل وإزكي لينطلق من مُسمّى البَلدة الراسخ في الذاكرة نحو مقصده بتعداد مناقب قبائلها وزعمائهم.

وَأَيْنَ «حِمْيَرُ» أَهْلُ العِزِّ ما اعْتَتَبُوا ... عَنْ وَعْرِ عِزَّتِهِم يَوماً وَلا هَانُوا[1]

صِيدٌ صَنَادِيدُ أَقْيَالٌ عَبَاهِلَةٌ ... أُسْدٌ كَوَاسِرُ فِي الهَيْجَاءِ حُرْدَانُ[2]

جَاءَتْ «رِيَامُ» بِمَا أَعْلَتْهُ حِمْيَرُ مِنْ ... مَجْدٍ، وَقَامَ عَلَى البُنْيَانِ بُنْيَانُ[3]

---

(١) حِمْيَر: ملفوظ جامع للنباهة وبني ريام المُتفرّعين من القبيلة التي ملكت اليمن في الجاهلية، وجميعهم يقطنون الجبل الأخضر وبركة الموز وإزكي ونزوى ومستل وتنوف || ما اعتتبوا: ما رجعوا، وأصلُ العَتَبِ: الشدّة؛ وحُمِلَ على عَتَبٍ من الشَّرّ، وفي التنزيل العزيز: وإن يُستَعْتَبوا فما هم من المُعْتَبِين؛ معناه: إن أقالَهُم اللّهُ تعالى، وردَّهم إلى الدنيا لم يُعْتِبُوا؛ أي: لم يَعْمَلُوا بطاعةِ اللّهِ لِما سَبَقَ لهم في عِلْمِ اللّهِ من الشَّقاءِ || وَعْر عِزّتهم: الوَعر؛ ضدّ السَّهلِ المُنبسط من الأرض، والوُعورة معروفة، لكنه جمع وُعُورة العِزَّةِ إلى وعُورَة السُكْنى || هانوا: من المهانة؛ وهي الخزي والتحقير.
المعنى: وأين أهل العِزّ من القبائل المُنتسبة إلى حِمْيَر الأوّل؟.. أينهم من بني ريام حتى النباهة؛ فالحاجة ماسّة إليهم؛ هم الذين ما تنازلوا يوماً عن وُعورة عِزّهم ولا هانهم مُهين.

(٢) صِيد: جمع أصْيَد؛ وهو المَلِك، والذي يرفع رأسه كِبراً || صَناديد: هم ساداتُ القوم، وهم الأجواد والحُلَماء وحُماة العسكر || أقيال: خُطراً وتخصيصاً؛ المَلِكُ من مُلوكِ حِمْيَرَ || عباهِلَة: العَبَاهِلة هم الذين أُقِرُّوا على مُلْكِهم لا يُزَالون عنه || أُسْدٌ كواسر: أُسْدٌ جمع أسَد، والكواسر جمع كاسر؛ وهو العُقاب، وكَسَرَ الطائرُ يَكْسِرُ كَسْراً وكُسُوراً: ضمَّ جناحيه حتى يَنْقَضَّ يريد الوقوعَ، فإذا ذكرت الجناحين قلت: كَسَرَ جناحيه كَسْراً، وهو إذا ضَمَّ منهما شيئاً فهو يريد الانقضاض، وبنو كِسْرٍ: بطنٌ من تَغْلِب.
وكِسْرى وكَسْرى، جميعاً بفتح الكاف وكسرها: اسم مَلِكِ الفُرْس ـ مُعرَّب ـ هو بالفارسية خُسْرَوْ أي واسع الملك فَعَرَّبَتْه العربُ فقالت: كِسْرى؛ وورد ذلك في الحديث كثيراً، والجمع أكاسِرَةٌ وكَساسِرَة، ويبدو أنَّ الشاعر مزج صفة العُقبان الكواسر على الأسود لينتهي إلى ظِلالِ المُلكِ في الفارسيَّة || الهيجاء: الحَرب || حُرْدان: مهتاجون غاضبون. أما **المعنى:** فلن يستعصي على القارئ الظفر به بعد قراءة مُفردات البيت ومعانيها؛ شرط إعادة تركيبها تتابُعاً لتكوين صُورة ذهنيّة قادرة على اشتقاق المعنى المطلوب إثباته.

(٣) ريام: قبيلة قحطانية، يتصل نسبها إلى ريام بن قمر بن الأمراء بن الحارث بن عبد المدان بن حمير= =بن رعين بن زيد بن الغوث بن سعد بن عوف بن عدي بن مالك بن زيد بن شداد بن الهاد بن حمير بن الأصغر بن سبأ بن كعب بن حمير بن الأكبر بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن النبي هود.
والمُفرد: الرّيامي || حِمْيَر: قصد بهم ملوك النباهنة المتقدمين؛ وهم محمد وأحمد ابنا عمر بن نبهان، وأبو محمد نبهان بن ذهل بن عمر، وأبو المعالي كهلان بن نبهان بن محمد بن عمر بن نبهان، ومن جاء بعدهم من الملوك في الدولة الثانية، التي سيرد ذكرها في الأبيات اللاحقة. **المعنى:** وها قد جاءت قبيلة ريام بسابق المَجد الشامِخ الذي رفعته حِمْيَر، ليقوم على شامخ البُنيان بنيان يَعضدُهُ ويَعتضِدُ به.

وَأَيْنَ حِمْيَرُهَا الثَّانِي وَأُسْرَتُهُ ... ذَوُو المَعَالِي مُلُوكُ النَّاسِ «نَبْهَانُ»[1]

أَبْقَى لَهُ السُّؤْدَدَ الأَعْلَى كَوَاهِلُهُ ... «مُظَفَّرٌ» وَ«سُلَيْمَانٌ» وَ«كَهْلانُ»[2]

«هُودٌ»، «عَزَارٌ»، «فَلاحٌ»، «مُحْسِنٌ» مَلَكُوا ... فَنَبَّهُوا المُلْكَ حِيناً وَهْوَ نَعْسَانُ[3]

وَكَانَ مِنْ فَرْعِهِم مُلْكُ اليَعَارِبَةِ الـ ... ـصِّيدِ الكِرامِ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الشَّانُ[4]

---

(١) حِمْيَرها الثاني: قصد به [في اعتقادنا] الشيخ حِمْيَر بن ناصر النبهاني، والد الشيخ سليمان بن حِمْيَر، ناهيك عن إضمامةِ مُلوكهم المُتأخرين: سلطان بن محسن بن سليمان بن نبهان؛ وقد ملك نزوى في أيام الإمام بركات سنة ٩٤٦ هـ، وتوفي سنة ٩٧٣ هـ، تاركاً ثلاثة أولاد هُم: طهماس بن سلطان، سلطان بن سلطان والمُظفر بن سلطان. المعنى: وأين حِمْيَرُهَا الثاني [الشيخ حمير بن ناصر النبهاني]، وأسرته؟ فملوك الناس هم النباهنة. تلميح: في البيت حث للشيخ حمير كي يُبايع الإمام وينصره، وألّا ينقلب عليه مُستخدماً تقنية تذكيره بأن النباهنة في حقيقة الأمر هم ملوك الناس؛ وعليهم، ديمومة لتلك الصفة، مُناصرة الإمام المُبايع، وهذا ما يؤكده الشيبة أبو بشير في «نهضة الأعيان»، حين أخذ الشيخ نور الدين المواثيق والعهود بعدم نكث البيعة من الشيخ حمير بن ناصر، خوفاً من تنصُّله من الأمر برُمَّته.

(٢) السؤدد: السيادة || كواهله: جمع كاهل وهو من يُعتمد عليه في الملمات || مُظفَّر وسُليمان وكهلان: المُظفر بن سلطان، والأخير هو المتقدم على أخوته ليقوم بالملك فلاح بن محسن بن سليمان بن نبهان، وقد كان ملكاً على مقنيات، وحين علم بموت أخيه مظفر جاء إلى بهلا ودام في المُلك سبع سنين وعدل في ملكه حتى مات سنة ٩٩٦ هـ، واشتهر بالسماحة والسياسة. وسليمان بن المظفر بن سلطان، وقد ملك وهو في الثانية عشرة من عمره، أما كهلان، فقصد به كهلان بن حمير بن حافظ، وهو من أبناء عم فلاح بن محسن والمظفر بن سلطان. المعنى: فمن أبقى له السيادة من سبقوه في المُلك: مظفر وسليمان وكهلان!

(٣) هود، عرار، محسن: من ملوك النباهنة المتأخرين. المعنى: بعد ذكره لأهم ملوك وشعراء النباهنة يختتم هذا البيت بأيقونة لافتة: فنبَّهوا المُلكَ حيناً ـ وليس دائماً ـ وهو نعسان، لشدَّةِ أمنه واطمئنانه، ولكثرة ما طالت عُهوده وحقبه تتالياً في مُلوكهم واحداً بعد الآخر، وبطبيعة الحال فإن الشاعر ذكر أئمَّة النبَّاهنة الصالحين، فقد غلب على مُلكهم الجبر والطاغوت.

(٤) اليعاربة: قبيلة عُمانية أساسية، تفرَّعوا من النَّباهنة وأسَّسوا دولة اليعاربة على أنقاض دولة النباهنة. قاموا بتوحيد عُمان وطردوا المُحتلَّ البرتغالي، وأهم أئمَّتها ناصر بن مرشد اليعربي (١٦٢٤م ـ ١٦٤٩م) الذي وحَّد البلاد قاطبة وطرد المُحتل البرتغالي. المعنى: يبتدئ الشاعر، في هذا البيت، بالانسلاخ من مديحه لدولة النباهنة ليلقي الضوء التاريخي على دولة اليعاربة، قائلًا: وكان من فرع النباهنة مُلك اليعاربة، وقصد به دولتهم التي صارعت قوى الإمبراطورية البرتغالية وهاجمتها في مَعاقلها وانتصرت عليها في عُمان ولاحقاً في الساحل الشرقي لافريقيا، والساحل الغربي للهند.

سَلْ سَيْفَ «يَعْرُبَ» عَنْ أَخْبَارِ سِيرَتِهِم فَمَنْطِقُ السَّيفِ إعْرَابٌ وَأَلْحَانُ[1]

وَيَا «بَنِي غَافِرٍ» عَلْيَا قُرَيْشَ لَكُم أَصْلٌ وَأَنْتُم لِذاكَ الأَصْلِ أَغْصَانُ[2]

---

(١) إعراب: الإعراب والتعريب معناهما واحد، وهو الإبانة؛ يُقال: أعرب عنه لسانه وعرب أي أبان وأفصح || ألحان: اللَّحن: من الأصوات المصوغة الموضوعة، وجمعه أَلْحانٌ ولُحون. ولَحَّنَ في قراءته إذا غرَّد وطرَّبَ فيها بأَلْحان، وفي الحديث: اقرؤُوا القرآن بلُحون العرب. وهو أَلْحَنُ الناس إذا كان أَحسنهم قراءة أو غناء. **إيضاح: قصد في هذا البيت الإشارة إلى الأمجاد والفتوحات التاريخية** التي قام بها سلطان بن سيف اليعربي (١٦٤٩م ـ ١٦٨٨م) الذي انتخب يوم وفاة الإمام ناصر بن مرشد، وهو أحد قواده العسكريين وشارك في المرحلة الأولى من بناء الدولة اليعربية. وقد أشارت إلى فترة إمامته المؤرخة الفرنسية لو كُور غراند ميزون Le Cour Grandmaison في مُؤلفها «تقديمٌ لسلطنة عُمان» Présentation du Sultanat d'Oman قائلة في وصف عهد سلطان بن سيف اليعربي: *«إنَّ سلطان بن سيف الأول، الذي خلف ابن عمّه ناصراً هو الذي يعود إليه مجد إعادة الفتح، وقد بذل الاستراتيجي الفذ هذا نشاطاً كثيفاً على امتداد البلاد التي كانت تعيش حالة سَأم مؤقت، كما زوَّد البلاد ببحريّة قوية كانت كفيلة بتأمين انتصاره على البرتغاليين»*. والحقيقة أن سلطان بن سيف؛ وفي أقل من سنة من بداية عهده، حقَّق الانتصار وحرَّرَ عُمان وأنهى بناء الدولة العُمانية. وبفضل هذه المرحلة، استعادت عُمان موقعها كأقوى دولة بحرية في المحيط الهندي، باسطة سلطتها ونفوذها من الخليج إلى شرق إفريقيا. **المعنى**: واسأل سيف سلطان اليعربي عن أخبار تلك السِّيرَة، قطعاً لشكِّكَ بيقينه الصَّارم، فمَنطق السَّيف واضحٌ جَليٌّ في فِعالِه، وصليلهُ مُطربٌ مُشنِّفٌ للأسماعِ، وهو يستعيد المُلك ويؤمِّنُ حُدود الدَّولة ويُصَفِّي البرتغاليين من معاقلهم في الهند وإفريقيا.

(٢) بنو غافر: قبيلة عدنانية، يتصل نسبها إلى غافر، ثم إلى سامة بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر (وهو قريش) ابن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مُضر بن نزار بن معد بن عدنان. والمُفرد: الغافري. وهم يقطنون وادي بني غافر في نواحي الرستاق، وفي صنعاء بني غافر في ولاية السَّويق، وبلدتي الدريز والعينين التابعتين لولاية عبري. ومن علمائهم الشيخ خلف بن سنان بن خلفان بن عثيم الغافري؛ وهو عالم فقيه وشاعر، من أهل الكشف من أعيان عُمان، تخرج في مدرسة جبرين. ولد في بلدة المعمور من أعمال نزوى، واستوطن أماكن كثيرة، وبلغ مبلغا عظيماً في الفقه= =والعلوم الشرعية، وقد امتلك مكتبة كبيرة. له شعر جيد يدل على غزارة علمه في اللغة والأدب، وأكثر أشعاره في النصائح والحكم والمواعظ والفتوحات والمدائح لأئمة المسلمين، وكان من العلماء الذين عقدوا البيعة للإمام سلطان بن سيف بن سلطان سنة ١١٢٣هـ (١٧١١م) وتوفي عن أكثر من تسعين سنة. وقد تفرس في الإمام أحمد بن سعيد لما كان صَبياً، وقال له: ارفقْ بالرعية. له ديوان مطبوع وكتاب اسمه: «عالم الكشف». **المعنى**: ويا بني غافر المُنتسبين إلى قريش، لكُم عُلوّ أصلٍ يُفاخرُ به بين القبائل، وأنتم أغصانُ تلك المَفخَرة.

قُومُوا إلى اللهِ وَاعْتَدُّوا لِنُصْرَتِهِ ... فَمَوْعِدُ اللهِ جَنَّاتٌ وَغُفْرَانُ[1]

وَأَيْنَ أَطْوَادُهَا العُلْيَا «بَنُو حَكَمٍ» ... أَيْنَ «الذُّهُولُ» سُرَاةُ المَجْدِ «شَيْبَانُ»[2]

وَأَيْنَ رَهْطُ «بَنِي سَمْحٍ» فَوَارِسُهَا ... «بَنُو شُكَيلٍ» وَأَيْنَ الأُسْدُ «كَلْبَانُ»[3]

وَأَيْنَ قُوَّامُ أَمْرِ النَّاسِ قَادَتُهُم ... «بَنُو خَرُوصٍ» حُمَاةُ الدِّينِ مُذْ كَانُوا[4]

---

(١) **المعنى**: يُهيبُ، في هذا البيت، ببني غافر للقيام إلى الله نُصرةً لدينهم المُتبلور في نُصرة الإمام؛ مُذكِّراً إياهُم أنهم لنْ يَندَموا على فعلهم الحميد ـ لو انتصروا للإمام ـ وسيحصدون نتائجَ انضمامهم لحِلْف المُبايعة جناتٍ وغفراناً لما سبق من الذنوب والخطايا.

(٢) **أطوادها**: جبالها || **بنو حَكَم**: قصد بهم قبيلة العَبْريِّين: وهم قبيلة أزدية قحطانية، يتصل نسبها إلى عبرة بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبدالله بن مالك بن نصر الأزدي. والمفرد: العَبْري. يقطنون في الحمرا ومسفاة العَبريِّن على سفوح الجبل الأخضر، وأيضاً في العَراقي بولاية عبري || **الذّهول**: وهم قبيلة عدنانية، يتصل نسبها إلى ذهل بن شيبان بن بكر بن وائل، وباقي نسبهم يتصاعد إلى ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان. والمُفرد: الذهلي. وهم فرع من بني شيبان، وأراد أن يعم نداؤه الذهول وبني شيبان. وهم يتوزعون في مناطق مختلفة من عُمان بين عبري وأدم ونزوى والرستاق والعوابي. **المعنى**: وأين جبالُها العالية بنو حَكم؛ أي العبريون، واختصهم بعلو الجبال، كِنايَةً عن عُلوّ مكانتهم، وإفصاحاً عن مَراقي سُكناهُم في مسفاة العبريين؛ البلدة المُعلقة على سفوح الجبل الأخضر، ليستكمل في الشطر الثاني مديحه المُستحث لنصرة الذهول وسُراة المجد من بني شيبان.

(٣) **رهط**: الرَّهْطِ، هُم عَشِيرة الرجل وأهلُه، وقيل: الرهطُ من الرجال ما دون العشرة، وقيل: إلى الأربعين ولا يكون فيهم امرأة، ورَهْطُ الرجلِ: قومُه وقبيلته || **بني سَمْح**: إشارة إلى قبيلة بني سَمْح التي ينتمي إليها بنو شكيل: وهي قبيلة عدنانية، يتصل نسبها إلى عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مُضر بن نزار بن معد بن عدنان. والمُفرد: الشّكيلي. ويقطنون بلدتي بسيا وسيت من أعمال ولاية بهلا || **بنو كَلْبَان**: قبيلة عدنانية، يتصل نسبها إلى كُليب بن ربيعة، المعروف بكُليب وائل الذي يُضرب به المثل في العز والمنعة، فيُقال: «أعز من كُليب وائل»، ليستمر تصاعد نسبهم إلى تغلب بن وائل بن قاسط بن هنب بن أقصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان. والمُفرد: الكلباني. ويقطنون في ولاية عبري بالمنطقة الظاهرة من عُمان. **المعنى**: وأين العشائر المُنتمية إلى بني سمح؛ تلك القبيلة العريقة التي من فوارسها الشجعان بنو شكيل. أينهم؟ وأين الآسادُ الشجعان بنو كلبان؟

(٤) **بنو خروص**: من قبائل «اليَحْمَد» الشهيرة، وهي قبيلة أزدية قحطانية يتصل نسبها إلى خروص بن شاري بن اليَحمد بن عبدالله بن عثمان بن نصر بن زاهر بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبدالله بن مالك بن نصر بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن=

وَأيْـنَ عَـنْـهَـا لُيُـوثُ الـغَـابِ مِـرَّتُـهَـا ... «بَـنُـو هَـنَـاءَةَ» مَـا دِيـنُـوا وَكَـمْ دَانُـوا[1]

أيْنَ «اليَعَـاقِـيـبُ» أَرْضُ السِّرِّ مُـلْكُـهُـم ... وَمَـنْ مَـفَـاخِـرُهُـم لِلفَـخْـرِ أَرْكَـانُ[2]

وَأيْـنَ أَهْـلُ الـغِـنَـى فِـي كُـلِّ مُـغْـضِـلَةٍ ... «بَـنُـو عَـلِـيِّ بْـنِ سَـوْدٍ» أيْـنَ «حِـدَّانُ»[3]

وأيْـنَ يَـا «آلَ سَـعْـدٍ» عَـزْمُ نَـجْـدَتِـكُـم ... وَأَنْـتُـمُ لِرَسُـولِ اللهِ أَحْـضَـانُ[4]

=قحطان بن النبي هود. والمُفرد: الخروصي. يقطنون في وادي بني خروص، وبعضهم في ولايتي السّويق ونزوى، وبين أفرادها من اشتهر بالتديُّن والورع والتقوى، وقد بُويعَ من أفراد هذه القبيلة ٢٧ إماماً كان آخرهم سالم بن راشد المَمدوح في هذه القصيدة. **المعنى**: وأين القائمون بأمر الناس وقادتهم إلى بَراح العَدل والعدالة، حُماة دين الله الحافظون على عهودهم. **تلميح**: نلاحظ تخصيصه في مدحته لبني خروص بمزيَّة تفرَّدوا بها؛ وهي «قُوَّام الأمر» و«حُماة الدِّين»، وذلك لأنها قبيلة أنجبت، على مَرِّ التاريخ، أئمة عُلماء أفاضِل قاموا بالعدل في عهودهم.

(١) ليوث الغاب: أُسودُ الغابة || مِرَّتُها: المِرَّةُ: قُوَّةُ الخَلْقِ وشِدَّتُهُ || بنو هَناءة: قبيلة أزدية قحطانية، يتصل نسبها إلى هناة بن مالك بن فهم بن غنم بن دوس بن عدنان بن عبدالله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبدالله بن مالك بن نصر بن الأزد. والمُفرد: الهنائي. يقطنون الغافات ووادي العين ووادي قريات، ومنهم زعماء اشتهروا بالبسالة والفضل، وقد ساهم زعماؤهم أولاد هلال بمساندتهم للشيخ نور الدين السالمي في ترسيخ إمامة سالم بن راشد الخروصي. **المعنى**: وأين عن هذه الإمامة ليوثها الذين لم يُدِنْهُم أحد، وكم دانوا لبأسهم من الناس.

(٢) اليعاقيب: قبيلة قحطانية، يتصل نسبها إلى جذام بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن النبي هود. والمُفرد: اليعقوبي. سكُناهم في بلدة الدّريز من ولاية عبري، المعروفة باسمها التاريخيّ الفنَّان: «أرض السِّر». **المعنى**: وأين مُناصِروا هذه الإمامة من اليعاقيب الذين مَلَكوا مهابة أرض السِّر، فمَفاخرهُم أركان وأعمدة للفخر.

(٣) بنو علي بن سَوْد: قصد بهم قبيلة البداة، وهي قبيلة أزدية يتصل نسبها إلى بادي بن ابي الحواري بن لقيط بن ضحيّان بن حدان بن شمس بن عمرو بن غنم بن غالب بن عثمان بن نصر بن زهران بن كعب بن الحارث ابن كعب بن عبدالله بن مالك بن نصر بن الازد. والمُفرد: البادي. [ربما كان في البيت إشارة إلى عبد الملك بن حميد من بني علي بن سودة، وهو من أئمّة القرن الثالث الهجري، لكننا لا نجزم بذلك]. وقبيلة البادي تقطن ولاية يَنْقلْ. جدير بالذكر أن قبيلة البداة تحالفت مع بني علي بن سَوْد، وهو ما يُشير إليه أبو مُسلم حول حلف البداة وحَدَّان. **المعنى**: وأين أهل الغِنى من بني علي بن سَوْد وحدّان اللذين تُحَلُّ بأمثالهم مَعاضِلُ الزمان.

(٤) آل سعد: قبيلة عدنانية، يتصل نسبها إلى سعد بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مُضر بن نزار بن معد بن عدنان. والمُفرد: السّعدي. يقطنون ولايتي السويق=

هَلُمَّ يَا «ابْنَ هِلالٍ» قُمْ بِنُصْرَتِهَا ... فَالْمُسْلِمُونَ بِهَذا الدِّينِ بُنْيَانُ[1]

وَأَيْنَ مِنْ «آلِ بَدْرٍ» سَادَةٌ نُجُدٌ ... مُبَادِرُونَ إلى الخَيْرَاتِ سُرْعَانُ[2]

أَيْنَ «الحَوَاسِنَةُ» النُّجْبُ الكِرَامُ فَمَا ... عَهْدِي لَهُمْ فِي كِفَاحِ الحَرْبِ أَقْرَانُ[3]

وَأَيْنَ عَنْهَا عَوَادِيهَا «بَنُو عُمَرٍ» ... فَإِنَّ جَانِبَهُم بِالفَخْرِ عُمْرَانُ[4]

وَأَيْنَ «ضَنْكُ» وَأَقْيَالُ «النُّعَيْمِ» بِهَا ... أَيْنَ «الصُّلُوفُ» وَطَوْدُ الفَضْلِ «سُلْطَانُ»[5]

=والمصنعة، وقد قامت على كواهلهم إمامة عزان بن قيس، وهم من سعد العشيرة، سعد بكر الذين تولت منهم حليمة السعدية مرضعة النبي محمد، ومن عُلمائهم الشيخ جميل بن خميس السعدي صاحب مُصنَّف «قاموس الشريعة»، والعلامة الشيخ محمد بن سليّم الغاربي، أحد أركان دولة الإمام عزان بن قيس بن عزان. **المعنى**: وأين يا آل سعد عزوم نجدتكم المشهودة سابقاً في إمامة عزان؟.. أين أنتم من مُناصرة هذه الدولة الفتيّة، لا سيما أنكم خضتم الرسولَ وأرضعتموه.

(١) ابن هلال: قصد به زعيم آل سعد الشيخ حمد بن هلال السعدي الذي كانت له سطوة ومَهابة، آنذاك، لدرجة أنه أسَّسَ ما يُشبه الإمارة الصغيرة في التويق ونواحيها. **المعنى**: في هذا البيت يدعو زعيم آل سعد الشيخ حمد بن هلال لنصرة دولة الإمامة، لأنَّ المسلمين بُنيانٌ مُتعاضد بعضه إلى بعض بهذا الدِّين المُتمثِّل نسغه في ولاء كافة القبائل للإمام.

(٢) سادةٌ نُجُد: سادة شجعان || آل بدر: قبيلة عدنانية، يتصل نسبها إلى فزارة بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن قيس بن عيلان بن مُضر بن نزار بن معد بن عدنان. والمُفرد: البدري. يقطنون ولاية بركا بمنطقة الباطنة الشّاحِليّة. **المعنى**: وأين سادة آل بدر الشجعان المبادرون إلى الخيرات يُسرعون إليها ولا يُبْطِئُهم مُثبِّط.

(٣) النُّجُب: جمع نجيب؛ وهو الرجل الكريم الحَسيب || أقران: أنداد ونُظراء. الحواسنة: قبيلة قحطانية، يتصل نسبها إلى حوسن واسمه الأسود بن سدوس بن أصمع بن عبيد بن نصر بن سعد بن نبهان بن عمرو بن الغوث بن طيء بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن النبي هود. والمُفرد: الحوسني. ويقطنون في ولاية الخابورة ووادي الحواسنة. **المعنى**: وأين الحواسنة الكرماء؟ فما عهدته أنهم في كفاح الحرب أنداد ونُظراء.

(٤) بنو عُمَر: قبيلة قحطانية، يتصل نسبها إلى معمر بن زيد بن صعب بن سعد العشيرة بن مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن النبي هود. والمُفرد: المعمري. يقطنون ولايات صَحم وصُحار وشناص ولوى. **المعنى**: وأين عن إمامة الحقّ، هذه، بنو عمر، فقد عهدنا ما عهدناه منهم لأنَّ جانبهم ملآن بالفخر والفخار؛ فهل تنازلوا عن تلك المَزيّة؟

(٥) ضَنْك: إحدى ولايات منطقة الظاهرة || أقيال: مُلوك || النُّعَيم: قبيلة أزدية قحطانية، يتصل نسبها=

وَأَيْنَ «كَعْبٌ» وَأَيْنَ الحَيُّ مِنْ «قَتَبٍ» أَيْنَ «الظَّوَاهِرُ» وَالفُرْسَانُ «كَهْلانُ»[1]

وَمَا رَجَاءُ «بَنِي يَاسٍ» عَلَى خَطَإٍ فَإِنَّمَا القَوْمُ أَعْوَانٌ وَإِخْوَانُ[2]

=إلى نعيم بن عمران بن عمرو بن عامر (ماء السماء) بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد. والمُفرد: النعيمي. يقطنون ولايتي البريمي وضنك || الضلوف: فخذ من قبيلة النعيم، يتسلسل من قبيلة الخواطر: وهي إحدى قبائل عُمان والإمارات، يتصل نسبها بنسب قبيلة النعيم ويتوزعون بين عُمان والإمارات || طود: جبل || سُلطان: يُشير الشاعر في هذا البيت إلى الشيخ سلطان بن علي النعيمي، حاكم منطقة البريمي، آنذاك. المعنى: وأين ضنك وملوك آل النُّعيم حُكّامُها؟.. أين الضُلوف عن مناصرة هذه الإمامةِ؟ وأين جبل الفضل والعُلا الشيخ سلطان بن علي النعيمي من مُناصرة هذا الأمر؟

(١) كعب: قبيلة عدنانية، يتصل نسبها إلى كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مُضر بن نزار بن معد بن عدنان. والمُفرد: الكعبي. يقطنون في ولايتي محضة والبريمي || قتب: قبيلة قحطانية، يتصل نسبها إلى قتبان بن دمان بن الأملوك بن ردمان بن مالك بن عمرو بن الغوث بن حيدان بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير الأكبر بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن النبي هود. والمُفرد: القتبي. يقطنون في ولاية عبري وما جاورها || الظواهر: قبيلة عدنانية، يتصل نسبها إلى هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مُضر بن نزار بن معد بن عدنان. والمُفرد: الظاهري. يقطنون في ولاية البريمي، وفي مناطق شتى من دولة الإمارات ويلتقون نسباً مع بني ياس القبيلة التي يتحدَّرُ منها حُكام دولة الإمارات حالياً. المعنى: وأين عنها بنو كعب وبنو قتب والظواهر، وفرسانهم المُنتمون إلى كهلان؟

(٢) رجاء: الرَّجاء من الأمَلِ؛ وهو نَقِيضُ اليَأْسِ، وقصد به الأمَل في المُناصَرَة المأمولة من أقاصي ساحِلِ عُمان حيث كانت تُعرَف، آنذاك، بمُسماها التاريخي: «إمارات ساحل عُمان»، قبلَ مُسمّاها الحديث: «دولة الإمارات العربية المُتحدة» || بني ياس: قبيلة عدنانية ، يتصل نسبها إلى ياس بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مُضر بن نزار بن معد بن عدنان. والمُفرد: الياسي. وهُم سكّان إمارات ساحل عُمان المُتصالح، زمن كتابة القصيدة [دولة الإمارات العربية المُتحدة، حالياً]. ووفقاً لما اتفق عليه المؤرخون وعلماء الأنساب، أنَّ حُكّام دولة الإمارات [آل نهيّان، وآل مكتوم] ترجع أصولهم إلى «آل بوفلاسة»؛ وجميعهم يتحدَّرون من قبيلة «بني ياس»، وقد أجمع المؤرخون على ذلك؛ فـ«آل مكتوم»، حُكّام دُبي ترجع أصولهم إلى «آل بوفلاسة» أحد أبرز الفروع في قبيلة «بني ياس» مثلهم في ذلك مثل «آل بوفلاح» التي ينحدر منها «آل نهيان» حكام إمارة «أبوظبي»، مما يعني أن آل مكتوم وآل نهيان أبناء عمومة ينتمون إلى قبيلة بني ياس التي تنسب في أصلها إلى «ياس بن عامر»، الذي ترجع نسبته إلى قبائل نزار بن معد بن عدنان، وفقاً لما ذكره المؤرِّخ والنسّابة العُماني «سالم بن حمود السيابي» في كتابه «إسعاف الأعيان في أنساب عمان». وقد أكد السيابي في كتابه أن قبيلة «بني ياس» التي يتحدَّر=

=منها حكام «أبوظبي» ودبي تعد من أشهر القبائل على ساحل خليج عُمان. وفيما يتعلق بنسب القبيلة إلى جدهم الأعلى فقد اختلف المؤرخون وعلماء الأنساب حول انتماء القبيلة: هل هي من العدنانيين أم القحطانيين؟ إلا أن أغلب النسّابة أجمعوا على أن بني ياس وبالتالي «آل نهيان، وآل مكتوم» هم من العدنانيين وليسوا من القحطانيين، وفقًا لما ذكره «عبد الرحمن بن حمد بن زيد المغيري الطائي»، أحد أبرز المؤرخين السُعوديين، الذي أورد في كتابه (المنتخب في ذكر نسب قبائل العرب): «وبنو إياس بطن من حبشية من خزاعة، ويقال: إن بني إياس أهل عُمان مِمَّن ينتسبون لإياس بن قبيصة الطائي». ورغم ذلك الاختلاف حول نسب «بني ياس» والانتهاء بالقول إلى إنهم من العدنايين، إلا أن هذا الاختلاف غير جوهري باعتبار أن العرب ينتهون إلى سيدنا إسماعيل ـ عليه السلام. وثمة نقطة جوهرية أخرى حاول علماء الأنساب حسمها، وتتعلق بقبيلة «بني ياس»: هل هم قبيلة أم تحالف لعدد من القبائل والبطون؟ أو بمعنى آخر: هل كل القبائل التي تضمها قبيلة بني ياس تنتهي إلى جد واحد أم أنها مجرد اسم يضم عددًا من القبائل الأخرى التي ارتأت أن من مصلحتها الانضمام في حلف واحد لحفظ مصالحها والدفاع عنها؟. ورغم تلك الإشكالية، فقد أجمع المؤرخون أن أغلب فروع (بني ياس) قبائل أصلها واحد تنتسب إلى والد واحد وهو «ياس بن عامر»، ثم انضمت إليها بعض القبائل المجاورة بقصد التحالف والمناصرة كما يظهر ذلك في قبيلة «آل بو حِمَيْر» فهي فرع من قبيلة المناصير، وهي في نفس الوقت من قبائل بني ياس. وقد أرجع المؤرخون دخول هذه القبائل في حلف بني ياس إلى خوفهم من اليَعاربة في عمان ومن القواسم، وخلاصة القول: إن قبيلة بني ياس هم قطان أبوظبي والعين ودبي ثم يقلون في باقي المناطق من الساحل، وكان أبناء القبيلة في السابق إذا انتسبوا قالوا: «ياسي» فلا يقال فلاحي وفلاسي ولا مهيري إلا قليلًا نادرًا اعتزازًا بالنسب الواحد، وللقبيلة جولات وصولات في الجزيرة، وكانت مرهوبة الجانب من جميع القبائل، وكم كسرت هذه القبيلة من جيوش غازية، وكم دافعت عن أراضيها حتى نالت أعلى درجات العزة والسؤدد. والحقيقة أن هذه الإطالة في شرح نسب بني ياس، قياساً إلى القبائل العُمانيّة الأخرى، سببه منهجيٌ مَحض؛ فالشاعر خصَّ هذه القبيلة بـ ١٢ بيتاً، دون سواها من القبائل العدنانية والقحطانية، بما في ذلك القبائل التي أوغلَ في امتداحها؛ كالنباهنة والحرث وبني هناءة وبني ريام، ناهيك عن قبيلته من بني رواحة التي امتدحتها، بطبيعة الحال نونيّته؛ لكنه انشغلَ بالمُعطى التاريخي الذي جسَّدتهُ سمائل الفيحاء انطلاقاً من أحداث ذلك العصر إلى الخلاف القبلي بين بني جابر وبني رواحة. ومن آخر كبار القوم في بني ياس الشيخ زايد بن سلطان بن زايد بن خليفه بن شخبوط بن ذياب بن عيسى بن ذياب بن نهيان بن فلاح بن هلال بن فلاح بن هلال الياسي. والحق يُقال، فإنَّ الشيخ زايد بن سلطان، كان مِثالًا للصيغة الجامعة بين نخوة شيخ القبيلة ورجل الدولة في زمن ارتهن فيه العالم العربي لشذاذ آفاق أفَّاقين سَمَّوا أنفسَهُم رؤساء دُولٍ، أو مُلوكاً. ولا غرابة في إشارة أبي مُسلم، آنذاك، إلى شيوخ الساحل المُتصالح؛ فقد كان على رأسهم الشيخ زايد بن خليفة الأوّل، جدّ الشيخ زايد بن سلطان آل نهيّان، مُؤسِّس دولة الإمارات العربية المُتحدة؛ وقد كان شخصية قيادية تعاون مع الإمام عزان بن قيس، وفيما بعد مع السلطان فيصل بن تركي الذي فوَّضهُ مَهمَّة الإشراف=

قَوْمٌ عَلَى صَهَوَاتِ الخَيلِ طِفلُهُمُ ... يَرْبُو لَهُ مِنْ دَمِ الأَبْطالِ أَلبَانُ(١)

مَساعِرُ الحَرْبِ إنْ تَنْزِلْ لَهُم نَزَلوا ... وَإنْ تُعَاضِلْهُمُ رَكْباً فَرُكْبَانُ(٢)

أَشَدُّ خُدُورُهُمُ سُمْرُ الرِّمَاحِ، فَإنْ ... شَبَّ الهِيَاجُ فَتِلكَ السُّمْرُ شُهْبَانُ(٣)

=على منطقة الظاهرة، بما في ذلك؛ عاصمتها عبري. **المعنى**: وليس تأمُّلُ بني ياس في ظهور هذه الإمامة على خطأ، فالقوم أعوان وإخوان. **ملحوظة**: ثمة استشراف نبوئي خارق لمشيئة تقسيم الدَّولة، وتعبيره المُؤكَّد: «فإنما القوم إخوانٌ وأعوانٌ»، يتمرأى لنا اليوم ويتجلَّى، كما لو كان الشاعر ينظر بعين الغيب لما ستؤول إليه الأحوال. فهم، أي بنو ياس أعوان وإخوان، ليس في تلك اللحظة الرَّاهنة، بل في المُستقبل.

(١) يزبو: رَبا الشيءُ يَرْبُو رُبُوّاً ورِباءً: زاد ونما. **المعنى**: تفيضُ شاعرية أبي مُسلم الوقَّادة في هذا البيت البديع شاعريَّةً، ناهيك عن شنشنة صليل مَديحِهِ المؤثر حقاً، كما فاضت في قلبِهِ أنوارُ «فيوض الكشف» ليأتي بما لم يأتِ بهِ أساطين الشعر الجاهلي وصدر الإسلام ومن تبعهم في العصرين الأموي والعباسي؛ فتراهُ يَصفُ مَساعِرَ قبيلة بني ياس (بشقَّيها في آل نهيَّان وآل مكتوم)؛ ابتداءً من وليدهم الرَّضيع وهو يَرْبُو بعد (فطامه على صَهوات الخيل المُطهِّمَة)، ليسَ على لَبَنِ أُمِّهِ (أو ما سَيُعَوِّضُهُ من ألبان النوق والماعز)، بل على دَمِ الابطال الذي يسري في عُروقه المُتوفِّزة كتوفُّزَةِ كتحرار صهوات الخيل التي تعوَّدَ رُكوبها صغيراً. **تلميح**: البيتُ يُحيلُ إلى أكثر من مُستوى تأويليّ: فهو يربو - أي؛ يتربَّى ويترعرع - على صَهوات الخيل وفطامه عن حليب أمِّهِ مُكافأته بتشييل دماء الأعداء تعويضاً لهُ عن فقده لحليب أُمِّه، وربما كان المعنى - في قراءة تأويليَّةٍ مُغايرَة - يذهبُ لأبعد من ذلك؛ بمعنى: أي ربما تربو لهُ ألبانٌ من دم الأبطال؛ بمعنى انتفاخ الدَّمِ ذاته في عُروقهم ليَرُوبَ فوَراناً في العُروق، كما يَروب اللبنُ في السِّقن.

(٢) مَساعِر: جمع مِسعَر؛ وهو ما تُحرِّكُ به النار من خشب أو حديد، ومِسعَرُ الحرب: مُوقِدُها، وفي حديث أبي بَصير: وَيْلُمِّهِ مِسعَرُ حَرْبٍ لو كان له أَصحاب؛ يصفه بالمبالغة في الحرب والنَّجْدَةِ || تُعاضلهم: تمنعهم || رَكباً: الرَّكْبُ أصحابُ الإبِلِ في السَّفَر دُونَ الدَّوابِّ؛ قال الأَخفش: هو جَمْعٌ وهُم العَشَرة فما فوقَهُم || رُكْبان: الرُّكْبان أصحاب الإبِلِ، والرُّكْبانُ الجماعة منهم. **المعنى**: فإن تنزل لهم مساعر الحرب نزلوا لها، وإن منعتهم وعاضلتهم ركْباً؛ فالقومُ في شجاعتهم ركْبٌ وركْبان بل ثلاثة. **تلميح**: فكرة البيت هي مُضاعفة الرَّكْب والرَّكْبان في الصحراء التي هي مجالهم الحيوي الذي لا يُباريهم فيها مُبار.

(٣) أشدُّ خدورهم: أي سُتُرُهم الحاجبة لهم؛ وخَدَرَ الأسدُ خُدُوراً: لزم خِدْرَه وأقام، وأَخْدَرَه غَرِيئُه: واراه || سُمْر الرِّماح: صفة للرماح الجيدة || الهياج: القتال في الحرب. **المعنى**: خدورهُم سُمْرُ الرماح، وإن اشتدَّ القتال تنطلق تلك الرماح كالشهب الثاقبة.

صُعْبٌ شَكَائِمُهُم، سُحْبٌ مَكَارِمُهُم ... إنْ حَارَبُوا صَعُبُوا أوْ أكْرَمُوا هَانُوا[1]

لا يَقْتُنُونَ رِيَاشاً فَوْقَ سَابِغَةٍ ... كَأَنَّهُنَّ إذا أُلْقِينَ غُدْرَانُ[2]

وَغَيْرَ صَفْحَةِ هِنْدِيٍّ مُفَلَّلَةٍ ... كَأَنَّهَا بِنَفَاثِ المَوْتِ ثُعْبَانُ[3]

وَغَيْرَ أنْيَابِ أَغْوَالٍ مُسَنَّنَةٍ ... مِنْ عَهْدِ عَادٍ لَهَا ذِكْرٌ وَأَسْنَانُ[4]

وَغَيْرَ شُمْسٍ سَرَاحِيبٍ مُفَنَّقَةٍ ... كَأَنَّهَا فِي قَتَامِ الحَرْبِ غُرْبَانُ[5]

---

(١) الشكيمة: الأَنَفَةُ والانتصار للنفس مِنَ الظُّلْم || هانوا: الهَوانُ: مصدر هانَ عليه الشيء، أي خفَّ. المعنى: شكائمهم صعبة، لكنَّ مكارمهم كالسُّحُب تهطلُ على جميع البراري، وهم فوق هذا وذاك؛ إنْ حاربُوا صَعُبوا على مَنْ حارَبَهم، وإنْ أكرموا (نقيضُ الحال) خَفَّ عليهم إكرامُ ضيفهم.

(٢) لا يقتنون: لا يتخذون؛ والقصد اقتناء الشيء واكتسابه، والقُنْية: الكِسْبَة || رياشاً: الرِّياشُ: الخِصْبُ والمعاشُ والمالُ والأثاثُ واللِّباسُ الحسَنُ الفاخر || سابغة: شيء سابغٌ أي كامِلٌ وافٍ || غدران: جمع غدير؛ والغَدِيرُ مُستنقع ماءِ المطر، صغيراً كان أو كبيراً، غير أنه لا يبقى إلى القيظ. المعنى: وهُم ـ بسليقةٍ مَحتِدِهم البَدويّ ـ لا يكتسبونَ خِصبَ أرضهم ومَعاشها وفاخر مَلْبَسِهم كامِلًا.... فتلك الرِّياشُ، خصباً كانت أو إعاشةً تتشيأً أمَلًا مُكتسَباً، لا ينظرون إليه في مَراعي حياتِهم، بل يَرَونَ إلى تلك الرِّياش كُلَّما ألقوها (كَرَماً نابعاً عن جِبِلَّةٍ وسَجِيَّةٍ) وابتعدوا عن مَكرُمتهم تلك؛ لا تلبَثُ تلك المكرمة أن تتراءى لهُم في قادِمِ الأيام العاجِلَة غدراناً خصيبة تدعوهم لتكرار الكرَّة مَرَّةً إثر مَرَّة.

(٣) صفحة هِنديّ: قصد بها السُّيوف المنسوبة إلى الهند || مُفَلَّلة: الفَلُّ: هو الثُّلْم في السيف، وفي المُحكم: الثُّلْم في أيّ شيء كان، قال أبو كبير الهذلي: «مُسْتَشْعِرٌ تحتَ الرِّداءِ وِشاحةً | عَضْباً غُمُوصَ الحَدِّ غيرَ مُفَلَّلِ»؛ والوِشاحُ: هو القوسُ || نفاث: النَّفْثُ: شبيه بالنفخ. المعنى: وكما أنهم لا يقتنون تلك الرِّياش عن قصد؛ فهُم أيضاً لا يريدون من كُلِّ متاعِ الدُّنيا سوى صفحة سيفٍ هنديٍّ مُثلَّم الأطراف؛ تبدو لمن يَراها ثعباناً يَنفثُ أفاعي الموت من جوفه.

(٤) أغوال: جمع غول؛ وهو السِّعْلاة، والعرب تسمي الحيّات أغْوالًا، وقيل هي الشياطين، وكلُّ ما اغْتالَ الإنسانَ فأهلكه فهو غولٌ. يقال غالَتْهُ غولٌ، إذا وقع في مهلكة. المعنى: وكما أنهم لا يقتنون فوق تلك الرياش سابغةً، عدا صفحةِ السيفِ الهنديِّ المُفلَّلة، فكذلك لا يتسلحون سوى بأنياب الحيّات المُسنَّنة اللفاحةِ، تلك المذكورة في الميثولوجيات القديمة منذ قوم عاد بأسنانها التِّنينيَّةِ المُفزعةِ خيالًا مُتوقعاً وواقعاً لا يتخيله أعداؤهم.

(٥) شُمْس: هي جَمعُ شَمُوسٍ ـ بفتح الشين ـ وهو النَّفُورُ من الدَّواب الذي لا يَستقرّ لشَغْبه وجِدِّيّه، وقد توصف به الناقة؛ قال أعرابي يصف ناقة: إنها لَعَسُوسٌ شَمُوسٌ ضَرُوسٌ نَهُوس || سَراحيب: فرسٌ سُرْحوبٌ؛ أي طويلة على وجه الأرض؛ وتوصف به الإناثُ دون الذكور، والجمع سَراحيب،=

تَعَلَّمَتْ مِنْ مِرَاسِ الحَرْبِ نَجْدَتَهَا ... فَهُنَّ تَحْتَ يَدِ الشُّجْعَانِ شُجْعَانُ[1]

كَأَنَّهُنَّ أَعَاصِيرٌ إِذَا احْتَدَمَتْ ... نَارُ الوَغَى وَهِيَ فِي التَّسْنِينِ ذُؤْبَانُ[2]

تِلْكُمْ حُصُونُ بَنِي يَاسٍ وَمَعْقِلُهُم ... لا يُحْصِنُ القَوْمَ أَسْوَارٌ وَأَفْدَانُ[3]

=والسُّرُحُوبةُ من الإبل: السَّريعةُ الطويلة، ومن الخيلِ: العَتِيقُ الخفيفُ؛ قال الأزهري: وأكثرُ ما يُنْعَتُ به الخيلُ، وخَصَّ بعضُهم به الأُنثى من الخيل || مُفْئَقة: مُترَفة ومُنعَّمَة، وهي واحدة من صميم مُفردات الدَّارج العُماني || قتام الحرب: غُبارها. **ملحوظة**: لُاحِظ استخدام الشاعر بعد بيت [لا يقتنون رِياشاً..] لصيغةِ الاستثناء (وغير..) التي استخدمها في ثلاثة أبيات؛ إظهاراً وإعلاءً من شأن الصِّفات التي تميَّزت بها قبيلة بني ياس. **المعنى**: ... وغير خيولٍ [أو نوق، في حالات أخرى، كيفما كانت الرُّكُوبَة..] جامحة نَفورَة مُنفرة لهَيبتِها ولطولها المُرعِب في عُيون الأعداءِ، سواءً بهيئة فِعالِها في المعركة أو بتفلُّتِها لكثرة النعمة والتدليل المُترف لها، لأنها ـ تبدو ـ رغم ذلك التفنيق الزائد ـ في غبار الحَرب غرباناً مُحلِّقة بالشؤم عليهم في تلك المعركة. **تلميح**: لا تخفى على القارئ (في هذا البَيت المُتفنِّن) جَمْعُهُ بين رفاهية خَيل بني ياس وبأسها في الحرب ـ رغم الرَّفاهيَة ـ حين تشتدُّ الحاجة لتحوُّلَ إلى عواصف مُزمجرة في دواجِسهم وغَيرائِهم، في غبار الحَرب الذي تزيده ظلمةً بأجسادها المُكثفة للحضور الشعري المُفارق، لدرجة أنها تبدو في عيون الأعداءِ حيزوم غربانٍ هابطٍ من السَّماوات.

(١) نجدتها: النَّجُود من الإبل: المِعْزارُ، وقيل: هي الشديدة النَّفْس، والنجدَة في عُموم **المعنى**: الشِّدة. **المعنى**: فتلك الأفراس [أو النوق..] تعلَّمت نُصرتها ونجدتها وشِدَّتها في العريكة لكثرةِ مِراسِها للحروب؛ لذلك كانت أفراسُ ونوقُ بني ياس شجاعةً تحتَ عزيمَة فُرسانِهم.

(٢) احتدمت: التهبَت || التسنين: السَّنَنُ اسْتِنان الإبل والخيل، واسْتَنَّ الفرس: قَمَصَ [وهي لفظة دارجة عند العُمانيين والإماراتيين]، وجاء سَنَنٌ من الخيل أي شَوْطٌ، وفي حديث الخيل: اسْتَنَّت شَرَفاً أَو شَرَفَيْنِ؛ اسْتَنَّ الفَرَسُ يَسْتَنُّ اسْتِناناً أَي عدا لَمَرحه ونَشاطه شَوْطاً أَو شوطين ولا راكِبَ عليه، قال زهير ابن أبي سُلمى: «نُعَوِّدُها الطِّرادَ فكلَّ يوْمٍ تُسَنُّ | على سَنابِكِها، القُرونُ». **المعنى**: وتلك الخيولُ تبدو للناظر إليها إذا التهَبَت نارُ الحرب كالذِّئاب في توَفُّزها وهيَ تشتَنُّ شوطاً إثر شوط.

(٣) أفدان: الفَدَنُ: القَصْرُ المَشِيدُ؛ قال المُثَقِّبُ العَبديّ: «يُنْبِي تَجاليدِي وأَقْتادَها | ناوٍ، كرأْسِ الفَدَنِ المُؤَيَّدِ»؛ والجمع أَفْدان. **المعنى**: يختتم في هذا البيت مَديحَه لبني ياس الذين اختصَّهُم بـ ١٢ بيتاً ـ كما أشرنا ـ وهو أكبر عدد من الأبيات تُمتدَح به قبيلة من كافة القبائل المذكورة في النونيَّة، ليتفوَّق العدد على الأبيات التي خصَّ بها الحُرُث والنَّباهنة، على سبيل المِثال، ولذلك ما يُبرِّرُه: فقد قصَد الشاعر استقطاب وتجييش قبائل السَّاحِل لنُصرة دولة الإماميَة الفتيَّة؛ وثمَّة بُعدٌ استراتيجيٌّ مِن تلك المُبالغة: قبائل الدَّاخل العُمانيّ، هناويَّتها وغافريَّتها ـ وفق القسْمَة الضيزى لذلك العَصْر ـ ولاؤها شبه مَضمون، لكنَّ الناجِية المكشوفة على ساحل عُمان ما زالت ـ في نظر الشاعر ـ بحاجةٍ إلى مُضاعَفةِ الحُشود المُستقطِبة لقبائل تلك التخوم، بحُكْم موقعها فَتْحِ الآفاقِ البحريَّة المُستعصيَة على اكتظاظ=

وَأَيْنَ عَنْهَا «بَنُو بَطَّاشَ» أَيْنَ هُمُ ... مَنْ لِي بِهِم وَهُمُ لِلحَرْبِ أَخْدَانُ[1]

عَادَاتُ «طَيِّءَ» تَخْضِيبُ السُّيوفِ وَإِنْ ... وَاءُ المُثَقَّفِ، وَهُوَ اليَومَ عَطْشَانُ[2]

طَالَ الرُّقَادُ بِكُمْ هُبُّوا فَدَيْتُكُمُ ... فَالشَّمْسُ طَالِعَةٌ وَالسَّيْلُ مِرْعَانُ[3]

=رسالَةِ الإمامَة بحُدود وُعُورة جغرافيّتها التي لن تُتيحَ لها مجالًا لتوسُّعِها المأمول. **المعنى**: وانظروا إلى حُصون بني ياس ومعاقلهم؛ فهي مَفتوحَة لكُم ـ لو عرفتم كيف تستثمرونها ـ ، فهم قومٌ أنصارٌ لكُم، لو أمعنتم النظر، ولا يَتحصَّنون بعيداً عن شرارة الفكرة اللُّمُوع خلف أسوار قصورهم المُشيَّدَة، كما يفعل سِواهُم.

(١) أخدان: الخِدْنُ والخَدِين: جمعٌ للصديقُ، والخِدْنُ تعني أيضاً: الذي يُخَادِنُك فيكون معك في كل أمر ظاهر وباطن || بنو بطاش: المشهور والمُتعارف عليه بين العُمانيين أنها قبيلة من طيء، لكن هناك من ينسبهم إلى الأزد. ومن هؤلاء الشيخ محمد بن شامس البطاشي الذي أنكر نسبتهم إلى طيء. ووفقاً لرواية الشيخ فهي قبيلة أزدية قحطانية. فبطاش بحسب الظاهر لقب عمر بن عدي بن محمد بن بلعرب بن مزاحم بن جبلة بن بلعرب بن محمد بن مربع بن الحارث بن عمرو بن جبلة بن الأيهم بن الحارث بن جبلة بن الحارث بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة بن عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرئ القيس البطريق بن ثعلبة البهلول بن مازن زاد الركب بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب ابن يعرب بن قحطان بن هود عليه السلام، فتراه نسباً يلتقي بآل نبهان بن عمرو بن عامر، وبمعولة في نصر بن الأزد، وكذلك بمالك بن فهم وبقية قبائل الأزد. والمُفرد: البطاشي. يقطنون في ولايتي قريات ودما والطائيين، ويُنسب إليهم كثير من العُلماء الأفاضل؛ منهم الشيخ سيف بن حمود البطاشي صاحب كتاب: «إتحاف الأعيان في تاريخ بعض عُلماء عُمان»، والشيخ محمد بن شامس البطاشي (الذي ينسب بني بطاش إلى الأزد). له كثير من المصنفات، أهمها: «سلاسل الذهب في الأصول والفروع والأدب». وبنو بطاش قبيلة تقطن في قريات ووادي الطايين ووادي حطاط. **المعنى**: وأين عن هذه الإمامة بنو بطّاش؟.. فهُم أخدانٌ لهذه الحرب باطناً وظاهراً [يُشير الشاعر، هنا، إلى ما حاولته قبيلة بني بطاش انسلاخاً عن سلاطين مسقط للالتحاق بالإمامة]، وفيما نعتقد أن البيت التالي تقدَّم على البيت المُمتدح لطَيِّء، وهو آخر القبائل الممدوحة، لاعتقادنا بحدوث خلل في المخطوطة الأصليّة.

(٢) طيء: قبيلة قحطانية، تنسب إلى طيء بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. والمُفرد: الطائي. **المعنى**: وما أعهده من عادات طيِّء تخضيب السُّيوف بدماء الأعداء، وإرواء رمحاهم منها؛ لكنه اليوم عطشان. **تلميح**: هذا البيت مُختتمٌ للنداء الاستنهاضي، تصعيداً ـ في البيت التالي ـ للمرحلة الاستنهاضية التالية من الثُّونيّة؛ حيثُ كان المُخاطَبُ، هذه المَرَّة كافَّة القبائل التي سبق للشاعر أنْ عَدَّد مَناقبها، لحظة استنهاضه لها بالخطاب المُناسِب لكلِّ قبيلةٍ عدنانيّةٍ وقحطانيّة.

(٣) مِرْعان: خَصيب، وفي المَثَلِ: «أمْرَعَ وادِيهِ وأجْنَى حُلْبَهُ»: يُضْرَبُ لمن اتَّسَعَ أَمْرُهُ واسْتَغْنَى. [في=

=الحقيقة بحثنا عن «أرعان»، في رَعَن، فلم نجد معنى مُناسِباً لها يُوافق السِّيل؛ وبعد البحث عنها في «مَرِيع»، وجدنا «مِرْعان» التي تفيد الخصب، لكننا لم نجد ما أوردته النسخ كافة: «أرعان» أو قرينتها «إرعان»؛ بما في ذلك؛ النسخة المخطوطة عام ١٣٣٢ هـ، (١٩١٤ م). وقد استغربنا إيراد الشاعر لمُفرَدةٍ بدت لنا شاذة في السِّياق، في حين كان بإمكانه استخدام «مِرْعان»، فهي أكثر مُناسبة ووجاهة لبلوغ القصد، فيما نَحْسَب، لذلك غامَرنا باستبدال «أرعان» بـ«مِرْعان» الدقيقة في وصفها للسَّيل. وَفيما نحسب أنَّهُ خطأ تواتر من ناسخ إلى آخر في كافة النسخ المُتاحة، ما كان مطبوعاً، مُستنسَخاً أو مخطوطاً]. **المعنى**: لقد طال الرُّقاد بكم، فهُبُّوا جميعاً يا مَن خاطبتكم قبيلة قبيلة مُنذ بداية قصيدتي هذه؛ فالشمسُ كما تزون مُشرقة بفجر جديد، والسُّيولُ أخصبَت كافة أنحاء البلاد بإمامِها المُتوَّجِ بتاج انتخاب الأمَّةِ له. **تلميح**: ورد هذا البيت في كافة النسخ المخطوطة والمطبوعة والمَنحولة حَجَر عثرة بين بيت قبيلة بني بطاش والبيت المُمتدح لطَيِّء، وارتأينا ترحيله من تلك الوسطيَّة التي لا تُناسِبُه ليكون (كما أراده الشاعر) مُفتتحاً للخطاب الذي خاطب فيه الشاعر (مجموع عصائب قبائل عدنان وقحطان)؛ لأنَّهُ ـ فيما بدا لي ـ لا يُخاطب، في هذا البيت، قبيلة بني بطَّاش؛ فهو بيت اختتام لخطاب تخصيصٍ ينفتح على خطاب تعميم يستعيد به الشاعر تكرار خطابه الاستنهاضي لكافة القبائل التي ذكرها في الثُّونيَّة، لا سيما أنه ـ بعد بيت قبيلة طيء التالي ـ يُجمِلُ عصائب قحطان وعدنان؛ ليستمرَّ في المناداة المُستحثِّ للجميع: «هُبُّوا، هُبُّو...»، قبل أبيات استنهاضه التي تخاطب جميع القبائل توحيداً لها في جُملة: «كتائبَ الله». فبمثل هذا الترتيب تُحيلُ «طال الرُّقاد» دلالتها إلى كافة القبائل المذكورة في القصيدة بحُسنَ تخلُّصٍ مُستساغ في السياق، كأنما لتختم قبيلة طيِّء كافة القبائل المذكورة في القصيدة. تلك وجهة نظرنا المبنيَّة على استقراءٍ واستنتاج تخمَّرَ بعد تمحيص للنسق الكُلِّياني للقصيدة. **ملحوظة أخرى مُضافة إلى التلميح**: في الحقيقة أنَّ اقتراحنا هذا الذي نتعصَّبُ لوجاهَته، جعلنا نُسلِّمُ به قناعةً واقتناعاً ـ وإنْ حُوججنا بموضوعيَّةِ التسلسل الدارج في الوثائق ابتداءً من مخطوطة ١٩١٤ م ـ المُشار إليها آنِفاً، ناهيك عن النُّسخ الأخرى ـ لكننا رغم ذلك، نعتقد بصحة ما اعتقدناه؛ وبالتأكيد قد نكون مُخطِئين ومُخطِّئين في تصرُّفنا هذا تقديماً وتأخيراً في ترتيب الأبيات الذي نتحمَّلُ مسؤوليَّته التاريخيَّة. فنحن نعتقدُ، أيضاً، بأن ثمة دائرة للثُّونيَّة كان ابتداؤها بوصف الرِّاحِلة والرِّحلة السُّرية للشيخ نور الدين السالمي وبلوغها نزوى ليعود الشاعر ضمن مداره الشعري إلى حيث ابتدأ: جعلان، بدية الحجريين، قابل الحرث، سمائل بني رواحة وبني جابر والأشياخ الخليليِّين، وإزكي صُعوداً يَصَّاعد في أرضه المُمْرِعَة حتى أرض السَّر في الظاهرة لتهبط القصيدة مُجدَّداً من الرستاق ووادي بني خروص وبركا آل بدر، ومصنعة آل سعد، وهكذا دواليك في قوس الدائرة. فثمة مِحوريَّة دائريَّة في القصيدة ومَركزية تتمحور، في آخر مطافها، حول بيضة الإسلام / العاصمة، مع الإشارات التوثيقية للثغور الأساسية في الداخلية والشرقية والباطنة والظاهرة وسَاحل عُمان المُتصالح [كما سمَّاهُ الإنكليز، وهو ما دعا أبا مُسلم لوضعه الاعتباري، آنذاك، ليستفيض في مديح بني ياس المُشرفين يومها على أكثر من جبهة بحريَّة ورمليَّةٍ غوَّاصَةٍ في تخوم الرَّبع الخالي، دون إغفال أهمية كل ثغر بمزاياه الطبوغرافية والإثنية، إلى جانب ثقل زعاماته القبلية. وفي اعتقادنا أنه=

أَيْنَ العَصَائِبُ مِنْ «قَحْطَانَ» أَجْمَعِهَا ... وَأَيْنَ مَنْ نَتَجَتْ لِلمَجْدِ «عَدْنَانُ»[1]

هُبُّوا لأَخْذِ المَعَالِي مِنْ مَرَاقِدِكُم ... فَلَيْسَ يَسْتَدْرِكُ العَلْيَاءَ نَوْمَانُ[2]

هُبُّوا لِدَاعِي الهُدَى، هُبُّوا لِعِزَّتِكُم ... وَكَيفَ نَوْمُكُمُ وَالخَصْمُ يَقْظَانُ[3]

جُدُّوا فَدَيْتُكُمُ فِي نَصْرِ دِينِكُمُ ... فَاليَومَ فِيكُم لِنَصْرِ الدِّينِ إِمْكَانُ[4]

=لم يغفل عن بني بطاش وبني طيء ليجيء ذكرهم في بيتين بعد إطنابه في ذكر قبيلة بني ياس جُزافاً؛ بل لأنه أراد إحكام غلقه لدائرة النونيّة جغرافياً؛ بالعودة شرقاً إلى قريات ووادي الطائيّين فيما يرسم خريطة وطنه الذي ارتأى الشاعرُ إمامه الممدوح حاكماً عليه شرقاً وغرباً، شمالاً وجنوباً، بثغورِهِ ذات الأهميّة البريّة والبحريّة في جعلان، صُور وساحل عُمان.

(١) عدنان وقحطان؛ سبق ذكْرهما. **المعنى**: بعد تخلّصِه في البيت الأخير [الذي قُدِّمَ خطأً على بيتِ استنهاض بني طَيءٍ، كما أوضحنا]، نجدهُ يعُودُ إلى تأصيل الأصول في عصائب قحطان وعدنان بعد تفريع أنسابها في كافة القبائل العُمانية؛ مُستنهِضاً إياها باسم كافة القبائل المُنتمية إلى ذينك المَحْتَدَين: قحطان وعدنان، داعياً إيّاهُم ـ في جامعة قصيدته النونيّة ـ للإنضمام جماعةً واحدة تهُبُّ نحو المَعالي التي اجترحها خطاب نونيّته المِرنان ببوارق المطلع؛ كأنما لتتحقّق استحالة فكرته اليُوتوبيّه عن طريق جمع عصائب قحطان وعدنان في بوتقة العدالة التي سيُثبت التاريخ أنها لن تتحقّق وفقاً للرُؤيَة والرُؤيا اللتين شحَنَ بهما أبو مُسلِم بطاريّة نُونيّتِهِ التي أفرغتها العصائب القحطانيّة والعدنانيّة مِن «تيزابها»، قبلَ تفرُّغ «أعداء الداخل والخارج» لاستكمال مَهمّةِ الإستفراغ المُمَنهَج.

(٢) نَوْمَان: كثير النوم. **المعنى**: فهُبُّوا من مراقدكم لاقتطاف فاكهة المَعالي، لأنَّ العلياءَ لا يستدركُها نَومانٌ مُتكاسلٌ عن خطب وُدِّها بالجدّ والمُثابَرة. استدراك: هذا البيت الذي يفتتح به خطابه لكافة القبائل يُؤكّد ما ذهبنا إليه سابقاً بأنّهُ لم يقصد «بني بطاش» وحدهم، [وِفق الترتيب المُتواتر في كافة النسَخ]؛ لأنَّ المُخاطَب كما نُلاحِظ (ابتداءً من ذلك البيت) لا يَنحصِر في بني بطاش ـ كما أسلفنا ـ بل كافة القبائل التي استهَضَ الشاعر هِمَمَها الخامدة ـ في مَنظور نونيّته ـ نحو أربعين سنة فاصلة بين إمامة عزان بن قيس وإمامة سالم بن راشد الخروصي. [وما يُؤكّدُ ادّعاءَنا إعادةُ استخدامه لذات المُفردَة التي تُحيلِ إلى الرّاقد النّومَان: (هُبُّوا لأخذ المعالي مِن مَراقِدكم)، وبطبيعة الحال ـ كما ورد في خطاب القصيدة ـ لنْ يَستدرك تلك المَعالي نَومَانٌ لم ولن يستدرك، سَلفاً، خطأً حدث بعد نحو تسعين سنةٍ من كتابة الشاعر للنونيّة].

(٣) **المعنى**: هُبُّوا لإمامكم الداعي للهُدى، بالأحرى هُبُّوا لعزتكم المُستعادة؛ وعجبي! كيف تنامون نحو نصف قرن بين إمامةٍ وإمامةٍ

(٤) جِدُّوا: اجتهدوا ||**المعنى**: فديتكم بأمي وأبي، اجتهدوا في نصر دينكم، فثمة اليوم إمكانٌ [كان مُستحيلًا] لنصرة الدِّين بفضلِ قيام دولة هذا الإمام الوَرع التقيّ، بإشراقتها اللُّموع مِن غيوب الظلام والبَغي والعُدوان؛ لتستقيم أُفقياً وعمودياً كفةُ العدالتين: عدالة السماء والأرض؛ على حدٍّ سَواء.

كَـتَـائِبَ اللهِ لا يَـحْـتَـلُّ بَـيْـضَـتَـكُـم ... خَصْمٌ مَسَاعِيهِ في الإسْلامِ ثُغْبَانُ[1]

كَـتَـائِبَ اللهِ ذُودُوا عَـنْ حِـيَـاضِـكُـمُ ... كَـيْ لا يُـهَـدِّمَـهَـا بَـغْـيٌ وَكُـفْـرَانُ[2]

كَـتَـائِبَ اللهِ مَـا عَـيْـشُ الـذَّلِـيـلِ لَكُـم ... عَيْشٌ، وَلا فِي مَنَايا العِزِّ نُقْصَانُ[3]

كَـتَـائِبَ اللهِ لَمْ يُـعْـهَـدْ بِـكُـم خَـوَرٌ ... وَلِلجِـبَـالِ عَـلَى الأزْمَـاتِ إقْـرَانُ[4]

كَـتَـائِبَ اللهِ حَـامُـوا عَـنْ حَـنِـيـفَـتِـكُـم ... قَـدْ لـوَّثَـتْـهَـا خَـنَـازِيـرٌ وَصُـلْـبَـانُ[5]

---

(١) بَيْضَتكُم: قلعة نزوى || كتائب الله: نداءٌ استنهاضيٌّ كَنَّى بهِ الشاعِرُ [تخيُّلًا في أقنوم المُتخيَّل] عن نجاحِ قصيدَتِهِ التي استطاعت لَمِّ شعث القبائل المُتناحِرة. وهو نِداءٌ سيَستخدمه في تسعة أبيات تالية، ليستبدله بنداءٍ استنهاضيٍّ آخر سيتكرَّرُ في الأبيات الخمسة التالية لها؛ وهو «يا غارَة الله»، تعبيراً يُجازفُ ـ بل يَنسِفُ رُؤيَوياً، ما توسَّمه في كتائب الله ـ وهو يَرى في بُؤبُؤ لحظات انتصاره [في القصيدة، لا في الواقع] ما ارتأى أنهُ تذكيرٌ لها ـ إنْ كانتْ كتائبُ الله، بالفعل كتائبه، كما توخى الشاعر ـ لينشط سيلُ المُحاصَصَة الضمنيَّةِ في شَرْجَةٍ بعيدةٍ عن الأفلاج؛ هي «غارَة الله» المُستنجَدِ بها شِعْريّاً إثر إخفاقِ كتائبه في مَتن القصيدَة ـ وهو ما سَيشهَدُ به التاريخ، لاحِقاً ـ لمُحاصَصَةِ الخِيانةِ العَوضوعيَّةِ بديلًا لمُعادلها الموضوعي في خطاب النونيَّة، لكنَّ الشهادة ستظلُّ ناقِصَةً، لو لم تتأبَّد النُّونيَّة [رغم محاولات إقصائها المُستميتة عن الذاكِرة الجمعيَّة]؛ ونُكتة في ذلك دلالة دالَّة: رُسُوخ المَتن وزوالُ عارِضِه الهامِشِ في هَوامِشِه التاريخيَّة؛ وإن استسقتْ دَيمُومةَ خلاصِها مِمَّا لا فكاكَ مِنهُ في سطوة الخطاب المُهيمِن لِقُرآنِ النونيَّة وقرائنِه الوضَّاحَةِ، سَواءٌ بسواء؛ في عُصُور الظلام أو في عُصُور «نهضةٍ» اعتقدت أنها ستتمكَّنُ مِن فرض ذائقةٍ مُضادَّةٍ لسيرورةِ عُنفوان الذاكرة البَشريَّة، وأنه سيكُون بإمكانها مُناهَضَة خِطاب استنهاضيٍّ راسخ في «نونيه» المُنوِّنةِ بسحر القلمِ المَسَّاح لما يَسطرون. **المعنى**: واضحٌ من خلال السِّياق.

(٢) الحياض: الحَوْضُ مُجْتَمَعُ الماء، والجَمع أحواض وحِياض ||**المعنى**: واضحٌ من خلال السِّياق.

(٣) **المعنى**: البيت صيغة كلاسيكيَّة تستحضر وتُضاعِفُ جماليَّات الشعريَّة العربيَّة الآبِدَة؛ وعُمُوم المَعنى مَطروق: لأنَّ عيش الذليل ليس عيشة تستحقُّ العيش؛ ولا أرى ـ يستطرد الشاعر ـ في مَقتلة العِزّ نُقصاناً.

(٤) خَوَر: ضعف، واستكانة غير مُبرَّرة || إقران: الإقْرانُ؛ تعني قُوَّة الرجل على الرجل. يقال: أَقْرَنَ له إذا قَوِيَ عليه، وقصد بالمعنى قوَّة الجبال في مُصارعتها لشدائد الأزمات. [وردت في غالبية النسخ، وإحداهنَّ مُحقِّقة: «أقران»، وفي ذلك خطأ بيِّن في استواءِ القول ومعانيه]. **المعنى**: نُلاحِظُ بناءهُ عمود هذا البيت في صيغة المَجهول؛ فيما يقول: لم يُعهد بكم ضعف، وفي ذكر لفظة الضعف استنهاض خفيٌّ للشدَّةِ والقوَّةِ المُؤوَّلة والمُفسَّرة في عَجُز البيت: وللجبالِ على الأزمات ـ كيفما كانت ـ قوَّة قادرة على مُجابَهتها.

(٥) **المعنى**: في هذا البيت يدعوهم [كتائبَ الله] للقيام بمهمَّة المُحاماة عن حنيفتِهم التي اعتقدوا=

كَـتَـائِبَ اللهِ دِيـنُ اللهِ فِـي طَـلَقِ ... وَالـمَـشْـرَفِيَّاتُ فِي الأَيْـمَـانِ طَـلقَانُ[1]

كَـتَـائِبَ اللهِ لـم تُـخْـلَقْ نُـفُـوسُـكُـمُ ... لِكَـيْ يُـسَـخَّـرَهـا ذُلٌّ وَأَهْـوَانُ[2]

كَـتَـائِبَ اللهِ أَدْعُـوكُـم إِلـى شَـرَفٍ ... عُقْبَاهُ ـ إِنْ تَصْدُقِ النِّيَّاتُ ـ رِضْوَانُ[3]

كَـتَـائِبَ اللهِ يَـومَ الـهَـوْلِ عِـيـدُكُـمُ ... فَـمَـا لَكُـم لِبَـغِـيـضِ اللهِ عُـبْـدَانُ[4]

يـا غَـارَةَ اللهِ وَالأَحْـكَـامُ مُـرْمِـلَةٌ ... لَهَـا مِـنَ الـحُـزْنِ بِـالـتَّـعْـطِـيـلِ أَرْدَانُ[5]

=بصوابها، ضِدّاً على سائر الحَنيفيّات التي ادَّعتها؛ ليتنقلَ فجأةً من مُشاكَسة الحَنيفيّات المُدَّعاة في خطابات المَذاهب الأخرى إلى تلويث الخنازير والصُّلبانِ لها. **تلميح**: في اعتقادي أنَّ هذا البيت غير مُوفَّق ضمن نسيج الخِطاب، وإنْ وُجِدَ تبريرُه لحظة صياغة القصيدة، لكنَّهُ يبدأ بالحفاظ على حنيفيّةٍ يدَّعيها أكثر من مذهب؛ ليذهَبَ إلى تعميمٍ غير مُستساغ في جَمعه بين الخنازير والصُّلبان، وفي اعتقادي أنها مَثلَبة الشاعر حين يتخلى عن شاعِريّته الوقادة تطامُناً مع سِياقات خطابات قومه الشّائدة.

(١) طلَق: الطَّلَقُ بالتحريك: قيدٌ من جلود [وثمَّة فرْق بين الطَّلَق ـ وهو المعنى المُشار إليه ـ وبين الطلْق، بسكُون اللام؛ التي أوردها بعض الشرّاح، وفسَّرَها بـ«شدَّة الوِلادة!]، فالمقصود أنَّ الدِّين مُقيَّدٌ بقيد || المَشرفيّات: السُّيوف || الأيْمان: الحَلِفُ والقَسَمُ || طَلْقان: مطلوقة بلا رادع. **المعنى**: دينُ الله مُقيَّدٌ مأسور، بينما سُيوفُ أيمانِكم الغليظة مُطلَقة من إسارها.

(٢) أهوان: هانَ هُواناً، بالضم، وهَواناً ومَهانَةً: ذَلَّ، وهَوْناً: سَهُلَ، فهو هَيِّنٌ وهَيْنٌ وأهْوَنُ || يُسَخِّرها: سَخَّرَهُ تسخيراً: كلفه عملًا بلا أُجرة، وكذلك تَسَخَّرَه. وسخُره يُسَخُرُه سِخْرِيّاً وسُخْرِيّاً وسَخَرَه: كلفه ما لا يريد وقهره. **والمعنى**: واضح من السياق.

(٣) **المعنى**: واضح من السياق.

(٤) يوم الهَول: يوم القيامة. **المعنى**: المعنى يُستشفُّ من سياق البيت.

(٥) يا غارة الله: الغارة؛ هي الاسم من الإغارة على العَدوّ؛ وقد استخدمها الشاعر بصيغة النداءِ حَماسةً وشحذاً لهمم المُقاتلين في سبيل الله، لذلك دعاها: غارة الله، تمييزاً لها عن سواها من الغارات، ورجلٌ مِغْوار بيّن الغِوار: مقاتل كثير الغاراتِ على أعدائِه، ومُغاورٌ كذلك؛ وقومٌ مَغاويرُ وخيل مغيرة، وفي حديث عليّ: قال يومَ الجمل: ما ظَنُّكَ بامرئٍ جمعَ بين هذين الغارَيْنِ؟ أي الجَيْشين || مرملة: المُرْمِل: الذي نفد زاده، سمِّي بذلك لأحدِ شيئين، إما لِرِقّة حاله، وإمّا لِلْصُوقِه بالرَّمل من فَقْره. أما المِرْمَل؛ فهو: القيد الصغير، ونعتقد بصحّة المَعنيين تثنيةً وإفراداً، إضافة إلى ظِلال معناها الشائع: ورجل أَرْمَل وامرأة أَرْمَلة: محتاجة، وهم الأَرْمَلة والأَرامِل والأَرامِلة، لكننا لا نستصوبه معنى يُعَوَّلُ عليه في تفسير: والأحكام مُرمِلة، ونميل إلى الأولى: أي نفاذُ زادها المُعطَّلِ لإنفاذها || التعطيل: هو التفريغ، وتعطيلُ الحُدود: أن لا تُقام على من وَجَبَتْ عليه || أردان: الرُّدْنُ، بالضم: أصل الكُمّ. يقال: قميص واسع الرُّدْن. ابن سيده: الرُّدْن مقدّم كمّ القميص، وقيل: هو أسفله، وقيل: هو الكمّ كله، والجمع أَرْدانٌ وأَرْدِنَة. **المعنى**: يتحول نداؤه المُحرِّض ابتداءً من هذا البيت؛ لتصبح: يا غارة الله، وهو يستغيث بها لتعطيل الأحكام=

يـا غَـارَةَ اللهِ وَالـحُـرُّ الـغَـيُـورُ لَهُ ... صَـدْعٌ وَمـا أَذِنَـتْ لِلصَّـدْعِ آذانُ[1]

يـا غَـارَةَ اللهِ نَـحْـزَى فِـي دِيَـانَـتِـنـا ... أَلَيْسَ عَاراً وَحَامِي الدِّينِ خَزْيَانُ[2]

يـا غَـارَةَ اللهِ نَـحْـيَـا كَـالـبَـلِيَّـةِ فِـي ... عِـقـالِ سُـوءٍ وَمَـا بِـالـرِّجْـلِ عُـقْـلانُ[3]

يـا غَـارَةَ اللهِ كَـمْ نَـرْضَـى مَـهَـانَـتَـنـا ... وَالـسَّـيْـفُ يَـرْفَـعُ أَقْـوَاماً وَإِنْ هَـانُـوا[4]

أَيْـنَ الـعَـزَائِـمُ؟ أَيْـنَ الـنَّـخْـوَةُ انْـتَـقَـلَـت ... أَيْـنَ الـحِـفَـاظُ؟ وَأَيْـنَ الـعِـزُّ وَالـشَّـانُ؟[5]

أَيْـنَ الـشَّـكَـائِـمُ فـي الإِسْـلامِ؟ مَـا فَـعَـلَـتْ ... أَظُـنُّـهَـا مَـعَ آبَـاءٍ لَـنَـا بَـانُـوا[6]

سَـلُوا الـقُـبُـورَ الـتـي ضَـمَّـتْ أُصُـولَـكُـمُ ... هَـلْ وَاطَـنُـوا الـذُّلَّ؟ أَم فِـي دِيـنِـهِـم هَـانُـوا[7]

رَبُّـوا لَـكُـم بِـالـظُّـبَـا وَالـسُّـمْـرِ مِـلَّـتَـكُـم ... وَأَنْـتُـمُ الآنَ تُـجَّـارٌ وَرُهْـبَـانُ[8]

=وحُدودها المُرْمِلَةِ لنفاد زادها واحتياجها إلى من يُسندها بإقامتها بعد تعطيلها حتى طالت أردانها لشدَّةِ حُزنها من التعطيل.

(١) صدع: صَدَع بالحقِّ، إذا تكلَّمَ به جهاراً، فأصابَ بالقول موضِعَه قال سُبحانَهُ لنبيِّه عليه السلام: فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ، أما الصَّدع الثانية فتعني: شقّ صُفوف العدو وتفريقهم. المعنى: الحُرُّ الغيور إذا نطق بالحق لم يجد منكم آذاناً صاغية تُؤذِنُ بشقِّ صُفوف الأعداء.

(٢) نخزى: نُذَلُّ ونُهان || المعنى: واضح من السياق.

(٣) البَلِيَّة: والبَلِيَّة الناقة أو الدابة التي كانت تُعقَلُ في الجاهلية، تُشدّ عند قبر صاحبها لا تعلف ولا تسقى حتى تموت، كانوا يقولون إن صاحبها يحشر عليها || عقال: الحَبلُ يُعقلُ به البعير || عُقلان: قصد بها ما يَعقل الرِّجل. المعنى: وها نحن نحيا كالناقة المشدودة إلى قبر صاحبها دونما عِقالٍ يشدنا سوى تخاذلنا وتشتتنا.

(٤) المعنى: وإلى متى ـ يا غارة الله ـ نرتضي مهانتنا؛ والسَّيفُ مِشعاعٌ برَّاق يرفعُ أقواماً وإن ذلُّوا واحتُقِروا.

(٥) النخوة: العَظَمَة والكِبرُ والفَخرُ وإباء النفس || الحِفاظ: العهد ورعاية الحُرمَة شرفاً ونسباً. المعنى: أين عزائم القوم؟.. وأين النخوة انتقلت؟.. أين حِفاظ القوم المعهود؟.. وأين العِزُّ ومُرتَقى الشأن؟

(٦) الشكائم: إباء النفس وقوّة القلب || بانوا: بعدوا. المعنى: ويا له من أمر غريب! أين إباءُ الأنفُس وحِفاظها على الإسلام؟.. يبدو أنها قد رحلت مع الآباء الرَّاحلين.

(٧) المعنى: واسألوا قبور أسلافكم الضَّائعةِ لأصولكم: هل استمرأوا الذلَّ مثلًا؟.. أم أنهم ـ لا سمح الله ـ هانوا في دينهم؟

(٨) الظبا: السيوف || السُّمر: الرِّماح || مِلَّتكُم: مُعتقدكُم. المعنى: احتضنوا تلك المِلَّة وربَّوها=

تَـرَكْـتُـمُ سُـنَّـةَ الأسْـلافِ مُـطْـرِقَـةً ... وَلا يُـؤَنِّـبُ بِـالإطْـرَاقِ خَـجْـلانُ[1]

تَـمْـشُـونَ هَـوْنـاً كَـأَنَّ الـزُّهْـدَ أثْـقَـلَكُـم ... وَأنـتُـمُ بِـهَـوَانِ الـنَّـفْـسِ ثُـقَـلانُ[2]

أَمَـا يُـحَـرِّكُـكُـمْ إنْ قَـالَ نَـاصِـحُـكُـم: ... الأصْـلُ كَـاسٍ وَفَـرْعُ الأصْـلِ عُـرْيَـانُ[3]

أَقُـولُ لِلبَـعْـضِ مِـنْكُـم، وَهُـوَ عَـنْ أَسَـفٍ ... وَالـحُـرُّ يَـأسَـفُ لـلأحْـرَارِ إنْ شَـانُـوا[4]

قَـدْ كُـنْـتَ نُـخْـبَـةَ هـذا الأمْـرِ مِـنْ قِـدَمٍ ... وَالـيَـوْمَ أَنْـتَ عَـلَـى الأبْـوابِ دُبَّـانُ[5]

=بسيوفهم ورماحهم، لكنكم اليوم لستم سوى تجّار ورهبان تتاجرون بالقضيّة، كُلٌّ على طريقته: مَن عُنِيَ بالمال ولم يدفع منه ما استوجبته دولة الإمامة، ومن عُني بالتنسك الزائف دون أن يكون مُفيداً لهذا الشأن.

(١) مُطْرِقَة: خافضة الطرف || الإطراق: غضُّ البَصَر والسُّكوتُ خوفاً أو خجلًا. **المعنى**: وتركتم سُنَّة أسلافكم خجلة منكم ومن أفعالكم. لكن هل ألومكم؟.. فغضُّ بصركم حياءُ كافٍ لكم.

(٢) هَوناً: سكينةً ووقاراً || الهَوَان: الخِزي. **المعنى**: تمشون في الطرقات منفوخين بسكينة زهد زائف، لكن حقيقتكم هي أنكم مُثقلون بهوان أنفسكم.

(٣) كاسٍ: مُكتسٍ بثوب العِزّ || عُريان: ضدّ الكاسِي؛ وأصلُها: العُرْيانُ من النَّبْتِ الذي قد عَرِيَ عُرْياً إذا اشْتَبَانَ لك. **المعنى**: أما يُحرِّكُ نفوسَكُم الصَّدِئة إنْ قال لكم الناصِح: أصلُ شجرتكم مَكسُوٌّ بالمجد والشرف؛ لكنَّ فرعَه عُريانٌ للأسف؟ **تلميح**: طالما اعتبر الشاعر نفسه ناصحاً لقومه مُعبّراً عنهم، وقد قصد نفسه بالناصح المُشار إليه في البيت، وهي أبيات، في مجموعها، مُوجّهة لأولئكَ الذين تكأكأوا عن مُناصرة دولة الإمامة بشتى الذرائع والحُجج التي فضحتها النونيّة.

(٤) شانوا: عكس زانوا. **المعنى**: ابتداءً من هذا البيت يُخاطِبُ أبو مُسلم ـ خطاب مَلامَة المُحِبِّ الآسِفِ والأسِيف ـ مُعاتِباً ابن العالم الرَّباني سعيد بن خلفان الخليلي طوال الـ ٤٢ بيتاً القادمة؛ عبدالله بن سعيد بن خلفان الخليلي [والد الإمام محمد بن عبدالله الخليلي] لزعلِهِ غير المُبرَّر مِنْ مُبايعَةِ الإمام سالم بن راشد الخروصي، مُفصِحاً بشلوكِهِ المُتصِف ـ كما يرى الشاعر ـ بنُزوع قَبَليٍّ صِرف، دَعَاهُ لمُوالاةِ السَّيد فيصل بن تركي سُلطان مسقط، آنذاك. ورغم قسوة الخطاب في نبرته الهجائيّةِ القادحة، إلّا أنَّ الشاعر يُبيِّنُ ويُبينُ عن مَوقفه؛ فيما يدعوه لتغيير بوصلته للوقوفِ كأبنائه وسائر مَعشر الخليليّين المُرابطين في صَفِّ الإمام المُبايَع، مُؤكِّداً لهُ أنَّ «ظُنونَ المُسلِمين فيكَ عاليةٌ»، داعياً الشيخ إلى تطهير ثوبه وغسل يديه ـ كما سيرد في الأبيات اللاحقة ـ من أدران المطامع التي ورَّطَتهُ، ولا تليق بمَكانته. **المعنى**: أقولُ للبَعضِ مِنكم قولًا يُؤسِفني اضطراري لقوله عن أسفٍ بالغ، فالأسباب التي دَعَتني لإيراد ما قد يبدو خارجاً عن اللياقةِ في الأبيات اللاحقة، مرجعه ببساطة أنني شاعِرٌ حُرٌّ آسَفُ للأحرار إنْ شانوا، وشانت أفعالهم ومواقفهم.

(٥) **المعنى**: وأسفي مِنْ شَيْنِ فَعْلَتِكَ اللامُستساغة لهُ ما يُبرِّرُه: فقد كنتَ في صَفوةِ النخبَةِ المُختارين للتضامُنِ ـ في أقلِّ القليل ـ تطامُناً مع سُلوكِ الأخيار من قومِك (وعلى رأسِهم المَرحوم والدك=

مَاذا تَقُولُ إذا كُنتَ ابْنَ بَجْدَتِها ... وَالأَصْلُ مَعْرِفَةٌ وَالفِعْلُ نُكْرَانُ[1]

طَالِعْ صَحِيفَةَ مَجْدٍ أَنْتَ وَارِثُهُ ... إنْ كَانَ فِيهَا مَجِيدُ القَوْمِ خَوَّانُ[2]

إذا تَنَكَّرْتَ لِلإِسْلامِ عَنْ حَسَدٍ ... فَاسْأَلْ أَبَاكَ وَلِيَّ اللهِ: مَا الشَّانُ؟[3]

يُخْبِرْكَ أَنَّكَ قَدْ فَارَقْتَ خِطَّتَهُ ... وَأَنَّهُ لِلذِي فَارَقْتَ حَسْرَانُ[4]

=العَلامَة سعيد بن خلفان الخليلي)؛ فكيفَ تريدُ مني أنْ أُنصِفَكَ بعد أن زيَّن لك إبليسُ فعلتك ما تزيَّنَ لك؛ حدَّ أنكَ لم تتبِه لموقفك المُخالف للإجماع، لتظهَرَ بين قومِكَ صاغِراً مُتصاغِراً كالذباب الحَوَّامِ على أبوابِ اللؤمَاء، وقصد بذلك انضمام الشيخ عبدالله إلى حلف سلاطين مسقط المسؤولين مباشرة عن مقتل والده الورع. **تلميح تفصيلي**: في كتابه: «عُمان؛ الديمقراطية الإسلامية ـ تقاليد الإمامة والتاريخ السياسي»، يُورد حسين غباش الأحداث التالية، إثر سقوط إمامة عزان بن قيس التي كان العلامة سعيد بن خلفان الخليلي أباها الرُّوحي ومُنظِّرَها الدِّيني: «بعد شهر من قبول الخليلي الخروج من القلعة، حيكت مؤامرة ضده وضد ابنه [محمد]، واستُدعي الشيخ الخليلي إلى مُقابلة مع السلطان تركي الذي أعلمه، كما يقول السالمي، بغضبه، وقال له: أخرجتمونا من أوطاننا وفعلتم وفعلتم...، فرد الشيخ: ما فعلنا إلّا ما تقتضيه الشريعة. فما كان من السيد تركي إلّا أنْ أمر بتقييده مع ابنه وإيداعهما سجن الجلالي. وفي صبيحة ١٦ فبراير ١٨٧١م أعلنت وفاة الخليلي، وفي ١٧ فبراير أعلنت وفاة ابنه محمد. وفتح الميجر واي، الذي كان قد رتَّبَ المُفاوضات ورعاها وحصل على ثقة الشيخ الخليلي، تحقيقاً رسميا حول الموت الغامض لهذا العالِم وابنه. وتُبيِّن الوثائق الرسمية البريطانية أن الشيخ وابنه عوملا معاملة سيئة وضُربا حتى الموت، ثم دُفنا في قلعة الميراني. كان التبرير الرسمي للسلطة العُمانية أنَّ موت الخليلي وابنه نجم عن «الإسهال والخوف». أما الميجر واي الذي عرف الحقيقة فقد صُعِق من هذا التبرير؛ وتحسُّساً منه بمسؤوليته الأدبيّة، لم يكن منه إلّا أن وضع المُسدَّس في رأسه وانتحر».

(١) ابن بَجْدَتِها: رَبيب عِلمِها وعُمدته. **المعنى**: ما الذي لديك لتردَّ به؟.. وأنت ربيب العِلم وعُمدته، لكنَّ الأصل ـ كما بدا لي ـ مَعرفة وفعلكَ نُكرانٌ لا أجد لهُ تبريراً، لا سيَّما مُوالاتُكَ لقتلةِ والدك العالم الجليل.

(٢) **المعنى**: ولا تظُنَّنَّ أنَّ أبا مُسلم يَهجُوكَ جُزافاً؛ بل طالع صحيفة مَجدِك الذي ورثته؛ وبالتأكيد ستكتشف في تلك الصحيفة الناصعة بأمجادِ أجدادكَ، خُلوَّها مِنْ الخَوْنِ والخَوَّان، ودَعْ عنكَ نُصحَ أبي مُسلِم الوفيِّ لأنسابك وأحسابك؛ وإنْ بَدا لكَ في ظاهِرِهِ عِتاباً أو هِجاءً.

(٣) **المعنى**: وإذا تنكَّرتَ للإسلام عن تحاسُد قَبليٍّ مَذموم ـ لأنَّكَ لم تُبايِع، بعد اختيار المُسلمين التقيّ الوَرع سالم بن راشد الخروصي ـ فاسأل أباك المُتولِّى مِن الله وكافة المُسلمين؛ وستجد الجواب عنده، لأنهُ أعلمُ مِنكَ بالشأن، ومِنْ مُعايَبَتِكَ أبي مُسلِم الذي هجاك حُبّاً في والدك العالم الرَّباني الشيخ سعيد بن خلفان وأخيك أحمد بن سعيد الذي كان زميلي وأخي الرُّوحي.

(٤) **قارفت**: قارَفَ الذنبَ وغيرَه: داناهُ ولاصَقَهُ. **المعنى**: وإن تَفيَّئْتَ وسَألتهُ مُناجياً رُوحَهُ الطاهرة في=

أبَعْدَ شَيْبِكَ فِي الإسْلامِ تَفْعَلُها؟ ... يَبْكِي الخَلِيلُ لَهَا وَالحَبْرُ شَاذَانُ[1]

أحْسِنْ عَزَاءَكَ مِنْ عِلْمٍ وَمِنْ عَمَلٍ ... وَأنْتَ لِلطَّمْعِ المَرْذُولِ نَجْرَانُ[2]

أيْنَ السَّوَابِقُ يا قَمْقَامَهَا طُوِيَتْ ... أعَاذَكَ اللهُ طَاوِيهِنَّ شَيْطَانُ[3]

أسَاءَكَ العَدْلُ إذْ قَامَتْ بِهِ فِئَةٌ ... لَهَا مَعَ اللهِ أقْدَارٌ وَأوْزَانُ[4]

ألا تَكُونُ لَهَا قُطْباً تَدُورُ بِهِ ... هَلْ أنْتَ عَنْ قُطْبِهَا المَعْهُودِ غَفْلانُ[5]

=قبره؛ سيخبرُكَ أنكَ قد فارقتَ خطّته، وأنَّهُ مُتحسِّرٌ لما اقترفتَهُ من ذنب في حَقِّ جَلالِهِ المَهدُور، قبلَ حُقوقِ الإمامَة التي جانبتها وأعلنت عليها حربَكَ الضروس.

(١) الخليل: قصد به الإمام الخليل بن شاذان الخروصي، وقد بُويع في القرن الخامس الهجري، وكان من الأئمة الأبرار التقاة || الحَبر: العَلّامَة البَحر؛ وهو تعبيرٌ ذو أصول يَهوديّة يصفُ رُهبان اليَهُود، لم يستنكِف العَرَبُ من استخدامهُ مشفوعاً بذات دلالات الرَّهْبَنة || شاذان: هو شاذان بن الإمام الصَّلْت بن مالك الخروصي. **المعنى**: أمرُكَ مُحزنٌ ومُلهِبٌ لأوار القلوب. أتفعلُ مثل هذه الفعلة بعد شيبك تقياً ورعاً في الإسلام؟.. إنها والله، لَفَعْلَةٌ شنيعَة، تُبكِي الإمامَين الخليل وشاذان في قبريهما. **تلميح**: نلاحِظ في عِتاب الشاعر المُحِبِّ الغيُور على دينه اختيارَهُ لبحري العُلوم الإمامين الخليل وشاذان الخروصيَّين في سِياقِ عتابِهِ للشيخ؛ ولا يخفى الإضمار المُزدَوج لاسم الإمام «الخليل الخروصي» في مُعاتبةِ الشيخ «عبدالله الخليلي»، وهي ـ لعَمْري ـ أُنعولَةٌ شِعريَّةٌ مِن الطراز الرَّفيع المُمَنَّق، لا يبدو أنَّ الشاعر تقصَّدَ مِنْ إيرادِها مَزيداً من اللُّوم المُضمَر في حَشِيَّات القول؛ بل الحَثّ البَراء كي يُراجع الشيخ مَواقِفه التي لم تستند لاشتراط وشيجَةِ الزَّعامتين: القبليّة والدينيّة.

(٢) نَجران: النَّجْرانُ؛ هي الخَشَبة التي تَدُور فيها رِجْل الباب؛ ويُقال لأنف الباب الرِّتاج، ولِدَرَوَنْدِه النَّجْرانُ، ولِمِتْرَسه القُفّالُ والنِّجافُ؛ وقال ابنُ دُرَيْد اختصاراً: هو الخشبة التي يَدُور فيها. أما المَنْجُور ـ كما يُوضِّحُ ذلك ابن منظور في لسان العَرَب، فهو: المَحالةُ التي يُثنى عليها؛ وهو تعبيرٌ عُمانيٌّ صَميمٌ من الذيوع والشيُوع بمَكان. **المعنى**: واعذرني أيها الشيخ؛ فقد حُقَّ لنا أن نُقدِّمَ لك العزاء لفقدك أعزَّ ما ملكت: العِلم والعمل؛ بعد ضعفك للطَّمَع المرذول تدورُ فيه وحوله كما يدور البابُ على خشبَتِهِ الدَّوارةِ دَوْرَةً إثر أخرى في مقامات الفُتوح والغلق.

(٣) القَمْقام: البَحر والماءُ الكثير، والسيِّد الكثير الخير الواسع الفضل. **المعنى**: يُذكِّرُهُ في مُرتَبَع عِتابه قائلًا: وأين سوابقك المَحمودَة؟ يا سيِّد القوم ويا بحرهم كَرَماً.. هلْ طُويت؟ أم أنكَ لا تدري! لأنني أعرفُ جيدا أنَّ الشيطان هو من طَوى فضائلَك المَحمودة تلك.

(٤) **المعنى**: هل استأت من العَدل واشتراط عدالته؟.. تلك العدالة التي أخلصت لها فئة ما همَّها رِثاث الدُّنيا الذي استبدلتهُ هِمَمُها بأقدار بديلة، وأوزان مُثقِّلَة العِيار في كَفَّةِ مِيزانِ العَليِّ القدير؟...

(٥) قُطب: بُؤرة ومِحوَر زعامَة. **المعنى**: لم لا تكون قُطباً مِحورياً في إمامة سالم بن راشد؟.. كما كان أبوك قطب إمامةِ عزان بن قيس؟.. ألا يكفيك مَجدٌ كهذا؟.. وهل أنت غافلٌ عمّا فعله المرحوم والدك، قطب إمامة عزان بن قيس.

أَظُنُّ عَهْدَ الشَّهِيدَيْنِ اللَذَيْنِ هُمَا ... يَسْتَنْصِرَانِكَ قَدْ أَعْفَاهُ نِسْيَانُ[1]

أَبْعَدَ أَحْبَارِكَ الأَبْرَارِ تَنْسِفُهَا؟ ... وَأَنْتَ فِي بَحْرِهَا دُرٌّ وَمَرْجَانُ[2]

بَنَيْتَ قُبَّةَ إِيمَانٍ وَتَهْدِمُهَا ... للهِ! هَلْ بَعْدَ هَذَا الهَدْمِ بُنْيَانُ[3]

نَظَرْتَ «أَحْمَدَ» حَتَّى حَلَّ مَسْكَنَهُ ... فِي الخُلْدِ مِنْ حَوْلِهِ حُورٌ وَوِلْدَانُ[4]

وَصَارَ عِنْدَ أَبِيهِ فِي حَظَائِرِ قُدْ ... سِ اللهِ، حَظُّهُمَا فَوْزٌ وَرِضْوَانُ[5]

عَدَوْتَ تَنْقُضُهَا مَثْنَى وَوَاحِدَةً ... وَكُلُّكُم فِي مَقَامِ الفَضْلِ صِنْوَانُ[6]

وَقُلْتَ: شَأْنُكَ مِنْ بَابِ السِّيَاسَةِ فِي ... دَفْعِ الأَجَانِبِ، لا بَغْيٌ وَعُدْوَانُ[7]

---

(١) **المعنى**: لكنْ؛ يبدو أنكَ نسيت عهد الشهيدين؛ أبيك وأخيك محمد، لذلك قمت بما قمت به في حق هذه الإمامة الوليدة.

(٢) أحبارك الأبرار: أجدادك الأبرار، والتلميح إلى والده الشيخ سعيد بن خلفان || تنسِفها: تطعنها، وهو ما قصده الشاعر في اعتقادنا، فالنَّسف أيضاً يعني القلْع، ولا بأس بها معنى يردف المعنى ويرادفه. **المعنى**: أبعد أحبارك الأبرار (وآخرهم المرحوم والدك)، وقبله كثيرون بالطبع في مسارات نضال الإمامة؛ تنسفها نسفاً؟.. رغم أنكَ لؤلؤة مكنونة في بحرها الهادر بعدالةِ السماء والأرض.

(٣) **المعنى**: لقد بنيتَ قُبّة إيمان طوال عُمرك، وتأتيها اليومَ هادِماً؟.. للهِ الله! هل بعد هدمِكَ لقُبّةِ إيمانك؛ يقوم بُنيانٌ على أنقاضها.

(٤) نظرت: بمعنى انتظرتَ. نَظَرْتُ فلاناً وانْتَظَرْتُه بمعنى واحد، فإذا قلت انْتَظَرْتُ فلم يُجاوِزْك فعلك فمعناه وقفت وتمهلت || أحمد: هو الشيخ أحمد بن سعيد بن خلفان الخليلي [أخو الشيخ المُعاتَب في الأبيات، وقد كان صديقاً للشاعر، خصَّهُ ببيتٍ سابق في نفس القصيدة: أرتاحُ فيها إلى جَلٍّ فينهَرني | صِدقٌ وقصدٌ ومعروفٌ وعِرفان]، وقصد الشاعر أنكَ انتظرت رحيله لتفعل فعلتك. **المعنى**: لقد انتظرت رحيل أخيك [قصد أخاه الثاني أحمد زميل الشاعر الذي فُجِعنا برحيلِهِ المُبكِّر إثر سقوطه في فلج نتيجة لإصابته بالصَّرع]، لكنْ لا تخف عليه؛ فقد حلَّ، [هُوَ الآخر كأبيك وأخيك محمد]، مَسكنه الأخرويّ في جنان الخلد؛ تحيطُ به الحور العين والولدان المُخلدون.

(٥) **المعنى**: وانتظرت أخاك أحمد [لتقوم بشنعتك]، حتى صارَ في جنان الخلد مع أبيكما العالم الرَّباني سعيد بن خلفان وأخيه محمد في حظائر قُدس الله؛ حيثُ الفوز والرضوان حظُّ الثلاثة. **تلميح هُماني قح**: يعني! خرجْت حتى انزلقت قدم أخي وأخيك المَصروع في الفلج، لتفصح عن نواياك المُبيّتة تجاه ما بناهُ أبوكُما الحَبر العلامة سعيد بن خلفان الخليلي، مُنظِّر ثورة وإمامة عزان بن قيس؟

(٦) عدوت: ركضت || صِنوان: نظيران. **المعنى**: ولم تكتفِ بذلك، بل ركضت لاهثاً لتنقض الفضيلة مثنى وثلاث، مُتناسِياً أنكُم جميعاً [أنت وأخوك الشيخ أحمد] نظيران في مقامات المجد الرفيع المُكتسب من والدكما المغدور...

(٧) **المعنى**: وحين تساءل المُحبُّون لكُم ولعائلتكم الفاضلة؛ رددت عليهم قائلًا: أنهُ أمرٌ من شؤون=

تَسُوسُهَا أَنْتَ؟ وَالإِيمَانُ يَشْرُكُهَا ... مَا قَامَ - عَمْرُكَ - فِي دَعْوَاكَ بُرْهَانُ[1]

سِيَاسَةُ اللهِ فِي القُرْآنِ كَافِيَةٌ ... وَمَا يَزِيدُ عَلَى القُرْآنِ نُقْصَانُ[2]

فَارْجِعْ إِلَى اللهِ وَانْظُرْ فِي سِيَاسَتِهِ ... فَأَنْتَ مِنْ مَشْرَبِ القُرْآنِ رَيَّانُ[3]

مَاذَا رَأَيْتَ أَبَاكَ الطُّهْرَ يَصْنَعُ فِي ... سِيَاسَةِ الدِّينِ لَمَّا قَامَ «عَزَّانُ»؟[4]

أَنْتَ الشَّهِيدُ عَلَى إِشْرَاقِ سِيرَتِهِ ... وَلِلبَصَائِرِ بِالمَشْهُودِ إِيقَانُ[5]

أَفِي إِمَامَةِ حَقٍّ بَعْدَ مَا ثَبَتَتْ ... بِحَقِّهَا؛ أَنْتَ - يَا ذَا اللُّبِّ - حَيْرَانُ؟[6]

لا عُذْرَ، لا عُذْرَ. فِيهَا حُجَّةٌ قَطَعَتْ ... عُذْرَ الخِلافِ، لَهَا فِي الدِّينِ تِبْيَانُ[7]

=السِّياسةِ هدفه البعيد دفع الأجانب، وليس بغياً وعدواناً على أبناء جلدتك ومِلَّتِك. هل تضحكُ عليَّ وعليهم بمثل هذا الرَّد يا شيخ عبدالله؟ **تلميح توضيحي**: كيف تُبرِّرُ لنا تاريخياً أنَّ منبع تصرفك هو دفع [الأجانب] الإنكليز؟.. في حين أنك تعلم أنهم المُسيطرون على سلاطين مَسقط (الوطنيين نسبيّاً)، والغاضبين في دواخلهم من تسلُّط الإمبراطوريَّة البريطانيَّة على مُلكِهم المَحدود؟.. هل تضحكُ علينا بتبرير كهذا؟

(١) **المعنى**: وتأتيني بعد ذلك، لتدَّعي أنكَ تسوسُها بالحكمةِ والكياسَة والسِّياسَة والرِّياسَة؟ ضاحكاً على ذقوننا التي ابيضَّتْ شَعراتُها أسَى وتأسُّفاً عليك؟.. مُبرِّراً لنا قبيح فعلك بأنَّهُ سياسة حكيمة في دفع الأجانب، وليس بغياً على هذه الإمامة وعُدواناً عليها؟.. بالله عليك! كيف لنا أنْ نُصَدِّقك؟.. ولو صدَّقناك، جَدَلاً يا شيخ عبدالله، كيفَ لنا فهم المُعادلة حين تتركها كفتها الأخرى: ميزان الإيمان؟

(٢) **المعنى**: سأختصرُ لك القول: تكفينا سياسة الله في كتابه؛ فما زاد على القُرآن نقصان بيِّن، مهما تذرَّعتَ بذرائعك الواهيةِ في نظر الأُمَّة.

(٣) **المعنى**: ودعك يا شيخ من تأويل الأمور، وارجع البَصَرَ كَرَّتين، لتنظر إلى الله في سياسته التي لا يَتفوَّق عليها سائسُ قوم؛ لأنَّكَ - في تأصيل القول والعِتاب - رَيَّانٌ من مَشرَبه العَذب.

(٤) **المعنى**: ولك مِثالٌ في الأمر من ضلعك شحماً ولحماً؟.. فما الذي فعله أبوك الطاهر [الشيخ سعيد بن خلفان] في (سياسة الدِّين) حينَ قامت إمامة عزان بن قيس؟.. تفكَّرْ في الأمثولة، وبعدها أجبني ورُدَّ على أبي مُسلم، الذي اضطرَّتْهُ ليكونَ هَجَّاءً في نونيَّته...

(٥) **المعنى**: وأنتَ، قبلَ سِواك، شهيدٌ على إشراق تلك السِّيرَة الجليلة لأبيك، وما نعرفهُ ونعهده أنَّ البَصائرَ [حين تتفكَّرُ بصيرتُها في الأمر]؛ تُوقِنُ وتُؤمِنُ به.

(٦) **المعنى**: أيُعقلُ، أيُّها الفطِن، أن تَحارَ في إمامة حَقٍّ [لم تُثبِّتْ أركانُها ظلماً]، بل ثبتتْ بحَقِّها الدامغ المشهود، لتدَّعي حَيرتكَ في أمرها؟.. وكيف تريدُ [استرسالاً في الخطاب] من أبي مُسلم المَنفيِّ في زنجبار أنْ يُصدِّقَ تغابي فِطنتك تلك! ما أعجب أمركَ يا شيخنا.

(٧) **المعنى**: عفواً! لا عُذر لك لتتعذَّر به أمامنا، لأنَّ حُجَّة طهارة الإمامة كامِنة في أركانها التي قطعت=

فَمَا انْحِرَافُكَ عَنْهَا بَعْدَ مَا وَجَبَتْ ... إلّا خُرُوجٌ عَلَيْهَا وَهُوَ عِصْيَانُ[1]

أَبَعْدَ سِتِّينَ عَاماً! عِشْتَ تُنْفِقُهَا ... لِلهِ وَالحَمْدِ؛ أَنْتَ اليَومَ خُسْرانُ[2]

فَاتْبَعْ إِمَامَكَ وَالْزَمْ غَرْزَ سِيرَتِهِ ... وَدَعْ هَوَى النَّفْسِ، إِنَّ النَّفْسَ شَيْطَانُ[3]

وَصُنْ بَقِيَّةَ هَذا العُمْرِ فِي كَيَسٍ ... فَإِنَّ دَهْرَكَ ـ لَوْ فَكَّرْتَ ـ كَيْسَانُ[4]

فَارَقْتَ عِزَّتَكَ العَلْيَا إِلى طَمَعٍ ... حَتَّى لَقَدْ قَالَ أَهْلُ السُّوءِ: سَاسَانُ[5]

=عُذر الخلاف حولها، لأنَّ لها في الدِّين وُضوحٌ وتبيان. وثمة إشارة ضمنيّة إلى قوله عز وجل: «وأنزلنا عليكَ الكتاب تِبياناً لكلّ شيءٍ»؛ أي بيّن لك فيه كلُّ ما تحتاج إليه أنت وأمّتُك من أمر الدِّين.

(١) **المعنى**: بعد أن بيّن له بالأدلة القاطعة تداعِي موقفه الذي ادّعاه، يقول له: انحرافك عنها [أي الإمامة]، بعد وُجُوبها شرعاً عليك وعلى كافة المُسلمين؛ خروجٌ عليها، وهو في نظرنا عِصيانٌ واضحٌ لا تُساوِمُ في تأويلِهِ، مهما كان مَختدُك.

(٢) **المعنى**: أبعد ستين عاماً أنفقتها لله وفي الله حمداً على نعمته أنت اليوم خُسران. [وردت في كافة النسخ: خَسْران ـ بفتح الخاء ـ لكننا نميلُ إلى ضَمّها، ليصير المعنى المُرادُ من الشطر الثاني: للأسف؛ أنتَ خُسرانٌ على هذا الدِّين، في نهاية تطواف القول].

(٣) **غرز**: الغَرْزُ رِكابُ الرَّحْل، وقيل: ركاب الرحل من جُلود مخروزة، فإذا كان من حديد أو خشب فهو رِكابٌ، وكل ما كان مِساكاً للرِّجْلَين في المَرْكَب غَرْزٌ. مِنهُ حديث أبي بكر أنه قال لعمر، رضي الله عنهما: اسْتَمْسِكْ بغَرْزِه أي اعتلق به وأَمسِكْه واتَّبِعْ قولَهُ وفعلَهُ ولا تُخالِفْه؛ فاستعار له الغَرْزَ كالذي يُمسِكُ بركاب الراكب ويسير بسيره. **المعنى**: وخلِّيك من هذا الكلام؛ والزمْ ما ثبت من غرز سيرة إمام المُسلمين هذا، ودعْ عنك هوى النفس، لأنَّهُ، ولأنَّها شيطانٌ مُبين تكاثفَ أحدهما على الآخر.

(٤) **المعنى**: الكَيْس: خِلاف الحُمق؛ وقصد بها رزانةُ العَقلِ وزيته || كَيْسان: غدَّار؛ فقد كانت بنو فَهم تسمِّي الغَدْرَ: كيسان. **المعنى**: لقد بلغت السِّتين من العُمر، وبِتلك أحرى به أن يصون المُتبقي من عُمُرِه فيما تشترطه الرَّزانة والحكمة والموعظة الحَسنة؛ لأنَّ الدَّهر ـ دهرك ودهر أبي مُسلم ـ غدَّارٌ بطبيعته الأزليّة.

(٥) **ساسان**: مُفردَة مُتداولَة في المنطقة الداخلية من عُمان للتعبير [المُلطَّف اجتماعياً] عن النَّوَر، أي: (الزُّطّ)، وهُم قومٌ جَبَليُّون كانوا يحتلون مرتبة دنيا في التراتب الاجتماعي، آنذاك. [أخطأ بعض شُرّاح النُّونيّة في تفسيرهم لساسان: «أي ذو سياسة ومعرفة بالأمر، كأنك من آل ساسان ملوك الفرس، وبطبيعة الحال وبدهيّة المَوقف، فالمَقصدُ هو الذمُّ، لا المَديح]. **المعنى**: في هذا البيت يبلغ البهلاني أقصى ومُنتهى غايات عتابه للشيخ عبدالله [مذموم نُونيّته]؛ الذي التجأ لسلاطين مسقط، آنذاك، طلباً لبَهْبِلِهم الأصائلِ مِن الضآلة ذاتها؛ مُتناسياً مكانته ومكانة أبيه المُتقدِّسَةِ لدى كافة العُمانيين، كما هي لدى الشاعر. لكنَّنا نلحظ في البيت كياسَة الشاعر تجاه الخليليّين الذين علَّمُوهُ واعترافه بفضلهم عليه [وهو الرَّواحي المُنضوي إلى قبيلة بني رواحة القاطنة في سمائل]، لكنها في=

لِلمُسْلِمِينَ ظُنُونٌ فِيكَ عَالِيَةٌ يَا ابْنَ المَعَالِي، وَهُنَّ اليَومَ خَيلانُ[1]

=حقيقة الأمر قدحٌ وَضّاح في الشيخ المذموم، تعمّد أبو مُسلم ألّا يأتي على لسانه؛ ليكون التعبير المُتواري في ظِلال التلميح: «حتى لقد قال أهل السُّوء ساسانُ»، وقصد بذلك: أنَّ أهل السُّوء صاروا يقولون عنك لكثرة تطلابك بأنك «ساسان»؛ وهي مُفردة شعبية كانت تطلق على مَن أشرنا إليهم في المنطقة الداخلية من عُمان، (ويُنادَون بها تأدُّباً، كي لا يُقال في وُجوههم أنَّهم «زط»، امتهاناً لكرامَتهم الآدميَّة)، وهؤلاء، مُضطهَدُون بسبب تدنّي مَرتبتهم الإجتماعيَّة، للمُطالَبة بحَقهم في الطَّلْبة؛ ولذلك تراهُم يعملون في أحقر المِهن. وهي شتيمة مُقذعة في حقِّ الشيخ عبدالله، ولها ما يُبرّرُها من وجهة نظر الشاعر الذي ارتأى أنَّ رحيل الشيخ الجليل [أبي المذموم] في سجون مسقط حدث يستحق الثأر لا الخنوع؛ وكان الواجب منه [أي الشيخ عبدالله بن سعيد بن خلفان الخليلي] المطالبة بثأر أبيه على الأقل، عوضاً عن التطلاب المُهين له ولعائلته من سلاطين مسقط آنذاك، إن لم يكُن ذلك الأمر لنداءِ الدين والواجب وحَميَّةِ القوم وحُمَيّاهُم. **رواية موثوقة**: سَمعتُ من الأستاذ الأديب أحمد الفلاحي؛ راوياً عن الشاعر الكبير الشيخ عبدالله بن علي الخليلي: أنَّ هذه الأبيات في نونيَّةِ أبي مُسلم ظلت تزعجه على الدوام، وكُلما قرأها أصابَتهُ الحُمّى ثلاثة أيام مُتتالية. **ردُّ الشاعر على الشاعر**: في الحقيقة أنَّ الشاعر عبدالله بن علي الخليلي ألَّفَ كتاباً مخطوطاً في الرَّدِّ على أبي مُسلم وسِواه من الأشياخ والفقهاء والشعراء؛ مُتطرقاً فيه إلى أحداث ذلك العصر، مُمتنداً حوادث تاريخية من (منظور بَني خليل). وقد وَسَمَ مَخطوطَهُ بعنوان: «**الحقيقة**». وقد حاول نشره في حياته؛ لكنهُ لم يُوفق في الحصول على إذن رَسميٍّ بنشرهِ في عُمان. ومن باب الكياسة واللياقة، فضلًا عما تَفرضُهُ وتوجبه علينا واجبات اشتغالنا المَنهَجيّ؛ فإننا نورد فقرة تخصُّ أبا مُسلم اقتبسناها مما أورده الشاعر عبدالله بن علي الخليلي في مخطوطه المُشار إليه: «وتجدني أشرئبُّ إلى الشاعر النبهاني، وهو يقول في نُونيّته المُستجيشة مُشيراً إلى الخليلي حيث يقول: أقولُ للبعض منكم وهو عن أسفٍ | والحُرُّ يأسفُ للأحرار إنْ شانوا، فلو قال إنْ هينوا. وحيث يقول: (أعاذك اللهُ طاويهِنَّ شيطانُ) لعله إنسان، وحيث يقول: (حتى لقد قالَ أهلُ السُّوءِ ساسانُ)، فمن ترى أهل السُّوء؟ وحيث يقول: (وأنت على الأبواب ذبّانُ)، لعمري أليس في كريم القول ما يدور بقائله على محور الكرامة للطرفين؛ القائل والمقول فيه. لكَ الله يا أبا مُسلم! الستَ الذي تربَّيتَ في أحضان الخليلي وتغذيتَ بنميره العذب؟ ألست الذي كُنتَ تقف وراءهُ مُصلياً، فترى وتسمع ما يُوجبُ الولاية؟.. حقاً! أليس لديك ما يجب أن تغتفر به لوليّك؟ أليس للنصح وجهاً يفي للصديق بصداقته، وللوليِّ بولايته؟ ألم يُغذِّكَ المُروءةُ من ألبانِها؟ ألم تحفظ لأحمد بن سعيد سيرةً وصُحبةً تحتم عليك حفظ عرض أخيه، والإبقاء على شرفه، وإقامة العُذر له، وحمله على حُسن الظنّ الذي يحمل عليه عامة المُسلمين؟ والذي هو الأصلُ في الحُكم. أم نسيتَ لوالدك الكريم حياته الطيبة التي عاشها في بحبوحةٍ مِن عطف الخليلي المُحقق وحنانِه؟».

(١) خيلان: خالَ الشيءُ يَخالُ خَيلًا وخِيلة وخَيلة وخالًا وخِيلًا وخَيلاناً ومَخالة ومَخِيلة وخَيلُولة: ظَنَّه، وفي المثل: من يَسْمَعْ يَخَلْ أي يظن، وهو من باب ظننت وأخواتها، وأخالَ الشيءُ: اشتبه. يقال:=

كُنْتَ السَّفِينَةَ لِلإِسْلامِ تَحْمِلُهُ ... ثُمَّ انْكَفَأْتَ بِهِ وَالغَيُّ طُوفَانُ[1]

كُنْتَ المُرَزَّأَ لِلإِسْلامِ تَكْلَؤُهُ ... وَاليَوْمَ، مِنْ كُثْرِ مَا يَشْكُوكَ، ضَجْرَانُ[2]

فَافْتَحْ، فَدَيْتُكَ، عَيْنَي جُؤْذَرٍ يَقِظٍ ... فَإِنَّ كَاتِبَ مَا تُمْلِيهِ يَقْظَانُ[3]

=هذا الأمر لا يُخيل على أحد أي لا يُشْكِل. قال الأعشى: «وما خِلْت أبقى بيننا من مَوَدَّة | عِرَاض المَذَاكي المُشْنِفاتِ القَلائصا». **المعنى**: وقد كانت ظنون كافة المُسلمين عالية فيك، لكنَّها ـ أسَفاً ـ ذهبت أدراج رياح الظنون والتخييل، تلك.

(١) **المعنى**: ولا غرو؛ فقد كُنتَ أنتَ نفسك سَفينة نوح التي حملت مشارق أنوار الإسلام شرقاً وغرباً؛ لكنَّكَ انكفأتَ به [أي رسالة الإسلام]، والغيُّ طوفان. **تلميح مُستضاف**: نلحظ، هنا، مُفارقة أبي مُسلم وإلماحته الذكية: الغيّ طوفان، وقد قصد به غيّ الشيخ عبدالله الخليلي في احتكام وإحكام مقادير مصيره إلى [الفئة الباغية؛ في نظر شاعر النونيّة]، أي حُكّام سلطنة مسقط، آنذاك؛ تركي وفيصل على التوالي، ليُعيده إلى جادَّة الصواب في هذا البيت؛ مُذكِّراً إيّاهُ بأنَّ الغيّ طوفان كطوفان البحار التي بالكاد سَلمت مِنها سفينة نوح، فأنّى لَكَ أنْ تسلم سفينتك المُهلهلة في هذا البحر يا شيخنا؟

(٢) المُرزَّأ: رَزَأَهُ يَرْزَؤُه رُزْءاً ومَرْزِئةً: أصابَ منه خَيراً ما كان || تكلؤه: كَلأَ القومُ سَفينَتهم تَكْليئاً وتَكْلِئةً، على مثال تكْليم وتكْلِمةٍ: أدْنَوْها من الشَطِّ وحَبَسُوها. **المعنى**: مِثْلُكَ مَنْ ظننا أنهُ سيقومُ بقائمة رُوح الإسلام الذي شكا أفاعيلك في مَناقب روحه ـ بعدما فعلت ـ أضحى ضجراً مِنك يا شيخنا. **رواية أخرى حول النونيّة**: أخبرني الأستاذ أحمد الفلاحي (نقلاً عن الشاعر عبدالله بن علي الخليلي)، أنَّ الشاعر الكبير بَرَزَ خروج جَدِّهِ [الشيخ عبدالله بن سعيد بن خلفان الخليلي] عن إمامة سالم بن راشد الخروصي ليلتحق بسلطان مسقط السيد فيصل بن تركي؛ أنَّ الشيخ عبدالله بن سعيد [مذموم النونيّة، ووالد الإمام الرَّضي محمد بن عبدالله الخليلي]، تلقى أنباءَ عن كُل من الإمام سالم ونور الدين السالمي [مُنظِّر إمامة سالم بن راشد] تفيد بأنهُما أهدرا دمه، وأنه مقتول لا محالة بحجة خروجه عن طاعة إمام المُسلمين، وأن الشيخ عبد الله بن سعيد رأى فجراً ـ والرِّواية ما زالت للشاعر عبد الله بن علي الخليلي ـ وهو خارج إلى المسجد أناساً يحومون حول منزله، فهربوا حين رأوه، فتضاعف شكُّهُ؛ فاضْطُرَّ إثرَها للإلتحاق بالسلطان فيصل في مسقط. لكنَّ هذه الرِّواية (كما يُضيف الأستاذ أحمد الفلاحي)؛ شكَّكَ في صِحَّتها كثير من العُمانيّين نظراً لالتباسات أحداث تلك الآونة، وهي أحداث ـ والقول للفلاحي ـ يكتنفها الغموض، وبحاجة لمُؤرِّخ فاحص مُدقِّق في أخبارها وروايَاتها المُتناقِضة.

(٣) جُؤذر: الجُؤذُرُ والجُوذَرُ: هو ولد البقرة، وفي الصِّحاح: البقرة الوحشية، والجمع جآذِرُ || كاتب ما تُمليه: قصد به الملكان الحافظان. **المعنى**: والله يخلِّيك؛ افتح عينَيكَ كما تفتح بقر الوحش عيونها الوسيعة حذراً مِن آساد الغابة؛ لأنَّ كاتب ما تمليه يقظانٌ في سماواته المُلا، فهو لا ينخدع بملاعيبك السِّياسية الصغيرة التي لم نر لها وجهاً ووجاهَةً وَوِجْهَةً حتى في زنجبار.

بِيضُ العَمَائِمِ لا تُجْدِي إذا انْكَدَرَتْ ... بِيضُ القُلُوبِ، وَلِلإِيمَانِ عُنْوَانُ[1]

طَهِّرْ ثِيَابَكَ وَاغْسِلْ رَاحَتَيْكَ فَهَا ... تِيكَ المَطَامِعُ أَوْسَاخٌ وَأَدْرَانُ[2]

وَاحْمَدْ نَصِيحَةَ حُرٍّ لا يُرِيدُ بِهَا ... ذَمّاً، وَفِيكَ لِطَوْدِ الحَمْدِ أَرْكَانُ[3]

إنْ تَعْرِفِ الصِّدْقَ فِي نُصْحِي فَقَدْ سَبَقَتْ ... عُهُودُ صِدْقٍ وَإِخْلاصٌ وَإِحْسَانُ[4]

لَيْسَ الخَلِيلُ المُدَاجِي عِنْدَ شَائِنَةٍ ... إنَّ المُدَاجِيَ فِي العَوْرَاءِ فَتَّانُ[5]

لَكِنَّهُ مَنْ رَأَى عَيْباً وَحَقَّقَهُ ... أَهْدَاكَ عَيْبَكَ غَيْظاً وَهُوَ لَهْفَانُ[6]

---

(١) **المعنى**: وبعدين، يا شيخ عبدالله، العمائم الأباضيّة البيضاء لا تنفعك إذا انكدرت سُويداءُ قلبك؛ فللإيمان ـ كما تعرف، ولا بُدّ ـ عُنوانٌ معروفٌ لو أردتَ قصده مُنذ البداية. **تلميح**: ثمة، في هذا البيت، إفصاح خطير عما استشرى في مُجتمعنا مِن نِفاق بعض المُتديّنين. ونستطيع القول إنّ الشيخ عبدالله الخليلي أضحى ضحيّةً لمقصَد الشاعر؛ لكننا فيما لو رأينا حولنا ما يحدث [بعد مائة عام على كتابة النونيّة]؛ لاكتشفنا أنّ الشاعرَ كان مُحقاً في تحليله، وقسوته على بعض رجالات الدِّين، وهو ما سيفصح عنه في قصائد أخرى، لا سيّما تلك القصيدة التي يَسخر فيها الشاعرُ مِن أحد أئمّةِ المساجد الذين اتخذوا التديُّن هُزواً ولعباً بعقولهم وعقولِ من صدَّقهم من العامّة. وهو موقف جذري يُحيلُ القارئ إلى أصالةِ فِكر أبي مُسلم التنويري الذي حاولَ كثيرون اختزاله في منظوماتهم العقديّة.

(٢) **المعنى**: وباختصار؛ طهِّرْ ثيابكَ يا شيخ، واغسل يديك مما اقترفته في حق نفسك قبل كُلّ شيء؛ فأنتَ تعلمُ أنّ تلك المطامِع الدُّنيويّة لا أقلّ ولا أكثر مِنْ أوساخ الزبالة وأدرانها.

(٣) احمد: اشكُر || طَود الحمد: جبل الحمد. **المعنى**: ورغم إطالتي في هذه الأبيات النصوح لك؛ إلّا أنّ عليك أن تشكُر نصيحةَ حُرٍّ مِثل أبي مُسلم البهلاني لم يُرد بها قدحاً وذمّاً فيك؛ لأنّني على يقين بأنّ في المُتبقي من روحك الصافيةِ أركاناً قادرة على حَمْدِ الحَمْدِ وشُكرانه.

(٤) **المعنى**: وكي لا أكون مُغالطاً؛ ستجد إنْ كنت تعرف الصِّدق الخالص في نُصحي لك؛ فثمّة عُهود صدق قديمة لا أنساها مشفوعة بالإخلاص والأحسان. **تلميح**: يُشير الشاعر إلى علاقته الرُّوحية الكبيرة مع الشيخ أحمد بن سعيد بن خلفان [أخي الشيخ الذي بدا مذموماً في النونيّة]، تأكيداً مِن جانبه على وفائه لعهود الإخلاص والإحسان التي نالها الشاعرُ [الرَّواحي] من [الخليليّين] الذين احتضنوه في يَفاعته قبل رحيله المُبكر إلى زنجبار، لكنهُ يقولُ للشيخ إنني قدر ما لا أحابيكم وأنقدكم في بعض مواقفكم، لكنني بجبلّتي شاعر حُرّ لا أسمح لنفسي أنْ تمرَّ حكاية الشيخ عبدالله الخليلي وخيانته للإمامة مُرور الكِرام، ولسوف أوثّقُها طوالَ الدَّهر في نُونيّتي العَصماء.

(٥) **المعنى**: والصَّديق الحقيقي هو من أهداك عيبك وصَدَقَكَ عند زلّتِك، لا من نافقك وجامَلك حتى عند وقوعك في الزَّلَل.

(٦) **المعنى**: لكنَّ الصديق الحقيقي هو من أهداك عيبك، وهو لَهِفٌ عليكَ مغتاظٌ من خطئك، يطلب صلاحك وإنْ أغضبك ذلك.

أُرِيكَ مِنْ أَسَفِي خَصْماً تُبَاعِدُهُ ... وَالقَلْبُ مِنْ حُبِّكَ المَكْنُونِ وَلْهَانُ[1]

خُذْ مِنْ مَضَائِقِ أَقْوَالِي نَصَائِحَهَا ... وَفِي ضَمِيرِي لَكُم بِالحُبِّ مَيْدَانُ[2]

يا قَوْمِ أَهْلَ عُمَانٍ كَم تَخَالُفُكُم ... إِنَّ الشِّقَاقَ لا يَرْضَاهُ إِيمَانُ[3]

أَطُولَ دَهْرِكُمُ خَوْفٌ، مُدَاهَنَةٌ ... مَطَامِعٌ، حَسَدٌ، بَأْوَاءُ، خُذلانُ[4]

أَهَذِهِ شُعَبُ الإِيمَانِ عِنْدَكُمُ ... أَهَكَذا سُنَّةٌ قَالَتْ وَقُرْآنُ؟[5]

ما ذا الشِّقَاقُ الذي يَفْرِي جُنُوبَكُمُ ... وَالمُؤْمِنُونَ بِذَاتِ الدِّينِ إِخْوَانُ[6]

أَطْلَقْتُمُ السَّيفَ فِي أَفْرَادِ مِلَّتِكُم ... وَقَيَّدَتْهُ عَنِ الأَعْدَاءِ أَجْفَانُ[7]

هَبْ أَنَّ أَسْيَافَكُم غَرْثَى بِهَا قَرَمٌ ... فَفِي لُحُومِ العِدَا يَغْتَاشُ غَرْثَانُ[8]

هَانَتْ عَلَيكُم تُرَاثُ الكُفْرِ وَاشْتَعَلَتْ ... فِيكُم عَلَى بَعْضِكُم لِلبَعْضِ أَضْغَانُ[9]

وَأُلْفَةُ الدِّينِ قُرْبَى لَمْ يَكُنْ مَعَهَا ... أَعْلَى وَأَدْنَى وَأَحْزَابٌ وَأَدْيَانُ[10]

يا قَومِ هَذا إِمَامُ الدِّينِ بَينَكُمُ ... مَقصُودُهُ الحَقُّ، لا مُلْكٌ وَسُلْطَانُ[11]

---

(١) **المعنى**: أريكَ مِن أسفي عليك، خصماً تُباعده، لكنَّ قلبي ـ مع ذلك ـ ولهانٌ من حُبكَ المَكنون فيه.

(٢) الضَّيقُ: نقيض السَّعة، أصلها مضائق الكلام. **المعنى**: خذ ـ يا شيخ ـ نصحي وتقبل مني هذا النقد الجارح، فقلبي مليءٌ بحُبِّكُم ومودَّتكم.

(٣) **المعنى**: واضح من السِّياق في إشارته لتفرُّقِ أهل عُمان، لأنه تفرُّق ـ في نظر الشاعر ـ لا يَرضاهُ الإيمانُ.

(٤) المُداهَنة: المُصانعَة واللين وإظهار خلاف الباطن، والمُداهن: المُنافق || بأواء: العَظمَة، والبأْوُ: الكِبْرُ والفخر. **المعنى**: يستمر الشاعر في تقريع بني جلدته، بل وجلدهم بسياط الكَلِم، قائلًا: أهكذا أنتم طوال دهركم: خوف ونفاق وطمع وحسد وتكبُّر فارغ؟

(٥) **المعنى**: أهذه هي أركان الإيمان عندكم؟ أهكذا قال الله ورسولُه؟.. وبالطبع هذه صيغة استنكار لا استفهام.

(٦) يفري: يقطع || جُنوبَكُم: أجسادكم، على القياس. **المعنى**: واضح من السياق.

(٧) أجفان: أغماد. **المعنى**: واضح من السياق

(٨) القرم: شدّة الشهوة إلى اللحم، || غرثان: جوعان. **المعنى**: ولنفترض أن أسيافكم تشتهي تقطيع اللحم ـ لو افترضنا ذلك ـ ففي لحوم أعدائكم ودمائهم ملاذ يرويها.

(٩) تراث الكُفر: ما يخلفه الرجل لورثته، والتاءُ فيه بدل من الواو. **والمعنى**: واضح من السياق.

(١٠) ألفة الدِّين: قرابتُه. **والمعنى**: واضح من السياق.

(١١) **المعنى**: هذا إمام الدِّين بينكم قصده وهدفه إقامة الحق، لا التسلط عليكم.

يَـدْعُـو إلـى اللهِ قَـوَّامـاً بِـمِـلَّتِـهِ ... لَهُ حُـسَـامَـانِ: إقْـسَـاطٌ وَإحْـسَـانُ[1]

يا قَومِ طَاعَتُهُ فِي مِصْرِكُم وَجَبَتْ ... فَرْضاً عَلَيْكُم وَمَا فِي الدِّينِ إدْهَانُ[2]

يـا قَـومِ لا تُـدْبِـرُوا عَـنْـهُ فَـإنَّ لَكُـم ... رَبّاً يُـحَـاسِـبُ وَالإدْبَـارُ عِـصْـيَـانُ[3]

يـا قَـومِ إنْ تُـدْبِـرُوا يَـغْـضَـبْ إلَهُـكُـمُ ... فَـأيْـنَ مَـلْجَـؤُكُـم وَاللهُ غَـضْـبَـانُ[4]

إنْ تَـنْـصُـرُوا اللهَ يَـنْـصُـرْكُـم فَـلا تَـهِـنُـوا ... فَالكُفْرُ فِي المَقْتِ وَالإسْلامُ رِضْوَانُ[5]

إنَّ الإمَـامَ يَـمِـيـنُ اللهِ بَـيْـنَـكُـمُ ... فَـبَـايِـعُـوهُ وَإلّا حَـلَّ خُـسْـرَانُ[6]

قَـامَـتْ عَـلَيْـكُـم بِـحُـكْـمِ اللهِ حُـجَّـتُـهُ ... إنْ كَـانَ فِـيـكُـم لِحُـكْـمِ اللهِ إذْعَـانُ[7]

إنْ تَـتْـبَـعُـوهُ فَـعَـيْـنُ الـرُّشْـدِ خِـطَّـتُـكُـم ... أو تُـعْـرِضُـوا عَـنْـهُ فَالإعْـرَاضُ طُـغْـيَـانُ[8]

فَـرَاقِـبُـوا اللهَ فِـيـهِ إنَّ حُـجَّـتَـهُ ... قَـدْ قَـامَ فِـيـهَـا بِـحُـكْـمِ اللهِ بُـرْهَـانُ[9]

تِـلْكُـم وَصِـيَّـةُ حَـسَّـانٍ لَكُـم نَـبَـتَـتْ ... فَـإنَّـنِـي الـيَـومَ لـلإسْـلام حَـسَّـانُ[10]

---

(١) حُسامان: سيفان || إقساط: الإقساطُ والقِسطُ: العَدْلُ. والمعنى: واضح من السياق.

(٢) الإدهان: المُصانعة والغِش. والمعنى: واضح من السياق.

(٣) المعنى: يا قوم لا تدبروا عن نصرة إمامكم، فخذلانه معصية لله، وسيحاسبكم على هذا العصيان.

(٤) المعنى: واضح من السياق.

(٥) لا تهنوا: لا تضعفوا || المقت: البغض. المعنى: «إنْ تنصُروا الله يَنصُركم ويُثبِّت أقدامَكم»، فالشنآن والتباغض كُفرٌ بالله، وعَكْسُهُ: الاستمساك بعُروةِ الإسلام الوُثقى مرضاةٌ للرَّب.

(٦) المعنى: أي أن الإمام يَدُ الله بينكم، بما هو تمثيلٌ لشرع الله بين عباده، فإنْ تبايعوه وإلا حَلَّ عليكم الخُسر.

(٧) المعنى: وبحكم الله قامت عليكم الحُجّة، إنْ كنتم مذعنين طائعين لحُكم الله.

(٨) المعنى: فإن اتبعتموه فقد سلكتم عَيْنَ الرَّشاد، وإن كان غير ذلك فقد طغيتُم.

(٩) حجته: بُرهانه. المعنى: استمرار وتكرار لمعاني الأبيات السابقة؛ لتأكيد التأكيد.

(١٠) المعنى: وهذه وصيّة شاعر النبي ـ ص ـ حسّان بن ثابت للمُسلمين؛ وإنني اليومَ لكم كما كان حسانُ مُنافحاً عن الإسلام، وناصحاً المُسلمين. ملحوظة: إحالة الشاعر إلى حسان بن ثابت بها لفتة عبقرية من أبي مُسلم؛ وذلك أنَّ حسّاناً كان مُنافحاً عن الإسلام بلسانه وشعره، في حين كان باقي الصحابة يتبارون في تقديم دمائهم سخية في سبيل الله، وكأنَّ أبا مُسلم في عجزه عن نصرة الإمام بالفعل والجهد البدني، مُكتفياً بنظم الشعر، تماماً كحالة حسّان بن ثابت الذي اقتصر دوره على نظم الشعر. [هذه الملحوظة من وضع مُراجع الكتاب ومُدقِّقه].

لا يَصْدُقُ الدِّينَ إلّا مَنْ يُنَاصِحُهُ ... وَلا يَتِمُّ بِغَيْرِ النُّصْحِ إيمَانُ[1]

فإنْ تَمَكَّنَ نُصْحِي مِنْ بَصَائِرِكُم ... بَدَا لَكُمْ مِنْ ضِيَاءِ الحَقِّ فُرْقَانُ[2]

---

(١) المعنى: واضح من السياق.

(٢) فرقان: كل ما فُرِقَ به بينَ الحق والباطل. المعنى: فإنْ تمكن نُصحِي مِن بصائركُم، لأبصرتموه فرقاناً من ضياءِ الحَق، يُفرِّقُ بين الحق والباطل، وقصد به آراءه المبثوثة في نونيّتِهِ العَصماء.

وَطَني(*)
(المِيمِيَّة)

مَعَاهِدَ تَذْكَارِي سَقَتْكِ الغَمَائِمُ مُلِثّاً مَتى يُقْلِعْ تَلَثّهُ سَوَاجِمُ(١)

تَعَاهَدُكِ الأنْوَاءُ سَحٌّ بُعَاقِهِ فسُوحُكِ خُضْرٌ وَالوِهَادُ خَضَارِمُ(٢)

(*) في الأصل المعتمد وردت أسفل العُنوان إشارة توضيحية، (ويبدو أن الشيخ المُجاهد صالح بن عيسى الحارثي، جامع شتات شعر أبي مُسْلِم) يحتفظ بنسخة من القصيدة المرسلة إلى والده: «أرسل الشاعر هذه القصيدة إلى أمير الشرقية الشيخ العَلّامة عيسى بن صالح الحارثي يشكره على نصرته للإمام سالم بن راشد الخروصي، ويحُضُّهُ على رفع شأن عُمان». وللتوثيق التاريخي، نشير إلى أن القصيدة، وكما هو واضح من أبياتها أُرْسِلت قبل مُبايعة الشيخ للإمام، وهي حَضٌّ من أبي مُسْلِم للشيخ عيسى بن صالح كي يُبايعَهُ وهو ما حَدَثَ بعد نحو شهر من رحلة الشيخ نور الدين السالمي (المُشار إليها في قصيدته النُّونية) من الشرقية إلى الداخلية لمُبايعته وتنصِيبه إماماً في بلدة تنوف. جدير بالذكر أن هذه القصيدة شاعت بعنوان [الميمِيّة]؛ وهو العُنوان الذي وردت به في كتاب «نهضة الأعيان بحُريّة أهلِ عُمان» للشيخ أبي بَشير محمد شيبة بن نور الدِّين عبدالله بن حُميد السالمي ـ القاهرة، مطابع دار الكتاب العربي بمصر ـ محمد حلمي المنياوي، وارتأينا إدراجه عُنواناً فرعياً مُوازياً للقصيدة ذائعة الصِّيت.

(١) مُلِثّ: من الفعل لَثَّ: أقام. يُقال لَثَّ المطر: دام أياماً لا ينقطع || سجم الدمع والمطر: سال قليلًا أو كثيراً. والمطلع مُفتتح ماطر لمعاهد تذكاره/ وطنه أقلعت وخفت حدة مطره أم سالت بتقطع.

(٢) سَحّ: سَالَ من عالٍ إلى سافل || بُعاقُ المطر: هطوله فجأة بغزارة || سُوحُك: سيوحك || خضارم: في الأصل؛ تعني الكثير الواسع من كل شيء، لكن الشاعر أخذ بمعنى مرادفتها مُخضرَم: مَن كان ذا بشرة سوداء وأبوه أبيض البشرة وشقيقتها مُخضرِم: من أدرك الجاهلية والإسلام. فالسيوح خضراء والوهاد بين اخضرار واغبرار، وفي البيت افتتان لغوي ينضحُ به البيت المكمّل لمطلع الميمية.

إذا أجْفَلَتْ وَطْفَاءُ حَنَّتْ حَنِينَهَا ... عَلَى قُنَنِ الأوْعَارِ وُطْفٌ رَوَازِمُ[1]

وَلا بَرِحَتْ تِلكَ الرِّيَاضُ نَواضِراً ... تُضَمِّخُهَا طِيبَ السَّلامِ النَّسَائِمُ

تُصَافِحُهَا بِالزَّاكِيَاتِ أَكُفُّهَا ... فَيُحْسَبُ فِيهَا وَالرِّيَاضُ تَرَاحُمُ[2]

مَعَاهِدُ شَطَّ البُعْدُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا ... وَحَلَّ بِقَلْبِي بَرْحُهَا المُتَقَادِمُ

تَزَاحَمَ فِي رَوْعِي لَهَا شَوْقُ وَالِهٍ ... وَصَبْرٌ، وَآنُ الصَّبْرِ أَنْ لا يُزَاحَمُ[3]

إذا لاحَ بَرْقٌ سَابَقَتْهُ مَدَامِعِي ... وَلَيْتَ انْطِفَاءَ البَرْقِ للغَرْبِ عَاصِمُ[4]

لِئِنْ خَانَنِي دَهْرِي بِشَحْطِ مَعَاهِدِي ... فَقَلْبِي بِرَغْمِ الشَّحْطِ فِيهِنَّ هَائِمُ[5]

وَإِنَّ هُيَامَ القَلْبِ فِيهَا وَقَدْ نَأَتْ ... وَسَائِلُ فِي شَرْعِ الهَوَى وَلَوَازِمُ

فَيَا لَفُؤَادِي، مَا التَّبَارِيحُ وَالجَوَى ... فَعَلَّنَ؟ إذا ازْدَادَتْ عَلَيْهِ اللَّوَائِمُ

عَلَى أَنَّ ذِكْرَ النَّفْسِ عَهْداً وَمَعْهَداً ... أَمَضُّ بِهَا مِمَّا تَمُجُّ الأَرَاقِمُ[6]

---

(١) وَطْفاء: السحابة وقد تدلت أطرافها لثقل محمولها من الماء || قنن: جمع قنة وهي قمة الجبل || الرَّوازِم: الغيث غير المنقطع، جمعُ روازم. على عادته في مطالعه التي تعكس الذاتي والموضوعي لينعكسا في صعوبة تأويل مقاصده ومفرداته وتركيبها نجده كذلك في هذا البيت بمشارب تأويله وصعوبة اختيار أحدها وفقاً لإعراب المفردات القابلة للإقلاب. لكن مقصده، دون جزم، هو انعكاس ذاته على موضوعه. فكلما أجفلت سحابة من معاهد التذكار تلقفت حنينها أمطار لا تنقطع (وُطفٌ روازم) على قمم الجبال (قنن الأوعار) ليستمر انسكاب الحنين، حنين الشاعر الدافق مُعَبِّراً عنه بشيمة الغمائم/ السواجم/ الأنواء/ الروازم.

(٢) ولتدُم تلك الرياض نضرة (البيت السابق) بطيب السلام تضمّخها النسيم به، وتتمة البيت في رد مصافحة النسيم بزاكيات/ أكُفّ الرياض التي تحمِلُ الزائي للمشهد بأن ثمة علاقة رَحِم بين رياض المرابع النضرة ونسائمها، ومرة أخرى هي استعارة لحنينه الذي لا ترويه غمائم مطالعه.

(٣) الرَّوع: الحرب. وكُثِرَ من خلطوا واعتقدوا أنه يقصد الرُّوع: القلب، النفس، الذهن، إلخ.. لكنه يتحدث عن حرب حناياه التي يتزاحم فيها جيشان: شوق المُحب وصبر الصابر على النأي والبُعد، وهو بيت يحتمل أكثر من قراءة، مثلًا: *آنَ الصبرُ أن لا يُزاحِم/ يُزاحَم*.

(٤) الغَرْب: الدمع ومسيل الدمع ومؤخر العين ومُقدّمُها. البيت واضح رغم أن البعض فسروا الغرب بالدّلو العظيمة وأنه يشبّه عينه بالدلو لكثرة ما أسالت من دموع، لكنه تأويل أغربُ من غرب وأقصى من غرب، فالمعنى الأقرب هو الدمعُ ومَسيلُه.

(٥) شحط: بُعد ونأي.

(٦) الأراقم: ذكُور الحيّات الخبيثة.

خَـلِـيَّ فِـي أَعْـشَـارِ قَـلْـبِـي بَـقِـيَّـةٌ ... أَضِـنُّ بِـهَـا إِنْ نَـاوَحَـتْـهَـا الـحَـمَـائِمُ

خُذا عَـلَّلانِي عَـنْ أَحَـادِيـثِ جِـيرَتِي ... فَـإِنِّـي بِـحُـبِّ الـقَـوْمِ وَلْـهَـانُ هَـائِمُ

وَلا تُـسْـلِمَـا عَـقْـلِي إِلـى هَـيَـمَـانِـهِ ... فَـذِكْـرُهُـمُ عِـنْـدِي رُقـىً وَتَـمَـائِمُ

نَـزَحْـتُ وَفِـي نَـفْـسِـي شُـجُـونٌ نَـوَازِعٌ ... إِلَيْهِم، وَنَازَعْتُ الأَسَى وَهُوَ خَائِمُ[1]

فَكَمْ جَعَلَتْ نَفْسِي تُطَالِبُ صَبْرَها ... بِنَصْرٍ فَيَأْبَى الصَّبْرُ إِلّا الثَّنَاوُمُ

يَـقُـومُ فَـيَـعْـرُوهُ الـتِـيَـاعٌ مُـبَـرِّحٌ ... فَيَنْكُصُ وَهْناً، فَهُوَ يَقْظانُ نَائِمُ

عـلى غَـرِدَاتِ الأَيْـكِ مِـنِّـي تَـحِـيَّـةٌ ... كـما هَيْنَمَتْ رِيحُ الصَّبا وَالبَشَائِمُ

أَثَارَتْ رَسِيساً في الفُؤادِ بما شَدَتْ ... فَـفَـاضَ بِـهِ مِـنْ مَـاءِ جَـفْـنِـيَ رَاسِـمُ

خَـلِـيَّ مـا تَـذْكَـارُ لَيْـلَى لُبَـانَـتِـي[2] ... أَقَـامَـتْ بِـنَـجْـدٍ أَو حَـوَتْـهـا الـتَّـهَـائِمُ

وَلا رَبْـعُـهَـا الـعَـافِـي عَـلَـيـهِ تَـنـاوَحَـتْ ... صَـبـاً وَدَبُـورٌ أَوْ بَـكَـتْـهُ الـغَـمَـائِمُ[3]

تَـهَـادَى بِـهِ الآرَامُ وَالـعَـفْـرُ رُتَّـعـاً ... كَـمَـا تَـتَـهَـادَى الـبَـهْـكَـنَـاتُ الـنَّـوَاعِـمُ

وَلا شَـفَّـنِـي حُـبٌّ لَـغَـيْـدَاءَ كَـاعِـبٍ ... كَمَا ارْتَاعَ خُشْفٌ فِي الخَمِيلَةِ بَاغِمُ[4]

وَلـكِـنْ شَـجَـانِـي مَـعْـهَـدٌ بَـانَ[5] أَهْـلُـهُ ... فَـبَـانَ الـهُـدَى فِـي إِثْـرِهِـم وَالـمَـكَـارِمُ

تَـوَشَّـحَ مِـنْـهُـم بِـالـنُّـجُـومِ فَـمُـذْ هَـوَتْ ... تَـعَـمَّـتْ عَـلَـى أَهْـلِ الـبِـلادِ الـمَـعَـالِمُ

تَـمَـادَتْ بِـهِ الـعَـلْـيَـاءُ تَـرْفَـعُ شَـأْوَهُ ... بِـمَـا أَثَّـلَـتْ فِـيـهِ الـسُّـرَاةُ الأَكَـارِمُ

لَعَمْرِي، لَنِعْمَ المَعْهَدُ المُهْتَدَى بِهِ ... وَقَـدْ مَـلأَ الـدُّنْـيَـا ظَـلامٌ وَظَـالِمُ

هُوَ الـمَـعْـهَـدُ الـمَـيْـمُـونُ أَرْضـاً وَأُمَّـةً ... وَإِنْ زَمْـجَـرَتْ لِلجُـورِ حِـيـنـاً زَمَـازِمُ

هُوَ المَعْهَدُ المَمْطُورُ بِالرَّحْمَةِ التي ... سَقَتْ مِنْ إِمَامِ المُرْسَلِينَ المَرَاحِمُ

---

(١) خائم: مقيم.

(٢) لُبانتي: حاجتي.

(٣) الرَّئم: المكان المأهول || العافي: القديم المُندرس || الصَّبا: نسيم ليل بارد || الدَّبور: ريح تُعاكسها.

(٤) الخشف: وليد الظبية الصغير || البُغام: صوت الظبية.

(٥) بانَ: ابتعد.

سَيَكْثُرُ وُرَّاداً عَلَى الحَوْضِ أَهْلُهُ ... إذا جَاءَ يَومُ الحَشْرِ وَالكُلُّ هَائِمُ

لَقَدْ صَدقُوا المُخْتارَ مِنْ غَيرِ رُؤْيَةٍ ... وَتَكْذِيبُ جُلِّ الشَّاهِدِينَ مُقاوِمُ

أُولَئِكَ قَوْمِي بَارَكَتْهُم وَأَرْضُهُم ... بِدَعْوَةِ خَيرِ العَالَمِينَ المَكَارِمُ

وَمِنْ شُعَبِ الإيمَانِ حُبٌّ يَشُفُّنِي ... تَجَاذُبُهُ تِلْكَ الدِّيَارُ الكَرَائِمُ

عَقَدْتُ بِهَا أُنْسَ الحَيَاةِ وَطِيبَهَا ... وَإنْ شَرَّدَتْ بِي لِلبِعَادِ هَوَازِمُ

وَلَوْ صَارَفَتْنِي فِي مَحَبَّتِهَا الدُّنا ... رَضِيتُ بِهَا مِنْهَا وَمَا أَنَا نَادِمُ

وَإنِّي وَلِبْسُ الدَّهْرِ جِلدَةُ أجْرَبٍ ... تِجَاهِي وَآمَالِي مُحَالٌ مَحَارِمُ

وَمَرُّ اللَيالِي كَالِحَاتٍ عَوَابِساً ... عَلَيَّ كَأَنِّي لِلكَوَارِثُ جَارِمُ[1]

تُجَشِّمُنِي وَالصَّبْرُ بَينِي وَبَيْنَهَا ... أَفَاعِيلَهَا فِيمَنْ عَدَتْهُ المَآتِمُ

وَحُنْكِي[2] صُرُوفَ الدَّهْرِ حتى تَبَلَّدَتْ ... وَأَبْصَرْتُ مَا أَخْفِينَ وَالجَوُّ قَاتِمُ

وَأَعْجَزَنِي أَنْ أَسْتَطِيعَ مَطَالِبِي ... مِنَ اللهِ مَا لَم تَمْتَلِكْهُ العَزَائِمُ

لأَعْلَمَ أَنَّ الخَطْبَ يُضْبِحُ آزِماً ... وَيُمْسِي قَدِ انْحَلَّتْ عُرَاهُ الأَوَازِمُ

إلى كَمْ يَلِزُّ الدَّهْرُ نَفْسِي بَلِيَّةً ... وَيَقْطَعُنِي عَمَّا تُرِيدُ العَظَائِمُ[3]

وَمَا جَشَأَتْ[4] حِيناً لِهَوْلٍ يَنُوبُهَا ... وَلَكِنْ مِنَ الأَقْدَارِ مَا لا يُقَاوَمُ

أُحَاوِلُ أَمْراً لَو نَبَا السَّيْفُ دُونَهُ ... لَمَا عِيبَ وَالأَقْدَارُ عَنْهُ تُصَادِمُ

أَيُغْمِدُنِي كَالسَّيْفِ دَهْرِي عَنِ العُلَى ... وَمَا حُمِدَتْ قَبْلَ الفِعَالِ الصَّوَارِمُ

وَمَا هِمَّةُ المِقْدَامِ إلّا مَضَاضَةٌ ... إذا مَنَعَتْهَا عَنْ مُنَاهَا الشَّكَائِمُ

أُكْبَتُ هَمِّي خَامِداً غَيرَ حَامِدٍ ... لَهُ العَدْلُ أَمْراً، وَهُوَ فِي النَّفْسِ جَاحِمُ[5]

---

(١) جارم: مرتكب جُرْم.

(٢) الحُنْك: التجربة والتبصر بالأمور. يُقال: رجُلٌ مُحَنَّك، وأصلها من حَنَكِ الأمّ لوليدها: تدليك حَنَكِه.

(٣) لَزَّهُ، لَزّاً ولَزازاً: شَدّهُ وألصقه. ويقال: لَزَّ به الشيءَ: ألصقه به، ولزّ الشيء بالشيء: لَزَمه به وقرنه به.

(٤) جَشَأَتْ: نَفْسُهُ: ثارت للقيء، وجَاشَتْ من حُزْنٍ أو فَزَعٍ.

(٥) الجاحم: الجمر الشديد الإشتعال، ويقصد همّهُ الذي كبّته وأخمدته صروف الدهر.

وَأُصْبِرُ نَفْساً مُرَّةً لا ذِمَارَهَا ... حَمَتْهُ وَلا انْقَضَّتْ عَلَيهِ اللهَاذِمُ

وَيَقْدَحُ زَنْدَ الرَّوْعِ مَنْ زَادَ هَمُّهُ ... كَهَمِّي، وَأَقْوَى مَا لِزَنْدِيَ ضَارِمُ[1]

كَفَى حَزَناً أَنْ أَحْسُوَ المَوْتَ، لَيسَ فِي ... جَنَاحِي خَوَافٍ لِلعُلَى وَقَوَادِمُ[2]

وَيَرْكَبُ ظَهْرَ الرَّوْعِ حُرٌّ غَشَمْشَمٌ ... وَيَقْطَعُنِي عَمَّا امْتَطَاهُ القَوَائِمُ

وَيَأْتَدِمُ الأَعْدَاءُ لَحْمِي مُهَنَّئاً ... وَمَا مَرِئَتْ لِلضَّائِدِينَ الضَّرَائِمُ

وإِنْ أَلْفَجَتْ كَفِّي بِتَشْتِيتِ طَوْلِها ... إِلى حَيثُ أَحْسَابُ الرِّجَالِ تَزَاحَمُ[3]

يَلُمُّ عَلَيَّ الدَّهْرُ أَعراقَ سُوقِهِ ... سِفَاهاً كَمَا الْتَفَّتْ عَلَيَّ السَّمَاسِمُ[4]

أَيَهْزِلُ هذا الدَّهرُ أَم جَدَّ جِدُّهُ ... وهَلْ سَرَواتُ المَجْدِ فِيهِ مَغَانِمُ

وهَلْ عَزْفُهُ وَجْهَ السَّرِيِّ نَقِيبَةٌ ... تُزِينُ؟ وَهَلْ بَخْسُ الكِرامِ مَكَارِمُ[5]

أَيَنْهَضُ أَهْلُ اللهِ وَالحَقُّ عِندَهُم ... وَنَصْرِيَ مَحْصُورٌ وَهَمِّيَ عَاسِمُ

وَمَا وَرَقُ الدُّنيا مَرَاعِي عَزِيمَتِي ... إِذا أَمْرَعَتْ رَوْضَ الدَّنايا العَزَائِمُ[6]

وَفِي النَّفْسِ هَمٌّ فَضْفَضَ الصَّدرَ لاعِجٌ ... تُسَاوِرُ إِدْرَاكِي مُدَاهُ الصَّيَالِمُ[7]

---

(١) الضارم: المشتعل والذي اشتد غضبه. يقصد أن الحرب يقدح زندها من زاد همه كهمي، وقوة زندي مجرد اشتعال وغضب. **ملحوظة**: يتلاعبُ في هذا البيت بترجيح كفة المعنى، فضارم على وزن صارم، وزند الثانية تقصد اليد التي تقبض السيف، خلاف زند قادح الحرب، وقدر ما يوحي به البيت من تصغير لذاته، لكنه يعلي من شأنها بتشبيه همه بهم قادح زناد الحرب التي لم يتمكن من خوضها كما تمنى.

(٢) الخوافي والقوادم: صغير ريش جناح الطائر وكبيره.

(٣) ألفجت: عدِمت. يقال: ألفج فان؛ ذهب ماله. وتعني أيضاً ذهب فؤاده خوفاً. في الأصل المعتمد والنسخ الأخرى وردت لفجت، كما وردت «وإن» لئن، وفي مصدر آخر أئن، ولم نعتقد بصحتها لأن الشرط لا يكتمل كما هو وارد في البيت التالي: يلم علي الدهر...

(٤) أعراق سُوقه: الشوقة وأراذل الناس || السَّماسم: نوع من النمل الذي يلسع. وفي عُمان يُقال سَمسُوم لحشرة تلسع، وهي أكبر من النمل المُعتاد. وفحوى البيت: أن الدهر يلمُّ أراذل الناس كالتفاف السماسم اللداغة.

(٥) العزف: العظم أخذ منه معظم اللحم. والبيت عِتابٌ للدهر الذي يُحيلُ الأخيار إلى عظمة نزع لحمها.

(٦) ورق الدنيا: جمالها وبهجتها ودنانيرها ودراهمها وأوراقها المضرفية || أمرعت: قصدت.

(٧) مُداه الصَّيالم: سكاكينه القاطعة.

وَأَطْوَلُ ما أَقْضِي بِهِ أَقْصَرَ المُنى ... خَيالُ اضْطِبارٍ بَيْنَهَا لو يُلازِمُ

فَيا لَهفاً إِمَّا قَضَيْتُ وَما قَضَتْ ... حُقُوقَ مَعالِيها الهُمُومُ العَوازِمُ

وَما النَّازِعُ المَقْصُودُ فَارَقَ أَرْضَهُ ... يَحِنُّ وَفِي شَدِّ الحِبالِ القَوائِمُ[1]

إِذا لاحَ بَرْقٌ نَازَعَ الحَبْلَ سَادِماً ... فَيَكْبُو على اللبَّاتِ وَالحَبْلُ لازِمُ[2]

بِأَوْسَعَ حُزْناً مِنْ بَقِيَّةِ مُهْجَتِي ... وإِنْ قُلْتُ إِنِّي الصَّابِرُ المُتَحازِمُ[3]

أُفَارِقُ فِي إِفريقيا عُمْرَ عَاجِزٍ ... وَبِي كَيَسٌ كالطَّوْدِ فِي النَّفْسِ جَاثِمُ[4]

كَأَنِّي كَهِيمُ الطَّبْعِ أو قَاصِرُ الوَفَا ... أوِ الخَصْمَ مَظْلومٌ أوِ الحَقَّ ظالِمُ[5]

وَتَسْرِي سُيُوفُ اللهِ فِي جَنْبِ خَصْمِهِ ... بِأَيْمَانِ أَمْجَادٍ وَسَيْفِيَ نَائِمُ[6]

تُجَرِّدُهَا للهِ أُسْدٌ أَبِيَّةٌ ... تُوادِدُ فِي دَيْانِها وتُصَارِمُ

وَتَرْمِي بَقايا الصَّالِحِينَ نَجِيعَهَا ... فَتَمْسَحُها حُورُ الجِنانِ النَّواعِمُ

وَيَغْنَمُ أَهْلُ «النَّهْرَوانِ» شَهَادةً ... وَمَا هِيَ إِلَّا طَعْنَةٌ فَالمَغَانِمُ

يَبِيعُونَ دُنْيَاهُم بِمَرْضَاةِ رَبِّهِم ... وَإِنْ لامَهُم فِي مَطْلَبِ الحَقِّ لائِمُ

وَأَقْعُدُ مَخْشُوشاً عَلَى مَبْرَكِ الوَنَى[7] ... وَيَحْكُمُنِي عَنْ غَايَةِ القَومِ حَاكِمُ

---

(١) النّازع: الغريب

(٢) السادم: من أصيب بهم وغيظ وحزن || اللبات: جمع لبة وهو موضع القلادة من الصدر.

(٣) البيت تتمة لفكرة البيتين السابقين له، وهو هنا يفصلُ بين النازع/ الغريب (الذي هو نفسه) وبين بقية مهجته المحزونة أكثر من غريبها، وإن قال بصبره وتحازمه.

(٤) الكيس: الخفة والتوقد والذكاء || الطود: الجبل || جاثم: مُستقر. يلوم نفسهُ على ضياع عمره كعمر العاجز في شرق إفريقيا، رغم توقد نفسه وهمتها للمشاركة في نصرة الحق.

(٥) كهيم الطبع: جبان، ضعيف.

(٦) ملحوظة: في هذا البيت والبيتين السابقين له يُفصح عن تأزمه النفسي الذي طالما أفصحت عنه أبيات شعره بسبب حنينه وشوقه إلى عُمان وبين الموانع التي يلمح إليها ولا يفصح عنها.

(٧) مخشوش: من أكثر مفردات الدارج العُماني استخداماً، وتعني المُخبأ، واشتقاقاً منها المُنْخشّ - ويَستخدمها تقصُّداً لإظهار بُعدِها الترميزي الجارح في اللهجة، تعبيراً عما وصل إليه حاله في مَبْرَك الضعف الذي يتقصد استخدام مفردة مَبْرَك للتعبير عنه؛ فالمَبرَك هو حيث تبرُك النوق. لكن ما السبب الذي دعاه لتلك الخشّة؟ نجد الجواب في الشطر الثاني من البيت: ويحكمني عن غاية القوم حاكم. ففي هذا البيت إفصاح عما قيل من أنه لم يكن يستطيع مغادرة زنجبار.

أَلَيسَ اخْتِسَاءُ المَوْتِ أَحْجَى بِحَالَتِي ... عَلَى أَنَّ بَيْنِي وَالمَنَايَا تَلازُمُ
يُنادِي لإِحْدَى الحُسْنَيَيْنِ مُؤَذِّنٌ ... وأَقْعُدُ عن تأذِينِهِ أَتَصَامَمُ[1]
أَدُونَ فُتُوحِ النَّصْرِ تُرْضَى دُنَيَّةٌ ... وَهَلْ فِي سِوَى الفِرْدَوسِ يَخْلُدُ نَائِمُ[2]
وَهَلْ حُمِدَتْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ ... وَأَصْحَابِهِ إِلّا الشُّرَاةُ الصَّمَاصِمُ
وَهَلْ فَازَ بِالعَلْيَاءِ إلا مُصَمِّمٌ ... تَهُونُ لَدَيْهِ المُزْعِجَاتُ الجَسَائِمُ
إِلَيْكُمْ أُسُودَ اللهِ مِنِّي تَحِيَّةً ... يَمُورُ بِهَا فُلْكٌ وَتَخْدُو رَوَاسِمُ
إِلَيْكُمْ صَنَادِيدَ الغُبَيْرَاءِ[3] مِدْحَةً ... لَهَا فِي ذُرَى السَّبْعِ الطِّبَاقِ دَعَائِمُ
إِلَيْكُمْ لُيُوثَ الاسْتِقَامَةِ مِدْحَةً ... لَهَا فِي الكَرُوبِيِّينَ قَدْرٌ مُزَاحِمُ[4]
أَخَذْتُمْ بِأَمْرِ اللهِ قَلْباً وَقَالَباً ... وَشَاهِدُكُمْ نَصْرٌ مِنَ اللهِ قَائِمُ
وَكَافَحْتُمُ عَنْ عِزَّةِ الدِّينِ خَصْمَهَا ... فَعَزَّتْ وَأُسُّ العِزِّ تِلْكَ المَلاحِمُ
وَقَامَ لأَبْنَاءِ الحَنِيفَةِ مَعْقِلٌ ... بَنَتْهُ لَهُم تِلْكَ القَنَا وَالصَّوَارِمُ
وَقُمْتُمْ بِحُكْمِ القِسْطِ حتى تَشَعْشَعَتْ ... بِأَنْوَارِهِ بِيدُ الفَلا وَالعَوَاصِمُ
وَصَادَرْتُمُ الأَخْطَارَ فِي نَصْرِ رَبِّكُم ... وَهَانَتْ عَلَيْكُم فِي الجِهَادِ العَظَائِمُ
ضَمِنْتُم قِيَامَ العَدْلِ للهِ حِسْبَةً ... فَقَامَ، بِحَمْدِ اللهِ، وَالجُورُ رَاغِمُ
ذَكَرْتُم عُهُودَ الصَّالِحِينَ وَأَحْدَقَتْ ... بَوائِقُ دَهْرٍ نُكْرُهَا مُتَفاقِمُ[5]
فَآثَرْتُمُ مَا آثَرَتْ سُنَّةُ الهُدَى ... وَغَيَّرْتُمُ بِالسَّيْفِ مَا اللهُ نَاقِمُ
عَلَى الأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ مِنْكُمُ ... عَنِ المُنْكَرِ اشْتَدَّتْ لَدَيْكُم شَكَائِمُ
عَرَتْكُم لأَخْذِ الحَقِّ للهِ غِيرَةٌ ... فَآضَتْ بِفَتْحٍ وَالثَّوَابُ المَغانِمُ

---

(١) إحدى الحُسنيين: النصر أو الشهادة. ونرى الشاعر يلوم نفسه على عدم قدرته على نيلهما، لأنه تصامم عن النداء.

(٢) تأويل مفردة (دنيّة) في هذا البيت، وضمن سياق الأبيات السابقة أقرب إلى دُنَيّة: وهو اجتراحٌ لغوي قُصِدَ به تصغير تحقيري لـ الدَّنِيّة/ الدُّنيا.

(٣) الغُبيراء: من أسماء عُمان، وقد سماها به النبي محمد.

(٤) الكَرُوبيّون: أقرب الملائكة إلى حَمَلة العرش.

(٥) البوائق: الدواهي والشرور.

وَقَفْتُمْ وَسَيْلُ الظُّلْمِ طَامٍ وَطَالَمَا ... بِأَظْمَائِهَا بَاتَتْ لِنَصْرٍ حَوَائِمُ

فَبَاءَ، بِحَمْدِ اللهِ، بِالخِزْيِ خَاسِئاً ... لِدَاهِيَةٍ تَنْقَدُّ مِنْهَا الحَيَازِمُ[1]

وَأُبْتُم وَحَدُّ السَّيْفِ بِالعَدْلِ بَارِقٌ ... يُبَشِّرُ أَنَّ الحَتْفَ لِلظُّلْمِ دَاهِمُ

نَعَم ثَبَتَتْ أَقْدَامُكُم وَقُلُوبُكُم ... فَوَلَّتْ أَمَامَ الحَقِّ تِلكَ المَظَالِمُ

وَخَابَتْ أَمَانِيُّ البُغَاةِ مَهِيضَةً ... وَقَامَتْ على قَرْنِ الشِّقَاقِ المَآتِمُ

وَأَصْبَحَ سَيْفُ اللهِ فِي كَفِّ دَوْلَةٍ ... لَهَا مَدَدٌ مِنْ ذِي الجَلالِ وَعَاصِمُ

فَمَا خَامَ عَنْهَا غَيرُ نِكْسٍ مُنَافِقٍ ... كما قَامَ فِيها أَرْوَعُ النَّفْسِ حَازِمُ

وَأَصْبَحَ سُلطَانُ الشَّرِيعَةِ ثَابِتاً ... لَهُ عُمُدٌ فِي تُخْتِهِ وَدَعَائِمُ

عَلَى بَيْضَةِ الإِسْلامِ قَرَّ أَسَاسُهُ ... وَطَائِرُهُ فَوقَ السِّمَاكَيْنِ حَائِمُ[2]

وَكَانَتْ عُمانُ ـ الجُورُ مِلءُ إِهَابِها ... مَجَاهِلَ غُفْلاً لَيْسَ فِيهَا مَعَالِمُ

فَأَشْرَقَ نُورُ اللهِ فِي عَرَصَاتِهَا ... إلى أَنْ أَضَاءَتْ مِنْ سَنَاهَا العَوالِمُ

وَكَانَتْ حَمِيَّاتُ الرِّجَالِ تَحَزَّبَتْ ... فَأَصْبَحَ كالعِقْدِ الشَّتِيتِ العَمَاعِمُ[3]

وَصَارَ جِهَادُ المُعْتَدِينَ مَشَاعِراً ... يَحُجُّ إِلَيهَا المُقْسِطُونَ الأَعَاظِمُ

مُنَظَّمَةٌ أَلبَابُهُم وَسُيُوفُهُم ... وَنِيَّاتُهُم، وَالحَقُّ لِلكُلِّ نَاظِمُ[4]

يُؤَلِّفُهُم إِيمَانُهُم وَاحْتِسَابُهُم ... كَمُؤْتَلَفِ الأَنْصَارِ وَالدَّخْلُ عَارِمُ

---

(١) تنقد: تتشقق || الحيازم: الصُّلبُ من اليابسة.

(٢) بيضة الإسلام: عاصمة الإمامة؛ نزوى.

(٣) العَماعِم: أبناء العمومة؛ وفي هذا إشارة إلى تفرق وتعصب وتحزب القبائل رغم أن أفرادها في القريب والبعيد من أصولهم وفروعها أبناء عمومة.

(٤) **ملحوظة**: واحدة من التقنيات الشعرية التي يلجأ إليها أبو مُسْلِم؛ هي تفكيكه لوحدة البيت الشعري انفلاتاً بحصانه من الحلبة الضيقة لنطاق التعبير؛ وكمثال لها نرى أرجَحَتهُ للزمن بماضيه وحاضره بغية الوصول إلى ذروة تعبيرية في مفاضلته بين زمنين. ففي هذا البيت والأبيات الأربعة السابقة له؛ نجده يبتدئ بـ (وكانت عُمان الجور) وصفاً لما كان عليه الحال، وفي البيت الذي يليه: (فأشرق نور الله) وصفاً لما صار عليه، ليعود مرة أخرى: (وكانت حميات الرجال) التي هي نقيض زمني لـ: (وصار جهاد المعتدين)، كما لو في مشهد سينمائي يجعل القارئ يُتابع الحدثين توازياً وتناوباً في المَشْرَد الزمني الموظف لصالح انتصار أبطاله في المشهد الأخير.

فَجَمْعُهُمُ فَرْدٌ وَفَرْدَهُم بِهِ ... غَنَاءٌ إذا كَرَّ اللِّهَامُ الخَضَارِمُ

هَنِيئاً لأهْلِ الحَقِّ صِدقُ انْتِصَارِهِم ... وَيَقْظَتُهُم فِي اللهِ، وَالدَّهْرُ نَائِمُ

وَفَوا بِوَصَايا اللهِ فِي السُّخْطِ وَالرِّضَا ... كِرَاماً، وَأفْعَالُ الكِرامِ كَرَائِمُ

فَمَا حَصَروا فِي مَوْقِفِ الحَقِّ لَمْحَةً ... وَلا وَسَّعُوا ما ضَيَّقَتْهُ المَحَارِمُ

وَلا اخْتَلَبَتْهُم زَهْرَةُ العَيْشِ فِي الهَوَى ... وَلا زَيَّنَتْهُم فِي المَخَازِي العَمَائِمُ

وَلا حَسَدوا مِنْ نِعْمَةِ اللهِ ذرَّةً ... إذِ الفَضْلُ مَقْسُومٌ وَذُو الفَضْلِ قَاسِمُ

وَلا احْتَقَروا ذا القَدْرِ فِي مَنصِبِ التُّقَى ... وَلو زَهِدَتْ لِلفَقْرِ فِيهِ العَوالِمُ

وَلا دَاهَنُوا فِي الدِّينِ مِنْ أجْلِ مَطْمَعٍ ... يَسِيلُ بِهِ أنْفٌ مِنَ الكِبْرِ وَارِمُ

تَرَامَوا عَلَى القُرْآنِ شُزْباً بِمَائِهِ ... فَأصْدَرَهُم وَالكُلُّ رَيَّانُ هَائِمُ

مُقَدَّسَةٌ أبْابُهُم وَنُفُوسُهُم ... وَأفْعَالُهُم وَالمُنْتَحَى وَالعَزَائِمُ

لَهُم قِدَمٌ فِي الاسْتِقَامَةِ ثَابِتٌ ... وَهَمٌّ عَلَى الإخْلاصِ للهِ قَائِمُ

وَأيْدٍ عَنِ الدُّنْيا قِصَارٌ قَوَاصِرٌ ... وفوقَ أعاديهم طِوالٌ قواصِمُ[1]

تَمُرُّ بِهِم حَالانِ لِلبُؤسِ وَالرَّخَا ... وَفِيهِم، عَلَى الحَالَيْنِ، وَقْرٌ مُلازِمُ

وَمَنْ أذْهَلَتْهُ طَاعَةُ اللهِ أثَّرَتْ ... عَلَيْهِ فَلَم يَخْفلْ بِحَالٍ تُصادِمُ

بِأنْفُسِهِم شَأنٌ إلى اللهِ وَجْهُهُ ... شَدِيدُ القُوَى تَنْبُو عَلَيهِ الصَّوارِمُ

تَجَاذَبَهُم وَجْهَانِ: وَجْهٌ مِنَ الرَّجَا ... نَضِيرٌ، وَوَجْهٌ بِالمَخَافَةِ سَاهِمُ

إذا خَالَفوا؛ فالمِسْكُ طَارَتْ بِهِ الصَّبا ... وَإنْ أفْضَلوا فَهِيَ اللُّجَاجُ العَيَالِمُ[2]

وَإنْ حَارَبُوا تَسْتَبْشِرُ الحَرْبُ مِنْهُمُ ... لأنَّ قِرَاهُم لِلحُرُوبِ المَلاحِمُ

---

(١) **ملحوظة**: لمقابلة طول أيديهم على الأعداء، لم يكتفِ الشاعر بالنقيض: قِصَرها، بل أضاف: قواصر. ولترادف المفردتين، في حد ذاته، بُعدٌ جَمَالي يُغني الصورة الشعرية. لكن المَغنم البديعي ليس بُغيته البلاغية الوحيدة لما تختزنه مفردة قواصر من إسقاط دِلالي؛ فالقاصر شرعاً هو من لم يبلغ سِنَّ الرشد من الورثة، ومن لم يبلغ سن العريكة، لكنه أسبغ ظلال المعنى وشُموسه، إمعاناً في لِين المُفارقة وعُنفها، على أياد طوال قواصم. وهي بُلْغة خطاب سيتضح مرامه في البيت الذي يليه إظهاراً لرزانة ممدوحيه وثباتهم فقراً وغنى.

(٢) اللجاج: جمع لجّة، وهي معظم الماء لا يُدرك عُمقه || العيالم: الوسيعة.

لَـهُـم فـي سَـبـيـلِ اللهِ جِـدٌّ ونَـجْـدَةٌ ... وَثَـبْـتٌ لِكَـبَّـاتِ الـوَغَـى وَصَـرَائِـمُ

وَإِقْـدَامُ ضِـرْغَـامٍ إذا البُـهْـمُ أحْـجَـمَـت ... وَصَـخَّـتْ بِـآذانِ الـنُّـجُـومِ الـهَـمَـاهِـمُ

وَتَـشْـبِـيـهُـهُـم بِـالأُسْـدِ تَـقْـرِيـبُ نَـاعِـتٍ ... وَشَـنَّـانَ؛ أَقْـمَـارُ الـهُـدَى وَالـبَـهَـائِـمُ

لَقَـدْ وَثَـبُـوا، حَـيَّـاهُـمُ اللهُ وَثْـبَـةً ... رَمَى الكُفْرَ مِنْهَا المُخْزِيَاتُ القَوَاصِمُ

وَشَـدُّوا بِـعَـزْمِ الـرُّسْـلِ للهِ غِـيـرَةً ... (عَلَى قَدْرِ أَهْلِ العَزْمِ تَأْتِي العَزَائِمُ)[1]

فَـبَـاءُوا وَنُـورُ الـقِـسْـطِ لـلجُـورِ بَـاهِـرٌ ... عَـزِيـزٌ، وَتِـيـجَـانُ الـضَّـلالِ مَـنَـاسِـمُ[2]

وَلِلحَـقِّ أَعْـنَـاقُ الـبُـغَـاةِ خَـوَاضِـعٌ ... وَأَذْرُعُـهُـم فِـي بَـطْـشِـهِـنَّ مَـعَـاصِـمُ[3]

وَأَبْـطَـالُ خَـيْـلِ اللهِ، تَـحْـكِـي أَهِـلَّةً ... مِنَ الظَّفَرِ المَيْمُونِ، مِنْهَا المَبَاسِمُ

وَالـوِيَـةُ الـتَّـحْـكِـيـمِ تَـنْـشُـرُ عِـزَّهَـا ... وَتَـدْعُـو إلـى حُـكْـمٍ بِـهِ اللهُ حَـاكِـمُ

وَفَـتْـحُ «إمَـامِ الـمُـسْـلِـمِـيـنَ» وَقَـهْـرُهُ ... وَسُـلْطَـانُـهُ لا يَـنْـتَـحِـي عَـنْـهُ عَـاصِـمُ[4]

وَخَـيْـلُ جُـنُـودِ اللهِ تُـصْـبِـحُ شُـزَّبـاً[5] ... بِـثَـارَاتِ «عَـزَّانِ بـنِ قَـيْـسٍ» تُـصَـادِمُ

وَمِـنْ هَـمِّـهَـا ثَـأْرُ «الـخَـلِـيـلِيِّ» إنَّـهَـا ... إذا ذَكَـرَتْـهُ طَـيَّـرَتْـهَـا الـعَـزائِمُ[6]

أَتَـذْهَـبُ أَدْرَاجَ الـرِّيَـاحِ دِمَـاؤُهُ ... وَلا كَـدَمِ الـعُـصْـفُـورِ مَـا فِـيـهِ قَـائِـمُ

---

(١) بعد استرساله في وصف عزائمهم يُلقي بطُعْم شِعري شائع من أبي الطيب كان في غنى واستغناء عنه، لكن مُراده من وضعه لصَدر بيت المتنبي في عَجُز بيته إتمام القارئ له في ذِهْنه: (وتأتي على قدر الكِرام المكارمُ)، دعوة كريمة من شاعر لشاعر كي يشاركه مِدْحَته. ومَن سيقوم بواجبات ضيافة واستضافة المَدعُوّ ليس الدّاعي، بل القارئ.

(٢) مَناسِم: جمع مَنسم، وهو خفُّ البعير || والبيتُ إمعانٌ ليس في تمريغ تيجان الضّلال في التراب، بل إذلالها لتغدو أخفافاً للبُغران.

(٣) معاصم: جمع معصم، وهو موضع السوار من اليد، وهو اليد ذاتها، لكن المعنى يمتد إلى العصام: وهو الحبل الذي تشد به القربة وعروة الوعاء التي يُعلق بها، كناية عن تقييد أذرع البُغاة بأداةٍ من جنس عَمَلها.

(٤) يقصد الإمام سالم بن راشد الخروصي.

(٥) شُزَّب: ضامرة.

(٦) يشير إلى الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي.

وَتَـعْـبَـثُ نَـعْـلُ الـرَّافِـضِـيِّ بـوَجْـهِـهِ ... وَلألاءُ ذَاكَ الوجْهِ فِي العَرْشِ نَاجِمُ[1]

وَيُـدفَـنُ حَـيـاً لا جَـرِيـمَـةَ تُـقْـتَـضَـى ... سِـوَى أَنَّـهُ بِـالـحَـقِّ للهِ قَـائِـمُ[2]

أليـسَ مِـنَ الـغَـمِّ الـمُـمِـيـتِ وُقُـوعُـهـا ... وَطَـرْفُ وَلِيِّ الـثَّـأرِ فِـي الأمْـنِ نَـائِـمُ[3]

وَتَـنْـسَـى قُـلُـوبُ الـمُـؤمِـنِـيـنَ مُـصَـابَـهُ ... وَلِلآنَ مِـنْـهُ فِـي الـسَّـمَـاءِ مَـآتِـمُ

ألا فَـاغْـضَـبِـي يـا غَـارَةَ اللهِ وَلْـتُـقِـمْ ... نَـوَادِبَـهُ سُـمْـرُ الـقَـنـا وَالـصَّـوارِمُ

وَلا تَـتْـرُكِـي ثـأرَ الـمُـرَزَّءِ حَـبْـرِنـا ... «سَعيدَ بنَ خَلْفانٍ» لِمَنْ هُوَ خاتِمُ

فإنْ خَامَ عَنْهُ وَارْتَضَى الضَّيمَ مَلْبَأً[4] ... وَسَـالَمَ، فـالإيـمَـانُ لَـيـسَ يُـسَـالِـمُ

لـيَـحْـتَـكِـمَـنَّ اللهَ أَخْـذاً بِـثـأرِهِ ... وَيَـعْـجَـزُ عِـنـدَ الاحْـتِـكـامِ الـمُـقـاوِمُ

فـلا تَـحْـسَـبُـوا أنَّ الـدِّمَـاءَ مُـضَـاعَـةٌ ... إذا سَـفَـكَـتْـهَـا فِـي هَـوَاهـا الـمَـظَـالِـمُ

وإنْ ضَـيَّـعَـتْـهـا أهْـلُـهَـا فَـحُـقُـوقُـهـا ... يَـغَـارُ لَـهَـا لِلعَـدْلِ بِـالـقِـسْـطِ قَـائِـمُ

خُـذِي يـا خُـيُـولَ اللهِ فِـي كُـلِّ مَـرْصَـدٍ ... بِـحَـمْـلَةِ غَـيْـظٍ تَـتَّـقِـيـهَـا الـصَّـلادِمُ

وَلا تَـتَـنَـاسَـي سِـيـرَةَ الـحَـبْـرِ «صَـالِـحٍ» ... فَـسِـيـرَتُـهُ لِلـمُـهْـتَـدِيـنَ مَـعَـالِـمُ[5]

قَـضَـى دَهْـرَهُ للهِ مُـحْـتَـسِـبـاً لَهُ ... وَمَـاتَ شَـهِـيـداً وَالـقَـذائِفُ سَـاجِـمُ[6]

وَمَـا سَـاءَنِـي أنْ أكْـرَمَ اللهُ وَجْـهَـهُ ... بِـمَـوتٍ رَجَـاهُ الـطـيِّـبُـونَ الأكَـارِمُ

---

(١) **ملحوظة**: الرَّافِضي؛ سُبَّةٌ تُطلقُ عادةً على الشِّيعي، ولا ندري لِمَ أطلَقها على قاتِلِ الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي وهو مِنْ نفسِ مَذهَب الشاعر.

(٢) الإشارة إلى تعدد الروايات حول التصفية الجسدية الشنيعة للشيخ سعيد بن خلفان بعد سجنه.

(٣) **ملحوظة**: الأَوْلَى بثأره؛ قصد به ولد الشيخ المَغدور عبدالله بن سعيد بن خلفان الذي رفض المُبايعة ونصرة الإمام سالم بن راشد.

(٤) خام: وحُم وجبُن || اللبأ: هو أوَّلُ لبن الشاة بعد ولادتها، ويكون غليظاً مالحاً غنياً بالمواد المُغذية يرقُّ بعد مرور أسبوعين على الولادة ويصير حليباً، واشتقاق الشاعر لـ مَلْبأ صحيح ودقيق للتعبير عمن ارتضى الضيم ولم يأخذ بثأر أبيه، خلاف ما ذهب إليه بعض الشُّراح الذين أشكلت عليهم «ملبا» واعتقدوا أنها من أخطاء النُّساخ فغيَّروها لتصير: «مَلْبأ».

(٥) إشارة: قصد الشيخ المُحتسِب صالح بن علي الحارثي؛ والد الشيخ عيسى بن صالح المُرسلة إليه القصيدة.

(٦) استشهد في إحدى الحملات بقرية الجيلة ودُفِن في سَمائل.

تَـأَسَّـى بِـقَـوْمٍ بِـالـشَّـهَـادَةِ أَكْـرِمُـوا ... لَهُـم مَـوْطِـنٌ فِـي جَـنَّـةِ الـخُـلْدِ دَائِمُ
وَمَـا قَـصَّـرَتْـهُ هِـمَّـةٌ عَـنْ مَـقَـامِـهِـم ... إِلَـى أَنْ تَـوَلَّى وَالـتُّـرَاثُ الـمَـكَـارِمُ
فَـهَـلْ عِـنْـدَ «عِيسَى» أَنْ يَـقُـومَ مَقَامَهُ ... وَهَـلْ عِـنْـدَهُ أَنَّ الـقُـعُـودَ مـحـارمُ[1]
وَهَـلْ عِـنْـدَهُ أَنَّ الـجِـهَـادَ فَـرِيـضَـةٌ ... وَقـد وَضَـحَ الإِمْـكَـانُ وَالـخَـصْـمُ خَـائِمُ
وَهَـلْ عِـنْـدَهُ أَنَّ الـمُـقَـدَّرَ كَـائِنٌ ... وَأَنَّ وُقُـوعَ الـحَـتْـفِ بِـالـمَـرءِ لازِمُ
وَهَـلْ عِـنْـدَهُ أَنَّ الـمَـعَـالِيَ صَـعْـبَـةُ الـ ... ـمَـراقِـي، وَأَهْـلُـوهَـا الـسُّـرَاةُ الـلَّـهَـامِـمُ
وَهَـلْ عِـنْـدَهُ أَنَّ الـحُـدُودَ تَـعَـطَّـلَـتْ ... وَأَنَّ حُـقُـوقَ الـمُـسْـلِـمِـيـنَ غَـنَـائِـمُ
وَهَـلْ عِـنْـدَهُ أَنَّ الـمَـنَـاهِـيَ أُكْـرِمَـت ... وَنَـابُ أَعَـادِي اللهِ فِـي الـعُـرْفِ آزِمُ
وَهَـلْ عِـنْـدَهُ لِلاسْـتِـقَـامَـةِ نُـصْـرَةٌ ... وَقَـدْ هَـجَـمَـتْ لِلقَاسِطِينَ الـهَـوَاجِـمُ
وَهَـلْ عِنْدَ «عِيسَى» أَنَّ لِـ الفرْضِ عَادَةً ... قَـدِيـمَـةَ ذِكْـرٍ جَـدَّدَتْـهَـا الـمَـقَـادِمُ[2]
وَفَرْضٌ عَلَى ذِي الفَرْضِ عَادَةُ فَرْضِهِ ... إِذا لَزِمَـتْ حَـامِـي الـذِّمَـارِ الـلَوَازِمُ[3]
فِدىً لَكَ نَفْسِي يَا ابْنَ «صَالِحَ» قُمْ بِهَا ... فَـإِنَّـك لِلسَّـيـفِ الأَبَـاضِـيِّ قَـائِـمُ
تَـجَـرَّدْ لَهَـا وَاذْكُـرْ وَقَـائِعَ «صَـالِحٍ» ... وَدُونَـكَ أَسْـلافٌ كِـرَامٌ ضَـرَاغِـمُ
وَخُذْ مِنْ قُلُوبِ الـمُـؤْمِنِينَ بِشُـعْـبَـةٍ ... فَـإِنَّ قُـلُـوبَ الـمُـؤْمِـنِـيـنَ صَـوَارِمُ
أَنَـاديـكَ لِلجُـلَّى وَأَنْـتَ شِـهَـابُـهَـا ... وَقُـمْـقَـامُـهَـا إِنْ أَعْـوَزَتْـهَـا الـقَـمَـاقِـمُ
فَخُذْ مِنْ «إِمامِ الـمُـسْـلِـمِـينَ» بِضَـبْـعِـهِ ... فَـمِـثْـلُـكَ مَـنْ تَـدْعُـو الأُمُـورُ الـعَـظَـائِـمُ

---

(١) إشارة: في البيت حَضٌّ واضح للشيخ عيسى أن يقوم مقام والده الشيخ المُحتسب صالح بن علي الحارثي، وأن يبايع ويحارب إلى جانب الإمام.

(٢) يشير إلى «الفرض»، سيف الشيخ عيسى الذي سُمِّيَ بهذا الاسم بعد مطاردته لمارق اختبأ خلف نخلة فَرْض فَقطعها وقطع الضال المُختبئ وراءها، كما روت الرِّوايات التي يؤكِّدُها الشاعر.

(٣) يستثير نخوته لنصرة الإمام بسيفه الفرْض، وغنيٌّ عن الشرح بلاغة استخدامه لمفردة الفرض في صدر بيته ثلاث مرات بمعانيها الثلاثة: وفَرْضٌ على ذي الفرضِ عادة فَرْضِه، استنهاضاً مِنهُ لصاحب السيف.

(٤) ضَبْع: أسرع في سيره، ومد يده بالسيف، وضبع فلانٌ ضبعاً: جار وظلم. وهو يستخدمها هنا بكافة معانيها. أي: أسرع إليه ومد يدك بسيفك لنصرة سيفه، وإن جار أو ظلم فمثلك من يردعه عن ظلم قد يبدر منه، لأن من هو في مكانتك لا يُدْعَى، بل تدعوه الأمور العظائم.

وَلا تُـلْقِ لِلتَّـفْـنِـيـدِ أُذْنـاً فَـإِنَّـهُ لَهُ بَـيِّـنَـةٌ صِـدْقٌ وَقَـدرٌ مُـلازِمُ[1]
وَأَنْـتَ بِـأَحْـكَـامِ الإِمَـامِ وَحَـقِّـهِ عَـلَيْـكَ، وَأَحْـكَـامِ الـوَلايَـةِ عَـالِمُ
وَقَدْ أَمْكَنَتْكُم فُرْصَةٌ لِقِيَامِكُم وَكَمْ رَامَهَا مِنْ قَبلِ ذا الوَقْتِ رَائِمُ
فَلا تُهْمِلُوهَا بَعدَ أَنْ جَدَّ جِدُّها وَقَامَ بِهَا حَسْبَ الشَّرِيعَةِ قَائِمُ
أَلا فَالْزَمُوهَا سُنَّةً وَجَمَاعَةً وَقد طَالَمَا حَنَّتْ إِلَيهَا العَوَالِمُ
وَعُضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ جِهْدَكُم فَفِيهَا بِدَايَاتُ الهُدَى وَالخَوَاتِمُ
يَكُنْ جُهْدُكُم فِيهَا دَلِيلاً لِنَهْضَةٍ لأَزْكَى صِفاتِ المُصْطَفِينَ تُلائِمُ
وَإِنَّ لَكُم فِيمَنْ هَدَى اللهُ أُسْوَةً وَإِنَّ هُدَاكُمْ لِلعِبَادِ مَعَالِم
وَأَنَّكُمُ لِلصَّالِحَاتِ أَدِلَّةٌ وَإِنَّكُمُ لِلمُرْتَقِينَ سَلالِمُ
وَإِنَّ الأَبَاضِيِّينَ فِي الأَرْضِ حُجَّةٌ عَلَى النَّاسِ: ذِي جَهلٍ وَمَنْ هُوَ عَالِمُ
وَإِنَّ الذِي وَفَّى بِشِرْعَةِ دِينِكُم وَمَاتَ عَلَيْهَا، فَهُوَ لا شَكَّ سَالِمُ
وَإِنَّ إِمَامَ المُسْلِمِينَ عَلَى هُدَى مُخَالِفُهُ بَاغٍ عَلَى الحَقِّ ظَالِمُ
إِمَامَتُهُ حَقٌّ وَفَرْضُ اتِّبَاعِهِ عَلَى سَاكِنِي المِصْرِ العُمَانيِّ لازِمُ
وَإِنَّ الذِي وَفَّى بِطَاعَةِ أَمْرِهِ وَلِيٌّ وَإِلّا فَالعَدُوُّ المُخَاصِمُ
وَهَذا اعْتِقادٌ فَوقَ كُلِّ مُكَلَّفٍ لَهُ مِنْ أُصُولِ الدِّينِ قَطْعاً دَعَائِمُ
لَقَدْ شَكَرَ اللهُ الذِينَ تَعَاوَنُوا عَلَى البِرِّ وَالتَّقْوَى وَفِي اللهِ قَاوَمُوا
وَحَسْبُ الإِمَامِ المُهْتَدِي مِنْ كَرَامَةٍ بِأَنْ قَامَ وَالدُّنْيَا جَمِيعاً تُرَاغِمُ
وَمَنْ يَكُنِ المَنصُورَ مِنْ عِندِ رَبِّهِ وَقَاوَمَهُ المَخْلُوقُ ذَلَّ المُقاوِمُ
إِمَامَ الهُدَى إِنْ يَنْتَضِي الدِّينُ سَيفَهُ فَأَنْتَ لَهُ حَدٌّ وَنَصْلٌ وَقَائِمُ
أُبَرِّرُ فِيكَ الحَمْدَ وَاللُّسْنُ أَخْرَسٌ وَأَبْسُطُ فِيكَ المَدْحَ وَالعِيُّ وَاقِمُ
وَأَسْتَرْشِدُ الأَفْكَارَ فِيكَ فَأَنْثَنِي بِأَوْضَحِ أَفْهَامِي كَأَنِّيَ وَاهِمُ
وَهَيْهَاتِ لَم تَبْلُغْ بَدَائِعُ مِدْحَتِي لِفَضْلِكَ إِلّا حَيْثُ تُعْيِي التراجِمُ

---

(١) التفنيد: تضعيف الإمامة وتبطيلها.

وَإِنِّي لِمَا أَرْضَى لِمَدْحِكَ كَارِهٌ ... لأَنَّكَ لِلدُّنْيَا جَمِيعاً مُصَارِمُ[1]

وَلَكِنَّ حُرَّ القَوْلِ يَنْحُو مَقَرَّهُ ... كَمَا أَنَّ لِلتِّيجَانِ تَنْحُو اليَتَائِمُ[2]

وَمَا أَنْتَقِي التَّمْجِيدَ فِيكَ، وَإِنَّمَا ... إِلَيْكَ اهْتَدَى حُرُّ الكَلامِ المُلائِمُ[3]

يُسَابِقُ فِيكَ الحَمْدَ قَبْلَ انْتِقَائِهِ ... وَهَذا لأَنَّ الحَمْدَ فِيهِ مَكَارِمُ

وَلَسْتُ بِأَقْصَى الحَمْدِ فِيكَ مُمَوِّهاً ... إِلى العَرَضِ الفَانِي بِشِعْرِي أُزَاحِمُ

وَلَكِنْ رَأَيْتُ اللهَ يَمْدَحُ أَهْلَهُ ... وَمِنْ فَضْلِهِ بَدْءُ العَطَا وَالخَوَاتِمُ

هَدَاهُم إِلَيهِ ثُمَّ أَثْنَى عَلَيْهِمُ ... وَذَلِكَ فِي إِحْسَانِهِ مُتَلازِمُ

وَحَمْدُ وَلِيِّ اللهِ عَيْنُ وَلايَةٍ ... وَتَوْقِيرُهُ فَيْضٌ مِنَ اللهِ سَاجِمُ

فَكُلُّ رَجَائِي بِالثَّنَاءِ عَلَيْكُمُ ... ذَخَائِرُ عِنْدَ اللهِ لِي وَمَغَانِمُ

وَأَسْنَى حُظُوظِي إِنْ أُوَفَّقْ مَعِيَّةٌ ... وَحُبٌّ إِلى يَومِ القِيَامَةِ دَائِمُ

فَإِنَّ مُحِبَّ القَوْمِ - لا رَيْبَ - مِنْهُمُ ... قَسِيمُهُمُ: إِنْ مَغْنَمٌ أَوْ مَغَارِمُ

أُحَاوِلُ فَوْزاً مِنْ حَيَاتِي بِقُرْبِكُم ... يَرَاعِي وَسَيْفِي وَالنُّهَى لَكَ خَادِمُ

وَإِنِّي لِدَهْرٍ صَدَّنِي عَنْكَ شَانِئٌ[4] ... وَحَتَّى مَتَى مِنْ صَرْفِهِ أَنا وَاجِمُ

أُدَبِّرُ حَزْمَ الرَّأْيِ فِي حَلِّ قَيْدِهِ ... وَهَيْهَاتِ! أَعْيَا مِنْهُ عَيٌّ وَحَازِمُ

وَإِنِّي أُشِيمُ البَرْقَ مِنْ حَيْثُ نَفْعُهُ ... وَإِنَّكَ أَجْدَى بَارِقٍ أَنا شَائِمُ

وَسِرُّكَ بِالتَّفْرِيجِ أَوْحَى مُؤَمَّلٍ ... وَإِنْ سَدَّتِ الأَبْوابَ دُونِي البَوَازِمُ[5]

---

(١) **ملحوظة**: في إشارة لوَرَع الإمام وتُقاه وانصرافه عن الدنيا، يقول: أكره رضاي عن مدحك لعلمي بانصرافك ومقاطعتك لكل ما هو دُنيويّ، ومِدْحتي مهما بلغ شأوُها لا تعدو ذلك.

(٢) **ملحوظة**: يُكْسِبُ مِدْحتهُ في هذا البيت مَقامَها الذي خلعها منه في البيت السابق، فحُرُّ القول الصادق يقصد قصده ومَقرُّهُ انتقاءً وتخصيصاً، كما تقصد يتائم وفرائد الأحجار الكريمة مقرّاتها في غُرَر التيجان، وفي البيت مَديحٌ للمِدْحة والمَمْدُوح.

(٣) **تلميح**: رغم أن مِدْحته حُرُّ قولٍ خالص؛ لكنه لم يختره بنفسه بل اهتدى من تلقاء ذاته إلى ذات الممدوح.

(٤) شانيء: كاره.

(٥) البوازم: الشَّدائدُ، واحدتها بازِمةٌ؛ وأنشد لعنترة بن الأخرس: خَلُّوا مَراعِي العينِ، إنَّ سَوامَنَا | تَعْوُدُ طُولَ الحَبْسِ عندَ البَوازِمِ. والمِبْزَمُ: السِّنُّ، وأهل اليَمَن يُسمون السِّنَّ البَزَمَ

فَصِلْ، يَا وَلِيَّ الله، وَصْلي بِخَطْرَةٍ ... عَلَى القلْبِ لا تَبْقَى عَلَيْهَا الأَوَازِمُ[1]

فَإِنَّ قُلُوبَ الأَوْلِيَاءِ فَوَاعِلٌ ... لأَنْحُرِ نُورِ اللهِ فِيهَا تَلاطُمُ

مَحَلٌّ تُجَلِّي الحَقُّ مِشْكَاةُ نُورِهِ ... لَهُ وَسِعَتْ، إِذْ لَمْ تَسَعْهُ العَوَالِمُ

فَلا بِدْعَ مِنْ تَأْثِيرِهَا حَيْثُ أَثَّرَتْ ... وَلو حَيِيَتْ مِنْهَا العِظَامُ الرَّمَائِمُ

وَإِنِّي، بِحَمْدِ اللهِ، فِيكَ لَمُخلِصٌ ... وَلو خَاصَمَتْنِي فِي الوَلاءِ الخَوَاصِمُ

وَمَالِي وَلِلأَعْدَاءِ جَاشَتْ صُدُورُهُم ... وَغَصَّتْ بِمَا تَحْوِي الصُّدُورُ الحَلاقِمُ

عَلَى أَنَّنِي وَالَيْتُ فِي اللهِ أَهْلَهُ ... وَعَادَيْتُ مَنْ نِيطَتْ عَلَيهِ المَآثِمُ

وَمَنْ لَهُمُ أَنْ أَخْذُلَ الحَقَّ ظَالِماً ... ويَظْفَرُ مِنِّي بِالوَلايَةِ ظَالِمُ

وَهَذا مُحَالٌ لا يَنالونَ نَيلَهُ ... وَلو ضَغَمَتْ جِسْمِي عَلَيْهِ الضَّياغِمُ

(يُدِيرُونَنِي عَنْ سَالِمٍ وَأُرِيغُهُ ... وَجِلْدَةُ بَيْنَ العَيْنِ وَالأَنْفِ سَالِمُ)[2]

وَلو نَصَبُوا جِسْمِي وَجَرُّوا جُيُوشَهُم ... لِرَفْعِ حَيَاتِي لم تَرُعْنِي الجَوَازِمُ[3]

وَمَا آنَسَ الأَعْدَاءُ مِنِّي هَشَاشَةً ... أَبَى اللهُ إِلّا حَيْثُ تَدْعُو المَكَارِمُ

وَكَم عَجَمُوا عُودِي عَلَى الدِّينِ فَانْثَنَتْ ... كِلالاً عَنِ المُرِّ الصَّلِيبِ العَوَاجِمُ

وَلَوْلا المَقَادِيرُ التي عَزَّتِ القُوَى ... لَمَا اكْتَسَبَتْ مِنِّي الخُطُوبُ الغَوَاشِمُ

نَذَرْتُ حَيَاتِي تَحْتَ ظِلِّ لِوَائِهِ ... وَأَحْرَزْتُ خَصْلِي إِذ تُحَزُّ الغَلاصِمُ

وَلَم يَكُ قَسْمِي غَيرَ ضَرْبَةِ قَاضِبٍ ... إِذا قُسِمَت فَوقَ الفُرُوقِ الصَّوَارِمُ

---

(١) الأوازم: قال العامريّ: يقال أزَمَ عليه إذا عَضَّ ولم يفتح فَمَه. قال أبو عُبيد: أزَمَ عليه إذا قبض بفمه، وبزَم إذا كان بمقدَّم فيه.

(٢) يُريغونني: ويقال: أَرِيغُوني إراغَتَكم أي اطْلُبوني طَلِبَتَكم. التهذيب: فلان يُرِيغُ كذا وكذا ويُلِيطُه أي يَطْلُبه ويديره. وأنشد الليث: يُديرونني عن سالِمٍ وأُرِيغُه | وجِلْدةُ بَين العَيْنِ والأَنْفِ سالِمُ. إشارة: البيت بأكمله تضمين من الليث؛ ويبدو أنَّ الشاعر أُعجب به، وبمناسبته، قاصداً به توظيف اسم الإمام سالم بن راشد الخروصي الذي تمسكَ الشاعر به ودعا إلى نصرته، فهو بالنسبة إليه كالجلدة الرَّهيفة بين العين والأنف.

(٣) الجوازم: الجَزْم: شيءٌ يُدْخَلُ في حياء الناقة لتَحْبِسَهُ ولدَها فتَرْأَمَه كالدُّرْجة. ويُقال: جَزَّم البعيرُ فما يَبْرَحُ، وانْجَزَمَ العظمُ إذا انكسر. الفراء: جَزَمَتِ الإبلُ إذا رَوِيَتْ من الماء، وبعير جازِمٌ وإبل جَوازِمُ، ويبدو أن المقصود بالمعنى هو انكسار العظم.

أو الطَّعْنَةُ النَّجْلاءُ تَرْمِي نَجِيعَها ... تَفُوزُ بِهَا مِنِّي الطُّلى وَاللَّهَازِمُ

وَتِلْكَ، لَعَمْرُ اللهِ، أَبْخَسُ قِيمَةٍ ... لِرِضْوَانِ ربِّي يَومَ تُعْطَى المَقاسِمُ

بِحُبِّ «أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ ابْنِ رَاشِدٍ» ... أَدِينُ، وَأَنْفُ الخَصْمِ خَزْيَانُ رَاغِمُ

مَحَبَّةَ مَنْ بَاعَ الضَّلالَةَ بِالهُدَى ... يَبِيعُ وَيَشْرِي مُؤْمِناً وَيُسَاوِمُ

مَحَبَّةَ مَنْ لا يَتَّقِي المَوْتَ مُسْلِماً ... يُحَارِبُ فِي دِينِ الهُدى وَيُسَالِمُ

إِلَيْكُم عِبادَ اللهِ مِنِّي نَصِيحَةً ... يُبَرِّرُهَا قَوْلٌ مِنَ اللهِ جَازِمُ

أَحَقاً تَقَاعَدْتُم بِهَا وَهِيَ دِينُكُم ... وَخَارَتْ عَنِ العِزِّ المُقِيمِ العَزَائِمُ

أَحَقاً عِبادَ اللهِ بَعْضُ سُيُوفِكُم ... لِدَعْوَةِ أَهْلِ الاسْتِقَامَةِ حَاسِمُ

أَحَقاً عِبَادَ اللهِ بَعْضُ قُوَاكُمُ ... لِقَوَّةِ عُبَّادِ الصَّلِيبِ دَعائِمُ

أَفِي عِزَّةِ الطَّاغُوتِ يُشْهِرُ مُؤْمِنٌ ... حُسَاماً وَتَهْوِي فِي أَخِيهِ اللَّهَاذِمُ

أَحَقاً عِبَادَ اللهِ أَنَّ خِيَارَكُم ... تُنَاصِبُ قُوَّامَ الهُدَى وَتُقَاوِمُ

سُيُوفُكُمُ، يَا قَوْمُ، سَيْفَانِ: خَاذِلٌ ... لِحَقٍّ وَسَيْفٌ فِي المُحِقِّينَ خَازِمُ

أَيَهْدِمُ أَلْفٌ ما بَنَى الفَرْدُ مِنكُمُ ... وَكَيْفَ بِنَاءُ الفَرْدِ وَالأَلْفُ هَادِمُ

وَيَا أَسَفاً أَنْ تَهْشِمَ العُقْرَ فِئَةٌ ... زَبُونٌ، وَتُزْجِيهَا رِجَالٌ مَعَاصِمُ

عَرَفْنَاهُمُ بِالخَيْرِ حِيناً فَمُذْ بَدَتْ ... سَرَائِرُهُم لَم تَبْدُ إِلّا الأَرَاقِمُ

تَصَبَّتْهُمُ الدُّنْيَا فَكَانُوا سِبَاعَها ... وَصَيْدُهُمُ مِنْهَا الذَّمِيمُ المُصَارِمُ

تَمَنَّيْتُمُ أَنْ يَظْهَرَ العَدْلُ لَمْحَةً ... فَلَمَّا بَدَا شَدَّتْ عَلَيْهِ الضَّيَاغِمُ

أَفِي العَدْلِ حَيْفٌ أَم مِنَ العَدْلِ ذِلَّةٌ ... عَلَيْكُم وَكُلُّ العِزِّ لِلعَدْلِ لازِمُ

وَكَيْفَ يُعَادِي العَدْلَ من هَمُّهُ التُّقى ... وَلَكِنَّهُ بَغْيٌ بِكُم وَتَعَاظُمُ

هَمَمْتُم بِأَمْرٍ وَالرَّزَايا تَنُوشُهُ ... وَيَعْقِبُهَا عَدْلٌ مِنَ اللهِ قَاصِمُ

فَيَا فِتْنَةً عُظْمَى تَحَوَّشْتُمُ بِها ... تَقُضُّكُمُ أَنْيَابُها وَالمَلاهِمُ

فَمَا تَنْتَهِي إِلّا وَلِلبَغْيِ صَرْعَةٌ ... وَحَدُّ حُسَامِ اللهِ فِي البُطْلِ حَاكِمُ

وَتَنْصُرُ أَهْلَ اللهِ غِيرَةُ رَبِّهِم ... وَأَيْنَ إِذا غَارَ الإِلَهُ المُقاوِمُ

وَيَعْلُو إِمَامُ المُسْلِمِينَ بِعَدلِهِ ... عَزِيزاً، وَمِيزَانُ الحَنِيفَةِ قَائِمُ

أفيقوا بَني القرآن(*)
(العَينيَّة)

أَلا هَلْ لِدَاعِي اللهِ فِي الأَرْضِ سَامِعُ ... فَإِنِّي بِأَمْرِ اللهِ، يَا قَوْمِ صَادِعُ(١)

وَهَلْ مَنْ يَرَى للهِ حَقاً وَمَرْجِعاً ... إِلَيْهِ، وَأَنَّ الدِّينَ لا شَكَّ وَاقِعُ

وَهَلْ مَنْ يَرَى أَنَّ الحُقُوقَ التي دَعَا ... إِلَيْهَا رَسُولُ اللهِ غُفْلٌ ضَوائِعُ

وَهَلْ مَنْ يَرَى الشَّرْعَ الشَّرِيفَ تَدَرَّأَتْ ... عَلَيْهِ حَثَالاتٌ؛ مُبِيرٌ وخَانِعُ(٢)

(*) هذه القصيدة واحدة من فرائد أبي مُسلم الشعرية لشموليتها وحكمتها وبلاغتها المُحكمة وقدرتها على إنفاذ رسالتها الواضحة إلى شرائح عريضة في أصقاع أمّةِ الإسلام. وهي نتاجُ تفكُّر وتأمل في حال الأمة والدعوة لصلاحها ورشادها، خلافاً لقصائده المُتحزبة لمذهب الشاعر الذي فُطِر عليه وأخلص له. لذلك كان اختيارُ عنوانها «أفيقوا بني القرآن» للتدليل على انفتاح رسالتها على كافة المسلمين، دون اشتراط لتمذهب بعينه. وتنطوي أبياتها على رؤية ناقدة لحال المُسلمين في ديار الإسلام وانقسامهم أمام أعدائهم، مؤكداً أن الدين واحد: *وما الدينُ إلا واحدٌ والذي نرى / ضلالات أتباعِ الهوى تتقارعُ*، كما يرد في أحد أبياتها. وهي واحدة من قصائده الاستنهاضية لكافة الأمة الإسلامية يخاطبها بضرورة العودة إلى أصل الدين، لا فروعه ومذاهبه وشِيَعِه لصَدِّ أعداءِ الأمة. وهي قصيدة تبين ـ كما يورد محمد المحروقي في دراسته ـ «كشف أبي مسلم زيف ادعاءات الاستعمار، بشعاراته البراقة، وكلماته الرنانة». جدير بالذكر أنها قصيدة وردت أيضاً في كتابِ «نهضة الأعيان» لأبي بشير محمد شيبة بن نور الدين عبدالله بن حُميد السالمي، بعنوان: «العَينيّة»، كما راجت في ذلك العصر؛ لذلك أثبتنا عُنوانها المُوازي.

(١) الصّادع: القاضي بين القوم يفرُقُ بين الحق والباطل.

(٢) تدَرَّأ: تطاول وتجبر، وأيضاً: استتر بالدريئة ـ مُبير: مهلك.

وَهَلْ مَنْ يَرَى أَنَّ الحَنِيفةَ سَامَها ... بِمَا شَاءَ مِنْ ضَيْمٍ لَعِينٌ مُخَادِعُ[1]

تَسَمَّالأُ ظُلْماً خَيْلُهُ وَرِجَالُهُ ... وَلَيْسَ لَهُم حَدٌّ سِوَى اللهِ مَانِعُ

يَدُوسُونَها دَوْسَ الحَصِيدِ كَأَنَّها ... لَقىً، وَأَخُو الإِيمَانِ فِي الأَسْرِ خَاشِعُ[2]

أَفِيقُوا بَنِي القُرْآنِ إِنَّ هُدَاكُمُ ... إِلى الجُبْتِ[3] وَالطَّاغُوتِ فِي الذُّلِّ ضَارِعُ

أَفِيقُوا بَنِي القُرْآنِ إِنَّ كِتَابَكُم ... يُنَاقَضُ فِي أَحْكَامِهِ وَيُنَازَعُ

تَعِيثُ قُرُودُ الْجِبْتِ فِي سُنَّةِ الهُدى ... إِذا عَقَدُوا شَنْعَاءَ جَاءَتْ شَنَائِعُ

يَعُدُّونَ دِينَ اللهِ بُهْتاً وَهُجْنَةً ... وَأَنْ لَيْسَ مِنْ صَوْبِ الإِلهِ شَرَائِعُ

وَأَنَّ وُقُوعَ الدِّينِ فِي الأَرْضِ مُفْسِدٌ ... وَأَنَّ قَوَانِينَ السَّمَاءِ فَظَائِعُ

وَأَنَّ الذي جَاءَتْ بِهِ الرُّسْلُ كُلُّهُ ... مُضِرٌّ، لأَسْبَابِ الرُّقِيِّ مُصَارِعُ

وَأَنَّ هُدَى الإِسْلامِ فِي الأَرْضِ ظُلْمَةٌ ... وَلَو زَالَ بَانَتْ لِلرُّقِيِّ سَوَاطِعُ

وَأَنَّ بَنِي الإِسْلامِ فِي هَمَجِيَّةٍ ... وُحُوشٌ تَعَادَى[4] فِي الفَلا أَوْ ضَفَادِعُ

وأَنَّ بَنِي الإِنْسَانِ فِي الأَرْضِ طَائِرٌ ... عَلَى شَرَكٍ عِزَّ الجَنَاحَيْنِ وَاقِعُ

وَلَوْلا عُرَى إِشْرَاكِهِ لَتَوَسَّعَتْ ... مَدَارِكُهُم حَيْثُ الحُدُودُ المَوَانِعُ

هَلُمَّ بِنا نَقْطَعْ حِبَالَةَ دِينِنا ... إِذِ الدِّينُ عَنْ نُورِ التَّمَدُّن قَاطِعُ

وَنُرْسِلُ أَطْيَارَ النفوسِ إِلى الهَوَى ... فَإِنَّ هَوَاها لِلسَّعَادَةِ جَامِعُ

وَنَذْرُوا وَصَايا اللهِ فِي الرِّيحِ تُرْبَةً ... فَلَيْسَ بِهَا ـ أَسْتَغْفِرُ اللهَ ـ نَافِعُ

وَفِي دَوْلَةِ التَّعْطِيلِ مَرْعًى وَنُضْرَةٌ ... وَفِي دَوْلَةِ الدِّينِ الدِّيَارُ البَلاقِعُ

وَلا كَوْنَ إِلّا لِلطَّبِيعَةِ إِنَّهَا ... لَهَا الضُّرُّ فِي أَكْوَانِهَا وَالمَنَافِعُ

وَأَنْ نَنْتَحِلْ شِبْهاً لِدِينٍ سِيَاسَةً ... فَفِي دَوْلَةِ التَّبْشِيرِ فِعْلٌ مُضَارِعُ

---

(١) لَعِين: أوردها بعضهم: لِعَيْنٍ. ونعتقد أنه قصد لَعِين دون سواها، وفي سياق البيت دليل وبيّنة.

(٢) اللَّقى: ما طُرِحَ وتُرِكَ لهَوَانِه، وتعني أيضاً: اللقيط.

(٣) الجِبْت: الساحر والكاهن وكُلُّ ما عُبِدَ من دون الله؛ جاء في التنزيل العزيز: «يؤمِنونَ بِالجِبْتِ وَالطَّاغُوت».

(٤) تَعادى: تَتَعادى.

حِبَالَةُ[1] صَيَّادٍ وَدِينٌ وَدَوْلَةٌ ... وَتَغْطِيلُ إِنْسَانِيَّةٍ وَخَدَائِعُ

فَيَا لِبَنِي الْقُرْآنِ أَيْنَ عُقُولُكُم ... وَقَدْ عَصَفَتْ هَذِي الرِّيَاحُ الزَّعَازِعُ

أَمَسْلُوبَةٌ هَذِي النُّهَى مِنْ صُدُورِنا ... وَهَلْ فُقِدَتْ أَبْصَارُنا وَالْمَسَامِعُ

أَما كَذَّبُوا لا قَبَّحَ اللهُ غَيْرَهُم ... وَلا أَفْلَحَتْ تِلْكَ الوُجُوهُ اللَّوَاكِعُ[2]

لَقَدْ مَلأوا الآفَاقَ إِفْكاً وَخِزْيَةً ... وَبَغْياً، وَلا مَقْصُودَ إِلّا الْمَطَامِعُ

نَفَوا مِلَّةَ الإِسْلامِ إِذْ مَنَعَتْهُمُ ... مَحَارِمُ فِي حُكْمِ الْعُقُولِ فَظَائِعُ

وَلو قَلَّدُوا الإِسْلامَ ضَاقَ عَلَيْهِمُ ... سَبِيلٌ إِلى ما تَشْتَهِي النَّفْسُ وَاسِعُ

وَلا أَطْلَقَتْهُم فِي الرَّذَالَةِ رُتَّعاً ... نَذَالَتُهُم مَهْمَا اقْتَضَتْهُ الطَّبَايِعُ

وَلا حَرَّشَتْهُم شِرَّةٌ وَفَظَاظَةٌ ... لَهُم كَلَبٌ فِي نَهْبِنا وَتَنَازُعُ

كَأَنَّ بَنِي الإِسْلامِ صَيْدُ رِمَاحِهِم ... وَأَمْلاكَهُم إِرْثٌ لَهُم أَو قَطَائِعُ

فَلا غَرْوَ أَنْ يَسْتَنْكِفُوا مِنْ دِيَانَةٍ ... وَقَدْ أُسْبِلَتْ فِيمَا عَدَاهَا الذَّرَايِعُ

وَلَيْتَهُمُ إِذْ عَطَّلوا الدِّينَ سَايَرُوا ... طَبِيعَةَ تَكْوِينِ الْعَمَارِ وَتَابَعُوا

فَأَيُّ عَمَارٍ قَامَ وَالظُّلْمُ أُسُّهُ ... وَبَلْكُم دِيَارُ الظَّالِمِينَ بَلاقِعُ

وَلَيْتَ بَنِي الإِسْلامِ قَرَّتْ صِفَاتُهُم ... فَمَا زَعْزَعَتْهَا لِلْغُرُورِ الزَّعَازِعُ

وَلَيْتَهُمُ سَاسُوا بِنُورِ «مُحَمَّدٍ» ... مَمَالِكَهُم إِذْ بَاغَتَتْهَا الْقَوَاقِعُ[3]

وَلَيْتَهُمُ لَم يَنْحَرُوا بِسِلاحِهِم ... نُحُورَهُمُ إِذْ جَاشَ فِيهَا التَّقَاطُعُ

---

(١) الحبالة: المصيدة. يقال: حَبَلَ الصيد: نصب له الحبالة وصاده بها.

(٢) اللُّكَع: اللئيم.

(٣) القوقع: حيوان لافقاري رخو يفرز حول جسمه صدفة مفردة حلزونية الالتفاف، وهو يعيش في البرّ أو البحر أو الماء العذب، واحدته قوقعة. تلميح: نعتقد أن استخدامه في البيت للقواقع صحيح على غرابته، فهو يقصد تصغير مكانة القوم المُباغتين في مواجهة من لو ساسوا دولتهم بدين محمد لانتصروا على من وصفوا المسلمين (في بيت سابق: بالضفادع). ورغم الإغراب الذي دعى بعض الشراح لاستبدالها بـ «القواطع»، إلّا أنني أعتقد بدقة اختياره وملاءمته، لا سيّما أن القصيدة لا تخلو من فُكاهةٍ مُبطّنة.

لَقَدْ مَكَّنَ الأعْدَاءَ مِنَّا انْخِدَاعُنا ... وَقَدْ لاحَ آلٌ فِي المَهَامِهِ لامِعُ[1]

وَسَورَةُ بَعْضٍ فَوقَ بَعْضٍ وحَمْلَةٌ ... لِزَيْدٍ عَلَى عَمْرٍو وَمَا ثَمَّ رَادِعُ

وَتَمْزِيقُ هذا الدِّينِ كُلٌّ لِمَذْهَبٍ ... لَهُ شِيَعٌ فِيمَا ادَّعَاهُ تُشَايِعُ

وَمَا الدِّينُ إلّا وَاحِدٌ، وَالذي نَرَى ... ضَلالاتِ أتْبَاعِ الهَوَى تَتَقَارَعُ

وَمَا تَرَكَ المُخْتَارُ أَلْفَ دِيانَةٍ ... وَلا جَاءَ فِي القُرْآنِ هَذا التَّنَازُعُ

فَيَا لَيْتَ أهْلَ الدِّينِ لَمْ يَتَفَرَّقُوا ... وَلَيْتَ نِظَامَ الدِّينِ لِلكُلِّ جَامِعُ

لو التَزَمُوا مِنْ عِزَّةِ الدِّينِ شَرْطَها ... لَمَا اتَّضَعَت مِنْهَا الرِّعَانُ الفَوَارِعُ[2]

وَمَا ذَبَحَ الإسْلامَ إلّا سُيُوفُنا ... وَقَدْ جَعَلَتْ فِي نَفْسِهَا تَتَقَارَعُ

وَلو سَلَّتِ السَّيْفَيْنِ يُمْنَى أُخُوَّةٍ ... لَدَكَّتْ جِبَالَ المُعْتَدِينَ المَصَارِعُ

وَمَا صَدْعَةُ الإسْلامِ مِنْ سَيفِ خَصْمِهِ ... بِأعْظَمَ مِمَّا بَيْنَ أهْلِيهِ وَاقِعُ

فَكَمْ سَيْفِ بَاغٍ حَزَّ أوْدَاجَ دِينِهِ ... بِأفْظَعَ مِمَّا سَيْفُ ذِي الشِّرْكِ بَاخِعُ[3]

هِرَاشاً عَلَى الدُّنْيَا وَطَيْشاً عَلَى الهَوَى ... وَذلِكَ سُمٌّ، فِي الحقيقة، نَاقِعُ

وَمَا حَرَّشَ الأضْغانَ فِي قَلْبِ مُسْلِمٍ ... عَلَى مُسْلِمٍ إلّا مِنَ البَغْيِ وَازِعُ

وَلو نَصَعَ القلبَانِ لم يَتبَاغَضَا ... وَلا ضَامَ مَثْبُوعٌ وَلا ضِيمَ تَابِعُ

وَمَا هَذِهِ الدُّنْيَا لَهَا قَدْرُ قِيمَةٍ ... يُضَاعُ لَهُ ذُخْرٌ مِنَ اللهِ نَافِعُ

وَمَا نَالَ مِنْهَا هَائِلاً غَيْرَ إثْمِها ... وَأكْدَارِها المُسْتَأثَرُونَ الأمَانِعُ

وَلو بَعُدَت فِي النَّفْسِ مَنْزَعَةُ التُّقَى ... لَمَا نَزَعَتْ نَحْوَ الشِّقاقِ المَنَازِعُ

وَلا ضَبَحَتْ تَعْلُو بِأسْبَابِ وَهْمِهَا ... عَلَى غَيْرِ ذِي ثَبْتٍ جَدَاهُ القَوَارِعُ

أما هذه الدنيا التي يقتنونها ... ستقتضِبُ الأعْمارَ منها الفجائعُ

قُرَاضَةُ آجَالٍ وَمَطْلَبُ جَاهِلٍ ... وَنَحْنُ لِنَاعِيهَا إلَيْنَا وَدَائِعُ

---

(١) آل: سراب || المَهامِه: الصحاري والمفازات.

(٢) الرِّعان: جمع رِعْن؛ وهو أنف الجبل الشاخص البارز الفارع.

(٣) بَاخِع: من بالغ في الذبح وبلغ به قَفَا ذبيحته.

فَمَا بَيْعُنا الحُسْنَى وَمَرْضَاةُ رَبِّنَا ... بِهَا بَيْعَةٌ يُنْمِي بِهَا الرِّبْحَ بَائِعُ

عَلَى أيِّ شَيءٍ يَقْتُلُ البَعْضُ بَعْضَنا ... وَتُذْكِي فَظَاظَاتِ النُّفُوسِ المَطَامِعُ

وَلَسْنا، بِرَغْمِ العَقْلِ، نَطْلُبُ وَادِعاً ... وَلا أحَدٌ مِنَّا - وَإنْ عَاشَ - وَادِعُ

وَيَكْشِفُ عَنْ سَاقٍ لَنا الحَتْفُ دَائِباً ... وَنُعْجِلُهُ فِي بَاطِلٍ نَتَقَارَعُ

أَلَيْسَ الذي يَأتِي مِنَ العُمْرِ مُقْبِلاً ... كَمِثْلِ الذي وَلَّى وَفِيهِ المَصارِعُ؟

وَلو أُشْرِبَتْ مِنَّا النُّفُوسُ تَبَصُّراً ... لَمَا كَانَ مِنْهَا لِلشَّرَارَةِ نَاقِعُ

بَلَى أُشْرِبَتْ دَاءَ دَخِيلاً أَصَارَها ... كَمَا كَمُنَتْ فِي جِحْرِهِنَّ الأفَارِعُ

وَلَوْ بَحَثْتَ عَنْ دَائِهَا كَانَ كِبْرُها ... فَمِنْهُ بِلا قَيْدٍ تَثُورُ الشَّنَائِعُ

وَلَوْ فَكَّرَتْ فِي أَصْلِهَا وَمَصِيرِهِ ... لَدَافَعَ دَاءَ الكِبْرِ مِنْهَا التَّوَاضُعُ

رُوَيْداً بَنِي الإنْسَانِ إنَّ شُرُورَكُم ... يَعُودُ عَلَيْكُم وَيْلُهَا المُتَتَابِعُ

فَمَا أَرْسَلَ الإنْسَانُ سَهْماً مُحَرَّماً ... سِوَى أنَّهُ فِي نَحْرِ رَامِيهِ رَاجِعُ

وَلَسْتَ - وَإنْ بَرَّأتَ نَفْسَكَ - خَالِصاً ... مِنَ الشَّرِّ وَالدَّعْوَى إلَيهِ ذَرَائِعُ

أَلْزِمُهَا الأشْرَارَ وَالدَّاءُ شَامِلٌ ... وَنَنْفِي اشْتِرَاكاً فِيهِ وَالسُّمُّ نَاقِعُ

وَلَوْ سَلِمَتْ مِنْ صِبْغَةِ الشَّرِّ نَسْمَةٌ ... لَمَا رَاعَ فِي أوْكَارِهِ الفَرْخَ رَائِعُ

وَكُلُّ لَجَاجٍ[1] المَرْءِ فِي الشَّرِّ نَهْمَةٌ ... مِنَ النَّفْسِ تُغْرِيهَا عَلَيْهِ الطَّبَائِعُ

أَلَيْسَ عَجِيباً زَرْعُ نَفْسٍ شُرُورَهَا ... وَعِنْدَ حَصَادِ الزَّرْعِ يُحْصَدُ زَارِعُ

وَلَوْلا نَوَامِيسُ السَّمَاءِ لَمَا زَكَتْ ... نُفُوسٌ، وَلَمْ يُعْرَفْ مُضِرٌّ وَنَافِعُ

وَمِنْ سُنَنِ اللهِ التَّدَافُعُ بَيْنَنَا ... لِيَصْلُحَ مَدْفُوعٌ وَيَصْلُحَ دَافِعُ

وَمِنْ سُنَنِ اللهِ اخْتِبَارُ عِبَادِهِ ... وَإبْلاؤُهُم وَهُوَ الحُبَى وَالصَّنَائِعُ

يَصُبُّ عَلَى مَنْ شَاءَ صَبّاً بَلاءَهُ ... وَذاكَ بَلاءٌ لِلمَوَاهِبِ جَامِعُ

وَمِنْ سُنَنِ اللهِ اخْتِفاءُ اصْطِنَاعِهِ ... فَكَم شَقَّ أمرٌ ضَيِّقٌ وهو واسِعُ

---

(١) لَجَّ في الأمر لَجاجاً ولَجاجَةً: لازمَهُ وأبى أن ينصرف عنه، فهو لَجُوج. في التنزيل العزيز: «وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِم».

ومن سُنَنِ الله التفاضلُ في العَطا ... فذو الجَهلِ مَوفورٌ وذو العَقلِ جائعُ
ومن سُنَنِ الله التَّأني بمَن طغى ... وتعجيلُ عُقبى هَفوةٍ إذ تُواقَعُ
ومنها انتقامٌ من ظَلُومٍ بظالِمٍ ... وهذا حسامٌ للمَظالم قاطعُ
ألم تر أن الله سَلَّطَ مُشركاً ... على مُسلِمٍ والعَدلُ للكُلِّ وازعُ
فما الشأنُ إلّا العَدل في أيِّ حادثٍ ... وإلّا خَفِيُّ اللطف للزَّيغِ رادِعُ
وفي الشأنِ أسرارٌ تجلَّت لذي النُهى ... عليها جمال الله باللطف شايعُ
ترى سُلطةً لا تعرف الله أفظعَتْ ... بعارِفِهِ والعدلُ تلك الفظائعُ
فأنت إذا فكَّرتَ لم تلف ذرَّةً ... من الظلم في شيء له الله صانعُ
وما يُوجب المقتَ الإلهيَّ عَدوَةٌ ... عَدَوتَ بها في خرْقِ ما هو شارعُ
ولو ثبتتْ رجلاكَ دون حُدُودِهِ ... لما كان عن رضوانِهِ لكَ قاطِعُ
وما يُوجبُ الجُودَ الإلهيَّ رحمةٌ ... وفضلٌ وتَوبٌ منه للتَّوبِ زارعُ
أيحظُرُ أمراً ثم تهتكُ حَظرَهُ ... كأنكَ مَدعُوٌّ بما هو مانعُ
وأنت مع الإبعاد للسُخط تنتحي ... ومن حَيثُ إتيانُ المَساخطِ طَامعُ
فما مِن وَعِيدِ الله يَمنعُ عاصِمٌ ... إذا لم يَزعْ من حُرمة الله وازعُ
نضُجُّ ضَجيجَ النِّيبِ مما يَنوبُنا ... ونَحنُ إلى ما تقتضيهِ نُسارِعُ[1]
نُطاوِعُ أسواءَ المَغبَّةِ رغبةً ... ولسنا لمَحمُودِ الجَزاءِ نُطاوِعُ
وما هذه الأوقارُ فوق رِقابِنا ... يُدافِعُ عُقباهُنَّ عنا مُدافعُ
وبعضُ عقاب الإثم أخذٌ مُعَجَّلٌ ... وبعضٌ على الإملاءِ جانيهِ وادِعُ
ولو أمحَضَ التقديرَ عقلٌ لأظهرَتْ ... شَوَارِقَها بالحِكْمَتين مَطالِعُ
فما هُو في تعجيلِهِ البَطشَ عابثٌ ... ولا عَارَضَتْهُ في التَّأني مَوانِعُ
ولا هُو بالإعجالِ يَحذرُ فائتاً ... سِواهُ، تَعالى قبلَ فَوْتٍ يُسارِعُ
فَجُلْ في مَجاري حُكْمِهِ وشؤونِهِ ... تَبِنْ لكَ فيها حِكْمَةٌ وبَدايعُ

---

(١) النِّيب: النوق الهَرِمة.

وفي عَدلِهِ حسب اقتضاء شؤونِهِ ... تدابيرُ وحدانيّةٍ لا تمانعُ

فلا تخبطَنْ في فَهْمِ أحكام عَدلِهِ ... إذا اختلفتْ أشكالُها والمَواقِعُ

ورُبَّ بلاءٍ حَلَّ في شكلِ عدلِهِ ... وما هو إلّا الفضلُ واللطفُ واقعُ

فمِن ذاك للتوفيرِ وهوَ أجَلُّهُ ... ومِنهُ لِتمحِيصٍ لذنبٍ يُواقَعُ

وتقديمُهُ إنذارَهُ وَوَعِيدَهُ ... إلى عَبْدِهِ حَدٌّ عن العَدلِ مَانعُ

وفي عَينِ هذا العدلِ فضلٌ مُحَقّقٌ ... إلى مُستَقرِّ الفضلِ والجُود دافِعُ

وذلك في الجُودِ الإلهيِّ لازمٌ ... لِيَذَّكَّرَ اللاهي ويَنزعَ نازعُ

وعاقبةُ الإنذار إنقاذُ عَبدِهِ ... حَذارَكَ مِمّا قيلَ خُلفٌ وشافِعُ

فقُمْ نحو ما يَدعُو إليه بفضْلِهِ ... فداعيكَ قيُّومٌ برُحماهُ واسعُ

ستعلمُ إنْ خالَفتهُ كيف بَطشُهُ ... فما لَكَ إلّا صِحَّةُ التَّوبِ نَافعُ

ولا تعجَبَنْ ممّا تراهُ مُسارعاً ... إلينا فعَدلُ الله هذا المُسارِعُ

إلى ما أَفَضْنا فيهِ من تركِ أمرِهِ ... وإتيانِ مَنهِيّاتِهِ العَدْلُ صَادِعُ

ففيم صُراخُ المُسلمين وجَأرُهُم ... وأغلبهم للمُقسِطين مُنازعُ[1]

لهُم في أساليب الشِّقاقِ طَرائقٌ ... وكُلُّ طريقٍ في الضَّلالةِ شارِعُ

وأغلبُهم للاستقامةِ شانِىءٌ ... بسَيفِ التَّعَدِّي في حِمى الله شانعُ

ولو شمِلتْنا الاستقامةُ لم نَزَلْ ... لنا أُلفةٌ تزفَضُّ عنها المَطامِعُ

سَقى اللهُ أرضاً تُنبتُ القِسْطَ سُوحُها ... وبَينَ رُبَاها العِلمُ والحقُّ رائِعُ[2]

رُبوعٌ، بحمد الله، نورُ «مُحَمَّدٍ» ... عليها بنورِ الله أبْلَجُ سَاطِعُ

وحَيَّتْ يَمينُ اللهِ بالرَّوْحِ والرِّضا ... رِجَالًا لهُم تِلكَ العِرَاصُ مَرَابعُ

رجالٌ سَعَوا لله سَعْياً مُباركاً ... فما قَطَعَتْهُم عَنْ رِضَاهُ القَوَاطِعُ

---

(١) جأرهم: رفع صوتهم || المُقسطين: العادلين.

(٢) يعودُ الشاعر ابتداء من هذا البيت إلى وطنه عُمان، المُعادل الموضوعي لحُلمِهِ بتحقق العدل تحت راية الله، ليمتدح في الأبيات التالية رجالاتها الذين يُعلي من شأن تُقاهم وورعهم وشكيمتهم في حفظ الحق ورايته تحت إمْرَةِ إمامهم الورع سالم بن راشد الخروصي.

أنابوا إلى الله اتِّباعَ سبيلِهِ ... فما صَدَعَتهُم في السَّبيلِ الصَّوادِعُ
وقاموا بمَفروضِ القيامِ عَليهِمُ ... فما عَزَّ جَبَّارٌ ولا ذلَّ ضارِعُ
فما جَمَعوا ما فرَّقَ اللهُ جَمْعَهُ ... ولا فرَّقوا في الدِّينِ ما الله جامِعُ
ولا شَرُفوا إلا بخالصَةِ التُّقى ... لحُظوظهُمُ منها البُحُورُ الجَوامِعُ
بهم يُقتدَى في العِلمِ والهَدْيِ والهُدى ... وعن خُلْقِهِمْ تَرْوي النُّجُومُ السَّواطعُ
عليهم وقارُ الرُّسْلِ أرْسَتْ جبالهُ ... وهُم لِكَمالاتِ النُّفوسِ مَطالِعُ
تَجلَّتْ لهُم مِنْ باطِنِ الشَّرْعِ حِكْمَةٌ ... ولو أظهَرُوها ناقضَتْها الشَّرائعُ
ألحُّوا على الإخلاصِ حتى تفجَّرَتْ ... على لُسْنِهِم بالحِكْمَتين يَنابعُ
ولو أظهَروا من حِكمةِ السرِّ ذَرَّةً ... لكانوا، بحُكْمِ الظَّاهِرِ، الشِّرْكَ وَاقَعُوا
فبُورِكَ عِلماً طَابَعَ الشَّرْعَ باطِناً ... وفي ظاهِرِ الأحكام للعُذرِ قاطِعُ
أُولئكَ أهلُ اللهِ رَحْمَةُ أرْضِهِ ... بهِمْ تُمْطِرُ الأرضَ السَّحابُ الهَوامِعُ[1]
أولئكَ أوتادُ الوُجُودِ وَغَوثُهُ ... وأحوالُهُم في الاعْتِبارِ شَوَافِعُ
أولئك أهلُ الحق ما ضَلَّ مُقْتَفٍ ... هُداهُم، ولا يَغْوي عَلَيْهِمْ مُتابعُ
أولئك أهلُ الفهمِ مَا جَارَ فهْمُهُم ... عن الله مَا يَقْضِي ومَا هُو شارِعُ
أولئك أهلُ الخير، أمَّا حَياتُهُم ... فَغُنْمٌ وأمَّا ذِكْرُهُم فذرايعُ
أولئكَ أهلُ الفضْلِ حتى ولَو فَنُوا ... لهُم بَرَكاتٌ في الدُّنا ومَنافعُ
أولئك أشياخي فجِئني بمِثلِهِم ... «إذا جَمَعتنا يا جَريرُ المَجامِعُ»[2]
ولستَ بِجَاءٍ في الوُجُود بمِثلِهِم ... وللقوم شأنٌ في الوَلايَةِ شاسِعُ
وللقوم إرثٌ صادقٌ من «مُحَمَّدٍ» ... لكُلِّ هُدىً للرُّسْلِ لا شكَّ جامِعُ
وماذا عَسَى أن يَبْلغَ الحَمْدُ فيهِمُ ... وهُمْ لِضِياءِ المُرْسَلِينَ مَطالِعُ

---

(١) **مفارقة شعريّة مُناخيّة**: من المُفارق أنَّ أهلَ الله الذين يُستسقى الغمامُ بهم، وتمطِر السحب لتخضرَّ الأرض ببَرَكتهم؛ بِلادُهُم مِن أشدِّ بلاد الله مَحْلًا مُزمِناً في كافة العُصور (المُراجِع)!

(٢) عجُز البيت مُقتبس من الفرزدق مُفاخراً الشاعر جرير بآبائه: *أولئكَ آبائي فجئني بمثلهم*، لكنَّ أبا مُسلم غيَّرَ «الآباء» في صدر البيت إلى «الأشياخ»، انتساباً إلى قسطهم وتُقاهم ونزاهتهم.

نعم إنَّ نُورَ الرُّسْلِ في قلب خَتْمِهِم ... وفي القوم نورُ الختمِ أبلَجُ ساطعُ
سَرى عِلمُهم بالله في سِرِّ سِرِّهِم ... وهذا لصِدْقِ الإتِّباعَينِ تابعُ[1]
وما صَدقوا في الاتِّباعِ لغايَةٍ ... ولكِنْ لِحُبِّ الله فيهِمْ نَوازِعُ
ومُختَرِقُ الأركان من خوفِ رَبِّهِ ... لهُ صَعَقاتٌ بَينهُ ومَصارِعُ[2]
له مَا عَدَا العِلمَ القديمَ صَحيفةٌ ... يُشاهِدُ فيها صُنعَهُ ويُطالِعُ
ومهما يكُنْ في المُلكِ والمَلكُوتِ مِن ... بدائعَ لم تَحْجُبهُ تلك البَدَايعُ
يَرَى كُلَّ شيءٍ غير مَرْضاةِ رَبِّهِ ... رَماداً بهِ اشتَدَّتْ رياحٌ زَعازِعُ
ولو خالَسَتْ مِنهُ العَلائقَ لفتةٌ ... كفاهَا مَنَ التَّوفيقِ عَنهُ مُمَانِعُ
يُطارِدُ آفاتِ الوُجُودِ بعَزْمِهِ ... فتنكُصُ حَسْرى عنهُ، والعَزْمُ ناصِعُ
رَمَى عَرَضَ الدُّنيا وَرَاءَ يَقينِهِ ... بأنَّ وَرَاءَ الحَدِّ شأناً يُسارِعُ
يُحَرِّرُ نفساً من عُبُودَةِ مَطمَعٍ ... سِوى رَغَبٍ فيه إلى الله طامِعُ
بهِ أنَفُ الأمْلاكِ في نُضْرَةِ الغِنى ... وما نالَ مِنه ما تُقِلُّ الأصابعُ
كَفَتْهُ لُقيماتٌ يُقَوِّمْنَ صُلْبَهُ ... وطِمْرٌ من الإنهاج يَأباهُ رَاقِعُ[3]
يلذُّ فطامُ النفسِ عن كُلِّ لَذَّةٍ ... ولَذَّاتُ هذا العَيشِ بئسَ المَرَاضِعُ
يَبيتُ ولِلأحزانِ جَمرَةُ قلبِهِ ... تَشُبُّ إذا سَالتْ عليها المَدامِعُ
إذا ذَكَرَ الأخرى تَضَاءَلَ جَازِعاً ... كأنْ رَاعَهُ من هادِمِ العُمْرِ رَائِعُ
وإنْ ذكَرَ الدُّنيا تفانى وأصْعَقتْ ... مَشاعِرَهُ تلك الصِّعابُ القوارِعُ
على وَحْشَةٍ في السِّجن من بَغتة الفنا ... وما خَلْفَ يَومِ المَوتِ كَيفَ المَفازِعُ
وما زُخْرُفُ الدُّنيا وإنْ رَاقَ رَونقاً ... على عَينِهِ إلّا العَنا والفَجَائِعُ

---

(١) الأتْباعَين: يقصدُ اتِّباعَ أصحابِهِ للرسول واتِّباعهم لأوامر الله.

(٢) بعد وصفه لرجال الله وسيرتهم الزكيّة يعودُ لتخصيص مِدحتِهِ للإمام سالم بن راشد الخروصي الذي يُسبغ عليه ابتداءً من هذا البيت خِصالَ أئمّةِ العدل وخلفائه الفقراء مرضاة لربِّه وتجرُّداً من دنس الدنيا وزخرفها.

(٣) الطِّمْر: الثوب البالي | الإنهاج: شِدَّةُ بِلى الثوب وقِدَمِه.

أحالَ عَلى أنفاسِهِ البِرَّ والتُّقى ... فلِلْبِرِّ والتَّقوى عليها طوَابِعُ
على الأرضِ مَنكُورٌ وَيُعْرَفُ في السَّمَا ... لهُ مَخْبَرٌ بينَ المَلائكِ شائِعُ
تَرَاهُ متى ما الليلُ عَمَّدَ بَيتَهُ ... عَمُوداً على مِحْرَابِهِ وهو رَاكِعُ
يُشَفِّعُ بالقرآنِ أنوارَ قلبِهِ ... فَعَنْهُنَّ شُقَّتْ للعُيونِ المَدَارِعُ
يُرَجِّعُ في الدَّيْجُورِ رَنَّةَ ثاكِلٍ ... نحيباً كما ناحُ الحَمامُ السَّواجِعُ
يُناوِحُهُ هَمَّانِ: هَمُّ مَخافةٍ ... وَهَمُّ رجاءٍ، والبَرايا هَوَاجِعُ
بأمثالِ هذا يَرْحَمُ اللهُ خلقَهُ ... وإنْ عَظُمَتْ أحداثُهُم والشنائعُ
بأمثالِ هذا تَحْفَلُ الشَّاةُ ضِرْعَها ... ويسمَنُ مَهزولٌ ويُقطَفُ يَانِعُ
بأمثالِ هذا يُخصِبُ اللهُ أرْضَهُ ... ويشربُ عطشانٌ ويَشبَعُ جائعُ
بأمثالِ هذا تُنْزِلُ السُّحْبُ رَجْعَها ... ويَنْضُرُ صَدْعُ الأرضِ وهي بَلاقِعُ[1]
بأمثالِ هذا يَدفعُ اللهُ سُخطَهُ ... وليسَ لسُخطِ اللهِ في الأرضِ دافِعُ
لهُم مَنزلٌ في القُرْبِ للخلقِ نافِعٌ ... وحَدِّثْ وأطْلِقْ كيفَ تلكَ المَنافِعُ
أولئكَ أبْرَارُ الأبَاضِيَّةِ الأُلى ... على نَهرِ حُرْقُوصٍ وَزِيْدٍ كَوارِعُ
هُمُ القومُ أحرارُ الوُجُودِ سَمَتْ بهم ... إلى اللهِ عن حَظٍّ سِواهُ المَنازِعُ
مَحَبَّتُهُم دِيني، بها أبتغِي الرِّضا ... إلى اللهِ والزُّلْفى وَهُم لي ذَرَائِعُ
وَدَعْوَتُهُم لي سُنَّةٌ وَجَماعَةٌ ... أجاهِدُ في إحيائها وأقارِعُ
وإني وإنْ يتركْنيَ السَّيْفُ قَعْدَداً ... فذلكَ للأمْرِ الذي لا أدافِعُ
قضى اللهُ أنْ أحيا من العَجزِ قابعاً ... وما أنا، في هَمِّي إلى اللهِ، قابعُ
إذا لُمْتُ نفسي أقنَعَتني ثُيُودُها ... وما أنا، دونَ النَّصْرِ للهِ، قانِعُ
وما نُصْرَتي بالقولِ والقولُ تشتفِي ... مِن الغيظِ، لولا دُونَ عَزمِي مَوانعُ

---

(١) ينظر: شدة اخضرار الشجر، وفي الدارج العُماني تُقالُ للشجرة المُتعافية المَرويّة المُخضرة || بلاقع: الأراضي الخالية من كُلّ شيء.

إلى الله أشكُو حَائلًا صَدَّ هِمَّتي ... فعِشتُ كما عاشَ الجَبانُ المُوادِعُ[1]

أأحْيَا كَسِيرَ النَّفسِ والسَّيفِ عَانِياً؟ ... وسَيفُ الإباضِيِّينَ في الخَصْمِ شارِعُ

على أنَّنِي إنْ هَدَّنِي الحُزنُ هدَّةً ... ونَهْنَهَنِي مِمَّا قضى اللهُ قَادِعُ[2]

لَيَعْلَمُ قَصْدِي عالِمُ الجَهْرِ والخَفا ... وللعَبدِ ما يَنوي وإنْ سَدَّ مَانِعُ

لَعَلَّ خِتامَ القَصْدِ نَيلٌ مُوَفَّقٌ ... يُهَيِّئُهُ حَوْلٌ من الله واسِعُ

فأضحى بتهليلِ السُّيوف مُهَلِّلًا ... متى حَيْعَلَتْ نحو الجهاد الوقائِعُ[3]

ويَرْضَى إلهي في مَواطِنِ حَرْبِهِ ... قيامي إليهِ، والرِّماحُ كَوَارِعُ

لِعِلمِيَ إنْ لاقيتُ حَتْفِي مُجَاهِداً ... فذلك فوزٌ عِشتُ فيه أنازِعُ

وإنَّ وقوعَ الموتِ للمَرْءِ مَوضِعٌ ... وليس لِمَوتٍ كالجهادِ مَواضِعُ

وما ماتَ مَن ألقى إلى اللهِ نفسَهُ ... وإنْ حُوِّلَتْ وَسْط اللحُودِ المَضاجِعُ

وأيُّ رجاءٍ بعد سِتِّين حَجَّةً ... لعَيشٍ، وهَلْ ماضٍ من العُمْرِ راجِعُ[4]

فهَلّا انقطاعُ العُمر لله لحظةً ... أحَقُّ به والعُمرُ يُبلِيهِ قاطِعُ

ولم يَبقَ مِنهُ غيرُ فُضْلَةِ سَاغِبٍ ... سَيَخطفُها مِنْ طائرِ الموت واقِعُ

وأُمنِيتي في بَيْعِها من إلهِها ... بسُوقِ جِهادٍ حيث تَزْكُو البَضائِعُ

على الله إحسانُ الخواتم إنَّهُ ... إذا شاءَ بين العَبدِ والخيرِ جَامِعُ

---

(١) إشارة: في هذا البيت والأبيات السابقة يعود لشكواه التي طالما بثها استنهاضياته بسبب بُعده عن وطنه وعدم قدرته على نُصْرَةِ الإمام، متعللا بالموانع التي يُشيرُ إليها تلميحاً دون التصريح بها.

(٢) نهْنهني: النَّهْنهة هي الكَفّ والزجر || قادع: مانع. وهي من المفردات الشائعة في الدارج العُماني. تقولُ، مثلًا، لمن يقفُ في الطريق: لا تَقْدَعْ عليّ الطريق. وهي واحدة ـ إلى جانب أخريات ـ من أبدع استخداماته للهجة المُتكِئة على المنسيّ والمغمور من الفصيح.

(٣) حَيْعَلَتْ: دَعَت. والأصلُ حَيْعَلَ المُؤذن: بقوله: (حَيَّ على الصَّلاة). وأبو مُسلم يُغني المفردة ويُكسبها بُعداً جهادياً غير مسبوق.

(٤) ملحوظة: يُستشفُّ أنهُ كتب هذه القصيدة في أواخر عمره، كما يُشيرُ البيت: وأيُّ رجاءٍ بعد ستين حجَّةً؟ فضلًا عن نضجها الفنّي والأسلوبي المنقطع إلى اغتراف الحكمة بيتاً إثر بيت.

إلى المَجد أيها العرب(*)

ألا لـبَّـيـكَ يـا صـوْتَ الـمَـعـالـي ... لـقـد أسـمَـعـتَ أحـيـاءَ الـرِّجـالِ
أجَـابَـكَ سَـادَةٌ نُـجُـبٌ كِـرامٌ ... طِـوالُ الـعَـزمِ بـالـبِـيـضِ الـطِّـوالِ
خِـفـافٌ كـالـصَّـواعِـقِ إنْ يَـشُـدّوا ... جـبـالٌ فـي حُـلومِـهِـمِ الـثِّـقـالِ
مَـعَـاقِـلُهُـم جِـيـادٌ فَـنَّـقُـوهـا ... مَـسَـارحُـهُـنَّ حَـومـاتُ الـنِّـزالِ(١)
تـعـلَّمْـنَ الـتـقـارُعَ مـن قـديـم ... فـهُـنَّ مَـعَ الـتَّـقَـارُعِ فـي شِـكـالِ
فـإنْ تـسـألْ بـهـمْ فـهُـمُ سُـراةٌ ... تـرَبَّـوا بـيـن قـيـصُـومٍ وضـالِ(٢)

(*) هذه القصيدة لم نجدها في «الأصل المُعتمد»، ولا فيما وصل إلينا من مراجع أخرى. وقد أضفناها من نُسخةٍ بحث عنها الأستاذ ناصر بن إسحق الكندي ـ مُصَحِّح ومُدقِّق الكتاب ـ فوجدها في أضابيره القديمة. أما المناسبة التي قيلت فيها فقد وجدنا ذكراً لها في مقال للأستاذ أحمد الفلاحي الذي علَّقَ قائلًا في مقالٍ عن الشاعر؛ قال فيه: «والشيخ أبو مسلم عاشق لبلده عمان يمجدها ويفتخر بها وينافح عنها ويرسل القصائد حامية في الرد على من ينالها بسوء أو يتحدث عنها بغير الحديث الحسن، وقد ذكر أن شاعراً مصرياً سكن زنجبار اسمه عمر لطفي وكان موضع الحفاوة والتكريم من أهلها حتى كتب قصيدة مَسَّ فيها أهل عُمان بما لا يليق من الكلام فانحطت منزلته عندهم، وكتب أبو مُسلم هذه القصيدة في الرد عليه».

(١) فنَّقوها: الفَنَقُ والفُناقُ والتَّفَنُّق: النِّعمة في العيش، والتَّفَنُّق: التَّنعُّم كما يُفَنِّقُ الصبيُّ المُتْرَفَ أهلُه. والفَنِيقُ: الفحل المُقْرَمَ لا يركب لكرامته على أهله، وأراد به تدليلَ تلك الجياد المُفنقة كما تُدَلَّل الجواري. والمُفردة سائرة في الدارج العُماني، واستخدمها أبو مُسلم في أكثر من قصيدة.

(٢) القيصوم: ما طال من العشب، وهو من نباتات السهل؛ قال أبو حنيفة: القَيْصُوم من الذكور ومن الأمرار، وهو طيب الرائحة من رَياحين البر، وورقه هَدَب، وله نَوْرَة صفراء وهي تَنْهض على ساق وتطول؛ قال جرير: «نبتَتْ بمَنْبِتِه فطابَ لشمِّها | ونأَتْ عن الجَنْجاثِ والقَيْصُوم» || الضّال: السِّدْر البَرِّيُّ، والضَّالُ من السِّدْر: ما كان عِذْياً، واحدته ضالَةٌ؛ ومنه قول ابن مَيّادة: «قَطَعْتُ بمِضْلالِ الخِشاشِ يَرُدُّها | على الكُرْهِ منها، ضالَةٌ وجَدِيلُ».

رضاعُ وليدهم بدَمِ الأعادي ... ويحيا في الرِّضاعِ بلا فصالِ
إذا اشتَضرَختَهُم شبُّوا سَعيراً ... وصَخَّ النجمَ قعقعةُ النِّصَالِ
مَساعيرُ الحُروبِ لهُم أجيجٌ ... إذا احتدَمَتْ حَميَّاتُ الرِّجالِ
مصاعِبُ تَصعَقُ الأبطالَ منهم ... رغائبُهم بأطرافِ العَوالي
إذا هَجَموا رأيتَ الفجرَ يَجري ... ببارقةِ الصَّوارمِ في الليالي
ترُوعُكَ في زحُوفِهمُ رُجُومٌ ... مِنَ الشُمرِ المُثقَّفِ والنِّبالِ
جَحاجِحُ مِنْ بَني قحطانَ صِيدٌ ... ومِنْ عَدنانَ آسادُ القِتالِ
رأوا ما حَلَّ بالأوطانِ خِزياً ... يُسارعُ بالفظائعِ والوَبَالِ
وخضمُ اللهِ جَزَّارٌ شنيعٌ ... يُضحِّي بالدِّيانةِ لا يُبالي
رأوا أموالَهُم نهباً هنيئاً ... وكُلَّ مُحرَّمٍ عينَ الحلالِ
رأوا أملاكَهُم صارَت سَبايا ... مُوثَّقةَ الجَوارحِ بالحِبالِ
فأحرَقهُم من الإيمانِ نُورٌ ... بَوارقُهُ على القُضُبِ الصِّقالِ
وغاروا غيرةً للهِ جاءتْ ... إلى الباغي عَليهِم بالنَّكالِ
فأصبَحتِ المَمالكُ في أمانٍ ... وأصبَحتِ العَدالَةُ في جَلالِ
تفضَّلْ بالزِّيارةِ في عُمانٍ ... تَجدْ أفعالَ أحرارِ الرِّجالِ
تَجدْ ما شئتَ مِنْ مَجدٍ وفضلٍ ... وأحسَابٍ عَزيزاتِ المِثالِ
تَجدْ ما قسَّمَتهُ مِنَ المَنايا ... خيولُ اللهِ في جِزبِ الضَّلالِ
تَجدْ مِنْ هَيبَةِ الإسلامِ شأناً ... عليهِ الكُفرُ مُبيضُّ القَذالِ
تَجدْ هِمَمَ الرِّجالِ مُصَمِّماتٍ ... بثأرِ الدِّينِ تُرخِصُ كُلَّ غالي
فَطِينَ الشَّرقِ نِمتُم نومَ عيدٍ ... فنبَّهَكُم صَناديدُ الكمالِ
فقوموا عندَنا؛ أو لا فنامُوا ... هَنيئاً بين رَبَّاتِ الحِجَالِ
سَنأخُذُ حَقكُم ونَذودُ عنكُم ... ذياداً باليَمِينِ وبالشمالِ
ويُدرِكُ فهمُكُم أنّا قليلٌ ... تكاثرَ بالحَميدِ مِنَ الخِلالِ

وتعترفون أنَّ الغُربَ قومٌ ... قديماً أعْبَدوا صُهْبَ السِّبالِ[1]

وقد وافاكُمُ زمَنٌ جديدٌ ... ووافتكُم بهِ السُّنَنُ الخوالي

يرُدُّ الحَقَّ فيكُم مُشمَخِرّاً ... ويُخزي الظلمَ خِزيَ أبي رغالِ[2]

بأسيافِ الغُبيراءِ المَواضِي ... ستخضَرُّ الأسافِلُ والأعالي

ويَعلم عَالَمُ الدُّنيا بأنّا ... بضوضاءِ الفخافِخِ لا نُبالي

وأنَّ مَطامِعَ الأوغادِ فيها ... سَترجعُ وهي فارِغةُ القِلالِ

ذروهُم يُكثرونَ كما أرادوا ... بأقوى ما يَكُونُ مِنَ المِحالِ[3]

ستهشِمُ فَرْقَهُم مِنا صُخورٌ ... صِلابٌ لا تلينُ بكُلِّ حَالِ

وإنْ كُنا على عَدَدٍ قليلٍ ... فما نصرُ القليلِ مِنَ المُحَالِ

سَنعقِدُها عليهم عَقدَ شومٍ ... ويومَ الحَشرِ يومَ الانجِلالِ

بأسيافٍ قديماتِ المَزايا ... مُخلَّدَةَ المَفاخِرِ والفِعالِ

---

(١) أعبدوا: أصلها؛ اجتمعوا، وأعْبَدَه عبداً مَلَّكه إياه؛ قال الأزهري: والمعروف عند أهل اللغة أعْبَدْتُ فلاناً أي استَعْبَدْتُه || صُهب: الصُّهْبةُ: الشُّقْرة في شعر الرأس || السِّبال: جمع سَبَلَة؛ وهي عند العرب مُقَدَّم اللحية وما أسْبَل منها على الصدر؛ يقال للرجل إذا كان كذلك: رجل أَسْبَلُ ومُسَبَّل إذا كان طويل اللحية. ويقال: جاء فلان وقد نَشَر سَبَلته إذا جاءَ يَتَوَعَّد؛ قال الشَّمّاخ: «وجاءت سُلَيْمٌ قَضُّها بقَضِيضِها | تُنَثِّرُ حَوْلي بالبَقِيع سَبالَها». ويقال للأعداء: هم صُهْبُ السِّبال؛ وقال: فظِلالُ السيوف شَيَّبْنَ رأسي | واغْتِناقي في القوم صُهْبَ السِّبال».

(٢) أبي رغال: كنية، وقيل: كان رَجُلًا عَشَّاراً في الزمن الأول جائراً فقَبْره يُرجم إلى اليوم، وقبره بين مكة والطائف، وكان عبداً لثَقيف، على نبينا وعليه الصلاة والسلام؛ وقيل اسمه زيد بن مخلف عَبْد كان لصالح النبي. وقال جرير مُستهلماً الحكاية في ذمِّهِ للفرزدق: «إذا مات الفرزدق فارجُموه | كما تَرْمُون قبر أبي رغالِ». وقيل: كان أبو رِغال دليلًا للحبشة حين توجهوا إلى مكة فمات في الطريق. والوُغْلة أصلًا في اللغة: القُلْفة كالغُرْلة. والأرْغَل: الأقلف، وكذلك الأغْرَل: وغُلام أرْغَل بيّن الرَّغَل أي أغْرَل، وهو الأقْلَف؛ وأنشد ابن بري لشاعر: «فإنّي امرؤ من بني عامر | وإنكِ دارِيَّةٌ ثُيَّتَلُ / تَبُول العُنُوقُ على أنفه | كما بَالَ ذو الوَدْعَةِ الأَرْغَلُ». الثُّيَّتَل: الوَغِل، والثُّيَّتِل في هذا البيت تعني: الذي يقعد مع النساء، والدَّارِيّة: الذي يلزم داره. وقد أثبتنا حكاية أبي رغال والأبيات التي قيلت حولها؛ لأنها دالّةٌ على ما قصده أبو مُسلم في القصيدة التي أضمَرَ فيها هجاءً لم يُظهرهُ صراحةً لمذمُومِهِ عُمر لطفي.

(٣) المِحال: الكَيد وزَوْمُ الأمرِ بالحِيَل.

تَصُولُ بِهَا أُسُودُ بَنِي نِزارٍ ... وَمِن قَحطانَ أَقيالُ النِّزالِ

فَإِنْ شِئتَ العِيانَ فَقُم إِلَينا ... تَرَى الأَفعالَ مِصداقَ المَقالِ

وَلا تَحفَلْ بِما يَهذُونَ فيهِ ... فَلَيسَ الحَقُّ في قِيلٍ وَقالِ

وَما نَصَرَ الحَقيقَةَ مِثلُ حُرٍّ ... مُنيرِ الصَّدرِ مُتَّقِدِ الخِصالِ

فَكُنْ أَنتَ النَّصِيرَ لَها وَبادِرْ ... تُقابِلْكَ العَواطِلُ وَالحَوالي

تُشاهِدْ كَيفَ حَرفُ الضَّادِ يَعلو ... بِلا شَمسٍ تُبِينُ وَلا هِلالِ

تُشاهِدْ عُصبَةَ التَقوى هَيامَى ... بِحُبِّ اللهِ، لا عَزفِ المَوالي

تُشاهِدْ أَنَّ في العَرَبِ البَقايا ... وَلِلباقينَ أَقلامُ الجِدالِ

تُشاهِدْ أَننا خَلَفٌ كَريمٌ ... لأَصحابِ النَبيِّ وَمَنْ يُوالي

فَلا تَقنَعْ بِسَمعٍ دُونَ عَينٍ ... وَما عَينُ الحَقيقَةِ كَالخَيالِ

الباب الرابع

قصائد الحِكم والمواعظ

أَمَلٌ يَنْتاشُهُ أَجَل(*)

لا تَكْتَرِثْ بالليالي إنها دُوَلُ ... لا يَسْتَمِرُّ لها حُزنٌ ولا جَذَلُ

كأنَّ حُلَّةَ حَوْباءٍ تُلوِّنُها ... لا تُظْهِرُ الشَّكلَ إلّا رَيثَ ينتقِلُ

ولا تَضِقْ بالقضايا في تَقَلُّبِها ... في طَيِّ كُلِّ شديدٍ خِيرَةٌ جَلَلُ

إذا اعْتَبَرْتَ صُرُوفَ الدَّهر مُرْسَلةً ... أيقنتَ أن القضايا كلُّها نُقَلُ

وإن تَفكَّرْتَ في خَطْبٍ لِتَنْسِفَهُ ... بصَوْلَةِ الرَّأي غَرَّتْ فِكْرَكَ الحِيَلُ

مَن أوْزَعَ الفِكْرَ في شيءٍ يُقَدِّرُهُ ... إلّا اعتباراً صَمَى أيزاعَهُ الخَبَلُ

ما فِكْرَةُ المَرْءِ فيما ليسَ يَملكُهُ ... من أمرِ مَولاهُ إلّا فِكْرَةٌ خَطَلُ

لا تحترِسْ بذكاءٍ عند مَقدِرَةٍ ... قد يَهْشِمُ الأنفَ أمرٌ تَتَّقِي المُقَلُ

تَيقَّضِ الحَزمَ والأقدارُ جاريَةٌ ... هَمٌّ بِرَدِّ قَضاءٍ ما لَهُ قِبَلُ

جَالِدْ صُروفَ الليالي بالتَّجلُّدِ واف ... طِنْ أنَّ أخوالَها حِلٌّ وَمُرْتَحِلُ

بَينا وقيدُ الرَّزايا في مَهانتِها ... سَمَا بهِ الجِدُّ واستخذى لهُ الأمَلُ

ليَصْحَبِ المَرْءُ في أمْرَيْهِ مُبْصِرَةً ... مِنَ اليَقينِ بأنَّ الحَالَ تَنْتَقِلُ

لو أبْصَرَ الحُرُّ ما يُبْدِي مَزيَّتَهُ ... من المَكارِهِ طابَتْ عِندَكَ الغِيَلُ

مَزيَّةُ الحُرِّ ما عِيبَ الحُسَامُ بِهِ ... إن كانَ عَيباً بَحَدُّ الصَّارمِ الغَلَلُ

أسْنَى الفَضَائلِ يُبدي شَرَّ صَفحَتِهِ ... كأنَّ ضِدَّ الرَّزايا دُونَهُ كَلَلُ

صُكَّ الخُطُوبَ بخَطْبٍ اسْمُهُ جَلَدٌ ... والْقَ الأمُورَ بحِلْمٍ شَخصُهُ جَبَلُ

(*) وردت القصيدة بعنوان: (في المواعظ)، والعنوانُ الحالي من وضعنا.

وصَانِعِ النَاسَ لا نِكْساً ولا مَلِقاً ... بما يَسُرُّكَ مِنْ تِلقائِهِ الرَّجُلُ
والبسْ لِدَهْرِكَ إن لم تَزْكُ سيرَتُهُ ... من التَّجَمُّلِ ما تَزْكُو بِهِ الخِلَلُ
ما لي وللدَّهرِ يُغري بي حَوادِثَهُ ... كأنَّ فضليَ في عَينِ الزمان قَذى
كأنَّ هَمِّيَ سَهْمٌ في مَقاتِلِهِ ... لقد دَرَى أنَّهُ فِي عَينِهِ كُحُلُ
إذا نَشَطْتُ لحَقِّي في العُلى عَرَضَتْ ... ومَذهَبي في العُلى في رِجلِهِ كَبَلُ
لا أجْتَنِي خِطَةً إلّا مُخالَسَةً ... أمَامَ عَزمِيَ في إعْرَاضِهِ عِلَلُ
ما سَوَّني دَرْكُ مَجْدٍ لا تُقارِعِني ... ودُونَ إتمَامِها الأهْوَالُ تَشْتَعِلُ
ولا هَنِئْتُ بفضلٍ لا تُراقِبُني ... مِنْ دُونِهِ نَكَبَاتُ الدَّهرِ والغِيَلُ
أرَى العُلى بخُطوبِ الدَّهرِ سَامِيَةً ... من الرَّزايا عليهِ خِطَّةٌ جَلَلُ
قد يُكْسِبُ المَجْدُ مَجْداً مِنْ رَزِيئَتِهِ ... كأنَّ طَرْقَ الرَّزايا للعُلى سُبُلُ
أقول للدَّهرِ: أرْسِلها العِرَاكَ فإنْ ... كجَوهَرِ التِّبرِ تُبْدِي حُسنَهُ الشُّعَلُ
وهَاتِ كأسَكَ إنْ صَاباً وإنْ عَسَلاً ... أجْزَعْ لخِطَّتِها فالوَيلُ والهَبَلُ
إنِّي أنِفتُ من البُقيا إذا أنِفَتْ ... فقد تَسَاوَى لَدَيَّ الصَّابُ والعَسَلُ
مَتى أضيقُ بخطبٍ غِبُّهُ فَرَجٌ ... إلّا اغتيالَ السَّريِّ المَاجِدِ العُضُلُ
ما إنْ شَهِدْتُ أمُوراً وهي مُدبِرةٌ ... ونَازِلاتُ الليالي كُلُّها ظُلَلُ
لا آمَنُ الدَّهرَ في لِينٍ وفي شَعَثٍ ... لها وأعْقبَ من أضدادِها قبَلُ
ما أطيبَ العَيشَ لولا أنْ يُشارِكَني ... وطبْعُهُ للوفا والغَدْرِ مُحتَمَلُ
ولستُ أرتادُ مَاءً ما بِهِ كَدَرٌ ... فيما يُنغِّصُهُ الهَيَّابَةُ الوَكِلُ
ليتَ الحَوَادِثَ لا تعدو مُسَاوَرَتي ... إلّا إذا كانَ دَهْرِي ما بِهِ دَغَلُ
إنْ لم أسُلْط إذا انقضَّتْ عَزائمُها ... ولا عَرَى يَدَ دَهْرٍ كَادَنِي شَلَلُ
ليغلَمَ الجِدُّ إمَّا زَلَّ بي قَدَماً ... بَوادِرَ العَزمِ مُهْتَزٌّ لها زُحَلُ
صَادِرْ هُمُومَكَ والأخطارُ كالِحَةٌ ... أنِّي على جِدِّ عَزمٍ ما بِهِ زَلَلُ
فإنْ أفَاتَكَ سُوءُ الجَدِّ صَالِحَةً ... ما يَلزمُ الوَهْنَ إلا الخامِلُ الوَكِلُ
فَجِدُّ هَمِّكَ في إدراكِها بَدَلُ

مَن يُعْطِهِ اللهُ فيما نفسُهُ كَرِهَتْ ... صَبراً، فما كَرِهَتْ بالخَيرِ مُشتمِلُ

فَضِيلةُ العَزمِ عمَّا لا تُقاوِمُهُ ... عَزيمَةُ الفَضْلِ فيما تبتغي خَوَلُ

لبِستُ لمْحَةَ طَرْفٍ نِعْمةً بَلِيَتْ ... كما تمزَّقَ عن أصْلِيِّهِ الخَلَلُ

فما جَذلتُ لخَيرٍ في يَدَيْ أَجَلٍ ... ولا جَزِعْتُ لشرٍّ بَعْدَهُ أَمَلُ

صَارَفْتُ صَرْفَ زمَاني بالتي حَسُنَتْ ... في أعْيُنِ المَجْدِ واهتزَّتْ لها الفُضلُ

حَتَّامَ أرْسُفُ في قيدٍ لَهُ ذَهَلَتْ ... عَنِّي الجُدُودُ، وصَبري ليسَ يَنْذَهِلُ

وفيمَ تَهْتضِمُ الأيَّامُ بادِرَتي ... فِعلَ الوَتِيرِ وحُسْنُ الوَاتِرِ الدَّخَلُ

أليسَ جَوْهَرُ عَرْضِي لا يُنافَسُ في ... أغْرَاضِها أنَّها الآفاتُ والغِيَلُ

تَصُدُّني عَنْ مَساعٍ كُلُّها غُرَرٌ ... في جَبْهَةِ الدَّهْرِ أو فِي سَاقِهِ حَجَلُ

والحَظُّ كَابٍ عَقيرٌ في بَرَائِنِها ... كأنَّهُ أمَلٌ يَنْتاشُهُ أجَلُ[1]

أراقِبُ الجَدَّ في نصْري فيَنْشِدُني: ... لا نَاقةٌ لِيَ في هذا ولا جَمَلُ

هذا اعْتِذاري إلى العَلياء إن طَمَحَت ... ما لَزَّني خَوَرٌ عنها ولا فَشَلُ

ما ذنبُ أمْنِيَّةٍ يَغتالُها قَدَرٌ ... في أمْرِها وَقَضَاءُ اللهِ يَعْتقِلُ

أضْبَحْتُ والدَّهرُ مِن بُغضِي به جَرِبٌ ... آسِيهِ نُبلًا وما يَنفكُّ يَأتَكِلُ

إذا تطَارَحْتُ أغْرَى بي سَمَاسِمَهُ ... وإن تَنَمَّرْتُ حَاصَتْ عنِّيَ الحِيَلُ

وإن بَسَطْتُ نَوَالي سَامَني سَفَهاً ... أعَنْ سَفاهَةِ رَأيٍ يَفضُلُ النُّبلُ؟

المالُ لا شيءَ عِندي كَيْ أضِنَّ بِهِ ... في مَوضِعِ الفَضْلِ، واللاشيء مُبتَذَلُ

عِلْقُ المَضنَّةِ ما تزكو مَزيَّتُهُ ... والفَضْلُ في اللهِ عِلْقٌ ما لَهُ مَثَلُ

---

(١) عقير: وعَقِيرٌ: لا يولد له بَيْن العُقْر؛ وهو الذي يأتي النساء فيُحاضِنُهنّ ويُلابِسُهُنّ ولا يولد له.

تلميح: هذا البيت والسابق واللاحق له من الأبيات اللافتة في القصيدة لشِعريّتها العالية، وترميزها بعيد الغور في مقصدها العام وهو الحِكمة الصافية، فهو يبتدئ في مُعاتبة الأيام التي تصده عن المساعي الوضاحة في جبهة الدهر، لكنَّ الحظ كابٍ غير وَلُود في براثن تلك الأيام، مُشبِّهاً إيّاهُ بأمَلٍ ينتفه المَوت، ليُصعِّدَ وتيرة مسعى القول الشعري في البيت التالي؛ وهو يُراقبُ الحَظ علّه ينصره على الأيام؛ لكنَّ الحظ ذاته يُنشدهُ متخلصاً ومُتملصاً من المأزق: لا ناقةٌ ليَ في هذا ولا جَمَل. إشارة توضيحية: من يُتابع الأبيات التالية سيلاحظ تصعيد الشاعر لبلواه مع الدَّهر الذي يُناكِدُهُ بشتى السبل.

يَزكو الثراءُ على التوزيعِ يُذْهِبُهُ ... في اللهِ والحَمدِ ليس اللهْوُ والخَتَلُ

عَوَّدْتُ ربِّيَ إنفاذي فَوَاضِلَهُ ... فيه، وعَوَّدَني التَّعْوِيضُ يَنهَمِلُ

عَوَائدُ اللهِ أغنى لي وإنْ تَرِبَتْ ... كَفِّي، ونِعمَةُ ربِّي نِعمَةٌ جَلَلُ

يَكْفِي مِنَ الوَفْرِ أنْ تَبْقَى مَحَامِدُهُ ... ما أحْمَدَ الوَفرَ حُسْنُ الحَمْدِ يَأتِيلُ

حقائقُ المَال كانتْ في العَطا غُرَراً ... ولا مَزِيَّةَ أنْ لا تَتْبَعَ النَّفَلُ

أوْجِبْ لِسَالِبَةِ الأنفالِ فَضْلَ يَدٍ ... فإنَّما سَلْبُها الإعْطاءُ والنَّفَلُ

لن يَلبثَ المالُ تذرُوهُ الرِّياحُ ويَبْـ ... ـقى من صَفايَاهُ ما شُدَّتْ به الخِلَلُ

نَفَاسَةُ الفَضْلِ عِلْقٌ لا تُنافِسُهُ ... إضْبَارةٌ مِنْ حُطامٍ حَالُها حَوَلُ

ضَمَانةُ اللهِ للإنسانِ كافيةٌ ... ففيم تَدْبيرُهُ والحِرْصُ والعَجَلُ

إن كنتَ تَملكُ بالتَّدْبيرِ رِزقَ غدٍ ... فلترْتَجِعْ فَائِتاً مِنْ أمرِكَ الحِيَلُ

كلّا لقد أعْجَزَ التَّدْبيرَ ما حُتِمَتْ ... بِه الأمُورُ فلا جَدٌّ ولا حَوَلُ

ثبِّتْ يَقينَكَ فيما اللهُ قاسِمُهُ ... لا بُدَّ آتيكَ لا فَوْتٌ ولا مَيَلُ

إنِّي لأعْلَمُ أمراً ليسَ يَجْهلُهُ ... دَهْري ولكنْ صَوابي عِندَهُ خَطَلُ

أيَجْهَلُ الدَّهرُ إذ خُضْتُ الغِمارَ بِهِ ... أنْ ليسَ يُعجِزُني عن خَوضِهِ الوَشَلُ

وهل نَفذْتُ شهاباً والخُطُوبُ دُجى ... وعنديَ الصَّارِمَانِ: القولُ والعَمَلُ

وهل تقلَّدَ جِيدُ المَجدِ من أدَبي ... ما لا تُنافسُهُ الجَوْزَاءُ والحَمَلُ

أنا ابنُ بَجْدَةِ أمرٍ لا قَرَارَ لَهُ ... لها عَلى خِطَّةٍ أُسٌّ لها زُحَلُ

عَلامَ تَنْحَلُني الأيامُ نِحْلَتَها ... جَهْلًا على خِلَّةٍ ما شَانَها خَلَلُ

تَنْحُو على فَضلِ أوطاري فتعْكِسُها ... فلستُ أُبرِمُ أمراً ليس يَنْفتِلُ

قارَعْتُ أطوارَها حتى حُذيتُ لَها ... وبي مِنَ الصَّبرِ ما لا يَحْمِلُ الجَبَلُ

وأرجَفَ الغدرُ هِيضَ العَظمُ من عُسُرٍ ... نعم، ولكِنْ وفائي الدَّهرَ مُتَّصِلُ

إن يَعْقِلِ العُسْرُ فَضْلي عن مَواقِعِهِ ... فلي خَليقةُ بِرٍّ ليسَ تُغْتَقَلُ

إذا زَكَا خُلُقٌ من أصْلِهِ نَزَعَتْ ... إلى الكَمالِ ـ على عَلَّاتِها ـ الخِلَلُ

لا تُنْفِقُ النَّفسُ إلّا مِن جِبِلَّتِها ... والفَضْلُ في النَّفْسِ لَيسَ المَالُ يُؤتَلُ

عَقائلُ المَالِ تُؤتاها وتُنْزَعُها ... ومَا عَقِيلةُ فَضْلِ النفسِ تَنْتقِلُ

إذا جُبِلْتَ على أمرٍ حُمِدْتَ به ... عَدَاكَ ذَمٌّ وإن جَدُّوا وإن هَزُلوا

لَتبلُوَنَّكَ أخطارٌ فكُن خَطِراً ... يَكادُ مِنكَ فؤادُ الدَّهرِ يَنذهِلُ

ولا تَنَمْ وعُيونُ الدَّهر سَاهِرةٌ ... وإنْ تَنَاوَمَ فهو المَكْرُ والخَتَلُ

وخُذْ حَقائِقَ ما تُخشى عَوَاقبُهُ ... مِنَ الأوَاخِرِ مِمَّا آتتِ الأُوَلُ

وارْغَبْ بنفسِكَ أن تُخزى على طَمَعٍ ... دَع المطامعَ تَرْعَى خِزيَها الهَمَلُ

واختَرْ على الذلِّ عِزّاً أن تُسامَ بهِ ... فدُونَ وَجْهِكَ في إدراكِهِ سُبُلُ

غَيظُ الزَّمانِ إذا عَزَّ الكِرامُ بهِ ... غَيظُ المَفاخرِ تَغطُو نحوَها السُّفَلُ

فَلْتَشْفِ نَفسَكَ مِنْ عِزٍّ تُغِيظُ بِهِ ... قَلْبَ الزَّمَان ولو في الحَتْفِ تَرْتَسِلُ

الدُّنيا(*)

مَاذا تُريدُ من الدُّنيا تُعانِيها ... أمَا تَرَى كيفَ تفنِيها عَوَادِيها
غَدَّارَةٌ ما وَفَتْ عهداً وإنْ وَعَدَتْ ... خانتْ وإنْ سَالَمَتْ فالحَربُ تُورِيها
ما خَالَصَتْكَ وإنْ لانتْ مَلامِسُها ... ولا اطْمَأنَّ إلى صِدقٍ مُصَافِيها
سِحْرٌ ومَكْرٌ وأحزانٌ نضارَتُها ... فاحذرْ إذا خالَسَتْ مَكراً وتمْويها
وانْفِرْ فَدَيْتكَ عَنها إنها فِتنٌ ... وإنْ دَعَتكَ، وإنْ زانت دَعَاوِيها
كَذَّابَةٌ في دَعاويها مُنافِقةٌ ... والشَّاهِداتُ على قولي مَعانيها
تُريكَ حُسناً وتحت الحُسن مَهْلَكَةٌ ... يا عاشِقيها: أمَا بانتْ مَسَاويها؟
نَسْعَى إليها على عِلْمٍ بسِيرتها ... ونَستقرُّ وإن سَاءتْ مَسَاعِيها
أمُّ عَقوقٌ وبئسَ الأمُّ تَخضُننا ... على غذاءِ سُمُومٍ من أفاعِيها
بئسَ القرارُ ولا ننفكُّ نألَفُها ... ما أعْجَبَ النفسَ تَهْوَى مَنْ يُعَادِيها
تَنافسَ الناسُ فيها وهي سَاحِرَةٌ ... بهِمْ وهُمْ أن يَهْلَكُوا فِيها
يَجْنُونَ مِنها على مِقدار شَهْوَتِهم ... وما جَنَوهُ ذُعَافٌ مِنْ مَجَانِيها
مَنِ الذي لم تَرُعْهُ من طَوارِقها ... وأيُّ نفسٍ من البلوى تُفادِيها
كُلُّ البَريَّةِ مَوتورٌ بما فَتَكَتْ ... لا ثأرَ يُؤخذُ لا أنصَارَ تَكْفِيها
تَرُوعُهُم رَوعَةٌ للحُسنِ مُدهِشَةٌ ... وهي الحَبائلُ تُبدِيها وتُخفيها
ما أغفلَ الناسَ فيها عن مَعايِبها ... وإنما رَاقَهُم منها مَلاهِيها

(*) العنوانُ من وَضْعِنا. فالقصيدة وردت في الأصل المُعتمد بعنوان: (وقال رَحِمَهُ اللهُ وَاعِظاً).

ولـلبَصَـائِرِ حُكْـمٌ فـي تـقـلُّبِـهـا ... بـأنَّ عِـيـشَـتَـهـا فـيـهـا سَـتُـرْدِيـهـا
غُـولٌ تـغـوَّلَ أشـكـالًا حـقِـيـقـتُـهـا ... مَـكـرٌ ولا يَـرْعَـوي عـنـهـا مُـدانِـيـهـا
نَـجْـرِي إلـى غـايـةٍ فـيـهـا فـتـضـرَعُـنـا ... لا بُـدَّ مِـنْ صَـرْعِ جَـارٍ فـي مَـجَـاريـهـا
وإنَّ دَاراً إلـى حَـدٍّ نـصـاحِـبُـهـا ... مِـنْ أحْـزَمِ الأمـرِ أنَّـا لا نُـصَـافِـيـهـا
أنَّـى نُـصَـافِـي الـتـي آبَـاءَنـا طَـحَـنـتْ ... والآنَ تَـطْـحَـنُـنـا الأنْـيَـابُ فـي فِـيـهَـا
أنَـسْـتَـقِـرُّ عـلـى لَـهْـوٍ بـلا ثَـقَـةٍ ... ولا أمَـانٍ ولا نَـفْـسٌ تُـعَـافِـيـهـا
مـا سَـالَـمَـتْ مـن نَـأى عَـنْـهَـا وحَـارَبَـهـا ... ولا تُـسَـالِـمُ، قَـطْـعـاً، مَـن يُـداجِـيـهـا
لا تَـرْحَـمُ الـطـفـلَ تُـرْدِي عَـنـهُ وَالِـدَهُ ... ولا الـثَّـكَـالـى، ولـو سَـالَـتْ مَـآقِـيـهـا
لـم تَـهْـدأ الـدُّورُ مِـنْ نَـوْحٍ وصـارِخَـةٍ ... ولا الـمَـقـابِـرُ مِـن مُـسـتـودَعٍ فـيـهـا
نَـمُـرُّ بـالـطُّـرُقِ والأيـتـامُ تـمـلأهـا ... ولا نـفـكِّـرُ فِـيـمَـنْ كَـانَ يُـؤْوِيـهـا
ونُـرْسِـلُ الـطَّـرْفَ والأبـوابُ مُـغـلـقَـةٌ ... والـدُّورُ فـارغـةٌ والـدَّهـرُ يُـبْـلِـيـهـا
أيـن الـذيـن غـنـوا فـيـهـا مَـقـرَّهَـمُ ... أظـنُّـهُـم فـي طِـبـاقِ الأرضِ تـطـويـهـا
أيـن الـذيـن عَـهِـدنـا أيـن مَـكْـنُـهُـمُ ... أيـن الـقـرونُ لـمـن تـبـقـى مَـغـانِـيـهـا
أيـن الـحَـمِـيـمُ الـذي كـنـا نُـخـالِـطُـهُ ... أيـن الأحِـبَّـةُ نـبـكـيـهـا ونـرثـيـهـا
أيـن الـمُـلـوكُ ومـن كـانـت تـطـوفُ بـهـا ... أو مـن يُـنـازِعُـهـا أو مـن يُـداريـهـا
أيـن الأبَـاعِـدُ أيـن الـجَـارُ مـا فـعـلـت ... بـهـم بَـنـاتُ الـلـيـالـي فـي تَـقَـاضِـيـهـا
لـو أمْـكَـنَ الـقَـومَ نـطـقٌ، كـان نُـطْـقُـهُـمُ : ... رَيْـبُ الـمَـنـونِ جَـرَتْ فـيـنـا عَـوادِيـهـا
عِـظـامُـهُـم نَـخِـرَتْ بَـلْ حَـالَ حَـائِـلُـهـا ... تُـرْباً لـدى الـرِّيـح تَـذْرُوهـا عَـوَافِـيـهـا
لا شِـبْـرَ فـي الأرضِ إلّا مِـن رُفـاتِـهِـمُ ... فَـخَـلِّ رِجْـلَـكَ رِفـقـاً فـي مَـواطِـيـهـا
نَـبِّـئِـنِـي الـقُـصُـورَ وذاكَ الـطِّـيـنُ مِـنْ جَـسَـدٍ ... بـالٍ ونَـخْـرُتُ أرضـاً مُـزِّقُـوا فـيـهـا
عَـوَاتِـقُ الـنـاس لا تَـرْتـاحُ آوِنَـةً ... مـن الـنُّـعُـوشِ ولا يَـرْتـاحُ نـاعِـيـهـا
مـا بَـيـنَ غـارةِ صُـبـحٍ تـحـت مُـمْـسِـيَـةٍ ... يُـراقِـبُ الـنـاسُ إذ نَـادَى مُـنـادِيـهـا
تَـغْـدُو وتُـمْـسِـي عـلـى الأرواحِ حَـاصِـدَةً ... لا يَـنْـتَـهِـي الـحَـصْـدُ أو تَـفْـنَـى بَـوَاقِـيـهـا
ونَـحـنُ فـي إثْـرِهِـم نَـنْـحُـو مَـصِـيـرَهَـمُ ... وجَـوْعَـةُ الـلَّـحْـدِ تَـدْعُـونـا ونُـقْـرِيـهـا

والعَينُ جَامِدَةٌ والنفسُ لاهِيَةٌ ... والزَّادُ ذنبٌ إلى عُقبى نُوافيها

ونَهْمَةُ النَّفْسِ فيما تَشْتَهِيهِ طَغَتْ ... على الأزِمَّةِ والآمَالُ تطغيها

ما هَكَذا عَمَلُ الأكْيَاسِ فانتبهوا ... مِنْ غَفْلَةٍ وعِمَايَاتٍ نُوَاتِيها

حَقاً، ولا سَلَكَ الأبرارُ مَسْلَكَها ... ساروا خِمَاصاً مِنَ الدُّنيا وما فيها

شدُّوا الحَيازِيمَ صَبراً عَنْ زَخَارِفِها ... إذ كُلُّ ما زَخْرَفَتهُ مِنْ مَخَازِيها

لا تُحْسِنِ الظنَّ فيها إنها مُلئت ... غَدْراً ولا تَتْبَعُوها في دَعَاويها

فالكَيِّسُ الحُرُّ مَنْ يَقْوَى بعَفوَتها ... على السُّلوكِ إلى دارٍ تُنافِيها

تَدْعُو حَذارِ وتزهُو مِنْ مَلابسها ... تذلُّلًا لجَهُولٍ ليسَ يَدْرِيها

والمُدرِكُون لمَعناها رأوا أجَلًا ... يَنعَى الرُّكُونَ إليها في دَوَاهِيها

فشمَّروا الذَّيلَ واشتَافُوا نُفُوسَهُمُ ... سَوْقَ القِلاصِ سِراعاً عن مَراعِيها

تعرَّضَتْ لهُمُ فاشتبصَروا جَنَفاً ... عَنْهَا سِوى بُلْغَةٍ في ربِّهم فيها

ماذا يُرِيدُون مِنْهَا وَهِيَ شَاهِرَةٌ ... سَيفَ المَلاحِمِ لا تَرْثِي لأهْلِيها

دَسَّتْ شِباكَ هَلاكٍ تَحتَ زُخْرُفِها ... فما تَوَرَّطَ فيها غَيرُ باغِيها

تُخفي الدَّسائسَ خُدْعاً في بَشاشَتِها ... لكنهُ بَانَ للأبصارِ خَافِيها

لم يَنجُ منها سِوى المُستبصِرِين بها ... ولا تَوَهَّقَ فيها غيرُ غَاوِيها[1]

تَأَثَّلُوا صَالِحَ الأعْمَالِ وامتثلوا ... بُغضاً ولم يَستقيموا نَحوَ تَالِيها

وكانَ مِنْ شأنِهِم أنْ لا تَغُرَّهُمُ ... نَضَارَةٌ حَشْوُها الحَيَّاتُ تُفرِيها

فرُّوا إلى الله من دُنيا تجارَتُها ... خُسْرٌ وَغَمٌّ وآفاتٌ تُصَالِيها

رَأوا يقيناً بأن الله حَقَّرَها ... فنَابَذُوها ولم يُصْغوا لِدَاعِيها

وحَارَبوا النفسَ والشيطانَ واجْتَنبُوا ... ذُلَّ الحياة لرَيٍّ مِنْ سَواقِيها

تلكُمْ هُمُومُ رجالٍ نحو ضَرَّتها ... ليست غَضَارَةُ دُنْيَاهُم تُنَاوِيها

---

(١) يستخدم أبو مُسلِم مُفردات دارجة في اللهجة العُمانية، وهي فصيحة مثل: «توَهَّقَ» في هذا البيت، بمعنى: توَرَّط.

أزكى بضاعَتِهم منها قناعَتُهُم ... على الكَفافِ وأن تبقى لأهْلِيها

تلكَ البضاعَةُ لا الأموالُ تجمَعُها ... وعَنْ قريبٍ إلى الوُرَّاثِ تُلقيها

تَشْقَى بمَكْسَبها والخَصْمُ يأكُلُها ... صَفواً يُمتِّعُ نفساً ما يُمنِّيها

دُفِنْتَ مِنْ بعد إخراج الدَّفينِ لهم ... وصَارَ دفنُكَ للأعداءِ تَرْفِيها

وصِرتَ في القبر مَرْهُوناً بمَأثِمِها ... وفاتَ نفسَكَ في العُقبى تَلافِيها

أعْدِدْ جَوابَكَ في حين الحِساب إذا ... نُوقِشْتَ كيفَ أتتْ أو كيف تُجْرِيها

ما تَبْتَغِي من حُطامٍ أصْلُهُ تَعَبٌ ... والمُنتهى حَسْرَةٌ لا حَدَّ يُقصِيها

كم تَخزنُ المالَ لا تُعطِي حَقائِقَهُ ... تلكَ المَخازنُ مَلأى مِنْ مَكاوِيها

ماذا تُريدُ بجَمْرِ عِشتَ تَرْكُمُهُ ... جَحِيمَهُ باشتدادِ الحِرْصِ تُذكِيها

هَلَّا نَجَوتَ سَليماً مِن مَعَاطِبها ... فالنفسُ مَيسُورُ هذا العَيشِ يَكفيها

قُرْصٌ وطِمْرٌ وشُكْرٌ فهي مَمْلَكَةٌ ... عَظيمَةٌ مُلْكُ كِسْرى لا يُوازيها[1]

هي السَّلامةُ لا كَيُّ الجِبَاهِ بما ... كَنَزْتَ لا تتوَخَّى فيه تنزيها

ارفقْ بنفسِكَ لا تقوى على سَقَرٍ ... وافزعْ إلى الله من ذنبٍ سَيُخزيها

ارحَمْ عِظامَكَ أن تُصْلى بزَفْرَتها ... وَخْزُ البَعوضةِ لو فكَّرْتَ يُؤذيها

ألا يَهُولُكَ ما قدَّمْتَ من خَطَأ ... إنَّ الذنوبَ دُيونٌ سَوفَ تُوفِيها

بادِرْ إلى توبةٍ تمحُو الذنوبَ بها ... فما سِوى أوْبَةِ الإخلاصِ مَاحِيها

بادِرْ لأوْبَةِ نفسٍ كُلَّما ادَّكَرَتْ ... قُبحَ الخطيئةِ نارُ الخوف تشْوِيها

وحَقِّقِ الصَّبرَ واعْزِمْ عَزمَ مُضْطَبِرٍ ... في حَربكَ النَّفسَ تُغنِيها وتَطْوِيها

واركبْ مَطايا الليالي في العِبادة لا ... تَنَمْ على غَفلَةِ المَغرورِ تَقْضِيها

لطالما شَحَنتها مِنكَ مَنْقَصَةٌ ... شُغلًا بدُنياكَ عن عُقبى سَتُنهِيها

يَمُرُّ عُمْرُكَ لا حُسنى بها رَمَقٌ ... تُجديكَ نفعاً ولا صنعاءَ تَنفِيها

ولا هوى يَعقبُ الأهوالَ تدفعُهُ ... ولا مَراشِدَ تأتيها وتَحويها

---

(١) طِمر: ثوب قديم

تمضي لياليكَ صُفراً منكَ من حَسَنٍ ... وبالفظائعِ والحَوْباتِ تُزجيها
جَلالَ رَبِّكَ لا تخشى وسَطْوَتَهُ ... وأخْذَةُ العَدْلِ حتماً أنتَ لاقيها
لزِمْتَ فِعلَ مَعاصِيهِ برَحْمَتِهِ ... أنِعْمَةَ الله بالكُفرانِ تجْزيها؟
تغذوكَ نُعْماهُ يا بَطَّالُ نامِيَةً ... بغيرِ حَوْلِكَ فضلًا مِنهُ يُوليها
وأنتَ تَقوى مَلِياً في مَساخِطِهِ ... بنِعْمَةٍ مِنهُ لا مَخلوقَ يُحْصِيها
فأفْرِغِ الدَّمْعَ إنَّ الذنبَ مُنطَبِقٌ ... يا غُمَّةً ليسَ غَيرَ التَّوبِ يُجْلِيها
مِن مُقلةٍ مَلأ العِصْيانُ ساحَتها ... دَعْها من الخوفِ مُنصَباً عَزاليها
عَساكَ تغسِلُ أدْرَاناً بها انَّسَخَت ... صَحِيفةٌ طالما اسْوَدَّتْ نواحِيها
وانْدُبْ حَياتكَ فالحَذْباءُ بَارِكَةٌ ... بعَتْبَةِ البابِ لا تَرْدى بِرَاقِيها
حَامَتْ عليكَ المَنايا وهي واقِعَةٌ ... كيفَ الأمَانُ ورأسُ الرُّوحِ في فِيها
لا تُبعِدِ المَوتَ وارْقبْهُ بأُهْبَتِهِ ... وأُهْبَةُ المَوتِ بالتُّقوى تُوَفِّيها
خُذْ فُسْحَةَ العُمْرِ من أيدي بَطالَتِهِ ... إنّ الأمانيَ والتسويفَ يُرْدِيها
إنّ المَنيَّةَ لا تَقديرَ يَمْنَعُها ... لها جِيادٌ إلى الغاياتِ تُجْرِيها
الوالدَيْنِ ونَسْلَ الظَّهْرِ قد أخَذَتْ ... وأنتَ مِن فِعلها فيهم تُفادِيها
كم قدْ دَفَنتَ وكَمْ تَرجُو لتَدْفِنَهُ ... وأنتَ نَفسكَ بالآمالِ تُغْرِيها
كَلّا سَتهجُمُ عِندَ الحَدِّ غايتها ... فليسَ يَفديكَ شاكِيها وباكِيها
فكُرْ إذا قَعْقَعَتْ في الصَّدرِ حَشرَجَةٌ ... هل أنتَ بالمالِ تلكَ الحال تكْفِيها
والرُّوحُ تَنسابُ من أقصى أكِنَّتِها ... والعَينُ شاخِصَةٌ والكَرْبُ يَعمِيها
مُلقى صَرِيعاً وعِزْرائيلُ يَنزِعُها ... وغُصَّةُ النَّزْعِ في الحُلقومِ تَلْوِيها
تلكَ المَصارِعُ لا تُوقى بمَقدِرَةٍ ... ولا يُحاوِلُ أن يُوقى مُلاقِيها
لا بُدَّ منها ولا أحكامَ تكشِفها ... وإنما الشأنُ في إحسانِ تاليها
قد بَيَّنَ اللهُ للتقوى مَرَاشِدَها ... لم يُخفِ عَنك هُداها من مَناهيها
فاثبتْ على خطَّةِ التقوى تَفُزْ أبداً ... لا تُلقِ نفسَكَ تَهْوِي في مَهَاويها
لا تَستخِفَّنكَ الدُّنيا بزَهْرَتِها ... فأخسَرُ الناسِ في أُخْرَاهُ هَاوِيها

فقد تبيَّنَ مِنها فَوزُ تارِكِها ... كما تبيَّنَ مِنها خُسْرُ غاويها
وارْغَبْ إلى الله في إحْسانِ خاتمةٍ ... تلقى بها الله والرِّضْوان يُؤتيها
فإنما بالخواتيمِ الأمُورُ عسى الـ ... ـربُّ الكَريمُ، بفضلٍ مِنهُ، يُنديها

استنهاضُ النَّفْس(*)

لَنْ تُرْضِيَ اللهَ حَتى تُخْلِصَ الوَرَعَا ... ولنْ تَرَى وَرَعاً بالجَهْلِ مُجْتمِعَا
حَقُّ العِبادةِ فَرْضٌ لَنْ تُؤدِّيَهُ ... إنْ كُنتَ تَجْهَلُ مَفرُوضاً ومُمْتنِعا
أمَانَةُ اللهِ تَسْطِيعُ الأداءَ لها ... إذا عَلِمْتَ، بعَون الله، ما شَرَعا
ولم يُجِدْ صَانِعٌ إتقانَ صَنْعَتِهِ ... حتى يَكُونَ عَلى عِلْمٍ بما صَنَعا
ومَنْ مَضَى في طَريقٍ لا دَليلَ لها ... ولا مَعالِمَ تَهْدِي، ضَلَّ وانقطَعا
وَفاقِدُ العَيْنِ مُحْتاجٌ لقائِدِهِ ... لولاهُ لم يَدْرِ مَهْمَا جَارَ أو سَدَعا(1)
فاسْتنهِضِ النَّفسَ في إدْرَاكِ ما جَهلَتْ ... حتى تَرَى العِلْمَ في حَافاتِها سَطَعَا
فهَذِهِ النَّفسُ مِرآةٌ جِبِلَّتُها ... ما قابَلتْ كائناً إلّا بها انطَبَعا
مُضِيئةُ الذَّاتِ والأكْدَارُ عَارِضَةٌ ... لنُورِها، فإذا اسْتَجْلَيتَهُ انصَدَعا
والعِلمُ أشرفُ ما أُوْليتَ من خَطَرٍ ... ما حَلَّ في مَوضِعٍ لله فاتَّضَعا
فاطلبْهُ للهِ يَفتحْهُ بلا تَعَبٍ ... لا تَحْتجِزْ غَيرَ مَا يَرضَى بِهِ طَمَعا
واليُسْرُ يَصْحَبُ مُرْتادَ العُلومِ إذا ... كانَ ارتِياداً عَنِ الأكْوَانِ مُنقطِعَا
والعلمُ بَحْرٌ مُحِيطٌ لَسْتَ مُحْصِيَهُ ... فكُنْ بأنفعِهِ في الدِّين مُقتنِعا
ولو فرَضْنا انحِصَار العِلْمِ في بَشرٍ ... وقصدُهُ غَيرُ وَجْهِ اللهِ مَا نَفَعَا
فاصْرِفْ إلى اللهِ وَجْهَ القصدِ مُعتقِلًا ... عَقائلَ العِلْمِ، فالإنسانُ حَيثُ سَعَى

(*) قال هذه القصيدة في جماعة من قبيلة الغيوث أسّسوا في زنجبار جمعيّة تُدعى «تناول المجد».
(1) سدع: اهتدى.

والعِلْمُ باللهِ أَوْلَى مَا عُنِيتَ بِهِ ... ومَا سِواهُ إلى إدْرَاكِهِ نَزَعَا
فابْغِ المَعارفَ آلاتٍ لصَنْعَتِهِ ... إذ يُتقِنُ الصُّنعَ بالآلاتِ من صَنعَا
ولا تقولَنَّ عِلمٌ ليسَ يَنفعُنِي ... بكُلِّ عِلمٍ يَعيشُ العَبدُ مُنتفِعَا
فاطْلُبْ وأَطلِقْ بلا قَيدٍ ولا حَرَجٍ ... وقِفْ إذا كَانَ عَنهُ الشَّرْعُ قد مَنعَا
وقدِّم العِلمَ بالطَّاعَاتِ تَقْضِ بِهِ ... حَقاً لمَحْظُورِهِ أو مَا إليهِ دَعَا
دَعْ المُهندِسَ في الأشْكَالِ مُختَبِطاً ... وصَاحِبَ النَّجْمِ يَرْعَى النَّجْمَ إنْ طَلَعا
واقصِدْ فَقِيهاً بنُورِ اللهِ مُشتعِلًا ... يُريكَ ما ضَاقَ عَنهُ الجَهْلُ مُتَّسعا
فلا يَهُمُّكَ يَومَ الحَشْرِ هَندَسَةٌ ... ولا سُؤالٌ عَنِ المِرِّيخ كم قَطَعا
ولن تَرَى مِنْ كِتابٍ خَطَّهُ مَلَكٌ ... يَومَ القِيامةِ إلّا الذنبَ والوَرَعا
فاعْمَلْ بعِلمٍ وأشغِلْ كاتبَيكَ بِهِ ... فلا يَفُوتُكَ ما تُملِي وَمَا جَمَعا
لا تُنفِقِ العُمْرَ بَطّالًا فلَستَ تَرَى ... يَومَ النَّدَامَةِ للأعْمَالِ مُتَّسعا
في لَمْحَةِ العُمْرِ إمْكَانٌ ومَزرَعةٌ ... وسَوفَ يُحصَدُ في عُقباه مَا زُرِعا
إذا حُشِرْتَ بلا عِلمٍ ولا عَمَلٍ ... عَرفتَ كَوْنكَ بالتَّفرِيطِ مُنْخَدِعَا
أدْرِكْ بَقِيَّةَ أيَّامٍ تَمُرُّ بِلا ... مَهْلٍ، فإنَّ نَجَازَ العُمْرِ قَدْ قُرِعَا
وأيقِظِ العَزمَ إنْ نَامَتْ لَوَاحِظُهُ ... في الجِدِّ لله لا وَهْناً ولا هَلَعا
واصْرِفْ حَيَاتكَ مِنْ بَدءٍ لخاتمَةٍ ... في عِلْمِ دِينِكَ للقُرْآن مُتَّبِعا
هُوَ المُهِمُّ الذي تُرجَى عَواقبُهُ ... إنْ مُتَّ أحْيَاكَ أو قَدَّمْتَهُ شَفَعا
مَزِيَّةُ العِلم أعلى نِعْمَةٍ رَفعَت ... عَبداً، ولولاهُ لم يُذكَرْ مَنِ ارْتَفَعا
ما فَوقَ مَرْتبةِ المُختارِ مَرْتبَةٌ ... ولا وَسَاعَةَ تَسْمُو فَوْقَ ما وَسِعَا
وكُلُّ عِلْمٍ لمَخْلوقٍ تُقدِّمَهُ ... أو سَوفَ يَعْقِبُهُ مِنْ بَحْرِهِ نَبَعا
وكُلُّ ذرَّةِ نُورٍ أو مَقامِ هُدى ... فمِنْ مَشارِفِ نُورِ المُصْطَفى طَلَعا
وكُلُّ ذلكَ والقرآنُ يأمُرُهُ ... قلْ رَبِّ زِدنِي عِلماً فوقَ ما جَمَعَا
لأنَّ للعِلْمِ شَاناً كُلُّ مَرتبَةٍ ... وكُلُّ شأنٍ رَفيعٍ دُونَهُ اتَّضَعا
والنَّفْسُ قَابِلَةٌ للازْدِيادِ فلا ... تَضِيقُ عَنهُ اتِّساعاً كَيفَمَا اتَّسَعا

فازقُمْهُ في لَوْحِها واجْعَلهُ مُرْشِدَها ... إلى حَقائقِ أعْمالٍ لَهَا وُضِعا

فلْتطلُبِ العِلْمَ للأعْمالِ يَخدِمُها ... كالسَّيفِ يَحْمِلُهُ للضَّرْب من شَجَعَا

ماذا تُريدُ بعِلمٍ لا يَرُدُّكَ عَنْ ... شرٍّ ولستَ بِهِ للخَيْرِ مُتَّبِعا

ليسَ الحِمَارُ مِنَ الأسْفارِ يَحْمِلُها ... بِغَيْرِ أثْقالِها إيَّاهُ مُنْتَفِعَا

بَئسَ المِثالُ لِمَنْ أوْعَى العُلومَ وَلَمْ ... تُفِدْهُ إلّا: فُلانٌ عَالِمٌ بَرَعَا

وإنْ طَلَبْتَ بِهِ الدُّنْيَا فَمَوْبِقَةٌ ... أحْرَى بِهَا مِنْ خَسِيسِ الجَهْلِ أنْ تَقَعَا

جَرِّدْهُ مِنْ كُلِّ شَيءٍ لا يُشاكِلُهُ ... ما أقبحَ العِلمَ مَهْمَا قَارَنَ الطَّمَعا

وأشْرَفُ العِلْمِ مَا يَهْدِي لِصَالِحَةٍ ... تَكُونُ ذُخْراً وَمَا عَنْ سَيِّءٍ رَدَعَا

ليسَ السِّيادَةُ فِي مَالٍ ولا نشبٍ ... لكنها العلم مهما رافق الوَرَعا[1]

للهِ نُخبةُ أبْرارٍ فقدْتُهُمُ ... كانُوا الأمَانَ فأبْقَوا بَعْدَهُم فَزَعَا

كانُوا البِحَارَ فأبْقَوا بَعْدَهُم يَبَساً ... كانُوا السَّحابَ فأبْقَوا بَعْدَهُم قِزَعَا[2]

صَحِبْتهُم وغيوثُ العِلْمِ هَاطِلَةٌ ... وفارَقُوني فضَنَّ الغيثُ وانقطَعا[3]

أولئكَ القومُ مِلْحُ الأرض إنْ فسَدَتْ ... فأين هُم وفَسَادُ الأرضِ قَدْ قَرَعَا

ما للمَعَارفِ مِنْ أفلاكِها نزلَتْ ... والآن حَلَّتْ بُطونَ الأرضِ والتِّلَعا[4]

من لي بهِم في زمَانٍ بَعضُ مَوعِدِهِ ... رَفعُ العُلُومِ وَهَذا العِلْمِ قَدْ رُفِعَا

وَرَفْعُهُ مَوتُ مَنْ يَبْغِي بِهِ عَمَلًا ... بِراً ولو حَلَّ فيمَنْ ضَلَّ وابْتَدَعَا

عَسَى لَطَائِفُ رَوْحِ اللهِ مُنشِئَةٌ ... بَعدَ الأيَاسِ سَحَاباً يُمْطِرُ الطَّمِعَا

فَتَنْجَلِي غُبْرَةُ الأيامِ عَنْ خَلَفٍ ... صِدقٍ يَقومُ بنفعِ الخلْقِ مُضْطَلِعَا

فإنَّ لي أمَلًا في فِتيَةٍ نُجُبٍ ... ورَيْثَمَا حَاولوا إدْرَاكَهُ خَضَعا

تناولوا المَجدَ من أركانِ سَالِفِهِم ... برْقُ الفضيلة في أعْطافِهِم لَمَعا

---

(١) نشب: المال والعقار، ولأنهُ ذكر الأولى فالثانية هي المقصودة.

(٢) قِزع: قطعة متفرقة من السحاب.

(٣) غيوث العِلم: إشارة إلى جماعة قبيلة الغيوث.

(٤) التِّلع: الهِضاب.

لهُم وجُوهٌ مَصابيحٌ مُشعشعَةٌ ... كأنَّما البَدْرُ في أغصَانِها طَلَعا

نُجُدٌ أماجدُ في أحسَابهم فَلَقٌ ... ومِنْ أيَادِيهِمُ البَيْضَاءُ قَدْ نَبَعَا

زُهْرُ المَناقبِ يَنشقُّ الجَمَادُ بها ... عن حَاجبِ الشَّمسِ أو عَنْ صُبحِهَا انْصَدَعا

مِثلُ الكَوَاكِبِ فِي عِلْمٍ وَفِي عَمَلٍ ... وفِي قُلُوبٍ وفِي صِيتٍ لهُمْ شَسَعَا

تنافسُوا في اقتناءِ المَجْدِ واستبَقوا ... والكُلُّ جَلَّى لمَجْدٍ ليسَ مُختَرعا

سَمَتْ بهم هِمَّةٌ كالشمس نيِّرَةٌ ... فكُلُّ هَمٍّ عَزيزٍ تحتها رَكَعا

وناصَبوا الدَّهرَ والأيَّامُ كالِحَةٌ ... بفضلِ حُرِّيةِ الأحْرَار فاندَفعا

ونظَّمُوا عَقدَ مَجْدٍ باجتِمَاعِهِمُ ... لا زَالَ عَقداً بعَينِ اللهِ مُجتمِعا

«تناوُلُ المَجْدِ» صَعبٌ غير أنَّهُمُ ... تناوَلُوهُ ومَا شدُّوا لَهُ النِّسَعَا

بَخٍ بَخٍ يَا سُراةَ المَجْدِ إنَّكُمُ ... ذكَرْتُمُ المَجْدَ ما أعْطَى ومَا مَنعَا

ما زَالَ يُنتخَبُ الأحْرَارُ في زمَنٍ ... مُقطَّمِ الوَجْهِ حتى فِيكُمُ وَقعَا

فكُنتُمُ الغُرَّةَ الزَّهْرَاءَ فيه ولَمْ ... يُبْصِرْ بأكْمَلَ مِنكُم، لا ولا سَمِعا

لنا الهَناءُ بأنَّ المَجْدَ بَشَّرَنا ... مِنْكُم بأكْرَمَ مَنْ فِي مَفْخَرٍ نَزَعَا

وإنَّ مُستقبلًا يأتي لنزعَتِكم ... مِنْ دُونِ حَضرِ المَعالي ليسَ مُقتنِعا

وإنكُم ولسانُ الصِّدقِ يشهَدُ لي ... وَصَلتُمُ من حِبالِ العُرْفِ ما انقطَعَا

ومَنْ شَعَرْتُم بأنَّ الجَهلَ مَنقصَةٌ ... والعِلمُ يُعلي برغمِ الجَهلِ مَا اتَّضَعا

أسَّستُمُ لعُلوم الدِّينِ مَدرَسَةً ... كهَالَةِ الشَّمسِ أنواراً ومُنتَفَعا

ضَمَّتْ شَبيبةَ أطْهَارٍ نُفوسُهُمُ ... أصَفى مِنَ الدُّرِّ بالأصْدافِ مُلْتفِعا

تعَطَّشوا لاكْتِسَابِ العِلْمِ إذ فَهِموا ... كَونَ الجَهَالَةِ فِي حُكْمِ الجِجَى شنَعَا

مُشمِّرينَ ذُيُولَ الجِدِّ هَمُّهُمُ ... أن يَعبُدوا اللهَ بالوَجْهِ الذي شَرَعا

أوْحَتْ إليهِم عُقولٌ غَيْرُ قاصِرَةٍ ... ضَرورةَ العِلْمِ فانقادوا لهَا تَبعَا

على نشاطٍ وعَزمٍ لا يُعارِضُهُ ... مُعارِضٌ فكَأنَّ البَحرَ مُندَفِعا

بُشراكُمُ يا وُعَاةَ العِلمِ إنَّ لكُم ... يوماً سَيرْجعُ فيه الجَهْلُ مُنهَزِعا

وتسعَدُونَ بالبابِ مُنوَّرةٍ ... يَصُونها اللهُ أن تَستَمْرِئَ البِدَعَا

يا عُمدَتي، يا غُيُوثَ الأرضِ حَسْبُكُمُ ... مَسْحُ المَلائِكِ تَبْريكاً ومُنتفَعَا
هلْ تقبلونيَ فَرْداً من رِجَالِكُمُ ... حتى نَعِيشَ على هذا الفلاحِ مَعَا
قد اخْتُصِصْتُمْ بشأنٍ كُلُّهُ شَرَفٌ ... هل تَسْمَحُونَ بأن يَبقى لنا شرعا
ما زلتُ أدعوا إلى أمثالِ نهْضَتكُم ... فكُنتُمُ يا رجالَ الفضلِ مُستمِعا
فثبَّتَ الله مَسْعاكُم وزادَكُمُ ... تقدُّماً في العُلا ما كَوْكَبٌ طَلَعا

إخوانُ الصَّفا(*)

الفَضْلُ ما وَزَعَ النُّفُوسَ إلى الصَّفا ... ورأيتُ إدراكَ المَعارفِ أشرَفا

وكَمالُ كُلِّ نزاهةٍ وسَجِيَّةٍ ... أبَداً على شَرَفِ العُلومِ تَوَقَّفا

لم يَرْتفعْ بجَناحِ جَهلٍ طائرٌ ... نَحْوَ الكَمالِ وكَمْ بعِلمٍ رَفرَفا

أحْدُو النُّفوسَ بشدْوِ لَحْنِ بَصِيرتي ... نَحوَ الكمالِ إذا حَدا حَادي الوَفا

حُرُّ الضَّمائرِ لا يُقيِّدُهُ الهَوى ... في عِلَّةٍ من دُونِ إدراكِ الشِّفا

صَدْعُ الصَّدا مِنْ حِكْمَتِي أرجُو بهِ ... صَدْعَ النفوسِ إلى الصَّفاءِ عَنِ الجَفا

أنهَتْ مُزاولةَ الحَوادثِ نُهْيَتي ... وَقَفَتْ لِتَرْقِيةِ الفَضِيلةِ مَوقفا

(*) وردت القصيدة في الأصل المُعتمد بعنوان: (وقال أيضاً)، لكننا اخترنا لها هذا العُنوان لأن القصيدة تشيرُ ـ كما يؤكد د. محمد المحروقي في دراسته ـ إلى جماعة موسيقية في زنجبار عُرفت باسم (نادي إخوان الصفا). وهو أول ناد من ذلك النوع، حيث تأسس عام ١٩٠٥ ليظهر بعده (نادي الشعب، ١٩١٠) وهما من النوادي الموسيقية التي تأسست بتأثير جهود الموسيقار وعازف آلة القانون محمد بن إبراهيم الذي ارتفع بالحس الموسيقي في زنجبار إثر عودته من القاهرة التي أرسَلَهُ السيد برغش إليها ليتخصص في دراستها. وقد عاد إلى زنجبار بعد رحلته الدراسية بأدوات موسيقية تعرف لأول مرة في شرق أفريقيا؛ كالعود، الناي، الدُّف، والكمنجة. لقد كوَّن مجموعة من الدارسين، أخذ يعلمهم أصول الموسيقى العربية، ويدربهم على مقامات: البياتي، الشعري، الرست، الحجازي، الحسيني، وعندما تم له ما أراد أقام حفلة بقصر (بيت العجايب) حضرها السلطان برغش وحاشيته، كما تجمهر الناس حول القصر. وقد رافق هذا الموسيقي، فيما بعد، السيد حمود بن محمد في رحلته إلى أقطار أفريقيا الشرقية، وكتب عنه أبو مُسلم وامتدحه، كما أسبغ عليه لقب: «الكوكب الدُّري» في كتابه الرَّحلي الموسوم: «اللوامع البرقية في رحلة مولانا السلطان المعظم حمود بن محمد بن سعيد بن سلطان بالأقطار الأفريقية الشرقية».

ولو انبَسَطتُ إلى الكَمَالِ بدَعْوتي ... كانتْ إلى غَيرِ العُلومِ تَكلُّفا
هل تَشعُرُ الألبابُ أن غِرَاسَها ... إلّا بعِلمٍ طيِّبٍ لن يُقطَفا
وإذا تَسَاجَلَتِ النفوسُ وَجَدْتَ ذا ... أدَبٍ على نَجْدِ المَفاخِرِ مُشرفا
فلْتَحْيَ أنفُسُكم بروحِ كَمَالِها ... جِزباً بجَامِعَةِ العُلى مُتصَرِّفا
ولتَنْتبهْ أفكارُكم لفلاحِها ... حُريَّةُ الأفكار رَبعٌ ما عَفا
إنَّ المُقلِّدَ في الحَوَادِثِ عَاجزٌ ... ما كُلُّ رَأيٍ في الحَوادِثِ يُقْتَفَى
فتقلَّدوا هِمَمَ الكِرَامِ وَزَاحِموا ... أكتافَ أحْرَارِ الفَضِيلَةِ والوَفا
واستصْلِحُوا سَيْرَ النُّفوسِ بما بِهِ ... تَزْكُو ولا تَذَرُوا الكَمَالَ مُسوَّفا
حتى يقوم المَجْدُ فيكُم قائلًا: ... الناسُ كُلُّ الناسِ «إخوانُ الصَّفا»

وقال ناصحاً(*)

يـا ذا الإمَـامَـةِ قـد تـقـلَّدتَ الـخَـطَـرْ ... فـاحْـمِـلْ عـلى شَـرْطِ الـشَّـريـعَـةِ أو فَـذَرْ

قـد أوْفَـدُوكَ إلـى عَـظـيـمِ قـادِرٍ ... يُـحْـصِـي عَـليكَ أقـلَّ مِـنْ مِـثـقـالِ ذَرْ

إنَّ الـوُفـودَ إلـى الـمُـلوكِ أحـقُّـهُـم ... بـمَـزيَّـةِ الإيـفـادِ أرْبَـابُ الـخَـطَـرْ

فـكُـنِ الـخِـيـارَ لـتـشـتـحِـقَّ وفـادَةً ... تُـقْـضَـى على يَدِكَ الـمَـوَاهِـبُ والـخِـيَـرْ

أحْـسِـنْ صَـلاتَـكَ إنَّ خـلفـكَ قـانِـتـاً ... يـأتِـي إلـيـهِ مِـنْ إسَـاءتِـكَ الـضَّـرَرْ

أتُـراكَ تَـسْـلَـمُ مـن ضَـمَـانِ صَـلاتِـهِ ... ولـو اسْـتـقـامَـتْ إن أسَـأتَ بـمـا يُـسَـرْ

يـأتـي بـهـا زَهْـرَاءَ تَـصْـعَـدُ فـي الـسَّـمـا ... فـتـرُدُّهـا سَـوداءَ مُـظـلِـمَـةَ الـطُّـرَرْ[1]

يَـتـصَـلَّـبُ الـمِـسْـكِـيـنُ فـي إخْـلاصِـهـا ... ويُـحَـارِبُ الـشـيـطـانَ غَـايَـةَ مَـا قَـدَرْ

لـم يُـغـنِـهِ الإخـلاصُ والإحـسـانُ فـي ... تـلـك الـصَّـلاةِ وزنـتَ آفـتـهُ الأمَـرْ

أحْـسِـنْ أمَـانَـتَـكَ الـتـي قُـلِّدْتَـهـا ... طَـوقَ الـحَـمَـامَـةِ مـا تُـسِـرُّ ومـا ظَـهَـرْ

لـقـد اتَّـجَـرْتَ عـلـى الـذيـن تَـؤمُّـهُـم ... فـاخْـتَـرْ عـلى الـخُـسْـرَانِ رِبْـحَ الـمُـتَّـجَـرْ

(*) وجدنا القصيدة ناقصة تسعة أبيات في الأصل المُعتمد؛ فأكملناها اعتماداً على «تحقيق الدغيشي»، وقارناها بعد أن توفرت لنا المخطوطة بما ورد فيها [ملحوظة: خلافاً لقصائده الأخرى التي تكثرُ فيها مُفردة الإمامة بدلالتها الشاملة في بُعدِها الخِلافي، فإنها في هذه القصيدة تنحصرُ نُصْحاً فيمن يَؤمُّ الصَّلاة غير مُتفطِّنٍ لدوره الخطير. والقصيدة، قدر ما تكتنز بشروط إمامة الصلاة، لا تخلو من سُخرية قادحة في بعض أئمة المساجد الذين لم يشترطوا على أنفسهم الشروط الواجبة ديناً ودُنيا على تنطُّعهم لأداءِ دور لا يُناسِبهم، دِيناً ودُنيا.

(١) الطُّرَر: جمعُ طُرَّة، وهي حافة الثوب، ويقصد العمامة.

قد قلّدوكَ أمانةً مضمونةً ... فاحذرْ ضَمانَ مُضيِّعٍ كُلَّ الحَذرْ
واعرفْ لهاتِيكَ الأمانةِ قدْرَها ... ليسَ الضَّمانُ بها ضَماناً يُغتفرْ
إن تَرْعَها نَالُوا ونِلتَ ثوابَها ... أو خُنْتَهَا سَلِموا وأنتَ المُؤتَزِرْ
قد قُمْتَ بَينَ غَنِيمةٍ وسَلامةٍ ... فاسْلُكْ بأيِّهِما تَرَى الحَزْمَ اسْتقرْ
واسْتوفِ بين سَلامَةٍ مِنْ فِعْلِها ... وسَلامَةٍ مِنْ تَرْكِها حَقَّ النَّظَرْ
فإن اسْتطَعْتَ حُقوقَهَا وشُروطَها ... تَرِبَتْ يداكَ، اغْنَمْ فنِعْمَ المُدَّخَرْ
وإذا عَجِزتَ ففي السَّلامَةِ مَغنمٌ ... وأحَقُّ أمْرَيْكَ البَعِيدُ عن الخَطَرْ
وإذا تَرَكْتَ مَعَ اسْتِطَاعَةِ فِعلِها ... فالإثمُ بالتَّضْييعِ يُلْزمُ من قَدَرْ
إنَّ الإمَامَةَ مَنصِبٌ ومَقامُها ... لمَزيدِ إخلاصٍ من الكِبْرِ افتَقَرْ
لا تَبْغِها بذخاً بها وترَفُّعاً ... فَيُكِبَّكَ الجَبَّارُ يوماً في سَقرْ
لتكُنْ إقامَتُها على الإخْلاصِ لا ... لتكُونَ مَتبُوعاً يُعظِّمُكَ البَشرْ
ومَقاصِدُ الألْبابِ يَعْلَمُ كَيْفَها ... مَنْ لا يُغيَّبُ عَنهُ مَطوِيُّ الفِكَرْ
أتُرى يُغالطُهُ الضَّميرُ وعِلْمُهُ ... مُخْصٍ سَواءٌ مَنْ أسَرَّ ومن جَهَرْ
فهَبِ الخِدَاعَ مَعَ البَريَّةِ نافعاً ... أتُراهُ عمَّنْ يَعلَمُ الغيبَ اسْتَتَرْ
عَمَلُ السَّرائرِ والظَّواهِرِ كُلُّهُ ... في عِلمِ عَلّامِ الغُيوبِ قد انْحَصَرْ
فارِقْ هَواكَ وَدَعْ لربِّكَ فِطْرَةً ... مَحَّضتَ بالإخلاصِ عنها كُلَّ شَرْ
طَهِّرْ سَريرَتَكَ التي آفاتُها ... سُوءٌ وصِبْغتُها النقائصُ والقذرْ
واحْمِلْ عَمودَ الدِّينِ ما حُمِّلْتَهُ ... عمَّن رَآكَ به الضَّليعَ المُقتدِرْ
مَهْمَا حَضرْتَ الناسَ عند صَلاتهم ... ورآكَ للتَّقديمِ أهلًا مَن حَضَرْ
فكُن الإمامَ ولا عليكَ ولا تُضِعْ ... فرْضَ الجَماعَةِ واحتسِبْ أجْرَ النَّفَرْ
لكِنْ عليكَ وظائفٌ مَشْرُوعةٌ ... سَفرَتْ بها سُننٌ كما سَفرَ القمَرْ
منها مُراعَاةُ الأظِلَّةِ دَائِباً ... وأوائلُ الأوقاتِ مِنْ ذاكَ الوَطَرْ
إن الأحَبَّ مِنَ العِباد لربِّهِ ... عبدٌ يُرَاعِي للأظِلَّةِ في الخَبَرْ
وأوائلُ الأوقاتِ رُتبَةُ فَضْلِها ... حَضَّ النبيُّ وفعلُهُ فيها اسْتمَرْ

رِضْوانُ رَبِّكَ أوّلُ الأوقاتِ والـ ... أوسَاطُ رَحْمَتُهُ وعَفْوٌ في الأُخَرْ
واسْتَثْنِيَ العَتَماتِ في لَيلِ الشِّتا ... والظُّهرَ للتبريدِ في أيامِ حَرْ
والبَعْضُ يَختارُ انتظارَ جَماعَةٍ ... والبَعْضُ يَختارُ الحَديثَ كما ظَهَرْ
وإذا تهيَّأت الجَماعَةُ كُلُّها ... كَبِّرْ، وهذا البابُ مِنْ حُسنِ النظرْ
واحْذرْ تقلُّدَكَ الإمامَةَ إنْ تَكُنْ ... لحَّانَةً إذ أقرأُ القومِ الأبَرْ
حَتَّى ولو لَمْ يَفسُدِ المَعْنَى بِهِ ... إذ لَحْنُكَ، في حُكمِ الحَديثِ، بمُعْتَبَرْ
وتَصِحُّ إن لم يَفسُدِ المَعْنَى بِهِ ... إلّا الإساءةَ إنَّها لا تُغْتَفَرْ
والبَعضُ إن بدَّلتَ آيَةَ رَحْمَةٍ ... بالضِّدِّ والتوحِيدَ بالشِّرْكِ اعْتبرْ
والبَعضُ إن بدَّلتَ توحيداً بشِرْ ... كٍ أو عَكَستَهُما على هذا اقْتَصَرْ
ويُشاكِلُ اللحْنَ الوقوف يُبدِّلُ الـ ... مَعنى، وقيلَ إذاً بتوحِيدٍ أضَرْ
ونَظيرُهُ الإهْمَالُ والإعْجَامُ في الـ ... قُرآنِ إذ بِهِما يَؤولُ إلى الغِيَرْ
ونَظيرُهُ جَهْلُ المَخَارِجِ للحُرُو ... فِ على الصَّلاةِ لمَن يَؤُمُّ به ضَرَرْ
ويَؤُمُّهُم ذو آفةٍ بلِسانِهِ ... إن لم يكُنْ عن جَهْلِهِ الحَرفُ انكَسَرْ
ويَصِحُّ من ذي لَكْنةٍ إنْ كان ما ... تُجزِي الصَّلاةُ بِهِ من الآيِ اسْتَقَرْ
ومُبدِّلٌ حَرفاً بحَرْفٍ إن يَكُنْ ... عن آفةٍ أو فِطرَةٍ وَقَعَ الأثَرْ
وحَديثُ سِينِ بِلالٍ المَشهورُ لا ... نَرْضَى بِهِ، فالوَضْعُ فِيهِ المُعْتَبَرْ
ومِنَ الوَظَائِفِ أنْ تَكُون مُرَتِّلًا ... أوَ مَا ترى نَصَّ الكِتابِ بها أمَرْ
ووظيفةَ التخفيفِ للأرْكَانِ لا ... تُهمِلْ، ولا تَكُنِ المُنفِّرَ من نَفَرْ
نَاهِيكَ ما لاقى مُعاذٌ مِن رَسُو ... لِ اللهِ مِنْ زَجْرٍ بتطويلِ السُّوَرْ
والناسُ في الأحوالِ شتى فليَكُن ... هذا الإمامُ مُراعياً حالَ الفطَرْ
وليزِعَ تَسْوِيَةَ الصُّفوفِ بنفسِهِ ... أو غَيرِهِ كالفِعْلِ مِن خَيرِ البَشَرْ
وليَنْوِ هَاتيكَ الإمَامَةَ آتياً ... إن جَاءَ مِنْ بَعدِ الدُّخول ومَنْ حَضَرْ
وليُجْزِمِ التَّكبيرَ والتَّسْليمَ كي ... يَقعَا مِنَ المَأمُومِ بَعدُ على الأثَرْ
ومَتَى يُكَبِّرْ أو ليُسْمِع فليَزِدْ ... في رَفْعِهِ للصَّوتِ والسَّمْعِ القَدَرْ

وليُخلِصَنَّ القصدَ للمأمومِ في ... جِفْظِ الحُدُودِ البَاطِناتِ وما ظَهَرْ
وليَنتقِلْ مِنْ مَوضِعٍ صَلَّى بِهِ ... مِنْ بَعدِ ما يَقضِي الصَّلاةَ إلى مَقرْ
في مَسجِدٍ أو مَنزِلٍ أو غَيرِهِ ... زَالَتْ إمَامَتُهُ، فماذا يَنتظِرْ؟
وليَنحَرِفْ صَوبَ اليَمينِ إذا انْثَنَى ... إلّا الصَّحارى فالأمَامَ إذا قَدَرْ
وليَنتخِبْ ذا الأفضَلِيَّةِ مِنهُمُ ... ويَسُدَّ قَفْوَتَهُ وذا خَبَرٌ ظَهَرْ
هذا لأنَّ لِذِي الإمَامَةِ رُتبَةٌ ... في البِرِّ فالأوْلَى بِهِ تَقْرِيرُ بَرْ
ويَكُون لاستِخْلافِهِ مَهْمَا عَنَا ... أمْرٌ ومَا أخفَى الخِلافةَ بالخِيَرْ
وليَجْتهِدْ عِندَ الدُّعاءِ مُعَمِّماً ... لا يَختصِصْ بدُعَائِهِ عَمَّنْ حَضَرْ
فيَعُمُّ في حَقِّ الوَلِيِّ دُعاؤهُ ... وعَدَا الوَلِيِّ لمُصْلِحِ الأخرى يَذرْ
ومَقامُهُ يَقضِي عليه بأنهُ ... وفدٌ إلى البَرِّ الكريمِ لنيلِ بِرْ
والوفدُ أحْجَى أن يَنالَ كرامَةً ... إنْ لم يَكُن في النفس حَاجَتُهُ حَصَرْ
حَقِّقْ بعينكَ في الكَريمِ فإنهُ ... عند الظُّنُونِ لِمَنْ تَوَجَّهَ وافتقرْ
وإذا تَوَجَّهتِ السَّريرَةُ نَحْوَهُ ... رَجَعتْ، برَحْمَتِهِ، بِعَائِدَةِ الوَطَرْ
لم يَقصِدِ الرَّحْمَنَ صَادقُ أوْبَةٍ ... رَغَباً ورَهباً في مَقامٍ فانْخَسَرْ
فاجْعَلْ هُمومَكَ في الصَّلاة فإنها ... سَبَبٌ مُبينٌ للصَّلاتِ وللبشرْ
واحْفَظ لرَبِّكَ رُوحَهَا وَحَيَاتَهَا ... سيَّانَ لو أبْصَرتَ مَيتاً والحَجَرْ
وحَياتُها إخلاصُها وخُشُوعُها ... وخُضوعُ قلبٍ بالعَلائق مُحْتَظِرْ
وظَوَاهِرُ الأركان مَحْضُ وَسَائطٍ ... فإذا تزَكَّى السِّر أصْلَحَ ما ظَهَرْ
وعِبادةُ الحَرَكاتِ والسَّكَناتِ في ... حُكْمِ القلوبِ وها هنا الشأنُ انْحَصَرْ
فاربطْ على هذا المَقامِ القلبَ لا ... يَغْرُرْ فشأنُ قلوبِنا كَرٌّ وَفَرْ
والقلبُ بَيتُ اللهِ فيهِ نورهُ ... نَظرَ الكريمُ إليه ليسَ إلى الصُّوَرْ
فاسْتَقصِ قلبَكَ في مقام شهُودِهِ ... لا تُعْطِهِ شَطراً وشَطراً في عُمَرْ
واصِلْ مَقامكَ في الصَّلاةِ وغيرِها ... عَبداً على الإحْسَان وِزْدُكَ والصَّدرْ
وإذا ذكرتَ اللهَ فاعرفْ قدْرَهُ ... بين الرَّجا والخوفِ مَصْروفَ الفِكَرْ

مُستشعِراً تَحْتَ الجَلالةِ خشيةً ... ومَهابةً، لا حَظَّ عِندكَ للائمْ
لا تَعْدُ طَورَكَ في المَواطن كُلِّها ... أنت الفقيرُ إليه في نفعٍ وضُرْ
وجِمَاعُ هذا الأمرِ فقرٌ مُطلقٌ ... وعُبُودَةٌ مَحْضٌ وصَفوٌ من كَدَرْ

انحِطاط(*)

لنا أنفُسٌ لكنها اليومَ ظُلمَةٌ ... وناشِئةٌ لكنَّها بَعْدُ في المَهْدِ
إذا نَحْنُ طالَعنا عُهُودَ فَخارِنا ... رَأَينا عِظاماً لا تُعيد ولا تُبْدِي
وإنْ نَحْنُ لاحَظْنا قَضَايَا انحِطاطِنا ... حَكَمْنا بأنَّ الجَهْلَ آفتُنا المُرْدِي
تَصَدَّرَ أقوامٌ على عَرشِ مَجْدِنا ... وما ذاكَ إلا لِلقُعُودِ عن الجِدِّ
وكُنا سِراجَ المَجدِ قبل خُمُودِنا ... فلا كانَ مِن أمجادِنا آخِرِ العَهْدِ
«أقيموا بَنِي أُمِّي صُدورَ مَطِيِّكُم» ... فلَسْنا إلى غَوْرٍ نسيرُ ولا نَجْدِ[1]
نُضَحِّي بروحِ المَجْدِ في سُبُلِ عَارِنا ... «نكستُ لها رأسِي حَياءً من المَجْدِ»[2]

(*) العنوانُ من وضعنا، فقد وردت في الأصل المُعتمد بعنوان: (وقال عفا الله عنه).

(١) تضمين من لامية العرب للشَّنفرى: أقيموا بني أُمِّي صُدُورَ مَطِيِّكُم | فإني إلى قومٍ سِواكُم لأَمْيَلُ.

(٢) عَجُز البيت مُقتبس من قصيدة لأبي تمّام يمدح بها أبا الغيث موسى بن إبراهيم ويعتذر إليه: أتاني مع الرُّكْبانِ ظَنٌّ ظَنَنتهُ | نَكَستُ لهُ رأسي حَياءً من المَجْدِ.

مَنازلُ النَّفس(*)

مَنازلُ النفسِ لا تُدرى حَقائِقُها ... وأخطأ الزَّعْمَ مَنْ قَدْ قالَ يَدْرِيها

العَيْنُ تُدرِكُ - إلّا ذاتها - نَظَراً ... والكَفُّ تَقْبِضُ إلّا مِعْصَماً فيها

يُباعِدُ النَّفسَ عَنْ إدراكِها مَلَقٌ ... والنَّفسُ مَغرُورَةٌ مِمَّن يُداجِيها

إنَّ التملُّقَ للألباب يَجبَهُها ... مِثلَ الغشاوةِ للأبْصارِ يُعْمِيها

قد أخْلَصَ الحُبَّ من أهْدَاكَ عَيْبَكَ لا ... مُطْرٍ مُدَاجٍ على العَوراءِ تمْويها

وأعْقلُ الناسِ مَنْ أبْدَى تَوَاضُعَهُ ... مِنْ نفسِهِ لانتقادِ الخِلِّ ما فيها

والحُمْقُ في سَدِّ باب الانْتِقادِ بما ... للنَّفسِ مِنْ عُنْفُوانٍ في دَعَاوِيها

رأيتُ ما لا تَرَى في النَّفسِ لو سَمِعَتْ ... مُغتابَها وقَلَتْ خِلًّا يُدانيها

ورُبَّ رأيٍ عَدوٌّ فيكَ أجْمَلُ مِن ... ذي خِلَّةٍ قارضٍ للنَّفسِ يُغريها

فغُضَّ طَرْفَكَ إكْباراً لو انكَشَفتْ ... لكَ السَّرائرُ عن أشياء تَطويها

ولتعْذُرَنَّهُمُ مِنْ حَيثُ تُنْصِفُهُم ... في رَأيِهِم فِيكَ مِنْ آراءَ تُخفِيها

وانبذْ غُرُورَكَ بالنفسِ التي عَجبتْ ... بغيرِ شيءٍ وأقلِعْ مِنْ تَمَادِيها

وأسْعَدُ الناسِ حَظّاً مِنْ فَضِيلتِهِ ... ذو الانتقادِ إلى التَّفضيلِ يُهديها

ومَنْ رَأى نفسَهُ مَرْأىً رآهُ بهِ ... سِواهُ فالنَّفسُ في أسْنَى مَقالِيها

(*) العنوان من وضعنا، فقد وردت في الأصل المُعتمد بعنوان: (وقال أيضاً وهي من فرائد الحكمة).

العَصَا والسُّبحة(*) [١]

حَمَلوا العِصِيَّ فكُنت أحْمِلُ سُبحَةً ... كَسَرَتْ رِماحاً أُشْرِعَتْ وعِصِيّا
خانتهُمُ عِندَ الهِياج عِصِيُّهُم ... ولكَمْ قَصَمْتُ بما حَمَلْتُ عَصِيّا

(*) العنوانُ من وضعنا، فقد وردت في الأصل المُعتمد بعنوان: (وقال).

العَصَا والسُّبحة(*) [٢]

حَمَلوا عِصِيَّهُمُ وأحْمِلُ سُبحَةً ... شتَّانَ بَينَ سِلاحهم وسِلاحي
ظَلَموا فما انتصرَ الحُسامُ لظُلْمِهِم ... ولكَمْ قَصَمْتُ الجيشَ بالمِسْباحِ

(*) أيضاً العنوانُ من وضعنا، فقد وردت في الأصل المُعتمد بعنوان: (وقال).

الباب الخامس

المَراثي

قصيدة النبوءة(*)

مـولايَ أبـشِـرْ لـن تـزالَ مَـجـيـدا ... حـفِـظ الإلـهُ مـقـامَـكَ الـمَـحـمـودا
إقـبـالُ دَهـرِكَ بـالـبـشـائـر مُـؤذنٌ ... تُـزجـي جُـدوداً أشـرقـت وسُـعُـودا
نـظـرَتْ إلـيـكَ مـن الـسَّـعـادَةِ عـيـنُـهـا ... فـارفـعْ يـدَيـكَ لـتـشـكُـرَ الـمَـعْـبُـودا
وَعـدٌ تُـحـقِّـقُـهُ الـمـشـيـئـةُ قـد أتـى ... ولـسـوفَ تَـعـرفُ ذلـك الـمَـوعـودا
قَـرُبَ الـزمـانُ وأشـرَقـتْ أيـامُـهُ ... لـيـسَ الـزمـانُ بـمـا أقـولُ بَـعـيـدا
سَـترى الـعَـجـايـبَ مُـسرعاتٍ ترتـمِي ... تُـحـيـي جـهـاراً مَـيِّـتـاً مـفـقـودا
فـخُـذ الإشـارَةَ مِـن لـسـانٍ صـادقٍ ... حـتـى تُـشـاهِـدَ يـومَـكَ الـمَـشـهـودا
ولـقـد أتـيـتُـكَ قـبـلـهـا بـإشـارتـي ... وأظـنُّ أنـكَ تـذكُـرُ الـمَـعـهـودا

(*) قيلت هذه القصيدة النبوئية في نَعي الإمام سالم بن راشد الخروصي (١٨٨٤م ـ ١٩١٩م) الذي عاشَ ٣٥ سنة وقُتلَ غدراً في قرية خضراء بني دفاع وقد أرسلت للإمام المَغدور قبل تاريخ مقتله ـ ويُقال إنها وُجدت في خُرْج راحلته أو عمامته أو هِيمْيانِه، واستدلَّ أبو مُسلم استشراف وفاته، كما تروي الرِّوايات، عن طريق عِلم السِّر أو علم الرَّمل، كما هو شائعٌ لمن تيقنوا من حكاية القصيدة. ومن الواضح لمن يتمعن في أبياتها أنها تشير وتتنبأ باسم الإمام الذي سيخلف الإمام المغدور، وهو الإمام محمد بن عبدالله الخليلي! نُشير إلى أن القصيدة لم تكن مُدرجة في «الأصل المُعتمد»، وقد أوردها أبو بشير محمد بن شيبة بن نور الدين عبدالله بن حُميد السالمي في كتابه «نهضة الأعيان بحُريّة أهل عُمان»؛ وقد نقلناها من الكتاب لعدم ورودها في الأصل المُعتمَد. وقدَّمَ لها في «نهضة الأعيان» بهذه المُقدمة: «وردت هذه القصيدة من شاعر العرب بإفريقيا أبي مُسلم ناصر بن سالم بن عديم الرواحي لحضرة الإمام سالم بن راشد الخروصي في شهر شوال من عام ١٣٣٨هـ، فها هي بنص حروفها وجدناها في هيميان الإمام بخط ناظمها بعد وفاته بيوم [يقصد الإمام] ببلد الخضرا من وادي عندام وكانت وفاته ليلة خامس من ذي القعدة من سنة ١٣٣٨ المذكورة الموافق ليوم الأربعاء ٢١/ ٧/ ١٩٢٠م».

أبدى الزَّمانُ بما يَكنُّ ضميرَهُ ... وترى زماناً، بعد ذاكَ، جديدا

أخليفة الرَّحمنِ أيقِنْ بالقضا ... ليسَ القضاءُ بحيلةٍ مَردُودا[1]

يا مَنْ أضَلَّ بَعيرَهُ بمَضِيعَةٍ ... أبشِرْ وجدتَ بَعيرَكَ المَفقودا

فإذا انقضى «خاءٌ» و«دالٌ» بَعدَها ... «أَلِفانِ» «لامٌ» فارقبِ المَوعُودا

ستفورُ من قعرِ البحَارِ جَهنمٌ ... وتصير هاتيك البحارُ جليدا

ويَعُودُ مُبيضُّ السَّحائب أسوداً ... يَرمِي الأفاعِي جَندَلًا وحَدِيدا

ستبيدُ خضراءُ الجرادِ فلا ترى ... فوقَ البَسيطَةِ لِلجَرادِ وُجُودا

---

(١) **استطراد تاريخي بخصوص اغتيال الإمام**: وفقاً لكتاب «عُمان: الديمُقراطية الإسلامية؛ تقاليد الإمامة والتاريخ السياسي الحديث» ـ كان برنامج إمامة الخروصي يقوم على أربع نقاط: إسقاط نظام السلطنة، إنهاء الوجود والنفوذ البريطانيين، العمل على توحيد البلاد، وأخيراً إعادة إقامة الإمامة على كلّ البلاد، لكنّ المؤسِف أنّ إمامة سالم بن راشد الخروصي لم تدُم سوى سبع سنوات (١٩١٣م ـ ١٩١٩م). فقبل توقيع معاهدة السيب، اغتيل الإمام، وكان قاتله بدوياً هارباً أفلت من عدالة الإمامة. وقد كانت وفاة الإمام نهاية جهاد تُوِّجت بسبع سنوات على رأس الثورة. ولأن الخروصي كان قائد الثورة الإباضية الثالثة، (أطول ثورات التاريخ الحديث)، فقد سُمِّيت: ثورة الإمام الخروصي. وقد حاول قادة الإمامة عبثاً إلقاء القبض على القاتل. فطلبوا من سُلطان مسقط تسليمه، ولكن دون نتيجة. والوثائق الإنكليزية لا تعطي أي تفصيل حول هذه النقطة مُكتفية بملاحظة أنّ: «القاتل هرب إلى منطقة الساحل المُهادنة، ولم يُمكن، على أي حال، عَمَلُ شيء، ودُفنت القضيّة». [أصل المصدر]: I.O.R.: R/15/6/377, Confidential: Administration Report of the Muscat Political Agency and consulate 1920, p.220 والحقيقة أنّ منطقة «ساحل عُمان»، أو «الساحل المُهادن»، كان تحت السيطرة المُباشرة للسلطة البريطانية، ولهذا السبب اعتبر كاتبُ التقرير القضيّةَ مُنتهية، لكنه تصريحٌ يُساوي اعترافاً بالمسؤولية. والحقيقة أن أول لقاء رسمي بين الإماميين والبريطانيين جرى في آب (أغسطس) عام ١٩١٥م، وكان هدفه دراسة المُعطيات الجديدة واقتراحات الإمام وآخر اقتراحات مسقط، لكن النتيجة كانت الفشل وانتهت تلك المفاوضات. فقررت بريطانيا تطبيق سياسة ذات ثلاثة محاور: إخضاع منطقة الداخل لحصار اقتصادي أولًا، ثم لعب الورقة القبلية، وأخيراً كسب الوقت. وفيما بعد أرسل كوكس Cox رسالة إلى حكومة الهند [أي حكومة شركة الهند الشرقية التي تدير الإمبراطورية البريطانية من خلالها شؤون مُستعمراتها] يقول فيها ما فحواه إن خطة العمل هذه رُسِمت في انتظار موت الإمام المُبكر. وهذه العبارة الأخيرة ـ والقول لمؤلف كتاب عُمان: الديمُقراطية الإسلامية ـ تدعو إلى الظن بأن الإنكليز كانوا ينوون وضع خطة لاغتيال الإمام. فالإمام لم يكُن مريضاً ولا مُسناً: فلماذا يُنتَظَر موته؟

فإذا انقضَتْ «يس» «طه» بعدها ... أسقطتَ بَنداً إذ رفعتَ بُنودا

وإذا انقضت «حم» قامَ «مُحمَّدٌ» ... للإستقامَةِ طالِعاً مَسعُودا

هذا كِتابي قد تركْتُ لذي الحِجَا ... في قُفلِهِ مِفتاحَهُ مَعقُودا

وأراكَ فاتحَهُ وَخازنَ سِرِّهِ ... عِشْ في السَّعادةِ والجلالِ مَجيدا

قُطبُ الأئمَّة(*)

عِشْ ما تَشاءُ وراقِبْ فَجْعَةَ الأجَلِ ... سينقضي العُمْرُ في بُطْءٍ وفي عَجَلِ

تلهُو بتصويرِكَ الآمالَ مُغتبطاً ... وبَينَ جَنبيْكَ ما يُلهِي عن الأمَلِ

تُناقِلُكَ ليالٍ غيرُ راجعَةٍ ... وما تِجَاهَكَ يومٌ غَيرُ مُنتقِلِ

ماذا يَغُرُّكَ من دُنيا نَضَارَتُها ... نَهبُ المَنونِ ومَجْرَاها إلى الزَّلَلِ

قالوا: دَسَائِسُها في طَيِّ زُخْرُفِها ... وقلتُ: قد صَرَّحَتْ بالسُّم في العَسَلِ

لم تُخْفِ عَيباً ولم تَأْخُذْ مُخالَسَةً ... ولا الهَنَاءُ بها إلّا على عِلَلِ

هل في مَصَارِعِ أجيالٍ بهم فَتكَتْ ... عُذرُ المُحيلِ عليها شَنعَةَ الأمَلِ

فما التَّهافُتُ مِنا في مَهالِكِها ... جَهلٌ بمَاضٍ ولا عِلمٌ بمُقتبَلِ

ما بَايَنتْكَ عَوَادِيها مُصَادِقَةً ... ولم تُعاهِدْكَ أمْناً غارةُ الغِيَلِ

رَأيُ الرُّكُونِ إلى آفاتِها سَفَهٌ ... وصَفوُها بَينَ نابَيْ مُهلِكٍ جَلَلِ

ما شأنُ صَولاتها البُقيا على أحَدٍ ... وإنما أجَلٌ يتلو خُطَى أجَلِ

(*) قيلت القصيدة في رثاء قطب الأئمة الشيخ امْحَمَّد بن يوسف اطْفَيش ـ عَلّامَةً وعَلامَةً في المذهب الأباضي من الجزائر، وهو أحد زعماء الإصلاح في المغرب العربي. ولد في غرداية عام ١٨١٨ وتوفي في ٢١ مارس ١٩١٤م. تخرج في حلقاته مشايخ وأئمة ودعاة وقضاة. ألّف في كثير من علوم الشريعة واللغة والتاريخ والطب والمنطق والحساب والفلسفة والفلك. تجاوز ما تركه من آثار ٣٠٠ مؤلَّف بين صغير وكبير ومتوسط الحجم، وهي في غالبها شرحٌ لمُختصَر، أو اختصار لمُوسَّع، أو حاشية على شرح سابق، فضلًا عن موسوعته الرائدة في الفقه المقارن: «شرح النيل وشفاء العليل»، وهي عُمدةٌ ومرجعٌ أساس في الفقه الأباضي. التقاهُ أبو مُسلم خلال رحلته للحج في مَكّة المُكرَّمة.

بِئسَ القَرارَةُ أهْنى عَيشِها رَنِقٌ ... يَنتابُهُ الحَتفُ بالأبكارِ والأُصُلِ

إنجازُ إيعادها بالمَوتِ مُنتَظَرٌ ... والقولُ عن مُقتضاها غَيرُ مُفتَعَلِ

ما أصدقَ العِلمَ بالغدرِ المَشوبِ بها ... وأكذبَ الظَّنَّ في التغريرِ والأمَلِ

خَسِيسَةُ الطَّبعِ بالأكدارِ طافِحَةٌ ... خَتَّالَةٌ تخلِبُ الألبابَ بالجِيَلِ

لا تستقيمُ لرَيْعانِ الشباب ولا ... لرائِعِ الشَّيبِ مِنها لحظةُ الجَذَلِ

تُضِيعُ عُمرَ بَنِيها تحت غِرَّتِهِم ... بها، وحَاصِلُهُم مِنهَا على دَغَلِ

تَزالُ تُنبِتُ نفساً ثم تأكُلُها ... وإنما يَحرُثُ الحَرَّاثُ للأُكُلِ

تَسْعَى جَنائزُها بُجْراً حَقائبُها ... مما انتهبْنَ بِحَربِ الصُّبحِ والطَّفَلِ[1]

ما بَينَ صادرةٍ في وجهِ وارِدَةٍ ... يَنتَبِنَ فَلَّ بقايا غارةِ الأجَلِ

ما بَالُنا ومَطايا الموت تنقلُنا ... نلْهُو بما قيلَ: «إنَّ العِزَّ في النُّقَلِ»[2]

إن المِلاطَ[3] الذي نبني البَلاطَ بِهِ ... رُفاتُ من نَقَلَتْ بالأعْصُرِ الأوَلِ

لو كان تقديرُنا تخليدَ قاطِنِها ... لأوْجَبَ العَقلُ أن تُلقى على العِلَلِ

فكيفَ وهيَ حَياةٌ لا عَتادَ بها ... مَغمُومَةٌ بالشقا والوَيْلِ والهَبَلِ

أضْحِيَّةُ الحَتفِ لا ترجُو مُغادَرَةً ... والأرضُ تَبلَعُ والجَزّارُ في العَمَلِ

كم زَفرَةٍ لنَعِيٍّ ما أذنتَ لها ... ولا مُشفعةٌ من صَارخٍ صَحِلِ[4]

زَمازِمُ النَّدْبِ في الآذانِ صَادِعَةٌ ... لكِنْ إلى حَبَبِ الألبابِ لم تصِلِ

يا رُبَّ نادِبَةٍ ما جَفَّ مَدْمَعُها ... وعينُها في نِظامِ الحُلْيِ والحُلَلِ

حَتَّى مَتى نَحنُ والآجَالُ تَحفِزُنا ... والجِدُّ والهَزْلُ مِنا تابعُ الأمَلِ

نَرَى مَصَارِعَ قومٍ جَلَّ فقدُهُمُ ... كفقدِنا في المَلاهي صَالحَ العَمَلِ

نُفنِي الدُّمُوعَ ونرْثي مَنْ نَظُنُّ بِهِ ... وما لنا برثاءِ الرُّشدِ من شُغُلِ

---

(١) بُجْراً: مُمتلئة | الطَّفَل: إقبالُ الليل على النهار بظلمته، والوقت قُبيل غروب الشمس.

(٢) تضمين من لامية الطغرائي: إنّ العُلا حدّثتني وهيَ صادِقةٌ | فيما تُحدِّثُ، أنَّ العِزَّ في النُّقَلِ.

(٣) المِلاط: الطّين.

(٤) صَحِل: مَبحُوحُ الصّوت.

كأننا في أمانٍ مِن مَصارِعِهم ... أو المَنايا عن الأحياءِ في كَسَلِ
كلّا ولكنَّهُم صَاروا لنا فَرَطاً ... والرَّكْبُ مُرْتحِلٌ في إثر مُرْتحِلِ
ومَنْ تكُنْ هذه الساعات أنْيُقَهُ[1] ... قضى المَسافةَ لم يَمْلُلْ ولم تَطُلِ
فَقدْتُ نفسي فَخِلْتُ الدَّمعَ سَالَ بها ... والعَهدُ بالنفسِ قبلَ اليوم لم تَسِلِ
وليسَ بِدْعاً إذا ذابَتْ بفادِحَةٍ ... ذابَتْ عليها صُخورُ السَّهلِ والجبَلِ
حَمَتْ لنا حَرْزَةً لم تُبقِ من خَلَدٍ ... بغيرِ خالِدَةِ الأحزانِ مُنفعِلِ
ما كنتُ أحْسَبُ أنْ أحيا وأدْرِكَها ... يَداً تُقلِّدُ جِيدَ المَجْدِ بالعَطَلِ
أبكَتْ سَماءً وأرضاً وهيَ ضاحِكةٌ ... على السَّلامةِ إن طالتْ ولم تَطُلِ
وليتها حَيثُ أبكَتْ كُلَّ كائنَةٍ ... رَقَّتْ بقلبٍ من التهويلِ مُنذَهِلِ
ماذا نُحاولُ من رَيْبِ المَنونِ إذا ... قُلنا حَنانَيْكِ أو سِيري على مَهَلِ
أبْعدَ ما طَحَنتْ أجيالَ أوّلِنا ... يَبقى الأواخِرُ في البُقيا على أمَلِ
أم بَعدَ إعْجَالِها الأبرارَ تنسِفُهُم ... نَسْفَ الزَّعازِعِ نَنهاها عن العَجَلِ
هيهات يرْقأُ دَمعٌ من مَصائبهم ... أو يُصبحُ الكونُ منهم مُقفِرَ الطَّلَلِ
أما تَرَاهَا سِهاماً تنتحي كَبِداً ... مَقرُوحَةً وجِراحاً غيرَ مُندمِلِ
لا تترك الجرحَ إلّا رَيثَ تُنكِؤُهُ ... ولا تُسَعِّرُ قلباً غيرَ مُشتعِلِ
نُقارِعُ النفسَ والشيطانُ يَنصُرُها ... ومَا لنا بقِراعِ المَوتِ من حِيَلِ
في كُلِّ نادٍ نداءُ المَوتِ مُضطَخِبٌ ... وكلُّ دَارٍ بها دورٌ[2] من الأجَلِ
فلا نَؤسِّسُ صَبراً غيرَ مُعْتَقَرٍ ... ولا نُدافعُ صَبراً غيرَ مُعْتَقَلِ
لو دافعَ الصَّبرُ حُزناً ثم أذْهَبَهُ ... لكُنتُ بَينَ رِجالِ الصَّبرِ كالجَبَلِ
لكنْ مِنَ الخَطبِ خَطبٌ لو يُقاوِمُهُ ... صَبرُ الجليد انثنى بالدَّحْضِ والفشَلِ

---

(١) أنيق: جمع ناقة.

(٢) دَور/ دُور: بالإمكان قراءة عَجُز البيت ليكون المعنى ـ وفق الحالة الأولى ـ أنّ كلّ دار سيجيؤها دَورُها المحتوم في عبور الأجل/ الموت بها، كما أنّ بالإمكان قراءته على اعتبار أنّ في كلّ دار دُوراً متعددة يقطنها الأجلُ، لا الأحياء.

فَقدتُ كِفْلَ اضطبارٍ كان يكْفُلُني ... في النّائبات، فخانَ الآن مُكْتفلي

فليسَ بَعدَ مَصَاب الدِّين من طَمَعٍ ... في الصَّبرِ أو جَزَعٍ بالصَّبرِ مُنعزِلِ

يا ناعِيَ الدِّينِ هل أبصَرْتَ مَنْ بَقِيتْ ... فيه بَقيَّةُ رُشدٍ غير مُنذَهِلِ

غادَرتَ في أنفُسِ الأكوانِ حَشرَجَةً ... فإن قضى الكونُ فاستسلِم ولا تَسَلِ

لا غَرْوَ إن فاضت الأكوانُ آسِفةً ... لِفَقْدِ فَردٍ على الأكوانِ مُشتمِلِ

يا ناعِيَ الغَوثِ هل لاقيتَ مِن خَلَفٍ ... مِمَّن نُعيتَ وهَلْ قدَّرتَ من مَثَلِ

يا ناعياً سيِّدَ الأبرارِ هل تَرَكَتْ ... بالله فينا المَنايا اليومَ من بَدَلِ

يا ناعِيَ القُطْبِ مَن ذا قام موقِفَهُ ... فصَارَ قُطْبَ مَدارِ العِلمِ والعَمَلِ

نَعيتَ فرداً أم الدنيا بأجمَعِها ... إنِّي أُحِسُّ بِدَهْشٍ شامِلٍ جَلَلِ

إنِّي أُحِسُّ بدَهْشٍ غَمَّ كارِبُهُ ... حتى المَلائكَ حتى برزخِ الرُّسُلِ

تَنْعَى ابنَ يُوسُفَ فتحَ السّالكينَ وخـ ... ـتمَ الواصِلينَ مُرَبِّي الأنفُسِ الكُمَلِ

مُحَمَّداً مَدَدَ الأمدادِ رُوحَهُمُ ... مُرَوَّعَ النفسِ إنْ يَعْمَلْ وإنْ يَقُلِ

مُقدَّسَ الشَّرَفَينِ المُطْعِمَ الجَفَلَى[1] ... كافِي الكُفاةِ المُرَجَّى طاهِرَ الخِلَلِ

مُرَزَّأَ الأرضِ خَلّاها وَحَلَّ بها ... لك السَّلامةُ لم تَحْلُلْ ولم تَحُلِ

نعم حَلَلتَ قلوباً لا تزالُ بها ... فأين أنتَ وفي الألبابِ لم تَزَلِ

بَلْ أنتَ في الرَّفْرَفِ الأعلى وَغِبطَتِهِ ... في البِشْرِ والرَّوحِ والرَّيحانِ والجَذَلِ

لُقِّيتَ وَعْدَكَ مِنْ حُسْنى مُخلَّدَةٍ ... ونحنُ للفقد في الأحزانِ والوَجَلِ

يا خَيرَ مَن حَلَّ في الدنيا ليُصْلِحَها ... مَنْ ذا تركتَ لها يا خيرَ مُنتقِلِ

ناصَحْتَ رَبَّكَ في تَعزيزِ مِلَّتِهِ ... فلتنصَحِ اليومَ نَدْباً خِيرَةَ المِلَلِ

قد كُنتَ رَحمةَ هذا الكَونِ تَنفَعُهُ ... خليفة قائماً عن خاتَمِ الرُّسُلِ

هَلّا رَحِمتَ قلوباً ذابَ مُعظمُها ... حُزناً عليكَ وقد سَالَتْ مِنَ المُقَلِ

فاجْبُرْ مُصَابَكَ فينا إننا بشرٌ ... فينا افتقارٌ إلى أنفاسِ كُلِّ وَلِي

---

(١) الجَفَلى: الجماعة من الناس.

جَرَّدتَ نفسَكَ للإسلامِ تَخدِمُهُ ... في جِدِّ مُحتسِبٍ للهَولِ مُحتَمِلِ
تُقارِعُ الزَّيغَ والأنوارُ بارِقةٌ ... وأنتَ في نَجْدَةٍ والخصمُ في فَشَلِ
كم حُجَّةٍ بَسَطَتْ بالبُطْلِ أيْدِيَها ... صَدَعْتَ بالحَقِّ فيها فهيَ في شَلَلِ
كم مُشكِلٍ أعْجَزَ الأفكارَ جئتَ بِهِ ... صَديعَةَ الفجرِ نُوراً واضِحَ السُّبُلِ
كم مُعضلٍ كَشَفتْهُ منكَ مَعرِفةٌ ... ذاتُ انبساطٍ بنورِ اللهِ مُشتَعِلِ
كم قاطِعٍ في سَبيلِ اللهِ يَمنعُها ... رَمَيتَهُ بشهابٍ مِنكَ مُختَزِلِ
كم جَاهِلٍ مَلأتْ ضَوءاً بَصِيرَتَهُ ... بَصِيرَةٌ لكَ تُدعَى الشمسُ بالحَمَلِ
شمسُ المَعارِفِ يا سُلْطانها كَسَفتْ ... كُسُوفَ شمسِكَ عن صُبحٍ وعن طَفَلِ
والاستِقامةُ في كَسرٍ مُزَلْزَلَةٌ ... يا جَابرَ الكَسرِ أدرِكْها على الزَّلَلِ
تمضِي وتَترُكُ هذا الدِّينَ في جَزَعٍ ... والأرضُ مُظلِمَةٌ والدَّهرُ في خَبَلِ
مَنْ للحَنيفةِ يا قَيَّامَها عَلَمٌ ... يَهدِي إليها ومَن يَحمي من الغِيَلِ
مَنْ للشَّريعةِ قد قامَتْ قيامَتُها ... ومَنْ يُسَدِّدُ منها مَوضعَ الخَلَلِ
قد كُنتَ فيها مَكانَ الرُّوحِ في جَسَدٍ ... وقُمتَ فيها مَقامَ السَّيفِ في الخلَلِ
مَنْ للطَّريقةِ من يُضفِي مَشارِبَها ... للسَّالِكينَ كؤوسَ العَلِّ والنَّهَلِ
قد كُنتَ حَادِيَها تَحْدُو رَكَائِبَها ... بنغمَةٍ لَحَّنتْها زُمْرَةُ الرُّسُلِ
رَجَّعتَ صَوتكَ فاشتاقتْ مَعاهِدُها ... فاليومَ تُصغي لِمَن يا حَادِيَ الإبِلِ
يا ذا العُلومِ اللدُنِيَّاتِ مُوهَبةً ... هل أنتَ في الرَّمْسِ أم في حَبرَةِ النُّزُلِ
خلَّفتَ عِلْمَكَ فينا أم رَحَلتَ بِهِ ... إنِّي أشاهِدُ نُوراً غيرَ مُنتَقِلِ
نَعمْ تَعَقَّبَ نورٌ أنتَ مِشْعَلُهُ ... ونُورُ وَجْهِكَ في الفردوسِ كالشُّعَلِ
تلك العُلومُ التي أوْعيتَ جَوهَرَها ... قلباً بحُبِّ جَمَالِ اللهِ في شُغُلِ
ما زلتَ تسبَحُ في القرآنِ مُلتقِطاً ... دُرَّ المَعارِفِ لم تضْجَرْ ولم تَحِلِ
حتى مَلأتَ مُرَادَ العقلِ مَعرِفةً ... مَمدُودَةَ الفَيْضِ حتى لحظةِ الأجَلِ
وفُزتَ بالسُّنةِ الزَّهْراءِ مُختَوِياً ... على الإشاراتِ والتفصيلِ والجُملِ
وجئتَ بالدِّينِ والأحكامِ مُكتشِفاً ... للنقلِ والعَقلِ كشفاً غيرَ ذي دَخَلِ

مُستنبطاً أوْجُهَ التأويلِ راسِخةً ... على النُّصُوصِ مَصُوناتٍ عن الزَّلَلِ

مِن الكَواكِبِ في عَدٍّ وفي شَرَفٍ ... وفي ارتفاعٍ وإشراقٍ وفي مَثَلِ

ما فاتكَ العُمرُ لكن نُقْلَةٌ حُتِمَتْ ... إلى مَقرٍّ وعُمْرٌ غيرُ مُنتقِلِ

ولا انفصَلْتَ عن الدنيا وقد وَصَلَتْ ... لكَ المَعارفُ مَحياً غيرَ مُنفصِلِ

ولا اعتزلتَ عن الدنيا لِضَرَّتِها ... إلّا وأنتَ عن الدُّنيا بمُعْتزَلِ

تركْتَ زُخرُفَها للغافلينَ ولم ... تخفَلْ بها في مَضيقِ العَيشِ والغَفَلِ

عامَلْتَها بمُرادِ اللهِ مُنحَرِفاً ... إلى نَصيبكَ من عُقباكَ بالعَمَلِ

فما تَقيَّلْتَ مِنها قَدْرَ أنمُلَةٍ ... ولا أدَّخَرْتَ سوى الحُسنى لمُقْتَبلِ

ولا نَظرتَ إلى فتّانِ رَوْنقِها ... إلّا بما تَنظُرُ المُحْتالَ في الحِيَلِ

ولم تَصُدّكَ عن عِلمٍ ولا عَمَلٍ ... ولا سُرورٍ ولا سُمٍّ ولا عَسَلِ

يا طائراً طارَ ما أضْفَى قَوادِمَهُ ... نَجَوتَ من قَفصٍ في حُكْمِ مُحْتَبِلِ

وَقَفْتَ لله من دُنياكَ في عَطَلٍ ... فلتسْرَحِ الآنَ بَينَ الحُلْيِ والحُلَلِ

أجْهَدتَ نفسَكَ في مَرْضَاةِ خالِقها ... يا مُجْهِدَ النفْسِ ابْرَحْ رَحْمَةَ الأزَلِ

اربَحْ فدَيتُكَ ما قَدَّمْتَ مُوجِبَهُ ... نِعْمَ البضاعَةُ لم تُوزَنْ ولم تُكَلِ

احْمَدْ سُراكَ فقد أصْبَحْتَ أنَّ يَداً ... قد بَارَكَتْ فيكَ لا تُكْدِي ولم تَزَلِ

احْمَدْ سُراكَ فقد طالَتْ مَتاعِبُهُ ... وقد حَلَلْتَ خِيامَ الحَيِّ فاغْتقِلِ

قَدَّمْتَ خَيراً فلم تُغْدَمْ جَوائِزَهُ ... إنَّ الجَوائزَ عُقبى صَالِحِ العَمَلِ

أوْقَدْتَ نفسَكَ في المِحْرابِ مُشتعِلًا ... فأسْرِعِ الآنَ نحو الكَوْثرِ اغْتَسِلِ

أوقَدْتَها بالرَّجَا والخَوفِ مُعْتجِلًا ... يا بَرَّدَ اللهُ مَثوى الوَاقِدِ العَجِلِ

تَنحُو[1] المَقاماتِ والزُّلْفى بمَسْلَكِها ... وقد وَصَلْتَ، ولولا الجِدُّ لم تَصِلِ

نِلْتَ الكَرَاماتِ لم تَصْدَعْكَ مِنَّتُها ... عَنِ الشُّهودِ ولم تَعجَبْ ولم تَمِلِ

إنَّ الكَرَاماتِ أوْثانٌ لمُشْتغِلٍ ... بها عَنِ اللهِ أو مَكْرٌ بمُشْتغِلِ

---

(١) تنحو: تقصد.

ما فاتكَ الفهمُ مِنْ مَولاكَ إذ سَفرَتْ ... لكَ الدَّقائقُ إنْ يَعْمَلْ وإنْ يَنَلِ
وكُلُّ مَوهِبةٍ قدَّرْتَ مَوقِعَها ... بالشكرِ لله في حُزنٍ وفي جَذَلِ
وصَبرُكَ الصَّبرُ لا تَنحَلُّ عُرْوَتُهُ ... عند البَلاءِ، ولا يَدْنُو مِنَ الفشلِ
هُمَا مَقامانِ كُنتَ العَدلَ بينهُما ... تُوفِيهِمَا الحَقَّ لم تَبْطَرْ ولم تُبَلِ[1]
حَصَرْتَ ما عند أربابِ القلوبِ فما ... مَقامُ حَالِكَ إلّا دَولَةُ الدُّوَلِ
يا مَنْ أفاتَ فُؤادِي الرُّشْدَ مِن حَزَنٍ ... عَليهِ، أصْلِحْهُ لي يا شَافِيَ العِلَلِ
لا غَروَ أن تَشْفِيَ الألبابَ من مَرَضٍ ... بِسِرِّ قَلْبٍ بنُورِ اللهِ مُشتَعِلِ
أُعْطِيتَ قلباً بحُبِّ الله مُمتزجاً ... له التصَرُّفُ في فِعلٍ ومُنفَعِلِ
في قبضَةِ الحُبِّ يَطويهِ ويَنشرُهُ ... فالسرُّ في الحُبِّ لا في الشَّكْلِ والعَضَلِ
أرْسِلْ فَدَيتُكَ رُوحاً شامِلًا أمَلي ... مِنْ سِرِّ رُوحِكَ واجمَعْ لي بهِ شَمَلي
فإنَّ أرواحَ أهلِ الله فاعِلَةٌ ... بقوَّةِ الحَقِّ لا بالحِلِّ والنُّقَلِ
لهَا الكَرَامَةُ في الكَونَينِ مُوصَلَةٌ ... في القبضِ والبَسْطِ وَصْلًا غَيرَ مُنْبَتِلِ
ما كانَ رأيُكَ في الدُّنيا وقد فَقَدَتْ ... أسْرَارَ يُمْنِكَ مِثلَ العارِضِ الهَطِلِ
رَعَيتَها وَوَصَايا الله آوِنَةٌ ... فانظُرْ رَعاياكَ قد هَامَتْ مع الهَمَلِ
خَلَّفتَها وَوَصَايا الله ثاكِلَةٌ ... والفضلُ والعِلمُ والإسلامُ في وَجَلِ
متى أهَدِّئُ قلبي مِن تَسَعُّرِهِ ... ورَنَّةُ العَملاْ الأعْلَى عَلَى زَجَلِ
يا حامِلي نَعْشِهِ مَهلًا بمَحْمَلِكُم ... كيفَ احتَمَلتُم رَزايا الرِّحْلَةِ الجَلَلِ
تَدرونَ مَنْ تَحْمِلُ الأكتافُ؟ ما حَمَلَتْ ... مِن بَعدِهِ هذه الأكوانُ مِن ثِقَلِ
سِيرُوا رُوَيداً فكُلُّ العالمينَ بهِ ... دَفنُ العَوالِمِ لا يُقضى على عَجَلِ
ذرُوهُ يَقضِي مِن المِحْرَابِ حَاجَتَهُ ... إنِّي أخافُ على الدُّنيا من الخَبَلِ
ذرُوهُ للأمرِ بالمَعروفِ مُحتسِباً ... للنَّهْيِ عن مُنكَرٍ قد عَمَّ كالظُّلَلِ
ذرُوهُ للعِلمِ يُجْليهِ فقد سَقطَتْ ... بنا الجَهالَةُ في الآبارِ والدَّغَلِ

---

(١) لم تُبَلِ: أي لم تُبالِ.

ذرُوهُ يَقطَعُ أعناقَ الشِّقاقِ فما ... نحنُ البَقيَّةُ غيرُ العُصْبَةِ العُزُلِ
ذرُوهُ يَرجُمُ شيطانَ النفاقِ فما ... أبْقَى مُريداً رَجيماً غيرَ مُنجَدِلِ
ذرُوهُ تَبكِي عليهِ كُلُّ مَكْرُمَةٍ ... فإنها بَعدَهُ تحيا على ثَكَلِ
ذرُوهُ أبكي عليه ما حَييتُ فإنْ ... أمُتْ بَكى في البِلَى عَظْمِي بلا مُقَلِ
ليتَ البكاءَ أفادَ الحَيَّ ما فقدَتْ ... عَيناهُ لكنَّهُ فقدٌ بلا أمَلِ
يا راحِلًا عن بني الإسلام تارِكَهُم ... وللكآبةِ فِعلُ السَّيفِ والأسَلِ
وَدِّعْ مَعَاهِدَكَ الزهراءَ إن بها ... غَماً لو احتلَّ غمرَ البَحْرِ لم يَسِلِ
وَدِّعْ رجَالكَ قد بَانتْ عُقولُهُمُ ... إنْ رَاجَعَ العقلُ مِن توديعِ مُرْتَحِلِ
وَدِّعْ تصَانِيفَكَ الحَقَّ المُبينَ فقد ... صَارَ المِدادُ حِداداً غيرَ مُنْفَتِلِ
فَوَامُصَابَاهُ إن وَدَّعْتَ مُرتحلًا ... وما وَرَاءكَ للإسلامِ مِن بَدَلِ
لَفُّوكَ في كَفَنٍ ماذا تُريدُ بهِ ... وأنتَ مِنْ نُورِ حُبِّ اللهِ في حُلَلِ
وأودَعُوكَ تُراباً لو تفوزُ بِهِ ... حُورُ الجِنانِ لأفْنَتْهُ مِنَ القُبَلِ
ماذا الرِّثاءُ وفي القرآن صَادِعَةٌ ... تُثنِي على آخِرِ الأبرارِ والأوَلِ
إلّا شَجياً عَقيبَ الظَّعْنِ يَندُبُهُم ... ومُقلَةٌ أوْقَفَتْ دَمْعاً على الطَّلَلِ
وما رَثَيتُكَ تذكاراً لمَحْمَدَةٍ ... خُلِّدْتَ حَمداً، وإنْ كانَ الزَّمَانُ بَلِي
سَقى الإلهُ رُبُوعَ الزَّابِ[1] مَاطِرَةً ... مِن رَحْمَةِ اللهِ بالأبْكَارِ والأُصُلِ
وبَاشَرَتْكَ هِباتُ اللهِ دَائِبَةً ... بعارِضٍ من عظيم الفضل مُنهَطِلِ[2]
وَرَوَّحَ اللهُ بالرِّضوانِ رُوحَكَ في ... مَنازِلِ القُرْبِ والإسْعادِ والنُّزُلِ
وَوَاصَلَ الرَّوْحُ والرَّيحانُ ذَاتَكَ في ... أزْكَى سَلامٍ مِن الرَّحْمَنِ مُنهَمِلِ
ونَسْألُ اللهَ غُفراناً ننالُ بِهِ ... رضوانَهُ في جوارِ اللهِ والرُّسُلِ

---

(١) الزاب: من قرى زاب بالجزائر في ولاية المسيلة، وهي غير وادي ميزاب [واد مزاب] الشهير لدى العُمانيين بسبب شهرة الشيخ القطب، ويخلط بينهما أحياناً لتقارب الاسم الأمازيغي.

(٢) عارض: سحاب.

نشكُو إليكَ، وَلِيَّ الله، وَحْدَتَنا ... وعَيشَنا بَينَ غِلِّ الدَّهرِ والكَبَلِ
الله الله يا أهلَ القلوبِ ففي ... قلُوبكُم نَظَرَ الرَّحْمَنُ في الأزَلِ
لا تَثْرُكُونا مَعَ الأهْوالِ إنَّ لَكُم ... نَصْراً مِنَ الله وَحْياً غيرَ مُنْخَذِلِ
خُذُوا بأيْدِ قِصارٍ إنَّها بِكُمُ ... تَطولُ وانتشِلونا من هُوى الفَشَلِ
توجَّهُوا لجَمَالِ الله وانتَدِبُوا ... للغَوْثِ، يا أولياءَ الله، في عَجَلِ
أينَ انتِصَارُكُمُ والمِلَّةُ انطَمَسَتْ ... والأمَّةُ الْتَبطَتْ في فَخِّ مُهْتَبِلِ
صَلّى الإلهُ على أرواحِكُم وسَقى ... أجْدَاثَكُم رَحْمَةً بالرَّائِثِ الهَمِلِ[1]

(١) الرائث: المطر.

مَرثيّةُ القُطب(*)

تَـكُـبُّ عـلى دُنـيـاكَ وهـيَ تَـبـيـدُ ... وتَـفـتـقِـدُ الـنَّـائِي وأنـتَ فـقـيـدُ
حَريصاً عَلَيْهَا جَامِعاً لـحُطامِها ... وغـايـةُ مـا نَـافـسْـتَ فـيـهِ نُـفـودُ
تُـسـاوِرُ مِـلْحـاحـاً عـلى نَـيْـلِ فـائِتٍ ... نَـعَـمْ كُـلُّ مَا يَرْجُو الحَصَادَ حَصِيدُ
تَـكَـالَبَ فـيـهـا أهـلُـهـا وتَـذُودُهُـم ... وعُـمْـرَكَ، لـو كُـنتَ اعْـتَبَرْتَ، تَـذودُ
على لحظاتٍ يُنقِصُ العُمرَ مَرُّها ... تُـؤكِّـدُ آمَـالَ الـبَـقـا وتَـزيـدُ
ولـو أمَـلًا أدرَكْـتَـهُ لـم تـجـد لـهُ ... بَقاءً، ولـم تـصْـحَبكَ مِـنهُ عُـهُـودُ
ولـو وَافَـقـتْ أمـنيَّةٌ فـي حُـصُـولـهـا ... أتـتـكَ وفـيـهـا لـلـزَّوَالِ قُـيُـودُ
وتَـبْـنـي بـنـاءً طِـيـنُـهُ نَـقْـضُ دَارِسٍ ... سَـيـدْرُسُ يـومـاً والـغـرورُ جَـديـدُ
ولـو كـان طـيـنـاً لـم تـخـالِـطْـهُ رِمَّـةٌ ... لـمَـيـتٍ، ولـكِـنْ رِمَّـةٌ وصَـديـدُ
تَـعَـزَّ عـن الـدُّنـيـا وأيْـقِـنْ بـأنـهـا ... لـئـيـمَـةُ طـبـعٍ فـي الـهِـبَـاتِ تَـعُـودُ
وإنَّـكَ إن تـسْـكُـنْ إلـيـهـا تَـرَكْـتَـهـا ... ولـيـسَ بـهـا مِـمَّـا تَـرَكْـتَ حَـمـيـدُ
تُـمَـنِّـيـكَ بـالآمـالِ وهـيَ شَـحِـيـحَـةٌ ... وتُـعـطـيـكَ لِـيـنَ الـقـولِ وهـيَ حَـقـودُ
تُـخـاتِـلُ حُـسـنـاً وهـيَ شَـوْهَـاءُ غـادِرٌ ... وأنـتَ بـهـا مُـضْـنـى الـفـؤادِ عَـمـيـدُ
تَـحَـذْلَـقُ بـالـتَّـمْـويـهِ مَـكـراً وخُـدْعَـةً ... ولا شـيءَ مِـمَّـا تـدَّعـيـهِ سَـديـدُ
ولـو نِـلـتَ مِـنـهـا طـائِـلًا كـانَ آفَـةً ... تُـداجـي بـهـا مَـغـرُورَهـا وتَـكِـيـدُ
تُدانيكَ حتى تُؤنِسَ الصِّدقَ والصَّفا ... ومـا الـشَّـأنُ إلّا صَـائِدٌ ومَـصِـيـدُ

(*) قصيدة أخرى في رثاء الشيخ محمد بن يوسف اطفيش ـ العُنوانُ من اختيارنا، تحاشياً لتكرار العنوان.

ولو صَدَقتْ فالصِّدقُ في طَيِّ كِذْبها ... إذا عاهَدَتْ بالوَعْدِ فهو وَعِيدُ
تَكَشَّفُ في أطوارِها عن خِلالِها[1] ... وأنتَ لِما خلفَ السِّتارِ شَهِيدُ
وذلكَ صِدقٌ لو تَشاءُ حَذَرْتَها ... عليهِ، ونُصْحٌ لو عَقلتَ مُفيدُ
تفطَّنْ لها في شِعرِها فهي شاعِرٌ ... لها في أسَاليب النَّصِيحِ قَصِيدُ
ألستَ تراها رَيثما وَاصَلَتْ جَفَتْ ... وإن أقبَلَتْ حيناً تَلاهُ صُدودُ
وفي هذِهِ الحالاتِ تحْذيرُ مُبْصِرٍ ... وخَضْمٌ - إذا فكَّرتَ فيهِ - وَدُودُ
وإنَّ مَجالَ الخيرِ والشَّرِّ بينها ... مَجالُ اعتبارٍ للعُقول مَديدُ
وإنَّ الذي تأتي به من صُرُوفِها ... صَوارِفُ عن تصْديقِها وَسُدودُ
ألا تَرْعَوي والنَّوحُ في كُلِّ مَنزِلٍ ... ومَنْ عِشتَ فيهم فاقدٌ وفقيدُ
ألا تَرْعَوي والدُّورُ أقْوَتْ وأهْلُها ... لهُم شُقِّقَتْ فوق اللحُودِ لُحُودُ
ألستَ ترى الغاراتِ شَنَّتْ رِعَالَها[2] ... عليهِنَّ أوْدَى والدٌ وَوَلِيدُ
تمُرُّ بكَ الأيتامُ والدَّمعُ جامِدٌ ... وآباؤهُم تَحتَ التُرابِ جُمودُ
خِماصُ البُطونِ اشتحْوذَ الغَمُّ والأسَى ... عليهِم، فهَاهُم أعْظُمٌ وجُلودُ
إذا رَجَعوا نحو المنازلِ أظلَمَتْ ... وضَاقتْ عليهِم والقلوبُ وقُودُ
نَبا عنْهُمُ من كانَ يَحْنو عَلَيهِمُ ... إلى القربِ مِنهُم والمَزارُ بعيدُ
سَيَيْتَمُ أطفالٌ عليكَ أعِزَّةٌ ... ويُفضِي بزيْدٍ ما عليه يَزيدُ
وتصبحُ والأطفالُ والمالُ تُرْبَةً ... وتُدرِكُ ما قَدَّمْتَ وهو عَتيدُ
نرى غايَةَ الدُّنيا وكيفَ صُروفُها ... ونَحنُ على رَأيِ الرُّكُونِ رُكُودُ
نُوَبِّخُها والذنبُ لا رَيبَ ذنبُنا ... وقد أعْذَرَتْ والطَّارِقاتُ شُهودُ
ونَستعْقِبُ الآجَالَ والحُكْمُ فارِغٌ ... فما ثَمَّ تنقيصٌ لها ومَزيدُ
خليليَّ دُلّانِي على جُزء خطوةٍ ... خَطَونا، ومِنْ بَعدِ المُضِيِّ تَعُودُ

---

(١) خِلالِها: صِفاتها.

(٢) يُقرأ البيت أيضاً: ألَستَ ترى الغاراتِ شُنَّتْ رِعَالُها | عليهِنَّ أودى، إلخ..

خُذا بيَدِي نحو المَنازِلِ إذْ خَوَتْ ... عَساها بِخَبْرِ الظَّاعِنينَ تَجُودُ
إذا لم نَجِدْ مِنها مُجيباً فحَالُها ... يُخَبِّرُ أنَّ الظاعِنينَ هُمُودُ
وأنَّ وُجُوهاً كالبُدور تغيَّرَتْ ... فللدُّودِ طَرْفٌ أخْوَرٌ وَخُدُودُ
وأنَّ كِراماً أيقظوا المَجدَ والعُلا ... سُكونٌ بأحشاءِ القبور رُقُودُ
وإنْ شِئتما أنْ تُقنِعاني فَقَرِّرا ... لنا وَحْشَةً مِثلَ المَماتِ تَرُودُ
وإنْ تعْذُلاني في نَحِيبٍ أَلِفْتُهُ ... فأشكُت عنه، إنَّني لَجَلِيدُ
دَعاني أَسُحُّ الدَّمعَ سَحّاً عَسى به ... لِوَاقِدِ غَمٍّ في الفؤادِ خُمودُ
خليليَّ ما دَمعٌ يُزيلُ كآبَةً ... ولكنَّ قَرْظَ القارِظينَ شَديدُ
خليليَّ قَرْظُ القارِظينَ أصَارَني ... كما جُذَّ من دَوْحٍ وحُطِّمَ عُودُ
خليليَّ هَدَّ الموتُ أركانَ دَعْوتي ... فمَنْ لِي عَمودٌ بَعدهُم وعَميدُ
أبَى حَدَثانِ الدَّهرِ إلّا انتقالَهُم ... وهذا انتقالٌ يَقتضِيهِ خُلُودُ
ألا إنَّ مِقدارَ الحَياةِ مُقَدَّرٌ ... عليها وإنْ طَالَ البَقاء حُدُودُ
خليليَّ إنْ رَاعَتْ رِياضُ نَضَارَةٍ ... فلِلمَاءِ في تلكَ الرِّياضِ وُجُودُ
فإنْ غِيضَ عَنها الماءُ غاضَتْ حياتُها ... وعَادَتْ هَشيماً للتُّرابِ يَعودُ
فإنْ نَبْكِ أهلَ العِلمِ نَبْكِ حَياتَنا ... عليهِم كما بالمَاءِ يَنضُرُ عُودُ
حَنَتْنِي عَوادي الدهر غمّاً بفقدِهِم ... على شَرَعَاتٍ فَثْلُهُنَّ شَدِيدُ
إلى أنْ تَشظَّى العُودُ وانجَرَدَ اللُّحَا ... وأصْلَبَ عُودٍ في الخُطوبِ مَؤودُ
خُذا حَدِّثاني عن شُموسٍ تَساقَطَتْ ... ببَطْنِ الثرى، ماذا هناكَ تُريدُ
نَعَمْ كُوِّنَتْ تَجْرِي إلى مُستقرِّها ... وكُلُّ الذي يَجري مَداهُ رُكودُ
إذا أرسَلَتْ شمسٌ شُعاعاً مِن الهُدى ... دَعَاها، فلَبَّتْ للخُمودِ صَعِيدُ
أكُلُّ مُرادِ المَوتِ أنَّ نهارَنا ... قصيرٌ وليلُ الرَّاحلينَ مَدِيدُ
أكَفكِفُ دَمْعِي والرَّزايا تُذيعُهُ ... فحُزني قَطينٌ والدُّمُوعُ شَريدُ
ألا كُلُّ حَيٍّ في يَدِ المَوتِ حاصِلٌ ... فماذا بكاءُ الفاقِدِين يُفيدُ
وما نَدَبَ الأعْمارَ مِثلُ حُدودِها ... لأنَّ نفاداً يَقتضِيهِ وُجُودُ

لقد صَدَعَتْ قلبي صَوادِعُ للرَّدى ... لهُنَّ انحدارٌ بالأسى وصُعُودُ
ولا كمُصَابِ القُطبِ يوم تفطَّرَتْ ... قلوبٌ بمَنعَاهُ لنا وَكُبُودُ
فذاكَ لَعَمري صادعٌ لا تُطيقُهُ ... جبالٌ ولا يقوى عليه حَديدُ
لقد جَازَ نَزْرُ العُمرِ والعُمرُ بائدٌ ... ولكنَّ ما أبقاهُ ليسَ يَبيدُ
مَضى ولهُ كَنْزانِ: خَيرٌ مُقدَّمٌ ... وكَنزُ عُلومٍ للعِبادِ عَتيدُ
تَخَلَّصَ للعُقبى وأعْقَبَ نافِعاً ... مِنَ العِلمِ يَبلى الدَّهرُ وهو جَديدُ
هَنيئاً مَليكَ العِلمِ لاقيتَ صَالحاً ... بما خَلَّفَهُ مِمَّا تَرَكْتَ يَزيدُ
لقدْ شَقِيَ التغريرُ مِنكَ برَفضِهِ ... وبادَرْتَ للباقي وأنتَ سَعيدُ
رَفضتَ فُضولَ العَيشِ خَشيَةَ ذَمِّهِ ... وأنتَ غَنِيٌّ ما حَييتَ حَميدُ
وإنَّ نَعيمَ الدَّهرِ والمَوتُ حَدُّهُ ... نَعيمٌ، ولو عِندَ الغَبيِّ زَهيدُ
ولم تَجْنَحِ الدُّنيا إليكَ لِمَطْمَعٍ ... ومَطْمَعُها فيمَن عَدَاكَ أكيدُ
ولا قَدَرَتْ تَصْطادُ عِندَكَ لَحْظَةً ... وقد طَفِقَتْ للغافِلينَ تَصِيدُ
نَعَمْ شِنْتها للحَرْثِ فالزَّرْعُ قد زَكَى ... وبارَكَهُ الرَّحْمَنُ فهو حَصِيدُ
فيا قُطْبَ هذا الدِّينِ يا غَوثَ مُلْكِهِ ... فدَيْتُكَ ما عَن ذا الحِمَامِ[1] مَحِيدُ
تَقرَّبْتَ من مَولاكَ قُرباً مُؤبَّداً ... وأدعُوكَ لا تَبْعُدْ وأنتَ بَعِيدُ
ترَحَّلْتَ فالإسلامُ مُقلةُ ثاكِلٍ ... وأوْجُهُ أيامِ السَّعادَةِ سُودُ
ترَحَّلْتَ لا تَبْعُدْ وهل لكَ أوْبَةٌ ... وَوَاحَرَبا أوْبُ اللَّجِيدِ لَجِيدُ
فهلّا تركتَ العَيشَ بَعدكَ صالحاً ... وهيهاتَ ما عَيشُ الحَزينِ رَغيدُ
إذا شئتُ أن أحيا بُعَيدَكَ عامِداً ... أرَدْتُ حَياةً للحَياةِ تَذُودُ
وإنِّي لأدْرِي أنَّ للحَيِّ غايَةً ... وأنَّ صُدُوراً حِيتْ كان وُرُودُ
ولكنَّ رَفعَ العِلمِ في مَوتِ أهْلِهِ[2] ... وهذا لأشْرَاطِ القِيامِ شَهِيدُ

---

(١) الحِمام: الموت.

(٢) يُشيرُ الشاعر إلى الحديث النَّبوي: يُرفعُ العِلمُ بذهاب أهله، حتى إذا لم يبقَ عالِمٌ اتخذ الناسُ رُؤساً جُهّالاً فأفتوهُم.

أتقضي على جَهلٍ أمانة ربِّنا ... ويَرقُبُها وَعدٌ له وَوَعِيدُ
وهذا مَضِيقٌ يَستحِيلُ سُلُوكُهُ ... وطَودٌ تزَلُّ الرِّجْلُ عنه كَؤودُ
فقُمْ سَيِّدَ العِرفانِ والجَهلُ عامِرٌ ... وقد لُوِيَتْ فوقَ القيودِ قُيودُ
أتتركُنا والليلُ مُرخٍ سُدُولَهُ ... وما بيننا هَادٍ إليه نَهُودُ[1]
وإنْ كُنتَ قد خلَّفتَ فينا أشِعَّةً ... عَرَا الشمسَ مِن إشراقِهِنَّ خُمُودُ
نَرَى السَّبْعَةَ السَّيارَةَ امْتثلَتْ لها ... فهُنَّ رُكُوعٌ حَولَها وَسُجُودُ
ولكِنَّ ما أنَّرتَ في البَحْرِ نُقطَةٌ ... وأنتَ مُحِيطٌ والبِحَارُ وُفُودُ
أبا يُوسُفَ انظُرْ نَظْرَةً في مُصَابنا ... فإنَّ مُصَابَ العَارِفينَ شديدُ
مِنَ الحَشرِ أن تَبقى على الجَهلِ أمَّةٌ ... وليسَ عليها مُرشِدٌ ورَشِيدُ
ورثتَ رسولَ الله عِلماً ودَعْوَةً ... تَسُوقُ على مِنهاجِهِ وتَقودُ
ولم تألُ جُهداً في نصيحَةِ دِينِهِ ... تُقارِعُ عَنهُ خَصْمَهُ وتَسُودُ
كَسَرْتَ على التأويلِ سُلْطانَ بُطْلِهِ ... وأنتَ على الحَقِّ المُبينِ مَجيدُ
تَشَعْلَبَتِ الأقوالُ حَولَ حِياضِهِ ... فقُمتَ ـ وأنتَ اللَّيثُ ـ عَنهُ تَذودُ
بسَيفٍ من البُرهَانِ مَنْصَلُهُ الهُدى ... ولَيسَ له إلّا القُرآنُ[2] حُدُودُ
فقَطَّعَ أعْناقَ الخِلافِ وأصْبَحَتْ ... مُلوكُ حِجاجِ البُطْلِ وهيَ عَبيدُ
وَدَوَّخْتَ بالبُرهانِ عَارِضَةَ العِدى ... فوَلَّتْ لها بالخِزيِ عَنكَ فَدِيدُ[3]
قِفِي يا زُقاةَ البُطْلِ لا تتفرَّقِي ... فليسَ سَواءً ثابتٌ وطَريدُ
فِدىً لإمامِ الدِّينِ نفسي وقدْ طَغَتْ ... عليَّ مِنَ الحُزنِ المُقيمِ جُنودُ
وإنِّي وإنْ أطْرَيْتُهُ لمُقصِّرٌ ... وحَسْبيَ هَمٌّ في الفؤادِ وَقِيدُ[4]
وحَسْبي وَفاءٌ مِن حُقوقِ رِثائِهِ ... ضَمائِرُ مَفجُوعٍ إليهِ تَعُودُ

---

(١) نَهُودُ إليه: نَمِيلُ إليه.
(٢) لاستقامة ظِلالِ الوزن؛ تُقرأ مُخفّفة: القُرانُ.
(٣) فَدِيدُ الرَّجُل: عَدْوُهُ هَرَباً.
(٤) هَمٌّ وَقِيد: مُشتَعِل.

وأيـن مَـقـامِـي بَـيـنَ أبْـحُـرِ نَـعْـتِـهِ ... ولـكـنْ دُمُـوعٌ سُـبَّـقٌ ونَـشِـيـدُ

عُهودي بصَبري يَقضِمُ الصَّخرَ نابُهُ ... فـقـد نَسَـخَـتْ تـلكَ الـعُـهـودَ عُـهـودُ

ومـا كُـنـتُ أدري أنَّ بَـعـدَ ابنِ يُـوسُـفٍ ... سَـيَـلْـبَـثُ رُشْـدٌ أو يَـعـيـشُ جَـلِـيـدُ

وكـنـتُ إخَـالُ الأرضَ بـعـدَ مُـوِيِّـهِ ... تَـزَلْزَلُ أغـوارٌ لـهـا ونُـجُـودُ

وكـنـتُ أرى الأفـلاكَ بـعـد فِـراقِـهِ ... سَـتـهـوي ويَـغْـرُو الـسَّـابـحـاتِ رُكُـودُ

أمَـا وَشُـمُـوسٌ لـلـمَـعـارِفِ أشْـفَـرَتْ ... بـأشْـفـارِهِ إنِّـي بـهِ لَكَـمِـيـدُ[1]

ولـلـصَّـبـرِ سُـلـطـانٌ عـلـى كُـلِّ نَـكْـبَـةٍ ... وصَـبْـريَ فـيـه لا يَـقـومُ مَـؤودُ

ولـو كـانَ هـذا الـبـحْـرُ دَمـعـاً أُفِـيـضُـهُ ... نَـسَـبْـتُ إلـيـهِ الـشُّـحَّ وهـو يَـجُـودُ

أرى الـمُـزنَ فـيـهِ قَـلَّـدَتـنـي فـأسْـبَـلَـتْ ... دُمُـوعـاً، وشَـقَّـتْ جَـيـبَـهُـنَّ رُعُـودُ

مَـعـاشِـرَ أهـلِ الاسْـتـقـامَـةِ هـلْ لَكُـم ... عَـزاءٌ وهـلْ عَـيـشٌ يُـعَـدُّ سَـعـيـدُ

عـلامَ يَـضِـجُّ الـشـرقُ والـغـربُ ضَـجَّـةً ... بـهِ ذُعْـرٌ فـي دَهـشَـةٍ وَسُـمُـودُ

ومـا بـالُ هـذا الـكَـونِ وَلْـهـانَ مُـطـرِقـاً ... كـمـا ضِـيـمَ بـيـن الأقـويـاء حَـريـدُ[2]

أليـسَ أبـو الأهْـوالِ[3] قـد شَـنَّ غـارَةً ... فـبَـاءَ وقُـطْـبُ الـعَـارفـيـنَ فَـقِـيـدُ

أليـسَ لأنَّ الـحَـشْـرَ والـنَّـشْـرَ آزِفٌ ... ولـم يَـبـقَ إلا سَـائِقٌ وشَـهـيـدُ[4]

أيْنَ فَـرَغَـتْ أيَّـامُـنـا مِـنْ مُـحَـمَّـدٍ ... وأصْـحَـابِـهِ يـوم الـنُّـشُـورِ بَـعـيـدُ

لـقـد آذنَـتْـنـا صَـعْـقَـةُ الـمَـوتِ هَـجْـمَـةً ... ونَـحْـنُ عـلـى مَـهـدِ الـغُـرُورِ رُقُـودُ

ومـاذا نُـرَجِّـي بـعـدَ مـوتِ خِـيَـارِنـا ... قِـعَـاصـاً وأنـواعُ الـفـسـادِ تـزيـدُ

أنَرْجُو بأنْ نُعفى من المَوتِ بَعدَهُم ... أوِ الـحَـشْـرُ يُـلغـى والـحَـيـاةُ خُـلُـودُ

لـقـدْ جَـدَّ جِـدُّ الـخَـطْـب فـلـتَـنْـتَـبِـهْ لَهُ ... ووافـى شَـقِـيٌّ حَـدُّهُ وسَـعِـيـدُ

---

(١) كَميد: حزين.

(٢) الحَريد: المُتنِحِّي المُنحازي عن الناس.

(٣) أبو الأهوال: المَوت.

(٤) إحالة إلى قوله عزَّ وجلَّ: وجاءتْ كُلُّ نفسٍ مَعَها سائقٌ وشهيد.

وقد صَحَّ مِصداقُ الحديثِ فدِينُنا ... غريبٌ كَيومِ الابْتِداءِ وَجِيدُ[1]

وأكثرُ أشْراطِ القِيامَةِ وارِدٌ ... وأوْشَكَ للباقي القليلِ وُرُودُ

تيقَّظْ لهذا الشأنِ يَقظةَ حازِمٍ ... وآخَر في ثَنْيِ الطَّريقِ رَصِيدُ

وما هو إلا سَكْرَةُ المَوت بَغتةً ... وذلك أمرٌ كُنتَ مِنهُ تَحِيدُ

أما في وصايا الله أنّا سَنَنتهِي ... وأنَّ حَياةً تَنتهِي سَتَعُودُ

أما هذه الآجالُ في كُلِّ لحظةٍ ... بِهِنَّ على دَعْوى النَّذيرِ شُهُودُ

أيُنْتَقَرُ[2] الأخيارُ مَثنى ومَوْحَداً ... ويَبْقى لأشرارِ العِباد مَحِيدُ

لنا أعْيُنٌ في المُدْبِراتِ كَليلَةٌ ... ولكنَّ لَحْظَ المُقبلاتِ حَديدُ

أتنتظرُ الآجالُ منا فَراغَنا ... أم الموتُ، مِن قَبلِ الحياةِ، بَعيدُ

ومِنْ أعْجَبِ الأشياءِ وَادِعَةُ النُّهَى ... وحَرْبُ المَنايا عِدَّةٌ وعَدِيدُ

وأعجَبُ مِنهُ لَهْوُها بين مُفجِعٍ ... تَوَلَّى وآتٍ ليسَ عنهُ مَحِيدُ

فهَلّا تَواعَدْنا على نُصْحِ مُبصِرٍ ... وأعْلَمَنا أنَّ الظُّنونَ هُمُودُ

وأنَّ مَصيراً حَلَّ فِيهِ قَدِيمُنا ... يُتابِعُهُم لِلْحَلِّ فيه جَديدُ

فيا صَعَقاتِ الحُزنِ كم تتعَهَّدي ... قلوباً عليها للغُمُومِ غُمُودُ

وبِئْسَتْ قلوباً تُثبتُ الحِرْصَ والبَقا ... وليسَ بها للمَوتِ قطُّ جُحُودُ

وبِئْسَتْ قلوباً إن ألَظَّتْ بحَائِلٍ ... تنازعَ فيه وارِثٌ وَلُحُودُ

نُلَقِّبُ ما يُغري تِلاداً وطارِفاً ... وما الشأنُ إلّا جَندَلٌ وصَعِيدُ

وبِئْسَتْ قلوباً إن قَسَتْ وأمَامَها ... رُفاتٌ وهُم نَسْلٌ لنا وَجُدودُ

وبِئْسَتْ قلوباً إذ تَروحُ وتَغْتَدِي ... بأمْنٍ ومَحْياها القصِيرُ مَكِيدُ

أمَا في صُرُوفِ الحادثاتِ مَواقِفٌ ... لِفِكْرٍ لمُلْقِي السَّمعِ وهو شهيدُ

---

(١) إحالة إلى ما يراهُ الشاعرُ تحققاً لمنطوق الحديث الشريف: سيعودُ هذا الدِّينُ غريباً كما بَدَأَ، فطُوبى للغُرَباء.

(٢) يُنتقَر: يُنتقى اختياراً دون سِواه.

تَهُدُّ المَنايا هَضْبَةً بعد هَضْبَةٍ ... وفي سَمْعِنا للباقياتِ هَدِيدُ
ونَحنُ، على ما نَحنُ، أهدافُ رَمْيِها ... ونَمْرَحُ فيما نَشْتَهِي ونُرِيدُ
هَبَلْتُكِ يا حَرْبَ المَنايا تَرَكْتِنا ... نذوقُ مَذاقَ الشَّهْدِ وهو هَبِيدُ[1]
متى فازَتِ الآمالُ فيما تَرُومُهُ ... بِبَاقٍ وهلْ هذا الوُجودُ وُجودُ
وهلْ فَقَدُنا للعارِفِينَ بَقِيَّةٌ ... علينا وهلْ رَأيُ الرُّكُونِ سَدِيدُ
أبَعدَ مَليكِ الأولياءِ مُحَمَّدٍ ... يَرُوقُ نَضِيرٌ أو يَلَذُّ رَغِيدُ
ألا تلبسِ الأكوانُ فيه جِدادَها ... كما نُكِسَتْ للدين فيه بُنودُ
أيَثْلُجُ صَدرٌ أو تَغِيضُ مَدَامِعٌ ... ويُبْدِيءُ عَقلٌ بَعْدَهُ ويُعِيدُ
عَزاءُ بني الإسلامِ أنَّ مَصَابَكُم ... عَظيمٌ وأنَّ الحُزنَ فيه شديدُ
رَبيعٌ من العِرفانِ أمّا جِنَانُهُ ... فَغُلْبٌ وأمّا نَفْعُهُ فَمَدِيدُ
ذَوَى واكْفَهَرَّتْ واقْشَعَرَّتْ رِيَاضُهُ ... فهَلْ للجَنَى والظِّلِّ بَعدُ شُهُودُ
أضُمُّ إلى نَشْجِ السَّمواتِ عَبرَتي ... إذا اسْترجَعَتْ غِبَّ النَّشِيجِ تَعُودُ
وليسَ بكاءُ العالَمِين مُؤيِّداً ... بَقاءً ولا فَوقَ الحُدُودُ يَزِيدُ
على سَيِّدٍ لو عاشَ عاشَتْ حَياتُنا ... وإذْ مَاتَ مَاتَتْ أنْفُسٌ وَجُدودُ
سَقى ذاتَهُ من رَبِّهِ صَوْبَ رَحْمَةٍ ... ولاقاهُ بين المُصْطَفِين خُلُودُ
ألا في رَبيعِ الآخرِ الحُزنُ فاحْسبوا ... فهذا لتأريخِ الوَفاةِ مُفِيدُ[2]

---

(١) هَبِيد: حَنْظل.

(٢) كُتبت القصيدة سنة ١٣٣٢ هجرية ـ كما جاء في الأصل المُعتمد.

ريب المنون(*)

رَيْبُ الـمَـنـونِ مَـقـارِضُ الأعْـمَـارِ ... وحَـيـاتُـنـا تـعـدو إلـى الـمِـضْـمـارِ

والـنـفـسُ تـلـهـو فـوقَ تَـيَّـارِ الـرَّدَى ... يـا لـيـتـهـا حَـذِرَتْ مـن الـتـيَّـارِ

قَـرَّتْ عـلـى رَنَـقٍ وزُخْـرُفِ بـاطِـلٍ ... مِـثـلَ الـقـرارِ عـلـى شَـفـيـرٍ هَـارِ

مـاذا يَـغُـرُّ الـمَـرءَ مِـن مَـحْـيـاهُ فـي ... دُنـيـاهُ وهـي قَـرارَةُ الأكْـدارِ

يَـتـسـاقـطُ الـمَـغـرُورُ فـي لَـهَـوَاتِـهـا ... تَـفْـرِيـهِ بـالأنـيـابِ والأظـفـارِ

كَـشَـفـتْ سَـرَائِرَهـا ونـادَتْ جَـهْـرَةً ... بـعُـيـوبـهـا فـي سَـائـرِ الأعْـصَـارِ

لـم يَـبْـقَ شـيءٌ مِـن شُـؤونِ صُـرُوفِـهـا ... فـي نَـحْـتِ أثْـلَـتِـنـا عـلـى الإضْـمَـار

نَـفَـقـتْ تِـجـارَتُـهـا ومـا بَـاعَـتْ عـلـى ... غَـرَرٍ ولا كَـذبـتْ عـلـى الـتُّـجـارِ

يَـتـهَـافَـتُ الـعُـمَّـارُ فـي هَـلَـكـاتِـهـا ... فِـعـلَ الـفَـرَاشِ عـلـى لـهـيـب الـنَّـارِ

نَـجْـرِي إلـى شـهَـوَاتِـهـا سَـعْـيـاً عـلـى ... أنـقـاضِ مـا هَـدَمَـتْ مـن الأعْـمـارِ

نَـصَـبَـتْ حِـبَـالَـتَـهـا وأنـذرَت الـرَّدَى ... وكـأنـنـا صُـمٌّ عـن الإنـذار

صَـدَعَـتْ بـمـا جُـبِـلَـتْ عـلـيـه ولـم تَـدَعْ ... ذِكـرَى ولا عِـظَـةً وَرَاءَ سِـتـارِ

شَـرُّ الـغُـرُورِ سُـكُـونُ ذي بَـصَـرٍ إلـى ... عَـيـشٍ تُـمَـزِّقُـهُ يَـدُ الأخـطـارِ

عِـبَـرٌ تُـلَـوِّنُـهـا الـصُّـرُوفُ وأنـفُـسٌ ... تَـفـنـى وآثـارٌ عـلـى آثـارِ

هَـلْ زادَ عَـيـشُـكَ ذَرَّةً عـن هـذهِ ... لـو كُـنـتَ فـي الـدُّنـيـا عـلـى اسْـتِـبْـصَـارِ

(*) العنوان من اختيارنا ـ والقصيدة قيلت في رثاء نور الدّين العَلّامة عبدالله بن حُميد السّالمي.

هَلّا اعتبَرْتَ وفي حياتك عِبْرَةٌ ... مِمَّا تُصَرِّفُهُ يَدُ المِقدارِ

لا تَستَمِرُّ لكَ السَّلامَةُ لَمْحَةً ... وَغَوائِلُ الأيام في استمرارِ

ما بالُنا نبكي الفقيدَ ونَحنُ مِن ... حُبِّ الذي أرْدَاهُ في اسْتِهتارِ

شَغَفُ النفُوسِ بما يُراقِبُهُ الفنا ... أثَرُ الهَوى ومَحَبَّةُ الأوطارِ

جِسْرُ المَنونِ أمَامَ وَجْهِكَ عابرٌ ... ولسوفَ تَعْبُرُهُ مع الشُّفَّارِ

شَمِّرْ لِتَعْبُرَهُ مُخِفّاً سَالِماً ... مِن ثُقْلِ ما أوْقَرْتَ من أوزارِ

ليسَ العِظاتُ بما يَقولُ مُذَكِّرٌ ... مثلَ العِظاتِ بمَصْرَعِ الأعْمارِ

كَمْ للمَنونِ لو اعْتَبَرنا مِن يَدٍ ... في سَلْبِها الأرواحَ بالتَّذكارِ

ما الحُزنُ إلفتنا لمَقصودِ الرَّدى ... يَغتالُ في الإيرادِ والإصْدارِ

أتَرى يَجِدُّ البَينُ فينا هازلاً ... ويُريحُنا بمَصَارِعِ الأخيارِ

كلّا؛ ولكنَّ الحَياةَ بَهيمَةٌ ... تَجْرِي عليها مذْيَةُ الجَزَّارِ

خُلِقَتْ لِما خُلِقَتْ لَهُ مِنْ حِكْمَةٍ ... وتَعُودُ تتبَعُ دَعوةَ الجبَّارِ

مَزْمُومَةٌ نَيْرُ القَضاءِ يَقودُها ... مَرْبُوبَةٌ لمَشيئةِ المُختارِ

كَتَبَ البَقاءَ لنفسِهِ مُستأثِراً ... بإماتَةِ الأحياءِ والإنْشارِ

وإذا اعْتَبَرْتَ حَياتَكَ الدُّنيا تَجِدْ ... أنَّ الحَياةَ مَظِنَّةُ الأغْدارِ

ما بينَ مَعرَكَةٍ وأخرى يَبْتَغِي ... أمَلًا لباقِيَةٍ ذوو الأبصارِ

لو كانَ يُشترَكُ البقاءُ لغادَرَت ... غِيَلُ المَنيَّةِ أنفُسَ الأبْرارِ

يا صَرْعَةَ المَوتِ انْتَقَرْتِ خِيارَنا ... وتَرَكْتِ أمَّتَنا بغيرِ خِيارِ

ناهيكِ من إطفاءِ أنوارِ الهُدى ... غَشِيَ الظَّلامُ وضَلَّ فيه السَّاري

ناهيكِ من إعْدامِ أحبارِ التُّقى ... فالدِّينُ لا يَبقى بلا أحْبارِ

ناهيكِ من قَعْصِ[1] الشُّراةِ فإنهُم ... سُورٌ لدِينِ المُصطفى وسَوَارِي

ناهيكِ من هلْكِ الكِرامِ فما بَقِي ... رَسْمُ الكِرامِ ولا حُماةُ الجَارِ

---

(١) قَعْص: قتْلٌ / طَعْنٌ بالرُّمح.

ويْلاهُ أوحشتِ الدِّيارَ من الأُلى ... كانوا خَلائِفَ سُنَّةِ المُختارِ
أوْ كُلَّما نَجَمَتْ فضيلَةُ سَيِّدٍ ... قَدَّرْتِها وتراً مِن الأوْتارِ
أسرَعتِ في الأغواثِ والأقطابِ ... والأعلامِ والأبْدالِ والأخيارِ
مَهلًا! فما أبقيتِ ثَمَّ بَقيَّةً ... نَزَحَ القَطِينُ وجَفَّ رَوضُ الدَّارِ
ما زلتِ تَغتقِرينَ كُلَّ أعِزَّتي ... فالجَوُّ خاوٍ والدِّيارُ عَوَارِي[1]
أفقدْتِني شُهْبَ الفضائلِ كُلَّهم ... وَيْلاهُ مِن شُهُبي ومِن أقماري
وَيْلاهُ أينَ سَماؤها ونُجُومها ... وشُمُوسُها.. ذَهَبُوا كَأمْسِ الجَاري
مِن كُلِّ أزْوَعَ لَوْذَعِيٍّ كامِلٍ ... يَهْتزُّ عُرْفاً كالقَنا الخَطَّارِ
عُمُدُ الدِّيانةِ، قُطْبُها، قُوَّامُها ... سُحُبُ المَكارِمِ، أبْحُرُ الأنوارِ
تَتَلألأُ الأكوانُ من عِرفانِهم ... كالشمسِ تملأُ هَيْكلَ الأقطارِ
أنْضَاهُمُ التسبيحُ والترتيلُ ... والتهْجيدُ بينَ جَوانِحِ الأسْحَارِ
خُبْتٌ[2] إذا جَنَّ الظلامُ رأيتَهُم ... طاروا إلى المَلَكُوتِ بالأسْرارِ
غُرٌّ إذا سَجَدَ الظلامُ[3] على الفَضَا ... سَجَدوا على الثَّفَنَاتِ كالأحجارِ
قَطَعَ النَّحِيبُ صُدُورَهُم، وكأنَّما ... وَضَعوا السَّحَائِبَ مَوضِعَ الأشْفارِ
قُرْبَانُهُم أرواحُهم ونَعِيمُهُم ... ذَأبٌ على السُّبُحاتِ والأذكارِ
حَصَرُوا الشَّريعَةَ والحَقيقةَ والمَعا ... رِفَ والكَمَالَ بأنْفُسِ الأطْهَارِ
فهُمُ غِياثُ الكائناتِ وسِرُّهُم ... مَدَدُ النفوسِ ومَنبعُ الأنوارِ
نَقَلَتْهُمُ الآجالُ من دار الفنا ... وتَبَوَّؤا سُعَداءَ عُقبَى الدَّارِ
سَلَكُوا بمَحْياهُم وبعدَ مَمَاتِهِم ... إذْ وُفِّقوا بمَسالِكِ الأبرارِ
دَرَجُوا وأصْبَحَتِ العِراصُ عَقِيبَهُم ... مِنْ فَقْدِهِم مُغْبَرَّةَ الآثارِ

---

(١) بمعنى: عارية لخلُوّها من الأعِزّاء.
(٢) خُبت: خُشّع.
(٣) سُجود الظلام: واحدة من الصُّور الشعرية التي تستحقّ سُجوداً رَمزياً من القارئ؛ لنُدْرتها تركيباً وتوظيفاً في عُيون الشعر العربي.

يا مَوتُ أنتَ أعِزَّةَ فاقتصِدْ ... إنْ كُنتَ ترحَمُ عَبرَةَ الأحرارِ
بأولئكَ الأبرارِ كُنتُ مُعَزِّزاً ... بأولئكَ الأبرارِ كُنتُ أُبارِي
أزْرِي إذا ضاقَ الخِناقُ بحادِثٍ ... وهُمُ إذا انطَمَسَ الطَّريقُ مَناري
يا مَوتُ وَقْعُكَ فيهِمُ سَلَبَ الهَنا ... وأقامَني للنَّوْحِ والتَّذكارِ
تَرَكَ الحَمامُ النَّوحَ إذْ ناوَحْتُهُ ... واستَبْرَدَتْ كَبِدي لهيبَ النارِ
لم أسْلُهُم حتى رُزِئتُ بصَدْعَةٍ ... أخَذتْ بقيَّةَ سالِفِ الأكْدارِ
أخذتْ بكَظْمِ الدِّينِ وانْتَحَتِ السَّما ... فبَكَتْ لها بالمَدْمَعِ المِدْرارِ
واستأثَرَتْ بقلوبِ حِزْبِ مُحَمَّدٍ ... للهِ فَجْعَةُ ذاكَ الاسْتِئْثارِ
ما الهَولُ في يومِ النُّشورِ أشَدُّ مِن ... هَولِ النَّعِيِّ بسَيِّدِ الأبرارِ
العَالِمِ القُطبِ المُجَدِّدِ عُمْدَةِ العُـ ... ـلَماءِ طُراً كَعْبَةِ الأسْرارِ
لَيثِ المَعارِكِ مَرْبَعِ الفَضْلِ الذي ... رَفَعَ المَنارَ ولاتَ حِينَ مَنارِ
غَوْثِ البَسِيطةِ مَعْلَمِ الدنيا ... أبيِّ الضَّيمِ مَولانا عَزيزِ الجَارِ
حَامِي حِمى الإسلامِ حُجَّتِهِ ... مُعِزِّ الدِّينِ سَيفِ المِلَّةِ البتَّارِ
بحْرِ المَعارفِ والكمالِ مُسَدَّدِ الأ ... عمالِ في الإقبالِ والإدْبارِ
السَّالِمِيِّ أبي مُحَمَّدٍ المُنيـ ... ـفِ الذِّكْرِ طَودِ المَجْدِ بَدرِ السَّاري
تمْضِي وتُرْسِلُها العِراكَ مَرُوعَةً ... والليلُ دَاجٍ والذئابُ ضَواري
مَهْلاً هُماماً الاستقامَةِ ما الذي ... غادَرْتَ من هَولٍ ومِن إذْعَارِ
قَوَّمْتَها فتقوَّمَتْ فهَجَرْتَها ... يا هِجرَةً طالَتْ على السُّفَّارِ
ارجعْ إليها حيثُ قَلَّ حُماتُها ... ارجعْ فَدَيْتُكَ يا غَريبَ الدَّارِ
ارجعْ إلى الإسلامِ تَمَّمْ نصْرَهُ ... فالعِزُّ تَحتَ عَزائِمِ الأنصَارِ
ارجعْ فإن الاستقامَةَ أزْمَلَتْ ... إرْحَمْ يَتيمَكَ وهو دِينُ البَاري
ارجعْ تُشاهِدْ كيفَ دمعُ السَّيفِ ... والعَسَّالِ والأقلامِ والأسْفارِ
ارجعْ وما ظَنِّي بأنكَ مُشْتَرٍ ... بجوارِ رَبِّكَ جيرَةَ الأشرارِ
أدعُوكَ لِلجُلَّى وأنتَ عَظيمُها ... عَهدِي وأنتَ لها شديدُ الغارِ

أدعـوكَ لـلأمـرِ الـذي تُـدْعَـى لـه ... شِـيَـمُ الـرجـالِ وهِـمَّـةُ الأحـرارِ
أدعـوكَ لـلخَـطْـبِ الـذي أعيـا عـلى ... رأيِ الـفُـحُـولِ وأنْـفَـذِ الأنـظـارِ
أدعـوكَ إذ فـرَغَـتْ يَـدِي مِـن كُـلِّ مَـن ... يُـدْعَـى لِنـائـبَـةٍ وحِـفـظِ ذِمَـارِ
أدعـوكَ إنْ كُـنـتَ الـسَّـمـيـعَ لِدَعْـوتـي ... لِخَـطـابَـةِ الـتـبـشـيـرِ والإنـذارِ
أدعـوكَ لـلحَـرْب العَـوانِ وكُـنـتَ في ... لَهَـواتِـهـا تـكـفـي كِـفـاءَ الـغـارِ
أدعـوكَ لـلـقـرآنِ تـكْـشِـفُ سِـرَّهُ ... وتُـبـيـنُ مِـنـهُ غـوامِـضَ الأسْـرارِ
أدعـوكَ لـلسُّـنـنِ الـمُـنـيـرَةِ إنـهـا افـتـ ... ـقـرَتْ مَـقـاصِـدُهـا إلـى الأبـصـارِ
أدعـوكَ لـلإجْـمـاعِ والأحـكـامِ والـ ... ـهـيـهـاتَ يـا أسَـفـاهُ لا رُجـعـى وقـد ... أديـانِ والـتَّـذكـيـرِ والـتَّـذكـارِ
يَـسْـلُـونَ بـالآثـارِ بـعـدَ صِـحَـابِـهـا ... جثـمَـتْ عـلـيكَ صَـحـائِفُ الأحْـجَـارِ
«يا طَلْعَةَ الشَّمسِ» اسْتري عَنا الضِّيا ... ومَـثـارُ حُـزنـي فـيـكَ بـالآثـارِ
سِـفـرَانِ[1] إن هَـدَيـا لـرُشـدٍ أرْشَـداً ... وخـذي الـجِـدَادَ «مَـشـارقَ الأنـوارِ»
كُـنتَ النَّـصِـيرَ وكـانَ لي صَـبْرُ الحَصَا ... مِـنْ فَـجْـعَـتِـي قـلْـبـي لِغَـيـرِ وَقـارِ
أقْـدَرْتُ لـي جَـلـداً يُـقـاوِمُ نـكْـبَـتـي ... فـأُصِـبْـتُ فـي صَـبـري وفـي أنـصـاري
نـاهِـيـكَ مـن جَـلَـدِي يَـقـيـنـي بـالـرِّضـا ... فـالـيـومَ لا جَـلَـدِي ولا إقْـدَاري
وبـأنَّ هـذا الـمَـرْءَ عُـرْضَـةُ طـارِقِ الـ ... ـسُّـخـطِ فـي أنَّ الـمُـقـدَّرَ جَـاري
مـا غـاضَ مـن عَـيـنـي رَأيـتُ عَـدِيـلَـهُ ... حَـدَثـانِ تـحـت مَـخـالِبِ الأقـدارِ
لـم تُـصْـغِ نـادِبَـةٌ لِثُـدْبَـةِ جـارِهـا ... مِـنْ طَـرْفِ داجـيـةٍ وطَـرْفِ نـهـارِ
سَـوِّلْ لـنـفـسـكَ أن تـعـيـشَ مُـعَـمَّـراً ... هـي تَـشـتـعِـدُّ لـثُـدْبَـةٍ فـي الـدَّارِ
تـلـكَ الـمَـصَـائِـبُ مُـدرِكـاتٌ صَـيـدَهـا ... لـكِـنَّـهُ أمَـدٌ إلـى مِـضْـمَـارِ
أمْـعَـنـتُ فـي هـذي الـصُّـروفِ بَـصـيـرتـي ... سِـيَّـانَ فـي فَـرٍّ وفـي اسْـتـقـرارِ
وسَـبَـرْتُ مـا تَـقْـضِـيـهِ بـالـمِـشـبـارِ

---

(١) السِّفْران هما من مُؤلَّفات العلامة نور الدِّين السالمي في أصُول الفقه والعقيدة؛ كتابا: «طلعة الشمس» و«مشارق الأنوار» اللذان وظف الشاعر عُنوانيهما في نسيج البِنية الشعرية لصَدرِ وعَجُز البيت السابق.

فرأيتُ بردَ العَيشِ إحسانَ العزا ... والاطْمِنانةَ تَحتَ حُكْمِ الباري

يا مَن أذابَ الصَّخرَ حرُّ مُصَابِهِ ... مَن ذا تركتَ لِدَولةِ الأحرارِ

وَزَّعْتَ بين الدِّينِ والوَطَنِ الأسى ... تَوزيعَكَ الطاعاتِ في الأطوارِ

ودَعَوتَ في الإسلام دَعوةَ مُخلِصٍ ... ثابَتْ إليكَ بها ذوو الأبصارِ

ثابَتْ إليك عَصَائِبٌ وَهْبِيَّةٌ ... من أُسْدِ ذي يَمَنٍ وأُسْدِ نزارِ

عَشِقوا المَنايا واستماتوا في الهُدى ... من قَبْلِ «صِفِّينٍ» ويومِ الدَّارِ

حُنِيَتْ ضُلوعُهُمُ على جَمرِ الغَضَى ... من حُبِّ رَبِّهِمُ وخَوْفِ النارِ

غضِبوا لرَبِّهِمُ فشَدُّوا شَدَّةً ... مُتكاتفينَ على هُدىً عَمَّارِ

مَلأَ اليَقينُ صُدورَهُم فاستصْغروا ... عندَ اليقينِ عَظائمَ الأخطارِ

لِعَزائمِ الأغْيانِ فيهم وَازِعٌ ... دِيناً وَحَاشاهُم لُزومَ العارِ

بَاعُوا لِمَرْضاةِ الإله نفوسَهُم ... أرْبِحْ ببَيْعَتِهم ونِعْمَ الشَّاري

وَرَضُوا لأعْباءِ الخِلافة كُفأَهَا ... سِبْطَ النَّجادِ مُوفَّقَ الأنظارِ

فُلْكَ الجَلالةِ والنَّبَالَةِ والتُّقى ... يُبدِي المُحَيَّا عن ضِياءِ نهارِ[1]

وَرِثَ المُهَنَّا[2] وابنَ كَعْبٍ وارثاً[3] ... والصَّلتُ[4] من أجدادِهِ الأطهارِ

أخَذَ الإمَامَةَ كابراً عن كابرٍ ... أخْذَ النُّمَارِ جَواهِرُ الأشجارِ

عَرَفتهُ عَاهِلَها وَمَفْرَقَ تاجِها ... ولطالما لَغِبَتْ من الإنكَارِ

عَاذتْ بهِ فأعَاذها وأقامَها ... عُمَرِيَّةُ[5] المِيزانِ والمِعيارِ

---

(١) يشير في أبياته إلى الإمام سالم بن راشد الخروصي؛ الذي حضَّ نورُ الدِّين السالمي المُسلمين على مُبايعته.

(٢) الإمام المُهَنَّا بن جيفر الخروصي، من أئمة القرن الثالث الهجري.

(٣) الإمام الوارث بن كعب، أوّل أئمة بني خَرُوص - بويع في أواخر القرن الثاني الهجري.

(٤) الإمام الصَّلْت بن مالك الخروصي.

(٥) الإشارةُ، هُنا، إلى عَدالة عُمر بن الخطاب واستمرارها في عهد الإمام سالم بن راشد الخروصي.

رَقِبَتْهُ حتى أمْكَنَتْها نظرَةٌ ... أزليَّةٌ مِن نَجْمِهِ السَّيارِ

فاقتادَها عَزماً وحَزماً آتياً ... بمَعاجِزٍ طُمِسَتْ عن الأبصارِ

زهراءُ بينَ السَّالِمِيِّ وسَالِمٍ[1] ... نشأتْ وبَينَ حُماتِها الأخيارِ

لم تُوفَ حَقَّ الشكْرِ حتى اسْتزْجَعَت ... صَبراً بفقدِ الصَّابرِ الشَّكَّارِ

صَبْراً إمَامَ المُسلمين فإنه ... حُكْمٌ على كُلِّ البَريَّةِ جَاري

صَبراً فعَنكَ الصَّبرُ والتأساءُ يُؤ ... خَذُ، بَلْ وكُلُّ فَضائِلِ الأحْرارِ

ما دَامَتِ الدُّنيا على أحدٍ ولا ... دَامَتْ على السَّراء والأضرارِ

عارِيَّةٌ هذي النفوسُ ولازمٌ ... أن يَستردَّ العدلُ كُلَّ مُعَارِ

ومَواهِبُ الأيام جِرْصٌ كُلُّها ... إذ سَوفَ تَنْزَعُها بغير خِيارِ

ولَبِئسَ عَيشٌ رَيثما اسْتحْلَيْتَهُ ... كَرَّتْ عليهِ غارَةُ الأغيارِ

لا يَستقِرُّ لَهُ اللبيبُ لأنَّهُ ... وقَفَتْ شَعُوبُ لهُ بِبابِ الدَّارِ[2]

رأت البَصَائرُ ما يُعاقبُ عَيشَنا ... فالرَّأيُ أن نَحْيَا على اسْتبصارِ

يا شِعْرُ أجْمِلْ في الرِّثاءِ فإنَّ لي ... قلباً مِن الأحزانِ كالأعشارِ

هل زادَ في «الخنساء» إلّا كَرْبُها ... شِعْرٌ تُرَدِّدُهُ ولبسُ صدارِ

يا صَبرُ إنْ قَرَّ الأحِبَّةُ في الثرى ... فاثْبُتْ لديَّ ولا تَمَلَّ قراري

لا خِلَّ إلا الصَّبرُ بعد فِراقِهِم ... إنْ لم يُزِلْهُ نازلُ الأقدارِ

رَحِمَ الإلهُ أحبَّةً غادَرْتُهُم ... ولزمتُ صُحْبَةَ دهريَ الغدَّارِ

ما كان في أمَلي التخلُّفُ بَعدَهُم ... والعيشُ في الأشجانِ والتذكارِ

لكنهُ الحَدَثانِ يطلبُ وَقتَهُ ... ومَنِيَّةٌ تأتي على مِقدارِ

عَرَجُوا عَنِ الدُّنيا وأعْرُجُ في الهوى ... شَتَّانَ بَينَ قرارِهِم وقراري

تبكيهم الحُسنى إلى من أحْسَنوا ... ويُضاحِكُون الحُورَ في الأخْبارِ

---

(١) الإشارة للمُزكّي: نور الدين السالمي والمُبايع: سالم بن راشد الخروصي، على التوالي.

(٢) شَعُوب: اسم علم على المَنِيَّة.

آليتُ لا أنفكُّ أندُبُ إثرَهُم ... ما دامَ تَذرِفُ أعيُنُ الأحجارِ
آسِي وأجرَحُ ما تُكِنُّ خواطري ... بنوازعِ الأحزانِ والأكدارِ
مَدَدِي بهم وشِفاءُ قلبي ذِكْرُهُم ... وبحُبِّهِم يُطفى لهيبُ أُواري
بحَياتِهِم ومَماتِهِم أسرارُهُم ... تُوحِي مَواهِبُها إلى أسراري
دَرَجُوا وجاءَ السَّالِمِيُّ عَقيبَهُم ... يُحيي الرُّسُومَ بسَيْبِهِ المِدْرارِ
حتى تَدافَعَت الرِّياضُ نَضارَةً ... بالسُّنةِ الزَّهْراءِ لا الأزهارِ
حُتِمَ المَصيرُ له إلى دارِ البقا ... ولَنِعْمَ دارٌ بُدِّلَتْ مِنْ دارِ
حَيّا الإلهُ ضَريحَهُ بالرَّوحِ والـ ... ـرَّيحانِ بالآصالِ والأبكارِ
يا عامُ أزْهَقتَ النفوسَ بفَقدِهِ ... وأطَرْتَ رُوحَ الدِّينِ أيَّ مَطارِ
يا عامُ لا يَبْعُدْ فقيدُ الدِّينِ طَـ ... ـلَّاعُ الثَّنايا مَعْقِدُ الإكْبارِ
حُزنٌ على حُزنٍ وهَولٌ مُدهِشٌ ... يَمضِي المَدَى والغَمُّ في تكرارِ
يا عامُ لا عادتْ لبطشِكَ عَودَةٌ ... كافيكَ منها بَطشَةُ الجبَّارِ
ارْحَمْ عِيالَ اللهِ قد حَزَبْتَهُم ... أخطارُ مِلَّتِهِم على أخطارِ
يا عامُ أزْهَقتِ الدِّيانةَ خِطَّةٌ ... كالنارِ ذات ذوائبٍ وشرارِ
أطفأتَ أزْهَرَ كَوْكَبٍ مَلأ الفضا ... ضَوءاً وجئتَ بظُلمَةِ الأكدارِ
حُتِمَتْ له الحُسنى ووافى ربَّهُ ... مُتقبلًا لمَزيَّةِ الأطهارِ
عَفّاً عن الدُّنيا خَميصاً بَطنُهُ ... مِنها سِوى ما كانَ سَهْمَ الباري
يا مَن أجابَ الدَّعْوتينِ لرَبِّهِ ... لِمْ لا تُلَبِّي دَعوتي وجِواري
لمَعاهِدِ الإسلامِ بَعدَكَ رَنَّةٌ ... وعُهودُ فضلِكَ كالنُّجومِ سَواري
قُدِّسْتَ مِن غَوثٍ وقُدِّسَ مَشهدٌ ... غَبَطَتْهُ فيكَ عَوالِمُ الأنوارِ
شَطَّ المَزارُ مع الحياةِ وَوَيْلَتا ... بعدَ المَماتِ مَتى يَكونُ مَزاري
ومِن السَّعادةِ أن أمَرِّغَ جَبْهَتي ... بعَبيرِ تلكَ التُّربَةِ المِعطارِ
يا وَافِدَ الرَّحمنِ أيَّ كَرامَةٍ ... لُقِّيتَ في عَدْنٍ وأيَّ جَوارِ
بمَنازلِ الشهداءِ تَرْتَعُ آمناً ... حتى رَضِيتَ لخوفِنا الكَرَّارِ

حَلَّقتَ للطاعاتِ خَطْفةَ طائرٍ ... فحَلَلْتَ مَسْرَحَ جَعْفرِ الطّيارِ[1]

بِعْتَ الحياةَ فنِلْتَ أرْبَحَ بَيْعَةٍ ... لكنها رَجَعَتْ لنا بخَسارِ

للهِ ما سَنَةٌ لكَ البُشرى بها ... ولنا بها كالنَّارِ في إعْصارِ

تأريخها ما طالَ ما لَجِبَ الرَّدى ... الصَّبْرُ أخرى يا أولي الأبصارِ[2]

---

(١) جعفر بن أبي طالب الذي استشهد في غزوة مؤتة بعد أن قُطِعَت يداه، فأبدله الله جَنَاحَي طائر في الجنة، فلقِّبَ: جعفر الطّيار.

(٢) أرّخَتْ القصيدة بـ ١٣٣٢ هجرية، أي: ١٩١٤م.

نَكّسي الأعلامَ يا خَيرَ المِلَل(*)

نَكِّسِي الأعْلامَ يا خَيرَ المِلَلْ ... رُزِيءَ الإسلامُ بالخَطْبِ الجَلَلْ

وانْتِشِزْ يا دَمْعَ أجفانِ الثُّقى ... قد أُصِيبَ العِلمُ واغتِيلَ العَمَلْ

وانفطِرْ يا قلبُ واستَقْصِ الأسَى ... إنَّ حَبلَ الدِّينِ بالأمسِ انْبَتَلْ

أشعَلَ البرقُ علينا جَذْوَةً ... فانطفا واتَّقدَتْ فينا الشُّعَلْ

حَمَلَ «البَرقُ»[1] مُصاباً فادِحاً ... ليتهُ أعْياهُ حِملًا ما حَمَلْ

يا رِجالَ الدِّينِ هلْ جاءَكُمُ ... أنَّ بَدرَ الدِّينِ فِي الأرضِ أفَلْ

يا رجالَ الدينِ لا تَنْهنأ لكُم ... فُرصَةٌ، إنَّ مُصابَ الدَّهرِ حَلْ

يا رجالَ الدِّينِ لم يَنزِلْ بنا ... فادحٌ أعظمُ مِمَّا قد نَزَلْ

يا رجالَ الدِّينِ أهلًا بالقضا ... غاضَ هذا البحرُ وانْدَكَّ الجَبَلْ

يا رجالَ الدِّينِ ما هذا الأسَى ... والأسَى بالعَقلِ والعَقلُ ذَهَلْ

يا رجالَ الدِّينِ مَا حُسنُ العَزا ... عن فقيدٍ في السَّمَا والأرضِ جَلْ

ربَّما أعْقَبَ فَقْدٌ بَدَلًا ... وفَقيدُ العِلمِ ما عَنهُ بَدَلْ

إنَّ مَوتاً وحياةً حُتِّما ... قبلَ هذا الخلقِ في لَوحِ الأزلْ

(*) العُنوان من اختيارِنا ـ وكسابقتها؛ هذه القصيدة كُتِبت في رثاء الشيخ نور الدّين التالمي.

(١) ربما كان الشاعر، في بيته هذا، يُشيرُ إلى البرقيّة ـ أسرع وسائل الإتصال في عصره. وفي الغالب أن هذه القصيدة كُتِبت قبلَ سابقتها، كما يُفهمُ ـ إضافةً إلى إخباريّة البرقيّة ـ من سياقِ البيت الثالث: [إنَّ حَبلَ الدِّينِ بالأمسِ انبَتَلْ]، إنْ صَحّت مُحاولة التأويل.

ومَـقـامُ الـمَـرءِ مـن أيّـامِـهِ ... أمَـلٌ يَـقـطَـعُـهُ حَـدُّ الأجَـلْ

والـتـمـاثـيـلُ الـتـي نَـهْـذي بـهـا ... صُـوَرٌ يَـخـلُـقُـهـا سِـحـرُ الأمَـلْ[1]

كُـلُّ مـا نـهـفـو إلـيـهِ عِـبَـرٌ ... لـو فَـقِـهْـنـا الـشَّـأنَ أو ضَـرْبَ الـمَـثَـلْ

مـا يُـريـدُ الـحَـتـفُ مـن أرواحِـنـا ... يَـتـقـاضـاهُ بُـكُـوراً وأُصُـلْ

إنـهـا مُـسـتَـودَعـاتٌ أُقِّـتَـتْ ... لا يُـزادُ الـعُـمـرُ شـيـئـاً إن كَـمُـلْ

يـا لَـعُـمـرٍ نـاصَـبَـتـهُ آفـةٌ ... تَـهـدِمُ الـمَـحْـيـا وتُـزْرِي بـالـجَـيَـلْ

بِـئـسَ عُـمـرٌ حُـتِّـمَ اسْـتِـرجَـاعُـهُ ... رَيْـثـمـا حَـلَّ رَأيـنـاهُ قَـفَـلْ

وحَـيـاةٌ وُعِـدَتْ رَيْـبَ الـرَّدى ... كَـيـفَ يَـغـتَـرُّ عـلـيـهـا مَـن عَـقَـلْ

وهـيَ فـي بُـرْهَـتِـهـا مَـرْذولَةٌ ... حَـشْـوُهـا، لـو فـكَّـرَ الـمَـرءُ، الـعِـلَلْ

خُـلِقَ الـعَـقـلُ لِـدَرْكِ الـمُـنـتـهـى ... فـتـنـاسَـى وتـلاهـى وَغَـفَـلْ

لـيـسَ مَـن يَـجْـهَـلُ مِـنـا حَـالَـهُ ... لَـمْـحَـةٌ تـمـضـي وعَـيـشٌ يُـخْـتَـزَلْ

إنـمـا الـشـأنُ اغْـتِـرارٌ حَـاكِـمٌ ... سَـلَـبَ الألـبـابَ واسْـتَـدْعَـى الأمَـلْ

ونُـفـوسٌ رَاقَـهَـا مِـن سُـوئِـهـا ... رَنَـقُ الـعَـيـشِ وفـي الـعَـيـشِ الـغِـيَـلْ

هـذهِ الـدُّنـيـا وهـذا أمْـرُهـا ... تَـنـدِفُ الأعـمـارَ نَـدْفـاً لـم تَـزَلْ

كَـشَـفـتْ عـن قُـبْـحِـهـا فـي حُـسْـنِـهـا ... وأرَتـنـا الـسُّـم فـي هـذا الـعَـسَـلْ

لـم تُـغـادِرْنـا عـلـى مُـشْـتَـبَـهٍ ... فـي الـتـفـاصـيـلِ ولا طَـيِّ الـجُـمَـلْ

أيـهـا الـعـاقـلُ لا تَـخْـفَـلْ بـهـا ... سَـوفَ تَـرمِـي بـكَ مـن رأسِ جَـبَـلْ

قـد بَـلَـونـاهـا ولـكِـنْ سِـخْـرُهـا ... يُـنـزِلُ الأعْـصَـمَ مـن أعـلـى الـقُـلَلْ[2]

هـكـذا تَـخْـبِـطُـنـا فِـتْـنَـتُـهـا ... بـيـنـمـا نـأنَـسُ مِـنـهـا بـالـجَـيَـلْ

كُـلُّ مـا يَـحْـسُـنُ مـنـهـا عَـطَـبٌ ... وهـو مِـن لا شَـيءَ، فـي الـقَـدْرِ، أقَـلْ

---

(١) تلميح: صورة شعرية لافتة للمثائل في أغوارها؛ فالتماثيل التي نهذي بها، إنما هي صُوَرٌ يخلقها، في الحقيقة، سحرُ الأمل.

(٢) قِلالَةُ الجَبَل: قِمَّتُه.

أصدَقُ الأنباءِ عن خِسَّتِها ... ليسَ ما يُنقلُ عنها مُفتَعَلْ

لم تسالِمْ جاهلاً في غَيِّهِ ... لا، ولا عَالِمَها الحُرَّ الأجَلْ

كُلُّ حَيٍّ ألْسَعَتهُ جِمَّةٌ[1] ... أعْيَت الرَّاقِيَ فيها والحِيَلْ

رَقَمَتْ آياتِها في عِبَرٍ ... بقرُونٍ طَحَنَتهُم وَدُوَلْ

لا تُبالي بكَ في بَطْشَتِها ... كنتَ رَبَّ التاجِ أو كنتَ خَوَلْ

يا رجالَ العِلمِ أوْدَى قُطْبُكُم ... بَلْ جَميعُ العِلمِ أوْدَى والعَمَلْ

فَتكَتْ بالسَّالِمِيِّ المُرتضى ... غَارةٌ شَعْواءُ ما عَنها حِوَلْ

فتكَةٌ أورَثَتِ الأرضَ البُكا ... والسَّمواتِ وما فيها اسْتَقَلْ

فتكَةٌ لم يَخْمِ منها جَيشَهُ[2] ... لا، ولا دَافعَها وقعُ الأسَلْ[3]

عَجَباً من نَعشِهِ تحمِلُهُ ... فِتيَةٌ وهو على الكَونِ اشْتَمَلْ

جَمَعَ العالَمَ في حَيزُومِهِ ... أتُرى العالَمُ في القبرِ نزلْ؟

يا وَلِيَّ اللهِ إذ وَدَّعْتنا ... فمَن الآنَ عليهِ المُتَّكَلْ

مَن يَحِلُّ المُشكلاتِ المُرتجى ... حيثُ لا يَنفعُ من دَقَّ وَجَلْ

مَن يُجَلِّي ظُلَمَ الجَهلِ ومَن ... يَنصُرُ الدِّينَ اضْطِلاعاً للجَلَلْ

مَن يَهُدُّ الخَطبَ من فَوْرَتِهِ ... مَن يُقيمُ الوزنَ من يَشفِي العِلَلْ

مَن يقودُ الأرْعَنَ الجرَّارَ في ... نُصْرَةِ اللهِ على عَزمِ الرُّسُلْ

مَن يُديرُ الحَربَ عَنْ رَأيٍ لَهُ ... سِعَةُ البَحرِ إذا ضَاقَ المَحَلْ

مَن على المَعروفِ وَقْفٌ نَفسُهُ ... وبهِ النُّكْرُ تَولَّى واضْمَحَلْ

مَن لِبَذلِ العَدلِ والإحسانِ مَن ... يَحمِلُ الكَلَّ[4] ومَن يُعطِي النَّفَلْ

كُلُّها خَلَّفتها ثاكِلَةٌ ... يا عَمِيدَ الدِّينِ تبكي من كَفَلْ

---

(١) جِمَّة: سُمّ.

(٢) وقد يُقرأ صَدرُ هذا البيت كالتالي: فتكَةٌ لم يُخمَ منها جَيشُهُ.

(٣) الأسَل: الرُّمح.

(٤) الكَلّ: الضعيف | النَّفَل: الصَّدَقة.

قُمتَ لله بأمرٍ عَجزَتْ ... هِمَمُ الأبطالِ عنهُ فاستقلْ

فأتتْ مُعجِزَةٌ خارِقةٌ ... جَدَّهَا الرُّعبُ وأنواعُ الفشلْ

فدَعَاكَ اللهُ مِنهُ دَعْوةً ... ليكافيكَ على هذا العَملْ

قمتَ في خِدمَتِهِ مُحتسِباً ... آخذاً بالحَقِّ في أيِّ مَحَلْ

دَرَجاتُ الخُلدِ قد بُلِّغتَها ... وسِماتُ المَجْدِ في الدَّهْرِ مَثَلْ

غيرَ أنّا في زمانٍ حَالِكٍ ... ضَلَّ فيهِ أغلَبُ الناسِ وَزَلْ

كُنتَ فيهِ الشمسَ نوراً وهُدى ... وارتفاعاً وانتفاعاً بَلْ أجَلْ

كنتَ فيه خَلفاً للمُصطفى ... خَيرِ من قادَ إلى الحَقِّ ودَلْ

كنتَ للناسِ ربيعاً وحَيا ... كنتَ للأكوانِ غَوثاً وبَدَلْ

مُجهِداً للنفسِ في نشرِ الهُدى ... خَيرَ مَن وَفَّى وأندَى مَن بَذلْ

صَابراً في مَنشَطٍ أو مَكْرَهٍ ... ثابتَ العَزمِ شديدَ المُكْتَهَلْ

أخمَسَ الصَّفحَةِ مَرْهوبَ السُّطى ... باهِرَ العزمَةِ مأمونَ الزَّلَلْ

شاسِعَ النظرَةِ لا يَقصِرُها ... زُخرُفُ الدنيا وَجَاهٌ وَخَوَلْ[1]

راجحَ الإيمانِ مَعصُومَ الخُطى ... قولُهُ الفصلُ، وإنْ قالَ فَعَلْ

سائراً بالجِدِّ حتى نِلْتَهُ ... «كُلُّ مَن سَارَ على الدَّربِ وَصَلْ»[2]

في سَبيلِ اللهِ أنفقتَ العَنا ... في مُرادِ اللهِ أنفقتَ العَمَلْ

في سبيلِ اللهِ لم تحفلْ بها ... أَسُقِيتَ الصَّابَ أو كأسَ العَسَلْ

في سَبيلِ اللهِ تدعو جَاهداً ... لتُقِيمَ القِسْطَ أو تلقى الأجَلْ

في سَبيلِ اللهِ أجهَدْتَ القُوى ... لم تَجِدْ إنْ جَدَّ خَطبٌ أو هَزَلْ

رافعاً ألويَةَ العِلمِ إلى ... أن دَنا كِيوانُ عَنها وَزُحَلْ

ونَصَرتَ اللهَ حتى أنَّهُ ... لكَ من أهلِ السَّمَا الجُندُ نَزَلْ

---

(١) الخَوَل: عطية الله من النعَم والعبيد والإماء وسواهم من الاتباع والحَشَم.

(٢) تضمين من لامية ابن الوَرْدي: لا تَقلْ قد ذَهبَتْ أربَابُهُ | كُلُّ من سَارَ على الدَّرب وَصَلْ.

ولقد يَجْدُرُ من أهل السَّما ... نُصْرَةُ القائمِ في خَيرِ النِّحَلْ
تلك بَدْرٌ نزلوها مَدَداً ... وعلى بَدرٍ قياسٌ يُختَعَلْ
هُمْ وجبريلُ على حَيزُومِهِ ... بالتسابيحِ لهُم فيها زَجَلْ
نصَروا الله بجيشِ المُصطفى ... فانثنى بالخِزيِ أشياعُ هُبَلْ
وفُتوحاتُكَ سِرٌّ مُدهِشٌ ... ظهَرَتْ فيها الكراماتُ الأُوَلْ
يا وليَّ الله إنِّي نادِبٌ ... لكَ ما دار بُكُورٌ وَطَفَلْ
طالما أمَّلتُ أن يَجمَعني ... بكَ هذا الدَّهرُ فانسَدَّ الأمَلْ
لهفَ نفسي مَا الذي أقْعَدَني ... عَنكُمُ غيرُ الذي أعْيا الحِيَلْ
كُلَّما أزمَعتُ ترحالًا قَضَى ... ليَ بالتَّثبيطِ دَهرٌ مُهْتَبَلْ
وإلى أينَ ارتحالي بَعدَما ... أظلمَ الجَوُّ وأوْحَشْتَ الطَّلَلْ
كنتُ أرجو نظرةً في حالتي ... مِنكَ، فالآنَ رَجائي مُعتقَلْ
كنتُ في قيدٍ شديدٍ حَلُّهُ ... ضُوعِفَ اليوم بغِلٍّ وَكَبَلْ
يا أبا شَيْبَةَ[1] مَن أرْجُو لها ... حَسْبيَ اللهُ إذا عَزَّ وجَلْ
يا أبا شَيبةَ عَزَّ المُلتقى ... وقَطِينُ الرَّمْسِ مَقطوعُ النَّقَلْ
يا أبا شَيبةَ عَزَّتْ حِيلَةٌ ... عن دفاعِ الموتِ أو وَصْلِ الأجَلْ

---

(١) أبا شيْبَة: العَرْنيّ، نور الدين السالمي ـ وشَيبَة لقبُ ابنه مُحَمَّد الذي عاد إلى عُمان مُتصَف السبعينيات ليقيم في المُنترب بولاية بدية حيث أسّسَ مجلس علم وفقه ومكتبة ما زالت قائمة حتى اليوم، وبها أمهات الكتب والمخطوطات، ومنها مخطوطة ديوانٌ أبي مُسْلِم البهلاني، وهو مؤلف «نهضة الأعيان بحُريّةِ أهلِ عُمان» الذي أتمّ فيه إكمال تاريخ عُمان الذي بدأهُ والده نور الدين السالمي في: «تُحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان». تلميح: من الطريف، هنا، ذكرُ ما أورده د. حسين عبيد غباش في كتابه الهام: «عُمان: الديمقراطية الإسلامية؛ تقاليد الإمامة والتاريخ السياسي الحديث»؛ حيثُ يذكر علاقة السُّلطان فيصل بن تركي ونور الدين السالمي قائلًا: «لم يكن السلطان الشاب [يقصد فيصل بن تركي] الذي تولى الحُكم في الرابعة والعشرين من عمره يرمي إلى بناء سلطنة مستقلة فقط، بل كان مُتأثراً أيضاً، إلى درجة معينة، بالنموذج الإباضي للدولة الإسلامية: الإمامة. ولذلك أعطى نفسه لقب إمام بدل لقب سلطان. وكلّفَ العالِم نور الدين عبدالله السالمي، بكتابة تاريخ عُمان المعروف بـ «تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان».

لو فرَضْنا أن مَيْتاً يُفتدى ... لَغدَتْ رُوحِيَ أدنى مُبتَذَلْ
غيرَ أنَّ الخَلْقَ فيهِ أُسْوَةٌ ... أجَلٌ يأتي على إثرِ أجَلْ
تقتضي المَوتَ حَياةٌ حُدِّدَتْ ... ولو اسْتَعْلَتْ على بُرجِ الحَمَلْ
يا فقيدَ الفضلِ عندي أسَفٌ ... سَلْ عَنِ النارِ وعَنهُ لا تَسَلْ
ذهبَ الصَّبرُ ولو حَاوَلْتُهُ ... وجَميلُ الصَّبرِ أحْرى بالرَّجُلْ
ما نَعاكَ الكَونُ حتى نُعِيتْ ... غضبةُ الإسلامِ والكُفرُ بَجَلْ
ما حَميدُ العَيشِ مِن بَعدكَ في ... هذه الدنيا وما مَعنى الجَذَلْ
والبُكاءُ المُرُّ لا يشفي الجَوَى ... لو طَفِقتُ الدَّهرَ أستَعْرِي المُقَلْ
كُلُّ فَقدٍ دَخلَتْ فيهِ عَسَى ... وهيَ في المَوتِ مُحَالٌ كلَعَلْ
ما فقدناكَ هُماماً مُفرَداً ... بل فقدنا الخَيرَ في كُلِّ مَحَلْ
ما فقدناكَ وعِرفانُكَ في ... صَفحَاتِ الكَونِ ضَوءٌ يَشتَعِلْ
إنَّ رَبَّ العِلمِ حَيٌّ خالِدٌ ... ولو أنَّ الذاتَ بالمَوتِ انْتَقَلْ
ما تَركتَ الكَوْنَ حتى تَرَكَتْ ... حُطَّةُ الحَمدِ لكَ الحَمْدَ الجَلَلْ
سَيِّدَ العِرفانِ دَهْرِي مَأتَمٌ ... فيكَ، ما أشرَقَ نَجْمٌ أو أفَلْ
أخْرَسَ الهَولُ لساني في الرِّثا ... ولساني حَدُّهُ يَفرِي الجَبَلْ
ما هَنِئتُ العَيشَ مُذ فارَقْتُهُ ... وهنيئاً لكَ عَيشاً لا يُثَلْ
ما هناءُ المُؤمِنِ الحَقِّ على ... صَدْعَةِ الدينِ وما بَزْدُ الغُلَلْ
أنا لا أعلَمُ رُزْءاً فادحاً ... كمُصابِ الدِّينِ أو نقصِ الكُمَلْ
يُرفعُ العِلمُ برفعِ العُلَما ... وارتفاعُ العِلمِ مُلْكٌ وخَبَلْ
يا رَمَى اللهُ يَدَ المَوتِ على ... أخْذِ عَبدِ اللهِ رَمْياً بالشَّلَلْ
وَيْلَتاهُ استأثرَ اللهُ بِهِ ... وبَقِي العِلمُ على ظَهرِ أزَلْ
أكرَمَ اللهُ بهِ أمَّتَنا ... بُرْهَةً ثم دَعاهُ فرَحَلْ
يا لها من رِحْلَةٍ ما تَرَكَتْ ... خلفها مِن كَرَمٍ إلّا انْتَقَلْ
يا لها من رِحْلَةٍ صَكَّتْ بها ... غُرْبَةُ الإسلامِ في أزكى مَحَلْ

أمَّةَ الخَيرِ لَكُم حُسْنُ العَزا ... إنها داهِيَةٌ أُمُّ الغِيَلْ
بعدَ عَبدِالله يَبقى أمَلٌ ... للهُدى هيهاتَ قد شَطَّ الأمَلْ
خَلِّها يا ابْنَ حُمَيدٍ تلتوي ... فِتنةٌ عَمياءُ كاللَيلِ المُضِلْ
ليسَ يُغنِي عنكَ فيها أحَدٌ ... طُمِسَتْ، إذْ ذَهَبَ النُّورُ، السُّبُلْ
وهَنِيئاً لكَ بالفِردَوسِ في ... جِيرَةِ الله على خَيرِ نُزُلْ
إنَّ عاماً نَابَكَ الحَتفُ بِهِ ... عامُ سُوءٍ وبَلاءٍ وَوَجَلْ
فأتى تاريخُهُ بِحزنٍ ... نَكِّسِي الأعلامَ يا خَيرَ المِلَلْ[1]

(١) شاهد التأريخ في القصيدة وفقاً لحساب الجُمل، هو: «بحزن نكسي الأعلام يا خير المِلل»، وعليه فقد أرّخت كتابة القصيدة: سنة ١٣٣٢هـ، أي: ١٩١٤م.

رثاء الشيخ العَلّامة أحمد بن سعيد(*)

بَصائرُنا في القضا خامِدَهْ ... وكُلٌّ قَضِيَّتُهُ واجِدَهْ
فَفِيمَ التَّصَوُّرُ تحت العَمى ... وفيم الدَّعاوِي ولا شَاهِدَه
رَأيتُ التقصِّي بآرائِنا ... بِحَتمِ القَضا فُضْلَةً زائِدَه
ولو فازَ رَأيٌ بمَوْهُوبَةٍ ... فأُمُّ القَضاءِ لَهُ وَالِدَه
وكُلُّ الوُجُودِ ببَحْرِ الشُّؤونِ ... حَقيقَتُهُ نُقْطَةٌ رَاكِدَه
وخَبطُكَ بالرَّأيِ تَحتَ القَضا ... ذُهُولٌ وعُجْرَفَةٌ بارِدَه
وما وَهَبَ اللهُ مِن مُكْنَةٍ ... فتلكَ مُحَرِّكَةٌ جامِدَه
وإنْ كَشفَ الرَّأيُ مَحْجُوبَةً ... فتلكَ، برِفْقِ القضا، وارِدَه
فسَلِّمْ إلى الله أفعَالَهُ ... لتجري الأمُورُ على القاعِدَه
فمَا لكَ حَولٌ يَرُدُّ القضا ... وذائِدَةُ العَجزِ كالقائِدَه
وما لكَ في الأمرِ مِن شِرْكَةٍ ... تأدَّبْ.. ولا ذرَّةٍ واجِدَه
تُلاقِي القضاءَ بغيرِ الرِّضا ... وأنتَ على قُدْرَةٍ نافِدَه
إذا دَبَّرَ اللهُ أمراً جَرى ... برغمِ تدابيرنا الفاسِدَه
أتُنهِضُ رَأيَكَ ضِدَّ القَضا ... فأوْهِنْ بها نَهْضَةً قاعِدَه

(*) قيلت هذه القصيدة في رثاء صديق طفولته وزميله في الدراسة الشيخ أحمد بن سعيد بن خلفان الخليلي (المتوفي في ١٣٢٤هـ-١٩٠٦م)، وهو ذاته الصديق الصدوق المشار إليه في «النونية»: أرتاحُ فيها إلى خلٍّ فيبهرني | صِدقٌ وقصدٌ ومعروفٌ وإحسانُ.

وفِكْرُكَ في قَدَرٍ فائِتٍ ... وفي مُقْبِلٍ رُتبَةٌ واحِدَه

وأفكارُنا وسِياساتُنا ... وتَدبيرُنا شَرَرٌ خامِدَه

وجِدُّ النفوسِ وكُلُّ القوى ... إلى نِسْبَةٍ فوقها عائِدَه

وإن كانَ لا بُدَّ مِن فِكْرَةٍ ... ففي هذه البُرْهَةِ البائِدَه

وفي النَّشْأتَيْنِ وعُقباهُما ... وصادِرَةِ المَوتِ والوارِدَه

أما تَرْعَوي في مَراعِي الغُرُورِ ... وصائِدَةُ المُنتهى راصِدَه

تعيشُ بها بينَ مَفقودَةٍ ... وراقبَةٍ حَتفَها فاقِدَه

نَهُشُّ إلى زخْرُفٍ مُنْقَضٍ ... ونَغرِضُ عن دارِنا الآبِدَه

ونَنسَى المَنايا وقد أنفذَتْ ... مَقاتِلَنا الأسْهُمُ الصَّارِدَه[1]

نَروحُ ونغدو على مَأمَنٍ ... وآسادُ آجالِنا حارِدَه

نُنازِعُ أيّامَنا صَفوَها ... وما للصَّفاءِ بها واجِدَه

ونأمَنُ فيها هُجومَ الرَّدَى ... وليسَ لِهَجْمَتِهِ جاحِدَه

وتَنعِي الجَنائِزُ أزْواحَنا ... ودَمْعَةُ أعْيُنِنا جامِدَه

تُثيرُ السَّوافي علينا الثَّرى ... وذاكَ السَّفا الأعْظُمُ الهامِدَه

ثوى الأصْلُ والفرْعُ في بطنِها ... وقد بقيَتْ نَوبَةٌ واحِدَه

وهَيهاتَ قد بادَرَتْ زَرْعَها ... ومَدَّتْ مَناجِلَها الحاصِدَه

عَلامَ التَّهافُتُ في حَائِلٍ ... وقد عَلِقَ القيدُ بالآبِدَه

سَيَعْلو البَلاءُ إلى الفَرْقَدَيْـ ... ـنِ يَنْتَهِبُ الصُّحْبَةَ الخالِدَه

ويَصْدَعُ في قُبَّةِ الشمسِ مِن ... غَوائِلِهِ صَدْعَةٌ صاعِدَه

وتُبْلي الجَدِيدَيْنِ[2] مَقدُورَةٌ ... مِن الخَطْبِ بارِقَةٌ راعِدَه

---

(١) الصاردة: أصْرَدَ السَّهم: لم يُصِبْ. والصاردة، تعني أيضاً الرِّيح الباردة، وهو تعبير فصيح مُستخدم في الدَّارج العُماني.

(٢) الجديدان: الليل والنهار.

ويُـذْهِـي الـوَدِيـعَ بـنَـعْـمـائِهِ ... زَوَالُ مَـعِـيـشَـتِـهِ الـرَّاغِـدَه

كـأنَّ الـرَّدَى حَـاسِـدٌ لـلمَـعَـا ... شِ، وحتى على شَـظَـفِ الـهَـابِـدَه

إلـى أيـنَ يَـسْـمُـو عُـلـوُّ الـبِـنَـا ... وقَـرْحُ الـمَـعَـاوِلِ بـالـقـاعِـدَه[1]

تَـرَفَّـقْ بِـطِـيـنَـةِ هـذا الـبِـنَـا ... فـهَـاتِـيـكَ أجْـسَـامُـنـا الـهَـامِـدَه

نُـشـاهِـدُ تَـفْـتِـيـتَ أجْـسَـامِـنـا ... ولـيـسَ لأرْواحِـنـا شـاهِـدَه

ولـكـنـهـا حُـبِـسَـتْ فـي الـعَـمَـى ... وسَـوفَ تَـعُـودُ لـهـا عَـائِدَه

مَـتـى يَـنْـزَعُ الـمَـوتُ عَـن فَـتْـكِـهِ ... فـتـبـقـى لـمَـولُـودِهـا الـوالِدَه

يَـحُـزُّ الـحَـيـاةَ شَـبـاً قـارِظٌ ... ولـم تَـنْـتَـبِـهْ هـذه الـرَّاقِـدَه

وإنَّ حَـيـاةً إلـى مُـنـتـهـى ... خَـيـالٌ يَـجُـولُ بـلا فـائِدَه

حَـظِـيـرَةُ مُـفْـتَـقِـدٍ مـا بـهـا ... هَـنـاءٌ سِـوى صَـرْخَـةِ الـفـاقِـدَه

وتَـفْـتَـأُ تَـعْـقِـدُ آمَـالَـنـا ... ويَـنْـجَـلُ مـا تَـعْـقِـدُ الـعَـاقِـدَه

يُـصَـالُ عـلى صَـيْـحَـةِ الـمُـعْـتَـدِي ... فَـتَـنْـشَـبُ بـيـنَ الـلُّـهَـا الـزَّارِدَه

يَـلُـمُّ الـسَّـوابِـغَ سُـرَّادُهـا ... فَـتُـفْـرِجُـهـا الـطَّـعـنـةُ الـسَّـارِدَه

ويَـفْـرِي الـمُـدَجَّجَ حَـدُّ الـرَّدى ... فـمـا تَـدْفَـعُ الـشَّـكَّـةُ الـهَـامِـدَه

ومـا يَـحْـفِـزُ الـدَّهـرُ إلّا الـبِـلا ... وإن أسْـجَـحَـتْ يَـدُهُ الآبِـدَه

مُـمِـضٌّ فـمـا تَـنـقـضِـي لَـيْـلَـةٌ ... ولـم تَـكُـنِ الـلـيـلَـةَ الـعَـامِـدَه

لـيَـالـيـهِ كـالـسُّـفْـنِ مَـيَّـادَةٌ ... بَـبَـلْـواهُ غَـامِـدَةٌ آمِـدَه

دَهَـتْ ذاتُ رَوْقَـيْـنِ مِـن خـطـبَـةٍ ... بـمَـوْئِدِ مُـقـصِـدَةٍ قـاصِـدَه

فـكَـرَّتْ ولا رأي فـي رَدِّهـا ... ولا فـاتـهـا مَـهْـرَبُ الـشـارِدَه

أتَـتْ لا يُـؤَبِّـسُـهـا قـارصٌ ... ولا تَـتَّـقِـي الأبْـرُجَ الـمَـارِدَه

تَـؤُزُّ الـصَّـيـاخِـيـدَ أهْـوَالُـهـا ... فـمـا بـالُ أكـبـادِنـا الـكـابِـدَه[2]

---

(١) **ملحوظة:** تتكرر في شعر أبي مُسلم هذه الصورة الشعرية (المُستمرة في البيتين التاليين لهذا البيت) بتلوينات مختلفة، حتى لا يكاد يخلو منها غرض من الأغراض.

(٢) الصَّياخيد: شدة الحَرّ والهَجير؛ وتعني أيضاً: الصخور الصلبة التي لا تعمل فيها المعاول.

فما استنزَفَتْ من دِماء القلو ... بِ كما استنزَفَتْ مِن أسَى الواجِدَه

ولا امْتَرَسَتْ لسَماءِ العُلو ... مِ حتى تَدَكْدَكَتِ العَماهِدَه

لها أجْهَشَتْ بالبُكاءِ السَّما ... تُناوِحُ أجْفانَنا السَّاهِدَه

رَزِينَةُ دَهْرٍ فُجِعْنا بها ... لأفْظَعُ مُفجِعَةٍ حاشِدَه

نَحَتْ مُسْتَقَرَّ النَّدى والهُدى ... فَدَكَّتْهُما دَكَّةً واجِدَه

فهلْ صَادَفَ الدَّهرُ ثأراً بها ... ودَاوَى بها عِلَّةً عَامِدَه

تَحَزَّمَتِ المَجْدَ في غارَةٍ ... شَناخِيبُ رَضْوى بها مَائِدَه

أغارَتْ شَعُوبُ على خَيْرِنا ... وكانت لِمِيقاتِها راصِدَه[1]

رُزِئْنا المُرَزَّءَ طَوْدَ العُلا ... أبا صَالِحٍ عَيْلَمُ الوارِدَه

رُزِئْناهُ غَيْثاً يَعُمُّ المَلا ... وقد أعْدَمَتْ غَيْثَها الرَّائِدَه

تَخَطَّفَ أحْمَدَ رَيْبُ الرَّدى ... فيا حَرَبَ الحَمْدِ والحَامِدَه

حَمَدْنا الزَّمانَ به بُرْهَةً ... فصَالَتْ عليها يَدٌ صَائِدَه

فما أسْوَأ العَيْشَ مِن بَعدِهِ ... وما أصْغَرَ الثَّوْبَ الوافِدَه

فيا لحَياةٍ قَضَتْ نَحْبَها ... وكُلُّ حَياةِ امْرِىءٍ نَافِدَه

حَياةُ القُلوبِ بتلك الحَيا ... ةِ وإصْلاحُ أنْفُسِنا الفاسِدَه

يَضِنُّ بها الكَونُ في حِجْرِهِ ... فصَارَتْ إلى جَدَثٍ خامِدَه

ويَومُ الضَّنينِ كَيَومِ المَهِ ... ينِ وفي المُنتهى تقِفُ القاصِدَه

وما بَيْدُ أحْمَدَ بَيْدَ امْرِىءٍ ... ولكِنْ نُفوسُ الوَرى بَائِدَه

لقد كانَ يَرْجَحُ مِيزانُهُ ... وذاتُ الكَمالِ به شاهِدَه

يُجَلَّى بأبْلَجَ ذي فَرْجَةٍ ... مِنَ العِلمِ مُشْكِلَةً عَانِدَه

شِدَادُ العَوارِضِ آراؤهُ ... إذا اعْتَزَمَتْ خُطَّةٌ ناهِدَه

فيا للمَعارِفِ حُسْنَ العَزا ... لقد أصْبَحَتْ سُوقُها راكِدَه

---

(١) شَعُوب: اسم علم على المَنِيَّة.

لـقـد كـانَ نَـيِّـرَ أفـلاكِـهـا ... فَـخَـرَّ إلـى حُـفْـرَةٍ رامِـدَه
فـواحَـرَبَـا لـصُـرُوفِ الـقَـضَـا ... لـقـد طَـعَـنَـتْ طَـعْـنَـةً عَـامِـدَه
ومـا مِـن صُـرُوفِ الـقَـضَـا واثِلٌ ... ومـا لـصُـرُوفِ الـقـضـا كـارِدَه
ولا بُـدَّ مـن نَـهْـشِ صِـلِّ الـرَّدى ... ومـا لـلـرُّقـى عِـنـدَهُ فـائِدَه
وكـيـف نَـضِـنُّ بـأرْواحِـنـا ... وتـلكَ غَـنِـيـمَـتُـهُ الـبـارِدَه
فـيـا لَهْـفَ نـفـسِـي عـلى أحْـمَـدٍ ... إذا نَـفـعَـتْ لَهْـفـةُ الـفـاقِـدَه
سَـلَوْتُ الـسُّـلُوَّ ورُشْـدَ الأسَـى ... وأحْـمَـدُ أنـفـاسُـهُ خـامِـدَه
لـقـد زَهِـدَتْ نـفـسُـهُ فـي الـوُجُـو ... دِ فـهـل لـلحـيـاةِ مَـعـاً زاهِـدَه
تَـعَـبَّـدَ حَـتـى أتـاهُ الـيَـقـ ... ـيـنُ فـذابـتْ لـهُ الأنـفُـسُ الـعَـابِـدَه
تـحَـالَـفَـتِ الأرْضُ فـي عُـمْـرِهِ ... وآرَابِـهِ الـزُّهُـرِ الـسَّـاجِـدَه
فـلـيـتَ حَـلِـيـفَـةَ آرَابِـهِ ... وَقَـشْـهُ بِـلَـى الـتُّـرْبَـةِ الـرَّامِـدَه
لـقـد دُهِـشَ الـكَـونُ لـمـا ثـوى ... فـمـا وَجَـدَتْ رُشْـدَهـا الـرَّاشِـدَه
وَزُلْزِلَـتْ الأرضُ زِلْزَالَـهَـا ... وضَـاقَـتْ بـأجْـزَائِهـا هَـامِـدَه
ومـا ضَـاقَـتِ الأرضُ مِـن رُزْئِهِ ... كـمـا ضَـاقَـتِ الـمِـنَـنُ الـخـالِدَه
طَـوَى الـعَـالِمِـيـنَ إلـى ذاتِـهِ ... بـطَـارِفَـةِ الـمَـجْـدِ والـتَّـالِدَه

رائعَةُ المَنُون(*)

تَـهُـدُّ الـعُـمْـرَ رَائِعَـةُ الـمَـنُـونِ ... وَحَـدُّ الـحَـيِّ إتـيـانُ الـيَـقِـيـنِ
أَلَهْـواً بـالـعُـرُورِ ولا نُـبَـالِي ... ونُـؤْخَـذُ بـالـشِّـمَـالِ وبـالـيَـمِـيـنِ
ألا جَـزَعٌ لِقـاصِـفـةٍ وأخـرى ... تَـلِـيـهـا لـلـمُـبـايِـنِ والـقَـرِيـنِ
ونَـرْكَـنُ والـمَـهَـالِكُ عَـاصِـفـاتٌ ... إلـى تَـغْـرِيـرِ كـاذِبَـةٍ خَـؤُونِ
عـلـى أنَّ الـحَـيـاةَ لـهـا حُـدُودٌ ... سَـنَـقْـطَـعُـهـا عـلـى رغـمِ الـرُّكُـونِ
ألـيـسَ عـلـى الـغَـبـاوَةِ ذو هَـنـاءٍ ... وظُـفْـرُ الـحَـتـفِ يَـفـرِي فـي الـوَتِـيـنِ[1]
يَـمُـرُّ الـقـارِظـانِ[2] ونَـحْـنُ نَـدرِي ... بـأنَّ مَـسِـيـرَنـا نَـحـوَ الـكَـمِـيـنِ
ولـو أنَّ الـكَـمِـيـنَ عـلـى خَـفـاءٍ ... ولـكِـنْ بَـطْـشُـهُ رَأيُ الـعُـيـونِ
يُـثَـبِّـطُـنـا مـن الآمـالِ وَهْـمٌ ... ويُـجْـلِـي الـوَهْـمُ بـالـحَـقِّ الـمُـبِـيـنِ
ودُونَ مَـدَارِكِ الآمـالِ رَصْـدٌ ... مِـنَ الآجَـالِ مُـنـقـطِـعُ الـظُّـنـونِ
تَـمُـرُّ بـنـا جَـنـائِـزُنـا بِـطَـانـاً ... حَـوَاصِـلُـهـا تُـزَفُّ إلـى الـوُكُـونِ[3]

(*) العنوانُ من اختيارنا، ـ والقصيدة قيلت في رثاء الشيخ العلامة سالم بن أحمد الرّيامي قاضي الجزيرة الخضراء بيمبا Pemba من أعمال زنجبار (المتوفى سنة ١٩١٨م). وقد كان المرثيّ من أخلص أصدقاء الشاعر، وقد ناداه في القصيدة بكنيته (أبوالوضاح) تحبباً وتدليلًا على قوة الوشيجة التي ربطتهما.

(١) الوَتِين: عِرْقٌ إذا انقطع انقطَعَتْ حياةُ المرء.

(٢) القارِظان: الليل والنهار؛ لأنهما يَقرُظان العُمر.

(٣) تلميح: بيت آخر لافت للتأمُّل؛ حيث تمرُّ جنائزنا بنا وهي بِطان الحَواصِل وقد زُفَّت كالطيور إلى أعشاشها الأبدية؛ أي قبورها، المُكنى عنها بالوكن.

وتغدو في مَراعِيها خِماصاً ... ألا عمداً مِنَ الخَمِصِ البَطِينِ
لقد ظَعَنَ الأحِبَّةُ واغْتبَطْنا ... بما تَرَكُوهُ غِبطَةَ ذي جُنونِ
ونَحنُ نَرَى الحُداةَ بنا أَلَحَّتْ ... تُطَوِّحُنا بعَزْماتٍ شَطُونِ
نُقَضِّي ما قَضَوهُ وعن قليلٍ ... نَصِيرُ لدى مَناخاتِ الظُّعُونِ
وهل نَقْضِي سِوى عَيشٍ قَصِيرٍ ... أَجَبِّ الظَّهْرِ مَقْبُوبِ الوَضِينِ[1]
نُمَنِّي نُسْخَةً قُبِضَتْ عليهِ ... على غصَصٍ كأوقاتِ السَّجينِ
وعَيشٍ حَشْوُهُ كَدَرٌ وسُوءٌ ... يَلَذُّ على مُداهَنَةِ الضَّنينِ
وإلّا فالحقيقةُ كُلُّ بَالٍ ... نَصيبُكَ مِنهُ زادُكَ لليَقينِ
تَزَوَّدْ منه للعُقبى ودَعْهُ ... فليسَ الشأنُ في الفاني المَهِينِ
وطَلِّقْ هذه الدنيا بَتاتاً ... طَلاقَكَ لا أَلِيكِ ولا تَلِيني
عَرَفتُكِ حَيَّةً لِيناً وسُوءاً ... «دَعِيني منك يا دُنيا دَعِيني»
خَدَعْتِ بَنِيكِ ثم فتكْتِ فيهِم ... «وإنَّكِ لا مَحالَةَ تَخْدَعِيني»
يُرَوِّعُني ابتسامُكِ فوق مَكْرٍ ... كذاكَ السَّيفُ بَرَّاقُ المُتُونِ
أَبَنْتِ مَحاسناً زانَتْ فَشَاهَتْ ... فبِينِي أيُّها الشَّوهاءُ بِيني
هَبَلْتُكِ يا غَدُورُ خُذِي طَرِيقاً ... فإنِّي آخِذٌ ذاتَ اليَمِينِ
تَرَكْتُكِ مَزْجَرَ الكَلْبِ المُضَرَّى ... سِوى ما كانَ مِنكِ لأمرِ دِيني
بَلَوْتُكِ يا مُخَبَّئَةَ الدَّواهي ... فكُنتِ السُّم في الماء المَعِينِ
وحَسْبُكِ يا فَجَارُ مِنَ المَساوي ... رَحَاكِ المُستديرَةُ في القُرُونِ[2]
أرِيني أينَ هُم فلَدَيكِ خُبرٌ ... جُهَيْنَةُ خَبِّرينا باليَقينِ
دَعِي التَّدْلِيسَ إنَّ القومَ صَاروا ... طَحِيناً يا مُبَدِّدَةَ الطَّحِينِ
فَغُرِّي يا خَبَاثُ بَنِي العَمَايا ... وكُفِّي عن خِداعِ المُستبينِ[3]

---

(١) أَجَبّ الظَّهْر: مقطوع السَّنام | مَقبُوب الوَضِين: ضامِر البطن.
(٢) فجّار: هي الدنيا.
(٣) خباث: أيضاً، هي الدنيا.

أسِلْمَكِ أبْتغي؟ والفَتْكُ جَارٍ ... ونَحنُ لَدَيكِ في حَرْبٍ زَبُونِ
دِهَانُكِ ما تَشَعَّثَ ليسَ يُجْدِي ... لأنَّ القصدَ حُلْقُومُ الدَّهِينِ
«حَبَسْتِ الكَأسَ عنا أمَّ عَمْرٍو»[1] ... وأعيني كأسَ بِرْكِ في يَمِينِي
فما أُغْنِي فُجُورَكِ أمَّ عَمْرٍو ... وقد خالفتِ خالصَةِ الأمِينِ
زَبَنْتُكِ لا أَبُوءُ إليكِ رَغْباً ... مَقامَ الذِّئبِ كالرَّجُلِ اللعينِ
صَحِبْتِ الناسَ صُحْبَةَ غيرِ صِدْقٍ ... وعَاشوا مِنكِ في دَاءٍ دَفِينِ
لَحَنْتِ إليَّ لَحْنَكِ فاصْرِفِيهِ ... وكُلُّ الشَّرِّ في تلكَ اللحُونِ
عَرَفتكِ بالخِلابَةِ منذ عَهدِي ... بسَهْلِكِ أنهُ صَعبُ الحُزُونِ
أَرِينِي أينَ أصْحَابي وأهلي ... ومَن عَمَرُوكِ أحْقاباً أَرِينِي
ألَمْ تُنْزِلْهُمُ نُوَبُ المَنايا ... عَنِ الظَّهْرِ المُوَطَّأ للبُطونِ
كأنَّ حَيائَهُم لما تَقَضَّتْ ... خَيالٌ طافَ في نومِ العُيونِ
وأنتِ على الطَّريقةِ لَنْ تُبالي ... بمَنْ تَفْنِينَ حِيناً بعد حِينِ
أبَعْدَ السَّادَةِ الأطهارِ بِشْرٌ ... يُباشِرُ حَبَّةَ القلبِ الحَزِينِ
أبَعْدَ الصِّيدِ من سَرَواتِ قومي ... تَرَامَوا في القبورِ وخلَّفوني
أَلَذُّ مَعِيشَةً وسُكُونَ قلبٍ ... وهَيْهَاتَ السَّبيلُ إلى السُّكونِ[2]
أبَعْدَ الطيِّبينَ يَطيبُ أُنْسٌ ... وطيبُ القومِ في خُلُقٍ ودِينِ
أبَعْدَ تَهَدُّمِ الأكْنافِ منهُم ... تَظَلُّ الناسُ كانِفَةً بِلِينِ
أبَعْدَ أُفُولِ أقمارِ المَعالي ... أُلامُ على النِّيَاحَةِ[3] والحَنينِ
حَبِيتُ بِهِم على عِلْقٍ[4] ثَمينٍ ... فمن لي اليوم بالعِلْقِ الثمينِ

---

(١) الشطر الأوّل تضمينٌ من مُعلّقة عمرو بن كلثوم، والشطر الثاني توسيعٌ وتنويعٌ على الشطر الثاني من بيت المُعلّقة المُضمَّن: صَبَنْتِ الكأسَ عنا أمَّ عَمْرٍو | وكانَ الكأسُ مَجْرَاها اليَمينُ.

(٢) هذا البيت تتِمّة وجوابٌ على تساؤله في البيت السّابق له.

(٣) النِّياحة: العويلُ بُكاءً على الفقيد.

(٤) العِلْق: النَّفيسُ من كل شيء تتعلّقُ به القُلوب.

هُمُ ضَمِنوا بكَشْفِ الكَرْبِ عنا ... فقد أخْنَتْ شَعُوبُ على الضَّمِينِ
هُمُ كانوا لنا بلداً أميناً ... فَوَاحَرَبا على البلد الأمينِ
هُمُ كانوا السَّما سَقياً وَرَعْياً ... فأقْلَعَتِ السَّماءُ عن القَطِينِ
هُمُ كانوا رِياضاً سَابغاتٍ ... بما ترجوهُ ناضِرَةُ الغُصُونِ
طوى حَضَراتِهم إعصارُ هَلْكٍ ... سِوى الآثارِ كالوَرَقِ اللَّجِينِ[1]
رُمِيتُ بفَقدِهِم فأذودُ عنِّي ... حَريقاً ليسَ يُطفى مِن شُجُوني
لَوَاعِجُ لا يُهَدِّئُها التأسِّي ... ولا يُطْفأنَ مِن سُحِّ الشُّؤونِ
ولو رُمْحاً شُكِكْتُ به ولكنْ ... تَوارَدَتِ الأسِنَّةُ كالشُّطُونِ
فما بَرِحَتْ هُمومٌ من فؤادي ... ولم نُزِعَتْ بمُرْتَقِبٍ شَفُونِ[2]
أُكَفْكِفُ عَبرَةً في جَنْبِ أخرى ... وذلك دِينُها أبداً ودِيني
وما هذي الصُّدُورُ بثالِجَاتٍ ... على مَضَضِ الفِراقِ مِنَ الضَّنِينِ
وما في الموتِ رَافِئَةٌ لِوَهْنٍ ... ولا بُقيا على طَرْفٍ سَخِينِ
فما تُبقِي على حِصْنٍ مَشِيدٍ ... ولا تنجُو بناجِيَةٍ أَمُونِ[3]
تُصَبِّرُ هذه الألبابَ حتى ... تلاشَتْ بالتَّأوهِ والأنينِ
وما كَرَمُ العَزاءِ بمُستطيرٍ ... لهَمِّ الصَّدرِ أو هَمْلِ العُيونِ
ولكنْ حَيثُ لا طَمَعٌ لِرَدٍّ ... فحُسنُ الصَّبرِ مُرْتَبَعُ الحَزينِ
ألا يكفي المَنونَ الجَدُّ فينا ... فما أبقَتْ على حَبلٍ مَتينِ
لقد أزْمَتْ على طَوْدٍ مَكِينٍ ... فكانت نَقْلَةُ الطَّوْدِ المَكِينِ
أبيِّ الضَّيمِ مِصباحِ الدَّياجي ... كريمِ الخِيمِ وَهَّابِ المِئِينِ[4]

---

(١) الوَرَق اللَّجِين: أوراق الأشجار وقد حُبِّرَت وخُلِطت بدقيقٍ أو شعيرٍ لتغليفها الإبل - وهو، هنا، يُشبِّه آثارَهم لشدة اندثارها بذلك الخليط بعد زوالِ حَضَراتهم ومُدُنهم.

(٢) الشَّافِئُ والشَّفون: الناظرُ بمُؤخر عينه كارهاً أو ساخراً.

(٣) الأمُون: المطيّة المأمونة لا تَعثُر ولا تفتر؛ جمعها: أُمُن.

(٤) الخيم: الأصل والسجية.

عَـريـضِ الـجـاهِ مُـبـيَـضِّ الأيـادي ... رَحِـيـبِ الـصَّـدْرِ وَضَّـاحِ الـجَـبـيـنِ

مُـحـيـطِ الـعِـلمِ مِـفـصَـالِ الـقـضـايـا ... عَـمـيدِ الـفـضـلِ ذي الـشَّـرَفِ الـرَّصـيـنِ

جَـسـيـمِ الـمَـكْـرُمـاتِ لـزَاحَـتَـيْـهِ ... سَـخَـاءُ الـمُـزْنِ بـالـوَبْـلِ الـهَـتـونِ

عَـشِـيَّـةَ «سَـالِمٌ»[1] أمْـسَـى دَفـيـنـاً ... وكُـلُّ الـخَـيـرِ فـي كَـفَـنِ الـدَّفِـيـنِ

فَـدَيْـتُـكَ يـا ابـن أحْـمَـدَ قـد رُزِئْـنـا ... بـيـومِ نَـوَاكَ بـالـحِـصْـنِ الـحَـصِـيـنِ

فـلا تَـبْـعُـدْ وهَـيـهـاتَ الـتَّـدَانـي ... بـمَـنْ شَـطَّـتْ بـهِ رِيَـبُ الـمَـنـونِ

صَـحِـبْـتُـكَ أيـهـا الـدُّرُّ الـمُـصـفَّـى ... فـكـانـت صُـحْـبَـةَ الـحُـرِّ الـرَّزِيـنِ

وكـنـتَ الـرُّكْـنَ لـي إذْ عَـزَّ رُكْـنِـي ... وقَـدْ قَـدَّ الـسَّـلا رَأسَ الـجَـنـيـنِ

وكـنـتَ الـعَـوْذَ فـي خَـيـرٍ وشَـرٍّ ... نَـزِيـلُ حِـمـاكَ فـي عِـزٍّ مَـكـيـنِ

وكـنـتَ الـعَـونَ فـي يُـسْـرٍ وعُـسْـرٍ ... فَـدَيْـتُـكَ مِـنْ أخِـي ثِـقـةٍ ودِيـنِ

ودَاهِـيَـةٍ أخـو جِـقـدٍ رَمَـاهـا ... نَصَـبْـتَ لـهـا جَـبِـينَكَ عـن جَـبِـينـي[2]

وصِـرْتُ إلـيـكَ أنْـسَـبَ مـن نَـسِـيـبٍ ... وصِـرْتُ عَـلـيـكَ أكْـرَمَ مـن خَـدِيـنِ

تَـهُـونُ عـلـيـكَ نـفـسُـكَ فـي احْـتِـرَامِـي ... وأنـتَ أعَـزُّ مـن لَـيْـثِ الـعَـريـنِ

وأغْـدَاءٍ أرادوا حَـذْفَ جَـاهِـي ... كَـسَـرْتَـهُـمُ بـآلاتِ الـسُّـكُـونِ

فـلـم تَـحْـذرْ لـهُـم بَـرْقـاً ورَعْـداً ... ومـا شـأنُ الـذُّبَـابَـةِ والـطَّـنِـيـنِ

فـكـنـتَ لـيَ الـحُـسـامَ إذا اشْـرَأبُّـوا ... وكـنـتَ الـدِّرْعَ لـلـشَّـبَـواتِ[3] دُونِـي

وكـنـتَ الـحَـامِـلَ الـثِّـقْـلَ الـمُـعـابـي ... إذا رَسَـتِ الـفـوادِحُ كـالـرُّعُـونِ

خَـفـضْـتَ لـيَ الـجَـنـاحَ وكُـنـتَ رِدْءاً ... ولـم تَـخْـفِـلْ بـغَـثٍّ أو سَـمِـيـنِ

فـقـد أمْـسَـيـتَ فـي جَـدَثٍ مـريـعٍ ... وتَـضْـحَـى لـلـمُـذَعْـذِعَـةِ[4] الـحَـنـونِ

---

(١) المَرْئِي: سالم بن أحمد الرُّيامي.

(٢) **ملحوظة**: واضحٌ من هذا البيت والأبيات التي تليه أنَّ المَرْئِي؛ قاضي الجزيرة الخضراء في أفريقيا قد وقف إلى جانب الشاعر حين كِيدَت له المكائد ممَّن أرادوا «حذفَ جاهِه»، كما سيتضِح في بيتٍ لاحق.

(٣) جَمعُ شَبْوَة، وهي حَدُّ السيف.

(٤) يُقال: ذعْذعَهُم الدّهرُ وذعْذعَتْهُم النوائب - أيْ: فرَّقتهُم.

وإن ضَـريـحَـةٌ ضَـمَّـتـكَ فـازَتْ ... بـبَـحْـرٍ لـيـسَ يُـنـزَفُ بـالـعُـيـونِ
بَـقـاؤكَ لـلـمَـعـارفِ والـمَـعـالـي ... بَـقـاءُ الـبَـدرِ فـي سُـدَفِ الـدُّجُـونِ
وفَـقـدُكَ لاقـتِـرابِ الـحَـشْـرِ نَـوعٌ ... مِـنَ الأشْـرَاطِ فـي أخـرى الـقُـرُونِ
وأربـابُ الـكَـمَـالِ إذا تـوَلَّوا ... تـوَلَّى الـخـيـرُ فـي دُنـيـا ودِيـنِ
أبَـغـدَكُـمُ رجـالَ الـديـنِ يُـرْجَـى ... صَـلاحُ الأرضِ أو جَـبْـرُ الـوَهِـيـنِ
فـلا تـذهَـبْ فَـدَيـتُـكَ مـن خـلـيـلٍ ... وإنْ أبْـقَـيـتَ لـلـحَـمـدِ الـثَّـمِـيـنِ
أتـمـضـي والـزمـانُ عـلى شُـحُـوبٍ ... وكـان لـديـكَ فـي خِـصْـبٍ ولِـيـنِ
أتـمـضـي والـمَـشـاكِـلُ نـاصِـبـاتٌ ... أكـنـتَ قـد اعـتـمـدتَ عـلى ضَـمِـيـنِ
فَـلا ـ وَأبـيـكَ ـ مَـا بـالـدَّارِ خِـلٌّ ... وقـد عَـصَـفـتْ شَـعُـوبُ عـلى الـقَـطِـيـنِ
مـتـى الـلـقْـيـا أبـا الـوَضَّـاحِ بَـيـنِـي ... وبَـيـنـكَ بـعـد رِحْـلَـتِـكَ الـحَـجُـونِ
وهـيـهـاتَ الـلـقـاءُ وأنـتَ رَهْـنٌ ... لـرَمْـسٍ هَـمُّـهُ حَـبْـسُ الـرَّهِـيـنِ
لـقـد خَـلَّـفـتَ ذا قـلـبٍ طَـعِـيـنٍ ... بـفـقْـدِكَ، هَـلْ رَثَـيـتَ لـذا الـطَّـعِـيـنِ
أُجـالِدُ بـيـنَ جَـانِـبَـحَـتَـيَّ نـاراً ... يَـؤوسَـاً مِـن هُـدُوءٍ أو هُـدُونِ
ومـا جَـلَـدٌ عـلـيـكَ بـمُـسْـتَـطَـاعٍ ... ولـكـنْ بَـعـضُ رُشْـدٍ لـلـحَـزيـنِ
إذا اسْـتَـبـصَـرْتَ عـن جَـلَـدٍ وصَـبـرٍ ... تـلاشـى الـصَّـبـرُ فـي وَهَـجِ الـشُّـجُـونِ
مـتـى تـرجـو الـحَـيـاةُ رَخـاءَ بَـالٍ ... وقـد زُرِعَـتْ لـتُـحْـصَـدَ بـالـمَـنـونِ
حَـمِـيـدَ الـذِّكْـرِ هـل غـادَرْتَ نـفْـسـاً ... تُـطـيـقُ الـصَّـبـرَ أو بُـخْـلَ الـعُـيـونِ
ومـا عَـن دَعـوةِ الـرَّحـمـنِ وَاقٍ ... فَـدَيـتُـكَ، لا أقِـيـكَ ولا تَـقِـيـنِـي
ولـكِـنْ لَـوْعَـةُ الـتَّـذكـارِ شَـبَّـتْ ... فَـطَـيَّـرَتِ الـتَّـشَـبُّـثَ فـي الـرَّئِـيـنِ
وفَـرْضُ الـصَّـبـرِ مَـرْجُـوعٌ إلـيـهِ ... وحَـسْـبُ الـمَـرءِ مـن حَـبـلٍ مَـتِـيـنِ
ومـا يُـقـضَـى بـإيـجـابٍ وسَـلْـبٍ ... يكُـونُ ـ ولا مَـحِـيـصَ ـ لِمُـسْـتَـكِـيـنِ
صَـبَـرْنـا أم جَـزِعْـنـا سَـوفَ يَـجْـرِي ... قَـضَـاءُ اللهِ بـالـحَـقِّ الـيَـقِـيـنِ
أبـا الـوَضَّـاحِ هِـيـضَ جَـنـاحُ صَـبـري ... وقَـلَّـلَتِ الـرَّزِيَّـةُ مـن مُـتـونِـي
فَـبِـتُّ مـن الـهُـمـومِ عـلـى الـمَـكَـاوِي ... أُرادِفُ عَـبْـرَةً الـقَـرْبِ الـشَّـنِـيـنِ

وكيف وبَينَ أحشائي أُوَارٌ ... تُصَاعِدُهُ عَنِ الجَمْرِ الطَّبينِ

أرى «صَنْعَاءَ»[1] كاسِفةَ النَّواحِي ... وكانتْ مِنكَ زاهِرَةَ الجَبينِ

جِدَادَكِ أيُّها الثكلى مَليّاً ... ونَوْحَكِ نَوحَ وَرْقاءِ الغُصونِ

فقد أضْناكِ يا خَنساءُ[2] حُزْنٌ ... وعندي ما لديكِ فأسْعِدِيني

فما حَرمَ الصّدارُ عليك صَنْعَا ... وصَدْرُكِ قد تَفَضْفَضَ بالشُّجُونِ

فكم قَلَّدْتِ يا صَنعا البَرَايا ... صَنائِعَ مِنهُ كالدُّرِّ الكَنِينِ[3]

ومَسْجِدُكِ المُنوِّرُ إذ تَعَرَّى ... من التَّسْبيحِ والذِّكْرِ المُبينِ

بَكَى مِحْرَابُهُ القَوَّامَ فيهِ ... إذا جَالَ الكَرَى بينَ الجُفونِ

وحُقَّ لهُ البُكاءُ وقد تَرَدّى ... بأزْدِيةٍ عَقِيبَ النُّورِ جُونِ[4]

ويا أسْفارَهُ[5] نُوحِي عَليهِ ... وقَرِّي لِلبِلَى وَسْطَ الخَزينِ

«بيانَ الشَّرعِ» هل لكَ من بَيانٍ ... «بيانَ الشَّرعِ» هل لكَ من قرينِ

ويا «تمهيدَ» سَيِّدِنا الخَليلي ... تَمَهَّدْ أن تعيشَ بلا خَدِينِ

فإنَّ العَالِمَ المِقباسَ أضْحَى ... لَحِيداً بينَ أحْجارٍ وَطِينِ

لقد أضْحَتْ مَرابعُهُ يَباباً ... لنوحِ البُومِ مِن بَعدِ القَطِينِ

كأنْ لَم تَغْنَ بالأحْكامِ يوماً ... بشَرْعِ المُصطفى البَرِّ الأمِينِ

كأنْ لم تَغْنَ بالكافي المُوفِّي ... مَوازينِ النَّدَى فوق الظنونِ

أبا الوَضّاحِ إنْ لاقيتَ حَتْفاً ... فإنَّ المَرْءَ مَجْراهُ لِحِينِ

عليكَ الرَّحْمَةُ العُظمى اسْتَهَلَّتْ ... مُسَرْمَدَةً بصَيِّبها الهَتونِ

---

(١) صَنْعَاء: اسم مزرعة المرثي الشيخ سالم بن أحمد الريامي في الجزيرة الخضراء من أعمال زنجبار، وما مِن رابط بالعاصمة اليمنيّة.

(٢) يجترح الشاعرُ وَشيجة بين حُزنِ الخنساء على أخويها صَخر ومعاوية وحُزن مزرعة صنعاء على صاحبها الفقيد.

(٣) الكَنين: المَكْنون.

(٤) أزْدِيَةٌ جُون: سَوداء.

(٥) أسفارُه: كُتبُه ـ ومِنها (كما سيرد في البيتين اللاحِقين) كتاب «بيان الشَّرع» للشيخ محمد بن إبراهيم الكندي، وكتاب «تمهيد قواعد الإيمان» للشيخ سعيد بن خلفان الخليلي.

خذوا بجَميل الصَّبر(*)

خُذُوا بِجَمِيلِ الصَّبْرِ وارضَوا وسَلِّمُوا ... فإنَّ فَنَاءَ العَالَمِينَ مُحَتَّمُ
رِضاً بَقضَاءِ اللهِ إنَّ حَيَاتَنا ... على السُّخطِ مِنَّا والرِّضَا تَتَصَرَّمُ
وإن حَياةً تَقتَضِيها مَنِيَّةٌ ... رُكُونٌ إليها غَفْلَةٌ وَتَوَهُّمُ
أَلَهْواً ومَخْبوءُ المَنَايا حَبائِلٌ ... وأرواحُنا فيها وُقوعٌ وَحُوَّمُ
تَنَاهَشُنا الآجَالُ لا نَرْعَوي لها ... وتَخْبِطُنا البأسَاءُ فيها ونَنْعَمُ
سُكُوناً إليها والمَقابرُ تمْتلي ... وتَخْلُو بيوتُ الرَّاحِلينَ وتُهْدَمُ
نَمُرُّ على الأحداثِ والقومُ في الثَّرى ... هُمُوداً؛ فيا أحْبَابَنا كَيفَ أنْتُمُ؟
وهَيهاتَ ما عِندَ القَطِينِ إبانَةٌ ... سِوى أنَّهُم صَاروا عِظاماً تَهَشَّمُ
ثَوَوا لا يَمَلُّ الدُّودُ طُولَ ثَوائِهِم ... ومَلَّهُم الأهْلُونَ سَاعَةَ أسْلَمُوا
تَسَاوَى مُلُوكُ الأرضِ في مَضْجَعِ البِلَى ... وغَيْرَهُمُ؛ ما ثَمَّ أدْنى وأعْظَمُ
سَيَرْجِعُ رَبُّ التَّاجِ في الرَّمْسِ جِيفَةً ... وإن عَاشَ كِبْراً أنْفُهُ يَتَوَرَّمُ
تَبَاذَخَ مَغْبُوطاً على عَرْشِ عِزِّهِ ... وعمَّا قليلٍ سَوفَ يَغْلُوهُ مَنْسِمُ
تُطِيرُ السَّوافي الرَّائحاتُ رُفاتَهُ ... على عَرْشِهِ مِنهُ غُبارٌ مُقَتَّمُ
وما امْتازَ مَنْ أضحى رُفاتاً مُفتتاً ... مَليكٌ يُحَيَّا أو حِمَارٌ يُكَدَّمُ
أتختلبُ الأطْماعُ عُقبى كهذه؟ ... ويا رَبِّ سَلِّمْ، بَعْدَهُ الخَطْبُ أجْسَمُ

(*) العُنوان من اختيارنا ـ والقصيدة كُتبت في في رثاء الشيخ الفقيه راشد بن سليم الغيثي، وهو أحد رجالات الإصلاح في زنجبار، كما كان ملجأ لليتامى والضعفاء.

يَمُرُّ بنا رَكْبٌ ويَتلُوهُ غَيْرُهُ ... ويَسْبقُهُ رَكْبٌ وفي الأرضِ أُقْحِمُوا

تَنعَّمَ في مِيراثِهِم غيرُ كاسِبٍ ... وعَمّا قليلٍ يُقْعَصُ المُتَنعِّمُ

أيَنْسى بَنُو الدُّنيا مَصارِعَ أهْلِها ... وفي كُلِّ قلبٍ لِلمَنِيَّةِ مَيْسِمُ

بَنُونَ وآباءٌ لَدَينا أعِزَّةٌ ... نَدُسُّهُمُ في الأرضِ لا نَتَخَرَّمُ

كأنّا لِهذي الأرضِ دَيْنٌ ودَائِبُها ... غَرِيمٌ على كَثْرِ الوَفا يَتظَلَّمُ

تضَلَّعَتِ الأرْمَاسُ من أكْلِ لَحْمِنا ... وما بَرِحَتْ غَرْثى إلى اللحْمِ تَقرِمُ

وما هذه الأرواحُ إلا وَدَائِعٌ ... سيأخذها مُستَوْدِعٌ ليسَ يَظْلِمُ

وقد أنْذَرَتْنا صَرْعَةٌ بعد صَرْعَةٍ ... وَفَقْدُ أخِيرٍ قَبلَهُ مُتَقَدِّمُ

تَدَافَعُنا الآمالُ فيها كأنّنا ... هَبَاءٌ عليهِ عَاصِفُ الرِّيحِ يَحْكُمُ

ألا نرْعَوي والنَّابُ يَضرِفُ فوقنا ... فهذا على خَوفٍ وذلك يُقْصَمُ

كأنَّ المَنايا حَسْبُها مَن تَصَرَّفَتْ ... بِهِم، وكَأنَّ الظُّفْرَ مِنها مُقَلَّمُ

وليست، لعَمرُ اللهِ، عِندَ حُدُودِها ... بتاركَةٍ عَيشاً ولا يَتصَرَّمُ

تُرَى أيَّ صَفوٍ لم يُكَدِّرْهُ صَرْفُها ... وأيَّ شرابٍ لم يُمازِجْهُ عَلْقَمُ

أتُلْزِمُها البُقيا وتلكَ قَضِيَّةٌ ... على الرغم منها حُكْمُها ليسَ يَلزمُ

ونَفلَتُ مِنها والحَياةُ سَفِينَةٌ ... مُخرَّقَةُ الألواحِ بالمَوجِ تُخطَمُ

تُمَزِّقُنا الغاراتُ مِن أمِّ قَشْعَمٍ ... وما حَدَثٌ تُبقِي عليهِ وَقَشْعَمُ[1]

متى تَفرُغُ الآذانُ من صَوتِ نائحٍ ... وقَعْقَةٌ تحتَ التَّرَاقِي[2] تُهَمْهِمُ

ويَنشَفُ دَمْعٌ من سَوافِحِ دَمْعِهِ ... ويَبرُدُ قلبٌ بالأسَى يَتضَرَّمُ

متى تَحْسُرُ الأكتافُ من نَعْشِ هَالكٍ ... رَوَاحِلُ مِن أثقالِها ليسَ تَزْزُمُ

قَوافِلُ تَمتارُ النُّفوسَ إلى الفلا ... ألا هذه الأبشارُ للأرضِ مَطْعَمُ

أرُونِي خِيامَ الحَيِّ من حيث طَنَّبَتْ ... أليسَ ضَميرَ الأرضِ ذاكَ المُخَيِّمُ

---

(١) أم قشعم: اسم علَم على الدنيا.

(٢) الترقوة: عظمة الجزء الأمامي من الكتف، وجمعها تراقي.

ولسنا تأخّرنا مُعافِينَ بَعدَهُم ... ولكنهُ عُمْرٌ مَداهُ يُتَمَّمُ
تَوَفَّتْهُمُ آجالُهُم وبإثْرِهِم ... نَسِيرُ إلى حيثُ اسْتقرُّوا سَنَقدُمُ
أخو الحَزمِ مَن لا يَستقِرُّ إلى الهَوى ... ومَن نَصَبَ العُقبى لعَيْنَيهِ أحْزَمُ
وما نَضْرَةُ الدُّنيا تَرُوقُ لِكَيِّسٍ ... ونَحنُ نَراها بالبِلَى تتخَرَّمُ
يُسالِمُها المَغرورُ مِنها بزُخْرُفٍ ... وهَيهاتَ لم تَسلَمْ ولا هُوَ يَسْلَمُ
ومِنْ عَجَبٍ بَرْدُ الصُّدُورِ وَدَاعَةٌ ... وقد أيقنَتْ أنَّ المَنيَّةَ تَهْجُمُ
لكُلِّ نَدِيمٍ بالتَّفرُّقِ مَوعِدٌ ... وللحَتفِ رُمْحٌ في الصُّدُورِ مُقوَّمُ
ولو أنَّ نَفْساً وَادَعَتْها مَنونُها ... ولكنَّهُ لا زَرْعَ إلا سَيُصْرَمُ
لقد أنذرَ الدَّاعِي رَصِيداً مُشَوَّكاً ... ونَحنُ كأنّا بالنَّذارَةِ نَحْلُمُ
حَذارِ بَياتاً أيُّها الناسُ إننا ... على شِدَّةِ الإيقانِ بالخَوفِ نُوَّمُ
ولو لم يَكُنْ غيرَ النَّوَادِبِ مُؤلِماً ... على مُيتِمِي أطفالِها تتألَّمُ
ولا نفسَ إلّا تنطَوي فوقَ حَسْرَةٍ ... ولا قلبَ إلّا بانفِطارٍ مُسَمَّمُ
ولا جَفْلَ ذو لُبٍّ إلى جَنبِ رُشْدِهِ ... وتارِكُ دَارٍ بالمَعَاولِ تُهْدَمُ
نُعَنَّى بها لا تعترينا سَآمَةٌ ... وعامِلُها من فتكِها ليسَ يَسْأمُ
أعِندَ رجالِ الاستقامَةِ أنَّهُم ... أصِيبُوا بقُطْبِ المُسْلِمينَ وأُيْتِمُوا
وإنْ قَصَمَتْ ظَهْرَ المَكارِمِ نَكْبَةٌ ... سَيَمْضِي عليها الدَّهرُ تفرِي وتُفْصِمُ
وما يومُها الآتي بها رَدَّ مَأتماً ... ولكنَّ ما يأتي مِن الدَّهرِ مَأتَمُ
غَدَاةَ نَعَى النَّاعِي إلى الناسِ «رَاشِداً»[1] ... أحقاً نَعَيتَ الفضْلَ أمْ تَتوهَّمُ
نَعَمْ رَاعَني نَدْبُ السَّماءِ وأهلِها ... وأركانُ عَرْشِ المَجْدِ إذ تَتَحَطَّمُ
وضَجَّةُ بَيتِ الفضلِ إذْ خَرَّ سَقْفُهُ ... وَهَدَّةُ طَوْدِ الجُودِ إذ يَتهَدَّمُ
صَبَاحُكَ يا ناعِي المُرَزَّءِ سَيِّئٌ ... ويَومُكَ مَنحُوسٌ وطَيْرُكَ أشْأَمُ
بَعثتَ إلى الألباب حُزناً مُؤبداً ... وأوقدتَ ناراً دأبُها تَتَضَرَّمُ

---

(١) راشِد: اسم العَرْنِيّ.

أحقاً عَميدُ الدِّينِ لاقى حِمَامَهُ ... فإنِّي أرى نَفْسَ الهُدى تَتَلَدَّمُ[1]

أحقاً عِمادُ الاستقامَةِ أضْبَحَتْ ... به أعْوَجِيَّاتٌ من البَينِ تُرْسَمُ

أحقاً مَلاكُ الفضلِ أوْدَى فتِلْكُمُ ... يَمِينُ الجَدَا شَلّاءُ والكَفُّ أجْذَمُ

أحقاً مَنارُ العِلم أسْقَطَهُ الرَّدى ... كأنَّ سُقوطَ العِلمِ للحَتْفِ مَغْنَمُ

أحقاً إمامُ الزُّهْدِ عارَضَهُ الفنا ... فهل أنْفُ دُنيانا من الزُّهْدِ يُرْغَمُ

أحقاً سَحابُ البِرِّ أقْلَعَ نَوْؤُهُ ... فهل يَتأتَّى بَعْدُ للبِرِّ مَوْسِمُ

أحقاً جَميلُ الصُّنعِ كُفَّتْ يَمِينُهُ ... وكانَتْ هي الطُّولى تَبُرُّ وتُنعِمُ

أحقاً بهاتيكَ المَعاهِدِ غُمَّةٌ ... من الحُزنِ إذ وَاراهُ لَحْدٌ مُغَمَّمُ

فوا حَرَبَا والحُزنُ يَسفَحُ عَبْرَتي ... قضى نَحْبَهُ البَرُّ الكريمُ المُعظَّمُ

تقضَّتْ بهِ أيامُهُ البِيضُ كُلُّها ... أياديهِ أمطارٌ ونادِيهِ مَعْلَمُ

تقضَّتْ به أيامُهُ مِنْ جَمالِها ... تَنَوَّرَ مِنها نَيِّرٌ مُتَجَسِّمُ

وما المَرءُ إلا رَاكبٌ يَطلُبُ المَدى ... ولا بُدَّ يَوماً عُمْرُهُ يَتَجَرَّمُ

رُوَيْداً لقد آنستُ في الأرضِ رَجْفَةً ... تُرَى أنَّ قلبَ الأرضِ كالنَّاسِ يَألَمُ؟

عَزاءً رِجالَ الاستقامَةِ إنَّها ... مُصيبَةُ دِينٍ ما بَقى الدَّهرُ تَعْظُمُ

فكُلُّ سُرورٍ إذ ألَمَّتْ مَساءَةٌ ... وكُلُّ حَميدِ العَيشِ عَيشٌ مُذَمَّمُ

فيا ثُلْمَةً للدِّينِ والفضلِ مَالَهَا ... سَدَادٌ ولا إذ يَقدُمُ الدَّهرُ تَقدُمُ

حَنانيكَ للأبرارِ يا مَوتُ بُرْهَةً ... وهَيهاتَ ليست قسْوَةُ الموتِ تَرْحَمُ

تُسارِعُ في الأخيارِ تمْحُو وُجُودَهُم ... ويا ليتَ ما تمْحُوهُ بالمِثلِ يُرْقَمُ

عنِ التَّلْفِ لم تُقلِعْ، وما أنتَ مُتلِفٌ ... وإنْ عَزَّ رَهْنٌ فائتٌ ليسَ يُغرَمُ

وما مَعْتَبُ المَفجُوعِ مِنكَ بنافِعٍ ... لأنتَ قَضاءٌ صَبَّهُ اللهُ مُبْرَمُ

قضى اللهُ أنَّ الحَيَّ يَجري لغايةٍ ... فما ثَمَّ تأخيرٌ ولا مُتقدَّمُ

متى يُدرِكِ الأعْتابَ مُسْتَعْتِبُ الرَّدى ... لهُ عَزْمَةٌ صِدْقٌ ورأيٌ مُصَمِّمُ

---

(١) تلدَّم الثوب: أخْلَقَ؛ أي صار بالياً وحان له أن يُرقع.

مُكِرٌّ هَمُوزُ النَّابِ ما طاشَ سَهْمُهُ ... ولا هو في كَرَّاتِهِ مُتلَغْثِمُ
تَقادمَ عَهدٌ بالمَنونِ وفِعلِها ... وجَاسَتْ خلالَ الدارِ تَذرُو وتَهْشِمُ
إذا أرْسَلَتْ سَهماً لتقصِدَ مَقتلاً ... تَلَتْهُ إلى المَرْماةِ بالرَّغمِ أسْهُمُ
تَخلَّفَ دَعْسُ الحَيِّ عَنهُم فأخْلَدُوا ... لِغِبْرَاءَ يَغْلُوهُم صَفيحٌ مُرَدَّمُ
وليسَ بنا في المَوتِ صَرخةُ ثاكِلٍ ... وقلبُ يَتيمٍ بالأسَى يَتَجَرَّمُ
ولو كان يُجْدِي هالكاً نَدْبُ فاقِدٍ ... لسَالَ مَكانَ الدَّمْعِ مِن غَرْبِهِ[1] الدَّمُ
طَحَى حَدَثانِ الدَّهرِ للفضلِ هَضْبَةً ... وكانت بها هُضْبُ المَكارِمِ تُدْعَمُ
لكَ اللهُ رَيْبَ الدَّهرِ يستنزفُ البَقا ... فلا نفسَ إلا بالفناءُ سَتُرْجَمُ
ولا غَرْوَ أن تستنزِفَ الصَّبرَ نَكْبَةٌ ... ويَقصُرَ مِنْ تَطْرَاقِها المُتَعَزِّمُ
غداةَ تداعى الطَّودُ في سُمْكِ مَجدِهِ ... وطارَتْ به حَذْباءُ عَوجَاءُ صَيْلَمُ[2]
تَهادَتهُ أكتافُ الرجالِ ولو دَرُوا ... لكان حَقيقاً أنْ تَهادَاهُ أنْجُمُ
إلى حُفرَةٍ ضمَّتْ من الجُودِ بَحْرَهُ ... رُوِيداً هُوَ البَحْرُ المُحيطُ يُدَمْدِمُ
فما عَجَبٌ أن تُحْبَسَ الشَّمسُ في الثرى ... فتَغْتَقِبُ الأيامُ والجَوُّ مُظْلِمُ
هُناكَ اقشَعَرَّ الرَّوضُ واغْبَرَّ جِلْدُهُ ... وذلك رَوضُ النِّعْمَةِ المُتَسَوِّمُ
مَدى الدهرِ لا يَنفكُّ حُزنٌ مُبرِّحٌ ... عَليكَ وتَسْكابٌ مِن الدمعِ مُسْجِمُ[3]
مَآلَ اليَتامَى في المُلمّاتِ من تُرَى ... تَرَكْتَ لهُم إذ أزْمَةُ الدَّهْرِ تَأْزَمُ
فَدَيْنَاكَ بالأرواحِ ضاعَتْ حَفائِظٌ ... تحَفَّى بها مَعروفُكَ المُتَنسِّمُ
تَرَدَّى بُغاةُ الخَيرِ بَعدكَ بالأسَى ... فواجِدُهُم من بَعدِ فقدِكَ مُعْدَمُ
وما دفنوا نفسَ امْرِىءٍ مِنكَ وَحْدَها ... ولكنْ نُفوسٌ في ضَرِيحِكَ تُرْدَمُ
وكنتَ الجَنابَ المُستَرادَ لمُسْنِتٍ[4] ... ورَوضُكَ مُخْضَرٌّ وبَحْرُكَ خَضْرَمُ

---

(١) غَرْبُ الدمع: مَسِيلُهُ على الخدّ.
(٢) الصَّيلَم: الداهية تستأصل ما تُصيب.
(٣) مُسْجِم: مُنهَمِر.
(٤) مُسْنِت: مُحتاج.

فجَفَّ نَضيرُ الرَّوضِ وازْبَدَّ جَوُّهُ ... وغاضَتْ بُحُورٌ طَامِياتٌ غَطَمْطَمُ
وقد كنتَ دِرْءاً للحوادثِ مَوئلاً ... إذا جاشَ منها الكارِثُ المُتجَهِّمُ
وكنتَ لحَاجاتِ المَساكينِ رُكْنَها ... فمَن لهُمو والرُّكْنُ عَنهُم مُهَدَّمُ
وكنتَ مع الأكدارِ صَفواً مُهَنَّئاً ... رُوَاؤكَ مَمدُودٌ وكأسُكَ مُفعَمُ
وما ضاعتِ الآمالُ عِندَكَ والذي ... نَوَيْتَ ولَمْ يُقْدَرْ مِن الخَيرِ أعْظَمُ
كأنَّ الوَرَى الأرْحَامَ لستَ تُضِيعُها ... على أُسْوَةٍ في الوَصْلِ بَرٌّ ومُجرِمُ
يَعيشُ بكَ الهُلّاكُ بين فَوَاضِلٍ ... دَقائِقُها مِنْ أكْرَمِ الفَضْلِ أكْرَمُ
غزيرُ مَجارِي الماءِ، لا مِنْ غَزَارَةٍ ... مِنَ المَالِ لكنْ بَحْرُ جُودٍ قُلَيْذَمُ[1]
يَمُرُّ عليكَ الدَّهرُ والدهرُ عابسٌ ... وفضلكَ فيه أزْهَرُ الوَجْهِ مُبْتَسِمُ
وكنتَ كفيلَ الحَق حِصناً لأهله ... هُمُومُكَ فيه والأهَمُّ المُقدَّمُ
فِدىً لكَ نفسِي إذ تَجُودُ بمُهْجَةٍ ... إلى يَدِ خَيرِ الرَّاحِمينَ تُسَلِّمُ
حَييتَ على الحُسنى ثمانين حَجَّةً ... رياضاً نَضِيراتٍ جَناها التَّكَرُّمُ
فما بَرِحَ الإيمانُ فيها مُلازماً ... لِقَلْبكَ والإحسانُ يَزْبُو ويَعْظُمُ
ولمّا دَعاكَ اللهُ لبَّيْتَ أمْرَهُ ... فأصْبَحتَ جارَ اللهِ والجَارُ يُكْرَمُ
وعَيْشُكَ في الدنيا حَميداً مُسَدَّداً ... فَلُقِّيتَ عُمراً بالسعادة يُخْتَمُ
مَضيْتَ وخَلَّفتَ الكآبَةَ والأسى ... مُجَدَّدَةً آثارُهُ ليسَ تُطْسَمُ
يَظَلُّ جَليدُ القلبِ مِنهُ مُولَّهاً ... بهِ ظاهرُ التَّأسَاءِ والحُزنُ مُبْهَمُ
لئِنْ هَدَمَتْ مَخياكَ قاصِمَةُ الرَّدى ... فمَجدُكَ يَبقى شامخاً لا يُهَدَّمُ
على سُورَةٍ في المَجدِ قَرَّ أسَاسُهُ ... لهُ شرَفٌ فوقَ السِّماكَيْنِ يَنجُمُ
فنيتَ وأبْقيتَ المَحَامِدَ أنجُماً ... لِسانُ ثَنائِي عَنْ مَدَاهُنَّ مُفْحَمُ
تَبَدَّلتَ بالدنيا مَقاماً مُقدَّساً ... هنيئاً لكَ الحَظُّ الذي لا يُصَرَّمُ
تصاعَدْتَ بَينَ الحُلْوِ والمُرِّ جاهداً ... إلى اللهِ مِنْ آفاقِها تَتَبَرَّمُ

---

(١) قُلَيْذَمُ: صَافٍ.

هَنِئتَ ولم نَهنأ لِفقدِكَ لمحَةً ... على كُلِّ كَبدٍ قُرحَةٌ لا تُمَوهَمُ

فيا ابنَ سُلَيمٍ إنْ تباعَدتَ سالِماً ... فلا قلبَ من بَرحٍ عَقيبَكَ يَسلَمُ

تَرَكتَ صُدُورَ الناسِ تَرمِي شَرارَها ... ألا كُلُّ نارٍ بالشَّرارَةِ تَرجُمُ

وليس «الغيُوث»[1] الصَّيدُ للحُزنِ وَحدَهُم ... ولكِنْ بهذا الكَونِ للحُزنِ مَنجَمُ

فقد كُنتَ غَوثاً تُمطِرُ الكَونَ رَحمَةً ... بل الغوثُ في الأبدَالِ بل أنت أقدَمُ[2]

فيا سَيِّدَ الأبدَالِ مَن أنتَ تارِكٌ ... يُخلِّصُ مِنْ سُوءٍ ويُجزِي ويَرحَمُ

مَتى تَطرُقِ البَلوى تَصَدَّى لِكَبحِها ... أو اعْوَجَّ أمْرُ الناسِ فهو المُقوِّمُ

لقد أوحَشَ الرَّبعُ الأنيسُ وأصْبَحَتْ ... مَعالِمُ أهلِ الحَقِّ لم يَبقَ مَعلَمُ

فَوَاحَرَبَا قُطِّبَ الكَمالِ وَرَدْتَها ... شَرِيعَةَ حَتفٍ عندها العُمْرُ يُحسَمُ

وقفتَ عليها نيِّرَ الصُّحفِ وافِراً ... من الزَّادِ طُهْرَ العِرْضِ مِمَّا يُذمِّمُ

فأقدَمْتَ وَفداً في مَقامِ كَرامَةٍ ... تَرُوحُ وتغدو بالبشائر تَنْعَمُ

مَتى تَتعَزَّى مِنكَ أو يُقلِعُ البُكا ... ورَمْسُكَ في وسْطِ القلوب مُخَيِّمُ

أبَعدَكَ شيخَ المُسلمين سُلوُّنا ... بشيءٍ وسُلوانُ العَزيزِ مُحَرَّمُ

كأنَّ شُواظاً في الجَوانِحِ ساطِعاً ... إذا قلتُ قد خَفَّ التَّوَقُّدُ يَحْجُمُ

فَدَيتُكَ وَجْهُ الدَّهرِ بالحُزنِ كاسِفٌ ... وفي الوَجْهِ عَمَّا في الضَّمِيرِ مُتَرجِمُ

لقد كُنتَ مِصباحَ الورى لرَشادِهِم ... فقد طُفِيءَ المِصباحُ عنهُم فأظلَموا

فوا أسَفاه الأمس قد كُنتَ كَعْبَةً ... يَمِينُكَ كالرُّكْنِ المُبارَكِ تُلثَمُ

يَطوفُ بكَ العَافُونَ جَمٌّ رَجاؤهُم ... ونَاديكَ مَسْعاهُم وجُودُكَ زَمْزَمُ

فأصْبَحتَ مَرثِياً رَهِينةَ حُفرَةٍ ... عليكَ سَفِيُّ الرِّيحِ تَمْحُو وَتَرْسُمُ

كفى حَزناً لولا التأسِّي بمَن مَضى ... وما هُوَ آتٍ بالفناءِ مُحَكَّمُ

---

(١) الغيُوث: هم قبيلة العَرْشي راشد بن سليم الغيثي.

(٢) يشير إلى مقامات التصوف التي بلغ مراقيها المرثي؛ كالغوث (المشتق من قبيله) والأبدال، وقد سبق لنا شرح بعض المصطلحات الصوفية في موضع آخر.

تَـفـرَّقَ عَـزمُ الـنـفـسِ عَـنْ كَـرَمِ الـعَـزا ... وأمْـثـلُ أمْـرَيْـكَ الـتَّـعـزِّي وَأكْـرَمُ
إذا قلتُ إنِّي أجْمَعُ الصَّبرَ مُجْمَلًا ... بَدَا لي جَميعُ الصَّبرِ جَمْعٌ سَيُهْزَمُ
عَـرَانـا مِـنَ الـدُّنـيـا خِـداعٌ مُـمَـاكِـرٌ ... فَـنـبـرَحُ فـي أنـقـاضِ مـا هِـيَ تَـهْـدِمُ
ومـا عَـزَبَـتْ عـن فـهْـمِـنـا نَـكَـبَـاتُـهـا ... بَـلى غَـطَّـتِ الأهـواءُ مـا نَـحـنُ نَـفـهَـمُ
وتُـوهِـمُـنـا الـبُـقـيـا بـصَـالِحِ عَـيـشِـهـا ... وقـد طَـحَـنَ الأجـيـالَ هـذا الـتَّـوَهُّـمُ
مـتـى أظْـمَـأتـنـا أوْرَدَتـنـا سَـرَابَـهـا ... وإنْ كـانَ مَـاءً فـهـو وِرْدٌ مُـسَـمَّـمُ
عـلـى مِـثـلِ هـذا الـفَـشْـكِ قَـرَّ قَـرَارُنـا ... وألْـبَـابُـنـا بـالـهَـشْـكِ والـهَـلْـكِ تَـحْـكُـمُ
وفـي مِـثـلِ هـذا الـقُـبـحِ نَـغْـشَـقُ وَجْـهَـهَـا ... فـكُـلٌّ بـمـا يَـهـواهُ مِـنـهـا مُـتـيَّـمُ
عـلـى أنَّـهـا إنْ أحْـسَـنَـتْ قَـيـدَ لَـمْـحَـةٍ ... سـتـأتـي بـأكْـدَارٍ لـذا الـعَـيـشِ تَـلْـهَـمُ[1]
حَـرَامٌ عـلـيـهـا صُـبْـحَـةٌ[2] لا تَـخُـونُـهـا ... وحَـتْـمٌ عـلـيـهـا أنْ تـطـولَ فَـتَـهْـشِـمُ
تُـلاهِـي بـنـي الإنـسـانِ حَـتـى تَـلُـمَّـهُـم ... إلـى حُـفـرٍ لا يَـتَّـقِـيـهـا الـتَّـحَـزُّمُ
يَـظُـنُّ غَـريـرُ الـنـفـسِ حَـقـاً غُـرورَهـا ... وسـوف يَـبـيـنُ الـحَـقُّ سَـاعَـةَ يَـنْـدَمُ
ومـا أنـتـجَ اسْـتِـبْـصَـارُنـا غـيـرَ تـرْكِـهـا ... كـمـا يَـتـرُكُ الأخْـبَـاثَ مَـن يَـتـكَـرَّمُ
تَـرَى حَـدَثَـانِ الـدَّهـرِ تَـبْـلَـى صُـرُوفُـهُ ... ولـم يَـبْـلَ فـي الـدنـيـا فَـصِـيـحٌ وأعْـجَـمُ
أبا الفَضْلِ لا يَنسى لكَ الفضْلُ نِعْمَةً ... خَـدَمْـتَ لـهُ فـالـيـومَ بـالـحَـمْـدِ تُـخْـدَمُ
عـلـى أسَـفٍ أرثـيـكَ والـدَّمـعُ هَـامِـلٌ ... وقـلـبـيَ مَـحـروقٌ وذِهْـنـي مُـكَـلَّـمُ
تَجَسَّمَ ما تُعْطِي من الفضلِ جوهَراً ... فـكُـلُّ رِثـائـي الـجَـوْهَـرُ الـمُـتَـجَـسِّـمُ
عَسَى جَبْرُ هذا الكَسْرِ في العَقِبِ الذي ... تَـرَكْـتَ فـفَـرْعُ الـمَـجْـدِ يَـزكُـو ويَـكْـرُمُ
وفي الخَمْسَةِ الأقمارِ أنْجَالُكَ انتهَتْ ... ظُـنـونٌ حِـسـانٌ يَـقـتـضِـيـهـا الـتَّـوسُّـمُ[3]

---

(١) تَلْهَم: تأكُل.

(٢) الصُبْحَة: نَومَة الغَدَاة ـ رُبَّما أراد الشاعرُ بذلك التأكيد على أن صروف الدُّنيا خؤون بطبيعتها حتى على وعدها بنومة غداة تُريحُ النفوس التي تنتظر منَاياها، وهناك من اعتقد أن المُراد: صُحْبَة لا تخونها.

(٣) يشير إلى أنجال المتوفى الخمسة ونجابتهم التي ورثوها عن أبيهم.

سَقَتْهُم أَفاويقُ النَّجابَة فارْتَوَوا ... وَزَانَتْهُمُ أعْراقُهُمْ حَيثُ يَمَّمُوا

رَمَى بهِم القُرآنُ في بَحرِ نُورِهِ ... فكُلٌّ بآدابِ الكِتابِ مُسَوَّمُ

لهُم دَرَجاتٌ في الجَميلِ رَفيعَةٌ ... وهذا بتوفيقٍ مِن الله يُقسَمُ

لهُم عُنصُرٌ ما دَنَّسَتْهُ غَمِيضَةٌ[1] ... فأخلاقُهُم من ذلك الأصْلِ تَنْجُمُ

إذا طابَ أصْلٌ لازَمَ الطِّيبُ فَرْعَهُ ... ألم تَرَ أنَّ النَّدَّ[2] بالطِّيبِ يَنشُمُ

هنيئاً لكُم يا آلَ رَاشِدَ إنكُم ... شَرِبْتُم على مَحْضِ التُّقى واكَلْتُمُ

لكُم أسْوَةٌ في فَضْلِكُم بأبيكُمُ ... بحَقٍّ عَلَيكُم حَيثَ أقدَمَ أقْدِمُوا

لهُم سُننٌ في الصَّالحين مُنيرَةٌ ... زَوَالِكِ مَتينَاتُ العُرى ليسَ تُفْصَمُ

وما ماتَ مَن أبقى مِن الذِّكرِ مِثلَها ... فكونوا عليها بَارَكَ اللهُ فِيكُمُ

لعَلَّكُمُ يا صَفوَةَ المَجْدِ بَعدَهُ ... لهُ خَلَفٌ بالاسْتِقامَةِ قَيِّمُ

إلى السَّلَفِ الأخيارِ سِيرَتُهُ انتهَتْ ... وذلك أزْكَى ما مِنَ الإرْثِ حُزْتُمُ

فلا زالَ للإسلام فيكُم بَقيَّةٌ ... لكُم مَدَدَ التَّسْدِيدِ يُسْدِي ويُلْحِمُ

عليكُم جَميلُ الصَّبرِ وهو عَزيمَةٌ ... على العَبْدِ، أما الخطبُ يَجْسُمُ يَجْسُمُ

تنالوا عَظيمَ الأجْرِ مِنه وإنَّما ... بحَسْب مَقام الصَّابرِ الأجْرُ يَعْظُمُ

لِكلٍّ مِن الأعْمارِ حَدٌّ ومُنتهى ... ورَجْعٌ إلى الباقي الذي ليسَ يُعْدَمُ

فلا أسَفٌ يُغنِي إذا فاتَ فائتٌ ... ولكنْ على التسْلِيمِ والصَّبرِ نُرحَمُ

أليسَ يَقيناً ما بقلبٍ سَلامَةٌ ... لكُلِّ نَصِيبَينِ مُصابٌ ومَقْسَمُ

فلا عَينَ لم تَسْفحْ من الدَّمعِ عَبْرَةً ... ولا صَدْرَ إلّا بالفجَائعِ يُحْطَمُ

أخا الحَزمِ لا تنْدِبْ سِواكَ وإنّما ... لحينِكَ تَجْرِي ثم تكْبُو فتُعْدَمُ

فكَفكِفْ دُموعَ العَينِ واجْعَلْ مِياهَها ... طُهُوراً لذنبٍ في الصَّحِيفةِ يُرقَمُ

وَوَارِ حِمى الأحزانِ مما جَنيْتَهُ ... فدُونَكَ إلّا أنْ تَتُوبَ جَهنَّمُ

---

(١) غَمِيضَة: غَضَب ـ وفي اللهجة العُمانية: لا تسْتغمِضْ = لا تغضبْ.

(٢) النَّدُّ: ضَرْبٌ من النبات يُتبخَّرُ بعُودِه.

إذا لـم تَـجِـدْ مِـمّـا قـضـى اللهُ واقـيـاً ... فـلا بُـدَّ أن تـرْضَـى بـمـا اللهُ يَـحْـكُـمُ
أعَـزِّيـكُـمُ عَـنّـي وعَـن كُـلِّ مُـسْـلِمٍ ... وأنـتـم بـحُـسْـنِ الـصَّـبـرِ أوْلَى وأعْـلَمُ
سَـقـى اللهُ رَمْـسـاً حَـلَّهُ صَـوْبُ رَحْـمَـةٍ ... وأسْـكَـنَـهُ الـفـرْدَوسَ فـيـمَـن يُـنـعَّـمُ

عنبرة الأكوان(*)

سَقى اللهُ سُوحاً مَنبَتي من جنابِها ... وبارِكَ في قُطّانِها ورِحَابِها
وَسَحَّتْ شآبيبُ الرِّضا بِبَشاشِها ... ولا فَتِئَتْ مَغبُوطَةً بشَبابِها[1]
فَرَغتُ لها مِنْ كُلِّ هَمٍّ وإنْ نَأتْ ... وخلَّفتُ نفسي لا تُريمُ بِبَابِها
وإنَّ ارتباطَ النفسِ في عَرَصَاتِها ... شُهُودٌ يُريحُ النفسَ بين اغْتِرابها
وَكيفَ سُلُوّي وارتِياحِي بغيرِها ... وَعَنْبَرَةُ الأكْوَانِ نَفْسُ تُرَابِها
أهَابَتْ بشكْوَاها إلينا افتقادَنا ... وَفِيها إلينا فَوقَ أضْعَافِ مَا بِها
إذا لاحَ برقٌ أوقَدَتْ في جَوانِحِي ... لواعِجَ تُنسِي النارَ لفحُ إهَابِها
ولم تقدح الشَّكوى شَرَارَةُ مُهْجَتِي ... ونيرانُ شَوقِ النَّفسِ مِلءُ إهَابِها
ولكنَّ شكوى الحُبِّ للحُبِّ بَثَّهُ ... مَزيدُ تباريحِ الجَوَى في عَذابِها
بِنَفسيَ من تشكُو إلى ذِي صَبابَةٍ ... وليتَ النَّوى طارَتْ مَطارَ غُرَابِها

(*) العُنوان الحالي من وضعنا؛ وقد عُنوِنت في الأصل المُعتمد بعنوان: «في الحِكم»، ووردت تحتها هذه الملحوظة: (لعلَّهُ قالها بلِسان الإشارة لبعض القوم في حَضْرَموت، كما يُفهم ذلك من معاني الأبيات)، لكننا تَحرَّينا فوجدنا أنها مكتوبة في رثاءِ داعية يُدعى الشيخ أحمد الشميط، وهو داعية حضرمي شافعي المذهب من آل البيت النبوي الشريف من فرع منهم لهم شهرة في المعارف الإلهية والدعوة إلى الله (المُراجِع).، وله مَقام يُزارُ في ماليندي بزنجبار مُلاصِق لمسجد الجُمعة.

(١) البشام: شجر طيِّب الريح والطَّعم يُستاكُ به. جاء في حديث عُبادة: خيرُ مالِ المُسْلِم شاةٌ تأكلُ من ورَق القَتاد والبَشام.

بحُكْمِ بناتِ الدَّهْرِ فَارَقتُ إلفَها ... وسَلْنيَ عَنهَا لم أضِقْ عن جَوابِها
بِهِنَّ تَرَكْتُ الإلْفَ رَغماً وإنهُ ... لتَرْكٌ حَياةُ النفسِ بَينَ شِعابِها
خليليَّ شأنُ الدهرِ بَينٌ مُشتَّتٌ ... فما إلْفةُ الاثنَين إلّا اغتَنَا بِها
ولولا وُلوعُ الدَّهْرِ بالبَينِ لم تزل ... يَتيمَةُ هذا البَحرِ تحت عُبابها
ولا رَجَّعَتْ فوق الفُنُونِ حَنينَها ... هَتُوفٌ شَجَتها مِثلُها بِغيابِهَا
ولا خَليتْ دُورُ الفضائلِ والتُّقى ... وطَارَتْ أعَاصِيرُ الفَنا بصِحَابِها
أما هَكذا الأقدارُ تُنفِذُ حُكْمَها ... بلى! إنَّ هذا خَصْلَةٌ من عِجَابها
تُريدُ الأمَاني أنْ تُقِرَّ قَرَارَها ... وتأبَى لهَا الأقدارُ غَيرَ انْتِيابِهَا
على عَجَمَاتِ الصَّبرِ شُجَّتْ قُلُوبُنا ... ليَمْتازَ رَخْوُ الصَّبرِ بَينَ صِلابِها
بعَيشِكُما هل تعلمان وَدِيعةً ... ولم تطرق الأكْدارُ عَتْبَةَ بابها
وهل مُقلةٌ لم يَمْلأ الدَّمْعُ غَرْبَهَا ... وهل كَبِدٌ لم تَخترِقْ بمُصَابها
أفِيضَا عَليَّ العُذرَ إنْ تَكُ أسْوَتِي ... لدى فَعَلاتِ الدَّهرِ أهل صِعَابها
أتَلْزِمُ هذا الدَّهرَ خِلَّةَ مُنصِفٍ ... تَزُولُ جِبالُ الأرضِ قَبلَ انْقِلابِها
ولِلكُلِّ مِنهُ طَعْنَةٌ فَوقَ نَحْرِهِ ... ولا تَنْثنِي للبُرْءِ إلّا ثَنَى بها
ومَنْ لِي ولِلأيام أنْ تُعْقِبَ امْرِءاً ... وقد فَرَغَتْ كُلُّ النُّهَى مِنْ عِتابها
لقد كَاشَفتْنا بالذي في ضَميرِها ... وعَمَّ الوَرَى ما أنفقتْ مِنْ جَوَابِها
لأعْمَدُ مِمَّن يَنسِبُ الغدرَ نَحْوَها ... وتَضريفُها فَرعٌ لأصْلِ صَوابها
ألم تُظْهِرِ التَّحقِيقَ عَنْ ذاتِ طَبْعِها ... فَمَا ثِقةُ الأحْرَارِ مِنها بَعَابِها
ومَنْ ظَنَّ بالأيامِ مَا لَيسَ خُلْقَهَا ... أضَافَ لها ما لم يَكُنْ مِنْ حِسَابها
أفادَتْ ذوي الأبْصَارِ كيفَ اقتِضاؤها ... بما أتقنوا من دَرْسِهم في كِتابها
فإذْ سَقَتِ المَخْدُوعَ شَهْداً بكَأسِها ... فقد بَصَّرَتهُ، لو دَرَى، كَأسَ صَابِها
شَكَا الناسُ مِن أيامِهم بَعدَ فوزِها ... لهُم بَينَ بَحْرَي مَائِها وسَرَابِها
ولا أشتكي مِنها ولستُ ألومُها ... على الحُلوِ والمُرِّ الذي في شَرَابها
ومَن كَشفَ الأيامَ كَشْفي خِصَالَها ... وشاهَدَ كُنْهَ الحَالِ خَلفَ حِجَابها

رَماها بصَبْرٍ لا تُقيمُ ظُهُورُها ... عليهِ، وألقى حَبلَهُ في رِقابها
على أنَّني والصَّبر بعد أحِبَّتي ... كَهِيم فلاةٍ أُنْكِلَتْ بذئابها
مَتى أدَّعِي صَبراً لماضي عُهُودِهم ... ولَستُ بلاقيها عَقِيبَ ذَهَابها
عُهُودٌ كأمثالِ العَرائسِ ودَّعَتْ ... وواحَزَناً حَادي المَنايا حَدَا بها
أقمتُ لعَهْدِ الحُزنِ بَعدَ انصِرَافِها ... ظَعائِنَ تَمَّ السَّيرُ إثرَ رِكابها
أبعدَ بني السِّبْطَيْنِ في الأرْضِ سَلْوَةٌ ... وقد أضمَرتهُم في قُلوبٍ يَبَابها[1]
أبعدَ النُّجُومِ المُشْرِقاتِ هِدايَةٌ ... وقد أفلَتْ لا مُرتجى لإيَابها
أبعدَ انفرادي عن عَرانِينِ هَاشِمٍ ... هَناءٌ وفي عَيني انْهِدادُ قبابِها
فيا لسُرَاة القوم أين مَقرُّكُم ... مَعَاهِدُكُم قد عُمِّرَت بخَرَابها
وعَهْدِي بكُم والنُّورُ في الأرضِ سَاطِعٌ ... بأوجُهِكُم فاليومَ أينَ ثَوَى بِها
وعَهْدِي بِكُم أنَّ الرَّسُولَ بِحَارُها ... فماذا قَضَى وَحْياً بِغَورِ عُبَابها
وعَهْدِي بِكُم أهْلَ الكساءِ كِساؤها ... فَوَاحَرَبا قد عُرِّيَتْ من ثِيابها[2]
وعَهْدِي بِكُم والعِلمُ في كَبدِ السَّما ... سِراجاً، فما بالُ الظلامِ سَجَى بها
وعَهْدِي بِكُم والأرضُ أنْتُم غُيُوثُها ... فقد أجدَبَتْ مِنْ غَيْثِها وسَحَابها
بَنِي العِلْمِ ما بالاخْتِيار كَسَرْتُمُ ... مَعاهِدَهُ بالحُزن بعد انتصَابها
لقد كانَ هذا العِلمُ نفساً ورُوحُها ... حَياتكُمُ ما الشانُ بعد اقتِضَابها
مَدينتُهُ أنتُمْ مَباني عُروشِها ... وأنتُمْ، بَنِي الزَّهْراء، أبناءُ بابِها[3]
فمَن ليَ بالأنوار بعد انطِفائها ... وعَضَّتْكُمُ أمُّ الهَيْثَمِ بِنَابِها

---

(١) السِّبطان هما الحسن والحسين؛ أبناء عليّ بن أبي طالب، وفي ذلك إشارة لنسب العَرْشيّ المتصل بآل البيت.

(٢) إشارة: حديثُ أهل الكسا مما يستند عليه الشيعة في إمامة أهل البيت، ويُنكره عليهم مُخالفوهم؛ والمُلاحَظ أنَّ الشاعر بعد رثائه لـ«بني السِّبطين» في الأبيات السابقة، يُثنّي بالالتحاف بهذا الكساء (المُراجِع)!

(٣) إشارة واضحة إلى الحديث النبوي: «أنا مدينةُ العِلم، وعليٌّ بابُها» (المُراجِع).

أفيقوا بَنِي المُخْتارِ بَعدَ هُجُوعِكُم ... تَدَعْ سُنَّةُ المَعروفِ بعد انتِحَابها
أفيقوا تَدَاعَى الفضلُ وانقضَّ أُسُّهُ ... وعَزَّ على العلياءِ نَدْبُ انتِدَابها
أفيقوا فإنَّ المَكْرُمَاتِ تعطَّلَتْ ... مَعَالِمُها وانْدَكَّ مَرسَى هِضَابِها
زَكَتْ بكُمُ الأكوانُ حيناً وبُورِكَتْ ... فيا بَرَكاتٍ أُفْرِغَتْ من عِيابها
وكُنتمْ نِصَابَ الفضْلِ في الخَلْقِ حِقبةً ... فمَن للعُلى بَعدَ افْتِقاد انتِصابها
فيا غُرَباءَ الأرضِ هل هيَ نُجْعَةٌ ... تَمُنُّ برُجْعاها عَقيبَ اغترابها
فهَيهَات لا أقفال والرَّمْسُ حَائلٌ ... وَأَيْنُقُ[1] أظفارِ الرَّدى في هِبَابِهَا
أرى الأرضَ تدري أنكُم من سُيوفِها ... فمِن دَأبِها أغْمَادُكُم في قِرَابِها
فيا لَسُمَيطٍ ما رِضَائي بعِيشةٍ ... خِلافَكُم إلّا رِضاً بذَهَابها
أجَدَّكُمُ هذا الرَّحِيلَ مُجَدِّدٌ ... وقد بِنْتُمُ للنَّفْسِ طُولَ اكتِئابها
أعَيشاً؟ وقد ألقى الجِرَانَ طَلِيحُكم ... بزِيزاءَ تذرُوها الرِّياحُ بِما بِها
نزَعْتُم إلى الأرْمَاسِ وَحْياً وتلْكُمُ ... لعَمْرُكَم لا مُنْتَنَى عن مَآبها
لقد أنطقتْنِي بالرِّثاءِ صِفاتكُم ... وإذ أخْرَسَتني دَهْشَتِي بانسِلابها
ولو أنَّ تأبِينَ الرِّثاءِ مُبَرِّدٌ ... أسَى النفسِ، لكنْ مُسعِرٌ لالتِهابها
أحِبَّايَ بَرْحُ الظَّاعِنينَ مُبَرِّحٌ ... ولكنْ عَزاءُ النفسِ فَضْلُ احتِسَابها
تذوبُ الليالي، مِن أسىً، بين أضْلُعي ... بمُعْتَرَكٍ بيني وبَيْنَ جِرَابها
ولو حَجَزَتْ بَيني وبَيْنَ صُرُوفها ... صُروفٌ، لكانَ العَزمُ لي في ضِرَابها
ولكنَّها تغْنو لذلٌ انتقابها ... مَقاديرُ تفْرِي جِلْدَها باختلابِها
وأوْشَكَ مِقدارٌ يَؤُمُّ حَصَادها ... بلا دافعٍ يأتي بحين انتِكابها
كذا كُلُّ شيءٍ، ما خلا الله، مُنْتَهٍ ... لحَدٍّ ومَرْمَى نَفْسِهِ لتَبَابِها
فيا غَرْصَةَ الأبْرَارِ ما عَنكِ رَغبَةٌ ... وإن دَامَ بالأشباح طُولُ مَغابِها
وإنِّي لأرجُو أنَّ فيكِ بقيةً ... مِنَ البَيْتِ تَسْعَى في صَلاحِ مَنابها

(١) أيْنُقُ أظفارٍ: أيْنُقٌ وأنواقٌ: كواكب مصطفة بهيئة ناقة || الهِباب: الهَباء.

وتَغْمُرُ رَسْماً شدَّ ما التأمَتْ بهِ ... شَعائرُ دِينِ اللهِ بعد انشِعابها

وتَجْري مِياهُ الفضلِ في مَذْحِ رَوضَةٍ ... بكَفٍّ أمِينِ الوَحْيِ فَيضُ شرابِها

هُنا مَطْمَحُ الآمالِ في عَشْرَةِ الهَوى ... لأنَّ كَمَالَ المُصْطَفى مِنْ ذِئابها

فلا تُوحِشونا مِنْ مَعالي أصُولِكُم ... وطَبْعُ فرُوعِ الأصْلِ صِدْقُ انجذابِها

عليكُم سَلامُ اللهِ ما السُّحْبُ أمْطَرَتْ ... ورَوّى شَبَاماً رَائِناتُ انسِكابها[1]

وعَلَّلَ هاتيكَ المَشاهِدَ رَوْحُهُ ... وَرَيْحانُهُ ما لاحَ بَرْقُ جِنابِها[2]

---

(١) يبدو، من السِّياق وعطفاً على مُلاحظة الأصل الواردة في المطلع، أنَّ الإشارة إلى مدينة شَبَام التاريخية، جنوب اليَمَن.

(٢) ربّما كانت الإشارَة إلى الجَنْبِيَة؛ أيْ: الخِنجَر.

رثاءُ إمَامٍ وامتداحُ لبَيعَةِ إمَام(*)

قـد اهْـتَـزَّتِ الأكْـوانُ وارْتـعَـدَ الـمَـلا ... لِقـتـلِ إمـامٍ قـامَ للهِ فَـيْـصَـلا

عـلى سِيرةِ الـفـارُوقِ عَـدلًا وحِكْـمَـةً ... يَـسـيـرُ بـهـا للهِ لَيْـسَ لِمَـا خَـلا

(*) العنوان الحالي من اختيارنا؛ فقد وردت عنوانها في الأصل المعتمد: (وقال بعد تاريخه لوفاة الفقيد المرحوم). **[ملحوظة تاريخية]**: كتبت هذه القصيدة في رثاء الإمام سالم بن راشد الخروصي الذي قتل عام ١٩١٩م في بلدة خضراء بني دفاع. والقصيدة تشيد بحُسن اختيار خِيار المُسلمين لخليفته الإمام محمد بن عبدالله الخليلي. | يورد محمد المحروقي في دراسته عن أبي مُسلم: «ولا بد لنا من الإشارة إلى ملابسة تاريخية تعيننا على فهم النص؛ والإشارة الموضِّحة ـ وإنْ لم ترد في الديوان المطبوع [أي الأصل المُعتمد]، إلّا أننا وجدناها في النسخة المخطوطة المؤرخة في ١٧ شعبان ١٣٧٣هـ، وقد ذكر أبو مسلم في أول هذه القصيدة أنه كتبها على لسان سالم الرواحي، فالقصيدة من نظم أبي مُسلم، استعار فيها شخصية ابن أخيه، لأنه يهدف من وراء ذلك أمراً، فبعد الجزء الخاص بالرثاء يقول مخاطباً الإمام الجديد محمد الخليلي» والمحروقي يُورد أبيات أبي مسلم وإشاراته إلى سموط الثنا، وهو تلميح إلى جد الإمام الجديد سعيد بن خلفان الخليلي. والحجة، كما يبدو، هو فرض الإنكليز لنوع من الإقامة الجبرية على أبي مُسلم، لا سيما بعد كتابته لمطولات وطنية يندد فيها بالاستعمار، مُعرِّضاً بأعداء الوطن والدين والحكام صنيعة الاستعمار. والشيخ المذكور في نهاية القصيدة هو أبو مسلم نفسه، الذي يرعاه ابن أخيه (المزعوم أن القصيدة كتبت على لسانه)، لتمريرها كي تصل الإمام، وهو ما يوضحه المحروقي في أحد هوامش دراسته: «وقال بلسان الإشارة عن ولده الأخ الأديب سالم بن سليمان بن عمير يرثي إمام المسلمين سالم بن راشد الخروصي رحمه الله المقتول سنة ١٣٣٨هـ ويهني الولي الأكبر والغوث الأبر محمد بن عبدالله الخليلي بتوليته منصب الإمامة يوم ١٢ من ذي القعدة من هذه السنة بعد قتل الإمام المشار إليه آنفا؛ إذ كان هذا الأخ ـ أي سالم الرواحي ـ بحضرة سيدي يقتبس منه العلوم ويتخلق بآدابه الزاهرة ويترسم مواطئ أقدامه، حتى أناخت بسيدي مطايا المنية وهو إذ ذاك في حجره ثم أمّ وطنه المحبوب لديه بلد السيح بعُمان». ويبدو لنا أنَّ القصيدة كُتبت لهدف سياسي؛ وهو محاولته مع الإمام الجديد لإخراجه من قبضة الإنكليز، الذين كانوا يتخوفون من عودة=

إمَـامٌ حَـبَـاهُ اللهُ نَـصْـراً مـؤزَّراً ... ولـم يَتَّـخِـذْ شَـيـئـاً سِـوى اللهِ مَـوْئِلا

وَقـامَ بِـقِـسْـطِ اللهِ فِـي أَهْـلِ أَرْضِـهِ ... بِـخَـارِقَـةٍ مِـنْ أَمْـرِهِ تُـعْـجِـزُ الـمَـلا

عـلى سُـنَّـةٍ ذا هِـمَّـةٍ مُـشْـمَـخِـرَّةٍ ... لإظْـهـارِ حُـكْـمِ اللهِ حَـتـى تَـهَـلَّلا

تَـجَـرَّدَ يُـعْـلِي كِـلْـمَـةَ اللهِ هَـمُّـهُ ... لِيُـصْـبِحَ مَـغـزى كِـلْـمَـةِ الـكُـفْـرِ أَسْـفَـلا

بِسَـطْـوَةِ مِـقـدَامٍ إذا الـحَـربُ ألـهـبَـتْ ... ولا يَـنْـثَـنِـي إلّا وَقَـدْ أَدْرَكَ الـعُـلَـى

يُـفَـلِّقُ هَـامَـاتِ الـخُـطُـوبِ بِـعَـزْمِـهِ ... إذا قَـامَ قَـرْنُ البَـغْـيِ أَعْـلاهُ مُـقْـصِـلا

رَأى الـجَـورَ أَرْبَـى فَـاسْـتَـقَـامَ لِقَـطْـعِـهِ ... ومَـا كَـانَ وَهْـنـاً رَأيُـهُ مُـتَـزَلْـزِلا

لـقـد بَـاعَ فِـي ذاتِ الـجِـهَـادَيْـنِ نَـفْـسَـهُ ... فَـمَـا أَرْبَـحَ الـبَـيْـعَ الـعَـظِـيـمَ وَأَفْـضَـلا

فَـعَـاشَ عَـلى الـتَّـحْـرِيـضِ فِـي ذاتِ رَبِّـهِ ... مَـخَـافَـةَ حَـدِّ اللهِ أَنْ يَـتَـعَـطَّـلا

رَأى حُـرُمَـاتِ اللهِ لا مَـنْ يَـصُـونُـهَـا ... قَـوِيٌّ ولا عَـدلٌ يَـرُدُّ الـمُـبَـدِّلا

فَـشَـمَّـرَ ذَيـلَ الـعَـزمِ تَـشْـمِـيـرَ غِـيـرَةٍ ... فَـأَصْـبَـحَ عَـرْشُ البَـغْـيِ عَـرْشـاً مُـثَـلَّلا

لَـهُ سِـيـرَةُ الأَبْـرَارِ لا مُـتَـكَـبِّـراً ... ولا وَاهِـنـاً فِـي الـعَـدْلِ أو مُـتَـعَـلِّلا

يَـبِـيـتُ يُـنَـاجِـي اللهَ خَـوفـاً ورَغْـبَـةً ... كَـأَنَّ عَـلَـيـهِ لِلْمَـهَـابَـةِ أَفْـكَـلا[1]

إلَـى أَنْ أَرَادَ اللهُ إكْـرَامَ ذاتِـهِ ... بِـنَـقْـلٍ وَنِـعْـمَ الـدَّارُ فِـيـهَـا تَـنَـقَّـلا

فَـأَصْـبَـحَ فِـي بَـحْـبُـوحَـةِ الـخُـلْـدِ نَـاعِـماً ... وطُـوبَـى لِمَـنْ جُـوزِي بِـهَـا وَتُـقُـبِّـلا

كَـمَـا جَـدَّ فِـي إحْـيَـائِـهِ الـدِّيـنَ جَـدُّهُ ... وَفَـارَقَ دُنْـيَـاهُ رَضِـيـاً مُـكَـمِّـلا

=أبي مُسلم إلى عُمان. وما يدعم هذا القول هو عثورنا على قصيدة أخرى لم ترد في المخطوطة ولا في الأصل المُعتمد (موجودة في هذا الديوان بعنوان: القائم المُرتضى)، يشكو فيها إلى الإمام الذي تأخر في نجدته [المُؤمَّلة من هذه القصيدة]، قائلًا في القصيدة اللاحقة: «فأدرك حياتيَ إنّي قضيتُ | لأسد الشرى وذئاب الفضا» ليستطرد في نفس القصيدة: «أعنّي أعانكَ رَبُّ العبادِ | فقد كادَ حقيَ أنْ يُفرَضا» لينهي قصيدته قائلًا: «فهل أنتَ لي راجمٌ مُنقذٌ؟ | فإنّ اصطباريَ قد قُوِّضا». ومن الواضح أن الإمام لم يكن باستطاعته فعل شيء لتحرير أبي مُسلم، وفقاً لإشارته في هذه القصيدة، كما في الأخرى التي اقتبسنا بعض أبياتها المُستصرخة، فربما مَرَّرَ قصيدته تلك، على لسان ابن أخيه ـ كما يؤكد د. المحروقي ـ وهو في حالةٍ سيئة، لا سيما أنَّ شعره يُفصح عن ذلك في أكثر من مكان، بعد ضعف سلاطين زنجبار المُتأخرين واحتكام الجزيرة إلى قبضة سيطرة الإنكليز.

(١) الأفكَل: الرِّعدَة. يُقال: أخذه أفكَل؛ أي ارتعد مِن برد أو خوف.

سَقى اللهُ قَبْراً ضَمَّهُ رَوْحُ رَحمَةٍ ... تَوالَى عَليهِ بَارِقاً مُتَهَلِّلا

بِرُوحِيَ أَفْدِيهِ طَعِيناً مُمَزَّقاً ... وكَانَ مُفدَّى الحُورِ سَاعَةَ جُدِّلا[1]

يَجُودُ بِنفسٍ طيَّبَ اللهُ ذاتَهَا ... إلى يَدِ رَبِّ العَرْشِ تَبْغِي تَحَوُّلا

تَقبَّلَهَا الرَّحمَنُ بالرَّوحِ جَاعِلاً ... لها بَيْنَ مِنْ حَازوا الشَّهَادَةَ مَنزِلا

لقد فَاضَ مَظْلُوماً بِطَعْنَةِ فَاجِرٍ ... لَهُ الوَيْلُ لا زَالَ الشَّقِيَّ المُبَهَّلا

هَنِيئاً أَمِينَ اللهِ نِلْتَ شَهَادَةً ... وأبْقيتَ ذِكْرَ الطَّيِّبِينَ مُبَجَّلا

ولو فُودِيَتْ نَفسٌ فَدَيْنَاكَ طيبَةً ... ولكنَّها الآجَالُ تَمْضِي إلى البِلَى

عَزاءً لأهلِ الحَقِّ إنَّ مُصَابَكُمْ ... جَليلٌ ولكِنْ يَلزمُ الصَّبْرُ فِي البَلا

لنا خَلَفٌ فِي اللهِ عَنهُ وَسَلْوَةٌ ... بأنَّ إمَامَ المُسْلِمِينَ لَهُ تَلَى[2]

جَزى اللهُ عَنا المُسْلِمِينَ جَزاءَهُ ... بِسَاعَةِ لم يُلغوا حِمَى الدِّينِ مُهْمَلا

رأوا فِتنةً صَمَّاءَ جَاشَتْ جُيُوشُها ... فقاوَمَها «عِيسَى» فَطَاشَتْ كَلا وَلا[3]

وثَايَرَهُ مِنْ عُصْبَةِ الدِّينِ أُسْرَةٌ ... لَهُمْ غِيرَةٌ مِنْ يَومِ عَمَّار تُجْتَلَى[4]

قِياماً بِحَقِّ اللهِ فَانْتَخَبُوا لَهَا ... هُمَاماً لِكُلِّ المَكْرُمَاتِ تَقيَّلا

مَجيدٌ عَظيمُ الهَمِّ سِبْطُ نَجَادِهِ ... إذا أقبَلتْ كُبْرَى العَظائِمِ أَقْبَلا

تَقلَّدَهَا لا قَاصِراً عَنْ شُؤونِها ... ولكِنَّها جَلَّتْ فَلاقَتْ مُجَلِّلا

تَرَدَّ أَمِينَ اللهِ ثَوباً كَسَاكَهُ ... إلهُكَ لم يَدنَسْ ولا بَلغَ البِلى

تَنَاوَلتَهُ عِنْ عَاهِنٍ بَعدَ عَاهِنٍ ... مُلوكُ بَني قَحطَانَ أوَّلَ أوَّلا

فَلِلَّهِ سِرْبَالٌ مِنَ النُّورِ جَاءَ مِنْ ... خَلِيلِ بنِ شاذانٍ وَصَلتٍ ومَنْ خَلا

فَلا زالَ سِرْبَالاً تَزِينُ بِوَشْيِهِ ... على مِحْوَرِ القُرآنِ حِيكَ وهُلْهِلا

---

(١) جُدِّل: صُرِع مقتولا.

(٢) يقصد الإمام محمد بن عبدالله الخليلي الذي تلى الإمام المغدور سالم بن راشد الخروصي.

(٣) يُشير إلى الشيخ عيسى بن صالح الحارثي.

(٤) إشارة: يُكثر الشاعر من إحالة شخوصه المرثيّة إلى الصحابي عمّار بن ياسر، الذي استشهد يوم صِفّين، والذي قال عنه النبي (ص): ويح عمّار تقتله الفئة الباغية.

شَكَرْنا رِجالًا قلَّدُوكَ حُسامَها ... فراسَةَ إيمانٍ وسِرٌ تَسَلْسَلا

فقد صَدَقتْ فِيكَ الفِراسَةُ مِنهُمُ ... فما وَقعَتْ إلّا عَلى الحَقِّ والجَلا

فيا لرِجالِ اللهِ حَقاً نَصَرْتُمُ ... وعَزَّزْتُمُ هذا الإمامَ المُفضَّلا

تَنَوَّرْتُمُوهُ وَهُوَ نَجْمٌ لأُفْقِها ... فأصْبَحَ هذا الكَونُ بالنُّورِ مشعَلا

لدى مَلَكُوتِ اللهِ يُتلى ثَناؤُهُ ... وللمِلأ الأعْلَى لأمْثالِهِ وَلا

إمَامٌ غَدَا فِي جَبْهَةِ الدَّهْرِ غُرَّةً ... لهُ قَدَمٌ في الصَّالِحاتِ وفِي العُلى

هو البَاسِلُ الضِّرغامُ في حَومَةِ الوَغَى ... وقد عَرَفَتْ مِنهُ الكَوَارِثُ مَبْهَلا

مُحَمَّدٌ المَعروفُ فِي الأرضِ والسَّمَا ... بِصيتٍ على لُسْنِ المَلائِكِ أسبلا

صَبُورٌ على العَلّاتِ أمّا خِلالُهُ ... فزُهْرٌ وأمّا المَالُ فالويلُ في المَلا

حَليمٌ عَلى جَهْلِ الجَهُولِ مُرَزَّأٌ ... يُصَادِي الرَّزايا ثابتاً مُتوكِّلا

يُدَبِّرُ مَا لا يُوهِنُ الجَيشَ صَعْبُهُ ... ولو لم يُجَرِّدْ فِيهِ رُمْحاً وَفَيْصَلا

ويُبرِمُ رَوعَاتِ الأمُورِ بِحِكْمَةٍ ... ويُصدِرُ في الأزْمَاتِ رَأياً مُؤصَّلا

كأنَّ سَدِيدَ الرَّأيِ وَحْيٌ مُنزَّلٌ ... وحَاشا ولكِنْ قُلهُ وَهْباً مُرَسَّلا

لكَمْ حَلَّ مِنهُ الرَّأيُ صَعباً فأصبحتْ ... مَصَاعِبُ ذاكَ الأمرِ أمْراً مُسَهَّلا

وكم صَادَمَتهُ مِنْ لَيَالِيهِ نَكْبَةٌ ... فَفكَّكَ أغْلالًا وَكَشَّفَ مُغْضِلا

حَرامٌ عَليهِ أنْ يَبِيتَ لحَادِثٍ ... إذا لم يُصَبِّحْهُ الجَلاءَ مُعَجَّلا

إليكَ أمِيرَ المُؤمِنِينَ رِسَالَةٌ ... وحَسبيَ فَخراً إنْ أكُنْ لَكَ مُرسِلا

تَيقَّنْ بِأنْ سِرَّ الخَليليِّ قد بَدا ... على وَجهِكَ المَيمُونِ بَرْقاً تَهَلَّلا

تَيقَّنْ بِأنْ سِرَّ الخَليليِّ إذ دَعَا ... أتِيحَ لَهُ نَصْرٌ عَلَى لَوْحِهِ انْجَلَى[1]

دَعَا دَعْوَةً يَا قَدَّسَ اللهُ سِرَّهُ ... أجِيبَ بِهَا حَياً ومِنْ بَعدُ مَا خَلا

---

(١) قوله في هذا البيت والذي سبقه: «سِرّ الخليلي» إشارة تعظيمية إلى مَراتب التصوُّف والكشف التي حظي بها الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي، جد الإمام محمد بن عبدالله الخليلي في ابتهالاته المتوسلة أبداً بديمومة إمامة الحق في عُمان.

سُمُوطُ ثناءٍ جُرِّدَتْ مِنْ ضَمِيرِهِ ... فكَانَتْ عَلى أعدَاءِ ذا الدِّين مَقصَلا[1]

فيا دَعْوةً لم يُغلِقِ اللهُ بَابَهَا ... بِهَا رُكْنُ عَرشِ الظَّالِمِينَ تَزلْزَلا

فَقضَّى بِهَا سُودَ الليالي زَواهِراً ... بصَوتٍ لِعَرشِ اللهِ قَطعاً تَوصَّلا

يُغوِّثُ وَالأكْوَانُ تَحتَ جَبِينِهِ ... يُغوِّثُنَ تَأمِيناً إذا مَا تَبَتَّلا

وَمَنْ لِي بِأنْصَارٍ إلى اللهِ وَحدَهُ ... ومَنْ لِي بسَيفٍ يَقطَعُ الهَامَ والكلا

فأصبَحْتَ فِي ذاكَ الدُّعَاءِ إجابةً ... وأصبَحْتَ ذاكَ السَّيفَ ذو كان أمّلا

لكَانَ رَسُولُ اللهِ دَعوةَ جَدِّهِ ... وكنتَ أمِينَ اللهِ فِي ذاكَ مَنْ تَلا

تَناوَلْ عُقودَ الدُّرِّ مِن خَيرِ نَاظِمٍ ... نَعَمْ هُوَ نُورٌ مُجْتَنًى مِنكَ مُجْتَلَى

لقد طَالَ مَا أوْعَيتَ أُذْنِي جَوَاهِراً ... رَجَعناهُ مَنّاً كُنْ لَهُ مُتقبِّلا

وأوْلَيتَنِي فَضْلًا لو الشمَّ طوَّقتْ ... لقد كانَ مِنها فِي المَوازِينِ أثقلا

ومِنْ أسَفِ أنِّي أُوَدِّعُ مَرْبَعاً ... أنيقاً بِهِ كُنتمْ رَبيعاً ومَعْقِلا

ومَا لِي صَبْرٌ عَنكُمُ باسْتِطَاعَةٍ ... ولكن رَأيتُ الصَّبرَ بالحُرِّ أجْمَلا

عَسَى نَفحةُ الرَّحْمَنِ تَجْمَعُ بَيننا ... فيصبح ما بالقلبِ خَطْباً مُسَهَّلا

ولولا فُروضٌ أُلْزِمَتْنِي أدَاءَهَا ... لشيخٍ عَسَى لا يَستطيعُ التَّنقُّلا

خَليفِ العَصَا يَمشِي الهُوَيْنا أَصَابَهُ ... مُصابُ بَنِي السِّتينَ وَهْناً فحَوْقَلا[2]

وَصِيَّةَ رَبِّي فِيهِ أرْعَى حُقوقَها ... ولولاهُ لم أنصبْ لِنفسِي مزحَلا

رَحَلتُ إلَيهِ كَيْ أفوزَ بِقُرْبِهِ ... فألفيتُ مِنهُ المَنزلَ المُتخوِّلا

ولولا خُطُوبٌ ضَعْضَعَتْ مِنْ جَناحِهِ ... لسابقَ سَيرَ الرِّيحِ نَحوكَ مُذمِلا

فهل لَكُمُ فِيهِ وقد نَجَمَتْ لهُ ... نَواجِمُ دَهرٍ بالشَّدائدِ والبَلا

---

(١) يُشيرُ إلى منظومة سموط الثنا للشيخ سعيد بن خلفان الخليلي، جد الإمام المُخاطب في القصيدة.

(٢) **ملحوظة**: يتحدث ابن أخي الشاعر إلى الإمام، بلغة الإشارة، قائلًا له: إنه لم يستطع القدوم لنصرة الإمامة، بسبب التزامه بشيخ طاعن في السّن، وهو (كاتب القصيدة الحقيقي، أبو مُسلم)، كما أثبتّا في الهامش المُطوّل.

ولـم يَـبـقَ فـي الـدُّنـيـا لَهُ مِـنْ مُـعَـوَّلِ ... سِـواكَ ونِـعـمَ الـرُّكْـنُ أنـتَ مُـعـوّلا[1]

فـلا تَـنْـبُـذَنْـهُ بَـيـنَ أسْـدٍ عَـوابِـسٍ ... وبَـيـنَ بَـلاءٍ حَـيـثُ أدْبَـرَ أقْـبَـلا

فـلا يُـبْـطِـئَـنْ تَـدْبِـيـرُكُـمْ فِـي رُجُـوعِـهِ ... فلا زلتَ فِي الإحْسَانِ يُمْناكَ أطْوَلا[2]

ومَا كانَ شَـيـخِـي وَاهِـناً فِـي اضْـطِـبـارِهِ ... ولا طَـائِـشـاً فِـي أمْـرِهِ مُـتـخـذِّلا

ولـكِـنَّ رَيـبَ الـدَّهْـرِ صَـعـبٌ مِـرَاسُـهُ ... تَـرَى كُـلَّ حُـرٍّ تَـحـتـهُ مُـتـزلـزِلا

يُـعَـانِـدُ جَـرْيَ الـحـرِّ حَـتـى يَـشُـلَّهُ ... ويَـتـرُكُ رَوضَ الـنُّـبـلِ والـفـضـلِ مُـمْـحِـلا

بـشـيـمَـتِـكَ الـزَّهْـرَاءِ لا تَـنـسَـيـنَّـهُ ... حَـنـانَـيـكَ عُـقـبَـى الـخَـيـرِ لَنْ تَـتَـحَـوَّلا

حَـنـانَـيـكَ يَـا سِـبـطَ الـخـلـيـلِيِّ إنَّـهَـا ... ذَخـيـرَةُ خَـيـرٍ قَـصَّـرَتْ دُونَـهَـا الـمَـلا

أغِـثْ عَـانِـيـاً وارْبَـخْ ثَـوَابَ فَـكَـاكِـهِ ... فـلا زِلـتَ لِلإسْـلامِ حِـصْـنـاً ومَـوئِـلا

أتـاحَ لَـكَ الـرَّحـمـنُ نَـصْـراً مُـؤيَّـداً ... ولا زالَ خَـصْـمُ الـدِّيـنِ خَـصْـمـاً مُـكَـبَّـلا

---

(١) **ملحوظة**: في هذا البيت والذي قبله؛ يستعطف أبو مُسلم الإمامَ الجديد قائلًا له، على لسان ابن أخيه (الذي يرعاه): هل ستترك هذا الشيخ الذي أثقلت كاهله السنين في غربته؟ أم ستتركه في نواجم دهر نجمت له بالبلاء والشدائد؟

(٢) **المعنى**: وهذا بيت آخر يؤكد حقيقة الشيخ المُتحدَّث عنه في القصيدة؛ ألا وهو الشاعر نفسه، قائلًا للإمام: لا تبطئ تدبير أمرٍ رجوعه إلى عُمان، فيدك في الإحسان طولى، وتستطيع إخراجه ليقضي أواخر عمره في ظِلِّ إمامتكم. **توضيح**: في الحقيقة لم يكن باستطاعة الإمام فعل شيء حيال هذا الأمر لأسباب سياسية كانت تعيشها عُمان، ويبدو أنَّ أبا مُسلم المُنقطع في زنجبار ينتظر غوثاً ونجدة منه، وعندما لم تصله، كتب قصيدته الأخرى التي أشرنا إليها في هامش سابق، مُذكِّراً الإمام محمداً الخليلي بحقوقه (التي كادت أن تُفرض) على إمامته وإمامةِ المرتي سالم بن راشد الخروصي، قائلًا بصريح العبارة: أعنِّي أعانكَ رَبُّ العبادِ | فقد كادَ حقيَ أنْ يُفرَضا.

القائم المُرْتَضى(*)

سَلامٌ عَلَى القائِمِ المُرْتَضَى ... وأتْحَفَهُ اللهُ مِنهُ الرِّضَا
قَضَى اللهُ بُعْدِيَ عَنْ بَابِكُمْ ... رَضِيتُ بِمَحْتُومِ حُكْمِ القَضَا
وَكَمْ لِي أُحَاوِلُ جَمْعِي بِكُمْ ... ومُبْرَمُ بُعدِيَ لَمَّا انْقَضَى
أَمُرُّ اللَيالِيَ مَقرُونَةً ... لِنَاشِطِ هَمِّي بِجَمْرِ الغَضَا
أُطَالِبُ دَهْرِي بِلُقْيَاكُمُ ... وَمَهْمَا أُطَالِبُهُ أَعْرَضَا
عَسَى حَابِسُ الفِيلِ عَنْ مَكَّةٍ ... مَطَالِقَ حَبْسِيَ قد قَيَّضَا
ولولا حِبَالٌ عَلِقْنَا بِهَا ... قَطَعْنَا إِلَيكُمْ بَعِيدَ الفَضَا
فَهَلْ لَكُمُ مَعْشَرَ المُسلِمِين ... بِأَنْ يَقرِضَ اللهَ مَنْ أَقْرَضَا
فَتَقطَعَ أَسْرِي عِنَايَاتِكُمْ ... فَهَلْ رَحْمَةٌ لأَسِيرٍ قَضَى
أَخُصُّ بِهَا القَائِمَ المُهْتَدَى ... فَبَارِقُ إِقْبَالِهِ أَوْمَضَا
عَسَى فَرَجُ اللهِ عِندَ الإِمَامِ ... فَكَمْ لِلمَبَرَّةِ قد أَوْفَضَا
إذا تُرِكَ الخَيْرُ يا أَهْلَهُ ... ـ بِحُرْمَةِ أَحمَدَ ـ فِيمَا مَضَى

(*) هذه القصيدة غير موجودة في المخطوطة ولا في الأصل المُعتمد، فأضفناها من أرشيف مكتبة الأستاذ أحمد الفلاحي، وهي قصيدة أرسلت لإمام المُسلمين محمد بن عبدالله الخليلي. جدير بالذكر أنه يُفصحُ علناً، هنا، عن تعبه مادياً وروحياً ومعنوياً في زنجبار، ويطلب من الإمام فَكَّ أسره؛ لكنَّ الشاعر قضى قبل وصول الغوث المُرتجى من إمام الهُدى المُستضرَخ.

لإنْ كـانَ أحـمَـدُ قـد فَـاتَـنِـي ... عَـليـهِ مِـنَ اللهِ حُـسْـنُ الـرِّضَـا[1]
فـمَـا فـاتَـنِـي يـا إمَـامَ الـهُـدَى ... بـأنـكَ تَـرْحَـمُ مَـنْ أَنْـفَـضَـا[2]
فـأَدْرِكْ حَـيَـاتِـيَ إنِّـي قَـضَـيـتُ ... لأُسْـدِ الـشَّـرَى وذِئـابِ الـفَـضَـا
وَكَـائِنْ رَأَيْـنَـا امْـرِءاً عَـانِـيـاً ... أَصَـابَ بـكُـمْ فَـرَجَـاً مُـمْـحَـضَـا
أَعِـنِّـي أَعَـانَـكَ رَبُّ الـعِـبـادِ ... فَـقَـدْ كَـادَ حَـقِّـيَ أَنْ يُـفْـرَضَـا[3]
وَلَـسْـتُ إلَـى عَـرَضٍ حَـائِلٍ ... نَـصَـبْـتَـكَ لـي سُـلَّـماً مُـمْـحِـضَـا
وَلَـو فُـكَّ أَسْـرِيَ ألْـفَـيْـتَـنِـي ... غَـراراً لَـسَـيْـفِـكَ إنْ يُـنْـتَـضَـى
وَلَـكِـنْ قَـضَـى اللهُ لـي بـالـنَّـوَى ... وَكَـسْـرِ الـجَـنَـاحِ فَـلَنْ أَنْـهَـضَـا
إمَـامَ الـهُـدَى قُـمْـتُ مُـسْـتَـصْـرِخـاً ... وَهَـمِّـي لَـصَـدْرِكَ قَـد فَـضْـفَـضَـا
فَـهَـلْ أَنْـتَ لـي رَاحِـمٌ مُـنْـقِـذٌ؟ ... فَـإنَّ اضْـطِـبَـاريَ قَـدْ قُـوِّضَـا

---

(١) يُشير، هنا، إلى صديقه الحميم الشيخ أحمد بن سعيد بن خلفان الخليلي الذي رحل دون أن يراه الشاعر، وقد رثاه بقصيدة، وأشار إليه في النونيّة، وهو عَمُّ الإمام محمد بن عبدالله الخليلي، ومن الواضح أنهُ يستعطفه بذكراه، لكنَّ الإمام لم ينسَ قدحَ أبي مُسلم في أبيه في نونيّته الشهيرة، لذلك لن تشفع له هذه القصيدة، بدورها، في مطلبه العودة إلى وطنه، ناهيك عن الظروف الموضوعيّة التي أحاطت بإمامة الخليلي المختلفة جذرياً عن إمامة سلفه سالم بن راشد الخروصي.

(٢) أنفض: أَنْفَضَ القومُ: نَفِدَ طعامُهم وزادُهم، وهنا يُشير لقلة موارد معيشته.

(٣) يتوسل الإمام لإعانته؛ قائلًا: إنني ظللت وفياً للإمامة؛ إمامتك الحاليّة، وقبلها إمامة سلفك سالم بن راشد الخروصي، فأعِنّي في محنتي، فحقي عليكم كاد أنْ يكون فريضة واجبة.

الباب السادس

تقريظ الكُتب

في تقريظ كِتاب المَنهل(*)

مَـدَدُ الـحَـقِّ لـلـقـلوبِ الـصَّـوادِي ... هُـنَّ مَـلـقـى الأنـوارِ والامـدَادِ
أخْـذَةُ الـحَـقِّ لـلـقـلوبِ إلـيـهِ ... بـعـدَ نَـشـفِ الـوُجُـودِ نَـشـفَ الـرَّمَـادِ
بـعـدَ مَـحْـوِ الآثـارِ فـي طَـلَـبِ الـ ... ـعَـيـنِ وكَـونِ الـمُـرِيـدِ عَـيـنُ الـمُـرادِ
بـعـدَ إدراكِ وَحْـدَةِ الـحَـقِّ لـلـ ... ـخـلقِ وإلْـغـاءِ وَحْـدَةِ الإلْحَـادِ
آهِ والـحُـبُّ لا تُـسَـلِّيـهِ آهٌ ... وحَـرَامٌ آهٌ عـلـى ذي وِدَادِ
لـيَ نَـفـسٌ أذابَـهـا وَهَـجُ الـشَّـو ... قِ فـلـم يَـبْـقَ غـيـر خَـفـقِ الـفـؤادِ
قُـمتُ أشكو سِرِّي بسِرِّي إلى الـ ... ـحُبِّ فكانَ الشَّكْوى كَوَزْيِ الزِّنادِ
ثُـمَّ ألْقـتْ إلـيَّ هَـيْـمَـنَـةُ الـ ... ـحَقِّ: اصْطَبِرْ في مَحَبَّتي يا مُرَادِي
أيُّـهـا الـرَّاكِـبُ الـمُـغِـذُّ إلـيـنـا ... يـا تُـرى هَـلْ شَـارَفْـتَ ذاكَ الـوَادِي
هـل تَـرَحَّـلْـتَ مِـنـكَ شِـبـراً إلـيـنـا ... أنـتَ فـي مَـرْكَـزِ الـهَـوى مُـتَـمَـادي
لـو سَـبَـرْتَ الأغـوارَ مِـنـكَ لأبْـصَـرْ ... تَ جـثـى الأغـيـارِ كـالأطْـوادِ
لـو خَـلَـعـتَ الـمَـلابِـسَ الـسُّـودَ سَـوَّدْ ... نـاكَ بـيـن الـرِّجـالِ وسْـط الـنَّـادي

(*) عُني أبو مُسلم بكتب بعض العلماء والفقهاء وقام بتقريظها؛ كما هو الحال في هذه القصيدة والقصائد التي تليها. وهذه القصيدة تقريظ لكتاب «منهل الوِرّاد» للشيخ أحمد بن أبي بكر. ولم تمنعه مذهبيته من مدح عالم شافعي هو الشيخ أحمد بن أبي بكر الشافعي، مما يدل على عدم تعصّب أبي مُسلم لمذهبيته. جدير بالذكر أنّ الكُتب التي قام الشاعر بتقريظها؛ أشرف على طبعها في المطبعة السلطانية في زنجبار، وراجت، من هناك، في غير بلد عربيّ وإسلامي، لكننا نراه، مع ذلك، في قصائد أخرى كـ«أشعة الحق» و«النهروانيّة» مُكبِّلًا بتشدُّدٍ مَذهبيٍّ واضح.

أنتَ مِفتاحُ الكَنزِ لو كنتَ تدري ... ومَـــدارُ الإصْـــدارِ والإيـــرادِ
أنتَ مِنا ونَحنُ مِنكَ ولكنْ ... حَالَ ما بَينَنا سَوادُ الأعادي
لو نُعارِضْكَ للجَفا لم نُطالِبْـ ... ـكَ بصِدقِ الدَّعْوى وَصَفوِ الوِدادِ
ما رَأى الحَقُّ فيكَ ذرَّةَ مَشهُو ... دٍ سِواهُ، فالقُربُ عَينُ البِعادِ
فَتَخَلَّصْ مُحَمَّدِياً مِن الـ ... ـعِلَّةِ واشْطَحْ على رُؤوسِ العِبادِ
وَافْنَ فِينا فلا حَياةَ لِحَيٍّ ... وحَياةُ الأحْياءِ بعد النَّفادِ
واحتجبْ مِنكَ بي ولا تَحتجبْ مِـ ... ـنِّي بسَجْفِ التأثيرِ والإيجادِ
دَعْكَ من ذا وتلكَ والرَّسْمِ والاسْـ ... ـمِ فما في المَيدَانِ إلّا جَوادِي
واخترِقْ مِن مَحَبَّتي أنا وَحْدِي ... من طِباقِ النِّيرانِ في كُلِّ وادي
فعَلى صِحَّةِ المَحبَّةِ تَستغْـ ... ـذِبُ تَعْذيبَ الصَّدِّ والإبْعادِ
وإذا صَحَّتِ المَحَبَّةُ لم تَخْـ ... ـفَلْ بِرَقصِ النَّعيمِ والإنكادِ
ليَ في كُلِّ ذرَّةٍ مِن وُجُودي ... حِكْمَةٌ قد طَوَيْتُها عَن عِبادي
تَتَضنَّى من الهَوى والهَوى عنْـ ... ـكَ بوادٍ وأنتَ عَنهُ بوادِ
لو صَدَقتَ الهَوى لأغْناكَ حُبِّي ... وتَمَسَّكْتَ في الهَوى بمُرادي
تَطلُبُ الوَصْلَ والمَقامُ صُدُودٌ ... قبلَ قَضِّ الحَصَا وَخَرْطِ القَتادِ
رَبِّ لَبَّيكَ حُجَّةُ الحَقِّ أعْلَى ... وعُيونُ الجَلالِ بالمِرْصادِ
مَن تَوَلَّيتَهُ تَجَلَّتْ عليهِ ... مِن كَمالاتِ الحَقِّ شَمسُ الرَّشادِ
مَن أنا؟ والأنا فَناءٌ وَمَحْوٌ ... في مَقامِ التَّعذيبِ والإشْهادِ[1]
مَن أنا؟ والأنا خَيالٌ وَوَهْمٌ ... في مَقامِ الخِطابِ والإرْشادِ
من أنا؟ والأنا مَجازٌ وظِلٌّ ... في مَقامِ الإبعادِ والإيجادِ[2]

---

(١) استخدام «الأنا» مَسْبُوقةً بـ [لام التعريف] نادِرٌ في الأدبيّات الكلاسيكيّة، فيما لو قُورِنَ بِقُرْحِ استخدَاماتِها في العَربيّة المُحْدَثة، لكنّها طبيعيّة في شِعر أبي مُسْلم وغير مُتكلَّفة.

(٢) [مَن أنا؟ والأنا مَجازٌ وظِلٌّ] ـ لو قُرِئ هذا الشطرُ قراءة فلسفيّة/ شِعرية تحليليّة (بمَعزلٍ عن الخطاب الفكري المُهَيمِن في قصيدته هذه، وجُلّ قصائده الماتحة من مسعى تصوُّفيّ) لاستنبط القارئ/ =

بَـلْ أنـا نِـسْـبَـةٌ إلـى أثـر الـ ... ـحَـقِّ شَـهِـيـدٌ لـلحَـقِّ بـالانـفـرادِ
وأنـا مِـن حَـيـثُ انـتِـسـابـي إلـيـهِ ... مَـلِكُ الـحَـمْـدِ والـثـنـا والـمِـجَـادِ
وأنـا مِـن حَـيـثُ انـتِـسـابـي إلـيـهِ ... كُـلُّ نـقـصٍ وَوَصْـمَـةٍ فـي عِـدادي
وأنـا مـن حَـيـثُ انـتِـسـابـي إلـيـهِ ... مُـنـعِـشُ الـرُّوحِ بـاعـثُ الأجْـسـادِ[1]
نِـسْـبَـةُ الـحَـقِّ صَـرَّفـتـنـي إلـى أنْ ... قُـمْـتُ أتـلو الـزَّبُـورَ بـيـن الـجَـمـادِ
إنْ يَـكُـنْ فـي الـوُجُـودِ سَـمْـعٌ شـهـيـدٌ ... فـأنـا فـي الـوُجُـودِ أحْـسَـنُ شـادي
مـا أنَـنْـتُ الـحَـديـدَ إلّا لأنّـي ... قُـمْـتُ أشـدو بـنـغـمَـةِ الـحَـدَّادِ
وَارِثُ الـفَـيْـضِ والـكَـمَـالاتِ والـحِـكْـ ... ـمَـةِ مِـن جَـدِّهِ الـرَّسُـولِ الـهـادي
مُـوصِـلُ الـسَّـالِـكِـيـنَ بـالـحَـقِّ لـلـ ... ـحَـقِّ ومُـجْـلِـي مَـشـارِقِ الإمْـدادِ
مَـدَّ مِـن فَـيـضِـهِ عـلـى الـكَـونِ بَـحـراً ... فـي قَـصِـيـدٍ كـالـجَـوهَـرِ الـوَقَّـادِ
فـشَـهِـدْنـا مِـن مَـدِّهِ مَـجْـمَـعَ الـ ... ـبَـحْـرَيـنِ[2] مِن غـامِضٍ هُـنـاكَ وبَـادِ
مَـنْ سَـقـتْـهُ الـمُـحَـمَّـدِيَّـةُ بَـحْـراً ... غَـيـرُ بِـدْعٍ آرَاؤهُ لـلـعَـوادِي
فـتـلـقَّـى تـلـكَ الـمَـعـارِفَ كَـشّـا ... فُ الـمُـعَـمَّـى خَـبِـيـئَـةُ الأفـرادِ
مَـن هَـيُـولاهُ[3] والـنـبُـوَّةُ سِـيـطَـتْ ... قَـبـلَ إظـهـارِ نَـشـأةِ الإيـجـادِ
مَـصْـدَرُ الـفـضـلِ أحْـمَـدُ بـنُ أبـي بَـكْـرٍ ... شَـريـفُ الآبـاءِ والأجْـدادِ
عَـلَـوِيٌّ مُـحَـمَّـدِيٌّ عَـلـيـهِ ... مِـن سَـنـا الـنِّـسْـبَـتَـيـنِ سِـيـمـا الـسَّـدادِ

=المُحَلّل ظِلالًا ومجازات شِعريّة قادرة على إنصاف مُخيّلة الشاعِر (بالمَعنيين الشعري والفلسفي) خارجَ الأطُر التي كُرّسَت قصائدُهُ ومَضامينُها لفهمِها ضِمْنَ حُدودِها الضَّيقة.

(١) يتجلّى في هذا البيت البُعد الفلسفي الصُّوفيّ الصِّرف الذي ينطلقُ منه أبو مُسلم في تَناوُلِهِ اللافِت لمَوضُوعَة اتحاد الخالق بالمخلوق.

(٢) مَجمَع البحرين: من التقى فيه العِلم الإلهي والعِلم الكَسْبيّ؛ أي: المُكْتَسَب من عُلوم الدنيا. ويَقصِدُ، هُنا، مَمْدوحه أحمد بن أبي بكر مؤلّف مَنهَل الوُرّاد.

(٣) الهَيُولى: مادّة الشيء التي يُصنعُ منها؛ كالخشب للكُرسيّ والحديد للمسمار، والقطن للملابس. وهيَ عند القُدَماء: مادّة ليس لها شكلٌ ولا صورةٌ مُعيّنة، قابلة للتشكيلِ والتصويرِ في شتى الصُّوَر. وهيَ التي صَنعَ اللهُ منها أجزاء العالم المادّيّة.

جَمَعَ العِلمَ في مَزادٍ مِنَ الثَّقـ ـوى، ولله جَمْعُ ذاكَ المَزادِ
واقتنى الدُّرَّ من عُلومِ الإشارا تِ فَحَلَّى بهِ صُدُورَ النَّوادي
جَرَّدَ النفسَ من كَثائِفِها فانهـ ـالَتْ عليها لَطائِفُ الإمْدادِ
وتلقَّى من رَبِّهِ كَلِماتٍ صَبَّها الفَيْضُ في لِباسِ المِدادِ
بَرَزَتْ مِن مَضارِبِ الوَهْبِ ثكلى فهيَ مِن فَقدِ أهلِها في حِدادِ
فَتَرامَتْ تُبينُ مِنهُ خَفيًّا تِ طَوَتْها فَريدَةُ الحَدَّادِ
كُنَّ شَرْحاً لها وأعْظِمْ بهذا الشـ ـرحِ كَنزاً ما إنْ لَهُ من نفادِ
يَبْرُقُ الحَقُّ مِن مَصادِرِهِ العُلـ ـيا ويَنهَلُّ حِكْمَةً للعِبادِ
قامَ بالشَّرْعِ والحقيقةِ يَدْعُو بالِلسانَيْنِ للهُدى والرَّشادِ
شَكْلُ[1] نورٍ بهِ خَبايا زوايا رَقَبَتْها دَوائرُ الأفرادِ
جَامِعٌ مِن ذخائرِ العِلم والحِكْـ ـمَةِ ذُخراً يَبقى لِيَومِ المَعادِ
حاصِرٌ مِن مَعارفِ القومِ ما يفـ ـتحُ للسالِكينَ بابَ المُرادِ
وَلَعَتْ بانتشارِهِ مَكَّةُ اللهِ لتشري أنوارُهُ في البلادِ
فأدارَتْ عليهِ من فَلَكِ الطِّبـ ـعِ نُجُومُ التوفيقِ والإسْعادِ
جاءَ تأريخُ طَبْعِهِ ضِمْنَ بَيتٍ كان تاجاً لمَفرِقِ الإنشاد[2]
سَلْسَبيلٌ مِزاجُهُ زنجبيلٌ فأشرَبُوهُ «بمَنهَلِ الوُرَّادِ»

---

(١) الشَّكْل: الأمر المُلتبس ـ وهيئةُ الشيء وصُورته، لكنه عند المَناطِقة: صُورةٌ من الدليل تختلف تبعاً لنسبة الحَدِّ الأوسط إلى الحَدَّيْن الآخَرين؛ الأصغر والأكبر.

(٢) هنا يؤرخ لتاريخ طباعة كتاب منهل الوُرَّاد، في شاهد البيت: «كان تاجاً لمَفرِقِ الإنشادِ»، ويُساوي بحساب الجُمَّل سنة ١٣٣١هـ، الموافق: ١٩١٣م.

تقريظ كتاب «هِمْيَان الزاد»(*)

جَرِّدِ النَّفسَ وَانْهَهَا عَن هَوَاهَا ... لا تَذَرْهَا في غَيِّهَا تَتَلاهَى

زَكِّهَا بالتُّقى فما تُفلِحُ النَّفـ ... ـسُ بِحَالٍ إلّا على تَقْوَاهَا

واستَمِلْهَا عَنِ المَرَاعِي الوَبِيَّا ... تِ إذا استَرْسَلَتْ إلى مَرْعَاهَا

واتَّخِذْ في مَرَاصِدِ الكَيْدِ مِنها ... حَرَساً يَكْسِرُونَ صَعْبَ قُواهَا

فَلَهَا لِلعِضْيانِ مَيلٌ عَظيمٌ ... لو نَفَتْهُ عن طَبْعِهَا ما عَدَاهَا

ولَهَا في المَتابِ شِدَّةُ عَجْزٍ ... بِعِدَاتِ التَّسْوِيفِ نِيطَتْ عُرَاهَا

ولَهَا في المَتابِ مَكْرٌ خَفِيٌّ ... جَعَلَتْهُ تَلَبُّساً مِنْ حُلاهَا

إنَّ كَيدَ الشيطانِ كانَ ضَعيفاً ... ودَوَاهِي النُّفُوسِ لا تَتَضَاهَى

فتَيَقَّظ لَها وقد أمْكَنَ الأمْـ ... ـرُ، فما الحَزمُ تَرْكُها وَمُنَاهَا

فاعْتَقِلْهَا في مَبْرَكِ الزُّهْدِ بالخَو ... فِ إلى أنْ تَبدُو هُزالًا كُلاهَا

فإذا انحَلَّتِ القُوى فأثِرْهَا ... لِمَرَاعِي اليَقينِ تَشفي طُواهَا

وإذا أرْزَمَتْ وحَنَّتْ لإلْفِ الطبـ ... ـعِ فارْفُضْ حَنِينَهَا وَبُكَاهَا

فمُرُوجُ اليَقينِ فيها زُهورٌ ... مُعصِراتُ التوفيقِ تَسقي رُباهَا

(*) العُنوانُ من اختيارنا ـ وقد قال هذه القصيدة مادِحاً قُطب الأئمة الحاج محمد بن يوسف أطفيش المِيزابي (نسبة إلى وادي مِيزاب ـ الجزائر) والقصيدة كتبت تقريظاً لكتاب قطب الأئمة «هِمْيان الزّاد إلى دار المعاد»، بمناسبة طبعه في زنجبار بهمّة أبي مُسلم الذي سخر المطبعة السّلطانية لطبع الكتب الفقهية إلى جانب إصداره لأول لصحيفة «النجاح» عام ١٩١١. الهِمْيان: كيس للنفقة يُشدُّ في الوسط.

ما رَعَاها حَيٌّ فعاشَ ولا مَيـ ... ـتٌ فلم يَحْيَ رَيثما يَرْعَاها
ومَتى هَبَّ للقَبُولِ قَبُولٌ ... بينَ رَوضَاتِها وَفَاحَ شَذاها
فاشرِ بالدَّهْسِ لا الحَزونِ بليلٍ ... آمِناً مِنْ كَلالِها وحُفاها
ما سَرَتْ للأوطانِ نفسُكَ إلّا ... حَمِدَتْ غِبَّ صُبْحِهِ مَسْراها
أنتَ في هذه الرُّسُومِ العتيقا ... تِ غريبٌ فخَلِّها وَبَلاها
والبِدَارَ البِدَارَ للمَوطِنِ الدَّا ... ثِم حَيثُ الحَياةُ أَلْقَتْ عَصَاها
قد تَرَاءَتْ لكَ الخِيامُ فما عَجْـ ... ـزُكَ عَنْ أنْ تَحُلَّ وَسْطَ فِناها
شَمِّرِ الذيلَ وارْكَبِ الليلَ واصْحَبْ ... ذاتَ صَبرٍ فما السُّلوكُ سِواها
وعلى الأينِ فاحْتَمِلْ كُلَّ خَطْبٍ ... سَوفَ تَحْلُو الخُطُوبُ في عُقباها
وإذا شَقَّتِ المَسَالِكُ طالَتْ ... قَصَّرَ الشوقُ للحَبيبِ مَداها
ما الكَرَى والبروقُ سَاهِرَةٌ إنْ ... كانَ في الشَّوقِ صَادِقاً دَعْواها
خَلْفَ العَالَمَ الطَّبيعيَّ وارْحَلْ ... للتي لم تُخلَقْ لدَارٍ سِواها
هذه مَغْبَرٌ وتلك مَقامٌ ... فاغْبُرُوها لا تَغْمُروا مَغْناها
عَجَباً مِن مَحْجُوبةٍ في كثيفٍ ... عُنصُرُ العالَمِ اللطيفِ رَمَاها
نَسِيَتْ أُنسَها بِمَقعدِ صِدْقٍ ... وتَجَافتْ لِوَيْلِها وَشقَاها
حُبِسَتْ في ضَنْكٍ وَوَحْشةِ طَبعٍ ... فتَمَنَّتْ أنْ لا يَحُولَ عَناها
ليتها حَلَّقَتْ إلى الزَّفرَفِ الأخـ ... ـضَرِ حيث الأنوارُ تَغذو قواها
رَجِّعِي يا وَرْقاءُ نَوْحَكِ للإلْـ ... ـفِ، فإنَّ الوَلْهَى تَبُثُّ جَواهَا
واندُبي المَعْهَدَ القديمَ عَسَى الرَّجـ ... ـعَةُ قد آذنتْ إليه عَسَاها
وانقذي من إسْرَاكِ سِجنكِ شَوقاً ... لرياضٍ نَشأتِ بَينَ رُباها
جاذِبي كَفَّةَ الحِبَالَةِ فالحَا ... بلُ مُوفٍ بِمِدْيَةٍ قد نَضَاها
واسْرَحِي في الرِّياضِ مِن مَلكوتِ الله ... تَرْعَينَ فَيضَهُ في فَضَاها
لو شَجَاكِ التَّذكارُ مِن لَوعَةِ البَيْـ ... ـنِ لَمَزَّقْتِ القلبَ آهاً وواها
عالَمُ الكَونِ والفسادُ بَليَّا ... تٌ، لكِ الاختيار فيما عَدَاها

رَشَّحَتكِ الألطافُ للحَضْرَةِ العُليـ ... ـا، أما تَرْغبين في لُقياها؟
لَهْفُ نفسِي على النفوسِ النَّفيسا ... تِ أضاعَتْ أقدارَها وعُلاها
بَرَزتْ مِن مَضارِب الحَقِّ في أنـ ... ـيَةِ الأمرِ فاشتباها هَواها
تَأنَفُ الوَادِيَ المُقدَّسَ رَعياً ... وَرَعَتْ حيث الآسادُ تَفري فَراها
لو تَمَنَّتْ خَلاصَها أدرَكَتْهُ ... وغَدَتْ لا تُراعُ وَسْطَ حِماها
ما أرادتْ مِن جيفةِ الزُّخْرُفِ الحا ... ئِلِ لو أبْصَرَتْ سَبيلَ هُداها
تَتجلّى لها الحقائقُ لا غيـ ... ـنَ ولا غَيمَ ساتِرٌ مَجْلاها
بَاهِراتُ الجَمالِ يَدْعِينَ للوَصْـ ... ـلِ فتأبَى النُّفوسُ أنْ تَهْوَاها
غَرَّها الجَهْلُ فاطْمَأنَّتْ إليهِ ... إنَّ جَهْلَ النفوسِ أصْلُ شَقَاها
أيها النفسُ عِلمُ مَغناكِ بَحرٌ ... في عَمِيقاتِ غَمْرِهِ العَقلُ تَاهَا
لو شَهِدْتِ المَسْطورَ في نُسخةِ الغَيـ ... ـبِ وَمَعناكِ ما حَوَتْ دَفَّتاها
وكَشَفْتِ المَستورَ فِيكِ أيُقنـ ... ـتِ بأنَّ الوُجُودَ فيكِ تَناهى
أنتِ في هَيكلٍ خَبيئةُ أمرٍ ... مِنْ حَكِيمٍ لِحِكْمَةٍ أمْضاها
فأمِيطِي قَذاةَ عَينِكِ مِن بَينِ ... زَوَايَاهُ تُدْرِكِي إيَّاها
فالخفايا عَلَيكِ في لَوحِكِ المَحْفـ ... ـوظِ لو ما كَشَفْتِ عَنها غِطاها
آهِ يا نفسُ والبَقِيَّةُ مِن عُمْـ ... ـرِكِ قد أسْرَفتْ على مُنتهاها
آهِ يا نفسُ أدْرِكِيها فلا مَطـ ... ـمَعَ، بَعدَ الفِراقِ، في لُقياها
وَدِّعِيها بالصَّالِحات عَسَى نَفحَـ ... ـةُ ثَوبٍ وَرَحْمَةٌ تَغشاها
لستِ في هذه الحَياةِ على شَـ ... ـيءٍ سِوى ما تَلْفِينَ في عُقباها
فاصْدِري عَنْ غِمارِ باطِلِها عَطْـ ... ـشى، فأصْدَى عِطاشِها أرْوَاها
وَمَسِيرُ العِطاشِ أقطَعُ للبِيـ ... ـدِ وخَيرُ الإظْمَاءِ ما أخْفاها
فاطْمَئِنِّي وأوْبِي وأنِيبِي ... واخلُصِي مِن آفاتِها وبَلاها
آهِ يا نفسُ والعلائقُ أعدا ... ءٌ شِدادٌ، وأنتِ مَن أسْرَاها
«يَندبون اللَّوى وأندُبُ نَجْداً ... كُلُّ عَينٍ تبكِي عَلى ما شَجَاها»

ليتَ أنّي بـ «يَسْجنٍ»[1] أجْتلي النو ... رَ مِـن الـعَـالِمِ الـذي لا يُـبـاهـى
أسْـتـمِدُّ الفُيوضَ في فَيْضِهِ الوَهْـ ... ـبـيِّ أو تـمْـلأُ الـسُّـيـولُ زُبَـاهـا
قَـطَـعَـتْ بـي قَـواطِـعُ الـدَّهـرِ عـنـهُ ... حَـاجَـةٌ فـي نَـفـسِ الـزَّمـانِ قَـضَـاهـا
كَـشَـفَـتْ لي عَنهُ الحَقائقُ ـ والحَقُّ ... شَـهـيـدِي ـ بـأنَّـهُ مُـنـتَـمَـاهـا
وَارثُ الأنـبـيـاءِ عِـلـماً وحُـكـمـاً ... وَسَـفـيـرٌ عَـنـهـا إلـى مَـن عَـدَاهـا
أدْرَكَ الـمِـلَّةَ الـحَـنـيـفـيَّـةَ الـبَـيـ ... ـضـاءَ إذ فـوَّضَـتْ لَهُ شَـكْـواهـا
تَـتَـضَـنَّـى مَـرُوعَـةً تَـنـدِبُ الأبـرا ... رَ حُـزنـاً هَـمَّـالَةً مُـقـلَـتَـاهـا
فـأثـارَتْـهُ شِـرْبَـةُ الـنَّـهْـرِ والـغِـيـ ... ـرَةُ لله فـي رِضَـا مُـصْـطَـفـاهـا
فَـحَـمَـاهـا وَسَـامَـهـا وكَـذاكَ الـ ... أسْـدُ تَـحْـمِـي عَـرِيـنَـهـا وَحِـمَـاهـا
رَدَّهـا مِـثْـلَ رَدِّ يُـوشَـعَ لـلشَّـمـ ... ـسِ وقـد غَـابَ نُـورُهـا وَضِـيَـاهـا
عَـجَـباً أشْـرَقَـتْ مِـنَ الـغَـرْبِ شَـمْـسٌ ... فـأنَـرْنـا لـلـشَّـرْقِ يَـسْـعـى سَـنـاهـا
إنَّـهـا آيَـةٌ وإنْ كـانَ لا بُـدْ ... عَ مِـنَ الـعَـارِفِـيـن مِـن شَـرْواهـا
دَرَجَـاتُ الـكَـمَـالِ والـفَـضْـلِ لا تُـخْـ ... ـصَـى وقـد حَـازَ شَـأنُـهُ أعْـلاهـا
تـلـكَ آثـارُهُ لـهُ شـاهِـداتٌ ... إنـه لـلـعُـلـومِ قُـطْـبُ رَحَـاهـا
طَـلَـعَـتْ مِـن جـبـالِ مُـصْـعَـب والزَّا ... بِ جـبـالٌ مـن عِـلـمِـهِ أرْسَـاهـا
ثـم دارَتْ بـالأرضِ كـالـفَـلَـكِ الـدَّو ... ارِ لا تُـخْـصِـي الـنُّـهـى أقـصَـاهـا
جَـاءَ تـفـسـيـرُهُ بـمُـعْـجـزةٍ قـد ... بَـهَـرَتْ أهـل الابْـتِـداعِ سُـطَـاهـا
يَـبْـرُقُ الـحَـقُّ مِـن مَـصَـادِرِهِ الـعُـلـ ... ـيـا ويَـنْـهَـلُ الـعِـلْـمُ مِـن مَـجْـلاهـا
وَحَّـدَتْـهُ الـعُـقـولُ فـي الـفَـنِّ حُـكْـمـاً ... فَـنَـفَـيْـنـا الأنـدَادَ والأشْـبَـاهـا
فـانـهَـضِـي نَـهْـضَـةَ الـغَـضَـنْـفَـرِ لا تُـوْ ... لِـيـنَ جَـهـداً فـي قـتـلـهـا وَجَـلاهـا
واسْـتَـعِـدِّي الأجْـنـادَ مِـن طـاعَـةِ ... اللهِ فـقـدْ عَـزَّكِ الـنَّـصـيـرُ سِـواهـا
واعْـلَـمِـي أنَّ طـاعَـةَ اللهِ لا يَـنْـهَـ ... ـضُ إلّا بـالـعِـلْـمِ، قَـطْـعـاً، بِـنـاهـا

---

(١) يَسْجن: بلدة قطب الأئمة محمد بن يوسف أطفيش بالجزائر.

دُونَكِ الجِدُّ أفْرِغِي فِيهِ أنفا ... سَكِ فالهَزْلُ ضَاقَ عَنهُ مَداها
واستَمِدِّي الأنوارَ مِن كَلِمات ... الله إن الهُدَى بِحَقٍّ هُداها
هيَ مَرجُ البَحْرَينِ، فالتقِطِي الجَو ... هَرَ مِن ذا وذاكَ مِن فَحْواها
شَرِبَ العَارِفونَ مِنها فهاموا ... بمَذاقَيْنِ مِن رَحيقٍ طِلاها
رَاعَ خلفَ السُّتورِ ما أظْهَرَتْهُ ... مِن جَمالٍ فكَيفَ ما في خَفَاها
إنَّ لله في الخَفَاءِ نُفُوساً ... في مَيادِينِ قُدْسِهِ أخْفَاها
حَجَبَتها سَتائرُ اللُّطْفِ عنها ... وجَلاها مِن أمْرِهِ ما جَلاها
أخَذتْها عِنايَةُ الله عَن أطو ... ارِها فانْتَهَت بها في حِماها
هذِهِ الأخْذَةُ التي أحْرَقتْ قل ... بي وطاشتْ قُواي تحت قُواها
ليتَ أنِّي أذْهَبْتُ ألفَ حَياةٍ ... وتَرَاءَتْ لي لَمْحَةٌ مِن خِباها
أنا مَن تيَّمَتهُ غِزلانُ نَجْدٍ ... وخَمِيلاتُ الرَّندِ بَينَ رُباها
ليَ نفسٌ لولا التشفِّي بأزْوا ... حِ صِباها ذابَتْ بحَرِّ جَوَاها
إنْ يَكُ الغَوْرُ تيَّمَ الغَيرَ فالأهْ ... واءُ شتَّى وللقلوبِ هَواها
حَاكَ مِن قبلِهِ الضَّلالُ نسيجاً ... غَزَلَتْهُ خَرْقاؤهُ لِشِتاها
رَقِّعِي يا خَرْقاءُ طِمْرَكِ والأنـ ... ـواءُ تَحْدُو ظُعُونَها بجَرْبِيَاها
لا يُوَارِيكِ ما غَزَلْتِ ولا يُد ... فِيءُ في سَبْرَةِ الشِّتاءِ كِساها
هذه الحُلَّةُ التي نَسَجَ الحَـ ... ـقُّ رَصِيناً إلحَامُها وسَدَاها
لم تَحِكْ فِطْرَةُ العُقولِ على مِنـ ... ـوالِها ليسَ صُنعُها مِن قُواها
إنها فَيضَةٌ لَدُنِيَّةٌ سِيـ ... ـقَتْ لِرَبَّانِيٍّ وهذا سَناها
وبُحُورُ الفُيُوضِ مِن عَالِمِ الوَهْـ ... ـبِ لأهلِ العِرفانِ لا تَتَنَاهى
ما تَلَقَّيْتَ يا مُحَمَّدُ ذي الفَيـ ... ـضَةَ إلّا وأنتَ مِنْ خُلَصَاها
شَمِلَ الكَوْنَ مِنكَ مِقباسُ نُورٍ ... فأنارَتْ عَشِيَّةً كَضُحَاها
أرْضَعَتكَ الآياتُ ألْبانَ ضِرْعَـ ... ـيها فَبَرْهَنَتْ هَادياً مُقتضاها
وأقامَتْكَ في مَقاماتِ ذي النَّحْـ ... ـقيقِ حتى نَزَلْتَ وادي طِواها

هكذا يا ابنَ يُوسُفَ الحَقُّ لا يَترُ ... كُ نفساً أحَبَّها وارْتضاها
أو تُجلَّى لها الحقائقُ كشفاً ... فتَرَى عَنهُ غامِضاتِ عَماها
قَصَّرتْ عَنكَ بالثَّناءِ وبالحَمْـ ... ـدِ لِساني وعَزَّني إمْلاها
نِسْبَتي للمَدِيحِ فيكَ كما بيني ... وبَينَ النُّجُومِ وَسْطَ سَماها
قد تَبَرَّكْتُ بالثناءِ على وجْهِـ ... ـكَ أبْغي بهِ مَعَ اللهِ جَاهَا
فأجِزْني بدَعْوَةٍ تَجْمَعُ الخيـ ... ـراتِ لي في الدُّنيا وفي عُقباها
ظَهَرتْ مِنكَ في الوُجُودِ كَرَاما ... تٌ رَجَوْتُ الإمْدَادَ مِن جَدْواها
هل أتى النُّخلَةَ الإباضِيَّةَ الغَرَّاءَ ... أنْ أفلَحتْ بدَرْكِ مُناها
إذ أتاحَ التوفيقُ والقَدَرُ السَّا ... بتُ إرغامَ كُلِّ مَن نَاواها
بتمَامِ التفسِيرِ طَبْعاً[1] على همَّـ ... ـةِ أمْلاكِها وأُسْدِ شَراها
فَدَعَتْني هَواتِفُ الحَقِّ للتا ... ريخِ والبِشْرُ شامِلٌ إيّاها
قلتُ أرِّخْ: دَوامَ جِدٍّ وبِشْرٍ ... إن «هِمْيَانَ الزّادِ» طَبْعاً تَناهَى[2]
قيلَ فامْدَحْ زَاباً وزِدْ، قلتُ: زَابٌ[3] ... عَلِمَ الجَهلَ ظُلْمَةً فَجَلاها

---

(١) يقصد تمام طَبْع كتاب «هِمْيان الزّاد إلى دار المَعاد» في زنجبار.

(٢) لأبي مُسْلِم دورٌ كبير في طباعة كتاب العلّامة محمد يوسف أطفيش في زنجبار، فزهوُهُ وفرحُهُ بإنهاء الطباعة (هِمْيانُ الزّاد) جليٌّ من الأبيات التي استخدم فيها «حِساب الجُمَّل» للتدليل على تاريخ طبع الكتاب في عبارة «دَوامَ جِدٍّ وبِشر إن هِمْيانَ الزاد طبعاً تناهى» الواردة في هذا البيت، والتي يُمكن ترجَمَتُها وفق حِساب الجُمَّل ليكون تاريخ الإنتهاء من طباعة الكتاب: ١٣١٤ هـ. المُوافق: ١٩١٦م.

(٣) إشارة: نلاحظ تطور أبي مُسلم حتى في استخدامات كلاسيكية للتأريخ (حساب الجُمَّل)، لكننا نرى أنه يُطور في هذه القصيدة عناصر التأريخ، بتكرارها مرتين فيما يذكر بلدة زاب إشادة وإطراءً لها، فهي بلدة واقعة في نفس منطقة الأمازيغ بوادي ميزاب في الجزائر. لذلك، فإن فحوى البيت الأخير ليست ـ كما جرت العادة ـ قفلَة شِعرية كلاسيكية بتكرار: فامدح زاباً وزد، قلتُ: زاباً [نسبة إلى وادي ميزاب]، بلْ لتأكيد تاريخ طبع الكتاب باستخدام حِساب الجُمَّل، ولإيراد مُفردة زاب ضمن شاهده؛ والشاهد في البيت التأكيدي، وفق حساب الجُمَّل في جملة «زابٌ عَلِمَ الجهلَ ظلمَةً فجلاها»، والنتيجة أيضاً: ١٣١٤هـ، وزاب هي بلدة في وادي ميزاب.

تقريظ كتاب «حاشية الترتيب»(*)

إنَّ المَعارِفَ للقلُوبِ مَصَائِدُ ... وسَنا العُقولِ بغيرِ وَهْبٍ خامِدُ
والجَدُّ قبلَ الكَسْبِ في إدْرَاكِها ... والكَسْبُ في التحقيقِ وَهْبٌ وَارِدُ
وإذا تحَجَّبَتِ الحَقائِقُ عَن حِجىً ... فكَشائِفُ الأهْواءِ فيهِ رَوَاكِدُ
وقدَاسَةُ التَّجْريدِ مَجْلَبَةُ الصَّفا ... وَصَفا النُّفوسِ هُوَ البَصِيرُ النَّاقِدُ
وإذا تَقدَّسَتِ القُلوبُ من الهَوى ... فلهُنَّ أسْرارُ الغُيُوبِ مَشاهِدُ
وسَنا البَصَائِرِ مُدْرَكٌ إن مَدَّهُ ... مِن بَحْرِ نُورِ اللهِ نُورٌ وَاقِدُ
ومَتى تَوَارَدَتِ الأشعَّةُ وانْجَلَتْ ... فاقْصِدْ فعِندَكَ في طَرِيقِكَ قائِدُ
وعَلى كَمَالِكَ فاعْتَرِفْ بالنَّقصِ لا ... يَغْرُرْكَ وَهْمُكَ والخيَالُ الفاسِدُ
فعَلَى المَرَاصِدِ من صِفاتكَ قاطِعٌ ... ومَوَاكَ مِن دُونِ المَوارِدِ ذائِدُ
وعلى المَدَارِجِ في المَعَارِجِ دَافِعٌ ... إنْ لَم يَكُنْ لكَ في الرُّقِيِّ مُساعِدُ
هَلَّا أتتكَ عَنِ السَّعادَةِ خِبْرَةٌ ... وأتاكَ مِنْ فَيضِ المَعَارِفِ شاهِدُ
بكَمَالِ طَبْعٍ صَحَائِفٍ نَبَوِيَّةٍ ... شَرْعِيَّةٍ لهُدى النُّفوسِ مَوارِدُ
تُحْلِي حَوَاشِيَها خَرَائِدُ خُلَّبٌ ... لله مِن خَلْفِ الحِجَابِ خَرَائِدُ
تُوحِي إلى الرَّوعِ الهُدَى مِن نُورِها ... وهُدى النبيِّ هُوَ الضِّياءُ الوَاقِدُ
فيها لمُقتبِسِ العُلومُ مَصَابِحٌ ... ومَعالِمٌ ومَواقِفٌ ومَقاصِدُ
ومَعارِفٌ ولَطائِفٌ فَيضِيَّةٌ ... ومَظاهِرٌ قُدْسِيَّةٌ ومَشاهِدُ

(*) كتبت هذه القصيدة تقريظاً لكتاب «حاشية الترتيب» لمحمد بن إبراهيم الورجلاني، وهو أيضاً من الكتب التي عُني أبي مُسلم بطباعتها في المطبعة السلطانية بزنجبار.

تَحيا القلوبُ بها وتَهْوَى رُشْدَها ... ولكُلِّ ما تَهْوَى القلوبُ شَوَاهِدُ

زَهْرَاءُ تَنْثُرُ جَوهَراً كَلِمَاتُها ... ومِنَ العُلومِ نَفائسٌ وفرَائِدُ

حَارَ ابنُ إبراهِيمَ[1] في ترتِيبِهِ ... شَرَفاً لَهُ زُهْرُ النُّجُومِ سَوَاجِدُ

مَنْ تَوَدُّ الشمسُ لو عَقدَتْ لَهُ ... تاجاً وأنَّ لَهُ النجومَ قَلائِدُ

حُسْنٌ تُضِيءُ بِهِ مَحَاسِنُ يُوسُفٍ ... ولِحُسْنِ يُوسُفَ كُلُّ حُسْنٍ سَاجِدُ

طُوبَى لِفِرْقَتِنا المُحِقَّةِ إنَّهُ ... نِعْمَ الإمَامُ إمَامُنا والقَائِدُ

قَطَعَ الخُصُومَ هُدىً وفَضَّ ثُغورَهُم ... وكذا المُحِقُّ عَنِ الحَقائِقُ ذائِدُ

والحَقُّ يَعْلُو والمُوَفَّقُ غَالِبٌ ... والبُطْلُ يُزْهَقُ والمُلَفَّقُ فاسِدُ

أوَ مَا تَرَى فَصْلَ الخِطابِ بِحِكْمَةٍ ... للحَقِّ فيه مَصَادِرٌ وَمَوارِدُ

أوَ مَا تَرَى رَبْعاً مُنِيراً دَوْحُهُ ... فيه لِفُرْسَانِ العُلومِ مَطَارِدُ

نَبَتَ الفَلاحُ على زُبَى صَفحَاتِهِ ... يَسْقِيهِ والقُرْآنُ مَاءٌ واجِدُ[2]

رَتَعَتْ أوَابِدُ كُلِّ عَارِفَةٍ بِسَا ... حَتِهِ فهُنَّ لِمَنْ أرادَ مَصَائِدُ

أمُحَمَّدٌ مَهَّدْتَ شَرْعَ مُحَمَّدٍ ... نِعْمَ المِهادُ لنا وَنِعْمَ المَاهِدُ

وَبَسَطْتَ حَاشِيَةً مَلأتَ وِطَابَها ... دُرّاً وذاكَ الدُّرُّ كَنزٌ خالِدُ

ولقد توفَّرَتِ السَّعادَةُ وانْجَلَى الـ ... إقبالُ وانْكَمَشَ العَدُوُّ الحَاسِدُ

وتألَّقَتْ غُرَرُ البشائرِ حِينما انتـ ... ـظَمَتْ لجَوهَرِها الثمِينِ قلائِدُ

بِكَمَالِها طَبْعاً وكَوْنِ كَمَالِها ... فيهِ لِغاياتِ الكَمَالِ مَعَاقِدُ

وأتاكَ تأريخي: ادْرُسِ التَّرتيبَ أو ... قَمَراً بَدَا للشَّرْعِ فيهِ مَقاصِدُ

أو شِئْتَ: بِرٌّ ظاهِرٌ تأرِيخُهُ ... أو قَولُ: حَاشِيَةِ الحَدِيثِ فرَائِدُ[3]

---

(١) ابنُ إبراهِيم: هو مؤلف الحاشية يوسف بن إبراهيم الورجلاني.

(٢) زُبى: الزُّبْيَةُ: الرابية لا يعلوها الماء.

(٣) في البيتين الأخير وما قبله، وعبر استخدامه لحساب الجُمَّل ـ كما في القصيدة السابقة ـ يُؤرِّخ أبو مُسْلِم طباعة «حاشية الترتيب» بجملتين يكمن فيهنَّ تاريخ طبع الكتاب، وهما: «ادرس الترتيب» و«قمراً بدا للشرع فيه مقاصد»؛ ونتيجة الحسبة: عام ١٣٠٧هـ، المُوافق: ١٨٨٩م.

تقريظ كتاب «مدارج الكمال»(*)

اسْتَنبِطِ العِلْمَ وَزَكِّ العَمَلا ... ولا تَعِشْ بِغِرَّةٍ سَبَهْلَلا

لا تَتْرُكِ الأنفاسَ في الهَزلِ سُدىً ... أدْرَكَ مَن جَدَّ وفي الجَدِّ العُلى

جَوهَرَةُ النَّفسِ إذا ضَيَّعْتَها ... في لَعِبٍ لم تَلْقَ مِنها بَدَلا

رَشَّحَكَ الحَقُّ لأمرٍ جَلَلٍ ... تُدْرِكُهُ إذا رَكِبتَ الجَلَلا

لو لَمْ يُرِدْ قُرْبَكَ مِن جَنَابِهِ ... لم يَهَبِ العَقلَ ويَهْدِ السُّبُلا

فإنْ تَوَجَّهْتَ إلى حَضْرَتِهِ ... فَرَافِقِ العِلمَ يَقودُ الجِمَلا

فَخيرُ ما رَافَقْتَ عِلْماً نافعاً ... وشافِعاً مُشفَّعاً في يَومِ «لا»(١)

إنَّ العُلومَ كالنُّجومِ كَثْرَةً ... فاغْتَنِقِ الشَّمسَ وغادِرْ زُحَلا

عَليكَ بالشَّرْعِ فلَسْتَ عَائِذاً ... بِمَوْئِلٍ أكْنَفَ مِنهُ مَوئِلا

نُورٌ مِن اللهِ إذا كَسَاكَهُ(٢) ... أصْبَحْتَ سُلطاناً على مَن جَهلا

أنتَ مِن اللهِ عَلى شَأنٍ إذا ... خَلَفْتَ بالعِلمِ نَبياً مُرْسَلا

سَدِّدْ وقارِبْ واحْتَجِزْ جَوَامِعاً ... مِنهُ فلن تَحْصِرَهُ مُفصَّلا

ودُونَكَ السِّفرُ الذي تَرْقَى بِهِ ... مَدَارِجَ الكَمَالِ مَرْقًى مُوصِلا

(*) قالها تقريظاً لكتاب «مدارج الكمال» للعلّامة نور الدين السالمي، وأيضاً هو واحد من الكتب التي أخرجتها المطبعة السلطانية في زنجبار.

(١) يوم لا: يقصد يومَ لا ينفعُ مالٌ ولا بَنون.

(٢) كَساكَهُ: كَساكَ إيّاه.

سَحَابَةٌ وَطْفَاءُ إلّا أنهُ ... يُمْطِرُ نُوراً وَيَمُجُّ عَسَلا

نُقطَةُ نُورٍ صَبَّها الوَهْبُ على ... إمْدادِهِ قلبٌ مِنَ اللهِ انْجَلا

تَجَسَّمَ النورُ على طِبَاقِهِ ... فلاحَ فيها جَوْهَراً مُفصَّلا

يَنفُثُ رُوحَ العِلمِ مِن ثُغورِهِ ... كَنفْثِ رُوحِ القُدْسِ لِلوَحْيِ «عَلا»

كانَ نِثاراً كالنُّجُومِ فانْبَرَى ... لِصَوغِهِ عِقداً جَمَالُ النُّبَلا

مُوَفَّقُ النزْعَةِ كَشَّافُ العَمَى ... مُسْتَوْعِبٌ عُشرَ العُقولِ ابنُ جَلا

قُدْوَتُنا المَمْدُودُ مِن مَصادِرٍ ... رَقَى إليها فتلقَّى واجْتَلَى

خَبِيئَةُ اللهِ لِنَصْرِ دِينِهِ ... وحُجَّةُ اللهِ عَلى مَن أبْطَلا

السَّالِمِيُّ ابنُ حُمَيْدٍ الذي ... قَامَ لقيُّومِ السَّماءِ فيصَلا

صَارَ على البُطْلِ شِهاباً رَصَداً ... فأيُّ شيطانٍ بِهِ مَا انْجَدَلا؟

أيَّدَهُ اللهُ وأبقاهُ لنا ... مُوَفَّقاً مُسَدَّداً مُجَلَّلا

وحيثُ مَنَّ اللهُ بالطَّبْعِ[1] لما ... أبرَزَهُ بنورِهِ مُكَلَّلا

بِهِمَّةِ السُّلطانِ ذي الهَمِّ الذي ... تَصَاعَقتْ لَهُ المُلُوكُ ذُلّلا

مُؤيِّدُ الدِّينِ الذي صِفاتُهُ ... وذِكْرُهُ المَحْمودُ سَارَت مَثَلا

أبي عليٌّ مَصْدَرِ الفضْلِ فَتَى ... مُحَمَّدٍ حمودِ قمقامِ العُلا

ذي العِزَّةِ القَعْسَاءِ في شُؤونِهِ ... لا ترتضِي إلّا النُّجُومَ خَوَلا

أكْرَمُ مِن سَارِيَةٍ غَادِيَةٍ ... صَبَّت عَزالِيها فَطَمَّتِ المَلا

تَهَلَّلَ الكَونُ بما أسْعَدَهُ ... من يُمْنِهِ كما بِهِ تَهَلَّلا

فقُمْتُ أشْدُو ثَمِلاً بحَمْدِهِ ... ولستُ وَحْدِي بالحُمَيَّا ثَمِلا

أبَشِّرُ النَّاسَ بِسِفرٍ زاهِرٍ ... كأنَّهُ بنورِهِ تَجَلَّلا[2]

---

(١) يقصد طبع كتاب مُختصر الخصال للعلامة نور الدين السالمي. وكان طبعُهُ على نفقة السيد حمود بن محمد سلطان زنجبار آنذاك.

(٢) أدّى وجود المطبعة في زنجبار إلى نهضة واسعة في النشر والصحافة مطلع القرن العشرين، وكان أبو مُسْلِم في قلبها، إذ أصدر صحيفة «النجاح» عام ١٩١١ وكتب مقالات إصلاحية تنويرية في=

أَرَّخْتُهُ صِدْقاً هَنِيئاً بُشْرَاكُمُ[1] مَدَارِجُ الكَمَالِ طَبْعاً كَمُلا

=الصحافة التي احتضنت مقالاته، وكما هو واضح من تقريظه لبعض الكتب في قصائده، فقد قام بدور كبير في نشر تلك الكتب في شرق إفريقيا.

(١) يستخدم حِسابَ الجُمَّل، كما في القصائد السابقة، لتريخ صدور الكتاب، والشاهد جملة «صدقاً هنيئاً بُشْراكُمُ مَدَارِجُ الكمال طبعاً كمُلا»، والنتيجة؛ عام ١٣١٧هـ، المُوافق: ١٨٩٩م.

الباب السابع

مدائح سلاطين زنجبار

هِمَمُ المُلوكِ(*)

هِـمَـمُ الـمُـلوكِ أَجَـلُّـهـا إِعْـظَـامُـهـا ... بالحِلْمِ سَادَ مِن النُّفوسِ عِصَامُها

والـحِـلْمُ أُسٌّ والـكَـمَـالُ بـنـيَّـةٌ ... رُفِـعَـتْ عـلى أَرْكـانِـهِ أَعْـلامُـهـا

والـحِـلْمُ أَرواحٌ وَكُـلُّ زَكِـيَّـةٍ ... وُلِعَ الـكِرامُ بـصُـنـعِـهـا أَجْـسَـامُـهـا

وصَـنـائِعُ الأَحْـلامِ أَنْـفَـسُ مَـفـخَـراً ... مِـن كُـلِّ مَـفـخَـرَةٍ يَـسُـودُ كِـرَامُـهـا

كـنـقـيـبَـةِ الـمَـلِكِ الـحَـلـيـمِ فـإِنَّـهُ ... لـلـكَـائِـنـاتِ مَـلاكُـهـا وقـوَامُـهـا

مَـلِكٌ مُـقـدَّسَـةٌ هَـيُـولِيَّـاتُـهُ ... مِـن أَنْ يُـضـافَ لـفِـطْـرَةٍ أَعْـظَـامُـهـا

مَـلِكٌ جَـلالَتُـهُ وَعِـزَّةُ شـأنِـهِ ... بـمَـسَـابِـحِ الـقَـمَـرَيْـنِ جَـلَّ مَـقـامُـهـا

مَـلِكٌ بـهِ الـدُّنـيـا زَهَـتْ وتـهَـلَّلَتْ ... بـجَـمَـالِ طَـلْـعَـةِ مُـلْـكِـهِ أَيَّـامُـهـا

مَـلِكٌ عَـزائِمُـهُ تَـخِـرُّ لـهـا الـمُـلو ... كُ وَفـوقَ هَـامِ الـمُـشْـتَـرِي أَقْـدَامُـهـا

أَسَـدٌ فَـرَائِسُـهُ الـخَـضَـارِمُ فـي الـوَغـى ... جَـرَّارُ كُـلِّ كَـتـيـبَـةٍ قُـمْـقـامُـهـا

طَـلّاعُ كُـلِّ ثَـنِـيَّـةٍ هَـزَّازُهـا ... قَـمَّـاعُ كُـلِّ عَـظـيـمَـةٍ مِـصْـدَامُـهـا

حَـتْـفٌ عـلى الأَضْـدَادِ لَفـتَـةُ رَأيِـهِ ... لـمَـنِ الـسُّـيـوفُ ودُونَـهُـنَّ حِـمَـامُـهـا

غَـلّابُ مَـا دُونَ الـقَـضَـاءِ يَـحُـفُّـهُ ... مَـدَدُ الـسَّـمـاءِ وَحَـارِسُـوهُ كِـرَامُـهـا

تَـخْـشـى الـبَـوادِرَ مِـن جَـلالَةِ قَـهْـرِهِ ... نُـوَبُ الـصُّـرُوفِ فـما يَـشُـبُّ ضِـرَامُـهـا

مَـنْ لـلـحَـوادِثِ أَنْ تَـكـونَ جُـنـودَهُ ... وتـكـون فـي كَـبِـدِ الـعُـدَاةِ سِـهـامُـهـا

لـولا كَـفـالَةُ عَـزْمِـهِ بـسِـيـاسَـةِ الـ ... ـدُّنـيـا كَـفـاهُ عَـنِ الـوَغـى إِقْـدَامُـهـا

(*) العنوان من وضعنا. وردت في الأصل المُعتمد بعنوان: (وقال يمدح السيد حمد بن ثويني).

لـكـنْ لَهُ سُـنـنُ الـكَـمَـالِ فـواضِـلًا ... حتى على حَدِّ الظُّبَا إنْعَامُها[1]

وَلَعَـتْ أيَـادِيـهِ بـإقْـرَاءِ الـشَّـيـو ... فِ دَماً وذاكَ عَـلى الـكِـرَامِ ذِمَـامُـهـا

حَـقـاً إذا قـرمَـتْ إلـى لَجْـمِ الـعِـدا ... أنْ لا يَـظُـلَّ مُـؤَخَّـراً إكْـرَامُـهـا

وَمُـطَـهَّـمـاتٌ كـالـرِّيـاحِ قـوَاصِـفٌ ... قـحـلٌ إلـى دَهْـمِ الـحُـرُوبِ هـيـامُـهـا

جُـرْدٌ مُـكَـتَّـبَـةُ الـصُّـدُورِ عَـوَابِـسٌ ... أَلِفَـتْ مُـقَـارَعَـةَ الـحَـدِيـدِ عِـظَـامُـهـا

صَـامَـتْ مُـرَابِـطَـةَ الـجِـهَـادِ بـبـابِـهِ ... للهِ ظَـلَّ جِـهَـادُهـا وَصِـيَـامُـهـا

ولَـطَـالَـمـا صَـلَّـتْ عـلى لَـبَّـاتِـهـا ... زُمَـرُ الـحَـدِيـدِ سِـهَـامُـهـا وحُـسَـامُـهـا

تَـصْـبُـو إلـى الأهْـوالِ صَـبْـوَةَ عَـاشِـقٍ ... عَـجَـباً! بِـشَـمْـطَـاءِ الـحُـرُوبِ غَـرَامُـهـا

أُزْدِيَّـةٌ بَـذْرِيَّـةٌ وَهْـبِـيَّـةٌ ... لِوُرُودِ مَـاءِ الـنَّـهْـرَوانِ أوامُـهـا

تَـنـفـضُّ بـالآجَـالِ كـالـشُّـهْـبِ الـثـوا ... قِـبِ دَارِعَـاتٍ بـالـدِّمَـا أجْـسَـامُـهـا

عَـلِمَـتْ مُـقَـارَعَـةَ الـكُـمَـاةِ وَأَحْـرَزَتْ ... عِـلْـمَ الـمَـعَـارِكِ جَـيِّـداً أَفْـهَـامُـهـا

جَـرْدَاءُ غَـضْـبَـى لا يَـقِـرُّ قَـرَارُهـا ... أو يُـسْـتَـبَـاحُ مِـنَ الـعُـدَاةِ حِـرَامُـهـا

يَـسْـطِـيـرُهـا لَمْـعُ الـنـجـومِ تَـخَـالُهُ ... لَـمْـعَ الـصَّـوَارِمِ حِـيـن ثـارَ قـتـامُـهـا

ثَـبَـتَـتْ لَـهـا فـي كُـلِّ دَهْـرٍ خُـطَّـةٌ ... رَسَـمَـتْـهُ فـي جَـبَـهَـاتِـهِ أيَّـامُـهـا

عَـاشَـتْ مُـلُـوكُ بَـنـي الإمَـامِ تَـعِـلُّـهَـا ... بِـدَمِ الـكُـمَـاةِ فـمـا يَـحِـلُّ فِـطَـامُـهـا

كـانـوا الـبُـدُورَ فَـكُـنَّ أفْـلاكـاً لَـهُـم ... والـعَـدْلُ مِـنـهُـم فـي الـعِـبـادِ لِجَـامُـهـا

أبْـلَـتْ فَـوَفَّـاهـا الـذِّمَـامَ وهَـكَـذا ... تَـرْعَـى الـذِّمَـامَ مِـنَ الـمُـلُـوكِ كِـرَامُـهـا

وَلَكَـمْ وَفَـى عَـهْـداً وَرَاعَـى حُـرْمَـةً ... وأزَاحَ مُـغْـضِـلَـةً يَـهُـولُ ظَـلامُـهـا

وأتَـاحَ فَـاضِـلَـةً وأغْـنَـى مُـقْـتِـراً ... وأمَـرَّ نَـفْـسـاً شَـأْنُـهـا إعْـدَامُـهـا

ولَكَـمْ تَـجَـاوَزَ عَـن جَـدِيـدَةِ مُـذْنِـبٍ ... لَـولا تَـجَـاوُزُهُ لَحَـلَّ إثَـامُـهـا

مَـلِكٌ جِـبِـلَّتُـهُ عـلى الـحِـلْـمِ انْـطَـوَتْ ... إنَّ الـمُـلُـوكَ تَـزِيـنُـهـا أخْـلاقُـهـا

يُـؤتـى بـأثْـقَـالِ الـجِـبَـالِ جَـرَائِـمـاً ... فَـيَـزُولُ بـالـعَـفْـوِ الـعَـظِـيـمِ لِزَامُـهـا

---

(١) الظُّبا: جمع ظُبة؛ وهو حدُّ السيف والسنان والخنجر.

وبتلكَ يَمْتلِكُ الرِّقابَ مَليكُها ... وبتلكَ يَقتادُ الصِّعابَ هُمَامُها
وقضيَّةُ المَجْدِ الأثيلِ مَنوطَةٌ ... بجَمالِ مُصْطنَعاتِهِ أحْكامُها
أضْلٌ لِجَامِعَةِ الكَمَالِ كَمَالُهُ ... كالشمسِ رَوحٌ للوُجُودِ قيامُها
ما زالَ يَهتفُ بالمَعالي هَمُّهُ ... حتى تَضاعَفَ في يَدَيهِ زمَامُها
قُطْبٌ لعَمرِ الجَدِّ عَنهُ تَضاءلَتْ ... هِمَمُ القرُومِ وَعُصِّرَتْ أوهَامُها
أوَ ما تَرَى سِرَّ الخِلافةِ أشرَقَتْ ... بظُهُورِهِ وَتَباشَرَتْ أعْلامُها
واهْتزَّ مِنبرُها وَهَلَّلَ عَرْشُها ... وتَهَلَّلَتْ فَرَحاً بهِ أيَّامُها
وأغاثَ إسْلامَ البَسِيطةِ بعد أنْ ... كادَتْ يُودِّع أهْلَها إسْلامُها
وأمَدَّ ناموسَ الشَّرائِعِ بالتي ... يُرْضِي الإلهَ مِن الجهادِ قِيامُها
مَلِكٌ تشرَّفَتِ البَسِيطَةُ باسْمِهِ ... وبذاتِهِ وصِفاتِهِ حُكَّامُها
مَلِكٌ يُجيرُ على الزمانِ طَريدَهُ ... حتى الحَوادثُ في حِمَاهُ مضامُها
غوثُ البلادِ عَظيمَةٌ بَرَكَاتُهُ ... نَفَّاحُ كُلِّ جَليلَةٍ قسَّامُها
وَافتْهُ سَلْطَنةُ الوُجُودِ فزَانَها ... ولقد رَعَاها كُفؤُها وإمَامُها
مِن مَعْشرٍ قادوا الزَّمَانَ بأنفُسٍ ... تِزياقُ كُلِّ عَظِيمَةٍ وسمامُها
بَلَغوا السَّماءَ عُلًا فما جَوْجيشُها ... إلّا استقادَ لهُم ولا بَهرَامُها
أسْدٌ عَرينُهُمُ اللِّدَانُ السَّمْهَر ... يَّةُ والسَّوابغُ مُحكَماً إلحَامُها
كغُيولِ محنيةٍ تُصَفِّقها الصَّبا ... زُرْقٌ كأثواب السَّماءِ جمامُها
خُلِقوا على صَهَواتِ كُلِّ طِمرَّةٍ ... جَرْداءَ سَابحَةٍ يَعُومُ زِمامُها
هَجَروا الأسِرَّةَ والدَّسَاكِرَ رَغْبَةً ... عَنها لمَعرَكَةٍ يَمُوجُ لهامُها
وتفيَّئوا ظلَلَ القواضِبِ والقَنا ... عَوضَ الرِّياضِ تفتَّحَتْ أكْمامُها
أعْظِمْ بأفلاكٍ بأرْدِيَةِ المجَـ ... ـرَّةِ طُنِّبَتْ بالمَكرُماتِ خِيامُها
نبرُ الخُطُوبِ مَقاعِسٌ آثارُهُم ... عَقدٌ على جِيدِ الزَّمانِ نِظامُها
شمَخَتْ عن الدُّنيا مَنازِعُهُم فما ... تُصْبيهِمُ لَذَّاتُها وَحُطامُها
ذُمُرٌ حُقوقُ نزيلِهِم والمُستجِيـ ... ـذ بهِم حُقوقٌ لا يُضاعُ ذِمَامُها

أبقى «نُوَيْنِي» في الوُجُودِ مَفاخِراً ... يَجْلِي النُّجُومَ مَسِيرُها وَدَوَامُها
فأتى ابْنُهُ المَلِكُ العَظيمُ بخُطَّةِ الـ ... ـشَرَفِ التي جَلَّتْ وَعَزَّ مَرامُها
السَّيِّدُ السُّلطانُ نُورُ المِلَّةِ الـ ... ـغَرَّا وَرَوحُ حَياتِها وَقَوامُها
«حَمَدُ» الذي سَطَوَاتُهُ لو عَارَضَتْ ... شُمَّ الجِبالِ لَنُسِّفَتْ أجْرَامُها
مِعْطاءُ كُلِّ رَغِيبَةٍ وَهَّابُها ... بَتَّارُ كُلِّ عَظِيمَةٍ صِمْصَامُها
رُسِمَتْ مَناقِبُهُ بنورِ جَلالِهِ ... بيَدِ العُلا وَكَمَالُهُ أقْلامُها
وتَقَيَّلَ الحَمْدَ الذي عن حَضْرِهِ ... لُسُنُ المَدَائِحِ في القيودِ كَلامُها
يا أيُّها المَلِكُ الذي أرْجُو عَوَا ... طِفَهُ وَأعْظَمُ مُنيَتي إلمامُها
كَمْ أمَّ بَابَكَ عائِذٌ بِجَلالَةٍ ... خَيرُ المُعاذِ مُعاذُها وَمُقامُها
عَبْدٌ بِبابِكَ لَمْ يُغادِرْ زَلَّةً ... إلّا وقد عَلِقَتْ بِهِ آثامُها
عَبْدٌ بِبابِكَ مُسْتَجِيرٌ عَائِذٌ ... بِجِبالِ حِلْمِكَ نفسُهُ اسْتِغْصَامُها
مُسْتَمْسِكٌ بِحِبالِ عَفوِكَ آيِباً ... أنْ لَيسَ يُنقضُ في يَدِي إبْرامُها
مَولايَ إن السَّيلَ قد بَلَغ الزُّبى ... وأتى على نفسِ الطَّريدِ زُؤامُها
مَولايَ قد حَلَمَ الأدِيمُ مِنَ البلا ... حتى على الطيبين ضَاق حِزامُها
مَولايَ أشكلةَ الزَّمانِ قَدِ انْقَضَتْ ... ولَماسَةَ الأعداء جَفَّ رُؤامُها
مَولايَ إنَّ الدَّهرَ أوردني مَوا ... ردَ ما لها صدر يُؤَدُّ عرامُها
مَولايَ لَستُ على صُدُودِك مُقرناً ... أو لَيسَ ذاكَ على النُّفوسِ حِمامُها
مَولايَ إنْ تَأخذْ فلستَ بِظالِمٍ ... نَفسِي جَنتْ فَجَناؤها ظَلَّامُها
مَولايَ إنْ تَعدلْ فَعَدلٌ حاكِمٌ ... لكَ حجَّةٌ حَقٌّ عَلَيَّ قِيامُها
مَولايَ إنْ تَكنِ الذُّنُوبُ عَظيمَةً ... فمقام حِلمِكَ دُونَهُ إعْظامُها
مَولايَ حِلمُكَ واقْتِدَارُكَ مُوجِبٌ ... أن لا يَبُوءَ على العُصَاةِ غَرَامُها
مَولايَ إنْ وَصلُ الذرائعِ قُضِّبَتْ ... فَذُرَاكَ لَمْ يُخلَقْ لَدَيَّ ذِمَامُها
مَولايَ إنْ غَبَّ المُعَذِّرُ خُطوَةً ... فَلَرُبَّ رَامِيَةٍ تَطِيشُ سِهَامُها
مَولايَ إنْ رثَّت عُهُودُ مُضَجَّعٍ ... فعَلَى المُرَزِءِ مَجْدُهُ إبْرَامُها

مَـولايَ إنْ تَـرِدِ الأمُـورُ كِـفـاءَهَـا ... فـعَـظـيـمُ حِـلمِكَ طِـبُـهـا وسِـقـامُـهـا

مَـولايَ إنْ تَـرْمِ الـشُّـؤونُ كَـفـيـلَـهَـا ... فـجَـلالُكَ الأعـلى الـعَـزيـز مَـرامُـهـا

مَـولايَ تِـلكَ مَـطـامِـعِـي وَجَّـهْـتُـهـا ... مَـنـقـوصَـةً وَعَـلى نَـدَاكَ تَـمَـامُـهـا

هَـلْ نَـظـرَةٌ تَـذرُ الـخُـطُـوبَ بَـلاقـعـاً ... أو مَـطْـرَةٌ يُـحـيـي الـرَّمِـيـمَ غَـمَـامُـهـا

خَـصَـمَـتـنِـيَ الأيـامُ إنْ أقـصَـيْـتَـنِـي ... سَـهْـلٌ عَـلـيَّ إذا رَضِـيـتَ خِـصَـامُـهـا

وصَـمَـتْـنِـيَ الـنَّـكَـبـاتُ إنْ أَلْـقَـيْـتَـنِـي ... أيـنَ الـحُـلُـومُ الـرَّاسِـيـاتُ أكـامُـهـا

أيـن الـفـواضِـلُ والـمَـرَاحِـمُ والـصِّـفـا ... تُ الـشـامِـلاتُ الـبَـائِـسِـيـن كـرامُـهـا

واللهِ مَـا نَـقـصَـتْ ولا عَـرِيَـتْ ولَـ ... ـكِـنَّ الأمُـورَ عَـلى الـحُـظـوظِ قَـوامُـهـا

فـلَـئِـنْ عَـطَـفـتَ عَـلـيَّ عَـطْـفَـةَ رَحْـمَـةٍ ... فـأنـا الـحَـرِيُّ بِـهَـا وَأنـتَ هُـمَـامُـهـا

وَلأنـتَ أكـرَمُ أنْ تَـذودَ إنَـابـتِـي ... عَـنْ حَـوضِ عَـفـوِكَ كـالـشُّـواظِ أوامُـهـا

ولأنـتَ أرحَـمُ أنْ تَـرُدَّ ضَـرورَتِـي ... حَـسْـرَى وقـد كَـرُبَـتْ يَـحـمُ حِـمَـامُـهـا

أدعـوكَ لـلـكَـربِ الـعَـظـيـمِ وإنَّـمـا ... يُـدْعَـى لِـكُـلِّ عَـظـيـمَـةٍ قَـوَّامُـهـا

لا زَالَـتِ الأيَّـامُ تَـنـشُـرُ فَـضْـلَـكُـم ... وَقـفٌ عَـلـيـكُـمْ نَـشْـرُهـا ونِـظـامُـهـا

والـدَّهْـرُ عَـبـداً والـنَّـعِـيـمُ مُـخـلَّداً ... وَأُطُـومَ عُـمْـرِكَ لا يُـفـضُّ خِـتـامُـهـا[1]

---

(١) أطوم: حُصُون.

أيادي من عفى(*)

فَاتِحَةُ الحَمْدِ أَيَادِي مَنْ عَفى ... والحِلْمُ أَصْلٌ لِلمَقَامَاتِ العُلا

يَزْدَهِرُ المَجْدُ بِزَهْرَاوَيْهِمَا ... مِثلَ انْجِلاءِ الشَّمسِ في رَادِ الضُّحَى

ما نَتجَتْ مَنْ يَعْرِف المَجد النَّسَا ... لو كانَ خُلواً مِنهُما عَمَّنْ عَصَى

مَائِدَةُ الإحسَانِ مِنْ بَاسِطِهَا ... فَضلٌ وَأَزْكَى الفَضلِ مَا يُولي الرِّضَا

قد ضَلَّ كالأنعَامِ مَنْ لا يَهْتَدِي ... إنَّ حُلُومَ «ابْنِ ثُوَيْنِي» كالهُدَى

«حَمَدُ» السُّلطانُ مِنْ أَعْرَافِهِ ... والفيضُ مِنْ عِرفانِهِ غَيْثُ الوَرَى

أنفالُهُ المَمَالِكُ العُضْمُ ومَا ... أنفالُهُ إلّا مُلِثَّاتُ الحَيَا

ويَقبلُ التَّوبَةَ مِنْ مُخْلِصِها ... ولو يَكونُ الذَّنبُ أَعْدَادَ الحَصَا

كم مِنْ غَرِيقٍ مُشْبِهٍ يُونسَ في ... ظُلمَةِ غَمِّهِ دَعَاهُ فَنَجَا

مَلكٌ أَبُو المُلوكِ مِنْ أَجدَادِهِ ... هُودٌ ونِعْمَ المُنتمِي والمُنتَمَى

مَنْ خَاتمُ التَّعبيدِ للدُّنيا لَهُ ... إنْ كانَ بالأقباطِ يُوسُفُ اكْتَفَى

مَنْ كَفُّهُ الفَيَّاضُ سُحْبٌ رَعْدُها ... زمازمُ الصَّمصَامِ في هَامِ العِدَا

مَنْ فَضلُهُ فِي فَضلِ كُلِّ أُمَّةٍ ... كمِثلِ إبراهِيمَ فِيمَنْ قد خَلا

مَنْ غَادَرَتْ هَيبتُهُ أَعْدَاءهُ ... مِثلَ صِحابِ الحِجْرِ صَرْعَى في الفلا(١)

(*) العنوان من وضعنا، فقد وردت في الأصل المُعتمد بعنوان: (وقال عفى الله عنه في المعنى). والقصيدة كسابقتها اعتذار ومديح للسيد حمد بن ثويني الذي يرد اسمه في ثنايا أبياتها.

(١) **ملحوظة**: حتى في مدائحه، لا يتوقف أبو مسلم عن تلقط هذه الإشارات التاريخية بإلحاح مُثير=

مُسَوَّمُ الجِرْدِ العَوَادِي عِنْدَها ... مِثْلَ لُعَابِ النَّحْلِ مَسْفُوحِ الطَّلا

إسْرَاؤهَا لِلشَّرَفِ الأقْصَى بِهِ ... تَتْبَعُ آثَارَ بُرَاقِ المُصْطَفَى

فِنَاؤهُ كَهْفُ الطَّرِيدِ وَكَذا ... كُلُّ حَمِيِّ الأنْفِ مَقْصُودِ الحِمَى

لو هَزَّ بِالنَّجْمِ تَسَاقَطَتْ كَيَو ... مِ أسْقَطَ الجِذْعُ لِمَرْيَمَ الجَنَى

كَأنَّ طَهَ أنْزِلَتْ وَاصِفَةً ... يَمِينَهُ لَمَّا عَلَى المُلْكِ اسْتَوَى

أسْتَغْفِرُ اللهَ تَكَادُ نَفْسُهُ ... بِسَمْتِ هَدْيِ الأنْبِيَاءِ تُجْتَلَى

رِحَابُهُ مَشَاعِرٌ قُدْسِيَّةٌ ... مَنْ فَرَضَ الحَجَّ إلَيهِنَّ اهْتَدَى[1]

قَد أفْلَحَ الدَّهْرُ بِهِ والمُؤْمِنُو ... نَ وَفَلاحُ الكَوْنِ فِي يُمْنِ الهُدَى

تَشْعْشَعَ النُّورُ بِوَجْهِهِ فَمَا ... بِالشَّمْسِ مِنْ نُورٍ فَمِنْ ذَاكَ السَّنا

هُدَاهُ فُرقَانٌ وَحَدُّ سَيْفِهِ الـ ... ـفاروقُ فِي مَحْصِ الضَّلالِ وَالعَمَى

صِفَاتُهُ يَعْجُزُ عَنها الشُّعَرَاءُ ... مِثْلَ عَجْزِ النَّمْلِ عَنْ قَضِّ الحَصَا

وكُم لَهُ مِنْ مَجْدِهِ وَفَضْلِهِ ... مِنْ قَصَصٍ لا يَنْتَهِي إلى مَدَى

لو جَذبَ الدَّهرَ بِأدنى عَزْمَةٍ ... دُكَّ كَبِيتِ العَنكَبُوتِ وَوَهَى

إذا تَجَلّى فَارِساً تَحْشَرَجَتْ ... مَمَالِكُ الرُّومِ بِغَصَّةِ الرَّدَى[2]

حِكْمَةُ لُقمَان فَرِيدُ نُطْقِهِ ... تَحيَا بِها جُرزُ القُلوبِ كالحَيَا

أحزابُهُ النَّصْرُ فإن تَحَزَّبَتْ ... أعداؤهُ تَفَرَّقَتْ أيدي سَبا

ومَنْ يَكُنْ فَاطِرُ كُلِّ فِطرَةٍ ... نَصِيرَهُ أعْجَزَ أصْنافَ القوَى

يَسْتَقبلُ العَافِي مِنْ رَحْمَتِهِ ... بِقلبِ «يس» ولا يَعرِفُ «لا»

لو الدَّرَاري نَزلَتْ صُفَّتْ لَهُ ... صَفاً فأغزاها مَرَاكِزَ الكرَى

=للتساؤل؛ فالحِجر: هو حجر بن عدي الكندي، من أصحاب الإمام علي بن أبي طالب، قتله معاوية صبراً، وقيل هو أول من قُتل صبراً في الإسلام، وهو صحابي وقبره بغوطة الشام.

(١) إشارة: في هذا البيت؛ ثمة مُبالغة وغلوّ في إضفاء مثل هذه الصفات على ممدوحه، وكان بإمكان الشاعر ذكر ممدوحه بما يليق، مُوازنة، بمقام المِدْحة ومقاماتِ المدّاح، قياساً إلى ممدوحه.

(٢) وكيف ذلك يا أبا مسلم وهو واقعٌ بكليته تحت هيمنة ممالك الروم؟ (المُراجِع).

ومَنْ يَكُ الصَّادُ مَصِيدَ عَزمِهِ ... فليسَ بِدْعاً أنْ يَصِيدَ مَا عَدَا
لو عَارَضَتهُ زُمَرُ الخُطوبِ مَا ... كانتْ سِوى أكْلَةِ مَاضِغِ الشَّبَا
أيَّامُهُ أعْيَادُ كُلِّ مُؤمِنٍ ... يَغتبِطُ الدِّينُ بِهِنَّ وَالتُّقى
جَوَاهِرٌ قد نُظِمَتْ وَفُصِّلَتْ ... بالعَدْلِ والإحسانِ فِي سِلكِ الهُدَى
لِعَقلِهِ وَعَمْهِ وَعَزْمِهِ ... شُورَى فَعَينُ الرُّشدِ مَا بِهِ قَضَى
لا يَزدَهِيهِ زُخرُفُ الدُّنيا ومَنْ ... يَبذلها لم يَثْنِهِ مِنهَا الزُّهَا
كم مِنْ دُخانِ فِتنةٍ جَاثِيَةٍ ... جثيّ الأحقافِ جَلاهُ فانْجَلَى
قَامَ بِما جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ... للهِ وَاسْتَنَّ بِهِ فِيمَنْ رَعَى
نَادَاهُ عَونُ اللهِ وَهوَ أهْلُهُ ... «إنَّا فَتحنا لَكَ فَتحاً» في العُلا
ولم يَزلْ فِي «حُجُراتِ» مَجْدِهِ ... أخُوطَ مَنْ قَدَّ نَدَاهُ والسَّخا
و«الذارياتُ» الحَامِلاتُ وِقْرَ مَا ... يَرُومُهُ عَزائِمٌ شُمُّ الذُّرَى
يَندَكُّ دكُّ «الطُّورِ» مَا تَصْدِمُهُ ... ولو تَرَقَّتْ فلكَ «النَّجمُ» انزوى
ولو تَعَاطَى «القَمَرُ» اهتِمَامَها ... لانشقَّ أو بَهرَامُ أهْوَى أو كَبَا
حتى دَنَا «الرَّحْمَنُ» مِنْ حَيثُ دَنَا ... فَوَضَعَ الثَّاجَ عَليهِ وَاجْتَبَى
«وَاقِعَةٌ» خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ... تَنكَّسَ الشِّرْكُ بِهَا عَلى الشَّوَى
صَبَّتْ عَلى الكُفرِ سُيُولاً مِنْ «حَدِيـ ... ـدِ» الهِندِ حَتى بَلغَ السَّيلُ الزُّبَى
تُجَادِلُ الأزمَانَ فِي ظُهُورِها ... وما دَرَتْ أنَّ الرَّصِيدَ بالشَّرَى
وما دَرَى الكُفرُ بأنَّ أوَّلَ «الـ ... ـحَشرِ» دَهَاهُ والعَظيمُ مَا دَهَى
«مُمْتَحِنُ» الأمْرِ لَهُ دَوَابِرٌ ... كَمَالُهُ قَوَابِلٌ لا تُتَّقَى
«وَصَفُ» أمرِ اللهِ لا تَنقَضُهُ ... «جَمعَةُ» شِركٍ ونِفاقُ مَنْ عَتا
«تغابن» العُصُور فِي دَولةِ قو ... مٍ طَلَّقُوا الدُّنيا وَحَرَّمُوا الرَّخا
قد وَقَعَ «المُلكُ» عَلى مَنشورِهِ ... مِنَ الشؤونِ إذ تَغادَوا للعُلا
أثالُ «نُونٍ» ما اقْتَنوا وَ«قَلَمْ» ... إنَّ أثالًا مِنهُما كَنزُ الوَحَا
حَقتْ لهُم جَلالَةٌ وَصَولَةٌ ... تَناوَلَتْ بِحَوْلِها رَأسَ السُّهَى

يـا مَـلِكـاً لِعِـزِّهِ «مَـعَـارِجُ» تُجَاوِزُ «النَّجمَ» فأينَ المُنتهَى

لا عَـاصِـمَ الـيَـومَ لِمَـنْ تَـطـرُدُهُ كـخَـطْـبِ نُـوحٍ وابنِـهِ لـمَّـا غَـوَى(*)

مَـنْ ضَـحَّـت الـجِـنُّ لـهَـولِ بَـأسِـهِ فـالـبشـرُ الـضَّـعِـيفُ أدْنَـى لـلرَّدَى

يـا مَـلِكـاً مُـزمِّـلًا مُـدَّثِـراً بالحِلمِ أنتَ اليَومَ أخفَى مَنْ عَفا

قـد قَـامَـتِ الـيَـومَ قِـيـامَـةُ امْـرِءٍ لـولا التـأسِّي بـالـرَّجَـا مِـنكَ قَـضَـى

لا يَـسـلَـمُ الإنـسـانُ مِـنْ شَـائِبَـةٍ لِيَنظُرِ العَاقِلُ ضِمْنَ: «هَلْ أتَى»(١)

كـم زلَّةٍ أعْـفَـيـتَـهَـا بـ«الـمُـرْسَـلا تِ» مِنْ رِياحِ العَفوِ عَنْ عَبدٍ جَنى

«والـنَّـبـأ الـعَـظـيـم» مَـا عَـوَّذَتْـهُ مِـنْ جِلمِكَ الشامِلِ أيّ مَنْ عَصَى

«والـنَّـازعَـاتِ» لـلـنـفـوسِ غَـضَـبٌ مِـنـكَ وإعْـرَاضٌ وَطَـرْدٌ وقـلَـى

«عَـبَّـسَ» دَهـري وتـوَلَّى جَـنـفـاً فـلتحمِنِي مِنهُ وَحَسبِي وَكَفَى

ما «كُوِّرَتْ شَمسُ» يَقِينِي فِيكَ مُذ أمْسَكْتُ مِنكَ بوَثِيقاتِ العُرَى

دَامَ «انْـفِـطـارُ» كَـبِـدِي لِنَـكْـبَـةٍ لـو صَـادَفَـتْ قـلالَ رَضْـوَى لَهَـوَى

وصَـادَفَ الـقـضَـاءَ «تَـطـفِـيـفُ» زَمَـا نٍ كَـيـلُـهُ بَـخـسٌ وإنْ يَـكْـتَـلْ طَـغَـى

لـولا وُثُـوقِـي بِـكَ فِـي صُـرُوفِـهِ لانـشَـقَّ ذَرعُ الـعَـزمِ مِـنِّـي وَصَـمَـى

«بُـرُوجُ» عَـزمِـي أبَـداً مَـشـيـدَةٌ إلّا عَـلَـى مَـقـتِـكَ فـالـعَـزْمُ كَـلا

وكـيـفَ أخْـشَـى «طَـارِقـاً» مِـنْ زمَـنِـي وَوَجْـهُـكَ الأعْـلَـى مَـعَـاذِي وَالـحِـمَـى

ومَـا دَجَـتْ «غَـاشِـيَـةٌ» مِـنْ خَـطْـبِـهِ إلّا جَـلا «فَـجـرُ» أيَـادِيـكَ الـدُّجَـى

لـولا عَـسَـى عِـشـتُ بـأيِّ «بَـلَـدٍ» كـأنَّـنِـي فِـيـهِ عَـلَـى جَـمْـرِ الـغـضَـى

يـا مَـلِكَ الـعَـالَـمِ يَـا شَـمْـسَ الـهُـدَى يـا حُـجَّـةَ اللهِ عَـلـى أهْـلِ الـدُّنَـا

(*) أستغفر الله ربي وأتوب إليه؛ هذه مثلبة كبيرة لا أستطيع لها وَصفاً، إنْ كانَ لا عاصمَ لمن يطرده ممدوحك ـ يا أبا مسلم ـ فلِم لا تعبده دون الله!! وأذكارك وابتهالاتك ألا تعصمكَ إنْ طردَكَ الممدوح؟ (المُراجِع).

(١) إحالة للآية الكريمة: «هَلْ أتى على الإنسانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لم يَكُنْ شيئاً مذكُورا»، وفي اعتقادنا أنَّ مثل هذه الإحالات، لا تليق بمكانة الشاعر، لكنَّها مِنْ زلّاتِ الكَلِم.

أدعُـوكَ وَالـزلَّةُ لَيـلٌ قـد سَـجَـى ... مُسْتَمْطِراً مِنكَ بَوارقَ الرِّضَا
أطلبُ مِنكَ فِطرَةً فِي شَقوَتِي ... ونَظرَةً تلمَحُ فِيها «والضُّحَى»
وفي «أَلَمْ نَشْرَحْ» وقَضدِي «ووَضَـ ... ـعْنا عَنكَ وِزْرَكَ» العَظِيمَ لا سِوَى
عَفوكَ فرق الذَّنبِ والذي افْتَرَى ... في آخِرِ «التينِ» يُلَقَّى مَا افْتَرَى
مَا وَلَغَتْ «نَاصِيَةٌ كَاذِبَةٌ» ... في «عَلَقٍ» فلم يُفاجِئْهَا الرَّدَى
وقُدْرُكَ «الأعْلَى» أجَلُّ رُتبَةً ... مِنْ أنْ تَرُدَّ تَوْبَ عَبدٍ ارْعَوَى
يا مَنْ لَهُ فِي المَكرُمَاتِ آيَةٌ ... بَيِّنَةٌ يَشهَدُها أُولو النُّهَى
ومَنْ إذا استَلأمَ فِي لهَامِهِ ... «زُلزِلَتِ الأرضُ» وَغَصَّتْ بالشَّجَا
ومَنْ يُثيرُ «العَادِيَات» فِي الوَغى ... كقِطَعِ الليلِ إذا الليلُ عَسَا
ومَنْ إذا الخَطبُ شَجَا ألقَمَهُ ... «قارِعَةً» تَبُسُّهُ بَسَّ الستفا
ومَنْ لَهُ شكِيمَةٌ مِنْ الهُدَى ... تُلهِيهِ عَنْ «تَكاثُرٍ» فِيمَن لَهَا
ومَنْ يَزيدُ «العَصرَ» عَن صُرُوفِهِ ... كأنَّهُ لأمْرِهِ عَبدُ العَصَا
ومَنْ يَصُكُّ خُطُواتِ «الهَمْزِ» واللمْـ ... ـز بوَيلٍ فِي قَذالِ مَنْ خَطا
ومَنْ سَيَرْمِي رَبُّهُ بِحَوْلِهِ ... أعدَاءَهُ بِمَا بِهِ «الفِيلَ» رَمَى
ومَنْ «كإيلافِ» قُرَيشٍ رِحلَةً ... قد ألِفَ البِرَّ وَأعْطَى وَاتَّقَى
ومَنْ تَوَلَّى اللهَ وَاسْتَغرَقَ فِي ... إيَالَةِ الدِّينِ الحَيَاةَ والقُوَى
ومَنْ حَبَا الأكْوَانَ مِنْ عَطائِهِ ... «بِكَوْثَرٍ» ضَاقَ بِهِ رَحْبُ المَلا
ومَنْ رَدَى الكُفرَ بِرَبَّانِيَّةٍ ... فَسَقَطَ الكُفرُ بِهَا وَلا لَعَا
ومَنْ يَدُ اللهِ أمَامَ عَزمِهِ ... «بالنَّصرِ» و«الفتحِ» لَهُ لَمَا نَوَى
ومَنْ إذا البَغْيُ شَبَا آوِنَةً ... «تَبَّتْ» يَدُ البَغْيِ صَمَاهُ بالشَّبَا
ومَنْ عَلى «الإخلاصِ» فِي طَاعَتِهِ ... يُضاعِفُ الحُسْنَى ويَستقضِي الغنَى
ومَنْ إذا شَاهَدْتَهُ فِي دَسْتِهِ ... أيقنتَ أنَّ «الفَلقَ» الثانِي بَدَا
ومَنْ هُوَ «الناسُ» فَمَنْ نَظِيرُهُ ... مِنهُم ومَنْ يَبلُغُهُ فِي مُهْتَدَى
أقِلْ عثاري والقرآنُ شَافِعِي ... إليكَ إنْ عَزَّ الشَّفِيعُ المُرْتَضَى

فليسَ بَعدَ كَلِمَاتِ اللهِ مِنْ وَسِيلَةٍ يَقبلها ذوو الحِجَا
وإنْ تَكُنْ مِنْ بَعدِها ذريعَةٌ فعِصْمَةُ العَفوِ رَجَاءُ مَنْ هَفا
تَجاوز القلوبَ عَنْ مُقترِفٍ وصَفحُهُ لمَجْدِهِ قُطبُ الرَّحَى
نَقيبَةُ العَفوِ كَمَالٌ جَامِعٌ للمَجْدِ والمَجْدُ لِوَجْهِكَ انْتَهَى
ولم تَفُتْ مَجْدَكَ مِنْ مَزِيَّةٍ كالفَلَكِ المُحِيطِ حَاوٍ للكَرَى
وَثِقتُ مِنكَ بالتي عَهِدْتُهَا مِنْ رَحْمَةٍ لِمَنْ أَطَاعَ أو عَصَى
ذَرَّةُ عَفوٍ مِنكَ تَمْحُو زَلَّتِي عِندي هِيَ الدُّنيا وَغايَةُ المُنى
أورَدْتُ هيمَ أمَلِي صَادِيَةً بَحرَ يَدَيكَ وهُوَ أرْوَى للصَّدَى
إن تَسْقِها العَفوَ فأنتَ أهْلُهُ وإنْ تَذَدْهَا فعَلَى الحَظِّ العَفا
يا مَنْ تَسَنَّرْتُ بذيلِ عِزِّهِ مِنْ غِيلَةِ الدَّهرِ وأشراكِ السَّفا
وبعتُ فِيهِ بِشِراكِ نَعْلِهِ دَهرِيَ والدُّنيا ومَنْ فَوقَ الثَّرَى(*)
ومَنْ رَمَيتُ غرَضِي بسَهْمِهِ فصَوَّبَ السَّهمَ وفاز مَنْ رَمَى
ومَنْ أغظتُ الدَّهرَ فِي وَلائِهِ غَيظاً سَقاهُ السُّمَّ فِي كأسِ الرَّدَى
إنْ يَغظِ الدَّهْرَ وَلائِي لَكُمُ فلا شَفِى مِنْ غَيظَةٍ ولا اشْتَفَى
قد خَفرَ الدَّهرُ الذِّمَامَ فانتصِرْ يا حَامِيَ الجَارِ غَضَنْفر الثَّرَى
لا تَذرِ الأيَّامَ تَطوِي طَيَّهَا تَخْتَبِطُ الكَلا وَتَغْثُو فِي الحِمَى
فهيَ لِمَا تُنفِذُهُ رَهَائِنٌ وهيَ سَبايكَ بأطرَافِ القَنَا
لا بَرِحَ الدَّهرُ عَلى جَبْهَتِهِ لِعِزِّكَ الأعْلَى يُقبِّلُ الثَّرَى

(*) وماذا بعد هذه يا أبا مسلم: هنيئاً لك شِراك نعله (المُراجِع).

فاز المَجدُ واغتبطا(*)

الله أكبرُ فازَ المَجْدُ وَاغْتبطا ... وَأَسْفَرَ البِشْرُ فِي الأَكْوَانِ وَانْبَسطا

بدَولَةٍ لا يَزالُ المَجْدُ يَشرطُها ... على الزَّمَانِ فَوَافاهُ بِمَا شَرَطا

هَبَّ الزَّمَانُ مُسِيئاً عَامِداً أَلَهُ ... أَنْ يَمنعَ المَجدَ مِنْ إِحْسَانِهِ غَلَطا

وَهَبْ مُرَاغَمَةَ الأيامِ آبِيَةٌ ... إلا اعتقال العُلى مَا بَالُهُ نَشَطا

لا بَلْ هُوَ المَجْدُ أعلَى اللهُ صَوْلَتَهُ ... أَنْحَى على الدَّهْرِ حَتى ابْتزَّ مَا غُمِطا

سَيَعلَمُ الحَيُّ مَا ذا المَجدُ فاعِلُهُ ... أو يَنثنِي لاغْتِرَارِ الدَّهرِ قد كشطا

إِرَادَةُ المَلِكِ القَيُّومِ مَوردةٌ ... على الصُّرُوفِ بما لا تَشتهِي خطَطا

لا تُوزعِ الفِكْرَ فِيمَا لا تَقومُ بِهِ ... إلا المَقادِير والزَمْ جَانِباً وَسَطا

أما تَرَى الدَّهْرَ يَسْعَى حَيثُ تَأْخُذُهُ ... كأنهُ يَتلافَى مِنهُ مَا فَرَطا

وَيْحَ الزمَانِ تَغشَّتْ عَينَهُ سِنَةٌ ... فَهَبَّ للمَجْدِ يُرْضِيهِ وَقد سَخطا

أليسَ صَعباً على ريبِ الزمَان ولا ... يَبغِي دَوَاهِيَهُ سَعياً ومُغْتَبَطا

نومُ الحَوَادِثِ لا طَبْعٌ ولا مِلَلٌ ... بل مُقتضى درج الأزْمَاتِ قد شَحَطا

ليَعْلَمُ ذا المَجدُ وَلْتعْظُمْ مَصَادِرُهُ ... فقد تَصَدَّى لَهُ مَولاهُ حِينَ سَطا

ومَا تَصَدَّى لأمرٍ فَاتَ هِمَّتَهُ ... كُلُّ المَفاخِرِ كَانتْ عِندَهُ فَرَطا

لكِنَّهُ فِي مَقامٍ لو تَقومُ بِهِ ... مِنْ دُونِهِ السَّبْعَةُ السَّيارَةُ انْحَرَطا

(*) العنوان من وضعنا. فقد وردت في الأصل المعتمد بعنوان: (وقال في المعنى). والقصيدة في مديح السيد حمد بن ثويني، سلطان زنجبار.

فقامَ بالمُلكِ والأقدارُ تَنصُرُهُ ... مِنَ السَّمواتِ والدُّنيا لِمَا اشْتَرَطا
وما تَشعشعَ مِنْ لألاءِ غُرَّتِهِ ... يَخْكِي بَياضَ أيادِيهِ إذا بَسَطا
إذا تَصَدَّرَ فِي دَسْتِ الجَلالِ شَهِد ... نا البَدرَ بالفَلَكِ الدَّوارِ قد هَبَطا
فَهَزَّتِ الأرضَ بُشراهَا وَهَيبَتُهُ ... كأنَّ بالأرضِ مَا بالسَّيفِ مُختَرطا
ومَنْ تَكونُ لَهُ الأقدارُ مُسعَدَةً ... صَارَ الزمَانُ بِمَا يَقضِيهِ مُرتَبِطا
أقولُ للمَجدِ ذا مَنْ كُنتَ تَرقُبُهُ ... لِعُرْوَةِ الدِّينِ أوفَى عُرْوَةٍ وَسَطا
هذا الذي أشرقتْ نُوراً مَناقِبُهُ ... أظنُّهُ لِنثارِ الشُّهْبِ مُلْتَقِطا
مَنْ يَشفعُ العَدلُ والإحسَانُ مِنهُ إلـ ... ـيهِ لِلمُفرِطِ فِي عِصْيَانِهِ فَرَطا
مَنْ عِندَهُ السَّيفُ بَرَّاقاً كشِيمَتِهِ ... قد حَالَفتْهُ المَنايَا حَيثما اخْتَرَطا
نَضلٌ مِنَ النُّورِ إلّا أنَّ شفرَتَهُ ... نارٌ تُسَابِقُ رِيحَ المَوتِ إنْ مُعِطا
كأنَّ كُلَّ حَيَاةٍ لِلعِدَا ثَبَتَتْ ... بإذنِهِ إنْ تَمَنى قَبْضَهَا انْبَسَطا
أو كانَ يَعلمُ أنَّ الكُفرَ لُقمَةُ حَـ ... ـدَّيْهِ إذا مَا تَمَنَّى سَرْطَهَا سَرَطا
ما جَرَّدَتهُ المَنايا دُونَ صَوْلَتِها ... إلا تَمَشَّى إلى إزعَاجِها وَخَطا
يَنقضُّ بَينَ لهامِ البُهمِ صَاعِقَةً ... لو صَادَفتهُ الجبالُ الشُّمُّ مَا وَهَطا
تِلادُ أُسْدِ الشَّرَى أيدِيهِمُ لُجَجٌ ... قلامِسُ الأرضِ صَارَتْ عِندَها نُقطا
ومَا على الدَّهرِ مِنْ آثارِ مَفخَرَةٍ ... ومَكرُمَاتٍ فآثارٌ لهُم وَخُطى
مَضوا وَحَشْوُ الليالي خلفهَم شَرَفٌ ... ومُعجزاتٌ وحِلمٌ شامِلٌ وَسَطا
يَقضُونَ قسراً على رَيْبِ الزَّمَانِ ولا ... يَقضِي عَليهِم وإنْ وَفَّى وإنْ قَسَطا
قومٌ يُحيطونَ بالمَعروفِ لو طَلبَ الـ ... ـحَياة مِنْ فضلِهِم مَنْ مَاتَ مَا قَنَطا
ولو عَدَلنا بشيءٍ مِنْ مَناقِبِهِم ... شُهبَ النُّجُومِ لقد قُلنا إذاً شَطَطا
من الألى شمَخَتْ فِي المَجدِ هِمَّتُهُم ... مَرَاتِبَ الشُّهْبِ عَدُّوها لهُم خُطَطا
قد أظهَرَ اللهُ نُوراً كانَ فِي أزلِ الـ ... ـآزالِ في عِلمِهِ المَخزونِ مُنضَبطا
نُورٌ تَوقَّدَ إلّا أنَّهُ بَشَرٌ ... لِعِزِّ إجْلالِهِ بَدرُ السَّمَا سَقطا
أتى بِمَا بَهَرَ الأيامَ مِنْ كَرَمٍ ... فأصْبَحَ الدَّهرُ فِي مَعناهُ مُختَبِطا

لو شاءَ أنْ يَهَبَ الدُّنيا لِسائِلِهِ ... أعطاهُ واعْتَقدَ التَّقصِيرَ والغَلَطا
مُرَزَّءٌ وَسِعَ الدُّنيا بِمَا حَمَلَتْ ... عَدلًا وعِلماً وحِلماً وَافِراً وعَطَا
مِثلَ اليَرَاعِ بِضَوءِ النَّارِ مُحْتَرِقٌ ... تَرَى المُلُوكَ عَلى كُرْسِيِّهِ خبطا
مِنَ السَّمَواتِ مَمْدُودٌ بِعَاصِمَةٍ ... تَحْمِي وقاصِمَةٍ تُرْدِي إذا سَخطا
وَافَى الخِلافَةَ والأكْوَانُ شَاخِصَةٌ ... والأرضُ بُؤسٌ وشَيبُ الدَّهرِ قد وَخَطا
فآنَسَ الكَونَ مَا يَرجُو وَلا عَجَبٌ ... وأصْبَحَ الدَّهرُ طِفلًا بَعدَ مَا شَمَطا
ومَنْ يَكُنْ حَولُهُ باللهِ قَامَ فَمَا ... يَؤودُهُ أنْ يَرُدَّ الكَونَ مُغْتَبِطا
رَعَى ذِمَامَيْنِ مِنْ حِلمٍ ومِنْ كَرَمٍ ... فكانَ حِفظُهُمَا بالدِّينِ مُخْتَلطا
وهو المَلِيُّ بمَعْرُوفٍ يَسُدُّ مَسَدَّ الغَيثِ يُحْيِي مَوَاتَ الدَّهرِ لو قَحَطا
كذا عَلِيٌّ المَزايا لو رَعَى الفَلَكَ الـ ... أعلى رَأى الشَّأنَ مِنْ حُسْنِ العُلا نَمَطا
هُوَ العَظِيمُ الذي لو شَاءَ طَوَّحَ بالـ ... ـدُّنيا ولو شَاءَ رَبْطَ المُشْتَرِي رَبَطا
يَا ابْنَ المُلُوكِ العَوَادِي البُسْلِ مَنصِبُهُم ... صَمِيمُ قَحْطانَ يَا مَنْ لِلعُلَى نَشَطا
يا نُخبَةَ اللهِ للإسلامِ يا «حَمَدَ» الـ ... ـمَعْمُور يا «ابنَ ثُوَيْنِي» المُبْدِعِ الخُطَطا
يا ابنَ المَلِيكِ الذي مِنْ عِزِّهِ وَهَنَتْ ... صعبُ الليالي ولم تُدْرِكْ لَهُ نَبَطا
خُذْ جَوهَراً آيَةَ الكُرْسِيِّ تَنظِمُهُ ... أرْسَلتُهُ شَافِعاً عَنِّي لِمَا فَرَطا
عَزَّ الشَّفِيعُ فمَا عَزَّتْ مُشَفَّعَةٌ ... في التائبينَ إلى ذِي العَرشِ بَعدَ خَطَا
أرسلتُها رائداً عَنِّي ومُنتجعاً ... غُيوثَ حِلمِكَ فاضْفَحْ وانبِذِ السَّخَطا
لا زالَ ذنبُكَ مَحفوظاً بحيطَتِها ... وقهرِهَا حَاطِماً للخَصْمِ مُختَبِطا

سياسات بمقدار عزمه(*)

أدارَ سِياسَاتٍ بمقدارِ عَزمِهِ ... تَكادُ تَرُدُّ الأمسَ مِنْ مَذهَبِ الأمسِ

إلى أنْ تَسَنَّى أمرهُ الدَّهر فانثنى ... إليه كتصريفِ الأعِنَّةِ لِلشَّمسِ

فَطَابَقَ مَا فِي نَفسِهِ قدر نَفسِهِ ... بِمِقدَارِ عَينِ الشَّمسِ فِي فَلكِ الشَّمسِ

وكانَتْ بَقايا العِزِّ شَتَّى فَجُمِّعَتْ ... لِخُنصِرِهِ مِنْ بَينِ أصبعِهِ الخَمسِ

وَتَرقبُهُ العَلياءُ مِنْ قَبلِ آدَمٍ ... إلى أنْ بَدَا كالنُّورِ فِي حَضرَةِ القُدْسِ

وعَمَّتْ نُفوسَ الكَونِ مِنهُ بَشائِرٌ ... فكانتْ مَقامَ الحِسِّ مِنْ عَالَمِ الحِسِّ

فَبُشرَى سَريرَ المُلكِ أمَّ مَليكَهُ ... تَنزَّلَ مِنهُ مَنزلَ الرُّوحِ فِي النَّفسِ

(*) العنوان من وضعنا، فقد وردت في الأصل المتعمد بعنوان: (وقال)، حيث تبدو ـ في سياقها التسلسلي ـ عطفاً على مدائحه السابقة للسيد حمد بن ثويني. لكن إشارة في دراسة محمد المحروقي تشير إلى أنها قيلت في مديح السيد حمود بن محمد (١٨٥٣ ـ ١٩٠٢) الذي رافقه الشاعر في رحلة إلى بعض الأقطار الأفريقية لتسجيل أحداث تلك الرحلة في كتابه «اللوامع البرقية».

مَرصَدٌ وكمِين(*)

تَـيـقَّـظَ والأيـامُ فِـي غَـيـرِ نَـغـسَـةٍ ... فـمِـنـهُ عَـلـى عَـيـنِ الـزَّمَـانِ عُـيـونُ
فـفِـي كُـلِّ غَـورٍ مِـنْ مَـشـاكِـلِ دَهـرِهِ ... لَهُ مَـرْصَـدٌ مِـنْ رَأيِـهِ وَكَـمِـيـنُ
وفِـي كُـلِّ أمـرٍ تَـقـتَـضِـيـهِ شُـؤونُـهُ ... ظُـهُـورٌ بِـحَـسْـبِ الـمُـقـتَـضَـى وبُـطـونُ
تُـسَـابِـقُ فِـعـلَ الـجِـدِّ أفـعَـالُ رَأيِـهِ ... فَـتـحـكُـمُ فـيـمَـا كـانَ أو سَـيـكُـونُ
تَـرَاهُ غَـضِـيـضَ الـطَّـرفِ وهُـوَ مُـراقِـبٌ ... ويَـرجُـفُ مِـنـهُ الـدَّهـرُ وهُـوَ سـكُـونُ
لـهُ بَـصَـرٌ فِـي مُـلْـبِـسِ الأمـرِ نَـافِـذٌ ... فـيُـدرِكُ كُـنْـهَ الأمـرِ وهـو مَـصُـونُ
وتُـوحِـي لَهُ الـحَـقُّ الـمُـبِـيـنَ أصَـالَةٌ ... مِـنَ الـرَّأيِ فـيـمَـا لا يَـكـادُ يَـبِـيـنُ
يُـوَافِـيـهِ قَـبـلَ الـفِـكـرِ حُـكْـمٌ وحِـكْـمَـةٌ ... إذا شَـاجَـرَتـهُ فـي الـشـؤونِ شُـؤونُ
تَـكَـهَّـنَـتِ الأفـكَـارُ فِـي فَـهـمِ رَأيِـهِ ... وأحـكـامُـهَـا فـيـمَـا اسـتَـكَـنَّ ظُـنـونُ
بِـظَـاهِـرِ بَـيـنَ الـحَـزمِ والـرَّأيِ جَـيـشُـهُ ... يَـشُـنُّ لَهُ الـغـارَاتِ وهـو قَـطِـيـنُ
كـأنَّ غِـمَـارَ الـدَّهـرِ مِـنْ حَـولِ حَـزمِـهِ ... شُـكـوكٌ تَـجَـلّى بَـيـنَـهُـنَّ يَـقِـيـنُ

(*) العنوان من وضعنا، فقد وردت في الأصل المعتمد بعنوان: (وقال فيه)... ولا نعرف بالتحديد إن كان المقصود هو السيد حمد بن ثويني أم السيد حمود بن محمد، وإن كنا نرجح أن الثاني هو المقصود بالمدحة. فعلى الرغم من أن أبا مُسلم ـ كما يشير المحروقي في دراسته ـ ترقّى في المناصب حتى أصبح رئيساً للقضاة، وعلى الرغم من احتفاظه بمكانة عالية لدى سلاطين (زنجبار)، إلا أنه ظل متحفظاً في مديحهم، فلم يمدح سوى حمود بن محمد بمقطوعات معدودة وقصيرة، لكنَّ الحقيقة تقول غير ذلك، لا سيما في مقصورته التي يمدح فيها حمد بن ثويني، واستغفاره إياه ـ كما لو كان في واحدة من إلهيّاته ـ استصغاراً وتذلُّلا في المديح غير اللائق بشاعر فقيهٍ علامة مُتصوِّفٍ يعرفُ حُدودَ الحِكْمَةِ وضالَّتَهُ مِنها.

مياه البدر في ماء وجهه(*)

تُقارِنُهُ فِي كُلِّ أمرٍ فَضِيلَةٌ ... ويَلبسُ فِي أطْوَارِهِ مَا يُلائِمُ
تَمُرُّ القَضَايا طَيِّباتٍ بِحَمْدِهِ ... فَكُلُّ مَقامٍ أو سُلوكٍ مَكارِمُ
كأنَّ مِياهَ البَدرِ فِي مَاءِ وَجْهِهِ ... يُرَقرِقُهَا مِنْ جَوهَرِ البِشرِ سَاجِمُ
يَحلُّ وفِي الآفاقِ رِحْلَةُ عَزمِهِ ... فإن سَارَ فالأفلاكُ تِلكَ العَزائِمُ
لَهُ الحُكْمُ بَعدَ اللهِ فِي أمرِ دَهْرِهِ ... ولكنْ عَليهِ مَكسبُ الحَمدِ حَاكِمُ
ومَا تَكسبُ الأسْبَابُ مَحمُودَ فِعلِهِ ... ولكنْ لَهُ خُلقٌ مِنَ الحَمدِ لازِمُ

(*) العنوان من وضعنا، فقد ورد في الأصل المعتمد: (وقال فيه). - راجع هامش القصيدة السابقة.

شعاع الشمس في القمر(*)

بِدعٌ مِنَ الأمرِ إذ حَلَّتْ جَلالتُهُ ... تلكَ السَّرايَة فِي الأفلاكِ لم تَطِرِ
نَعَمْ لَهَا العُذرُ كُرْسِيٌّ لَهُ قَدَرٌ ... لو فَارقَ الأرضَ لم تَثبُتْ عَلى قَدَرِ
سرَايَةٌ حَسَدَتهَا الشمسُ فِي شَرَفٍ ... حَتى الكَوَاكِبُ حُسَّادٌ لِذي خَطرِ
قد حَلَّهَا العَالمُ الأعلى بأجْمَعِهِ ... تَجَوْهَرَتْ نَفسُهُ فِي قَالبِ البَشرِ
خَلِيفةٌ مِنْ رِجَالِ اللهِ تَسْمَلُهُ ... سِيمَا المَلائِكِ فِي أطوَارِهِ الزُّهُرِ
مَحَاسِنُ الدَّهرِ مِنْ إحسَانِهِ فَرَطٌ ... ومَا بَدَا فشعَاعُ الشمسِ فِي القمَرِ
أسَائِلُ الدَّهرَ عَنْ مَعنى فَضائِلِهِ ... فيُغرِبُ الدَّهرُ مَعْنى غير مُنْحَصِرِ
لو صَوَّرَ الدَّهرُ مِنطِيقاً لأعْجَزَهُ ... ما في حَقائِقِ مَعناهُ مِنَ الصُّوَرِ(١)
يُفارقُ العَقلَ فِيهِ نُورُ فِطرَتِهِ ... فَمُدرَكُ العَقلِ مِنهُ مَوقفُ النَّظَرِ
ظَوَاهِرُ الحَمدِ تَستوفِي الثناءَ لَهُ ... مَا الشأنُ فِي حَمدِ مَا يَخفى عَلى الفِكَرِ
وجَوهَرٌ مِنْ صَمِيمِ الحَمدِ عُنصُرُهُ ... فذاكَ للحَمدِ منا غير مُفتقِرِ
مَقامُ مِقدارِهِ مِنْ ذِكرِ مَادِحِهِ ... مَقامُ ذاتِ الضُّحَى مِنْ رُؤيةِ البَصَرِ
مَا يَنشرُ القولُ ذِكراً مِنْ مَحَامِدِهِ ... إلّا ويَصدرُ مَطوياً على غُرَرِ

(*) العنوان من وضعنا، فقد وردت في الأصل المتعمد بعنوان: (وقال فيه)، وقد قيلت في مديح السيد حمود بن محمد (١٨٥٣ ـ ١٩٠٢) الذي رافقه الشاعر في رحلة إلى بعض الأقطار الأفريقية لتسجيل أحداث تلك الرحلة في كتابه «اللوامع البرقية».

(١) المِنطِيق: البليغ.

تَهْوى البَلاغةُ أنْ تَطوي لَهُ مِدَحاً ... وأبلغُ القولِ فِيهِ مِثلُ مُقتصِرِ
خَليفةَ اللهِ هَلْ أبقيتَ مِنْ شَرَفٍ ... ألّا وعِندَكَ مِنهُ أشرَفُ الأثرِ
تَناقلتكَ مِنَ الأصْقاعِ أشرَفها ... سَجيَّة الشمسِ فِي الأبرَاجِ والقمَرِ
حَبوتَ مُلكَكَ حَظاً مِنْ مُشاهَدَةٍ ... فشاهَدَ العَينَ واستغنَى عَنِ الخَبَرِ
وظلَّ يَرفلُ والأيامُ شاخِصَةٌ ... وسطَ المَمَالِكِ بَينَ العِزِّ والظَّفَرِ
كم بَلدَةٍ بَدَّلتَها مِنكَ عَارفَةٌ ... مَرْعَى النَّضَارِ بمَرعَى الماءِ والشجَرِ
يَخضَرُّ دَارِسُ قُطْرٍ حَيثُ تَنزلُهُ ... كأنَّ رِجْلَكَ فِيهِ رَاحَةُ الخضرِ
بَارَكتَ أفريقيا لمَّا سَفرْتَ بهَا ... أنتَ المُبارَكُ فِي حِلٍّ وفِي سَفرِ[1]
فما تَرَكتَ شقياً غير مُستَعِدٍ ... ولا تَرَكتَ كَسِيراً غير مُنجبِرِ
وأنتَ بَينَ هِضَابِ المَجدِ مُنبسِطٌ ... تُصَرِّفُ الدَّهرَ فِي وِردٍ وفي صَدرِ
لا يَفقدُ الدَّهرُ جَداً مِنكَ مُرتحِلٍ ... ولا سُكونَ لِهَمٍّ مِنكَ فِي حَضرِ
إذا تَرَحَّلتَ عَنْ قُطْرٍ وَجَدْتَ بِهِ ... لما تُقيمُ بِهِ مِنْ صَالِحِ الأثرِ
كأنَّ نَفسَكَ فِي الأكْوَانِ سَارِيَة ... والجَوهرُ الفَرْدُ قالوا غير مُنشطِرِ
وكوكبُ الشمسِ فَردٌ فِي حَقِيقتِهِ ... وليسَ عَنْ سَائِرِ الدُّنيا بمُستتِرِ
ولو مَكَثتَ ولم تَرْحَلْ لمَا قَعَدتْ ... سِياسَةٌ مِنكَ عَزَّتْ حِيطةُ الفطرِ
تَحشو الليالِيَ ما يَبقى ولو بَلِيَتْ ... مِنَ المَفاخِرِ حَتى لاتَ مُفتَخرِ
نَازعتَنِي الدُّرَ والياقوتَ أنْظِمُهُ ... مَدْحاً وتَنثُرُهُ فِي كَفِّ مُفتقِرِ
كأنَّ شِعْرِيَ فِي أحشاءِ مُبْغِضِكُم ... ومُبْغِضِي مِثل حَدِّ الصَّارِمِ الذَّكَرِ
ولنْ أُفارِقَ نَهْجِي فِي مَدائِحِكُم ... أو يَفرق اللهُ بَينَ الأرضِ والمَطَرِ

---

(١) يشير إلى رحلة السلطان حمود بن محمد إلى بعض أقطار أفريقيا التي رافقه الشاعر خلالها وسجل تلك الرحلة في كتابه: «اللوامع البرقية».

تاسع الأفلاك(*)

مَنطِقٌ كانَ ثامِنَ السَّبعَةِ الـ ـشُّهبِ وإنْ قُلتُ تاسِعَ الأفلاكِ
يَشهَدُ العَقلُ مِنهُ مَا يَشهدُ الـ ـسَّمعُ ومَعناهُ شاسِعُ الإدْرَاكِ
لو نَحَا البَحرَ كانَ عَذباً فُرَاتاً أو رُفاتاً لآذَنَتْ بِبَحرَاكِ
كلِمَاتٌ كالسُّحبِ تُمطِرُ نُوراً ومَعَانٍ كالدُّرِ فِي الأسْلاكِ
صَبَغتْ صَفحَةَ الوُجُودِ ضِياءً خَطفَ النُّورَ مِنْ بَصيرِ السَّمَاكِ
يَلمَعُ الضَّوءُ حَيثُ تَجرِي بها الأقـ ـلامُ حَتى الأقلامُ صَارَتْ مَذاكِي
لَستُ أدرِي أوَجْهُهُ أو سَنا المَـ ـنطِقِ أعلى أم الأيَادِي الزَّوَاكِي
أم ضِياءُ الجَلالِ والعِزِّ مِنهُ مَذهَبي فِيهِ مَذهَبُ الشَّكاكِ
كَادَتِ الأرضُ أنْ تَمِيدَ ابْتِهَاجاً وتَخِرَّ الدُّنيا لِلثمِ الشَّراكِ
يوم ألقى المَلاكُ مِنْ حِكمَةِ القو لِ فَسُرَّتْ بِهِ نُفوسُ المَلاكِ
ونُفوسُ الأكوانِ تُصغِي إليهِ في ازدِحَامٍ كَمُرسَلاتِ العِراكِ

(*) العنوان من اختيارنا، فقد وردت في الأصل المعتمد بعنوان: (وقال فيه). وهي قصيدة أخرى في ممدوحه السيد حمود بن محمد.

أُكْرُومَة(*)

لا يُجْتلى النُّورُ إلّا مِنْ مَشارِقِهِ ... ويُجْتنى الدُّرُ إلّا مِنْ مَجانِيهِ

إذا تولّى كَمالٌ عُنصُراً كَمُلَتْ ... فُرُوعُهُ وَسَرَتْ فِيهِ مَعانِيهِ

ومَنْ تَكُنْ نَفسُهُ بَحراً فلا عَجَبٌ ... أن يَجْتنِي الجَوهَرَ المَكْنُونَ مِنْ فِيهِ

أصْلٌ تَجسَّمَ مِنْ نُورِ الكَمالِ فمِنْ ... إشراقِ أَوَّلِهِ إشراقُ تالِيهِ

حَسبُ المُلوكِ بَنِي سُلطَانَ مِنْ حَسَبٍ ... أن تُحْسَبَ الشَّمسُ رُكْناً مِنْ مَبانِيهِ

أبْقَوا لأعْقابِهِم ما ليسَ تُدْرِكُهُ ... سَيَّارَةُ الشُّهْبِ مِنْ مَجدٍ وَتَنزِيهِ

رَمَى «حُمُودُ» مَرامِيهِم فمَا انْفلَتتْ ... أُكْرُومَةٌ لم تُقيِّدهَا مَعَالِيهِ

أقيمُ في حَمدِهِ نَفسِي وَأُقْعِدُهَا ... جُلُّ القَضِيَّةِ حَمْدٌ لَستُ أُحْصِيهِ

(*) عنوان القصيدة من اختيارنا، فقد وردت في الأصل المعتمد بعنوان: (وقال). وقد قيلت في ممدوحه السيد حمود بن محمد.

يعطي بميزان عقله(*)

. . ولكِنَّهُ يُعطِي بمِيزانِ عَقلِهِ ... حَقائِقَ آلِ اللهِ بُحْرِ الحَقائِبِ
ويَنفلُ حَيثُ النَّفلُ حَمدٌ وحِكمَةٌ ... نَوافِلَ ليسَتْ دُونَ وَكْفِ السَّحَائبِ
يَحِيدُ عَنِ الإسْرَافِ نَفساً زكِيَّةً ... فيَعْصِمُها في صَالِحَاتِ المَوَاهِبِ
ولو قامَ فِيمَا تَشتهِي النَّفسُ مِنْ يَدٍ ... لَضَايَقَ جَدوَاهُ مَناطَ الكَوَاكِبِ
يُراقِبُ بَينَ القبْضِ والبَسْطِ حِكْمَةً ... فمَذهَبُهُ فِي الجُودِ خَيرُ المَذاهِبِ

(*) عنوان القصيدة من اختيارنا، فقد وردت في الأصل المعتمد بعنوان: (وقال فيه).

الباب الثامن

المُناسـبات

المُؤتمَر الإسلامي(*)

هَـزَّت الـعـالَمَ أدوارُ الـبَـشـرْ ... يـنـقـضـي الـدَّورُ بـأدوارٍ أُخَـرْ

كُـلُّ دَورٍ رَقـصَ الـدَّهـرُ لـهُ ... ضَـايـقَ الـعَـالـمَ وارتـادَ الـقـمَـرْ

أيُّـهَـا الـعَـالَمُ سَـعْـهَـا جَـلَداً ... إنَّ نِـصـفَ الـلـيـلِ يـتـلُوهُ الـسَّـحَـرْ

مَن كفيلُ الكشفِ عن مَوضُوعِهِم ... هـل لـهُ مُـسـتـودَعٌ أو مُـسْـتـقـرْ

إنْ تـكُـنْ فـلسَـفـةُ الـدَّهـرِ عـلى ... حَـدِّهـا الأولِ أدْرَكْـنـا الـخِـيَـرْ

يُـسـقـط الـهَـزُّ عـلـيـنـا كِـسَـفـاً ... ثـم لا يَـلبَـثُ إسْـقـاطَ الـحَـجَـرْ

رُبَّـمَـا أشـهَـدُ ظـبـيـاً كـانِـسـاً ... دَبَّ فـيـه الـدَّورُ فـاضْـطـادَ الـنَّـمِـرْ

يـا بَـنِـي الإنـسـانِ هَـلْ مـن عَـزمِكُـم ... دَفـعُ مـا يَـجْـري بـه حُـكْـمُ الـقـدَرْ

مـا تـقـرُّونَ عـلـى مَـألـوفِـكُـم ... كُـلَّ مـا يُـعْـجِـزكُـم عَـيـنُ الـوَطـرْ

لـو نَـغَـثْ نـاغِـيَـةٌ فـي زُحَـلٍ ... كـانـت الـهَـمَّ لـكُـم أو تُـغـتَـقَـرْ

هَـمْـسَـةٌ عـالـيـةٌ أم نَـهْـمَـةٌ ... أم شُـرورُ الـنَّـفـسِ تـزمِـي بـالـشَـرَرْ

يَـطـفـرُ الإنـسـانُ عَـنْ مَـرْكـزِهِ ... وهـو لا يَـبْـرَحُ مَـنْ حَـيـثُ طَـفَـرْ

مَـارَسَ الأعـراضَ كـيـفَ اعـتـرَضَـتْ ... وانـتـحَـى أخـطـرَهـا أنَّـى خَـطَـرْ

ثـم لا يـثـنـيـهِ عـن مَـرْغـوبـهِ ... خُـطَّـةُ الـعَـجْـزِ ولا هَـوْلُ الـغِـيَـرْ

(*) قالها في المُؤتمر الإسلامي المُؤسَّس في مِصر على يد رياض باشا، وهي قصيدة تؤكِّدُ، بما لا يدع مجالًا للشك، مُتابعة أبي مُسلم لأحداث الأمتين العربية والإسلامية مُتابعة المُطلع الحالم بأمة مُوحدة لا تخضع لإملاءات المُستعمر.

فـإذا أوْهَـاهُ خَـطْـبٌ جَـلَلٌ ... قـصَّـرَ الـخُـطـوةَ عـنـهُ واقْـتـصَـرْ

كـم لـنـا نُـتـقـنُ دَرساً واحـداً ... وهـو كَـونُ الـدَّهـرِ ذا نَـصْـبٍ وجَـرْ

كـم لـنـا نـأمَـنُ مَـنْ لا يُـتَّـقـى ... نـزلـتْ مِـنْ مَـكْـرِهِ إحـدى الـكِـبَـرْ

كـم لـنـا نَـحـذرُ مَـحْـتـومَ الـقـضـا ... ومِـنَ الـمَـقـدُورِ لا يُـغـنـي الـحَـذرْ

رُبَّ خـطـبٍ عُـنـيَ الـدَّهـرُ بـهِ ... وزنُـهُ، فـي رأيـنـا، مِـثـقـالُ ذَرْ

دَبَّـت الـحـيَّـةُ حـتـى نـهَـسَـتْ ... فـي غـصُـونِ الـعَـدل جَـهـراً بَـعـدَ سِـرْ

مـا تـركـنـاهـا، وفـي أوهَـامـنـا ... أنـهـا قـد تـركـتْ ذاكَ الـضَّـرَرْ

إنـمـا الـعَـدلُ اقـتـضـى إبـقـاءَهـا ... تـشـربُ الـمـاء وتـعـتـامُ الـشـجَـرْ

يـا قَـطِـيـنَ الـنِّـيـلِ مـا حَـادِثَـةٌ ... بـاتَ جَـفـنُ الـدِّيـن مـنـهـا فـي سَـهَـرْ

أقـلـقـتْ مِـصْـرَ وغـاظـتْ غـيـرَهـا ... خـطـةُ الـقِـبـطِ وذاكَ الـمُـؤتـمَـرْ

يـا لَـقـومـي والأسـى كُـلَّ الأسَـى ... إن جَـرى الـنـيـلُ عـلـى هـذا الـقـدَرْ

ضـايـقـوكُـم فـي الـمَـراعِـي مُـطـلـقـاً ... واشـرَأبُّـوا لاخـتـصـاصٍ وأَشَـرْ

طـلـبـوا أعـظـمَ مِـنْ مِـقـدارِهِـم ... شـأنَ مَـنْ أكْـسَـبَـهُ الـعَـدلُ الـبَـطَـرْ

أمَّـةٌ قـومـيَّـةٌ لـيـسَ لـهـا ... فـي الـسِّـيـاسِـيَّـاتِ حَـقٌّ يُـعْـتـبَـرْ

لـيـتَ شِـعـري مـا الـذي أبْـطَـرَهُـم ... ضـغـطـةُ الـرُّومـان أم عَـدلُ عُـمَـرْ

أم وَصَـايـا الـمُـصْـطـفـى فـي حَـقِّـهِـم ... إنْ مَـلَـكـنـاهُـم وَسِـعْـنـاهُـم بِـبِـرْ

أم لـصَـفـح الـدِّيـن عـنـهـم بـعـدمـا ... جـيـشُ نـابُـلـيـونَ وَلّانـا الـدُّبُـرْ

تـبِـعُـوا نَـعْـقـتَـهُ وانـجَـفـلُـوا ... نـحـوَهُ أشـبـاهَ ضَـأنٍ وبَـقـرْ

ثـم لـمَّـا صَـنَـعَ الله لـنـا ... وجَـلـى الـخـصْـمُ وأُبْـنـا بـالـظَّـفـرْ

خـالـطُـونـا بـضـمـيـرٍ مُـخـرَقٍ ... وبـصَـدْرٍ فـيـه ضَـبٌّ مُـحْـتَـجِـرْ

فـاصْـطـنـعْـنـاهُـم وقـلـنـا جَـارُنـا ... وأذى الـجَـارِ جَـمـيـلُ الـمُـصْـطَـبَـرْ

هـذه سِـيـرَتُـهُـم حـيـث انْـجَـلَـتْ ... فَـتْـرَةٌ جَـاؤوا بـأدهـى وأمَـرْ

يـا بَـنِـي الأقـبَـاطِ تِـلـكُـم مِـصْـرُنـا ... أنـتـمُ الـبَـنـكُ ونـحـن الـمُـقـتـهَـرْ

إنَّ هـذا الـنِّـيـلَ أمٌّ حَـافِـلٌ ... كُـلُّـنـا يَـرْضَـعُ مـنـهـا ويَـذَرْ

فَغَدَتْ حَافِلُنا تَرْضَعُها ... حَيَّةٌ أشْبَهُ شَيءٍ بِسَقَرْ

رَضَعَتها لَبَناً ثُم دَماً ... واغتَبَطنا بِمِشاشٍ وَوَبَرْ

وهي لا يُقنِعُها ما تَرْتَمِي ... لا ولا يُقنِعُها بَلعُ الحَجَرْ

ذَكَّرَتنا بِعَصا مُوسى على ... أنَّ ذِي تَلْقَفُ أرواحَ البَشَرْ

نِيلُنا في الغَرْبِ يَجْرِي ذَهَباً ... وبَقِينا نَتَرَامَى في الحُفَرْ

إنْ يَكُنْ جَيشُ احتلالٍ غَرَّكُم ... فهيَ أمْنِيَّةُ مَنْ لا يَفتَكِرْ

ما يُريدُ الجَيشُ باستِقلالِكُم ... بعدما ألقى عَصَاهُ واستَقَرْ

عَقَدَ النِّيرَ وَمَا فِي هَمِّهِ ... آمَنَ المِصْرِيُّ يوماً أم كَفَرْ

جاءَ والمَعْيَةُ تلوي مَعْيَهُ ... فانْتَرَى ثم تَعَاطى فَعَقَرْ

طَمَّت الجَزْفةُ يا أقباطَها ... إنها مَأدُبَةٌ لا تُنتَقَرْ

أصبَحَ المُطرانُ والمُسْلِمُ في ... غَمْرِها أعْجَازَ نخلٍ مُنقَعِرْ

قد تَدَرَّبْتم على بَأوَائِكُم ... دُرْبَةٌ قاسيةٌ ذاتُ خَطَرْ

فاشبِعُوا الوِحْدةَ وَحياً قبل أنْ ... تتداعى كَهَشيمِ المُحْتَظِرْ

إن في مِصْرَ رجالاً عَرَفَت ... كيف تأتي الأمْرَ أو كيفَ تَذَرْ

لا تُبَارُونَ لهُمْ مَأثرةٌ ... ولو اختلتُم على كَشفِ القَمَرْ

صَعَّدوا في كُلِّ هَمٍّ فِكْرَهُم ... فأفْتَنوا حُكْمَ ابتداءٍ وَخَبَرْ

أثرُ الحِكْمَةِ فيهم نَيِّرٌ ... كادَتِ الأفْلاكُ مِنْهُ تَنْبَهِرْ

مَثَّلوا غِيرَتَهُم مُؤتَمِراً ... يَنصُرُ اللهَ ونِعْمَ المُؤتَمَرْ

وَطِئوا الآمالَ بالذُّلِّ لما ... أدرَكُوهُ من تَعَاليمِ النَّظَرْ

لا يَبِيتُونَ على الضَّيمِ ولا ... حيرَةِ الذِّهْنِ إذا الخَطْبُ انْفَجَرْ

لا يَهِيمُونَ بوادٍ مُبْهَمٍ ... هُم إلى التَّحْقِيقِ أهْدَى من بَصَرْ

يا بَنِي التَّوحِيدِ في مِصْرَ لقد ... صِرْتُمُ في جَبْهَةِ الدَّهْرِ غُرَرْ

صِبغةُ اللهِ على نَهْضَتِكُم ... إنَّ مَنْ كانَ مَعَ اللهِ انْتَصَرْ

بيئةٌ مُخلِصَةٌ صَادِقةٌ ... لم يُدَنِّسْها رِياءٌ وَأشَرْ

فخذوا وِجْهَتكُمْ وَاصْطَبِرُوا ... لا يَنالُ النُّجْحَ إلا مَن صَبَرْ
ثابِرُوا جُهْدَكُمُ لا تَشأمُوا ... قد بَدَا لي فَتحُ أَمرٍ مُنتَظَرْ
رُبَّمَا ضَاقَ على حِيلَتِنا ... أغلَقَ الفتحَ كلمحٍ بالبَصَرْ
وإذا الفتحُ تَلافَى أُمَّةً ... جَدَّ في نَهْضَتِها أَهْلُ الخَطَرْ
صَفوَةُ الأمَّة أنتم وعلى ... أمرِكُم صَفْوَةُ أَرْبَابِ النَّظرْ
بَطَلُ الإسلامِ قُمقامُ العُلى ... رَجلُ المَجْدِ الهُمَامُ المُقتدِرْ
ناصِعُ الحُجَّة مَعْصُومُ النُّهَى ... جَلِدُ الهِمَّةِ ذُو العَزْمِ الذَّمِرْ
صَاحِبُ العِزِّ «رِياضٌ» مَنْ غَدَتْ ... فِطْرَةُ التَّوْحِيدِ مِنهُ في وَزَرْ
هَضْبَةُ الفَضْلِ عَزيزُ المُختمَى ... شَأْنُهُ العَدلُ بِمَا سَاءَ وَسَرْ
جَرَّدَ الغِيرَةَ مِنْ أجْفَانِها ... فَحَمَى الحَقَّ وَأخْزَى مَنْ غَدَرْ
عَصِمُ النِّحْلَةِ مَرْهُوبُ السُّطَى ... لَيِّنُ الجَانِبِ صَعْبُ المُنكسَرْ
يا حَمِيَّ الأنفِ يا لَيْثَ الشَّرَى ... ذُدْ عَنِ الحَوْضِ فَقَدْ جَدَّ الحذرْ
لا تَدَعْ مِصرَ لِمَنْ يَعْثُو بها ... غَيْرَ مَا عَزَّكَ مِنْ أَمرِ القَدَرْ
قائمٌ أنتَ على أرْجَائِها ... بِمَلاكِ الأمرِ وَالحَقِّ الأغرْ
قُمْ بِحَوْلِ اللهِ لا تَخْفلْ بها ... رَقَصَتْ أم سَكَنتْ أمُّ العِبَرْ
لو يَكُونُ الشِّعرُ نَصراً لم أزلْ ... أنظمُ الأنجُمَ لا أرْضَى الدُّرَرْ
لو مَلكْنا السَّيفَ لم نَرجِعْ إلى ... قَلَمٍ في النَّصرِ إنْ قامَ عَثَرْ
والغيُورُ الحُرُّ يُبدي نَصْرَهُ ... لأخي مِلَّتِهِ كيف قَدَرْ
فخُذُوا شِعْرِي ثناءً بعدما ... مَدَحَتْ نَهْضَتكُم آيُ السُّوَرْ
وليَدُم حَيّاً رياضٌ، وليَعِش ... ثابتَ العِزَّةِ هذا المُؤتمَرْ

مُتنبّيءُ الدُّنيا(*)

يـا أخـا عَـبْـسِ الـحُـمَـاةِ الأنُـوفِ ... والكَريمَ الموصُوفَ بالمَعروفِ

هَـزَّكَ الـفـضـلُ والـفُـتـوَّةُ والـسُّـؤ ... دَدُ والـمَـجْـدُ كـاهـتـزازِ الـسُّـيـوفِ

أنـتَ فـيـنـا مُـرَزَّأٌ تـحـمِـلُ الـكَـ ... ـلَّ وتَـنـفـي رَزِيـئَـةَ الـمَـلْـهـوفِ

إنْ قَـصَـدْتَ الـعُـلى فـلـيـسَ عَـجيباً ... لـيـسَ قـصـدُ الـشريفِ غَـيرَ الشريفِ

أنـتَ مِـنـا كَـدُرَّةِ الـتـاجِ فـي الـتـا ... جِ ومِـثـلِ الـرَّبـيـعِ حـذوَ الـخـريـفِ

أنـتَ، دُونَ الـتـوصِـيـفِ، فـخرٌ لِعَبْسٍ ... لـم تَـزِدْ فـي عُـلاكَ بـالـتـوصِـيـفِ

رَقَـمَ الـمَـجْـدُ لـلـشَّـراةِ حُـرُوفـاً ... وبـيُـمْـنـاكَ رَقْـمُ تـلكَ الـحُـرُوفِ

قـد مَـلأتَ الـزمـانَ مَـجـداً وفـضـلًا ... قِفْ قليلًا! قدْ ضَاقَ وُسْعُ الظُّروفِ

كُـلُّ شَـأوٍ مِـن دُونِ شـأوكَ والـمِـقـ ... ـدارُ مِـن أيِّ تـالِدٍ وطَـريـفِ

لـيـسَ مَـن يَـدَّعِـي الـفـخـارَ يُـسـاوِيـ ... ـكَ ولا كُـلُّ مـا بَـنـوا بـمُـنِـيـفِ

لـم أصـارِفْـكَ بـالـرِّجـالِ وقـد أيـقـنـ ... ـتُ مِـنـهُـم بـبَـهْـرَجٍ وَزُيُـوفِ

مـا ظَـنـنْـتُ الـزمـانَ يَـجْـحَـدُ فـضْـلي ... غـيـرَ أنَّ الـزمـانَ جَـمُّ الـصُّـروفِ

طـالـمـا شـمَّـرَ الأعـادي لـهَـضْـمِـي ... فـدَهـاهُـم مَـجْـدِي بـرَغـمِ الأنـوفِ

هـذه سِـيـرَتـي وسِـيـرَةُ ذَهْـرِي ... حَـسَـدُونـي وأنـكَـروا مَـعْـروفـي

إنْ نَـسِـيـتُ الأشـيـاءَ لـمْ أنـسَ يَـومـاً ... كُـنـتَ لـي فـيـهـم غِـرارَ الـسُّـيـوفِ

(*) العنوان من اختيارنا. وقد قيلت القصيدة في الشيخ عبد الرحمن بن سالم الرّواحي، الذي وقف إلى جانبه بعد أن كاد له الحُسّاد على مقاماته الرفيعة التي حظي بها في زنجبار.

حَاوَلوا ما رَقَمْتُهُ من كَمَالي ... حَنقاً بالتحْريفِ والتصْحِيفِ
بَخَسُوني وطَفَّفوا الكَيْلَ زُوراً ... ولهُم مِنكَ سُورَةُ التطْفيفِ
هكذا يا أخا المَناقب رَأيُ الدَّهرِ ... قد كانَ في كَمالِ الشَّريفِ
بعَنِي الدَّهْرِ عِلَّةٌ ليسَ تشفى ... بدَواءٍ حتى لقاءِ الحُتوفِ
لا تُحاوِلْ عِلاجَهُم بكَمالٍ ... آفةُ الدهرِ في كَمالِ الشريفِ
وتَمُوتُ الجُعْلانُ في نفحَةِ الطِّيـ ... ـبِ وتحيا سَعِيدَةً في الكَنيفِ
عِزَّةُ العِلمِ أمْجَدَتني مَقاماً ... فَتبيَّنتُ كُلَّ رَأيٍ سَخِيفِ
ليتَ شِعري هلْ يَزْعَوي الدَّهرُ يوماً ... مِن بَناتِ الدُّهُورِ هَزُّ القحُوفِ
عَجَباً ليسَ يَسْلَمُ المَجْدُ فيه ... كُلُّ حُرٍّ بصَخرَةٍ مَقذوفِ
ما يُريدُ الزَّمانُ مِن رِفْعَةِ النَّذ ... لِ ومِن ذِلَّةِ الكَريمِ العَفيفِ
وعَذيرُ الزمانِ مِمّا أقاسِيـ ... ـهِ انفِرادُ الكِرامِ بالمَعروفِ
وعُزومٌ يُثيرُها كَرَمُ النفـ ... ـسِ وَهَمٌّ يُشِيبُ رَأسَ الصُّروفِ
واقتحامُ المَجيدِ في الرَّوْعِ لا يَرْ ... قبُ سُعداً أو يَنثنِي لمَخُوفِ
قُمتَ عَبدَ الرَّحْمنِ لي في مَقامٍ ... ظلَمُوني فيهِ كَظُلْمِ الطُّفوفِ
أنْكَرَ المُلْحِدُونَ ما أنكَرُوهُ ... فرَدَدْتُ التَّنكِيرَ بالتَّعْريفِ
رَشَحَتْ مِنهُمُ صُدُورٌ مِراضٌ ... بحَزازاتِ السُّوءِ والتعنيفِ
لم تَدَعْهُم على بساطِ المَخازي ... بلْ دَحَضْتَ الدَّعْوى برأيٍ حَصِيفِ
يَظهَرُ السُّوءُ مِن بَواطِنِ سُوءٍ ... يَرْشحُ الظَّرْفُ جَوهَرَ المَظروفِ
خُذ ثنائي كَأنَّهُ الجَوهَرُ المَكْـ ... ـنونُ واجْعَلْهُ في مَحَلِّ الشُّنوفِ
قَلَمِي ساحِرُ القلوب بَديعٌ ... وبَديعُ الأقلامِ مَحْضُ الصَّريفِ
دَعْهُمُ في المَخازي والتَّكْذيبِ إنِّي ... مُتنبِّي الدُّنيا بلا تَكْليفِ

بُورِك النَّجل(*)

بُورِكَ النَّجْلُ واسْتَمَرَّ الهَنَاءُ ... لكَ واسْتَجْمَعَتْ لكَ السَّرَاءُ

بُورِكَ النَّجْلُ يَومَ جَاءَ ولِلألبا ... بِ بِشْرٌ ولِلعُيونِ بَهَاءُ

بُورِكَ النَّجْلُ عُودُ نَبْعَةِ فَضْلٍ ... إنَّ نَبْتَ الفِضِيلَةِ الفُضَلاءُ

أطْلَعَ اللهُ مِنهُ نَجماً على أُفْـ ... ـقِ المَعَالي سعداً وأنتَ السَّمَاءُ

وَلَدَتهُ أُمُّ الكَمَالِ وَغَذَّتهُ ... بِألبَانِهَا الخِلالُ الوضَاءُ

ناشِئٌ في زكَاءِ عِلمٍ ولا شَـ ... ـكَّ سَيسْرِي إليهِ هذا الزَّكَاءُ

مِنْ أُصُولٍ صَدِيعَةُ الفجرِ فِي أخلا ... قِهِم والوُجُوهُ مِنهُم ذكَاءُ

كيفَ لا يُرْتجَى لذا الفَرْعِ زَهرُ الـ ... ـمَجدِ والأصْلُ فاطِمُ الزَّهْرَاءُ

أبَعيدٌ عَنهُ العَلاءُ وَهَلْ يَنـ ... ـبُتُ إلّا للهَاشِمِيِّ العَلاءُ

هُوَ فِي ذاتِهِ وفِي الاسمِ والفِـ ... ـعْلِ كَريمٌ يَمُدُّهُ كُرَمَاءُ

مُشرِقُ العرضِ طَاهِرُ النَّسَبِ النَّا ... صِعِ حَدٌّ وقُلْ هُوَ الجَوزاءُ

لا تُهَذِّبهُ يَافِعاً إنَّ فِيهِ ... للكَمَالاتِ شِيمَةً شَمَّاءُ

هُوَ كالجَوهَرِ اليَتِيمِ صَفاءً ... ليسَ بالاكْتِسَابِ ذاكَ الصَّفاءُ

سَوفَ تَسْرِي بِهِ صِفَاتُ سُرَاةٍ ... شفَّ فِيهَا المِعْرَاجُ والإسْرَاءُ

(*) كتب الشاعر هذه القصيدة تهنئة لصديقه الخطاط عبد الباري العجيزي بمناسبة قدوم مولود جديد. والخطاط المصري البارع عبد الباري العجيزي عيّنته حكومة زنجبار مديراً لنظارة المعارف. العنوان من اختيارنا، فقد وردت في الأصل المعتمد بعنوان: (وقال أيضا).

لو تَعَلَّمتَ مَا تَشاءُ مِنَ النُّهـ ... ـذيبِ فِيهِ لَقَلَّ فِيمَا يَشاءُ
سَيُجَلِّي بنزعَةٍ يَقصُرُ النُّهـ ... ـذيبُ عَنهَا وسَوفَ يَبدُو الجَلاءُ
ظَهَرَتْ مِنْ مَخائِلِ الرُّشْدِ فِيهِ ... بَارقاتٌ ولِلمَزايَا سَناءُ
وتَجَلَّتْ مِنَ السَّجايا عَلَيهِ ... آيةٌ فِي أَعْطَافِهِ بَيضَاءُ
فَهَنِيئاً بِهِ غُلاماً زكِياً ... رَافَقَ اليُمْنُ ذاتَهُ والنَّمَاءُ
قَمَراً فِي سَنائِهِ وحُسَاماً ... حَيثُما يَمْجُدُ الحُسَامُ المُضاءُ
جَانِياً رَوضَةَ المَعَارِفِ يَستو ... فِي حُقوقاً قَامَتْ بِها الآباءُ
يَتَدَانى مِنَ الفَضِيلةِ طَبعاً ... وإلى الطَّبعِ تَرجِعُ الأشيَاءُ
كَوكَباً قَارَنَ السَّعَادةَ مِيلا ... داً وعُمْراً وحَيثُ يَبقى البَقاءُ
فَتَباشَرْ بِهِ فَدَيتُكَ مِضبَا ... حَ عُلومٍ تُجَلَّى بِهِ الظَّلْمَاءُ
وتَيَقَّنْ بِأنَّهُ لِلهُدَى وَجْـ ... ـهٌ ولِلمَجْدِ غُرَّةٌ زَهْرَاءُ
مَسَحَتْهُ مِنْ رَبِّهِ بَرَكَاتٌ ... حَسبُهُ بَينَهُنَّ بَاءٌ ورَاءُ[1]
أيُّها السَّيدُ الجَليلُ لَكَ اللـ ... ـهُ لَقد أبسَمَتْ لَكَ النُّعْمَاءُ
امْلأ القَلبَ شُكْرَ رَبِّكَ فالشُّـ ... ـكرُ إذا زادَ زادَ مِنهُ العَطاءُ
إنَّ أولادنا الصَّوارمُ والأعـ ... ـضَاءُ فِي النَّائباتِ والأعضَاءُ
قُرَّةٌ لِلعُيونِ بل بِضعَةُ الأنـ ... ـفُسِ بل هُم كُفاتُنا الأكْفاءُ
مَا الذي مَاتَ تاركاً صَالِحَ النَّـ ... ـسْلِ ولا الأبْترُ القَطِيعُ سَواءُ
ليسَ أجرٌ بَعدَ المَماتِ سِوى عِلـ ... ـمٍ وخَيرٍ نَجزِيهِ والأبنَاءُ
دَعوةُ الابنِ صَالِحاً لأبِيهِ ... لِعَظِيمِ الثوابِ فِيهَا رَجَاءُ
يا سَمَاءَ البَيَانِ إنِّي عَصَانِي ... فِيكِ هَذا القَرِيضُ والإنشَاءُ
غيرَ أنَّ البُشرَى سَقَتْنِي مُدَاماً ... فالذي حَرَّكَ اليَرَاعَ انْتِشَاءُ

---

(١) يقصد أن بركات من الله قد مسحت هذا الوليد، وحسبه «البِرّ» المضفور في حرفي «الباء» و«الراء» من تلك البركات.

قـلـمِـي قـاصِـرُ الـخُـطَـى عِـنْ تَـهَـا ... نـيـكَ ولـكِـنْ تَـطـفُّـلٌ وإخـاءُ
ما كفانِي الصَّفاءُ فِي القلبِ حَتى ... أظـهَـرَ الـشِّـعْـرُ مَـا أَكَـنَّ الـصَّـفـاءُ
ولـــذاتِ الإخـــلاصِ رُوحٌ لـــهَـــا ... عَـقـلٌ وحِـسٌّ ومَـنـطِـقٌ وذكـاءُ
وإذا صَـحَّـتِ الـمَـحَـبـةُ فـي الـقـلـ ... ـب فـآثـارهـا لـهُـنَّ ضِـيـاءُ
وعـلى الـشِّـعْـرِ جَـانِـبٌ مِـنْ حُـقـوقٍ ... لـيـسَ فـي غـيـرِهِ لـهُـنَّ قَـضـاءُ
فـاغْـتَـبِـرْ مَـا يَـقـولُهُ الـشِّـعْـرُ عَـنِّـي ... أنـهُ بَـعـضُ مَـا حَـواهُ الـخَـفـاءُ
خُـذهُ عَـنِّـي الـدُّرُ الـفـرِيـدُ عَـلـيـهِ ... مِـنْ شُـعَـاعٍ لـوَصْـفِـكُـم لألاءُ
حَـكَـمَ الـوُدُّ بَـيـنـنـا بِـمُـدَاجَـا ... ةِ الـقـوَافِـي وفِـي الـقـوافِـي إبـاءُ
فـتـطـارَحْـتُ بَـيـنـهَـا أتَـقـاضَـى ... بَـعـضَ مَـا يَـسـتَـقِـيـمُ مِـنـهُ الـثـنـاءُ
فـهـي تُـمـلِـي عَـلـيـهِ مَـا يَـتـمَـنَّـى ... سَـالِـمَ الـطَّـبـعِ وافـتِـكـارِي بُـرَاءُ
فـإذا جَـاءتِ الـقـرِيـحَـةُ بَـيـضـا ... ءَ فـفَـضْـلِـي الـيَـرَاعَـةُ الـسَّـوداءُ
يـا صَـدِيـقِـي وبـالـصَّـدِيـقِ انـتِـفـاعٌ ... ولَـدَى الـضِّـيـقِ تُـعـرَفُ الأصْـدِقـاءُ
هَـلْ رَأيـتَ الـزَّمَـانَ يَـرمِـي سِـهَـامـاً ... مُـجْـهِـزاتٍ وهَـلْ عَـدَانِـي الـرَّمَـاءُ
قـل لـهَـذا الـرَّامِـي وأنـتَ سَـفِـيـري ... أنَّ مَـرْمَـاكَ صَـخـرَةٌ صَـمَّـاءُ
أنـا وَحْـدِي لـذا الـزَّمَـانِ عَـدوٌّ ... لـيـسَ لِي فِـي اعْـتِـدَائِهِ شُـرَكـاءُ
غـيـرَ أنـي إذا هَـزِزْتُ اضْـطِـبَـاري ... هَـانَ عِـنـدِي مِـنَ الـزَّمَـانِ الـعـدَاءُ

تهنئة ودعوة بشفاء(*)

الـحَـمْـدُ للهِ لا بُـؤسٌ ولا سَـقَـمُ ... الـمَـجْدُ عُـوفِـيَ إذْ عُـوفِـيتَ والـكَـرَمُ

لَبِسْتَ مِـن حُـلَلِ الألْطـافِ عَـافِـيَـةً ... وَزَالَ عَـنْـكَ إلـى أعْـدائِكَ الألَمُ

قد أصْبَحَ الفضلُ مُرْتاحاً وانْتَعَشتْ ... بِـحَـالِ صِـحَّـتِـكَ الأرواحُ والـهِـمَـمُ

مِنْ بَعدِ مَا سَئِمَتْ نفسِي الحَياةَ كما ... قد رَاعَـهـا مِـنكَ إذ أوْدَى بِكَ السَّـقَـمُ

تَفدِيكَ رُوحِيَ يا مَولَى القريضِ فقد ... جَـلَّتْ صِـفـاتُكَ عـن إطـرَائِـهـا الـكَـلِـمُ

مَـن ذا يُـجـاريـكَ فـي بَـحْـرٍ وَمَـكْـرُمَـةٍ ... أو مَـن يُـسـاوي وأنـتَ الـيَـومَ فُـقْـتَـهُـمُ

بَـحْـرٌ تَـقـدَّسَ فـي أَطْـوارِ نَـشْـأتِـهِ ... يـا حَـبَّـذا الـبَـحـرُ فـي تـيَّـارِهِ الـحِـكَـمُ

يـا أكْـرَمَ الـنـاسِ جُـدْ لـي بـالـرِّضَـا كَـرَمـاً ... فـأنـتَ أكْـرَمُ مَـن يَـسْـنِـي عَـلـيـهِ فَـمُ

(*) أصيب الشاعر بألم أقعده الفراش فكتب إليه صديقه محمد بن علي بن خميس البرواني بضعة أبيات يهنئه بالسلامة. وقد استعار وزنها والشطر الثاني من كل بيت من قصيدة أبي الطيب المتنبي: المجدُ عوفي إذ عوفيتَ والكرم | وزالَ عنكَ إلى أعدائك الألمُ. وقد رد أبو مسلم بقصيدة جوابية على أبيات التهنئة.

جَوابُ أبي مُسْلِم(*)

الـشُّـكْـرُ لله شُـكْـراً لـيـسَ يَـنْـصَـرِمُ ... شُـكـراً يُـوافِـقُ مـا يَـجْـري بـهِ الـقـلَـمُ

يَـأتـي الـبَـلاءُ لـتـمْـحِـيصٍ وَتـذْكِـرَةٍ ... كـأنَّ كُـلَّ بَـلاءٍ نـازلٌ نِـعَـمُ

وهـذه الـدَّارُ دَارٌ حَـشْـوُهـا ضَـرَرٌ ... لـكـنْ مَـعَ الـصَّـبرِ بـالـغـفـرانِ يُـخْـتَـتَـمُ

فَـارْضَ الـمَـقـادِيـرَ فـي ضُـرٍّ وَعَـافِـيَـةٍ ... فـلـيـسَ يَـنْـبُـتُ إلّا بـالـرِّضَـا قـدَمُ

أسْـتـغـفـرُ الله لا أشْـكُـو الـبَـلاءَ ولا ... أرَاهُ إلّا اخْـتـفـاءً سَـاقَـهُ كَـرَمُ

جِـبِـلَّةُ الـنَّـفـسِ فـيـمـا سَـاءَهـا هَـلَـعٌ ... وفـي الـمَـسَـرَّةِ بـالـطُّـغـيـانِ تَـرْتـطِـمُ

فـاحْـكُـمْ عـلى الـنفسِ في الحَالَيْنِ هَلْ خَضَعَتْ ... لله؟ فـالـعَـقـلُ فـي أحْـوالِـهـا حَـكَـمُ

وفِـطْـرَةُ الـنـفـسِ فـي أيْـدِي بَـصِـيـرَتِـهـا ... فَـازْمِ الـبَـصِـيـرَةَ حَـيـثُ الـنفسُ تُـقْـتَـحَـمُ

نَـبْـلَـى وفـي الـنَّـفـسِ مِـن طُـولِ الـبقا أمَلٌ ... وذاكَ أنْـصَـبُ مِـمَّـا يَـفـعَـلُ الألَـمُ

آفـاتُ أنـفـسِـنـا دَاءٌ يُـخـامِـرُهـا ... بـالـبُـؤسِ يَـطـغـى وبـالـسَّـراءِ يَـضْـطَـرِمُ

مَـصَـائِـبُ الـدِّيـنِ أنْـكَـى مـا نُـصَـابُ بـهِ ... ومـا عَـدَاهُـنَّ فـيـهِ الأجْـرُ يُـغـتَـنَـمُ

يُـوَفَّـرُ الأجْـرُ فـي حُـسْـنِ الـبَـلاءِ لـنـا ... وكُـلُّ صَـالِـحَـةٍ مِـن كَـسْـبِـنـا عَـدَمُ

وَرُبَّ حِـرْصٍ عـلـى إبـقـاءِ عَـافـيـةٍ ... حِـرْصٌ عـلـى فَـوْتِ فَـضْـلٍ فـوقَـهُ نَـقَـمُ

فـاحْـرِصْ عـلى الأجْرِ في كُلِّ الأمُورِ ولا ... تَـسْـأمْ بَـلاءً فـرَأسُ الـعِـلَّةِ الـسَّـأمُ

فَـرُبَّ أجْـحَـفَ ضُـرٌّ عَـيـنُ عَـافِـيَـةٍ ... وَرُبَّ عَـافِـيَـةٍ فـي طَـيِّـهـا سَـقَـمُ

(*) القصيدة الجوابية رد أبي مُسلم على أبيات النهتة الواردة في القصيدة السابقة، ومن الواضح أن محمد البرواني قد دعاه دعوة ضمنية لمجاراة قصيدة المتنبي.

تَسَارُعُ الضُّرِّ في خَيرِ العِبادِ على ... فَضْلِ البَلاءِ دَليلٌ ليسَ يَنْبَهِمُ
ما للتَّنَطُّعِ فيما لا يُفارِقنا ... ولا يُدافِعُهُ عَزمٌ ولا هِمَمُ
تأتِي المَكارِهُ أقواماً لِخيرَتِهِم ... مِن حَيثُ عِلْمِهِمُ أو حَيثُ ما عَلِمُوا
أستَودِعُ اللهَ نفسِي حَيثُ أوْدَعَها ... ليستْ وَدَائِعُهُ بالسُّوءِ تُهْتَضَمُ
أستَحفِظُ اللهَ نفسِي شِدَّةً وَرَخا ... إنَّ القلوبَ بِحِفظِ اللهِ تَعتَصِمُ
وَأسألُ اللهَ حُسنَ اللطفِ بي وبكُم ... في كُلِّ نازِلَةٍ تهمِي لها دِيَمُ
يا مَنْ حَبَاني هَناءً بالشِّفاءِ لقد ... صَارَ الهَناءُ شِفاءً وانجَلَى السَّقَمُ
ومَنْ كَسَانِي ثناءً مِن فَوَاضِلِهِ ... كأنهُ الدُّرُّ والياقوتُ ينْتَظِمُ
ومَنْ شَمَائِلُهُ زُهْرٌ وَمِنَّتُهُ ... بَحْرٌ ومَنْ مُنتَمَاهُ الفخرُ والكَرَمُ
عَرَفتُ فيكَ كَمَالاً لا يَقومُ بِهِ ... وَصْفٌ ولو كَثُرَتْ في وَصْفِهِ الكَلِمُ
وما كَمَالُكَ دَعْوى مَادِحٍ مَلِقٍ ... وإنما الشَّاهِدانِ: السَّيفُ والقَلَمُ
جَرَيتَ فيما جَرَى الأمجادُ فاقتَصَرُوا ... مِنْ دُونِ شأوِكَ قَدْراً إذ سَبَقْتَهُمُ
وعَاهَدَتكَ مَزايا الفَضْلِ فانتصَبَتْ ... تُومِي إليكَ وأنتَ المُفرَدُ العَلَمُ
مَنْ لِي بأزْكَى المَعَانِي فيكَ مُعْتَدِحاً ... دُونَ البَيانِ لِسَاني عَنكَ مُنعَجِمُ
حَسْبي مِنَ المَدحِ أنِّي ذاكِرٌ جُمَلاً ... يَزِلُّ بي عَن مَدَى تفصِيلِها القَدَمُ
وأطْوَلُ المَدْحِ مِنِّي فيكَ مُقتَصِرٌ ... وأوْصَلُ الحَمْدِ مِنِّي فيكَ مُنصَرِمُ
نَشأتَ مِن عُنصُرٍ زَاكٍ أرُومَتُهُ ... تَتلو مَفاخِرَها الأجيالُ والأمَمُ
شَرْطٌ عليكَ مَزاياهُم وَمَجْدُهُمُ ... فأنتَ للشرطِ والمَشرُوطُ مُلْتزِمُ
يَقِلُّ عِندَكَ إكْثارُ الكِرامِ ومَن ... أدنى وفَاتكَ ما تُوفِي بِهِ الذِّمَمُ
عرَّضْتَ للعِلمِ نفساً مِنكَ زَاكِيَةً ... أبْقِ البَقايا، أكُلَّ العِلْمِ تَلْتهِمُ؟
لمَّا عَطشْتَ إليهِ انْهَلَّ وَابِلُهُ ... وَطَمَّ بَحْرُكَ وانجَابَتْ بِهِ الظُّلَمُ
إخَالُ فِيكَ أُموراً سَوفَ يُظهِرُها ... في صَفحَةِ الدَّهرِ مِن مَعقولِكَ العِصَمُ
فإنْ بَقينا شَكَرْناها إذا ظَهَرَتْ ... أو لا، فخُذ سَلَفاً إنْ ضَمَّنا العَدَمُ
مَصِيدَةٌ بيَدِ التوفيقِ تُدرِكُها ... يَسُوقُها اللهُ إذ يَجْرِي بها القَلَمُ
قَضَى لكَ اللهُ إدْرَاكَ الهِدَايَةِ في ... مِنهاجِهِ ونعِيماً ليسَ يَنصَرِمُ

عَادَ المُهَنّا(*)

عَـادَ الـمُـهَـنّـا بـحَـمْـدِ اللهِ واختـلَفـتْ ... رِوَايَـةُ الـسّـلكِ[1] بَـعـدَ الـهَـمِّ والـحَـزَنِ

قد يُخطِىءُ النَّقلُ والتَّحْقِيقُ يَعْكِسُهُ ... والـعَـيـنُ أصْـدَقُ إنـبـاءً مِـن الأذُنِ[2]

تَـجْـري الـمَـقـاديـرُ لا تَـذْبـيـرَ يَـعـقِـلُـهـا ... ولا امْـرؤٌ مِـن هَـوادِيـهـا بـمُـخْـتَـصِـنِ

تـأتـي الـسّـلامـةُ والأشْـوَاءُ مُـخْـدِقـةٌ ... ويَـهـلـكُ الـمَـرءُ والأشْـوَاءُ لـم تـكُـنِ

وربَّـمـا كـانَ بـالـمَـحـذورِ مُـغـتَـبـطـاً ... إذا أتـاهُ وعُـقـبَـى الـخَـيـرِ فـي قَـرَنِ

وربَّـمـا جَـزَعَـتْ نَـفـسٌ لِـنـازِلَـةٍ ... وأضـلُـهـا كـخـيـالٍ طـافَ فـي وَسَـنِ

وربَّـمـا سَـلِمَ الـعُـصـفـورُ فـي شَـرَكٍ ... وربَّـمـا جَـاءهُ الـسِّـكِّـيـنُ فـي الـوَكَـنِ[3]

قـد يـأخُـذُ الـمَـرءُ فـي أمـرٍ بـجُـنَّـتِـهِ ... فـيـذهَـبُ الـقـدَرُ الـمَـحـتـومُ بـالـجُـنُـنِ

ويـشـرَبُ الـمَـرءُ مِـن كـأسٍ تـلَـذُّ لَـهُ ... وربَّـمـا اشْـتـارَ شَـهْـدَ الـنَّـحْـلِ مِـن حَـبَـنِ

والـسِّـرُّ فـي الـشـأنِ تـنـبـيـهُ الـلـبـيـبِ عـلـى ... أنَّ الـمَـقـاديـرَ لا تَـقـتـادُ بـالـرَّسَـنِ[4]

وإنَّ أمـراً قـضـاهُ اللهُ مُـنـحَـتِـمٌ ... فـي الأمْـنِ والـخـوفِ والأشـفـارِ والـوَطَـنِ

(*) العُنوانُ من اختيارنا ـ قالها إثر رُؤيتِهِ وَلَدِهِ المُهنا بعد أن تلقّى خبَراً بسُوءِ إصَابته.

(١) السّلك: في اعتقادنا أنه قصد بالسلك الهاتف، وليس البرقيّة التي أشار إليها في قصيدة أخرى ودعاها: البَرق. وفي تلك الأيّام لم يكن الهاتف متوافراً للجميع، وإنما في بعض مكاتب الدولة وصفوة التجّار. وهو ما يُوضّحُهُ الشطر الأوّل من البيت الثاني: قد يُخطىء النقلُ والتحقيقُ يعكِسُهُ...

(٢) ليسَ تضميناً كاملاً، بل تحويرٌ، اقتضاهُ المقام، لبيت أبي تمّام: السّيف أصدقُ إنباء من الكُتب.

(٣) الوَكَن: العُشّ.

(٤) الرَّسَن: اللجام.

وإنَّ عـافِـيـةَ الإنـسـانِ غـايـتُـهـا أخذٌ على الجِذْرِ أو أخذٌ على السَّكَنِ
وإنّـنـا بَـيـنَ أيّـامٍ مُـرَوِّعَـةٍ تُبدِي قَبائحَها في صُورَةِ الحَسَنِ
فـلْيَبْقَ ذو اللبِّ فيها غيرَ مُرْتقِبٍ عَهداً سِوى عَهدِها المَعرُوفِ بالدَّخَنِ

صَبراً بُنَيَّ على الزَّمان(*)

صَبراً بُنيَّ على الزَّمانِ وَصَرْفِهِ ... إنَّ الزَّمانَ مُحَارِبُ الأحْرَارِ

أينَ الفِرَارُ عَن المُقدَّرِ لِلفَتَى ... إنَّ الأمُورَ رَهَائِنُ المِقدارِ

وَكِلِ الأمُورَ إلى المُهَيْمِنِ إنهُ ... تَدبيرُهُ يَقضِي على الأفكَارِ

ماذا تُريدُ من الزَّمَانِ وَصَرْفِهِ ... أفَلا اتَّكَلْتَ على المُعينِ البارِي

أترى الزَّمَان مُؤثِّراً في نفسِهِ ... والأمرُ مَرجعُهُ إلى مُختاري

واصْبِرْ فإنكَ ناجحٌ إن كُنتَ في ... نُوَبِ الصُّرُوفِ بمَنهَجِ الصُّبَّارِ

واجْعَلْ صَلاحَكَ مَسلكاً لتنالَ مِن ... بِرِّ الكَريمِ مَوَاهِبَ الأبْرارِ

كَم كُربَةٍ نزلَتْ وَضَاقَ نِطاقُها ... فَتفرَّجَتْ بالَلطْفِ والإيسَارِ

ما خَابَ مَن وَكِلَ الأمورَ لِرَبِّهِ ... فهو المُفرِّجُ كُربَةَ الإعْسَارِ

وهو المُجيبُ لدَعْوَةِ المُضْطَرِّ إنْ ... ضاقَتْ عليهِ كَوَارِثُ الأضْرارِ

فافزَعْ إليهِ بالمَضائِقِ كُلِّها ... واسألهُ مَحْوَ عَظائِمِ الأوْزارِ

واجْعَلْ لِواسِطةِ الأمُورِ مُحَمَّداً ... خيرَ البَرِيَّةِ مَعدِنَ الأنوارِ

وبجَاهِهِ الأعلى توَسَّلْ إنهُ ... عندَ المُهَيمِنِ بَاذِخُ المِقدارِ

قُلْ: يا رَسُولَ اللهِ ضَاقَتْ حَالَتي ... بكَ أسْتجيرُ وأنتَ أكْرَمُ جَارِ

(*) العنوان من وضعنا، وقد قالها مُخاطِباً ولدهُ المُهَنَّا. وقد وردت في الأصل المعتمد بعنوان: (وقال يخاطبه).

لا أَسْتَجيرُ بِغَيرِ جَاهِكَ سَيدِي فَكُنِ الْمُجيرَ بِهذهِ الأَخطارِ
وَجَّهْتُ وَجْهي نحو بابكَ رَاجياً مَنجَاةَ نفسِي مِن عَذابِ النارِ

الباب التاسع

رَوَاحيَّـات

قصيدة العِتاب(*)

أُبْـلِغْ إلَـيْـكَ رِسَـالَـةً ... تَـخْـكِـي تَـبَـاشِـيرَ الـصَّـبَـاحْ
زَهْـرَاءَ تَـفْـخَـرُ فِـي بُـرُو ... دِ الـعَـبْـقَـرِيِّ عَـلَى الـمِـلَاحْ
غَـرَّاءَ يَـنْـشُـرُ جَـوْهَـر ... يُّ بَـيَـانِـهَـا دُرَرَ الـصِّـحَـاحْ
أَبْـلِغْ لَدَيْـكَ أَبَـا سَـعِـ ... ـيدِ الأَزْيَـحِـيِّ الـمُـسْـتَـمَـاحْ
أَبْـلِغْ سُـلَـيْـمَـانَ الـذَّكِـ ... ـيَّ الـقَـولِ والـنَّـسَـبِ الـصُّـرَاحْ
مَـا بَـالُ قَـافِـيَـةٍ تَـمُـ ... ـجُّ الـشَّـهْـدَ مَـمْـزُوجـاً بِـرَاحْ[1]
أَنْـشَـأْتَـهَـا فَـزَفَـفْـتَـهَـا ... كَـسَـفَـتْ بِـطَـلْـعَـتِـهَـا بَـرَاحْ[2]
تَـشْـدُو الـثَّـنَـاءَ عَـلَى امْـرِئٍ ... أَنْـخَـنْـتَـهُ مِـنْـكَ الـجِـرَاحْ[3]
أَلْـقَـيْـتَـنِـي بَـيْـنَ الـرِّزَا ... يَـا تَـحْـتَ أَشْـطَـانِ الـرِّمَـاحْ
ونَـصَـرْتَ أَعْـدَائِي عَـلَـ ... ـيَّ وكُـنْـتَ لِـي الأَجَـلَ الـمُـتَـاحْ

(*) العُنوانُ من وَضْعِنا | قالها في صِهْرِه الشيخ سليمان بن عمير الرواحي الذي نصر أعداءه عليه، وكان إذا لقي الشاعر أظهر له المودة وإذا غاب عنه نَثَر عِرْضَه ـ كما ورد في دراسة م. المحروقي ـ وقد نظمها الشاعرُ، وأرسلها إليه مُعاتباً.

(١) من الواضح أنّ أبا مُسْلِم يعتب على صِهره بعد أن دبّج ـ كما يتضح من السياق ـ قصيدة في امتداح الشاعر، رغم أن مواقفهُ السابقة ـ أيضاً، كما يتضح من السياق ـ لم تكُن كذلك.

(٢) بَرَاح: اسمٌ للشمس.

(٣) لو قال: أنْخَتَهُ لانكَسَرَ البيت، لكنَّ أبا مُسْلِم لا يُفوِّت المناسبة ويَقلِبُ المُفرَدة بما يتَّسِقُ وبحر القصيدة: أنْخَنْتَهُ، مُحيلًا الفعل إلى صِهرِه وليس إلى الجراح التي تسبب بها؛ عِوَضاً عن شائع القول: أنْخَتَهُ الجراح.

ونَصَبْتَ لي شَرَكَ الرَّدَى ... فحَصَلتَ مِنهُ على النَّجَاحْ
ثم ابْتَغَيتَ مَوَدَّتِي ... أنَّى! وقد عَلِقَ الجِناحْ
كُنتُ اتَّخَذْتُكَ جُنَّةً ... وظننتُ وُدَّكَ لنْ يُرَاحْ
وظننتُ زَرْعِي فيكَ أجْـ ... ـنِي مِنهُ مَثمُورَ الفَلاحْ
وعَلِمْتُ دَنَّكَ[1] صَافِياً ... فشَرِبْتُ كَأسَكَ بارْتِياحْ
فَنَشِبْتَ في حَلْقِي شَجاً ... فغَصَصْتُ بالماءِ القُرَاحْ
هل كنتَ لي بينَ الكَتا ... ئِبِ إذ تُناسِرُنِي الصِّفاحْ
أدعوكَ تَنصُرُنِي وَتَد ... عُو لِلبِرَازِ وللكِفاحْ
شتَّانَ بين الدَّاعِيَيـ ... ـنِ، وَحَبَّذا أمْرُ الصَّلاحْ
فَلَوَيْتُ عَنكَ شَكِيمَتي ... وتَرَكْتُ جِدَّكَ لِلمُزاحْ
وعَلِمتُ أنكَ سَوفَ تُبْصِـ ... ـرُ أنَّ عِرْضِي لا يُباحْ
ما كانَ رأيُكَ في صَفِيِّـ ... ـكَ حَيثُ ثُقِّفَتِ الرِّمَاحْ
وقَلَبْتَ لِي ظَهْرَ المِجَنِّ ... وما خشيتَ لها جُناحْ
جَشَّمْتَنِي خَرْطَ القَتا ... دِ وَكانَ باقِعَةً وُقَاحْ
وَرَمَيتَنِي مَعَ مَنْ رَمَى ... بلْ زِدْتَ كَيّاً في الجِراحْ
أوَ لم تَكُنْ ضَرَّجْتَنِي ... بدَمِي على عَفرِ البِطاحْ
وَرَمَيتَ لَحْمِي للكِلا ... بِ السُّودِ تَنهَشُهُ مُباحْ
وَنَثَرْتَ عِرْضِي في نوا ... دي القومِ تَذرُوهُ الرِّياحْ
مَهْلًا فِداً لَكَ مُهْجَتي ... يا جامِعَ الخُلَلِ المِلاحْ
هل مِن جَرَائِرِ وَاتِرٍ ... أسْلَفْتُ فِيكَ فَأُسْتَبَاحْ؟
لَو كَانَ ذاكَ حَسَوْتَنِي ... سُمّاً وَتَحْسَبُهُ قُرَاحْ
ولَقيتُ وَجْهَكَ بالبَشا ... شَةِ وهي أطرَافُ الرِّمَاحْ

(١) الدَّنّ: وِعاءٌ ضَخمٌ تحفظ فيه الخَمر.

وعَـلِمْـتُ أنّـي أتّـقِـيـ ... ـكَ بـكُـلِّ جِـدٍّ أو مِـزاحْ
وعَـلِمْـتُ أنّ الـذّحْـلَ[1] يَـطْـ ... ـبُـهُ الـوَتِـيـرُ ولا جُـنـاحْ
هـل غـيـرُ إخْـلاصِـي وِدّا ... دَكَ يـا ابـنَ عَـمّـي والـصَّـلاحْ
هـيـهـاتَ عَـزَّكَ أنْ نَـفَـسْـ ... ـتَ نَـقِـيـبـتـي رَأيُ الـفَـلاحْ
وَقَّـرْتُ قَـدْرَكَ عَـن صَـفـا ... وَجَـعَـلْتُ رَأيَـكَ مُـسـتـراحْ
وشَـدَدْتُ أزْرَكَ فـي خُـطُـو ... بٍ قَـيَّـدَتْـكَ ولا بَـرَاحْ
فَـجَـلَوْتُـهـا وهـيَ الـدُّجَـى ... وَرَدَدْتُـهـا بَـعـدَ الـجِـمـاحْ
حـتـى إذا آنَـسْـتَ مِـن ... صَـدْرِ الـزمـانِ الانـشِـراحْ
وَرَأيْـتَـهُ قـد سَـامَـنـي ... مِـن خـطْـبِـهِ جُـللًا وُقـاحْ
وَوَدَدْتَ قـومـاً حَـدَّدُوا ... لـكَ قـبـلَـهـا الـقُـضُـبَ الـصِّـفـاحْ
يَـمْـشُـونَ فِـيـكَ مـع الـمُـلو ... كِ بـكُـلِّ شـائِـنـةٍ قِـبـاحْ
فـوَضَـعْـتَ فـي أيْـمَـانِـهِـم ... يُـمْـنـاكَ عَـقـداً لا يُـزاحْ
حَـزْمـاً عَـلـيَّ، وَبَـعـضُ حَـز ... مِ الـمَـرْءِ يَـخـلُـو مِـن صَـلاحْ
هَـلّا حَـزَمْـتَ عـلى الـعَـدُوّ ... وَكُـنـتَ لـلـمَـولَى سِـلاحْ
أظَـفِـرْتَ أنْ صَـادَقْـتَـهُـم ... بـالـفـائِزاتِ مِـن الـقِـدَاحْ
وأمِـنـتَ رَائِـعَـةَ الـفَـضَـا ... ـلِ أنْ خَـفَـضْـتَ لـهُـم جَـنـاحْ
وَحَـسِـبـتَ طَـائِرَهُـم عـلى الأ ... خـرَارِ مَـيـمُـونَ الـسِّـفـاحْ
وَظَـنَـنْـتَ أنَّ غَـوائِلَ الأ ... يَّـامِ عَـنـهُـم فـي انـشِـراحْ
كَـلّا لَتَـحْـتَـنِـكِـنَّـهُـمْ[2] ... إمّـا غُـدُوّاً أو رَوَاحْ
أو مَـا لَدَى نُـوَبِ الـصُّـرُو ... فِ لَهـا اغْـتِـبـاقٌ واصْـطِـبـاحْ[3]
لا تـأمَـنَـنْ سُـودَ الـكُـبُـو ... دِ فـإنَّ بِـشْـرَهُـمُ دَبَـاحْ

---

(١) الذَّحل: الثأر.

(٢) تَحْتَنِكِنّهم: تصيبهم، وقد جاء معنى لأحتنكنَّ في مجمل التفاسير بمعنى: لأستولينَّ عليهم بالإغواء.

(٣) الصَّبوح والغَبوق: شرابُ الصَّباح وشرابُ العَشِيّة.

وانظُرْ لِنفسِكَ بَينهُم ... مِن قَبلِ تَأسِيَةِ الجِراحْ
وإذا جَنَحْتَ إلى مُسَا ... لَمَتي فَحَيَّ على الفَلاحْ
تَجِدِ النَّبَالَةَ والمُرُو ... وءةَ لم تُزَعْزِعْها الرِّياحْ
لكِنْ تَمَسَّكْ بالصَّفا ... لا تمْزِجِ اللبَنَ الصُّراحْ
أو لا، فلا تُخْفِي الز ... فيرَ وتُظهِرُ البَردَ القُرَاحْ
فهُما لَعَمْرُكَ خُلَّتا ... نِ ومَا التقيتَ فلا جُناحْ
ومتى هَفا رَأيُ الخَلِـ ... ـيلِ فلا تُعَاتِبْ بالرِّمَاحْ
وإذا اقترَحتَ على الصَّـ ... ـفِيِّ الحَربَ سَاءَ الاقْتِراحْ
واخْبَأْ وَلِيَّكَ للنَّوا ... ئِبِ، إنّها سُحُبٌ سِحَاحْ
فلَرُبَّ أمْرٍ مَا كَرِ ... هْتَ وفي طَوايَاهُ نَجَاحْ
ولَرُبَّ مَغْنىً تَزْدَرِ ... يهِ غَناءَ مُنفسِحِ الرِّماحْ

إلى أبي الحارث(*)

أبـا الـحَـارِثِ إسْـمَـعْ حَـدِيـثـاً جَـرَى ... عـلـى قِـصَّـةٍ رَاقَ إعْـجَـابُـهَـا

تَـشَـوَّقْـتُ يَـومـاً لـلُـقـيـاكُـمُ ... كَـذا يَـجْـذِبُ الـنَّـفـسَ أحْـبـابُـهَـا

(*) وجدنا في النسخة المخطوطة، وفي «النبذة المختصرة» ما يفيد أن أبا الحارث هو الشيخ محمد بن علي بن خميس البرواني (الذي قلد أباه في الإندراج ـ كما يورد سالم بن سليمان الرواحي ـ عن المذهب الأباضي، فكان شافعياً، وشاعراً ظريف الطلعة أديباً). وأبو الحارث صديق حميم للشاعر، وهو معروف بهذ الكنية في زنجبار، وكان يكتب في صحافتها، ومن آثاره المعروفة كتابته لـ«مقامات أبي الحارث». ويورد محمد المحروقي رواية طريفة في دراسته [تعليقاً على هذه القصيدة] حول تأثير الجانب الاجتماعي للحياة في زنجبار: «زار أبو مُسلم وأحد أصحابه صديقاً لهم يدعى أبو الحارث، غير أن الخدم لم يأذنوا لهم بالدخول وأساءوا معهم الحديث. (...) وهم أثناء ذلك الانتظار يلاحظون ما يدور في المنزل حيث تحوّل إلى مسرح للموسيقى والرقص، وقد تكاثف دخان السيجارة». ويضيف المحروقي: «تسجيل الشاعر لما رآه تعبير مُباشر عن انتقاده لهذه التقاليد المنافية لتعاليم الدين الإسلامي ـ كما يعتقدها ـ وقد طال انتظار الشاعر وصاحبه، ووقوفهم على الباب، فقرر أبو مُسلم أن يُصلي، فصلى ما شاء الله له وسبح ربه ذاكراً، حتى ثغت الجن، وزلزلت الأرض. (...) ومرت سنون طوال وصاحب الدار غافل عما يجري في منزله، وخلال هذا الزمن ابتنى الشاعر حارة أخذت أخشابها من الهند، وقارَنَ زوجة أنجبت له، وكل ذلك في انتظار الإذن بالدخول من صاحب الدار الغافل. (...) إنها الغفلة الشديدة التي يحاول الشاعر إظهارها بشكل خيالي مُفارق، ولا ينتهي تسلسل الأحداث عند ذلك، فعندما ييأس الشاعر من حصول الإذن يعود إلى منزله، إلّا أن السنين الطويلة طمست معالم المدينة لذا ضلّ الشاعر الطريق المؤدي إلى منزله، وعندما اهتدى إليه لم يجد إلا رسوماً ماحلة، وقد هلكت ذريته وكتبه، وكل ما صادف أبا مسلم من بلايا تتمثل في ضياع وقته وفقدانه أهله وكتبه، سببها غفلة صديقه أبي الحارث. كما يورد المحروقي في دراسته تعليقاً نقدياً لافتاً على هذه القصيدة قائلًا: «في هذه القصيدة نجد عناصر القصة متكاملة، فشخوصها هم: الشاعر وصاحبه، أبو الحارث، خدم أبي الحارث (الزنجيّة، البوّاب، قنبر)، والعقدَة فيها تتمثل في عدم=

فـيـرتُ أنـصُّ[1] إلـى بـابِـكُـم ... وقـد أرْهَـقَ الـنَّـفـسَ إتـعـابُـهـا

وَلـمَّـا حَـلَلْتُ بـدَارِ الـمَـزُورِ ... ومِـن عـادَةِ الـدَّارِ تـرحَـابُـهـا

إذا نَـحـنُ بـالـبـابِ زِنْـجِـيَّـةٌ ... تَـقُـضُّ الـشَّـيـاطـيـنَ أنـيـابُـهـا

فـقـلـنـا لـهـا: أبـلِـغِـي أمْـرَنـا ... فـقـالـتْ مَـقـابـركُـم بَـابُـهـا

وهَـرَّتْ عـلـيـنـا كـمـا يَـنـبـغِـي ... وجَـاءتْ قـضـايـا وأشـبـابُـهَـا

فـقـلـنـا لـشَـخْـصٍ إلـى جَـنْـبـهـا ... فـدَيـتُـكَ هَـلْ أنـتَ بَـوَّابُـهـا

فـحَـوَّلَ عَـنْ وَجْـهِـنـا وَجْـهَـهُ ... وجُـمْـلَـةُ نَـحْـوٍ وإعْـرَابُـهـا

فـقـلتُ اقـتـصِـرْ يـا بُـنـيَّ، اقـتـصِـرْ ... فـمَـا نَـحـنُ حَـرْبٌ وَأحْـزابُـهـا

دَعَـوْنـا لـهـا «قـنـبـراً» والـفـتـى ... يَـصـفُّ الـصِّـحـافَ ويَـنـتـابُـهـا

فـقـال: اخـرُجُـوا نَـحْـوَ أشـغـالِـكُـم ... فـمـا لـلـطُّـفـيـلِـيِّ أطـيَـابُـهـا

فـقـلـتُ لِـنـفـسِـي: لا تَـضْـجَـرِي ... فـهـذي الـزُّنـوجُ وآدَابُـهـا

وقـال بـجَـنْـبـي فـتـىً: صَـبْـرَكُـم ... تـخِـفُّ عَـلى الـنَّـفـسِ أوْصَـابُـهـا

لـعَـلَّ تـمُـرُّ بـكُـم سَـاعَـةٌ ... فـتـغـنـى الـزُّنـوجُ وأشْـعـابُـهـا

فـيُـقْـضَـى لَـنـا فَـرَجٌ عَـاجِـلٌ ... وتَـعـلَـمُ فـي الـدَّارِ أصْـحَـابُـهـا

فـقـلـتُ: وبـالـصَّـبـرِ تـرجُـو لَـنـا؟ ... فـقـال: بـصَـبـرِكَ يَـجْـتـابُـهـا

فـقـلـتُ: نَـصَـحْـتَ وَطَـالَ الـوُقـوفُ ... وهَـاضَـتْ جُـسُـومٌ وأضْـلابُـهـا

وعِـيـدَانُـكُـم وَدُخـانُ الـسَّـجَـارِ[2] ... شُـواظٌ عـلـى الـدَّارِ ألْـهَـابُـهـا

وَفَـوْجٌ يَـحُـطُّ وَفَـوجٌ يَـطِـيـرُ ... ورَقْـصُ الـجَـواري وألْـعَـابُـهـا

=الإذن للشاعر وصاحبه بدخول منزل المُزار، كذلك نجد فيها الحوار بشكل واضح بين الشاعر وصاحبه والشاعر والخدم، وصوت الراوي هو صوت الشاعر نفسه، وقد توالدت الأحداث في إحكام شعري جيد، من ذلك تسارع الزمن بشكل كبير، حيث مرت سنون طوال عمّرت خلالها حارة وهلك أناس، ولا يزال الشاعر ينتظر الإذن، كل ذلك يُقبل بالمنطق الفني حيث لا يقصد إلى الإقناع العقلي بواقعية ما حدث، ولكن الإقناع الفني هو المقصود».

(١) أنصُّ: النَّصُّ: رفْعُك الشيء. نَصَّ الحديث يَنُصُّه نصّاً: رفَعَه. وكل ما أُظْهِرَ، فقد نُصَّ.

(٢) يقصد التجاير في الغالب، وليسَ السِّيجار.

وأغْـرَقَ وَقـتِـي بـلا طـائِلِ ... تَـمُـطُّ سُـعـالٌ وأضـرابُـهـا

فـقـلـتُ الـعَـطَـالَةُ مَـشـؤومَـةٌ ... وشَـرٌّ وقـد طـالَ إشـهـابُـهـا

فـقـمـتُ أصَـلِّي إلـى خـلْوَةٍ ... تَـبَـيَّـنَ فـي الـدَّارِ مِـخـرابُـهـا

وطـالَتْ صَـلاتـي ولـي وقـفـةٌ ... إلـى أنْ تَـقـشَّـرَ آرَابُـهـا

وبَـعـدَ الـصَّـلاةِ عَـلَتْ ضَـجَّـةٌ ... مِـنَ الـذِّكْـرِ أطْـنَـبَ أخـزابُـهـا

إلـى أن ثـغـى الـجِـنُّ مـن هَـوْلِـهـا ... وفَـرَّ عَـنِ الـدَّارِ أوْشَـابُـهـا

وَزُلْزلـتِ الأرضُ زلـزالَهَـا ... وخَـذَّ عـلـى الأرضِ أنْـهَـابُـهـا

فـلـم تُـغْـنِ شـيـئـاً وَطَـالَ الـمَـقـامُ ... وحَـالَـتْ سُـنـونٌ وأحْـقـابُـهـا

وفـيـهـا بَـنـيْـنـا لـنـا حَـارَةً ... وَشُـقَّـتْ مـن الـهِـنـدِ أخـشـابُـهـا

ومِـن حَـولِـهـا جَـنَّـةٌ زُخْـرِفَـتْ ... وَزانَـتْ وأقْـطَـفَ أعْـنـابُـهـا

وقـارَنْـتُ فـي مَـنـزِلِي زَوْجَـةً ... أطَـالَـتْ وأنـجَـبَ أنـجَـابُـهـا

ولـم نُـرْزَقِ الإذْنَ مِـن عِـنـدِكُـم ... وَضُـوعِـفَ فـي الـدَّارِ حُـجَّـابُـهـا

ولـمَّـا ضَـجِـرْنـا انـقـلَـبْـنـا إلـى ... دِيـارٍ تَـطـاوَلَ تَـقـلابُـهـا

وَعِـنـدَ الـرُّجُـوعِ جَـهـلـنـا الـطَّـريـقَ ... وزالَ عـن الـذِّهْـنِ أنْـصَـابُـهـا

ولا غَـرْوَ هـذا فـإنَّ الـسِّـنـيـنَ ... يَـدُورُ عـلـى الـنـاسِ دُولابُـهـا

وأضْـلَلْتُ دَارِي إلـى أن بَـدَتْ ... رُسُـومٌ حَـوَتْـهُـنَّ أعْـتـابُـهـا

وألـفـيـتُ دُرِّيَّـتِـي كُـلَّـهـا ... لِطُـولِ الـمَـدَى شَـابَ أعْـقـابُـهـا

وألـفـيـتُ كُـتْـبِـيَ مَـحْـشـورَةً ... فـقـيـلَ بَـنـو الـفـارِ تـنـتـابُـهـا

فـهـذا أبـا الـحَـارِثِ الـمُـنْـتَـهَـى ... لأعْـجُـوبَـةٍ طَـالَ إغْـرَابُـهـا

فـكُـلُّ بـلايـا أبـي مُـسْـلِمٍ ... عَـلـيـكَ، ونَـومُـكَ أسْـبـابُـهـا

قد نهض الجَدّ(*)

قد نهضَ الجَدُّ على ساقِهِ ... يَهزجُ في الأكْوانِ كالعَندَليبْ
فما لإفريقيَّةَ لا تَنْثني ... مِنْ طَرَبٍ مِثلَ انثِناءِ القضِيبْ
قد سَاحَ في أقطارِها رَبُّها ... كالشَّمس في المَطلعِ بعد المَغيبْ
وعادَ والرَّحلَةُ جِدٌّ لهُ ... رُبَّ رَحيلٍ فيه جِدٌّ رَجِيبْ(*)
فاعتَبِر التاريخَ جِدٌّ بهِ ... نَصْرٌ من الله وفتحٌ قريبْ

(*) لم نجدها في الأصل المُعتمد؛ فرجعنا إليها في المخطوطة.
(*) لم نجدها في الأصل المُعتمد؛ فأضفناها من المخطوطة.

حَنِين جَاهِلِي(*)

قَضَتْ وَطَراً مِن سُكْنِ أفناءِ نُعْمَانِ ... فَشَطَّتْ بِالْبَابِ قَضَيْنَ بِأشْجَانِ

أبَانَتْ سُرُورَ القلبِ مِنها بِبَيْنِها ... وَجَدَّتْ بِطَيِّ البِيدِ في نَشْرِ أحْزَانِ

كأنَّ ظِلالَ الأنْسِ لَمَّا تَقَلَّصَتْ ... طَوَتْها بأيدِيها قِلاصٌ(١) كَعُقبانِ(٢)

وَهَيِّجَ ما بي أنَّها يوم وَدَّعَتْ ... شَجَاها النَّوى شَجْوِي فنحنُ شَرِيكانِ

كأنَّ سَقِيطَ الدَّمْعِ مِن عَبَراتِنا ... على عاتِقَيْنا نَثْرُ دُرٍّ ومُرْجانِ

فَوَلَّتْ بِها مَا بي وقلبي وقلبُها ... - بِرَائِعَةِ التَّفرِيقِ - لِلوَجْدِ رَهْنانِ

تُفَدِّي حَياتِي والمُفَدَّاةُ نفسُها ... وَتَقتُلُني سِحْراً بِأدْعَجَ فَتَّانِ

ولَمَّا اشْمَعَلَّتْ بالظُّعُونِ مَطِيُّها ... وَضَمَّنَ مِنها السُّجْفُ دُرَّةَ دُهْقانِ

بَكَيتُ على أثرِ القَطِينِ ولا بُكَا ... مُفَجَّعةٍ ثُكْلَى مِن الفقدِ مِزْنانِ

(*) العُنوان من وَضْعِنا - والقصيدَةُ تَرجُعُ نفحةً من الشِّعر الجاهلي يستعيد فيها الشاعر رَبعَهُ وَمَرابِعَهُ في عُمان بعد أن حلَّ في شرق أفريقيا.

(١) القَلُوص: الإبِلُ فَتِيَّةُ مُجتَمِعَة الخَلْق، جَمْعُها: قِلاص.

(٢) هذا واحِدٌ من الأبيات التي استوقفتني فيها بُنيَةُ الصُّورةِ الشعريّة المُنفلِتة من تكرار النمَطِ إلى ينابيع الشِّعر في غَرِيبِهِ الخلّاقِ، غريبه المُقصى عُنوةً - أو اعتياداً - من الإلتفات النقدي والجَمالي، على حدٍّ سَواء. فالصُّورَة مُرَكَّبة بحيث تخمِلُ خَنينها الدَّفين إلى أبعد مما تُظهِرُهُ حافَّةُ التعبير المُقيَّد بالقافية. ف «ظِلال الأنس» المتقلِّصَة رُويداً رُويداً (وهي تضمَحِلُّ في ذاكِرَة الشاعر) بالتوازي مع حَرَكَة الرّاحِلَة - لا تَكْتفِي باضمِحلالها، بَلْ تُكَثِّفُ وتُصَعِّدُ شِعرياً لتُطوى كالحصيرة بأيدي (القِلاص) التي لم يَعُد مشيُها وئيداً، بلْ مُجنِّحةً كالعُقبان تملأ السماء، كما تملأ سَماء مُعادِلِها المَوضوعِي: جَسَارة الصُّورة الشعرية وما يلازمُها من جَسارَة مُجنِّحة في فضاء التَّأويل. وقد تطرّقَ إلى نفس المعنى في قصيدته النونيّة: «فطالما وَخدَتْ تبغي لُبانَتها | كأنَّهُنَّ مع الإنضاءِ عُقبانُ».

خليليَّ والتَّذكارُ بَادِرَةُ الهَوى ... أهَلْ أدْرَكَ الأحْبابُ عَهْدِي وأخيانِي

وَهَلْ عَلِموا أنِّي سَليبُ غَزَالِهِم ... غَدَاةَ بَدا لي بَيْنَ بَاناتِ عَدْنانِ

وَعَهْدِي بنفسِي لا تطيرُ لمُزْعِجٍ ... شَعَاعاً[1] فقد طَارَتْ لِبارِقِ نُعْمَانِ

خُذا حَدِّثاني عَن فريقٍ تحَمَّلوا ... فذِكْرُهُمُ أُنْسِي وَرَوْحِي وَرَيْحانِي

أعِندَهُمُ أنِّي مُنِيتُ بِبَيْنِهِم ... فَهَلْ أمَلٌ يُقضى وَهَلْ مُلْتقىً دَانِ

خليليَّ إنَّ الدَّهْرَ جَمْعٌ وَفُرْقَةٌ ... وَنَشْرٌ وَطَيٌّ لا يَقَرُّ على آنِ

تمَتَّعتُ مِنهُ بانبِسَاطٍ وَبَهْجَةٍ ... وَرَائِعِ حُسْنٍ مِن لَيالِيهِ فَتَّانِ

ليالٍ سَقتنا صَفوها وَنِظامُنا ... كواكِبُ أصْحابٍ وأقمَارُ إخْوَانِ

كَخَطْبيَ مِن بينِ الخَمِيسَيْنِ إنهُ ... على كَبِدِي مُذ فارَقتْنِيَ كَيَّانِ

لقد كانَ قِدْماً سَالِماً جَمعُ شَمْلِنا ... فما سَامَهُ التكْسِيرَ إلّا الجَدِيدانِ[2]

نَبيلانِ؛ أمّا لِلوَلِيِّ فمَنهَلٌ ... صَفِيٌّ وأمّا لِلعَدُوِّ فَمُرَّانِ

لَدُنْ سَعِدَتْ أيّامُنا بـ «مَلِيدَةٍ» ... أجُرُّ بأفريقيةِ الشَّرْقِ أرْدَانِي[3]

لِعاصِمَةٍ تَرْفَضُّ نُبْلًا جِبالُها ... وَتهْفو بها البُشْرى لِعَرْفٍ وعِرْفانِ

أفَاتَ البِلادَ؟ الفَضْلُ أدنى فُصُولِها ... وأبْهَجَتِ القاصِي وَأسْعَدَتِ الدَّانِي

بها مِن رِجَالِي عُصْبَةٌ يَمَنِيَّةٌ ... طِوَالُ الأيَادِي مِن ذوائبِ قَحْطانِ

بَهَالِيلُ بَسَّامُونَ في أيِّ خُطَّةٍ ... مَواقِفُ آمالٍ مَشارِقُ إيمَانِ

هُمُ القومُ لا يَشقى جَلِيسُهُمُ بِهِم ... صَنائِعُهُم في الدَّهرِ كالفلَقِ الثَّاني

مَحَتْ آيَةَ الإفقارِ آيَةُ فَضْلِهِم ... وجاءوا على حَصْرِ الكَمَالِ بسُلطانِ

مَسَامِيحُ وَهّابُونَ سُهْلٌ مَصَاعِبٌ ... مَسَاعِيهُمُ للهِ سِرّاً كإعلانِ

أجَلْتُ سِهامي بين أسْهُمِ مَجْدِهِم ... ففازَتْ، وأمْجَدْتُ العُلا بينَ أقرَانِ

---

(١) شَعَاع: المُتفرّق المُنتشِر. يُقال: ذَهَبَتْ نَفْسُهُ شَعَاعاً: تفرّقت هِمَمُها وآراؤها.

(٢) الجَدِيدَان: الليل والنهار.

(٣) هكذا وردت، ولعلها «مليندة» في زنجبار.

وطَارَدْتُ آمَالي فقيَّدْتُها بهِم ... كأنَّ المُنى واليُمْنَ مِنهُم بأيْمَانِ
وَصَافَيتُهُم دَهراً فمَنُّوا وآثروا ... على غِلَّةٍ والدَّهْرُ مُبتَئِسٌ عَانِ
وما ظَمَأُ الأحْرَارِ إلّا لِمَوردٍ ... عليهِ سِجَالُ المَجْدِ بالحَمْدِ مَلآنِ
أولئكَ هُم غيرُ الخُطوبِ مَقاعِسٌ ... قُرُومٌ سُرَاةُ الحَيِّ مِن أَزْدِ جَرْنانِ[1]
حُماةُ الأنُوفِ الحَافِظونَ ذِمَارَهُم ... كِرامٌ عَلى العِلّاتِ شِيباً كَوِلْدانِ
كُمَاةٌ أُبَاةُ الضَّيْمِ شُوسٌ عَوَابِسٌ ... إذا كَرَّتِ الفُرْسَانُ في رِجْلِ خَرْصَانِ

(١) جرنان: الإسم القديم لبلدة إزكي ذات الحارتين الغريقتين: يَعْرُ ونَزاز.

جواب لبعض أدباء عُمان(*)

أجِبَّتَنا ما البُعْدُ شَيئاً[1] نُطيقُهُ ... ولكِنَّهُ مِن جُملَةِ الحُكْمِ في الأَزَلْ
أجِبَّتَنا ألبابُنا تَستَطِيرُها ... إليكُم عَلاقاتُ الصَّفاءِ ولا تَسَلْ
بنا ظَمَأُ اللقيا ونارٌ مِن الأسَى ... ولولا التَّأسِّي ذَابَ مِن حَرِّها الجَبَلْ
مَوارِدُكُم مِنا وَمَورِدُكُم ثَوَى ... لَدَيكُم وَلَيسَ الظَّامِئونَ على أَمَلْ
فَنَزْوِي مِن الذِّكرَى ولا يَنفعُ الصَّدا ... ألا هِيَ أذكى في القُلُوبِ مِنَ الشُّعَلْ
تُثيرُ تَبَاريحَ الجَوى غُصَصُ النَّوى ... وتُنكِئُها الذِّكرى إذا جُرْحُها انْدَمَلْ
عَسَى نَسَمَاتِ الرُّوحِ مِن لُطْفِ رَبِّنا ... تَهُبُّ بجَمْعِ الشَّمْلِ مِن بَعدِ ما انفصَلْ
وَعَلَّ رِيَاضَ الأنسِ يَخْضَرُّ سِيمُها ... بِمَاطِرَةٍ مِن رَحْمَةِ الله تَنْهَمِلْ
فَتَزْوِي العِطاشَ الهِيمَ بعد هِيامِها ... ويَدْنو إليها الماءُ للنَّهْلِ والعَلَلْ
أجِبَّتَنا لا يَمْلِكُ المَرْءُ أمْرَهُ ... ولا يَدفعُ المِقدارَ ضَربٌ مِنَ الحِيَلْ
نُريدُ قَراراً واغتِباطاً وأُلفَةً ... وذلكَ شأنٌ لا يُضافُ إلى العِلَلْ
لقد دَبَّرَ الرَّحْمنُ أمْرَ عِبادِهِ ... فَدَعْ عَنكَ: حَتّى أو مَتى أو عَسَى وَهَلْ
يُدَبِّرُ ما يَختارُ وهيَ سِياسَةٌ ... وإنْ ضَاقَ في رَأيِ العُيُونِ بها الكَبَلْ
عَلَينا الرِّضَى فيما يَجيءُ بهِ القَضَا ... وأهلًا بما نَحْسُو مِنَ الصَّابِ والعَسَلْ

(*) العُنوان من اختيارنا. | يبدو أن بعض الأدباء في عُمان اشتاقوا للشاعر الذي طال به المقام في زنجبار، فردّ عليهم بهذه القصيدة. | وردت في الأصل المُعتمد تحت عنوان: «ومما عثرنا عليه: قوله طيّب الله ثراه مجيباً بعض الأدباء».

(١) نُصِبَت [شيء]؛ لأنها خبر ما المُشبّهة بليسَ.

الباب العاشر

غزليَّـــات

ليس في الحُبّ قياس

أيُّـهـا الـعَـاذِلُ ذَرْهـا تَـنْـهَـمِـي ... تِـلكَ أخْـشـائـي فَـدَعْـهـا تَـتَّـقِـدْ

لا تَـظُـنَّ الـحُـبَّ شـيـئـاً هَـيِّـنـاً ... لـيـسَ فـي الـحُـبِّ قـيـاسٌ يَـطَّـرِدْ

أنـــتَ خُـــلْوٌ وأنـــا صَـــبٌّ شَـــجِ ... فـــإذا حَـــدَّثْـــتَ عَـــنِّـــي قُـــلْ وَزِدْ

فـــاتـــرُكِ الـــيـــومَ مَـــلامِـــي إنـــهُ ... يُـتـرَكُ الـشَّـيءُ إذا مَـا لَمْ يُـفِـدْ

أنـا أسْـلُو عَـن حَـبـيـبـي سَـاعَـةً ... يـا عَـذولِي «قُـلْ هُـوَ اللهُ أحَـدْ»

ساحر الطرف

سَاحِرُ الطَّرْفِ سَقِيمٌ جَفْنُهُ ... قَمَرِيُّ الوَجْهِ لَيْلِيُّ الشَّعَرْ

نَاحِلُ الخَصْرِ ثَقِيلٌ رِدْفُهُ ... مَائِسُ القَدِّ رُدَيْنِيُّ الخَطَرْ

نَافِرٌ عَنِّي وقَلْبِي سَكْنُهُ ... صَفْوَةُ الوُدِّ إذا قَال غَدَرْ

هَلْ يُرَاعِي ذِمَّةً مِن وُدِّنَا ... لا وَهَيهَات الوَفَا مِمَّنْ غَدَرْ

طُولَ لَيلي وَصْلَهُ مُنتَظِرٌ ... لَيلةٌ مِن وَصْلِهِ أَلْفُ شَهرْ

يا غَضِيضَ الطَّرْفِ هَبْ لي نَظْرَةً ... إنَّ إعْرَاضَكَ أَدْهَى وَأَمَرْ

عَجَباً في خَدِّكَ النَارُ وفي ... مُهْجَتي مِنها لَهِيبٌ وَشَرَرْ

فَاتَنِي بَعضُ رَشَادي في الهوى ... إنَّ عُذَّالِيَ قد قَالوا: كَفَرْ

صَدِّقوا! غَابَ رَشَادي في الهوى ... وعَلاقَاتُ الهوى إحدى الكِبَرْ

وإذا ذَكَّرْتُهُ عَهدَ الصِّبا ... قال لي: تِلكَ أَلاعِيبُ الصِّغَرْ

وإذا اسْتَعْطَفَهُ القلبُ على ... فِعلِ عَينيهِ تَعاطَى فَعَقَرْ[1]

يا إمامَ الحُسْنِ هل مُنتَظَرٌ ... لم تَزلْ عِندي الإمامَ المُنتَظَرْ

وإذا أَشكُو لَهُ قَرْحَ الهَوى ... قال لي: «صَلِّ على خَيرِ البَشَرْ»

---

(١) تضمين من قصيدة لامرئ القيس: «مَرَّ يومَ العيدِ بي في زِينَتِه | فرَمَاني، فتعاطى، فَعَقَرْ»، وكذلك في الذكر الحكيم: «فنادَوا صَاحِبَهُم فتعاطى فعقر [القمر ٢٩] (المُراجِع).

عَقِيق(*)

لا قَضَيْتُ الرَّبْعَ مِن نفسِي حُقُوقَهْ ... إنْ عَقِيقُ الدَّمْعِ لم يَرْوِ عَقِيقَهْ

نَصَبَتْ نفسِي مَجَازاً في الهوى ... ولَدَى آرامِها[1] تلكَ الحَقِيقَهْ

أمْسِكْ السَّيرَ فذِي أطْلالُهُم ... مِسْكُها أهْدَى ليَ الرِّيحُ فَتِيقَهْ

رَيْثما أنشدُ ظَبْياً ضَاعَ في ... هذهِ الدُّمْيَةِ لا يَدْري طَرِيقَهْ

حَيثُ نفسِي حَبَسَتْها عَينُها ... ليتها تَحْبسُ أجفاني الطَّلِيقَهْ

ها مَضَتْ لي فُسْحَةٌ مِن عُمُري ... كُلُّها في لَذَّةِ العَيشِ غَرِيقَهْ

حَكَتِ البَرْقَ سَنا بهجتِها ... ومَضَتْ سُرْعَتُها تحكِي خُفُوقَهْ

جَفَّتِ العَبْرَةُ عَن شيءٍ مَضَى ... مُنيَةٌ تُطْوى وَأوْطَارٌ مَسُوقَهْ

إنْ بَقِي مِن صَفوِ عَيشِي رَنَقٌ ... غيرُ رِيقِ الصِّلِّ أو أمْتصُّ رِيقَهْ

كُلَّما أذكُرُ عَهداً سَالفاً ... ألهَبَ التَّذكارُ في قلبي حَرِيقَهْ

وإذا سَاعَدتَ في شأنِ الهوى ... فاتَّخِذْ مِن ذِكْرِ أحْبَابي طَرِيقَهْ

والتَفِتْ عني إلى سَاحاتِهم ... إنَّ عَينيَّ بذا الدَّمْعِ شَرِيقَهْ

صَادَفَتْنِي لَوعَةٌ في كَبِدِي ... ليتَها خَانَتْ وإنْ كَانتْ صَدِيقَهْ

يا تُرَى أينَ غَزَالٌ صَادَني ... غَنِجُ المِعْطَفِ سَحَّارُ الخلِيقَهْ

(*) العنوانُ الحالي من اختيارنا || في الأصل المُعتمَد: [وقالَ]

(١) جمعُ ريم؛ وهو الغزال.

كَـاسِـرُ الـجَـفـنِ عَـلـيـهِ فَـتْـرَةٌ ... مِـلَّةُ الـرُّشْـدِ بـهـا أضْـحَـتْ مَـحِـيـقَـهْ
فَـتِـنٌ أهْـيَـفُ أعـطـى أفْـنَـهُ[1] ... فـي تَـثْـنِّـيـهِ الأمَـالِـيـدَ الـرَّشِـيـقَـهْ

(١) أفْنَهُ: عُصنهُ المَيّال.

يا حِجاباً على الجَمالِ دَليلا(*)

حَجَبَتْ جِسْمَها بِدِيباجَةٍ سَو ... داءَ كانَتْ لِنُورِها قِنديلا
مَثَّلَتْ لي حَقيقَةَ العَينِ نُوراً ... وَسَواداً وَرِقَّةً تَمْثيلا
ثُمَّ هَمَّتْ في جَعْلِ السَّوادِ حِجَاباً ... يا حِجَاباً على الجَمَال دَلِيلا
ما اخْتَفَتْ في غَدَائِرٍ مُرْسَلاتٍ ... كاللَيالي صَيَّرْنَني ضِلِّيلا[1]
كَيفَ تَخْفى وَنُورُها كالهُدى في ... مَلْبَسٍ صَارَ لابْتِدَاعٍ مَثيلا
أنا في عَالَمِ السَّوادِ وَعَقلي ... في رِياضِ التفاحِ ظَلَّ عَقِيلا
ما الهَوى في السَّوَادِ إلّا جُنُونٌ ... والهَوى في البَيَاضِ أقوَمُ قِيلا
ليسَ مَن ضَلَّ بالنهارِ كَمَنْ ضَلَّ ... بليلٍ، فذاكَ أهْدَى سَبيلا
مَن عَذِيري مِمّا جَنَتْهُ العَذارى ... أخذتني في الحُبِّ أخذاً وَبيلا

(*) العُنوانُ مِن اختيارنا.

(١) لُقِّبَ أميرُ الشعراء امرؤُ القيس الكندي؛ بالمَلِك الضلِّيل. وصدر البيت تنويعٌ على بيت في معلقة امرئ القيس: غدائرها مُستَشزِرات إلى العُلا...

سؤال غرامي [I]
(وجَّهَهُ إليه الشاعر محمد بن خميس البركاني)

ما يَفعَلُ المَرءُ إنْ زَادَ الغرَامُ بهِ ... وَمَنْ يُحِبُّ بحُبِّ الغيرِ مَشغُولُ
إن رَامَ تَركاً فهذا لا سَبيلَ لَهُ ... أو رَامَ صَبراً فَعَقدُ الصَّبرِ مَحلُولُ

جوابُ أبي مُسْلِم

خَلِّ الصَّبَابَةَ تسْرِي في خَلِيقَتِهِ ... والحُبُّ مِنْ سِرِّهِ لُطْفٌ وَتَذلِيلُ
لَعَلَّ سَكْرَتَهُ في الحُبِّ تَجذِبُهُ ... إلى وِصَالِكَ يَوماً وهوَ مَذهُولُ
فاصْبِرْ عَليهِ وَخَلِّ الحُبَّ يَنحُلُهُ ... جُرْحٌ بجُرْحٍ، وما في الحُبِّ تَبْدِيلُ

سؤال غرامي [II]
(وجَّهَهُ سيف بن ناصر الخروصي)

مُفتِيَ العَصْرِ ما على مُشتَهَامِ ... عَضَّ ثُفّاحَ وَجْنَتَيِّ الحَبيبِ
فانثنى مُغْضَباً وَقالَ: حَرَامٌ ... عَضُّ ثُفّاحِنا بِعَينِ الرَّقِيبِ

جوابُ أبي مُسلِمِ

ما عَلَى المُشتهامِ إثْمٌ بهذا ... وأرَى الإثْمَ رَاجِعاً للحَبيبِ
هَيَمَانُ العُشّاقِ نَوْعُ جُنُونٍ ... وَمَنَاطُ التَّكْليفِ عِندَ القُلوبِ
مَكِّنُوني أَعُضُّ مِنهُ كَمَا شِئْتُ ... وَخلُّوا بَيني وَبَينَ الذنُوبِ

الجَفا(*)

يـا مَـنْ تَـعَـرَّضَ لِلجَـفـا ... يـا مُـتـلِفِـي أيـنَ الـوَفـا؟
أيـنَ الـعُـهُـودُ الـسَّـالِفـاتُ ... وأيـنَ آمَـالُ الـصَّـفـا
أخـلفـتَ عَـهْـدَكَ بـالـوِصَـالِ ... وَمَـا عَـهِـدْتُـكَ مُـخْـلِفـا
وَتَـرَكْـتَـنِـي صَـبّـاً أُقَـلِّبُ ... مِـنْ جَـوَاكَ الـمُـضْـحَـفـا
آهٍ عـلى الـظـبـي الأغَـرِّ ... إذا تَـقـاعَـسَ وانْـتـفَـا
آهٍ عـلى الـغُـصْـنِ الـرَّطِـيـبِ ... إذا تَـمَـايَـلَ أو هَـفـا
آه عـلى قَـمَـرٍ لَهُ ... الاقـمـارُ سُـجَّـدَ عُـكَّـفـا
آهٍ عـلى قـلـبـي تَـمَـزَّقَ ... حَـسْـرَةً وَتَـأسُّـفـا
وَلَـزِمْـتُ نَـفـسِـي بـالـحُـرُوزِ ... وَبـالـعَـزائِمِ مَـا كَـفـى

(*) هذه القصيدة غير موجودة في المَخطوطة ولا في الأصل المُعتمد، فأضفناها من أرشيف مكتبة الأديب أحمد الفلاحي.

غرام مُميت(*)

أمَـزِّقُ قَـلبِـي فـي هَـوَاكَ صَـبَـابَـةً ... وَأنـتَ بـحُـبِّ الـغَـيـرِ دُونِـيَ مُـغـرَمُ
يَسـوؤُكَ أنْ تَـلقى حَبيبَكَ مُـعْرِضاً ... وَتُـعـرضُ عَـنْ حُـبِّي كـأنِّـيَ مُـجْـرِمُ
وَمِـنْ أَعْـظَـمِ البَـلوَى غَـرَامِي بـمَـنْ بِهِ ... غَـرَامٌ بِـغَـيـرِي وَهُـوَ بـالـحُـبِّ أعْـلَمُ
إذا شِـئـتُ مِنهُ الوَصْـلَ قـابَـلَ بـالـجَفـا ... وَإنْ شِـئـتُ صَـبـراً عَـنـهُ فَـهُـوَ مُـحَـرَّمُ
أَلا يَـا عِـبـادَ اللهِ مَـا هِـيَ حِـيـلَتِـي ... سِوى أَنْ أَذوقَ المَوتَ، وَالمَوتُ أَسْلَمُ

(*) هذه المقطوعة الشعرية لم نعثر عليها في المخطوطة ولا في الأصل المُعتمد، فأضفناها من أرشيف مكتبة الأستاذ أحمد الفلاحي، والعنوان من وضعنا.

الفؤاد الكسير(*)

أَصَبتِ فُؤاداً طَارَ فِيكُم مَطارُهُ ... فيا أَسَفا هذا الفؤادُ كَسِيرُ

وَكَمْ لِي أَرُدُّ الدَّمعَ خَشيَةَ حَاسِدٍ ... وَمَنْ لِي بِرَدِّ البَحرِ وَهوَ غَزيرُ

صَبَوتُ وَرَأيُ الحُبِّ فِيكُم مُقصِّرٌ ... مُخِلٌّ وَحَبلُ الوَصْلِ مِنكِ قَصيرُ

صَرَفتُ إليكُم وِجهَةَ الحُبِّ كُلَّهَا ... وَبَعضُ شُهُودِي ظَاهِرٌ وَضَمِيرُ

ولا عُذرَ لِي مِمَّا سَلوتُ صَبَابَتِي ... وَحُسنُكِ عِندي في الغرامِ عَذيرُ

فَدُومِي عَلى هَذا الجَفاءِ فإنَّنِي ... على كُلِّ أفعالِ الحَبيبِ صَبُورُ

(*) تذييل الشاعر لأبيات قالها الشيخ سيف بن سالم بن هاشل المسكري، وهي مقطوعة غير موجودة في الأصل المُعتمد ولا في المخطوطة، فأضفناها من أرشيف مكتبة الأستاذ أحمد الفلاحي.

عَقيقٌ في عَقيقٍ في عقيقِ(*)

فِـدَا نـفـسِـي لـبَـهـكَـنـةٍ لَعُـوبٍ ... لَهَـوْتُ بـهـا عـلى لَثْـمِ الـشَّـقِـيـقِ
أُنَـاوِلُـهـا مِـنَ الـشَّـاهِـي[1] كُـؤوسـاً ... فـقـالَـت: هَـكـذا طَـعْـمُ الـرَّحِـيـقِ
كـأنَّ الـكَـأسَ فـي يَـدِهـا وفـيـهـا[2] ... عَـقـيـقٌ فـي عَـقـيـقٍ فـي عَـقـيـقِ
تَـقـولُ وَمِـلـؤهـا لَـعِـبٌ وضِـحْـكٌ ... أتَـعْـدِلُ شُـرْبَ شَـاهِـيـكُـمْ بِـرِيـقـي؟
فـلـقـتُ لـهـا: مُـنَـى نَـفْـسِـي أَفِـيـقِـي ... بِـرِيـقِـكِ يَـنـطَـفِـي لَـهَـبُ الـحَـرِيـقِ
فـأدْنَـتْ ثـغـرَهـا مِـنِّـي وقـالَـتْ: ... تَـمَـتَّـعْ بـي إلـى وَقـتِ الـشُّـرُوقِ
فَـبِـتُّ أَمُـصُّ وَرْدَةَ وَجْـنَـتَـيـهـا ... وأَرْشُـفُ جَـمْـرَ مَـبْـسَـمِـهـا الـشَّـرِيـقِ
فـلـمَّـا أَذْهَـلَـتْ عَـقـلـي وَرُشْـدِي ... طَـفِـقـتُ أَصِـيـحُ: يـا هَـادِي الـطـريـقِ

(*) العُنوانُ مِن اختيارنا. تلميح: هذه المقطوعة واحدة من ألطف غزلياته، على قلتها في الديوان! وكم تمنيتُ أن أسمعها مُغناةً ومُلحَّنة، لو كان مُطربونا شغولين بتغنِّي قصائد الشعراء العُمانيين.

(١) الشّاهي: هُو الشاي، وكان أبو مُسلِم من الوَلُوعينَ به وكتب في صِفاتِهِ عِدّة قصائد، بلْ إنهُ استعاضَ بهِ عن الرّاح وجعلَ منه مُعادِلَها الموضوعي في بعض قصائده، كما في بعض الأبيات التي خصَّ بها الشاي.

(٢) فيها: فَمِها.

الباب الحادي عشر

مُتفرّقـــات

الشّاي(*)

وَقامَ شرَابُ الشَّاهِي[1] عَنها خَلِيفةً ... على عَالَمِ الأرْواحِ كالآمِرِ النَّاهِي

لَهُ الفضلُ في لَونٍ وَرِيحٍ وَلَذَّةٍ ... فَقُلْ فيهِ ما قد شِئتَ مِن جَانِبِ الجَاهِ

ذُؤابٌ مِن الياقوتِ في وَسْطِ كَوْكَبٍ ... بهِ فَرَجُ المَهْمُومِ بَلْ مُتعَةُ اللاهِي

إذا صُفِّفَتْ أكْوَابُهُ وَسْطَ مَجْلِسٍ ... رأيتَ نُجُومَ الزُّهْرِ تَهْوِي لأفْوَاهِ

أرَى كُلَّ ما تَحْوِي مَجالِسُ أُنْسِنا ... جُنوداً لِدَفعِ الهَمِّ سُلْطَانُها الشَّاهِي

(*) أبياتُهُ في الشاي قالَها مُذيِّلًا هذا البيت: إذا حرَّمَ الله المُدَامَ فإنَّهُ | أتى ذلكَ التحريمُ مِن حِكْمَةِ الله.

(١) الشَّاهِي: الشاي في اللهجة العُمانية، كما في لَهَجات أخرى في منطقة الخليج.

مَدِيح الشاي

قَدْ أَكْثَرَ النّاسُ في الشَّاهِي مَدَائِحَهُم ... ولستُ أذكُرُ فيهِ فَوقَ ما أَجِدُ

طَعْمٌ وَلَونٌ وَتفريجٌ وَطِيبُ شَذا ... وَنَشْوَةٌ حيَّ عنها الرُّوحُ والجَسَدُ

فاشْرَبْهُ صِرْفاً[1] ولا تَخْلِطْ به لَبَناً ... فالصِّرْفُ أَوْلَى وَذَا المَخْلُوطُ مُنْتَقَدُ

---

(١) في دعوته لشرب الشاي صِرْفاً دون خلطه باللبن يستحضر الشاعر أدبيات العصر الجاهلي والعصرين الأموي والعباسي في امتداح شرب الخمرة صِرْفاً دون كَسْرِ حِدَّتِها بالماء أو سواهُ من الأشرِبَة المُنكِّهة.

مِسْكُ الشاي

إذا رُمْـتَ أُنْـسـاً لـلنـفـوسِ وَلَذَّةً ... فللشّايِ في الوَصْفَينِ مَرْتبةُ الفَضْلِ

كـمَـاءِ عَـقـيـقٍ يَـنـفَـحُ الـمِـسْـكَ رِيـحُـهُ ... يُنادِي مَذاقَ النَّحْلِ: قَصَّرْتَ عَن مِثْلِي

ليلة الشاي

رَعَى اللهُ لَيلَةَ أُنْسٍ جَلَتْ ... بَهَاءً وَحُسْناً كَبَدْرِ التَّمَامْ

فَكَانَتْ لَنا غُرَّةً فِي الزَّمَانِ ... وكَانَتْ على صُورَةٍ كالوِسَامْ

مِنَ الأَدَبِ الغَضِّ أَجْنِي بِها ... زُهُوراً سَقاها نَمِيرُ الغَمَامْ

أُطارِحُ فِيها كَمَا أَشْتَهِي ... كِرَامَ السُّرَاةِ سُرَاةَ الكَلامْ

فَطَوْراً مِن اللؤلؤ الرَّطْبِ[1] أَجْـ ... ـنِي نِثاراً وَطَوْراً عُقودَ النِّظامْ

تُدَارُ عَلَينا كُؤوسُ الشَّرَابِ ... مِنَ الشَّايِ، لا مِنْ عَقِيقِ المُدَامْ

فَمِنْ أَبْيَضٍ كُذُوابِ اللُّجَيْنِ ... وَمِنْ أَحْمَرٍ كَلَهِيبِ الضِّرَامْ

بِنَادِي كَرِيمٍ نَبِيلِ الأُصُولِ ... طَوِيلِ الأيادي عَلِيِّ المَقامْ

يُبَاشِرُ أَصْحَابَهُ بِالرَّبِيعِ ... مِنَ الخُلُقِ الرَّحْبِ خُلْقِ الكِرَامْ

تَذَكَّرْتُ ما بيننا قد مَضَى ... ولَيسَ لِعَيشٍ سَعِيدٍ دَوامْ

فَلا زالَ نادِيكُمُ ناعِماً ... مِنَ السُّعْدِ في نَضْرَةٍ وابْتِسَامْ

فَيا لَيلَةَ الوَصْلِ دُومِي لَنا ... فَأَنتِ السَّلامُ عَلَيكِ السَّلامْ

---

(١) بل قصد طِيبَ الحديث ولآلئ الكَلِمِ، ألم تَرَ أنه قسمه نوعين: نثراً ونظماً.

رجال السّر(*)

السِّرُّ أحفى برجال السِّرّ ... لا يَعرفُ الأحرارَ غيرُ الحُرّ
إليك يا مَسعُودُ بَعضَ أَمْرِي ... أصْبَحتُ مَأسوراً بريبِ الدَّهْرِ
إنْ تكشفِ اليومَ شَدِيدَ ضُرِّي ... فَغُبُّهَا مُضَاعَفاتُ الأجرِ
إنَّكَ إنْ تَفعَلْ فَأهْلُ البِرّ ... وَلَنْ تَزَالَ حَائِزاً لِلشُّكْرِ
وَالعُرْفُ لا يَذهبُ حَيثُ يَجْرِي ... وَأنْتُمُ الغِيَاثُ لِلمُضْطَرّ
رُبَّ صَدِيقٍ فِي نَعِيمِ الدَّهرِ ... خانكَ عِندَ نَائباتِ العُسْرِ
وَرُبَّ مَنْ بَاعَدْتَهُ فِي اليُسْرِ ... أصْبَحَ عَوناً عِندَ نَقْضِ الظَّهْرِ
أينَ رِجالُ الخَيْرِ عِندَ الكَسْرِ ... وأينَ مَنْ أعْدَدْتُهُم لِلذُّخْرِ
عَرَفتُهُمْ فِي سَهْلِهِمْ وَالوَعْرِ ... فاليومَ اسْمِي فِي عِدادِ النُّكْرِ
وَهذِهِ أشْكَالُ أهْلِ العَصْرِ ... صَفوَ أُجَاجٍ مِثلَ مَاءِ البَحْرِ
يا خُطَّةً عِيلَ عَليهَا صَبْرِي ... فاحْطُطْ، فَدَتكَ النَّفسُ، عَنِّي إصْرِي

عرفتُ مِنْ قَدْرِكَ فاعرفْ قَدْرِي

(*) أرسلها إلى الشيخ مسعود بن سالم بن هاشل المسكري، وهي قصيدة غير موجودة في الأصل المُعتمد ولا في المخطوطة، فأضفناها من أرشيف مكتبة الأستاذ أحمد الفلاحي.

في فضل الاجتماع

إنَّ لـلاجْـتِـمـاعِ رَوْحـاً لَطِـيـفـاً ... فـاعِـلًا فـي الـنُّـفـوسِ كُـلَّ جَـمِـيـلِ
قـلَّمَـا يُـكْـسِـبُ انـفـرَادُكَ فَـضْـلًا ... وَمَـعَ الاجْـتِـمـاعِ غَـرْسُ الـعُـقـولِ
أدَبٌ، حِـكْـمَـةٌ، كَـمَـالٌ، دُعَـاءٌ ... وَاقـتـنـاصُ الـمَـنـقـول وَالـمَـعْـقـولِ

شجّة(*)

جاءَ المُهنّا وبهِ شجَّةٌ كأنَّهُ خاضَ وَغىً مُضْرِسَة
قد قامَتِ الحَربُ على سَاقِها حَتى مَع الصِّبيَانِ في المَدرسَة

(*) المُهنّا ولد الشاعر.

للَّهِ دَرُّ بَنِي رَوَاحَة(*)

لله دَرُّ بَـنِـي رَوَاحَـةَ إنَّـهُـم ... رَفَـعُـوا مَـنـارَ الـعِـزِّ أعـلى الـفَـرْقَـدِ
وحَـمَـوا دِيَـارَهُـمُ بـأسْـدِ شَـرَاتِـهِـم ... ومَـحَـوا بـبِـيـضِ الـهِـنـدِ دَارَ الـمُـعْـتَـدِي

(*) بيتان قالهما نصرالله بن محمد الكندي في قبيلة بني رواحة التي ينتسب إليها أبو مُسلم.

خطّة عَبْسِيَّة(*)

سَبَقتْ مَدِيحَكَ خُطَّةٌ عَبْسِيَّةٌ ... خَضَعَتْ لِعِزَّتِها رِقابُ الحُسَّدِ
جَلَّتْ عَنِ الإطراءِ سُورَةُ مَجْدِنا ... أو لا فقُم نَحوَ الكواكبِ فاعدُدِ
عَلِمَ القَبائلُ أننا جَمَراتُها ... وسُراتها ولنا تراثُ السُّؤدَدِ

(*) رد أبي مُسلم على أبيات نصرالله الكندي.

مزايا الزمان

لستُ أشكو مِنَ الزَّمانِ مَا يَشْكُـ ـوهُ غـيـري ولا أذمُّ صُـروفـه
كُـلُّ مَـعـدودَةٍ عـلى الـدَّهـرِ عَـيـبـاً هِيَ عِـنـدِي مِـنَ الـمَـزايَـا الـشَّـرِيـفـه

عَشْرَاء(*)

عَشْرَاءُ ألقحَهَا الحَادِي ومِنْ عَجَبٍ ... أنْ تَلقحَ الشَّولُ مِنْ فَحْلٍ هُوَ الحَادِي

مِزْنَانةٌ لا تَنَامُ الليلَ سَارِيَةٌ ... تَطْوِي البِلادَ بلا مَاءٍ ولا زادِ

تَبكِي وتَضْحَكُ لا حُزناً ولا فَرَحاً ... تَغدُو بِبُشرَى وقد تُمسِي بأنكَادِ(١)

حَتى إذا مَا دَنا المِيلادُ بَشَّرَهَا ... فَشَقَّ بِشرتَهَا عَنْ جَمعِ أولادِ

رَأيتُ جَعفراً الطَّيارَ يَقدُمُهُم ... في ألفِ ألفٍ وَلِيٌّ غَيرُ عُبَّادِ

وكُلُّهُم مَا لَهُ دِينٌ فَيَعْصِمُهُ ... وكُلُّهُم بَينَ أوَّابٍ وسَجَّادِ

رَأيتُهُم فَوقَ بَيتِ اللهِ قد كَفَرُوا ... ومَا أرادوا بِذا فِيهِ بِإلحَادِ

وبَينَ زَمزمَ والأركانِ قد رَقَصُوا ... بِغَيِّهِم بَينَ زَمَّارٍ وَعَوَّادِ

لا يَرهبُونَ مِنَ النِّيرانِ تَحرقُهُم ... ويَركبُون سِنامَ السَّيلِ بالوَادِي

كم أخْرَبَتْ أُمُّهُم أرضاً وكم عَمَرَتْ ... ما شَأنُهَا غيرَ إعْدَامٍ وإيجَادِ

بِنَفثِ ريِّقِهَا كم مَيِّتٍ بَعثَتْ ... وكم أعَادَتْ وكم أبْدَتْ لأجسَادِ

لا ذاتُ رُوحٍ ولا فِي الأرضِ مَسْكَنُهَا ... ولا السَّمَاءِ ولا تُحْصَى بأعْدَادِ

(*) لم نجدها في الأصل المعتمد وأضفناها من المخطوطة، وبها ملحوظة من ناسخ الديوان: قيل إنَّ اللغز في الساعة الدَّقاقة، وقد وردت بعنوان «ملغزة الدال»، لواضعه سالم بن سليمان بن عديّم الرواحي، جامع مخطوطة الديوان.

(١) تبكي وتضحكُ، مُقتبس من قصيدة للأخطل الصغير، غنَّتها فيروز. تبكي وتضحكُ لا حُزناً ولا فرحا | كعاشِقٍ خَطَّ سَطراً في الهَوى ومَحا * قلبٌ تمرَّسَ في اللذاتِ وهُو فتىً | كبَرْعُمٍ لَمسَتْهُ الرِّيحُ فانفتَحا (المُراجِع).

ولا سَحَابٌ ولا ريحٌ ولا حَجَرٌ ... ولا نَباتٌ ولم تُنتَجْ بأولادِ

بَيضاءُ طَلعَتها سُودٌ ذوائِبُها ... وتارةً تَصْبَغُ الأرجَاءَ بالجَادي

بَعِيدةٌ عَجَزتْ عَنْ دَرْكِهَا حِيَلي ... وكُلَّ حَينٍ أرَاهَا أوسَطَ النَّادِي

تَحكي صُروف الليالي مَا تَقِرُّ عَلى ... شَكلٍ وكالغُولِ في تَلوينِهَا البَادِي

تَجري ولِلرِّيحِ في أحشائِهَا زَجَلٌ ... بحَيثُ يَقصُرُ عَنها الشَّيْظَمُ العَادِي

فتنثرُ الجَوهَرَ المَكْنُونَ مِنْ عَرَقٍ ... وتَارَةً تَرجُمُ الدُّنيا بأطوادِ

قطع علاقة في عتاب(*)

أجَسّدُ نُورَ الشمسِ صُحْفاً وأنْتَقِي ... مِنَ اللؤلؤ المَكْنُونِ كُلَّ فَرِيدِ
وأجْعَلُهَا لِلمُخلِصِين رَسَائِلاً ... وذلكَ أنْسٌ مُبْهِجٌ لِوُجُودِي
وأعْتَقِدُ التقصِيرَ مِنْ ذاكَ كُلِّه ... وقلبي بالتَّذكارِ قلبُ عَمِيدِ
فمَا بَالُ حَظِّي مِنكُمُ حَظُّ خَاسِرٍ ... ورَأيُكُمُ فِي الوُدِّ غَيرُ حَمِيدِ
تَمَسَّكْتُ بالآمَالِ مِنكُم تَعلُّلاً ... ولكِنَّهَا مَوثوقةٌ بِقُيُودِ
إذا كُنتُمُ حَرَّمْتُمُ الصَّفوَ بَيننا ... وأبْرَمْتُمُ حُكماً بنقضِ عُهُودي
فهَاتُوا لنا طَبْعاً يُوافِقُ طَبْعَكُم ... فإنِّيَ مَيَّالٌ لِكُلِّ جَدِيدِ
تَعِزُّ عَلينا قِطْعَةٌ مِنْ بِطَاقةٍ ... ونُقطَةِ حِبرٍ في لِسَانِ جَرِيدِ
إذا كانَ حَبلُ الوُدِّ يُفتلَ هَكذا ... فيا رَبِّ إقطعْ حَبلَ كُلِّ وَدُودِ
ويا رَبِّ حُلْ بَيني وبَينَ صَحَابتِي ... على هذه الدَّغْوَى بسَدٍّ حَدِيدِ
مَحَبَّتكُم أضْحَتْ سَراباً بِقِيعَةٍ ... وحُبِّي لكُمْ لا يَرْتَقِي لمَزِيدِ
زَرَعْتُ لكُمْ فِي الحُبِّ كُلَّ فَضِيلةٍ ... فيا أسَفِي والزرعُ غَيرُ حَصِيدِ
وهذا عِتابي والإجَازَةُ مِنكُمُ ... عَليهِ كمَا عَوَّدْتُمُ بِصُدُودِ

(*) لم ترد في الأصل المعتمد، وأضفناها من تحقيق راشد الدغيشي للديوان ـ راجع المقدمة. العنوان الحالي من اختيارنا، فقد وردت بهذا العنوان: «وقال في عتاب أحد أصدقائه».

مُعاتبة(*)

أحِبَّةَ القلبِ مَا بَالِي وبَالكم ... دَفعْتُمُونِيَ إنْ شَدَّ الزَّمَانُ يَدِي

كُنتُ اتَّخذتكُمُ للخَطْبِ مُعتمِداً ... فحِينَ جَدَّ بَلائي عَزَّ مُعتَمَدِي

مَنْ لِي بِخِلٍّ إذا بَايَعْتُهُ ثِقتِي ... أوفى بنَقْدِ الوَفا نَقداً يَداً بيدِ

وَضَعتُ يُمْنايَ فِي يُمْناكُمُ طَلباً ... لأنْ أَشُدَّ بكُمْ فِي نَكْبَتي عَضُدِي

وكُنتُ جَلداً عَلى الأزمَانِ مُضْطَلِعاً ... فحِينَ ضَيَّعتُمُ أَمْرِي وَهَى جَلَدِي

أزكى المَحَاسِنِ في حُسناكُمُ لُمَعٌ ... وأوسَطُ العُرفِ مِنكُم خَيرُ مُقتصَدِ

تَقيَّلتْ كُلَّ مَحْمُودٍ فَضَائِلُكُم ... فمَا تَؤمُّونَ غير الأمرِ ذِي الرَّشَدِ

أرَى مُرُوءتَكُم تَسْمُو بَوادِرُها ... إلى مَرَاقٍ رَمَتها الشمسُ بالحَسَدِ(١)

فما أبَاحَ لكُم تَرْكَ الإخاءِ على ... غَيرِ المَلامَةِ والتَّنْدِيدِ والأَوَدِ

إنْ كانَ ذنباً جَنيْنَاهُ فمَا وَهَنتْ ... حُلومُكم إنَّهَا الأطوادُ لم تَؤُدِ

أو كانَ جَرياً على رَأيِ الزَّمَان فمَا ... بباطِنِ الوُدِّ مِنْ بَأسٍ ومِنْ فَنَدِ

فأيُّ عُذرٍ لنا في تَركِ خِلَّتِنا ... نعم لكُم ألفُ عُذرٍ أيّ مُعتمِدِ

كذلك الخِلُّ يُجري للخليلِ مِنَ الـ ... أعذارِ مَا لم يَدُرْ مِنهُ على خَلَدِ

أما تَرَونَ أعَادِينا وقد لبِسُوا ... مِنَ التَّعاضُدِ دِرعاً صَافيَ الزَّرَدِ

(*) قالها مخاطباً الشيخ سيف بن سعيد المعمري. وهي من القصائد التي لم نجدها في الأصل المعتمد وأضفناها من تحقيق راشد الدغيشي للديوان ـ راجع المقدمة.

(١) مراق: جمع مَرقى؛ وهو الصَّعبُ من الجبالِ، ومِنها المُرتقى الصَّعب.

كادُوا يُذلُّونَ بالتفريقِ فالتَأمُوا ... فهُم أعَزُّ جِمَىً مِنْ لبْدَة الأسَدِ

وأنتَ مَولايَ ذاكَ الخِلُّ لا نَكِلٌ ... عَنِ الصَّدِيقِ على مَكْرُوهَةِ الكَبِدِ

فكم بَلوناكَ في خطبٍ يَضيقُ بهِ ... ذرعُ الحَليمِ فلم تنكِلْ ولم تَكِدِ

وما حَمَدْنا سَرِيّاً في مَناقِبِهِ ... كحَمْدِنا لكَ فِي أفعَالِكَ السُّدُدِ

كأنَّ كُلَّ الوَرَى في فَضْلِهِم جَسَدٌ ... وأنتَ مِنْ بَينِهِم كالرُّوحِ في الجَسَدِ

وَجَدتكَ المَاءَ يُحْيي الأرضَ ماكِثُهُ ... وبَعضُ مَنْ يَدَّعِي العَلياءَ كالزَّبَدِ

هَنيتَ يا ابْنَ المَعَالي كُلَّ مَكْرُمَةٍ ... ورِثْتَها مِنْ جُدُودٍ سَادَةٍ أُسُدِ

السَّمكة(*)

نـحـنُ أهـلُ الله لا نـكـفـرُهُ ... جَلَّ عمَّا تدَّعِيهِ المُشْرِكَةْ[1]

رَسَخ الإيمانُ في ألبابنا ... قبل أنْ ترفع صيداً شَبَكَةْ

جَاءَ صَيَّادٌ بما قد رَسَمتْ ... قُدرَةُ الله بِظَهْرِ السَّمَكَةْ

بكِتاب عَرَبيٍّ ظاهِرٍ ... كُلُّ مَنْ يَقرأُ خَطّاً أدْرَكَهْ

(*) لم نجدها في الأصل المُعتمد ونسخناها عن المخطوطة، وقد ذكر ناسخ المخطوطة: «فيما يُروى أن صياداً جاء الشاعر بسمكة مكتوب على ظهرها بقلم القدرة؛ إما كلمة الإخلاص أو غيرها مما يدل على توحيد الله تعالى، فقال في ذلك هذه الأبيات».

(١) يقصد الأقوام المُشركة.

نظـرة(*)

نَـظـرْتُ فـي الـكَـونِ نَـظْـرَةْ مِـنْ نَـحْـوِ مَـنـفـذِ إبْـرَهْ
فـمَـا انْـثـنَـى الـطَّـرْفُ حـتـى حَـلَـبْـتُ دَهْـرِيَ شَـطْـرَهْ

(*) لم نجدها في الأصل المُعتمد؛ فرجعنا إليها في المخطوطة.

القطار(*)

وَيْحَ القِطارِ جَرَى يَختالُ للسَّفرِ ... شيءٌ يُحيِّرُ إذ مَا لاحَ للنَّظرِ

كالأفعُوانِ طويلٌ عِندَ زَحفتِهِ ... لكنَّهُ كهبوبِ الرِّيحِ في السَّفرِ

يَنقضُّ في سَيْرِهِ كالبَرقِ مُندَفِعاً ... وكالصَّواعِقِ تُنبي الأرضَ بالنُّذرِ

بِدِقَّةٍ أوْثقُوا إحكامَ صَنْعَتِهِ ... مِنَ الحَديدِ كطَوْدٍ طالَ بالحَجرِ

كم قِطعَةٍ رَكَّبُوا في صُلْبِ هَيْكَلِهِ ... وكم بأحشائِهِ في البَطنِ مِنْ حُجَرِ[1]

مِنَ المَسَامِيرِ والأسلاكِ غائصَةً ... في جسمِهِ كعُرُوقِ الدَّمِّ للبَشرِ

وبالزجاجِ وأشياءٍ مُزَفَّهَةٍ ... قد زيَّنوهُ على ما شِئتَ مِنْ صُورِ

فيه الكراسي عليها الناسُ قد جَلسوا ... تجري أحاديثُهُمْ في خلوَةِ السَّمَرِ

(*) أبيات تتحدث عن القطار وهيأته وقدراته ومخبرة عند الدَّهشة والإستغراب التي كان عليها الإنسان العربي في تلك الفترة المُبكرة من عمر الصِّناعات الحديثة غير المعروفة لديه، وهي أبيات لم نجدها في الأصل المُعتمد ولا في المخطوطة، وقد تكرَّم الأستاذ أحمد الفلاحي بإعطائنا نسخة منها بخط يده مشفوعة بهذه المُقدِّمة التي ارتأينا وضعها في الحاشية.

(١) ورد البيت في المخطوطة بخط الأستاذ أحمد الفلاحي؛ كالتالي: كَم قِطعةٍ رَكَّبُوا في صُلْبِ هَيْكَلِهِ | وكم بأحشائِهِ في البَطنِ مِنْ حُفر. والحقيقة أنني استغرب استخدام الشاعر للحُفر المُركَّبة في أحشاء هيكل القطار، فتذاكرت بشأنها مع الأستاذ أحمد الفلاحي؛ فعاد بذاكرته إلى فترة السبعينات أو أواخر الستينات، ليقول لي إنه نقلها من مخطوطة قديمة كانتْ تُتداوَل، وكانت المَخطوطة قديمة مُمَزَّقة مُهترئة، لا سيما في نهاية هذا البيت، فأكمل المَعنى بسرعة، آنذاك. لكنَّهُ خطَّأ نفسَهُ في تسرُّعه، وأكَّدَ لي أنَّ المقصود في الغالب [الحُجَر]، وليس [الحُفر]، فاشتضوَبتُ تصويبَهِ للخطأ! وسياق الاندهاش من هذه الآلة العجيبة، آنذاك، يُؤكِّدُ ما ذهبنا إليهِ معاً؛ إذ أنَّ منبع الغرابة هو سلسلة الحُجرات اللامتناهية وقد رُكِّبَت في القطار.

وفيهِ أحمَالُهُم دُسَّتْ بداخِلِهِ ... ثقيلة ضَمَّها كالمَارِدِ الخطِرِ
في أَعْمُدٍ مِنْ حَدِيدٍ ثُبِّتتْ وَرَسَتْ ... تمضي خُطاه إلى نَجْدٍ ومُنحَدرِ
أُعجُوبَةٌ مِنْ أَعَاجيبِ الزَّمَانِ بَدَتْ ... في عَصْرنا لم تَنلْهَا سَابقُ العُصُرِ

المَعالِي(*)

يا حُرُّ نَخوَكَ حُرَّ القولِ أُرسِلُهُ ... وأنتَ أَرفعُ مِنْ شِعري ومِنْ خُطَبي
نَدَبْتُمُوني لأمرٍ كُنتُ أطلبُهُ ... بِبَذلِ رُوحِيَ حتى عَزَّ مُطَّلَبي
أفنيتُ نفسِيَ في إحيائِهِ فَنَسا ... قلبُ الزمان وخابتْ مُنيَةُ الأَرَبِ
وَعَاكَسَتهُ سِهَامٌ كُلَّمَا رَشَقَتْ ... قلبي فصَابَرتُها عَزماً ولم تُصِبِ
والآن خُضتُ غِماراً كُلُّها خَطرٌ ... لولا عَزيمَةُ قلبٍ غَيرِ مُنْقلِبِ
حتى تَوسَّطتُها وَالفوزُ مُقتربٌ ... والفَلْجُ يَبرُقُ بالإقبالِ عن كَثَبِ
تَركتُمُونِيَ فرداً لا أَبُوءُ إلى ... تَدبيرِ حُرٍّ ولا تَعضيدِ مُنتَدَبِ
خذلتُمُونِيَ إذ هَرَّتْ كِلابُهُم ... وأنتُمُ الأَسْدُ أنصَاري لدى غَضَبي
ما كان عَهدِيَ فِيكُم يا كِرامُ سِوى ... حُسنِ الوَفاءِ على العلّات وَالنُّوَبِ
حَاشا شَهَامَتِكُم تَدنو إلى خَوَرٍ ... عَهْدي بكم في سَمَاءِ المَجْدِ كالشُّهُبِ
لكنَّ حَظيَ حَظٌّ لا يَقومُ إلى ... شأنٍ فمَا يَنثنِي حالا على العَقِبِ
قُمتُم بأمرٍ وَأَسَّستُم مَعَالِمَهُ ... حتى إذا قامَ أحجَمتُم بلا سَبَبِ
هل رَابَكُم يا أُبَاةَ الضَّيمِ إذ حَمَلتْ ... أحمَالَها فِيكُمُ حَمَّالةُ الحَطَبِ
أم نَعْقَةٌ مِنْ غُرابٍ زَلْزَلَتْ جَبَلًا ... هذا، لَعَمْرُكُمُ، مِنْ أَعْجَبِ العَجَبِ
أم نَفرَةُ القِردِ فِيكُم أفزَعَتْ أَسَداً ... أم نفحَةُ الغارِ صَارتْ نَفحَةَ العَطِبِ
إنْ كان هذا فما مَعنى الحَياةِ لنا ... يا مَوتُ عَجِّلْ، فإنَّ اللحْدَ أَرْفَقُ بِي

(*) لم نجدها في الأصل المُعتمد؛ فرجعنا إليها في المخطوطة.

صِرنا جَمَاداً كأنَّ الخَصْمَ مَغطسُنا ... نَجري كأشياءَ فِي جِدٍّ وفي لَعِبِ
يا سَوءَةَ المَجْدِ في الأحرارِ إنْ عَبَثتْ ... بِهِ الدَّجاجَةُ كالأوساخِ في الخِرَبِ
أهكذا يا بَنِي الأحرارِ رَأيُكُمُ ... صَبرٌ عَلى الضَّيمِ إنْ نَحضُرْ وَإنْ نَغِبِ
نَمُوتُ ذُلّا وَأفعَى السُّوءِ تَنْهَشُنا ... وَالشِّعْبُ مُنشعِبٌ وَالحَظُّ فِي نَصَبِ
والهَلُّ يَقتُلنا وَالدِّين يَخصِمُنا ... وَنَحنُ في غفلةٍ وَالدَّهرُ في شَغَبِ[1]
أدعُوكُمُ يا أُباةَ الضَّيمِ حَسْبُكُمُ ... مِنْ نَومَةٍ بَينَ جَمرِ النارِ واللهَبِ
قد بُحَّ صَوتيَ مِنْ نُصْحٍ أَضُجُّ بِهِ ... ليتَ الضجيجَ دَنا مِنْ سَمْعِ مُحتسِبِ
فَدَيتكُم يا بَني الأحرارِ مَا فَعَلتْ ... بنا الحوادثُ ؛ صَارَ الرَّأسُ في الذَّنَبِ
بِنتُمْ فَدَيتكُمُ إنَّ الزمَانَ لَهُ ... رأيٌ يُزلزلُ رَأيَ الحُرِّ بالحَرَبِ
ما كان أعداؤنا صَخراً فيهشِمُنا ... ولم تَكُنْ قَفْعَ قَاعٍ تَحتَ مُقتضبِ
نُمسِي وَنُصبِحُ نَبكِي في مَخَادِعِنا ... نَدْبَ العَجَائزِ مَوتاهُنَّ فِي التُّرَبِ
لنا مَواهِبُ تُغني فِي مَتى وعَسَى ... وفي التألقِ والأحزانِ والكُرَبِ

نهاية الديوان

(١) الهَلّ: ظهور الهلال.

المصادر والمراجع

١. ابن عربي؛ محيي الدين، الفتوحات المكية، تقديم: نواف الجراح، بيروت، دار صادر.

٢. ابن منظور؛ محمد بن مكرم، لسان العرب، بيروت، دار صادر، ١٩٩٧.

٣. البطاشي؛ سيف بن حمود، إتحاف الأعيان في تاريخ بعض علماء عمان، الجزء الأول، الطبعة الثانية، الناشر مكتب المستشار الخاص لجلالة السلطان للشؤون الدينية والتاريخية، روي (عُمان)، المطبعة الوطنية، ١٩٩٨.

٤. بورخيس؛ خورخي لويس، صنعة الشعر، ترجمة: صالح علماني، الطبعة الأولى، دمشق، دار المدى، ٢٠٠٧.

٥. الحكيم؛ سعاد، المعجم الصوفي، الطبعة الأولى، بيروت، الطبعة الأولى، بيروت، دندرة للطباعة والنشر، ١٩٨١.

٦. الخصيبي؛ محمد بن راشد، شقائق النعمان على سموط الجمان في أسماء شعراء عمان، وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان، ١٩٨٤.

٧. خضير؛ ضياء، وردة الشعر وخنجر الأجداد: دراسة في الشعر العماني الحديث، الطبعة الأولى، وزارة التراث والثقافة بسلطنة عمان، ٢٠٠٦.

٨. الخليلي؛ عبدالله بن علي، الحقيقة، مخطوط، مكتبة الشاعر سماء عيسى.

٩. الرَّواحي؛ ناصر بن سالم (أبو مُسلم البهلاني):

- النفس الرَّحماني في أذكار أبي مسلم البهلاني، الطبعة الثانية، عُمان، مكتبة مسقط، سلطنة عمان، ٢٠٠٤.
- ديوان أبي مسلم، تحقيق: عبدالرحمن الخزندار، طبعة صالح بن عيسى الحارثي، مطابع دار المختار، ١٩٨٦.
- ديوان أبي مسلم، إصدار وزارة التراث القومي والثقافة، روي (عُمان)، مطابع دار جريدة عمان للصحافة والنشر، ١٩٨٧.
- ديوان أبي مسلم البهلاني، تحقيق: راشد بن علي الدغيشي، شركة دار الفتح.

- ديوان أبي مسلم البهلاني، جمع وترتيب: سالم بن سليمان البهلاني، مخطوط، مكتبة أحمد بن عبدالله الفلاحي.
- نثار الجوهر في علم الشرع الأزهر، مخطوط، (صورة توزع من قبل عائلة المؤلف).
١٠. الريامي؛ ناصر بن عبدالله، زنجبار: شخصيات وأحداث، الطبعة الأولى، لندن، دار الحكمة، ٢٠٠٩.
١١. السالمي؛ محمد بن عبدالله، نهضة الأعيان بحرية أهل عمان، القاهرة، مطابع دار الكتاب العربي.
١٢. سيفرت؛ ياروسلاف، أن تكون شاعراً، ترجمة: إسكندر حبش، الطبعة الأولى، دمشق، دار المدى، ٢٠٠٧.
١٣. الطائي؛ عبدالله محمد، الفجر الزاحف، الطبعة الأولى، حلب، مطبعة الضاد، ١٩٦٦.
١٤. غباش؛ حسين عبيد، عمان الديمقراطية الإسلامية: تقاليد الإمامة والتاريخ السياسي الحديث، الطبعة الأولى، بيروت، دار الجديد، ١٩٩٧.
١٥. الفنجاوي؛ منصور بن ناصر، الدُّرر المنثورة في شرح المقصورة، إعداد: عادل محمد علي الطنطاوي، كلية الشريعة والقانون بسلطنة عمان، ٢٠٠٥.
١٦. مجموعة باحثين، قراءات في فكر البهلاني الرواحي، الطبعة الثانية، المنتدى الأدبي بسلطنة عمان، ٢٠٠٦.
١٧. المحروقي؛ محمد بن ناصر، الشعر العماني الحديث: أبو مسلم البهلاني رائداً، الطبعة الأولى، الدار البيضاء ـ بيروت، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٩.
١٨. مصطفى؛ إبراهيم، وآخرون (إخراج)، المعجم الوسيط، استنبول، المكتبة الإسلامية.
١٩. المغيري؛ سعيد بن علي، جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار، تحقيق: محمد علي الصليبي، الطبعة الثانية، وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان، ١٩٨٦.
٢٠. ناصر؛ محمد بن صالح، أبو مسلم الرواحي: حكام عُمان، الطبعة الأولى، مسقط، توزيع: مكتبة مسقط، ١٩٩٦.
٢١. النفري؛ محمد بن عبدالجبار، الأعمال الصوفية، تقديم ومراجعة: سعيد الغانمي، الطبعة الأولى، كولونيا (ألمانيا) ـ بغداد، منشورات الجمل، ٢٠٠٧.
٢٢. وزان؛ عبده (إعداد وتقديم)، ديوان الحلاج، الطبعة الأولى، بيروت، دار الجديد، ١٩٩٨.

الفهرس

المُقدّمة: حَياةُ شاعِرٍ مُغيَّب، شاعِرُ حَياةٍ مُغيَّبة ٥
[١] أُبوَّةٌ شِعريَّةٌ خالِصَة ٦
[٢] زمنُ الشيخ وزمنُ الغُلام ٩
[٣] أقانيمُ الظّاهِرِ والبَاطِن ١٢
[٤] الشاعرُ بين نمط القبيلةِ وإلكْترُونِ المُستقبَل ١٩
[٥] هَلْ كان شاعِراً مَلحَمِيّاً؟ ٢٧
[٦] أساطيرُ المدائح النبويّة ٣١
[٧] تصوُّفه بين حَقيقةِ المَجَاز ومَجَاز الحقيقة ٣٧
[٨] ظواهر جَماليّة وأسلوبيّة ٤١
[٩] قاضٍ لسُلطان ونَصيرٌ لإمام (Persona non grata) ٥١
[١٠] «المَنفى أفضلُ وسيلة لضمَانِ الوفاء للوَطَن» ٥٤
[١١] إشارات حول شُروحَات المَقصُورة والنونيّة ٦٠
[١٢] أثَرُ النونيّة على شُعراءِ الجَزيرة العربيّة ٦٥
[١٣] في الإطالة والتكرار في مُتون الأذكار ٦٧
[١٤] المدائح السُّلطانية ٦٨
[١٥] أوراق مجهولة من الصَّحافة العُمانية في شرق إفريقيا
(الجُذور، الرُّواد، النهضة الصَّحافية في زنجبار) ٧٢
[١٦] تَقريظُ الكُتبِ وثِمَار المَطبَعة السُّلطانيّة في زنجبار ٧٦
[١٧] أبو مُسلم وحِسابُ الجُمّل ٧٩
[١٨] ببليوغرافيا النَّشأة والحَيَاة ٨١
[I] اسمه ونسبه ٨١
[II] تاريخ مَولده وتاريخ وفاته ٨٢
[III] تعليمه وتكوينه الثقافي والمعرفي ٨٤

[IV] شُيوخُهُ وتَلامِيذُه ٨٨
[V] ترحُلهُ في شرق إفريقيا (السِّياحة رُكنٌ من أركان الحياة) ٨٩
[VI] غضبه من الاستعمار الإنكليزي في البُلدان العربية وإعجابه بإصلاحات الإنكليز
في زنجبار ٩١
[١٩] شكر وامتِنان ٩٣
[٢٠] خاتمَة ٩٥
ملحق الصُّور والوثائق ٩٧
الباب الأول: الإلهيّاتُ والقصائدُ الدينيّةُ (مُشتمِلةً على النَّفَسِ الرَّحماني) ١٢٣
في ذكر اللّه جل جلاله ١٢٥
الوادي المُقدَّس ١٢٥
أسماءُ اللّه الحُسْنى ١٢٩
الله جلَّ جلاله ١٢٩
الرحمن جلَّ جلاله ١٣٢
الرحيم جلَّ جلاله ١٣٢
المَلِك جل جلاله ١٣٣
القُدّوس جلَّ جلاله ١٣٤
السّلام جلَّ جلاله ١٣٤
المؤمن جلَّ جلاله ١٣٥
المُهيمِن جَلَّ جلاله ١٣٥
العزيز جلَّ جلاله ١٣٦
الجبار جلَّ جلاله ١٣٧
المتكبر جلَّ جلاله ١٣٧
الخالق جلَّ جلاله ١٣٨
البارىء جلَّ جلاله ١٣٨
المُصوِّر جلَّ جلاله ١٣٩
الغفار جلَّ جلاله ١٤٠
القهّار جلَّ جلاله ١٤١
الوَهّاب جلَّ جلاله ١٤١
الرّزاق جلَّ جلاله ١٤٢
الفتاح جلَّ جلاله ١٤٣
العليم جلَّ جلاله ١٤٣
القابض جلَّ جلاله ١٤٤

الباسط جلّ جلاله ١٤٥
الخافض جلّ جلاله ١٤٥
الرافع جلّ جلاله ١٤٦
المعز جلّ جلاله ١٤٦
المُذِلّ جلّ جلاله ١٤٧
السّميع جلّ جلاله ١٤٨
البصير جلّ جلاله ١٤٨
الحَكَم جلّ جلاله ١٤٩
العدل جلّ جلاله ١٤٩
اللطيف جلّ جلاله ١٥٠
الخبير جلّ جلاله ١٥١
الحليم جلّ جلاله ١٥١
العظيم جلّ جلاله ١٥٢
الغفور جلّ جلاله ١٥٢
الشكور جلّ جلاله ١٥٣
العليّ جلّ جلاله ١٥٤
الكبير جلّ جلاله ١٥٤
الحفيظ جلّ جلاله ١٥٥
المُقيت جلّ جلاله ١٥٥
الحسيب جلّ جلاله ١٥٦
الجليل جلّ جلاله ١٥٧
الكريم جلّ جلاله ١٥٧
الرقيب جلّ جلاله ١٥٨
المُجيب جلّ جلاله ١٥٩
الواسع جلّ جلاله ١٥٩
الحكيم جلّ جلاله ١٦٠
الودود جلّ جلاله ١٦١
المجيد جلّ جلاله ١٦١
الباعث جلّ جلاله ١٦٢
الشهيد جلّ جلاله ١٦٢
الحق جلّ جلاله ١٦٣
الوكيل جلّ جلاله ١٦٤

القويّ جلّ جلاله ١٦٤
المَتين جلّ جلاله ١٦٥
الولي جلّ جلاله ١٦٥
الحميد جلّ جلاله ١٦٦
المُحْصِي جلّ جلاله ١٦٦
المُبدىء جلّ جلاله ١٦٧
المُعيد جلّ جلاله ١٦٨
المُحيي جلّ جلاله ١٦٨
المُمِيت جلّ جلاله ١٦٩
الحيّ جلّ جلاله ١٦٩
القيوم جلّ جلاله ١٧٠
الواجد جلّ جلاله ١٧١
الماجد جلّ جلاله ١٧١
الواحد جلّ جلاله ١٧٢
الأحَد جلّ جلاله ١٧٢
الصّمد جلّ جلاله ١٧٣
القادر جلّ جلاله ١٧٤
المُقتدر جلّ جلاله ١٧٤
المُقدِّم جلّ جلاله ١٧٥
المؤخِّر جلّ جلاله ١٧٥
الأوّل جلّ جلاله ١٧٦
الآخِر جلّ جلاله ١٧٧
الظّاهر جلّ جلاله ١٧٧
الباطِن جلّ جلاله ١٧٨
الوالي جلّ جلاله ١٧٩
المُتعالي جلّ جلاله ١٧٩
البَرّ جلّ جلاله ١٨٠
التوّاب جلّ جلاله ١٨١
المنتقم جلّ جلاله ١٨١
العَفُوُّ جلّ جلاله ١٨٢
الرّؤوف جلّ جلاله ١٨٢
مالك المُلك جلّ جلاله ١٨٣

ذو الجلال والإكرام جلَّ جلاله ١٨٤
المُقْسِط جلَّ جلاله ١٨٤
الجامع جلَّ جلاله ١٨٥
الغنيُّ جلَّ جلاله ١٨٦
المُغْني جلَّ جلاله ١٨٦
المانع جلَّ جلاله ١٨٧
الضَّار جلَّ جلاله ١٨٧
النافع جلَّ جلاله ١٨٨
النور جلَّ جلاله ١٨٩
الهادي جلَّ جلاله ١٨٩
البديع جلَّ جلاله ١٩٠
الباقي جلَّ جلاله ١٩١
الوارث جلَّ جلاله ١٩١
الرشيد جلَّ جلاله ١٩٢
الصبور جلَّ جلاله ١٩٢
الإله جلَّ جلاله ١٩٣
المُحيط جلَّ جلاله ١٩٤
القدير جلَّ جلاله ١٩٤
الكافي جلَّ جلاله ١٩٥
الشاكر جلَّ جلاله ١٩٦
القائم بالقسط جلَّ جلاله ١٩٦
سريع الحساب جلَّ جلاله ١٩٧
غافر الذنب جلَّ جلاله ١٩٨
قابل التوب جلَّ جلاله ١٩٨
شديد العقاب جلَّ جلاله ١٩٩
المُغيث جلَّ جلاله ٢٠٠
الفاطِر جلَّ جلاله ٢٠٠
القاهر جلَّ جلاله ٢٠١
المَولى جلَّ جلاله ٢٠٢
النصير جلَّ جلاله ٢٠٢
القريب جلَّ جلاله ٢٠٣
الفعَّالُ لما يُريد جلَّ جلاله ٢٠٣

المَنّان جلَّ جلاله ٢٠٤
الخلاق جلَّ جلاله ٢٠٥
ذو الطَّول جلَّ جلاله ٢٠٥
ذو القُوَّة جلَّ جلاله ٢٠٦
المَليك جلَّ جلاله ٢٠٦
الخاتمة الأولى ٢٠٧
الخاتمة الأخرى ٢١٠
الناموس الأسنى في أسماء الله الحسنى ٢١٤
الأولى: الحَضْرَةُ الجامِعَة ٢١٤
الثانية: الحَضْرَةُ الأحَدِيَّة ٢١٧
الثالثة: الحَضْرَةُ العِرْفانيَّة ٢١٧
الرابعة: الحَضْرَةُ القُدسِيَّة ٢١٨
الخامسة: الحَضْرَةُ الرَّحَمُوتيَّة ٢١٨
السَّادسة: الحَضْرَةُ الفُتوحيَّة ٢١٩
السابعة: الحَضْرَةُ الجَبَروتيَّة ٢٢٠
الثامنة: الحَضْرَة القُرْبِيَّة ٢٢١
التاسعة: الحَضْرَةُ القاصِمَة ٢٢١
خاتمة السعادة ٢٢٢
النفحة الفائحة في التوسل بأسماء الفاتحة ٢٢٧
الله ٢٢٧
الرَّب ٢٢٧
الرَّحمن ٢٢٨
الرَّحيم ٢٢٩
المَلِك ٢٢٩
الخاتمة ٢٣٠
المَعْرَج الأسنى في نظم أسماءِ الله الحُسْنى ٢٣٢
(مُقدِّمَة في شروط الذِّكر) ٢٣٢
الذِّكْـــر ٢٣٣
اللطيفة الأولى: (في سؤال تزكية النفس بواردات القدس) ٢٣٣
اللطيفة الثانية: (في استمداد الأنوار العِلْمِيَّة والأسْرَارِ الحِكمِيَّة) ٢٣٣
اللطيفة الثالثة: (في الدُّعاء لدفع الآفات والكَلاءَةِ مِنْ طَوارِقِ المخَافات) ٢٣٤
اللطيفة الرابعة: (في تطهير النَّفسِ بالاسْتِغفارِ مِنْ مُوبقاتِ الأوْزار) ٢٣٥

اللطيفة الخامسة: (لفتح خَزَائِنِ النِّعَم وانبِسَاطِ فُيُوضِ الكَرَم) ٢٣٦
اللطيفة السادسة: (في كَسْرِ شَوْكَةِ ذوي الفَسَادِ وحَسْمِ صَائِلَةِ أهْلِ العِنَاد) ٢٣٦
الخاتمة ٢٣٧
دَرْكُ المُنى في تَخْمِيسِ سُمُوطِ الثُّنا ٢٣٩
القسم الأول: في اعترافِهِ بذنبه وسُؤاله التَّوْبَةَ من رَبِّه ٢٤١
القسم الثاني: في إخلاصِ دُعائه وابتهالِهِ وإيقانِهِ بحُصُولِ أمَانيهِ وآمَالِه ٢٤٢
القسم الثالث: في تَضرُّعِهِ إلى مَعْبُودِهِ لِشكايَةِ شُؤمِ جُدُودِهِ وبَيَانِ قطْعِهِ
الأسْبابَ واتِّصَالِهِ برَبِّ الأرْبَاب طمَعاً في نَيْلِ جُودِه ٢٤٤
القسم الرابع: في شكايتِهِ إليه إضَاعَةَ سُنَنِ الإسْلامِ وتعْطِيلِ الأحْكَام ٢٤٩
القسم الخامس: في الدُّعاءِ على أعدائِهِ بقطْعِ دَابِرِهِم واسْتِئصَالِ أوَّلِهم وآخِرهم .. ٢٥١
القسم السادس: في المَقصَدِ الأسْنَى وهو إظْهارُ دِينِ اللهِ عَلى يَدِ قَائِمٍ مُوَلاه ٢٥٣
القسم السابع: في دُعائِهِ لِنفْسِهِ بكَوْنِهِ قُطْبَ المِلَّة الإسلاميَّةِ وإليهِ المَرْجِعُ
في إقامَةِ الشريعَةِ المُحَمَّدِيَة ٢٥٤
الخاتِمَة ٢٥٥
مَقْدَسُ النُّفُوس ٢٥٧
الكَلِمُ الطيِّب ٢٨١
الباقيَات الصالحات ٣٠٥
الصَّباحيّات ٣٠٥
الباقية الأولى: (في التسبيح) ٣٠٥
الباقية الثانية: (في التحميد) ٣٠٨
الباقية الثالثة: (في التهليل) ٣١١
الباقية الرابعة: (في التكبير) ٣١٤
المَسائيـات ٣١٧
الباقية الأولى: (في التسبيح) ٣١٧
الباقية الثانية: (في التحميد) ٣٢٠
الباقية الثالثة: (في التهليل) ٣٢٢
الباقية الرابعة: (في التكبير) ٣٢٥
دُعاء أحْرُف النُّور ٣٢٩
مفاتيح المَدَد ٣٣٠
القصيدة الهَمزيَّة ٣٥٢
القصيدة البائيَّة ٣٥٥
الشجرة المُباركة ٣٥٧

نفحَات النَّشر ٣٦١
اقتِناء الشريعة ٣٦٥
أصلُ الشَّرعِ وفرعُه ٣٦٦
في ذاتِ واجِب الوجُود ٣٦٧
عَلِمَ الحَقّ ٣٦٨
كل فِعلٍ لخالقِ الاخْتيار ٣٦٩
العقل طريق الحق ٣٧١
حِكمة اللّهِ جَلّ جلالُه ٣٧٢
ثمَرات المَعَارف وطيّبات العَوارف ٣٧٣
فرعُ الحَيَاة المُقدّسة ٣٩٤
طمْسُ الأبصار عن إدراك رُؤية ذات الجبّار ٣٩٦
قصيدة الوادي المُقدّس ٤٠٥
(إطناب) ٤٠٥
خَمْرَة الله ٤٠٧
النَّبيُون كلُّهم نُدماني ٤٠٩
مَصَابيح العِرْفان ٤١٠
اخلع النعلين ٤١١
طُرُق اللّه ٤١٢
القصِيدَة النَّهْرَوانيّة ٤١٣
أشِعَّة الحَقّ ٤٢٨
برهان الاستقامة ٤٣٦
الباب الثاني: المَدَائح النبويّة ٤٣٩
الغوثُ السَّريع بالحَبيب الشفيع ٤٤١
النشأة المُحمّدية ٤٥٢
القلائد الدُّريّة في مدح خير البَريّة ٤٥٨
نَسَبُ الرَّسُول ٤٦٥
شفيع المُذنِبين ٤٧٠
ذكرُكَ في الغيب القديم ٤٧١
الباب الثالث: القصائد الوطنية والاستنهاضيّة ٤٧٣
المَقْصُورَةُ (مُذَيّلةٌ بِتَقْدِيم وَحَوَاشٍ شَارِحَةٍ) ٤٧٥
النُّونيّة (الفَتحُ والرّضْوانُ في السَّيفِ والإيمان) ٥٣٢
شَرْحُ النُّونيّة (الفَتحُ والرّضْوان في السَّيفِ والإيمان) ٥٤٩

وَطَني (المِيمِيّة) ٦٥٣
أفيقوا بَني القرآن (العَينيّة) ٦٦٩
إلى المَجد أيها العرب ٦٨٠
الباب الرابع: قصائد الحِكم والمواعظ ٦٨٥
أمَلٌ يَتَناشُهُ أَجَل ٦٨٧
الدُّنيا ٦٩٢
استنهاضُ النَّفْس ٦٩٨
إخوانُ الصَّفا ٧٠٣
وقال ناصحاً ٧٠٥
انحِطاط ٧١٠
مَنازلُ النَّفس ٧١١
العَصَا والسُّبحة [١] ٧١٢
العَصَا والسُّبحة [٢] ٧١٣
الباب الخامس: المَراثي ٧١٥
قصيدة النبوءة ٧١٧
قُطبُ الأئمّة ٧٢٠
مَرثيّةُ القُطب ٧٢٩
ريب المنون ٧٣٧
نَكْسي الأعلامَ يا خَيرَ المِلَل ٧٤٦
رثاء الشيخ العَلّامة أحمد بن سعيد ٧٥٣
رائعَةُ المَنُون ٧٥٨
خذوا بجَميل الصَّبر ٧٦٥
عنبرة الأكوان ٧٧٥
رثاءُ إمَام وامتداحٌ لبَيعَةِ إمَام ٧٨٠
القائم المُرتَضى ٧٨٦
الباب السادس: تقريظ الكُتب ٧٨٩
في تقريظ كِتاب المَنهل ٧٩١
تقريظ كتاب «هِمْيَان الزاد» ٧٩٥
تقريظ كتاب «حاشية الترتيب» ٨٠١
تقريظ كتاب «مدارج الكمال» ٨٠٣
الباب السابع: مدائح سلاطين زنجبار ٨٠٧
هِمَمُ المُلوكِ ٨٠٩

أيادي من عفى ٨١٤
فاز المَجدُ واغتبطا ٨٢٠
سياسات بمقدار عزمه ٨٢٣
مَرصَدٌ وكمِين ٨٢٤
مياه البدر في ماء وجهه ٨٢٥
شعاع الشمس في القمر ٨٢٦
تاسع الأفلاك ٨٢٨
أُكْرُومَة ٨٢٩
يعطي بميزان عقله ٨٣٠
الباب الثامن: المُناسبات ٨٣١
المُؤتمَر الإسلامي ٨٣٣
مُتنبّيءُ الدُّنيا ٨٣٧
بُورِك النَّجل ٨٣٩
تهنئة ودعوة بشفاء ٨٤٢
جَوَابُ أبي مُسْلِم ٨٤٣
عَادَ المُهَنّا ٨٤٥
صَبراً بُنَيَّ على الزَّمان ٨٤٧
الباب التاسع: رَوَاحيَات ٨٤٩
قصيدة العِتاب ٨٥١
إلى أبي الحارث ٨٥٥
قد نهض الجَدّ ٨٥٨
حَنين جَاهِلِي ٨٥٩
جواب لبعض أدباء عُمان ٨٦٢
الباب العاشر: غزليّات ٨٦٣
ليس في الحُبّ قياس ٨٦٥
ساحر الطرف ٨٦٦
عَقِيق ٨٦٧
يا حِجاباً على الجَمالِ دَليلا ٨٦٩
سؤال غرامي [I] (وجّهَهُ إليه الشاعر محمد بن خميس البركاني) ٨٧٠
جوابُ أبي مُسْلِم ٨٧٠
سؤال غرامي [II] (وجّهَهُ سيف بن ناصر الخروصي) ٨٧١
جوابُ أبي مُسلِم ٨٧١

الجَفا ٨٧٢
غرام مُميت ٨٧٣
الفؤاد الكسير ٨٧٤
عَقيقٌ في عَقيقٍ في عقيقٍ ٨٧٥
الباب الحادي عشر: مُتفرّقات ٨٧٧
الشّاي ٨٧٩
مَديح الشاي ٨٨٠
مِسْكُ الشاي ٨٨١
ليلة الشاي ٨٨٢
رجال السّر ٨٨٣
في فضل الاجتماع ٨٨٤
شَجّة ٨٨٥
للّهِ دَرُّ بَني رَوَاحَة ٨٨٦
خطّة عَبْسِيّة ٨٨٧
مزايا الزمان ٨٨٨
عَشْرَاء ٨٨٩
قطع علاقة في عتاب ٨٩١
مُعاتبة ٨٩٢
السّمكة ٨٩٤
نظرة ٨٩٥
القطار ٨٩٦
المَعَالي ٨٩٨
المصادر والمراجع ٩٠٠
الفهرس ٩٠٢